جَامِعَة الخَليل
عَمَادَة الدِّرَاسَاتِ العُلْيا
بَرْنَامَج اللغَةِ العَرَبِيَّةِ

اليَهُودُ وَأثَرُهُم فِي الأدَبِ العَرَبِيِّ فِي الأَنْدَلُسِ

إِعْدَاد: **نَافِزَة نَاصِر الشَّرَبَاتِي**

إِشْرَاف : **الدُّكْتُور حَسَن فليفل**
أُسْتَاذ الأَدَبِ الأَنْدَلُسِيِّ المُشَارِك

قُدِّمَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ اسْتِكْمَالا لمُتَطلَّبَاتِ درَجَةِ المَاجِستير في اللغَةِ العَرَبِيَّةِ وَآدَابِهَا بِكُلِّيَّةِ الدِّرَاسَاتِ العُلْيا فِي جَامِعَةِ الخَلِيلِ .

٢٠٠٧م

نُوقِشَتْ هَذِهِ الرِّسَالَة يـوم السـبت بِتَـارِيخ ١/١٣/ ٢٠٠٧م المُوَافِـق ١٢/٢٤/ ١٤٢٧هـ ، وأُجِيزَتْ .

أعْضَاءُ لَجْنَةِ المُنَاقَشَةِ	التَّوْقِيع
١- د. حسن فليفل	....
٢- د. مشهور الحبازي	....
٣- د. حسام التميمي	....

الإهْدَاء

إِلَى وَالِدَتِي الحَبِيبَةِ

التي تُنِيرُ حيَاتِي بِعطْفِهَا وَحَنَانِهَا وَتفَهُّمِهَا

وَإلى كُلِّ الذينَ دَعمُونِي وَسَانَدونِي وَتحَمَّلُونِي فَتْرَةَ الدِّرَاسَةِ

مِنَ **الأَهْلِ وَالأَصْدِقَاءِ**

وَهُمْ كَثِيرُون ...

وَلولا مُسانَدَتُهُمُ المَادِّيَّةُ وَالمَعْنَوِيَّةُ مَا كَانَ لِهَذِهِ الرِّسالةِ

أنْ ترَى النُّورَ أبدًا .

الشُّكْر

إِلَى أُسْتَاذِي الدُّكْتُور حَسَن فليفل

المُحْتَوَيات

الإِهْدَاء .... ت

الشُكْر .... ث

المُحْتَوَيات .... ج

المُقَدِّمَة .... ذ

تَمْهِيد ١

أَوَّلاً:- مُسَمَّيَاتٌ وَتَعْرِيفَاتٌ لَهَا عَلاقَةٌ بِاليَهُود ١

ثَانِيًا :- قِلَّةُ ظُهُورِ اليَهُودِ فِي مَصَادِرِ الأَدَبِ الأَنْدَلُسِيِّ ٥

الفَصْلُ الأَوَّلُ : اليَهُودُ تَارِيخُهُمْ وَأَثَرُهُمْ فِي الحَيَاةِ الأَنْدَلُسِيَّةِ ٩

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: تَارِيخُ اليَهُودِ ومُشَارَكَتُهُم فِي السِّيَاسَةِ فِي الأَنْدَلُسِ ١٠

أَوَّلاً :- مواقِفُ بَارِزَةٌ لِلْيَهُودِ فِي تَارِيخ الأَنْدَلُسِ ١٣

١- مُسَاعَدَتُهُمْ لِلْفَاتِحِينَ ١٤

٢- دَوْرُهُم مَعَ المُتَمَرِّدِينَ وَالثَّائِرِينَ ١٧

٣- تَمَرُّدُهُمْ ٢١

٤- مُسَاعَدَتُهُمْ فِي تَسْلِيمِ بِلادِ المُسْلِمِينَ لِلنَّصَارَى ٢٣

ثَانِيًا :- حُرِّيَّتُهُم وَالوَظَائِفُ الرَّسْمِيَّةُ التِي تَوَلَّوهَا فِي الأَنْدَلُس........................ ٢٦

١- فِي الكِتَابَةِ . ٢- فِي الوِزَارَةِ وَالسِّفَارَةِ........................ ٢٩

ثَالِثًا :- قَسْوَتُهُم وَظُلْمُهُم لِلْمُسْلِمِينَ ٣٤

رَابِعًا :- قَسْوَةُ بَعْضِ السَّاسَةِ وَتَطَاوُلُ العَامَّةِ عَلَيْهِمْ ٣٥

خَامِسًا:- أَشْهَرُ مَذْبَحَةٍ لِليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ. ٣٦

المَبْحَثُ الثَّانِي: الحَيَاةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ لِلْيَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ ٣٩

أَوَّلاً :- تَجَمُّعُهُمْ فِي بِلادٍ وَأَمَاكِنَ خَاصَّةٍ بِهِمْ ٤٠

الجِيتُو الأَنْدَلُسِيُّ........................ ٤٤

ثَانِيًا :- مَظْهَرُهُمْ العَام ٤٥

١ – الهَيْئَةُ العَامَّةُ وَالغِيَارُ "الشُّكْلَةُ" ٤٦

٢ – الزُّنَّارُ وَالخَاتَمُ وَالقَلائِدُ وَالخِفَافُ ٥٠

٣ – العَمَائِمِ وَالقَلانِس. ٥٢

ثَالِثًا:- نَظْرَةُ الأَنْدَلُسِيِّينَ إِلَيْهِمْ ٥٧

نِسَاءُ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُس ٦٠

رَابِعًا:- مُعَامَلَةُ الأَنْدَلُسِيِّينَ لِليَهُودِ ٦١

١- مُجَاوَرَتُهُم فِي السَّكَنِ وَمُشَارَكَتُهُمْ فِي احتِفَالاتِهِمْ ٦١

احتِفَالُ اليَهُودِ بِأَعْيَادِهِمْ فِي الأَنْدَلُس ٦٣

٢- صَدَاقَتُهُم وَالتَّعَاوُنُ مَعَهُم. ٧٣

٣- مَحْظُوراتٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ عَلَيْهِم ٧٤

المَبْحَثُ الثالث: الحَيَاةُ الاقْتِصَادِيَّةُ لِليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ ٧٥

أَوَّلاً :- بُعْدُهُمْ عَنِ الزِّرَاعَةِ وَالصِّنَاعَةِ ٧٥

ثَانِيًا :- نَشَاطُهُمْ فِي التِّجَارَةِ ٧٦

١- التِّجَارَةُ الدَّاخِلِيَّةُ وَالخَارِجِيَّةُ. ٧٧

٢- تِجَارَةُ العَبِيدِ وَالجَوَارِيّ ٧٩

٣- تَمْوِيلُ جُيُوشِ النَّصَارَى وَافْتِدَاءُ الأَسْرَى. ٨١

٤- مُشَارَكَةُ المُسْلِمِينَ لَهُم فِي التِّجَارَةِ ٨٣

ثَالِثًا :- بَعْضُ المِهَنِ المُرْتَبِطَةِ بِهِمْ ٨٣

١- تَحْصِيلُ الضَّرَائِبِ وَالأَعْشَارِ ٨٥

٢- الإِقْرَاضُ وَالرِّبَا........................ ٨٧

المَبْحَثُ الرَّابِعُ : الحَيَاةُ الدِّينِيَّةُ لِليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ ٨٩
أَوَّلاً :- الحُرِّيَّةُ الدِّينِيَّةُ للطَّائِفَةِ اليَهُودِيَّة ٨٩
ثَانِيًا:- دُخُولُ بعْضِ يَهُودِ الأَنْدَلُسِ فِي الإِسْلامِ ٩١
ثَالِثًا:- قَضَاءُ اليَهُودِ فِيمَا بَيْنَهُم ٩٣
المَبْحَثُ الخَامِسُ : الحَيَاةُ الثَّقَافِيَّةُ لِليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ ٩٤
أَوَّلاً :- تَعْلِيمُهُم وَمَدَارِسُهُم ٩٤
١- النَّمَطُ الدِّينِيُّ اليَهُودِيُّ: ٩٤
٢- التَّعْلِيمُ العَرَبِيُّ: ٩٦
ثانيًا :- أَشْهَرُ عُلُومِهِم وَعُلَمَائِهِمْ ٩٨
١- فِي النَّقْلِ وَالتَّرْجَمَةِ ٩٩
٢- فِي اللُّغَةِ وَالأَدَبِ ١٠٠
٣- فِي الطِّبِّ ١٠٣
٤- فِي الفَلْسَفَةِ ١٠٥
٥- فِي الجُغْرَافيا وَالفَلَكِ وَالرِّحْلاتِ ١٠٧
٦- فِي الغِنَاءِ وَالمُوسِيقَى ١٠٨
الفَصْلُ الثَّانِي : حُضُورُ اليَهُودِ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ فِي الأَنْدَلُسِ ١٠٩
المَبْحَثُ الأَوَّلُ : اليَهُودُ فِي مَوْضُوعاتِ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ بالأَنْدَلُسِ ١١٠
أَوَّلاً:- اليَهُودُ فِي شِعْرِ الغَزَلِ ١١٠
١- لِقَاءُ الشَّاعِرِ الأَنْدَلُسِيِّ بِفَتَيَاتِ اليَهُودِ ١١٢
٢- أَثَرُ اليَهُودِ فِي الغَزَلِ التَّقْلِيدِيِّ ١١٤
٣- أَثَرُ اليَهُودِ فِي شِعْرِ الغَزَلِ بِالغِلْمَانِ ١١٦
٤- الغَزَلُ عِنْدَ شُعَرَاءَ مِنَ اليَهُودِ ١١٨
ثانِيًا:- اليَهُودُ فِي شِعْرِ المَدْحِ ١٢٠
الاتِّجَاهُ الأَوَّلُ: مَدْحُ اليَهُودِ ١٢٠
أَثَرُ ابنِ نَغْرِيلَّةَ فِي شِعْرِ مَدْحِ اليَهُودِ ١٢٠
مِثَالٌ عَلَى شِعْرِ المَدْحِ لِلْيَهُودِ ١٢٤
١- نَهْجُ قَصِيدَةِ المُنْفَتِلِ فِي ابنِ نَغْرِيلَّةَ : ١٢٦
٢- الغُلُوُّ فِي قَصِيدَةِ المُنْفَتِلِ ١٢٧
٣- اعْتِنَاقُ المُنْفَتِلِ اليَهُودِيَّةَ : ١٢٩
الاتِّجَاهُ الثَّانِي: أَثَرُ اليَهُودِ فِي مَدْحِ الشُّعَرَاءِ لِرِجَالاتِ الأَنْدَلُسِ ١٣١
أَثَرُ اليَهُودِ فِي المَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ ١٣٣
ثالثا:- اليَهُودُ فِي شِعْرِ الهِجَاءِ ١٣٤
(١) دَوائِرُ هِجَاءِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ ١٣٤
الدَّائِرَةُ الأُولَى : هِجَاءُ اليَهُودِ ١٣٤
الدَّائِرَةُ الثَّانِيَةُ : هِجَاءُ اليَهُودِ فِي أَغْرَاضٍ غَيْرِ الهِجَاءِ ١٣٦
الدَّائِرَةُ الثَّالِثَةُ: هِجَاءُ اليَهُودِ لِلْعَرَبِ ١٤٧
(٢) أَوْصَافٌ تَرَدَّدَتْ فِي هِجَاءِ اليَهُودِ ١٤٨
رابعًا:- اليَهُودُ فِي شِعْرِ الخَمْرِ ١٥٢
الأَوَّلُ : أَمَاكِنُ لِلْخَمْرِ التَقَى فِيهَا الشُّعَرَاءُ المُسْلِمُونَ بِاليَهُودِ ١٥٤
الثَّانِي : عَلاقَاتٌ لِليَهُودِ بِالخَمْرِ ظَهَرَتْ فِي الشِّعْرِ ١٥٨
١- يَحُضُّونَ عَلَى شُرْبِهَا وَيُحَلِّلُونَهَا ١٥٨
٢- يَبِيعُونَ الجَيِّدَ مِنْهَا وَيُوَفِّرُونَهَا لِمَنْ يُرِيدُهَا ١٥٩
٣- اشْتُهِرَ بَعْضُ شُعَرَائِهِمْ بِشُرْبِهَا ١٦٠
٤- لَهُمْ عَلاقَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ عَقَدِيَّةٌ بِهَا ١٦١
خَامِسًا:- اليَهُودُ فِي مَوْضُوعاتٍ أُخْرَى ١٦٢
الأَوَّلُ : فِي شِعْرِ الإِخْوَانِيَّاتِ ١٦٢
١- مُرَاسَلاتٌ مِنَ اليَهُودِ أَوْ إِلَيْهِمْ ٢- أَثَرُ اليَهُودِ فِي مُرَاسَلاتٍ بَيْنَ المُسْلِمِينَ ١٦٢
الثَّانِي : فِي الشِّعْرِ المُتَحَدِّثِ عَنِ الفِتَنِ وَالمَذَابِحِ ١٦٦
الثَّالِثُ : فِي المُوَشَّحَاتِ والأَزْجَالِ ١٧٢
المَبْحَثُ الثَّانِي : أَعْلامُ اليَهُودِ وَقِصَصُهُم فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ ١٧٥

أَوَّلاً:- أَشْهَرُ أَعْلامِ اليَهُودِ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ ١٧٥
١- السَّامِرِيّ ٢- يُوشَعُ بنُ نُونٍ ٣- بَلْعَام ٤- السَّمَوْأَل ١٧٥
ثَانِيًا :- مَصَادِرُ قِصَصِ اليَهُودِ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ ١٩٣
المَبْحَثُ الثَّالِثُ: شُعَرَاءُ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ ١٩٦
أَوَّلاً :- ابنُ سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ ١٩٦
١- مَوْلِدُهُ وَنَشْأَتُهُ : ١٩٦
٢- تَعْلِيمُهُ وَثَقَافَتُهُ وَأَعْمَالُهُ : ١٩٨
٣- شَكُّ النَّاسِ فِي إِسْلامِهِ : ١٩٩
٤- وَفَاتُهُ : ٢٠٣
٥- أَهَمُّ سِمَاتِ شِعْرِهِ : ٢٠٤
٦- دِرَاسَةُ مِثَالٍ عَلَى شِعْرِهِ "تَخْمِيسُهُ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ " ٢٠٨
ثَانِيًا :- أَبُو الفَضْلِ بنُ حَسْدَاي ٢١٤
١- مَوْلِدُهُ وَنَشْأَتُهُ : ٢١٤
٢- تَعْلِيمُهُ وَثَقَافَتُهُ وَأَعْمَالُهُ : ٢١٧
٣- إِسْلامُ ابنِ حَسْدَاي: ٢١٨
٤- وَفَاتُهُ : ٢١٩
٥- أَهَمُّ سِمَاتِ شِعْرِهِ : ٢١٩
٦- إِخْوَانِيَّاتُهُ وَمُعَارَضَاتُهُ : ٢٢١
٧- دِرَاسَةُ مِثَالٍ مِنْ شِعْرِهِ : ٢٢٥
ثَالِثًا :- آخَرُونَ : ٢٢٦
الفَصْلُ الثَّالِثُ : حُضُورُ اليَهُودِ فِي النَّثْرِ العَرَبِيِّ فِي الأَنْدَلُسِ ٢٣٠
المَبْحَثُ الأَوَّلُ : الفُنُونُ النَّثْرِيَّةُ الَّتِي ظَهَرَ فِيهَا اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ ٢٣١
أَوَّلاً:- الرَّسَائِلُ ٢٣١
القِسْمُ الأَوَّلُ : رَسَائِلُ مِنَ العَرَبِ إِلَى اليَهُودِ ٢٣١
أَوَّلاً :- الرَّسَائِلُ ٢٣١
١ - رِسَالَةٌ مِنْ أَيُّوبَ المَرْوَانِيِّ إِلَى ابنِ شَمْعُونَ اليَهُودِيِّ ٢٣١
٢ - رِسَالَةٌ مِنَ ابنِ الدَّبَّاغِ إِلَى ابنِ حَسْدَاي ٢٣٣
٣ - رِسَالَةٌ مِنَ المُنْفَتِلِ إِلَى ابْنِ نَغْرِيلَّةَ ٢٣٥
٤ - جَوَابُ ابنِ هُودَ لابنِ حَسْدَاي عِنْدَ فِرَارِهِ عَنْهُ ٢٣٦
٥ - رِسَالَةُ أَبِي الرَّبِيعِ القُضَاعِيِّ إِلَى يُوسُفَ الإِسْلامِيِّ مُعَاتِبًا ٢٣٦
٦ - رِسَالَةُ ابنِ حَزْمٍ إِلَى ابنِ نَغْرِيلَّةَ ٢٣٧
ثَانِيًا:- سِمَاتٌ عَامَّةٌ لِرَسَائِلِ العَرَبِ إِلَى اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ ٢٣٧
القِسْمُ الثَّانِي : رَسَائِلُ مِنَ اليَهُودِ إِلَى العَرَبِ ٢٤١
١- رَسَائِلُ ابنِ حَسْدَاي ٢٤١
٢- مِثَالٌ عَلَى رَسَائِلِ ابْنِ حَسْدَاي ٢٤١
٣- مِيزَاتُ رَسَائِلِ ابنِ حَسْدَاي ٢٤٢
أَوَّلاً : كَثْرَةُ الاقْتِبَاسِ وَالتَّضْمِينِ ٢٤٢
ثَانِيًا : ظُهُورُ ثَقَافَتِهِ الوَاسِعَةِ ٢٤٩
ثَالِثًا : سِمَاتٌ مَوْضُوعِيَّةٌ وَفَنِّيَّةٌ أُخْرَى ٢٥١
القِسْمُ الثَّالِثُ : أَثَرُ اليَهُودِ فِي رَسَائِلَ مِنَ العَرَبِ إِلَى العَرَبِ ٢٦١
ثَانِيًا :- مَوْضُوعَاتٌ نَثْرِيَّةٌ أُخْرَى ٢٦٣
١- الأَمْثَال ٢٦٣
٢- المَقَامَات ٢٦٦
٣- المُذَكَّرَات ٢٦٧
المَبْحَثُ الثَّانِي : المُؤَثِّرَاتُ عَلَى صُورَةِ اليَهُودِ فِي النَّثْرِ الأَنْدَلُسِيِّ ٢٦٩
المَبْحَثُ الثَّالِث: أَعْلامٌ أَظْهَرُوا اليَهُودَ فِي النَّثْرِ الأَنْدَلُسِيِّ ٢٧٨
أَوَّلاً :- أَبْنَاءُ نَغْرِيلَّةَ الوُزَرَاءُ اليَهُودُ بِغَرْنَاطَةَ ٢٧٨
١- الأَبُ: إِسْمَاعِيل [٣٨٣ - ٤٤٨هـ] ٢٨٢

٢- الابنُ: يُوسُفُ [... - ٤٥٩هـ] ٢٨٦
٣- الحَفِيدُ بإفْرِيقْيَة ٢٨٨
ثَانِيًا :- أبُو مُحَمَّدٍ بنُ حَزْمٍ ٢٨٩
١- عَلاقَةُ ابْنِ حَزْمٍ بالْيَهُودِ : ٢٩٠
٢- دَوْرُ ابنِ حَزْمٍ فِي التَّحْرِيضِ عَلى مَقْتَلِ ابنِ نَغْرِيلَّةَ ٢٩٢
٣- رِسَالَةُ ابنِ حَزْمٍ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ نَغْرِيلَّةَ ٢٩٢
٤- أهَمُّ سِمَاتِ رِسَالَةِ ابنِ حَزْمٍ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ نَغْرِيلَّةَ ٢٩٤
ثَالِثًا :- الأدِيبُ اليَهُودِيُّ ابْنُ حَسْدَاي ٢٩٩

الخَاتمَة ٣٠٠

المَلاحِق ٣٠٢

أوَّلاً:- جَدَاولُ حَوْلَ "الإسْرَائيلِيّ وَالعِبْرِيّ وَاليَهُودِيّ وَمُشْتقَّاتهَا " فِي بَعْضِ كُتُبِ التُّرَاثِ. ٣٠٣
ثانيًا :- أشْهَرُ مُعْتَقَدَاتِ اليَهُودِ وَأنْبِيائِهِمْ وَعُظَمَائِهِم ٣٠٧
ثَالِثًا :- مَلاحِقُ القَصَائِدِ وَالمُقَطَّعَاتِ الشِّعْرِيَّةِ ٣١٦
أ- شِعْرٌ مِنَ العَرَبِ مُوَجَّهٌ إلى ابنِ حَسْدَاي ٣١٦
ب - مِنْ شِعْرِ ابنِ حَسْدَاي ٣٢١
ج- قَصِيدَةُ أبِي إسْحَاقَ الإلْبِيرِيِّ فِي اليَهُودِ ٣٢٨
د- مِدْحَةٌ نَبَوِيَّةٌ لابْنِ سَهْلٍ الإسْرَائِيلِيِّ : ٣٣١
رَابعًا :- مَلاحِقُ القِطَعِ النَّثْرِيَّةِ ٣٣٣
أ- رَسَائِلُ إلَى اليَهُودِ ٣٣٣
ب- رَسَائِلِ ابنِ حَسْدَاي التِي كَتَبَهَا عَنْ نَفْسِهِ ٣٣٨
ج- رَسَائِلِ ابنِ حَسْدَاي التِي كَتَبَهَا عِنْ غَيْرِهِ ٣٤٦
د- رِسَالَةُ ابنِ حَزْمٍ فِي الرَّدِّ عَلى ابْنِ نَغْرِيلَّةَ اليَهُودِيِّ ٣٥٥

الفَهَارِس ٣٧٥

أوَّلاً:- **فِهْرِسُ الآياتِ** ٣٧٦
ثانيًا :- **فِهْرِسُ الأعْلامِ** ٣٧٩
ثَالِثًا :- **فِهْرِسُ الشُّعُوبِ وَالقَبَائِلِ وَالجَمَاعَاتِ وَالمِهَنِ** ٣٨٦
رَابعًا :- **فِهْرِسُ البِقَاعِ وَالبُلْدَانِ وَالأمَاكِنِ** ٣٩٠
خَامسًا :- **فِهْرِسُ القَوَافِي** ٣٩٥
سَادسًا :- **فِهْرِسُ المُوَشَّحَاتِ وَالأزْجَالِ** ٤٠٢
سَابعًا :- **فِهْرِسُ الكُتُبِ** ٤٠٣

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ ٤١٠

ABSTRACT ٤١٨

المُقَدِّمَة

أثَارَ انْتِبَاهِي وُجُودُ شِعْرٍ وَنَثْرٍ كُتِبَ بِالعَرَبِيَّةِ لِبَعْضِ اليَهُودِ في مَصَادِرِ الأدَبِ الأنْدَلُسِيِّ، وَأثَارَ انتِبَاهِي أكْثَرَ وُجُودُ شِعْرِ مَدْحٍ في وُزَرَاءَ مِنَ اليَهُودِ في مَمَالِكِ الأنْدَلُس. فَفَكَّرْتُ في البَحْثِ عَنْ أثَرِ اليَهُودِ في الأدَبِ، فَلا بُدَّ أنْ يَكُونَ في الأدَبِ مَا يدلُّ عَلَى وُجُودِهِمْ، فَقَدْ عُنِيَ الأنْدَلُسِيّونَ بِالأدَبِ كَثِيرًا،وَاليَهُودُ فِئَةٌ مِنْ فِئَاتِ المُجْتَمَعِ الأنْدَلُسِيِّ،وَلا يُمْكِنُ فَصْلُهَا عَمَّا كَانَ يَدُورُ فِي عالَمِ الأدَبِ،لِذا تَوَقَّعْتُ أنَّ لهُم عِنَايَةً بِالأدَبِ كَغَيْرِهِمْ،وَ تَوَقَّعْتُ أنَّ هَذِهِ الفِئَةَ تَرَكَتْ أثَرًا فِي الأدَبِ.

كَانَ لِلشِّعْرِ مَكَانَةٌ عظيمةٌ عِنْدَ الأنْدَلُسِيِّينَ عَلَى اخْتِلافِ طَبَقَاتِهِم وَثقافاتهم؛ يَقُولُ الحَمَوِيُّ مَثَلاً فِي "مُعْجَمُ البُلْدَانِ" إنَّهُ: "قَلَّ أنْ يُرَى مِنْ أهْلِ شِلْب مَنْ لا يَقُولُ شِعْرًا وَلا يَتَعَانَى الأدَبَ،وَلَوْ مَرَرْتَ بِالحَرَّاثِ خَلْفَ فَدَّانِهِ وَسَألْتَهُ عَنْ الشِّعْرِ لقَرَضَ مِنْ سَاعَتِهِ مَا اقْتَرَحْتَ عَلَيْهِ وَأيَّ مَعْنَى طَلَبْتَ مِنْهُ". فَإنْ كَانَ الحَرَّاثُ قَادِرًا عَلَى ارْتِجَالِ الشِّعْرِ فِي الأنْدَلُس فَلا أتَوَقَّعُ أنْ تَجْهَلَهُ وَتَكُونَ بَعِيدَةً عَنْهُ وَغَيْرَ مُؤَثِّرَةٍ فِيهِ فِئَةُ اليَهُودِ التِي امْتَازَتْ بِثقافةٍ وَاسِعَةٍ وَاضْطِلاعٍ فِي شَتَّى العُلُومِ بِتِلْكَ البِيئَةِ بِمَا فِيهَا عُلُومُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وآدابِهَا.

ومَا نُقِلَ إلَيْنَا عَنِ المُجْتَمَعِ الأنْدَلُسِيِّ،وَمَا تَضمَّنَتْهُ صَفْحَاتُ البَحْثِ التَّالِيَةُ يَدُلُّ عَلَى أنَّ اليَهُودَ تَطَلَّعَتْ عيونُهُم إلَى بَلاطِ المُلُوكِ وَالأمَرَاءِ وَالوُزَرَاءِ،ووصَلُوهُ،وَكَانَ مِنْهُمْ عِدَّةُ وُزَرَاءَ، وَمِنَ المَعْلُومِ أنَّ مَجَالِسَ المُلُوكِ وَالأمراءِ فِي الأنْدَلُسِ كَانَتْ تلعبُ دَوْرًا مُهِمًّا فِي الحَيَاةِ الأدَبِيَّةِ؛ فَالشُّعَرَاءُ كَانُوا ينالُونَ مِنْ مُلُوكِهِم وَجَاهَةً وَتَقْدِيرًا وَحَظًا فِي الوَظَائِفِ،وَالمُجِيدُونَ مِنْهُمْ يَنَالُونَ قُرْبًا ومَكَانَةً عندَ ذَوِي السُّلْطَةِ وَأصْحَابِ القَرَار ،فَالغالِبُ عندَ الأنْدَلُسِيِّينَ أنْ يُعَظَّمَ الشَّخْصُ بِالأنْدَلُس إنْ كَانَ نَحْوِيًّا أوْ شَاعِرًا، فإنْ كَانَ القُرْبُ مِنْ مَجَالِسِ المُلُوكِ وَالأمَرَاءِ مِقْيَاسًا مِنَ المَقَايِيسِ التِي يُقاسُ بِهَا بَاعُ هَذَا الكاتبِ أوِ الشَّاعِرِ،وَإنْ كَانَتْ عَطَايَا هَؤُلاءِ القَائِمينَ عَلَى أمْرِ الأدَبِ فِي الأنْدَلُس دَليلا آخَرَ عَلَى مَكَانَةِ هَذَا الكاتبِ أوْ ذاكَ الشَّاعِرِ،فلا بُدَّ أنْ يَكُونَ لِلْيَهُودِ عَلاقَةٌ بِالأدَبِ وَالأدَباءِ وَالشِّعْرِ وَالشُّعَرَاءِ. كَمَا أنَّ المُخَالَطَةَ اليَوْمِيةَ لِلْيَهُودِ مَعَ عَامَّةِ النَّاسِ بِمَنْ فِيهِمُ الشُّعَرَاءُ،لا بُدَّ أنَّهَا تَرَكَتْ لَهُمْ أثَرًا لا يُمْكِن تَجَاهُلُهُ فِي الشِّعْرِ وَالنَّثْرِ.

مِنْ هَذِهِ المُؤَشِّرَاتِ قَرَّرْتُ البَحثَ عَنْ أثَرِ اليَهُودِ في الأدَبِ، وَحِينَ بَدَأْتُ البَحْثَ لاحَظْتُ أنَّ اليَهُودَ في الأنْدَلُسِ لَمْ يَحْظَوْا بِأيِّ دِرَاسَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ سِوَى كِتَابٍ لِمُحَمَّدٍ بَحَر عَبْدِ المجِيدِ بِعُنْوانِ "اليَهُودُ في الأنْدَلُسِ"، فِيهِ مَقْطُوعَاتٌ أدَبِيَّةٌ لِبَعْضِ اليَهُودِ فِي الأنْدَلُس، وَفِيهِ حَدِيثٌ مُخْتَصَرٌ عَنْ أعْلامِ اليَهُودِ فِيهَا، إلا أنَّ الكتابَ لَمْ يَكُنْ دِرَاسَةً عِلْمِيَّةً،وَرَكَّزَ الكاتبُ فِيهِ كَثِيرًا عَلَى المَعْلُومَاتِ التَّارِيخِيَّةِ وَلَمْ يَكُنِ اهْتِمَامُهُ بِالنَّاحِيَةِ الأدَبِيَّةِ،كَمَا أنَّ جُلَّ اعتمادِهِ كَانَ عَلَى المَرَاجِعِ الحَدِيثَةِ وَالأجْنَبِيَّةِ، ولَمْ يَعْتَمِدِ الكَاتِبُ فِي دِرَاسَتِهِ كَثِيرًا عَلَى مَصَادِرِ الأدَبِ الأنْدَلُسِيِّ،فَجَاءَ الكِتَابُ مَمْلُوءًا بِحَدِيثٍ عَنْ أعْلامِ اليَهُودِ في الأنْدَلُسِ،دُونَ تَحْلِيلٍ أوْ مُنَاقَشَةٍ لِلأمُورِ.وَاخْتَفَى يَهُودُ الأنْدَلُسِ وَأدَبُهُم مِنْ عَنَاوِينِ الكُتُبِ التِي بَحَثْتُ فِيهَا،لَكِنْ أتَى ذِكْرُهم مُسْتَقِلا فِي أقَلَّ مِنْ عَشْرِ صَفَحاتٍ عندَ هَنْرِي بِيرِسْ في دِرَاسَتِهِ "الشِّعْرِ الأنْدَلُسِيِّ فِي عَصْرِ الطَّوائِفِ".

وَجَعَلْتُ الرِّسَالَةَ فِي ثَلاثَةِ فُصُولٍ،سَبَقَهَا **تَمْهِيدٌ** عَرَضْتُ فِيهِ بعْضَ المُسَمَّيَاتِ وَالتَّعْرِيفَاتِ التِي لَهَا عَلاقَةٌ بِاليَهُودِ، ثُمَّ أشَرْتُ إلى قِلَّةِ اهْتِمَامِ البَّاحِثِينَ وَالدَّارِسِينَ بِجَمَاعَةِ اليَهُودِ فِي الأنْدَلُس. وَخَصَّصْتُ **الفَصْلَ الأوَّلَ** لِلْيَهُودِ وَأثَرِهِمْ فِي الحَيَاةِ فِي الأنْدَلُسِ،وَتَحَدَّثْتُ فِيهِ عَنْ تَارِيخِهِمْ وَحَيَاتِهِمُ الاجْتِماعِيَّةِ وَالاقْتِصَادِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ،وَذَكَرْتُ فِيهِ أهَمَّ مَظَاهِرِ حَيَاتِهِم فِي الأنْدَلُسِ وَأبْرَزَ عَادَاتِهِمْ وَمُعْتَقَدَاتِهِمْ وَأعْمَالِهِمْ وَأشْهَرَ أعْلامِهِمْ وَبَعْضًا مِنَ المَوَاقِفِ التَّارِيخِيَّةِ التِي ظَهَرُوا فِيهَا أوْ أثَّرُوا بِهَا .

أمَّا **الفَصْلُ الثَّانِي** فَخَصَّصْتُهُ لأثَرِ اليَهُودِ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ فِي الأنْدَلُس،بَحَثْتُ فِيهِ عَنِ اليَهُودِ فِي المَوْضُوعاتِ التِي ظَهَرَ فِيهَا أثَرٌ لِلْيَهُودِ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ بِالأنْدَلُس. وَتَحَدَّثْتُ فِيهِ عَنْ أشْهَرِ أعْلامِ

اليَهُودِ الذينَ أثَّرُوا في الشِّعْرِ،وَأضَفْتُ إلَيْهِ حَدِيثًا عَنْ مَصَادِرِ قِصَصِ اليَهُودِ المَذْكُورَةِ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ. وَانْتَهَى الفَصْلُ بِتَرْجَمةٍ لأشْهرِ شُعَراءِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ .

وَالفَصْلُ الثَّالِثُ جَعَلْتُهُ لأَثَرِ اليَهُودِ فِي النَّثْرِ العَرَبِيِّ فِي الأَنْدَلُسِ،تَحَدَّثْتُ فِيهِ عَنِ الفُنُونِ النَّثْرِيَّةِ التِي ظَهَرَ فِيهَا اليَهُودُ في الأَنْدَلُسِ،وهِيَ الرَّسَائِلُ وَالأَمْثَالُ وَالمَقَامَات وَالمُذَكِّرَات.ثُمَّ تحَدَّثَ عَنِ المُؤَثِّرَاتِ على صُورَةِ اليَهُودِ في النَّثْرِ الأَنْدَلُسِيِّ وَأَهمِّ الأَوْصَافِ التِي وُصِفُوا بِهَا فِي النَّثْرِ، ثُمَّ تَرْجَمْتُ لأعلامٍ أظْهَرُوا اليَهُودَ في النَّثْرِ الأَنْدَلُسِيِّ .

وعَزَّزتُ البَحْثَ بِقِطَعٍ شِعْرِيَّةٍ ونَثْرِيَّةٍ للتدليلِ على القَضَايا المُتَنَاوَلَةِ، تَوَقَّفْتُ أَحْيَانًا عِنْدَ رَأْيِ البَاحِثِينَ وَالدَّارِسِينَ وَنَاقَشْتُهُ مُؤَيِّدَةً أَو مُعَارِضَةً،وَأَحيَانًا كُنْتُ أَتَوَقَّفُ عِنْدَ مَدْلُولاتِ هَذِهِ القِطَعِ وَمَعَانِيهَا وَأَحْيَانًا أُخْرَى كَانَ يَسْتَوْقِفُنِي أسْلُوبُهَا أو جَمالُهَا أو غَرَابَتُها.وحَاوَلتُ التَّرْجَمَةَ المُخْتَصَرَةَ للأعْلامِ عِنْدَ وُرُودِهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي البَحْثِ، وَكَذَلِكَ عَرَّفْتُ بِالمُدُنِ وَالمَوَاقِعِ عِنْدَ ظُهُورِهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ .

وأَتْبَعتُ البَحْثَ **بِمَلاحِقَ**:الأَوَّلُ مِنْهَا جَدَاولُ تُلَخِّصُ تكْرَارَ أَلفَاظِ الإِسْرَائِيلِيِّ وَالعِبْرِيِّ وَاليَهُودِيِّ وَمُشْتَقَّاتِهَا فِي بَعْضِ كُتُبِ التُّرَاثِ. وَالثَّانِي عنْ أشْهَرِ مُعْتَقَدَاتِ اليَهُودِ وَأَنْبِيَائِهِمْ وَعُظَمَائِهِم لأَهَمِّيَّتِهَا فِي مُنَاقَشَةِ بَعْضِ نُصُوصِ البَحْثِ. وَالثَّالِثُ بِهِ قَصَائِدُ وَمُقَطَّعَاتٌ شِعْرِيَّةٌ رَأَيْتُ أَنَّها تُفِيدُ البَحْثَ، وَالرَّابِعُ لِقِطَعٍ نَثْرِيَّةٍ. وأَلْحَقْتُ الجَدَاوِلَ بِفَهَارِسَ عِدَّة .

وَاعْتَمَدْتُ المَنْهَجَ التَّكَامُلِيَّ في البَحْثِ؛فَرَاعَيْتُ التَّسَلْسُلَ الزَّمَنِيَّ أَحْيَانًا وَفْقَ المَنْهَجِ التَّارِيخِيِّ حِينًا فِي سَرْدِ الحَوَادِثِ التَّارِيخِيَّةِ كَقَضِيَّةِ مَقْتَلِ الوَزِيرِ ابْنِ نَغْرِيلَّةَ مَثَلاً،وَفِي سَرْدِ أو تتَبُّعِ بعضِ المَوَاقِفِ مِنْ تَارِيخِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُس قَبْلَ الفَتْحِ الإِسْلامِيِّ وَبَعْدَهُ، وَحِينًا آخَرَ اتَّبَعْتُ المَنْهَجَ الإِحْصَائِيَّ كَمَا حَصَلَ فِي بَحْثِي عَنِ اسْتِخْدَامِ الأَنْدَلُسِيِّينَ لِمُصْطَلَحَاتِ الإِسْرَائِيلِيِّ وَالعِبْرِيِّ وَاليَهُودِيِّ وَمُشْتَقَّاتِهَا فِي بَعْضِ كُتُبِ التُّرَاثِ وَوَضَعْتُهَا بِجَدَاوِلَ إِحْصَائِيَّةٍ فِي المَلاحِقِ،كَمَا ذَكَرَ البَحْثُ أَحْيَانًا إِحْصَائِيَّاتٍ لِلرَّسَائِلِ وَالقِطَعِ الشِّعْرِيَّةِ في بعْضِ قَضَايَا البَحْثِ، وَأَحْيَانًا اتَّبَعْتُ المَنْهَجَ الوَصْفِيَّ أَوِ التَّحْلِيلِيَّ فِي الحَدِيثِ عَنِ الحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ مَثَلاً، وَفِي وَصْفِ بَعْضِ الظَّوَاهِرِ الأَدَبِيَّةِ فِي ثَنَايَا البَحْثِ،وَفِي أُخْرَى اتَّبَعْتُ المَنْهَجَ النَّفْسِيَّ كَمَا حَصَلَ فِي تَحْلِيلِ بَعْضِ النُّصُوصِ الشِّعْرِيَّةِ أَوِ النَّثْرِيَّةِ أَحْيَانًا،وَأَحْيَانًا لَجَأْتُ إِلى المَنْهَجِ الجَمَالِيِّ أَمَامَ بَعْضِ النُّصُوصِ سَوَاءٌ مِنَ اليَهُودِ أَوْ مِنَ العَرَبِ ظَهَرَ فِيهَا أَثَرٌ لِليَهُودِ .

وَعَلَى الرُّغْمَ مِنْ قِلَّةِ ظُهُورِ اليَهُودِ في المَصَادِرِ إلا أَنَّ **المَصَادِرَ وَالمَرَاجِعَ التِي أَفَادَتْنِي فِي البَحْثِ** كَثِيرَةٌ، مَعَ الاختلافِ في المَعْلُومَاتِ الوَارِدَةِ فِيهَا مِنْ حَيْثُ الكَمِّ وَالأَهَمِّيَّةِ. فَالمَصَادِرُ الإِسْلامِيَّةُ بَخِيلَةٌ في المَعْلُومَاتِ عَنِ اليَهُودِ؛حيثُ انْصَبَّ اهْتِمامُ المُؤَلِّفِينَ فِي مُلاحَقَةِ أَخْبَارِ المُلُوكِ وَالأُمَرَاءِ وَحُرُوبِهِم وَانْتِصَارَاتِهِم،بينَمَا أهمَلَتِ الحَدِيثَ عنِ الجَالِيَاتِ غَيْرِ الإِسْلامِيَّةِ، وحِينَ ذكَرَتْهَا لَمْ يكُنِ الهَدَفُ دِرَاسَةَ هَذِهِ الجَالِيَاتِ ومَا امتَازَتِ بِهِ عَنْ بَقِيَّةِ فِئَاتِ المُجْتَمَعِ الإِسْلامِيِّ، بَلْ جاءَ الحَدِيثُ عَنْهَا في السَّرْدِ العَامِ لِلأَحْدَاثِ التِي رَافَقَتْ عِلْيَةَ القَوْمِ .

وَكَانَتْ مُعظَمُ المَصَادِرِ القَدِيمَةِ مَوْسُوعيةً،إلا أَنَّ الكُتُبَ التِي يَغْلِبُ عَلَيْهَا الطَّابِعُ الأدبيُّ كَانَتْ شَحِيحَةً في المَعْلُومَاتِ عَنِ اليَهُودِ،وبِصُعُوبَةٍ أَفَادَ البَحْثُ مِنْهَا،وحِينَ تَأْتِي بَعْضُ المَعْلُومَاتِ الأَدَبِيَّةِ عَنْهُمْ لَمْ يَكُونُوا المَقْصُودِينَ؛بَلْ كَانَ غَيْرُهُمْ الهَدَفَ.وَكَانَ كتابُ **"الذَّخِيرَة"** لابنِ بَسَّام(ت:٥٤٢هـ) مِنْ أَغْزَرِ المَصَادِرِ التِي أَمَدَّتْنِي بِنُصُوصٍ أَدَبِيَّةٍ لِليَهُودِ أَوْ عَنهُمْ،وَكَادَتْ تَخْتَفِي مُعْظَمُ هَذِهِ النُّصُوصِ عَلَى قِلَّتِهَا مِنَ الكُتُبِ التَّالِيَةِ لِلذَّخِيرَةِ باستِثْنَاءِ **"نَفْحِ الطِّيبِ"** للمَقَّرِيِّ(ت:١٠٤١هـ) الذي خَصَّصَ قِسْمًا للشُّعَرَاءِ اليَهُودِ وَتَرْجَمَ لَهُمْ،كَمَا تضَمَّنَ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ،وَأَشَارَ إِلى بَعْضِ الأَعْمَالِ التِي قَامُوا بِهَا،وَعَلاقَتِهِمْ بِالمُسْلِمِينَ،إلا أَنَّ المعلوماتِ جَاءَتْ مُخْتَصَرَةً وَفِيهَا تَجَاهُلٌ واضِحٌ لِلنُّصُوصِ الأَدَبِيَّةِ لَهُمْ أَوِ التِي قِيلَتْ بِحَقِّهِمْ .

وَكَانَتْ كُتُبُ الطَّبَقَاتِ وَالتَّرَاجِمِ وَالتَّارِيخِ مِثْلَ الكُتُبِ الأَدَبِيَّةِ فِي تَجَاهُلِهَا لليَهودِ،فَجَاءَ ذِكْرُهُمْ بِقِلَّةٍ فِيهَا في التأريخِ أَوِ التَّرْجَمَةِ لِغَيْرِهِمْ؛فأفَادَ البَحْثَ كُتُبُ ابنِ سَعِيدٍ(ت:٦٨٥هـ) في التَّرْجَمَةِ لِبَعْضِ اليَهُودِ ولِغَيْرِهِم مِنَ الأَنْدَلُسِيِّينَ ومِنْهَا كِتَابُ **"المُغْرِب"**. وَكَذَلِكَ استَفَادَ البَحْثُ في ترجَمَةِ الأعلامِ المَذكورةِ فِيهِ مِنَ **"الحُلَّة السِّيَرَاء"** لابن الأَبَّار(ت:٦٥٨هـ)، وَ**"وَفَيَات الأَعْيَانِ وَأَنْبَاءِ الزَّمَانِ"** لابن

خَلِّكَان(ت:٦٨١هـ) وَ"**سِيَرِ أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" لِلذَّهَبِيِّ (ت:٧٦٤هـ). وَمِثْلُهَا كِتَابُ "**عُيُونُ الأَنْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الأَطِبَّاءِ**" لابنِ أَبِي أُصَيْبِعَة(ت:٦٦٨ هـ) الذي تَرْجَمَ لِكَثِيرٍ مِنْ أَطِبَّاءِ اليَهُودِ في الأَنْدَلُسِ .

وَأَمَدَّتِ الكُتُبُ التَّارِيخِيَّةُ البَحْثَ بِمَعْلُوماتٍ عَنِ اليَهُودِ،ومِنْهَا كِتَابُ "**أَخْبَارٌ مَجْمُوعَةٌ فِي فَتْحِ الأَنْدَلُسِ**" لِمَا حَوَى مِنْ أخبارٍ عنِ اليَهُودِ في فتْحِ بلادِ الأَنْدَلُسِ،وَمِنْهَا مُذَكَّراتُ الأَمِيرِ عَبْدِ اللهِ بنِ بُلُقِّينَ(ت بعد:٤٨٣هـ) المُسَمَّى "**التِّبْيَان**" وَأَهَمِّيَّةُ الكِتَابِ لِلبَحْثِ أَنَّهُ تَحَدَّثَ بِتَفْصِيلٍ عَنْ عَلاقةِ باديسَ بِوَزِيرَيْهِ اليَهُودِيَّيْنِ وفَصَّلَ الحَدِيثَ عَمَّا دَارَ فِي قَصْرِ بَادِيسَ مِنَ المُؤَامَرَاتِ التِي كَانَ الوَزِيرُ اليَهُودِيُّ طَرَفًا مُهِمًّا فِيهَا، وأَهَمِّيَّةُ الكِتَابِ أَنَّهُ يتحدَّثُ عن قُرْبٍ شديدٍ وَاخْتِلاطٍ مُبَاشِرٍ بِهِمْ؛ فَالأَمِيرُ كَانَ يَعِيشُ في القَصْرِ الذي كَانَ مَسْرحًا لِلوَزِيرَيْنِ اليَهُودِيَّيْنِ.

وَمِنْهَا كِتَابُ "**تَارِيخُ المَنِّ بِالأَمَانَةِ**" لابنِ صَاحِبِ الصَّلاةِ (ت:٥٩٤هـ) فِيهِ أَخْبَارٌ عَنِ اليَهُودِ مِنْهَا تآمرُهُم مع ابنِ هَمُشْكَ وَتَسْلِيمِهِ مَدِينَةَ غَرْنَاطَةَ سَنَةَ ٥٥٧هـ ،وَمِنْهَا "**المُعْجِبُ فِي تَلْخِيصِ أَخْبَارِ ''المَغْرِبِ''** لعَبْدِ الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي(ت:٦٤٧هـ) الذي تَحَدَّثَ فِيهِ عَنْ أَخْبَارِ اليَهُودِ فِي عَهْدِ المُوَحِّدِينَ بِخَاصَّةٍ لَمَّا فَرَضَ المَنْصُورُ عَلَيْهِمْ لِبَاسًا مُمَيَّزًا عَنِ المُسْلِمِينَ.

أَمَّا كِتَابُ "**البَيَانُ المُغْرِبُ** '' لابنِ عِذارِي المَرَّاكُشِي(ت بعد:٧١٢هـ) فَكَانَ مِنَ المَصَادِرِ الرَّئِيسَةِ المُهِمَّةِ للبَحْثِ حيثُ حَوَى مَعْلُومَاتٍ هَامَّةً عَنِ اليَهُودِ، مِنْهَا مَا قِيلَ في نَسَبِ بَرْغَوَاطَةَ وَعِلاقَتِهِ بِاليَهُودِ،وَمِنْهَا مَا جَاءَ عَنِ الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ ابْنِ نَغْرِيلَّةَ وَمَا أَدَّى إِلَى مَقْتَلِهِ،وَذَكَرَ بَعْضَ الحَوَادِثِ التِي تَعَرَّضَ لَهَا اليَهُودُ في الأَنْدَلُسِ،كَثَوْرَةِ العَامَّةِ عَلَى اليَهُودِ سَنَةَ ٥٢٩هـ،وَدَوْرَهُمْ حِينَ سَقَطَتْ بَلَنْسِيَةُ سَنَةَ ٤٨٧هـ بِأَيْدِي المَسِيحِيِّينَ.وَاحتَوَى كتابُ "**الإِحَاطَةِ فِي أَخْبَارِ غَرْنَاطَةَ**" لابنِ الخَطِيبِ(ت:٧٧٦هـ) بَعْضَ التَّفَاصِيلِ عَنِ الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ ابنِ النَّغْرِيلَّةِ وَمَقْتَلِهِ، بِاخْتِلافٍ قَلِيلٍ عَمَّا جَاءَ عِنْدَ ابنِ عِذَارِي. أَمَّا فِي "**أَعْمَالُ الأَعْلامِ**" فَقَدْ أَضَافَ ابنُ الخَطِيبِ إِلَى مَا جَاءَ فِي الإِحَاطَةِ عَنْ مَقْتَلِ اليَهُودِيِّ قَصِيدَةَ أَبِي إِسْحَقَ الألبِيرِيِّ التِي حَرَّضَ فِيهَا عَلَى قَتْلِ اليَهُودِيِّ وَأَتْبَاعِهِ. وَتَشَابَهَ كِتَابَا "**العِبَر**" لابنِ خَلْدُونَ(ت:٨٠٥هـ) وَ"**الاسْتِقْصَا** " لأَحْمَد النَاصِرِيّ(ت:١٣١٥هـ) فِيمَا جَاءَ فِيهِمَا عَنِ اليَهُودِيَّةِ بِالمَغْرِبِ قَبْلَ الإِسْلامِ وبَعْدَهُ حتى فترةٍ مُتَأَخِّرَةٍ .

وَاسْتَفَادَ البَحْثُ كَذَلِكَ مِنْ كُتُبِ الجُغْرافيَا وَالرِّحلاتِ،وَمِنْهَا "**المَسَالِكُ وَالمَمَالِكُ**" لابنِ خرْدَاذْبَه(ت:٣٠٠هـ) وَ"**نُزْهَةُ المُشْتَاقِ فِي اخْتِرَاقِ الآفَاقِ**" لِلشَّرِيفِ الإِدْرِيسِيِّ(ت:٥٦٤هـ) وَ"**مُعْجَمُ البُلْدَانِ**" لِلحَمَوِيِّ(ت:٦٢٦هـ) وَ"**الرَّوْضُ المِعْطَارُ فِي خَبَرِ الأَقْطَارِ**" لِلحميري(ت: ٨٦٦هـ) في التَّعْرِيفِ بِالمُدُنِ وَمَرَاكِزِ تَجَمُّعِ اليَهُودِ، وَأَحْيَانًا كَانَتْ هَذِهِ الكُتُبُ لا تَقْتَصِرُ عَلَى المَادَّةِ الجُغْرافِيَّةِ بَلْ تَتَوَسَّعُ فِي ذِكْرِ الحَوَادِثِ التَّارِيخِيَّةِ المُهِمَّةِ، وتَصِفُ بعْضَ الأُمُورِ الحَيَاتِيَّةِ للسُّكَّانِ .

وَشَارَكَ عُلَمَاءُ الشَّرِيعَةِ وَ الفُقَهَاءُ المُسْلِمُونَ في إِغْنَاءِ البحْثِ بِمَا جَاءَ في كُتُبِهِمْ عَنِ اليَهُودِ فِي العُصُورِ الوُسْطَى،فَأَظْهَرَتْ كُتُبُهُمُ الجَدَلَ وَالصِّرَاعَ الفِكْرِيَّ وَالدِّينِيَّ بَيْنَ اليَهُودِ وَالمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ هَذِهِ الكُتُبُ مِنْ أَهَمِّ المَصَادِرِ التِي أَغْنَتِ البَحْثَ في مَعْرِفَةِ الأَوْضَاعِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالاقْتِصَادِيَّةِ لِمَا فِيهَا مِنْ مَعْلُومَاتٍ لا تُوجَدُ فِي الكُتُبِ الأَدَبِيَّةِ أو التَّارِيخِيَّةِ،وَأَهَمُّهَا لِلْبَحْثِ كَانَ "**المِعْيَارُ المُعْرِبُ**" لِلوَنْشَرِيسِيُّ(ت:٩١٤هـ) الذي يَمْتَازُ بِوَفْرَةِ المَعْلُوماتِ عنِ الحَياةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ لِليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ لِكَثْرَةِ مَا احتوى عليه مِنْ نَوَازِلَ تَخْتَصُّ بِبِلادِ الأَنْدَلُسِ والمَغْرِبِ العَرَبِيِّ،وهذِه تختلفُ بالطَّبعِ عن الافْتِرَاضَاتِ النَّظَرِيَّةِ عندَ كثيرٍ مِنَ البَاحِثِينَ، فَقَدْ سَجَّلَ كَثِيرًا مِنَ الأَحْدَاثِ المَحَلِّيَّةِ التِي عَاشَتْهَا تلكَ البلادُ،وَحَوَى كَثِيرًا مِنَ الإِشَارَاتِ إِلى أَحْوَالِ المُجْتَمَعِ في بَلادِ الأَنْدَلُسِ والمَغْرِبِ العَرَبِيِّ؛مِنْ عَادَاتٍ فِي الأَفْرَاحِ وَالأَتْرَاحِ،وَفِي البَيْعِ وَالشِّرَاءِ،وَفِي المَلْبُوسَاتِ وَالمَطْعُومَاتِ وَالمَشْرُوبَاتِ، وَأَنْوَاعِ المَسَاكِنِ وَفِي ذِكْرِ بَعْضِ العَادَاتِ التِي تَتَعَلَّقُ بِمُمَارَسَةِ الطُّقُوسِ الدِّينِيَّةِ،وَمَا إِلَى ذَلِكَ. وَفِي "**أَمْثَالُ العَوَامِ فِي الأَنْدَلُسِ**" لِلزَّجَّالِيِّ (ت:٦٩٤هـ) كَذَلِكَ شَيْءٌ عَنْ حَيَاةِ العَامَّةِ ونَظْرَتِهَا إِلَى اليَهُودِ.

وكَانَتْ كُتُبُ الفَقِيهِ ابْنِ حَزْمٍ الظَّاهِرِيِّ(ت:٤٥٦هـ) مِنَ المَصَادِرِ التِي أَغْنَتِ البَحْثَ كَثِيرًا، وَعَلَى رَأْسِهَا "**رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ نَغْرِيلَّةَ اليَهُودِيِّ**" وَهِيَ رِسَالَةٌ عَظِيمَةُ الأَهَمِّيَّةِ لِلبَحْثِ تُوَضِّحُ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ اليَهُودُ مِنَ القُوَّةِ والتَّعَالِي على المُسْلِمِينَ فِي عَهْدِ ابْنِ نَغْرِيلَّةَ اليهُودِيِّ وَزِيرِ باديسَ في القَرْنِ الخَامِسِ لِلهِجْرَةِ،فَوَصَلَ الحَالُ إلى أن قامَ اليَهُودِيُّ بِالتَّطَاوُلِ على المُسْلِمِينَ وَكِتَابِهِمُ المُقَدَّسِ،وَتُوَضِّحُ الرِّسَالَةُ مَدَى الصِّرَاعِ الدَّائِرِ بينَ العَرَبِ وَاليَهُودِ في الأَنْدَلُس، ولأَهَمِّيَّتِهَا أَثْبَتُّهَا

كَامِلَةً فِي المَلاحِقِ. ومِنْ كُتُبِ ابْنِ حَزْمٍ التِي أفادَتِ البَحْثَ مَوْسَوعَةُ "**الفِصَل فِي المِلَلِ وَالأَهْوَاءِ وَالنِّحَلِ**" في دِرَاسَةِ الأديانِ والمِلَلِ وَالفِرَقِ الدِّينِيَّةِ،فاسْتَفَادَ البَحْثُ مِمَّا جَاءَ فِيهِ عَنِ كُتُبِ اليَهُودِ المُقَدَّسَةِ،وَذَكَرَ فِيهِ شَيْئًا مِنْ مَنَاقَشَاتِهِ لأَحَدِ الأَعْلامِ المَشْهُورِينَ فِي البَحْثِ وَهُوَ ابْنُ نَغْرِيلَةَ. وأَفادَ البَحْثَ كَذَلِكَ كِتَابُ "**طَوْق الحَمَامَةِ فِي الأُلْفَةِ وَالأُلافِ**" الذي ذَكَرَ فِيهِ ابْنُ حَزْمٍ علاقَةً وُدِّيَّةً لَهُ بِإِسْمَاعِيلَ بنِ يُونُسَ الطَّبِيبِ الإسْرَائِيلِيِّ،وَقَالَ إِنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ فِي دُكَّانِهِ فِي المَرِيَّةِ.

وَأَمَدَّتِ بَعْضُ الدَّوَاوِينِ الشِّعْرِيَّةِ لِشُعَرَاءِ الأَنْدَلُسِ البَحْثَ بِنُصُوصٍ شِعْرِيَّةٍ ظَهَرَ فِيهَا أَثَرُ اليَهُودِ،وَأَكَّدَتْ بَعْضَ قَضَايَا البَحْثِ؛فَاسْتَفَادُ البَحْثُ مِنْ "**دِيوَانِ الإلْبِيرِيِّ**"(ت:٤٥٩هـ) فَأَخَذَ مِنْهُ قَصِيدَةَ الإلْبِيرِيِّ التي كانَتْ مُنْطَلَقَ ثَوْرَةٍ عَارِمَةٍ عَلى يهُودِ غَرْنَاطَةَ.وَأظْهَرَ ديوانُ "**رَوْضَة المَحَاسِنِ**" لِلجَزَّارِ السَّرَقُسْطِيِّ (ت: ٤٧٤هـ) بَعْضًا مِنْ شِعْرِ الإخْوانِيَّاتِ مَعَ اليَهُودِ .

وَمِنَ المَرَاجِعِ الحَدِيثَةِ "**مَوْسُوعَةُ اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" لِعبد الوَهَّاب المَسيريّ، وَمَوْسُوعَةُ "**الحَضَارَةِ العَرَبِيَّة الإسْلامِيَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ**" التِي حَرَّرَتْهَا سَلْمَى الجَيُّوسِيّ حيثُ أَضَافَتْ إِلَى البَحْثِ آرَاءَ بَعْضِ المُسْتَشْرِقِينَ فِي جَوانِبَ مُخْتَلِفَةٍ فِي البَحْثِ.وَاستفادَ البَحْثُ كَذَلِكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هِنْرِي بيرِسْ في كِتَابِه "**الشِّعْر الأَنْدَلُسِيّ فِي عَصْرِ الطَّوائِفِ**" مِنْ آرَاءَ تَمَّتْ مُنَاقَشَتُهَا فِي البَحْثِ.وَتَمَّتِ الاسْتِفَادَةُ كَذَلِكَ مِنْ مَرَاجِعِ اليَهُودِ في بَعْضِ جَوَانِبِ البَحْثِ؛ فَاعتَمَدَ البَحْثُ على مَقُولاتٍ وتحليلاتٍ لإِسْرَائِيلَ شَاحَاك فِي كِتَابَيْهِ: "**الدِّيَانَةُ اليَهُودِيَّةُ وَتَارِيخُ اليَهُود؛ وَطْأَة ٣٠٠٠ عَامٍ**" وَ"**الدِّيَانَةُ اليَهُودِيّة وَمَوْقِفُهَا مِنْ غَيْرِ اليَهُودِ**".

وَأَخِيرًا أَتَمَنَّى أَنْ أكُونَ قَدْ قَدَّمْتُ جَدِيدًا في المَوْضوعِ، وَأَنْ يَكُونَ في بَحْثِي مَا يُفِيدُ وَمَا يُقَدِّمُ إِضَاءَاتٍ لِغَيْرِيَ مِنَ البَاحِثِينَ حَتَّى يَفِيدُوا مِنْهُ وَيُكْمِلُوا مَا لَمْ أَسْتَطِعِ استِيفَاءَهُ .

نافِزَة الشَّرَبَاتِي

الخَليل - ٢٠٠٦م

تَمْهِيد

أَوَّلاً:- مُسَمَّيَاتٌ وَتَعْرِيفاتٌ لَهَا عَلاقَةٌ بِاليَهُودِ .

هُنَاكَ مُصْطَلَحَاتٌ كَثِيرَةٌ وَرَدَتْ فِي كُتُبِ التُّرَاثِ لَهَا عَلاقَةٌ بِاليَهُودِ،أَهَمُّهَا مَا يلي :-

١- مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ (ذِمِّيّ،مُعَاهِد،مُسْتَعْرِب): يَرِدُ أَهْلُ الكِتَابِ فِي الكُتُبِ،وَذَلِكَ فِي الإِشَارَةِ إِلى أَهْلِ الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ المُقَدَّسَةِ مِنَ اليَهُودِ والنَّصَارَى[١].وَيُقْصَدُ بِأَهْلِ الذِّمَّةِ مَنْ هُمْ تَحْتَ العَهْدِ وَالحِمَايَةِ[٢]؛أَيْ تَحْتَ حِمَايَةِ السُّلْطَاتِ الإِسْلامِيَّةِ المَوْجُودَةِ[٣].والمُسْتَعْرِبُونَ[٤]هُمْ نَصَارَى الإِسْبَانِ الذِينَ كَانُوا يُعَاشِرُونَ المُسْلِمِينَ وَيَتَكَلَّمُونَ العَرَبِيَّةَ مَعَ احْتِفَاظِهِم بِدِينِهِمْ[٥].

٢- مُسْلِمانِيّ(أَسْلَمِيّ،إِسْلامِيّ،مُسَالِم،مُوَلَّد):أُطْلِقَتْ هَذِهِ التَّسْمِيَاتُ عَلَى مَنِ اعْتَنَقَ الإِسْلامَ. أو مَنْ نَبَذَ دِينَهُ بِالفِعْلِ مِنَ الإِسْبَانِ[٦]،فَهُمْ مِنَ اليَهُودِ أَوْ مِنَ النَّصَارَى،وَالمُوَلَّدُونَ هُمْ أَطْفَالُهُمُ الذِينَ انْحَدَرُوا مِنْ أَصْلابِهِم[٧].أَيْ أَنَّهُم وُلِدُوا عَلَى دِينِ الإِسْلامِ[٨].وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ مِنَ اليَهُودِ مُسْتَقِرًّا بِالبِلادِ قَبْلَ الفَتْحِ وَأَسْلَمَ عِنْدَ الفَتْحِ أَوْ بَعْدَهُ،أَوْ دَخَلَ إِلَيْهَا بَعْدَ الفَتْحِ وَأَسْلَمَ[٩].

٣- إِسْرَائِيلِيّ: نِسْبَةٌ إِلَى إِسْرَائِيلَ وَهُوَ النَّبِيُّ يَعْقُوبُ[١٠]بنُ إِسْحَاقَ بنُ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ،وَتَقُولُ التَّوْرَاةُ إِنَّ اللهَ مَنَحَهُ هَذَا الاسْمَ[١١]،وَكَانَ لَهُ اثْنَا عَشَرَ ابْنًا هُمُ الأَسْبَاطُ،ومِنْهُمْ

---

١ – انْظُر: ميكيل دِي إِيبَالزَا "**المُسْتَعْرِبُونَ:أَقَلِّيَّةٌ مَسِيحِيَّةٌ مُهِمَّةٌ**" تَرْجَمَة: يَعْقُوب دوَانِي، بَحْثٌ في: "**الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ**" تَحْرِير:سَلْمَى الجَيُّوسِيّ١/ ٢٣٥ .

٢ – الذِّمَّةُ : العَهْدِ وَالأَمَانِ وَالضَّمَانِ،وسُمِّيَ أَهْلُ الذِّمَّةِ لِدُخُولِهِمْ فِي عَهْدِ المُسْلِمِينَ وَأَمَانِهِمْ. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [ذمم]٢٢١/١٢ .

٣ – انْظُر: ميكيل دِي إِيبَالزَا "**المُسْتَعْرِبُونَ:أَقَلِّيَّةٌ مَسِيحِيَّةٌ مُهِمَّةٌ**" تَرْجَمَة: يَعْقُوب دوَانِي، بَحْثٌ في: "**الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ**" تَحْرِير:سَلْمَى الجَيُّوسِيّ١/ ٢٣٥ .

٤ – العَرَبُ المُسْتَعْرِبة: قَوْمٌ مِنَ العَجَمِ دَخَلُوا فِي العَرَب، وَلَيْسُوا بِصُرَحَاءَ فِيهِمْ. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [عرب]٥٨٨/١ .

٥ – انْظُرْ :السَّيِّد عَبْد العَزِيزِ سَالِم"**تَارِيخُ المُسْلِمِينَ وَآثَارُهُم فِي الأَنْدَلُسِ**"ص١٣٠؛مونتغمري وات"**فِي تاريخ إِسْبَانِيَا الإِسْلامِيَّةِ**"ص٤٧.

٦ – انْظُر: مونتغمرِي وات "**فِي تاريخ إِسْبَانِيَا الإِسْلامِيَّةِ**" ص٤٦ .

٧ – انْظُر: هِنْرِي بيرِسْ "**الشِّعْر الأَنْدَلُسِي فِي عصر الطَّوَائِفِ**" ص ٢٣١ .

٨ – انْظُر: مونتغمرِي وات "**فِي تاريخ إِسْبَانِيَا الإِسْلامِيَّةِ**" ص٤٧ .

٩ – انْظُر: عِصْمَت دَنْدَش"**الأَنْدَلُسُ فِي نِهَآيَةِ المُرَابِطِينَ وَبِدَآيَةِ المُوَحِّدِينَ**" ص ٢٤٩ .

١٠ – ابن حزم "**جَمْهَرَةِ أَنْسَابِ العَرَبِ**"٥٠٢– ٥٠٣ .

١١ – انْظُرْ :**التَّوْرَاة،سفر التَّكْوِين** ٢٥/٩–١٠:"وَظَهَرَ اللهُ لِيَعْقُوبَ..وَقَالَ لَهُ اللهُ:اسْمُكَ يَعْقُوبُ.لا يُدْعَى اسْمُكَ فيمَا بَعْدُ يَعْقُوبُ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِسْرَائِيلَ.فَدَعَا اسمُهُ إِسْرَائِيلَ". وَمَعْنَى إِسْرَائِيلُ:رَأْسُ الله القَادِرُ. انْظُرْ : المَقْرِيزِيّ "**المَوَاعِظ وَالاعْتِبَار**"٩٤٨/٤ .

جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ[١] .فأُمَّةُ اليَهُودِ أَعَمُّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الرُّومِ وَالفُرْسِ وَغَيْرِهِمْ صَارُوا يَهُودًا وَلَمْ يَكُونُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَدْ يُقَالُ لِكُلِّ يَهُودِيٍّ إِسْرَائِيلِيّ[٢] .

٤- عِبْرَانِيّ (عِبْرِيّ): كَثُرَتِ اخْتلافَاتُ البَاحِثِينَ حَوْلَ أَصْلِ كَلِمَةِ العِبْرَانِيِّينَ[٣] ،وَلَخَّصَ الحَمَوِيُّ بَعْضًا مِنْهَا مُعْتَمِدًا عَلَى "تَارِيخ الطَّبَرِيِّ"،فَقَالُوا:إِنَّ العِبْرَ شَاطِئُ النَّهْرِ،وَيُطْلَقُ عَلَى غَرْبِيِّ الفُرَاتِ، وإِلَيْهِ يُنْسَبُ العِبْرِيُّونَ مِنَ اليَهُودِ.وَقَالُوا:إِنَّمَا نَطَقَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِالعِبْرَانِيَّةِ حِينَ عَبَرَ النَّهْرَ فَارًّا مِنَ النَّمْرُودِ،وَقَالَ النَّمْرُودُ للذين أَرْسَلَهُم خَلْفَهُ إِذَا وَجَدْتُم فَتَى يَتَكَلَّمُ بِالسِّرْيَانِيَّةِ فَرُدُّوهُ، فَلَمَّا أَدْرَكُوهُ اسْتَنْطَقُوهُ،فَحَوَّلَ اللهُ لِسَانَهُ عِبْرَانِيًّا حِينَ عَبَرَ النَّهْرَ فَسُمِّيَتِ العِبْرَانِيَّةُ لذلك. وَقَالَ غَيرُهُمْ سُمِّيَ إِبْرَاهِيمُ عِبْرَانِيًّا لأَنَّهُ عَبَرَ إِلَى طَاعَةِ اللهِ.وَقِيلَ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِالعِبْرَانِيَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وبنو إسْرائيلَ حِينَ عَبَرُوا البَحْرَ هَرَبًا مِنْ فِرْعَوْنَ فَسُمُّوا العِبْرَانِيِّينَ لِعُبُورِهِم البَحْرِ،وَقِيلَ إِنَّ بُخْتُنَصَّرَ لَمَّا سَبَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَبَرَ بِهِمْ الفُرَاتَ قِيلَ لَهُمُ العِبْرَانِيُّونَ[٤] . وَقِيلَ لأَنَّهُم يُنْسَبُونَ إِلَى عَابِرِ بنِ شَالِخ وَهُوَ أَحَدُ أَجْدَادِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ[٥]

وَيَنقُلُ عرْفَان فَتَّاح رَأْيًا لِلُولْيَام ف. أَلْبْرَايت أُسْتَاذِ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ بِجَامِعَةِ هَارْفَارد الأَمْرِيكِيَّةِ يَزْعُمُ فِيهِ أَنَّ كَلِمَةَ عِبْرِيٍّ Hebrew تَعْنِي سَائِقَ الحِمَارِ Donkey Driver إِشَارَةً إِلَى الغُبَارِ؛ لأَنَّ هَذِهِ القَبَائِلَ الرَّاحِلَةَ كَانَتْ تُثِيرُ الغُبَارَ أَثْنَاءَ تَنَقُّلِهَا عَلَى الطُّرُقِ

---

١ – انْظُرْ :ابن حَزْم "**جَمْهَرَةُ أَنْسَابِ العَرَبِ**" ص٥٠٣– ٥٠٤؛ أبو الفِدَاءِ "**المُخْتَصَر فِي أَخْبَارِ البَشَرِ**" ١/٨٦ – ٨٧.

وَأبناء يعقوب هُم : يُوسُفُ وَبِنْيَامِينُ وَنَفْتَالِي وَرُوبِيلُ وَيَهُوذَا وَشِمْعُونُ ولاوِي وَدَانُ وَربُولِي وَيَشْجَر وَجَادُ وَأَشَرُ .

٢ – انْظُر: أبو الفِدَاءِ"**المُخْتَصَر فِي أَخْبَارِ البَشَرِ**"١/٨٧. يفضِّلُ البَاحِثُونَ المُعَاصِرونَ التَّفْرِيقَ بَيْنَ "اليَهُودِ" وَ"بَنِي إسْرائيل" وَعَدَمَ الخَلْطَ بَيْنَهما.فيَرَى زِيَاد حَمَّاد عُلَيَّان أَنْ يُحْصَر مُصْطَلَحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى المَرْحَلَةِ المُمْتَدَّةِ مِنْ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَأَحْفَادِهِ حَتَّى رَحِيلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى مِصْر،وَلَفْظُ المُوسَوِيِّينَ [نسبة إِلَى النَّبِيِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ]عَلَى بَنِي إِسْرَائِيل فَتْرَةَ وُجُودِهِم فِي مِصْرَ إِلَى فِلَسْطِينَ وَنُشُوءِ مَمْلَكَتِهِمْ، وَلَفْظُ اليَهُودِ عَلَى اليَهُودِ المُتَبَقِّينَ بَعْدَ السَّبْيِ البَابِلِيِّ حَتَّى الآن.وَبِمَا أَنَّ كُتُبَ التُّرَاثِ لَمْ تَلْتَزِمْ بِهَذَا النَّهجِ وَتَعَامَلَتْ مَعَهَا كَأَنَّها مُتَرَادِفَاتٌ لِشَيْءٍ وَاحِدٍ فَلَنْ يَكُونَ التِزَامُ هَذَا الأمرِ سَهلاً.إلا أَنَّ تَسْمِيَتِي لِمَنْ عَاشَ مِنْهُمْ فِي الأَنْدَلُسِ باليَهُودِ تُناسِبُ هَذَا الرَّأْيَ.

انْظُر: زِياد علَيَّان "**الخِطَاب اليَهُودِيّ بَيْنَ المَاضِي وَالحَاضِرِ**" ص٣٠ ؛ أحمد سوسة"**العرب وَاليَهُودُ فِي التَّاريخ**" ص٧٧ [الحَاشِيَة] .

٣ – يَقُولُ زِيَاد عُلَيَّان:إِنَّ كَلِمَةَ "عِبْرَانِيّ" بمعنى "يَهُودِيّ" غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي اللُّغَةِ إِطْلاقًا،وَالعِبْرَانِيُّونَ هُمُ الآرَامِيُّونَ الذينَ عَبَرُوا النَّهْرَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ،فَلا عَلاقَةَ لَهُ باليَهُودِ المُعَاصِرِينَ،وَلَمْ يُثْبِتِ التَّارِيخُ أَنَّ الآرَامِيِّينَ كَانُوا يَهُودًا.وَ"العِبْرِيّ" أَوِ"العِبْرَانِيّ" كَانَ يُطلقُ قبلَ الأَلْفِ الثَّانِيَةِ قَبْلَ المِيلادِ عَلَى بَعْضِ القَبَائِلِ العَرَبِيَّة شَمَال جزيرة العَرَبِ،فَصَارَتْ كَلِمَةُ "العِبْرِيّ" وَ"اليهبيري" وَ"الخيبرو" وَ"العبيرو" فِي المَصَادِرِ المِسْمَارِيَّةِ وَالفَرْعُونِيَّةِ،وَلَمْ يكن وُجِدَ الإسْرَائِيلِيّون أَوِ اليَهُودُ بَعْدُ،وَكَانَتْ تُطْلَقُ عَلَى البَدْوِ المُتَنَقِّلِينَ فِي الصَّحْرَاءِ،وَيقابلُها عِنْدَ المِصْريين القُدَمَاءِ وَالبَابِلِيِّينَ Khebra وَ Habiru أي الحَرَامِيَّة،وَتَعْنِي أَصْحَابَ الأَرْضِ اللصُوصَ أَوِ المُرْتَزِقَةِ عِنْدَ الكَنْعَانِيِّينَ،وَيَرَى غَيْرُهُ أَنَّ "العِبْرَانِيِّينَ" لَمْ يكن خَاصًّا ببني إِسْرَائِيل،أَوْ بِعُبُورِ نَهرٍ مُعَيَّنٍ كَالفُرَاتِ أَوِ الأُرْدُنِّ،بَلْ كَانَ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ فِئَةٍ مِنَ النَّاسِ تَعْبُرُ أَيَّ نَهْرٍ.وَيُؤَكِّدُ هَذَا ابنُ مَيْمُونَ القُرْطُبِيُّ اليَهُودِيُّ(٥٣٠– ٦٠٢هـ) بِقَوْلِهِ إِنَّهُ بِمَعْنَى العُبُورِ فِي العَرَبِيَّةِ،وَهُوَ انْتِقَالُ جِسْمٍ فِي مَكَانٍ.

انْظُرْ: زِياد علَيَّان "**الخِطَاب اليَهُودِيّ بَيْنَ المَاضِي وَالحَاضِرِ**"ص٢٨– ٣٠؛ مُوسَى بن مَيْمُون"**دلالة الحائرين**"١/٥٠ .

٤ – انظر :"**تاريخ الطَّبَرِيّ**" ١/٣١٠؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٤/٧٤ ؛ ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [عبر] ٤/٥٢٩ .

٥ – وَهُوَ :**عابر بن شالخ (شالح) بن أرفخشد بن سام بن نوح** عَلَيْهِ السَّلامُ انْظُرْ :التَّوْراة،**سفرالتكوين** ١٠/٢١–١١/١٧؛ "**تاريخ الطَّبَرِيّ**" ١/٢٣٣،٣١٠–٣١١؛ أبو الفِدَاءِ"**المُخْتَصَر فِي أَخْبَارِ البَشَرِ**"١/١٣؛ العَسْقَلاني"**فَتْح البَارِي**"٦/٥٣٧ .

التَّرَابِيَّةِ(١) . وَلَمْ أَجِدْ مِثْلَ هَذَا القَوْلِ فِي المَصَادِرِ العَرَبِيَّةِ،وَلا أَعْرِفُ عَلَى مَاذَا اعْتَمَدَ فِي قَوْلِهِ،وأَرَاهُ رَأْيًا غَرِيبًا.

وَأَسْتَبْعِدُ القَوْلَ بِأَنَّ العِبْرَانِيِّينَ مَأْخُوذٌ مِنْ عُبُورِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَقَوْمِهِ نَهْرَ الأُرْدُنِّ، وَذَلِكَ لأنَّ تَسْمِيَتَهُمْ جَاءَتْ فِي التَّوْرَاةِ(٢) لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشُّعُوبِ الأُخْرَى؛فالتَّوْرَاةُ المُنْزَلَةُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ فِيهَا التَّسْمِيَةُ وَهِيَ سَابِقَةٌ عَلَى عُبُورِهُمُ الأرْدُنّ.وَأَرَى القَوْلَ بِأَنَّ العِبْرَانِيِّينَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ "عِبْرَ" بِمَعْنَى الطَّرَفِ الآخَرِ قَدْ يَكُونُ قَوْلاً صَائِبًا لِكَثْرَةِ مَنْ قَالَ بِهِ وَلِكَثْرَةِ عُبُورِهِمْ وَلِعَدَمِ تَعَارُضِهِ مَعَ التَّارِيخِ.أَمَّا رَبْطُ المُصْطَلَحِ بِاسْمِ "عَابَار" الجَدِّ الأَعْلَى وَالتَّارِيخِيِّ لَهُ، فَأَرَاهُ رَأْيًا ضَعِيفًا لَمْ تُرَكِّزْ عَلَيْهِ الكُتُبُ القَدِيمَةُ،وَلَوْ كَانَ هُوَ السَّبَبَ لَرَأَيْنَا فِي تِلْكَ الكُتُبِ تَوْضِيحًا أَكْثَرَ أَوْ تَرْكِيزًا عَلَيْهِ.

٥- رِبِّيّ أَوْ رَبَّانِيّ: يُنسَبُ الرِّبِّيُّ وَالرَّبَّانِيُّ(٣) إِلَى "رَبّ"،وَتَعْنِي (רַב) فِي العِبْرِيَّةِ الحَاخَامَ أَوِ المُعَلِّمَ أَوِ السَّيِّدَ.وَالرِّبِّيُّونَ أَوِ الرَّبَّانِيُّونَ هُمْ جُمْهُورُ اليَهُودِ المَعْرُوفُونَ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ،وَتَعْنِي كَلِمَةُ رَبَّانَ (רַבָּן) بِالعِبْرِيَّةِ الإمامَ أَوِ الفَقِيهَ وَهُوَ الحِبْرُ عِندَهُمْ(٤) .وقَدْ عُرِّبَتِ الكَلِمَةُ إِلَى رَبَّانِيّ وَسُمُّوا ربَّانِيِّينَ إِشَارَةً إِلَى اتِّبَاعِهِم تَفَاسِيرَ عُلَمَاءِ اليَهُودِ وَفُقَهَائِهِمْ فِي التَّلْمُودِ وَالمَشْنَا(٥) التِي يَنْقُلُونَهَا عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ،وَتَقَيَّدُوا بِذَلِكَ حَتَّى صَارَ هَذَا الاسْمُ سِمَةً عَامَّةً لَهُمْ(٦) .

٦- يَهُودِيّ: وَاليَهُودُ أُمَّةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ،وكِتَابُهُمُ التَّوْرَاةُ أَوَّلُ كِتَابٍ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ.وَاخْتَلَفَ البَاحِثُونَ حَوْلَ أَصْلِ كَلِمَةِ العِبْرَانِيِّينَ اخْتَلَفُوا كَذَلِكَ فِي تَحْدِيدِ أَصْلِ تَسْمِيَتِهِمْ بِاليَهُودِ.فقَالُوا:جَاءَتْ بَعْدَ عِبَادَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِلعِجْلِ وَقَوْلِهِم(إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ)(٧) أَيْ تُبْنَا،(وَالذِينَ هَادُوا)(٨) أَيْ صَارُوا

---

١ – انْظُرْ: عرفان عبد الحميد فتاح "**اليَهُودِيَّة؛ عَرْضٌ تَارِيخِيٌّ**" ص٢١ .

٢ – **التَّوْرَاة، سفر التَّكْوين** ٣٢/٤٣ : "فَقَدَّمُوا لَهُ وَحْدَهُ،وَلَهُمْ وَحْدَهُمْ،وَلِلمِصْرِيِّينَ الآكِلِينَ عِنْدَهُ وَحْدَهُمْ،لأَنَّ المِصْرِيِّينَ لا يَقْدِرُونَ أَنْ يَأْكُلُوا طَعَامًا مَعَ العِبْرَانِيِّينَ لأَنَّهُ رِجْسٌ عِنْدَ المِصْرِيِّينَ".وفِي **سفر التَّثْنِيَة** ١٢/١٥ "إِذَا بِيعَ لَكَ أَخُوكَ العِبْرَانِيُّ أَوْ أُخْتُكَ العِبْرَانِيَّةُ وَخَدَمَكَ سِتَّ سِنِينَ فَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ تُطْلِقُهُ حُرًّا مِنْ عِنْدِكَ".

٣ – الرِّبِّيُّ وَالرَّبَّانِيُّ:الحَبْرُ،ورَبُّ العِلْمِ،وقِيلَ:الرَّبَّانِيُّ الذِي يَعْبُد الرَّبَّ،زِيدت الألِف والنُّون للمبالغة فِي النسب.وَقَالَ ابن مَنْظُور أَنَّ أَبَا عُبَيْد يحسبُ الكلمةَ ليست بعربية،إِنَّمَا هِيَ عِبْرَانية أَوْ سُرْيانية؛وَذلك لأَنَّهُ يزعمُ أنّ العرب لا تعرف الرَّبَّانِيِّينَ.

ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [ربب] ١/٤٠٣ –٤٠٤ .

٤ – **רַב:** حاخام، معلم، سيد. **רַבָּא/רַבָּה** كلمة آرامية تعني عظيم أَوْ هام. **רִבּוֹן** سَيِّد أَوْ حاكم أَوْ ربّ. **רַבָּן:** رَبَّانِيّ، حاخام، معلم، إمام **רַבָּנָאוּת:** حاخامية، سيادة. ي. قُوجْمَان "**قَامُوسُهُ**" ص٨٥٤– ٨٥٦ .

٥ – **التَّلْمُود:** اسْمٌ عَامٌ لِلمَشْنَا وَالجِمَارَا. والمشنَا هِيَ الشَّرِيعَةُ الشَّفَوِيَّةُ،وَاخْتَلَفَ عُلَمَاءُ اليَهُودِ فِي أَصْلِهَا؛ فَمِنْهُمْ مَنْ عَزَاهَا إِلَى عِزْرَا ومِنْهُمْ إِلَى سُلَيْمَانَ،ومِنْهُمْ إِلَى مُوسَى،وَتَحْتَوِي عَلَى أَحْكَامٍ دِينِيَّةٍ وَقَضَائِيَّةٍ تُفَسِّرُ أَحْكَامَ شَرِيعَةِ التَّوْرَاةِ. وَيُطْلَقُ التَّلْمُودُ بِنَوْعٍ خَاصٍّ عَلَى الجِمَارَا وَهِيَ شُرُوحٌ وَحَوَاشِي تُبَسِّطُ قَوَاعِدَ المَشْنَا وَمَرَاسِمَ تَطْبِيقِهَا. انْظُرْ: المَقْرِيزِيّ "**المَوَاعِظ وَالاعْتِبَار**" ٤/٩٥١–٩٥٢؛ "**المَوْسُوعَة الفِلَسْطِينِيَّة**" ١/٥٧٢ – ٥٧٣؛ وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ١٤/١١– ١٦ .

٦ – انْظُرْ :حَسَن ظَاظَا "**الفكر الدِّينِي اليَهُودِيّ**" ص٢٠١؛ فايزة حجازي "**أهل الذِّمَّة فِي بلاد الشام فِي العَصْر العباسي**" ص ١١٨ .

٧ – **سُورَة الأَعْرَافِ**، آيَة ١٥٦ .

٨ – **سُورَة البَقَرَة**، آيَة ٦٢ .

تَمْهِيد

يَهُودًا،فَسُمُّوا بْاليَهُودِ أَيِ التَّائِبِينَ(١)،وَذَكَرَ القُرْطُبِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ أَصْلَ تَسْمِيَةِ اليَهُودِ،تَرْجِعُ إِلَى يَهُوذَا وَهُوَ أَكْبَرُ وِلْدِ يَعْقُوب،فَقَلَبَتِ العَرَبُ الذَّالَ دَالا(٢)كَعَادَتِهِمْ فِي التَّلاعُبِ بِالأَسْمَاءِ(٣).

وَقِيلَ إِنَّهُمْ سُمُّوا بِاليَهُودِ لإِطْلاقِهِمْ اسْمَ يَاهُوه Yhwa عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَسُمُّوا بِاليَهُودِ لأَنَّهُمْ أَتْبَاعُ الرَّبِّ يَاهُوه،إِلَهِ آبَائِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَبَنِيهِ،ثُمَّ عُرِفَ بِهَذَا الاسْمِ أَحَدُ الأَسْبَاطِ الإِثْنَيْ عَشَرَ الَّتِي تَكَوَّنَ مِنْهَا شَعْبُ إِسْرَائِيلَ،وَهُمْ أَحْفَادُ يَهُوذَا أَحَدِ أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ مِنْ زَوْجِهِ لِيئَة.وَقِيلَ:إِنَّهُم سُمُّوا يَهُودًا نِسْبَةً إِلَى مُلْكِهِمُ الذِي ازْدَهَرَ عَلَى يَدِ دَاوُدَ وسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ،وهمَا يَنْتَمِيَانِ إِلَى قَبِيلَةِ يَهُوذَا.ويَرَى غَيْرُهُم بِأَنَّهُم سُمُّوا بِهِ لأَنَّهُم كَانُوا كُلَّمَا جَاءَهُم نَبِيٌّ هَادُوا إِلَى مَلِكِهِم وَدَلُّوا عَلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ،فَيَكُونُ لَفْظُ اليَهُودِ خَاصًّا بِالمُنْحَرِفِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل(٤).وَأَرَى كُلَّ هَذِهِ الأَقْوَالِ مَعْقُولَةً، وَإِنْ كُنْتُ أَمِيلُ إِلَى قَوْلِ القُرْطُبِيُّ بِنِسْبَتِهِمْ إِلَى يَهُوذَا لِكَثْرَةِ مَنْ قَالُوا بِهَذَا حَتَّى مِنَ اليَهُودِ(٥).

وَلأَنَّ كَلِمَاتِ **"الذِّمِّيِّ وَاليَهُودِيِّ وَالعِبْرِيِّ وَالإِسْرَائِيلِيِّ"** تُشَكِّلُ دَائِرَةً مُهِمَّةً لِبَدْءِ البَحْثِ عَنْ أَثَرِ اليَهُودِ،بَحَثْتُ عَنْ مَسَاحَةِ هَذِهِ المُسَمَّيَاتِ فِي الكُتُبِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنِ الأَنْدَلُسِيِّينَ، وَاعْتَمَدْتُ ثَمَانِيَةً مِنْ كُتُبِ التُّرَاثِ الأَدَبِيَّةِ مِنْهَا أَوِ التَّارِيخِيَّةِ ومَرْجِعًا تَارِيخِيًّا مُفَصَّلاً لِتَارِيخِ المَغْرِبِ وَالأَنْدَلُسِ.وَجَعَلْتُ الكُتُبَ التِّسْعَةَ مَجَالاً لإِحْصَائِيَّةٍ عَنِ المَرَّاتِ الَّتِي ذُكِرَتْ هَذِهِ الكَلِمَاتُ ومُشْتَقَّاتُهَا بِهَا،والكُتُبُ التِسْعَةُ هِيَ"الذَّخِيرَةُ" وَ"التَّكْمِلَةُ لِكِتَابِ الصِّلَةِ" وَ"الحِلَّةُ السِّيرَاءِ" وَ"المُعْجِبُ" وَ"المُغْرِبُ" وَ"مُقَدِّمَةُ ابنِ خَلْدُونَ" وَ"الرَّوْضُ المِعْطَارُ" وَ"نَفْحُ الطِّيبِ" وَ"الاسْتِقْصَا"، وَاخْتَرْتُ الخَمْسَةَ الأُولَى وَ"نَفْحَ الطِّيبِ" لِشُهْرَتِهَا فِي الحَدِيثِ عَنِ أَعْلامِ الأَنْدَلُسِيِّينَ، وَتَمَيَّزَتِ الثَلاثَةُ البَاقِيَةُ بِوَفْرَةِ المَعْلُومَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ والجُغْرَافِيَّةِ عَنِ الأَنْدَلُسِ.

وَلاحَظْتُ قِلَّةَ مَجِيءِ **"الذِّمِّيّ"** ومُشْتَقَّاتِهِ فِي هَذِهِ الكُتُبِ،فَلَمْ تَرِدْ فِي "المُغْرِبِ" وَ"المُعْجِبِ"، بَيْنَمَا وَرَدَتْ فِي "نَفْحِ الطِّيبِ"ستَّ مَرَّاتٍ،وَكَانَ استِخْدامُهَا قَلِيلاً فِي البَقِيَّةِ،بِاسْتِثْنَاءِ "الاسْتِقْصَا" وَهُوَ أَحْدَثُهَا الذِي جَاءَ فِيهِ سِتَّةَ عَشَرَ مَوْقِعًا لاشْتِقَاقَاتِ الكَلِمَةِ.وَأَحْيَانًا قُصِدَ اليَهُودُ **"بِأَهْلِ الذِّمَّةِ"**؛لِذَا قَالَ مُونْتْغُمْرِي وَات إِنَّ بَعْضَ الدَّارِسِينَ يَزْعُمُ أَنَّ **"ذِمِّيِّينَ"** لَمْ تُطْلَقْ فِي الأَنْدَلُسِ إلا عَلَى اليَهُودِ(٦) دُونَ أن يُسَمِّيَ هَؤُلاءِ الزَّاعِمِينَ.

---

١ – انْظُر :القُرْطُبِيّ "**الجَامِع لأَحْكَامِ القُرْآنِ**" ٤٣٢/١؛ الشَّهْرَسْتَانِيّ "**المِلَل وَالنِّحَل**"٢١٠/١؛ القَلْقَشَنْدِيْ "**صُبح الأَعْشَى**"٢٥٦/١٣-٢٥٧.

٢ – انْظُرْ : القُرْطُبِيّ "**الجَامِع لأَحْكَامِ القُرْآنِ**" ٤٣٢/١ .

٣ – انْظُرْ : المَقْرِيزِيّ "**المَوَاعِظ وَالاعْتِبَار**" ٩٤٩/٤ .

٤ – انْظُر : ابن حزم "**جَمْهَرَة أَنْسَابِ العَرَبِ**"٥٠٤؛ زياد علَيَّان"**الخِطَاب اليَهُودِيّ بَيْنَ المَاضِي وَالحَاضِرِ**"ص٢٦؛ عرفان عبد الحميد فتاح"**اليَهُودِيّة؛ عرض تاريخي**" ص ٢٢؛ رجَا عُرَابي"**سِفْر التَّارِيخ اليَهُودِيّ**" ص ٧٨ .

٥ – إِسْرَائِيل شَاحَاك مَثَلاً يَرَى أَنَّ المَعْنَى الشَّائِعَ لِمُصْطَلَح "يَهُودِيٌّ" دِينِيٌّ فِي المَقَامِ الأَوَّلِ؛ فَالتعاليمُ الدِّينِيَّةُ تَحَكَّمَتْ بِتَفَاصِيلِ السُّلُوكِ وَفِي جَوَانِبِ الحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالشَّخْصِيَّةِ للِيَهُودِ،فَمَا كَانَ بِمَقْدُورِ اليَهُودِيِّ –فِي فَتْرَةِ البَحْثِ مَثَلاً– أَنْ يَشْرَبَ حَتَّى كَأْسَ مَاءٍ فِي بَيْتٍ غَيْرِ يَهُودِيٍّ،كَمَا كَانَتِ التَّعَالِيمُ السُّلُوكِيَّةُ تجَاهَ غَيْرِ اليَهُودِ مُطَبَّقَةً بِحَذَافِيرِهَا مِنَ اليَمَنِ حَتَّى نُيُويُورك.

انْظُرْ : إِسْرَائِيل شَاحَاك"**الدِّيَانَةُ اليَهُودِيّة وَمَوْقِفُهَا مِنْ غَيْرِ اليَهُودِ**" ص ١٥ .

٦ – انْظُر : مونتغمري وات "**فِي تاريخ إِسْبَانيَا الإِسْلامِيَّةِ**" ص٣٤ .

وَجَاءَتْ كَلِمَةُ "الإسْرَائِيلِيّ" بقِلَّةٍ؛فَلَمْ يَنْعَتْ مَثَلاً ابْنُ بَسَّامٍ أيًّا مِنْ أعْلامِهِ بِهَا إلا مَرَّةً(١).وَجَاءَتْ فِي "النَّفْحِ" تِسْعَ مَرَّاتٍ فَقَطْ عَلَى ضَخَامَةِ مُجَلَّدَاتِهِ وَكَثْرَةِ الأعْلامِ المُثْبَتَةِ فيه(٢). وَفِي "المُغْرِب" جَاءَتْ مَرَّةً(٣).أَمَّا "العِبْرِيّ" أَوِ "العِبْرَانِيّ" فَنَدَرَ مَجِيؤُهَا(٤).

وَلَخَّصْتُ البَحْثَ هَذَا فِي جَدَاوِلَ مُرْفَقَةٍ فِي المَلاحِقِ،أَمَّا النَّتِيجَةُ العَامَّةُ لاسْتِخْدَامِ هَذِهِ الكَلِمَاتِ وَمُشْتَقَّاتِهَا فِي الكُتُبِ التِّسْعَةِ فَقَدِ اخْتَصَرْتُهَا فِي الجَدْوَلِ التَّالِي:

الكَلِمَة	تكْرَارُهَا فِي الكُتُبِ التِّسْعَةِ	النِّسْبَةُ المِئَوِيَّةُ لتكْرَارِهَا
إسْرَائِيلِيّ وَمُشْتَقَّاتُهَا	73	16%
عِبْرِيّ وَمُشْتَقَّاتُهَا	6	1%
يَهُودِيّ وَمُشْتَقَّاتُهَا	384	83%
المَجْمُوعُ	463	100%

جدول يُبَيِّنُ النِّسْبَةَ المِئَوِيَّةَ لِتَكْرَارِ **الإسْرَائِيلِيّ وَالعِبْرِيّ وَاليَهُودِيّ وَمُشْتَقَّاتِهَا فِي** بَعْضِ كُتُبِ التُّرَاثِ

تَوَصَّلَ البَحْثُ إِلَى أَنَّ المُسَمَّى الذِي شَاعَ فِي الحَدِيثِ عَنْهُمْ هُوَ "اليَهُودِيُّ" أَكْثَرَ مِنَ "العِبْرِيّ" أَوْ "الإسْرَائِيلِيّ".

ثَانِيًا :ـ قِلَّةُ ظُهُورِ اليَهُودِ فِي مَصَادِرِ الأَدَبِ الأَنْدَلُسِيِّ .

أَوَّلُ مَا يُلاحِظُ الدَّارِسُ لأثَرِ اليَهُودِ عَلَى أَدَبِ الأَنْدَلُسِيِّينَ قِلَّةُ وُجُودِهِمْ فِي كُتُبِ الأَدَبِ، وَمِنْ هُنَا كَانَتْ قِلَّةُ النُّصُوصِ الشِّعْرِيَّةِ وَالنَّثْرِيَةِ التِي يَظْهَرُ فِيهَا أَثَرُ اليَهُودِ مِنْ أَكْبَرِ العَقَبَاتِ فِي طَرِيقِ البَحْثِ،وَقَدْ يَكُونُ لِقِلَّتِهَا عِدَّةُ أَسْبَابٍ؛مِنْهَا مَا يُمْكِنُ رَدُّهُ إِلَى ظُرُوفٍ عَامَّةٍ مرَّ بِهَا الأَدَبُ العَرَبِيُّ فِي الأَنْدَلُسِ،وَمِنْهَا مَا هُوَ خَاصٌّ باليَهُودِ.فَقَدْ شَكَّلَ ضَيَاعُ كَثِيرٍ مِنْ أُمَّهَاتِ المَصَادِرِ الأَنْدَلُسِيَّةِ عَقَبَةً أَمَامَ مُعْظَمِ البَاحِثِينَ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ،أَمَّا فِي مَا يَتَعَلَّقُ باليَهُودِ فَكَانَ الحَدِيثُ عَنْهُمْ فِي تِلْكَ المَصَادِرِ أَعَزَّ وَأَشَقَّ،وَقَدْ تَكُونُ المَصَادِرُ أَغْفَلَتِ الحَدِيثَ عَنْهُمْ وَتجاهَلَتْهُم عَمْدًا؛فِي الوَقْتِ الذِي رَكَّزَتْ عِنَايَتَهَا عَلَى كُلِّ مَا كَانَ عَرَبِيًّا أَوْ لَهُ عَلاقَةٌ وَثِيقَةٌ بِالعَرَبِ أَوَّلاً،وَهَذَا مَا لا يُمْكِنُ الجَزْمُ بِهِ أَوِ التَّثَبُّتُ مِنْ صِحَّتِهِ؛ فَمِنَ المُسْتَحِيلِ الجَزْمُ بما يَحْوِيهِ ضَمِيرُ أَصْحَابِ المَصَادِرِ التُّرَاثِيَّةِ حِينَ سَطَّرُوا تَارِيخَهُم،أَوْ حِينَ اخْتَارُوا مَا يريدُونَ تدوينَهُ مِنْ ألوانِ الأَدَبِ دَاخِلَ كتُبِهِم.

---

١ – انْظُرْ : ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٤،م١٣٦/١ ، فِي الحَدِيثِ عَنِ المُغَنِّي ذَيِّ "الإسْرَائِيلِيّ".

٢ – انْظُرْ : المَقَّرِي"**نَفْح الطِّيب**"٧٠/٣، ٧١،٦٩/٥، ٢٨٨/١٠.كانَتِ المَرَّاتُ التِسْعُ صِفَةً لعَلَمَيْنِ مِنَ اليَهُودِ،سَبْعَ مَرَّاتٍ صِفَةً للشَّاعِرِ إبْرَاهِيمَ بن سَهْل الإسْرَائِيليّ (ت:٦٤٩هـ)،وَمَرَّتَيْنِ تَالِيَةً لاسمِ الشَّاعِرِ نَسِيم الإسْرَائِيلِيّ.

٣ – انْظُرْ : ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٤٤١/٢ ، فِي نِهَايَةِ نَسَبِ أَبِي الفَضْلِ بن حَسْدَاي .

٤ – جَاءَتِ "العِبْرِيّ" مَرَّةً وَاحِدَةً فِي زَجَلٍ لابنِ قُزْمَان(ت:٥٠٨هـ). انْظُرْ: ابن قُزْمَان "**دِيوَانُهُ**" ص٩٢ /رقم ١٢.

لكنّني أقولُ -وإنْ كانَ مِنَ الصّعْبِ الجَزْمُ بذلِكَ- إنَّ نَظْرَةَ استخْفافٍ وتَجاهُلٍ لِليَهُودِ تَطْغَى عَلَى مُعْظَمِ المَصَادِرِ.ولَمَحْتُ هَذا التَّجَاهُلَ فِي العِبَارَاتِ التِي كَانَتْ تُذكَرُ تَالِيةً لأَسْمَائِهِم،مَثَلاً حِينَ يَنْقُلُ ابْنُ خَمِيسٍ المَالِقِيُّ(ت:٦٣٩هـ) نَظْمًا[١] يُوَجِّهُهُ أَبُو الحُسَيْنِ بْنُ الفَخَّارِ(ت:٥٨٦هـ)[٢] لِلوَزِيرِ اليَهُودِيِّ يُوسُفَ بنِ حَسْدَايِ(ت:٥٣٣هـ)[٣] كَانَ يُتْبِعُ اسْمَ الأَعْلامِ بِعِبَارَةِ تَرَحُّمٍ كَقَوْلِهِ: "رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ"،بَيْنَمَا بَعْدَ ابنِ حَسْدَايِ اليَهُودِيّ كَانَ يَقُولُ: "لَعَنَهُ اللهُ"[٤].

وَالأَمْرُ نفسُهُ ظَهَرَ حِينَ ذَكَرَ ابْنُ بَسَّامٍ(ت:٥٤٢هـ) ابْنَ حَسْدَايِ فَقَالَ:"وَكَانَ لَهُ فِي الأَدَبِ بَاعٌ،وَبِمَا حَمَلَ مِنْ أَعْبَاءِ تِلْكَ الدَّوْلَةِ [دَوْلَةِ ابنِ هُودَ] اسْتِقْلالٌ وَاضْطِلاعٌ،وَقَدْ رَأَيْتُ لَهُ شِعْرًا لَمْ أَرْوِهِ فَأَجْتَلِبُهُ،وَلا اسْتَجَدْتُهُ فَأَبْحَثُ عَنْهُ وَأَطْلُبُهُ"[٥]،فَيُؤَكِّدُ أَنَّ لَهُ شَاعِرِيَّةً،لكنْ هُنَاكَ أَسْبَابٌ أَرَاهَا فِي تَعَمُّدِ تَرْكِ شِعْرِهِ.وَفِي كَلامِ ابْنِ بَسَّامٍ عَنْ أَبِي الفَضْلِ بْنِ حَسْدَايِ(ت بَعْدَ:٤٥٨هـ)[٦] تَوْضِيحٌ،فَقَالَ فِيهِ: "إنَّ جَارِيَةً ذَهَبَتْ بِلُبِّهِ،وَغَلَبَتْهُ عَلَى قَلْبِهِ،فَجُنَّ جُنُونُهُ،وَخَلَعَ إِلَيْهَا دِينَهُ،وَعَلِمَ بِذَلِكَ صَاحِبَهَا فَزَفَّهَا إِلَيْهِ،وَوَضَعَ زِمَامَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ،فَتَجَافَى عَنْ مَوْضِعِهِ مِنْ وَصْلِهَا..،أَنَفَةً مِنْ أَنْ يَظُنَّ النَّاسُ أَنَّ إِسْلامَهُ كَانَ مِنْ أَجْلِهَا،فَحَسُنَ ذِكْرُهُ،**وَخَفِيَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَمْرُهُ**"[٧].

وَإِنْ حَسُنَ ذِكرُ اليَهُودِيِّ بَيْنَ النَّاسِ فِي عَصْرِهِ فكَيْفَ عَرَفَ سُوءَ سَرِيرَتِهِ ابْنُ بَسَّامٍ المُتَأَخِّرُ عَنْهُ؟! مَعَ أَنَّ هَذا لَمْ يَكُنْ حَائِلاً أَمامَ إيرادِ كَثِيرٍ مِمَّا لَهُ،فَاخْتَارَ ابْنُ بَسَّامٍ كَثِيرًا مِنْ مُراسَلاتِهِ وَإِخْوَانِيَّاتِهِ وَأَشْعَارِهِ فِي ذَخِيرَتِهِ،وَلَمْ يُهْمِلْهَا كَمَا فَعَلَ بِأَشْعَارِ أَبِيهِ.وَبِاعْتِقَادِي إِنَّ السُّلْطَةَ وَالقُوَّةَ التِي تَمَتَّعَ بِهَا ابنُهُ فِي دَوْلَةِ ابنِ هُودَ سَاعَدَتْ فِي نَشْرِ شَاعِرِيَّتِهِ وَتَدْوِينِهَا أَكْثَر، فَبِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ الابنَ بلَغَ شَأْوًا بعيدًا فِي الوِزَارَةِ والحُكْمِ وَمُنَادَمَةِ المُلُوكِ وَالوُزَرَاءِ فَقَدْ أَسْلَمَ، بينَمَا ظَلَّ والدُهُ يَدِينُ بِاليَهُودِيَّةِ،فَرَوَى النَّاسُ شِعْرَ الإِسْلامِيِّ مِنْهُمْ،وَنَشَرُوهُ،وَأَهْمَلُوا شِعْرَ الوَالِدِ لكفرِهِ.

١ – انْظُرْ: ابن خَمِيس المَالقِيّ "**أُدَبَاء مَالَقَة**" ص ٣٧٩– ٣٨١ .

٢ – هُوَ: **شاكر** بن مُحَمَّدِ بنُ الحَسَنِ بنُ مُحَمَّدٍ بنُ كَامِلٍ **الحَضْرَمِيّ**، يُكنى أبَا الحُسَيْنِ،وَيُعْرَفُ **بِابنِ الفخّار**،كَانَ حَسَنَ العِشْرَةِ مُمْتِعَ الحَدِيثِ، وَتُوُفِّيَ بِإِشْبِيلِيَةَ بَعْدَ أَن حُمِلَ مَكْبُولاً مِنْ مَالَقَةَ عِنْدَ كائنةِ الجَزِيرِيّ، فَأَصَابَهُ هَمٌّ كَانَ سَبَبَ مَوْتِهِ سَنَةَ ٥٨٦هـ .

انْظُرْ: ابن خَمِيس المَالقِيّ"**أُدَبَاء مَالَقَة**" ص٣٧٩–٣٨١؛ ابنُ عَبْدِ المَلِكِ المَرَّاكُشِيّ"**الذَّيْل وَالتَّكْمِلَة**" السفر الرابع ص ١٢٦؛ ابن الزُّبَيْر"**صِلَة الصِّلَة**" ٤/٢٢٤؛ مُحَمَّد الإفراني"**المَسْلَك السَّهْل فِي شَرْح تَوْشِيح ابن سَهْل**"ص٩٣–٩٥ .

٣ – هُوَ : أبو جَعْفَرٍ يُوسُفُ بنُ أَحْمَدَ **بنُ حَسْدَاي الإسْرَائيلي**، سَتَرِدُ تَرْجَمَة لَهُ فِي مَتْنِ البَحْثِ : ص ٢١٦ .

٤ – انْظُرْ: ابن خَمِيس المَالقِيّ"**أُدَبَاء مَالَقَة**" ص ٢٨١ .

٥ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣م٤٥٨/١ .

٦ – هُوَ : أَبُو **الفَضْلِ ابنِ حَسْدَاي**، سَتَرِدُ تَرْجَمَة لَهُ فِي مَتْنِ البَحْثِ :ص٢١٥– ٢٢٦ .

٧ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣م٤٥٨/١ .

وَلاحظتُ مِثْلَ هَذِهِ الحَالِ حِينَ ذَكَرَ ابْنُ بَسَّامٍ قَصِيدَةَ مَدْحٍ لِيُوسُفَ ابنِ نَغْرِيلَّةَ(ت:٤٥٩هـ)[١] نَظَمَهَا ابنُ خِيَرَةَ القُرطُبِيُّ المَعْرُوفُ بِالمُنْفَتِلِ[٢]،فَكَانَ تَعْلِيقُ ابنِ بَسَّامٍ بَعْدَ أَنْ أوردَ أَبْيَاتًا عَدِيدَةً مِنَ القَصِيدَةِ: "أَنَّ القَصِيدَ انْدَرَجَ لَهُ مِنَ الغُلُوِّ فِيهِ،مَا لا أُثْبِتُهُ وَلا أَرْوِيهِ،وَأَبعدَ اللهُ المُنْفَتِلَ،فِيمَا نَظَمَ فِيهِ وَفَصَّلَ،وَقَبَّحَهُ وَقَبَّحَ مَا أَمَّلَ"[٣].فَيَعْتَرِفُ ابنُ بَسَّامٍ أَنَّهُ يَحْفَظُ وَيعْرِفُ شِعْرًا لِهَذَا الشَّاعِرِ؛لَكِنَّهُ تَحَرَّجَ عَنْ إِثْبَاتِهِ لِمَا بِهِ مِنْ غُلُوٍّ،إلا أَنَّهُ حِينَ كَانَ الغُلُوُّ فِي حَقِّ مَمْدُوحِي الشُّعَرَاءِ مِنَ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ لَمْ يَكُنْ هَذَا مَانِعًا لإِثْبَاتِ أَشْعَارِهِم عِنْدَهُ وَعِندَ غَيْرِهِ.ثُمَّ خَتَمَ تعليقَهُ بِدُعَاءٍ عَلَى المُنْفَتِلِ وَعَلَى مَا نَظَمَ وَفَصَّلَ.وَبِهَذَا أَرَى أَنَّ المُنْفَتِلَ نَظَمَ وَفَصَّلَ وَأَمَّلَ فِي مَدْحِ اليَهُودِيِّ ابنِ نَغْرِيلَّةَ،وَوَصَلَتْ أَشْعَارُهُ إِلَى ابنِ بَسَّامٍ،لَكِنَّه لَمْ يُثْبِتْهُ عامِدًا لأَنَّ فِيهِ مَدْحًا لليَهُودِ وَلَيْسَ لأَنَّ فِيهِ غلوًّا،وَأَتَوَقَّعُ مِثْلَ هَذِهِ النَّظْرَةِ كَانَتْ عِنْدَ غَيْرِهِ مِنْ جَامِعِي شِعْرِ يَهُودِ الأَنْدَلُسِ،وَإِنْ لَمْ يُصرِّحُوا بِذَلِكَ.

وَبَدَا هَذَا الأَمْرُ فِي بَعْضِ مَصَادِرِ التُّرَاثِ الأَنْدَلُسِيِّ،فَكَانَ الحَدِيثُ عَنْ شِعْرٍ أَوْ نَثْرٍ لليَهُودِ يُشَارُ إِشَارَةً دُونَ تَفْصِيلٍ،كَمَا حَصَلَ حِينَمَا أَشَارَ ابنُ خَلْدُونَ(ت: ٨٠٤هـ) مَثَلاً فِي مُقَدِّمَتِهِ إِلَى بَعْضِ المَلاحِمِ التِي نُسِبَتْ إِلَى أَهْلِ المَغْرِبِ العَرَبِيِّ،وَالأَنْدَلُسُ جُزْءٌ مِنَ المَغْرِبِ عِنْدَ ابنِ خَلْدُونَ وَغَيْرِهِ، فَقَالَ:إِنَّهَا مِنَ الشِّعْرِ الزَّجَلِيِّ مَنْسُوبَةٌ إِلَى بَعْضِ اليَهُودِ،ذَكَرَ فِيهَا أَحْكَامَ القِرَانَاتِ[٤] لِعَصْرِهِ وَذَكَرَ فِيهَا مِيتَتَهُ قَتِيلاً بِفَاسَ[٥]،وَأَتبَعَ الخَبَرَ بِقَوْلِهِ:"وَكَانَ كَذَلِكَ فِيمَا زَعَمُوهُ"[٦].ثُمَّ أَتَى ابنُ خَلْدُونَ بِخَمْسَةِ أَبْيَاتٍ فَقَطْ مِنْ هَذِهِ المَلْحَمَةِ؛ثلاثةٌ ابْتُدِئَتْ بِهَا،وَاثْنَانِ كَانَا الخَاتِمَةَ،وذَكَرَ أَنَّ أَبْيَاتَ المَلْحَمَةِ تَبْلُغُ خَمْسَمائَةِ بَيْتٍ.وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا أَيُّ تَفْصِيلٍ آخَرَ عَنْهَا لا فِي المُقَدِّمَةِ،وَلا فِي غَيْرِهَا عِنْدَ ابنِ خَلْدُونَ،وَلا عِنْدَ غَيْرِهِ.فَإِنْ أُهمِلَتْ مَلْحَمَةٌ لليَهُودِ بِهَذِهِ الأَهَمِّيَّةِ وَهَذَا العَدَدِ الضَّخْمِ مِنَ الأَبْيَاتِ،فَكَيْفَ الحَالُ بِالقَصَائِدِ العَادِيَّةِ أَوِ المُقَطَّعَاتِ الشِّعْرِيَّةِ أَوْ حَتَّى النَّثْرِيَّةِ ؟!

---

١ – هُوَ الوَزِيرُ: **يُوسُفُ بنُ إِسْمَاعِيلَ ابن نَغْرِيلَّةَ اليَهُودِيُّ**، سَتَرِدُ تَرْجَمَة لَهُ فِي مَتْنِ البَحْثِ: ص ٢٨٦ – ٢٨٨ .

٢ – هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ العَزِيزِ **بنُ خِيَرَةَ** القُرطُبِيُّ المَعْرُوفُ **بِالمُنْفَتِلِ**،مِنْ أَعْلامِ شُعَرَاءِ إِلبيرَةَ فِي مُدَّةِ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ.

انْظُرْ: الحُمَيْدِيّ"**جَذْوَة المُقْتَبِس**" ٦٢٠/٢؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٧٥٤/٢– ٧٦٥؛ الأَصْفَهَانِيّ"**خَرِيدَةُ القَصْرِ**"ق٤،ج١١/١؛ الضَبِّيّ"**بُغْيَة المُلْتَمِس**" ٦٩٤/٢؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٩٩/٢؛ "**رَايَات المُبَرِّزِين**" ص١٥٥ –١٥٦؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٣٤٦/٤ .

٣ – انْظُرِ القَصِيدَةَ وَالتَّعْلِيقَ عَلَيْهَا فِي: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٧٦٣/٢– ٧٦٤ .

٤ – **أَحْكَامُ القِرَانَاتِ**: يُقصدُ بِهَا كلامُ المُنَجِّمِينَ وَالعَارِفِينَ وَتَنَبُّؤَاتُهُمْ فِي المُلْكِ وَالدُّوَلِ وَفِي المَوَالِيدِ وَالمَسَائِلِ وَغَيْرِهَا مِنَ الأُمُورِ العَامَّةِ اعْتِمَادًا عَلَى شَكْلِ الفَلَكِ عِنْدَ حُدُوثِهَا.ومِنْ أَشهَرِ الكُتُبِ التِي وُضِعَتْ فِي القِرَانَاتِ الكَائِنَةِ فِي المِلَّةِ الإِسْلامِيَّةِ كتابٌ للكِنْدِيِّ بنِ إِسْحَاقَ مُنَجِّمُ الرَّشِيدِ وَالمَأْمُونِ سَمَّاهُ الشِّيعَةُ "الجَفْرَ"، وَأَكْثَرُ كَلِمَاتِهِمْ فِي شَأْنِهِ أَلْغَازٌ وَأَمْثَالٌ . انْظُرْ:ابن خَلْدُونَ"**المُقَدِّمَة**" ص ٣٢٣–٣٤١ .

٥ – **فَاسَ**: مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي المَغْرِبِ عَلَى البَحْرِ،كَانَتْ أَشْهَرَ مُدُنِ المَغْرِبِ وَأَجَلَّهَا قَبْلَ مَرَّاكُش.

انْظُرْ: الإِدْرِيسِيّ"**نُزْهَةَ المُشْتَاق**" ٢٤٦/١؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَان**" ٢٣٠/٤– ٢٣١ ؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص ٤٣٤–٤٣٥ .

٦ – ابن خَلْدُونَ "**المُقَدِّمَة**" ص٣٣٩ .

وَلاحَظَ كَثِيرٌ مِنَ الدَّارِسِينَ هَذَا التَّجَاهُلَ؛فَإِبْرَاهِيمُ بوتشيش يَرَى أَنَّهُ لَمْ يَحْظَ أَهلُ الذِّمَّة فِي المَصَادِرِ التَّارِيخِيَّة إلا بِمَعْلُومَاتٍ هَزِيلَةٍ،وَأَخْبَارٍ شَحِيحَةٍ وَمُبَعْثَرَةٍ،عَلَى الرُّغْمِ مِنَ المَكَانَةِ الَّتِي احْتَلُّوهَا فِي تَارِيخِ المُجْتَمَع،وَدَوْرِهِمُ البَارِزِ فِيهِ؛فَالمُؤَرِّخُونَ العَرَبُ عَزَفُوا عَنِ التَّأْرِيخِ لَهُمْ،وَلَمْ يُشِيرُوا إِلَيْهِم فِي ثَنَايَا كُتُبِهِم سِوَى بِنِصْفِ الكَلِمَاتِ،بَلْ لَمْ يَجِدُوا غَضَاضَةً فِي التَّكَتُّمِ عَلَى أَوْضَاعِهِمُ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالاقْتِصَادِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ بِاسْتِثْنَاءِ مَا وَرَدَ فِي أَخْبَارِ الحَمْلاتِ العَسْكَرِيَّةِ،أَوْ مَا يَمُتُّ بِصِلَةٍ لِلأُمَرَاءِ،وَأَحْيَانًا خَانَهُمْ لِسَانُهُم،فَاسْتَنْزَلُوا عَلَيْهِمُ الشَّتْمَ وَاللعَنَاتِ[1].وَالطَّاهِر مَكِّيّ يَقُولُ إِنَّ:"القَلِيلَ مِنْ شِعْرِ المُنْفَتِلِ الذِي أَوْرَدَهُ ابنُ بَسَّامٍ فِي الذَّخِيرَةِ فِي غَيْرِ مَدْحِ الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ[2] وَابْنِهِ يُومِئُ إِلَى شَاعِرِيَّةٍ جَيِّدَةٍ مُقْتَدِرَةٍ،مُتَفَنِّنَةٍ،ذاتِ جَوانِبَ مُتَعَدِّدَةٍ،وَلكنَّ المُؤَرِّخِينَ عِقَابًا لَهُ وَاسْتِصْغَارًا لِشَأْنِهِ أَهْمَلُوا الإِشَارَةَ إِلَيْهِ إلا عَرَضًا،وَاكْتَفَوا مِنْ شِعْرِهِ بِالقَلِيلِ"[3].وَلاحَظَ مَسْعُود كَوَاتِي أَنَّهُ اسْتَمَرَّ السُّكُوتُ عَنِ اليَهُودِ عِنْدَ المُؤَرِّخِينَ؛فَالمَالِكِيُّ(ت بَعْدَ:٤٥٣هـ) تَحَدَّثَ عَنِ البَرْبَرِ وَالنَّصَارَى وَالرُّومِ دُونَ تَلْمِيحٍ لِلْيَهُودِ فِي القِسْمِ المُتَعَلِّقِ بِالفُتُوحَاتِ،وَيَسْلُكُ ابنُ عِذَارِي(ت:٦٦٧هـ) المَسْلَكَ نَفْسَهُ وَلا يَذْكُرُ اليَهُودَ مَعَ أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى الأَفَارِقَةِ وَالرُّومِ وَالبَرْبَرِ وَالنَّصَارَى وَالمَجُوسِ مِنَ الرُّومِ[4]،وَلَمْ يَتَحَدَّثْ ابنُ خَلْدُونَ(ت:٨٠٥هـ) كَذَلِكَ عَنِ اليَهُودِ حِينَمَا كَتَبَ عَنْ فُتُوحِ المَغْرِبِ،بَيْنَمَا أَشَارَ إِلَى الرُّومِ وَالأَفَارِقَةِ بِالإِضَافَةِ إِلَى البَرْبَرِ الذِينَ خَصَّهُم بِجُزْءٍ لا يُسْتَهَانُ بِهِ مِنْ تَارِيخِهِ،وَيَرَى كواتي أَنَّ المُؤَرِّخَ الوَحِيدَ الَّذِي أَشَارَ إِلَى اليَهُودِ أَتَى بِمَرْحَلَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ هُوَ القَيْرَوانِيّ(ت: ١١١١هـ)[5]فِي بِدَايَةِ القَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ لِلمِيلادِ[6].

وَمِثْلُهُمْ يَرَى رِيمُونْد شَايْنْدلِين أَنَّ تَصَوُّرَنَا لِلحَيَاةِ اليَهُودِيَّةِ حَتَّى فِي القَرْنَيْنِ اللَذَيْنِ يُمَثِّلانِ قِمَّةَ مَجْدِهَا لَيْسَ مُكْتَمِلا،لأَنَّ مَصَادِرَنَا عَلَى الأَغْلَبِ أَدَبِيَّةٌ وَمُنْبَثِقَةٌ عَنْ أَرْفَعِ مُسْتَوَيَاتِ المُجْتَمَعِ اليَهُودِيّ.فَلا نَمْلِكُ مَا يُشْبِهُ السِّجِلاتِ الاجْتِمَاعِيَّةَ الكَثِيرَةِ وَسِجِلاتِ مَحَاكِمِ التَّفْتِيشِ وَالصَّلَوَاتِ الحَاخَامِيَّةِ أَوْ أَيَّةِ وَثَائِقَ تَسْمَحُ بِاسْتِعَادَةِ صُورَةٍ أَكْمَلَ وَأَكْثَرَ حَيَوِيَّةً لِلحَيَاةِ اليَهُودِيَّةِ فِي إِسْبَانِيَا، وَيُكْمِلُ أَنَّهُ مِنَ المُضَلِّلِ أَنْ نُحَاوِلَ اسْتِقْرَاءَ صُورَةٍ لِلْمُجْتَمَعِ بِكَامِلِهِ تَحْتَ الحُكْمِ الإِسْلامِيِّ مِمَّا نَعْرِفُهُ عَنْ عَدَدٍ مِنَ الأَفْرَادِ اليَهُودِ مَهْمَا كَانَتْ أَهَمِّيَّتُهُمْ وَمَكَانَتُهُمْ[7].

---

١ – انْظُرْ : إِبْرَاهِيم بوتشيش"**مَبَاحِثُ فِي التَّارِيخِ الاجْتِمَاعِيِّ لِلمَغْرِبِ وَالأَنْدَلُسِ،خِلالَ عَصْرِ المُرَابِطِينَ**"ص ٦٥ .

٢ – يَقْصِدُ الوَزِيرَ **إِسْمَاعِيلَ بن نَغْرِيلَّةَ**، سَترِدُ تَرْجَمَة لَهُ فِي مَتْنِ البَحْثِ : ص ٢٨٣– ٢٨٥ .

٣ – الطَّاهر مَكِّيّ "**دِرَاسَاتٌ أَنْدَلُسِيَّةٌ؛ فِي الأَدَبِ وَالتَّارِيخِ وَالفَلْسَفَةِ**" ص٦٥ .

٤ – انْظُرْ : ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**" ١/٢٤، ٣٦–٣٧ .

٥ – هُوَ : أَبُو عبد الله مُحَمَّدُ بنُ أبي القاسم الرّعِينِيّ **ابْنُ أَبِي دِينَار** المَعْرُوفُ **بِالقَيْرَوَانِيّ** صَاحِبُ كِتَابِ "المُؤْنِس فِي أَخْبَار إِفْرِيقْيَةَ وَتُونُسَ" فرغ منه سنة ١٠٩٢هـ . انْظُرْ :البابانِي"**إيضاح المَكْنون**" ص ٢٢١ من موقع "**الوراق**".
http://www.**alwaraq**.net/index2.htm?i=3258&page=221

٦ – انْظُرْ : مسعود كواتي"**اليَهُود فِي المَغْرِبِ الإِسْلامِي؛** مِنَ الفَتْحِ إِلَى سُقُوطِ دَوْلَةِ المُوَحِّدِينَ" ص ٧٩ .

٧ – انْظُرْ : رِيمُونْد شَايندلِين"**اليَهُود فِي إِسْبَانِيَا المُسْلِمَةِ**" تَرْجَمَة: مَرْيَم عَبْدِ البَاقِي، بَحْثٌ فِي:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ ١/٣٠٣ .

الفَصْلُ الأوَّلُ : اليَهُودُ: تَارِيخُهُمْ وَأَثَرُهُمْ فِي الحَيَاةِ الأنْدَلُسِيَّةِ

المَبْحَثُ الأوَّلُ: **تَارِيخُ اليَهُودِ ومُشَارَكَتُهُم فِي السِّيَاسَةِ** الأنْدَلُسِيَّةِ .

تفتقرُ مَصَادِرُ التُّرَاثِ الأَنْدَلُسِيِّ إِلى مَعْلُومَاتٍ دَقِيقَةٍ عَنْ وُجُودِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ قَبْلَ الفَتْحِ الإِسْلامِيِّ،إلا أنَّ أوَّلَ إِشَارَةٍ إِلى العبرانيِّينَ [اليَهُودِ] فِيمَا كُتِبَ عَنْ تَارِيخِهِم تقُولُ إِنَّهُم كَانُوا شَعْبًا مُتَجَوِّلاً فِي عَصْرِ الآبَاءِ عِنْدَ اليَهُودِ أي مُنْذُ عَامَ ٢٠٠٠ ق.م،وَقَدِ اتَّسَمَتْ حَيَاتُهم بِالتَّنَقُّلِ البَدَوِيِّ مِنْ بَلَدٍ إِلَى آخَرَ وَبِالبَقَاءِ عَلَى حَوَافِ المُدُنِ أوْ عَلَى طُرُقِ التِّجَارَةِ.وَفِي هَذِهِ المَرْحَلَةِ، اسْتَوْطَنَ بَعْضُهم أرْضَ كَنْعَانَ وَمِصْرَ دُونَ أنْ يَضْرِبُوا جُذُورًا فِي أيٍّ مِنْهُمَا.وَخَرَجَ العِبْرَانِيُّونَ مِنْ مِصْرَ أوْ هَاجَرُوا مِنْهَا عَامَ ١٦٤٥ ق.م لِيَبْدَأُوا فَتْرَةً أُخْرَى مِنَ التَّجْوَالِ فِي سَيْنَاءَ انْتَهَتْ بِتَغَلْغُلِهِمْ فِي بِلادِ كَنْعَانَ عَامَ ١١٨٩ق.م الذي أَعْقَبَتْهُ فَتْرَةٌ مِنَ الاسْتِقْرَارِ النِّسْبِيِّ،وَانْتَهَتْ هَذِهِ المَرْحَلَةُ بِالتَّهْجِيرِ الآشُورِيِّ ثُمَّ البَابِلِيِّ.وَيَنْتَهِي التَّهْجِيرُ لِيَبْدَأُوا فِي الانْتِشَارِ فِي بِقَاعِ الأرْضِ بِوَصْفِهِم جَمَاعَاتٍ يَهُودِيَّةٍ،فَفَضَّلَتْ أَعْدَادٌ كَبِيرَةٌ مِنَ اليَهُودِ الاسْتِمْرَارَ فِي بَابِلَ مُكَوِّنَةً بِذَلِكَ نُوَاةَ أوَّلِ جَمَاعَةٍ يَهُودِيةٍ تَسْتَقِرُّ خَارِجَ فَلَسْطِينَ بَعْدَ التَّهْجِيرِ البَابِلِيِّ عَامَ ٥٦٨ ق.م(١).

وَحِينَ فَرَضَتِ الإِمْبَرَاطُورِيَّةُ اليُونَانِيَّةُ هَيْمَنَتَهَا عَلَى أَجْزَاءٍ كَبِيرَةٍ مِنَ البَحْرِ الأَبْيَضِ وَالشَّرْقِ الأَدْنَى القَدِيمِ ٣٣٢ ق.م بَدَأَ انْتِشَارُ اليَهُودِ فِي مِصْرَ وَالإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَبُرْقَةَ وَقُبْرُصَ وَآسْيَا الصُّغْرَى وَأَوْرُوبَّا الغَرْبِيَّةِ،وَزَادَ انْتِشَارُهُمْ حِينَ هُدِمَ الهَيْكَلُ عَامَ ٧٠م، ثُمَّ شَهِدَ القَرْنُ الرَّابِعُ المِيلادِيُّ شَيْئًا مِنَ الاسْتِقْرَارِ النِّسْبِيِّ لِلجَمَاعَاتِ اليَهُودِيَّةِ فِي الغَرْبِ النَّصْرَانِيِّ،وَحَدَثَتْ هِجْرَةٌ لِليَهُودِ مِنَ البِلادِ المُتَقَدِّمَةِ إِلَى البِلادِ المُتَخَلِّفَةِ؛حَيْثُ كَانَتْ أَوْرُوبَّا مِنْ أَكْثَرِ المَنَاطِقِ تَخَلُّفًا فِي العَالَمِ آنَذَاكَ، فَانْتَقَلَتِ الكَثَافَةُ السُّكَّانِيَّةُ اليَهُودِيَّةُ بَيْنَ ٥٠٠ق.م وَ١٠٠٠م مِنَ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ(٢) وَاسْتَقَرَّتْ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ فِي شِبْهِ جَزِيرَةِ أَيْبِيرْيَا أَيَّامَ الإِمْبَرَاطُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ(٣).وَيَذْكُرُ وِل دِيوْرَانت أَنَّهُ وُجِدَتْ جَالِيَاتٌ يَهُودِيَّةٌ فِي إِسْبَانِيَا قَبْلَ يُولْيُوس قَيْصَر(ت:٤١ قبل الميلاد) ،ثُمَّ نَمَتْ تِلْكَ الجَالِيَاتُ(٤).

وَلا تَتَوَافَرُ إِحْصَائِيَّةٌ دَقِيقَةٌ عَنْ أَعْدَادِ اليَهُودِ قَدِيمًا فِي إِسْبَانِيَا أَوْ غَيْرِهَا مِنَ البُلْدَانِ.فَقَدَّرَ بَعْضُ البَاحِثِينَ عَدَدَ يَهُودِ العَالَمِ مَعَ نِهَايَةِ القَرْنِ الأَوَّلِ قَبْلَ هَدْمِ الهَيْكَلِ ٨ مَلايِينَ: مَا بين ٢.٣٥-٢.٥ مَلْيُونٍ فِي فِلَسْطِينَ،وَ٣.٢ فِي سُورْيَةَ وَآسيَا الصُّغْرَى وَبَابِلَ أَكْثَرُ مِنْ مَلْيُونٍ فِي كُلٍّ مِنْهَا،وَتَوَزَّعَ البَاقُونَ فِي أَمَاكِنَ مُخْتَلِفَةٍ.وَثَمَّةَ تَقْدِيرٌ تَخْمِينِيٌّ آخَرُ يَرَى أَنَّ عَدَدَهُمْ لَمْ يَزِدْ عَلَى ٥ مَلايِينَ: ٣ مَلايِينَ فِي سُورْيَةَ وَفِلَسْطِينَ وَمِصْرَ وَآسيا الصُّغْرَى،وَمَلْيُون فِي أَمَاكِنَ مُتَفَرِّقَةٍ مِنَ الإِمْبَرَاطُورِيَّةِ

١ – انْظُرْ: عبد الوَهَّاب المَسِّيريّ "**مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" ٢/١٠٤ .

٢ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ٢/١٠٤–١٠٥ .

٣ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ٢/122 .

٤ – انْظُرْ: وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ١٤/٩ .

الرُّومَانِيَّةِ،وَمَلْيُون فِي بَابِلَ[١] .وَيَرَى المَسِّيرِيُّ أَنَّ هَذِهِ الأَعْدَادَ مُبالَغٌ فِيهَا؛فَمُعْظَمُ المَرَاجِعِ بِرَأْيِهِ قَدَّرَتْ عَدَدَ اليَهُودِ بَيْنَ مَلْيُونٍ وَمَلْيُونَيْنِ فِي العَالَمِ تَرَكَّزَ أَغْلَبُهُم (٨٥ ـ ٩٠%) فِي العَالَمِ الإِسْلامِيِّ مَعَ نِهَايَةِ القرن الثاني عَشَر ،بَيْنَمَا عَدَدُ يَهُودِ أُورُوبَّا لَمْ يَكُنْ يَزِيدُ عَلَى ١٠٠ـ ٣٥٠ أَلْفًا مِنْ سُكَّانِ أُورُوبَّا البَالِغِ ٥٣ مِلْيُونًا مُعْظَمهُمْ كَانَ فِي إِسْبَانيَا[٢] .

وَيَأْتِي ذِكْرٌ لِقُدُومِ اليَهُودِ إِلَى الأَنْدَلُسِ عَبِيدًا عَلَى يَدِ إِشْبَانَ بن طيطش[٣] الذي سُمِّيَتِ الأَنْدَلُسُ إشبانية بِاسْمِهِ،حينَ غَزَا إِيلْيَاءَ وهي القُدْسُ فَغَنِمَهَا وَهَدَّمَهَا،وقَتَلَ مِنَ اليَهُودِ مِئَةَ أَلفٍ وسَبَى مِائَةَ أَلفٍ، وفَرَّتْ فِي الأَرْضِ مئةُ أَلفٍ[٤] ،وإِنْ جُمِعَتْ هَذِهِ الرِّوايةُ مَعَ إِحْصَائِيَّةِ المَسِّيرِيِّ السَّابِقَةِ التِي تَقُولُ إِنَّ عَدَدَهُمْ لَمْ يَكُنْ يَزِيدُ عَلَى ١٠٠ـ ٣٥٠ أَلْفًا فِي أُورُوبَّا كَانَ مُعْظَمُهُمْ مُرَكَّزًا فِي إِسْبَانيَا،يَتَرَجَّحُ لدى البَحْثِ أَنَّ أَوَّلَ قُدُومٍ كَبِيرٍ لِلْيَهُودِ كَانَ بِعَصْرِ إِشْبَانَ،تَلَتْهُ هِجْرَاتٌ صَغِيرَةٌ مُتَفَرِّقَةٌ مِنَ الشَّرْقِ. إلا أَنَّهُ لا يُوجَدُ فِي المَصَادِرِ مَا يُؤَكِّدُ إِنْ كَانَ الذين قَدِمُوا مَعَ إِشْبَانَ إِلَى الأَنْدَلُسِ أَوَّلَ مَنْ وَصَلَ إِلَيْهَا مِنَ اليَهُودِ أَمْ أَنَّهُ كَانَتْ قَبْلَهُمْ أَعْدَادٌ مِنْهُمْ، فَقَدْ يَكُونُ قُدُومُ رَقِيقٍ مِنْهُمْ مَعَ إِشْبَانَ بِدَايَةً لِتَشْكِيلِ جَالِيَةٍ مِنْهُمْ سَتَأْخُذُ دَوْرًا مُهِمًّا وَمُمَيَّزًا حِينَ تَتَغَيَّرُ الأَحْوَالُ وَتَتَبَدَّلُ السِّيَاسَاتُ فِيمَا بَعْد،وَقَدْ يَكُونُ عَدَدٌ مِنْهُمْ سَبَقَ بِهِجْرَاتٍ غَيْرِ مُنَظَّمَةٍ .

وَفِي اخْتِلافِ البَاحِثِينَ حَوْلَ أَصْلِ تَسْمِيَةِ مُدُنِ الأَنْدَلُسِ إِشَارَاتٌ قَدْ تفيدُ فِي مَعْرِفَةِ مَا قِيلَ حَوْلَ أَوَّلِيَّاتِ الوُجُودِ اليَهُودِيِّ فِيهَا،فاليَهُودِيُّ المَغْرِبِيُّ ل. د. أَبْيُو L. D. Abbou زَعَمَ وُجُودَ عَلاقَةٍ بَيْنَ أَسْمَاءِ المُدُنِ الأَنْدَلُسِيَّةِ واللُّغَةِ العِبْرِيَّةِ لِيُثْبِتَ وُجُودًا قَدِيمًا لِلْيَهُودِ في الأَنْدَلُسِ بِقَوْلِهِ: "إِنَّ الفِينِيقِيِّينَ كَانُوا يُطْلِقُونَ عَلَى المُدُنِ التِي يُؤَسِّسُونَهَا أَسْمَاءً عِبْرِيَّةً،وَذَكَرَ أَمْثِلَةً؛ فَمَالَقَةُ[٥] تَعْنِي: مَلِكَةً بِالعِبْرِيَّةِ، وَقَرْطَاجَنَّةُ[٦] اسْمُهَا Carta- Hadacha وَمَعْنَاهُ المَدِينَةُ الحَدِيثَةُ،وَطُلَيْطِلَةُ[٧]

---

١ – انْظُرْ: عبد الوَهَّاب المَسِّيرِيّ "**مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" ٢١٣/٢ .

٢ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ٢١٤/٢ .

٣ – هُوَ : **إِشْبَانُ بنُ طِيطش** مَلِكُ الرُّومِ الذي بنى إِشْبِيلْيَةَ . انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ١٦١/١ .

٤ – أرى أَنَّ قصة غَزْوِ إِشْبَانِ القُدْس أَحَاطَتْهَا الأساطيرُ، بِخَاصَّة ما قيلَ فِي نَقْلِ رُخَامِهَا وَالمائدةِ مِنْهَا إِلَى الأَنْدَلُسِ .

انْظُرْ: البَكْرِيّ "**جُغْرَافِيَّةُ الأَنْدَلُسِ وَأُورُوبَّا مِنْ كِتَاب المَسَالِك وَالمَمَالِك**" ص١٠٩–١١٠؛ ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٢/٢؛ الحِمْيَرِيّ "**الرَّوْض المِعْطَار**" ص٤٤، ٥٩، ٣٩٣ ؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ١٣٥/١– ١٣٦ .

٥ – **مَالَقَة** :بفتح اللام والقاف مَدِينَةٌ بالأَنْدَلُسِ.مِنْ أعمال رَيَّةَ سورها عَلَى شاطىء البحر بين الجزيرة الخضراء والمَرِيَّةِ .

انْظُرْ :الإِدْرِيسِيّ"**نُزْهَة المُشْتَاق**" ٥٦٥/٢ ؛يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَان**" ٤٣/٥ ؛الحِمْيَرِيّ "**الرَّوْض المِعْطَار**"ص٥١٧– ٥١٨.

٦ – **قَرْطَاجَنَّة:** بالفتح ثم السكون وطاء مهملة وجيم ونون مشددة مَدِينَةٌ بالأَنْدَلُسِ،قريبة مِنْ ألش مِنْ أعمال تدمير .خربت لأن ماء البحر استولى عَلَى أكثرها،عملت عَلَى مثال قَرْطَاجَنَّة التي بإِفْرِيقْيَة،قِيلَ إن اسم هَذِهِ المَدِينَةِ قرطا وأضيف إِلَيْهَا جنة لطيبِهَا وَنُزْهَتِهَا وَحُسْنِهَا.

انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَان**" ٦٠/٢ –٦٢ ، ٣٢٣/٤ ؛الحِمْيَرِيّ "**الرَّوْض المِعْطَار**" ص٤٦٠–٤٦٣ .

٧ – **طُلَيْطِلَة:** نطقوها بِضَمِّ الطَّاءَيْنِ وَفَتْحِ اللامَيْنِ،وَكَذَلِكَ بِضَمِّ الأُولَى وَفَتْحِ الثَّانِيَةِ،وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ بالأَنْدَلُسِ تَقَعُ شَمَالَ قُرْطُبَةَ.على شاطئ نهر تَاجَه،تُسَمَّى طُلَيْطِلَةُ مَدِينَةَ الأملاكِ؛ مَلَكَهَا اثْنَانِ وَسَبْعُونَ لِسَانًا فيمَا قِيلَ،وَدَخَلَهَا سُلَيْمَانُ بنُ دَاوُدَ وَعيسى بنُ مَرْيَمَ وَذو القرنين وَالخضر عليهم السلام فيمَا زعم أهلها،وَذكر قَوْمٌ أنها مَدِينَةُ دقيانوس صاحب أَهْلِ الكهف،وَكَانَتْ قاعدة الملك حِينَ دخلها طارق ابن زياد فألفاها خَالِيَةً قَدْ فَرَّ أَهْلُهَا عَنْهَا،فَضَمَّ إِلَيْهَا اليَهُودَ،وخَلَّى بِهَا رِجَالاً مِنْ أَصْحَابِهِ وذَلِكَ سَنَةَ ٩٣هـ.أَخَذَهَا الإِفْرَنْجُ سَنَةَ ٤٧٧هـ، وَكَانَ الذي سلمها إِلَيْهِم يَحْيَى بن ذي النُّون الملقب بالقادر بالله .

انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ" **مُعْجَمُ البُلْدَان**" ٣٩/٤– ٤٠؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص٣٤، ٣٩٣– ٣٩٥ .

مَعْنَاهُ ابْنَةُ.أَمَّا إِشْبِيلِيةُ[١] فَيَقْتَرِبُ اسْمُهَا مِنْ Chiboleth العِبْرِيَّةِ التِي تَعْنِي سُنْبُلَةً.ثُمَّ تَحَوَّلَ مَعَ مُرُورِ الزَّمَنِ إِلَى Chibola, Sibola, Sebila لِيُصْبِحَ Sevilla"[٢].وَيَرَى خَمِيسي حَمِيدِي أَنَّ هَذَا اسْتِنْتَاجٌ لَطِيفٌ إلا أَنَّ صَاحِبَهُ انْطَلَقَ مِنْ فَرْضِيَّاتٍ خاطئةٍ،فأَخَذَ اسْمَ إِشْبِيلِيَةَ بَعْدَ أَنْ عُرِّبَ عَنْ Hispalis وَظَنَّهُ الأقدمَ،وَحَاوَلَ أَنْ يَجِدَ بَيْنَهُ وَبينَ كَلِمَةِ Chiboleth العِبْرِيَّةِ صِلَةً وَمِثْلُ هَذَا الخَلْطِ يَنْسَحِبُ عَلَى بَقِيَّةِ الأَمْثِلَةِ المَذْكُورَةِ.وَتَأْتِي كَذَلِكَ فَرْضِيَّةُ سَلُوشِ Sloush التِي يَقُولُ فِيهَا إِنَّ يَهُودَ خَيْبَرَ هَاجَرُوا مِنَ اليَمَنِ سَنَةَ ٦هـ إِلَى العِرَاقِ وسُورْيَةَ ثُمَّ إِفْرِيقْيَة،واتَّجَهَتْ مَجْمُوعَاتٌ مِنْهُمْ نَحْوَ المَغْرِبِ ،وَمِنْهَا إِلَى الأَنْدَلُسِ،لَكِنَّ هَذِهِ الفَرْضِيَّةَ تَبْقَى فِي حَاجَةٍ لِدَلائِلَ تَدْعَمُهَا[٣].

وَلِكُلِّ مَا سَبَقَ أَرَى أَنَّ تَحْدِيدَ طَبِيعَةِ وُجُودِ اليَهُودِ فِي المَغْرِبِ العَرَبِيِّ وَالأَنْدَلُسِ أَمْرٌ يَصْعُبُ البَتُّ فِيهِ بِدِقَّةٍ،وَحِينَ بَدَأَتْ عَمَلِيَّةُ الفُتُوحِ الإِسْلامِيَّةِ لإِفْرِيقْيَةَ سَنَةَ ٢١هـ وَجَدَ المُسْلِمُونَ مَجْمُوعَاتٍ قَلِيلَةً مِنَ اليَهُودِ مُنْتَشِرِينَ فِي المَغْرِبِ.وَالقَوْلُ بِوُجُودِ جَالِياتٍ يَهُودِيَّةٍ ضَخْمَةٍ عِنْدَ فَتْحِ المَغْرِبِ العَرَبِيِّ أَوِ الأَنْدَلُسِ لا يُوجَدُ مَا يُؤَكِّدُهُ فِي المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ العَرَبِيَّةِ[٤].

إلا أَنَّ الرواياتِ التَّارِيخِيَّةَ تُجْمِعُ عَلَى أَنَّ اسْتِيطَانَ اليَهُودِ لِبِلادِ الأَنْدَلُسِ كَانَ قَبْلَ العَرَبِ،وَقَدَّرَ بَعْضُ الدَّارِسِينَ عددَهم فِي الأَنْدَلُسِ عَشيةَ الفَتْحِ الإِسْلامِيِّ ١٠٠ ألف يَهُودِيٍّ[٥]، فَلَمْ يَكُنِ العَدَدُ كَثِيرًا وَاسْتَوْطَنُوا المُدُنَ الرَّئِيسَةَ فِي شِبْهِ الجَزِيرَةِ مِثْلَ قُرْطُبَةَ[٦]وَإِشْبِيلِيَةَ وَطُلَيْطِلَةَ وَغَيْرِهَا مِنَ المُدُنِ،وَلَكِنَّ تأثيرَهُم عَلَى الحَيَاةِ العَامَّةِ فِي الجَزِيرَةِ لَمْ يَكُنْ مُهِمًّا.وَفِي حُكْمِ القُوطِ لِشِبْهِ الجَزِيرَةِ لَمْ يَكُنِ اليَهُودُ يَعْنُونَ الكَثِيرَ لَهُمْ. وَبِسَبَبِ مُخَالَفَةِ اليَهُودِ لِلتَّثْلِيثِ عَانُوا

---

[١] – **إِشْبِيلِيَة:** بِكسرِ الهمزةِ ثم تسكين الشين،مَدِينَةٌ أَنْدَلُسِيَّةٌ،بينها وبين قُرْطُبَةَ ثمانون ميلا.أطلقوا عَلَيْهَا اسم حمص، لَمْ يكن بالأَنْدَلُسِ أعظم مِنْهَا كَمَا يَقُولُ الحموي.وهي عَلَى شاطئ نهر عظيم يُقَالُ لَهُ الوادي الكبير.وفي سَنَةَ ٦٤٦هـ تغلب العدو عَلَيْهَا. انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م١/١١– ١٢؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَانِ**" ١/١٩٥، ٢/٣٠٤؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**" ص٥٨– ٦٠ .

[٢] – خميسي حميدي "**الحَرَكَةُ الأَدَبِيَّةُ فِي إِشْبِيلِيَةَ لِزَمَنِ بَنِي عَبَّادٍ ٤١٤هـ ٤٨٤هـ**"ص٦ – ٧ نقلا عن:
EncycloPaedia Universalis , vol: 1 , P: 1025 Musulmans andalous et judeo- espagnoles par is . D. Abbou 1953 P:111

٣ – **فرضية سلوش Sloush** ذهب فِيهَا إِلَى القول بأَنَّ اليَهُود، يَهُود خَيْبَر هاجروا مِنَ اليمن حوالي سَنَةَ ٦٢٨م نحو العِرَاقِ وسُورْيَةَ ثُمَّ إِفْرِيقْيَةَ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى الأَنْدَلُسِ . انْظُرْ: مسعود كواتي "**اليَهُود فِي المَغْرِبِ الإِسْلامِي**،مِنَ الفَتْحِ إِلَى سُقُوطِ دَوْلَةِ المُوَحِّدِينَ"ص٨١ .

٤ – انْظُرْ: مسعود كواتي "**اليَهُود فِي المَغْرِبِ الإِسْلامِي**؛ مِنَ الفَتْحِ إِلَى سُقُوطِ دَوْلَةِ المُوَحِّدِينَ" ص ٨١ .

[٥] – انْظُرْ: هشام فوزي عَبْد العَزِيز "**يهود الأَنْدَلُسِ فِي ظل الحكم الإِسْلامِي**" مَجَلّة دِرَاسَات أَنْدَلُسِيَّة،ع ١٥، تُونُس: ١٩٩٦م، ص٩٧ .

[٦] – **قُرْطُبَة:** بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَسُكُونِ ثَانِيهِ وَضَمِّ الطاء،كَلِمَةٌ لَيْسَتْ عَرَبِيَّةً،وَيجوز أن تكون مِنَ القرْطُبَة وَهُوَ العَدْوُ الشَّدِيدُ،وَهِي مَدِينَةٌ عظيمة بالأَنْدَلُسِ وَسْطَ بِلادِهَا، كَانَتْ مَرْكَزًا لمُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ وَابنِ أَبِي عَامِرٍ،وَطُولُهَا مِنْ غَرْبِهَا إِلَى شَرْقِهَا ثَلاثَةُ أَمْيَالٍ،وَعَرْضُهَا مِنْ باب القنطرة إِلَى باب اليَهُود مِيلٌ وَاحِدٌ،وهي فِي سفح جبل مطل عَلَيْهَا يسمى جبل العروس، وَبِهَا الجَامِعُ المَشْهُورُ، وَحِينَ ظهرت الطَّوَائِفِ بالأَنْدَلُسِ وَقويت شوكة بَنِي عَبَّادٍ وَغَيْرِهِمْ خَرِبَتْ،وَرثاها الشُّعَرَاءَ وَأكثروا فِيهَا. استولى عَلَيْهَا النَّصَارَى سَنَةَ ٦٣٣هـ .

انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٤/٣٢٤ – ٣٢٥؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص٤٥٦– ٤٥٩ .

مِنَ الصِّرَاعِ الدِّينيِّ مَعَهُم،فَأصْدَرَ مُلُوكُ القُوطِ كَثِيرًا مِنَ التَّشْرِيعَاتِ ضِدَّهُم بِخَاصَّةً أيَّامَ المَلِكِ أرِيكَ الثَّانِي(٥١-٥٣١م)وَالمَلِكِ رِيكَارْدُ(٥٨٦-٦٠١م)،وإثرَ اجْتِمَاعِ المَجْلِسِ الثَّالِثِ فِي طُلَيْطِلَةَ سَنَةَ ٥٨٩م سَنَّ مُلُوكُ القُوطِ قَوَانِينَ قَاسِيَةً ضِدَّ اليَهُودِ،فَأعْلَنَ مَجْمَعُ طُلَيْطِلَةَ عَنِ اكْتِشَافِ مُؤَامَرَةٍ حَاكَهَا اليَهُودُ الألمانُ مَعَ بَنِي جِلْدَتِهِمْ فِي شَمَالِ إفْرِيقِيَةَ، غَايَتُهَا إدْخَالُ العَرَبِ إلَى إسْبَانِيَا، واسْتُغِلَّتْ هَذِهِ التُّهْمَةُ مُبَرِّرًا لِفَرْضِ عُقُوبَاتٍ عَلَى اليَهُودِ بُغْيَةَ تَنْصِيرِهِمْ وَالقَضَاءِ عَلَى اليَهُودِيَّةِ. وَبَالَغَ المَلِكُ سِيزْيُوت Sisebut(٦١٢-٦٣٠م) فِي سِيَاسَةِ الاضْطِهَادِ،فَأمَرَهم بِاعْتِنَاقِ النَّصْرَانِيَّةِ،وَأخَذَ بِمُلاحَقَةِ اليَهُودِ فِي جَمِيعِ أنْحَاءِ إسْبَانِيَا. وَحَرَّمَ عَلَيْهِم إقَامَةَ الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ وَأعْطَاهُمْ مُهْلَةَ سَنَةٍ للتفكير فِي الاخْتِيَارِ بَيْنَ اعْتِنَاقِ النَّصْرَانِيَّةِ أوِ الرَّحِيلِ عَنْ إسْبَانِيَا،فَمِنْهُمْ مَنْ تَظَاهَرَ بِاعْتِنَاقِهَا للحفاظ عَلَى أرْوَاحِهِم وَأمْلاكِهِم،وَهَاجَرَ عَدَدٌ آخَرُ فَالتَحَقَ جُزْءٌ مِنْهُمْ بِسَوَاحِلِ المَغْرِبِ(١) .وَمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فِي إسْبَانِيَا تَطَلَّعَ إلَى الخَلاصِ مِنْ هَذَا الظُّلْمِ،فَاتَّجَهَتْ أنْظَارُهُمْ إلَى المَغْرِبِ العَرَبِيِّ،وَوَقَفُوا عَلَى مَا حَظِيَ بِهِ أبْنَاءُ مَذْهَبِهِمْ يَهُودُ المَغْرِبِ مِنْ حُرِّيَّةٍ دِينِيَّةٍ،وَامْتِيَازَاتٍ عِدَّةٍ فِي ظِلِّ حِمَايَةِ المُسْلِمِينَ لَهُمْ،الأمْرُ الذِي دَفَعَهُم إلَى العَمَلِ وَالاسْتِعَانَةِ بِهِمْ فِي قِيَامِ ثَوْرَةٍ لإسْقَاطِ الحُكْمِ القُوطِيِّ فِي إسْبَانِيَا(٢) .

وَلَمْ يَقْتَصِرِ الصِّرَاعُ بين الطَّبَقَةِ الحَاكِمَةِ مِنَ القُوطِ وَبين اليَهُودِ،بَلْ نَالَ مِنْ أفْرَادِ الطَّبَقَةِ الحَاكِمَةِ أنْفُسِهِم،فَاسْتَطَاعَ لُذَرِيق(٩٠- ٩٢هـ) الاسْتِيلاءَ عَلَى العَرْشِ،وَاغْتِصَابَ الحُكْمِ مِنْ أيْدِي أبْنَاءِ المَلِكِ غَيْطَشَةَ(٨٠- ٩٠هـ)،لكِنَّ أبنَاءَ المَلِكِ السَّابِقِ وَأتباعَهُ لَمْ يَرْضُوا بِالوَضْعِ القَائِمِ،فَأخَذُوا يَتَحَيَّنُونَ الفُرْصَةَ لاسْتِعَادَةِ مُلْكِهِمُ المُغْتَصَبِ،حَتَّى وَجَدُوا ضَالَّتَهُمْ فِي قُدُومِ المُسْلِمِينَ(٣) .

أوَّلاً :- مواقِفُ بَارِزَةٌ للْيَهُودِ فِي تَارِيخِ الأنْدَلُسِ .

سَجَّلَتِ الكُتُبُ شَيْئًا قَليلاً مِنْ أخْبَارِ اليَهُودِ فِي الأنْدَلُسِ،فاخْتَصَرَ عَبْدُ الوَهَّابِ المَسِّيرِيُّ بِمَوْسُوعَتِهِ تَارِيخَهُم بَعْدَ أنْ وَصَلَهَا عَبْدُ الرَّحْمنِ الدَّاخِلُ(ت:١٧٢هـ)(٤) ،فَأسَّسَ فِيهَا حُكْمَ الأسْرَةِ

---

١ – انْظُرْ عن سياسة اضطهاد اليَهُود: مسعود كواتي"**اليَهُود فِي المَغْرِبِ الإسْلامِي**؛ مِنَ الفَتْحِ إلَى سُقُوطِ دَوْلَةِ المُوَحِّدِينَ" ص ٤٥؛ وِل دِيوْرَانت "**قِصَّةُ الحَضَارَة**" ١٢/١٩٢-١٩٦، ٩/١٤ ،٥٠٠ ؛ Reinhart Dozy "**Spanish Islam**" p227- 228 .

٢ – انْظُرْ : ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٤/٢ ،٩٠ ؛ Reinhart Dozy"**Spanish Islam**" p 230 -231 .

٣ – انْظُرْ :ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**"؛المَقَّرِيّ"**نَفْح الطِّيب**"١/٢٤٠-٢٤٩؛ Reinhart Dozy "**Spanish Islam**"p228 .

٤ – هُوَ :**عبد الرَّحْمن** بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المُلَقَّب **بِالدَّاخِلِ** لأنه أول داخل مِنْ ملوك بني مَرْوَانَ إلَى الأنْدَلُسِ، وُلِدَ بِدِمَشْقَ وَأفلت مِنْ سيوف العَبَّاسِيِّينَ حِينَ انْتَهَتْ خِلافَةُ المَرْوَانِيِّينَ،وَفَرَّ إلَى المَغْرِبِ العَرَبِيِّ وَنزل عِنْدَ أخواله مِنَ البَرْبَرِ فترة مِنَ الزمن،فَأتاه قوم مِنْ إشْبِيلْيَةَ وَبايعوه عَلَى الخلافة،وَوَصل الأنْدَلُسَ ١٣٨هـ وَتمكن بأشياعه مِنَ الوصول إلَى حكم الأنْدَلُسِ بعد حروب طاحنة مَعَ مَنْ عَارَضُوهُ،وَكَانَ أبو جَعْفَرٍ المَنْصُور يُسَمِّيهِ صَقْرَ قُرَيْش،وَكَانَ يدعو للمَنْصُورِ.ثُمَّ قطع دعوته، وَجَدَّدَ مَا طُمِسَ لبَنِي مَرْوَانَ بالمشرق مِنْ آل العباس، وَتُوفِّيَ سَنَةَ ١٧٢هـ،فَتَوَلَّى الإمَارَةَ بعده ابنُهُ هشام. انْظُرْ :مُحَمَّد القُضَاعِيّ "**الإنْبَاء بِأنْبَاءِ الأنْبِيَاءِ**" ص٢٥٠؛ الضَبِّيّ"**بُغْيَة المُلْتَمِس**" ١/٣٢؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ١/٣١٧- ٣٢٣؛ ٤/٢٢- ٤٧ .

الأُمَوِيَّةِ، وَخَلَفَهُ ابنُهُ هِشَامُ الأَوَّلُ(ت:١٨٠هـ)[١] الذي بَدَأَتْ فِي عَصْرِهِ عَمَلِيَّةُ الانْدِمَاجِ الحَضَارِي وَالاجْتِمَاعِيّ لِلْيَهُودِ،فَبَدَأُوا يَدْرُسُونَ فِي مَدَارِسِ الدَّوْلَةِ.غَيْرَ أَنَّهُ نَشَبَ تَمَرُّدٌ بَيْنَ اليَهُودِ فِي عَصْرِ الحَكَمِ الأَوَّلِ(ت:٢٠٦هـ)[٢] عَامَ ٢٠٢هـ،ثُمَّ تَمَرُّدٌ آخَرُ فِي طُلَيْطِلَةَ عَامَ ٢١٢هـ بِالاشْتِرَاكِ مَعَ النَّصَارَى المُسْتَعْرِبِينَ،وَقُضِيَ عَلَى هَذَيْنِ التَّمَرُّدَيْنِ. وَمَعَ تَفَكُّكِ الخِلافَةِ الأَمَوِيَّةِ انْقَسَمَتِ الأَنْدَلُسُ إِلَى دُوَيْلاتٍ وَإِمَارَاتٍ تَحْكُمُهَا الطَّوَائِفُ عَامَ ٣٩٨هـ.فَاسْتَخْدَمَ الأُمَرَاءُ كَثِيرًا مِنَ اليَهُودِ مِثْلَ صَمُويل [إسْمَاعِيل] ابْنِ نَغْرِيلَّة وَزِيرِ غَرْنَاطَةَ.وَكَانَ اليَهُودُ يَعْمَلُونَ مُسْتَشَارِينَ مَالِيِّينَ وَسِيَاسِيِّينَ، وَفِي البَعَثَاتِ الخَارِجِيَّةِ لِحُكُومَاتِ الأَنْدَلُسِ،وَيَهُودِ بَلاطٍ،وَمُلْتَزِمِي ضَرَائِبَ.وَقَامَ المُرَابِطُونَ بَعْدَ اسْتِيلائِهِمْ عَلَى سِدَّةِ الحُكْمِ عَامَ ٤٧٨هـ بِتَطْهِيرِ جِهَازِ الدَّوْلَةِ مِنَ اليَهُودِ،فَتَدَهْوَرَتْ أَحْوَالُهُمْ لِبَعْضِ الوَقْتِ،وَمَعَ صُعُودِ المُوَحِّدِينَ عام ٥٤٠هـ مُنِعَ إِظْهَارُ اليَهُودِيَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ (٣)

وَيُحَلِّلُ إِسْرَائِيل شَاحَاك هَذَا الصُّعُودَ والهُبُوطَ لِلْيَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ بِقَوْلِهِ إِنَّ المُجْتَمَعَاتِ اليَهُودِيَّةَ ازْدَهَرَتْ فِي البُلْدَانِ الإِسْلامِيَّةِ فِي ظِلِّ الأَنْظِمَةِ التِي كَانَتْ مُنْفَصِلَةً عَنِ الأَكْثَرِيَّةِ السَّاحِقَةِ مِنَ الشُّعُوبِ التِي تَحْكُمُهَا،أي الأَنْظِمَةَ التِي كَانَتْ سُلْطَتُهَا تَسْتَنِدُ إِلَى القُوَّةِ وَجَيْشٍ مِنَ المُرْتَزِقَةِ. وَأَفْضَلُ الأَمْثِلَةِ عَلَى ذَلِكَ -بِرَأْيِ شَاحَاك- إِسْبَانِيَا المُسْلِمَةُ؛فَالعَصْرُ الذَّهَبِيُّ اليَهُودِيُّ الحَقِيقِيُّ يَبْدَأُ فِيهَا مَعَ سُقُوطِ الخِلافَةِ الأُمَوِيَّةِ،وَإِنْشَاءِ مَمَالِكِ الطَّوَائِفِ المُتَعَدِّدَةِ التِي كَانَتْ قَائِمَةً عَلَى القُوَّةِ؛ فَالقَائِدُ اليَهُودِيُّ رَئِيسُ وُزَرَاءِ مَمْلَكَةِ غَرْنَاطَةَ،صَمُوئِيل هَنِيغِدْ [إسْمَاعِيل بْن نَغْرِيلَّة](ت:٤٤٧هـ)قَامَ صُعُودُهُ أَسَاسًا عَلَى حَقِيقَةِ أَنَّ المَمْلَكَةَ التِي كَانَ يَخْدِمُهَا،كَانَتْ طُغْيَانًا لِقُوَّةٍ عَسْكَرِيَّةٍ مِنَ البَرْبَرِ،صَغِيرَةٍ نَوْعًا مَا،كَمَا نَشَأَ وَضْعٌ مُمَاثِلٌ فِي مَمَالِكِ الطَّوَائِفِ.وَتَدَهْوَرَ وَضْعُ اليَهُودِ نَوْعًا مَا مَعَ إِنْشَاءِ نِظَامِ المُرَابِطِينَ(٤٧٨-٤٨٢هـ)،وَأَصْبَحَ مُزَعْزَعًا تَمَامًا فِي ظِلِّ نِظَامِ المُوَحِّدِينَ الشَّعْبِيِّ القَوِيِّ (بَعْدَ عَامِ ٥٤١هـ) فَهَاجَرَ اليَهُودُ،إلى المَمَالِكِ النَّصْرَانِيَّةِ،حَيْثُ كَانَتْ قُوَّةُ المُلُوكِ فِي هَذِهِ المَمَالِكِ رَكِيكَةً جِدًّا[٤].

وَرَدَتْ خِلالَ الحُكْمِ الإِسْلامِيِّ للأَنْدَلُس إِشَارَاتٌ إِلَى تَارِيخِ اليَهُودِ فِي بَعْضِ المَوَاقِفِ،مِنْهَا:

١ - مُسَاعَدَتُهُمْ لِلْفَاتِحِينَ .

تُوجَدُ بَعْضُ الإِشَارَاتِ فِي الكُتُبِ تَقُولُ إِنَّ يَهُودَ الأَنْدَلُسِ اتَّصَلُوا بِيَهُودِ المَغْرِبِ واسْتَنْجَدُوا بِالعَرَبِ لِيَأْتُوا ويُنْقِذُوهُم مِنَ القُوطِ[٥]،فَقَدْ كَانَتْ أَحْوَالُ الجَمَاعَةِ اليَهُودِيَّةِ فِي إِسْبَانِيَا الكَاثُولِيكِيَّةِ حِينَمَا دَخَلَهَا طَارِق مُتَرَدِّيَةً،بَلْ يُقَالُ إِنَّ مُعْظَمَهُمْ تَحَوَّلُوا إِلَى يهودَ مُتَخَفِّينَ[٦]،وَتُشِيرُ المَصَادِرُ إِلَى أَنَّ الفَاتِحِينَ حِينَ دَخَلُوا قُرْطُبَةَ أَلْفَوْا بِهَا يَهُودًا، فَجَمَعَ مُغِيثٌ يَهُودَهَا،وَضَمَّهُمْ إِلَيْهَا[٧].وَمِثْلُ ذَلِكَ بِإِلْبِيرَةَ[١] فَحَاصَرُوا مَدِينَتَهَا

---

١ – هُوَ: **هشام بن عبد الرَّحْمَن** بن معاوية المرواني بويع بالملك بالأَنْدَلُسِ عِنْدَ موت والده سَنَةَ ١٧٢هـ وعمره ثلاثون سنة، وُلِدَ بالأَنْدَلُسِ وَكَانَ ورعًا يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعدل في الرعية،لَمَّا احتضر عهد بالأمر إِلَى وَلَدِه الحَكَمِ المَعْرُوفِ بَالربضي.

انْظُرْ: مُحَمَّد القُضاعيّ"**الإِنْبَاء بِأَنْبَاءِ الأَنْبِيَاءِ**"ص٢٥٠؛ الضَبِّيّ"**بُغْيَةُ المُلْتَمِس**"١/٣٣؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" ٨/٢٥٣ .

٢ – هُوَ: أبو العاصي **الحكم بن هشام** بن عبد الرَّحْمَن الداخل، يُلَقَّبُ **بِالمُرْتَضَى**،وَيُعْرَفُ **بِالرَّبَضِيّ** لِمَا فعل بِأَهْلِ الرَّبض.بُويعَ بِالمُلْكِ عِنْدَ مَوْتِ أَبِيهِ سَنَةَ ١٨٠هـ،وَكَانَ مِنْ جَبَابِرَةِ المُلُوكِ وَفُسَّاقِهِم وَمُتَمَرِّدِيهِمْ وَكَانَ فَارِسًا شُجَاعًا ذَا دَهَاءٍ وَحَزْمٍ وَعُتُوٍّ وَظُلْمٍ،تَمَلَّكَ ٢٧ سنة.وَكَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ عَلَى سِيرَةٍ حَمِيدَةٍ ثُمَّ تَغَيَّرَ وَتَجَاهَرَ بِالمَعَاصِي.كَثُرَتِ العُلَمَاءِ بِالأَنْدَلُسِ فِي دَوْلَتِهِ حَتَّى قِيلَ إِنَّهُ كَانَ بِقُرْطُبَة أربعة آلاف عالم،عَزَّ عليهم انتهاك الحكم للحُرُمَاتِ وَائْتَمَرُوا لِيَخْلَعُوهُ ثُمَّ جَيَّشُوا لِقِتَالِهِ فَجَرَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ رَاحَ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ ٤٠ ألفا. انْظُرْ: ابن القوطية"**تَارِيخُ افْتِتَاحِ الأَنْدَلُس**"ص٧٠-٧١؛ الضَبِّيّ"**بُغْيَةُ المُلْتَمِس**" ١/٣٤؛عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي "**المُعْجِب**"ص١٩- ٢٢؛ ابن الأَبَّار "**الحُلَّة السِّيَرَاء**"١/٤٤- ٥٠؛ ابن سَعِيد"**المُغْرِب**" ١/٣٩-٤٥؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"٨/٢٥٣-٢٦٠؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٣/٣٨٢ .

٣ – انْظُرْ: عبد الوَهَّاب المَسِّيرِيّ" **مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" ٤/٢٥٠ .

٤ – انْظُرْ: إِسْرَائِيل شَاحَاك "**الدِّيَانَةُ اليَهُودِيَّةُ وَتَارِيخُ اليَهُود؛ وَطْأَة ٣٠٠٠عَام**" ص ١٠٦ .

٥ – انْظُرْ: W. Montcomery Watt "**A History of Islamic Spain**" p 11- 12 .

وَمِنَ الباحِثِينَ مَنْ يَرَى أَنَّ هَذَا الرَّأيَ لا يَمُتُّ إِلَى التاريخ بصلة.

انْظُرْ: خليل سمعان"**يَهُودُ البِلادِ الإِسْلامِيَّةِ للدكتور برنرد لويس**" مَجَلَّة مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، ج٢، م٦٢، دمشق:١٩٨٧م ، ص١٤٨ .

٦ – انْظُرْ: عبد الوَهَّاب المَسِّيرِيّ" **مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" ٢/٢٤٩ .

٧ – انْظُرْ: مَجْهول "**أَخْبَارٌ مَجْمُوعَةٌ فِي فَتْحِ الأَنْدَلُس**" ص ٢٣ .

غَرْنَاطَة[٢] وَافْتَتَحُوهَا وَضَمُّوا اليَهُودَ إِلَى قَصَبَتِهَا[٣]،وَصَارَ ذَلِكَ لَهُمْ سُنَّةً مُتَّبَعَةً فِي كُلِّ بَلَدٍ يَفْتَحُونَهُ أَنْ يَضُمُّوا يَهُودَهُ إِلَى القَصَبَةِ مَعَ قِطْعَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ لِحِفْظِهَا،وَإِذَا لَمْ يَجِدُوا يَهُودًا وَفَّرُوا عَدَدَ المُسْلِمِينَ المُخَلَّفِينَ[٤].وَلَمْ يَفْعَلُوا هَذَا بِمَالَقَةَ لأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا بِهَا يَهُودًا[٥] حَتَّى فِي فَتْحِ طُلَيْطِلَةَ دَارِ مَمْلَكَةِ القُوطِ تَنْقُلُ المَصَادِرُ رِوَايَةَ ابنِ حَيَّانَ لِفَتْحِهَا؛ وَمُلَخَّصُهَا أَنَّ طَارِقًا انْتَهَى إِلَيهَا فَأَلْفَاهَا خَالِيَةً قَدْ فَرَّ عَنْهَا أَهْلُهَا وَلَجَأُوا إِلَى مَدِينَةٍ خَلْفَ الجَبَلِ،وتبعهم طَارِقٌ،بَعْدَ أن ضَمَّ اليَهُودَ إِلَى طُلَيْطِلَةَ وَخَلَّفَ بِهَا رِجَالاً مِنْ أَصْحَابِهِ وَمَضَى خَلْفَ مَنْ فَرَّ[٦].وَفَعَلَ مُوسَى بنُ نُصَيرٍ الأَمْرَ نَفْسَهُ مَعَ إِشْبِيلِيَةَ،فَقَدِ امْتَنَعَتْ أَشْهُرًا ثُمَّ فَتَحَهَا مُوسَى،فَهَرَبَ العُلُوجُ عَنْهَا فَضَمَّ مُوسَى يَهُودَهَا إِلَى القَصَبَةِ وَخَلَّفَ بِهَا رِجَالاً وَمَضَى إِلَى مَارْدَةَ[٧].وَلَعِبَ اليَهُودُ الدَّوْرَ نَفْسَهُ حِينَ استَوْلَى النَّصَارَى عَلَى بِلادِ الأَنْدَلُسِ،فكَانُوا يُوَطِّنُونَ اليَهُودَ فِي المُدُنِ المَأْخُوذَةِ مِنَ المُسْلِمِينَ[٨].

---

١ – **إِلبِيرَة** : مَدِينَةٌ كَانَتْ مَشْهُورَةً بِالأَنْدَلُسِ خربت وهاجر أهلها إِلَى غَرْنَاطَة .

انْظُرْ :الإدْرِيسِي"**نُزْهَة المُشْتَاق**"٢/٥٦٩،٥٣٧؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**"١/٥٢٦ ؛الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص٢٨-٢٩ .

٢ – **غَرْنَاطَة:** بفتح أوله وَسكون ثانيه،وَقَالُوا أغَرْنَاطَة بالألف فِي أوله أسقطها العَامَّةُ فأصبحت غَرْنَاطَة وَمعناها رُمَّانَة بلسانهم،وَسمي بِهِ البلد لحسنه،وهي مَدِينَةٌ بالأَنْدَلُسِ بينها وبين وادي آش أربعُونَ ميلاً،وبينها وبين إِلْبِيرَةَ ستة أميال،يشقها نهر يُعْرَفُ بنهر حَدَّارُه، كَانَتْ تُلقط مِنْهُ برادة الذهب الخالص وَفِيهَا نهر آخر يُقَالُ لَهُ سِنْجِل،وَكَانَتْ المَدِينَةُ المقصودة إِلْبِيرَةَ فَخَلَتْ،وَانْتَقَلَ أَهْلُهَا إِلَى غَرْنَاطَة. حَصَّنَ أَسْوَارها وبنى قصبتها حَبُّوسُ الصنْهَاجِيّ ثُمَّ خَلَفَهُ ابنُهُ بَادِيسُ بنُ حَبُّوسَ، فَكَمُلَتْ فِي أَيَّامِهِ وَعَمُرَتْ.

انْظُرْ : يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٤/١٩٥؛ ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَة**" ١/٩١ – ٩٩؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**" ص٤٥ – ٤٦

3 – See : Reinhart Dozy "**Spanish Islam**" p 232 .

٤ – انْظُرْ : مَجْهول "**أَخْبَارٌ مَجْمُوعَةٌ فِي فَتْحِ الأَنْدَلُسِ**"ص ٢٢؛ ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَة**" ١/١٠١؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ١/٢٥٣– ٢٥٤ .

٥ – انْظُرْ : مَجْهول "**أَخْبَارٌ مَجْمُوعَةٌ فِي فَتْحِ الأَنْدَلُسِ**" ص ٢٢ .

٦ – انْظُرْ : المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**"١/٢٥٥ .وَفي رِوَايَةِ ابن عِذَارِي أَنَّ طَارِقًا لَمْ يجدْ فِيهَا إلا اليَهُودَ فِي قَوْمٍ قلَّة،بينمَا فرَّ عِلْجُها وَأصحابه.

انْظُرْ : ابن عِذَارِي المَرَاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**" ٢/١٢

٧ – انْظُرْ : المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ١/٢٥٩ .

٨ – انْظُرْ : عبد الوَهَّاب المَسِّيرِيّ" **مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" ٤/٢٤٩ .

وَبِهَذَا تُجْمِعُ الرِّوَايَاتُ السَّابِقَةُ عَلَى أَنَّ اليَهُودَ لَقُوا مُعَامَلَةً خَاصَّةً مِنَ الفَاتِحِينَ وأَنَّهُم كَانُوا عَوْنًا لَهمْ حِينَ دَخَلُوا الأَنْدَلُسَ.وفي تَعْلِيلِ هَذَا الأمرِ يَرَى المَقَّرِيُّ أَنَّ مُغِيثًا حِينَ جَمَع يَهُودَ قُرْطُبَةَ وَضَمَّهُم إِلَى مَدِينَتِهَا فعلَ ذَلِكَ اسْتِنَامَةً إِلَيْهِم دُونَ النَّصَارَى للعَدَاوَةِ بَيْنَهُمْ[1]،بَيْنَمَا يُعَلِّلُ ابنُ الخَطِيبِ(ت:٧٧٦هـ)[2] هَذَا بِقَوْلِهِ إِنَّ الجَيْشَ الفَاتِحَ اسْتَخْدَمَ اليَهُودَ حَامِيَاتٍ لِلمُدُنِ التِي يَحْتَلُّهَا كَيْ يَحْتَفِظَ بِكُتْلَتِهِ أَثْنَاءَ تَوَجُّهِهِ لِفَتْحِ الأَمَاكِنِ الأُخْرَى[3]،وأَرَى أَنَّ التَّعْلِيلَيْنِ مَعْقُولانِ وَلا يَتَعَارَضَانِ، فَلَمْ يَكُنْ باستطاعةِ الفَاتِحِينَ تَرْكُ اليَهُودِ حُماةً لهم فِي المُدُنِ التِي احْتَلُّوهَا لَوْ لَمْ تَكُنْ مَصْلَحَةٌ قَوِيَّةٌ بينهم أَهَمُّهَا اشْتِرَاكُهُمَا فِي عَدَاوَةِ النَّصَارَى.لِذَا عَامَلَ الفَاتِحُونَ اليَهُودَ بِتَسامُحٍ وَرِفْقٍ.

وَلا يَقِفُ الأمرُ عِنْدَ هَذَا الحَدِّ،بلْ يَزْعُمُ وِل دِيوْرَانت أَنَّ الفَاتِحِينَ أَرَادُوا أَنْ يَعْمُرُوا البِلادَ فَدَعوا إِلَى الهِجْرَةِ إليها،فقَدِمَ إِلَيْهَا فيمَنْ قَدِمَ خَمْسُونَ أَلفَ يَهُودِيٍّ مِنْ آسْيَةَ وَإِفْرِيقِيَّةَ انْتَشَرُوا فِي جَمِيعِ مَيَادِينِ الزِّرَاعَةِ وَالصِّنَاعَةِ وَالمَالِ وَالمَنَاصِبِ العَالِيَةِ وَلَبِسُوا ثِيَابَ العَرَبِ،وتَكَلَّمُوا بِلُغَتِهِمْ، وَاتَّبَعُوا عَادَاتِهِمْ ولَبِسُوا العَمَامَةَ والأَثْوابَ الحَرِيرِيَّةَ الفَضْفَاضَةَ[4].

وَلَمْ تَكُنْ مَزَاعِمُ اشْتِرَاكِ اليَهُودِ فِي مُعَاوَنَةِ الفَاتِحِينَ مُقْتَصِرَةً عَلَى المَصَادِرِ العَرَبِيَّةِ؛ يَذْكُرُ وِل دِيوْرَانت أَنَّهُم سَاعَدُوا المُسْلِمِينَ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ مِنْ خُطُواتِ الفَتْحِ،وظَلُّوا فِي أَمْنٍ وَوِئَامٍ مَعَهُمْ[5]، وَيُبَالِغُ مُونْتغِمْرِي وَات بِقَوْلِهِ:إِنَّهُ لَوْ لَمْ يُقَدِّمِ اليَهُودُ للمُسْلِمِينَ كُلَّ عَوْنٍ لَمَا استَطَاعُوا هَزِيمَةَ الجَيْشِ القُوطِيِّ[6].بَيْنَمَا يُعَارِضُ رِيمُونْد شَايِنْدلِين هَذِهِ المَقُولةَ ويَقُولُ إِنَّ الحِكاياتِ المُتَوَاتِرَةَ عَنْ تَسْلِيمِ اليَهُودِ مُدُنِهِمْ للفاتحين المُسْلِمِينَ لا تَصْمُدُ أَمَامَ التَّمْحِيصِ الدَّقِيقِ؛لأَنَّ تَارِيخَ اليَهُودِ وَثَقَافَتَهُمْ فِي إِسْبَانيَا مُنْذُ الفَتْحِ حَتَّى القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْرِيِّ يُحِيطُهُمَا غُمُوضٌ شَامِلٌ تَقْرِيبًا[7].ومِثْلُهُ يَرَى

---

[1] – انْظُرْ : المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٢٥٩/١ .

٢ – هُوَ ذُو الوِزَارَتين: أَبُو عبد الله مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ السَّلمَانِيّ المَعْرُوفُ **بِلِسَانِ الدِّينِ ابنِ الخَطِيبِ**،وُلِدَ فِي غَرْنَاطَةَ سَنَةَ ٧١٣هـ، مَدَحَ السُّلْطَان أَبَا الحجاج بن الأحمر،وارتفعت منزلته وَتولى رياسة الديوان وسفر للسُّلْطَان إِلَى المَغْرِبِ،ثُمَّ لابنه مُحَمَّدٍ الغَنِيُّ بِاللهِ بعده الذي قربه كَذَلِكَ ولقبه بذي الوِزَارَتين:السيف والقلم،ثم أحاطت بِهِ الدَّسَائِسُ،فَخَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ،فَتَوَجَّهَ سَنَةَ ٧٧٢هـ إِلَى السُّلْطَان عَبْدُ العَزِيزِ المُرَيْنِيِّ بفاس فأكرمه وأحسن استقباله،إلا أن خصومه بغَرْنَاطَةَ وعلى رَأْسِهِمْ تِلْمِيذُهُ الشَّاعِرُ ابْنُ زَمْرَك والقاضي أبو الحسن النَّبَاهِيّ دَسُّوا عَلَيْهِ عِنْدَ الغَنِيِّ بِاللهِ وَاتَّهَمُوهُ بِتُهَمٍ عَدِيدَةٍ،سُجِنَ ودُسَّ إِلَيْهِ فِي السجن مَنْ قَتَلَهُ خنقًا سَنَةَ ٧٧٦هـ .   انْظُرْ : ابن الخَطِيب "**الإِحَاطَة**" ٤٣٦/٣– ٤٣٩؛ ابن الأَحْمَر "**نَثِيرُ فَرَائِدِ الجُمَانِ فِي نَظْمِ فُحُولِ الزَّمَانِ**" ص٢٤٢–٢٩٢؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**"٧٦/١، ٥/٧–١٠، ٦٩–٧٥، ١٠٤–١١٤،١٠٧– ١١٦؛"**أَزْهَارُ الرِّيَاضِ**" ١٨٦/١–٢٣١؛أَحْمَد الناصِرِيّ "**الاسْتِقْصا**" ١٩١/٣– ٢٠٠، ٨/٥ –٣١ .

٣ – انْظُرْ : ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَة**" ١٠٧/١ .

٤ – انْظُرْ : وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ١٥/١٤ .

٥ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٢٠٦/١٣، ٥٠/١٤ .

[6] – انْظُرْ : مونتغمري وات"**فِي تَارِيخِ إِسْبَانيَا الإِسْلامِيَّةِ**" ص ٢٧ .

W. Montcomery Watt "**A History of Islamic Spain**" p 11- 12 .

[7] – انْظُرْ : رِيمُونْد شَايندلِين"**اليَهُود فِي إِسْبَانيَا المُسْلِمَةِ**" تَرْجَمَة: مَرْيَم عَبْدِ البَاقِي، بَحْثٌ في:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ ٣٠١/١ – ٣٠٢ .

المَسِّيرِيُّ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ لا نُبالِغَ فِي تَقْدِيرَاتِنَا،فَقَدْ كَانَ اليَهُودُ أَقَلِّيَّةً صَغِيرَةً جِدًّا لا يُعْتَدُّ بِهَا،كَمَا أَنَّهُم لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ شَيْئًا عَنْ فُنُونِ الحَرْبِ بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ مُسْتَوَاهُمُ الثَّقَافِيَّ وَالحَضَارِيَّ كَانَ مُتَدَنِّيًا إِلَى أَقْصَى دَرَجَةٍ(١).وَفِي رَأْيِي أَنَّ مُعَاونَةَ اليَهُودِ لِفَاتِحِي الأَنْدَلُسِ لَهَا مَا يُؤَكِّدُهَا فِي حَيَاتِهِمُ اللاحِقَةِ وَلا يَنْفِيهَا.فَقَدِ استَمَرَّتْ هَذِهِ العَلاقَةُ الطَّيِّبَةُ مَعَ اليَهُودِ فِي ظِلِّ الحُكْمِ الإِسْلامِيِّ إِلَى فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ بِتَفَاوُتٍ قَلِيلٍ مِنْ فَتْرَةٍ لِفَتْرَةٍ وَمِنْ حَاكِمٍ لآخَرَ،وَيُرْجِعُ ابنُ الخَطِيبِ السَّبَبَ فِي حُسْنِ العَلاقَةِ هَذِهِ إِلى مُؤَازَرَتِهِم لِلعَرَبِ أَثْنَاءَ عَمَلِيَّاتِ الفَتْحِ(٢)،وَوُجُودُ الجَمَاعَاتِ اليَهُودِيّةِ فِي مُعْظَمِ المُدُنِ الأَنْدَلُسِيَّةِ أَرَاهُ دَلِيلاً آخرَ عَلَى هَذَا التَّسامُحِ،فَظَلَّتْ أَعْدَادُهُمْ وَفِيرَةً فِي هَذِهِ المُدُنِ(٣)،لَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ بَلْ كَانُوا يَسْكُنونَ فِي أَفْضَلِ الأَحْيَاءِ وَأَرْقَاهَا(٤).

٢- دَوْرُهُم مَعَ المُتَمَرِّدِينَ وَالثَّائِرِينَ .

كَانَ لِليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ دَوْرٌ واضِحٌ فِي مُعَاوَنَةِ الطَّامِعينَ الوُصُولَ إِلى الحُكْمِ عَنْ طَرِيقِ التَّمَرُّدِ أوِ الغَدْرِ،وَفِي حَبْكِ المُؤَامَراتِ أو فِي كَشْفِ المُؤَامَرَاتِ،وَفِي الفِتَنِ بين الأَنْدَلُسِيِّينَ؛ففي الفتنةِ بَيْنَ العَرَبِ وَالمُوَلَّدِينَ وثورَةِ المُتَعَصِّبِينَ للعَربِ،عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ،ذُكِرَتْ عَشِيقَةٌ يَهُودِيَّةٌ لِزَعِيمِ الثَّائِرِينَ سَعِيدِ بنِ سُلَيْمَانَ بنِ جُودِي(ت: ٢٨٤هـ)(٥)قُتِلَ فِي دَارِهَا غَدْرًا وَغِيلَةً عَامَ ٢٨٤هـ بَعْدَ أَنْ ظَلَّ رَئِيسًا للعَصَبِيَّةِ العَرَبِيَّةِ فِي إِلْبِيرَةَ زُهَاءَ سَبْعِ سَنَوَاتٍ(٦)،وَقَدْ يَكُونُ بِذِكرِ يَهُودِيَّةِ المرأةِ إِشارةٌ إِلَى دَوْرِ اليَهُودِ فِي حِمَايَةِ الثَّائِرِينَ ودعْمِهِمْ ،فكَانَ مِنْ تَارِيخِهِمْ مَا يَلِي:

١ – انْظُرْ: عبد الوَهَّاب المَسِّيرِيّ" **مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" ٢٤٩/٤ .

٢ – انْظُرْ: ابن الخَطِيب "**اللمْحَةُ البَدْرِيَّةُ**"ص ٢٦ .

٣ – لَمْ تأتِنَا المَصَادِرُ بإحصائياتٍ دقيقة عن أعدادِهم،إلا أَنَّهُ يُكتشفُ أَنَّ أعدادَهم كَانَتْ كَبِيرَةً حِينَ يأتي ذكرُ أحداثٍ تتعلق بهم،فمَثَلاً فِي حادثة مقتل ابْن نَغْرِيلَّةَ يُقَالُ إِنَّهُ قُتِلَ معهُ ألافٌ مِنَ اليَهُود؛قَدَّرَهُمُ ابْنُ بَسَّامٍ أكثرَ مِنْ أَرْبَعَةِ آلاف،وَقَالَ ابْنُ عِذَارِي أكثرَ مِنْ ثلاثةِ آلافٍ.

انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١، م ٧٦٩/٢؛ ابن عِذَارِي المَراكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٢٧٥/٣

٤ – عَلَى سَبيلِ المثالِ وُجِدَ الحَيُّ اليَهُودِيُّ فِي قُرْطُبَةَ بِجِوَارِ قَصْرِ الحَاكِمِ وَالمَسْجِدِ الجَامِعِ،كَمَا أُطْلِقَ عَلَى البَابِ الشَّمَالِي اسْمُ بَابُ اليَهُودِ، وَبِجِوَارِ هَذَا البَابِ كَانَ طَرِيقٌ يَتَّجِهُ نَحْوَ مَقْبَرَةٍ خَاصَّةٍ لِليَهُودِ .   انْظُرْ: الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص ٤٥٦ .

٥ – هُوَ أميرُ العَرَبِ: **سَعِيد بنُ سُلَيْمَانَ بنُ جَوْدِي** السعديّ، قَالَ ابنُ سَعِيدٍ أَنَّهُ كَانَ فارسًا جوادًا شاعرًا،كان ينشد الأشعار متغنيا بحبه الميئوس مِنْهُ لجيحان جارية الأمير عبد الله،حاول جمع العَرَبِ بعد مَقْتَلِ سِوَار بن حمدُونَ القَيْسِي سَنَةَ ٢٧٦هـ،ظل رئيسًا للعصبية العَرَبِيَّةِ فِي إِلْبِيرَةَ زهاء ٧ سنوات، إِلَى ان قُتِلَ غِيلَةً ٢٨٤هـ فِي دَارِ عَشِيقَةٍ لَهُ يَهُودية.

انْظُرْ: ابن الأَبَّار"**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ١٥٤/١– ١٦٠؛ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِيّ"**البَيَان المُغْرِب**" ١٢٤/٢؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٠٥/٢– ١٠٦.

٦ – انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِيّ"**البَيَان المُغْرِب**" ١٢٤/٢ .

(ا) تَسْهِيلُهُم دُخولَ المُدُنِ لِمَنْ يُخَطِّطُ مَعَهُمْ سِرًّا .

عَاوَنَ اليَهُودُ أَطْرَافًا سِيَاسِيَّةً فِي الاسْتِيلاءِ عَلَى بَعْضِ المُدِنِ وَمَكَّنُوهُم مِنْهَا عَلَى حِينَ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها؛فَحِينَ فَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ بنُ هَمْشَك(ت:٥٧٢هـ)(١) بِانْتِزَاعِ غَرْنَاطَةَ مِنَ ابنِ مَرْدَنِيشَ سَنَةَ ٥٥٧هـ لِقُرْبِهَا مِنْ مدينَتِهِ جَيَّانَ(٢) ذَكَرَ ابنُ صَاحِبِ الصَّلاةِ(ت:٥٩٤هـ)وابنُ عِذارِي الذي اعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي نَقْلِ الحَادِثَةِ أَنَّهُ دَاخَلَ مَنْ فِيهَا مِنَ اليَهُودِ [الإِسْلامِيِّنَ،لَعَنَهُمُ اللهُ](٣)،فَقَدِ اتَّفَقُوا مَعَهُ عَلَى لَيْلَةٍ مُعَيَّنَةٍ يَصِلُهُمْ فِيهَا إِلَى بَابِ الرَّبَضِ بِغَرْنَاطَةَ وَيَكْسِرُونَ قُفْلَ البَابِ وَيَدْخُلُونَهُ،فَوَصَلَ الغَادِرُ ابنُ هَمْشَك عَلَى مَا تَوَاعَدَ معهُم،وَقَدِ اجْتَمَعَتِ الكَفَرَةُ اليَهُودُ فَكَسَرُوا القُفْلَ وَالبَابَ،وَبِهَذا تَمَلَّكَ ابنُ هَمْشَك المَدِينَةَ(٤).وَفِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ لابنِ صَاحِبِ الصَّلاةِ الذي كَانَ قَرِيبَ العَهْدِ بِالحَادِثَةِ يُلاحَظُ أَنَّهُ اتَّهمَ اليَهُودَ الإِسْلامِيِّينَ بِالمُؤَامَرَةِ،وَهَذا يَجْعَلُنِي أَمِيلُ إِلَى التَّحْلِيلِ الذي يَقُولُ إِنَّ المُوَحِّدِينَ تَغَيَّرَتْ سِيَاسَتُهُم مَعَ اليَهُودِ -حَتَّى مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُم- عِنْدَمَا انْكَشَفَ غَدْرُهُم وخيانَتُهم.وَيُلاحَظُ كَذَلِكَ أَنَّ اليَهُودَ كَانُوا قُوَّةً يُحَاوِلُ التَّآمُرَ مَعَهَا أَكْثَرُ مِنْ طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِ النِّزاعِ؛فَلَمْ يكُنِ ابنُ هَمْشَك وَحْدَه مَنْ سَعَى لِلتَّآمُرِ مَعَ يَهُودِ غَرْنَاطَةَ بَلْ نَجِدُ فِي رِوَايَةِ ابنِ عِذَارِي أَنَّ ابنَ هُودَ مَشَى سِرًّا مِنَ ابنِ هَمْشَك إِلَى اليَهُودِ كَذَلِكَ وَاتَّفَقَ مَعَهُم عَلَى دُخُولِ المَدِينَةِ(٥).وَفِي عَامِ ٥٧٨هـ تَمَكَّنَ المُوَحِّدُونَ مِنْ دُخُولِ حِصْنٍ فِي رُنْدَةَ(٦)،بِغَدْرِ يَهُودِيٍّ كَذَلِكَ دَلَّهُم عَلَى عَوْرَاتِهَا(٧).

---

١ – هُوَ: **إِبْرَاهِيمُ بنُ مُحَمَّدِ بنُ هَمْشَك**،وَتُسَمِّيهِ بَعْضُ المَصَادِرِ عبد الله كالمُعْجِب.جَدُّهُ همشك نصراني اسلم عَلَى يد بني هود بسَرَقُسْطَةَ. كَانَ إِبْرَاهِيمُ مِنَ الذينَ يطمعُونَ فِي إقصاءِ المُوَحِّدِينَ عن الجزيرةِ، كَانَ مِنْ قواد ابنِ مَرْدَنِيشَ حَتَّى زَوَّجَهُ بنتَهُ ثُمَّ اختلَفَا فيمَا بعد، فنزع عَنْهُ إِلَى المُوَحِّدِينَ واستغاث بهم للقضاء عليه. انْظُرْ:ابن صاحِب الصَّلاة"**تَارِيخ المَنِّ بِالأَمَانَة**"ص ١٢٦– ١٢٧؛ عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِيّ"**المُعْجِب**"ص٢١١؛ ابن الأَبَّار "**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ٢/٢٥٩–٢٦٠ ،٢٦٧؛ ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**" – قسم المُوَحِّدِينَ – ص ٦٧–٧٨، ١٠٨– ١١٢؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/٥٢ ؛الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" ٢٠/٢٤٠–١٤١ .

٢ – **جَيَّان:** بِالفَتْحِ ثُمَّ التَّشْدِيدِ مَدِينَةٌ لَها كُورَةٌ وَاسِعَةٌ بَالأَنْدَلُسِ تَتَّصِلُ بِكُورَةِ إِلبِيرَةَ مائلة إلى نَاحِيَةِ الجَوْفِ فِي شَرْقِيٍّ قُرْطُبَةَ،تَجْمَعُ قُرَى كَثِيرَةً وَبُلْدَانًا، وَكُورَتُهَا مُتَّصِلَةٌ بِكُورَةِ تَدْمِيرَ وَكُورَةِ طُلَيْطِلَةَ . انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ "**مُعْجَم البُلْدَان**" ٢/١٩٥ .

٣ – هَذِهِ العِبَارَةُ في"**البَيَان المُغْرِب**" فَقَطْ . انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**"– قسم المُوَحِّدِينَ – ص ٧٤ .

٤ – انْظُرْ: ابن صاحِب الصَّلاة"**تَارِيخ المَنِّ بِالأَمَانَة**"ص١٨٦–١٨٧؛ ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**"–قسم المُوَحِّدِينَ– ص٧٤.

٥ – انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**"– قسم المُوَحِّدِينَ – ص ٧٤ .

٦ – **رُنْدَة:** بضم أوله وسكون ثانيه، مَدِينَةٌ أَنْدَلُسِيَّةٌ قَدِيمَةٌ بِهَا آثار كَثِيرَةٌ ،وَأَهَمُّهَا حِصْنٌ ،وَهِيَ بين إِشْبِيلِيَةَ ومَالَقَة.
انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٣/٧٣ –٧٤؛الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**" ص ٢٦٩ .

٧ – انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**"– قسم المُوَحِّدِينَ – ص ١٤٦ .

(ب) دَوْرُ الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ ابنِ نَغْرِيلَّةَ فِي المُؤَامَرَاتِ .

جاءَ فِي "التِّبْيانِ" للأمِيرِ عَبْدِ اللهِ(ت:٤٨٣هـ)[١] تفصيلٌ لدَوْرِ اليَهُودِ فِي كَثِيرٍ مِنَ المُؤَامَرَاتِ السِّياسِيَّةِ فِي الأنْدَلُسِ؛بِمُحاوَلاتِهم مُساعدة الطامِعِينَ فِي الحُكْمِ،أو بِقُرْبِهم مِنْ ساسَةِ البلادِ،أو بِتَقْدِيمِ العَوْنِ للمُتَآمِرِينَ،وأحْيَانًا فِي كَشْفِ مُؤامَراتِهِم للحُكَّامِ؛فَحِينَ وُلِّيَ بَادِيسُ(ت:٤٦٧هـ)[٢] وَكَثُرَ الخِلافُ حَوْلَ وِلايَتِهِ اتَّفَقَ رَأْيُ المُعارِضِينَ عَلَى قَتْلِه وَتَوْلِيَةِ ابنِ عَمِّهِ يَدِّيْرَ بنِ حُبَاسَةَ[٣] عِوَضًا عَنْهُ، وَفَشِلَتِ المؤامَرَةُ،وَهَرَبَ يَدِّيْرُ زَعِيمُ المُؤَامَرَةِ،إلا أَنَّ رِجَالاً مِنْ صِنْهاجَة ظَلُّوا يُخَاطِبُونَهُ،وَوَقَعَتْ بِيَدِ بادِيسَ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ إِلَى يَدِّيْرَ،تضمَّنتْ أزيَدَ مِنْ مِائَتَيْ رَجُلٍ مِنَ الأكابرِ فَغَضِبَ بَادِيسُ، وَهَمَّ بِقَتْلِهِمْ،وَشَاوَرَ وَزِيرَهُ اليَهُودِيَّ ابنَ نَغْرِيلَّةَ فِي الأمْرِ فَنَصَحَهُ أَنْ لا يُؤَنِّبَ أحَدًا، فَأَخَذَ بِمَشُورَتِه وَسَكَتَ عَنْهُمْ[٤].فَكَانَ اليَهُودِيُّ يَستَمِعُ إِلَى بادِيسَ وَيُشِيرُ عَلَيْهِ،فَيَأْخُذُ بادِيسُ بِرَأْيِهِ[٥].وَيَرْوِي الأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ كَثِيرًا مِنَ المُؤامَراتِ التِي قامَ بِهَا الأنْدَلُسِيُّونَ بِسَبَبِ تَوَلِّي ابْنِ نَغْرِيلَّةَ الوِزَارَةِ، وَبِجَانِبِهَا سِلْسِلَةٌ مِنَ المُؤامَراتِ التِي قامَ بِهَا مَعَ أَعْوَانِهِ،مِنْهَا مَثَلاً أَنَّهُ دَسَّ السُّمَّ لابنِ بَادِيسَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بُلُقِّين لَمَّا عَرَفَ نِيَّاتِهُ نَحْوَهُ وَرغْبَتَهُ فِي القَضاءِ عَلَيْهِ؛فَقَدْ كَانَ لِبَادِيسَ وَلَدٌ اسْمُهُ بُلُقِّين،وَكَانَ عَاقِلاً نَبِيلاً فَرَشَّحَهُ لِلأمْرِ بَعْدَهُ،وَلَقَّبَهُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ،وَكَانَ مُبْغِضًا لِهَذَا اليَهُودِيِّ رَاغِبًا فِي التَّخَلُّصِ مِنْهُ لأَنَّهُ تَكَلَّمَ فِيهِ عِنْدَ أَبِيهِ،فَبَلَغَ ذَلِكَ مِنَ اليَهُودِيِّ كُلَّ مَبْلَغٍ وَدَبَّرَ الحِيلَةَ عَلَيْهِ مَعَ زُعَماءِ مِنَ اليَهُودِ استَشَارَهُم فِي الأمْرِ ،فَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى بُلُقِّينَ ودَعاهُ إِلَى دَارِهِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ مِنْ رِجَالِهِ،فَلَبَّى الدَّعْوَةَ،فَقَدَّمَ لَهُ ولِرِجَالِهِ طَعَامًا وَشَرَابًا وَجَعَلَ السُّمَّ فِي كَأْسِهِ،فَرَامَ القَيْءَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ فَحُمِلَ إِلَى قَصْرِهِ فَقَضَى

---

١ – هُوَ:**عبدُ اللهِ بن بُلُقِّين** بنُ حَبُّوسَ؛ حفيدُ المُظَفَّرِ بَادِيسَ ملك غَرْنَاطَةَ،وَإِلَيْهِ آلتْ غَرْنَاطَةَ بعد وفاةِ جَدِّه، ومِنْ يده أخذها يُوسُفُ بنُ تَاشَفِينَ حِينَ استولى عَلَيها ملوك الطَّوَائِفِ. انْظُر :ابن سَعِيد"**المُغْرِب**"٢/١٠٨؛ابن الخَطِيب"**الإحَاطَة**"٣/٣٧٩– ٣٨١ .

٢ – هُوَ: **بَادِيسُ بنُ حَبُّوسَ** الزيريّ الصِّنْهاجِيُّ :(ابن خاقان كتبه حَيُّوسُ بياء بَعْدَ الحاء فِي الاسم الثاني) ويلقب بالحاجب المُظَفَّرِ بالله النَّاصِر. وَلِيَ غَرْنَاطَةَ مِنْ عام ٤٢٩هـ إِلَى ٤٦٧هـ وَقَالَ ابن الخَطِيب ٤٦٥هـ .استوزرَ بَادِيسُ وزيرَ والدِهِ اليَهُودِيَّ إِسْمَاعِيلَ ابنَ نَغْرِيلَّةَ، وبعد مَوْتِهِ اتَّخَذَ ابنَهُ يُوسُفَ وَزِيرًا كَذَلِكَ إِلَى أن ثارتْ عَلَيْهِ العَامَّةُ وقتلتهُ سَنَةَ ٤٥٩هـ . انْظُرْ: ابن خَاقَان"**قَلائِدُ العِقْيَانِ**" ق١،ج١/٨٠–٨١؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**"ق١،م٢/٦٥٦–٦٦٩؛ ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِيّ"**البَيان المُغْرِب**" ٣/٢٦٢–٢٦٧؛ ابن الخَطِيب "**الإحَاطَة**"١/٤٣٥– ٤٤٣؛ "**أَعْمَال الأعْلامِ**"ص٢٣٠– ٢٣٣؛ "**اللمْحَةُ البَدْرِيَّةُ**"ص٣١؛ ابن خَلْدُونَ"**تَارِيخُهُ**"٤/٢٠٦– ٢٠٨ .

٣ – هُوَ: **يَدِّير بن حُبَاسَةَ بن مَاكسَن**، ابن عمِّ بَادِيسَ ومِنْ أَشَدِّ المُعَارِضِينَ لَهُ . انْظُرْ: الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٣٢– ٣٣ .

٤ – انْظُرْ: الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٣٢ – ٣٣ .

٥ – وردَ مثلُ هَذَا فِي الحَدِيثِ عَنْ هُرُوبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ مُعَاوِيَةَ مِنَ الشَّامِ،فقِيلَ إِنَّهُ خَرَجَ مُتَخَفِّيًا فِي طَرِيقِهِ وَهَمُّهُ الأَنْدَلُسُ.فَوَصَلَ سَنَةَ ١٣٦هـ إِلَى إِفْرِيقْيَةَ عِنْدَ صَاحِبِهَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ حَبِيبٍ وَكَانَ عندَهُ يَهُودِيٌّ قَدْ خَدَمَ مَسْلَمَةَ بنَ عَبْدِ المَلِكِ، وَسَمِعَهُ يُحَدِّثُهُ بِخَبَرِ القُرَشِيِّ الذِي يَكُونُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَيَتَغَلَّبُ عَلَى الأَنْدَلُسِ،اسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ذُو ضَفِيرَتَيْنِ،فَنَظَرَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ،فَوَجَدَهُ بِضَفِيرَتَيْنِ،فَقَالَ لليَهُودِيِّ: وَيْحَكَ!هَذَا هُوَ المَذْكُورُ،وَأَنَا قَاتِلُهُ.فَنَصَحَهُ اليَهُودِيُّ أَنْ لا يفْعَلَ فَسَمِعَ نَصِيحَتَهُ، وَيرى السَّيِّد سَالِم أَنَّ القِصَّةَ مُلَفَّقَةٌ دُونَ أَنْ يذكر التلفيق فيها. انْظُرْ:ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**"٢/٦٠؛ السَّيِّد سَالِم "**تَارِيخ المُسْلِمِينَ وَآثَارهُمْ فِي الأَنْدَلُسِ**"ص١٧٧ .

نَحْبَهُ فِي غَدِ يَوْمِهِ،وَلَمْ يَعْلَمْ أَبُوهُ سَبَبَ مَوْتِهِ فَقَرَّرَ اللَّعِينُ عِنْدَهُ أَنَّ أَصْحَابَهُ وَبَعْضَ جَوَارِيهِ سَمُّوهُ، وَتَفَرَّقَ أَمْرُهُ،فَقَتَلَ بَادِيسُ مِنْ جَوارِي وَلَدِهِ وَمِنْ فِتْيَانِهِ وَبَنِي عَمِّهِ جَمَاعَةً كَبِيرَةً وَخَافَهُ مَنْ تَبَقَّى مِنْهُمْ فَفَرُّوا عَنْهُ،وَأَقْبَلَ بَادِيسُ عَلَى شُرْبِهِ لِيَتَسَلَّى بِهِ عَنْ مُصَابِهِ.وَصَارَتْ لِليَهُودِ صَوْلَةٌ عَلَى المُسْلِمِينَ بِدَوْلَتِهِ(١)،فَكَانَ لِلوزيرِ اليَهُودِيِّ دَوْرٌ وَاضِحٌ فِي المُؤَامَرَاتِ،كَمَا أَنَّ هَذِهِ الحَادِثَةَ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ يَهُودَ الأَنْدَلُسِ كَانُوا يَتَكَاتَفُونَ وَيَتَآمَرُونَ معَهُ،فَكَانُوا يَقْتَرِحُونَ عَلَيْهِ وَيُخَطِّطُونَ لَهُ .

وَبَعْدَ هَذِهِ الحَادِثَةِ تَقَرَّبَ اليَهُودِيُّ إِلىالأَمِيرِ مَاكْسَن،لكنَّهُ كَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَيْهِ،وَقَالَ لَهُ يَوْمًا: "أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ أَخِي؟" فَعَمِلَتْ هَذِهِ فِي نَفْسِ اليَهُودِيِّ.وَكَانَتْ أُمُّ مَاكْسَن تَتْرُكُ مُعَامَلَتَهُ، وَتَمِيلُ إِلى خَالٍ لَهُ يَهُودِيٍّ يُعْرَفُ بِأَبِي الرَّبِيعِ بنِ المَاطُونِيِّ،كَانَتْ تُخَاطِبُهُ كَثِيرًا وَتَطْلُبُ مِنْهُ مَالاً بِاسْمِ السَّلَفِ.فَغَارَ الوَزِيرُ لِذَلِكَ،وَعَمِلَ عَلَى طَلَبِ مَاكْسَن وَطَلَبِ أُمِّهِ وَحَاشِيَتِهِ،وَافْتَرَى عَلَيْهِمْ عِنْدَ بَادِيسَ،وَشَهِدَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ،مِمَّنْ نَقَمُوا عَلَى مَاكْسَن(٢)،حَتَّى جَعَلَتِ الأَنَفَةُ بَادِيسَ مِنْ مَكْرُوهِ مَا نُقِلَ إِلَيْهِ يَأمُرُ بِقَتْلِ أُمِّهِ وَدَايَاتِهِ(٣)وَبعْضِ مَنِ انْتَمَى إِليهِمْ .

وَلَمْ يَكْتَفِ اليَهُودِيُّ بِمُحَاوَلاتِهِ هَذِهِ تِجَاه أَبْنَاءِ بَادِيسَ،فَقَدْ ذَكَرَ الأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ مَنْ يَقِفُ فِي طَرِيقِهِ حَتَّى لَوْ كَانَ مِنْ بَنِي مِلَّتِهِ ومِنْ أَقَارِبِهِ اليَهُودِ؛فَقَتَلَ خَالَهُ غَدْرًا فِي مَنْزِلِهِ عَلَى الشَّرَابِ لِخِلافِهِ مَعَهُ؛وَأَعْطَى بَادِيسَ عَلَى ذَلِكَ مَالاً جَسِيمًا،لِئَلا يُثَرِّبَ عَلَيْهِ(٤)قَتْلَهُ. فَقَبِلَ السُّلْطَانُ ذَلِكَ مِنْهُ،وَوَدَّ لَوْ قَتَلَ كُلَّ يَومٍ يَهُودِيًّا،فَيُغْرِمَ عَلَيْهِ مالاً.وَسَعَى إِلَى إِقْنَاعِ بَادِيسَ بِنَفْيِ وَلَدِهِ مَاكْسَن، فَهَمَسَ فِي أُذنِهِ مَا جَعَلَهُ يَخَافُ عَلَى ابْنِهِ مَاكْسَن مِنَ المُؤَامَرَاتِ،وَأمر بِنَفْيِهِ عَنِ البَلدِ،وَوَجَّهَ مَعَهُ مِنْ عَبِيدِهِ مَنْ يُخْرِجُهُ عَنْ نَظَرِهِ كُلِّهِ.فَمَا كَانَ مِنَ اليَهُودِيِّ إِلا أَنْ وَصَّى العَبْدَ أَنْ يَصِلَ مَعَهُ إِلَى مَوْضِعٍ سَمَّاهُ،فَيَضْرِبَ فِيهِ عُنُقَهُ وَيَخْفِي أَمْرَهُ(٥).لكنَّ العبْدَ لَمْ يَفْعَلْ لاعْتِبَارَاتٍ خَاصَّةٍ عِنْدَهُ.

(ج) دَوْرُ أَطِبَّائِهِمْ فِي المُؤَامَرَاتِ .

تَقَرَّبَ أطباءُ اليَهُودِ مِنَ السَّلاطِينِ وَالقَادَةِ كَثِيرًا لِشُهْرَتِهِمْ فِي الطِّبِّ،لِذَا كَانُوا طَرَفًا يُوجَّهُ إِلَيْهِ الاتِّهَامُ فِي حَالاتٍ كَثِيرَةٍ تُوُفِّيَ فِيهَا بعضُ السَّاسَةِ وَعِلْيَةِ القَوْمِ فِي الأَنْدَلُسِ وَالمَغْرِبِ(٦) .

---

١ – انْظُرْ: الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٤٠؛ ابن عِذَارِي المَرَاكُشِي"**البَيَان المغْرب**" ٢٦٥/٣؛ ابن الخَطِيب "**الإحَاطَةُ**" ٤٣٤/١،"**أَعْمَال الأَعْلامِ**" ص٢٣٠– ٢٣٣ .

٢ – قِيلَ إِنَّ ماكْسَن كَانَ سَيِّئَ الطريقة،قليل البِرِّ،خَشِنَ الكلامِ،يَعِدُ النَّاسَ بالشرِّ،حَتَّى كرهَهُ أهلُ دولة أبيه وَأَبْغَضُوهُ.وَكَثُرَ عَلَيْهِ الطَّلَبُ عِنْدَ أَبيه . انْظُرْ: الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٤٨ .

٣ – دَاياته: جمع الداية، وَهي الظُّؤْرَةُ المُرْضِعة. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [ظأر] ٥١٦/٤ .

٤ – يُثَرِّبَ عَلَيْهِ: يؤَنِّبُهُ وَيُعَيِّرُهُ بِذَنْبِهِ، وَيُذَكِّرُهُ بِهِ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [ثرب] ٢٣٥/١ .

٥ – انْظُرْ: الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٤٨– ٤٩ .

٦ – انْظُرْ : مُحَمَّد ابن الخُوجَة "**يهودُ المَغْرِبِ العَرَبِيّ**" ص ٢٩ .

وَكَانَ فِي غَرْنَاطَةَ سَنَةَ ٥٢٢هـ مُوسَى بنُ مَفْرُوح[١] أحدُ كُتَّابِ أبِي عُمَرَ ينَالَه[٢] ألْقَى إلَيْهِ الأَمِيرُ ابنُ يَنَالَه كَثِيرًا مِنَ الأَعْمَالِ،فَدَسَّ إلَيْهِ يَهُودِيٌّ يَنْتَحِلُ الطِّبَّ سَقَاهُ السُّمَّ[٣].وَمِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ أحدَ كُتَّابِ ابنِ يَنَالَه كَانَ يَهُودِيًّا ذَا سُلْطَةٍ وَنُفُوذٍ عِنْدَهُ مِمَّا جَعَلَ إبْرَاهِيمَ بوتشيش يَتَّهِمُهُ بِتَدْبِيرِ جَرِيمَةِ الاغْتِيالِ السَّابِقَةِ[٤]،وَاتُّهِمَ المَدْعُوُّ خَالِدُ الذِي كَانَ عَامِلاً عِنْدَ أَبِي الحَجَّاجِ(ت:٧٩٣هـ)[٥] بالأَنْدَلُسِ بِأَنَّهُ أَعَدَّ السُمَّ لِقَتْلِ الحَجَّاجِ عَنْ طَرِيقِ طَبِيبٍ يَهُودِيٍّ اسْمُهُ يَحْيَى بنُ الصَّائِغِ، فَاكْتُشِفَتِ المُؤَامَرَةُ، فَقُتِلَ بِخَالِدٍ،وَحُبِسَ الطَّبِيبُ المَذْكُورُ فَذُبِحَ فِي مَحْبَسِهِ[٦].

٣- تَمَرُّدُهَمْ .

لَمْ يَكْتَفِ اليَهُودُ بِمُسَانَدَتِهِم للثائِرِينَ والمُتَمَرِّدِينَ فَحَسْب،بَلْ قَامُوا بِأَكْثَرَ مِنْ مُحاوَلَةٍ لِلتَّمَرُّدِ؛ فَيَذْكُرُ المَسِّيرِيُّ تَمَرُّدًا بين اليَهُودِ عَامَ ٢٠٢هـ فِي عَصْرِ الحَكَمِ الأَوَّلِ (١٧٩ - ٢٠٦هـ)،وآخَرَ فِي طُلَيْطِلَةَ عَامَ ٢١٢هـ،وَقَدْ قُضِيَ عَلَى هَذِهِ التَّمَرُّدَاتِ[٧].

وَيُخَصِّصُ الأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ حفيدُ بَادِيسَ فَصْلاً مِنْ مُذَكِّرَاتِهِ لِلحَدِيثِ عَنْ ثَوْرَةٍ لِليَهُودِ فِي أَلِيسَانَةَ[٨]، فيَذْكُرُ أَنَّهُ لمّا أُمِرَ بِبُنْيانِ السُّورِ المُتَّصِلِ بِالحَمْرَاءِ وَجَدَ البَنّاؤونَ قُمْقُومًا[٩] مَمْلُوءًا ذَهَبًا فِي الأَسَاسِ،وَكَانَتْ دَارُ أَبِي الرَّبِيعِ اليَهُودِيِّ الخَازِنِ لِلأَمْوَالِ فِي دَوْلَةِ جَدِّهِ بَادِيسَ مَبْنِيَّةً عَلَى الأَسَاسِ؛ فعُلِمَ أَنَّ هَذَا مِنْ مَالِهِ المَدْفُونِ،فَأَرْسَلَ وَرَاءَ ابنِهِ لِيُخْبِرَهُم عَنْ بَقِيَّةِ مَالِ وَالِدِهِ المَدْفُونِ. وَكَانَ صِهْرُهُ اليَهُودِيُّ ابنُ مَيْمُونَ عَامِلاً للأمِيرِ عَلَى يَهُودِ أَلِيسَانَةَ،وَكَانَ خَبِيثًا، وَوجسَتْ نَفْسُهُ مِنَ القِصَّةِ، وَخَشِيَ أَنْ يُعذَّبَ عَلَى مَالِ أَبِيهِ،فَوافَقَ عَلَى تَحْصِيلِ ذَهَبٍ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ أَلِيسَانَةَ بِاسْمِ التَّقْوِيَةِ، وَلَمْ تَجْرِ عَادَتُهُم عَلَى هَذَا النَّوْعِ مِنَ الضَّرَائِبِ؛ فَنَفَرَتْ لِذَلِكَ أنفُسُهُم، وَوَجَدَ ابنُ مَيْمُونَ السَّبِيلَ إِلَى إِغْرَائِهِمْ وَحَمَلَهُمْ عَلَى التَّمَرُّدِ، فَأَجَابُوهُ، وَرَفَعُوا السِّلاحَ؛ وَنَادَى فِيهِمْ أَنْ:"جِدُّوا،مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي

---

١ - هُوَ: **مُوسَى بنُ مَفْرُوح**، نَشَأَ بِمَدِينَةِ طَنْجَةَ وَتَأَدَّبَ بِإِشْبِيلِيةَ، وَصَفَهُ ابْنُ عِذاري بِأَنَّ لَهُ خَطًّا بَارِعًا،وَأَدَبًا صَالِحًا،وَنُفُوذًا فِي الحِسَابِ، وَكَانَتْ لَهُ نَفْسٌ ذَكِيَّةٌ وَهِمَّةٌ عَالِيَةٌ . انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِيّ"**البَيَان المُغْرِب**" ٤/٧٦-٧٧ .

٢ - هُوَ: **أبو عُمَرَ** ميمون بن ياسين **ينَالَه اللمْتُونِيّ** الوالي عَلَى غَرْنَاطَة وشرق الأَنْدَلُسِ مِنْ قبلِ عليٍّ بنِ يُوسُفَ،كان ظالمًا سَجَنَ الفُقَهَاءَ والعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ جيان ظُلْمًا وَاعْتِدَاءً، عَزَلَهُ الأَمِير بَعْدَ سَنَةٍ وَتِسْعَةِ أَشْهُرٍ، فَفَرَّجَ اللهُ بِعَزْلِهِ عَنِ المُسْلِمِينَ الغمَّةَ،وَكَانَ يُسَاعِدُهُ كَاتِبٌ يَهُودِيٌّ كَانَ كَذَلِكَ شؤمًا عَلَى النَّاسِ . انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**" ٤/٧٥- ٧٧؛ ابن عَبْد المَلِكِ المَرَّاكُشِيّ"**الذَّيْل وَالتَّكْمِلَة**" السفر الخامس ق١ ،ص٣٧٥، ٤١٥ .

٣ - انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**" ص ٤/٧٦- ٧٧ .

٤ - انْظُرْ: إبْرَاهِيم بوتشيش"**مَبَاحِثُ فِي التَّارِيخِ الاجْتِمَاعِيِّ لِلمَغْرِبِ وَالأَنْدَلُسِ،خِلالَ عَصْرِ المُرَابِطِينَ**"ص ١٠٨-١٠٩ .

٥ - هُوَ: **أَبو الحَجَّاجِ يُوسُفُ بنُ الغَنِيِّ بِاللهِ ابنِ الأَحْمَرِ**:أحد ملوك بني الأحمر بالأَنْدَلُسِ. انْظُرْ:ابن خَلْدُونَ"**تَارِيخُهُ**"٤/٢٢٣- ٢٢٤ .

٦ - انْظُرْ: ابن خَلْدُونَ"**تَارِيخُهُ**" ٤/٢٢٨ ؛ أَحْمَد النَّاصِرِيّ"**الاستِقْصَا**" ٤/٨١ . انتشرتْ هَذِهِ الاتهامات فِي المَغْرِبِ العَرَبِي أيضا؛فحِينَ حاول أحدُ المُلُوكِ فتحَ مَدِينَةَ آيت عتاب لَمْ تَقْبَلِ المَدِينَةُ أَنْ تَخْضَعَ لَهُ.وَاسْتَمَرَّتْ الحَرْبُ ثَلاثَةَ أَعْوَامٍ إِلَى أَنْ مَاتَ زعيمُ المُعارِضِينَ مَسْمُومًا عَلَى يَدِ يَهُودِيٍّ وَكَانَ ذَلِكَ بِإِيعَازٍ مِنَ المَلِكِ، فَصَارَتِ المَدِينَةُ فِي طَاعَتِهِ. انْظُرْ: الوَزَّان"**وَصْفُ إِفْرِيقِيا**" ص ١٩١ .

٧ - انْظُرْ: عبد الوَهَّاب المَسِّيرِيّ" **مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" ٤/٢٤٩ .

٨ - **أَلِيسَانَةَ** أَوْ اللُّسانة: مَدِينَةٌ أَنْدَلُسِيَّةٌ، كَانَتْ تسمى مَدِينَةُ اليَهُود. انْظُرْ: الإِدْرِيسِيّ"**نُزْهَةُ المُشْتَاقِ**" ٢/٥٧١

٩ - قُمْقُومًا: جَرَّةً . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [قمم] ١٢/٤٩٥ .

فِي حِمَايَةِ أَمْوَالِكُمْ!" وَافْتُضِحَ بِذَلِكَ ابنُ مَيْمُونَ. وَكَانَتْ قَدْ سَبَقَتْ لَهُ جِنَايَةٌ فِي قَتْلِ عَامِلٍ لِلأَمِيرِ يُسمَّى ابنَ أَبِي لُولا،فَامْتَنَعَتْ أَلِيسَانَةُ بِالْجُمْلَةِ،إِلى أن تَمَّ التَّفَاوُضُ مَعَهُمْ خَوْفَ أَنْ يَسْتَعِينُوا بِعَسْكَرِ ابنِ عَبَّادٍ لأَنَّ ابنَ مَيْمُونَ كَانَ يَفْتَخِرُ بِهِ،وَيُطْمِعُ بِهِ أَهْلَ أَليسَانَةَ،فكَانَتْ هُدْنَةٌ،وَحِينَ هَدَأَتِ الأُمُورُ كَانَ التَّخَلُّصُ مِنَ ابنِ مَيمُونَ يَسِيرًا عَلَى الأَمِيرِ[1].

وَلَعِبَتِ التَّجَمُّعَاتُ اليَهُودِيَّةُ أَحْيَانًا دَوْرًا وَاضِحًا فِي سِيَاسَةِ المُدُنِ التِي تَجَمَّعُوا فِيهَا؛فَثَارَ يَهُودُ أَلِيسَانَةَ عَلَى الأَمِيرِ عَبْدِ اللهِ،كَمَا أَشَرتُ،وَكَانُوا كَذَلِكَ أَوَّلَ مَنْ أَطَاعُوا يُوسُفَ بنَ تَاشَفِينَ عِنْدَمَا أَرْسَلَ لَهُمْ كُتُبًا يَدْعُوهُم فِيهَا لِعَدَمِ المُقَاوَمَةِ أَثْنَاءَ حِصَارِهِ مَمْلَكَةَ غَرْنَاطَةَ عَامَ ٤٨٣هـ[2]. وَكَانَ باستطاعَةِ يَهُودِ إِشْبِيلِيَةَ،أحيانًا،أَنْ يُثِيرُوا شَغَبًا بِالمَدِينَةِ خُشِيَ وبَالُهُ مَرَّةً، فَعَجَّلَ السُّلْطَانُ بِقُرْطُبَةَ إِنْفَاذَ وَلِدِهِ الحَاجِبِ سِراجِ الدولةِ إِلَى إِشْبِيلِيَةَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ مِنْ نُخْبَةِ عُلَمَائِهِ وَوُجُوهِ رِجَالِه وَمَعَهُمْ أَبُو الوَلِيدِ بنُ زَيْدُونَ(ت:٤٦٣هـ)[3]لِتَهْدِئَةِ العَامَّةِ[4]،وَكَانَ عِنْدَهُم مُخْتَصُّونَ لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِ اليَهُودِ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ؛فَابنُ زَيْدُونَ كَانَ مُقَدَّمًا فِي دَوْلَةِ ابنِ جَهْوَرَ لِلنَّظَرِ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ[5].

وَصَارَتْ هَذِهِ التَّجَمُّعاتُ اليَهُودِيَّةُ فِيمَا بَعْدُ أَمَاكِنَ عُزْلَةٍ لِلمُعارَضَةِ؛ فَحِينَ نَقَمَ المَنْصُورُ عَلَى القَاضِي ابنِ رُشْدٍ(ت:٥٩٥هـ) أَمَرَ بِأَنْ يُقِيمَ فِي أَلِيسَانَةَ،وَأَنْ لا يَخْرُجَ عَنْهَا، وَيُذْكَرُ بِجَانِبِ الخَبَرِ أَنَّ هَذِهِ البَلْدةَ كَانَتْ لِلْيَهُودِ[6]. وَكَانتْ لليَهُودِ فِي مَمَالِكِ النَّصَارَى مُحاولاتٌ للتَّمَرُّدِ كَذَلِكَ؛ فَيَذْكُرُ وِل دِيوَارْت(١٨٨٥-١٩٨١م) مَثَلاً أَنَّ عددَ اليَهُودِ الذين قَمَعَهُمْ أَلفُونْسُ السَّابِعُ[7] مَلِكُ لِيون وَقَشْتَالَةَ اثنانِ وَسَبْعُونَ أَلْفًا لَمَّا قَامَتْ بطُلَيْطِلَةَ سَنَةَ ٥٠١هـ حَرَكَةٌ مُنَاهِضَةٌ

---

١ – انْظُرْ : الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ١٣٠– ١٣٢ .

٢ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ص ١٤٨ .

٣ - هُوَ الشَّاعِرُ الأديب: **أبو الوليد** أحمد بن عبد الله **بن زَيْدُونَ** المخزومي الأَنْدَلُسِي القُرْطُبِيُّ (٣٩٤– ٤٦٣هـ)،وَكَانَ لَهُ مَعَ أَبِي الوليد ابن جَهْوَر تَأَلُّفٌ إِلَى أَنِ اعتُقِلَ وَزُجَّ بالسجن،فَاسْتَعْطَفَهُ بِكُلِّ مُمْكِنٍ فَلَمْ يُطْلِقْهُ.ففرَّ مِنْ سِجْنِهِ،وَانْتَقَلَ مِنْ قُرْطُبَةَ إِلَى المُعْتَضِدِ ابنِ عَبَّادٍ صَاحِبِ إِشْبِيلِيَّةَ سَنَةَ ٤٤١هـ فَجَعَلَهُ مِنْ خَوَاصِّهِ إِلَى أَنْ مَاتَ ٤٦١هـ،ثُمَّ حَظِيَ بِالمَكَانَةِ نَفْسِهَا مَعَ ابنه المُعْتَمِد.وَكَانَ وَالشَّاعِرُ ابن عَمَّارٍ كَفَرَسَيْ رِهَانٍ، فَكَانَا شَاعِرَيْ ذَاكَ الزَّمَانِ. وَلَهُ فِي وِلادة بنتِ المُسْتَكْفِي الشَّاعِرَةِ الرِّسَالَةُ المَشْهُورَةُ، وَلَهُ ديوانُ شِعْرٍ مَطْبُوعٍ مَعَ رَسَائِلِهِ . انْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: ابن خاقان"**قَلائِد العِقْيَانِ**" ق٢،ج١/٢٠٩–٢٤٨؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م١/٣٣٦–٤٢٨؛ الضَّبِّيّ"**بُغْيَة المُلْتَمِس**"١/٢٣٣؛ ابْن دِحْيَةَ"**المُطْرِب**"ص١٦٤–١٦٨؛ عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص١٠٥–١١٠؛ ابن الأَبَّارِ "**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ٢/١٥٩؛الصَّفَدِيّ"**الوافي بِالوَفَيَات**" ٧/٥٦–٦٢؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**"١/١٣٩–١٤١؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١/٦٣–٦٩؛"**رَايَات المُبَرِّزِين**"١٢١– ١٢٢؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"١٨/١٦٠، ٢٩٦؛المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٤/٢٤٣–٢٥٤، ٥/١٠٨، ٣٤٤–٣٤٦، ٦/٤٠–٤٦؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**"٢/١٧٠–١٧٢، ٣١٢–٣١٣، ٣٥٦ .

٤ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١، م ١/٤١٨ .

٥ – نَفْسُهُ ق١، م ١/٣٣٧ .

٦ – انْظُرْ : ابن أَبِي أُصَيْبِعَة "**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ص ٥٣٢ . كَأَنَّهُمْ أَرَادُوا بنفيه إِلَى بلدِ اليَهُود أَنْ يُعَاقِبُوهُ بِأَنْ يَعِيشَ وَسْطَ قَوْمٍ يَدِينُونَ بِغَيْرِ دِينِهِ، وَأَرَى فِي هَذَا إِيلامًا شَدِيدًا لَهُ وَاحْتِقَارًا لأفكارِهِ التي كَانَ يَرْغَبُ فِي نَشْرِهَا لِقَوْمِهِ المُسْلِمِينَ.

٧ – هُوَ : **أَلفُونْس** وَيُنْطَق أَلفُونْسُو وَأذفونشْ وَأَذْفُنْش وَهُوَ **ابن فرنلند**،مَلِك قَشْتَالَةَ وليون؛غالبًا مَا كَانَ يوصف بالطاغية لكثرة تصادمه مَعَ المُسْلِمِينَ فِي حروبهم،وَمِنْ أشهر المعارك التي يرد فِيهَا ذكره مَوْقِعَةُ الزَّلاقة سَنَةَ ٤٧٩هـ،انْتَصَرَ المُسْلِمُونَ فِيهَا وَهرب أَلفُونْسُ، وَكَانَتْ ملوك الطَّوَائِفِ يصالحونه وَيؤدُونَ إِلَيْهِ ضريبة انْظُرْ : ابن الأَبَّارِ "**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ٢/٢٤٩؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٥/٢٧– ٢٩، ٧/١١٦– ١٢٨؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/١٣، ٢٣؛ ابن الخَطِيب"**اللمْحَةُ البَدْرِيَّةُ**"ص ٥٦؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٦/١٢٠– ١٤٧ .

للسَّامِيَّةِ[١] . وَذكَرَ دِيوَارْت أَنَّ يَهُودَا بنَ عِزْرَا المُتَوَلِّي شُؤُونَ قَصْرِ أَلْفُونْسُ وَجَّهَ عَامَ ٥٤٣هـ قُوَّةً حُكُومِيَّةً مَلَكِيَّةً ضِدَّ اليَهُودِ الرَّائِيِّينَ[٢] فِي طُلَيْطِلَةَ، وَلا تُعْرَفُ تَفَاصِيلُ مَا حَدَثَ،لكِنَّ طَائِفَةَ اليَهُودِ الكبيرةَ ذَلِكَ الحِينِ لَمْ يَعُدْ يُسْمَعْ عَنْهَا خَبَرٌ[٣] .

٤ـ مُسَاعَدَتُهُمْ فِي تَسْلِيمِ بِلادِ المُسْلِمِينَ لِلنَّصَارَى .

وَكَانَ لِليَهُودِ وُجُودٌ واضِحٌ فِي مَمَالِكِ النَّصَارَى المُحيطَةِ بِالأَنْدَلُسِ،ولا يُوجَدُ فِي المَصَادِرِ العَرَبِيَّةِ مَا يؤكد أَنَّهم عَاوَنُوا النَّصَارَى فِي حَرْبِهِمْ مَعَ المُسْلِمِينَ[٤] إلا أَنَّ الأَحْدَاثَ التِي رَافَقَتْ مَعْرَكَةَ الزَّلاقَةِ تؤكدُ أَنَّ العَدِيدَ مِنْهُمْ بَقِيَ هُنَاكَ لِحِرَاسَةِ الحُصُونِ وَالقِلاعِ لِلنَّصَارَى، بِالإِضَافَةِ إِلَى تَأْكِيدِ أَلْفُونْسُ السَّادِسِ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى ابنِ تَاشَفِينَ بِأَنْ يَسْتَثْنِي يَوْمَ السَّبْتِ مَوْعِدًا لِمَعْرَكَةِ الزَّلاقَةِ لأَنَّهُ يَوْمُ عِيدٍ بِالنِّسْبَةِ لِليَهُودِ،فَلَوْ لَمْ يُشَارِكْ فِيهَا هَؤُلاءِ لاقْتَصَرتِ اسْتِثْنَاءَاتُهُ عَلَى يَوْمَيْ الجُمعَةِ وَالأَحَدِ. وينقُلُ إِبْرَاهِيمُ بوتشيش عن سلوش أَنَّ أَرْبَعِينَ أَلفَ مُقَاتِلٍ مِنَ اليَهُودَ شَارَكُوا فِي مَعْرَكَةِ الزَّلاقَةِ، لذا يُتَوَقَّعُ أَنْ يَكُونَ اليَهُودُ المَعْنِيُّونَ بِيَومِ السَّبْتِ هُمُ اليَهُودُ المُرَافِقُونَ لجيشِ أَلْفُونْسُ، وَحَاوَلَ بوتشيش إِعْطَاءَ البَرَاهِينِ للتَّأْكِيدِ عَلَى دَوْرِهِمْ هَذَا[٥] .

وَقَدْ يَكُونُ فِي اسْتِخْدَامِ مُلُوكِ النَّصَارَى لِعَدَدٍ مِنْهُمْ فِي السِّفَارَةِ[٦] دَلِيلٌ آخَرُ عَلَى مَكَانَتِهِمْ عِنْدَهم،وَحين قَدِمَ عَلَى المُعْتَمِدِ بنِ عَبَّاد(ت: ٤٨٨هـ)[٧] السَّفِيرُ اليَهُودِيُّ ابْنُ شَالِيبَ عَامَ ٤٧٨هـ

١ – انْظُرْ : وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ٥٤/١٤ .

٢ – الرَّائِيِّينَ: جَمَاعَةٌ متفلسفة مِنَ فُقَهَاءِ اليَهُودِ ظَهرت قَدِيمًا وكَانَتْ تُسَمَّى"الرَّائِيُّونَ" .

انْظُرْ : http://www.**palestinianforum**.net/forum/showthread.php?t=27143&page=2 .

٣ – انْظُرْ : وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ٥٥/١٤ .

٤ – ذهب بعضُ الباحثين إِلَى أَنَّ اليَهُودَ دَلُّوا النَّصَارَى عَلَى عوراتِ المُسْلِمِينَ وانقلبوا عليهم ويعلل ذَلِكَ بأنهم دائمًا يمشون فِي ركاب مَنْ غلب لتأمين مصالحهم وخدمة أهدافهم. انْظُرْ :رجب عبد الحليم"**العَلاقات بين الأَنْدَلُسِ الإِسْلامِيَّةِ وَإِسْبَانيَا النَّصْرَانيَّة**" ص٤٨٥ .

٥ – انْظُرْ : إِبْرَاهِيم بوتشيش "**مَبَاحِثُ فِي التَّارِيخِ الاجْتِمَاعِيِّ لِلمَغْرِبِ وَالأَنْدَلُسِ،خِلالَ عَصْرِ المُرَابِطِينَ**" ص ١٠٩ .

٦ – انْظُرْ فِي البَحْثِ : ص ٣٠ – ٣٣ .

٧ – هُوَ الملك:**المُعْتَمِدُ** عَلَى اللهِ أبو القَسْمِ مُحَمَّدٌ **بنُ المُعْتَضِدِ ابْنُ عباد**،مِنْ أشهر ملوك الطَّوَائِفِ، وقِيلَ أَنَّهُ كَانَ ملكًا جليلا وعالمًا وشاعرا، وأشعاره فِي الذروة العليا،وأشعار النَّاسِ فِيهِ كَثِيرَةٌ.ملك بعد وفاة أبيه عام ٤٦٤هـ،حكم فِي إِشْبِيلْيَةَ وَغرب الأَنْدَلُسِ، وَفرق أبناءه عَلَى قواعد الملك،وَكَانَ ملوك الطَّوَائِفِ يُسَالِمُونَهُ،وَيغلون فِي مرضاته،إلى أن ظهر يُوسُفُ بنُ تَاشَفِينَ فَخَلع جميع ملوك الطَّوَائِفِ، وَصار المُعْتَمِدُ كبيرهم أسيرا لديه فِي أغمات قرب مَرَّاكُش سَنَةَ ٤٨٤هـ إِلَى أن مات سَنَةَ ٤٨٨هـ فِي السجن بأغمات فبكاهُ جماعة مِنَ الشُّعَرَاءِ الذين كَانُوا يقصدونه بالمدائح ويجزل لهم المنائح. وَلِلمُعْتَمِدِ أَخْبَار كَثِيرَةٌ فِي كتب الأدب،وَمِنْهَا مَعَ زوجته أُمْ أولاده اعْتِمَادِ الرُّمَيْكِيَّةِ . انْظُرْ : ابن خَاقَان"**قَلائِد العِقْيان**"ق١،ج٥١/١– ١٠٩؛ ابْن دِحْيَةَ"**المُطْرِب**"ص٧ ،١٤–١٩؛ عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص١٠١–١٥٩؛ ابن سَعِيد "**رَايَات المُبَرِّزِين**"٤٦–٤٩؛ الذَّهَبِيّ "**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"١٩٤/١٥؛ الصَّفَدِيّ"**الوافِي بِالوَفَيَات**" ١٥١/٣–١٥٦؛ الكُتُبِيّ"**فَوَات الوَفَيَات**"١١٦/١–١١٧؛ ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلامِ**"ص ٢٤٤؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص٢٨٨؛ مَجْهُول"**الحُلَلُ المُوشّية**" ص٤٢؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**"٤١٩/١– ٤٢١، ٢٣/٦؛ ابن خَلْدُونَ "**تَارِيخُهُ**" ٢٠٣/٤؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٣٨٦/٢– ٣٩١؛أَحْمَد النَّاصِرِيّ"**الاسْتِقْصَا**" ٣٨/٢ .

لأخْذِ الجِزْيَةِ[١] ظَهَرَ فِي لَهْجَتِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى مَكَانَتِهِ العَالِيَةِ عِنْدَ مَنْ أَرْسَلَهُ،كَمَا أَنَّهُ كَانَ وَاثِقًا مِنْ مَكَانَتِهِ حِينَ قَالَ لِلمُعْتَمِدِ: "لا تَفْعَلْ،وَأَنَا أَقْتَدِي مِنْكَ بِزِنَتِي مَالاً".وَجَاءَ رَدُّ مَنْ أَرْسَلَهُ حِينَ سَمِعَ بِالحَادِثَةِ يؤَكِّدُ هَذِهِ المَكَانَةِ.وَرَسُولُ ابنِ عَبَّادٍ إِلَى النَّصَارَى ابنُ مِشْعَل كَانَ يَهُودِيًّا كَذَلِكَ[٢].

وتُظْهِرُ الكُتُبُ تَعَاوُنًا وَوُجُودًا وَاضِحًا لِليَهُودِ فِي مَمَالِكِ النَّصَارَى؛ فَألفُونْسُ السَّابِعُ أَحْسَنَ مُعَامَلَةَ اليَهُودِ،وَكَانَ يَسْتَخْدِمُ طَبِيبًا وخَازِنًا لِبَيْتِ المَالِ يَهُودًا،كَمَا أَنَّهُ أَهْدَى إِلَى يَهُودِ إِشْبِيلِيَةَ ثَلاثَةً مِنْ مَسَاجِدِ المُسْلِمِينَ لِيَجْعَلُوهَا مَعَابِدَ لَهُمْ.وَدَعَا المَلِكُ جِيمس الأَوَّلُ اليَهُودَ أَنْ يَسْتَوْطِنُوا مَيُورْقَةَ وقَطَلُونْيَةَ وبَلَنْسِيَةَ[٣]،وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَمْنَحُ المُسْتَوْطِنِينَ اليَهُودَ بُيُوتًا وَأَرَاضِيَ مِنْ غَيْرِ ثَمَنٍ،فَكَانَتْ لهم فِي بَرْشَلُونَةَ السَّيْطَرَةُ عَلَى التِّجَارَةِ فِي القَرْنِ الثَانِي عَشَر،وَكَانَ لَهُمْ نِصْفُ أَرَاضِيهَا الزِّرَاعِيَّةِ. أَمَّا بِدْرُو الثَّالِثُ Pedro فقدْ كَانَ وَزِيرُ الماليَّةِ عندَهُ يهُودِيًّا وَمَعَهُ كَثِيرٌ مِنَ المُوَظَّفِينَ اليَهُودِ[٤]، ويُؤَكِّدُ رِيمُونْد شَايِنْدلِين تَعَاوُنَ اليَهُودِ مَعَ النَّصَارَى وَهُمْ يَنْتَزِعُونَ السُّلْطَةَ مِنَ المُسْلِمِينَ مُعْتَمِدًا عَلَى أُمُورٍ عِدَّةٍ،مِنْهَا أَنَّهُمْ تَرَكُوا اليَهُودَ المَوْجُودِينَ فِي البَلاطَاتِ المُسْلِمَةِ فِي مَرَاكِزِهِمْ،كَمَا أَنَّهُم اسْتَقْبَلُوا الفَارِّينَ مِنَ اليَهُودِ إِلَى الشَّمَالِ بِالتَّرْحَابِ وَأَلْحَقُوهُمْ بِالبَلاطِ،وَيُرْجِعُ رِيمُونْد شَايِنْدلِين سَبَبَ هَذَا التَّعَاوُنِ إِلَى أَنَّهُمْ كَانُوا مَوْضِعَ ثِقَةِ النَّصَارَى أَكْثَرَ مِنَ المُسْلِمِينَ،وَكَانُوا عَلَى مَعْرِفَةٍ وَاسِعَةٍ بِالمَنَاطِقِ الَّتِي ينوي النَّصَارَى غَزْوَهَا،بالإِضَافَةِ إِلَى عَدَائِهِمْ لِلمُوَحِّدِينَ.وَكَانَتْ مَعْرِفَتُهُم بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ أَمْرًا لا يُسْتَغْنَى عَنْهُ لِلتَّعَامُلِ مَعَ الجَمَاهِيرِ النَّاطِقَةِ بِالعَرَبِيَّةِ مِمَّنْ غَدَوْا آنَذَاكَ تَحْتَ سَيْطَرَةِ النَّصَارَى،وَلِلتَّفَاوُضِ مَعَ المُسْلِمِينَ[٥].

كَمَا أَنَّ التَّبَدُّلَ السِّيَاسِيَّ المَقْرُونَ بِانْعِدَامِ الأَمْنِ وَالطمأنينة دَفَعَ جَمَاعَاتٍ مِنَ اليَهُودِ لِلرَّحِيلِ إِلَى الشَّمَالِ،وتؤكدُ هَذَا دِرَاسَاتُ اليَهُودِ أَنْفُسِهِمْ فَإِسْرَائِيل شَاحَاك يَقُولُ: "إِنَّ وَضْعَ اليَهُودِ تَدَهْوَرَ نَوْعًا مَا مَعَ قِيَامِ نِظَامِ المُرَابِطِينَ،وَأَصْبَحَ مَحْفُوفًا بِالمَخَاطِرِ بِظِلِّ نِظَامِ المُوَحِّدِينَ الشَّعْبِيِّ القَوِيِّ

---

١ – انْظُرْ مَجْهُول"**الحُلَلُ المُوَشِّيَة**" ص ٤٢؛ ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلامِ**"ص ٢٤٤ ؛ ابن خَلْدُونَ"**تَارِيخُهُ**" ٢٠٣/٤؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص ٢٨٨؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٤٢٠/١، ٢٣/٦؛ أَحْمَد النَّاصِرِيّ"**الاسْتِقْصَا**" ٣٨/٢ .

٢ – انْظُرْ: أحمد مختار العَبَّادِيّ"**تاريخ الأَنْدَلُسِ لابن الكَرْدَبُوس ووصفُهُ لابن الشَّبَّاط**"، صحيفة معهد الدِّرَاسَاتِ الإِسْلامِيَّةِ فِي مدريد: م١٣، ١٩٦٦، ص٨٩ .

٣ – **بَلَنْسِيَة:** بالسين المكسُورَة،مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ بالأَنْدَلُسِ شرقي تدمير وَقُرْطُبَةَ،وَبالقرب مِنْ طَرْطُوشَةَ،ذات أشجار وَأنهار.وَأهلها كَانُوا يُسَمَّوْنَ عَرَبَ الأَنْدَلُسِ،يَعْتَبِرونَهُمْ أَفْضَلَ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ وَفِي سَنَةَ ٦٣٦هـ ملك الروم بَلَنْسِيَةَ صُلْحاً،وَأَكْثَرَ أُدَبَاؤُهَا بُكَاءَهَا وَالتَّأَسُّفَ عَلَيْهَا نَظْمًا وَنَثْرًا . انْظُرْ: ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٤٥٠/٣؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٤٩٠/١ ؛الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص٩٧ – ١٠١؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ١٧٥/١– ١٧٨

٤ – انْظُرْ: وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ٥٥/١٤ .

٥ – انْظُرْ: رِيمُونْد شَايندلِين"**اليَهُود فِي إِسْبَانيَا المُسْلِمَةِ**" تَرْجَمَة: مَرْيَم عَبْدِ البَاقِي، بَحْثٌ في:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ" تَحْرِير:سَلْمَى الجَيُّوسِيّ١/ ٣١١ .

بَعْدَ ٥٤١هـ عَنْدَمَا نَزَحَ اليَهُودُ نَتِيجَةَ الاضْطِهَاد إِلَى المَمَالِكِ الإسْبَانِيَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ، حَيْثُ كَانَتْ قُوَّةُ المُلُوكِ مَا تَزَالُ ضَعِيفَةً"[١]. وَظَلَّ اليَهُودُ متَّهَمِينَ بِالتَّجَسُّسِ لِصَالِحِ النَّصَارَى حَتَّى بَعدَ هِجْرَتِهِم إِلَى المَغْرِبِ؛ فَاتُّهِمَ يَعْقُوبُ أَدِيف مِنْ يَهُودِ إسْبَانيَا بِالتَّجَسُّسِ لِصَالِحِ البُرْتُغَالِيِّينَ فَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوابَ مدينةٍ عَلَى حِينَ غَفْلَةٍ مِنْ أهلِهَا مُقابِلَ تَأمينِ قَوْمِهِ اليَهُودِ وحِمَايَةِ أَمْلاكِهِم[٢].

وَأَشَارَ الشِّعْرُ إِلَى تَعَاوُنُهِم؛**فَابنُ الأَبَّارِ القُضَاعِيّ**(ت:٦٥٨هـ)[٣]يَتَحَدَّث عَنْ سُقُوطِ الأَنْدَلُسِ بيدِ الأعْدَاءِ فِي سِينِيَّتِهِ المُوَجَّهَةِ إِلَى أَبِي زَكَرِيَّا الحَفْصِيّ(ت:٦٤٧هـ)[٤]،قَالَ فِيهَا[٥]: [البسيط]

يَـا لِلمَسَـاجِدِ عَـادَتْ لِلعِـدَا **بِيَعًـا** ... وَلِلنِّـداءِ غَـدَا أثْنَاءَهَـا **جَرَسَـا**

أَرَى فِي البَيْتِ إِشَارَةً إِلَى دَوْرِ اليَهُودِ فِي سُقُوطِ البِلادِ بِيَدِ النَّصَارَى؛فَالمَسَاجِدُ أَصْبَحَتْ بِيَعًا؛ وَالبيعُ هِيَ أماكنُ العبادةِ لِليَهُودِ،ثُمَّ يَتَحَسَّرُ الشَّاعِرُ عَلَى حَالِ المَدِينَةِ بِأَبْيَاتٍ مِنْهَا[٦]: [البسيط]

مَحَـا مَحَاسِـنَهَا طَـاغٍ أُتِـيحَ لَهَـا ... مَا نَامَ عَنْ هَضْمِهَا حِينًا وَلا نَعِسَا

ثُمَّ يُكْمِلُ وَصْفَهُ لِهَذَا الطاغي الذي مَحَا مَحاسنَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ، فِي قَوْلِهِ[٧]: [البسيط]

وَأَكْثَـرَ الـزَّعْمَ **بِالتَّثْلِيـثِ** مُنْفَـرِدًا ... وَلَـوْ رَأَى رَايَـةَ التَّوْحِيـدِ مَـا نَبَسَـا

صِلْ حَبْلَهَا أَيُّهَا المَوْلَى الرَّحِيمُ فَمَا ... أَبْقَـى المِـراسُ لَهَـا حَـبْلاً وَلا مَرَسـا

تَمْحُو الذي كَتَبَ **التَّجْسِيمُ** مِنْ ظَلَمٍ ... وَالصُّـبْحُ مَاحِيَـةٌ أَنْـوَارُهُ الغَلَسَـا

---

١ – إِسْرَائِيل شَاحَاك"**الدِّيَانَةُ اليَهُودِيَّةُ وَتَارِيخُ اليَهُود؛ وَطْأَة ٣٠٠٠عَامٍ**" ص ٩٨ . وَأَتَوَقَّعُ أَنَّهُ عَنَى بِالقُوَّةِ الضَّعيفةِ مُلوكَ النَّصارَى،فَقَدْ ذكرَ سَابِقًا أَنَّ نِظَامَ المُوَحِّدِينَ الشَّعْبِيَّ كَانَ قويًّا.وفي كَلامِهِ إشارَةٌ إِلَى أَنَّ طَائِفَةَ اليَهُودِ كَانَتْ تحتاجُ إِلَى نظام سياسي ضعيفٍ تَقْوَى وَتَزْدَهِرُ بِظِلِّهِ،بَيْنَمَا تضعف فِي ظِلِّ الأَنْظِمَةِ القَوِيَّةِ.

٢ – انْظُرْ:عَطَا رَيَّه"**اليَهُود فِي بِلادِ المَغْرِبِ الأَقصَى**"ص٦١ . نَقْلاً عَنْ :مَارْمُول كَرْبخَال (ت:٩٢٢هـ)"**أَفْرِيقْيَا**" ٩٢/٢ تَرْجَمَة:مُحَمَّد حجي وآخرون، دار المَعْرِفَة، المَغْرِب، ١٩٦٤م.

٣ – هو: أبو عَبْدُ اللهِ مُحَمَّدٌ **بنُ الأَبَّارِ القُضَاعِيّ**،وُلِدَ سَنَةَ ٥٩٥هـ.بَدَأَ حياتَهُ كَاتِبًا لَدَى حُكَّامِ بَلَنْسِيَةَ،ثُمَّ لابن أَبِي حَفْصٍ صاحب إِفْرِيقْيَةَ. وَحِينَ استغاث زَيَّانُ ابن مَرْدَنِيش بصاحب إِفْرِيقْيَةَ أَبِي زكريا أوفدَ عَلَيْهِ كاتبه ابن الأَبَّارِ هَذَا يستنجده وَيستصرخه لنصرة الأَنْدَلُسِ، وَأنشده سينيته التي قِيلَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يكن لَهُ مِنَ الشِّعْر إلا قَصِيدَته السينية لكان فِيهِ كفاية.وَلَمَّا تُوُفِّيَ ابن أَبِي حَفْصٍ خدم المُسْتَنْصِر وَقربه منه،غَيْرَ أَنَّهُ اتهمه بِأَنَّهُ يهجوه، فقتله وَأحرق كتبه،ثُمَّ أحرق جثته سَنَةَ ٦٥٨هـ. كَانَ فاضلا فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالتَّارِيخ وَملح الآداب، وَلَهُ "التَّكْمِلَة" وَ"مُعْجَم الصَّدَفِيّ" وَ"تُحْفَة القَادِم" وَ"إِعْتَاب الكُتَّابِ" وَ"الحُلَّة السِّيَراء فِي أشعار الأُمَرَاءِ ". انْظُرْ: ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**"١٤١/١– ١٤٢؛ ابن سَعِيد"**المُغْرِب**" ٣٠٩/٢–٣١٢؛الكُتُبِيّ"**فَوَات الوَفَيَات**"٣٧٤/٢–٣٧٦؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٣٣٤/٣– ٣٣٩، ٢٦٢/٥ – ٢٦٤، ٩١/٦ ، ٢١٥– ٢١٨، ٢٥٦، ٢٦٢– ٢٦٢؛ "**أَزْهَارُ الرِّيَاضِ**" ٢٠٤/٣– ٢٠٧ .

٤ – هُوَ سُلْطَان إِفْرِيقْيَةَ:**أبو زَكَرِيَّا** يَحْيَى بنُ عَبْد الوَاحِدِ بنُ **أَبِي حَفْصٍ**.مَوْلِدُهُ سَنَةَ ٦٢٠هـ، تَغَلَّبَ عَلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللهِ وَوَلِيَ مَكَانَهُ، وَكَانَ أَهْلُ الأَنْدَلُسِ يَخْطُبُونَ بِاسْمِهِ.تُوُفِّيَ عام ٦٤٧هـ فَتَوَلَّى الخِلافَة بَعْدَهُ ابنُهُ المُسْتَنْصِرُ بِاللهِ أَبُو عَبْدِ اللهِ (ت:٦٧٥هـ) قَاتِلُ ابنِ الأَبَّارِ.
انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١١٨/١ ،٢٢١؛ الكُتُبِيّ"**فَوَات الوَفَيَات**" ٦١٤/٢– ٦١٥؛ ابن الخَطِيب **اللمْحَةُ البَدْرِيَّةُ**"ص ٤٦؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٣٥/٦ ، ٨٥/٣؛ أَحْمَد النَّاصِرِيّ"**الاسْتِقْصا**" ٢٢٨/٢ .

٥ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**"٢١٦/٦،وانْظُرْ القَصِيدَةَ فِي:المَقَّرِيّ"**نَفْحُ الطِّيبِ**"٢١٥/٦– ٢١٨؛ ٢٠٧/٣– ٢١٠؛ "**أَزْهَارُ الرِّيَاضِ**"٢٠٥/٣ .

٦ – انْظُرْ القَصِيدَةَ فِي: المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢١٦/٦ – ٢١٧ .

٧ – نَفْسُهُ ٢١٦/٦ .

فَالطَّاغِي الذِي قَلَبَ أَحْوَالَ تِلْكَ البلادِ يَزْعُمُ "**التَّثْلِيثَ**" أَيْ مِنَ النَّصَارَى،لكنَّ المَمْدُوحَ حِينَ يَهُبُّ لِنَجْدَةِ هَذِهِ البِلادِ سَيَمْحُو "**التَّجْسِيم**" الذي عَمَّ البلادَ المَنْكُوبَةَ.وَحِينَ أَجْمَعُ هَذِهِ المُلاحَظَاتِ مَعَ مَعْنَى البَيْتِ السَّابِقِ الذِي يُوحِي بِأَنَّ المَسَاجِدَ تَحَوَّلَتْ إِلَى بِيَعٍ لِلْيَهُودِ يَتَرَجَّحُ لديَّ القَوْلُ بِأَنَّ المَعْرَكَةَ لَمْ تَكُنْ مَعَ زَاعِمِي"**التَّثْلِيث**" النَّصَارَى فَحَسْبُ،بَلْ هُنَاكَ عَدُوٌّ آخرُ فِي الأَبْيَاتِ وَهُمْ أَتْبَاعُ عَقِيدَةِ "**التَّجْسِيم**" الذين عَلا شَأْنُهُم بِسُقُوطِ المُسْلِمِينَ فِي تِلْكَ البِلادِ، وَهُمُ اليَهُودُ فِيمَا أَرَى .

وَكَمَا كَانُوا أَعْوَانًا وعُيُونًا لِجُيُوشِ النَّصَارَى مِنَ المُتَوَقَّعِ أَنْ يَعْمَلَ بَعْضُهُم عَلَى مُسَانَدَةِ جُيُوشِ المُسْلِمِينَ فِي الحَرْبِ الدَّائِرَةِ؛لكِنَّ المَصَادِرَ لَمْ تَأْتِ بِكَثِيرٍ فِي هَذَا المَوْضُوعِ،وَلا أَسْتَبْعِدُ مُشَارَكَةَ اليَهُودِ المُسْلِمِينَ فِي الحَرْبِ أَدِلاءَ أَوْ لاقْتِنَاءِ الأَسْرَى لِبَيْعِهِمْ رَقِيقًا بَعْدَ ذَلِكَ ولَيْسَ جِهَادًا بِالطَّبْعِ،وَلَنْ أَبْحَثَ فِي إِخْلاصِهِم أَوْ عَدَمِهِ مَا دَامَتِ المَصْلَحَةُ الاقتصاديةُ والمَنْفَعَةُ هِيَ الدَّافِعُ القَوِيُّ الذي يَتَوَقَّعُهُ أَيُّ باحث لِمِثْلِ هَذِهِ المشاركة.لكِنَّنِي لَمْ أَعْثُرْ إلا عَلَى إِشَارَةٍ واحِدَةٍ مَفَادُهَا أَنَّهُ فِي الجَوَازِ الرَّابِعِ لِلسُّلْطَانِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَنْدَلُسِ لِمُقَاتَلَةِ شَانْجَةَ سَنَةَ ٦٨٤هـ أَرْسَلَ أَحَدَ قَادَةِ المَغْرِبِ إِلَى الأَنْدَلُسِ غَازِيًا،ثُمَّ عَقَدَ لَهُ إِلَى إِشْبِيلِيَةَ لِيَكُونَ رَبِيئَةً(١) للمُعَسْكَرِ،وَبَعَثَ مَعَهُ لِذَلِكَ عُيُونًا مِنَ اليَهُودِ والمُعَاهِدِينَ يَعْرِفُونَ لَهُ أَخْبَارَ الطَّاغِيَةِ شَانْجَة(٢).

ثانيًا :- حُرِّيَّتُهُم وَالوَظَائِفُ الرَّسْمِيَّةُ التِي تَوَلُّوهَا فِي الأَنْدَلُس.

لَمْ تَذْكُرِ المَصَادِرُ الإِسْلامِيَّةُ مَعْلُومَاتٍ وَافِيَةً حَوْلَ الوَظَائِفِ الرَّسْمِيَّةِ التِي شَغَلَهَا الذِّمِّيّون فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ الإِسْلامِيَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ،وَلا يُوجَدُ بِهَا سِوَى بَعْضِ الإِشَارَاتِ المُتَنَاثِرَةِ هُنَا وَهُنَاكَ عَنْ حَالاتٍ فَرْدِيَّةٍ تَوَلَّى فِيهَا ذِمِّيٌّ عَمَلاً رَسْمِيًّا لِخَلِيفَةٍ مُسْلِمٍ مَعَ بَقَائِهِ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ أَوْ نَصْرَانِيَّتِهِ.وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ الأَمْرُ يَعُودُ إِلَى كَرَاهِيَّةِ المُجْتَمَعِ الإِسْلامِيِّ وَأَفْرَادِهِ أَنْ يَتَوَلَّى كِتَابِيٌّ أَوْ مُشْرِكٌ أَمْرًا مِنْ أُمُورِ **دُنْيَاهُمْ**.فَلَقَدْ حَذَّرَ الشَّرْعُ مِنْ تَعْيِينِ الذِّمِّيِّ فِي الوِلايَاتِ الإِسْلامِيَّةِ العَامَّةِ كَالخِلافَةِ وَوزَارَةِ التَّفْوِيضِ وَقِيَادَةِ المُقَاتَلَةِ،التِي يُشْتَرَطُ فِيمَنْ يَتَوَلاهَا الإِسْلامُ(٣)، لكِنَّهُم أَجَازُوا اسْتِعْمَالَ الذِّمِّيِّينَ فِي الأَعْمَالِ دُونَ الوِلايَاتِ العَامَّةِ،بِدَلِيلِ اسْتِعْمَالِ النَّبِيِّ ﷺ أَسْرَى بَدْرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ لِتَعْلِيمِ أَبْنَاءِ المُسْلِمِينَ الكِتَابَةَ؛فيُرجِعُ أندريه ميكيل نَجَاحَ الأُمَرَاءِ الأُمَوِيِّينَ فِي حُكْمِهِم،عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ، إِلَى اهْتِمَامِهِمْ بِأَنْ يَكُونُوا سَادَةً مُطْلَقِينَ دُونَ إِثَارَةِ فِكْرَةِ الأَقَلِّيَّاتِ أَوِ الأَجْنَاسِ أَوِ الطَّوَائِفِ(٤). وَلَمْ يَكُنْ هَذَا خَاصًّا بِفَتْرَةِ حُكْمِ الأُمَرَاءِ فَحَسْبُ، بَلِ اسْتَمَرَّتْ سِيَاسَةُ المُسَاوَاةِ بَيْنَ الطَّوَائِفِ حَتَّى فَتْرَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ،وَالدَّلِيلُ عَلَيْهَا صُعُودُ بَعضِ اليَهُودِ وَوُصُولُهُم إِلَى مَكَانَةٍ عَالِيَةٍ. فَحَظِيَ اليَهُودُ بِالأَنْدَلُسِ بِحالَةٍ مِنَ الحُرِّيَّةِ وَالازْدِهارِ وَالتَّسَامُحِ وأَصبحَتْ قِبْلَةَ اليَهُودِ فَتَقَدَّمُوا إِلَيْهَا بِهَيْئَةٍ لَفَتَتْ أَنْظَارَ أَهْلِ تِلْكَ العُصُورِ إِلَى حَدِّ أَنْ أَطْلَقُوا عَلَيْهَا اسْمُ "أُورْشَلِيم الجَدِيدَةِ"(٥) تَمَثَّلَتْ بِفَتَرَاتٍ ارْتَقَى فِيهَا بَعْضُهُمْ إِلَى سِدَّةِ الحُكْمِ فَشَارَكُوا فِي الوِزَارَةِ، وَحَمَلَتْ بَعْضُ الشَّخْصِيَّاتِ اليَهُودِيَّةِ لَقَبَ وَزِيرٍ،مِنْهُمْ حَسْدَاي ابنُ شَبْرُوط(٦)وَأَبُو الفَضْلِ بنُ حَسْدَاي وَأَبْنَاءُ نَغْرِيلَّةَ الأَبُ وَالابْنُ، وَثَمَّةَ شَخْصِيَّاتٌ يَهُودِيَّةٌ كَبِيرَةٌ أَحْرَزَتْ لَقَبَ صَاحِبِ الشُّرْطَةِ،مِنْهُم مُوسَى بنُ عِزْرَا (ت: ٥٣٢هـ)(٧).

---

١ – الرَّبِيئَةُ: العين والطَّلِيعَةُ الذي ينظر للقوم لئلا يَدْهَمَهُم عدُوٌ. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [ربأ] ٨٢/١ .

٢ – انظُرْ : ابن خَلْدُونَ"**تَارِيخُهُ**" ٢٧٥/٧ . أَحْمَد النَّاصِرِيّ"**الاسْتِقْصَا**" ٦١/٣ .

٣ – انظُرْ : الماوردي"**الأَحْكَام السُّلْطَانِيَّة**"ص١٦، ويعتمدُونَ فِي منعهم عَلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ **سُورَةُ المَائِدَةِ**، آية ٥١ .

٤ – انظُرْ : أندريه ميكيل"**الإِسْلامُ وَحَضَارَتُهُ**" ص ٢٢٨ .

٥ – انظُرْ: إِبْرَاهِيم العكش "**التَّرْبِيَةُ وَالتَّعْلِيمُ فِي الأَنْدَلُسِ**" ص ١٨٦؛ نقلا عن مُحَمَّد غَلاب "الفَلْسَفَةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي المَغْرِبِ" ص ١٩ .

٦ – هُوَ : **حَسْدَاي بِنْ شَبْرُوط** ، سَتَرِدُ تَرْجَمَةُ لَهُ فِي مَتْنِ البَحْثِ : ص 215 .

٧ – هُوَ الشَّاعِرُ اليَهُودِيُّ : **مُوسَى بن عزرا** مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَة، قِيلَ إِنَّهُ كَانَ شَقِيًّا فِي حَيَاتِهِ، مستغرقًا فِي هواه، لَهُ ديوانٌ كبيرٌ تَغَنَّى فِيهِ بالخمر وَالهوى وَالمسرة عَلَى طريقة شعراء العَرَبِ، وَلَهُ كتابان بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ حَوْلَ الشِّعْرِ العِبْرِيِّ "المُحَاوَرَة وَالمُذَاكَرَة" وَ"الحَدِيقَة فِي مَعْنَى المَجَازِ وَالحَقِيقَة".ضاع الأصل العَرَبِي لأحدهما وَلَمْ تبق إلا ترجمته العِبْرِيَّة .

وَالأسْبَابُ التِي دَفَعَتْ إِلَى تَوْلِيَةِ اليَهُودِ مثلَ هَذِهِ المَرَاكِزِ البَارِزَةِ فِي الدَّوْلَةِ الإسْلامِيَّةِ غَيْرُ واضحةٍ وُمُتَدَاخِلَةٌ؛لكنِ اجتَمعَتْ فِي اليَهُودِ أوَّلاً وَفِي السَّاسَةِ وَالحُكَّامِ ثانيا مُقَوِّمَاتٌ وَأسْبابٌ ساعَدَتْ كَثِيرًا فِي عُلُوِّ شَأنِ اليَهُودِ ووُصُولهم إِلَى قِمَّةِ الوِزَارَةِ،فامْتَازَ بَعْضُ اليَهُودِ بِشَخْصِيَّةٍ سِيَاسِيَّةٍ نَاجِحَةٍ تَمَيَّزَتْ بِذَكَاءٍ وَتَطَلُّعٍ كَبيرٍ لأعْلَى المَنَاصِبِ فِي الدَّوْلَةِ،كَمَا أنَّ انغماسَ الحُكَّامِ بالتَّرَفِ واللَّهْوِ وشُرْبِ الخَمْرِ وانشِغَالِهِمْ بِالنِّسَاءِ[1]كَانَ سَبَبًا آخَرَ،يُضَافُ إِلَى هَذَا خَوْفُ بَعْضِ الحُكَّامِ مِنَ العَرَبِ كَانَ سَبَبًا آخَرَ لتَقْرِيبِهِم،وَلأنَّ اليَهُودَ مِنْ أهْلِ الذِّمَّةِ لَمْ يَكُونُوا مُؤَهَّلِينَ لِلمُطَالَبَةِ بِالحُكْمِ،فَلَمْ يَخَفِ الحُكَّامُ مِنْ صُعُودِهِمْ كَخَوْفِهِم مِنَ العَرَبِ الطَّامِعِينَ فِي الحُكْمِ،كَمَا أنَّ الوَظَائِفَ التِي كَانُوا يُسْتَعْمَلُونَ عَلَيْهَا جَعَلَتْهُمْ وُسَطَاءَ فِي تَحْصِيلِ أمْوَالِ الدولةِ وسَدِّ العَجْزِ فِي الخَزِينَةِ، وَيَقُولُ ريمُونْد شَايِنْدلين: "إنَّ اليَهُودَ فِي البِلادِ المُجَاوِرَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ دُوَلٌ أوْ جُيُوشٌ مِمَّا قَدْ يُشَكِّلُ تَهْدِيدًا فِعْلِيًّا لِلدُّوَلِ المُسْلِمَةِ،يُضافُ إِلَى هَذَا أنَّ اليَهُودَ كَانُوا يَعْتَمِدُونَ عَلَى الحُكُومَةِ عَادَةً لِحِمَايَتِهِمْ مِنَ المُتَطَرِّفِينَ دِينِيًّا وَالعَامَّةِ،لِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ البَلاطِ ارْتِبَاطٌ طَبِيعِيٌّ"[2] .

وَلَخَّصَ ابنُ حَزْمٍ بعضَ هَذِهِ المُقَوِّمَاتِ بِدُعَائِهِ الذي بَدَأ بِهِ إحدى رسائلِهِ بقَوْلِهِ: "اللهُمَّ إنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ تَشَاغُلَ أهْلِ المَمَالِكِ مِنْ أهْلِ مِلَّتِنَا بِدُنْيَاهُمْ عَنْ إقَامَةِ دِينِهِمْ،وَبِعَمَارَةِ قُصُورٍ يَتْرُكُونَهَا

انْظُرْ :ربحي كمال"**دُرُوسٌ فِي اللُّغَةِ العِبْرِيَّةِ**" ص٤٩؛ ريمُونْد شَايندلِين"**اليَهُود فِي إسْبَانيَا المُسْلِمَةِ**" تَرْجَمَة: مَرْيَم عَبْدِ البَاقِي،بَحْثٌ في:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإسْلامِيَّةُ فِي الأنْدَلُسِ" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ١/٣٠٨،٣٠٥؛ وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ٩٩/١٤ ؛أنخل جُنْثَالِث بالنثيا "**تَارِيخُ الفِكْرِ الأنْدَلُسِيّ**"ص٤٩٨– ٤٩٩؛ أحمد شَحْلان "**مِنَ الأدَبِ العَرَبِيِّ– العِبْرِيّ؛ أبُو هَارُونَ مُوسى بن يَعْقُوب بن عِزرَة وكِتَابِهِ: المُحَاضَرَة وَالمُذَاكَرَة**"، مَجَلّة كُلِّيَّةِ الآدَاب وَالعُلُومِ الإنْسَانِيَّةِ بِالرِّبَاطِ، ع١٠، ١٩٨٤م ، ٦٥– ٧٥ .

١ – انْظُرْ: الأمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٨٥ ؛ ابن عِذَارِي المَرَاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٢٦٥/٣ .

٢ – ريمُونْد شَايندلِين"**اليَهُود فِي إسْبَانيَا المُسْلِمَةِ**" تَرْجَمَة: مَرْيَم عَبْدِ البَاقِي، بَحْثٌ في:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإسْلامِيَّةُ فِي الأنْدَلُسِ" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ١/ ٣٠٥ .

عَمَّا قَرِيبٍ عَنْ عَمَارَةِ شَرِيعَتِهِم اللازِمَةِ لَهُمْ فِي مَعَادِهِمْ وَدَارِ قَرَارِهِمْ،..حَتَّى اسْتَشْرَفَ لِذَلِكَ أَهْلُ القِلَّةِ وَالذِّمَّةِ،وَانْطَلَقَتْ أَلْسِنَةُ أَهْلِ الكُفْرِ وَالشِّرْكِ ...،كَاليَهُودِ الذِينَ لا يُحْسِنُونَ شَيْئًا مِنَ الحِيَلِ وَلا آتَاهُمُ اللهُ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ القُوَّةِ وَإِنَّمَا شَأْنُهُمُ الغِشُّ وَالتَّخَابُثُ وَالسَّرِقَةُ"[1].فضَعْفُ المُلُوكِ وَالحُكَّامِ بِجَانِبِ ذَكَاءِ وَمَكْرِ اليَهُودِ كَانَ مِنْ أَهمِّ أَسْبَابِ ارْتِفَاعِ شأنِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ .

وَقَدْ أَكَّدَ الأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ هَذِهِ الأَسْبَابَ بِقَوْلِهِ عن ابْنِ نَغْرِيلَّةَ:"وَكَانَ اليَهُودِيُّ مِنَ الكَيْسِ وَالمُدَارَاةِ لِلنَّاسِ مَا طَابَقَ الزَّمَانَ الذِي كَانُوا فِيهِ وَالقَوْمَ الذِينَ يَرُومُونَهُم.فَاسْتَعْمَلَهُ بَادِيسُ لِذَلِكَ اسْتِيحَاشًا مِنْ غَيْرِهِ،وَلِمَا كَانَ يَرَى مِنْ طَلَبِ بَنِي عَمِّهِ لَهُ،وَلأَنَّ هَذَا يَهُودِيٌّ ذِمِّيٌّ،لا تَشْرَهُ نَفْسُهُ إِلَى وِلايَةٍ،وَلا هُوَ أَنْدَلُسِيٌّ،فيَتَّقِي مِنْهُ إِدْخَالَ دَاخِلةٍ مَعَ غَيْرِ جِنْسِهِ مِنَ السَّلاطِينِ،وَلاحْتِيَاجِهِ إِلَى الأَمْوَالِ التِي يُطَبِّي[2]بِهِ بَنِي عَمِّهِ،وَيُحَاوِلُ بِهَا أَمْرَ المَلِكِ،لَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنْ مِثْلِهِ أَنْ يَجْمَعَ لَهُ مِنَ الأَمْوَالِ مَا يُدْرِكُ مَعَهَا الآمَالَ.وَلَمْ يَكُنْ لَهُ تَسَلُّطٌ عَلَى مُسْلِمٍ فِي حَقٍّ وَلا بَاطِلٍ،لأَنَّ الرَّعَايَا أَكْثَرَهُمْ بِتِلْكَ البَلْدَةِ،وَالعُمَّالُ إِنَّمَا كَانُوا يَهُودًا؛فَكَانَ يَجْبِي مِنْهُمُ الأَمْوَالَ وَيُعْطِيهِ؛..يَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا يَمْلأُ بِهِ بَيْتَ المَالِ؛وَإِقَامَةُ أَوَدِ المَمْلَكَةِ أَوْلَى بِهِ مِنْهُمْ"[3].يُضَافُ إِلَى هَذَا رَغْبَةُ السَّلاطِينِ فِي تَأْدِيبِ العَامَّةِ كَمَا حَدَثَ مَعَ عَبْدِ الحَقِّ المُرَيْنِيِّ(ت:٨٦٩هـ)[4]الذِي أَسْنَدَ مَنْصِبَ الوِزَارَةِ إِلَى اليَهُودِيَّيْنِ هَارُون وَشَاوِيل تَأْدِيبًا لِشَعْبِهِ وَتَشَفِّيًا مِنْهُمْ بَعْدَمَا نَمَا إِلَيْهِ أَنَّ العَامَّةَ وَكَثِيرًا مِنَ الخَاصَّةِ قَدْ نَقَمُوا عَلَيْهِ إِيقَاعَهُ بِالوَطَّاسِيِّينَ فَوَلَّى عَلَيْهِمُ اليَهُودِيَّيْنِ المَذْكُورَيْنِ[5].وَبَعْدَ مَذْبحَةِ غَرْنَاطَةَ لِليَهُودِيِّ وَأَتْبَاعِهِ،أَرْسَلَ بَادِيسُ فِي طَلَبِ عَامِلٍ قَدِيمٍ عِنْدَهُ هُوَ أَبُو الرَّبِيعِ النَّصْرَانِيِّ مِنْ دَانِيَةَ؛إِذْ كَانَ بِهَا مِنْ وَقْتِ قَتْلِ اليَهُودِيِّ،فَوَلاهُ[6]؛ وَبَدَّلَ بَادِيسُ الوَزِيرَ اليَهُودِيَّ المَذْبُوحَ بِوَزِيرٍ نَصْرَانِيٍّ انْتِقَامًا.

وَلَمْ يأْتِ القَوْلُ بِازْدِهارِ الجَمَاعَاتِ اليَهُودية بالأَنْدَلُسِ فِي المَصَادِرِ العَرَبِيَّةِ فَحَسْب،بَلْ تَرَدَّدَ هَذَا القولُ فِي كُتُبِ غَيْرِ العَرَبِ حَتَّى عِنْدَ اليَهُودِ أَنْفُسِهِمْ.فَأَشَادَ بِذَلِكَ جُوسْتَاف لُوبُون بِقَوْلِهِ إِنَّ إِسْبَانِيَا العَرَبِيَّةَ كَانَتِ البَلَدَ الأَوْرُوبِيَّ الوَحِيدَ الذِي تَمَتَّعَ اليَهُودُ فِيهِ بِحِمَايَةِ الدَّوْلَةِ وَرِعَايَتِهَا[7].

١ – ابن حَزْمٍ "**رَسَائِلُهُ**" ؛"رِسَالَة فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ النَّغْرِيلَّة اليهوديّ" ٣/٤١ – ٤٢ .

٢ – يُطَبِّي عن الأَمْر : يَصْرِفُهُ .   ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [طبي] ١٥/٣ .

٣ – الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص٣١– ٣٢ .

٤ – هُوَ السُّلْطَانُ: أَبو مُحَمَّدٍ **عَبْدُ الحَقّ** بنُ أَبِي سَعِيدٍ عُثْمَان **المُرَيْنِيّ** (٨٢٣– ٨٦٩هـ) آخِرُ مُلُوكِ بَنِي عَبْدِ الحَقِّ مِنْ بَنِي مُرَيْنَ، وَهُوَ أَطْوَلُهُمْ مُدَّةً وَأَعْظَمُهُمْ مِحْنَةً وَشِدَّةً .   انْظُرْ : أَحْمَد النَاصِرِيّ"**الاسْتِقْصا**" ٢/٩٥– ١٠٠ .

٥ – انْظُرْ :أَحْمَد النَاصِرِيّ"**الاسْتِقْصا**"٤/٩٨، وَلَمْ يَكُنْ عَبْدِ الحَقِّ حَالَةً شَاذة فِي تَوْلِيَةِ اليَهُودِ وَتَقْرِيبِهِمْ؛فَقَدْ أَسندَ قبلَه يُوسُفُ بن يعقوب ومِثْلُه حَفِيدُهُ سُلَيْمَانُ الحِجَابَةَ إِلَى اليَهُودِيَّيْن خليفة بنِ حَيُّونَ وَخَلِيفَة إِبْرَاهِيمَ أبناء رقَّاصَةَ .

انْظُرْ :إِسْمَاعِيل بن الأَحْمَر "**رَوْضَةُ النِّسْرِين**" ص٢١ ،٢٣ .

٦ – انْظُرْ : الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٦٦ .

٧ – انْظُرْ : جوستاف لوبون "**حضارة العرب**"ص ٢٩٦ .

وَيعترِفُ إِسْرَائِيلُ شَاحَاك أَنَّهُ لَمْ تَحْظَ الطَّائِفَةُ اليَهُودِيّةُ فِي أَيِّ بَلَدٍ آخَرٍ غَيْرِ إِسْبَانِيَا وَبُولَنْدَا بِسُلْطَاتٍ هَائِلَةٍ عَلَى اليَهُودِ،بِمَا فِي ذَلِكَ سُلْطَةُ الحُكْمِ(١). لكِنَّ الازْدِهارَ لَمْ يَدُمْ،وَيؤرِّخُ وِل دِيوْرَانت بِدَايَةَ تَدَهْوُرِ يَهُودِ إِسْبَانِيَا مِنْ سُقُوطِ الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ يُوسُفَ بنِ نَجْدلا [نَغْرِيلَّة] الذي جَمَعَ السُلْطَةَ كُلَّهَا فِي يَدِهِ(٢)،ثُمَّ جَاءَ المُوَحِّدُونَ فَخَيَّرَ الأَمِيرُ يُوسُفُ يَهُودَ إِسْبَانِيَا أَنْ يَعْتَنِقُوا الإِسْلامَ،أو يَرْحَلُوا.كَمَا خَيَّرَ المَلِكُ سِيزْيُوت القُوطِيُّ اليَهُودَ قَبْلَ خَمْسِمِائَةٍ وَخَمْسَةٍ وَثَلاثِينَ عَامًا مِنْ ذَلِكَ الوَقْتِ بَيْنَ التَّنَصُّرِ أَوِ الخُرُوجِ مِنَ البِلادِ، فَتَظَاهَرَ كَثِيرٌ مِنَ اليَهُودِ بِاعْتِنَاقِ الإِسْلامِ وَهَاجَرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ مَعَ النَّصَارَى إِلَى شَمَالِ إِسْبَانِيَا(٣).

وَخِلالَ وُجُودِ اليَهُودِ فِي المُجْتَمَعِ الأَنْدَلُسِيِّ ظَهَرَ لَهُمْ دَوْرٌ بارِزٌ فِي الحياةِ السِّيَاسِيَّةِ فِي نَوَاحٍ مِنْهَا الكِتَابَةُ وَالوِزَارَةُ وَالسِّفَارَةِ،وَفْقَ التَّفْصِيلِ التَّالِيَ :

١- فِي الكِتَابَةِ.

قَسَّمَ المَقَّرِيُّ مُمْتَهِنِي الكِتَابَةِ فِي الأَنْدَلُسِ إِلَى ضَرْبَينِ:أَعْلاهُمَا كَاتِبُ الرَّسَائِلِ،وَأَشْرَفُ أَسْمَائِهِ الكَاتِبُ.وَالثَّانِي كَاتِبُ الزِّمَامِ أَوْ كَاتِبُ الجِهْبَذَةِ،وَاشترطوا أَنْ لا يَتَوَلاهُ نَصْرَانِيٌّ أَوْ يَهُودِيٌّ البَتَّةَ؛ إِذْ هَذَا الشُّغْلُ نَبِيهٌ يَحْتَاجُ إِلَى صَاحِبِهِ عُظَمَاءُ النَّاسِ وَوُجُوهُهُمْ(٤).لِكِنْ لَمْ يَتَقَيَّدِ الأَنْدَلُسِيُّونَ بِهَذَا الشَّرْطِ،فَوَلَّوْا الكتابةَ يَهُودِيًّا ونَصْرَانِيًّا أحيانا،لِكنَّ العامَّةَ لَمْ تَكُن تَقْبَلُ هَذا بِسُهُولَةٍ؛فَفِيمَا يُروَى عَنِ الأَمِيرِ مُحَمَّدٍ(ت:٢٧٣هـ)(٥)أَنَّهُ أَقامَ القَوْمَسَ ابنَ أَنْتُنْيانَ النَّصْرَانِيَّ(٦)عَلَى الكِتَابَةِ عِنْدَهُ، حِينَ أَقْعَدَتْ سابِقَهُ عَبْدَ اللهِ بنَ أُمَيَّةَ(٧)عِلَّةٌ عَنِ الرُّكوبِ أَعْوَامًا،فلَمّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ، قَالَ الأَمِيرُ مُحَمَّدٌ: لَوْ أَنَّ القَوْمَسَ كَانَ مُسْلِمًا مَا اسْتَبْدَلْنَاهُ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الخَبَرُ أَشْهَدَ عَلَى إِسْلامِهِ،فَوُلِّيَ الكِتَابَةَ. فَعَابَ عَلَيْهِ وَزِيرُهُ هَاشِمُ(٨)ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "إِنَّ مِنْ عَجَائِبِ الزَّمَانِ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ قَلَمِ بَنِي أُمَيَّةَ الأَعْلَى وَكَاتِبُهُمُ القَوْمَسَ النَّصْرَانِيّ، فَالمُشْتَكى مِنْ هَذَا إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.فَمَا كَانَ مِنْهُ إلا أَنْ غَيَّرَهُ مَعَ أَنَّه كَانَ يَأْوِي

---

١ – انْظُرْ : إِسْرَائِيل شَاحَاك"**الدِّيَانَةُ اليَهُودِيّة وَمَوْقِفُهَا مِنْ غَيْرِ اليَهُودِ**" ص١٠٢– ١٠٣ .

٢ – انْظُرْ : وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ٥٣/١٤ .

٣ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٥٤/١٤ .

٤ – انْظُرْ :المَقَّرِيّ"**نَفْح الطِّيبِ**"٢٠٨/١،وانْظُرْ حُكْم اسْتِكْتَابِ أَهْلِ الكِتَابِ:مَجْهُول"**مِنْهَاج الصَّوَابِ فِي اسْتِكْتَابِ أَهْلِ الكِتَابِ**"ص٢٥–٣٩.

٥ – هُوَ الأَمِير : **مُحَمَّدُ بن عبد** الرَّحْمَنِ **بن الحكم** ،خامس أمراء بَنِي أُمَيَّةَ فِي الأَنْدَلُسِ. انْظُرْ : ابن حَيَّان"**المُقْتَبَس**"ص١٠٢– ١٣٤ .

٦ – هُوَ : **القَوْمَس ابن أَنْتُنْيانَ النَّصْرَانِيُّ**، كاتب الرسائل للأمير مُحَمَّدٍ، وهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ لِكُتَّابِ السُّلْطَانِ وَأَهْلِ الخِدْمَةِ تَعْطِيلَ الخِدْمَةِ فِي يَوْمِ الأَحَدِ مِنَ الأُسْبُوعِ وَالتَّخَلُّفَ عَنْ الحُضُورِ إِلَى قَصْرِ الأَمِيرِ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا دَعَا إِلَى ذَلِكَ لِنُسْكِهِ فِيهِ، فَتَبِعَهُ جَمِيعُ الكُتَّابِ طَالِبِينَ الاسْتِرَاحَةَ مِنْ تعَبِهِم وَلِلنَّظَرِ فِي أُمُورِهِم فَأَصْبَحَتْ سَنَةَ . انْظُرْ : ابن حَيَّان"**المُقْتَبَس**"ص ١٣٨ ، ١٤٢ .

والقَوْمَسُ:المِلك الشريف أو السَّيِّد وهو لقب لرجل الدين عِنْدَ النَّصَارَى . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [قمس] ١٨٣/٦ .

٧ – هُوَ: **عَبْدُ اللهِ** بنُ أُمَيَّةَ بنُ يَزِيدَ **بنُ حَوْثَرَةَ** مولى مُعَاوِيَةَ بنِ يَزِيدَ بنِ عَبْدِ المَلِكِ. انْظُرْ : ابن حَيَّان"**المُقْتَبَس**"ص ٣١ .

٨ – هُوَ الوَزِير : **هاشم بن** عَبْد العَزِيزِ ، يُكنى أَبَا خالد أخو القاضي أَسْلَم بنِ عَبْدِ العَزِيزِ ، معروف بفضله وأدبه وذكائه الشديد وفطنته، عملَ عِنْدَ الأَمِير مُحَمَّدٍ السابق ذكره ، وَكَانَ يُرَاجِعُ وَيُدَقِّقُ حِسَابَاتِ العُمَّالِ .

انْظُر : ابن حَيَّان"**المُقْتَبَس**"ص ١٣٥– ١٥١؛ الضَبِّيّ"**بُغْيَة المُلْتَمِس**" ٦٥٢/٢؛ابن الأَبَّار"**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ١٣٧/١– ١٤٢ .

إِلَى عَقْلٍ ثَقِيفٍ مَعَ بَلاغَتِهِ وَقِيَامِهِ بِالخِدْمَةِ"[١] .وَيُفْهَمُ مِنَ الرِّوايَةِ أَنَّهم لَمْ يُوَلُّوا عَلَى هَذِهِ الوَظِيفَةِ إلا مُسلِمًا لذا كَانَ قَولُ الأَمِيرِ :"لَوْ أَنَّ القُومَسَ كَانَ مُسْلِمًا مَا اسْتَبْدَلْنَاهُ"، فأسلَمَ حَتَّى يَتَوَلاهَا،وَمَعَ أَنَّهُ أَعْلَنَ إسْلامَهُ إلا أَنَّهُم ظَلُّوا يَشْتَكُونَ مِنْ تَوْلِيَتِهِ.وَلَمْ يَشْتَرِطُوا إسْلامَهُ فِيمَا بَعْدَ فَوُلِّيَ إسْمَاعِيلُ بنُ نَغْرِيلَّةَ وابنُهُ يُوسُفُ مَثَلاً مَعَ احْتِفَاظِهِمْ بِدِينِهِمْ[٢] .

٢- فِي الوِزَارَةِ وَالسِّفَارَةِ .

لَمْ يَكْتَفِ اليَهُودُ بدَوْرِهِمُ النَّشِيطِ بِصِفَتِهِم مُسْتَشَارِينَ وَسُفَرَاءَ فِي الأَنْدَلُسِ[٣] بَلْ وَصَلُوا إِلَى رِئَاسَةِ الوِزَارَةِ،مِنْهُمُ الطَّبِيبُ اليَهُودِيُّ حَسْدَاي بنُ شَبْرُوطَ الذي سَطَعَ نَجْمُهُ فِي عَهْدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ(٣٠٠-٣٥٠هـ)[٤]،فَذَكَرَ ابنُ عِذَارِي أَنَّ النَّاصِرَ أَرْسَلَهُ مَعَ مُحَمَّدٍ بنِ حُسَيْنَ سَنَةَ ٣٤٥هـ إِلَى أُرْدُونَ بنِ رُدْمِيرَ مَلِكِ جِلِّيقِيَّةَ[٥]،يَعْرِضُ عَلَيْهِ الصُّلْحَ[٦] .إلا أَنَّ ابنَ عِذَارِي وَغَيْرَهُ لَمْ يذكُرُوا سِفَارَاتٍ أُخْرَى لهُ،مع أَنَّ فَتْرَةَ عَمَلِهِ (٣٣٣ـ ٣٥٩هـ) شَهِدَتْ سِفَارَاتٍ عَدِيدَةً لِعَدَدٍ مِنْ دُوَلِ أُورُوبَّا[٧] .

وأَرَاهُ غَرِيبًا أَنْ لا يُذْكَرَ ابنُ شَبْرُوط بَيْنَ هَذِهِ السِّفارَاتِ وقَدِ امتَلَكَ كَثِيرًا مِنْ مُقَوِّمَاتِ السِّفَارَةِ، فَهُوَ الوَزِيرُ الأَثِيرُ عِنْدَ النَّاصِرِ ،كَمَا أَنَّهُ يَعْرِفُ عِدَّةَ لُغَاتٍ. وَذَكَرَ السَّيِّدُ سَالِم أَنَّ النَّاصِرَ أَرْسَلَهُ فِي مَهمَّةٍ دُبْلُومَاسِيَّةٍ عِلاجِيَّةٍ إِلَى المَلِكَةِ طُوطَةَToda Aznares(٢٧١-٣٥٩هـ)[٨] الوَصِيَّةِ عَلَى عَرْشِ نَفَارَة Navarra لِمُعَالَجَةِ حَفِيدِهَا شَانجَةَ السَّمِينِ The fat Sancho (٣١٢-٣٥٩هـ) مِنْ سُمْنَتِهِ المُفْرِطَةِ

---

١ – انْظُرْ : ابن القوطية "**تَارِيخُ افْتِتَاحِ الأَنْدَلُسِ**"ص ٩٥ ؛ انْظُرْ : ابن حَيَّان"**المُقْتَبَس**" ص ١٤٢ .

٢ – سيَرِدُ حَدِيثٌ طَوِيلٌ عَنْهُمْ. انْظُرْ فِي البَحْثِ : ص ٢٧٨ – ٢٨٩ .

٣ – انْظُرْ: ج. س. كُولان "**الأَنْدَلُس**" ص٩٦– ٩٧ .

٤ – هُوَ الخَلِيفَةُ:أبو المُطَرِّفِ **عَبْدُ الرَّحْمَنِ** بن مُحَمَّدٍ بن عبد الله المَرْوَانِيّ (٣٠٠– ٣٥٠هـ)لَقَّبَ نَفْسَهُ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ **النَّاصِرَ** لِدِينِ اللهِ. وَكَانَ كبير القَدْرِ كثير المحاسن أَنْشَأَ مدينته الزهراءعام ٣٢٥هـ، وكَانَتْ دولته خمسين سنة. انْظُرْ : الضَبِّيّ"**بُغْيَة المُلْتَمِس**" ١/ ٣٩؛ ابن الأَبَّار"**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ١/١٩٧– ٢٠٠؛ ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**" ٢/١٥٦– ٢٢٣؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١/١٧٩– ١٨٦؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"٨/٢٦٥– ٢٦٩؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ١/٣٤٨– ٣٦٥؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ١/ ٢٤٨ ، ٢/ ٣– ٥ .

٥ – **جِلِّيْقِيَّة:** بكسرتين وَاللام مشددة وَياء ساكنة وَقاف مكسُورَة وَياء مشددة وَهاء،مَدِينَةٌ قرب ساحل البحر المحيط مِنْ ناحية الشمال الغربي للأندلس. انْظُرْ : يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٢/ ١٥٧؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص١٦٩ .

٦ – انْظُرْ : ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٢/ ٢٢١ .

٧ – مِنْ هَذِهِ السِّفَارَاتِ:جَاءَتْ رُسُلُ قُسْطَنْطِينَ بن لِيُون صَاحِبِ قُسْطَنْطِينَةَ سَنَةَ ٣٣٦هـ،وَاحْتَفَلَ النَّاصِرُ لِقُدُومِهِمْ وَبَعَثَ مَعَهُمْ رَسُولاً، وَرَجَعَ الرَّسُولُ بَعْدَ سَنَتَيْنِ وَمَعَهُ رُسُلُ قُسْطَنْطِينَ،وَجَاءَتْ رُسُلٌ مِنْ هُوتُو مَلِكِ الصَّقَالِبَةِ سَنَةَ ٣٤٢هـ،وَرَسُولٌ آخرُ مِنْ مَلِكِ الألمان، وَرَسُولٌ آخرُ مِنْ أُوقه مَلِكِ الإِفْرَنْجَةِ،وَآخرُ مِنْ كذلَة مَلِكِ الإِفْرَنْجِيَّةِ بِقَاصِيَةِ المَشْرِقِ،وَبَعَثَ مَعَ رُسُلِ الصَّقَالِبَةِ رَبِيعًا الأُسْقُف إِلَى مَلِكِهِمْ هُوتُو وَرَجَعَ بَعْدَ سَنَتَيْنِ ،وَجَاءَ رَسُولُ أَرْدُون سَنَةَ ٣٤٤هـ يَطْلُبُ السِّلْمَ فَعَقَدَ لَهُ ثُمَّ بَعَثَ سَنَةَ ٣٤٥هـ يَطْلُبُ إِدْخَالَ فِرْذلَنْد قُومِس مشتيلة فِي عهده فَأُذِنَ لَهُ . انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**" ٢/٢١٥، ٢١٨؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ١/ ٣٥٠

٨ – هُمَا: **طُوطة** مَلِكَةُ البشكنس بِنْبَلُونَةَ(شرق ليون)،وَحَفِيدُهَا **شَانجَةَ** مَلِكُ ليون، لَمَّا هَلَكَ غَرْسِية بنُ شَانجَةَ مَلِكُ البشكنس قَامَ بِالأَمْرِ بَعْدَهُ أُمُّهُ طُوطَةَ وكفلت وَلَدَهُ ثُمَّ انتفضت عَلَى النَّاصِرِ سَنَةَ ٣٢٥هـ،فغزا النَّاصِرُ بلادها وردَّ مَمْلَكَتَهَا لِحُكْمِهِ،ثُمَّ انتقض عَلَى شَانجَةَ أَهْلِ جليقية، فَلَجَأَت طُوطَةَ إِلَى النَّاصِرِ وَجَاءَتْهُ للصلح سَنَةَ ٣٤٧هـ فعقد لابنها غَرْسِية عَلَى بنبلونة،وَأَعَادَ حفيدَهَا شَانجَةَ إِلَى مُلْكِهِ وَنَصْرِهِ عَلَى عَدُوِّهِ. انْظُرْ : المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ١/٣٤٨ – ٣٥١ .

فَنَجَحَ فِي مَهَمَّتِهِ،وَكَانَ لِذَلِكَ أَطْيَبُ الأَثَرِ فِي نَفْسِ المَلِكَةِ طُوطَةَ وَحَفِيدِهَا، كَمَا يَرَى السَّيِّدُ سَالِم،فَوَفَدَا إِلَى قُرْطُبَةَ سَنَةَ ٣٤٧هـ(١) يَلْتَمِسَانِ مِنَ الخَلِيفَةِ أَنْ يُسَاعِدَ شَانجَةَ عَلَى اسْتِرْجَاعِ عَرْشِهِ،فَاسْتَقْبَلَهُمَا النَّاصِرُ اسْتِقْبَالاً حَافِلاً،وَعَقَدَ الصُّلْحَ لِشَانجَةَ وَجَدَّتِهِ وَسَاعَدَهُ حَتَّى اسْتَرَدَّ عَرْشَ لِيون سَنَةَ ٣٤٩هـ(٢). وَكَانَتْ سِفَارَةُ حَسْدَاي كَثِيرَةَ الأَهْدَافِ حَتَّى إِنَّهُ عَمِلَ عَلَى رِعَايَةِ مَصَالِحِ المُجْتَمَعِ اليَهُودِيِّ عَامَّةً.وهَذَا وَاضِحُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى هيلينَا زَوْجَةِ الإِمْبَرَاطُورِ قُسْطَنْطِينَ، يَطْلُبُ مِنْهَا حِمَايَةَ يَهُودِ بِيزَنْطَةَ مِنَ الاضْطِهَادِ(٣).ولِنَجاحِهِ في السِّفَارَةِ تَرَقَّى وَقَرَّبَهُ النَّاصِرُ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى رِئَاسَةِ الوِزَارَةِ .

وَلَمْ يكنْ حَسْدَاي اليَهُودِيَّ الوحيدَ الذي عَمِلَ فِي السِّفَارَةِ؛فقدْ أُرْسِلَ اليَهُودِيُّ إِبْرَاهِيمُ بنُ يَعْقُوبَ إِلَى أَوْرُوبَّا بِمَهَمَّةٍ دِبْلُومَاسِيَّةٍ إِلَى الإِمْبَرَاطُورِ أُوتُو الأَوَّلِ(٤)،وكَذَلِكَ بَلَغَ أَبُو الفَضْلِ بنُ حَسْدَاي مَكَانَةً عَالِيَةً لدى مُلُوكِ بَنِي هُودَ الثَّلاثَةِ: المُقْتَدِرِ(٤٣٨هـ- ٤٧٣هـ)وَالمُؤْتَمِنِ(٤٧٣هـ- ٤٧٧هـ) وَالمُسْتَعِينِ(٤٧٧- ٥٠٣هـ)(٥)فِي سَرَقُسْطَةَ(٦)،وَعَمِلَ يُوسُفُ بنُ الفَخَّارِ اليَهُودِيُّ سَنَةَ ٥٨٧هـ رَسُولاً عَنْ مَلِكِ قَشْتَالَةَ فِي تَثْبِيتِ المُهَادَنَةِ مَعَ المَنْصُورِ(ت:٥٩٥هـ)(٧)بَعْدَ ظَفَرِهِ بِإِشْبِيلِيَةَ(٨)، وَفِي رِسَالَةٍ للوَزِيرِ أَبِي المُغِيرَةِ بنِ حَزْمٍ (ت:٤٣٨هـ)(٩) تحدَّثَ عن يَهُودِيٍّ أوصَلَ كتابًا لَهُ(١٠). وكَذَلِكَ سَادَ إِبْرَاهِيمُ بنُ الفَخَّارِ اليَهُودِيُّ(١)في طُلَيْطِلَةَ وَصَارَ

---

١ – قُدُومُهُمَا للناصر كَانَ عَامَ ٣٤٤هـ عِنْدَ المَقَّرِيّ، لكن السَّيِّدَ عَبْدَ العَزِيزِ سَالِم يذكر أَنَّهُ عَامَ ٣٤٧هـ مَعَ أَنَّ مرجعه المَقَّرِيّ، وبحثتُ فِي المَقَّرِيّ وغَيْرِهِ مِنَ المراجع العَرَبِيَّةِ عن معالجة ابْن حَسْدَاي لشَانجَةَ السَّمِين فَلَمْ أَعثرْ عَلَيْهَا .

٢ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٣٤٩/١، ٣٥١؛ ابن خَلْدُونَ"**تَارِيخُهُ**" ١٨٠/٤–١٨٢؛ السَّيِّد عَبْد العَزِيز سَالِم"**قُرْطُبَةُ حَاضِرَةُ الخِلافَةِ فِي الأَنْدَلُسِ**"ص ٧٠ ؛ Reinhart Dozy "**Spanish Islam**" p 437, 442

http://www.**spain-barcelona**.com/general/history/f-reconquest.htm

٣ – انْظُرْ:" رِيمُونْد شَايندلِين "**اليَهُود فِي إِسْبَانيَا المُسْلِمَةِ**" تَرْجَمَة:مَرْيَم عَبْدِ البَاقِي، بَحْثٌ فِي:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ" تَحْرِير: سَلْمَى الجَيُّوسِيّ١/ ٣٠٤ .

٤ – انظُرْ: رُوبَرْت هيلِنْبَراند "**زِينَةُ الدُّنْيَا:قُرْطُبَةُ القَرُوسطِيَّةُ**" تَرْجَمَة: عَبْد الوَاحِدِ لُؤْلُؤَة، بَحْثٌ فِي:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ" تَحْرِير:سَلْمَى الجَيُّوسِيّ١/ ١٩٧– ١٩٨ ؛ زيغريد هُونكَة "**شَمسُ العَرَبِ تَسطَعُ عَلَى الغَرْبِ**" ص ٢١، ٢٩ .

٥ – هُمْ ملوك سَرَقُسْطَةَ: أَبُو جَعْفَرٍ المُقْتَدِرِ أحمدُ بن سُلَيْمَانَ،عَمِيدُ بَنِي هُودٍ وَرئِيسهم ذُو الغَزَوَاتِ المَشْهُورَةِ،اسْتَرْجَعَ بَرْبَشْتَرَ مِنَ النَّصَارَى عام ٤٥٦هـ، ملك دانِيَةَ وَأخرج مِنْهَا إِقبالَ الدولةِ عَلِيًّا بنَ مُجَاهِدِ العَامِرِيِّ عام ٤٦٨هـ. تُوُفِّيَ ٤٧٥هـ بعد أن قسم أملاكه بين ابنيه يُوسُفَ والمنذر،فوَلِي بَعْدَهُ ابنُهُ المُؤْتَمِنُ،وَيُقَالُ لَهُ المستعين الأصغر فَكَانَ خَيْرَ خَلَفٍ عَنْ أبيه حَامِيًا لِمُلْكِهِ مُجَاهِدًا لِعَدُوِّهِ مَلاذًا للأدباءِ وَالعُلَمَاءِ وَالشُّعَرَاءِ وَبِهِ استجار ابنُ عَمَّارٍ مِنَ ابنِ عَبَّادٍ. انظُرْ : ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣، م ٤٥٨/١ –٤٥٩؛ ابن الأَبَّار"**الحُلَّةُ السِّيَرَاء**" ١٤٩/٢، ٢٤٧– ٢٤٨؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**"٤٠٥/١، ٤٠١/٢، ٤١٩، ٤٣٥– ٤٣٦؛ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِيّ"**البَيَان المُغْرِب**" ٢٢٥/٣ – ٢٣٢؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٤٠٥/١ ، ٤٠١/٢، ٤١٩، ٤٣٥ – ٤٣٦؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٣٥٩/٤.

٦ – **سَرَقُسْطَةَ:** بفتح أوله وثانيه ثم قاف مضمومة، بَلْدَةٌ مَشْهُورَةٌ بِالأَنْدَلُسِ قَرِيبَةٌ مِنْ تُطَيْلَة،مَبْنِيَّةٌ عَلَى نَهْرٍ كَبيرٍ.أَخَذَهَا الإسْبَانُ مِنَ العَرَبِ سَنَةَ ٥١٢هـ . يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٢١٢/٣ –٢١٣ ؛ الإِدْرِيسِيّ"**نُزْهَةُ المُشْتَاق**" ٥٥٤/٢ .

٧ – هُوَ السُّلْطَان: **يَعْقُوب المَنْصُور** أبو يُوسُفَ ابن السُّلْطَان يُوسُفَ بن عبد المؤمن المُوحدي،وُلِدَ سنة٥٥٤هـ،وَلي خلافة المُوَحِّدِينَ سَنَةَ ٥٨٠هـ وحكم بلاد المَغْرِبِ وَالأَنْدَلُسِ وَتُوُفِّيَ ٥٩٥هـ،كَانَ فَصِيحاً،مَهِيباً،وَعَلَيْهِ جَلالَةُ المُلُوكِ وصفه المَرَّاكُشِي أنه كَانَ فِي جَمِيعِ أَيَّامِهِ مُؤْثِرًا للعَدْلِ،وَكَانَ يَتَوَلَّى الإِمَامَةَ بِنَفْسِهِ فِي الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ،وَيَجْمَع الزَّكَاةَ،وَيُفَرِّقُهَا بِنَفْسِهِ.أَرْجَعَ بَعْضًا مِنْ بلدان الأَنْدَلُسِ مِنْ أيدي الإفرنج،وفي سَنَةَ ٥٩٠هـ انتصر فِي موقعة الأرك،فأرسل أَلْفُونْسُ يَطْلُبُ مِنْهُ المُهَادَنَةَ عَشرَ سِنِينَ. انظُرْ :الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"٢ ٣١٧/١؛عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِيّ"**المُعْجِب**"ص٣٣٣–٣٣٤؛ ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**"– قِسم المُوَحِّدِينَ– ص١٧٠–٢٣٥؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَان**"٣/٧؛ابن الخَطِيب"**اللمْحَةُ البَدْرِيَّةُ**"ص٣٥؛ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٣٢١/٢ .

٨ – انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**"– قِسم المُوَحِّدِينَ– ص ٢١٣ .

٩ – هُوَ : الوَزِير الكاتب **أَبُو مُغِيرَةَ عَبْدُ الوَهَّابِ بنُ حَزْمٍ**، قَالَ عَنْهُ ابن بَسَّام إِنَّهُ امتزج بِمُلُوكِ العَصْرِ امْتِزَاجَ المَاءِ بِالخَمْرِ،وَلَوْ طَالَ مَدَاهُ لَمْ يُذْكَرْ مَعَهُ سِوَاهُ ولاعْتَرَفَ بِتَفْضِيلِهِ أَحِبَّتُهُ وَعِدَاهُ. التَحَقَ بِبِلادِ الثَّغْرِ وَكَتَبَ عَنْ عِدَّةٍ مِنَ الأُمَرَاءِ،وَأَلَّفَ عِدَّةَ تَوَالِيفَ،وَشَجَرَ الأَمْرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابنِ عَمِّهِ الفَقِيهِ ابي مُحَمَّدِ بنِ حَزْمٍ وَجَرَى بَيْنَهُمَا مَا يَسْحَرُ الأَلْبَابَ وَيَبْهرُ الشُّعَرَاءَ وَالكُتَّابَ . انظُرْ : ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م١٣٢/١– ١٩٠؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٣٥٧/١؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ١٥٠/٢– ١٥٣ .

١٠ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م ١٦١/١ .

رَسُولاً عِنْدَ مَلِكِهَا أَلْفُونْسُ العَاشِرِ إِلَى مُلُوكِ العَرَبِ[٢]، وَسَفِرَ اليَهُودِيُّ ابْنُ شَالِب بَيْنَ أَلْفُونْسُ وَالمُعْتَمِدِ بنِ عَبَّاد[٣]، كَمَا كَانَ رَسُولُ ابنِ عَبَّاد إِلَيْهِ يَهُودِيًّا كَذَلِكَ يُعْرَفُ بابنِ مِشْعَل[٤].وَحِينَ أُخِذَتْ بَلَنْسِيَةُ سَنَةَ ٤٨٧هـ مِنْ أَيْدِي المُرَابِطِينَ فَتْرَةً فَاوَضَ ابنُ رُذْمِيرَ مَلِكُ الأَرَاغُونِ المُسْلِمِينَ الذين حَاصَرَهُمْ بِالقَصْرِ، كَانَ سَفِيرُهُ إِليهِم وَزِيرًا يَهُودِيًّا جَعَلَ فِدْيَتَهُمْ مائَتَيْ أَلفِ مِثْقَالَ بَدَلاً مِنْ سَبْعِمِائَةِ أَلفٍ[٥].

وَلَمْ يَكْتَفِ اليَهُودُ بالنَّشَاطِ الرَّسْمِيِّ بين الأَنْدَلُسِ وَمَا يُجَاوِرُهَا مِنْ ممالك النَّصَارَى،وهَذَا واضِحٌ فِي سِفَارَاتِ ابْنِ حَسْدَاي المَذْكُورَةِ سابقا،وَأَشَارَعَبْدُ المُطَّلِبِ مَظْهَر إِلَى أَنَّ الرَّحَّالَةَ إِبْرَاهِيمَ الإِسْرَائِيلِيَّ الطُّرْطُوشِيَّ(ت:٣٥٦هـ)[٦]شَارَكَ فِي تَطَوُّرِ العَلاقَاتِ بَيْنَ حُكُومَةِ قُرْطُبَةَ وَبين أُوْرُوبَّا بصِفَةٍ غَيْرِ رَسْمِيَّةٍ أَوْ شِبْهِ رَسْمِيَّةٍ، وَكَانَتْ سِفَارَاتُهُ مُقَابَلاتٍ شَخْصِيَّةً خَاصَّةً وَمَحْدُودَةً، التقى بِهَا الطُّرْطُوشِيُّ بِالبَابَا يُوحَنَّا الثَّانِي عَشَر فِي رُومَا سَنَةَ(٣٥٠هـ) وَكَذَلِكَ تَقَابَلَ مَعَ الإِمْبَرَاطُورِ هُوتُو الأَوَّلِ عَامَ (٣٥٤هـ) فِي مَدِينَةِ مذنبرج ثُمَّ عَادَ إِلَى الأَنْدَلُسِ عَامَ (٣٥٦هـ)[٧].

---

١ – سَتَرِدُ تَرْجَمَة لَهُ فِي مَتْنِ البَحْثِ :ص ٢٢٧ .

٢ – انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢٣/٢ ؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٧٤/٥ .

٣ – انْظُرْ: مَجْهُول "**الحُلَلُ المُوَشّيَة**" ص ٤٢ .

٤ – انْظُرْ:أحمد مختار العبادي "**تاريخ الأَنْدَلُسِ لابن الكَرْدَبُوس ووصفُهُ لابن الشبَاط**" صحيفة معهد الدِّرَاسَاتِ الإِسْلامِيَّةِ فِي مدريد: مج ١٣ ،١٩٦٦م، ص٨٩ .

٥ – انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِيّ "**البَيَان المُغْرِب**" ٤١/٤ .

٦ – هُوَ الرَّحَّالَةَ: **إِبْرَاهِيمُ بن يَعْقُوب الإِسْرَائِيلِيُّ الطُّرْطُوشِيُّ** أَو إِبْرَاهِيمُ بنُ أَحْمَدُ الطُّرْطُوشِيُّ قَدْ يكون مُسْلِمًا مِنْ أَصْلٍ يَهُودِيٍّ أَوْ أَنَّهُ عَبْدٌ وَتَاجِرٌ، قام برحلة إِلَى أَوْرُوبَّا عام ٣٤٨هـ .

انْظُرْ :زيغريد هُونكَة"**شَمسُ العَرَبِ تَسْطَعُ عَلَى الغَرْبِ**"ص٢١،٢٩؛ أوليفيا ريمي كونستبل "**التِّجَارَة وَالتُّجَّار فِي الأَنْدَلُسِ**" ص١٤٧؛ مَجْهُول "**الرَّحَّالَة الأَنْدَلُسِيّ الطُّرْطُوشِيّ** "، مَجَلّة كُلِّيَّةِ الآدَاب بِجَامِعَةِ بَغْدَادَ ، ع٢٠ ، ١٩٧٦م ، ص١٧١– ١٨٤ .

٧ – انْظُرْ: عبد المطلب مَظْهَر "**أَهْلُ الذِّمَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ خِلالَ الحُكْمِ الأُمَوِيِّ**" ص٤٧ .

وَلَمْ تَكُنْ سِفَارَةُ اليَهُودِ سَهْلَةً،بلْ كَثِيرًا مَا تَعَرَّضَ السَّفِيرُ للإِهَانَةِ أوِ القَتْلِ أوْ حَمْلِ رِسَالاتٍ تَحْوِي أَلْفَاظًا مُهِينَةً،وَقَتْلُ المُعْتَمِدِ لابنِ شَاليبَ مِثَالٌ عَلَى هذا[١] .وَمِثْلُهَا حينَ وَصَلَ اليَهُودِيُّ إِبْرَاهِيمُ بنُ زَرُّور(ت:٧٦١هـ)[٢] إِلى غَرْنَاطَةَ وَبِيَدِهِ كِتَابٌ مِنَ السُلْطَانِ مُحَمَّدٍ(ت بعد:٧٦٣هـ)[٣] سَلَّمَهُ لابنِ الخَطِيبِ. وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ فرَّ إِلَى حَفِيدِ أَلفُونْسُ،فَقَالَ اليَهُودِيُّ لابنِ الخَطِيبِ: "مَوْلايَ السُلْطَانُ دُونَ بَطْرَه[٤] يُسَلِّمُ عَلَيْكَ،وَيَقُولُ لَكَ: انْظُرْ مُخَاطَبَةَ هَذَا الشَّخْصِ!وَكَانَ بِالأَمْسِ كَلبًا مِنْ كِلابِ بَابِه، حَتَّى تَرَى خَسَارَةَ الكَرَامَةِ فِيهِ!" فردَّ عَلَيْهِ ابنُ الخَطِيبِ: "أَبْلِغْهُ عَنِّي أَنَّ هَذَا الكَلامَ مَا جَرَّكَ إِلَيْهِ إلا خُلُوُّ بَابِكَ مِنَ الشُّيُوخِ الذِينَ يُعَرِّفُونَكَ بِالكِلابِ وَبِالأُسُودِ، وَبِمَنْ تُغْسَلُ الأَيْدِي مِنْهُمْ إِذَا قَبَّلُوهَا؛ فَتَعْلَمَ مَنِ الكَلْبُ الذِي تُغْسَلُ اليَدُ مِنْهُ وَمَنْ لا. وَإِنَّ جَدَّ هَذَا الوَلَدَ هُوَ الذِي قَبَّلَ جَدُّكَ يَدَهُ، وَاسْتَدْعَى المَاءَ لغَسْلِ يَدِهِ مِنْهُ بِمَحْضَرِ النَّصَارَى وَالمُسْلِمِينَ[٥]؛ وَنِسْبَةُ الجَدِّ إِلَى الجَدِّ كَنِسْبَةِ الحَفِيدِ إِلَى الحَفِيدِ! وَكَوْنُهُ لَجَأَ إِلَى بِلادِكَ لَيْسَ بِعَارٍ عَلَيْهِ، وَإِنَّكَ مُعَرَّضٌ إِلَى اللَّجَإِ إِلَيْهِ؛ فَيُكَافِيكَ بِأَضْعَافِ مَا عَامَلْتَهُ بِهِ"[٦] . فَخُوطِبَ السَّفِيرُ اليَهُودِيُّ بازْدِرَاءٍ وَلَمْزٍ بِهِ وَبِمَنْ أَرْسَلَهُ.

---

١ – ملَخَّصُ القِصَّةِ أَنَّهُ حِينَ أَخْرَجُوا إِلَى اليَهُودِيِّ المَالَ وَالسَّبَائِكَ زَادَ فِي كَلامِهِ وَنَقَصَ،وأَسَاءَ الأَدَبَ،وَقَالَ:وَاللهِ لا أَخَذْتُ هَذَا العِيَارَ وَلا آخُذُهُ مِنْهُ إلا مُشَجَّرًا،وَبَعْدَ هَذَا العَامِ لا آخُذُ مِنْهُ إلا أَجْفَانَ البِلادِ.رُدُّوهُ إِلَيْهِ.فَرُدَّ المَالُ إِلَى المُعْتَمِدِ،وأُعْلِمَ بِالقِصَّةِ،فقَالَ:ائتُونِي بِاليَهُودِيِّ وَأَصْحَابِهِ فَجَاؤُوا بِهِمْ.فَقَالَ:اسْجُنُوا النَّصَارَى وَاصْلُبُوا اليَهُودِيَّ المَلْعُونَ.فَقَالَ اليَهُودِيُّ:لا تَفْعَلْ،وَأَنَا أَفْتَدِي مِنْكَ بِزِنَتِي مَالا.فَقَالَ: وَاللهِ لَوْ أَعْطَيْتَنِي العُدْوَةَ وَالأَنْدَلُسَ مَا قَبِلْتُهُمَا مِنْكَ.فَصُلِبَ،وَحِينَ بَلَغَ النَّصْرَانِيَّ الخَبَرُ أَقْسَمَ أَنْ يَأْتِيَ مِنَ الجُنُودِ بِعَدَدِ شَعْرِ رَأْسِهِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى بَحْرِ الزُّقَاقِ. انْظُرْ: مَجْهُول"**الحُلَلُ المُوَشَّيَة**" ص٤٢؛ ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلامِ**"ص٢٤٤؛ ابن خَلْدُونَ"**تَارِيخُهُ**" ٢٠٣/٤؛ الحِمْيَرِيّ "**الرَّوْض المِعْطَار**"ص ٢٨٨؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٤٢٠/١، ٢٣/٦؛ أَحْمَد النَّاصِرِيّ"**الاستِقْصَا**" ٣٨/٢ .

٢ – هُوَ الطَّبِيبُ اليَهُودِيُّ: **إِبْرَاهِيمُ بنُ زَرُّور أو زَرْزَر**عندَ ابنِ خَلْدُونَ، وزَرْزار عِنْدَ المَقَّرِيّ،ذكَرَهُ ابْنُ خَلْدُونَ ثلاث مَرَّاتٍ فِي تاريخِهِ، قَالَ إِنَّهُ كَانَ ماهِرًا فِي الطب والفلك وَأنه تنبأ بقائد المغول تيمورلنك قبل ظهوره بنحو عشرين سنة،وحِينَ سفر ابْنُ خَلْدُونَ سَنَةَ ٧٦٥هـ إِلَى ملك قَشْتَالَةَ بطرة لإتمام صلح مَعَ ملوك المَغْرِبِ لقيه الطاغية بِإِشْبِيلْيَةَ،وأثنى عَلَى ابنِ خَلْدُونَ عنده طبيبه ابْنُ زَرُّور هَذَا وَكَانَ قَدِ التقاهُ سابقًا بمجلس السُّلْطَان أبي عنان حِينَ استدعاه يستطبه وهو يومئذ بدار ابن الأحمر بالأَنْدَلُسِ، قَالَ ابن الخطيب إِنَّهُ لَمْ ير فِي الأَنْدَلُسِ وزارةً أثقل وطأة،ولا أخبث عهداً،ولا أعظم شرهاً،ولا أكثر حجراً مِنْ ولايتِهِ ،وفاته ٧٦١هـ .

انْظُرْ :ابن الخَطِيب"**نُفاضَةُ الجراب فِي عُلالَةَ الاغْتراب**"ص١٩[الحَاشِيَة]؛ "**الإحَاطَةُ**" ص ٩٤ [الحَاشِيَة]؛ ابن خَلْدُونَ"**تَارِيخُهُ**" ٤٠٢/٧– ٤٠٣، ٥٥٠– ٥٥١، ٧٣٣؛المقّري"**أَزْهَارُ الرِّيَاضِ**" ٦٢/١ .

٣ – هُوَ سُلْطَان المَغْرِبَ: **مُحَمَّدٌ بن أبي عَبْد الرَّحْمَنِ**، يلقب بِالمَخْلُوعِ،وَلِيَ بعد وفاةِ والده أبي الحجاج وبعد خمس سنوات ثارَ عَلَيْهِ ابنُ عَمِّهِ وَخَلَعَهُ فهرب إِلَى صاحب قَشْتَالَةَ الذي نصره وأعاده لملكه عام ٧٦٣هـ . انْظُرْ :المَقَّرِيّ"**نَفْح الطِّيبِ**"٩٢/٧–١٠٠.

٤ – هُوَ : **دُونْ بَطْرَه** أو **دُونْبِتْرَة** بالإسبانية Don Pedro صاحب قَشْتَالَةَ . انْظُرْ :المَقَّرِيّ"**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٤٢٨/١ وَمَا بعدها.[الحَاشِيَة]

٥ – يُشِيرُ ابنُ الخَطِيبِ إلى قِصَّةٍ مُلَخَّصُهَا:أَنَّ جَانْجَةَ [شَانْجَة] ابنُ أَلفُونْسُ لاذَ عِنْدَ السُّلْطَانِ أَبِي يُوسُفَ، مُسْتَنْصِرًا بِهِ عَلَى والدِهِ،وَرَهَنَ عِنْدَهُ تَاجَهُ ذَخِيرَةً للنَّصَارَى المُسْتَقِرَّةِ بِدِيَارِهِ،وَلَقِيَهُ بِمَكَانٍ فِي رُنْدَةَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ،وبعدَ أَنْ فَرَغَ السُّلْطَانُ مِنْ ذَلِكَ طَلَبَ المَاءَ، فَغَسَلَ يَدَهُ مِنْ قُبْلَةِ أَلفُونْسُ أَوْ مُصَافَحَتِهِ . انْظُرْ :ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلامِ**"ص٣٣٣ .

٦ – انْظُرْ : ابن الخَطِيب "**أَعْمَال الأَعْلامِ**"ص٣٣٣؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ١١٥/٧–١١٦.

ثالثًا :- قَسْوَتُهُم وَظُلْمُهُم لِلْمُسْلِمِينَ .

يَرَى إِسْرَائِيل شَاحَاك أَنَّ اليَهُودَ فِي العُصُورِ الوُسْطَى كَانُوا يُشَكِّلُونَ جُزْءًا لا يَتَجَزَّأُ مِنَ الطَّبَقَاتِ صَاحِبَةِ الامْتِيَازَاتِ،عَلَى الرُّغْمِ مِنْ كُلِّ الاضْطِهَادِ الذِي خَضَعُوا لَهُ؛فَالوَظِيفَةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ الأَهَمُّ عِنْدَ غَالِبِيَّةٍ سَاحِقَةٍ مِنَ اليَهُودِ هُنَاكَ كَانَتْ هَمْزَةَ الوَصْلِ أَوِ الوسَاطَةَ لِقَمْعِ الفَلاحِينَ بِاسْمِ النُّبَلاءِ وَالتَّاجِ[١] . وَتَنْطَبِقُ هَذِهِ الحَالُ تَمَامًا عَلَى يَهُودِ الأَنْدَلُسِ والمَغْرِبِ العَرَبِيِّ؛فَقَدْ كَانُوا وَسِيلَةً لِقَمْعِ العَامَّةِ بِاسْمِ الحُكَّامِ وَظَهَرَتْ كَرَاهِيَّتُهُم لِلطَّبَقَةِ الفَقِيرَةِ وَتَسَلُّطُهُمْ عَلَيْهَا بِعِدَّةِ أَشْكَالٍ،أَدَّتْ فِي النِّهَايَةِ إِلَى مَذَابِحَ بِحَقِّهِمْ انْتِقَامًا مِنْهُمْ وَتَعْبِيرًا عَنْ سُخْطِ العَامَّةِ مِنْ أَفْعَالِهِم[٢] .

وَأَحْيَانًا تَذْكُرُ المَصَادِرُ تَعَاطُفَ بَعْضِ السَّاسَةِ معهم؛فَحِينَ قَامَتْ فِتْنَةٌ بِإِشْبِيلِيَةَ سَنَةَ ٤٦٢هـ بِسَبَبِ عُدْوَانِ رَجُلٍ عَلَى يهوديّ زَعَمَ أَنَّهُ سَبَّ الشَّرِيعَةَ،فَبَطَشَ بِهِ المُسْلِم وَسْطَ السُّوقِ وَحَرَّكَ عَلَيْهِ العَامَّةَ،وَاعْتَقَلَهُ صَاحِبُ المَدِينَةِ، فَثَارَتِ العَامَّةُ، فأَرْسَلَ السُّلْطَانُ بِقُرْطُبَةَ وَلَدَهُ إِلَى إِشْبِيلِيَةَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ بِهِ نُخبَةٌ مِنَ العُلَمَاءِ وَالوُجُوهِ لِمُشَارَفَةِ القِصَّةِ،وَالاحْتِيَاطِ مِنَ العَامَّةِ[٣] .

وَظَهَرَتْ قَسْوَتُهُم أَحْيَانًا حِينَ كَانُوا بِحِمَايَةِ مُلُوكِ النَّصَارَى،فَوَصَفَ ابنُ عِذَارِي وَاحِدًا مِنْهُمْ كَانَ وَزِيرًا وَسَفِيرًا بَيْنَ ابنِ رُذْمِيرَ مَلِكِ أراغونَ وَ بَيْنَ المُسْلِمِينَ المُحَاصَرِينَ فِي بَلَنْسِيةَ عَامَ ٤٨٧هـ فَقَالَ:"بَلَغَ مِنَ المُسْلِمِينَ مَبْلَغَ الغَايَةِ فِي العَذَابِ وَسَلَّطَ اليَهُودَ عَلَى الإِسْلامِ،فَبَلَغُوا النِّهَايَةَ فِي النِّكَالِ وَالنِّكَايَةِ،وَمِنْهُمُ الأُمَنَاءُ المُوَكَّلُونَ،وَالمُتَصَرِّفُونَ،وَأَصْحَابُ الرُّسُومِ،وَخُدَّامُ البَرِّ وَالبَحْرِ، وَجَلَسَ اليَهُودِيُّ لِلقَبْضِ بِصَاحِبِ المَدِينَةِ مِنَ الضَّرْبِ بِالعَصَا وَالسَّوْطِ،وَقَيَّضَ لِكُلٍّ مِنْهُمْ شَيْطَانًا يَخْرُجُ مَعَهُ،فَإِنْ جَاءَ بِشَيْءٍ وَإِلا أَخَذَ بِالسَّوْطِ وَالعَذَابِ،وَتَمَادَتْ هَذِهِ المِحْنَةُ مُدَّةً"[٤] .

---

١ – انْظُرْ : إِسْرَائِيل شَاحَاك"**الدِّيَانَةُ اليَهُودِيَّةُ وَتَارِيخُ اليَهُود؛ وَطْأَة ٣٠٠٠عَامٍ**" ص ٩٨ .وَيَرَى شَاحَاك أَنَّ التاريخَ اليَهُودِيَّ وَلا سيمَا التاريخُ المُدَوَّنُ بِاللُّغَةِ الإِنْكليزِيَّةِ تاريخٌ مُضَلِّلٌ حَوْلَ هَذِهِ النُّقْطَةِ نَظَرًا لِمَيْلِهِ إِلَى التَّرْكِيزِ عَلَى الفَقْرِ اليَهُودِيِّ وَالتَّمْيِيزِ المُنَاهِضِ لِليَهُودِ .

٢ – مِنْ قِصَصِهِم أَنَّ السُّلْطَانَ عبدَ الحَقِّ المُرَيْنِيِّ غاظَ شعبَهُ بِتَوْلِيَةِ الصَّرَّافِ اليَهُودِيِّ هَارُونَ المَدِينَةَ،وَبَيْنَمَا كَانَ حُسَيْنُ اليَهُودِيُّ قَائِدُ الشُّرْطَةِ عِنْدَهُ يَقْبِضُ مِنْ أَهْلِ فَاسَ المَغَارِمَ فَشَدَّ عليهم حَتَّى قَبَضَ عَلَى امرأةٍ شَرِيفَةٍ،وَأَوْجَعَهَا ضَرْبًا،وَلَمَّا أَلْهَبَتْهَا السِّيَاطُ جَعَلَتْ تَتَوَسَّلُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَحَمِيَ اليَهُودِيُّ وَكَادَ يَتَمَيَّزُ غَيْظًا مِنْ سَمَاعِ ذِكْرِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَمَرَهُ بِالإِبْلاغِ فِي عِقَابِهَا وَسَمِعَ النَّاسُ ذَلِكَ فَأَعْظَمُوا تَحَكُّمَ اليَهُودِ فِي المُسْلِمِينَ وَالعَبَثَ بِهِمْ،فَتَنَادُوا بِالفَتْكِ بِاليَهُودِ وَخَلْعِ طَاعَةِ السُّلْطَانِ الذي استوزرَهُم،وَسَارُوا إِلَى حَارَةِ اليَهُودِ فَقَتَلُوهُمْ وَاسْتَلَبُوهُمْ وَاقْتَسَمُوا أَمْوَالَهُمْ . انْظُرْ : أَحْمَد النَاصِرِيّ "**الاسْتِقْصا**" ٩٩/٤ ؛ عَطَا رَيَّه"**اليَهُود فِي بِلادِ المَغْرِبِ الأَقْصَى**" ص ٥٤–٥٥ .

٣ – انْظُرْ : ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م ٤١٨/١ .

٤ – ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِيّ"**البَيَان المُغْرِب**" ٣٦/٤– ٣٧ .

رَابِعًا :- قَسْوَةُ بَعْضِ السَّاسَةِ وَتَطَاوُلُ العَامَّةِ عَلَيْهِمْ .

خَيْرُ مِثَالٍ عَلَى قَسْوَةِ بَعْضِ السَّاسَةِ مَعَهُم مَا حدَثَ لابنِ شَالِيبَ حِينَ قَتَلَهُ المُعْتَمِدُ[١]، وَلَمْ تُوَضِّحْ مُعْظَمُ المَصَادِرِ طَرِيقَةَ القَتْلِ،إلا أَنَّهُ جَاءَ فِي "الرَّوْض المِعْطَار" أَنَّ اليَهُودِيَّ تَكَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْ ابنِ عَبَّاد بِكَلامٍ وَأَغْلَظَ فِي القَوْلِ وَشَافَهَهُ بِمَا لَمْ يَحْتَمِلْهُ،فَغَضِبَ ابنُ عَبَّاد وَضَرَبَه بِمِحْبَرَةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَنْزَلَهَا عَلَى رَأْسِهِ،فَأَلْقَى دِمَاغَهُ فِي حَلْقِهِ،وَأَمَرَ بِهِ فَصُلِبَ مَنْكُوسًا بِقُرْطُبَة[٢].

وَكَانَتِ الضَّرَائِبُ الثَّقِيلَةُ مِثَالاً آخَرَ عَلَى القَسْوَةِ التِي تَعَرَّضُوا لَهَا مِنَ السَّاسَةِ؛فَالأَمِيرُ يُوسُفُ ابنُ تَاشَفِينَ كَانَ يَتَحَيَّنُ الفُرْصَةَ لِلبَطْشِ بِعَدَدٍ مِنَ اليَهُودِ بِالاسْتِيلاءِ عَلَى ثَرْوَاتِهِم وَأَمْوَالِهِمْ فِي بَدْءِ تَأْسِيسِ دَوْلَتِهِ، وَعِنْدَمَا وَطَّدَ أَرْكَانَ حُكْمِهِ وَاحْتَاجَ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الأَمْوَالِ لِتَنْظِيمِ دَوْلَةٍ وَاسِعَةِ الأَرْجَاءِ رَانَ بِبَصَرِهِ نَحْوَ اليَهُودِ،فَفَرَضَ عَلَيْهِم غَرَامَةً ثَقِيلَةً اجْتَمَعَ لَهُ مِنْهَا جُمْلَةُ مَالٍ اسْتَعَانَ بِهِ عَلَى مَا كَانَ بِسَبِيلِهِ فَتَجَمَّعَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الغَرَامَةِ مَبْلَغٌ بَاهِظٌ يَعْكِسُ ثَرَاءَ اليَهُودِ[٣].

وَمَعْ أَنَّ اليَهُودَ نَجَحُوا فِي الوُصُولِ إِلَى قِمَّةِ الوِزَارَةِ فِي الأَنْدَلُسِ،وَتَمَتَّعُوا بِنُفُوذٍ كَبِيرٍ وتَسَلُّطٍ عَلَى المُسْلِمِينَ إلا أَنَّ هَذَا النَّجَاحَ لَمْ يَمْنَعْ حُدُوثَ تَطَاوُلٍ مِنَ العَامَّةِ عليهم، فَأَحْيَانًا تحصلُ حادِثَةٌ بِحَقِّ يَهُودِيٍّ ثُمَّ تَنْقَلِبُ إِلَى ثَوْرَةٍ عَلَى كُلِّ اليَهُودِ فِي مَنْطِقَةِ اليَهُودِيِّ. ذَكَرَ ابنُ عِذَارِي مَثَلاً، أَنَّ ثَوْرَةً حصلَتْ عَامَ ٥٢٩هـ عَلَى حَيِّ اليَهُودِ بِقُرْطُبَةَ، بِسَبَبِ العُثُورِ عَلَى جُثَّةِ شَخْصٍ مَقْتُولٍ بَيْنَهُم، فَاقْتَحَمَ العَامَّةُ حَيَّ اليَهُودِ، وَفُتِحَتْ مَنَازِلُهُم وَانْتُهِبَتْ أَمْوَالُهُم، وَقُتِلَ عَدَدٌ مِنْهُمْ[٤]؛ وَحدَثَ هَذَا رُغْمَ أَنَّهُم لَمْ يَتَأَكَّدُوا إِنْ كَانَ الرَّجُلُ قَدْ قَتَلَهُ اليَهُودُ أَمْ لا[٥].إلا أَنَّ هُجُومَ العَامَّةِ وثَورَتَهُم وشَغَبَهُم لَمْ يَكُنْ مُوجَّهًا لليَهُودِ كَفِئَةٍ أَو أَصْحابِ مِلَّةٍ،بَلْ كَانَتِ الأَحْدَاثُ تَخْلُقُ بينَ حِينٍ وآخرَ نَوْعًا مِنَ الشَّغبِ عِنْدَ العامَّةِ تَخْتَلِفُ حِدَّتُهُ،وأَحْيَانًا يَكُونُ اليَهُودُ هدَفًا فِيهِ وَأَحْيَانًا غَيْرُهُم.إلاأَنَّ أَكْبَرَ تَطَاوُلٍ حَصَلَ عَلَى جَمَاعَةِ اليَهُودِ كَانَ بِغَرْنَاطَةَ، حيثُ حَدَثَتْ مَذْبَحَةٌ بِحَقِّهِم وَضَعْتُ تَفْصِيلاً لَها فِي مَلاحِقِ البَحْثِ.

---

١ – انْظُرْ : مَجْهُول"**الحُلَلُ المَوْشِيَّة**" ص ٤٢؛ ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلامِ**" ص ٢٤٤؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٤٢٠/١، ٢٣/٦؛ ابن خَلْدُونَ "**تَارِيخُهُ**" ٢٠٣/٤ ؛ أَحْمَد الناصِرِيّ"**الاسْتِقْصا**" ٣٨/٢ .

٢ – انْظُرْ : الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص ٢٨٨ .

٣ – انْظُرْ : ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**" ٢٣/٤؛ مَجْهُول"**الحُلَلُ المَوْشِيَّة**"ص ٢٥ .

٤ – انْظُرْ : ابن عِذَارِي المَرَاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٩٣/٤ ؛ ١٩٢؛ ابن القَطَّان "**نَظْم الجُمَان**" ص٢١٧ .

٥ – لا يُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّ هَذَا التَّطَاوُلَ حَدَثَ لأَنَّ اليَهُودَ طَرَفٌ فِي المَوْضُوعِ؛فقدْ ذَكَرَ ابنُ عِذَارِي حَادِثَ اغْتِيَالِ ابنِ الحَاجِّ قَاضِي الجَمَاعَةِ بِقُرْطُبَةَ،فِي الصَّفْحَةِ نَفْسِهَا التي ذكر فيها الحادِثَةَ،وَقَالَ إِنَّهُ تَبِعَهُ رَدٌّ قَوِيٌّ سَوَاءٌ فِي قُرْطُبَةَ وَفِي غَيْرِهَا مِنْ مُدُنِ الأَنْدَلُسِ،وَلَخَّصَ ابنُ عِذَارِي شِدَّةَ الرَّدِّ بِقَوْلِهِ:"وَالتَطَخَتْ قُرْطُبَةُ بِمَا لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ دِيوَانٌ،وَلا بَدَر فِي زَمَانٍ"،أَيْ حَدَثَتْ فَوضَى عَارِمَةٌ،وَتَلا هَذَا مُبَاشَرَة حَدِيثٌ عَنِ اعْتِدَاءٍ عَلَى أَبِي بَكْرِ بنِ العَرَبِيِّ(ت:٥٤٣هـ)قَاضِي إِشْبِيلِيَةَ سَنَةَ ٥٢٩هـ،إِذْ هَاجَمَهُ الأَشْرَارُ بِسَبَبِ شِدَّتِهِ فِي مُعَاقَبَةِ الجُنَاةِ وَمُحَارَبَةِ الفَسَادِ. انْظُرْ : ابن عِذَارِي المَرَاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٩٣/٤ – ٩٤ .

خَامِسًا:ـ أشْهَرُ مَذْبَحَةٍ لليَهُودِ فِي الأَنْدَلُس.

كَانَ لِلْيَهُودِ دَوْرٌ بارِزٌ فِي غَرْنَاطَة،أثّر هَذا الدَّوْرُ عَلَى طَبِيعَةِ عَلاقَةِ اليَهُودِ وَالمُسْلِمِينَ فِيهَا انْتَهَى بِمَذْبَحَةٍ كَبِيرَةٍ لَهُمْ[١]،بَدَأَتْ قِصَّتُهُم فِيهَا حِينَ وَلِيَ بَادِيسُ بنُ حَبُّوس(ت:٤٦٧هـ)عَرْشَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ،بِتَسْلِيمٍ لَهُ مِنْ شَقِيقِهِ الأَصْغَرِ بُلُقِّينَ دُونَ مُنَازَعَةٍ،وَبِمُسَاعَدَةِ وَزِيرِ أبِيهِ إِسْمَاعِيلَ بنِ نَغْرِيلَّة، فأبقى بَادِيسُ عَلَى اليَهُودِيِّ وَزِيرًا فِي دَوْلَتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ اتَّخَذَ ابْنَهُ يُوسُفَ مَكَانَهُ،وَقَرَّبَهُ إليه،يَقُولُ المَرَّاكُشِيُّ:"إنَّ بَادِيس وَضَعَ ابْنَ نَغْرَالَّة [نَغريلَّة] اليَهُودِيَّ عَلى وِزَارَتِهِ وَكِتَابَتِهِ وَسَائِرِ[٢] أَعْمَالِهِ وَرَفَعَهُ فَوْقَ كُلِّ مَنْزِلَةٍ،فَاتَّخَذَ هَذَا اليَهُودِيُّ عُمَّالاً وَمُتَصَرِّفِينَ فِي الأَشْغَالِ،وَاكْتَسَبُوا الجَاهَ وَالمَالَ فِي أَيَّامِهِ وَاسْتَطَالُوا عَلَى المُسْلِمِينَ،....فَأَخَذَ نَفْسَهُ بِالاجْتِهَادِ فِي الأَحْوَالِ وَاسْتِخْرَاجِ الأَمْوَالِ وَاسْتَعْمَلَ اليَهُودَ إِخْوَانَهُ عَلَى الأَعْمَالِ فَزَادَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ أَمِيرِهِ بَادِيسَ"[٣]،وهَذَا التَّحَيُّزُ لأَبْنَاءِ طَائِفَتِهِ ومَعُونَتِهِمْ لَهُ زَادَ مِنْ نَقْمَةِ العَامَّةِ عليْهِ،وَزَادَ مِنْ مُؤامَرَاتِهِ ضِدَّ مُبْغِضِيهِ[٤].

يَرْوِي الأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ حَفِيدُ بَادِيسَ أَنَّ النِّسَاءَ فِي قَصْرِ بَادِيسَ كُنَّ عَقَبَةً أَمَامَ طُمُوحَاتِ هَذَا الوَزِيرِ،فَقَدْ رَأَى طُغْيَانَهُنَّ،وكُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُنَّ تُرِيدُ وِلايَةَ مَنْ تُرَبِّيهِ مِنْ أَبْنَاءِ السُّلْطَانِ،وَرَأى إِمْعَانَ المُعَارَضَةِ فِي المُطَالَبَةِ بِالحُكْمِ،فَشَاوَرَ فِي ذَلِكَ مَشْيَخَتَهُ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ مِنْ أَبْنَاءِ مِلَّتِهِ مِنَ اليَهُودِ؛ فَاقْتَرَحَ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ أَنْ يَنْجُوَ بِنَفْسِهِ،وَيُقَدِّمَ جُلَّ مَالِهِ إِلَى أَيِّ البِلادِ يُحِبُّ،فَيَسْتَوْطِنَهَا غَنِيًّا آمِنًا.لكِنَّهُ خَافَ إِنْ فَعَلَ أَنْ يُرْسِلَ بَادِيسُ فِيهِ إِلَى صَاحِبِ تِلْكَ الجِهَةِ،قَائِلاً إِنَّهُ ذَهَبَ بِأَمْوَالِهِ،فَيُطَالِبُ بِإِرْجَاعِهِ إِلَيْهِ أَوِ القِتَالِ، واقْتَرحَ أَحدُهُمْ عَلَيْهِ أَنْ يُصَابِرَ الأُمُورَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ الشيخُ بَادِيسُ،لا سِيَّمَا أَنَّهُ قَدْ أَسَنَّ، فَيُلْقِي يَدَهُ فِي حَفِيدِهِ المُعِزِّ،فَتَبْقَى حَالُهُ مَعَهُ حَسْبَ مَا كَانَتْ مَعَ جَدِّهِ،فَأَجَابَ أَنَّهُ فَكَّرَ بِهَذَا لَوْلا أَنَّ المُعِزَّ صَغِيرُ السِنِّ، وَلَهُ أُمَّهَاتٌ وَطَبَقَاتٌ جَمَّةٌ مِنَ النِّسَاءِ وَالحَاشِيَةِ.لا يُرْجَى مَعَهُنَّ الفَلاحُ لاخْتِلافِ أَهْوَائِهِنَّ، كَمَا أَنَّ الصَّبِيَّ يَحْقِدُ عَلَيْهِ لِمَا قَالَهُ النَاسُ مِنْ سَقْيِ أَبِيهِ السُّمَّ.ثُمَّ اتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى مُخَاطَبَةِ ابْنِ صُمَادِح، فَهُوَ الأَوْلَى لِجِيرَتِهِ وَقُرْبِهِ مِنْ كُلِّ أمْرٍ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيهِ[٥]. وَبَدَأَ يَعْمَلُ عَلَى هذا.وَصَدَفَ أَنْ خَرَجَ بَادِيسُ إِلَى بَعْضِ مُتَنَزَّهَاتِهِ مَعَ حَاشِيَتِهِ وَاليَهُودِيُّ وَرَاءَهُ،فَبَصُرَ أَحَدُهُمْ بِحَكِيمٍ يَهُودِيٍّ كَانَ مُقَرَّبًا لِلوَزِيرِ؛فَأَمَرَ بِإِهَانَتِهِ وَإِرْجَالِهِ عَنْ دَابَّتِهِ، وَتَوَقَّحَ فِي ذَلِكَ،وَأَبْلَغَ فِي شَتْمِ اليَهُودِيِّ،فَاسْتَعْظَمَ ابْن نَغْرِيلَّة هَذِهِ الإِهَانَةَ،

١ - انْظُرْ المَذْبَحَة: الأمير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص٥٤؛ ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق١،م ٢/٧٦٦- ٧٦٩؛ ابن عِذَارِي المَراكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٣/٢٦٥-٢٦٦، ٣/٢٧٥- ٢٧٦؛ "**الإِحَاطَة**" ١/٤٣٤ - ٤٤٠ ؛ ابن خَلْدُون"**تَارِيخُهُ**" ٤/٢٠٦.

٢ - يَرَى مُصَحِّحُ "مُعْجَم الأُدَباءِ" لِيَاقُوتِ الحَمَوِيّ أَنَّ اسْتِعْمَالَ لَفْظَةِ "سَائِر" بِمَعْنَى "جَمِيع" لا مَعْنَى لَهُ،لأَنَّهَا مِنَ السُّؤرِ بِمَعْنَى البَقِيَّة، فَالأَصْوَبُ هُنَا أَنْ يُقَالَ "جَمِيع أَعْمَالِهِ" انْظُرْ : يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم الأُدَباءِ**" ٢/٢٢٢ [الحَاشِيَة].

٣ - انْظُرْ : ابن عِذَارِي المَراكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٣/٢٦٤-٢٦٥.

٤ - انْظُرْ فِي البَحْثِ : الحَدِيث عَنْ مُؤَامَرَاتِ ابْنِ نَغْرِيلَّةَ ص ١٩- ٢٠ .

٥ - انْظُرْ: الأمير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٥٠ - ٥١.

فَجَدَّ فِي طَلَبِ مَعُونَةِ ابنِ صُمَادِحٍ،وَبَدَأَ يُخَطِّطُ لِذَلِكَ (١).

بَدَأَ اليَهُودِيُّ خُطَّتَهُ بِعَزْلِ وَإِبْعَادِ رِجَالٍ مِنْ كِبَارِ صَنْهَاجَةَ الذِينَ يُخْشَى مِنْهُمْ،فَأَشَارَ عَلَى بَادِيسَ بِإِرْسَالِهِمْ إِلَى المَعَاقِلِ المُهِمَّةِ،وصَكَّكَ لَهُمْ بِهَا،فَقَبِلَ القَوْمُ لِشَرَهِهِم إِلى وِلايَةِ البِلادِ.وزَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ لا يَحْمِي القَوَاعِدَ إلا كِبَارُ الرِّجَالِ،أَمَّا المَعْزُولونَ فَقَدْ صَحَّ عِنْدَهُ تَضْبِيعُهُم.ثُمَّ كَتَبَ إِلَى ابنِ صُمَادِحٍ يَسْتَعْجِلُهُ ويُخْبِرُهُ بِخُرُوجِ القَوْمِ الغَوْغَاءِ مِنَ المَدِينَةِ،وَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِيهَا إِلا مَنْ لا يُوبَهُ لَهُ لِيَحْصِدَهُمْ سَيْفُهُ،وأَنَّهُ قَدْ سَهَّلَ لَهُ الأَمْرَ لِفَتْحِ أَبْوَابِهَا مَتَى جَسَرَ وَطَرَقَهَا،وَبَادِيسُ فِي هَذَا كُلِّهِ،لا خَبَرَ عِنْدَهُ سِوَى الإِقْبَالِ عَلَى الشُّرْبِ.فَصَحَّ عِنْدَ القَوْمِ،بِاحْتِجَابِهِ عَنْهُمْ،أَنَّهُ قَدْ مَاتَ لا مَحَالَةَ(٢).

إِلَى أَنْ جَاءَ يَوْمٌ اجْتَمَعَ اليَهُودِيُّ مَعَ عَبِيدٍ لِبَادِيسَ عَلَى الشَّرَابِ،وَكَانُوا عَاقَدُوهُ وَاتَّفَقُوا مَعَهُ، فَأَعْلَمَهُم بِأَمْرِ ابنِ صُمَادِحٍ،فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يُكْمِنُ بُغْضَهُ،وسأَلَهُ إِنْ كَانَ المُظَفَّرُ حَيٌّ أَمْ مَيِّتٌ فَوَبَّخَهُ رَجُلٌ مِنْ حَاشِيَةِ اليَهُودِيِّ،فَأَنِفَ العَبْدُ وَخَرَجَ فَارًّا عَلَى وَجْهِهِ [وَهُوَ سَكْرَانٌ]، يَصِيحُ بِالنَّاسِ أَنَّ اليَهُودِيَّ غَدَرَ وَخَانَ،وأَنَّ ابْنَ صُمَادِحٍ دَاخِلٌ فِي البَلْدَةِ،فهبَّ النَّاسُ عَازِمِينَ قَتْلَ اليَهُودِيِّ.فتَحَيَّلَ عَلَى المُظَفَّرِ حَتَّى أَخْرَجَهُ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: "هَذَا سُلْطَانُكُمْ حَيٌّ!"يَرُومُ تَسْكِينَهُمْ؛فَلَمْ يَقْدِرْ. فَهَرَبَ بِنَفْسِهِ إِلَى دَاخِلِ القَصْرِ، وَاخْتَفَى فِي بَيْتِ فَحْمٍ وَسَوَّدَ وَجْهَهُ وَتَنَكَّرَ، فَعَرَفُوهُ وَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ عَلَى بَابِ المَدِينَةِ،وَقُتِلَ فِي هَذَا اليَوْمِ مِنَ اليَهُودِ جُمْلَةٌ عَظِيمَةٌ وَنُهِبَتْ دُورُهُمْ، وَأَفْلَتَ مِنَ المَذْبَحَةِ زَوْجَةُ يُوسُفَ وَابْنُهُ هَرَبَا إِلَى مَدِينَةِ لُوشَةَ،ثُمَّ إِفْرِيقِيَةَ، وَكَانَ عَلَى الذِين بَقَوْا عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ أَنْ يَبِيعُوا أَمْلاكَهُمْ،وَأَنْ يَرْحَلُوا عَنْ غَرْنَاطَةَ، وَلَمْ تَقُمْ لِلْيَهُودِ بَعْدَهَا فِي هَذِهِ المَدِينَةِ قَائِمَةٌ(٣).

واخْتَلَفَ الرُّواةُ،فَيَذكُرُ ابنُ خَلْدُونَ أَنَّ بَادِيسَ هُوَ الذي قَتَلَ ابْن نَغْرِيلَّةَ وَقَتَلَ مَعَهُ خَلْقاً مِنَ اليَهُودِ(٤).وَمِثْلُهُ عِنْدَ الرَّاعِي بِتَفَاصِيلَ لَمْ أَجِدْهَا عِنْدَ غَيْرِهِ،يقولُ فِيهَا:"وَلِهَذَا المَلْعُونِ ابنِ نَغْرِيلَّةَ حِكَايَةٌ غَرِيبَةٌ فِي قَتْلِهِ وَإِرَاحَةِ المُسْلِمِينَ مِنْهُ،وَذَلِكَ أَنَّ المَلْعُونَ لَمَّا وَلِيَ كِتَابَةَ السِّرِّ لِلسُّلْطَانِ بَادِيسَ بنِ حَبُّوسَ، وعَظُمَ عِنْدَهُ وَانْتَهَى أَمْرُهُ لاجْتِمَاعِ الأَدَوَاتِ فِيهِ،حَتَّى تَوَلَّى الوِزَارَتَيْنِ:وِزَارَةَ القَلَمِ وَوِزَارَةَ السَّيْفِ، .....،وَبَلَغَ المَلْعُونُ مِنَ الجَاهِ وَالتَّعْظِيمِ مَبْلَغًا عَظِيمًا،فَمَرَّ يَوْمًا عَلَى كُتَّابٍ فَسَمِعَ صَبِيًّا يَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى:(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ)(٥)، فَمَحَا لَفْظَةَ "غَيْرَ" فَقَرَأَهَا الصَّبِيُّ عَلَى إِسْقَاطِ "غَيْرَ".فَجَاءَ المُؤَدِّبُ فَسَمِعَهُ،وَنَظَرَ إِلى اللوْحِ فَوَجَدَ لَفْظَةَ "غَيْرَ" مَمْحُوَّةً مِنْهُ،فَقَالَ لِلصَّبِيِّ:"مَنْ فَعَلَ هَذَا؟"،فَقَالَ لَهُ: "رَجُلٌ رَاكِبٌ مَعَهُ رُكْبَانٌ وَمُشَاةٌ،صِفَتُهُ كَذَا وَكَذَا،فَسَأَلَ عَنِ الخَبَرِ، فَأُخْبِرَ أَنَّ الذِي

---

١ – انْظُرْ: الأمير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٥١ .

٢ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ص٥١– ٥٣.

٣ – انْظُرْ: الأمير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص٥٤؛ ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق١،م ٧٦٩/٢؛ ابن خَلْدُون"**تَارِيخُهُ**" ٢٠٦/٤.

٤ – انْظُرْ: ابن خَلْدُون"**تَارِيخُهُ**" ٢٠٦/٤.

٥ – **سُورَة آل عِمْرَانَ**، آيَة ٨٥.

فَعَلَ ذَلِكَ الفِعْلِ هُوَ المَلْعُونُ ابنُ نَغْرِيلَّةَ،فَاشْتَكَاهُ لِشَيْخٍ مِنَ العُلَمَاءِ الفُقَرَاءِ،يُقَالُ لَهُ الإِلْبِيرِيُّ (ت:٤٥٩هـ) نَفَعَ اللهُ بِهِ، فَنَظَمَ قَصِيدَةً يَلُومُ فِيهَا السُّلْطَانَ عَلَى تَوْلِيَتِهِ هَذَا المَلْعُونَ كِتَابَةَ السِّرِّ،وَيَأْمُرُهُ بِذَبْحِهِ: .... [ذكر أبْيَاتًا مِنْ القَصِيدَةِ].....وَلَمْ يَجِدُوا مَنْ يُوصِلُهَا إِلَى السُّلْطَانِ المَذْكُورِ لِهَيْبَةِ المَلْعُونِ المَذْكُورِ،فَجَعَلُوهَا فِي جُعْبَةِ[1] قَصَبٍ وَشَمَّعُوهَا بِالشَّمْعِ،وَجَعَلُوهَا فِي مَجْرَى المَاءِ الذِي يَصِلُ إِلَى بَيْنَ يَدَي السُّلْطَانِ المَذْكُورِ عِنْدَ قُعُودِهِ لِلرَّاحَةِ،فَرَمَى بِهَا عُنْبُوبُ[2] المَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الجُعْبَةِ عَائِمَةً عَلَى وَجْهِ المَاءِ أَخَذَهَا،وَقَرَأَ القَصِيدَةَ ثُمَّ سَأَلَ عَنْ خَبَرِهَا فَأُعْلِمَ بِالقَضِيَّةِ،فَأَمَرَ بِذَبْحِهِ،فَطُلِبَ،فَوُجِدَ فِي الحَمَّامِ مَشْدُوخَ الرَّأْسِ قَتِيلا"[3].ثُمَّ ثُمَّ يذكُرُ الرَّاعِي مُبَاشَرَةً أَنَّ مَنْ قَتَلَهُ فَتًى "كَانَ يَغْسِلُهُ فِي الحَمَّامِ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ،وَكَانَ المَلْعُونُ يُصَغِّرُ اسْمَهُ كُلَّمَا نَادَاهُ"[4].

وَاخْتُلِفَ حَوْلَ تَارِيخِ المَذْبَحَةِ وَعَدِدِ اليَهُودِ وقتَهَا؛ فابنُ الخَطيبِ فِي "أعلامِ الأعلامِ" يَقُولُ إِنَّهَا سَنَةَ ٤٦٩هـ،وَبعضُهُم يَقُولُ سَنَةَ ٤٦٥هـ[5].وَالأميرُ عبدُ اللهِ يَقُولُ سَنَةَ ٤٥٩هـ[6]، ومِثْلُهُ ابنُ عِذارِي[7]،وَفي "الإِحَاطَةُ "[8]،وعندَ ابنِ خَلْدُونَ[9].وَبِمَا أَنَّ الأميرَ عبدَ اللهِ كَانَ فِي مَسْرَحِ أحْدَاثِ المَذْبَحَةِ فَأَرَى أَنَّ تَأْرِيخَ الأَمِيرِ للمَذْبَحَةِ أَدَقُّ التَّوَارِيخِ.وَقَدَّرَ ابنُ بَسَّامٍ أَنَّ المَقْتُولِينَ مِنَ اليَهُودِ كَانُوا أكثرَ مِنْ أَرْبَعَةِ آلافٍ[10]،وَقَالَ ابنُ عِذَارِي كَانُوا أكثرَ مِنْ ثَلاثَةِ آلافٍ[11]، وادَّعَى عَبد العزيز شَهْبِر أَنَّهُم كَانُوا أَلْفَ رَجُلٍ وَتِسْعِمِائَةٍ وَإِحْدَى وَخَمْسِينَ امْرَأَةً دُونَ أَنْ يَذْكُرَ المَرْجِعَ الذِي اعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ هَذَا[12].

وَقِيلَ كَثِيرٌ عنْ أَسْبابِ الثَّوْرَةِ وَنَتَائِجِهَا،فَقِيلَ إِنَّ هَذَا الوَزِيرَ اليَهُودِيَّ إِسْمَاعِيلَ طَلَبَ أَنْ يُقِيمَ لِلْيَهُودِ دَوْلَةً فَدَسَّ إِلَى ابْنِ صُمَادِحَ فِي السِّرِّ لِيُدْخِلَهُ غَرْنَاطَةَ وَيَكُونُ اليَهُودِيُّ فِي المَرِيَّةِ فَنَمَى هَذَا التَّدْبِيرُ إِلَى صَنْهَاجَةَ[13]، وَقَالَ ابنُ بَسَّامٍ إِنَّ ابنَ صُمَادِحٍ رَكِبَ بَعَسْكَرِهِ فِعْلاً، وَمَلَّكَهُ

---

١ – الجَعْبَةُ: كِنانةُ النُّشَّابِ. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [جعب] ١/٢٦٧.

٢ – العُنبوب قَدْ يَكُونُ مِنَ العُنْبَبُ: كَثْرَةُ المَاءِ. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [عنب] ١/٦٣١.

٣ – الرَّاعِي "**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَة وَشِعْرِ ابنِ سَهْل**" بحث في: "**حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونِسِيَّة**"، ع٢٩،تُونُس ١٩٨٠م،ص٤٢– ٤٤.

٤ – نَفْسُهُ ص٤٤.

٥ – انْظُرْ: ابن الخطيب "**أَعْمَال الأَعْلام**" ص ٢٣٣.

٦ – انْظُرْ: الأمير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٤٠ ؛ ابن الخَطيب "**الإِحَاطَة**" ١/٤٣٩.

٧ – انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَراكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**" ٣/٢٦٥ – ٢٦٦.

٨ – انْظُرْ: "**الإِحَاطَة**" ١/٤٣٩.

٩ – انْظُرْ: ابن خَلْدُون "**تَارِيخُهُ**" ٤/٢٠٦.

١٠ – انْظُرْ: ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق١،م ٢/٧٦٩.

١١ – انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَراكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**" ٣/٢٧٥.

١٢ – عبد العزيز شَهْبَر "**التَّعَايُش بينَ الأديَانِ فِي الأَنْدَلُسِ مِنْ خلالِ نُصُوصٍ شِعْرِيَّةٍ أَنْدَلُسِيَّةٍ**" مَجَلَّة دِرَاسَات أنْدَلُسِيَّة،تُونُس ع١٤، ١٩٩٥م،ص ٣٥.

١٣ – انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَراكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**" ٣/ ٢٦٦.

اليَهُودِيُّ أَكْثَرَ حُصُونِ غَرْنَاطَةَ،فأضَافَهَا إِلَى بَلَدِهِ،وَبادِيسُ لا يَشْعُرُ بِخُرُوجِهَا عَنْ يَدِهِ(١).وَقِيلَ إِنَّ ابنَ صُمَادِح أرْسَلَ بَعْدَ المَذْبَحَةِ يَسْأَلُ بَادِيسَ العَفْوَ والإغْضَاءَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ،وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَتَعَرَّضَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكِ لَوْلا اليَهُودِيُّ(٢)،فَاسْتَأسَدَتْ صِنْهَاجَةَ بِمَا صَنَعُوا وَطَغَوْا(٣).

المَبْحَثُ الثَّانِي: **الحَياةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ لِليَهُودِ** فِي الأَنْدَلُسِ.

تَكَوَّنَ المُجْتَمَعُ الأَنْدَلُسِيُّ،بَعْدَ اسْتِقْرَارِ حُكْمِ المُسْلِمِينَ فيهِ،مِنْ أَجْنَاسٍ مُخْتَلِفَةٍ تُكَوِّنُ سُلَّمًا طَبَقِيًّا هَرَمِيَّ الشَّكْلِ،فِي قِمَّتِهِ **العَرَبُ الفَاتِحُونَ**،وَقَاعِدَتُهُ **سُكَّانُ إسْبَانيا الأَصْلِيُّونَ المُسَالِمَة**،الذينَ اعْتَنَقُوا الإِسْلامَ،**وَالعُجْمُ** وَهُمُ الذِينَ بَقُوا عَلَى دِينِهِمْ مِنَ **النَّصَارَى**،وَسُمُّوا فِيمَا بَعْد **بالمُسْتَعْرِبِين وَالمُوَلَّدُونَ** مِنَ العَنَاصِرِ السَّابِقَةِ.وبينَ القِمَّةِ وَالقَاعِدَةِ وُجِدَ **البَرْبَرُ** الذينَ مَثَّلُوا نِسْبَةً كَبِيرَةً فِي الجَيْشِ الأَنْدَلُسِيِّ.وَمَعَهُمُ **الصَّقَالِبَةُ**،وَأَصْلُهُمْ مِنَ **الرَّقِيقِ** الذِينَ جُلِبُوا مِنْ أُورُوبَّا وَبِيعُوا فِي الأَنْدَلُسِ،وَبِجَانِبِهِمْ **جَمَاعَةٌ يَهُودِيَّةٌ** لا يُسْتَهَانُ بِهَا وَجَدُوا فِي الحُكْمِ الإِسْلامِيِّ مَنْجَاةً مِنَ الاضْطِهَادِ الذِي عَانَوْا مِنْهُ كَثِيرًا زَمَنَ القُوطِ.

وَذابَتِ اخْتِلافَاتُ الأَجْنَاسِ وَالأَدْيَانِ بَيْنَ طَبَقَاتِ المُجْتَمَعِ؛فَالأَرِسْتُقْرَاطِيَّةُ المُكَوَّنَةُ مِنَ العَرَبِ أوِ المُلاكِ،كَمَا يُسَمِّيهِمْ أَنْدريه مِيكيل،تَأتِي عَلَى قِمَّةِ الهَرَمِ الاجْتِمَاعِيِّ،ثُمَّ كِبَارُ المُوَالِينَ أَوْ كِبَارُ تُجَّارِ اليَهُودِ،وَعَلَى أقْصَى الطَّرَفِ عَامَّةُ الشَّعْبِ النَّصَارَى وَالمُسْتَعْرِبُونَ وَالبَرْبَرُ(٤). فَاليَهُودُ رُغْمَ اخْتِلافِ دِينِهِمْ اقْتَرَبُوا مِنْ قِمَّةِ الهَرَمِ.

وَيَرَى هِنْرِي بيرِسْ أَنَّ دِرَاسَةَ العَنَاصِرِ العِرْقِيَّةِ التِي تَكَوَّنَ مِنْهَا الشَّعْبُ الأَنْدَلُسِيُّ تَجْعَلُنَا نَشْعُرُ أَنَّنَا بِإِزَاءِ فُسَيْفِسَاءَ شَدِيدَةِ التَّنَاسُقِ فِي تَكْوِينِهَا،وَبِالكَادِ نَلْمَحُ فِيهَا بَعْضَ الإِيْقَاعَاتِ المُتَنَافِرَةِ، فَقَدْ أَخَذَتْ هَذِهِ العَنَاصِرُ تَمْتَزِجُ تَدْرِيجِيًّا،وَتُصْبِحُ كُلَّ يَوْمٍ أَقْوَى التِحَامًا(٥).وَجَعَلَت هَذِهِ الفُسَيْفِسَاءُ العِرْقِيَّةُ القُضَاةَ المُسْلِمِينَ يَحْكُمونَ عَلَى مُشْتَكِينَ تَجْمَعُ بَيْنَهُم رَابِطَةُ القُرْبَى فَقَطْ،أَيْ أَنَّهُمْ مِنْ أُسْرَةٍ وَاحِدَةٍ، إلا أَنَّ دِيَانَاتِهِمْ تَخْتَلِفُ(٦).والمُتَأَمِّلُ لِهَذِهِ الفُسَيْفِسَاءِ يَرَى أَنَّ اليَهُودَ،عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ،لَمْ يَمْتَازُوا عَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الأَنْدَلُسِيِّينَ بِأَكْثَرَ مِنَ الأَزْيَاءِ التِي حَمَلَتْ طَابَعَ الدِّين، لِذَا يَسْتَبْعِدُ البحثُ القَولَ بِأَيِّ تَقْسِيمٍ طَبَقِيٍّ أَوْ عُنْصُرِيٍّ لِسُكَّانِ الأَنْدَلُسِ خِلالَ حُكْمِ المُسْلِمِينَ فِيهَا.

---

١ – انْظُرْ: ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق١،م ٧٨٦/٢ – ٧٦٩.

٢ – انْظُرْ: الأمير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٥٧.

٣ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ص ٥٤.

٤ – انْظُرْ: أندريه ميكيل"**الإِسْلامُ وَحَضَارَتُهُ**" ص ٢٢٤ .

٥ – انْظُرْ: هِنْري بيرِسْ "**الشِّعْرُ الأَنْدَلُسِي فِي عصر الطَّوَائِف**"ص ٢٥٥ .

٦ – عِصْمَت دَنْدَش "**الأَنْدَلُسُ فِي نِهَايَةِ المُرَابِطِينَ وَمُسْتَهَلِّ المُوَحِّدِينَ**" ص٢٥٣ .

أَمَّا فِيمَا يتَعَلَّقُ بِاليَهُودِ فِي هَذَا المُجْتَمعِ فيُلاحَظُ أنَّ المَصَادِرَ العَرَبيَّةَ لاذَتْ بِالصَّمْتِ تجَاه هَذَا المَوْضُوع،فلَمْ تُسْعِفْ بِالمَعْلُومَاتِ الكَافِيَةِ عَنِ التَّنْظِيمِ الإِدَارِيِّ لمُجْتَمعاتِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ، كَمَا أَنَّ هُنَاكَ نُدْرَةً فِي المَعْلُومَاتِ عَنْ حَالِهِمْ دَاخِلَ المُجْتَمعَاتِ.وَلَمْ يُصْدِرِ المُرَابِطُونَ تَشْرِيعَاتٍ خَاصَّةً بِاليَهُودِ،مِمَّا يدل عَلَى نَوْعٍ مِنَ الحُرِّيَّةِ تَمَتَّعُوا بها،وهَذَا لا يعني إِلغاءَهُمُ الأَحْكَامَ الخَاصَّةَ بِأَهْلِ الذِّمَّة،أَمَّا فِي نِهَايَةِ عَصْرِ المُرَابِطِينَ فَقَدْ بَدَتِ الطَّائِفَةُ اليَهُودِيَّةُ مُنَظَّمَةً تَنْظِيمًا دَقِيقًا،وقَدْ يَرجِعُ السَّبَبُ فِي نُدْرَةِ المَعْلُومَاتِ عَنْهُمْ إِلَى طَبِيعَةِ المُجْتَمعِ اليَهُودِيِّ المُنْغَلِقِ القَائِمِ عَلَى الانْعِزَالِ دَاخِلَ تَجَمُّعَاتٍ سَكَنِيَّةٍ لَهُمْ،ففِي كُلِّ مَدِينَةٍ أَنْدَلُسِيَّةٍ سَكَنَهَا اليَهُودُ حَيٌّ خَاصٌّ بِهِمْ عُرِفَ "باليَهُودِيّة" أَوْ "حَيِّ اليَهُودِ"،وَأَطلق المُسْلِمُونَ عَلَيْهِم اسمَ "**الجَمَاعَة** Aljama"،وَفِي المَنَاطِقِ التِي لا تَخْضَعُ لِحُكْمِ المُسْلِمِينَ كَانَ يُطْلَقُ عَلَيْهِمْ لَفْظُ "**كَحَال** Kahal" العِبْرِيَّة وَيَرْأَسُ كُلَّ جَمَاعَةٍ نَفَرٌ يُدْعَى الوَاحِدُ مِنْهُمْ "**البِرُور**"، وَيُسَمَّى "**مُقَدَّمًا**" أَوْ "**نُعْمَان**No'man"، وَمِنْهُمُ "**الأَمِيرُ** Nasi"، وَيَلِيهِمُ "**المُسْتَشَارُونَ الوَاعِظُونَ**".وَ"المُقَدَّمُ أَوِ النُّعْمَانُ" هُوَ زعيمُ الجَمَاعَةِ اليَهُودِيّة، وَيُعَيَّنُ مِنْ قِبَلِ البَلاطِ فِي قُرْطُبَةَ، وَيبدو أَنَّ مَهَامَّهُ تُشْبِهُ كَثِيرًا مَهَامَ قُومِسِ النَّصَارَى مِنْ رِعَايَةِ شُؤُونِ أَبْنَاءِ اليَهُودِ وَاسْتِخْرَاجِ خَرَاجِهِمْ،إِضَافَةً إِلَى تَمْثِيلِهِمْ أَمَامَ السُّلْطَةِ،وَكَانُوا المَسْؤُولِينَ أَمَامَ الحُكَّامِ فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالضَّرَائِبِ وَالالْتِزَامَاتِ الأُخْرَى.وَكَانَ يَظَلُّ فِي وِلايَتِهِ مُدَّةَ سَنَةٍ، وَاخْتَلَفَ عَدَدُ المُقَدَّمِينَ مِنْ مَدِينَةٍ لأُخْرَى، وَأُطْلِقَ "الأَمِيرُ"عَلَى المُتَنَفِّذِينَ مِنَ اليَهُودِ فِي البَلاطِ، وَلا يُوجَدُ وصفٌ وَظِيفِيٌّ دَقِيقٌ للمهام المُنَاطَةِ بِهِ،وَقَدْ يَكُونُ لَقَبًا فَخْرِيًّا لمُمَثِّلِهِمْ فِي البَلاطِ،وَمِمَّنْ تَلَقَّبَ بِهَذَا اللقبِ حَسْدَاي بنُ شَبْرُوط زَمَنَ الخَلِيفَةِ النَّاصِرِ،وَ"المُسْتَشَارُونَ الوَاعِظُونَ" هُمْ بِطَانَةُ المُقَدَّمِ وَحَاشِيَتُهُ مِنَ المُقَرَّبِينَ وَالنَّاصِحِينَ، وَعَلَيْهِم تَقْدِيمُ النُّصْحِ وَالإِرْشَادِ لِزَعِيمِ الجَمَاعَةِ اليَهُودِيَّةِ فِي أَدَاءِ مَهَمَّتِهِ(١).

أَوَّلاً :- تَجَمُّعُهُمْ فِي بِلادٍ وَأَمَاكِنَ خَاصَّةٍ بِهِمْ .

تُوجَدُ إِشَارَاتٌ فِي حَدِيثِ الجُغْرَافِيِّينَ عَنْ مُدُنِ الأَنْدَلُسِ إِلَى وُجُودٍ وَاضِحٍ لِليَهُودِ فِيهَا وتَجَمُّعٍ لَهُمْ فِي بَعْضِ المَرَاكِزِ فِي فتْرَةِ الحُكْمِ الإِسْلامِيِّ.

فَقَدْ تَجَمَّعَ اليَهُودُ فِي مَنَاطِقَ مَعْدُودَةٍ فِي بِلادِ الأَنْدَلُسِ وَسَكَنُوا فِي المُدُنِ الكُبْرَى؛ فَمَنْطِقَةُ غَرْنَاطَةَ أَوْ كُورَةُ إِلْبِيرَةَ كَانَتْ تَعُجُّ بِهِمْ حَتَّى شَاعَ تَعْبِيرُ "**غَرْنَاطَةَ اليَهُودِ**"(٢)لأَنَّ نَازِلَتَهَا كَانُوا يَهُودًا.

وَبِجَانِبِ قُرْطُبَةَ تَمَرْكَزَ عَدَدٌ مِنْهُمْ فِي مَدِينَةِ رُوطَةَ Rueda التِي سُمِّيَتْ **بِرُوطَةِ اليَهُودِ**(٣)

١ – انظُرْ: عبد الوَهَّاب المَسِّيرِيّ "**مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" ٢/٢٨٦-٢٨٧ .

٢ – انظُر: الحِمْيَرِيّ "**الرَّوْض المِعْطَار**" ص٤٥ .

٣ – **رُوطَة** : بضم أوله وسكون ثانيه وطاء مهملة،حصن مِنْ أعمال سَرَقُسْطَة بالأَنْدَلُس،وَيُطْلَقُ عَلَى غَيْرِ مَوْضِعٍ واحد بالأَنْدَلُس.

انظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٣/٩٦؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**" ص ٣٤ .

كَمَا كَانَ يُقَالُ عَنْ كُلٍّ مِنْ طَرَّكُونَةَ[1] وَلارِدَةَ[2] وَأَلِيسَانَةَ[3] وَبيانَةَ[4] بِأَنَّهَا **مُدُنُ اليَهُودِ**،وَكَذَلِكَ اسْتَوْطَنُوا مُدُنَ إِشْبِيلِيَةَ وَبَرْشَلُونَةَ.وَفِي قُرْطُبَةَ كَانَ لليَهُودِ بابٌ فِي سُورِهَا عُرِفَ **بِبَابِ اليَهُودِ**[5]، وَمثْلُهُ **بابُ اليَهُود** بنَفيس[6]، وحينَ وَصَفَ الإِدْرِيسِيُّ برغش[7] قَالَ:"إِنَّهَا مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ يَفْصِلُهَا نَهْر وَلِكُلِّ جُزْءٍ مِنْهَا سُورٌ وَالأَغْلَبُ عَلَى الجُزْءِ الوَاحِدِ مِنْهَا اليَهُودُ"[8]،ثُمَّ أَعْطَى إِيضَاحًا أَكْثَرَ عنْ بَعْضِ تَجَمُّعاتِ اليَهُودِ بِقَوْلِهِ: "مَدِينَةُ أَلِيسَانَةَ **مَدِينَةُ اليَهُود** وَلَهَا رَبَضٌ يَسْكُنُهُ المُسْلِمُونَ وَبَعْضُ اليَهُودِ،وَبِهِ المَسْجِدُ الجَامِعُ، وَلَيْسَ عَلَى الرَّبَضِ سُورٌ،وَالمَدِينَةُ مَدِينَةٌ مُتَحَصِّنَةٌ بِسُورٍ حَصِينٍ،وَاليَهُودُ يَسْكُنُونَ بِجَوْفِ المَدِينَةِ وَلا يُدَاخِلُهُمْ فِيهَا مُسْلِمٌ البَتَّةَ،وَأَهْلُهَا أَغْنِيَاءُ مَيَاسِيرُ أَكْثَرُ غِنَى مِنَ اليَهُودِ الذينَ بِبِلادِ المُسْلِمِينَ،وَلِليَهُودِ بِهَا حَذَرٌ وَتَحَصُّنٌ مِمَّنْ قَصَدَهُمْ"[9]،فَاسْتَقَرَّ اليَهُودُ دَاخِلَ المَدِينَةِ بينَمَا أَقَامَ المُسْلِمُونَ فِي رَبَضِهَا،وَلَمْ يَدْخُلُوا إِلَيْهَا.وَذُكِرَتْ مَنَاطِقُ اليَهُودِ فِي الشِّعْرِ ،فَقَالَ ابنُ **شُهَيْدٍ** (ت:٤٢٦هـ)[10] في المَدْحِ[11]:[المتقارب]

لَقَدْ أَطْلَعُوا عِنْدَ **بَابِ اليَهُو** ... **د**ِ بَدْرًا أَبَى الحُسْنُ أَنْ يُكْسَفَا

تَرَاهُ **اليَهُودُ عَلَى** بَابِهَا ... أَمِيرًا فَتَحْسَبُهُ يُوسُفَا

---

١ – **طَرَّكُونَة:** بِفتح أوله وثانيه وتشديده وضم الكاف، مَدِينَةٌ أَنْدَلُسِيَّةٌ عَلَى البَحْرِ الأبيض،مِنْ طَرطُوشَة إِلَى طَرَكُونَة خمسون ميلا،ومِنْهَا إِلَى بَرْشَلُونة فِي الشرقِ ستونَ ميلا. كَانَتْ تسمى مَدِينَةُ اليَهُود.

انْظُرْ : الإِدْرِيسِيّ"**نُزْهَةُ المُشْتَاقِ**" ٥٥٥/٢؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٣٢/٤ ؛الحِمْيَرِيّ "**الرَّوْض المِعْطَار**" ص ٣٩٢ .

٢ – **لارِدَة :** بالراء مكسورة،مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ بالأَنْدَلُسِ شرقي قُرْطُبَةَ . انْظُرْ : الإدريسي"**نُزْهَةُ المُشْتَاقِ**" ٥٥٤/٢–٥٥٥؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٧/٥؛ الحِمْيَرِيّ "**الرَّوْض المِعْطَار**" ص ٥٠٧ .

٣ – انْظُرْ : الإِدْرِيسِيّ"**نُزْهَةُ المُشْتَاقِ**" ٥٧١/٢ .

٤ – **بيانة:** مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ بالأَنْدَلُسِ، بينها وبين قُرْطُبَةَ ثلاثون ميلا،وهي عَلَى ربوة مِنَ الأرض، كَثِيرَةُ المياه السائحة، ولها حصن منيع.

انْظُرْ : الإِدْرِيسِيّ"**نُزْهَةُ المُشْتَاقِ**"٧٤٠/٢–٧٤١؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٥١٨/١؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص١١٩ .

٥ – انْظُر: الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص ٤٥٦ .

٦ – **نفيس:** مَدِينَةٌ فِي المَغْرِبِ عِنْدَ أغمات تُعْرَفُ بالبلد النفيس. انْظُر :الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص٥٧٧ .

٧ – **برغش:** مَدِينَةٌ أَنْدَلُسِيَّةٌ كَبِيرَةٌ يَفْصِلُهَا نَهْرٌ، ولكل جزء مِنْهَا سُورٌ، وَكَانَ الأغلب عَلَى الجُزْءِ الوَاحِدِ مِنْهَا اليَهُود.

انْظُرْ : الإِدْرِيسِيّ"**نُزْهَةُ المُشْتَاقِ**" ٥٥٤/٢، ٧٣٢– ٧٣٥؛ الحِمْيَرِيّ "**الرَّوْض المِعْطَار**" ص ٨٦ .

٨ – الإِدْرِيسِيّ"**نُزْهَةُ المُشْتَاقِ**" ٧٣٢/٢ .

٩ – نَفْسُهُ ٥٧١/٢ .

١٠ – هُوَ الأديب:**أبو عَامِر** أحمدُ بنُ عبدِ المَلِكِ ابنُ **شُهَيْدٍ القرطبي**،قِيلَ إِنَّه مِنْ أعلم أَهْلِ الأَنْدَلُسِ،وله رسائل كَثِيرَةٌ فِي فنون الفكاهة. بالغ ابن بَسَّامٍ فِي الثناء عليه،وذكر ابن دحية أَنَّهُ لَمْ يُشْهد عَلَى قبر أحد مَا شُهِدَ عَلَى قبرِهِ مِنَ البُكاءِ والعَويل.له تصانيف كَثِيرَةٌ مِنْهَا "التوابع والزوابع". ولادته سَنَةَ ٣٨٢هـ وَموته سَنَةَ ٤٢٦هـ بقُرْطُبَةَ. انْظُرْ: الثعالبي"**يَتِيمَة الدَّهْر**" ٤١/٢–٥٨؛ الحُمَيْدِيّ"**جَذْوَة المُقْتَبِس**" ٢٠٧/١؛ ابن خَاقَان"**مَطْمَح الأَنْفُس**"ص١٨٩– ٢٠١؛ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١م١/١٩١– ٣٣٥؛ الأَصْفَهَانِيّ "**خَرِيدَةُ القَصْرِ**"ق٤،ج٢/٦٣٥–٦٤٢؛ الضَبِّيّ"**بُغْيَة المُلْتَمِس**" ٢٣٨/١–٢٤٠؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم الأُدَبَاءِ**" ٢٢٠/٣– ٢٢٣؛ ابن دِحْيَةَ "**المُطْرِب**"ص١٥٨– ١٦٣؛ابن الأَبَّار"**إِعْتَاب الكُتَّاب**" ص٢٠٣–٢٠٥؛ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَان**" ١١٦/١– ١١٨؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**"٧٨/١ – ٨٥؛ "**رَايَات المُبَرِّزِين**"١٢٤–١٢٥؛الصَّفَدِيّ"**الوافِي بِالوَفَيَات**" ٩٦/٧– ٩٩ .

١١ – ابن خَاقَان"**قَلائِد العِقْيان**"ق٢، ج ٤٣٩/٢؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ١٥٥/١ .

وهُنَاكَ رِوايَةٌ أُخْرَى بِتَغْيِيرِ "بَدْرًا" لِيَكُونَ "شَمْسًا"، وَيُصْبِحُ البَيْتُ كَالتَّالِي[1]: [المتقارب]

لَقَــدْ أَطْلَعُــوا عِنْــدَ **بَــابِ اليَهُــو** **د** شَمْسَــا أَبَــى الحُسْــنُ أَنْ

وفي المَرَّتَيْنِ لَمْ تُذْكَرْ مُنَاسَبَةُ الأَبْيَاتِ،وَلَمْ يُعَقِّبْ عَلَيْهَا فِي المَصَادِرِ بِمَا يُوَضِّحُهَا، لكِنَّ المُتَوَقَّعَ أَنْ تَكُونَ قِيلَتْ فِي أَحَدِ الأُمَرَاءِ حِينَ مَرَّ مِنَ البابِ المُسَمَّى **"بابُ اليَهُودِ"** بِقُرْطُبَةَ.وَحين يَرِدُ فِي الشِّعْرِ **"بابُ اليَهُودِ"** يَتَرَجَّحُ القولُ لَدَيَّ بِأَنَّ اليَهُودَ لَمْ يَكُونُوا أَقَلِّيَّةً فِي الأَنْدَلُسِ أَوْ عَلَى الأَقَلِّ فِي مَنْطِقَةِ قُرْطُبَةَ التِي كَانَ بِهَا هَذَا البابُ المَنْسوبُ إِلَيْهِم، فَلا يُعْقَلُ أَنْ يُنْسَبَ البَابُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ قِلَّةٌ لا أَهَمِّيَّةَ لَهَا.وَلَمْ يُتْرَكِ البابُ مُضَافًا إِلَيْهِمْ فَقَطْ فِي البَيْتِ الأَوَّلِ،بَلْ يُؤَكِّدُ الشَّاعِرُ فِي البَيْتِ الثانِي عَلَى خُصُوصِيَّةِ وُجُودِ اليَهُودِ بِكَثْرَةٍ حَوْلَ هَذَا البَابِ حَيْثُ أَخْبَرَنَا الشَّاعِرُ أَنَّ الأَكْثَرِيَّةَ التِي سَتَرَى هَذَا الأَمِيرَ قُرْبَ البَابِ هُمُ اليَهُودُ الذينَ سَيَتَأَثَّرُونَ لِرُؤْيَةِ هَذَا الأَمِيرِ الجَمِيلِ،وَللدِّلالَةِ عَلَى مَدَى تَأَثُّرِهِم سَيَتَخَيَّلُونَهُ النَّبِيَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ أَحَدُ أَنْبِيَائِهِمْ.

لكَنَّ المُلاحَظَةَ التِي تِلْكَ الأَبْيَاتَ فِي"النَّفْحِ" بِهَا أَثَرٌ مِنْ آثارِ التَّصَادُمِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَاليَهُودِ فِي العُصُورِ المُتَأَخِّرَةِ. فقَدْ عَلَّقَ المَقَّرِيّ بِقَوْلِهِ:"وَاسْتَقْبَحُوا قَوْلَهُم **بَابَ اليَهُودِ** فَقَالُوا بَابَ الهُدَى"[2]، وَيُلْمَسُ مِنْ هَذَا القَوْلِ أَنَّ الأَنْدَلُسِيِّينَ لَمْ يَكُونُوا يَسْتَسِيغُونَ سَمَاعَ كَلِمَةِ **"اليَهُودِ"** حَتَّى لَوْ كَانَتِ اسْمَ البابِ الذي مِنْهُ يَلِجُونَ إِلَى حَيِّهِم فِي قُرْطُبَةَ،وَأَرَى فِي هَذَا الكَلامِ مُغَالاةً مِنَ المَقَّرِيِّ وَبُعدًا عَنْ الصِّحَّةِ،فَأَهْلُ الأَنْدَلُسِ لَمْ يَسْتَقْبِحُوا هَذَا زَمَنَ **ابنِ** شُهَيْدٍ، والدليلُ مَجِيءُ اسْمِ اليَهُودِ فِي البَيْتَيْنِ عَلَى اخْتِلافِ الرِّوَايَةِ،وَفِي مَوْقِعَيْنِ فِي "النَّفْحِ" وَليسَ مَرَّةً واحِدَةً،وبِاعْتِقَادِي أَنَّ الذين اسْتَقْبَحُوا أَنْ يَقُولُوا **بَابَ اليَهُودِ** فَقَالُوا بابَ الهُدَى هُمْ المُتَأَخِّرُونَ كَالمَقَّرِيِّ أَوْ مَنْ نَقَلَ عَنْهُمْ؛فهُنَاكَ فَتْرَةٌ زَمَنِيَّةٌ طَوِيلَةٌ بَيْنَ المَقَّرِيِّ(ت:١٠٤١هـ) وَابنِ شُهَيْد (ت:٤٢٦هـ).

وَمِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَتَغَيَّرَ أَسْمَاءُ الأَمَاكِنِ بَعْدَ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ،فَيَأتي للاحِقِ مِنَ الاعْتِبارَاتِ مَا لا يَخْطُرُ عَلَى بَالِ السَّابِقِ،لكِنْ لا أَتَوَقَّعُ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ زَمَنَ الأَبْيَاتِ أَوْ حَتَّى قَبْلَهَا اسْتَقْبَحُوا ذِكْرَ اليَهُودِ،فَمَا كَانَ يَجْرُؤُ شَاعِرٌ مِثْلُ ابنِ شُهَيْدٍ عَلَى ذِكْرِ **"بَابِ اليَهُودِ"** لَوْ لَمْ يَكُنِ النَّاسُ حَوْلَهُ يُسَمُّونَهُ بِهَذَا الاسْمِ خُصُوصًا إِنْ قِيلَتْ هَذِهِ الأَبْيَاتُ فِي المَدْحِ،وَفِي المَدْحِ عادَةً اعتِبَارَاتٌ عَديدَةٌ تَجْعَلُ الشَّاعِرَ يَتَفَقَّدُ كَلِمَاتِهِ وَيَزِنُهَا بِدِقَّةٍ حَتَّى لا تُسيءَ بأَيِّ حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ إِلَى مَمْدُوحِهِ الذي تَكُونُ مَرْضَاتُهُ هِيَ الشَّاغِلَ الذي يَشْغَلُ بالَ الشَّاعِرِ حِينَ يَنْظُمُ مَدْحَتَهُ،فَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ الأَمْرُ إِنْ كَانَ النَّاسُ يُسَمُّونَه **"بَابَ الهُدَى"** بَيْنَمَا الشَّاعِرُ وَفِي مَوْقِفِ المَدْحِ يُسَمِّيه **"بَابَ اليَهُودِ"**؟ وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ التَّسْمِيَةُ مُسْتَقْبَحَةً فَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ أَنْ يَأْتِيَ الشَّاعِرُ فِي غَرَضِ المَدْحِ بِمَا هُوَ مُسْتَقْبَحٌ وَمرْفُوضٌ؟.

---

١ – المَقَّرِيّ **"نَفْحُ الطِّيبِ"** ١٦٧/٢ .

٢ – نَفْسُهُ ١٥٥/١ .

وَوَرَدَ فِي الشِّعْرِ كَذَلِكَ إشارةٌ إِلَى مَا هُوَ قَرِيبٌ مِنْ "**بَابِ اليَهُودِ**" بِقُرْطُبَة،وذَلِكَ فِي قَصِيدَةٍ **لأبي بَكْرِ بنِ القَبْطُرْنَة**(ت بعد:٥٢٠هـ)[١] وَهُوَ يَتَذَكَّرُ لُمَّةً مِنْ إِخْوانِهِ بِقُرْطُبَة،مِنْهَا[٢]: [الكامل]

وَاذْكُـرْ لَهُـمْ زَمَنًـا يَهُـبُّ نَسِـيمُهُ　　　أُصُــلاً كَنَفْـثِ الرَّاقِيَــاتِ عَلِـيلا
بِــ**الحَيْر**،مَـا عَبَسَـتْ هُنَـاكَ غَمَامَـةٌ　　　إلا تَضَــاحَكَ إِذْخِــرًا وَجَلِــيلا

وَعقَّبَ المَقَّرِيُّ على"**الحَيْرَ**"[٣] المَذْكُورَ بِقَوْلِهِ:"إِنَّهُ حَيْرُ الزَّجَّالِيِّ"[٤]،الواقعُ قُرْبَ بابِ اليَهُودِ بِقُرْطُبَة، وَقَالَ:"إِنَّهُ مِنْ أَبْدَعِ المَوَاضِعِ وَأَجْمَلِها وَأَتَمِّهَا حُسْنًا وَأَكْمَلِهَا"،ووَصَفَهُ وَصْفًا دَقِيقًا يُبرِزُ جَمالَهُ ودِقَّةَ صُنْعِهِ،وَأَضَافَ:"كَانَتْ لابنِ شُهَيْد مَعَ صَاحِبِ الرَّوْضِ المَدفُونِ فِيهِ مَجَالِسُ خَمْرٍ وَلَهْوٍ وَاسْتِمْتَاع"[٥] وَبَعْدَ هَذَا الوَصْفِ لِلحَيْرِ أتسَاءَلُ:كَيْفَ يَكُونُ "**بَابُ اليَهُودِ**" وَمَا بداخِلِهِ إِذَا كَانَ الحَيْرُ خارِجَهُ بِهَذَا الجَمَالِ!؟ وَمَا شَكْلُ الأَمَاكِنِ الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا اليَهُودُ فِي قُرْطُبَةَ قُرْبَ البَابِ وَالحَيْرِ!؟ وَأَرَى فِي الكَلامِ عنِ جَمَالِ الحَيْرِ مُؤَشِّرًا عَلَى جَمَالٍ كَانَ يُحيطُ بِأَحْيَاءِ اليَهُودِ،فلا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ أَمَاكِنُ السَّكَنِ لِليَهُودِ فِي مُستَوى بَعيدٍ جِدًّا عَنْ جمالِ هَذَا الحَيْرِ المُجَاوِرِ لَهَا،فإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي مِثْلِ مُسْتَوَاهُ فَهِيَ عَلَى الأَقَلِّ فِي مَكَانٍ يُشْرِفُ عَلَيْهِ وَمُجَاوِرٍ لَهُ.وَهَذَا الجَمَالُ فِي مُدُنِ اليَهُودِ أَوْ فِي الأَمَاكِنِ المُجَاوِرَةِ لسُكْنَاهُم يُشِيرُ إِلَى أَنَّ اليَهُودَ كَانُوا يَعِيشُونَ عِيشَةً هَادِئَةً نَاعِمَةً وَلَمْ تَكُنْ أمَاكِنُ سُكْنَاهُم أَقَلَّ مِنْ أَمَاكِنِ سُكْنَى المُسْلِمِينَ حَضَارَةً أَوْ عُمْرَانًا أَوْ رَفَاهِيَّةً،وَأضَافَ وَصْفُ الحَيْرِ مَا زَادَ مُلاحَظَتِي وُضُوحًا؛ فَالحَيْرُ لَمْ يَكُنْ حوضًا عَادِيًّا تَجْتَمِعُ فِيهِ المِيَاهُ،بَلْ كَانَ رَوْضًا جَميلاً سُمِّيَ حَيْرًا بِاسْمِ الحَيْرِ البَدِيعِ المَوْجُودِ فِيهِ،وَفِيهِ كَانَتْ تُقَامُ مَجَالِسُ للخَمْرِ شَهِدَهَا أَبُو عَامِرِ بنُ شُهَيْد وَالزَّجَّالِيُّ.

وَأَعْتَقِدُ أَنَّ لِوُقُوعِ الحَيْرِ قُرْبَ سَكَنِ اليَهُودِ أَثَرًا سَاعَدَ فِي تَسْهِيلِ وُصُولِ الخَمْرِ إِلَى الحَيْرِ عَنْ طَرِيقِ اليَهُودِ الذينَ اشْتُهِرُوا بِبَيْعِ الخَمْرِ.وَفِي مَوْقِعٍ آخَرَ مِنَ "النَّفْح" مَا يُؤَكِّدُ أَنَّ هَذَا الحَيْرَ كَانَ يَؤُمُّهُ الأُدَبَاءُ وَالشُّعَرَاءُ وَالوُزَرَاءُ يَتَبَادَلُونَ الأَخْبَارَ حِينًا،وَيُنْشِدُونَ وَيَرْتَجِلُونَ الشِّعْرَ حِينًا، وَيُعَاقِرُونَ

---

١ – هُوَ الوَزِيرُ: أَبُو **بَكْرٍ عَبْدُ العَزِيزِ** بنُ سَعِيد بنُ **القَبْطُرْنَة** أَوْ القَبْطُورْنَة [معناها "ذو الرأس المستدير"، فهي كلمتان "caput" وَتعني رأس و"torno" تعني مستدير]، وَهُوَ أَحَدُ ثَلاثَةِ أَخْوَةٍ وُزَرَاءَ شُعَرَاءَ، وَتَمَتَّعَ بِلَقَبِ الوَزِيرِ الكَاتِبِ مِثْلَ أَخَوَيْهِ أَبِي مُحَمَّدٍ طَلْحَةَ وَأَبِي الحَسَنِ مُحَمَّدٍ، وَالثَّلاثَةُ كَانُوا وُزَرَاءَ فِي عَهْدِ بَنِي الأَفْطَسِ بِبَطَلْيُوسْ، وَتَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ هَذَا الكِتَابَةَ لِعُمَرَ المُتَوَكِّلِ بنِ الأَفْطَسِ ثُمَّ للمُرَابِطِينَ عِنْدَ ابنِ تَاشَفِينَ، وَتُوُفِّيَ بَعْدَ سَنَةَ ٥٢٠هـ . انْظُرْ:ابن خَاقَان"**قَلائِد العِقْيان**" ق١،ج١/١٣٤–١٣٧،ق٢،ج٢/٤٢٩ – ٤٤٤؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢، م٢/٧٥٣– ٧٧٤، ق٢،م٢/٧٥٣ [الحَاشِيَة]؛ الأَصْفَهَانِيّ"**خَرِيدَةُ القَصْرِ**"ق٤، ج٢/٤١٢؛ ابن دِحْيَة "**المُطْرِب**"ص١٨٦– ١٨٧؛ ابن الأَبَّار"**التَّكْمِلَة**" ٢/٤١، ٦٣؛"**الحُلَّةُ السِّيَرَاء**" ٢/١٠٣، ١٧٤؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١/٣٦٧– ٣٦٨؛ "**رَايَات المُبَرِّزِين**"٩٦– ٩٧؛ ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَة**" ١/٥٢٠– ٥٢٣؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢/١٦٦– ١٧١.

٢ – ابن خَاقَان "**قَلائِد العِقْيان**" ق٢، ج ٢/٤٣٩؛ "**نَفْحُ الطِّيب**" ١/١٥٥ ، ٢/١٦٧ .

٣ – الحير :هو الحائِرُ؛حَوْضٌ يُسَيَّبُ إِلَيْهِ مَسِيلُ الماء مِنَ الأَمطار،وَأكثر النَّاسِ يسميه الحَيْرَ كَمَا يَقُولُونَ لعائشة عيشَةَ، يستحسنون التخفيف وَطرح الأَلف، وَالعَامَّةُ تقول: حَيْرٌ، وَهُوَ خطأٌ. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [حار] ٤/٢٢٣ .

٤ – **حير الزَّجَّالِيّ** :يُنسب إِلَى بني الزَّجَّالِي، وَكَانَ رَئِيسُهُمْ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ الزَّجَّالِيّ الوَزِيرُ مِنْ كِبَارِ كُتَّابِ الأَمِيرِ عَبْدِ اللهِ الزَّجَّالِيّ، ثُمَّ وَلاه الخِزَانَةَ سَنَةَ ٣١٦هـ فَالوِزَارَة سَنَةَ ٣٤٤هـ . أَمَّا أَخُوهُ مُحَمَّدٌ فقَدْ تَوَلَّى خِزَانَةَ المَالِ سَنَةَ ٣٠٧هـ ثُمَّ الوِزَارَة سَنَةَ ٣١٤هـ .

انْظُرْ: ابن حيَّان"**المُقْتَبَس**"ص ٣٢– ٣٣؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٢/٣٢٨ .

٥ – انْظُرْ: ابن خَاقَان"**قَلائِد العِقْيان**"ق٢، ج ٢/٤٣٩ – ٤٤٠؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٢/١٦٧ – ١٦٨ .

الخَمْرِ حِينًا[١]،وَكُلُّ هَذَا وَاقِعٌ فِي الطَّرِيقِ المُجَاوِرِ لِحَيِّ اليَهُودِ.وَسِوَى هَذَا لَمْ أَجِدْ إِشَارَاتٍ إِلَى أَمَاكِنَ لَهَا عَلاقَةٌ بِاليَهُودِ فِيمَا وَصَلَ إِلَيْنَا.

الجِيتُو الأَنْدَلُسِيُّ

يُفْهَمُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ اليَهُودَ كَانُوا مَعْزولينَ فِي أَحْيَاءَ وَمَنَاطِقَ خَاصَّةٍ بِهِمْ،وَيُؤَكِّدُ عُزْلَتَهُمْ تَسْمِيَةُ بَعْضِ المَنَاطِقِ بِأَسْمَائِهِم **كَرَبَضِ اليَهُودِ** أو **بَابِ اليَهُودِ** أَوْ **مَقْبَرَةِ اليَهُودِ**،وهَذَا يَقُودُ إِلَى القَوْلِ إِنَّهُم عاشُوا فِي مَا يُسَمَّى **"الجِيتُو"**[٢]؛ فَقَدْ كَانَتِ الجَمَاعَةُ اليَهُودِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ مُنْغَلِقَةً عَلَى ذَاتِهَا، كَعَادَةِ اليَهُودِ فِي مُعْظَمِ الدُّوَلِ التِي انْتَشَرُوا فِيهَا فِي العُصُورِ الوُسْطَى.وَحَقِيقَةُ الأَمْرِ أَنَّ ظَاهِرَةَ **الجِيتُو** هَذِهِ ذاتُ جُذُورٍ عَقَدِيَّةٍ تَلْمُودِيَّةٍ قَائِمَةٍ عَلَى مَبْدَأ العُزْلَةِ وَالاعْتِزَالِ عَنْ بَقِيَّةِ الشُّعُوبِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُم جِنْسٌ مُمَيَّزٌ،وَشَعْبُ اللهِ المُخْتَارُ،أَمَّا غَيْرُهُمْ فَهُمْ خَدَمٌ مُسَخَّرٌ لَهُمْ وَلِخِدْمَتِهِمْ[٣]. وَلَمْ تكُنْ هَذِهِ الظاهِرةُ خاصَّةً ببِلادِ الأَنْدَلُسِ بَلْ ظَهَرَت بِوُضوحٍ فِي بِلادِ المَغْرِبِ العَرَبِيِّ الذي لا يَنْفَصِلُ الحالُ بِهِ عنْ حَالِهِمْ فِي الأَنْدَلُسِ كيَهُودِ توات مَثَلاً[٤]،وَيَهُودِ مَدِينَةِ أَغْمَاتَ إِيلانَ[٥].

وَكَانَ حَيُّ اليَهُودِ **"الجِيتُو"** فِي الغَالِبِ يَتَكَوَّنُ مِنْ مِائَةِ فِنَاءٍ صَغِيرٍ غَيْرِ مُنْتَظِمٍ،تَتَرَابَطُ مَعَ بَعْضِهَا عَلَى امْتِدَادِ ضُرُوبٍ ضَيِّقَةٍ،تُواجِهُهَا عَلَى ثَلاثَةِ جَوانِبَ مِنْهَا بُيُوتٌ ذَاتُ طَابِقَيْنِ وَفِنَاءٌ مَكْشُوفٌ، مَطْلِيَّةٌ بِاللَّوْنِ الأَبْيَضِ وَلَهَا شُرُفَاتٌ مُزَيَّنَةٌ بِالزُّهُورِ،وبَقِيَ هَذَا النَّمَطُ وَاضِحًا عَلَى البِنَاءِ المُتَبَقِّي فِي قُرْطُبَةَ الإِسْلامِيَّةِ،مِمَّا حَدَا بِروبرت هيلنبراند أَنْ يَعْتَبِرَ بَقَاءَ هَذَا الصَّدى الخَافِتِ لِحَيِّ اليَهُودِ إِلَى الآنَ مِنَ المُفَارَقاتِ الغريبَةِ؛فَكُلُّ مَا بَقِيَ مِنْ رَوَائِعِ البِنَاءِ القَدِيمِ فِي قُرْطُبَةَ مَسَاكِنُ لا تُعُودُ إِلَى أَيٍّ مِنَ الجَمَاعَتَيْنِ اللتَيْنِ كَانَتَا سَادَةَ المَدِينَةِ طَوَالَ خَمْسَةَ عَشَرَ قَرْنًا مِنَ الزَّمَانِ،بَلْ إِلَى جَمَاعَةٍ مُسْتَضْعَفَةٍ فِي

---

١ - انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ١٣/٦ .

٢ - **الجِيتُو**: عبارةٌ عَنْ حَيٍّ أَوْ عَدَدٍ مِنَ الشَّوَارِعِ المُخَصَّصَةِ لإقامةِ اليَهُود، أَصْلُ الكَلِمَةِ مُحَاطٌ بِكَثِيرٍ مِنَ الشُّكُوكِ،وتَعَدَّدَتِ الأَقوالُ فيه، لكنَّ أَكْثَرَهَا إِقْنَاعًا فِيمَا أَرَى القَوْلُ بِأَنَّ الجِيتُو اسْتُخْدِمَتْ للمَرَّةِ الأُوْلَى لِوَصْفِ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ البُنْدُقِيَّةِ بالقربِ مِنْ مَسْبَكٍ لِصَهْرِ المَعَادِنِ يُسَمَّى "جِيتُو أوجِتُو"،وَكَانَ مُحَاطًا بِأَسْوَارٍ وَبَوَّابَاتٍ تُطْوَى خِلالَ اللَيْلِ فِي عَامِ ١٥١٦م وخُصِّصَ لإِقَامَةِ الطَّائِفَةِ اليَهُودِيّةِ،فكَانَ بِهِ مِائَةُ شَخْصٍ مِنَ اليَهُودِ بعدَ أَنْ كَانُوا مُشَتَّتِينَ فِي المَدِينَةِ وَيَتَعَرَّضُونَ للاسْتِفْزَازَاتِ. فَقَدْ سُمِحَ لَهُم البَقَاءُ فِي المَدِينَةِ بِشَرْطِ أَنْ يَتَجَمَّعُوا فِي حَيٍّ خَاصٍّ "الجِيتُو القَدِيم" فِي جَزِيرَةٍ مُنْعَزِلَةٍ بَيْنَ قَنَوَاتِ المَدِينَةِ.وبَعْدَ مُرورِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً أُضِيفَتْ إِلَيْهِ مَنْطِقَةٌ جَدِيدَةٌ "الجِيتُو الجَدِيدُ" ،وَتَجَمَّعَ فِيهِ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ اليَهُودُ القَادِمُونَ مِنَ الشَّرْقِ،وَمُنْذُ ذَلِكَ الحِينِ أُطْلِقَ عَلَى هَذَيْنِ الحَيَّيْنِ المُغْلَقَيْنِ اسْمًا مُوَحَّدًا هُوَ "الجِيتُو". وَيَذْكُرُ رَشَاد الشَّامِيُّ أَنَّ هَذِهِ العُزْلَةَ ظَلَّتْ اخْتِيَارِيَّةً مِنْ قِبَلِ اليَهُودِ إِلَى أَنْ أَصْدَرَ البَابَا بُولُس الرَّابِعُ (١٥٥٠- ١٥٥٩م) نَشْرَةً بَابَوِيَّةً عَام ١٥٥٥م تُوصِي لأَوَّلِ مَرَّةٍ بِعَزْلِ اليَهُودِ إِجْبَارِيًّا . انْظُرْ: عبد الوَهَّاب المَسِّيرِيّ"**مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**"٤/٢٨٨- ٢٩٤؛ رَشَاد عَبْد اللهِ الشَّامِيّ"**الشَّخْصِيَّةُ اليَهُودِيّة الإِسْرَائِيلِيّة وَالرُّوحُ العُدْوَانِيَّةُ**"ص ١٦-١٧ .

٣ - جَاءَ فِي"**التَّوْرَاة**"**سفر اللاويين** ٤٠/٢٤: "أَنَا الرَّبُّ الذِي مَيَّزَكُمْ عَنِ الشُّعُوبِ"، وَفِي **سفر التَّثْنِيَةِ** ١٤/٢: "لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ".

٤ - انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢/٢١٧ – ٢٢٨ .

٥ - انْظُرْ: الإِدْرِيسِيّ "**نُزْهَةُ المُشْتَاقِ**" ١/٢٣٥ .

كِلا العَهْدَيْنِ وَهُمُ اليَهُودُ[١].

وَكَانَ كَنِيسُهُم مَرْكِزَ الحَيِّ اليَهُودِيِّ الجُغْرافيِّ والاجتِمَاعِيِّ والاقْتِصَادِيِّ،ولِهَذَا ازْدَحَمَتِ المَسَاكِنُ حَوْلَهُ ازْدِحامًا كَبيرًا،وكَانَتِ الأحياءُ اليَهُودِيَّةُ فِي إسْبَانيَا تَحتَوِي عَلَى مَسَاكِنَ جَمِيلَةٍ وَعمَارَاتٍ، كَمَا تَحْتَوِي عَلَى أكْوَاخٍ قَذِرَةٍ،أمَّا فِي غَيْرِهَا مِنْ بِلادِ أوْرُوبَّا فَكَانَتِ المَسَاكِنُ أحْيَاءَ قَذِرَةً وَمُمْتَلِئَةً بِالسُّكَّانِ[٢].

وَأدَّى **الجِيتُو** إلَى عُزْلَةِ اليَهُودِ عَنْ لُغَةِ الشُّعُوبِ التِي كَانُوا يَعِيشُونَ فِيهَا فِي بَعْضِ بُلْدَانِ أوْرُوبَّا فِي العُصُورِ الوُسْطَى بِمَنْعِ تَعَلُّمِهَا أوِ التَّخَاطُبِ بِهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ،وكَانَ **لِلجِيتُو** لُغَتُهُ الخَاصَّةُ، وَهِيَ المُسَمَّاةُ الإيديشYiddish،وَهِي خَلِيطٌ مِنَ العِبْرِيَّةِ وَالألْمَانِيَّةِ وَالبُولَنْدِيَّةِ وَالرُّوسِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَظَهَرَ هَذَا وَاضِحًا عِنْدَ الإشْكِنَازِ(اليَهُودِ الأورُوبِيِّينَ).أمَّا يَهُودُ الأنْدَلُسِ وَاليَهُودُ الشَّرْقِيُّونَ فَكَانَتْ لُغَتهُمْ تُعْرَفُ بِاللّيدو Ladinoوَهِي خَلِيطٌ مِنَ العِبْرِيَّةِ وَالإسْبَانِيَّةِ[٣]. إلا أنَّ يهُودَ الأنْدَلُسِ أظهَرُوا اهْتِمَامًا خَاصًّا بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، فَقَدْ تَحَدَّثُوا وَكَتَبُوا بِهَا .

وَلَمْ يُتَّهَمْ يَهُودُ الأنْدَلُسِ بِتُهْمَةِ "**قَتْلِ الأغْيَارِ**"[٤]،وإنْ ظَهَرَتْ فِي بَعْضِ دُوَلِ أوْرُوبَّا مُرْتَبِطَةً بِمَا يُقَالُ عَنْ فَطِيرِ صَهْيُونَ وَقَتْلِ الرِّجَالِ أوْ خَطْفِ وَقَتْلِ الأطْفَالِ[٥]،فَلَمْ تَظْهَرْ هَذِهِ وَلا تِلْكَ فِي مَصَادِرِ التُّرَاثِ الأنْدَلُسِيِّ وَلا فِي أدَبِهِم .

ثَانِيًا :- مَظْهَرُهُمُ العَام .

وَضَعَ سَلاطِينُ المَشْرِقِ العَرَبِيِّ وَمَغْرِبِهِ شُرُوطًا عَامَّةً لِمَلابِسِ اليَهُودِ وَهَيْئَتِهِمْ،اعتمَدَتْ عَلَى مَا اشْتَرَطَهُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ عَلَيْهِم[٦]؛فَعَلَى حَاكِمِ المُسْلِمِينَ أنْ يُلْزِمَهُم التَّمَيُّزَ عَنِ المُسْلِمِينَ فِي اللِّبَاسِ،وَأنْ يُلْزِمَهُمْ الغَيَارَ[٧]،وَظَهَرَ مِنْ هَيْئَتِهِم العَامَّةِ مَا يَلِي:

---

١ – انْظُرْ: روبَرْت هيلِنْبرَاند "**زِينَةُ الدُّنْيَا:قُرْطُبَةُ القَرْوسْطِيَّةُ**" تَرْجَمَة: عَبْد الوَاحِدِ لُؤْلُؤَة، بَحْثٌ في:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإسْلامِيَّةُ فِي الأنْدَلُسِ" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ١/ ٢٠٢ .

٢ – وِل دِيوْرَانت "**قِصَّةُ الحَضَارَةِ**" ٥٧/١٤ .

٣ – انْظُرْ: إسْمَاعِيل راجي الفاروقي "**المِلَلُ المُعَاصِرَةُ فِي الدِّينِ اليَهُودِيّ**" ص ٢٥ .

٤ – اعْتَمَدَتْ ظَاهِرَةُ "قَتْلِ الأغْيَارِ" عَلَى مَا جَاءَ مِنَ الدعوة لَهَا صَرَاحَةً فِي التَّلْمُودِ، وَمِنْ ذَلِكَ "اقْتُلْ عَبَدَةَ الأوْثَانِ وَلَوْ كَانُوا مِنْ أكْثَرِ النَّاسِ كَمَالا"، وجَاءَ فِيهَا أيْضًا: "مَنْ يَرْفَعْ وَثَنِيًّا مِنْ حُفْرَةٍ وَقَعَ فِيهَا، فَإنَّهُ يُبْقِي عَلَى رَجُلٍ مِنْ عُبَّادِ الأوْثَانِ لذَلِكَ إذَا سَقَطَ وَثَنِيٌّ فِي حُفْرَةٍ فَاسَدُدْهَا عَلَيْهِ بِحَجَرٍ كَبِيرٍ"، ويضيف الحاخام راشي إلَى ذلك: عليك أن تمنع عَنْهُ كُلَّ وَسِيلَةٍ يُمْكِنُهُ اسْتِعْمَالُهَا فِي خُرُوجِهِ مِنَ الحُفْرَةِ .

انْظُرْ: http://**kalwid**.0pi.com/chapters/pt2ch1 .htm;

http://www.**al-eman**.com/Islamlib/viewchp.asp?BID=274&CID=3

٥ – اتُّهِمَ اليَهُودُ فِي القرنِ الثاني عشر فِي أوْرُوبَّا بأنَّهُم يختطفونَ أطْفَالَ النَّصَارَى لِيُقَدِّمُوهُمْ قُرْبَانًا إلَى يَهْوه،أوْ لِيَتَّخِذُوا دِمَاءَهُم دَوَاءً أوْ لِيَسْتَعْمِلُوهُ فِي صُنْعِ خُبْزِ الفَطِيرِ لِعِيدِ الفِصْحِ عِنْدَهُم. انْظُرْ:صابر طُعَيمة "**التاريخ اليهودي العام**"ص٥١–٥٢؛ مُحَمَّد بحر عبد المجيد"**اليَهُودُ فِي الأنْدَلُسِ**"ص١٢–١٣؛ رمسيس عوض"**شِكْسبِير واليَهُود**"ص١٤–١٥؛ وِل دِيوْرَانت"**قِصَّةُ الحَضَارَةِ**"٨١/١٤ .

٦ – انْظُرْ: أبُو يُوسُف"**الخَرَاجُ**"ص١٢٧ ؛ أبُو بَكْر الطُّرْطُوشِيّ"**سِرَاجُ المُلُوكِ**" ٥٤٣/٢–٥٤٥؛ الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢٥٤/٢.

٧ – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢٥٦/٢ .

١ ـ الهَيْئَةُ العَامَّةُ وَالغِيارُ "الشُّكْلةُ".

لَخَّصَ الطُرْطُوشِيُّ وَالوَنْشَرِيسي هَيْئَةَ اليَهُودِ العَامَّةَ(١)فَأشَارُوا إِلَى أنَّهُ يَلْزَمُهُمْ أن يَتَمَيّزُوا عَنِ المُسْلِمِينَ فِي اللّباسِ،فإنْ لَبِسُوا مثلَهم مَيَّزُوا ملابسَهُم عَنْ مَلابِسِ المُسْلِمِينَ بالخَرْقِ. وَاشْتَرَطُوا عَلَى اليَهُودِيِّ أَنْ يَضَعَ رُقْعَةً مَخِيطَةً عَلَى قَمِيصِهِ أَوْ بُرْنُسِهِ أَوْ جُبَّتِهِ مِنْ نَحْوِ الشِّبْرِ مِنْ طَوْقِهِ إِلَى آخِرِ الكَتِفَيْنِ، وَرُقْعَةً أُخْرَى مِنْ قَدِّهَا عَلَى الصَّدْرِ مَصْبُوغَتَيْنِ بالزعفران، وإن لَبِسُوا قلانِسَ فَتكُونُ لِطَافًا مُقارِبَةً، وَيَكُونُ فِي وَسَطِهَا أَوْ فِي أَعْلاهَا رِقَاعٌ مِنْ لبُودٍ حُمْرٍ أَوْ خِرَقٍ حُمْرٍ تُخَالِفُ أَلْوَانَ القَلانِسِ لِيُعْرَفُوا بها(٢)،وَقَالُوا: إِنَّ فِي رُكُوبِهِمْ السُّرُوجَ وَلِبَاسِهِمْ الغَالِيَ مِنَ الثِّيَابِ تَبَاهِيًا عَلَى الإسْلامِ،فَمُنِعُوا منهُ، وَأُبِيحَ لهم مَا صَغُرَ مِنْهَا وَلَطُفَ قَدْرُهَا مِمَّا لا تَبَاهِيَ فِيهِ(٣).

وَتَمَيَّزَ اليَهُودُ بِمَلابِسَ ذَاتِ أَلوانٍ خَاصَّةٍ كَانَتْ تُفْرَضُ عَلَيْهِمْ؛ وبِاخْتِلافِ السِّيَاسَاتِ الَّتِي عَاشَ اليَهُودُ فِي ظِلِّهَا اخْتَلَفَتْ أَلوانُ مَلابِسِهِمْ مَا بَيْنَ الأَزْرَقِ وَالأَصْفَرِ وَالكُحْلِيِّ وَالأحْمَرِ،وَلَمْ يكُنْ تَخْصِيصُ أَهْلِ الذِّمَّةِ بِلَونٍ مُعَيَّنٍ فِي ملابسِهِم خَاصًّا بِالمَغَارِبَةِ وأَهْلِ الأَنْدَلُسِ،فَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ السِّيَاسَةُ تجَاهَ اليَهُودِ مُتَوازِيَةً لشَبِيهةٍ لَهَا فِي المَشْرِقِ العَرَبِيِّ مَعَ تَشَابُهٍ فِي الأَلْوَانِ أَحْيَانًا(٤).

وَلَمْ أَجِدْ تفصيلاً كَثِيرًا أَوْ تَوْضِيحًا لِهَذِهِ المَلابِسِ وأَلوانِهَا فِي أَدَبِ الأَنْدَلُسِيِّينَ،لكِنْ ظَهَرَتْ فِي الشِّعْرِ إِشَارَاتٌ قَلِيلَةٌ إِلَى هَذَا **"الغِيَارِ"** فِي مَلابِسِ اليَهُودِ أَو **"الشُّكْلَةِ"** الخَاصَّةِ بِهِمْ؛وَقَدْ أَطلَقَ المَغارِبَةُ وَالأَنْدَلُسِيُّونَ **"الشُّكْلَةَ"** عَلَى المَلابِسِ الَّتِي فُرِضَتْ عَلَى اليَهُودِ،وَأَرَى أَنَّ **"الشُّكْلَةَ"** أُطلِقَتْ فِي البَدْءِ عَلَى مَلابِسِ اليَهُودِ الصَّفْرَاءِ،لِمُشَابَهَتِهَا لاشْتِقَاقَاتِ "شكل"(٥)؛ثُمَّ أُطلِقَتْ عَلَى كُلِّ مَلابِسِهِمْ وإِنِ اخْتَلَفَ لَوْنُهَا،وَيَرَى دوزي أَنَّ **"الشُّكْلَةَ"** هِيَ البَذْلَةُ وَلا يُخَصِّصُهَا لِليَهُودِ(٦).

---

١ – انْظُرْ: أَبُو بَكْرالطُرْطُوشِيّ"**سِرَاجُ المُلُوكِ**" ٢/٥٤٧ .

٢ – الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢/٢٥٧ .

٣ – نَفْسُهُ ٢/٢٥٥ .

٤ – عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ: يَذْكُرُ ابنُ كَثِيرٍ(ت:٧٧٤هـ) شَيْئًا عنْ هَذِهِ الألوان فِي تأريخهِ لأَخْبَارِ المشرقِ العَرَبِيِّ سَنَةَ ٧٠٠هـ بقَوْلِهِ: "قرِئَتْ شُرُوطُ الذِّمَّة عَلَى أَهْلِ الذِّمَّة وَأُلْزِمُوا بِهَا،... وَأُلْزِمَ النَّصَارَى بِالعَمَائِمِ الزُّرْقِ وَاليَهُود بِالصُّفْرِ وَالسَّامِرةُ بِالحُمْرِ فَحَصَلَ بِذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ وَتَمَيَّزُوا عَنْ المُسْلِمِينَ". انْظُرْ:"ابن كَثِير"**البِدَايَة وَالنِّهَايَة**"١٤/١٦ .

٥ – أَرَى أَنَّ أَصْلَ الشُّكْلَةِ فِي اللُّغَةِ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ :"الضَّبُعُ فِيهَا غُثْرة وَشُكْلَة" أي فِيهِ لَوْنانِ سَوادٌ وصُفْرة سَمِجَة. كَمَا قِيلَ: الشُّكْلَة فِي العين الصُّفْرَة التي تُخَالِطُ بياض العين الذِي حَوْلَ الحَدَقَة عَلَى صِفَة عين الصَّقْر،وَالأَشْكَلُ:شَجَرٌ مِثْلُ شَجَرِ العُنَّاب فِي شَوْكه وعَقَف أَغصانه،غَيْرَ أَنَّهُ أَصْغَرُ وَرَقًا وَأَكْثَرُ أفناناً، مَنَابِته شَوَاهِقُ الجبال وَتُتَّخَذُ مِنْهُ القِسِيُّ،وإذَا لَمْ تكن شجرته عَتِيقة مُتقادِمة كَانَ عُودُها أَصفر شديد الصُّفْرة، وإِذَا تَقَادَمَتْ شجرتُه واسْتَتَمَّت جَاءَ عودُها نصفين: نصفًا مِنْهُمَا شديد الصفرة.

ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**"١١/٣٥٧ – ٣٦٠ .

٦ – انْظُرْ: رينهارت دوزي "**تَكْمِلَة المَعَاجِمِ العَرَبِيَّة**" تَرْجَمَة: مُحَمَّد النُّعَيْمِي [شكل] ٦/٣٤٢ .

وَلَمْ تَكُنِ "**الْمُشْكِلَةُ**" مَفْرُوضَةً عَلَى اليَهُودِ فَحَسْبُ،بَلْ أُلْزِمَ بِهَا حَتَّى مَنْ أَسْلَمَ مِنَ اليَهُودِ، وَهَذَا وَاضِحٌ بِقَوْلِ يَعْقُوبَ المَنْصُورِ:"لَوْ صَحَّ عِنْدِي إِسْلامُهُمْ لَتَرَكْتُهُمْ يَخْتَلِطُونَ بِالمُسْلِمِينَ فِي أَنْكِحَتِهِمْ وَسَائِرِ أُمُورِهِمْ،وَلَوْ صَحَّ عِنْدِي كُفْرُهُمْ لَقَتَلْتُ رِجَالَهُمْ وَسَبَيْتُ ذَرَارِيهِمْ.وَجَعَلْتُ أَمْوَالَهُمْ فَيْئًا لِلمُسْلِمِينَ، وَلَكِنِّي مُتَرَدِّدٌ فِي أَمْرِهِمْ.وَلَمْ تَنْعَقِدْ عِنْدَنَا ذِمَّةٌ لِيَهُودِيٍّ وَلا نَصْرَانِيٍّ مُنْذُ قَامَ أَمْرُ المَصَامِدَةِ وَلا فِي جَمِيعِ بِلادِ المُسْلِمِينَ بِالمَغْرِبِ بَيْعَةٌ وَلا كَنِيسَةٌ،إِنَّمَا اليَهُودُ عِنْدَنَا يُظْهِرُونَ الإِسْلامَ وَيُصَلُّونَ فِي المَسَاجِدِ وَيُقْرِئُونَ أَوْلادَهُمْ القُرْآنَ جَارِينَ عَلَى مِلَّتِنَا وَسُنَّتِنَا،وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَتَحْوِيهِ بُيُوتُهُمْ"[١] . وَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ إِنَّ الكَلامَ يَخْتَصُّ بِيَهُودِ المَغْرِبِ فَحَسْبُ،لَكِنَّنِي مَعَ مُحَمَّدٍ السَّعِيدِ فِي تَأْكِيدِهِ أَنَّهُ يَنْسَحِبُ عَلَى الأَنْدَلُسِ أَيْضًا؛فَالسِّيَاسَةُ وَاحِدَةٌ،وَالحُكْمُ يَسْرِي عَلَى البِلادِ الَّتِي يَحْكُمُهَا المُوَحِّدُونَ كَافَّةً،وَلَيْسَتِ الأَنْدَلُسُ سِوَى وِلايَةٍ مِنْ وِلايَاتِهِم[٢] .

وَدَعَا **أَبُو إِسْحَاقَ الإِلبِيرِيُّ**(ت:٤٥٩هـ)[٣]أَهْلَ صِنْهَاجَةَ وَبَادِيسَ إِلَى الثَّوْرَةِ عَلَى اليَهُودِ لأَنَّهُمْ يَتَعَالَونَ عَلَى المُسْلِمِينَ بِاتِّخَاذِهِمُ المَلابِسِ الغَالِيَةِ الثَّمَنِ،وَبِنَاءِ البُيُوتِ الفَخْمَةِ،بِقَوْلِهِ[٤]:[المتقارب]

فَهَــلا اقْتَــدَى فِــيهِمُ بِــالأُولَى ... مِــنَ القَــادَةِ الخِيَــرَةِ المُتَّقِــيْنْ
وَأَنْــزَلَهُم حَيْــثُ يَسْــتَاهَلُونْ ... وَرَدَّهُــمُ أَسْــفَلَ السَّــافِلِينْ
وَطَــافُوا لَــدَيْنَا بِأَفْــوَاهِهِمْ[٥] ... عَلَــيْهِمْ صَــغَارٌ وَذُلٌّ وَهُــونْ[٦]

---

١ – عَبْدِ الوَاحِدِ المَرَّاكُشِيّ"**المُعْجِب**" ص ٣٠٥ .

٢ – انْظُرْ: مُحَمَّد مجيد السَّعِيد"**الشِّعْر فِي عَهْدِ المُرَابِطِينَ وَالمُوَحِّدِينَ بِالأَنْدَلُس**" ص٥٣ .

٣ – هُوَ: أَبُو **إِسْحَاقَ** إِبْرَاهِيمُ بنُ مسعودٍ **الإِلْبِيرِيّ**،مِنْ حِصنِ العقاب،اشتُهِرَ بِقُرْطُبَةَ بِعِلْمِهِ وصلاحِهِ وَزُهدِه،أكثر فِي شِعْرِهِ مِنْ ذم الدنيا، أنكَرَ عَلَى بَادِيسَ توزير يهوديٍّ وتقريبه فِي الحكم،فمَا كَانَ مِنْهُ إلا أن نفاه إِلَى إِلْبِيرَة، فَقَالَ قَصِيدَةً فِيهِ كَانَتْ سببًا فِي ثورة النَّاسِ عَلَى اليَهُود وذبحهم والقضاء عَلَى وزيرهم. لَمْ تذكر المَصَادِرُ تاريخ مَوْلِدِهِ، واختلفوا فِي تحديد تاريخ وفاته القريب مِنْ نهاية عام ٤٥٩هـ .

وَلَهُ تَرْجَمَةٌ فِي قليلٍ مِنَ المَصَادِرِ رُغْمَ أَنَّه أحدث ثورة بالغة الأثر،ترجم لَهُ القاضي عياض فِي نِهَايَةِ "ترتيب المدارك"، وَخصه الضبي بأقل مِنْ سطرين فِي كِتَابِهِ "بغية الملتمس" وقال: إِنَّه كَانَ فقيها زاهدًا عابدا،وَقَالَ ابن الأَبَّارِ فِي "تكملة الصلة" إِنَّهُ كَانَ شاعرا مُجَوِّدًا،وَاشْتُهِرَ بِشِعْرِهِ الزُّهْدِيّ،أَمَّا المَقَّرِيّ التِّلِمْسَانِيُّ فَأَشَارَ إِلَيْهِ فِي "نَفْحِ الطِّيبِ" فِي ستة مواطن،أورد لَهُ فِيهَا أَبْيَاتًا مَنْقُولَةً عَنْ دِيوَانِهِ، وَبعض مِنْهَا لَمْ يرد فِي مخطوطة الديوان الوَحِيدةِ المَوْجُودَةِ فِي مَكْتَبَةِ الأسكوريال،وَقَدْ نشرها إِمِيلُو غَرْسِيه غُومِثْ فِي مدريد عام ١٩٩٤م،وَجَاءَ المَقَّرِيّ بخبر وَحيد قصير حَوْلَ قَصِيدَتِهِ المُتَّصِلَةِ بِاليَهُود،ثُمَّ أَوْرَدَ أَبْيَاتًا خَمْسَةً مِنْهَا.وَلا نَعْرِفُ للإلبيري مِنَ الكُتُبِ المؤلفة غَيْرِ دِيوَانِهِ الشِّعْرِيّ. انْظُرْ:القاضي عَيَّاض"**تَرْتِيب المَدَارِك**" ٣٦٦/٢؛الضَبِّيّ"**بُغْيَة المُلْتَمِس**"٢٧٤/١؛ ابن الأَبَّار"**التَّكْمِلَة**"١١٨/١–١١٩،٢٠/٣؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٣٢/٢–١٣٣؛ابن الخَطِيب "**أَعْمَال الأَعْلامِ**" ص٢٣١–٢٣٣؛ "**الإِحَاطَةُ**"٤٤٠/١ ؛المَقَّرِيّ"**نَفْحُ الطِّيب**" ٤٠/٥، ٩٣/٦–٩٤؛ إِمِيلُو غَرْسِيه غُومِثْ"**مَع شعراء الأَنْدَلُسِ وَالمُتَنَبِّي**؛ سِيَرٌ ودِرَاسَات"ص٨٣–١١٦ .

٤ – انْظُر القَصِيدَةَ : أَبُو إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيّ "**دِيوَانُهُ**" ص٨٩– ٩٢؛وأورد أَبْيَاتًا مِنْهَا كل من:ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٣٣/٢؛ابن الخَطِيب "**أَعْمَال الأَعْلام**"ص٢٣١– ٢٣٣؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٩٣/٦ .

٥ – فِي تحقيق مُحَمَّد رضوان الداية بأَخْرَاجِهِم وَالخَرْج: الضريبة عَلَى الرؤوس وَعلى الدخل. بأفواهِهِم: يقصدُ هُنَا بالغيبة مأخوذةٌ مِنَ (الفُوهَةُ أَوْ الفُوَّهَةُ) وهيَ تَقْطِيعُ النَّاسِ بَعْضُهُم بَعْضًا بِالغِيبَةِ. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [فوه] ٥٣٠/١٣ .

٦ – يشير الشَّاعِرُ هُنَا إِلَى الآيَةِ الكَرِيمَةِ : ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ **سُورَة التَّوْبَة**، آيَة ٢٩ .

وَقمُّـوا[1]المَزَابِـلَ عَـنْ خِـرْقَـةٍ [2] مُلَوَّنَـــــــةٍ لِدِثَارِ الــــــدَّفِينْ[3]
وَهُـــمْ يَلْبَسُـــونَ رَفِيـــعَ الكُسَـــى وَأَنْـــتُم لأَوْضَـــاعِهَا لابِسُـــونْ

وَرَخَّـــــــمَ[4]قِـــــــرْدُهُمُ دَارَهُ وأجْـرَى إلَيْهَــا نَمِيْــرَ[5]العُيُــونْ

فَكَانَ أَوَّلُ مَا طَالَبَ بِهِ الإلبِيرِيُّ أَنْ يَقْتَدِيَ بَادِيسُ بِسَلَفِهِ مِنَ القَادَةِ المُتَّقِينَ الذينَ حَدَّدُوا مَظْهَرَهُمُ العامّ ونَوْعِيَّةَ المَلابِسِ التِي كَانَ اليَهُودُ يَلْبَسُونَهَا،وَأَضَافَ أَنَّهُم تَبَاهَوْا فِي قُصُورِهِمْ؛فقصْرُ وَزِيرِهِمُ المَنْعُوتِ بِالقِرْدِ كَالجَنَّةِ،وَفِي هَذَا الكَلامِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اليَهُودَ فِي الأَنْدَلُسِ عَاشُوا بِهَيْئَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ مُحْتَرَمَةٍ،يَتَشَبَّهُونَ بِالمُسْلِمِينَ،بَلْ كَانُوا أَحْيَانًا فِي حَالٍ أَفْضَلَ كَثِيرًا مِنْ حَالِ المُسْلِمِينَ.

وَاخْتَلَفَتِ السِّيَاسَاتُ التِي عَاشَ فِي ظِلِّهَا اليَهُودُ،وَرافَقَ السِّيَاسَاتِ اخْتِلافٌ فِي أَلوانِ مَلابِسِهِم. وَأَتَوَقَّعُ أَنَّ أَشْعَارًا قِيلَتْ فِي هَذِهِ التَّغَيُّرَاتِ،لَكِنَّهَا ضَاعَتْ.وَمَا يَجْعَلُنِي أَقُولُ هَذَا مَا قَالَهُ ابنُ عِذَارِي-فِي حَدِيثِهِ عَنْ فَضَائِلِ يَعْقُوبَ المَنْصُورِ عِنْدَمَا أَمَرَ **بِشُكْلَتِهِمْ** الزَّرْقَاءِ- عَنْ **أُرْجُوزَةٍ** طَوِيلَةٍ **لابنِ نَغْرِيلَّةَ** ضَاعَتْ وَلَمْ يَصِلْ إِلينا مِنْهَا إِلا البَيْتُ الأَوَّلُ وَتَبْتَدِئُ بِقَوْلِهِ[6]:[الرجز]

لَــبِّسْ ذَا **الأَزْرَقِ** لَـيْسَ فِيــهِ خَسَــا رَا فَـافْهَمُوا يَـا قَـوْمِ هَـذِهِ الإِشَـارَا

نَعْتَ ابنُ عِذَارِي قَائِلَهَا بِاليَهُودِيِّ اللَّعِينِ وَهَذَا يُوحِي أَنَّ سَبَبَ تَجَاهُلِ بَقِيَّةِ أَبْيَاتِ هَذِهِ القَصِيدَةِ هُوَ يَهُودِيَّةُ قَائِلِهَا،وَنَظْمُ أُرْجُوزَةٍ فِي وَضْعِ اليَهُودِ تَبْتَدِئُ بِالحَدِيثِ عَنْ **"الشُّكْلَةِ"** الزَّرْقَاءِ التِي فُرِضَتْ عليهم مُؤَشِّرٌ عَلَى قَوْلٍ عِنْدَ هَذَا الشَّاعِرِ أَوْ غَيْرِهِ فِيهَا وَفِيمَا سَبَقَهَا مِنْ مَلابِسَ صفراءَ أَوْ غَيْرِهَا.

وَأَشَارَ ابنُ خَلْدُونَ إِلَى الأُرْجُوزَةِ فِي مُقَدِّمَتِهِ بِقَوْلِهِ إِنَّهَا مَلْعَبَةٌ[7]مِنَ الشِّعْرِ الزَّجَلِي،مَنْسُوبَةٌ لِبَعْضِ اليَهُودِ،وَأَوْرَدَ أَبْيَاتًا خمْسَةً مِنْهَا،ثَلاثَةٌ مِنْهَا مَطْلَعُ القَصِيدَةِ المَزْعُومَةِ وَهِي[8]:[الرجز]

فِي صَبْغِ ذَا **الأَزْرَقِ** لِشُرَّفِـهِ[9]خَيَا رَا[10]فَافْهَمُوا يَـا قَـوْمِ هـذِي الإِشَـارَا

---

١ – وقَمُّوا: قَدْ تكون مِنْ قَمَأَ الرَّجُلُ ذَلَّ وصَغُرَ وصار قَمِيئاً.ورجل قَمِيٌ:ذليل،وقِيلَ:ومَا قامَأَتْهُم الأَرضُ:وافَقَتْهُم،والأَعْرَفُ ترك الهمز. مَا يُقامِئِني الشيءُ أَي مَا يُوافِقُنِي أَوْ يشبهني،وتَقَمَّأْتُ المكانَ تَقَمُّؤاً أَي وافقني،فأَقَمْتُ فيه.وقَدْ تكون مِنْ قَمَّ بيته إِذَا كنسه. ومنه القُمَّةُ، بالضم، المَزْبَلة .
ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [قمأ، قمي، قمم] ١/١٣٤، ١٥/٢٠١، ١٢/٤٩٤ .

٢ – الخِرْقَة: القِطعة مِنَ الثوب. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [خرق] ١٠/٧٣ .

٣ – الدَّاثِرُ: الهالك أَوِ الوَسِخ، وَالدَّفِين:الذي يظْهَر بعد الخفاء ويفشو مِنْهُ شَرّ وعَرٌّ،وَرجل دَفِين المروءة إِذَا لَمْ يكن لَهُ مروءة.
ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**"[دثر، شعر] ٤/٢٧٦، ٤١٣ ، [دفن] ١٣/١٥٦ .

٤ – رخَّمَ الدار: جعلها مِنَ الرخام، والرُّخامُ: حجر أَبيض سَهْلٌ رِخْوٌ. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [رخم] ١٢/٢٣٤

٥ – النَّمِيرُ: الماء الزَّاكي، النامي، عذباً كَانَ أَوْ غَيْرَ عذب. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [نمر] ٥/٢٣٦ .

٦ – ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**"–قسم المُوَحِّدِينَ– ص ٢٢٩؛ ابن خَلْدُونَ"**المُقَدِّمَة**"ص ٣٣٩ مَعَ اختلاف عِنْدَ ابن خَلْدُونَ "في صبغ ذَا الأزرق لشرفه خيارا".

٧ – مَلْعَبَةٌ: لَمْ أقف لَهَا عَلَى مَعْنى، وَقَدْ تعْنِي الشِّعْرَ الهَزلِيَّ السَّاخِرَ وَلَيْسَ الذِي يُقَالُ فِي الأَغْرَاضِ الجَادَّةِ كَالمَدْحِ وَالفَخْرِ وَغَيْرِهَا.

٨ – انْظُرْ :ابن خَلْدُونَ"**المُقَدِّمَة**"ص٣٣٩؛والبيت الأول عِنْدَ ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**"– قسم المُوَحِّدِينَ– ص٢٢٩ باختلاف. وَلَمْ يَنْسِبْهَا ابنُ خلدونَ إِلَى ابنِ نَغْرِيلَّةَ وَلا إِلَى غَيْرِهِ

٩ – الشُّرَّف وَالشُّرَّافِيُّ: لَوْنٌ مِنَ الثياب أَبيض. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [شرف] ٩/١٧٤ .

١٠ – خيار: مفاخرة أَوْ تشريف . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [خير] ٤/٢٦٧ .

نَجْـمُ زُحَـلٍ أَخْبَـرَ[١] بِـذِي الـعَـلامَـــا	وَبَـــدَّلَ الشَّكْــــلا وَهــــيَ سَـلامَـــــا
شَاشِـــيَّةَ [٢] **زَرْقَــا** بَـــدَلَ الـعِـمَـامَـــــا	وَشَــــــاشٍ **أَزْرَقَ** بَـــــدَلَ الغِــــرَارَا

ثُمَّ ذَكَرَ البيْتَيْنَ اللذَيْنَ تُخْتَتَمُ بِهِمَا القَصِيدَةُ التِي تبلُغُ نَحْوَ الخَمْسِمِائَةِ،وفي البيْتَيْنِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ قَائِلَهَا يَهُودِيٌّ يَنْتَظِرُ صَلْبَهُ فِي يَوْمِ عيدٍ بِمَدينةِ فَاسَ،وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ[٣]: [الرجز]

قَـدْ تَـمَّ ذَا التَّجْنِـيسُ لإِنْسَـانٍ **يَهُـودِيٍّ**	يُصْـلَبُ بِبَلْـدَةِ فَـاسَ فِـي يَـوْمِ عِيـدِ
حَتَّـى يَجِيــهِ النَّـــاسُ مِــنَ البَـــوَادِي	وَقَتْلِ◌ُهُ◌ِ يَا قَوْمُ عَلَى الـفِ◌رَادِ[٤]

وَرُغْمَ الاخْتِلافِ فِي البَيْتِ الأَوَّلِ مِنْهَا عَمَّا جَاءَ عِنْدَ ابنِ عِذَارِي إلا أَنَّ الاثْنَيْنِ يُشِيرَانِ إِلَى أَنَّ لَوْنَ المَلابِسِ التِي فَرَضَهَا المُوَحِّدُونَ عَلَيْهِمْ كَانَتْ زَرْقَاءَ أَوْ كُحْلِيَّةً،كَمَا أَنَّ فِي الأبْيَاتِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ هَذِهِ المَلابِسَ المَصْبُوغَةَ بِاللَّوْنِ الأَزْرَقِ وَالكُحْلِيِّ مِنَ العَمَائِمِ وَالشَّوَاشِي كَانَتْ سَابِقًا بَيْضَاءَ اللونِ، قَبْلَ أَنْ يميِّزَهُمْ يَعْقُوبُ المَنْصُورُ بِاللَّوْنِ الكُحْلِيِّ،وَلَمْ أَجِدْ فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ وَالأَدَبِ أَوِ التَّارِيخِ مَا يُشِيرُ بِوُضُوحٍ إِلَى هَذَا،لكِنَّنِي أَرَى إِشَارَةً إِلَى هَذَا فِي الأَبْيَاتِ نَفْسِهَا؛فَفِي البَيْتِ الأَوَّلِ يَذْكُرُ الشَّاعِرُ اللَّونَ الأَزْرَقَ وبِجَانِبِهِ كَلِمَةُ "الشَّرَّفِ" المَصْبُوغَةِ بِالأَزْرَقِ،وَالشُّرَّفُ لَوْنٌ مِنَ الثِّيَابِ بَيْضَاءُ اللوْنِ، وَأرَى كَلِمَةَ "الغِرَارِ" فِيها جَمْعًا لِكَلِمَةِ "الغُرَّةِ"،والأَغَرُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي اللُّغَةِ هُوَ الأَبْيَضُ،وَبِهَذَا قَدْ يَكُونُ فِي البَيْتِ الثَّالِثِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللونَ السَّابِقَ لِمَلابِسِهِم هُوَ الأَبْيَضُ الأَغَرُّ،وَأَنَّهُم كَانُوا يَلْبِسُونَ المَلابِسَ البَيْضَاءَ كَالعَرَبِ تَمَامًا دُونَ تَمَيُّزٍ عَنْهُمْ،إِلَى أَنْ جَاءَ قَرَارُ المَنْصُورِ فَمَيَّزَهُم.

وَاقتَرَنَ فِي المَصَادِرِ ذِكْرُ هَيْئَتِهِمْ مَعَ مَا يَركَبُونَ؛فَقِيلَ إِنَّه لا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى **رُكُوبِ الخَيْلِ** لأَنَّهَا مِنْ مَرْكُوبِ رَسُولِ اللهِ T وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ،وَعَلَيْهَا جَاهَدُوا وَقَاتَلُوا عَدُوَّهُمْ، وَالخَيْلُ مِنْ بَهَاءِ الإِسْلامِ وَمَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ الأَجْرُ وَالغَنِيمَةُ،وَمَنْ فِي دَارِهِ عَتِيقُ الخَيْلِ لا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ،فَلا يَنْبَغِي أَنْ يُمَكَّنَ أَهْلُ الذِّمَّةِ مِمَّا هَذَا سَبِيلُهُ،وَيُبَاحُ لَهُمْ رُكُوبُ البِغَالِ وَالحَمِيرِ عَلَى الأُكُفِّ بِشُرُوطٍ مُعَيَّنَةٍ[٥]،إلا أَنَّهُم لَمْ يَتَقَيَّدُوا بِهَذِهِ الشُّرُوطِ بِالتَّمَيُّزِ عَنِ المُسْلِمِينَ، فَقَالَ الوَنْشَرِيسِي: "وَمَا يَفْعَلُهُ اليَهُودُ اليَوْمَ فِي الأَسْفَارِ مِنْ رُكُوبِ الخَيْلِ وَالسُّرُوجِ الثَّمِينَةِ وَلِبْسِ فَاخِرِ اللبَاسِ وَالتَّحَلِّي بِحُلْيَةِ المُسْلِمِينَ فِي لِبْسِ الخُفِّ وَالمِهْمَازِ وَالتَّعْمِيمِ بِالعَمَائِمِ فَمَحْظُورٌ شَنِيعٌ،وَمُنْكَرٌ فَظِيعٌ.ورُبَّمَا يَحَلِّلُونَ ذَلِكَ بِزَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ يَخَافُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ زِيُّهُم الذِي يُعْرَفُونَ بِهِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ كَذَّابُونَ، لِمَا شَاهَدْنَا مِنْ حُصُولِ الأَمْنِ القَوِيِّ لَهُمْ عِنْدَ العَرَبِ وَالحَظْوَةِ الكَبِيرَةِ لِمَا يَرْجُونَ مِنْ حُصُولِ

---

١ – يقصد بهَذَا قرانات المنجمين حَوْلَ نجم زحل. انْظُرْ : ابن خَلْدُونَ"**المُقَدِّمَة**"ص ٣٣٥ .

٢ – الشاشية : القُلُنْسُوَة. انْظُرْ : الزَّجَّالي "**أَمْثَالُ العَوَامِ فِي الأَنْدَلُسِ**" ٢٠٥/٢ [الحَاشِيَة] .

٣ – انْظُرْ: ابن خَلْدُونَ "**المُقَدِّمَة**" ص ٣٣٩ .

٤ – الفِرَاد: جمع الفَرْدِ وَهُوَ المَنْحَر. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [فرد] ٣٣١/٣ .

٥ – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي "**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢٥٦/٢ .

النَّفْعِ لَهُمْ ....إلا أَنَّهُمْ لَمَّا وَجَدُوا السَّعَةَ عِنْدَ مَنْ لا يُنْكِرُ عَلَيْهِم مِنْ جُفَاةِ العَرَبِ وَطُغَاتِهِمْ تَزَيُّوا بِأَفْخَرِ زِيِّ المُسْلِمِينَ إِذْ كَانُوا لا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ.... بَلْ هُمْ اليَوْمَ عَلَى أَعْظَمِ مِنْ ذَلِكَ(١) .

٢ ـ الزُّنَّارُ وَالخَاتَمُ وَالقَلائِدُ وَالخِفافُ .

"**الزُّنَّارُ**" يَشُدُّهُ الذِّمِّيُّ عَلَى وَسَطِهِ (٢)حتى لا يَتَشَبَّهَ أَهْلُ الذِّمَّةِ بِالمُسْلِمِينَ فِي لِبَاسِهِم "بِأَنْ يَجْعَلُوا فِي أَوْسَاطِهِمْ الزُّنَّارَاتِ، مِثْلَ الخَيْطِ الغَلِيظِ يَعْقِدُهُ فِي وَسَطِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُم"(٣) . وَهُوَ مَبْسُوطٌ فِي عَرْضِ الإِصْبَعِ مِنْ حَرِيرٍ أَوْ قُطْنٍ(٤) .وَتَشُدُّهُ المَرْأَةُ تَحْتَ الإِزارِ، وَالأَوْلَى فَوْقَ الإِزارِ(٥) . وَكَانَ **غَيَارُ أَهْلِ الذِّمَّةِ** فِي بَغْدَادَ وَالشَامِ وَمِصْرَ "**الزُّنَّارَ**" فَقَطْ(٦) .

وَيَجُوزُ لَهُمْ لِبَاسُ **الخَاتَمِ** مَا صَغُرَ وَرَقَّ وَلَطُفَ قَضِيبُهُ،وَيَكُونُ فِضَّةً أو زُجَاجًا مِمَّا لا مُبَاهَاةَ فِيهِ، ولا يُمَكَّنُونَ مِنَ النَّقْشِ عَلَى خَواتِمِهِم بِالعَرَبِيَّةِ(٧)،**وَفِي رِقَابِهِمْ** يُعَلَّقُ خَاتَمٌ شِبْهُ الدِّينَارِ مِنْ رَصَاصٍ أَوْ نُحاسٍ أَوْ جَرَسٍ يُعَلَّقُ عَلَى صُدُورِهِمْ يَدْخُلونَ بِهَا الحَمَّامَ(٨) .وَيَكُونُ فِي عُنُقِ المَرْأَةِ خاتَمٌ يَدْخُلُ مَعَهَا الحَمَّامَ(٩) .**أَمَّا الخِفافُ** فَيَكُونُ أَحَدُ خُفَّيْ نِسَائِهِمْ أَسْوَدَ وَالآخَرُ أَبيَضَ أَوْ أَحْمَرَ(١٠) .

وَلَمْ يَظْهَرْ واضِحًا فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ مِنْ مَلابِسِ اليَهُودِ إلا "**الزُّنَّارُ**".وَحَمَلَ "**الزُّنَّارُ**" فِي شِعرِ المَشَارِقَةِ **دِلالاتٍ ثَلاثًا**:**الأولى** للقَوْلِ بِدِقَّةِ خَصْرِ المَحْبُوبِ ضِمْنَ سِلْسِلَةٍ مِنْ صِفَاتِ الجَمَالِ سواءٌ أَكَانَ المَحْبُوبُ مِنْ أهلِ الذِّمَّةِ أَمْ لا،وَعَلَيْهَا **ابنُ المُعْتَزِّ**(ت:٢٩٦هـ)(١١)بِقَوْلِهِ(١٢):[الطويل]

---

١ – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢٤٨/٢ .

٢ – انْظُرْ: ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [زنر] ٣٣٠/٤ .

٣ – أَبُو يُوسُف"**الخَرَاج**"ص١٢٧ .

٤ – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢٥٧/٢ .

٥ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ٥٤٧/٢ .

٦ – كَانُوا يَرْكَبُونَ السُّرُوجَ عَلَى فَارِهِ الدَّوَابِّ وَيَلْبِسُونَ الفَاخِرَ مِنَ الثِّيَابِ الرَّفِيعَةِ وَعَمَائِمِ الثَّوْبِ إِلَى أَنْ أُلِّفَ كِتَابُ "أَحْكَامِ أَهْلِ الذِّمَّة" حَوالي سَنَةَ ٤٨٠هـ لأَبِي بَكْرٍ الحَلْوَانِيِّ لِمَا رَأَى مِنْ تَعْظِيمِ أَهْلِ الذِّمَّةِ . انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢٥٣/٢ .

٧ – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢٥٥/٢ .

٨ – انْظُرْ: أَبُو بَكْر الطُّرْطُوشِيّ"**سِرَاجُ المُلُوك**" ٥٤٧/٢ ؛ الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢٥٦/٢– ٢٥٧ .

٩ – انْظُرْ: نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا ؛ نَفْسُهُ ٢/ ٢٥٥ .

١٠ – انْظُرْ: نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا ؛ نَفْسُهُ ٢٥٦/٢ .

١١ – هُوَ: أَبُو العَبَّاسِ عَبْدُ اللهِ بنُ **المُعْتَزِّ بنُ** المُتَوَكِّلِ بنُ المُعْتَصِمِ بنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ،وُلِدَ سَنَةَ ٢٤٧هـ .قِيلَ إِنَّهُ كَانَ أَدِيبًا بَلِيغًا شَاعِرًا مُقْتَدِرًا حَسَنَ الإِبْدَاعِ للمَعَانِي.اتَّفَقَ مَعَه جَمَاعَةٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الأَجْنَادِ وَالكُتَّابِ فَخَلَعُوا المُقْتَدِرَ سَنَةَ ٢٩٦هـ وَبَايَعُوهُ وَأَقَامَ يَوْمًا وَلَيْلَةً،ثُمَّ حارَبَهُمْ أَصْحَابُ المُقْتَدِرِ وَشَتَّتُوهُمْ وَأَعَادُوا المُقْتَدِرَ إِلَى الحُكْمِ،واخْتَبَأَ ابنُ المُعْتَزِّ فَتْرَةً إِلَى أَنْ ظَفِرُوا بِهِ وَقَتَلُوهُ،لَهُ تَصَانِيفُ عَدِيدَةٌ مِنْهَا: "الزَّهْرُ وَالرِّيَاضُ" وَ"البَدِيعُ". انْظُرْ: ابن خَلِّكَان"**وَفَيَاتِ الأَعْيَانِ**"٧٦/٣ – ٧٩، ٤٢٥ – ٤٢٧؛ الكُتُبِيّ "**فَوَات الوَفَيَات**"٥٩٣/١– ٥٩٨.

١٢ – ابن المُعْتَزِّ "**دِيوَانُهُ**" ص ٢٤٢ .

وَعَـاقِـدِ **زُنَّـارٍ** عَلَـى غُصـُـنِ الآسِ(١) دَقِيقِ المَعَانِي مُخْطَفِ الخَصْرِ مَيَّاسِ(٢)

وَجَمَعَ **ابنُ المُعْتَزِّ** فِي "**الزُّنَّارِ**" بَيْنَ الغَزَلِ وَالإشارةِ إِلَى نَصْرَانِيَّةِ الفَتَاةِ،فقالَ(٣): [الرجز]

ابــنُ نَصَـــارَى يَـــدِينُ ديـــنَهم حَـــدَّثَ عَنْــــهُ بِـــذَا **زُنّــــارُ**

وَالدِّلالَةُ الثَّانِيَةُ التِي يَحْمِلُهَا "**الزُّنَّارُ**" هي القولُ بيَهُودِيَّةٍ أَوْ نَصْرَانِيَّةِ المَقْصُودِ؛فَحِينَ خَرِبَتْ بَغْدَادُ بِدُخُولِ هُولاكُو(٤)عَامَ ٦٥٦هـ رَثَاهَا الشُّعَرَاءُ،وَمِنْهُم **تَقِيُّ الدِّينِ التَّنُوخِيُّ**(ت:٦٧٢هـ)(٥) الذِي عَنَى "**بِالزُّنَّارِ**" غَيْرَ المُسْلِمِينَ فِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ لَهُ، مَطْلَعُهَا(٦): [البسيط]

عَلا الصَّلِيبُ عَلَى أَعْلَى مَنَابِرِهَـا وَقَـامَ بِـالأَمْرِ مَــنْ يَحْـوِيهِ **زُنّـــارُ**

وَالدِّلالَةُ الثالثةُ لِكَلِمَةِ "**الزُّنَّارِ**" فِي الشِّعْرِ هي الارْتِدادُ عن الإسْلامِ إِلَى اليَهُودِيَّةِ أوالنَصْرَانِيَّةِ؛ فَحِينَ طَلَبَ الشِّبْلِيُّ(ت:٣٣٤هـ)(٧)رَجُلاً مِنَ العَارِفِينَ يُسَمَّى أَبَا عَبْدِ اللهِ الأَنْدَلُسِيَّ(ت:٢٨٦هـ)(٨) تَنَصَّرَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الكُفَّارِ،قَالَ الشِّبْلِيُّ:"فَانْصَدَعَتْ قُلُوبُنَا،وَانْهَمَلَتْ بِالبُكَاءِ عُيُونُنَا،وَسِرْنَا إِلَيْهِ،وَإذَا بِهِ قَائِمٌ قُدَّامَ الخَنَازِيرِ،فَلَمَّا رَآنَا نَكَّسَ رَأْسَهُ،وَإذَا عَلَيْهِ قَلَنْسُوَةُ(٩) النَّصَارَى،وَفِي وَسَطِهِ **زُنَّارٌ**"(١٠). فَكَانَ "**الزُّنَّارُ**" وَقَلَنْسُوَةُ النَّصَارَى عَلَيْهِ إشَارَةً إِلَى ارْتِدادِهِ. وَمِثْلُهُ حِينَ تَرْجَمَ "المُغْرِبُ"

---

١ – الآسُ: شَجَرَةٌ وَرَقُهَا عَطِرٌ ، وهُوَ بأَرضِ العَرَبِ كثير وينبت فِي السهل والجبل وخضرته دائمة أَبداً ويَسْمو حَتَّى يكون شجراً عظاماً، وقِيلَ هُوَ ضرب مِنَ الرياحين . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [أوس] ١٩/٦ .

٢ – مُخْطِفِ الخصر : مِنَ الإِخْطافِ وَهُوَ ضِدُّ الانْتِفاخ، أَوْ صغر الجوف . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [خطف] ٧٨/٩ .

مَيَّاس: صيغة مبالغة مِنْ ماسَ يَمِيسُ مَيْسًا إِذَا تبختر فِي مَشْيِه وتَثَنَّى . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [موس] ٢٢٤/٦ .

٣ – ابن المُعْتَزِّ "**دِيوَانُهُ**" ص ٢٠٤ .

٤ – هُوَ الطاغية: **هولاكو** ابن تولي **بن جنكزخان**،قائد التتر،الذي تَجَبَّرَ وَطَغَى في بِلادِ العَرَبِ ودَمَّرَ بَغْدَادَ سَنَةَ ٦٥٦هـ حين نزلها فِي مائتي ألف،وَقتل المُسْتَعْصَمَ بالله وقضى على خلافَةِ العَبَّاسِيِّينَ وَكَانَتْ دولتهم ٥٢٤ سَنَةً . انْظُرْ : الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"١٨٠/٢٣ – ١٨٣؛الكُتُبِيّ"**فَوَات الوَفَيَات**" ٢٩٨/١، ٥٨٠–٥٨١؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٢٧٠/٣ –٢٧٣ .

٥ – هُوَ : **تَقِيُّ الدِّين** إِسْمَاعِيلُ بنُ إِبْرَاهِيمَ بنُ أَبِي اليُسْرِ شَاكِرٌ بنُ عبدِ اللهِ **التَّنُوخِيُّ**، الفقيه الدمشقي الكاتب وُلِدَ سَنَةَ ٥٨٩هـ، قَالَ صاحب الشذرات إِنَّ لَهُ شعرًا جَيِّدًا وبلاغةً وَفِيهِ خَيْرٌ وَعَدَالَةٌ، تُوُفِّيَ عام ٦٧٢هـ . انْظُرْ :الذَّهَبِيّ"**سِيَرأَعْلامِ النُّبَلاءِ**"٢ ١٣٠/١؛ ابن تَغْرِي بَرْدِي"**النُّجُوم الزَّاهِرَة**" ٥١/٧– ٥٢؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٢٧٢/٣ .

٦ – ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٢٧٢/٣، ٣٣٨ .

٧ – هُوَ المُتَصَوِّفُ: أَبُو بَكْرٍ دُلَف بن جَحْدَر المعروف **بالشِّبْلِيِّ** [نسبة إِلَى شِبْلَةَ قرية مِنْ سمرقند] الخُرَاسَانِيُّ الأصل البَغْدَادِيُّ المَوْلِدِ وَالمَنْشَأ.درس الفقه وبرع فِي مذهب مالك، ثُمَّ تَصَوَّفَ وصحب الجُنَيْدَ.وله أحوال فِي الزُّهدِ والتَّصَوُّفِ، تُوُفِّيَ عام ٣٣٤هـ ببَغْدَادَ عن سبع وثمانين سنة.

انْظُرْ : السُّلَمِيّ"**طَبَقَات الصُّوفِيَّة**"ص٣٣٧– ٣٤٨؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَانِ**" ٣٢٢/٣؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٢٧٣/٢ – ٢٧٦؛ الذَّهَبِيّ"**العِبَر فِي خَبَرِ مَنْ غَبَرَ**" ٥٠/١؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٣٣٨/١ .

٨ – هُوَ الإمام الحافظ: مُحَمَّدُ بنُ وَضَّاحٍ أَبُو **عبد الله الأَنْدَلُسِيُّ**، مُحَدِّثُ قُرْطُبَةَ وَهُوَ فِي عشر التسعين رَحَلَ مَرَّتَيْنِ إِلَى المَشْرِقِ، تُوُفِّيَ عَامَ ٢٨٦هـ . ذكر ابن الأبار أَنَّ أَبَا عبد الله الكركنتي يحدث عَنْهُ بحكاية غريبة وَلَمْ يذكرها قَدْ تكون هَذِهِ، روى عَنْهُ كثيرون مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ ورد ذكرهم فِي "التَّكْمِلَة". انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَانِ**" ٣٠١/٢؛ابن الأَبَّار"**التَّكْمِلَة**" ١٨٣/٢، ٢١٤، ٣٠١، ١٣٥/٣، ١٥٦/٤؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٦٤/١؛ الذَّهَبِيّ"**العِبَر فِي خَبَرِ مَنْ غَبَرَ**" ٤١٢/١ .

٩ – القَلَنْسُوَة: مِنْ ملابس الرُّؤوس. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [قلس] ١٨١/٦ .

وَأَتَوَقَّعُ أَنَّ المَقْصُودَ بِهَا هُنَا البُرْنُسُ، وَهُوَ قَلَنْسُوَةٌ طويلة كَانَ النُّسَّاكُ يلبسونها فِي صدر الإِسْلامِ .

ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [برنس] ٢٦/٦ .

١٠ – الأَبْشِيهِيّ"**المُسْتَطْرَف**" ٢٢٨/١ – ٢٢٩ .

لأَبِي القَاسِمِ بنِ الخَيَّاطِ[١] قالَ:إنَّهُ أَقَامَ خَمْسِينَ سَنَةً عَلَى العَفَافِ وَالخَيْرِ،لا تُعْرَفُ لَهُ زَلَّةٌ.فَلَمَّا أَخَذَ النَّصَارَى طُلَيْطِلَةَ حَلَقَ وَسْطَ رَأْسِهِ،وَشَدَّ **الزُّنَّارَ**[٢] فَيُفْهَمُ أَنَّ هَذَا العَالِمَ تَنَصَّرَ.

وَحَمَلَ الشِّعْرُ الأَنْدَلُسِيُّ الدِّلالاتِ ذاتَهَا التِي حمَلَهَا **"الزُّنَّارُ"** عِنْدَ المَشَارِقَةِ،وَكَانَ مِنْ أَوْضَحِ الإِشَارَاتِ إِلَى مَلابِسِ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِيهِ،وَكَانَ فِي أَغْلَبِهِ يُشِيرُ إِلَى النَّصَارَى.وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ الحَدِيثِ عَنْ النَّصْرَانِيَّاتِ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ[٣]،إلا أَنَّهُ كَانَ صِفَةَ جَمَالٍ وَأُنُوثَةٍ لِمَحْبُوبٍ يَهُودِي عِنْدَ الشَّاعِرِ أَبِي **زَكَرِيَّا التَّجِيبِيِّ**(ت :٧٥٣ هـ)[٤] بِغَزَلِهِ الذِي مِنْهُ[٥]:[الطويل]

أَتَى يَحْمِلُ التَّوْرَاةَ ظَبْيًا مُزَنَّرَا	لَطِيفَ التَّثَنِّي أَشْنَبَ الثَّغْرِ أَلْعَسَا[٦]
وَقَابَلَ أَحْبَارَ اليَهُودِ بِوَجْهِهِ	فَبَارَكَ مَوْلانَا عَلَيْهِ وَقَدَّسَا
فَصَيَّرَ دَمْعِي أَعْيُنًا شِرْبُ[٧]	وَعُمْرِيَ تِيهًا وَالجَوَانِحَ **مَقْدِسَا**

فَلَمْ يَكُنْ لُبْسُ **"الزُّنَّارِ"** فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ يُشَكِّلُ عَائِقًا أَمامَ الشَّاعِرِ يَمْنَعُهُ مِنَ الإِعْجَابِ أَوْ التَّغَزُّلِ بِمَنْ يَلبَسُ هَذَا **"الزُّنَّارَ"** مِنَ اليَهُودِ.بَلْ عَلَى العَكْسِ مِنْ هَذَا كَانَ **"الزُّنَّارُ"** صِفَةً بَارِزَةً مَقْبُولَةً وَرَدَتْ بَيْنَ صِفَاتِ جَمَالٍ وَأُنُوثَةٍ تَوَالَتْ فِي الأَبْيَاتِ؛فالحَدِيثُ عَنْ مَعْشُوقٍ يَهُودِيٍّ أَقْبَلَ عَلَيْهِم مُفْتَخِرًا وَمُعْتَزًّا بِيَهُودِيَّتِهِ يَحْمِلُ **"التَّوْرَاةَ"** وَيلْبَسُ **"الزُّنَّارَ"**.وَلَمْ يَكْتَفِ الشَّاعِرُ بِهَذِهِ الإِشَارَاتِ إِلَى يَهُودِيَّتِهِ،بَلْ جَعَلَهُ قَادِمًا بَيْنَ "أَحْبَارِ اليَهُودِ" فِي مَشْهَدٍ يَفِيضُ بِالقُدْسِيَّةِ بِحَيْثُ فَاضَتْ الدُّمُوعُ وَتَأَثَّرَتْ الجَوَانِحُ بِمَشْهَدِهِ، فَكَانَتْ مَقْدِسًا.وَأَرَى أَنَّ الشَّاعِرَ عَنَى **"بَيْتَ المَقْدِسِ" فِي** كَلامِهِ،فَحِينَ اشتعلَتْ جَوانِحُهُ بِهَذَا الحُبِّ العَظِيمِ صَارَتْ مِثْلَ **"بَيْتِ المَقْدِسِ"** لِمَا تحوِي فِيهَا مِنْ مَشَاعِرَ عَظِيمَةٍ مُبَارَكَةٍ مُقَدَّسَةٍ.

٣ ـ العَمَائِم وَالقَلانِس.

جَاءَ فِي "الإِحاطَة" أَنَّ العَمَائِمَ كَانَتْ قَلِيلَةً فِي زِيِّ الأَنْدَلُسِيِّينَ إِلا عِنْدَ شُيُوخِهِم وَقُضَاتِهِم وَعُلَمَائِهِم

---

١ – هُوَ : أَبُو **القَاسِمِ بنُ الخَيَّاطِ**، كَانَ فقيها شاعرا،وله رسالة كتبها عن أَلفُونْسُ إِلَى المُعْتَمِدِ بنِ عَبَّادٍ. انْظُرْ :ابن سَعِيد"**المُغْرِب**"٢٢/٢.

٢ – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢٢/٢ .

٣ – انْظُرْ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ: ابن الحداد الأَنْدَلُسِي"**دِيوَانُهُ**" ص٢٥٦ ؛وأَبو زَكَرِيَّا التَّجِيبِيّ فِي المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٤٠/٨ .

٤ – هُوَ :أبو زكريا **يَحْيَى بنِ أحمد** بن هُذَيْل **التَّجِيبِيّ** الكفيف،شاعرٌ وَاسع الاطلاع،مِنْ أشياخ لسان الدين ابن الخَطِيب لَهُ ديوان "السُّلَيْمِيَّات وَالعَزْفيات" وَقِيلَ العَرَفِيَّات أو العَرَبِيّات، تُوُفِّيَت زوجه فحزن عَلَيْهَا إِلَى أَنْ ماتَ ٧٥٣هـ . انْظُرْ : يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**"٣٦٩/٤، ٢٢٩/٧؛ ابن الخَطِيب"**الإحَاطَة**"٣٨٩/٤– ٤٠٠ ؛ "**الكَتِيبَة الكَامِنَة**"ص ٧٣– ٨٠؛ المَقَّرِيّ"**نَفْحُ الطِّيب**" ٣٢/٨– ٤١.

٥ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٣٣/٨ .

٦ – الشَّنَب: صفةٌ للفم ،صفاؤُ الأسنان وَنَقاؤُها؛أو طِيبُ نَكْهَتِها.أو البَرْدُ وَالعُذوبةُ فِي الفَمِ. وَاللَّعَس: لَونُ الشفة إِذَا كَانَتْ تضرب إِلَى السواد قليلاً، وَذَلِكَ يُسْتَمْلَح . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [لعس، شنب] ٢٠٧/٦، ٥٠٧/١ .

٧ – الشرب: المصدر . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [شرب] ٤٨٧/١– ٤٨٨ .

السَّبْطُ: الشعر المسترسل الذي لا جُعُودة فِيهِ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [سبط] ٣٠٨/٧ – ٣٠٩ .

وَالجُندِ العَرَبيِّ مِنْهُمْ[١]،يُفهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ غَيرَ العَرَبِ ومِنْهُمْ اليَهُود لَمْ يَكُونُوا يَتَعَمَّمُونَ،وَأَكَّدَ المَقَّرِيُّ هَذَا بِقَوْلِهِ:"وَلا سَبيلَ إلَى يَهُودِيٍّ أَنْ يَتَعَمَّمَ البَتَّةَ"[٢]وَقَدْ يُظَنُّ مِنْ هَذَا الكَلامِ أَنَّ أَهْلَ الأَنْدَلُسِ كَانُوا يَتَعَمَّمُونَ بَيْنَمَا مُنِعَ اليَهُود مِنَ التَّعَمُّمِ.لَكِنْ ذَكَرَ المَقَّرِيُّ أَنَّ الغَالِبَ عَلَى زِيِّ الأَنْدَلُسِيِّينَ تَرْكُ العَمَائِمِ،لا سِيَّمَا فِي شَرْقِيِّ الأَنْدَلُسِ[٣].فَلَمْ يَكُنِ اليَهُودُ وَحِيدِين فِي تَرْكِهِمُ العَمَائِمَ؛ فَكَثِيرٌ مِنَ الأَنْدَلُسِيِّينَ كَانُوا لا يَتَعَمَّمُونَ.حَتَّى إِنَّ الوَنْشَرِيسي أَجَازَ لُبْسَ العَمَامَةِ لليَهُودِ بِقَوْلِهِ لِمَنْ سَأَلَهُ حَوْلَ لُبْسِ العَمَامَةِ لليَهُودِ إِنَّهُ "يَجُوزُ لَهُ لِبَاسُ العَمَامَةِ عَلَى شُرُوطٍ مِنْهَا أَنْ تَكُونَ لَطِيفَةً قَرِيبَةَ الثَّمَنِ،وَلا تَكُونُ رَفِيعَةً غَالِيَةً مِنْ رَقِيقِ الكَتَّانِ وَلا مِنَ الشَّرُوبِ[٤]،لأَنَّ فِي ذَلِكَ التَّبَاهِيَ عَلَى المُسْلِمِينَ...،وَمِثْلُ ذَلِكَ؛الثَّوْبُ الظَّاهِرُ مِنْ ثِيَابِهِ،وَأَنْ لا يُعَظِّمُوا أَكْوَارَ عَمَائِمِهِمْ[٥] وَأَنْ لا يُرْسِلُوا لَهَا ذَوَائِبَ[٦]بَيْنَ أَكْتَافِهِمْ وَأَنْ لا يَجْعَلُوا لَهَا أَحْنَاكًا[٧]وَهُوَ العُثْنُونُ[٨]تَحْتَ الذَّقْنِ،فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ زِيِّ العَرَبِ وَزِيِّ رَسُولِ اللهِ T وَالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.وَفِي ذَلِكَ وَقَارُ الإِسْلامِ فَوَجَبَ مَنْعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ لِهَذِهِ المَعَانِي... وَالعَمَائِمُ تِيجَانُ العَرَبِ وَبَهَاءُ الإِسْلامِ،فَمُنِعُوا مِنَ التَّبَاهِي فِي ذَلِكَ إِلا مَا صَغُرَ مِنْهَا وَلَطُفَ قَدْرُهَا مِمَّا لا تَبَاهِيَ فِيهِ،لِقَوْلِهِ T: "اعْتَمُّوا تَزْدَادُوا حِلْمًا"[٩]...."[١٠].

هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِشَرقِ الأَنْدَلُسِ،أَمَّا غَرْبُهَا فَيَقُولُ المَقَّرِيُّ:إِنَّكَ تَكَادُ لا تَرَى فِيهِم قَاضِيًا وَلا فَقِيهًا مُشَارًا إِلَيْهِ إِلا وَهُوَ بِعَمَامَةٍ، ويُدَلِّلُ عَلَى هَذَا بقوله إِنَّهُ رأى عَزِيزًا بنَ خَطَّابٍ(ت:٦٣٦هـ)[١١] أَكْبَرَ عَالِمٍ بمُرْسِيَةَ[١٢]وَهُوَ حَاسِرُ الرأسِ، وَشَيْبُهُ قَدْ غَلَبَ عَلَى سَوادِ شَعْرِهِ.وَأَمَّا الأَجْنَادُ وَسَائِرُ النَّاسِ،

فَقَلِيلٌ مِنْهُمْ مَنْ تَرَاهُ بِعِمَّةٍ فِي شَرْقٍ مِنْهَا أَوْ غَرْبٍ[١٣]،كما أَنَّه رَأَى ابنَ هُودَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ بِبِلادِ الأَنْدَلُسِ وَهُوَ دُونَ عَمَامَةٍ،وَكَذَلِكَ ابن الأَحْمَرِ الذِي كانَتْ مُعْظَمُ الأَنْدَلُسِ فِي يَدِهِ[١٤].

---

١ – انظُر: ابن الخَطِيب"**الإحَاطَة**" ١٣٦/١ .

٢ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٢١٣/١ .

٣ – انظُرْ: نَفْسُهُ ٢١٢/١ .

٤ – الشَّرُوبِ: نوعٌ مِنَ القماشِ بينَ الحَرِيرِ والكَتَّانِ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [شرب،كتن] ٤٨٨/١، ٣٣٥/١٣ .

٥ – أكوار العَمَامَةِ: جَمْعُ الكَوْرُ وَهُوَ لَوْثُ العَمَامَةِ وإدارتها عَلَى الرَّأْسِ، وَكُلُّ دَارَةٍ مِنَ العَمَامَةِ كَوْرٌ .
ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [كور] ١٥٥/٥ .

٦ – الذَّوائِبُ: جمع للذُّؤابةِ وهي الشَّعْرُ المَضْفُورُ مِنْ شَعْرِ الرَّأْسِ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [ذوب] ٣٧٩/١ .

٧ – أحناكا: مِنَ التَّحَنُّكِ،وَهُوَ أَن تدير العَمَامَةَ مِنْ تحت الحَنَك . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [حنك] ٤١٧/١٠ .

٨ – العُثْنُونُ من اللحية: مَا نبت عَلَى الذَّقَن وتحته سِفْلاً،وقِيلَ: اللحية كلها.وَفِي الحَدِيث: وَفِّروا العَثانِين؛ هِيَ جمع عُثْنون،
وَهُوَ اللحية،يقصد هُنَا أن لا يدير عمامته عَلَى هَذَا المكان. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [عثن] ٢٧٦/١٣ .

٩ – النَّيْسابُورِيّ "**المُسْتَدْرَك عَلَى الصَّحِيحَيْن**" ٢١٤/٤؛ العَسْقَلاني"**فَتْح البَارِيّ**" ٢٧٣/١٠ .

١٠ – الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢٥٥/٢ .

١١ – هُوَ : أَبُو بَكْر عَزِيزُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ بنُ سُلَيْمَان **بنُ خَطَّاب القَيْسِيّ**، عالم مشهور بالزهد وَالانقباض عَنْ الدنيا ،ولي مُرْسِيَةَ بلده مِنْ قبل ابن هُودٍ المُتَوَكِّلِ، لَكِنَّه صار ملكًا جبارا سفاكًا للدماء، حَتَّى كرهته القلوب، قُتِلَ صَبْرًا بِمُرْسِيَةَ سَنَةَ ٦٣٦هـ .
انْظُرْ:ابن الأَبَّار"**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ٣٠٨/٢-٣١١؛ابن سَعِيد "**المُغْرِب**"٢٥٢/٢-٢٥٣؛ابنُ عَبْدِ المَلِكِ المَرَّاكُشِيّ"**الذَّيْل وَالتَّكْمِلَة**" السفرالخامس ق١ ص١٤٤- ١٤٦؛ ابن سَعِيد "**اخْتِصَار القِدْح المُعَلَّى**" ص١٤٦ .

١٢ – **مُرْسِيَة**: بضم أوله والسكون وكسر السين،مَدِينَةٌ بالأَنْدَلُسِ مِنْ أعمال تدمير،اختطها عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن الحكم بن هشام،وسَمَّاهَا تدمير تشبيها لَهَا بتدمر الشام،فاستمر النَّاسُ عَلَى اسم موضعها الأول،ويُقَالُ أَنَّها تُنسبُ إِلَى تدمير الذِي استخلفه لذريق فِي مملكته حِينَ = قدم لمواجهة طارق بن زياد أيام الفتح.قَالَ عَنْهَا ابن سَعِيد أنَّها أُخْتُ إِشْبِيلِيَة؛ فهَذِهِ بُسْتَانُ شرقِ الأَنْدَلُسِ وهَذِهِ بُسْتَانُ غربها، قَدْ قسم الله بينهمَا النهر الأعظم،وَكَانَتْ تمتاز مُرْسِيَةَ بمَا يُصْنَعُ فِيهَا مِنْ أصناف الحلل والديباج،وَقَدْ استولى الفرنج عَلَيها سَنَةَ ٦٥٢هـ .
انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَان**" ١٠٧/٥؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَان**"٣٣١/٣، ٤٢٨/٤، ٣٢١/٥؛ ابن سَعِيد"**المُغْرِب**" ٢٤٥/٢ .

١٣ – القول هُنَا لابن سَعِيد، وَالمَقَّرِيّ ينقله عَنْهُ بَعْدَ سقوط الأَنْدَلُس .

١٤ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٢١٣/١ .

وَإِنْ لَبِسَ اليَهُودُ **قَلانِسَ** مَيَّزُوهَا عَنْ قَلانِسِ المُسْلِمِينَ بِالخَرْقِ[١].ويَكُونُ طَرَفُ العَمَامَةِ مِقْدَارَ ذِرَاعٍ وَهُوَ الطَّرَفُ الرَّاجِحُ عَلَى ظَاهِرِ كَوْرِ العَمَامَةِ بِاللَّوْنِ الأَصْفَرِ[٢].

وَ**الغَفَائِرُ** عَلَى رُؤُوسِهِمْ كَانَتْ صَفْرَاءَ لِقَوْلِ المَقَّرِيِّ:"ولا تَجِدُ فِي خَوَاصِّ الأَنْدَلُسِ وَأَكْثَرِ عَوَامِّهِمْ مَنْ يَعِيشُ دُونَ **طَيْلَسَانِ**[٣]،إلا أَنَّهُ لا يَضَعُهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْهُمْ إلا الأَشْيَاخُ المُعَظَّمُونَ.وَ**غَفَائِرُ**[٤] الصُّوفِ كَثِيرًا مَا يَلْبَسُونَهَا حُمْرًا وَخُضْرًا؛وَالصُّفْرُ مَخْصُوصَةٌ بِاليَهُودِ"[٥].

وَجَاءَ تَخْصِيصُ لَوْنٍ لِمَلابِسِهِمْ فِي آخِرِ وِلايَةِ أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ المَنْصُورِ(٥٧٩- ٥٩٥هـ) فَأَمَرَ أَنْ يُمَيِّزَ اليَهُودُ بِلِبَاسٍ يَخْتَصُّونَ بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ،فَجَعَلَ لَهُم صِفَةً كَحِدَادِ ثَكْلَى المُسْلِمِينَ وَهِيَ ثِيَابٌ زَرْقَاءُ[٦]،وَأَكْمَامٌ مُفْرِطَةُ السَّعَةِ تَصِلُ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ أَقْدَامِهِمْ،وَأَرْدَانٌ[٧]قُمُصِهِمْ طُولُ ذِرَاعٍ فِي عَرْضِ ذِرَاعٍ زُرْقٍ وَبرَانِسُ زُرْقٍ وَقلانسُ زُرْقٍ،وَبَدَلاً مِنَ العَمَائِمِ كَلُوتَاتٌ[٨] عَلَى أَشْنَعِ صُورَةٍ كَأَنَّهَا البَرَادِيعُ[٩]تَبْلُغُ إِلَى تَحْتِ آذَانِهِمْ[١٠]، فَشَاعَ هَذَا الزِّيُّ.وَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ بَقِيَّةَ أَيَّامِهِ وَصَدْرًا مِنْ أَيَّامِ ابْنِهِ النَّاصِرِ إِلَى أَنْ غَيَّرَه النَّاصِرُ بَعْدَ أَنْ تَوَسَّلُوا إِلَيْهِ بِكُلِّ

---

١ – أَبُو بَكْر الطُّرْطُوشِيّ"**سِرَاجُ المُلُوكِ**" ٥٤٧/٢ .

٢ – الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢٥٧/٢ .

٣ – الطيلسان: فارسي معرب،وَهُوَ كساء مدور أخضر لَحْمَتُهُ أَوْ سَدَاهُ مِنْ صوف يلبسه الخواصّ مِنَ العُلَمَاءِ وَالمشايخ .

ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [طلس] ١٢٥/٦؛ بُطْرُس البُسْتَانِيّ"**مُحِيطُ المُحِيطِ**" ١٢٨٨/٢ .

٤ – غَفَائِر : مفردها الغِفَّارة والمِغْفِرةُ والغِفارةُ،وهي وِشاح يلبسه الأَحْبَار فِي الهياكل،وهي مثلُ القلنسوة غَيْرَ أَنها أَوسع يُلْقِيها الرجل عَلَى رأْسه فتبلغ الدرع، ثُمَّ يَلْبَس البَيْضَةَ فَوْقَهَا،،وَرُبَّمَا جُعِل المِغْفَرُ مِنْ ديباج وخَزٍّ أَسْفَلَ البَيْضَةِ .

ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [غفر] ٢٧/٥؛ بُطْرُس البُسْتَانِيّ "**مُحِيطُ المُحِيطِ**" ١٥٤١/٢ .

٥ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢١٣/١ .

٦ – ثِيَابُهُم زَرْقَاءُ عِنْدَ ابنِ عِذَارِي وَابنِ خَلْدُونَ، كُحْلِيَّةٌ عِنْدَ عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِيّ .

٧ – أردان: جمع الرُّدْنُ،وهو أَصل الكُمّ. وَيقال: قميص واسع الرُّدْن. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [ردن] ١٧٧/١٣ .

٨ – كلوتات:جمع للكلوتة وهي القلنسوة أو الطاقية. رينهارت دوزي"**تَكْمِلَةُ المَعَاجِمِ العَرَبِيَّةِ**" تَرْجَمَة:مُحَمَّد النُّعَيْمِي[كلت] ١٢٥/٩ .

٩ – البَرَادِيعُ أَوْ البَرَاذِيعُ جمع البَرْدَعةُ أَوْ البَرْذَعةُ: الحِلْس الذِي يُلقى تحت الرحل، وخص بعضهم بِهِ الحِمار .وَالحِلْسُ :هُوَ كلُّ شيء وَلِيَ ظَهْرَ البعير والدابة تحت الرحل والسَّرْج،وقِيلَ: هُوَ كساء رقيق يكون تحت البرذعة .

ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [حلس، بردع، برذع] ٥٤/٦، ٨/٨ – ٩ .

١٠– انْظُرْ :عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِيّ"**المُعْجِب**"ص٣٠٤؛ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**"–قسم المُوَحِّدِينَ–ص٢٢٩؛ابن خَلْدُونَ"**المُقَدِّمَة**" ص٣٣٩.

وَسِيلَةٍ[١]،وَاسْتَشْفَعُوا بِكُلِّ مَنْ يَظُنُّونَ أَنَّ شَفَاعَتَهُ تَنْفَعُهُمْ،فَأَمَرَهُمْ بِلُبْسِ ثِيَابٍ صُفْرٍ وَعَمَائِمَ صُفْرٍ[٢].

وَيَرَى فَوْزِي عِيسَى أَنَّ تَآمُرَ اليَهُودِ مَعَ ابنِ هَمْشَك وتَسْلِيمُهم غَرْنَاطَةَ لَهُ عامَ ٥٥٧هـ سَبَبُ شِدَّةِ المَنْصُورِ مَعَهُم[٣].ويبدو أَنَّ شِدَّةَ المُوَحِّدِينَ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ عَلَى النَّحْوِ السَّابِقِ أَعْجَبَتْ شَعْبَهُم أَيَّمَا إِعْجَابٍ،بَلْ رُبَّمَا أَثْلَجَتْ صَدْرَ كَثِيرٍ مِنَ المُسْلِمِينَ خَارِجَ المَغْرِبِ،لا سِيَّمَا أَنَّ هَذَا كَانَ فِي فَتْرَةِ الحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ الَّتِي اشْرَأَبَّتْ فِيهَا الأَعْنَاقُ إِلَى قائِدٍ مُسْلِمٍ،يَتَّسِمُ بِالصَّرَامَةِ وَالحَزْمِ تجَاه الصَّلِيبِيِّينَ المُعْتَدِينَ؛فيُشِيدُ ابنُ جُبَيْرٍ بِتَمَسُّكِ المُوَحِّدِينَ بِالإِسْلامِ،قَائِلاً:"وَلِيَتَحَقَّقِ المُتَحَقِّقُ،وَيَعْتَقِدُ صَحِيحَ الاعْتِقَادِ أَنَّهُ لا إِسْلامَ إِلا بِبِلادِ المَغْرِبِ.لأَنَّهُمْ [أيّ المغاربة] عَلَى جَادَةٍ وَاضِحَةٍ كَمَا أَنَّهُ لا عَدْلَ، وَلا حَقَّ،وَلا دِينَ عَلَى وجْهِهَا إلا عِنْدَ المُوَحِّدِينَ"[٤].

يَقُولُ عِصْمَت دَنْدَش: إِنَّنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَعَرَّفَ إِلَى بَعْضِ أَنْوَاعِ المَلابِسِ وَالأَلْوَانِ الَّتِي كَانَتْ شَائِعَةً بَيْنَ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ مِنْ "دِيوَانِ ابنِ قُزْمَانَ"(ت:٥٠٨هـ)[٥]،وَسَمَّى دَنْدَش كَثِيرًا مِنْهَا وذَكَرَ تفاصيلَ مَظْهَرِهِم مِمَّا جَاءَ فِي الدِّيوَانِ[٦]،وَحاوَلتُ البَحْثَ عَنْ مَلابِسِ اليَهُودِ مِنْ أَدَبِ الأَنْدَلُسِيِّينَ، فَلَمْ يَكُنِ الأَمْرُ سَهْلاً وَلَمْ تَظْهَرْ مَلابِسُهُمْ وَاضِحَةً كَمَلابِسِ غَيْرِهِمْ مِنَ الأَنْدَلُسِيِّينَ.

وَقَدْ يَكُونُ وراءَ غِيابِ ملابِسِ أهلِ الذِّمَّةِ واليَهُودِ عَنْ شِعْرِ الأَنْدَلُسِيِّينَ سَبَبٌ وَهُوَ قِلَّةُ ظُهورِهم بِهَا،وقِلَّةُ التزامهم بِلُبْسِ الملابسِ الخاصَّةِ التِي فُرِضَتْ عليهم،فَعَلَى العَكْسِ بَدَا مِنْهُمْ تَأَثُّرٌ وَاضِحٌ بِمَلابِسِ المُسْلِمِينَ،وهَذَا جَعَلَهُمْ أَحْيَانًا لا يَمْتَازُونَ عَنْ بَقِيَّةِ أَفْرَادِ المُجْتَمَعِ حَيْثُ كَانُوا يَلْبِسُونَ لِبَاسَهُم، وَيَعِيشُونَ مِثْلَهُم غَيْرَ مُتَقَيِّدِينَ بِمَا كَانَ يُشْتَرَطُ عَلَيْهِمْ.وَيَعُدُّ عبدُ المُطَّلِبِ مَظْهَرَ اللباسَ مِنْ أَهَمِّ المَظَاهِرِ

---

١ – حاوَلَ اليَهُودُ فِي مشرقِ العالمِ الإِسْلامِيِّ ومغربه أَنْ يُغَيِّرُوا قراراتِ السَّلاطِينِ بأموالهم؛ فيذكر ابن كثير عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ أَنَّهُ فِي سَنَةَ ٧٠٩هـ أَوْعَزَ الوَزِيرُ ابنُ الخليلي إِلَى السُلْطَان لاعتبارات مالية أَنْ يُسْمَحَ للنَّصَارَى وَاليَهُودِ بِارْتِدَاءِ العَمَائِمِ البِيضِ مُقَابِلَ سَبْعَمِائَةِ ألف درهم، إلا أَنَّ القاضي ابن تيمية قام بتحريض السُلْطَان عَلَى تأكيد وجوب ارْتِدَاءِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى اللوْنَ الأَزْرَقَ .

انْظُرْ : ابن كثير "**البداية والنِّهَايَة**" ١٤/ ٥٤ .

٢ – عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِيّ "**المُعْجِب**"ص ٣٠٤ .

٣ – انْظُرْ : فوزي عيسى"**الشِّعْر الأَنْدَلُسِيّ فِي عَصْرِ المُوَحِّدِينَ**" ص ٥١ .

٤ – ابن جُبَير "**رِحْلَتُهُ**" ٦٩/١ .

٥ – هُوَ :**أبو بكر** مُحَمَّدٌ بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى **بن قُزْمَان**، وَقُزْمَان بضم القاف جمع قزم، وَالقَزْمُ الدَّنِيُّ الصَّغِيرُ الجُثَّةِ مِنْ كل شيء؛ يُقَالُ لَهُ الأصغر تمييزًا لَهُ عَنْ عمه أَبِي بكر مُحَمَّدٍ الأكبر. وهُوَ إمام الزَّجَّالِين بالأَنْدَلُسِ.مَعَ أَنَّهُ قُرْطُبِيٌّ إلا أَنَّهُ تردد كَثِيرًا عَلَى إِشْبِيلْيَة، وَكَانَ أَهْلُ الأَنْدَلُسِ يَقُولُونَ ابن قُزْمَان فِي الزجالين بمنزلة المُتَنَبِّي مِنَ الشُّعَرَاءِ. قَرَّبه المُتَوَكِّلُ مِنْهُ فرقاه إِلَى مجالسه وَأجزل لَهُ العطاء فارتفعت منزلته،تُوُفِّيَ سَنَةَ ٥٠٨هـ .

انْظُرْ : ابن خَاقَان"**قَلائِد العِقْيان**"ق٢،ج٢/٥٥٥–٥٥٧؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م٢/٧٧٤– ٧٨٦؛ الأَصْفَهَانِيّ"**خَرِيدَةُ القَصْرِ**" ق٤،ج٢/٤٨٧؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٣٤٢/٤؛ ابن الأَبَّار "**المُقْتَضَب مِنْ تُحْفَةِ القَادِمِ**" ص٥٦–٥٨؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١/ ١٠٠–١٠١،١٦٧؛ "**رَايَات المُبَرِّزِين**" ص١٢٦–١٢٧؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٣٤٤/٤–٣٤٥، ١٧٢/٥–١٧٣، ٧٠/٦–٧١ .

٦ – انْظُرْ : ابن قُزْمَان"**دِيوَانُهُ**"ص٤٦،٤٢، ٨٨، ١١٨، ١٣٢، ١٧٤، ١٨٠–١٨٢، ٤٣٦، ٥٦٠، ٥٦٦، ٦٦٢، ٧٥٨؛ عِصْمَت دَنْدَش "**الأَنْدَلُسُ فِي نِهَايَةِ المُرَابِطِينَ وَمُسْتَهَلِّ المُوَحِّدِينَ**" ص ٣١٩ .

ابنُ الأُخُوَّةِ مِنْ أَنَّ أهلَ الذِّمَّةِ رَكِبُوا رُكُوبَ المُسْلِمِينَ،وَلَبسُوا أَحْسَنَ مَلْبُوسِهِمْ[1]،وَيُكْمِلُ مَظْهَر أَنَّهُ لَمْ تَذْكُرِ المَصَادِرُ الإِسْلامِيَّةُ أَوْ النَصْرَانِيَّةُ أَنَّهُ قَدْ فُرِضَتْ عَلَى النَّصَارَى فِي الأَنْدَلُسِ أنواعٌ مُخَصَّصَةٌ مِنَ المَلابِسِ تُمَيِّزُهُمْ عَنْ غَيْرِهِم مِنْ سُكَّانِ البِلادِ فِي فَتْرَةِ الحُكْمِ الأُمَوِيِّ مَثَلاً، واسْتَنْتَجَ مَظْهَر ذَلِكَ مِنْ قَضِيَّةٍ وَرَدَتْ عَلَى فَقِيهِ الأَنْدَلُسِ ابنِ لُبَابَةَ(ت بعد :٣١٤هـ)[2]تتَلَخَّصُ فِي أَنَّ رَجُلاً نَصْرَانِيًّا صَلَّى بِجَمَاعَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ، وَكَذَلِكَ صَلاةُ قِيامِ الليْلِ فِي رَمَضَانَ وَمَعَهُ قُرْآنٌ يَقْرَأُ فِيهِ دُونَ أَنْ يَعْلَمَ المُسْلِمُونَ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا[3]،وَأُوَيِّدُ مَظْهَرَ فِيمَا يَرَى فَلَوْ كَانَ هُنَاكَ مَا يُمَيِّزُ أَهْلَ الذِّمَّةِ فِي اللباسِ لَمَا حَدَثَ ذَلِكَ الأَمْرُ،فَكَيْفَ بِهِ يُصَلِّي بِهِمْ دُونَ أَنْ يَعْرِفُوا إِنْ كَانَ مُسْلِمًا أَمْ غَيْرَ ذَلك،وَلَمْ تكُنْ صَلاةً وَاحِدَةً مُفْرَدَةً بَلْ خَمْس صَلَوات مَعَ قِيَامِ اللَّيْلِ.وَلا يَتَأَتَّى هَذَا لَوْ كَانَ هَذَا الذِّمِّيُّ لابِسًا شَيْئًا خَاصًّا مُخَالِفًا للبَاسِهِم.لَكِنْ هَذِهِ الحالُ كَانَتْ فِي بَدْءِ حُكْمِ المُسْلِمِينَ للأَنْدَلُس،إلا أَنَّهُ لَمْ يَدُم،وَلأَسْبَابٍ عَدِيدَةٍ تَغَيَّرَتْ سِيَاسَةُ الحُكَّامِ تجاه أَهْلِ الذِّمَّةِ ومِنْهُمُ اليَهُودُ،فَفِي آخِرِ أَيَّامِ السُّلطَانِ المَنْصُورِ أَمَرَ أَنْ يُمَيِّزَ اليَهُودُ عَلَى النَّحْوِ المَذْكُورِ سَابِقًا.

وَذَكَرَ ابنُ الخَطِيب أَنَّ السُّلطَانَ إِسْمَاعِيلَ بنَ نَصْرٍ(ت:٧٢٥هـ)[4]كَذَلِكَ "اشْتَدَّ عَلَى أَهْلِ البِدَعِ... وَاشْتَدَّ فِي إِقَامَةِ الحُدُودِ وَإِرَاقَةِ المُسْكِرَاتِ، وَأَخَذَ يَهُودُ الذِّمَّةِ بِالْتِزَامِ سِمَةٍ تُشْهِرُهُم وَشَارَةٍ تُمَيِّزُهُم لِيُوَفُّوْا حَقَّهُم مِنَ المُعَامَلَةِ التِي أَمَرَ بِهَا الشَّارِعُ فِي الطُّرُقِ وَالخِطَابِ"[5].

وَلا أَقُولُ إِنَّ هَذِهِ الحَالَ بِالتَّشَبُّهِ بِالمُسْلِمِينَ فِي مَلابِسِهِمْ كَانَتْ فِي البِدَايَاتِ وَفِي فَتْرَةِ الحُكْمِ الأُمَوِيِّ فَحَسْبُ،بَلِ استَمَرَّ الحالُ بين تَقَيُّدٍ بِالشُّرُوطِ والتَّمَيُّزِ بِملابسَ مَخْصُوصَةٍ إِلَى حُرِّيَّةٍ فِي لُبْسِ مَا يُرِيدُونَ وَصَلَتْ إِلَى تَرْكِهِم يَتَشَبَّهُونَ بِالمُسْلِمِينَ فِي زِيِّهِمْ وَرُكُوبِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ حَتَّى عُصُورٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنْ وُجُودِهِمْ فِي بِلادِ الأَنْدَلُسِ وَالمَغْرِبِ العَرَبِيِّ،فَفِي نَازِلَةٍ عِنْدَ الوَنْشَرِيسي(ت:٩١٤هـ)إجابَةٌ على سُؤالٍ حَوْلَ رَجُلٍ يَهُودِيٍّ يُدْعَى الحَكِيمُ ابنُ قِبْنَال "كَانَ يُعَمِّمُ وَيَتَخَتَّمُ وَيَرْكَبُ السُّرُوجَ عَلَى فَارِهِ الدَّوَابِ، وَيَقْعُدُ فِي حَانُوتِهِ مِنْ غَيْرِ غِيَارٍ وَلا زُنَّارٍ، وَيَمْشِي كَذَلِكَ فِي الأَسْوَاقِ بِغَيْرِ غِيَارٍ يُعْرَفُ بِهِ، كَذَلِكَ فِي الأَسْوَاقِ

---

١ – انْظُرْ: ابن الأَخْوَةِ "**مَعَالِمُ القُرْبَةِ فِي أَحْكَامِ الحِسْبَةِ**" ص ٤٢– ٤٣ .

٢ – هُوَ: ابنُ **لُبَابَةَ** الجَدّ، **مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ**، يكنى أَبَا عبد الله القُرْطُبِيّ مفتي الأَنْدَلُسِ،كَانَ رأسًا فِي الفقه مُحَدِّثًا أَدِيبًا إِخْبَارِيًّا شَاعِرًا مُؤَرِّخًا. وُلِدَ سَنَةَ ٢٢٥هـ، تُوُفِّيَ بالأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٣١٤هـ عن ثمانٍ وثمانين سنة.

انْظُرْ: ابن الفرضي"**تاريخ عُلَمَاءِ الأَنْدَلُسِ**"٢/٣٤-٣٥؛ الحُمَيْدِيّ"**جَذْوَة المُقْتَبِس**"١/١٢٧-١٢٨؛ الضَبِّيّ"**بُغْيَة المُلْتَمِس**"١/١٤٧؛ابن الأَبَّار"**التَّكْمِلَة**" ٢/٢١٥، ٣/١٤٦؛ "**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ١/٢٧٤؛ ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**"٢/١٩٢؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**"١/١٥٤– ١٥٥؛ابن فَرْحُون"**الدِّيباج المُذْهِب**"١/٢٤٢– ٢٤٣؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ١/٢٥٧ .

٣ – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي "**المِعْيار المُعْرِب**" ١/١٥٦ .

٤ – هُوَ السُّلطَان: أَبُو **الوَلِيدِ إِسْمَاعِيلُ بنُ** فرج بن إِسْمَاعِيلَ بن يُوسُفَ **بنُ نَصْر**(٦٧٧– ٧٢٥هـ) كَانَتْ مبايعته سَنَةَ ٧١٣هـ،وَكَانَ جميل الخلق،عادلا فِي رعيته،مجتهدًا فِي مدافعة الأعداء،وصفه ابن الخَطِيب أَنَّهُ غرة فِي قومه ودرة فِي بيته وحسنة مِنْ حسنات دهره.

انْظُرْ: ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَة**" ١/١٤٢، ٣٣٧– ٣٣٩؛ "**اللمْحَةُ البَدْرِيَّةُ**" ص٧٨ – ٩٠ .

٥ – ابن الخَطِيب "**اللمْحَةُ البَدْرِيَّةُ**" ص٨٤ .

بِغَيْرِ غَيَارٍ يُعْرَفُ بِهِ،بَلْ بِأَفْضَلِ زِيِّ كِبَارِ المُسْلِمِينَ وَأَحْسَنِهِ"[١]،وفي هَذَا إِشارةٌ إِلَى أَنَّ اليَهُودَ رُغْمَ كُلِّ الشُّرُوطِ الَّتِي اشْتُرِطَتْ عليهم فِي ملابِسِهِمِ وَهَيْئَتِهِم وَرُكُوبِهِم وَسَكَنِهِم إلا أَنَّهُم لَمْ يَلْتَزِمُوا بِهَذِهِ الشُّرُوطِ وَكَانُوا يَتَشَبَّهُونَ بِالمُسْلِمِينَ حَتَّى عُصُورٍ مُتَأَخِّرَةٍ.

وَحَاوَلَ اليَهُودُ أَنْ يُغَيِّرُوا فِي الشُّرُوطِ المَوْضُوعَةِ لِهَيْئَتِهِمْ، فَيَرْوِي الوَنْشَرِيسي عَنْ أَشْيَاخِهِ أَنَّ ثَلاثَةَ أُخْوَةٍ مِنَ اليَهُودِ،كَانَتْ تَلْزَمُهُمْ مَعَ أَوْلادِهِم الكِبَارِ جِزْيَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ أَرْبَعُونَ دِينَارًا، فَرَغِبُوا أَنْ يَبْذُلُوا فِي كُلِّ عَامٍ خَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ جِزْيَةً زَائِدَةً عَلَى الوَاجِبَةِ عَلَيْهِم كُلَّ عَامٍ، وَيَكُونُ غَيَارُهُم الزُّنَّارَ فَقَطْ عَلَى أَوْسَطِهِمْ، وَلِيَرْكَبُوا السُّرُوجَ لِزِيَارَةِ بَعْضِهِم بَعْضًا أَوْ مَنْ جَرَتِ العادَةُ بِزِيَارَتِهِ مِنْ كُبَرَاءِ المُسْلِمِينَ، وَأَنْ لا يُكَلَّفُوا غَيَارَ الجَرَسِ فِي رِقَابِهِم وَلا الرِّقَاعَ المَصْبُوغَةَ عَلَى ثِيَابِهِمْ. وَأَشْهَرُوا هَذَا السُّؤَالَ، إلا أَنَّهُمْ مُنِعُوا مِنْهُ، وَقِيلَ: بَيْتُ المَالِ وَفَّرَهُ، وَاللهُ غَنِيٌّ عَنْ سُحْتِكُمْ[٢].

ثالِثًا:- نَظْرَةُ الأَنْدَلُسِيِّينَ إِلَيْهِمْ .

يُمْكِنُ تَجْمِيعُ بَعْضِ خُطُوطِ الصُّورَةِ العَامَّةِ التِي حمَلَهَا الأَنْدَلُسِيُّونَ لِلْيَهُودِ مِمَّا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ أَدَبِيَّاتِهِم، وَأَوَّلُ مَا يُلاحَظُ فِي هَذَا قضيَّةُ التَّعْمِيمِ؛فَكَثِيرًا مَا تُؤْخَذُ صُورَتُهُمُ التآمرِيةُ مِنَ القُرْآنِ وَيُعَمَّمُ "النَّمُوذَجُ التَّآمُرِيُّ"عَلَى يَهُودِ الأَنْدَلُسِ وَكُلِّ اليَهُودِ،ظَهَرَتْ عِنْدَ ابنِ حَزْمٍ بِقَوْلِهِ: "... كَاليَهُودِ الذِين لا يُحْسِنُونَ شَيْئًا مِنَ الحِيَلِ،وَلا آتَاهُمُ اللهُ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ القُوَّةِ.وَإِنَّمَا شَأْنُهُمُ الغِشُّ وَالتَّخَابُثُ وَالسَّرِقَةُ، عَلَى التَّطَاوُلِ وَالخُضُوعِ،مَعْ شِدَّةِ العَدَاوَةِ لله تَعَالَى وَلِرَسُولِهِﷺ "[٣]، وَعِنْدَ ابنِ عِذَارِي فِي قَوْلِهِ عَنْ كَاتِبِ ابنِ يَنَالَه بِأَنَّهُ "يَهُودِيُّ الأَعْرَاقِ وَالأَخْلاقِ يَبْغَضُ النَّاسَ ويَبْغَضُونَهُ"[٤].

وَيُوحِي "النَّمُوذَجُ التَّآمُرِيُّ" لِلْيَهُودِ أَنَّ خُصُوصِيَّةً تَكْمُنُ فِي شَرِّهِمُ الأَزَلِيِّ وَأَنَّ اليَهُودَ أَشْرَارٌ مُتَآمِرُونَ بِطَبِيعَتِهِم،إلا أَنَّ عَبدَ الوَهَّابِ المَسِّيرِيِّ حِينَ رَفَضَ "النَّمُوذَجَ التَّآمُرِيَّ" اتَّخَذَ مِنْ نَجَاحِ جَمَاعَةِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ فِي الانْتِمَاءِ الكَامِلِ لِلحَضَارَةِ العَرَبِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ وَالتَّفَاعُلِ مَعَهَا وَالإِسْهَامِ فِيهَا دَعْمًا لِرَفْضِهِ[٥]،ومِثْلُهُ إِسْرَائِيلُ شَاحَاكَ يَرَى كَذَلِكَ أَنَّ مَا يُدْعَى "السِّمَاتُ اليَهُودِيَّةُ" سِمَاتٌ حَدِيثَةٌ وَمَجْهُولَةٌ تَمَامًا خِلالَ مُعْظَمِ التَّارِيخِ اليَهُودِيِّ،وَلَمْ تَبْرُزْ لِلْعَيَانِ إلا بَعْدَ فُقْدَانِ الطَّائِفَةِ اليَهُودِيَّةِ الاسْتِبْدَادِيَّةِ لِسُلْطَتِهَا[٦].

---

١ – الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢/٢٥٤ .

٢ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ٢/٢٥٦ .

٣ – ابن حَزْمٍ "**رَسَائِلُهُ**" ؛"رِسَالَة فِي الرَّدِّ عَلَى ابن النَّغْرِيلَة اليهوديّ" ٣/٤٢ .

٤ – ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِيّ"**البَيَان المُغْرِب**" ٤/٧٧ .

٥ – انْظُرْ: عبد الوَهَّاب المَسِّيرِيّ"**مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" ١/١٥٠، ١٥٥ .

٦ – انْظُرْ: إِسْرَائِيل شَاحَاك"**الدِّيَانَةُ اليَهُودِيّة وَمَوْقِفُهَا مِنْ غَيْرِ اليَهُودِ**" ص ٢٣ .

وَظَهَرَتْ طَبِيعَتُهُمُ الشِّرِيرَة السَّيِّئَةِ عِنْدَ **عَبْدُ الكَرِيمِ القَيْسِيُّ** بِقَوْلِهِ[١]: [الطويل]

وَإِنَّ أُنَاسًا بِالإِمَامِ تَهَاوَنُوا لأَفْضَلُ مِنْهُمْ فِي **اليَهُود** وَفِي الرُّومِ

فَدَعْ دَارَهُمْ مِثْلَ الإِمَامَةِ عِنْدَهُمْ فَمَا إِنْ تُرَى بِالسُّوءِ بَعْدُ بِمَأْمُومِ

فَلا يُوجَدُ أَسْوَأُ مِنْهُمْ،وَلأَهْلِ الذِّمَّةِ طَبَائِعُ شَيْطَانِيَّةٌ عِنْدَ ابنِ الأُخْوَةِ بِقَوْلِهِ:"وَأَظْهَرَتْ مِنْهُمُ الأَيَّامُ طَبَائِعَ شَيْطَانِيَّةً مَكَّنَتْهَا وَعَضَدَتْهَا يَدٌ سُلْطَانِيَّةٌ"[٢]،وَعَدَّدَ بَعْضًا مِنْهَا،فَقَالَ:"فَرَكِبُوا مَرْكُوبَ المُسْلِمِينَ،وَلَبِسُوا أَحْسَنَ لِبَاسِهِمْ وَاسْتَخْدَمُوهُمْ،فَرَأَيْتَ اليَهُودِيَّ وَالنَّصْرَانِيَّ رَاكِبًا يَسُوقُ بِمَرْكَبِهِ وَالمُسْلِمَ يَجْرِي فِي رِكَابِهِ،وَرُبَّمَا تَضَرَّعُوا وَتَذَلَّلُوا لَهُ لِيَرْفَعَ عَنْهُمْ مَا أَحْدَثَهُ عَلَيْهِمْ"[٣].وَيَصِفُ حَالَ نِسَائِهِم بِقَوْلِهِ: "وَأَمَّا نِسَاؤُهُمْ فَإِذَا خَرَجْنَ مِنْ دُورِهِنَّ وَمَشَيْنَ فِي الطُّرُقَاتِ لا يَكَدْنَ يُعْرَفْنَ،وَكَذَلِكَ فِي الحَمَّامَاتِ، وَرُبَّمَا جَلَسَتِ النَّصْرَانِيَّةُ فِي أَعْلَى مَكَانٍ مِنَ الحَمَّامِ والمُسْلِمَاتُ يَجْلِسْنَ دُونَهَا.وَيَخْرُجْنَ الأَسْوَاقَ وَيَجْلِسْنَ عِنْدَ التُّجَّارِ فَيُكْرِمُونَهُنَّ بِمَا يُشَاهِدُونَ مِنْ حُسْنِ زِينَتِهِنَّ،فَلا يَدْرُونَ أَنَّهُنَّ أَهْلُ ذِمَّةٍ"[٤].

وَمَعَ أَنَّ الفُقَهَاءَ حَرَّمُوا إِذَايةَ أهلِ الذِّمَّةِ،حَتَّى إِنَّهُم حَرَّمُوا إِذَايةَ حَيَوَانِهِم وَبَهَائِمِهِمْ لأَنَّهُمْ تَحْتَ ذِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَجِزْيَتُهُم تُؤْخَذُ مِنْهُمْ طَوْعًا وَكَرْهًا[٥]؛إلا أَنَّ المَرْوِيَّاتِ تُشِيرُ إِلَى حَالاتٍ تَمَّ فِيهَا إِذَايَتُهُمْ،بَلْ قَتْلُهُم؛مِنْهَا مَا يُرْوَى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ المَنْصُورِ حِينَ أَعْطَتِ النَّاسُ البَيْعَةَ لِغَيْرِهِ "فَلَمَّا اسْتَوْثَقَ لَهُ الأَمْرُ،أَخْرَجَ الموَيدَ هِشَامًا مِنْ قَصْرِهِ،وَأَسْكَنَهُ بِبَعْضِ دُورِ المُلْكِ،وَأَحْضَرَ لِلنَّاسِ رَجُلاً مَيِّتًا شَبِيهًا بِهِ،قِيلَ إِنَّهُ كَانَ **يَهُودِيًّا** أَوْ نَصْرَانِيًّا،فَعَايَنَهُ الوُزَرَاءُ، وَشَهِدُوا بِأَنَّهُ هِشَامُ المُؤَيَّدُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ فِيهِ"[٦].وَقَدْ يَكُونُ فِي قَوْلِهِم "يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا" إِشَارَةٌ إِلى سُهُولَةِ قَتْلِ هَذَا أَوْ ذَاكَ وَوَضْعِ جُثَّتِهِ بَدَلَ الخَلِيفَةِ.وَهَذِهِ السُّهُولَةُ فِي قَتْلِ أَهْلِ الذِّمَّةِ ظَهَرَتْ مَعَ المُعْتَمِدِ بنِ عَبَّادٍ حِينَ أَمَرَ بِقَتْلِ رَسُولِ أَلفُونْسُ اليَهُودِيِّ[٧].إلا أَنَّ مَنْ يُتَابِعُ أَخْبَارَ وُلاةِ الأَنْدَلُسِ يَرَى القَتْلَ وسَفْكَ الدِّمَاءِ سَهْلاً بَلْ دَيْدَنًا لِبَعْضِهِم حَتَّى مَعَ عِلْيَةِ القَوْمِ وأَشْهَرِ الكُتَّابِ والعُلَمَاءِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ خَاصًّا بِأَهْلِ الذِّمَّةِ.

وَلأَنَّ لليَهُودِ صُورَةً سيئَةً عِنْدَ الأَنْدَلُسِيِّينَ،لَمْ يَتَخَلَّصْ مِنْهَا مَنْ أسلمَ مِنْهُمْ،فكَانَ يُعايَرُ الرَّجُلُ أَحْيَانًا إِنْ كَانَ يَهُودِيًّا أَوْ مِنْ أُصُولٍ يَهُودِيَّةٍ؛ذَكَرَ المَقَّرِيّ مِنْ كَرَامَاتِ أَحَدِ الأَنْدَلُسِيِّينَ[٨]:

---

١ – عبد الكريم القَيْسِي الأَنْدَلُسِيّ "**دِيوَانُه**" ص ٣٣٨ .

٢ – ابن الأُخْوَة "**مَعَالِمُ القُرْبَةِ فِي أَحْكَامِ الحِسْبَةِ**" ص ٤٣ .

٣ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٤ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٥ – انْظُرْ : الوَنْشَرِيسي "**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢/٢٢٩ .

٦ – انْظُرْ : ابن الخَطِيب "**أَعْمَال الأَعْلام**" ص١١٢ .

٧ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ص ٢٢٩ – ٢٣٠ .

٨ – هُوَ : الشيخ أبو **الحسن علي بن أحمد الحرالي** الأَنْدَلُسِي . انْظُرْ : المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٢/٣٩٩– ٤٠٢ .

"أَنَّ زَوْجَتَهُ كَانَتْ تَشْتِمُهُ وَتُؤْذِيهِ وَهُوَ يَبْتَسِمُ،فَرَاهَنَ رَجُلٌ جَمَاعَةً عَلَى أَنْ يُحْرِجَهُ.فَقَالُوا:لا تَقْدِرُ، فَأَتَى وَهُوَ يَعِظُ، وَصَاحَ وَقَالَ لَهُ:أَنْتَ أَبُوكَ كَانَ يَهُودِيًّا وَأَسْلَمَ،فَنَزَلَ مِنَ الكُرْسِيِّ،فَاعْتَقَدَ الرَّجُلُ أَنَّهُ غَضِبَ وَأَنَّهُ تَمَّ لَهُ مَا رَامَهُ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ فَخَلَعَ مُرْطَيْهِ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ إِيَّاهُمَا.وَقَالَ لَهُ بَشَّرَكَ اللهُ بِالخَيْرِ لأَنَّكَ شَهِدْتَ لأَبِي أَنَّهُ كَانَ مُسْلِمًا"[١]. فَكَانَتْ نَظْرَةُ العَامَّةِ إِلَى اليَهُودِ سَيِّئَةً،وَعَلَى الرُّغْمِ مِنْ تَعَامُلِهِمُ اليَوْمِيِّ مَعَهُمْ فَإِنَّهُم صَبُّوا عَلَيْهِمْ أَحْيَانًا جَامَ غَضَبِهِمْ وَسُخْطِهِم،وَتَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ أَمْثَالُهُمُ التِي اسْتَعْمَلُوا فِيهَا الأَلْفَاظَ القُرْآنِيَّةَ الوَارِدَةَ فِي بَنِي إِسْرَائِيل كَاللعْنَةِ والشَّقَاءِ وَغَضَبِ اللهِ[٢]. وأَحْيَانًا كَانَ يَتَحَوَّلُ هَذَا السُّخْطُ إِلَى تَصْفِيَةٍ جَسَدِيَّةٍ كَمَا وَقَعَ فِي قُرْطُبَةَ سَنَةَ ٥٢٩هـ حِينَ اغْتِيلَ شَخْصٌ وُجِدَتْ جُثَّتُهُ فِي حَيِّ اليَهُودِ،فَاقْتَحَمَ العَامَّةُ حَيَّ اليَهُودِ،وَفُتِحَتْ مَنَازِلُهُم وَانْتُهِبَتْ أَمْوَالُهُم،وَقُتِلَ عَدَدٌ مِنْهُمْ[٣].

ونُسِبَتْ إِلَى اليَهُودِ أَحْيَانًا الأَعْمَالُ المَكْروهَةُ كَالسِّحْرِ[٤]؛فَقَالَ أَحَدُهُمْ:"وَرَدَ عَلَيْنَا يَهُودِيٌّ فَاشْتَغَلَ بِأَعْمَالِ أَمْثَالِهِ اليَهُودِ،ثُمَّ اشْتَهَرَ أَمْرُهُ أَنَّهُ شَاعِرٌ وَسَاحِرٌ وَمُهِينٌ لِلمُسْلِمِينَ"[٥]،وَفِي القَوْلِ إِشارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ كَانُوا مَشْهُورِينَ بِهَذِهِ الأَعْمَالِ.

وحِينَ يَنْوُونَ اللَّمْزَ فِي نَسَبِ أَحَدِهِمْ يَنْسِبُونَهُ لليَهُودِ فِي أَحَدِ آبَائِهِ؛وَمِثَالٌ عَلَى ذَلِكَ حِينَ يذكُرُ المَرَّاكُشِيُّ نُبَذًا مِنْ أَخْبَارِ عُبَيْدِ اللهِ الشِّيعِيِّ المُلَقَّبِ بِالمَهدِيِّ(ت:٣٢٢هـ)[٦]،وَمَا قِيلَ فِي نَسَبِهِ، يَقُولُ: إِنَّ الرِّوَايَاتِ تَخْتَلِفُ فِي نَسَبِهِ؛فَيُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ ادَّعَى بِأَنَّهُ عُبَيْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنُ إِسْمَاعِيلَ المَنْسُوبِ إِلَى عَلِيٍّ بنِ أَبي طَالِبٍ.وَيَذْكُرُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ قَالُوا بِأَنَّهُ دَعِيٌّ،وَأَنَّ انْتِسَابَهُ للطَّالِبِيِّينَ دَعْوَةٌ بَاطِلَةٌ،ثُمَّ يُضِيفُ رِوايَةً أُخْرَى مفَادُهَا أَنَّ جَعْفَرَ بنَ عَلِيٍّ كَانَتْ لَهُ جارِيَةٌ؛ فَغَشِيَهَا رجُلٌ مِنَ القَرَامِطَةِ[٧]،وَقِيلَ مِنَ اليَهُودِ،دَفَعَتْ لَهُ مالا؛فكَانَ يَهْوَاهَا وَتَهْواهُ،وَقَتَلَتْ جَعْفَرًا مولاها،فَوَلَدَتْ جَدَّ عُبَيدِ الله هَذَا.فَمَنْ خَفِيتْ عَلَيْهِ هَذِهِ القِصَّةُ قَالَ إِنَّهُ عَلَوِيٌّ،وَمَنْ عَلِمَهَا عَلِمَ دَعْوَتَهُ وَكَذِبَهُ[٨].وَمِثْلُ هَذِهِ الرِّوَايَةِ فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ وَالتَّارِيخِ كَثِيرٌ.فيَكُونُ ذِكْرُ اليَهُودِ وَلَوْ مِنْ بَابِ الظَّنِّ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ قَدْ أَتَى لِلَّمْزِ فِي نَسَبِ هَذَا المَهْدِيِّ لِيَكُونَ أَحَدُ أَجْدَادِهِ

---

١ - المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٤٠١/٢ .

٢ - انْظُرْ فِي البَحْثِ: ص 265 .

٣ - انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٩٣/٤ .

٤ - اتهِمَتِ اليَهُودِيَّاتُ بِأَنهُنَّ سَاحِرَاتٌ، وقِيلَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ اليَهُود حِزْبُ الشيطانِ. انظُرْ: وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ٨١/١٤ .

٥ - الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٣٩٩/٢ .

٦ - فِي أحد رواياتِ نسبِهِ هو:**عُبَيْدُ اللهِ** بنُ مُحَمَّدِ بنُ إِسْمَاعِيلَ بنُ جَعْفَرٍ...ابنُ الحَسَينِ بنُ عَلِيِّ بنُ أَبِي طَالِبٍ المُلَقَّبُ **بِالمَهْدِيِّ**، اختلفَتِ الرواياتُ اختلافًا كبيرًا فِي نَسَبِهِ.وَهُوَ أول مَن ادعى الخلافة مِنَ الشيعة بالمَغْرِبِ،وبنى المَهْدِيَّةَ بِإِفْرِيقْيَةَ، فنُسِبَتْ إليه، وتُوُفِّيَ بِهَا سَنَةَ ٣٢٢هـ. انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ١٥٨/١-١٧٥؛ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَان**" ١١٧/٣- ١١٩، ١٥٨/٧؛ ابن الأبار"**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ١٧٥/١، ١٩٤، ٢٨٥، ٢٨٩، ٧/٢؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ١٠٤/٣ .

٧ - القَرَامِطَة: قوم خوارج مارقة ظهروا بالكوفة سَنَةَ ٧٨هـ . انْظُرْ: ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ١٧١/١-١٧٢ .

٨ - انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ١٥٩/١ .

مِنَ اليَهُودِ وَقَدْ يَكُونُ مِنَ القَرَامِطَةِ وَكلاهُمَا نَقِيصَةٌ وَمَعْيَبَةٌ فِي نَسَبِ مَنْ يَدَّعي أَنَّهُ عَلَوِيٌّ.

وَالأغلبُ فِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ أَنْ يَكُونَ ذِكْرُ اليَهُودِ عَامًّا دُونَ تَعْيينٍ أو تَسْمِيَةٍ؛فَكَثِيرًا مَا يُقَالُ وَاحِدٌ مِنَ اليَهُودِ،أَوْ أَحَدُ اليَهُودِ،أو يَهُودِيٌّ...إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّعْمِيمَاتِ.وَأَحْيَانًا يُسَمُّونَ مَنْ يَنْتَسِبُونَ إِلَيْهِ مِنَ اليَهُودِ،وَمِثْلُ هَذَا الكَلامِ قِيلَ فِي بَرْغَوَاطَةَ وَدَوْلَتِهِمْ،فقدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي نَسَبِ بَرْغَوَاطَةَ؛فَبَعْضُهُمْ يُلْحِقُهُمْ بِزَنَاتَةَ،وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ فِي زَعِيمِهِم صَالِحِ البَرْغَوَاطِيِّ(ت: بعد ١٧٤هـ)(١) إِنَّهُ يَهُودِيُّ الأَصْلِ مِنْ سِبْطِ شَمْعُون بنِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ(٢)يُقَالُ إِنَّهُ وَكَثِيرٌ مِنْ أَحْفَادِهِ ادَّعَوا النُّبُوَّةَ، واشتَهَرَ بَعْضُهُمْ بِالكَهَانَةِ وَالتَّنْجِيمِ،وَقَتَلوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ البَرْبَرِ حَتَّى أَطَاعُوهُم(٣).

نِسَاءُ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ .

سَمَحَ الإِسْلامُ لِلرَّجُلِ المُسْلِمِ أَنْ يتزوَّجَ الحُرَّةَ النَّصْرَانِيَّةَ أَوِ اليَهُودِيَّةَ؛وَمَعْ أَنَّ التَّزَاوُجَ بَينَ المُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ العَنَاصِرِ مَأْلُوفٌ بَيْنَ عَامَّةِ النَّاسِ،وعندَ حُكَّامِ الأَنْدَلُسِ أَنْفُسِهِمْ؛وَرُغْمَ وُجودِ قَائِمَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْ زَوْجَاتٍ غَيْرِ مُسْلِمَاتٍ لِلأَنْدَلُسِيِّينَ إلا أَنَّهُ لا يُوجَدُ اسْمُ يَهُودِيَّةٍ وَاحِدَةٍ بَيْنَهُنَّ(٤). وَعَلَى العَكْسِ حِينَ تَكُونُ فَضِيحَةٌ تَظْهَرُ نساءُ اليَهُودِ أَحْيَانًا طَرَفًا فِي القِصَّةِ؛فَلَمَّا وَلِيَ الأَمْرَ يَحْيَى ابنُ مُحَمَّدٍ بنُ إِدْرِيسَ(ت بعد: ٢٣٤هـ)(٥)كَانَ مُنهَمِكًا فِي الشَّرَابِ،مُعْجَبًا بِالنِّسَاءِ،فَأَسَاءَ السِّيرَةَ،ذُكِرَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى جَارِيَةٍ مِنْ بَنَاتِ اليَهُودِ فِي حَمَّامِ النِّسَاءِ وَكَانَتْ بَارِعَةً فِي الجَمَالِ فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَاسْتَغَاثَتْ، فَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ أَهْلُ فَاسَ،فَتَوارَى بِالأَنْدَلُسِ،وَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِه أَسَفًا عَلَى مَا صَنَعَ(٦).

وَظَلَّ اليَهُودُ يُجَمِّلُونَ نِسَاءَهم بِفَاخِرِ الثِّيَابِ،ولكنَّهُم حَرَّمُوا عَلَيْهِنَّ أن يظْهَرْنَ أمامَ الجَمَاهيرِ عَارِيَاتِ الرَّأْسِ،وَأَنْذَرُوهُنَّ بِأَنَّ مُخَالَفَةَ هَذَا الأَمْرِ تُصْبِحُ سَبَبًا لِلطَّلاقِ،وأَمِرَ اليَهُودِيُّ أَنْ لا يُصَلِّيَ بِحَضْرَةِ امْرَأَةٍ يَرَى النَّاسُ شَعْرَهَا(٧).

---

١ – هُوَ: **صَالِحُ بنُ طَرِيفٍ البَرْغَوَاطِيُّ**، يرى ابن دِحْيَةَ أَنَّ العَامَّةَ تقوله بالراء المهملة بَرَغْواطة،والصواب بلَغواطة،نسبة إِلَى قبيلة بَلَغْواطة بلام مفتوحة وإسكان الغين،والنسب لَهَا بَلَغْواطي.وُلِدَ عام ١١٠هـ،نَشَأَ بِبَرْبَاط بالأَنْدَلُسِ،ثُمَّ رَحَلَ إِلَى المَشْرِقِ سَنَةَ ١٧٤هـ، واشتغل بالسحر،وزعم أنه المهدي المنتظر الذي يخرج آخر الزمان ليقاتل الدَّجَّالَ،وادَّعَى النُّبُوَّةَ،وَتَسَمَّى بصالح المؤمنين، سُمِّيَ مَنِ اتَّبعه برباطيّ، ثُمَّ أحالوه بَرْغَوَاطِيّ.

انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ١/٣٦٨؛ ابن دِحْيَةَ"**المُطْرِب**"ص٨٨– ٨٩؛ ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ١/٢٢٣– ٢٢٥؛ أَحْمَد الناصِرِيّ"**الاستِقْصا**" ٢/١٥–١٨ .

٢ – انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ١/٢٢٣– ٢٢٥؛ أَحْمَد النَّاصِرِيّ"**الاستِقْصَا**" ٢/ ١٥ .

٣ – انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ١/٢٢٥– ٢٢٦ .

٤ – انْظُرْ: نجمة خليل أَبُو إصبع"**الحَيَاةُ الفِكْرِيَّةُ فِي عَصْرِ الخِلافَةِ الأُمَوِيَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ**" ص ٨٢ .

٥ – هُوَ: **يَحْيَى بن يَحْيَى** بن مُحَمَّدٍ بن إدريس ابن إدريس **الحسني**. انْظُرْ:ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ١/٢١١– ٢١٢؛ ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلامِ**" ص ٢٠٧–٢٠٨؛ أَحْمَد النَّاصِرِيّ"**الاستِقْصَا**" ١/١٧٨

٦ – انْظُرْ:ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**"١/٢١١؛ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلامِ**"ص٢٠٧–٢٠٨؛أَحْمَد النَّاصِرِيّ"**الاستِقْصَا**"١/١٧٨.

٧ – انْظُرْ: وِل ديورَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ١٤/٦٧ .

وَأُبِيحَ لِيهودِ الأَنْدَلُسِ تَعَدُّدُ الزَّوْجاتِ مُخَالِفِينَ بِهَذا مَا كَانَ عَلَيْهِ اليَهُود فِي بلاد أَوْرُوبَّا كافة[١].
وَكَانَ لِنِساءِ اليَهُودِ مَعَ المُسْلِماتِ مِنْ نِسَاءِ الأَنْدَلُسِ اخْتِلاطٌ وَمُشَارَكَةٌ وَتَأْثِيرٌ؛فَذَكَرَ الوَنْشَرِيسي أَنَّ اتِّخَاذَ طَعَامٍ مَعْلُومٍ فِي بَعْضِ المَوَاسِمِ،فِي مِيلادِ النَّبِيِّ ﷺ،وَعَاشُورَاء،وَمَا أَحْدَثَتْهُ بَعْضُ النِّسَاءِ إِذَا كَانَتْ حَائِضًا،كُلُّ هَذَا مِنْ فِعْلِ اليَهُودِ[٢].

رَابِعًا:ـ مُعَامَلَةُ الأَنْدَلُسِيِّينَ لِلْيَهُودِ .

تَذْكُرُ المَصَادِرُ صُوَرًا مُخْتَلِفَةً لِمُعَاوَنَةِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ يَظْهَرُ مِنْهَا مَا يَلِي:

١ـ مُجَاوَرَتُهُم فِي السَّكَنِ وَمُشَارَكَتُهُمْ فِي احتِفَالاتِهِمْ .

رُغْمَ انْعِزَالِ غَالِبِيَّةِ اليَهُودِ فِي "الجيتُو" إلا أَنَّ هَذَا الانْعِزَالَ لَمْ يَكُنْ قَاعِدَةً عامَّةً لهمْ بِالأَنْدَلُسِ وبِلادِ المَغْرِبِ؛فَقَدْ جَاوَرَ اليَهُودُ المُسْلِمِينَ،وَتُظْهِرُ النَّوازِلُ وَمَا دُوِّنَ مِنْ فَتَاوَي الفُقَهَاءِ تَجَاوُرًا؛فَقَدْ أَقْدَمَ القَاضِي مَثَلاً عَلَى بَيْعِ دَارِ يَتِيمٍ لِعَزْلِهَا عَنْ دُورِ اليَهُودِ،وَطَلَبُوا الفَتْوَى إِذَا اكْتَرَى الذِّمِّيُّ عُلُوًّا أَوْ اشْتَرَاهُ وَالأَسْفَلُ لِلمُسْلِمِ[٣]،كَمَا سَأَلَ قاضِي الجَمَاعَةِ بِقُرْطُبَةَ عَنْ حُكْمِ اسْتِقَاءِ الرَّجُلِ مِنْ بِئْرٍ وَاحِدَةٍ مُشْتَرَكَةٍ مَعَ دَارٍ مُجَاوِرَةٍ لِيُهُودِيٍّ[٤]،وَسَأَلُوا كَذَلِكَ عَنِ اسْتِقَاءِ اليَهُودِ مِنْ نَهْرٍ وَسْطَ بَلَدٍ، المُسْلِمُونَ يَتَوَضَّؤُونَ فِيهِ وَيَتَطَهَّرُونَ وَيَغْسِلُونَ ثِيَابَهُمْ مِنْهُ[٥].
وتُثِيرُ هَذِهِ الأَسْئِلَةُ تَوَقُّعِين:إِمَّا أَنْ يَكُونَ بَعْضُ اليَهُودِ سَكَنُوا بَيْنَ دُورِ المُسْلِمِينَ،أَوْ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ سَكَنَ فِي حَيِّ اليَهُودِ وَلَمْ تُوَضِّحِ المَصَادِرُ كَثِيرًا هَذَا الأمرِ،إلا أَنَّنِي أَتَوَقَّعُ أَنَّهُم سَكَنُوا بَيْنَ المُسْلِمِينَ لا العَكسِ،ومِنَ الإِشَارَاتِ التِي تُقَوِّي تَوَقُّعِي أَنَّ دُورَ اليَهُودِ كَانَتْ مُلاصِقَةً للمَسَاجِدِ أَحْيَانًا،فَقِيلَ إِنَّهُ كَانَتْ لأحدِهِمْ دَارٌ بِدَاخِلِ مَدِينَةِ قُرْطُبَةَ بِحَوْمَةِ مَسْجِدٍ فِيهَا تُلاصِقُ دَارًا أُخْرَى مَوْقُوفَةً عَلَى شَنُوغَةِ اليَهُودِ[٦].وَلَمَّا عَزَمَ عَلِيُّ بنُ يُوسُفَ تَوْسِيعَ جَامِعِ القَرَوِيِّينَ اشْتَرَى أَرْضًا تُجَاوِرُهُ كَانَتْ لِلْيَهُودِ.

---

١ – انْظُرْ: وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ١٤/٧٠ .

٢ – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢/٤٨٩، وَسَتَرِدُ الإشارة إِلَيْهِ فِي البَحْثِ : ص ٦٢ .

٣ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ٢/٢٥٩ .

٤ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ٥/٢٠٨ .

٥ – نَفْسُهُ ٨/٤٣٣ .

٦ – انْظُرْ: عيسى أَبُو الأَصْبَغ ابن سَهْلٍ "**وَثَائِقُ فِي أَحْكَامِ قَضَاءِ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ**" ص٢٥، ٦٠– ٦١ [الوَثِيقَة رَقَم:٢٥٧]؛ الوَنْشَرِيسي "**المِعْيَار المُعْرِب**" ٧/٥٣ .

وَشنوغة اليهود: بيت عبادتهم أو معبدهم ،وَهَذَا اللفظ منقول عَنْ اللاتينيةSinagoga ،ومعناه أَصلاً مكان الاجتماع،وَقَدْ خصص المَعْنَى بَعْدَ ذَلِكَ بمكان اجتماع اليهود للعبادة. انْظُرْ: عَبْد الوَهَّابِ المَسِّيرِيّ" **مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" ٥/٢١٦– ٢١٧ .

وَأَدَّى الانْدِمَاجُ إِلَى نُشُوءِ بَعْضِ المُشْكِلاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ النَّاجِمَةِ مِنْ مَعِيشَتِهِم بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَانْدِمَاجِهِم،فَسُئِلَ الفُقَهَاءُ مَثَلاً عَنْ "يَهُودِيٍّ اشْتَرَى دَارًا مِنْ مُسْلِمٍ فِي دَرْبٍ يَقْطُنُهُ أَهْلُ الخَيْرِ،وَتَأَذَّى الجِيرَانُ بِمَا لا يَجُوزُ فِعْلُهُ كَشُرْبِ الخَمْرِ"[1]،وَوَرَدَ سُؤَالٌ عَنْ مُسْلِمٍ اشْتَرَى جِنَانًا مِنْ يُهُودِيِّينِ وَحَازَهَا عَشَرَةَ أَعْوَامٍ،وَاعْتَمَرَهَا،وَحَبَسَهَا عَلَى بَنِيهِ،ثُمَّ عَلَى طَلَبَةِ العِلْمِ.وَقَامَ يُهُودِيٌّ يَزْعَمُ أَنَّ الجَنَّةَ حَبَسَهَا عَلَيْهِ عَمَّاهُ حِينَ كَانَ صَغِيرًا،وَهُمَا اليُهُودِيَّانِ البَائِعَانِ لَهَا[2].

وَفِي أَمْثَالِ العَامَّةِ مَا يَكْشِفُ عَنْ تَعَامُلِهِمْ مَعَ المُسْلِمِينَ،فَقَالَتْ العَامَّةُ:"مَنْ فَتَحْ حَانُوتْ لِلتجَارَةْ، يَبِيعْ مِنْ يَهُود وَنَصَارَى"[3].وَسَأَلُوا عنْ صِحَّةِ مُشَارَكَةِ المسلم لليَهُودِيِّ[4].

وَشَاهَدَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ يَقُومُونَ بِبَعْضِ الطُّقُوسِ الخَاصَّةِ بِهِمْ؛فَقَالُوا إِنَّهُم عِنْدَمَا يُخْرِجُونَ جَنَازَةَ أَمْوَاتِهِمْ يَسِيرُونَ نَحْوَ المَقْبَرَةِ فِي صَمْتٍ وَخِفَّةٍ فِي المَشْيِ،كَمَا وَصَفُوا قُبُورَهُمْ[5].

وَشَارَكَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ أَحْيَانًا بِاحْتِفَالاتِهِمْ،وَتَأَثَّرُوا بِبَعْضِ عَادَاتِهِمْ.فَجَاءَ فِي "المِعْيَار المُعْرِب" مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اليَهُودَ كَانُوا يَحتَفِلُونَ بِأَعْيَادِهِمْ،ليسَ هَذَا فَحَسب،بَلْ كَانُوا يَتَهَادَوْنَ مَعَ المُسْلِمِينَ فِي أَعْيَادِهِمْ؛فَوردَ سُؤَالٌ عَنْ حُكْمِ قَبُولِ وَأَكْلِ رَغَائِفَ كَانَ اليَهُودُ يَصْنَعُونَهَا فِي عِيدِ الفِطْرِ وَيُهْدُونَهَا لِبَعْضِ جِيرَانِهِمْ مِنَ المُسْلِمِينَ[6]،فَاسْتَفْتَوْا عَنْ إِحْدَاثِ بَعْضِ النِّسَاءِ أَمْرًا يَتَلَخَّصُ فِي أَنَّ المَرْأَةَ مِنَ المُسْلِمَاتِ إِذَا كَانَتْ حَائِضًا لا تَكْتَالُ القَمْحَ وَلا غَيْرَهُ مِنَ الطَّعَامِ،وَلاَ تَحْضُرُ مَوْضِعَهُ لأَجْلِ حَيْضِهَا،فَأَجَابَ المُسْتَفتَى أَنَّ هَذَا مِنْ فِعْلِ اليَهُودِ[7].

احتَفَلَ الأَنْدَلُسِيُّونَ بِالعِيدِ،وَكَانَ العِيدُ عِنْدَهُمْ إِشَارَةً إِلَى النَّصْرِ وَالسَّعَادَةِ وَالبَهْجَةِ وَتَحَقُّقِ الأَمَلِ،وَمِنْ غَيْرِ المُعْتَادِ أَنْ يَشعُرَ الشَّاعِرُ بِالحُزْنِ يَوْمَ العِيدِ؛فَحِينَ أخلفَ صديقُ الشَّاعِرِ **أَبِي عَبْدِ اللهِ الصِّقِلِّيِّ**[8] مَثَلاً وَعدَهُ بِأَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ يَوْمَ عِيدٍ،وَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ،فَبَعَثَ إِلَيْهِ[9]: [البسيط]

تَجَهَّـــمَ العِيـــدُ وَانْهَلَّـــتْ مَدَامِعُـــهُ وَكُنْتُ أَعْهَدُ مِنْـهُ البِشْرَ وَالضَّـحِكَا

كَأَنَّمَـا جَـاءَ يَطْـوِي الأَرْضَ مِنْ بُعْـدٍ شَـوْقًا إِلَيْـكَ فَلَمَّـا لَـمْ يَجِـدْكَ بَكَـى

---

[1] – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٤٣٧/٨ .

٢ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ٤٣٨/٧ .

٣ – الزَّجَّالي "**أَمْثَالُ العَوَام فِي الأَنْدَلُس**" ٢٩٣/٢،رقم :١٢٦٤، يشير ظاهر المثل إِلَى مَا كَانَ العمل بِهِ جاريًا فِي الأَنْدَلُسِ، وللمتأخرين مِنْ فقهاء المالكية بالأَنْدَلُسِ خلاف فِي جواز معاملة اليهود بالبيع والشراء. انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢١٤/٥ .

٤ – انْظُرْ: عَبْد الوَاحِدِ المراكشي"**وَثَائِقُ المُرَابِطِينَ وَالمُوَحِّدِينَ**" ص ٥٨٩ .

٥ – انْظُرْ: الزَّجَّالي "**أَمْثَالُ العَوَام فِي الأَنْدَلُس**" ٢١٦/١–٢١٧ ،وانْظُرْ فِي البَحْثِ : ص ٢٦٥ .

٦ – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي "**المِعْيَار المُعْرِب**"١١١/١١ .

٧ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ٤٨٩/٢ .

[8] – هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللهِ **بنُ الصَّفَّارِ الصِّقِلِّيُّ**، كَانَ صديقًا لأبي عَلِيٍّ الحَسَنِ بنِ رَشِيقٍ القَيْرَوَانِيِّ حِينَ رحلَ مِنْ صِقِلِّيَةَ إِلَى القَيْرَوَانِ.
انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٤، م ٥٩٩/٢ – ٦٠٥ .

[9] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٤، م ٦٠٤/٢ .

فالبِشْرُ والضَّحِكُ هُمَا المُتَوَقَّعانِ بالعيدِ[١]،وتَرْمِزُ الأَعْيادُ عَادَةً إِلَى حَالَةِ هُدُوءٍ وَأَمَانٍ وَفَرَحٍ.

وَالأَعْيَادُ الوَارِدَةُ فِي كَلامِ الأَنْدَلُسِيِّينَ يُقْصَدُ بِهَا عَادَةً أَعْيَادُ المُسْلِمِينَ،ولا بُدَّ أَنْ يَكُونَ اليَهُودُ قَدْ شَارَكُوا المُسْلِمِينَ فِي احْتِفَالاتِهِم،وَمِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَحْتَفِلَ اليَهُودُ بِأَعْيَادِهِمْ فِي بيئَةٍ كبيئَةِ الأَنْدَلُسِ، والنُّصُوصُ المَذكورَةُ سَابِقًا مِنَ "المِعْيار" تُؤَكِّدُ هذا،وَكَانُوا يَصُومُونَ بيَوْمِ الغُفْرَانِ؛فَقَدْ وُجِدَتْ رِسَالَةٌ تَعُودُ إِلَى عَامِ ١٤٧هـ تُؤَنِّبُ النَّصَارَى الذِين يُرِيدُونَ الصَّوْمَ مَعَ اليَهُودِ فيه[٢].

احتِفَالُ اليَهُودِ بِأَعْيَادِهِمْ فِي الأَنْدَلُسِ .

الأَعْيَادُ القَدِيمَةُ لليَهُودِ عَلَى ضَرْبَيْنِ[٣]،الأَوَّلُ مِنْهَا نَطَقَتْ بِهِ التَّوْرَاةُ،وَهي خَمْسَةُ أَعْيَادٍ، والضَّرْبُ الثَّانِي أَحْدَثَهُ اليَهُودُ زِيادَةً عَلَى التَّوْرَاة،وَهُوَ عيدان.وَالأَعْيَادُ الخَمْسَةُ التِي يَزْعُمُونَ أَنَّهَا مُثْبَتَةٌ فِي تَوْرَاتِهِم؛الأَوَّلُ عِيدُ **رَأْسِ السَّنَةِ**.وَالثَّانِي عِيدُ **صُومَارِيًّا**،وَيُسَمُّونَهُ **الكِبُور**.وَالثَّالِثُ عِيدُ **المظَالِ** أَوِ **المظَلَّةِ**،وَيُسَمَّى كَذَلِكَ **التَّبْرِيكُ**.وَالرَّابِعُ عِيدُ **الفصْحِ** أَوْ **الفَطِيرِ**.وَالخَامِسُ عِيدُ **الأَسَابِيعِ**، وَيُسَمَّى عِيدُ **العَنْصُرَةِ** أَوْ **الخطَابِ** وَيُسَمَّى **عَشَرْتَا**.أَمَّا أَعْيَادُهُمُ المُسْتَحْدَثَةُ فَهُمَا اثْنَانِ؛الأَوَّلُ عِيدُ **الفُوْزِ**. وَالثاني عِيدُ **الحنكة**، وَمَعْنَاهُ **التَّنْظِيفُ**.

وَلَمْ يَرِدْ فِي المَصَادِرِ تَفْصِيلٌ وَاضِحٌ لطُقُوسِ اليَهُودِ أَوْ طَرِيقَةِ احْتِفَالِهِم بِهَذِهِ الأَعْيَادِ،إِلا أَنَّهُ جاءَتْ إِشَارَاتٌ قَلِيلَةٌ فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ إِلَى "**عِيدِ العُنْصُرَةِ**"[٤]،وَحاولتُ أَنْ أُحْصِيَ إِنْ ذُكِرَ أَيٌّ مِنْ أَعْيَادِهِمْ فِي الشِّعْرِ فِي المَصَادِرِ التِي اطَّلَعتُ عَلَيْهَا،فَأَخَذْتُ كُتُبَ "النَّفْح" وَ"المُغْرِب" وَ"الذَّخِيرَة" وَ"المُعْجِب" وَ"الحُلَّة السيراء" عَيِّنَةً لدِرَاسَةِ هَذَا الأَمْرِ،فَوَجَدْتُ أَنَّ النُّصُوصَ الشِّعْرِيَّةَ خَالِيَةٌ مِنْ أَيَّةِ إِشَارَةٍ لأيِ عِيدٍ مِنْ أَعْيَادِهِمُ الخَاصَّةِ.بَيْنَمَا الذي وَرَدَ بكثرة فِي هَذَا المَجَالِ هُوَ الأَعْيَادُ المُشْتَرَكَةُ مَعَ النَّصَارَى ويَوْمُ "**السَّبْتِ**" العِيدُ الأُسْبُوعِيُّ[٥]لِليَهُودِ.

---

[١] – يرى مثلا ابن فُرْكُون(ت:٧٢٩هـ) قَاضِي الجَمَاعَةِ بغَرْنَاطَة بُرْءَ مَمْدُوحِهِ مِنْ مَرَضِهِ عِيدًا للعِيدِ .

انْظُر :ابن الخَطِيب"**الإحَاطَة**"١/١٥٦؛ "**الكتِيبَة الكامِنَة**"ص١٠٢ .

وابنُ جَابِرٍ ،مِنْ أَهْلِ المَرِيَّةِ،صَحَّ عِيدُهُ يَوْمَ أَبْصَرَ حُسْنَ محبوبتِهِ. انْظُر :ابن الخَطِيب"**الإحَاطَة**"٢/٣٣١؛المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**"١٠/١٥٧ .

وَتَحَوَّلَتِ الأَيَّامُ العَادِيَّةُ عِيدًا لأَبي جَعْفَرٍ الوَقَّشِيِّ(ت:٥٧٤هـ)، وَحِينَ أَخَذَتْ البِلادُ تَسْقُطُ بِأَيْدِي الأَعْداءِ أَصْبَحَ شَمْلُ الأَعْيادِ بَدِيدًا عنده.

انْظُر : المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٦/٢٣٤ .

٢ – انْظُرْ: روبَرْت هيلِنْبرَاند "**زِينَةُ الدُّنْيَا:قُرْطُبَةُ القَرُوسْطِيَّةُ**" تَرْجَمَة: عَبْد الوَاحِدِ لُؤْلُؤَة، بَحْثٌ في:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ١/ ١٩٨ .

٣ – انْظُرْ أعياد اليَهُود فِي: القَلْقَشَنْدِيّ"**صُبْح الأَعْشَى**" ٢/٤٦٣– ٤٦٦؛ أَبُو الفِدَاءِ"**المُخْتَصَر فِي أَخْبَارِ البَشَرِ**" ١/٨٨– ٨٩؛ النُّوَيْرِيّ "**نِهَايَة الأَرَبِ**" ١/١٩٥– ١٩٧ ؛ المَقْرِيزِيّ"**المَوَاعِظ وَالاعْتِبَار**" ٤/٩٤٢–٩٤٨ ؛ وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ١٤/٢٧– ٢٨ .

[٤] – سَيَرِدُ حَدِيثٌ عَنْ عِلاقَةِ اليَهُودِ بعيدِ العُنْصُرَةِ في الكلامِ عن يُوشَع في مَلاحِقِ البَحْثِ .

[٥] – يُفَرِّقُ بعضُ البَاحِثِينَ فِي كَلامِهِ بَيْنَ العِيدِ وَاليَوْمِ المَشْهُورِ،فَالأَعْيَادُ مَثَلاً عِنْدَ النُّوَيْرِيِّ فِي "نِهَايَة الأَرَبِ" هِيَ التي ذُكِرتْ سابِقًا للِيَهُودِ، وَخَصَّصَ مَكَانًا آخَرَ للحَدِيثِ عَنْ أَيَّامِ أَصْحَابِ المِلَلِ الثَّلاثَةِ،وَهِيَ الجُمْعَةُ لِلمُسْلِمِينَ وَالأَحَد لِلمَسِيحِيِّينَ وَالسَّبْتُ لِليَهُودِ .

انْظُر : النُّوَيْرِيّ "**نِهَايَة الأَرَبِ**" (أيام أَصْحَابِ المِلَلِ الثَّلاثَةِ) ١/١٥٠، وَ(أَعْيَاد اليَهُودِ وَالنَّصَارَى)١/١٩١ – ١٩٧ .

وَكَانَ "**عِيدُ الفِصْح**"مِنْ أَكْثَرِ الأَعْيادِ المُشْتَرَكَةِ بَيْنَ النَّصَارَى وَاليَهُودِ وُرُودًا فِي الشِّعْرِ،وَأَتَى دُونَ تَحْدِيدِ إِنْ كَانَ لِليَهُودِ أَمْ لِلنَّصَارَى،وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي "الرَّوْضِ المِعْطَارِ" وَ"العِقْدِ الفَرِيدِ" مِنْ كُتُبِ الأَنْدَلُسِيِّينَ،حَيْثُ أَتَى ذكرُ "**الفِصْح**" فِيهَا فِي أَشْعَارِ المَشَارِقَةِ[١]. وَيَصْعُبُ الجَزْمُ فِي غَيْرِهَا إِنْ كَانَ "**الفِصْح**ُ" عِيدَ اليَهُودِ أَمْ النَّصَارَى.وَأَسْتَثْنِي مِنْ هَذَا اثْنَيْنِ، الأولُ مِنْهُمَا جاءَ فِي شِعْرِ **أَبِي عَبْدِ الله بنِ الحَدَّاد**(ت: ٤٨٠هـ)[٢]فِي قَوْلِهِ[٣]: [السريع]

أَهِيمُ فِيهَا وَالهَوَى ضَلَّةٌ … بَيْنَ صَوَامِعَ وَبِيعَاتِ

أُفْصِحُ وَحْدِي **يَوْمَ فِصْحٍ** لَهُم … بَيْنَ الأُرَيْطِي[٤]

وَقَدْ يَتَوَهَّمُ القارِئُ أَنَّ "**الفِصْح**" المذكورَ فِي الأَبْيَاتِ هُوَ عيدُ اليَهُودِ، فَقَبْلَ ذِكْرِ "**الفِصْح**" بِبَيْتٍ وَاحِدٍ كَانَ الشَّاعِرُ هائِمًا بَيْنَ الصَّوامِعِ وَالبِيَعِ،لكنَّ الأَبْيَاتَ قِيلَتْ فِي نُوَيْرَةَ،وسَمَّاهَا بِقَوْلِهِ:[السريع]

وفِي الحَشَا نَارٌ نُوَيْرِيَّةٌ … عُلِّقْتُهَا مُنْذُ سُنَيَّاتِ

وَلَوْ كَانَ القَارِئُ لا يَعْرِفُ أَنَّ نُوَيْرَةَ مَسيحِيَّةٌ لاعْتَقَدَ أَنَّ الكَلامَ قِيلَ فِي فَتَاةٍ يَهُودِيةٍ لأَنَّ البِيَعَ المَذْكُورَةَ فِي الأَبْيَاتِ هِيَ مكَانَ العبادةِ لِليَهُودِ اجْتَمَعَ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى فِيهَا يَوْمَ "**الفِصْح**".

وَمَوْقِعٌ ثانٍ ذُكِرَ فِيهِ "**الفِصْحُ**" عِنْدَ **أَبِي عَامِرِ بنِ شُهَيْد** فِي قَوْلِهِ مَادِحًا[٥]:[الكامل]

جُمِعَتْ بِطَاعَةِ حُبِّكَ الأَضْدَادُ … وَتَآلَفَ **الإِفْصَاحُ وَالأَعْيَادُ**

يَرَى الشَّاعِرُ أَنَّ مَحَبَّةَ مَمْدُوحِهِ جَمَعَتِ المُتَضَادَّاتِ،فَكَانَ تَآلُفُ المُسْلِمِينَ وَاليَهُودِ مُتَأَثِّرِينَ بِعَدْلِهِ. فَأَرَى أَنَّهُ أَشَارَ بِالإِفْصَاحِ إِلَى أَصْحَابِ "**الفِصْح**" وَهُمُ اليَهُودُ وبِالأَعْيَادِ إِلَى المُسْلِمِينَ أَصْحَابِ الأَعْيَادِ فِي الدَّوْلَةِ،وأَسْتَبْعِدُ أَنْ يَكُونَ الإِفْصَاحُ هُنَا مَأْخُوذٌ مِنَ الفَصَاحَةِ وَالإِبانَةِ فِي القَوْلِ[٦]؛ وذلِكَ لِعِدَّةِ أُمُورٍ، **الأَوَّلُ مِنْهَا**: أَنَّ التآلُفَ فِي هَذَا البَيْتِ كَانَ بَيْنَ نَقِيضَيْنِ، فَكَيْفَ يَجْتَمِعُ العِيدُ ونَقِيضُهُ الفَصَاحَةُ إِنْ قُلْنَا بِهَا؟ فَلَوْ كَانَ المَقْصُودُ الفَصَاحَةَ فَلَنْ يَدْخُلَ هَذَا فِي جَمْعِ المُتَضَادَّاتِ، **وَالأَمْرُ الثاني** : أَنَّ الرِّوَايَةَ لِهَذِهِ الأَبْيَاتَ تَقُولُ إِنَّهَا قِيلَتْ فِي أَبِي عَامِرِ بنِ

---

[١] – انْظُرْ : ابن عبد ربّه "**العِقْدُ الفَرِيد**" ٣١٣/١ – ٣١٤؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**" ص١٧٠– ١٧١ .

٢ – هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو **عبد الله** مُحَمَّدٌ بن أحمد **بن الحَدَّاد القَيْسِي**، شاعرٌ مَدَّاحٌ، كَانَ أكثر عُمْرِهِ عِنْدَ المُعْتَصِمِ بن صمادح مَلِكِ المَرِيَّةِ وَهُوَ أَصْلاً مِنْ وَادي آش،ثُمَّ فر عَنْهُ إِلَى ابنِ هُودٍ صَاحِبِ سَرَقُسْطَةَ، تُوُفِّيَ ٤٨٠هـ بالمَرِيَّةِ، تَفَنَّنَ بالعُلومِ وَلا سيمَا القَدِيمَةُ. وَلَهُ ديوان شعر كبير . وَكَانَ يَهْوَى فَتَاةً رُومِيَّةً يُكَنِّي عَنْهَا بِنُوَيْرَةَ ، وَلَهُ فِيهَا شِعْرٌ كَثِيرٌ .

انْظُرْ : ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٦٩١/٢– ٧٢٩؛ الأَصْفَهَانِيّ"**خَرِيدَةُ القَصْرِ**"ق٤،ج٢٠٤/٢؛ ابن الأَبَّار "**التَّكْمِلَة**"٣٢٢/١–٣٢٣؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٤٣/٢– ١٤٥؛ ابن الخَطيب"**الإِحَاطَةُ**" ٢٣٦/٣– ٢٣٩؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٥٢/٩– ٢٥٣ .

[٣] – ابن الحَدَّاد الأَنْدَلُسِيّ "**دِيوَانُهُ**" ص١٥٦ – ١٦٠؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١، م ٧٠٥/٢ .

[٤] – **الأريطي وَالدُّويحاتِ** يُغَلِّبُ يُوسُفُ طويل الظَّنَّ أَنَّهُمَا مِنْ مُتَنَزَّهات المَرِيَّةِ، وأَتَوَقَّعُ أنها أَسْمَاء أماكن أَوْ كنائس، وَمعناها فِي اللُّغَةِ:

الأُرَيْطَي: تَصْغِيرُ أرطى وَهُوَ شجر ينبُت بالرَّمْلِ، وَهُوَ شبيه بالغَضَا،ورائحته طيبة، وَلَهُ نَوْر ،وَثَمَرُهُ كالعناب لَهَا عُروق حُمْر .

الدُّوَيْحَات : جمع دويحة،تَصْغِيرُ دوحة وَهي الشجرة العظيمة مِنْ أي الشجر. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [أرط، دوح]٢٥٤/٧،٤٣٦/٢.

[٥] – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٨٤/١ .

[٦] – انْظُرْ : ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [فصح] ٥٤٤/٢ .

المُظَفَّر[١] أَحَدِ حُجَّابِ قُرْطُبَةَ التِي كَانَتْ مَرْكَزًا مِنْ مَرَاكِزِ تَجَمُّعِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ[٢]، **وَالثَّالِثُ**: أَنَّ ابنَ شُهَيْد لَهُ أَبياتٌ سَابِقَةٌ ذَكَرْتُهَا فِي البَحْثِ سَابِقًا[٣] ذَكَرَ فِيهَا اليَهُودَ وَبَابَهُمْ فِي قَصِيدَةِ مَدْحٍ كَذَلِكَ.**وَالأَمْرُ الرَّابِعُ**:أَنَّ مَعْنَى الأَبْيَاتِ يَجْعَلُنِي أَقُولُ إِنَّ الإِفْصَاحَ يُقصدُ بِهِ هُنَا اليَهُودُ وَلَيْسَ النَّصَارَى مَعَ أَنَّهُم أَصْحَابُ "**فِصْح**" أَيْضًا،فَقَدْ كَانَ النَّصَارَى فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ يُمَثِّلونَ العَدُوَّ الذي يُقَاتِلُهُ المَمْدُوحُ وَيَنْتَصِرُ عَلَيْهِ،بَيْنَمَا اليَهُودُ كَانُوا يُمَثِّلونَ فِئَةً اجْتِمَاعِيَّةً داخلَ سُلْطَانِ المَمْدُوحِ. ولأَنَّ الشَّاعِرَ يَتَحَدَّثُ عن أَثَرِ المَمْدُوحِ عَلَى المُجْتَمَعِ الذي دانَ لَهُ بِالطَّاعَةِ اتَّخَذَ مِنْ تآلُفِ هَذِهِ الفِئَةِ فِي المُجْتَمَعِ إِشارةً إِلَى العَدْلِ وَالأَمَانِ الذِي نَعِمَ بِهِ المُجْتَمَعُ عَلَى اخْتِلافِ طوائفِهِ؛ مُسْلِمِينَ ويَهُودٍ.**وَالأَمْرُ الأَخِيرُ** الذِي يَجْعَلُنِي أَقُولُ إِنَّ الإِفْصَاحَ إِشارةٌ إِلَى "**فِصْح**" اليَهُودِ هُوَ مَجِيءُ كَلِمَةِ الأَعْيادِ تاليةً لَهُ فِي الأَبْيَاتِ،فَالتَّآلُفُ سيَكُونُ بَيْنَ مُتَضادَّينِ مِنَ الأَعْيَادِ،لِذَا تَقَوَّى عِنْدِيَ الاحْتِمَالُ أَنْ يَكُونَ الإِفْصَاحُ هُنَا هُوَ عيدُ اليَهُودِ.

وَذَكَرَتِ المَصَادِرُ أَنَّ يَهُودَ الأَنْدَلُسِ كَانُوا يَصْنَعُونَ رَغَائِفَ فِي عِيدٍ لَهُمْ يُسَمُّونَهُ **عِيدَ الفِطْرِ**، وَيُهْدُونَهَا لِبَعْضِ جِيرَانِهِمْ مِنَ المُسْلِمِينَ،فَسَأَلُوا قَاضِي الجَمَاعَةِ بِغَرْنَاطَةَ ابنَ الأَزْرَقِ[٤] هَلْ يَجُوزُ قُبُولُهَا مِنْهُمْ وَأَكْلُهَا أَمْ لا؟[٥].وَهَذِهِ إِشَارَةٌ وَاضِحَةٌ إِلَى أَنَّهُم كَانُوا يَتَشَارَكُونَ في احْتِفَالاتِهِمْ .

وجَاءَ **العِيدُ الأسبوعِيُّ لِليَهُودِ "السَّبْتُ"** فِي أَدَبِ الأَنْدَلُسِيِّينَ،وَيُطْلِقُونَ عَلَيْهِ فِي العِبْرِيَّةِ "שבת شَبَات" أي الرَّاحَة[٦].وَقَدْ وَرَدَ فِي تَوْرَاتِهِمُ الحَديثُ عَنْ يَوْمِ **"السَّبْتِ"**[٧].وَكَانَ لِتَعْظِيمِهِمْ لَهُ تَقْدِيرٌ عِنْدَ القُضَاةِ المُسْلِمِينَ؛فَقِيلَ لِسَحْنُونَ(ت:٢٤٠هـ)[٨]إِنَّ أَحَدَهُم كَانَ يُحَلِّفُ اليَهُودِيَّ يَوْمَ

---

١ – هُوَ الحاجِبُ:**أبو عَامِرٍ بنُ المُظَفَّرِ بنُ المَنْصُورِ بنُ أَبي عَامِرٍ**، عم ابن شُهيد بقُرْطُبَةَ، وأثبت المَقَّرِيّ فِي "نَفْحُ الطِّيبِ" بعض الأبيات مِنْ مدحه فِيهِ . انْظُرْ : عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص٤٠ ؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢١٤/٤

٢ – انْظُرْ : الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**" ص ٤٥٦ .

٣ – انْظُرْ : ابن عبد ربّه"**العِقْد الفَرِيد**" ٣١٣/١– ٣١٤؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص١٧٠– ١٧١،وانْظُرْ فِي البَحْثِ: ص ٤١–٤٢ .

٤ – هُوَ القاضي: أَبُو عبد الله مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنُ مُحَمَّدٍ **بن الأزرق**، قاضي الجَمَاعَةِ بِغَرْنَاطَةَ،مِنَ الرَّاحِلِينَ مِنَ الأَنْدَلُسِ إِلَى المَشْرِقِ بَعْدَ سُقُوطِ جَمِيعِ بِلادِ الأَنْدَلُسِ . انْظُرْ :المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٤٣٦/٣– ٤٤١ .

٥ – الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**"١١١/١١ .

٦ – انْظُرْ : ي. قوجمان "**قاموسُهُ**" ص ٩١٢ .

٧ – مِنْ ذلك:"سِتَّة أَيَّامٍ يُصْنَعُ عَمَلٌ،وَأَمَّا اليَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتُ عَطْلَةٍ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ.كُلُّ مَنْ صَنَعَ عَمَلا فِي يَوْمِ السَّبْتِ يُقْتَلُ قَتْلا.فَيَحْفَظُ بَنُو إِسْرَائِيلَ السَّبْتَ لِيَصْنَعُوا السَّبْتَ فِي أَجْيَالِهِمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا" **التَّوْرَاة :سفر الخروج** ١٥/٣١– ١٦ . ومثله:"سِتَّةُ أَيَّامٍ يُصْنَعُ عَمَلٌ،وَأَمَّا اليَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتُ عُطْلَةٍ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ.كُلُّ مَنْ صَنَعَ عَمَلا فِي يَوْمِ السَّبْتِ يُقْتَلُ قَتْلا.فَيَحْفَظُ بَنُو إِسْرَائِيلَ السَّبْتَ لِيَصْنَعُوا السَّبْتَ فِي أَجْيَالِهِمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا"" **التَّوْرَاة :سفر الخروج** ١/٣٥– ٣

٨ – هُوَ الفقيه المالكي:أبو سَعِيدٍ عبد السلام بن بن ربيعة التنوخي الملقب **بسَحْنُون**(بفتح السين وَضمها وَسكون الحاء)،وَلقب سَحْنُون باسم طائر بالمَغْرِبِ يسمونه سَحْنُونا لحدة ذهنه وَذكائه.أصله مِنْ مَدِينَةِ حمص بالشام قدم بِهِ أبوه مَعَ جند أَهْلِ حمص،وَصنف كتاب "المُدَوَّنَة فِي مَذْهَبِ الإِمَامِ مَالِك"،فرتبه وَبوبه،وَعلى كتاب سَحْنُون اعتمد أَهْلُ القيروان،وَكَانَ إِمَامًا مُنَاظِرًا كَثِيرَ التَّصَانِيفِ مُعَظَّمًا. خرج لَهُ عدة أصحاب وَحصل لَهُ مِنَ الأَصحاب وَالتلامذة مَا لَمْ يَحْصُلْ لأحد مِنْ أصحاب مالك مثله،فَقَدْ بلغ رواته فيمَا قِيلَ ٩٠٠،وَعَنْهُ انتشر علم مالك بالمَغْرِبِ وَكَانَتْ وِلادته سَنَةَ ١٦٠هـ،وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ٢٤٠هـ عن ثمانين سنة. انْظُرْ :السِّلَفِيّ "**أَخْبَارٌ وَتَرَاجِمُ أَنْدَلُسِيَّةٌ**"ص٣٨؛ القاضي عِيَّاض"**تَرْتِيب المَدَارِك**"٣٣٩/١–٣٦٨؛ يَاقوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**"/٢٣١؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ١٨٠/٣– ١٨٢؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٦٤/١؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"٦٣/١٢ – ٦٩؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ١٥٠/١ .

"**السَّبْتِ**"، وَالنَّصْرَانِيَّ يَوْمَ "**الأَحَدِ**"،وَقَالَ السَّائِلُ إِنَّهُم كَانُوا يَرْهَبُونَ ذَلِكَ،فَتَسَاءَلَ سَحْنُونُ مِنْ أَيْنَ أَخَذَهُ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ مَالِكٍ يَحْلِفُونَ حَيْثُ يُعَظِّمُونَ،فَسَكَتَ سَحْنُونُ كَأَنَّهُ أَعْجَبَهُ[١].

وَلَمْ يَحْمِلِ "**السَّبْتُ**" مَعْنَى وَاحِدًا عِنْدَهُمْ؛فقَدْ جَاءَ "**السَّبْتُ**" فِي أَدَبِهِمْ حَامِلاً دِلالاتٍ أَرْبَعَ:**الأُولَى مِنْهَا تُشِيرُ إِلَى احْتِفَالٍ بِالعِيدِ** فَقَطْ،وعليها أبياتٌ **لِسَحْنُونَ** جاءَ فيهَا[٢]:[السريع]

مَــــا أَطْــــوَلَ البَــــرْدَ وَرَبْعانَـــــهُ   وَأَطْـرَفَ الشَّـمْسَ بِتِيهَـرْتِ[٣]
تَبْــدُو مِــنَ الغَــيْمِ إِذَا مَــا بَــدَتْ   كَأَنَّمَـــا تُنْشَـــرُ مِـــنْ تَخْـــتِ
فَـــنَحْنُ فِـــي بَحْـــرٍ بِـــلا لَجَّـــةٍ   تَجْرِي بِنَا الرِّيحُ عَلَى سَمْتِ[٤]
نَفْـــرَحُ بِالشَّـــمْسِ إِذَا مَـــا بَـــدَتْ   كَفَرْحَـــةِ الـــذِّمِّيِّ **بِالسَّـــبْتِ**

وَلِتَوْضِيحِ مِقْدَارِ الفَرْحَةِ بِظُهُورِ الشَّمْسِ فِي تَاهَرْتَ أَتْبَعَهَا الحَمَوِيُّ بِاسْتِشْهَادَاتٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الشَّمْسَ بِهَا عَزِيزَةٌ تَكَادُ لا تَظْهَرُ أَبَدًا[٥]، وَحِينَ أَرَادَ الشَّاعِرُ تَصْوِيرَ فَرْحَةِ النَّاسِ الشَّدِيدَةِ بِظُهُورِ الشَّمْسِ بِتَاهَرْتَ عَجِزَ عَنْ تَشْبِيهِهَا بِأَيِّ فَرْحَةٍ أَحَاطَتْ بِهِ أَوْ عَرَفَهَا إِلا فَرْحَةَ اليَهُودِ بِيَوْمِ "**السَّبْتِ**"، والغَالِبُ عَلَى التَّشْبِيهِ فِي العَرَبِيَّةِ أَنْ يَكُونَ "وَجْهُ الشَّبَهِ فِي المُشَبَّهِ بِهِ أَتَمَّ،وَهُوَ بِهِ أَشْهَرُ"[٦]. لِذَا يُفْهَمُ مِنَ هَذَا التَّشْبِيهِ،**أَوَّلاً**:أَنَّ اليَهُودَ كَانُوا يَحْتَفِلُونَ بِيَوْمِ "**السَّبْتِ**"،وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ يَوْمًا عَادِيًّا كَغَيْرِهِ مِنَ الأَيَّامِ،**وَثَانِيًا**:أَنَّ احْتِفَالَهُمْ بِيَوْمِ "**السَّبْتِ**" كَانَ شَائِعًا وَمَشْهُورًا وَلَهُ طُقُوسٌ أَوْ إِشَارَاتٌ يَعْلَمُهَا الجَمِيعُ،فَلَوْ كَانَ يَحْصُلُ بِالسِرِّ مَثَلاً أَوْ بَيْنَ جَمَاعَتِهِم فَقَطْ لَمَا تَحَدَّثَ عَنْهُ الشَّاعِرُ وَشَبَّهَ بِهِ،والأَمرُ **الثَّالِثُ**:أَنَّ احْتِفَالَ اليَهُودِ بِقُدُومِ "**السَّبْتِ**" لَمْ يَكُنْ احْتِفَالاً عَادِيًّا،بَلْ كَانَ احْتِفَالاً خَاصًّا وَمُمَيَّزًا،وَتَظْهَرُ فِيهِ فَرْحَتُهُم بِطَرِيقَةٍ يَشْعُرُ بِهَا كُلُّ مَنْ يَعْرِفُهُم،فَكَانَتْ فَرْحَتُهُم وَاحْتِفَالُهُم بِهِ شَيْئًا يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ، وَإِلا لَمَا لَجَأَ الشَّاعِرُ إِلَى التَّشْبِيهِ بِمَا هُوَ أَقَلُّ أو بِشَيْءٍ غَيْرِ وَاضِحٍ أَوْ غَيْرِ مَشْهُورٍ .

---

١ – الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٣٠٩/١٠

٢ – يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٧/٢– ٨؛ ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِيّ"**البَيَان المُغْرِب**" ٢٥/١؛ الحُمَيْرِي"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص١٢٦ .

٣ – **تَاهَرْت**: بفتح الهاء وَسكون الراء، أو تيهرت،اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المَغْرِبِ بَيْن تلمسان وَقلعة بني حماد يُقَالُ لإحداهمَا تاهرت القَدِيمَةُ وَللأُخْرَى تاهرت المحدثة.وَهي بلدة كَثِيرَةُ الأنداء وَالضباب وَالأمطار حَتَّى إن الشَّمْسَ بِهَا قل أن تُرى،وَكَانَ بتاهرت كثير مِنْ حفاظ الحَدِيثِ،وَمِنْهُمْ ابن سَحْنُون الذي سكنها وَبها تُوُفِّيَ. انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٧/٢– ٨؛ ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِيّ"**البَيَان المُغْرِب**" ٢٥/١؛ الحُمَيْرِي"**الرَّوْض المِعْطَار**" ص١٢٦ – ١٢٧ .

٤ – سمت: سير بالحدس والظن عَلَى غَيْرِ طريق أي التعسف بالسير بلا علم . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [سمت] ٤٦/٢ .

٥ – لتوضيحِ مِقْدَارِ الفَرْحَةِ بِظُهُورِ الشَّمْسِ فِي تَاهَرْتَ أَتْبَعَهَا الحَمَوِيُّ بمَا وَرَدَ عَنْ أحدِهِم حِينَ نظرَ إِلَى تَوَقُّدِ الشَّمْسِ بِالحِجَازِ،فقَالَ: احْرِقِي مَا شِئْتِ،وَاللهِ إِنَّكِ بِتَاهَرْتَ لَذَلِيلَةٌ! وَيُرْوَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ دَخَلَهَا،ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَرْضِ السُّودَانِ.فَأَتَى عَلَيْهِ يَوْمٌ لَهُ وَهجٌ وَحَرٌّ شَدِيدٌ وَسَمُومٌ فِي تِلْكَ الرِّمَالِ فَنَظَرَ إِلَى الشَّمْسِ وَقَدْ صَهَرَتِ النَّاسَ،وقال: أَمَا وَاللهِ لَئِنْ عَزَزْتِ فِي هَذَا المكَانِ لَطَالَمَا رَأَيْتُكِ ذَلِيلَةً بِتَاهَرْتَ،ثُمَّ أَنْشَدَ:[السريع] مَا خَلَقَ الرَّحْمَنُ مِنْ طُرْفَةٍ أَشْهَى مِنَ الشَّمْسِ بِتَاهَرْتَ. انْظُرْ : يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**"٨/٢ .

٦ – الخَطِيب القَزْوِينِيّ "**الإِيضَاح فِي عُلُومِ البَلاغَةِ**" ص٣٥٨ .

وَأَبَنَتِ المَصَادِرُ التَّارِيخِيَّةُ بِمَا يُؤَكِّدُ أَنَّ اليَهُودَ كَانَتْ لَهُم عِنَايَةٌ وَاضِحَةٌ بِيَوْمِ **"السَّبْتِ"**، وَأَنَّهُ كَانَ بِبِلادِ الأَنْدَلُسِ يَوْمَ عِيدٍ لَهُ أَهميَّةٌ كَأَهَمِّيَّةِ **الجُمُعَةِ** لِلمُسْلِمِينَ والأَحَدِ لِلنَّصَارَى؛ فَحِينَ اخْتَلَفَتِ الرُّسُلُ فِي تَقْرِيرِ يَوْمِ الزَّحْفِ لِيَسْتَعِدَّ الفَرِيقَانِ لِمَوْقِعَةِ الزَّلاقَةِ عَامَ ٤٨٠هـ[١] قَالَ أَلْفُونْسُ:إِنَّ غَدًا يَوْمَ **الجُمُعَةِ**، وَلا نُحِبُّ مُقَاتَلَتَكُمْ فِيهِ لأَنَّهُ عِيدُكُمْ،وَبَعْدَهُ **السَّبْتُ** لِليَهُودِ،وهُمْ وُزَرَاؤُنَا وكُتَّابُنَا وَأَكْثَرُ خَدَمِ العَسْكَرِ مِنْهُمْ،فَلا غِنَى بِنَا عَنْهُم[٢]،وَبَعْدَهُ الأَحَدُ لَنَا،فَنَحْتَرِمُ هَذِهِ الأَعْيَادَ،فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الاثْنَيْنِ كَانَ مَا نُرِيدُهُ مِنَ الزَّحْفِ[٣].وَهَذَا الخَبَرُ يُظْهِرُ اليَهُودَ جَمَاعَةً كَبِيرَةً لَمْ يكن يُسْتَهَانُ بِهَا بَلْ كَانَ يُحسَبُ حسابُهَا،وَيَتَوَقَّعُ أَلْفُونْسُ أَنْ يَكُونُوا أَعْوَانًا لَهُ فِي مَعَارِكِهِ مَعَ المُسْلِمِينَ،ونَظْرَةُ الاحْتِرَامِ هَذِهِ إِلَى عِيدِهِمْ،وَتَأْجِيلُ بَدْءِ المَعْرَكَةِ حَتَّى لا تَكُونَ يَوْمَ عِيدِهِم يَدُلانِ عَلَى أَنَّ جَمَاعَةَ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ كَانَتْ تَقُومُ بِطُقُوسِهَا وَتَحْتَفِلُ بِيَوْمِ **"السَّبْتِ"** بِطَرِيقَةٍ وَاضِحَةٍ،مِمَّا جَعَلَ هَذَا القَائِدَ المَسِيحِيَّ يَذْكُرُهُم كَأَنَّهُم قُوَّةٌ ثَالِثَةٌ بَيْنَ القُوَى المُتَصَارِعَةِ.

وَحَوْلَ أَثَرِ **"السَّبْتِ"**وَأَهميَّتِهِ عِنْدَ اليَهُودِ قَالَ ابنُ **الخَطِيبِ** هَاجِيًا أَحَدَهُم،إِنَّه "قَادِرٌ عَلَى تَلْفِيقِ الثُّبُوتِ،وَحَمْلِ اليَهُودِ عَلَى نِسْيَانِ **السُّبُوتِ**،يَرَى الحِكْمَةَ خَبِيئَةَ جَيْبِهِ،وَيشْتَغِلُ بِعُيُوبِ النَّاسِ عَنْ عَيْبِهِ"[٤]،فَيُفْهَمُ مِنَ الكَلامِ أَنَّ الموصوفَ كَانَتْ لَدَيْهِ قُدْرَةٌ لِيَعْمَلَ أشياءَ عَظِيمَةً فَظِيعَةً؛وَأَنَّ نِسْيَانَ اليَهُودِ لِيَوْمِ **"السَّبْتِ"** مِنَ الأُمُورِ المُسْتَحِيلَةِ،وأَرَى أَنَّ هَذَا الرَّأْيَ تَشَكَّلَ عِنْدَ ابنِ الخَطِيبِ مِمَّا شَاهَدَهُ حَوْلَهُ مِنْ عِنَايَةٍ زَائِدَةٍ لِليَهُودِ بِهَذَا العِيدِ وَهَذَا اليَوْمِ.

وَقَابَلَ الشَّاعِرُ الأَنْدَلُسِيُّ كَثِيرًا بينَ **"السَّبْتِ"** لليَهُودِ وَيَوْمِ **"العَرُوبَةِ"** للمُسْلِمِينَ.و**العَرُوبَةِ** هُوَ التَّسمِيَةُ القَدِيمَةُ لِيَوْمِ **الجُمُعَةِ**[٥].وأَبانَ الشِّعْرُ أَنَّهُمْ اسْتَخْدَمُوا أَحْيَانًا التَّسْمِيَةَ القَدِيمَةَ لِيَوْمِ **الجُمُعَةِ**،

---

١ – **الزَّلاقَة:** بفتح أوله وتشديد ثانيه،بالأَنْدَلُسِ قرب قُرْطُبَةَ،بالقرب مِنْ بَطَلْيُوسْ.حِينَ استنجد المُعْتَمِدُ بنُ عَبَّادٍ بِالأَمِيرِ يُوسُفَ بنِ تَاشَفِينَ فِي المَغْرِبِ بعد قتلِهِ للسفيرِ لليهودي ابن شاليب نجده ابن تاشفين بعشرة آلاف مقاتل واجهوا أَلْفُونْسُ الذي خرج إِلَيْهِم فِي أربعين ألف فارس غَيْرَ مَا انضم إِلَيْهِ.وَالتقى الجيشان فِي الزَّلاقة سَنَةَ ٤٧٩هـ،وَانْتَصَرَ المُسْلِمُونَ وَهرب الأذفنش بعد استئصال عساكره وَلَمْ يسلم مَعَهُ سوى نفر يسير، وَهَذَا العام يؤرخ بِهِ فِي بلاد الأَنْدَلُسِ كلها فيُقَالُ عام الزلاقة لأَنَّها مِنْ أشهر الوقائع.

انْظُرْ :يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَانِ**"٣/١٤٦؛عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص١٣٢–١٣٥؛الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص٢٨٧–٢٩٢ .

٢ – هكذا في"المُعْجِب"،لكن في"الحُلَل المُوَشَّيَة" كَانَ هَذَا الكلام مِنْ رسالة مكتوبة بعث بِهَا وَفِيهَا عن اليَهُود:"...وهُمْ كَثِيرونَ فِي مَحلّتِنَا، وَنَحْنُ نَفْتَقِرُ إِلَيْهِمْ"،وفي"الرَّوْض المِعْطَار" قال:"غدًا يوم الجمعة،وهو عيدكم،وبعده الأحد وهو عيدنا،فليكن لقاؤنا بينهمَا وهو يوم السبت، وَلَمْ يأتِ عَلَى ذكر اليَهُود.وفي "قِصَّة الحَضَارَة" تختلفُ القصة،ففِيهَا أَنَّهُ قال:"إِنَّ غَدًا الجمعة يوم عيدكم،ويوم الأحدِ عيد عندنا، ولهَذَا فإِنِّي اقترح أَنْ تدورَ المعركة يوم السبت" وهجم يوم الجمعة. انْظُر: عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**" ص١٣٤؛ مَجْهُول"**الحُلَلُ المُوَشّيَة**" ص٥٧؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص ٢٩٠؛ وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ١٣/٣١٢ .

٣ – انْظُر: عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِيّ"**المُعْجِب**"ص ١٣٤؛ مَجْهُول"**الحُلَلُ المُوَشّيَة**"ص ٥٧،أَمَّا فِي "الرَّوْض المِعْطَار" فَكَانَ قوله:"فليكن لقاؤنا بَيْنَهُمَا وهو يوم السَّبْتِ،.... فَقَالَ المُعْتَمِدُ: هَذِهِ خديعة مِنْ ابن فرذلند، إِنَّمَا يريد غدر المُسْلِمِينَ فلا تطمئن إِلَيْهِ وليكن النَّاسُ عَلَى استعداد لَهُ طول يوم الجُمُعَةِ عَلَى احتراس كثير" . الحِمْيَرِيّ "**الرَّوْض المِعْطَار**" ص ٢٩٠ .

٤ – ابن الخَطِيب "**نُفَاضَةُ الجِرَابِ فِي عُلالَةِ الاغْتِرَابِ**" ص١٥٧ .

٥ – عَرُوبَةُ وَالعَرُوبَةُ:اسم قديم لِلجُمُعَةِ، وَالأَفصحُ أَن لا يدخلها الأَلفُ وَاللام.يعتقد ابن منظور أَنَّهُ ليس بعربيّ.والجُمْعَةُ بضم الميم وإسكانها:معناه الجمع، وَقِيلَ إِنَّ كَعْبَ بن لُؤَيَ جَدَّ الرَّسُولِ ﷺ أَوَّلُ مَنْ جَمَّعَ يوم العَروبةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سماها الجُمُعَةَ.واختلف فِي سبب التسمية فقِيلَ لاجتماع الخلق فيه،وقِيلَ لاجتماع النَّاسِ للصلاة. انْظُرْ: ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" ٤/٣٦٥؛ العَسْقَلاني "**فَتْح البَارِيّ**"٢/٣٥٥،٣٥٣، ٧/١٦٣؛ ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [عرب، جمع]١/٥٨٨،٥٩٣/٥٨؛ القَلْقَشَنْدِيّ"**صُبح الأَعْشَى**" ٢/٣٨٩– ٣٩١ .

ورُبَّمَا تكُونُ عِنَايَتُهُم بهَذِهِ التَّسْمِيَةِ لِتَوَافُقِ حُرُوفِ كَلِمَةِ "**العَرُوبَةِ**" مَعَ كَلِمَةِ "**العَرَبِ**" فِي التَّفَاخُرِ وَالتَّمَيُّزِ عَنْ الأعاجِمِ وَأهلِ الذِّمَّةِ.فكَانَ يَوْمَ النَّصْرِ **لابنِ جَمْهُورَ**(ت:٥٩٢هـ)[١] بِقَوْلِهِ[٢]:[البسيط]

لَمْ تَعْلَمِ العُجْمُ إِذْ جَاءَتْ مُصَمِّمَةً ... **يَوْمَ العَرُوبَةِ** أَنَّ اليَوْمَ للعُرْبِ

ولمْ يُذْكَرْ يَوْمُ "**العَرُوبَةِ**" فِي الشِّعْرِ فَحَسْبُ،بَلْ جَاءَ فِي النَّثْرِ الذي صَاحَبَ الشِّعْرَ فَجاءَ عِنْدَ المَقَّرِيّ فِي تَقْدِيمِهِ لِبَيْتَيْنِ لِلمُعْتَمِدِ بنِ عَبَّادٍ[٣] بِقَوْلِهِ:"وَلَهُ فِي غُلامٍ رَآهُ **يَوْمَ العَرُوبَةِ**"[٤].

وَأَرَى أَنَّ مُقَارَنَاتٍ وَمُحَاوَرَاتٍ كَانَتْ تُقَام بَيْنَ العَرَبِ وَأهلِ الذِّمَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ،وَأَرَى أَنَّ اسْتِخْدَامَ لَفْظَةِ "**العَرُوبَةِ**" عِوَضًا عَنْ "**الجُمُعَةِ**" يُعبِّر أَكْثَرَ عَنْ مَشَاعِرِ التَّعَصُّبِ وَالافْتِخَارِ أَمَامَ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَاليَهُودِ الذينَ كَانَتِ احْتِفَالاتُهُم بِسُبُوتِهِم وَآحَادِهِم وَاضِحَةً وَمُمَيَّزَةً ومُثِيرَةً لِمَشَاعِرِ المُفَاخَرَةِ عِنْدَ الشَّاعِرِ العَرَبِيِّ بتلكَ الدِّيَارِ.

وهَذِهِ المُقَارَنَاتُ وَالمُحَاوَرَاتُ حولَ يومَي "**العَرُوبَةِ وَالسَّبْتِ**" عِنْدَ العَرَبِ واليَهُودِ يُؤَكِّدُهَا البَيْتَانِ التاليَانِ **لِلمُتَوَكِّلِ**(ت:٤٨٥هـ)[٥] صَاحِبِ بَطَلْيُوسَ[٦] وَقَدِ انْتَظَرَ وُفُودَ أَخِيهِ عَلَيْهِ مِنْ شَنْتَرِينَ[٧] يَوْمَ **الجُمُعَةِ** فَأَتَاهُ يَوْمَ **السَّبْتِ**،فَلَمَّا لَقِيَهُ عَانَقَهُ وَأَنْشَدَ[٨]:[الوافر]

تَخَيَّرَتِ اليَهُودُ **السَّبْتَ** عِيدًا ... وَقُلْنَا فِي **العَرُوبَةِ** يَوْمُ

فَلَمَّا أَنْ طَلَعْتَ **السَّبْتَ** فِينَا ... أَطَلْتَ لِسَانَ مُحْتَجِّ اليَهُودِ

---

[١] – هُوَ الأديب: **عَبْدُ اللهِ** بنُ أَحْمَدَ **بنُ جَمْهُور** بنُ سَعِيدِ بنُ يَحْيَى بنُ جَمْهُور القَيْسِيّ يُكنى أَبَا مُحَمَّدٍ، مِنْ أئمة الفقه فِي إِشْبِيلْيَة، كَانَ رجلاً صالحًا فاضلا عَالِمًا باللُّغَةِ،وتُوُفِّيَ ببلده سَنَةَ ٥٩٢هـ بَيْنَمَا مَوْلِدُهُ سَنَةَ ٥١٤هـ . انْظُر: ابن الأَبَّار "**التَّكْمِلَة**"٢/٢٨١–٢٨٢ .

[٢] – ابن الأَبَّار "**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ٢/١٠١ .

[٣] – انْظُر: المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٦/٥٧ .

[٤] – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

[٥] – هُوَ:**عمر بن مُحَمَّدٍ** بن عبد الله التجيبي **بن الأفطس** وَيُلقب **بالمُتَوَكِّلِ بنِ** المُظَفَّرِ بن المَنْصُور، وَلي بعد وَفاةِ وَالده سَنَةَ ٤٦٠هـ ثُمَّ أخيه يَحْيَى،وَكَانَ فِي بَطَلْيُوس كالمُعْتَمِدِ بن عَبَّادٍ فِي إِشْبِيلْيَة،بنى فِيهَا المَبَاني الطَّيِّبَةَ والمَصَانِعَ الجَلِيلةَ،وَرعى الأُدَبَاءَ وَالشُّعَرَاءِ فوفد ساحته بعضهم،إِلى أن حصره الملثمون وقتلوه ذَبْحًا مَعَ وَلَدَيْهِ الفَضْلِ والعباس سَنَةَ ٤٨٥هـ.فانتقلت الولاية إِلَى ابنه يَحْيَى المتسمي بالمَنْصُور ثُمَّ مات بَعْدَ مُنَافَسَةٍ طَوِيلَةٍ .
انْظُرْ:ابن خَاقَان"**قَلائِد العِقْيَان**"ق١،ج١/١٢٠– ١٤٥؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م٢/٦٤٦– ٦٥٢؛ الأَصْفَهَانِيّ"**خَرِيدَةُ القَصْرِ**"ق٤،ج٢/٣٠٢– ٣٠٧؛ عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِيّ "**المُعْجِب**"ص٧٤–٧٥؛ ابن الأَبَّار "**التَّكْمِلَة**" ٤/٦٦؛ "**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ٢/١٠٦؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١/٣٦٣–٣٦٥؛ "**رَايَات المُبَرَّزِين**" ص ٩٥–٩٦ .

٦ – **بَطَلْيُوس:** بفتحتين وسكون اللام وياء مضمومة عِنْدَ الحَمَوِيّ مفتوحة عِنْدَ الحِمْيَرِيّ، مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ بالأَنْدَلُسِ مِنْ أعمال ماردة بَيْنَهُمَا أربعُونَ ميلاً،تقع عَلَى نهر آنة غربي قُرْطُبَةَ. انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ١/٤٤٧؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص٩٣ .

[٧] – **شنترين** مركبة مِنْ كلمتين؛ شَنْتَ لفظة يعني بِهَا البلدة أَوْ الناحية، وَرِينَ هي مَدِينَةٌ متصلة بباجة فِي غربي الأَنْدَلُسِ عَلَى نهر تاجه قريب مِنَ انصبابه فِي البحر المحيط وهي حصينة شمال الأشبونة، سقطت بيد الإفرنج سَنَةَ ٣٤٥هـ .تقع عَلَى جبل عال جدًا فِي البرتغال .ولها جزائر فِي البحر مسكونة. وَفِي قاعدته شنترين هَذِهِ عرض لِيُوسُفَ بنِ عَبْدِ المُؤْمِنِ ملك المَغْرِبِ المرض الذي تُوُفِّيَ فِيهِ سَنَةَ ٥٨٠هـ . انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَانِ**" ٣/٣٦٦– ٣٦٧؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص٣٤٦ .

[٨] – ابن الأَبَّار"**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ٢/١٠٦؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٤/٤٠١ .

وَيُشِيرُ البَيْتَانِ إِلَى أَنَّ احْتِفَالَ اليَهُودِ بِيَوْمِ **"السَّبْتِ"** وَعِنَايَتَهُمْ بِهِ كَانَ وَاضِحًا يَكَادُ يُضَاهِي عِنَايَةَ المُسْلِمِينَ بِيَوْمِ **"العَرُوبَةِ"**،وَرأى الشَّاعِرُ أَنَّ مُجَرَّدَ قُدُومِ أَخِيهِ يَوْمَ **"السَّبْتِ"** سَيُطِيلُ لِسَانَ مُحْتَجِّ اليَهُودِ، وَيُسْتَشَفُّ مِنَ البَيْتَيْنِ إِشَارَةٌ إِلَى مُحَاجَّاتٍ بَيْنَ اليَهُودِ وَالعَرَبِ حَوْلَ أَعْيَادِهِمْ وأَيُّهَا أَفْضَلُ. وَهَذَا لا يَحْصُلُ إِلا إِنْ كَانَ اليَهُودُ يُبْرِزُونَ عِنَايَتَهُمْ بِعِيدِهِمِ وَيَحْتَفِلُونَ بِهِ،فَخَافَ الشَّاعِرُ أَنْ يَسْتَغِلَّ اليَهُودُ فَرْحَتَهُ وَقَوْمَهُ بِقُدُومِ غَائِبِهِمْ يَوْمَ **"السَّبْتِ"** للاستدلالِ عَلَى أَنَّ **"السَّبْتَ"** أَفْضَلُ.

وَخَاطَبَ **أَبُو القَاسِمِ بنِ يامين** سَعِيدًا بنَ الحَكَمِ(ت: ٦٨٠هـ)[١] وَقَدْ أَبَلَّ مِنْ مَرَضِهِ بِقَوْلِهِ[٢]: [البسيط]

يَـا غُدْوَةَ **السَّبْتِ مَا** جَلَيْتَ مِنْ كُرَبِ ... يَا غُدْوَةَ **السَّبْتِ مَا** أَحْيَيْتَ مِنْ طَرَبِ

لَـئِنْ غَـدَا **السَّـبْتُ عِيـدًا لِلْيَهُـودِ** لَقَـدْ ... غَـدَا لَنَـا أَوْجَـبَ الأَعْيَـادِ للقُـرَبِ

أَمَـا بِـهِ مَـرَّ إِمْـرَارُ الزَّمَـانِ وَقَـدْ ... أَجْنَى ضُرُوبَ مُنَى أَحْلَى مِنَ الضَّرَبِ

مَـرْآى سَـعِيدِ العُـلا دَامَـتْ سَـعَادَتُهُ ... كُـلُّ الأَمَـانِي وَأَقْصَـى مُنْتَهَـى الأَرَبِ

وَما كَانَ الشَّاعِرُ لِيَدْخُلَ فِي مُقَارَنَةٍ بَيْنَ فَرْحَتِهِ بِشِفَاءِ مَمْدُوحِهِ وَفَرْحَةِ اليَهُودِ بِعِيدِهِمْ لَوْ لَمْ يكنْ لليَهُود عِنَايَةٌ خَاصَّةٌ واهْتِمَامٌ وَاضِحٌ بِهِ،وَلمْ يَكْتَفِ الشَّاعِرُ بِفَرْحَتِهِ بِيَوْمِ **"السَّبْتِ"** لِشِفَاءِ مَمْدُوحِهِ بِهِ،بَلْ دَعَا إِلَى اعْتِبَارِهِ عِيدًا للمُسْلمِينَ، فقدْ أَصْبَحَ الاحْتِفَالُ بِهِ أَوْجَبَ عَلَيْهِم مِنَ احْتِفَالِ اليَهُودِ بِهِ.

وَ**الدِّلالَةُ الثَّانِيَةُ** مِنْ دِلالاتِ **"السَّبْتِ"** الإشارةُ إِلَى مُعْتَقَدِ اليَهُودِ وَدِينِهِمْ، وَأَوْضَحُ مِثَالٍ عَلَيْهَا قَوْلُ **ابنِ الزَّقَّاقِ**(ت: ٥٣٠هـ)[٣] حِينَ نَادَمَ غُلامًا يَهُودِيًّا **"يَوْمَ سَبْتٍ"**، فَقَالَ[٤]: [الطويل]

وَحَبَّـبَ يَـوْمَ **السَّـبْتِ** عِنْـدِيَ أَنَّـهُ ... يُنَـادِمُنِي فِيـهِ الَّـذِي أَنَـا أَحْبَبْـتُ

وَمِـنْ أَعْجَـبِ الأَشْـياءِ أَنِّـيَ مُسْـلِمٌ ... حَنِيـفٌ وَلَكِـنْ خَيْـرُ أَيَّـامِيَ **السَّـبْتُ**

---

١ – هُوَ : أَبُو عُثْمَانَ **سعيدُ بنُ الحَكَمِ** (٦٠١– ٦٨٠هـ)، مِنْ طبيرة Taveiro بغرب الأَنْدَلُسِ، اشتغل أَوَّلَ أَمْرِهِ كَاتِبًا عَن بعض أمراء إِفْرِيقْيَةَ فِي بُجَّايَة وَتُونُسَ،ثُمَّ عاملاً فِي مَيُورقَةَ التي ازْدَهَرَتْ فِي حكمه،وَأحبه أهلها وَدُعِيَ بِالرَّئِيسِ فِيهَا،وَازْدَهَرَتِ الحَيَاةُ الأَدَبِيَّةُ فِي بَلاطِهِ، وَصَارَتْ مَيُورقَةَ مَلْجَأً لِلعُلَمَاءِ . انْظُرْ :مجهول"**لُباب الأَلْبابِ مِنْ نَظْمِ الشُّعراء ونَثْرِ الكُتَّابِ**"ص١٩–٢٠ [المُقَدِّمَة]؛ابن الأَبَّار"**الحُلَّة السِّيَراء**"٣١٨/٢–٣٢٠؛ابن سَعِيد"**المُغْرِب**"٤٦٩/٢؛ابنُ عَبْدِ المَلِكِ المَرَّاكُشِيّ"**الذَّيْل وَالتَّكْمِلَة**" السفر الرابع ص٢٨– ٣٣؛ الصفدي"**الوافي بالوفيات**" ١٥/ ١٣٢–١٣٣؛ ابن الخطيب "**أعمال الأعلام**" ص٢٧٥ –٢٧٦؛الحِميَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطار**"ص٥٤٩؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**"٢٢٨/٦؛ "**أزهار الرياض**" ٢١٥/٣–٢١٨ .

٢ – ابن سَعِيد "**اخْتِصَار القِدْحِ المُعَلَّى**" ص٥٦ .

٣ – هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ إِبْرَاهِيمَ بنُ عَطِيَّةَ اللهِ اللَّخْمِيُّ المَشْهُورُ **بِابنِ الزَّقَّاقِ البلنسيّ**. لا يوجد إِبْرَاهِيمُ فِي نسبه عِنْدَ ابن بشكوال وابن دحية وَلا الكُتْبِيّ؛ كَانَ أبوه فقيرًا جدًا يعمل مُؤَذِّنًا بِالمسجد الجامع بِبَلَنْسِيَةَ، ويُقَالُ إن بينه وبين ابن عَبَّادٍ قرابة وأخفى نفسه بعد خلعهم،عني بالآداب فبرع فِيهَا، وامتدح الأمراء والرؤساء وَكَانَ شاعرًا مُجَوِّدًا مَطْبُوعًا يَتَصَرَّفُ كَيْفَ شاء، وَقِيلَ إِنَّه تَأَثَّرَ فِي نظمه بخاله أَبِي إِسْحَاقَ بنِ خَفَاجَةَ ونزع منزعه.اختلف فِي سَنَةَ وفاته كَثِيرًا، فِي "التَّكْمِلَة" أَنَّهُ وتُوُفِّيَ فِي حدود سَنَةَ ٥٣٠هـ وَلَمْ يبلغ الأربعين.
انْظُرْ: الأَصْفَهَانِيّ"**خَرِيدَةُ القَصْرِ**"ق٤، ج٦٤٧/٢–٦٥٢؛ ابن دِحْيَة"**المُطْرِب**"ص١٠٠– ١١٠؛ ابن الأَبَّار"**التَّكْمِلَة**" ١٨٦/٣– ١٨٧؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٣٢٣/٢– ٣٣٨؛"**رَايَات المُبَرَّزِين**"ص٢٠٩– ٢١١؛ الكُتْبِيّ"**فَوَات الوَفَيَات**" ١٠٨/٢– ١٠٩؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٥٧/٤؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَبِ**" ٨٩/٢ .

٤ – الأَصْفَهَانِيّ"**خَرِيدَةُ القَصْرِ**"ق٤،ج٦٤٨/٢؛ ابن دِحْيَة"**المُطْرِب**"ص١٠٥؛ابن الأَبَّار"**الحُلَّة السِّيَراء**" ١٠٦/٢؛ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٣٢٨/٢؛ الكُتْبِيّ"**فَوَات الوَفَيَات**" ١٠٩/٢؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ١٦٨/٥، ٧٤/٦؛ إِمِيلُو غَرْسِيه غُومِثْ"**شِعْرُ ابنِ الزَّقَّاقِ**" ص ٨٨ .

وَرُغْمَ حُبِّهِ الشَّدِيدِ لِيَوْمِ "**السَّبْتِ**"،إلا أَنَّهُ خَافَ أَنْ يُتَّهَمَ فِي دِينِهِ،لِذَا أَكَّدَ أَنَّهُ "مُسْلِمٌ حَنِيفٌ".

ويُمَهِّدُ ذِكْرُ "**السَّبْتِ**" في الشِّعْرِ لإِعْطَاءِ مَشَاهِدَ تَدُلُّ عَلَى مُعْتَقَدِ اليَهُودِ وَدِينِهِم وَنَبِيِّهِم،وهَذَا وَاضِحٌ في أَبْيَاتٍ **لابنِ خَرُوفٍ القُرْطُبِيِّ**(ت: ٦١٠هـ)[١] تَتَابَعَتِ الصُّوَرُ الشِّعْرِيَّةُ الخَاصَّةُ باليَهُودِ فِيها فَوْرَ أَنْ ذَكَرَ "**السَّبْتَ**"؛فَتَذَكَّرَ فِرْعَوْنَ مُوسَى،وَتَذَكَّرَ السَّحَرَةَ،كَمَا تَذَكَّرَ ثَعَابِينَهُمْ تَمِيسُ مُخِيفَةً،ثُمَّ الحِبَالَ التِي أُلقِيَتْ فَتَحَوَّلَتْ إِلَى ثَعَابِينَ مُتَّجِهَةٍ نَحْوَ الكَلِيمِ مُوسَى،فَكَانَ "**السَّبْتُ**" فِي القَصِيدَةِ رَمْزًا لِكُلِّ هَذِهِ الأُمورِ مُجْتَمِعَةً أَوْ بِمَعْنًى آخَرَ جَاءَ رَمْزًا لِمُعتقَدٍ دِينِيٍّ وَلأَصْحَابِهِ،فَجَاءَ فِيهَا[٢]: [الوافر]

إِذَا رَحَلَتْ **عَرُوبَةُ** عَنْ حِمَاهَا	تَـــأَوَّهَ كُـــلُّ أَوَّاهٍ حَلِـــيمِ
إِلَـى **سَبْتٍ** حَكَـى فِرْعَوْنُ مُوسَـى	يُجَمِّــعُ كُــلُّ سَــحَّارٍ عَلِــيمِ
فَتُبْصِرُ كُلَّ أُمْلُودٍ[٣] قَوِيمٍ	يَمِــيسُ بِكُــلِّ ثُعْبَــانٍ عَظِــيمِ
إِذَا انْسَـابَتْ أَرَاقِمُهَا[٤] عَلَيْهَـا	تَــذَكَّرْنا بِهَـــا لَيْــلَ السَّــلِيمِ
وَشَــاهَدْنَا بِهَــا فِــي كُــلِّ حِــينٍ	حِبَــالاً أُلقِيَــتْ نَحْــوَ الكَلِــيمِ

وَلأَنَّ "**السَّبْتَ**" حِينَ يُذْكَرُ يَكُونُ دَالاً عَلَى اليَهُودِ فِي الغَالِبِ،أَتَى مُرَافِقًا لِمَا يُرَافِقُ اليَهُودَ فِي المُجْتَمَعِ المُسْلِمِ،ألا وَهُوَ الخَمْرُ،دَعَا لشُرْبِهِ أَبُو **عَبْدِ اللهِ بنُ السَّرَّاجِ**[٥] بِقَوْلِهِ[٦]: [البسيط]

يَـا مَـنْ إِذَا مَـا سَـقَتْنِي الـرَّاحَ رَاحَتُـهُ	أَهْـدَتْ إِلَـيَّ بِهَـا رُوحًـا وَرَيْحَانَــا
مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي **صَبَاحِ السَّبْتِ** يَأْخُذُهَا	فَلَيْسَ عِنْدِي بِحُكْمِ الظَّرْفِ إِنْسَانَا

وَالثَّالِثَةُ مِنْ دِلالاتِ "السَّبْتِ" فِي الأَدَبِ الأَنْدَلُسِيِّ عِصْيَانُ وَتَمَرُّدُ أَهْلِهِ اسْتِنَادًا إِلَى الحِكَايَةِ القُرْآنِيَّةِ المَشْهُورَةِ عَنْ أَهْلِ "**السَّبْتِ**"،وَوَرَدَتْ هَذِهِ الإِشاراتُ فِي النَّثْرِ وَلَمْ أَجِدْ لَهَا أَمْثِلَةً فِي الشِّعْرِ.

---

١ – هُوَ: أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ يُوسُفَ بنُ **خَرُوفٍ القُرْطُبِيُّ**، وَفِي "نَفْحِ الطِّيبِ" هُوَ ابن مُحَمَّدِ بنُ يُوسُفَ، كَانَ إماماً فِي العَرَبِيَّةِ، صنف شرحًا لكتاب سيبويه،قَالَ عَنْهُ ابنُ سَعِيدٍ إِنَّه شاعرٌ مَشْهُورٌ فِي الغرب والشرق.مدح أمراء المَغْرِبِ،ورحل إِلَى المشرق،وَكَانَ يشتغل خَيَّاطًا، وَلَمْ يتزوج قط،ولم يتخذ بلدًا مَوْطِنًا، بَلْ كَانَ ينتقلُ فِي البلادِ فِي طلب التجارة،وَكَانَ يسكنُ الحانات. واختل عقْلُهُ بِآخِرَتِهِ حَتَّى مشى فِي الأسواق عرياناً بادي العورة مكشوف الرأس، وقُدِّرَ أَنَّ منيته كَانَتْ مُتَرَدِّيًا فِي جب حنطة فِي حلب بقَلعَتِها عن خمسٍ وثمانين سنة. اخْتُلِفَ كَثِيرًا فِي سَنَةَ وفاته بِإِشْبِيلية.

انْظُرْ :يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ الأُدَبَاءِ**"١٥/٧٥–٧٦؛عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص٣٠٣–٣٠٤؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٧/٩٤؛ ابن الأَبَّار"**التَّكْمِلَة**"٣/٢٣٢؛ابن سَعِيد"**المُغْرِب**"١/١٣٦– ١٣٩؛ "**رَايَات المُبَرِّزِين**"ص١٣٨– ١٣٩؛ الكُتْبِيّ"**فَوَات الوَفَيَات**" ٢/١٣٨– ١٤٠؛ جَلال الدين السُّيُوطِي"**بُغْيَة الوُعاة**"٢/٢٠٣؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢/٣٧٨، ٣/٣٨٢– ٢٨٤، ٥/٢٣٤ – ٢٣٥ .

٢ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٥/٢٣٤ – ٢٣٥ .

٣ – أُمْلُودٌ وَإِمْلِيدٌ: ناعم . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [ملد] ٣/٤١٠ .

٤ – الأَرْقَمُ مِنَ الحَيَات :الذي فِيهِ سواد وَبياض، وَالجمع أَرَاقِمُ، وَلا يوصف بِهِ المؤنث، يُقَالُ للذكر أَرْقَم، لكن المؤنث رَقْشاء .
ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [رقم] ١٢/٢٤٩ .

٥ – هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدٍ **بنُ السَّرَّاجِ**، مِنْ شعراء ملوك الطَّوَائِفِ، لَمْ تتحدث عَنْهُ المراجع كَثِيرًا؛ قَالَ عَنْهُ ابن بَسَّامٍ في"الذَّخِيرَة" إِنَّه محسنٌ فِي أَهْلِ عصره معدود، وشاعر بني حَمُّود، وهم أصحاب مَالَقَةَ، قَالَ الحُمَيْدِيّ: لَمْ يقع لي اسم أبيه، وَلَمْ ترد ترجمته فِي القطعة المتبقية مِنْ أُدَبَاء مَالَقَةَ، إِذ يبدو أنها سقطت فيمَا سقط مِنْ أوراق الكتاب . انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١، م ٢/٨٧٠ – ٨٨٢؛الحُمَيْدِيّ"**جَذْوَة المُقْتَبِس**" ١/١٠٦؛الضَبِّيّ"**بُغْيَة المُلْتَمِس**" ١/١١٢؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١/٤٣٤ – ٤٣٥ .

٦ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١، م ٢/٨٧٧؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٤/٣٥٧ .

وَالحِكَايَةُ مَأْخُوذَةٌ مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى(وَسْئَلْهُمْ عَنْ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي **السَّبْتِ** إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ **سَبْتِهِمْ** شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ **يَسْبِتُونَ** لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)[١].

وَقَدِ اخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ حَوْلَ القَرْيَةِ المَذْكُورَةِ فِي الآيَةِ،وَعَمَّا فَعَلَ أَهْلُ **"السَّبْتِ"**،وَلَنْ أَخُوضَ فِي الاخْتِلافِ،إلا أَنَّ مُجْمَلَ القِصَّةِ عندَ ابنِ كَثِيرٍ(ت:٧٧٤هـ) وغَيْرِهِ[٢] يُؤَكِّدُ عِصْيَانَ اليَهُودِ وَمَكْرَهُمْ وَتَحَايُلَهُمْ عَلَى مَا جَاءَ فِي التَّوْرَاةِ، و هَذَا قَصْدُ الأُدَبَاءِ بِأَهْلِ **"السَّبْتِ"**،فَعَلَى سَبِيلِ المِثَالِ جَاءَ فِي الرِّسَالَةِ الجِدِّيَّةِ[٣]التِي كَتَبَهَا ابنُ زَيْدُونَ إِلَى ابنِ جَهْوَر (ت:٤٣٥هـ)[٤] مِنْ سِجْنِهِ قَوْلُهُ: "جَنَانَيْكَ! فَقَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى، وَنَالَنِي مَا حَسْبِي بِهِ وَكَفَى، وَمَا أَرَانِي إلا لَوْ أَنِّي أُمِرْتُ بِالسُّجُودِ لآدَمَ فَأَبَيْتُ، وَقَالَ لِي نُوحٌ: "ارْكَبْ مَعَنَا"، فَقُلْتُ: "سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ"[٥]،وَأُمِرْتُ بِبِنَاءِ الصَّرْحِ "لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلهِ مُوسَى"[٦]وَعَكَفْتُ عَلَى العِجْلِ، **وَاعْتَدَيْتُ فِي السَّبْتِ**، وَتَعَاطَيْتُ فَعَقَرْتُ[٧]، وَشَرِبْتُ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ الذِي ابْتُلِيَ بِهِ جُنُودُ طَالُوت[٨]، وَقُدْتُ الفِيلَ

---

١ – **سُورَةَ الأَعْرَافِ**، آيَة ١٦٣ . اتَّفَقَتْ مُعْظَمُ الرِّوَايَاتِ عَلَى أَنَّهَا نَزَلَتْ بِحَقِّ اليَهُود وَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عليْهِمْ فِي "السَّبْتِ" الحِيتانَ صَيْدَهَا وَأَكْلَهَا، فتَحَيَّلُوا عَلَى اصْطِيادِ الحِيتَانِ فِي يَوْم "السَّبْتِ" بمَا وَضَعُوا لَهَا مِنَ الشُّصُوصِ(جمع للشَّصِّ وهُوَ حَدِيدَةٌ عَقْفَاءُ يُصادُ بِهِ السَّمَكُ) وَالحَبَائِلِ وَالبِرَكِ قَبْلَ يَوْمِ "السَّبْتِ" ،فيَأْخُذُونهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ "السَّبْتِ" ،وقَالُوا:إِنَّمَا صِدْنَاهُ يَوْمَ الأَحَدِ حِينَ أَخَذْنَاهُ.فَقَالَ الفُقَهَاءُ: لا، وَلَكِنَّكُمْ صِدْتُمُوهُ يَوْمَ فَتَحْتُم لَهُ المَاءَ فَدَخَلَ.فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ مَسَخَهُم اللهُ إِلَى صُورَةِ القِرَدَةِ وَهَذَا هُوَ مجمل قِصَّةِ أَهْلِ "السَّبْتِ".

انْظُرْ : ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" ١/١٠٥– ١٠٧؛ العَسْقَلاني"**فَتْح البَارِيّ**" ٦/٤٥٢– ٤٥٣؛ ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [شصص] ٧/٤٨ .

٢ – انْظُرْ : ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" ١/١٠٥ – ١٠٧؛ العَسْقَلاني"**فَتْح البَارِيّ**" ٦/٤٥٢– ٤٥٣ .

٣ – انْظُرْ "الرِّسَالَة الجدية" فِي: ابْن زَيْدُونَ "**دِيوَانُهُ وَرَسَائِلُهُ**"ص٦٨٠ – ٧١٨؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م١/٣٣٧ – ٣٤٦ .

٤ – هُوَ: أَبُو **الحَزْمِ جَهْوَر** بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ **جَهْوَر**(٣٦٤–٤٣٥هـ) ذكر ابنُ الأبار أَنَّهُ كَانَ شاعرا مكثرا مِنْ شعره مِنْ وُزَرَاءِ الدولة العامرية، تولى تدبير أمور قُرْطُبَةَ بَعْدَمَا انقطعت دعوة بَنِي أُمَيَّةَ بالأَنْدَلُسِ،وفِي أيامه صارت قُرْطُبَةَ حَرَمًا يَلْجَأ إِلَيْهِ كلُّ خَائِفٍ وَمَخْلُوعٍ عَنْ مُلْكِهِ إِلَى أن مات عَنْ واحِدَةٍ وسبعين سنة،فولي بعده ابنه أَبُو الوليد الذي وزر لَهُ الشَّاعِرُ ابن زَيْدُونَ.

انْظُرْ :الحُمَيْدِيّ"**جَذْوَة المُقْتَبِس**"١/٢٩١؛ بن خَاقَان"**مَطْمَح الأَنْفُسِ**"ص١٨٠–١٨٦؛ "**قَلائِد العِقْيَان**"ق٢،ج١/٢١١؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م١/٣٣٧–٣٥٤،ق١،م٢/٦٠٢–٦٠٤؛ ابن بَشْكَوَال"**الصِّلَة**"١/٢١٥؛ الضبِّيّ"**بُغْيَة المُلْتَمِس**"١/٣١٩–٣٢٠؛عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِيّ "**المُعْجِب**"ص٥٧– ٦٠؛ ابن الأَبَّارِ"**الحُلَّةُ السِّيَرَاء**"١/٢٤٥–٢٥١؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**"١/٥٦؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**"١/٢٩٠– ٢٩٢ .

٥ – إِشارة إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا ﴾، وَ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ **سُورَة هُودٍ**، آيَة ٤٢ – ٤٣ .

٦ – إِشارة إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾ **سُورَة القَصَصِ**، آيَة ٣٨ .

٧ – تعاطى: قام عَلَى أطراف أصابع رجليه،ثُمَّ رفع يده متهيأ للضرب أَوِ الطعن. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [عطي] ١٥/٧٠ .

عقر البعير : ضرب قوائمه بالسيف أَوْ ذبحه. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [عقر] ٤/٥٩٢

وَفِي هَذَا إشارة إِلَى قِصَّةِ الناقة معجزة النَّبِيّ صالح عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَ قَوْمِهِ ثَمُودَ، وَمَا جاء فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾ **سُورَة القَمَرِ**، آية ٢٩، وَ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾ **سُورَة الشَّمْسِ**، آيَة ١٤ .

٨ – هُوَ: **طَالُوت** شادل بن قيس بن أبيال بن ضرار بن يحرب بن أفيح بن آيس بن بنيامين بن يَعْقُوب بن إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيمَ، أحدُ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيل، كَانَ فقيرًا سقَّاءً يسقي عَلَى حمار لَهُ وقِيلَ كَانَ دَبَّاغًا.وَكَانَ مِنْ أعظم النَّاسِ وأشدهم بأسًا. انْظُرْ :ابن حزم"**جَمْهَرَة أَنْسَابِ العَرَبِ**"ص٥٠٩؛ ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" ١/٣٠٢ – ٣٠٤؛ القَلْقَشَنْدِيّ"**صُبح الأَعْشَى**" ٤/١٦٤؛ الطَبَرِيّ"**جامع البيان**" ٢/٦٠١ –٦٣٥ .

والكلام إشارة إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ﴾ **سُورَة البَقَرَةِ**، آيَة ٢٤٩ .

لأَبْرَهَةَ[١] ....."[٢] .فَعَدَّدَ ابنُ زَيْدُونَ كَثِيرًا مِنَ المُهْلِكَاتِ التِي قَامَ بِهَا السَّابِقُونَ،وَمِنْهَا اعْتِدَاءُ اليَهُودِ عَلَى حُرْمَةِ **"السَّبْتِ"**. فكَانَتْ هَذِهِ المَقُولَةُ كَالمَثَلِ لِمَنْ يَحْتَالُ فِي الأَمْرِ لِيَبْلُغَ مُرَادَهُ. لَكِنْ لَمْ أَجِدْ مِثْلَ هَذِهِ الدِّلالَةِ كَثِيرًا فِي شِعْرِهِمْ،وَإِنْ جَاءَ بِهَا شَاعِرٌ كَابنِ زَيْدُونَ فِي رِسَالَتِهِ.وأَرَى أَنَّ تَأَثُّرِهِ بِالقُرْآنِ أَقْوَى مِنْ تَأَثُّرِهِ باليَهُودِ المَوْجُودِينَ،أَقُولُ هَذَا لملاحَظَتِي أَنَّهَا جَاءَتْ مُنْسَجِمَةً فِي لَفْظِهَا تَمَامًا مَعَ الرِّوَايَةِ القُرْآنِيَّةِ **(إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ)**[٣].

بَقِيَتِ **الدِّلالَةُ الرَّابِعَةُ وَالأَخِيرَةُ** لاسْتِخْدَامِ يَوْمِ **"السَّبْتِ"**عِنْدَ الأَنْدَلُسِيِّينَ،وَهِي الدِّلالَةُ العَامَّةُ لَهُ كَيَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الأُسْبُوعِ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهَا عَلاقَةٌ بِاليَهُودِ وَأَعْيَادِهِمْ،وَمِنْهَا **قَوْلُ أَحَدِهِمْ**[٤]:[البسيط]

نَطْـوِي **سُـبُوتًا** وَآحَــادًا وَنَنْشُــرُها ... وَنَحْنُ فِي الطَّـيِّ بَيْنَ **السَّبْتِ** وَالأَحَدِ

فَعُدَّ مَـا شِـئتَ مِـنْ سَبْتٍ وَمِـنْ أَحَـدٍ ... لا بُـدَّ أَنْ يَـدْخُلَ المَطْـوِيُّ فِـي العَـدَدِ

وَمِثْلُهُ قَوْلُ **ابنِ دَرَّاجِ القَسطَلِّيِّ** (ت:٤٢١هـ)[٥]فِي عَدُوِّ المُسْلِمِينَ ابنِ شَانْجَةَ وأَتْبَاعِهِ[٦]:[البسيط]

كَتَائِبًـــا تَرَكَـــتْ عُبَّـــادَ مِلَّتِـــهِ ... لا تَعْـرِفُ **السَّـبْتَ**فـِي الأَيَّـامِ مِـنْ أَحَـدِ

وَقَوْلُ **آخَرَ**[٧]: [الطويل]

أَلَـمْ تَـــرَ أَنَّ الـــدَّهْرَ يَـــوْمٌ وَلَيْلَـــةٌ ... يَكُرَّانِ مِنْ **سَبْتٍ** عَلَيْكَ إِلَـى **سَبْتِ**

فَقُـلْ لِجَدِيـدِ العَـيْشِ لا بُـدَّ مِـنْ بِلًـى ... وَقُلْ لاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ لا بُدَّ مِنْ شَتِّ

وهَذِهِ وَرَدَتْ بِقِلَّةٍ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ،وَكَثِيرًا مَا أَتَتْ فِي الحِكْمَةِ فِي الحَدِيثِ عَنْ دَوَرَانِ الدَّهْرِ، فَيَبْدَأُ الشَّاعِرُ بِيَوْمِ **"السَّبْتِ"** لأَنَّهُ أَوَّلُ أَيَّامِ الأُسْبُوعِ وَقَدْ يُتْبِعُهُ بِالأَحَدِ.وَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ فِي هَذِهِ الأَبْيَاتِ إِنَّهَا تَحْمِلُ دِلالَةً خَاصَّةً وَهِيَ الأَعْيَادُ وَمَا يُرَافِقُهَا مِنْ فَرَحٍ وسُرُورٍ.لِكِنَّنِي أُرَجِّحُ القَوْلَ بِأَنَّ دِلالَةَ **"السَّبْتِ"** وَ**"الأحد"** فِيهَا كَانَ عَامًّا،وَالقَصْدُ مِنْهُ تَوالي الأَيَّامِ بِسُرْعَةٍ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ الإِنْسَانُ بِهَا.

---

١ – هُوَ: **أَبْرَهَةُ** بنُ الصَّبَّاحِ **الحَبَشِيُّ**، ويُلَقَّبُ **بالأَشْرَمِ** لشرم فِي شفته،مِنْ ملوك اليمن،بنى بصنعاء مَدِينَةً جَمِيلَةً بِهَا كَنِيسَةٌ سَمَّاهَا القَلِّيسَ لتحج إِلَيْهَا العَرَبُ بَدَلَ مَكَّةَ، وَذَهَبَ لِيَهْدِمَ الكعبة ومعه الفيلة فِي القصة المَذْكُورَةُ فِي القُرْآنِ. انْظُرْ:
الطَّبَرِيّ "**تَارِيخُهُ**" ١٣٢/٢ – ١٣٩؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَانِ**" ٣٩٤/٤ – ٣٩٦ .

٢ – ابْن زَيْدُونَ "**دِيوَانُهُ وَرَسَائِلُهُ**" ص٦٨٩ – ٦٩٠ .

٣ – **سُورَةُ الأَعْرَافِ**، آيَة ١٦٣ .

٤ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ١١٣/٧؛"**أَزْهَارُ الرِّيَاضِ**" ٢٣٤/١ .

٥ – هُوَ : أَبو عُمَرَ **أَحْمَدُ** بنُ مُحَمَّد **ابنُ دَرَّاجٍ القَسْطَلِّيّ** (بفتح القاف وسكون المهملة وفتح الطاء وتشديد اللام نسبة إلى قَسْطَلَّةَ مدينة بالأندلس)، شاعر مَشْهُورٌ الأندلس، مولِدُهُ عامَ ٣٤٧هـ، قال فيه ابنُ حَزْمٍ لو لم يكن لنا من فحول الشُّعَرَاءِ إلا ابنُ دَرَّاجٍ لما تأخر عن شأو حبيب وَالمُتَنَبِّيّ، وكان من كتاب الإِنْشَاءِ أيام المنصور بن أبي عامر.
انْظُرْ: ابن الأَبَّار "**التَّكْمِلَة لِكِتَابِ الصِّلَةِ**" ١٦٣/١؛ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**"٢١٧/٣ .

٦ – ابن دَرَّاجٍ القَسطَلِّيّ "**دِيوَانُهُ**" ص١٤٩ .

٧ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ١١٣/٧ .

وَلَمْ يَكُنْ تَأْثِيرُ **"السَّبْت"** خَاصًّا بأبياتٍ شِعْرِيَّةٍ أَوْ عِبَارَاتٍ أَدَبِيَّةٍ تُقَالَ هُنَا وهُنَاكَ فَحَسْب،بَلْ يُشِيرُ الطُرْطُوشِيُّ إِلَى أَنَّ المُسْلِمِينَ تَرَكُوا العَمَلَ يَوْمَ الجُمعَةِ تَقْلِيدًا للنَّصارَى الَّذِين يَتَوَقَّفُونَ عَنْهُ يَوْمَ الأَحَدِ،وَلليَهُودِ الذِينَ يَتْرُكُونَهُ يَوْمَ **"السَّبْت"**[١]،وأَكَّدَ الوَنْشَرِيسي وُجُودَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ بِقَوْلِهِ لِمَنِ اسْتَفْتَاهُ فِي تَرْكِ العَمَلِ يَوْمَ الجُمعَةِ:"وَإِيَّاكُمْ تَعْظِيمَ يَوْمِ الأَحَدِ وَالسَّبْتِ،وَتَرْكَ العَمَلِ فِيهِمَا وَفِي أَعْيَادِ النَّصَارَى،وَاعْمَلْنَ الأَيَّامَ كُلَّهَا وَيَوْمَ الجُمعَةِ حَتَّى يُنَادَى بِالصَّلاةِ"[٢].

٢- صَدَاقَتُهُم وَالتَّعَاوُنُ مَعَهُم.

أُشِيرَ فِي الكُتُبِ إِلَى صَدَاقاتٍ مَعَ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُس،فَكَانَ لابنِ حَزْمٍ صديقٌ يَهُودِيٌّ يتَرَدَّدُ عَلَى دُكَّانِهِ بالمَرِيَّةِ[٣]ذَكَرَهُ فِي "طَوْقِ الحَمَامَةِ"[٤]وَ"الفِصَلِ"[٥].وَلازَمَ ابنَ بَاجَةَ(ت:٥٢٣هـ)[٦] اليَهُودِيُّ ابنُ شَمْعُونَ القُرْطُبِيُّ[٧]مِنْ عُلَمَاءِ المُوسِيقَى[٨].وَيُرْوَى أَنَّهُ شُوهِدَ يَوْمَ وَفَاةِ الفَقِيهِ عُبَيْدِ اللهِ بنِ يَحْيَى(ت: ٢٩٨هـ)[٩]نفرٌ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ جُمْلَةِ البَاكِينَ عَلَيْهِ[١٠]،وَلا يَبْكِي الرَّجُلَ إلا مَنْ خَالَطَهُ وَتَعَامَلَ مَعَهُ وَتَأَثَّرَ لِمَا ضَاعَ بِمَوْتِهِ .

وَتَتَنَاقَلُ المَصَادِرُ قِصَّةَ صَدَاقَةٍ بَيْنَ المُسْلِمِينَ واليَهُودِ نَدُرَ وُجُودُ أَمثالِهَا بينَ المُسْلِمِينَ أَنْفُسِهِم؛ فَعِنْدَمَا أَوْقَعَ الحَكَمُ الرَّبَضِيُّ(١٨٠-٢٠٦هـ) بِالفُقَهَاءِ فِي قُرْطُبَةَ،وَقَضَى عَلَى ثَوْرَتِهِمْ،وَأَمَرَ بِتَغْرِيبِ

---

١ – أَبُو بَكْر الطُرْطُوشِيّ **"الحَوَادِثُ وَالبِدَعُ"** ص ٣٧

٢ – الوَنْشَرِيسي**"المِعْيَار المُعْرِب"**١٥٢/١١ .

٣ – **المَرِيَّة:** بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء، مدينةٌ أَنْدَلُسِيَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ كورةِ إِلْبِيرَةَ فِي الأَنْدَلُسِ وكَانَتْ هي وبجانة بابي الشرق.

انْظُرْ :الإِدْرِيسِيّ**"نُزْهَةُ المُشْتَاقِ"**٥٦٢/٢-٥٦٣ ؛يَاقُوت الحَمَوِيّ**"مُعْجَم البُلْدَان"**١١٩/٥-١٢٠ ؛الحِمْيَرِيّ**"الرَّوْض المِعْطَار"**ص٥٣٧-٥٣٨.

٤ – انْظُرْ: ابْن حَزْمٍ **"رَسَائِلُهُ"** ١١٤/١ ؛ **"طَوْق الحَمَامَةِ"**ص ١٩ .

٥ – انْظُرْ: ابْن حَزْمٍ **"الفِصَل فِي المِلَلِ وَالأَهْوَاءِ وَالنِّحَلِ"** ١٣٥/١ .

٦ – هُوَ فيلسوف الأَنْدَلُسِ: **أَبُو بكر** مُحَمَّدٌ بن يَحْيَى(الحَسَنِ عِنْدَ ابنِ سَعِيدٍ) الصائغ المعروف **بابن بَاجَةَ** التُّجِيبِيُّ،كَانَ إِمَامًا فِي الألحان والطب،قَالَ ابن أَبِي أصيبعة أَنَّهُ بلي بمحن كَثِيرَةٍ وشناعات مِنَ العوام وقصدوا هلاكه مرات.وأطنب فِي الثناء عَلَيْهِ صاحب "المُسْهِب"، استوزره أَبُو بكر بن تيفلويت ملك سَرَقُسْطَةَ،واكثر ابن بَاجَةَ مِنْ رثائه وغنى بِهَا فِي أَلحانٍ مُبْكِيَةٍ،وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ تَلاميذ ابن بَاجَةَ كَذَلِكَ القاضي أَبُو الوليد مُحَمَّدٌ بن رشد وتُوُفِّيَ ابنُ بَاجَةَ شابًا مَسْمُومًا بمَدِينَةِ فاس ٥٢٣هـ ودفن بِهَا وترك مؤلفات عديدة.

انْظُرْ: ابن سَعِيد **"المُغْرِب"** ١١٩/٢؛ابن أَبِي أُصَيْبِعَة**"عُيُونُ الأَنْبَاءِ"** ٥١٥/١- ٥١٧؛ ابن خَلْدُونَ**"المُقَدِّمَة"**ص ٤٨٥ ؛ المَقَّرِيّ **"نَفْح الطِّيبِ"** ٣٣٤/٤ ، ٢٣٣/٩، ٢٤٣- ٢٥٦ .

٧ – سَتَرِدُ تَرْجَمَة لَهُ فِي مَتْنِ البَحْثِ: ص ٢٢٨ .

٨ – انْظُرْ: ابن سَعِيد **"المُغْرِب"** ١٢٧/١ .

٩– هُوَ الفقيه:**عبيد الله بن يَحْيَى** بن يَحْيَى الأَنْدَلُسِي **القرطبي.** طال عمره،وتنافس العُلَمَاءُ فِي الأخذ عنه،وَكَانَ كبير القَدْرِ عاقلاً عظيم الجاه والمال كثير الصدقات والإحسان كامل المروءة مُقَدَّمًا فِي الشورى،تُوُفِّيَ سَنَةَ ٢٩٨هـ وكَانَتْ جنازته مشهودة.وقِيلَ: إنه شوهد يوم موته البواكي عَلَيْهِ مِنْ كل ضرب حَتَّى اليهود والنَّصَارَى وَمَا شوهد قط مثل جنازته ولا سمع بالأَنْدَلُسِ بمثلها.

انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ **"الذَّخِيرَة"** ق١،م٦٩١/٢-٧٢٩؛ الذَّهَبِيّ**"سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ"**٥٣١/١٣ – ٥٣٢ .

١٠ – الذَّهَبِيّ **"سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ"**٥٣٣/١٣ .

مَنْ بَقِي مِنْهُمْ،عَزَّ عَلَى الفَقِيهِ طَالُوتَ[١] أَنْ يَتْرُكَ بَلَدَهُ،فَاختَفَى عِنْدَ صَدِيقٍ يَهُودِيٍّ لَهُ مُدَّةَ سَنَةٍ كَامِلَةٍ، وَاليَهُودِيُّ فِي ذَلِكَ يُكْرِمُهُ أَبْلَغَ الكَرَمِ وَيُعَظِّمُهُ أَشَدَّ التَّعْظِيمِ،وَطَالَ عَلَيْهِ الكَوْنُ عِنْدَ اليَهُودِيِّ حَتَّى سَكَنَتِ الأَحْوَالُ.فَقَصَدَ أَحَدَ وُزَرَاءِ الحَكَمِ يَطْلُبُ الأمانَ وَالمُساعَدَةَ،فَخَانَهُ وَسَلَّمَهُ إِلَى الحَكَمِ،وَحِينَ عَلِمَ الحَكَمُ بِقِصَّتِهِ مَعَ اليَهُودِيِّ عَيَّرَ وَزِيرَهُ بِقَوْلِهِ:"إِنَّ رَجُلاً مِنَ اليَهُودِ حَفِظَ فِيهِ مَحَلَّهُ مِنَ الدِّينِ وَالعلمِ،وَخَاطَرَ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ مِنْ أَجلِهِ،وَغَدَرْتَ بِهِ إِذْ قَصَدَكَ وَخَفَرْتَ ذِمَّتَهُ". وَعَزَلَهُ مِنْ مَنْصِبِهِ،وَكَتَبَ لِليَهُودِيِّ كِتَابًا وَزَادَ فِي إِحْسَانِهِ،فَلَمَّا رَأَى اليَهُودِيُّ ذَلِكَ أَسْلَمَ[٢]. وهَذِهِ القِصَّةُ تُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ وَصَلَ الحَالُ أَحْيَانًا أَنْ يكُونَ اليَهُودِيُّ آمِنًا عَلَى حَيَاتِهِ بَيْنَمَا المُسْلِمُ مُطَارَدٌ مُلاحَقٌ؛وَحِينَ فَرَّ أَحَدُ أُمَرَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ بَعْدَ ثَوْرَةِ ابنِ الحَاجِ قَاضِي الجَمَاعَةِ بِقُرْطُبَةَ،قَالَ لِغُلامِهِ:"إِذَا سُئِلْتَ عَنِّي فَقُلْ إِنَّهُ مِنَ اليَهُودِ فَإِنَّهُ أَمْشَى لِحَالِنَا"[٣].

وَوَصَلَ التَّعَاوُنُ بَيْنَهُم والاختلاطُ بِهِمْ إِلَى أَنْ يَخْدِمَ المُسْلِمُ اليَهُودِيَّ؛فَوَرَدَ عِنْدَ ابنِ سَهْلٍ فِي وَثَائِقِهِ أَنَّ غُلامًا يَزْعُمُ أَنَّهُ حُرٌّ،وَأَنَّهُ يُكْرَهُ عَلَى اليَهُودِيَّةِ،وَادَّعَى يَهُودِيٌّ أَنَّهُ مَمْلُوكُهُ[٤].

٣- مَحْظُوراتٌ اجْتِماعِيَّةٌ عَلَيْهِم .

مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ لا يَعْنِي أَنَّ اليَهُودَ كَانُوا فِي حُرِّيَّةٍ تَامَّةٍ فِي تَعَامُلِهِم مَعَ المُسْلِمِينَ؛وَجَمَعَ عِصْمَت دَنْدَش بَعْضًا مِنْ هَذِهِ المَحْظُوراتِ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ،وَمِنْهَا: أَنْ لا يَذْبَحَ يَهُودِيٌّ لِمُسْلِمٍ، وَأَنْ لا يُبَاعَ مِنَ اليَهُودِ وَلا مِنَ النَّصَارَى كِتَابُ عِلْمٍ إِلا مَا كَانَ مِنْ شَرِيعَتِهِمْ،لأَنَّ أَهْلَ الذِّمَّةِ غَيْرُ أُمَنَاء فِي نَقْلِ العُلُومِ،وَكَانَ يُشَكُّ فِي نَصِيحَتِهِمُ الخَالِصَةِ لِمَرْضَاهُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ،فَقَالَ:لا يُتْرَكُ طَبِيبٌ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ يَجْلِسُ لِيُطَبِّبَ المُسْلِمِينَ،فَإِنَّهُمْ لا يَرَوْنَ نَصِيحَةَ مُسْلِمٍ إِلا أَنْ يُطَبِّبُوا أَهْلَ ذِمَّتِهِمْ[٥].وَفِي الحَمَّامَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِي الغَالِبِ تَابِعَةً لِلدَّوْلَةِ أَوِ المَسَاجِدِ أَوِ الأَحْبَاسِ كَانَ يُمْنَعُ أَنْ يَحُكَّ "الحَكَّاكُ" المُسْلِمُ جِسْمَ المُسْتَحِمِّ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا[٦].

---

١ – هُوَ: **طالوت** بن عبد الجبار **المَعَافِرِي**، دخل مِصْرَ،وَحج،وَلقي مالك بن أنس،وَعاد إِلَى قُرْطُبَةَ،وَكَانَ مِمَّنِ خرج عَلَى الحَكَمِ مِنْ أَهْلِ ربض شقندة . انْظُرْ: ابن القوطية"**تَارِيخُ افْتِتَاحِ الأَنْدَلُسِ**"ص ٧٠- ٧١؛ عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص٢١-٢٢؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٣٩/١؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" ٢٥٨/٨؛المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٣٨٢/٣ .

٢ – انْظُرْ: ابن القوطية"**تَارِيخُ افْتِتَاحِ الأَنْدَلُسِ**"ص ٧٠- ٧١؛ عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"٢٢؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٣٩/١؛ الذَّهَبِيّ "**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" ٢٥٨/٨؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٣٨٢/٣ .

٣ – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٦١/١ .

٤ – عيسى أَبُو الأَصْبَغ ابن سَهْلٍ "**وَثَائِقُ فِي أحْكَامِ قَضَاءِ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ**" ص٢٢،٤٧، ٥٣ [الوَثَائِق رَقَم:٢٣٧، ٣٧٤] .

٥ – انْظُرْ: عِصْمَت دَنْدَش "**الأَنْدَلُسُ فِي نِهَايَةِ المُرَابِطِينَ وَمُسْتَهَلِّ المُوَحِّدِينَ**" ص ٢٥٧ .

٦ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ص ٣٢٣ .

المَبْحَثُ الثالثُ: **الحَياةُ الاقْتِصَادِيَّةُ لِليَهُودِ** فِي الأَنْدَلُسِ .

أَثْبَتَتِ المَصَادِرُ مُشَارَكَةَ اليَهُودِ لِلمُسْلِمِينَ فِي كَثِيرٍ مِنَ المُعامَلاتِ الماليةِ؛فَسُئِلَ عن مُعَامَلَةِ اليَهُودِ مَعَ العِلْمِ بِأَنَّ جَمِيعَهَا أَوْ غَالِبَهَا عَلَى وَجْهِ الرِّبَا[١] . وَسُئِلَ إِنْ كَانَتْ تَجُوزُ مُعَامَلَةُ اليُهُودِ بِالبَيْعِ وَالشِّرَاءِ مِنْهُمْ وَالاسْتِدَانَةِ أَمْ لا[٢]،وَسُئِلَ عَمَّنْ يَبِيعُ اليُهُودَ الطَّرِيفَ؟ وَكَانَ الجَوابُ:بَيْعُ الطَّرِيفِ[٣]لَيْسَ بِحَرَامٍ عِنْدَ المُسْلِمِينَ وَإِنْ كَانَ عِنْدَ اليَهُودِ عَيْبًا لأَنَّ اللهَ لَمْ يُحَرِّمْهُ[٤]،وَسُئِلَ عَنِ المُصْطَارِ[٥]فَأُجِيبَ بِأَنَّ شُرْبَهُ حَلالٌ وَبَيْعَهُ حَرَامٌ،فَتَعَجَّبَ السَّائِلُ كَيْفَ يَحِلُّ شُرْبُهُ وَلا يَحِلُّ بَيْعُهُ؟ وَقِيلَ:بَيْعُهُ حَلالٌ إلا مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ[٦]وَغَيْرُ هَذَا كَثِيرٌ.

وَلَخَّصَ البحْثُ دَوْرَ اليَهُودِ فِي النِّظَامِ الاقْتِصَادِيِّ فِي الأَنْدَلُسِ فِيمَا يلي :

أَوَّلاً :- بُعْدُهُمْ عَنِ الزِّرَاعَةِ وَالصِّنَاعَةِ .

ابتَعَدَ اليَهُودُ عَنِ الزِّراعَةِ فِي الأَنْدَلُسِ،ويُعَلِّلُ وِل دِيوْرَانت بُعْدَهُمْ هَذَا بِقَوْلِهِ إِنَّهُم كَانُوا يمتَلِكُونَ أَراضِيَ وَاسِعَةً فِي بلادِ الأَنْدَلُسِ أو إِسْبَانِيَا النَّصْرَانِيَّةِ،إلا أَنَّ الشريعَةَ اليهوديَّةَ حَرَّمَتِ اسْتِئجَارَ أَرِقَّاءَ مِنَ اليَهُودِ،وَالشَّرِيعَةُ النَّصْرَانِيَّةُ حَرَّمَتْ عَلَى اليَهُودِيِّ اسْتِئجَارَ أَرِقَّاءَ نَصَارَى،فَلَمْ يكُنْ أمامَهُ إلا أَنْ يَفْلَحَ أَرضَهُ فِي اسْتِئْجَارِ عُمَّالٍ أَحْرَارٍ يَصْعُبُ الحُصُولُ عَلَيْهِمْ،ويتَطَلَّبُ الاحْتِفاظُ بِهِمْ نَفَقَاتٍ طائِلَةً،كَمَا أَنَّ الشريعَةَ تُحَرِّمُ عَلَيْهِ العَمَلَ يَوْمَ السَّبْتِ،وَالنَّصْرَانِيَّةُ تُحَرِّمُ عَلَيْهِ يومَ الأَحَدِ، لِذَا ابْتَعَدَ عَنِ الزِّراعَةِ[٧]،وَيَقُولُ إِسْرَائِيل شَاحَاك:إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فَلاحُونَ فِي المُجْتَمَعِ اليَهُودِيِّ الكلاسِيكِيِّ،وَلَمْ تَكُنْ أَقَلِّيَّةً فَلاحِيَّةً؛فاليَهُودُ خِلالَ هَذِهِ الفَتْرَةِ،كَانُوا يُشَكِّلُونَ جُزْءًا لا يَتَجَزَّأُ مِنَ الطَّبَقَاتِ صَاحِبَةِ الامْتِيَازَاتِ. وَالتَّارِيخُ اليَهُودِيُّ،وَلا سِيَّمَا التَّارِيخُ المُدَوَّنُ بِاللُّغَةِ الإِنْكلِيزِيَّةِ تَارِيخٌ مُضَلِّلٌ حَوْلَ هَذِهِ النُّقْطَةِ نَظَرًا لِمَيْلِهِ إِلَى التَّرْكِيزِ عَلَى الفَقْرِ اليَهُودِيِّ وَالتَّمْيِيزِ المُنَاهِضِ لِليَهُودِ.فَوَظِيفَتُهُم الاجْتِمَاعِيَّةُ الكُبْرَى هُنَاكَ أَنَّهُم هَمْزَةُ الوَصْلِ أَوِ الوَسَاطَةُ لِقَمْعِ الفَلاحِينَ بِاسْمِ الطَّبَقَةِ الحَاكِمَةِ [النُّبَلاءِ وَالتَّاجِ][٨].وَوَصَفَهُم عَبْدُ الوَهَّابِ المَسِّيرِيُّ بِأَنَّهُمْ كَانُوا طَبَقَةً وَسَطِيَّةً إِسْفَنْجِيَّةً يَقُومُونَ بِدَوْرِ الإِسْفَنْجَةِ التِي تَعْمَلُ ضِدَّ إِرَادَتِهَا فَهُمْ يَمْتَصُّونَ ثَرْوَةَ الأَرْضِ وَالشَّعْبِ،ثُمَّ يَقُومُ الحُكَّامُ بِالضَّغْطِ عَلَيْهِمْ لِيَأْخُذُوا ثَرْوَاتِهِم.فَكَانَ اليَهُودِيُّ

---

١ – انْظُرْ : الوَنْشَرِيسي"**المِعْيار المُعْرِب**" ٤٣٣/٦ .

٢ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٢٤٤/٥ .

٣ – الطَّرِيفُ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ نَوْعًا مِنَ الأَرْدِيَةِ، أَوْ نَوْعًا مِنَ الكَلأ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [طرف] ٢٢٠/٩ .

٤ – انْظُرْ : الوَنْشَرِيسي"**المِعْيار المُعْرِب**" ٢٥٠/٥ .

٥ – المُصْطار :مَا اعْتُصِرَ مِنْ أَبْكارِ العِنَبِ حَدِيثًا، وهو مِنْ أَسماء الخمر. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**"[صطر] ٤٥٥/٤ .

٦ – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي "**المِعْيار المُعْرِب**"٩٢/١١ .

٧ – وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ٥٩/١٤– ٦٠ .

٨ – إِسْرَائِيل شَاحَاك "**الدِّيَانَةُ اليَهُودِيَّةُ وَتَارِيخُ اليَهُود؛ وَطْأَةُ ٣٠٠٠عَامٍ**" ص ٩٨ .

عُنْصُرًا طَيِّعًا أَمِينًا،مُلْتَصِقًا تَمَامًا بِالطَبَقَةِ المُسْتَغِلَّةِ الحَاكِمَةِ،غَرِيبًا مَنْبُوذًا مِنَ الجَمَاهِيرِ،مَدِينًا بِوُجُودِهِ وَبِأَمْنِهِ لِلحَاكِمِ المُسْتَغِلِّ،لِذَا كَانَ اليَهُودُ لا يَطْمَحُونَ إِلَى المُشَارَكَةِ فِي السُّلْطَةِ مِمَّا زَادَ مِنَ اطْمِئْنَانِ الطَّبَقَةِ الحَاكِمَةِ إِلَيْهِم (١).فَكَانَتِ اليَهُودِيَّةُ فِي كُلِّ مَكَانٍ تُنَمِّي الكَرَاهِيَّةَ وَالازْدِرَاءَ لِلزِّرَاعَةِ وَلِلفَلاحِينَ، بِشَكْلٍ يَفُوقُ مَا تُنَمِّيهِ مِنْ كَرَاهِيَّةٍ لِلأَغْيَارِ (٢) وَهَكَذَا كَانَ الحَالُ مَعَ يَهُودِ الأَنْدَلُسِ .

وَرَكَّزَ اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ اهتِمامَهَم عَلَى الاحْتِفاظِ بِالمَالِ عَلَى شَكْلِ سُيُولَةٍ فَوْرِيَّةٍ بَعْدَ أَنِ استَبْعَدُوا اسْتِثْمَارَهَا فِي العَقَارَاتِ أَوِ الزِّرَاعَةِ أَوِ الصِّنَاعَةِ لأَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الاسْتِثْمَارِ يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِقْرَارٍ لَمْ يَكُنْ مُتَوَفِّرًا لَهُمْ مِنَ النَّاحِيَتَيْنِ السِّيَاسِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ؛فَقَدْ وَجَدُوا أَنْفُسَهُم فِي بِيئَةٍ مُعادِيَةٍ مُعَرَّضِينَ لأَنْ يُتْلِفَ عُنْفُ الجَمَاهِيرِ أَمْلاكَهُم الثَابِتَةَ أو أَنْ يُصَادِرَهَا المُلُوكُ الجَشِعُونَ،فأَرْغَمَتْهُم هَذِهِ الظُّرُوفُ أَنْ يَجْعَلُوا مُدَّخَرَاتِهِم مِنَ النَّوْعِ السَّائِلِ المُتَحَرِّكِ (٣)،فَكَانَ المَالُ السِّلْعَةَ الرَّئِيسَةَ التِي تَعَامَلَ بِهَا اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ،فَاشْتِغَالُ اليَهُودِ بِالمَالِ كَمَا يَرَى عَادِل بشتاوي كَانَ النِّقْمَةَ وَالنِّعْمَةَ فِي آنٍ وَاحِدٍ؛ فَالتَّنَقُّلُ المُسْتَمِرُّ وَالقَلَقُ الدَّائِمُ وَغُمُوضُ المُسْتَقْبَلِ عَوَامِلُ أَدَّتْ مَعَ غَيْرِهَا إِلَى احْتِفَاظِ اليَهُودِيِّ بِمَالِهِ (٤)،وأَدَّى إِلَى ابتِعادِهِ عَنِ الزِّرَاعَةِ أَوِ الصِّنَاعَةِ .

ثَانِيًا :- نَشَاطُهُمْ فِي التِّجَارَةِ .

يَرَى عَبْدُ الوَهَّابِ المَسِّيرِيِّ أَنَّ كَلِمَةَ "يَهُودِيٍّ" قَدِيمًا كَانَتْ مُرَادِفَةً لِكَلِمَةِ "تَاجِرٍ"،وَبَعْدَ القَرْنِ الحَادِي عَشَرَ المِيلادِيِّ أَصْبَحَتْ كَلِمَةُ "يَهُودِيٍّ" مُرَادِفَةً لِكَلِمَةِ "مُرَابِيّ".حَتَّى إِنَّ اللغَاتِ الأَوْرُوبِيَّةَ لَمْ تَتَخَلَّصْ تَمَامًا مِنَ التَّضْمِينَاتِ التِي كَانَتْ تُحمِّل كَلِمَةَ "يَهُودِيٍّ" مَعْنَى قَدْحِيًّا مِثْلَ "بَخِيلٍ" أَوْ "غَيْرِ شَرِيفٍ" أَوْ "عَبْدٍ لِلمَالِ" وَغَيْرِ ذَلِكَ،وَفِي اللُّغَةِ الإِنْجِلِيزِيَّةِ ارْتَبَطَتِ الكَلِمَةُ بِيَهُوذَا Judas الإِسْقَرْيُوطِيِّ الذِي بَاعَ المَسِيحَ بِحَفْنَةِ قِطَعٍ مِنَ الفِضَّةِ(٥) .

وَوَصَلَ اليَهُودُ إِلَى مَكَانَةٍ عَالِيَةٍ فِي الأَنْدَلُسِ،فَعَمِلُوا فِي الوَظَائِفِ الإِدَارِيّةِ والمَالِيَّةِ،فَكَانَ بَعْضُهُم يَعْمَلُ فِي وَظِيفَةِ يَهُودِ البَلاطِ،وَاشْتَغَلُوا بِالتِّجَارَةِ المَحَلِّيَّةِ وَالدَّوْلِيَّةِ التِي كَانَتْ تَصِلُ حَتَّى حُدُود الصِّينِ أَوْ كَانَتْ تَدْخُلُ إِلَى أَوْرُوبَّا،وَاحْتَكَرُوا بَعْضَ أَنْوَاعِ التِّجَارَةِ مِثْلَ تِجَارَةِ العَبِيدِ،وَمِنْهُمُ الصَّقَالِبَةُ،وَبَسَبَبِ احْتِكَارِ اليَهُودِ التِّجَارَةَ عَلَى شَوَاطِيءِ الأَنْدَلُسِ وَالمَغْرِبِ العَرَبِيِّ،جَاءتْ رِسَالَةُ

---

١ – انْظُرْ : عبد الوَهَّاب المَسِّيرِيّ"**الصَّهْيُونِيَّة الحَاضِرُ وَالمُسْتَقْبَلُ**" ٧٦/٣– ٧٧؛ السَّيِّد عَبْد العَزِيز سَالِم "**قُرْطُبَةُ حَاضِرَةُ الخِلافَةِ فِي الأَنْدَلُسِ**" ص ٣١ .

٢ – إِسْرَائِيل شَاحَاك "**الدِّيَانَةُ اليَهُودِيَّةُ وَتَارِيخُ اليَهُود؛ وَطْأَةُ ٣٠٠٠عَام**" ص ٩٨ .

٣ – انْظُرْ : وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ٦٢/١٤ .

٤ – انْظُرْ : عَادل سعيد بشتاوي"**الأَنْدَلُسِيُّونَ المَوَارِكَةُ**" ص٢٠٩ .

٥ – انْظُرْ: عبد الوَهَّاب المَسِّيرِيّ" **مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" ٢/ ٢٥٥ .

المَغِيلِيّ(ت:٩٠٩هـ)[١] فِي اليَهُودِ بِعُنْوَانِ "مِصْبَاحِ الأَرْوَاحِ فِي أُصُولِ الفَلاحِ" التِي حَرَّضَ فِيهَا عَلَى اسْتِبَاحَةِ دِمَاءِ اليَهُودِ وَأَمْوَالِهِمْ وَهَدْمِ كَنَائِسِهِمْ،وَهَجَمَ أَتْبَاعُهُ عَلَى البِيَعِ،فَهَدَمُوهَا،وَلَمْ تَكُنْ الرِّسَالَةُ رُؤْيَةً فِقْهِيَّةً بَحْتَةً،بَلْ كَانَتْ رُؤْيَةً اجْتِمَاعِيَّةً اقْتِصَادِيَّةً تُعْطِي فِكْرَةً عَنْ وَضْعِ اليَهُودِ الاقْتِصَادِيّ فِي المَغْرِبِ وَالأَنْدَلُسِ؛فَقَدْ كَتَبَهَا المَغِيلِيُّ حِينَ رَأَى سَطْوَةَ اليَهُودِ وَنُفُوذَهُم المَادِّيّ النَّاتِج عَنِ امْتِهَانِهِمُ التِّجَارَة،وَخِدْمَتِهِمْ أَرْبَابَ الشَّوْكَةِ مِنَ السُّلْطَانِ.وَشَاهَدَ تَصَرُّفَاتِ اليَهُودِ كَجَالِيَةٍ مُسْتَعْلِيَةٍ فِي بِلادٍ إِسْلامِيَّةٍ،وَرَأَى تَسَاهُلَ المُسْلِمِينَ مَعَهُمْ،حَتَّى إِنَّهُم كَانُوا يُقَرِّبُونَهُمْ مِنَ النَّفْسِ وَالعِيَالِ،وَرَأَى مِنَ اليَهُودِ تَجَاوُزًا لِلحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ بِشِرَاءِ ذِمَمِ الحُكَّامِ،فَأَعْلَنَ أَنْ لا ذِمَّةَ لَهُمْ،فَلا تَكُونُ لَهُمُ الذِّمَّةُ الشَّرْعِيَّةُ إِلا مَعَ إِعْطَاءِ الجِزْيَةِ وَهُمْ صَاغِرُونَ[٢] إلا أَنَّهُ لا صَغَارَ لَهُمْ لِمَا لَهُمْ مِنَ اتِّصَالٍ بِأَرْبَابِ الشَّوْكَةِ،فَهُمْ يَخْدِمُونَ السُّلْطَانَ أَوْ يَخْدِمُهُمْ،وَتِجَارَتُهُمْ لا تَبُورُ،وَضَايَقُوا تُجَّارَ المُسْلِمِينَ،فِي وَقْتٍ اشْتَكَتْ فِيهِ التِّجَارَةُ مِنَ الإِقْلالِ،بَلْ أَصْبَحَ لِليَهُودِ مِنَ الحُرْمَةِ وَالجَاهِ أَكْثَرَ مِمَّا لِلْمُسْلِمِينَ[٣].وَلا أَرَى فَرْقًا كَبِيرًا فِيمَا قَالَ المَغِيلِيُّ عَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ حَالُ الأَنْدَلُسِ.

١ـ التِّجَارَةُ الدَّاخِلِيَّةُ وَالخَارِجِيَّةُ.

وكَانَتْ تِجَارَةُ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ عَلَى نَوْعَينِ دَاخِلِيَّةٍ ودَوْلِيَّةٍ:الدَّاخِلِيَّةُ كَانَتْ بِدَائِيَّةً هَامِشِيَّةً، فَيَرَى السَّيِّد سَالِم أَنَّهَا كَانَتْ تَنْشَأُ حَاجَةٌ لِبَعْضِ السِّلَعِ كَالتَّوابِلِ وَالذَّهَبِ،فَيَقُومُ التَّاجِرُ اليَهُودِيُّ بِتَوْرِيدِهَا وَسَدِّ الحَاجَةِ التِي تَنْشَأُ إِلَيْهَا،فَلَمْ يَكُنْ سِوَى "وَسِيطٍ"،لِذَا يُمْكِنُ اعْتِبَارُهَا "هَامِشِيَّةً" لأَنَّهَا لَمْ تَلْعَبْ أَيَّ دَوْرٍ فِي حَرَكَةِ الإِنْتَاجِ وَإِنَّمَا ظَلَّتْ عَلَى هَامِشِهَا[٤].

وَأَصْبَحَ اليَهُودُ مُنْذُ القَرْنِ الخَامِسِ المِيلادِيّ تُجَّارًا دَوْلِيِّينَ وَمَحَلِّيِّينَ وَازْدَادَتْ أَهَمِّيَّتُهُمْ مَعَ الفَتْحِ الإِسْلامِيِّ.فَأَصْبَحَ اليَهُودِيُّ المُتَجَوِّلُ مَعْرُوفًا فِي كُلِّ مَدِينَةٍ وَبَلْدَةٍ وَفِي كُلِّ سُوقٍ وَمَوْلِدٍ[٥]،حَتَّى فِي البَادِيَةِ؛فَسُئِلَ فِي "المِعْيَار" إِنْ كَانَتْ تُؤْخَذُ الجِزْيَةُ عَنْ يَهُودٍ سَكَنُوا البَادِيَةَ يَتْجِرُونَ فِي أَنْوَاعِ

---

١ – هُوَ الفقيه: أَبُو عبد الله مُحَمَّدٌ بن عبد الكريم **المَغِيلِيّ** التِّلِمْسَانِيّ،كان عَالِمًا فَاضِلاً شديد الشكيمة فِي الأمر بالمعروف والنهي عَنْ المنكر، بدأ دراسته بتِلِمْسانَ،ثُمَّ غادرها إِلَى توات بالصحراء الكبرى، اشتد فِي مطاردة اليَهُود بفاس إِلَى أن قتلوا وَلَدَهُ عَبْدَ الجَبَّارِ فحزن عَلَيْهِ كَثِيرًا إِلَى ان تُوُفِّيَ بتوات سَنَةَ ٩٠٩هـ. انْظُرْ: مُصْطَفَى القُسْطَنْطِينِيّ "**كَشْف الظُّنُونِ**"١/٨٤٥؛ عَطَا رَيَّه"**اليَهُود فِي بِلادِ المَغْرِبِ الأَقْصَى**"ص ١٦٩[الحَاشِيَة]؛ حِلْمِي حمدان أحمد "**بِصَدَدِ رِسَالَةِ المَغِيلِيّ فِي اليهود المَنْشُورَةِ تَحْتَ عُنْوَانِ مِصْبَاحِ الأَرْوَاحِ فِي أُصُولِ الفَلاحِ**"، مَجَلّة كُلِّيَّةِ الآدَاب بجامعة سيدي مُحَمَّدٍ بن عبد الله ،فاس،ع ٦ ،١٩٨٣م، ص ١٠٢ – ١٠٣ .

٢ – إشارَةٍ إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ **سُورَة التَّوْبَةِ**، آيَة ٢٩ .

٣ – انْظُرْ: حِلْمِي حمدان أحمد""**بِصَدَدِ رِسَالَةِ المَغِيلِيّ فِي اليهود المَنْشُورَةِ تَحْتَ عُنْوَانِ مِصْبَاحِ الأَرْوَاحِ فِي أُصُولِ الفَلاحِ**"، مَجَلّة كُلِّيَّةِ الآدَاب بجامعة سيدي مُحَمَّد بن عبد الله ،فاس،ع ٦،١٩٨٣ م، ص ١٠٤ – ١٠٦ .

٤ – انْظُرْ:السَّيِّد عَبْد العَزِيزِ سَالِم"**قُرْطُبَةُ حَاضِرَةُ الخِلافَةِ فِي الأَنْدَلُسِ**" ص١٩؛عبد الوَهَّاب المَسِّيرِيّ "**مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" ٢/٢٥٥ .

٥ – انْظُرْ: وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ١٤/٦١ .

المَتَاجِرِ وَتَطُولُ إِقَامَتُهُمْ فِي البَادِيَةِ[١] .وَكَانَتِ الدُّوَلُ الأَوْرُوبِيَّةُ التِي تُرِيدُ إِنْعَاشَ حَرَكَةِ التِّجَارَةِ فِيهَا تُرْسِلُ فِي طَلَبِ بَعْضِ اليَهُودِ وَتُوَطِّنُهُم كَيْ يُنَشِّطُوا الحَرَكَةَ التِّجَارِيَّةَ التِي يَعْجَزُ المُجْتَمَعُ الزِّرَاعِيُّ الجَامِدُ التَّقْلِيدِيُّ عَنِ القِيَامِ بِهَا.وَلِذَا كَانَ يُنَصُّ فِي المُعَاهَدَاتِ أَحْيَانًا عَلَى تَبَادُلِ اليَهُودِ، كَمَا كَانَ المُلُوكُ يُحَاوِلُونَ الحِفَاظَ عَلَى اليَهُودِ ضِمْنَ اهْتِمَامِهِمْ بِالتِّجَارَةِ[٢] .

وَلَعِبَ يَهُودُ الأَنْدَلُسِ دَوْرًا هَامًّا فِي التِّجَارَةِ الخَارِجِيَّةِ وَتَخَصَّصُوا فِيهَا[٣]،ويُعَلِّلُ وِل دِيوْرَانت نَجَاحَهُم فِيهَا لِمَهَارَتِهِم فِي تَعَلُّمِ اللغاتِ،وقُدْرَةِ الجَمَاعَاتِ اليَهُودِيَّةِ البَعِيدَةِ عَلَى فَهْمِ لغَةِ العِبرِيَّةِ، يُضَافُ إِلَى هَذَا تَشَابُهُ عاداتِ اليَهُودِ وَقوَانِينِهِم،كَمَا أَنَّ اسْتِقْلالَ الحَيِّ اليَهُودِيِّ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ جَعَلَ الأمرَ سَهْلاً عَلَى أيِّ يهودِيٍّ غَرِيبٍ أَنْ يجدَ مَنْ يفهَمَهُ،وَيَسْتَدِلُّ وِل دِيوْرَانت عَلَى هَذَا بِبِنْيَامِينَ التُّطَيْلِيِّ(ت:٥٦٩هـ) الذي اسْتَطَاعَ أَنْ يجتازَ نصفَ العالَمِ وَأَنْ يَجِدَ لَهُ مَوْطِنًا أَيْنَمَا حَلَّ[٤] .

وَوصَفَ ابنُ خرْدَاذْبَه مَسْلَكَ تُجَّارِ اليَهُودِ بِأَنَّهُم كَانُوا يُسَافِرُونَ بَرًّا وَبَحْرًا،يَجْلِبُونَ مِنَ المَغْرِبِ الخَدَمَ وَالجَوَارِي وَالغِلْمَانَ وَالدِّيبَاجَ وَجُلُودَ الخَزِّ وَالفِرَاءَ وَالسَّمُّورَ[٥] وَالسُّيُوفَ،يَصِلُونَ إِلَى القُلْزَمِ، ثُمَّ يَمْضُونَ إِلَى السِّنْدِ وَالهِنْدِ وَالصِّينِ فَيَحْمِلُونَ مِنَ الصِّينِ المِسْكَ وَالعُودَ وَالكَافُورَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُحْمَلُ مِنْ تِلْكَ النَّوَاحِي،حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى القُلْزَمِ،ثُمَّ يَحْمِلُونَهُ إِلَى بِلادِهِمْ وَهَكَذَا[٦] .وَتَرَى أوليفيا كونستبل أَنَّ مُدُنًا مِثْلَ المَرِيَّةِ وَإِشْبِيلِيَةَ وَمَالَقَةَ كَانَتْ تَقُومُ بِدَوْرِ مَخَازِنِ التَّصْرِيفِ التِّجَارِيَّةِ، فَيَقُومُ التُّجَّارُ فِيهَا بِأَعْمَالِ الاسْتِيرَادِ وَالتَّصْدِيرِ.وَقَدْ يَصِلُ تَاجِرٌ يَهُودِيٌّ مِنْ مِصْرَ بِحُمُولَةٍ مِنَ الكَتَّانِ وَاللُّؤْلُؤِ وَالمَغَرِ[٧]،وَمَعَهَا عُلْبَةٌ مِنَ الأَدْوِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ هَدِيَّةٌ لأُسْرَةِ شَرِيكِهِ،وَفِي عَوْدَتِهِ قَدْ يَحْمِلُ مَعَهُ الزَّعْفَرَانَ الأَنْدَلُسِيَّ وَالقِرْمِزَ وَالوَرَقَ لِيُتَاجِرَ بِهِ فِي الإِسْكَنْدَرِيَّةِ[٨] .

ولأَنَّ عَمَلِيَّاتِ التَّبَادُلِ التِّجَارِيِّ احتَاجَتْ إِلَى التَّنَقُّلِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ بِكَمِّيَّاتٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الأَمْوَالِ،وبِسَبَبِ مَخَاطِرِ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ وَلُصُوصِ القَوَافِلِ التِّجَارِيَّةِ اقْتَضَتِ الحَاجَةُ إِلَى إِيجَادِ وَسِيلَةٍ تَرْفَعُ هَذِهِ المَخَاطِرِ،فَكَانَتِ الحِوَالاتُ المَالِيَّةُ (السَّفَاتِجُ)[٩] التِي كَانَ يُذْكَرُ بِهَا المَبْلَغُ وَاسْمُ التَّاجِرِ

---

١ – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢/٢٥٣ .

٢ – انْظُرْ: عَبْد الوَهَّابِ المَسِّيرِيّ" **مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" ٢/٢٥٥ .

٣ – أوليفيا ريمي كونستبل "**التِّجَارَة وَالتُّجَّار فِي الأَنْدَلُسِ**" ص ١١٣ .

٤ – انْظُرْ: وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ١٤/٦١– ٦٢ ؛ أوليفيا ريمي كونستبل "**التِّجَارَة وَالتُّجَّار فِي الأَنْدَلُسِ**" ص ١١٣ .

٥ – السَّمُّور: دابة تسوَّى مِنْ جلودها فِرَاءٌ غاليةُ الأَثْمَانِ .   ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [سمر] ٤/٣٨٠ .

٦ – انْظُرْ: ابن خرْدَاذْبَه "**المَسَالِك وَالمَمَالِك**"ص ١٥٣–١٥٤ .

٧ – المَغَر: طِينٌ أَحمرُ يُصْبَغُ بِهِ .   ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [مغر] ٥/١٨١ .

٨ – انْظُر: أولِيفْيا ريمِي كُونْستِبِل"**التُّجَّارُ المُسْلِمُونَ فِي تِجَارَةِ الأَنْدَلُسِ الدَّوْلِيَّةِ**" تَرْجَمَة: عَبْد الوَاحِدِ لُؤْلُؤَة، بَحْثٌ في:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ ٢/ ١٠٦٣؛ "**التِّجَارَة وَالتُّجَّار فِي الأَنْدَلُسِ**" ص ١٢٢ .

٩ – السفاتج: جمع سفتجة، كلمة معربة، وهي إقراض لسقوط خطر الطريق.   الجُرجَاني"**التَّعْرِيفات**"ص ١٥٧ .

وَيُؤَرَّخُ لَهُ،وَخِلالَ مُدَّةٍ مَحْدُودَةٍ تُصْبِحُ قِيمَةُ السَّفْتَجَةِ وَاجِبَةَ الدَّفْعِ لِصَاحِبِهَا(١).وَكَانَ اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ مِمَّنْ نَشِطُوا فِي اسْتِعْمَالِ السَّفَاتِجِ المَالِيَّةِ مُقَابِلَ فَوَائِدَ مُحَدَّدَةٍ،فَلَقَدْ كَانَ لَهُمْ دورٌ مُهِمٌّ فِي إِقْرَاضِ التُّجَّارِ وَتَحْوِيلِ أَمْوَالِهِمْ مِنْ بَلَدٍ لآخَرَ نَظَرًا لِتَوَزُّعِ مَرَاكِزِهِم التِّجَارِيَّةِ فِي شَتَّى أَنْحَاءِ العَالَمِ،وَيَقُولُ عَبْدُ المُطَّلِبِ مَظْهَر: إِنَّنَا نَجِدُ بَعْضَ الإِشَارَاتِ وَالدَّلائِلِ التِي تُؤَكِّدُ هَذَا الدَّوْرَ وَتُعَزِّزُهُ رُغْمَ إِغْفَالِ المَصَادِرِ التَّارِيخِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ بَيَانَ هَذَا الدَّوْرِ لِليَهُودِ وَتَجَاهُلِهِمُ الحَدِيثَ عَنْهُ(٢).

٢- تِجَارَةُ العَبِيدِ وَالجَوَارِيّ .

لا تُحَرِّمُ الدِّيانَةُ اليَهُودِيَّةُ الرِّقَّ؛ففي العَهْدِ القَدِيمِ سَبْيٌ لِبَنِي مِدْيَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ "وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مِدْيَانَ وَأَطْفَالَهُم"(٣)،أَمَّا الأَجَانِبُ فَقَدْ أُبِيحَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَسْتَعْبِدُوهم "وَأَمَّا عَبِيدُكَ وَإِمَاؤُكَ الذِينَ يَكُونُونَ لَكَ فَمِنَ الشُّعُوبِ الذِينَ حَوْلَكُم،مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ،عَبِيدًا وَإِمَاءً،وَكَذَلِكَ مِنْ أَبْنَاءِ المُسْتَوْطِنِينَ النَّازِلِينَ عِنْدَكُم مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ ومِنْ عَشَائِرِهِمُ الذِينَ عِنْدَكُم الذِينَ يَلِدُونَهُم فِي أَرْضِكُم فَيَكُونُونَ مُلْكًا لَكُم،وتَسْتَمْلِكُونَهُم لأَبْنَائِكُم مِنْ بَعْدِكُم مِيرَاثَ مُلْكٍ،تَسْتَعْبِدونَهم إِلَى الدَّهْرِ؛وأَمَّا إِخْوانُكُم بَنُو إِسْرَائِيلَ فَلا يَتَسَلَّطْ إِنْسَانٌ عَلَى أَخِيهِ بِعُنْفٍ"(٤).

وَبَدَأَتْ قِصَّةُ اليَهُودِ مَعَ الرِّقِّ فِي الأَنْدَلُسِ بِاسْتِرْقاقِهِم حِينَ غَزَا أَشْبَانُ إِيلِيا فَاسْتَرَقَّ مِائَةَ أَلْفٍ مِنَ اليَهُودِ وَبَاعَ مِنْهُمْ مِائَةَ أَلْفٍ(٥).وَمَرَّتِ السَّنَوَاتُ فَأَصْبَحَ اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ مَشْهُورِينَ بِتِجَارَةِ الرِّقِّ وَخِصَائِهِم.وَأَصْبَحَ التُّجَّارُ اليَهُودُ مُسَيْطِرِينَ عَلَى تِجَارَةِ الرَّقِيقِ بِمُسَاعَدَةِ قَبَائِلِ الشَّمَالِ الذِينَ كَانُوا حُمَاةً لِتِلْكَ التِّجَارَةِ(٦).وَكَانَ اليَهُودُ مُهَيَّئِينَ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ للاضْطِلاعِ بِهَذِهِ الوَظِيفَةِ؛فَيَرَى المَسِّيرِيُّ أَنَّهُم كَانُوا جَمَاعَةً وَظِيفِيَّةً وَسِيطَةً يُمْكِنُهَا أَنْ تَعِيشَ بَيْنَ الفَرَاغَاتِ وَأَنْ تُدِيرَ هَذِهِ التِّجَارَةَ، كَمَا أَنَّ كَوْنَهُمْ يَهُودًا قَدْ زَوَّدَهُمْ بِالحِمَايَةِ فِي حَرَكَتِهِمُ الدَّائِبَةِ،فَاسْتَطَاعُوا أَنْ يَبِيعُوا عَبِيدًا نَصَارَى فِي العَالَمِ الإِسْلامِيِّ وَعَبِيدًا مُسْلِمِينَ فِي العَالَمِ النَّصْرَانِيِّ(٧).وَيَرَى ابنُ خُرْدَاذبَة أَنَّ أَغْلَبَ تُجَّارِ الرَّقِيقِ فِي أُوْرُوبَّا مِنَ اليَهُودِ وذَلِكَ لإِتْقَانِهِمْ عِدَّةَ لُغَاتٍ(٨)،كَمَا أَنَّ

---

١ – انْظُرْ: التنوخي "**الفرج بَعْدَ الشِّدَّة**" ٢٤٤/٤ .

٢ – انْظُرْ: عبد المطلب مَظْهَر "**أَهْلُ الذِّمَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ خِلالَ الحُكْمِ الأُمَوِيّ**"ص ١٠٧– ١٠٨ .

٣ – **التَّوْرَاة: سفر عدد** ٩/٣١ .

٤ – **التَّوْرَاة: سفر لاويين** ٤٤/٥ – ٤٦ .

٥ – انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**"ص ٢ .

٦ – انظُر: روبَرْت هيلِنْبرَاند "**زِينَةُ الدُّنْيَا:قُرْطُبَةُ القَرُوسْطِيَّةُ**" تَرْجَمَة: عَبْد الوَاحِدِ لُؤْلُؤَة، بَحْثٌ في:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ١/ ١٩٨ .

٧ – انْظُرْ: عبد الوَهَّاب المَسِّيرِيّ "**مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" ٢٧٧/٢ .

٨ – انْظُرْ: ابن خُرْدَاذبَة"**المسالك والممالك**" ص ١٥٣ .

اسْتِيرَادَ العَبِيدِ،كَمَا كَانَ يُسَمِّيهِ أَنْدرِيه مِيكِيل أَدَّى إِلَى إِنْعَاشِ التُّجَّارِ اليَهُودِ فِي إِسْبَانِيَا[١]،ويُعَلِّلُ آدَمُ مِيتْز تَسْهِيلَ هَذَا الأَمْرِ لَهُمْ أَنَّهُم كَانُوا يَدْفَعُونَ لِلحُكُومَاتِ ضَرَائِبَ ثَقِيلَةً أَثْنَاءَ نَقْلِهِمْ لِلرَّقِيقِ[٢]، وَيُعْطِي آدَمُ مِيتْز دَلِيلاً عَلَى نُفُوذِهِم وَقُوَّتِهِم فِي هَذَا المَوْضُوعِ بِمَا حَدَثَ فِي مَدِينَةِ بِرَاغ حَيْثُ اضْطُرَّ القِدِّيس أدالبرت Adalbert سَنَةَ ٩٨٩م [٣٧٨هـ] لاعتِزَالِ مَنْصِبِهِ الأُسْقُفِيّ لأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَعْتِقَ المَسِيحِيِّينَ الذِين اشْتَرَاهُمْ تَاجِرٌ يَهُودِيٌّ[٣].وَكَانَتْ أَعْدَادُ الرَّقِيقِ وَالجَوَارِيّ تَزْدَادُ بِسُرْعَةٍ فِي الأَنْدَلُسِ؛فَوُجِدتْ فِي قُرْطُبَةَ آلافٌ مِنَ الرَّقِيقِ الأَبْيَضِ الصَّقَالِبَةِ[٤]مِنَ البِلادِ السُّلافِيَّةِ،وَيُسَمِّيهِمْ آدَمُ مِيتْز بِأَرُسْتُقْرَاطِيَّةِ العَبِيدِ[٥] لأَنَّهمْ أَغْلَى ثَمَنًا مِنْ غَيْرِهِمْ،فَاسْتُخْدِمُوا فِي الحَرَسِ وَالحَاشِيَةِ.

وَكَانَتِ الحَرْبُ مَصْدَرًا هَامًّا لِتِجَارَةِ الرَّقِيقِ وَالجَوَارِي عِنْدَ اليَهُودِ؛فَرَافَقَتْ جَيْشَ المَلِكِ القِشْتَالي مَجْمُوعَةٌ مِنَ التُّجَّارِ اليَهُودِ[٦]،وَكَانُوا يُقِيمُونَ الأَسْوَاقَ بِالقُرْبِ مِنْ مَرَاكِزِ الجَيْشِ لِبَيْعِهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ تَمْوِينٍ،كَمَا كَانُوا يَقُومُون بِشِرَاءِ أَسْرَى الحَرْبِ[٧].وَلَمْ تَكُنِ الحَرْبُ وَحْدَهَا مَصْدَرًا للاسْتِرْقَاقِ عِنْدَهم،بَلْ نَجِدُ أَسَالِيبَ عِدَائِيَّةً أُخْرَى غَيْرَ مَشْرُوعَةٍ؛فَيَنْقُلُ تَوْفِيق بنُ عَامِرٍ عَنْ لارُوس Grand Larousse أَنَّ بَعْضَ اليَهُودِ يَخْتَطِفُونَ الأَطْفَالَ فِي أَوْرُوبَّا وَيَسْرِقُونَ أَبْنَاءَ النَّصَارَى،وَيَعْمَلُونَ عَلَى خِصَائِهِمْ وَيَبِيعُونَهُمْ بِأَثْمَانٍ بَاهِظَةٍ فِي الأَنْدَلُسِ[٨]،وَكَانَ عَدَدٌ مِنَ التُّجَّارِ النَّصَارَى لا يَتَوَرَّعُونَ عَنْ بَيْعِ مُوَاطِنِيهِم رَقِيقًا لِعَرَبِ إِسْبَانِيَا وَإِفْرِيقِيَةَ وَسُورِيَةَ[٩].

وَحَاوَلَ بَعْضُ اليَهُودِ إِكْرَاهَ فِتْيَانٍ مِنَ المُسْلِمِينَ عَلَى اعْتِنَاقِ اليَهُودِيَّةِ،فَسُئِلَ فُقَهَاءُ قُرْطُبَةَ عَنْ غُلامٍ مَمْلُوكٍ ادَّعَاهُ يَهُودِيٌّ وَزَعَمَ الغُلامُ أَنَّهُ حُرٌّ،وَأَنَّهُ أُكْرِهَ عَلَى اليَهُودِيَّةِ[١٠].وَاسْتَشْهَدَ آخَرُ فِي ذَلِكَ بِعُهْدَةِ الغُلامِ،وَكَانَتْ مَكْتُوبَةً بِالعِبْرَانِيَّةِ[١١].وَلَمْ يَكُنِ الأَنْدَلُسِيُّونَ يَنْظُرُونَ بِاحْتِرَامِ

١ – انْظُرْ: أندريه ميكيل "**الإسْلامُ وَحَضَارَتُهُ**" ص ٢٢٦ .

٢ – انْظُرْ: آدم متز " **الحَضَارَةُ الإِسْلامِيَّةُ** " ٣٠١/١ .

٣ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ٣٠٢/١ .

٤ – انْظُرْ: إ.لِيفِي برُوفِنْسَال "**حَضَارَةُ العَرَبِ فِي الأَنْدَلُسِ**" ص ٨٥ .

٥ – انْظُرْ: آدم متز " **الحَضَارَةُ الإِسْلامِيَّةُ** " ٢٩٥/١ .

٦ – ادَّعَى مُحَمَّدُ بنُ شَرِيفَةَ أَنَّ عَدَدَهُمْ مَعَ أَلْفُونْسَ حِينَ قَدِمَ مَعْرَكَةَ الأَرَاكة كَانَ ينيفُ عَنْ مِائَتَيْ أَلفِ رَاجِلٍ وَخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ أَلفَ فَارِسٍ دُونَ أَنْ يَذْكُرَ مَصْدَرَهُ فِي هَذِهِ المَعْلُومَةِ .

انْظُرْ: مُحَمَّد بن شَرِيفَة "**حَوْلَ التَّسَامُحِ الدِّينِيِّ وابنِ مَيْمُونَ وَالمُوَحِّدِينَ**" مَجَلَّة دِرَاسَات أَنْدَلُسِيَّة، تُونُس : ع ١٤ ، ١٩٩٥م، ص ١٦ .

٧ – انْظُرْ: قُتَيْبَة سَمُّور "**العلاقَاتُ الحَرْبِيَّةُ بينَ المُوَحِّدِينَ وَالمَمَالِكِ الإِسْبَانِيَّةِ**" ص ١٥٢ نقلا عن: أشباخ "**تَارِيخُ الأَنْدَلُسِ**"ص ٣٩٠ .

٨ – انْظُرْ: توفيق ابن عامر"**الحَضَارَةُ الإِسْلامِيَّةُ وَتِجَارَةُ الرَّقِيقِ خِلالَ القَرْنَيْنِ ٣،٤ لِلهِجْرَةِ**"،ص ١٦٧ ،نقلا عن "**موسوعة لاروس الكبير؛** Grand Larousse" 4/671 [مادة الرق] .

٩ – انْظُرْ: توفيق ابن عامر"**الحَضَارَةُ الإِسْلامِيَّةُ وَتِجَارَةُ الرَّقِيقِ خِلالَ القَرْنَيْنِ ٣،٤ لِلهِجْرَةِ**"،ص ١٦٧ .

١٠ – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٣٤٩/٨ – ٣٥٠ .

١١ – عيسَى أبُو الأَصْبَغ ابن سَهْلٍ "**وَثَائِقُ فِي أَحْكَامِ قَضَاءِ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ**" ص ٤٧ [الوَثِيقَة رَقَم:٣٧٤] .

لهَؤُلاءِالتُّجَّار اليَهُودِ،فوَصَفَهُم أحدُ الأُمَرَاءِ حِينَ ذُكِرُوا بقَضِيَّةٍ لَهُ مَعَ جَارِيَةٍ،فقَالَ:إنَّ هَؤُلاءِ التُّجَّارَ اليَهُودَ لُؤَمَاءُ بُخَلاءُ وَأَقَلُّ القَلِيلِ يُقْنِعُهُمْ(١)،وَكَثِيرًا مَا كَانُوا يَتَشَطَّطُونَ فِي ثَمَنِ الجَوَارِيّ(٢).

وَرَافَقَتْ تِجَارَةَ الرَّقِيقِ عِنْدَ يَهُودِ الأَنْدَلُسِ عَمَلِيَّةُ إِخْصَاءٍ لَهُمْ؛فَالعَبِيدُ الذِينَ يُجْلَبُونَ إِلَى الأَنْدَلُسِ، وَيُعَادُ تَصْدِيرُهُمْ مِنْهَا،كَانُوا يُحْمَلُونَ إِلَى مَدِينَةٍ خَلْفَ بجَّايَةَ فِي الأَنْدَلُسِ أَهْلُهَا يَهُودٌ(٣)،فَيَقُومُ اليَهُودُ بِإِخْصَائِهِمْ،ثُمَّ تَعَلَّمَ الخِصَاءَ قَوْمٌ مِنَ المُسْلِمِينَ هُنَاكَ فَصَارُوا يُخْصُونَ وَيَسْتَحِلُّونَ المُثْلَةَ(٤).

٣- تَمْوِيلُ جُيُوشِ النَّصَارَى وَافْتِدَاءُ الأَسْرَى.

سَادَ الاعْتِقَادُ بِأَنَّ ذَهَبَ إِفْرِيقِيَة كَانَ يُنْقَلُ إِلَى الأَنْدَلُسِ فَيَدْفَعُهُ مُلُوكُ الطَّوَائِفِ جِزْيَةً لِلنَّصَارَى ثُمَّ يَدْخُلُ خَزِينَةَ اليَهُودِ الذِين كَانُوا فِي ذَلِكَ الوقتِ كَمَا يَزْعُمُ عَادِل بشْتَاوِيّ مِنْ أَكْبَرِ مُمَوِّلِي جُيُوشِ قَشْتَالَةَ،وَاسْتَمَرَّ اليَهُودُ فِي لَعِبِ هَذَا الدَّوْرِ؛فَكَانُوا مِنْ أَكْبَرِ دَائِنِي خَايِيمِي الأَوَّلِ الأَرْغُونِيِّ حَتَّى قَرَّرَ سَنَةَ ٦٥١هـ إِلْغَاءَ دُيُونِهِم(٥).وَيَذْكُرُ المَسِّيرِيُّ أَنَّ اليَهُودِيَّ إِسْحِقَ أبرابانيل Isaac Abravanel[١٤٣٧-١٥٠٨م=٨٤٠-٩١٣هـ](٦)كَانَ أَبُوهُ مَسؤُولاً عَنْ خَزَانَةِ الدَّوْلَةِ فِي لَشْبُونَة،وَأَصْبَحَ إِسْحَقُ خَازِنَ فرديناند وإيزابيلا عَامَ ١٤٩٢م=٨٩٧هـ فِي طُلَيْطِلَةَ،وَعَمِلَ هُوَ وَصَدِيقُهُ أَبْرَاهَام سِنيوُر فِي جَمْعِ الضَّرائِبِ،وَقَامَ الاثْنَانِ بِتَمْوِيلِ الحُرُوبِ ضِدَّ آخِرِ الجُيُوبِ الإِسْلامِيَّةِ فِي غَرْنَاطَةَ(٧).وَيرَى بشْتَاوِيّ أَنَّ اليَهُودَ فِي قَشْتَالَةَ كَانُوا يُشَكِّلُونَ ثِقَلاً لا بَأْسَ بِهِ فَوَظَّفَ أَلْفُونْسُ العَاشِرُ يَهُودِيًّا لِجَبْيِ الجِزْيَةِ مِنْ يَهُودِ غَرْنَاطَةَ هُوَ سُولومُون بنُ زَادُوك الذِي شَغَلَ مَنْصِبَ كَبِيرِ الجُبَاةِ لِلمَلِكِ فِرنَانْدو الثَّالِثِ، وَاتَّبَعَ عَدَدٌ مِنْ مُلُوكِ قَشْتَالَةَ النَّهْجَ نَفْسَهُ فَعَيَّنَ بِدْرُو[بطْرَه] الرَّابِعُ صَمُوئِيل هَلِيفِي رَئِيسًا لِلجُبَاةِ أَيْضًا.وَقَدَّمَ اليَهُودُ مَبَالِغَ طَائِلَةً لِتَمْوِيلِ حَرْبِ إيزَابِيلا ضِدَّ غَرْنَاطَةَ،رُغْمَ أَنَّ اضْطِهَادَ اليَهُودِ فِي قَشْتَالَةَ وَالعَدَاءَ لَهُمْ كَانَ بَدَأَ قَبْلَ أَكْثَرَ مِنْ قَرْنٍ،وَلَمْ يَجِدِ المَلِكُ تِلْوَ الآخَرَ غَضَاضَةً فِي الاسْتِلافِ مِنَ المُمَوِّلِينَ اليَهُودِ(٨). وَبِفَضْلِ ثَرَاءِ اليَهُودِ الفَاحِشِ،تَمَكَّنُوا مِنْ تَكْوِينِ رَابِطَةٍ يَهُودِيَّةٍ لافْتِدَاءِ

---

١ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٥/١١٨ .

٢ – انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١/١٥١ .

٣ – انْظُرْ: المَقْدِسِيّ "**أَحْسَن التَّقَاسِيم**" ١/٢١٠ .

٤ – انْظُر :المَقَّرِيّ"**نَفْح الطِّيب**"١/١٤٥.عِلْمًا أَنَّ الفِقْهَ يَمْنَعُ خِصَاءَ الآدَمِيِّينَ وَالبَهَائِمِ،وَيُؤَدَّبُ عَلَيْهِ.انْظُرْ :الفَرَّاء"**الأَحْكَام السُلْطَانِيَّة**"ص٢٩١.

٥ – انْظُرْ: عادل سعيد بشتاوي"**الأَنْدَلُسِيُّونَ المَوَارِكَةُ**" ص ٢٠٨ .

٦ – هُوَ: **إسحق أبرابانيل** (١٤٣٧–١٥٠٨م) Isaac Abravanel يَهُودي بلاط فِي إِسْبَانيَا.وهو مفسر للعهد القَدِيم،ومؤلف لكتب ذات طابع فلسفي.وُلِدَ فِي لشبونة،وَكَانَ أبوه مسؤولاً عن خزانة الدولة فِيهَا،ففر إِلَى طُلَيْطِلَةَ عام١٤٨٣م= ٨٨٧هـ،وأصبح خازن فرديناند وإيزابيلا،وَقَدْ عَمِلَ وَصَدِيقُهُ أبراهام سنيور فِي جمع الضرائب.وقام الاثنان بتمويل الحروب ضد آخر الجيوب الإِسْلامِيَّةِ فِي غَرْنَاطَةَ. إِلَى أن سقطت غَرْنَاطَةَ،وَطرد اليَهُود،فحاول أبرابانيل أن يقدم هدية إِلَى فرديناند،ولكنها رُفضت وتم طرده.واستقر وأسرته فِي البندقية عام ٩٠٨هـ حَيْثُ مات. انْظُرْ :عَبْد الوَهَّابِ المَسِّيرِيّ" **مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" ٥/١٨٣–١٨٤ .

٧ – انْظُرْ: عَبْد الوَهَّابِ المَسِّيرِيّ" **مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" ٥/١٨٣ .

٨ – انْظُرْ: عادل سعيد بشتاوي"**الأَنْدَلُسِيُّونَ المَوَارِكَةُ**" ص ٢٠٩ .

أَسْرَاهُمْ سَوَاءٌ مِنْ إِسْبَانِيَا النَّصْرَانِيَّةِ أَوِ الأَنْدَلُسِ،وَيُؤَكِّدُ إِبْرَاهِيمُ بُوتْشِيش ذَلِكَ فِي رِسَالَةٍ كَتَبَهَا يَهُودِيٌّ فِي طُلَيْطِلَةَ سَنَةَ ٥٢٠هـ لِفِدْيَةِ سَجِينَةٍ يَهُودِيَّةٍ فِي أَرَاغُون،وَرِسَالَةٍ أُخْرَى كَتَبَهَا أَحَدُ التُّجَّارِ إِلَى أَحَدِ أَصْدِقَائِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ الاتِّصَالَ بِأَقَارِبِهِ وَبِصَاحِبِ الشُّرْطَةِ لِإِطْلَاقِ سَرَاحِ السَّجِينَةِ المَذْكُورَةِ[1]. وَذَكَرَ الضَّبي أَنَّ أَلْفُونْسُ حِينَ قَدِمَ إِلَى الأَرَاكَةِ[2] "كَانَ مَعَهُ جَمَاعَاتٌ مِنْ تُجَّارِ اليَهُودِ،قَدْ وَصَلُوا لاشْتِرَاءِ أَسْرَى المُسْلِمِينَ وَأَسْلابِهِمْ وَأَعَدُّوا لِذَلِكَ أَمْوَالاً "[3].

وَهُنَاكَ قِصَّةٌ تناقَلَتْهَا المَصَادِرُ عَنْ مُحاوَلَةِ يَهُودِيٍّ افتداءَ بَعْضٍ مِنْ نِسَاءِ المُسْلِمِينَ مِمَنْ تَمَّ سبيُهُنَّ بَعْدَ سُقُوطِ بَرْبُشْتَر[4] بِأَيْدِي الرُّومِ وأخذِ المَدِينَةِ مِنْ بَنِي هُود عَامَ ٤٥٦هـ[5]،وَزَعَمُوا أَنَّهُ صَارَ لأَكْبَرِ رُؤَساءِ الرُّومِ فِي حَصَّتِه نَحْوَ أَلفٍ وخَمْسِمائَةِ جارِيَةٍ أَبْكَارٌ كُلُّهُنَّ،وَتَخَيَّرَ أُلُوفًا عِدَّةً مِنْ بَنَاتِ المُسْلِمِينَ الجَوَارِيّ الأَبْكَارِ وَالثَّيِّبَاتِ ذَوَاتِ الجَمَالِ وَمِنْ صِبْيَانِهِمُ الحِسَانِ،وَحَمَلَهُمْ مَعَهُ لِيَهْدِيَهُمْ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ[6]،فَتُرْوَى حِكَايَةٌ لِرَجُلٍ مِنْ تُجَّارِ اليَهُودِ،أَتَى بَرْبُشْتَر البَائِسةَ بَعْدَ الحَادِثَةِ عَلَيْهَا، مُلْتَمِسًا فِدْيَةَ بَنَاتٍ لِبَعْضِ وُجُوهِ مَنْ نَجَا مِنْ أَهْلِهَا،فَاسْتَأْذَنَ عَلَى قُومِس،فَوَجَدَهُ جَالِسًا مَكَانَ رَبِّ الدَّارِ مُسْتَوْلِيًا عَلَى فِرَاشِهِ،رَافِلاً فِي نَفِيسِ ثِيَابِهِ،والوَصَائِفُ عَلَى رَأْسِهِ سَاعِيَاتٌ لِخِدْمَتِهِ؛وَلَمَّا سأَلَ عَنْ قَصْدِ التَّاجِرِ،أَشَارَ اليَهُودِيُّ إِلَى وُفُورِ مَا يَبْذلُهُ فِي بَعْضِ مَنْ عِنده،وَكَانَتْ بَيْنَهُنَّ ابْنَةُ صَاحِبِ المَنْزِلِ التِي جاءَ مِنْ أَجْلِ فِدْيَتِهَا،فَنَادَى القَوْمَسُ عَلَى جَارِيَةٍ وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَعرضَ عَلَى هَذَا اليَهُودِيِّ الخَدَّاع،كَمَا وَصَفَهُ،مَا فِي صَنادِيقِهِ مِنَ الأموالِ وَالحُلِيِّ،فَحَارَ نَظَرُ التَّاجِرِ وَبَهَتَ مِمَّا رَأَى،حَتَّى إِنَّهُ استرذَلَ مَا عِنْدَهُ،ثُمَّ قامَ مُنْطَلِقًا عَنْهُ،وارتَادَ لتجارتِهِ سِوَاهُ،وَيَقُولُ اليَهُودِيُّ:"إِنَّهُ تَعَجَّبَ كَثِيرًا مِنْ كَثْرَةِ مَا لَدَى القَوْمِ مِنَ السَّبْيِ وَالمَغْنَمِ[7].وَقَوْلُ اليَهُودِيُّ هَذَا يُشِيرُ إِلَى كَثْرَةِ تنقُّلِهِ بينَ القَوْمِ باحِثًا عَنِ السَّبْيِ وَالمَغْنَمِ.

وَلَمْ يَكُنْ عَمَلُ تُجَّارِ اليَهُودِ هَذَا سَهْلاً؛فيَرْوِي ابنُ حَيَّانَ قِصَّةً يَظْهَرُ فِيهَا استِغلالُ تاجِرٍ يَهُودِيٍّ مِنْ أَجْلِ الفِدْيَةِ وخَدِيعَتِهِ،فَلَمَّا وَقَعَ سَعْدُونُ المَعْرُوفُ بِالسرنِبَاقِيّ فِي أَسْرِ النُّورْمَانِ خِلالَ

---

١ – انْظُرْ: إِبْرَاهِيم بوتشيش"**مَبَاحِثُ فِي التَّارِيخِ الاجْتِمَاعِيِّ لِلمَغْرِبِ وَالأَنْدَلُسِ،خِلالَ عَصْرِ المُرَابِطِينَ**" ص ٩٨ .

٢ – **الأراكَة** أو **الأراك** أَوْ **الأرك**: حصن منيع بمقربة مِنْ قلعة رباح.وَوقعة الأراك حدثت بعد أن نقض أَلفُونْسُ عهده مَعَ الأَنْدَلُسِيِّينَ سَنَةَ ٥٩٠هـ،وَعبر يَعْقُوب المَنْصُور إِلَى الأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٥٩١هـ بجموع عظيمة،وَسمع أَلفُونْسُ بقصده فتجهز هُوَ كَذَلِكَ فِي جموع ضخمة لَمْ يجتمع لَهُ مثلها قط. وَالتقوا فانتصر المُوَحِّدُونَ،وَلَمْ ينج مِنَ الأَعداءِ إلا أَلفُونْسُ فِي نحو ثلاثين مِنْ قواده .

انْظُرْ: الضَبِّيّ"**بُغْيَة المُلْتَمِس**" ٦٦/١؛ بْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص ٢٨٢–٢٨٣؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص٢٧ .

٣ – الضَبِّيّ"**بُغْيَة المُلْتَمِس**" ٦٧/١ .

٤ – **بَرْبَشْتَرُ** :(ضم الباء الثانية وسكون الشين وفتح التاء) مَدِينَةٌ فِي شرقي الأَنْدَلُسِ بين لارِدَةَ وسَرَقُسْطَةَ ،وكَانَتْ بَرْبُشْتَر قَدْ سَقَطَتْ سَنَةَ ٢٥٤هـ فَحُمِلَ مِنْهَا لِصَاحِبِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي جُمْلَةِ الهَدَايَا سَبْعَةُ آلافِ بِكْرٍ مُنْتَخَبَةٍ،ثُمَّ استَعَادَهَا المُسْلِمُونَ فِي إِمَارَةِ أَحْمَدَ بنِ سُلَيْمَانَ بنِ هُودٍ سَنَةَ ٢٧٥هـ فَغَنِمُوا فِيمَا غَنِمُوا عَشْرَةَ آلافِ امْرَأَةٍ ثُمَّ عَادَتْ لِلرُّومِ. انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٣٧٠/١ .

٥ – عِنْدَ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣، م ١٨٦/١، وَابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢٣٩/١ سنة٤٥٦ بَيْنَمَا هي ٤٥٠ في"**نَفْح الطِّيبِ**".

٦ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣، م ١٨٢/١ .

٧ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م ١٨٦/١ – ١٨٧؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٢١٠/٦ .

غَزْوِهِمْ لِسَوَاحِلِ الأَنْدَلُسِ الغَرْبِيَّةِ سَنَةَ ٢٤٥هـ "فَدَاهُ مِنْهُمْ بَعْضُ تُجَّارِ اليَهُودِ،يَبْتَغِي الرِّبْحَ مَعَهُ، فَقَارَضَ اليَهُودِيَّ إِلَى أَنْ هَرَبَ عَنْهُ وأَخْفَرَ ذِمَّتَهُ وَأَخْسَرَ مَالَهُ"(١).

٤- مُشَارَكَةُ المُسْلِمِينَ لَهُم فِي التِّجَارَة .

وَفيمَا يَتَعَلَّقُ بِـمُشَارَكَةِ اليَهُودِ فِي التِّجَارَةِ والتَّعَامُلِ مَعَهُم فَقَدْ وُضِعَتْ عَلَيْهَا قُيُودٌ؛ فَحِينَ سُئِلَ الفُقَهَاءُ عَنْ حُكْمِ التَّعَامُلِ مَعَ اليَهُودِ،مَعَ العِلْمِ بِأَنَّ جَمِيعَ مُعَامَلَتِهِمْ أَوْ غَالِبِهَا،كَمَا يَقُولُ السَّائِلُ، عَلَى وَجْهِ الرِّبَا،كَانَتِ الإِجَابَةُ أَنَّهُ يُنْظَرُ فِي المُعَامَلَةِ إِنْ كَانَ فِي ظَاهِرِهَا فَسَادٌ أَوِ ادِّعَاءُ خَصْمٍ أَمْ لا فَالوَاجِبُ العَمَلُ عَلَى الصِّحَّةِ فِيهَا إِنْ لَمْ يَظْهَرِ الفَسَادُ (٢).

وَجَاءَ فِي وَثَائِقِ المَرَّاكُشِيِّ أَنَّهُ لا يَصِحُّ لِلمُسْلِمِ مُشَارَكَةُ اليَهُودِيُّ إِلا أَنْ يُغَيِّبَ اليَهُودِيُّ أَمْرًا مِنَ التَّجَرِ لاسْتِحْلالِهِمُ الرِّبَا؛أَيْ أَنَّهُم أَجَازُوا المُشَارَكَةَ إِنْ خَلَتْ مِنَ الرِّبَا،وَقَالُوا أَنَّهُ إِنْ بَاعَ أَحَدُهُمَا جَارِيَةً بِثَمَنٍ إِلَى أَجَلٍ فَلا يَصْلُحُ لِصَاحِبِهِ أَنْ يَبْتَاعَهَا قَبْلَ الأَجَلِ بِأَقَلَّ مِنَ الثَّمَنِ،وَلا بَأْسَ أَنْ يُبْضِعَ أَحَدُ المُتَفَاوِضَيْنِ أَوْ يُقَارِضَ(٣).وَبِالتَّالِي أَبَاحُوا التَّعَامُلَ التِّجَارِيَّ إِنْ كَانَ بَعِيدًا عَنِ الرِّبَا فَأَجَازُوا الأَكْرِيَةَ مَثَلاً وقَالُوا إِنَّهُ يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكْرِي دَارَهُ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ(٤).

ثَالِثًا :- بَعْضُ المِهَنِ المُرْتَبِطَةِ بِهِمْ .

حَوَتْ أَسْوَاقُ المُدُنِ الأَنْدَلُسِيَّةِ الكُبْرَى وَمَرَاكِزُ بعضِ المُدُنِ عَدِيدًا مِنَ المَتَاجِرِ لأَهْلِ الذِّمَّةِ، وَكَانَتْ لَهُم دَكَاكِينُ مَعْرُوفَةٌ،فَكَانَ ابنُ حَزْمٍ يَتَرَدَّدُ عَلَى صديقٍ يَهُودِيٍّ فِي دُكَانِهِ بِالمَرِيَّةِ(٥).

وَاشْتَغَلَ اليَهُودُ بِمِهَنٍ مُخْتَلِفَةٍ؛فَاشْتَغَلُوا بِالجِزَارَةِ،وَسُئِلَ الوَنْشَرِيسي عَنِ شِرَاءِ اللَّحْمِ مِنْ مَجَازِرِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى(٦)،وَسُئِلَ عَنْ قَوْمٍ يَهُودِ ذَبَحُوا الغَنَمَ لأَنْفُسِهِمْ،فَرُبَّمَا خَرَجَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ يُسَمُّونَهُ طَاهُورًا،فَيَبِيعُونَ ذَلِكَ وَلا يُبَيِّنُونَهُ،وَمَا عُلِمَ أَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ بَيَّنَ ذَلِكَ.وَمِنْهُمْ مَنْ يَذْبَحُ وَهُوَ جَزَّارٌ هَذِهِ صَنْعَتُهُ وَيَبِيعُ لِلْمُسْلِمِينَ،فَهَلْ يُمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ كُلَّ المَنْعِ؟(٧)

---

١ – انْظُرْ : ابن حيان"**المُقْتَبَس**"ص ٣٠٩، ٦٠٠ .

٢ – انْظُرْ : الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٤٣٣/٦ .

٣ – انْظُرْ : عَبْدِ الوَاحِدِ المراكشي"**وَثَائِقُ المُرَابِطِينَ وَالمُوَحِّدِينَ**" ص ٥٨٩

٤ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ص ٤٣٢ .

٥ – انْظُرْ : ابْنِ حَزْمٍ "**رَسَائِلُهُ**" ١١٤/١ ؛ "**طَوْقِ الحَمَامَةِ**" ص ١٩ .

٦ – انْظُرْ : الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢٥٠/٥ .

٧ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٢٩/٢ .

وَلِشُهْرَةِ الأَنْدَلُسِ بِكَثْرَةِ المُدُنِ الَّتِي يُرَبَّى فِيهَا الحَرِيرُ[١] عَمِلَ اليَهُودُ فِي بَيْعِ المَلابِسِ والمَنْسُوجاتِ مِنَ الحَرِيرِ وغَيْرِهِ لِلمُسْلِمِينَ لِذَا جَاءَتْ الفَتْوَى بِجَوَازِ لُبْسِ مَا نَسَجَهُ أَهْلُ الذِّمَّةِ وَالصَّلاةِ فِيهِ دُونَ مَا لَبِسُوهُ[٢]،وَقِيلَ إِنَّ التَّاجِرَ أَبَا يَعْقُوب يُوسُف اليَهُودِيَّ امْتَلَكَ عَدَدًا مِنْ دَكَاكِينِ المَنْسُوجَاتِ فِي طُلَيْطِلَةَ،وَتَخَصَّصَ يَهُودُ قُرْطُبَةَ بِصِنَاعَةِ وَتَسْوِيقِ المَنْسُوجَاتِ[٣].

وَاحْتَكَرَ اليَهُودُ دَكَاكِينَ الصِّيَاغَةِ وَتِجَارَةَ الحُلِيِّ وَالصَّيَارِفَةِ،لاشتغالِهِم بالأموالِ والإقراضِ والربا.وَبَرَعُوا كَثِيرًا فِي أَعْمَالِ صِيَاغَةِ الذَّهَبِ وَالحُلِيِّ،وَنَظْمِ الأَحْجَارِ الكَرِيمَةِ،حَتَّى إِنَّهُم احْتَكَرُوا سُوقَ الصِّيَاغَةِ فِي المُدُنِ الأَنْدَلُسِيَّةِ.وَمِنَ الأَعْمَالِ التِّجَارِيَّةِ الَّتِي شَغَلَهَا اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ مِهْنَةُ الدَّلالِ؛ فَعَمِلَ بَعْضُهُم دَلالاً يَبِيعُ مُتَجَوِّلاً لِلنَّاسِ،فَقَدْ تَنَازَعَ وَرَثَةُ ابنِ عَلاءٍ مَعَ يَهُودِيٍّ وَقَالُوا:إِنَّ ابنَ عَلاءٍ بَاعَ مِنَ اليَهُودِيِّ دُرْنُوكًا وَشُقَّةً[٤] وَبَقِيَ ثَمَنُهُمَا عِنْدَهُ.وَقَالَ اليَهُودِيُّ:لَمْ اشْترِهِمَا مِنْهُ،فَأَنَا دَلالٌ أَبِيعُ لِلنَّاسِ فَسَأَلَنِي بَيْعَهُمَا لَهُ،فَبِعْتُهُما،وَأَوْرَدْتُ جَمِيعَ ذَلِكَ عَلَيْهِ،وَأَخَذْتُ أُجْرَتِي مِنْهُ[٥].

وَآثَرَ أَكْثَرُ البَاعَةِ بَيْعَ السِّلَعِ مُتَجَوِّلِينَ فِي الطُّرُقَاتِ وَالأَمَاكِنِ العَامَّةِ غَيْرَ مُكْتَرِثِينَ بِمُطَارَدَةِ أَعْوَانِ المُحْتَسِبِ الَّذِي مَنَعَهُمْ مِنَ الجُلُوسِ فِي الطُّرُقَاتِ الضَّيِّقَةِ،وَيُعَلِّلُ بوتشيش انْتِشَارَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ بِارْتِفَاعِ ثَمَنِ الحَانُوتِ حَيْثُ بَلَغَ أَحْيَانًا فِي العَصْرِ المُرَابِطِيِّ ٦٠ دِينَارًا[٦].

وَعَمِلَ بَعْضُ اليَهُودِ فِي النِّجَارَةِ؛فَطَلَبَ أَبُو الرَّبِيعِ القُضَاعِيُّ[٧] مِنْ يُوسُفَ الإِسْلامِيِّ[٨]، آلَةَ نَجَّارٍ خَدَمَ عِنْدَهُ[٩].وَعَمِلُوا فِي السَّمْسَرَةِ وَبَيْعِ الأَرَاضِي؛فَسُئِلَ عَنْ مُسْلِمٍ اشْتَرَى جِنَانًا مِنْ يَهُودِيَّيْنِ،ثُمَّ حَبَسَهَا بَعْدَ هَذِهِ المُدَّةِ عَلَى بَنِيهِ[١٠].وَكَانُوا كَذَلِكَ مُوسِيقِيِّينَ وَمُطْرِبِينَ،فَكَانَ لِلْحَكَمِ

---

١ – عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ لُقِّبَتْ جَيَّانَ (مِنْ قرى الأَنْدَلُسِ شرق قُرْطُبَةَ) بجَيَّانَ الحَرِيرِ لأنَّ حولها قُرَى كَثِيرَةً تزيد عَلَى ثلاثة آلاف قرية يُتَّخَذُ بِهَا الحَرِيرُ،وَفِي المَرِيَّةِ يُصْنَعُ مِنَ الخَزِّ وجميع مَا يعمل مِنَ الحَرِيرُ مَا لَمْ يبصر مثله فِي المشرق وَلا فِي بلاد النَّصَارَى،فكان بِهَا ٨٠٠ مِنْ صُنُوفِ وَأَنْوَاعِ الحَرِيرِ . انْظُرْ :الإدريسي"**نُزْهَةُ المُشْتَاقِ**" ٢/٥٣٧، ٥٦٨؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**"٢/١٩٥ .

٢ – انظر : الوَنْشَرِيسي"**المعيار المعرب**" ١/٣-٤ .

٣ – انْظُرْ: روبَرْت هيلِنْبرَاند "**زِينَةُ الدُّنْيَا:قُرْطُبَةُ القَرُوسطِيَّةُ**" تَرْجَمَة: عَبْد الوَاحِدِ لُؤْلُؤَة، بَحْثٌ في:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ١/ ٢٠٢ .

٤ – الدُّرْنُوك: ضَرْبٌ مِنَ الثِّيَاب أَوِ البُسْط، لَهُ خَمَل قَصِيرٌ كخَمَل المناديل، يشبه فَرْوَةَ البَعِيرِ وَالأَسَدِ .

الشُّقَّةُ: جنس مِنَ الثياب . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [درنك] ١٠/٤٢٣، [شقق] ١٠/١٨٥ ..

٥ – انْظُرْ: عيسَى أَبُو الأَصْبَغ ابن سَهْلٍ "**وَثَائِقُ فِي أَحْكَامِ قَضَاءِ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ**" ص٧٣ [الوَثِيقَة رَقَم:٢٢٧] .

٦ – انْظُرْ: إِبْرَاهِيم بوتشيش"**مَبَاحِثُ فِي التَّارِيخِ الاجْتِمَاعِيِّ لِلمَغْرِبِ وَالأَنْدَلُسِ،خِلالَ عَصْرِ المُرَابِطِينَ**" ص ١٧٥ .

٧ – هُوَ : **أَبُو الرَّبِيعِ** سُلَيْمَانُ بنُ أحمدَ **القُضَاعِيُّ**،في "المُغْرِبِ" أَنَّهُ مِنْ قدماء الأُدَبَاءِ ومِنَ الكُتَّابِ المتصرفين فِي النَّظْمِ والنَّثْرِ وكلامه يجمع بين الحلاوة والجزالة . انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٩٩- ٥١٤؛ ابن سَعِيد"**المُغْرِب**" ٢/٤٢٣- ٤٢٤ .

٨ – هُوَ : **يُوسُفُ بنُ حَسْدَاي**، ذكر رِيَاض قُرَيْحَة أَنَّهُ ابنُ الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ أَبِي الفَضْلِ بنِ حَسْدَاي دُونَ أَنْ يَذْكُرَ مَصْدَرَ المَعْلُومَةِ، وَسَتَرِدُ تَرْجَمَة لَهُ فِي مَتْنِ البَحْثِ: ص ٢١٦ .

٩ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣، م ١/٤٩٩. والمِئشار : المِنشار . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [أشر] ٤/٢١ .

١٠ – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٧/٤٣٨ .

نَفْسِهِ مُغَنٍ يَهُودِيٌّ اسْمُهُ أَبُو النَّصْرِ مَنْصُور حَظِيَ بِثِقَةِ الأَمِيرِ فَبَعَثَهُ إِلَى بَغْدَادَ رَسُولاً إِلَى المُغَنِّي زِرْيَابَ يَسْتَدْعِيهِ لِلْقُدُومِ لِبَلاطِهِ وَنَجَحَ مَنْصُورٌ فِي مَهِمَّتِهِ(١).وَذُكِرَ المُغَنِّي ذَيّ(٢)الإِسْرَائِيلِيِّ فِي حَفْلَةٍ لِلمَأْمُونِ ذِي النُّونِ(ت:٤٦٧هـ)(٣).قَالَ ابنُ بَسَّامٍ بأَنَّ شَجْوَهُ يُخْرِسُ الأَطْيَارَ،وبأَنَّ عندهُ صَوْتًا شَجِيًّا، أَطْرَبَ المَوجُودِينَ،فَأَطْرَبَ المَأْمُونَ عَلَى وُفُورِ حِلْمِهِ(٤).

وَقَدْ عَدَّدَ جِهادُ الزَّغْلُولِ المِهَنَ الَّتِي احْتَرَفَهَا يَهُودُ الأَنْدَلُسِ فَكَانَ مِنْهَا غَيْرُ المَذْكُورَةِ سَابِقًا: صِنَاعَةُ الخُبْزِ وَالزَّيتِ وَالصَّابُونِ وَصِنَاعَةُ الحُلِيِّ وَأدواتِ المَطْبَخِ وَتَسْفِيرِ الكُتُبِ وَسَكِّ النُّقُودِ، وَاشْتَغَلُوا فِي خِدْمَةِ الحَمَّامَاتِ وَحَفْرِ الآبارِ وَمُعَالَجَةِ المَعَادِنِ وتَزْوِيقِ الخَشَبِ وَقَطْعِ الرُّخَامِ وزَخْرَفَةِ البُيُوتِ،وَعَمِلُوا بِبَيْعِ السَّمَكِ والصُّوفِ والكَتَّانِ والأَدْوِيَةِ وَالآلاتِ المُوسِيقِيَّةِ،وبَرَعُوا فِي صِنَاعَةِ القَلائِدِ والعُقُودِ المُرْجَانِيَّةِ وَفِي تَحْضِيرِ الأَطْعِمَةِ والمَأْكُولاتِ الشَّهِيَّةِ؛فَكَانَ مِنْهُمُ الطَّبَّاخُونَ وَالشَّوَّاوُونَ وَالقَلاوُونَ المَهَرَةُ،وَبَرَزَ مِنْهُمْ أَطِبَّاءُ وَصَيَادِلَةٌ وَمُثَقَّفُونَ وَمُهَنْدِسُونَ،وامْتَهَنَ بَعْضُهُمْ مِهَنًا حَقِيرَةً كَالسِّحْرِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يُشَكِّلُوا طَائِفَةً مُتَجَانِسَةً(٥).وَبِهَذَا يَبْدُو تَنَوُّعُ المِهَنِ الَّتِي زَاوَلُوهَا،فَكَانُوا مُشَارِكِينَ فِي مَنَاحِي الحَيَاةِ اليَوْمِيَّةِ فِي المُجْتَمَعِ بِكُلِّ طَبَقَاتِهِ،وتَمَيَّزُوا فِي المِهَنِ التَّالِيَةِ:

١- تَحْصِيلُ الضَّرَائِبِ والأعشارِ .

تَوَلَّى اليَهُودُ فَرْضَ الضَّرَائِبِ مِنْ بِدَاياتِ حُكْمِ بَنِي أُمَيَّةَ فِي الأَنْدَلُسِ،فَفِي حُكُومَةِ **الحَكَمِ الرَّبَضِيِّ** [١٨٠-٢٠٦هـ] تَوَلَّى القَوْمَسُ رَبِيعُ بنُ تُودِيلفو Rabi b. Teadulfo أَمْرَ فرضِ الضَّرَائِبِ عَلَى العَامَّةِ،وَكَانَ الحَكَمُ ظَالِمًا مُتَجَبِّرًا عَلَى النَّاسِ،وَيَبْدُو أَنَّ رَبِيعًا كَانَ مِثْلَهُ، مِمَّا أَثَارَ العَامَّةَ عَلَيْهِ وَعَلَى الحَكَمِ(٦)،وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ ثَوْرَةِ الرَّبَضِ سَنَةَ ٢٠٢هـ فِي قُرْطُبَةَ.

---

١ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٤/١١٠ .

٢ – هُوَ: المُغَنِّي ذَيّ الإِسْرَائِيلِيّ، لَمْ أعثر لَهُ عَلَى تَرْجَمَة .

٣ – هُوَ مَلِكُ طُلَيْطِلَة: **المَأْمُونُ** يَحْيَى بن إِسْمَاعِيلَ **بن ذي النون**، نقل "المُغْرِب" عَنِ الحجاري أَنَّهُ لَمْ يكن فِي ذِي النُّون أعْظَمُ قَدْرًا وَلا أَشْهَرُ ذِكْرًا منه، وَلَمْ يجتمع عِنْدَ ملك مِنْ ملوك الأَنْدَلُسِ مَا اجتمع عنده الوُزَرَاءُ والكتابُ.وَذكرَ "نَفْحُ الطِّيبِ" كَثِيرًا مجالس للمَأْمُونِ مَعَ الشُّعَرَاءِ والأُدَبَاءِ بمَجْلِس النَّاعُورَةِ، كَمَا نقل المَقَّرِيّ أكثر مِنْ مرة وصفا للقصر العظيم الذِي شاده،وَقَالَ ابنُ سَعِيدٍ إِنَّ طُلَيْطِلَة تميزت بمَا كَانَ فِيهَا مِنَ المباني الذنونية،ماتَ سَنَةَ ٤٦٧هـ،فَوَلِيَ بعده ابن ابنه وَهُوَ القادر يَحْيَى.وَأولَ مَا استرد الإفرنجُ مِنْ مدن الأَنْدَلُسِ مدينةَ طُلَيْطِلَةَ مِنْ يد ابن ذِي النُّون سَنَةَ ٤٧٥هـ، أو سَنَةَ ٤٧٨هـ . انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٤،م١/١٢٦–١٣٧؛ ابن الأَبَّارِ"**الحُلَّةُ السِّيَرَاء**" ٢/١٧٧؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١/٥٦–٥٧ ، ٢/٩، ١٢؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٢/٦٨، ١٧٥–١٧٦، ٦/١٢١– ١٢٣ .

٤ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٤،م١/١٣٦ .

٥ – انْظُرْ: جِهَاد غَالِب مُصْطَفَى الزَّغْلُول "**الحِرَف وَالصِّنَاعَات فِي الأَنْدَلُسِ مُنذُ الفَتْحِ حَتَّى سُقُوط غَرْنَاطَةَ**" ص ٥٢ .

٦ – انْظُرْ: ابن الخَطِيب "**أَعْمَال الأعْلامِ**" ص ١٥ .

وَيَرَى المَسِّيرِيُّ أَنَّ اليَهُودَ فِي أَوْرُوبَّا كُلِّهَا وليسَ فِي الأَنْدَلُسِ فَحَسْبُ اشْتَغَلُوا بِتَحْصِيلِ الضَّرَائِبِ وَإِدَارَةِ ضِيَاعِ النُّبَلاءِ وَالإِقْطَاعِيِّينَ.وَاحْتَكَرُوا هَذِهِ الوَظَائِفَ تَقْرِيبًا حَتَّى العَصْرِ الحَدِيثِ وَهَذَا جَعَلَهُم مَحَطَّ سَخَطِ الجَمَاهِيرِ أَكْثَرَ مِنْ وَظِيفَةِ الرِّبَا ذَاتِهَا(١).

وَلا يَعْنِي تَوْلِيَةُ اليَهُودِ أَمْرَ الضَّرَائِبِ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَطَالُهُم؛بَلْ كَثِيرًا مَا كَانَتْ تُسَنُّ ضَرائبُ جَدِيدَةٌ عَلَيْهِم،مِنْهَا مَا ذُكِرَ سَابِقًا مِنْ أَنَّ ابنَ مَيْمُون وَافَقَ عَلَى تَحْصِيلِ ذَهَبٍ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ أَلِيسَانَةَ بِاسْمِ التَّقْوِيَةِ؛فَنَفَرَتْ أَنفُسُهُم،وَوَجَدَ ابنُ مَيْمُون السَّبِيلَ إِلَى حَمْلِهِمْ عَلَى التَّمَرُّدِ(٢).

وَيَظْهَرُ أَنَّ هَذِهِ الضَّرَائِبَ كَانَتْ تفْرَضُ وَفْقَ حاجَةِ الدولةِ،وَتَحْصِيلُ التَّقْوِيَةِ وَأَمْثَالُهَا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ.وَمِثْلُهَا حِينَ قَوِيَ أَمرُ يُوسُفَ بنِ تَاشَفِينَ،وَعَظُمَتْ شَوْكَتُهُ افْتَرَضَ عَلَى اليَهُودِ سَنَةَ ٤٦٤هـ فَرِيضَةً ثَقِيلَةً،اجتمع لَهُ مِنْهَا مَالٌ كَثِيرٌ اسْتَعَانَ بِهِ عَلَى مَا كَانَ يُخَطِّطُ(٣).وَحِينَ احْتَاجَ أَحدُهُمْ فِي المَغْرِبِ العَرَبِيِّ الأموالَ لتعينَهُ فِي حَرْبِهِ مَعَ أَعْدَائِهِ أَغْرَمَ النَّاسَ أَمْوَالاً وَأَغْرَمَ اليَهُودَ السَّاكِنِينَ بِهَا كَذَلِكَ مَالاً(٤)،وَلَمْ تَكُنِ الضَّرَائِبُ خَاصَّةً بِاليَهُودِ بَلْ بِرَعَايَا الدَّوْلَةِ وَمِنْهُمُ اليَهُودُ.

وَمَا يُقْبَضُ مِنْ أَمْوالِ اليَهُودِ وأهلِ الذِّمَّةِ سُمِّيَ عُشُورًا(٥)،وَمَنْ يَقْبِضْ هَذِهِ الأَمْوالَ مِنْهُمْ كَانَ يُدْعَى عَشَّارًا(٦)أَوْ عَامِلَ العُشُورِ.وكَثِيرًا مَا كَانَ القَائِمُ بِهَذِهِ الوظيفَةِ يَهُودِيًّا،وَكَانَ يَتَعَرَّضُ لِمُضَايَقاتٍ مِنَ النَّاسِ كَمَا يَظْهَرُ فِي الرِّوَايةِ عَنْ أُمَيَّةَ بنِ شُهَيْدٍ(٧)أَنَّهُ كَانَ يمرُّ فِي طَرِيقِهِ إِلَى القَصْرِ بِالأَعْرَجِ ابنِ مَطْرُوحٍ الفَقِيهِ(٨)،وَكَانَ إِذَا سلَّمَ أُمَيَّةُ عَلَيْهِ جَاوَبَهُ بِمَا يَكْرَهُ، فَأَمْهَلَهُ،حَتَّى حَانَ وَقْتَ الحَصَادِ،وَأَوْصَى عَامِلَ العُشُورِ أَنْ يَمُرَّ مَعَ عُمَّالِهِ بِقَرْيَةِ ابنِ مَطْرُوح وَيَتَعدُّوا عَلَى أَنْدَرِهِ(٩) إِذَا ذَرَّى.ثُمَّ يَهْبِطُونَ إِلَى قُرْطُبَةَ وَيَدْعُونَ عَلَيْهِ العُشُورَ،فَفَعَلُوا وَرَفَعُوا إِلَيْهِ،وَقَدْ خَرَجَ ابنُ مَطْرُوح،وَهُوَ يَقُولُ لَهُمْ فِي طَرِيقِهِ:يَا قَتَلَةَ الأَنْبِيَاءِ(١٠).وَالحَادِثَةُ تُشِيرُ إِلَى أَمْرَيْنِ:أَوَّلُهُمَا أَنَّ

---

١ - انْظُرْ: عبد الوَهَّاب المَسِّيرِيّ"**الصَّهْيُونِيَّة الحَاضِرُ وَالمُسْتَقْبَلُ**" ٧٤/٣ .

٢ - انْظُرْ: الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ١٣٠- ١٣٢ .

٣ - انْظُرْ: مَجْهُول"**الحُلَلُ المَوْشِيَّة**" ص ٢٥ .

٤ - انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**"- قسم المُوَحِّدِين - ص ٣٧٢ .

٥ - مِنْ قولِ الرَّسُولِ ﷺ :"إِنَّمَا العُشُورُ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى وَلَيْسَ عَلَى المُسْلِمِينَ عُشُورٌ".

انْظُرْ: التِّرمِذِيّ"**الجَامِع الصَّحِيح**" ٢٧/٣ ؛ الزَّرْعِيّ"**أَحْكَام أَهْلِ الذِّمَّة**" ٣٣٧/١، ٣٣٩ .

٦ - العشار: هُوَ الماكس الذِي يجبي الأعشار مِنْ أَهل الذِّمَّة، وَالمَكْسُ هِيَ الجباية .

ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [عشر،مكس] ٥٧٠/٤، ٢٢٠/٦ .

٧ - هُوَ: **أُمَيَّة بن عيسى بن شُهَيد**،عملَ والده عيسى وَزِيرًا مقربًا مدة عشرين عَامًا للأمير عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن الحَكَمِ،ثُمَّ ابنه مُحَمَّدٍ إِلَى أن تُوُفِّيَ سَنَةَ ٢٤٣هـ . انْظُرْ: ابن حَيَّان"**المُقْتَبَس**" ص٢٦ - ٢٨ .

٨ - هُوَ الفَقيه:**يُوسُفُ بن مطروح**،يُنسبُ إِلَى الربض المتصل بِقُرْطُبَةَ مِنْ فقهاء مذهب مالك .

انْظُرْ: الحُمَيْدِي"**جَذْوَة المُقْتَبَس**"٥٨٩/٢؛ وت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٢٦/٣ .

٩ - الأَنْدَرُ: البَيْدَرُ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [ندر] ٢٠٠/٥ .

١٠ - انْظُرْ: ابن القوطية"**تَارِيخُ افْتِتَاح الأَنْدَلُس**"ص ١٠٦ .

هَؤُلاءِ العُمَّالَ اليَهُودَ كَانُوا أُلعُوبَةً بِيَدِ الكِبارِ يَأْمُرونَهُم أَحْيَانًا بِالاعْتِدَاءِ عَلَى النَّاسِ دُونَ حَقٍّ، فَيُنَفِّذُونَ،وَالأَمْرُ الثَّانِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَلَقَّوْنَ الإِهَانَاتِ وَيُعَايَرُونَ بِأَنَّهُمْ قَتَلَةُ الأَنْبِيَاءِ.وَلازَمَتِ الإِقْرَاضَ وَالرِّبَا "الرشْوَةُ" الَّتِي وَصَفَهَا إِسْرَائِيل شاحاك بِأَنَّهَا السِّلاحُ القَدِيمُ لِلطَّوائِفِ اليَهُودِيَّةِ[1] .

ويَبْدُو أَنَّ توليَةَ اليَهُودِ عَلَى الضَّرَائِبِ كَانَ شَائِعًا في الأَنْدَلُسِ،مِمَّا حَدَا **بِأَبِي حَفْصٍ الزَّكْرَمِيّ**[2] أَنْ يَحْتَجَّ صَارِخًا لِسُكُوتِ العامَّةِ حِينَ طُولِبَ بِمَكْسٍ كَانَ يَتَوَلاهُ يَهُودِيٌّ[3] :[الكامل]

يَـــا أَهْــلَ دَانِيَـــةَ لَقَــدْ خَـــالَفْتُمُ حُكْمَ الشَّـرِيعَةِ وَالمُـرُوءَةِ فِينَـا

كُنَّـــا نُطَالِـــبُ **لِلْيَهُــودِ** بِجِزْيَـــةٍ وَأَرَى **اليَهُــودَ** بِجِزْيَـــةٍ طَلَبُونَـــا

٢ ـ الإِقْرَاضُ وَالرِّبَا.

حَرَّمَتِ النَّصْرَانِيَّةُ الرِّبَا،أَمَّا اليَهُودِيَّةُ فَلَمْ تُحَرِّمْهُ،وَإِنْ كَانَتْ حَرَّمَتْ إِقْرَاضَ اليَهُودِيِّ[4] . وَمَعْ نِهَايَةِ العُصُورِ الوُسْطَى كَانَتْ كَلِمَةُ "يَهُودِيٍّ" مُرَادِفَةً فِي كَثِيرٍ مِنَ اللغَاتِ الأُورُوبِيَّةِ لِكَلِمَـةِ "تَـاجِر" أَو "مُرَابٍ"،وَتَبَلْوَرَتْ فِي عَصْرِ النَّهْضَةِ عَلَى يَدِ شِكْسبيرَ(١٥٦٤-١٦١٦م) حَيْثُ لَصقَتْ بِهِمْ صُورَةُ المُرابِي اليَهُودِيِّ القَبِيحِ شَيْلُوكَ فِي مَسْرَحِيَّةِ "تَاجِرِ البُنْدُقِيَّةِ"[5] الذِي كَانَتِ المُجَوْهَرَاتُ وَالأَمْوَالُ أَغْلَى لَدَيْه مِنَ ابْنَتِهِ[6] ،"فَأَصْبَحتْ شَخْصِيَّتُهُ جُزْءًا مِنَ المُعْجَمِ الانْجِلِيزِيِّ وَتَعْنِي:الرَّجُلَ الطَّمَّاعَ الشَّرِهَ الذِي لا تَعْرِفُ الرَّحْمَةُ طَرِيقًا إِلَى قَلْبِهِ"[7] .وَظَهَرَ شَبِيهٌ لِشَيْلُوكَ فِي مُعْظَمِ الآدَابِ الأُورُوبِيَّةِ،حَتَّى فِي الأَدَبِ الشَّعْبِي الإِسْبَانِي؛فَجَاءَتْ مَثَلاً صُورَةُ اليَهُودِ فِي "ملحَمَةِ السِّيدِ" التِي كَانَ يُنْشِدُهَا القَاضِي أَبُو الوَلِيدُ الوَقشِيُّ(ت:٤٨٨هـ)[8] مُقَارِبَةً لِصُورَةِ شَيْلُوكَ فَكَانَ اليَهُودِيَّانِ رَاكِيل وفِيدَاس

١ – انْظُرْ : إِسْرَائِيل شَاحَاك"**الدِّيَانَةُ اليَهُودِيَّة وَمَوْقِفُهَا مِنْ غَيْرِ اليَهُودِ**" ص ٢٩ .

٢ – هُوَ : أَبُو **حَفْصٍ العَرُوضي الزكرمي**: أشار الحموي إِلَى أَنَّهُ مِنْ إِفْرِيقْيَةَ، لكِنَّهُ قَالَ هَذِهِ الأبياتِ فِي الأَنْدَلُسِ .

انْظُرْ: ياقوت الحموي "**مُعْجَم الأُدَبَاءِ**" ٢١٨/١٠ – ٢١٩ .

٣ – يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ١٤٥/٣ – ١٤٦؛ السِّلَفِيّ"**أَخْبَارٌ وَتَرَاجِمُ أَنْدَلُسِيَّة**"ص٣٧– ٣٨ .

٤ – فِيهَا: "لا تُقْرِضْ أَخَاكَ بِرِبًا،رِبَا فِضَّةٍ أَوْ رِبَا طَعَامٍ أَوْ رِبَا شَيْءٍ مَا مِمَّا يُقْرَضُ بِرِبًا. للأَجْنَبِيِّ تُقْرِضُ بِرِبًا وَلكِنْ لأَخِيكَ لا تُقْرِضْ بِرِبًا" **التَّوْرَاة : سفر التَّثْنِيَة** ٢٠/٢٣ – ٢١ .

٥ – انظر : شِكْسبِير "**تَاجِر البُنْدقِيَّة**" ص١٣ ،٥٠، ٦٣ .أَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّ اليَهُودَ الذِين عاشوا فِي إنجلترا فِي عصر شِكْسبِير لَمْ يزيدوا عَلَى مِائَتَيْ يَهُودِيّ فِي طول البلاد وعرضها وَهُوَ عدد ضئيل للغاية بالنسبة إِلَى تعداد السكَّانِ البالغ أربعة ملايين نسمة،وَمَعْ ذَلِكَ كَانَ لهم وجودٌ واضِحٌ فِي مَسْرَحِياتِ شكسبير . انْظُرْ : رمسيس عوض "**شِكْسبِير واليَهُود**" ص٥٨ .

٦ – انْظُرْ : د. ل كارنييف"**اليهود واليهوديّةُ فِي نَظَرِ شُعُوبِ العَالَمِ**" ص ٥٠ .

٧ – عَبْد الوَهَّابِ المَسِّيرِيّ" **مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" ٣٧٩/٢-٣٨٢ .

٨ – هُوَ القَاضي:**أبو الوليد** هشام بن أحمد الكناني **الوقشي**(٤٠٨– ٤٨٨هـ)،مِنْ وَقَّش(بالفتح وتشديد القاف) فِي طُلَيْطِلَة،وتُوُفِّيَ فِي دانية، كان فقيهًا عَالِمًا بِمُعْظَمِ الفُنُونِ فِي عَصْرِهِ،ومِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالنَّحْوِ واللُّغَةِ وَمَعَانِي الشِّعْرِ وَالبَلاغَةِ،حَسَنَ النَّقْدِ للمَذَاهِبِ، وَكَانَ فِي بَلَنْسِيَةَ عِنْدَمَا احْتَلَّهَا السِّيد،وَتَوَلَّى رِيَاسَةَ القَضَاءِ عَلَى أَيَّامِهِ،وَقَدِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنَالَ ثِقَةَ السِّيد وَأَنْ يَكُونَ مَوْضِعَ تَقْدِيرِهِ،اتُّهِمَ بِرَأْيِ المُعْتَزِلَةِ.

انْظُرْ : ابن بشكوال"**الصلة**"يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٣٨١/٥-٣٨٤؛الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"١٣٤/١٩-١٣٦؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٨٤/٢ .

صُورَةً ثَانِيَةً لِشَيْلُوكَ(١)،فاليَهُودُ فِيهَا يَشْتَغِلُونَ بِالتِّجَارَةِ وَالصَّيْرَفَةِ،وَبِالرِّبَا وَالمُرَاهَنَةِ، وَيَحْرِصُونَ عَلَى المَالِ كَثِيرًا،وَمِنْ أَجْلِ الرِّبْحِ يُصَانِعُونَ،وَيَتَكَتَّمُونَ(٢).

وَلَمْ تَكُنِ الدُّيُونُ مَعَ اليَهُودِ كُلُّهَا قَلِيلَةً عَاجِلَةَ الدَّفْعِ،فَعَنْ يَهُودِيٍّ أَنَّهُ اسْتَظْهَرَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ بِثَلاثَةِ رُسُومٍ،أَحَدِهَا لِتَارِيخِهِ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا،واثنانِ لِتَارِيخِهِمَا أَحَدَ عَشَرَ عَامًا(٣).وَسُئِلَ كَذَلِكَ عَنِ اليَهُودِ المُشْتَغِلِينَ بِالمُعَامَلَةِ فِي القُرَى يَسْتَظْهِرُونَ بِرُسُومٍ شَرْعِيَّةٍ تَوَارِيخُهَا بَعِيدَةٌ؛ مِنْهَا مَا يَكُونُ عِشْرِينَ عَامًا وَأَزْيَدَ وَثَلاثِينَ،وَخَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا،وَعَشْرَةَ أَعْوَامٍ،وَالغُرَبَاءُ يَدَّعُونَ الخَلاصَ وَلا بَيِّنَةَ لَهُمْ،وَاليَهُودُ يُنْكِرُونَ القَبْضَ(٤).وإِنْ وُجِدَتْ هَذِهِ النصوصُ التِي تُشِيرُ إِلَى إِقْرَاضٍ طَوِيلِ الأجَلِ،فلا بُدَّ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُمْ مَعَ المُسْلِمِينَ دُيُونٌ أَكْثَرُ عاجِلَةُ الدَّفْعِ.

وَيَرَى السَّيِّد عَبْدُ العَزِيزِ سَالِمِ أَنَّ وَضْعَ المُرَابِينَ المُحْتَرِفِينَ فِي الأَنْدَلُسِ أمرٌ لا يُحْسَدُونَ عَلَيْهِ،فَقَدْ كَانُوا يَتَقَاضَوْنَ فَوَائِدَ بَاهِظَةً تَصِلُ إِلَى ٣٢.٥% بَلْ وَأَحْيَانًا ٢٢٠%،هَذَا وَكَانَ الأَمِيرُ ولَيْسَ اليَهُودِيُّ هُوَ الذِي يَقُومُ بِتَحْدِيدِ مُعَدَّلِ الفَائِدَةِ.وَلَمْ يَكُنْ يَحْكُمُ هَذِهِ العَمَلِيَّةَ أَيُّ قَانُونٍ تِجَارِيٍّ أَوْ أَيَّةُ اعْتِبَارَاتٍ اقْتِصَادِيَّةٍ نَاضِجَةٍ،وَإِنَّمَا كَانَ يُحَدِّدُهَا مَدَى خُلُوِّ خَزَانَةِ الأَمِيرِ،فَطَالَمَا كَانَ الاقْتِصَادُ مُزْدَهِرًا، لَمْ يَكُنِ الأَمِيرُ يُطَالِبُ بِضَرَائِبَ عَالِيَةٍ،وَبِذَا يَنْخَفِضُ سِعْرُ الفَائِدَةِ وَيَقِلُّ السَّخَطُ الشَّعْبِيُّ ضِدَّ اليَهُودِ(٥). يُشْبِهُ هَذَا مَا قِيلَ فِي البَحْثِ سَابِقًا عنِ تَحْصِيلِ ذَهَبٍ كَثِيرٍ مِنْ يَهُودِ أَلِيسَانَةَ بِاسْمِ التَّقْوِيَةِ(٦).لِذا يَتَوَصَّلُ السَّيِّد سَالِمِ إِلَى أَنَّ الرِّبَا عِنْدَهُم لَمْ يَكُنِ اسْتِغْلالاً لِلأَغْيَارِ،وَتَآمُرًا ضِدَّهُم،فَالمُرَابِي اليَهُودِيُّ كَانَ الفَرِيسَةَ، وَكَانَ المُلُوكُ وَالنُّبَلاءُ أَكْثَرَ المُسْتَفِيدِينَ،وَعَلَى المَدَى الطَّوِيلِ كَانُوا المُرَابِينَ الحَقِيقِيِّينَ،فَكَانُوا يَسْمَحُونَ لِلْيَهُودِ بِمُوَاصَلَةِ مِهْنَتِهِمِ حَتَّى يَتَفَاقَمَ الاسْتِيَاءُ الشَّعْبِيُّ،ثُمَّ يَقُومُونَ بِطَرْدِهِمْ أَوْ عِقَابِهِمْ بِشِدَّةٍ وَبِذَا يَمْلأُونَ خَزَائِنَهُمْ،وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ يَكْسَبُونَ شَعْبِيَّةً(٧).

---

١ – انْظُرْ :"**مَلحَمَةُ السَّيِّد**" تَرْجَمَة: الطَّاهِر مَكِّي ص ٢٧٠ – ٢٧١ .

٢ – مُلَخَّصُ القِصَّةِ أَنَّ السَّيِّد مَلِكٌ أَصبحَ فَقِيرًا جِدًّا،وَلِكَيْ يُوَاجِهَ مَطَالِبَ العَيْشِ لَهُ وَلِرِجَالِهِ لَجَأَ إِلَى الحِيلَةِ فَمَلأَ بِالرَّمْلِ صُنْدُوقَيْنِ مُزَخْرَفَيْنِ مُذَهَّبَيْنِ،وَدَفَعَ بِهِمَا إِلَى اليَهُودِيَّيْنِ رَاكِيل وفِيدَاس اللَّذَيْنِ كَانَا يَقُومَانِ بِالصَّيْرَفَةِ،وَيُقْرِضَانِ بِالرِّبَا مُقَابِلَ رَهْنٍ،وَأَوْهَمَ اليَهُودِيَّيْنِ بِأَنَّ فِيهِمَا كُلَّ ثَرْوَتِهِ،مِنْ ذَهَبٍ وَمُجَوْهَرَاتٍ بِحُجَّةِ أَنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْمِلَهُمَا فِي رِحْلَتِهِ مَنْفِيًّا،وَأَقْنَعَهُمَا أَنَّهُ بِحَاجَةٍ عَاجِلَةٍ لِلمَالِ وأَنَّهُ سَيَرُدُّ رَهْنَهُمَا حِينَ يَعُودُ مِنَ المَنْفَى،فَقَبِلا مَسْرُورَيْنِ،وَدَفَعَا لَهُ مُقَابِلَ الصُّنْدُوقَيْنِ سِتَّمِائَةِ مَارْكٍ لأَجَلٍ لا يَزِيدُ عَلَى عَامٍ،مُتَأَمِّلَيْنِ أَنْ لا يَعُودَ السَّيِّد وَسَيَكُونُ مِنْ نَصِيبِهِمَا كُلُّ مَا بِدَاخِلِهِمَا مِنْ جَوَاهِرَ وَمَالٍ . انْظُرْ :"**مَلحَمَةُ السَّيِّد**" تَرْجَمَة: الطَّاهِر مَكِّي ص ٢٤٠ .

٣ – انْظُرْ : الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢٤٤/٥ .

٤ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٢٤٥/٥ .

٥ – انْظُرْ: السَّيِّد عَبْد العَزِيز سَالِم "**قُرْطُبَةُ حَاضِرَةُ الخِلافَةِ فِي الأَنْدَلُس**"ص ٣١ .

٦ – انْظُرْ: الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ١٣٠ .

٧ – انْظُرْ: السَّيِّد عَبْد العَزِيز سَالِم "**قُرْطُبَةُ حَاضِرَةُ الخِلافَةِ فِي الأَنْدَلُس**"ص ٣١ .

المَبْحَثُ الرَّابِعُ : **الحَياةُ الدِّينِيَّةُ لِليَهُودِ** فِي الأَنْدَلُسِ .

كَانَ لِيَهُودِ الأَنْدَلُسِ طَرِيقَتُهُمُ الخَاصَّةُ فِي التَّعْبِيرِعَنْ دِينِهِم فِي الصَّلاةِ وَإِقَامَةِ الشَّعَائِرِ التِي تُعَدُّ اسْتِمْرَارًا لِلتَّقَالِيدِ الدِّينِيَّةِ اليَهُودِيَّةِ التِي نَشَأَتْ وَتَطَوَّرَتْ فِي بَابِلَ؛فِي عِبَادَتِهِمْ وَتِلاوَتِهِمْ وَتَرْتِيلِهِمْ وَإِنْشَادِهِم،وَانْفَرَدُوا بِنُصُوصٍ فِي أَدْعِيَتِهِم وَصَلَوَاتِهِمْ قَرِيبَةِ الشَّبَهِ بِمَا عِنْدَ المُسْلِمِينَ(١).ومِنْ مَظَاهِرِ الحَيَاةِ الدِّينِيَّةِ عِنْدَ يَهُودِ الأَنْدَلُسِ مَا يَلِي :

أَوَّلاً :- الحُرِّيَةُ الدِّينِيَّةُ لِلطَّائِفَةِ اليَهُودِيَّة .

يَذْكُرُ وِل دِيوْرَانت أَنَّ بِلادَ الأَنْدَلُسِ حَظِيتْ بِتَسَامُحٍ غَيْرِ عَادِيٍّ مَعَ الأَدْيانِ(٢)،وَلا شَكَّ أَنَّ حالةً مِنَ الحُرِّيَّةِ وَالازْدِهَارِ كَانَتْ تعيشُهَا الطَّائِفَةُ اليَهُودِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ تَمَثَّلَتْ بِوُضُوحٍ فِي ارْتِقَاءِ بَعْضِهِمْ إِلَى الوِزَارَةِ دُونَ أَنْ يَقِفَ الانتِمَاءُ الدِّينِيُّ عَائِقًا؛فَلَمْ تُثَرْ فكرةُ الأَقَلِّيَّاتِ، أَوِ الأَجْنَاسِ، أَوِ الطَّوائِفِ، باسْتِثْنَاءِ حَالاتٍ مَعْدُودَةٍ انصَبَّ فِيهَا هَيَجَانُ العَامَّةِ عَلَى اليَهُودِ،لِمُقَدِّماتٍ سِيَاسِيَّةٍ اقتِصَادِيَّةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ لا عَلاقَةَ لَهَا بِالطَّائِفَةِ وَالدِّينِ كَمَا مَرَّ بِالدِّراسةِ التَّارِيخِيَّةِ.وَمِنَ البَدْءِ كَانَ تَطَلُّعُ اليَهُودِ فِي إِسْبَانِيَا إِلَى أَنْ يَنْعَمُوا بِحُكْمِ العَرَبِ لِمَا حَظِيَ بِهِ أَبناءُ مَذْهَبِهِمْ يَهُودُ المَغْرِبِ مِنْ حُرِّيَّةٍ دِينِيَّةٍ(٣).وَمِنْ أَيامِ الفَتْحِ الأُولَى تَحَدَّثَتِ المَصَادِرُ عَنْ مُعْتَقَدَاتِهِمْ؛فبَعْدَ أَنْ فَتَحَ طَارِقٌ طُلَيْطِلَةَ مَثَلاً،بَلَغَ مَدِينَةً تُسَمَّى "مَدِينَةَ المَائِدَةِ"،لِوُجُودِ مَائِدَةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِهَا،فَتَمَّ وَصْفُهَا بِدِقَّةٍ فِي كَثِيرٍ مِنَ الكُتُبِ،وَجَاءَ حَدِيثٌ وَتَفْصِيلٌ عَنْ كَيْفِيَّةِ وُصُولِهَا إِلَى طُلَيْطِلَةَ كَمَا يَدَّعُونَ،وكُلُّ هَذَا مِنْ مُعْتَقَدَاتِهِم(٤).

وَرُغْمَ انْعِزَالِ اليَهُودِ فِي أَحْيَائِهِم إِلا أَنَّ بَعْضَ مظاهِرِ الحُرِّيَّةِ الدِّينِيَّةِ يُمْكِنُ تُسْجِيلُهَا.فقدْ مَثَّلَتْ مَدْرَسَةُ قُرْطُبَةَ لِلدِّرَاسَاتِ العِبْرِيَّةِ مَرْكِزَ الصَّدَارَةِ فِي القَرْنِ الخَامِسِ الهِجْرِيِّ، وَتَوَسَّعَتْ حَتَّى أَصْبَحَتْ دَارًا لِلإِفْتَاءِ لِلشَّرِيعَةِ اليَهُودِيَّةِ.وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الجَالِيَةَ اليَهُودِيَّةَ بِقُرْطُبَةَ كَانَتْ تُمَارِسُ شَعَائِرَهَا فِي حُرِّيَّةٍ تَامَّةٍ.ووَصَلَتِ الحَالُ بِهِمْ إِلَى أَنْ تَرجَمَ يُوسُفُ بنُ أَبِي ثَوْر شتناش مُقْتَطَفَاتٍ

---

١ – انْظُرْ: عبد الوَهَّاب المَسِّيرِيّ" **مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" ١٨٤/٢ .

٢ – وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ٢٨٢/١٢ .

٣ – انْظُرْ: عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص ٩– ١٠؛ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٤٠٩/٢ .

. Reinhart Dozy "**Spanish Islam**" p 230 - 231

٤ – قِيلَ إِنَّ السبب فِي وُصُولِ مائدة سُلَيْمَانَ إِلَى طُلَيْطِلَةَ أَنَّ مَلِكَ الرُّوم،لَمَّا زحف إِلَى بيت المَقْدس ليقاتلَ إِسْرَائِيلَ،أخذ بلادهم وَسبى مَا فِيهَا، ووجد فِيهَا مِنْ مكارم الأَنْبِيَاءِ عَصَا آدم والتابوت وَعَصَا مُوسَى،ومائدة سُلَيْمَانَ.فحُمل جميع ذَلِكَ إِلَى رومة،فلمَّا مرَّ مَلِكُ الرُّوم بِمِصْرَ، فدفع لَهُمْ المائدة يتبركون بها،وَكَانُوا قَدْ أمدوه،وقاتلوا بَنِي إِسْرَائِيل،فحملتها الأساقفة إِلَى الإسكندرية.فَلَمَّا وصل الفتح الإسلامي هربوا بِهَا مِنْ مكان لآخر إِلَى أن وصلت مَدِينَةَ طُلَيْطِلَةَ. انْظُرْ:ابن عِذَارِي المَرَاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**"١٢/٢، ١٧– ١٨؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**"٢٦٠/١– ٢٦١،٢٧٧؛مَجْهول"**أَخْبَارٌ مَجْمُوعَةٌ فِي فَتْحِ الأَنْدَلُسِ**"ص٢٣؛ الرقيق القيرواني"**تَارِيخ إِفْرِيقْيَةَ وَالمغرب**" ص٥٦ .

مِنَ التَّلْمُودِ إِلَى العَرَبِيَّةِ وَقَدَّمَهَا لِلخَلِيفَةِ الحَكَمِ الثَّانِي[١] .كَمَا أَنَّ الأَنْدَلُسَ أَصْبَحَتْ مَحَجًّا لِبَعْضِ اليَهُودِ مِنْ بُلْدَانٍ أُخْرَى،مِنْ ذَلِكَ وُفُودُ إِسْحَاقَ الفَاسِيِّ(ت:٤٩٧هـ) وَاسْتِقْرَارُهُ فِي أَلِيسَانَةَ سَنَةَ ٤٨١هـ[٢] .

وَكَانَ المُسلِمُ فِي الأَنْدَلُسِ مُطالَبًا بِاحْتِرَامِ دِينِ اليَهُودِ،ويُقَاضَى مَنْ يَتعرَّض لدينِهِمْ بإهانَةٍ؛ فَقَدْ نَظَرَ أَحَدُ القُضَاةِ في قَضِيَّةٍ عَنْ رَجُلٍ شَهِدَ أَنَّ عَبْدًا مَمْلُوكًا كَبِيرَ السِّنِّ أَتَى إِلَى يَهُودِيٍّ يُطَالِبُهُ فِي حَقٍّ لَهُ،فَحَلَفَ لَهُ اليَهُودِيُّ بِالتَّوْرَاةِ،فَلَعَنَ العَبْدُ التَّوْرَاةَ،ثُمَّ أَتَى شَاهِدٌ آخَرُ فَشَهِدَ أَنَّ العبدَ قَالَ: إِنَّمَا لَعَنَ تَوْرَاةَ اليَهُودِ.وَجَاءَتِ الفَتْوَى بِأَنَّ الشَّاهِدَ الثَّانِي عَلَّقَ القَوْلَ بِالقَتْلِ بِصِفَةٍ تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ، لأَنَّ قَوْلَهُ تَوْرَاةَ اليَهُودِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ظَنَّ أَنَّ تَوْرَاتَهُم شَيْءٌ عَمِلُوهُ لأَنْفُسِهِمْ وَلَيْسَ مِنْ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ،فَقَدْ وُصِفَ العَبْدُ بِكِبَرِ السِّنِّ وَضَعْفِ العَقْلِ وَالجَهْلِ،وَهَذِهِ ثَلاثَةُ أَوْصَافٍ تُخِلُّ بِصَاحِبِهَا. وَلَوِ اتَّفَقَ الشَّاهِدَانِ أَنَّهُ لَعَنَ التَّوْرَاةَ مُجَرَّدًا لَضَاقَ التَّأْوِيلُ،أي لَحُكِمَ بِقَتْلِهِ[٣] .

وَوُجِدَ عَدَدٌ مِنَ الشَّنُوعَاتِ لأَدَاءِ صَلَوَاتِ اليَهُودِ،فَلَمْ يَكُنْ غَرِيبًا أَنْ يسْأَلَ أَحَدُهُم سُؤَالاً فِيهِ أَنَّ لَهُ دَارًا بِحَوْمَةِ مَسْجِدٍ فِي قُرْطُبَةَ تُلاصِقُ دَارًا أُخْرَى مَوْقُوفَةً عَلَى شَنُوعَةِ اليَهُودِ[٤] .ولا يَتَعَارَضُ بِرَأْيِي مَعَ الحُرِّيَّةِ الدِّينِيَّةِ مَنْعُ اليَهُودِ مِنْ إِحْدَاثِ شَنُوعَاتٍ جَدِيدَةٍ فِي مَدَائِنِ المُسْلِمِينَ وَبَيْنَ ظَهْرَانِيهِم، طَالَمَا أُبْقِيَتِ القَدِيمَةُ لهم.واسْتَثْنَوْا مِنْ هَذَا إِنْ كَانُوا أَهْلَ ذِمَّةٍ مُنْقَطِعِينَ عَنْ دَارِ الإِسْلامِ وَحَرِيمِهِ ولَيْسَ بَيْنَهُمْ مُسْلِمُونَ فَلا يُمْنَعُونَ مِنْ بِنَائِهَا بَيْنَهُم وَلا مِنْ إِدْخَالِ الخَمْرِ إِلَيْهِم وَلا مِنْ كَسْبِ الخَنَازِير ،وَإِنْ كَانُوا بَيْنَ أَظْهُرِ المُسْلِمِينَ مُنِعُوا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ[٥] .وَسُمِحَ لَهُمْ أَحْيَانًا بِإِنْشَاءِ الجَدِيدِ مِنْهَا،وَمِنْهَا الشَّنُوعَةُ التِي بَنَاهَا إِسْحَاقُ بنُ شَبْرُوط وَالِدُ حَسْدَاي فِي قُرْطُبَةَ[٦] .

وَحِينَ طَلَبَ ابنُ تَاشَفِينَ رَدًّا مِنْ قُضَاةٍ بِغَرْنَاطَةَ سَنَةَ ٥٢١هـ حَوْلَ كَيفِيَّةِ مُعَامَلَةِ الذِّمِّيِّينَ وَالمُعَاهِدِينَ المَنْقُولِينَ مِنْ إِشْبِيلِيَةَ إِلَى مِكْنَاسَةَ[٧] كَانَ الجَوابُ بِإِقْرَارِهِمْ عَلَى مَرَاتِبِ شَرِيعَتِهِمُ التِي يُقِيمُونَ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يُقِيمُ شَرِيعَتَهُ فِي دَارِهِ دُونَ نَاقُوسٍ يَضْرِبُهُ،وَلا فِعْلٍ يُظْهِرُهُ،فَيُبَاحُ ذَلِكَ وَلا يُنْكَرُ[٨] ،فَتُرِكَ اليَهُودُ أَحْرَارًا مِنْ أُمُورِ شَرِيعَتِهِم طَالَمَا لَمْ يَجَاهِرُوا بها أمامَ المسلمينَ.

---

١ – انْظُرْ: " روبَرْت هيلِنْبراند "**زِينَةُ الدُّنْيَا:قُرْطُبَةُ القَرُوسْطِيَّةُ**" تَرْجَمَة: عَبْد الوَاحِدِ لُؤْلُؤَة، بَحْثٌ في:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ١/ ١٩٧ .

٢ – انْظُرْ: إِبْرَاهِيم بوتشيش"**مَبَاحِثُ فِي التَّارِيخِ الاجْتِمَاعِيِّ لِلمَغْرِبِ وَالأَنْدَلُسِ،خِلالَ عَصْرِ المُرَابِطِينَ**"ص ١٠٦ .

٣ – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ١٠/ ٥٢٦ .

٤ – انْظُرْ: عيسَى أَبُو الأَصْبَغ ابن سَهْلٍ "**وَثَائِقُ فِي أَحْكَامِ قَضَاءِ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ**" ص٦٠– ٦١ [الوَثِيقَة رَقَم:٢٥٧] .

٥ – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢/٢٣٣ .

٦ – انْظُرْ:"**أَهْلُ الذِّمَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ خِلالَ الحُكْمِ الأَمَوِيِّ**"ص٣٦ نقلا عن كولن"**إِسْبَانيَا فِي أوائل القرون الوُسْطَى**" ص ٢٠٣ .

٧ – **مِكْنَاسَة:** بكسر أوله وسكون ثانيه ونون، مَدِينَةٌ بالمَغْرِبِ فِي بلاد البَرْبَرِ قريبة مِنْ مَرَّاكُشَ وفاس، بينها وفاس أربعُونَ ميلاً،وهي مدينتان صغيرتان عَلَى ثنية بيضاء بَيْنَهُمَا حصن. اختط إِحْدَاهُمَا يُوسُفُ بنُ تَاشَفِينَ ملك المَغْرِبِ مِنَ الملثمين والأُخْرَى قَدِيمَةٌ وأكثر شجرها الزيتون. انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَانِ**" ٥/١٨١؛الحِمْيَرِيّ "**الرَّوْضِ المِعْطَار**" ص ٥٤٤ .

٨ – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٨/٥٨ – ٥٩ .

وحَتَّى تُتْرَكَ لَهُمُ الحُرِّيَّةُ فِي اخْتِيارِ الدِّينِ الذِي يُرِيدُونَ لَهُمْ ولأَبْنَائِهِم،لَمْ يُجِزْ ابنُ لُبَابَةَ أَنْ يُعَلِّمَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ أَوْلادَ اليَهُودِ القُرْآنَ[١].وَتُرِكَ لَهُمْ حُرِّيَةُ تَعْلِيمِ أَبْنَائِهِمْ عُلُومَ التَّوْرَاةِ وَالكِتَابَةِ بِالعِبْرِيَّةِ،فَضْلاً عَنِ العُلُومِ الأُخْرَى مِثْلِ الحِسَابِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ التِي دَرَسُوهَا عَلَى يَدِ شُيُوخٍ مُسْلِمِينَ. وَمُجَادَلاتُ ابْنِ حَزْمٍ مَعَ علمائِهِم ومُحاوَراته لهُمْ فِي بَعْضِ مَا وَرَدَ فِي التَّوْرَاةِ وَفِي دينِهِمْ يَدُلُّ عَلَى مَدَى الحُرِّيَةِ التِي تَمَتَّعُوا بِهَا فِي نَشْرِ تَعَالِيمِ دينِهِمْ وَتَوْرَاتِهِم حَتَّى بَيْنَ المُسْلِمِينَ.

وَكَانَ يُنْظَرُ إِلَى اليَهُودِيِّ فِي الأَنْدَلُسِ بَصِفَتِهِ الإِنْسَانِيَّةِ وكَانَتْ تُؤَمَّنُ لَهُ حُقُوقُه الإِنْسَانِيَّةُ، وَيَتَوَلَّى الاهْتِمَامَ بِأُمُورِهِ أَحْيَانًا عِلْيَةُ القَوْمِ وَمَنْ هُمْ فِي مَنْزِلَتِهِمْ السَّلاطِينِ،فَحِينَ قَامَتْ فِتْنَةٌ بِإِشْبِيلِيَةَ سَنَةَ ٤٦٢هـ بِسَبَبِ عُدْوَانِ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَلَى يهوديّ سَبَّ الشَّرِيعَةَ،قَبَضَ صَاحِبُ المَدِينَةِ عَلَى المُسلِمِ وَاعْتَقَلَهُ،فَثَارَتِ العَامَّةُ تَعَاطُفًا مَعَ المُسلِمِ،فأَرْسَلَ السُّلْطَانُ بِقُرْطُبَةَ وَلَدَهُ إِلَى إِشْبِيلِيَةَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ مِنْ نُخْبَةِ عُلَمَائِهِ وَوُجُوهِ رِجَالِهِ،لِمُشَارَكَةِ القِصَّةِ،وَالاحْتِيَاطِ مِنَ العَامَّةِ[٢].وفي هَذَا إِشارةٌ إِلَى احتِدادِ المَوْقِفِ واشتِدادِ الصِّراعِ بين المُسْلِمِينَ واليَهُودِ،وإلا مَا كَانَ السُّلْطَانُ لِيُرسِلَ كُلَّ هَذَا الوَفْدِ لِمُتَابَعَةِ الأمرِ،وهَذَا يدلُّ كَذَلِكَ عَلَى مُحاولةِ صَاحِبِ المَدِينَةِ وَالسُّلْطَانِ إيصالَ الحقِّ لأصْحَابِهِ، حَتَّى لَوْ كَانَ لِيَهُودِيٍّ تَعَدَّى عَلَى الشَّرِيعَةِ وثارَتِ العَامَّةُ لسُوءِ تَصَرُّفِهِ.

فَلَمْ تَكُنِ اليَهُودُ تَشْعُرُ بِتَعَصُّبٍ ضِدّهَا بِسَبَبِ الدين،وَأَعْطَى هَذَا هُدُوءًا لأَفْرَادِ الطَّائِفَةِ اليَهُودِيَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ،وَوَصَلَ الأمرُ إِلَى أَنْ يَقُومَ يَهُودِيٌّ بِحَبْسِ دَارِهِ عَلَى مَسْجِدٍ بِقُرْطُبَةَ،إلا أَنَّ الفُقَهَاءَ لَمْ يُجِيزُوا تَحْبِيسَ اليَهُودِيِّ[٣]،وَيُرْوَى عَنْ يَهُودِيٍّ آخَرَ أَنَّهُ حَبَسَ أَملاكًا عِدَّةً لَهُ عَلَى مَسَاكِينِ المُسْلِمِينَ **بِلُورَقَةَ**[٤] إِنِ انْقَرَضَ عقبُ ابْنَتِهِ البِكْرِ التِي فِي حِجْرِهِ[٥].وَلا يُعْقَلُ أَنْ يَقُومَ يَهُودِيٌّ بِحَبْسِ أَمْلاكِهِ عَلَى مَسْجِدٍ أَوْ عَلَى مَسَاكِينِ المُسْلِمِينَ إلا إِنْ كَانَ يَشْعُرُ بِهُدُوءٍ فِي العَلاقَاتِ بين أَصْحَابِ الدِّيَانَتَيْنِ حَوْلَهُ،وَلا يَشْعُرُ بتَعَصُّبٍ أَوِ اضْطِهادٍ لطَائِفَتِهِ .

ثَانِيًا:- دُخُولُ بعْضِ يَهُودِ الأَنْدَلُسِ فِي الإِسْلامِ .

تَأَثَّرَ اليَهُودُ وَأَهْلُ الذِّمَّةِ بِالدِّينِ الإِسْلامِيِّ،وَاعتَنَقَ عَدَدٌ كبيرٌ مِنْهُمُ الإِسْلامَ بَعْدَ الفَتْحِ الإِسْلامِيِّ لِشِبْهِ جَزِيرَةِ إِيبيريا،فَظَهَرَتْ طَبَقَةٌ جَدِيدَةٌ فِي المُجْتَمَعِ الأَنْدَلُسِيِّ أُطْلِقَ عَلَيْهَا المُسَالِمةُ أَوِ الأَسَالِمَةُ، وَأَخَذَتْ هَذِهِ الطَّبَقَةُ بِالتَّزَايُدِ شَيْئًا فشَيْئًا عَلَى حِسَابِ أَهْلِ الذِّمَّةِ حَتَّى أَصْبَحَ الذِّمِّيّونَ أَقلِّيَّةً بَيْنَ السُّكَّانِ،

---

١ – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٩٦/١١ .

٢ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م ٤١٨/١ .

٣ – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٦٥/٧ .

٤ – **لُورَقَة**: بالضم ثم السكون والراء مفتوحة والقاف،ويُقَالُ لُرْقَةُ بسكون الراء بغَيْرِ الواو،وهي مَدِينَةٌ بالأَنْدَلُسِ مِنْ أعمال تدمير .
يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٢٥/٥ ؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَان**" ٣٨/٥ .

٥ – انْظُرْ: عيسَى أَبُو الأَصْبَغ ابن سَهْلٍ "**وَثَائِقُ فِي أَحْكَامِ قَضَاءِ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الأَنْدَلُس**" ص ٦٨ [الوَثِيقَة رَقَم:١٦٦] .

وَفِي إِقْلالٍ مُسْتَمِرٍّ.وَحاوَلَ مُونْتَغْمِري وات مَعْرِفَةَ أسبابِ اعْتِنَاقِ مِثْلِ هَذَا العَدَدِ الكَبِيرِ الإِسْلامَ،فَرَدَّهُ إِلَى استبدادِ وَظُلْمِ فِئَةِ القُوطِ الحَاكِمَةِ الذي جَعَلَ الحَيَاةَ عَسِيرَةً جِدًّا بِالنِّسْبَةِ لأولَئِكَ اليَهُودِ،بالإِضَافَةِ إِلَى توَقُّعِ وُجُودِ كَثِيرٍ مِنَ الرَّقِيقِ بينَهُم،كَمَا أَنَّ بعضَ مُعْتَقَدَاتِ القُوطِ مَهَّدَتِ السَّبِيلَ مِنَ النَّاحِيَةِ الفِكْرِيَّةِ لاعْتِنَاقِهِمُ الإِسْلامَ[1].فَأَرْجَعَ مُونْتَغْمِري إِسْلامَهُمْ إِلَى عِدَّةِ أُمُورٍ.لكِنَّ بَعْضَ الدَّارِسِينَ أَرْجَعَ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ لِعَامِلٍ وَاحِدٍ.فَأَصْحَابُ التَّفْسِيرِ المَادِّي،يَرَوْنَ السَّبَبَ المَادِي وَرَاءَ إِسْلامِ سُكَّانِ البِلادِ، فَيَرَوْنَ أَنَّ النُّبَلاءَ أَسْلَمُوا مِنْ أَجْلِ الحِفَاظِ عَلَى أَمْلاكِهِمْ أَوْ هَرَبًا مِنْ دَفْعِ الجِزْيَةِ،وَالعَامَّةَ مِنْ أَجْلِ تَحْسِينِ أَوْضَاعِهِم المُتَرَدِّيَةِ وَالفَقِيرَةِ،وأَخَذَ بِهَذَا دوزي مَثَلاً الذي زعمَ أَنَّ الذِّمِّيِّينَ فِي دارِ الإِسْلامِ يُسْلِمُونَ طَمَعًا فِي طُعْمِ إِلغَاءِ الجِزْيَةِ عَنْهُمْ[2]،بَيْنَمَا يَدَّعِي أَصْحَابُ التَّفْسِيرِ الاجْتِمَاعِيِّ لِلتَّارِيخِ مَثَلاً أَنَّ إِسْلامَهُمْ صُورَةٌ مِنْ مُحَاكَاةِ المَغْلُوبِ الضَّعِيفِ لِلغَالِبِ القَوِيِّ... وَهَكَذَا.إلا أَنَّنِي أَرَى،كَمَا يَرَى عَبْدُ المُطَّلِبِ مَظْهَر،أَنَّ التَّسَامُحَ وَعَدَمَ إِجْبَارِهِمْ عَلَى تَغْيِيرِ دِينِهِم أَسْبَابٌ مُشَجِّعَةٌ،وَمَا يَحْمِلُهُ الإِسْلامُ مِنْ أَفْكَارٍ تَتَلاءَمُ مَعَ فِطْرَةِ البَشَرِ هُوَ الذي جَعَلَهُم يُسْلِمُونَ[3].وقِصَّةُ إِسْلامِ اليَهُودِيِّ صَدِيقِ الفَقِيهِ طَالُوتَ مِثَالٌ عَلَى ذَلِكَ[4].

وَظَهَرَ فِي المَصَادِرِ تَقْدِيرٌ لِمَنْ تَحَوَّلوا عنِ اليَهُودِيَّةِ أَوْ مَنْ كَانُوا مِنْ أُصولٍ يَهُودِيَّةٍ؛فَمَعْ أَنَّ الأَبَ نَصْرَانِيٌّ وَالأمَّ يَهُودِيَّةٌ فِي نَسَبِ أَبِي النَّعِيمِ الجَنَوِيِّ إلاَّ أَنَّهُ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ الشَّيْخُ العَارِفُ بِاللهِ تَعَالَى الكَبِيرُ الشَّأْنِ.وشَهِدَ لَهُ أَبُو العَبَّاسِ الأَنْدَلُسِيّ بِقَوْلِهِ إِنَّ أَبَاهُ كَانَ نَصرانيًّا تَزَوَّجَ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً وَوَلَدَتْ لَهُ الشَّيْخَ أَبَا النَّعِيمِ فَنَشَأَ مَثَلاً فِي العِلْمِ وَالوِلايَةِ وَمَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ[5]،فَلَمْ تَتَأَثَّرْ شَهَادَةُ المُعَرِّفِينَ لَهُ بكَونِ وَالِدِهِ أو أُمِّهِ عَلَى دِينِ غَيْرِ الإِسْلامِ،وشَهِدُوا لَهُ بِأَفْضَلِ مَا يُشْهَدُ لِمُسْلِمٍ.

وَأَرَى أَنَّ بَعضَ اليَهُودِ اعْتَنَقَ الإِسْلامَ فِعْلاً لتحقيقِ مَكَاسِبَ ليسَ إِلا،ومِثْلُ هَؤُلاءِ جَاءَتْ تَصَرُّفَاتُهُم اللاحِقَةُ لإعْلانِ إِسْلامِهِم تُؤَكِّدُ هَذا،فَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ مَا يَدُلُّ عَلَى تَحَوُّلِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ،والعَامَّةُ لا تَرْحَمُ فِي هذا.بَيْنَمَا ظَهَرَ مِنْ بعضِ اليَهُودِ مِمَّنْ تَحَوَّلَ عن دينِهِ إِلَى الإِسْلامِ صِدْقٌ لاحَظَتْهُ العَامَّةُ فَنَسِيَتْ دِينَ أَسْلافِهِ وَعَامَلَتْهُ مُعَامَلَةَ المُسلِمِ الحَقِّ.وَغَالبًا مَا تُضَافُ كَلِمَةُ الإِسْلامِيِّ عَلَى اسمِ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ اليَهُودِ وَارْتَاحَتِ العَامَّةُ لإِسْلامِهِ بِمَا ظَهَرَ مِنْهُ.فَقِيلَ مَثَلاً عَبْدُ الحَقِّ الإِسْلامِيُّ،الذِي

١ – انْظُرْ: مونتغمري وات"**فِي تَارِيخِ إِسْبَانيَا الإِسْلامِيَّةِ**"ص ٦٦ .

٢ – انْظُرْ: رينهارت دوزي "**تَارِيخ مُسْلِمِي إِسْبَانِيَا**" تَرْجَمَة: حسن حبشي، ص ١٣٨ .

٣ – انْظُرْ: عبد المطلب مَظْهَر"**أَهْلُ الذِّمَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ خِلالَ الحُكْمِ الأَمَوِيِّ**"ص ٧٩ – ٨٠ .

٤ – انْظُرْ :ابن القوطية"**تَارِيخُ افْتِتَاحِ الأَنْدَلُسِ**"ص٧٠–٧١؛عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص٢١؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٣٩/١؛ الذَّهَبِيّ "**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" ٢٥٨/٨ ؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٣٨٢/٣ . وانْظُرْ قِصَّتَهُ فِي البَحْثِ : ص ٧٤ .

٥ – انْظُرْ: أَحْمَد الناصِرِيّ"**الاستِقْصا**" ١٩١/٥ .

تَرَكَ اليَهُودِيَّةَ إِلَى الإِسْلامِ ثُمَّ وَضَعَ رِسَالَةً قَبْلَ سَنَةَ ٨٠٢هـ أَسْمَاهَا "السَّيْف المَمْدُودِ فِي الرَّدِّ عَلَى أَحْبَارِ اليَهُودِ"[١]،وَقِيلَ أَبُو الفَضْلِ بْنُ حَسْدَاي الإِسْلامِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

لَكِنْ شُكَّ فِي صِحَّةِ إِسْلامِ بعْضِهِمْ أَحْيَانًا؛فَلازَمَ الشَّاعِرَ ابنَ سَهْلٍ وَصْفُ الإِسْرَائِيلِيِّ واليَهُودِيِّ كَثِيرًا تَذْكِيرًا بِدِينِ أَسْلافِهِ،وسيُخَصِّصُ البَحثُ حَدِيثًا حَوْلَ مَا قِيلَ فِي صِحَّةِ إِسْلامِ ابنِ سَهْلٍ[٢]، وَقِيلَ إِنَّ مُوسَى بنَ مَيْمُونٍ(٥٣٠- ٦٠٢هـ)[٣] القُرْطُبِيَّ تَظَاهَرَ بالإِسْلامِ فِي المَغْرِبِ،ثُمَّ عادَ إِلَى يَهُودِيَّتِهِ بِمِصْرَ،وَصَارَ رَئِيسًا عَلَيْهِمْ وَاشْتَغَلَ بِاللاهُوتِ اليَهُودِيِّ[٤].

ثَالِثًا:- قَضَاءُ اليَهُودِ فِيمَا بَيْنَهُم .

مِنْ أَكْبَرِ الإِشارَاتِ عَلَى مَدَى الحُرِّيَةِ الدِّينِيَّةِ التِي وَصَلَ إِلَيْهَا يَهُودُ الأَنْدَلُسِ وُجُودُ قَضَاءٍ مُسْتَقِلٍّ بِهِمْ،وفي كُتُبِ النَّوَازِلِ أَسْئِلَةٌ تُؤَكِّدُ أَنَّهُم تميَّزُوا بِقَضَاءٍ لا يَتَدَخَّلُ بِهِ المُسْلِمُونَ.وَوَصَلَ الحالُ بهِمْ أَنْ طَالَبُوا فِي أَكثَرَ مِنْ نَازِلَةٍ أَنْ يَنْظُرَ قُضاةٌ مُسْلِمُونَ فِي بَعْضِ أمُورِهم.فَسُئِلَ ابنُ العَطَّارِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ اليَهُودِ يُطَالِبُونَ شَخْصًا مِنْهُمْ بِمَظَالِمَ وَدَعَاوَى،وَيَذْهَبُونَ إِلَى مُحَاكَمَتِهِ بِبَيِّنَةِ اليَهُودِ، لَكِنَّ المُدَّعَى عَلَيْهِ يَرْغَبُ بِمُحَاكَمَتِهِ عِنْدَ حُكَّامِ المُسْلِمِينَ،إِذْ بِيَدِهِ وَثِيقَةٌ عَرَبِيَّةٌ بِعُدُولِ المُسْلِمِينَ مِمَّا يَطْلُبُونَهُ مِنْهُ[٥].وَسُئِلَ فُقَهَاءُ قُرْطُبَةَ عَنْ يَهُودِيٍّ ذَكَرَ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ اليَهُودِ طَلَبَتْهُ عِنْدَ قُضَاتِهِمْ بِأَشْيَاءَ ادَّعَتْهَا عَلَى أَبِيهِ،فادَّعَى أَنَّ بِيَدِهِ سِجِلاً لِقَاضِي الجَمَاعَةِ وَوَثَائِقَ مُنْعَقِدَةً بِالخَطِّ العَرَبِيِّ وَشُهُودِ المُسْلِمِينَ، وَأَثْبَتَ أَنَّ قُضَاةَ اليَهُودِ وَفُقَهَاءَهُم عَلَى عَدَاوَةِ أَبِيهِ،وَأَنَّ شُهُودَهَا مِنَ اليَهُودِ،وَمَتَى خَرَجَ نَظَرُهَا عَنْهُمْ بَطُلَ حَقُّهَا[٦].فكَانَ جَوابُ ابنِ عَبْدِ رَبِّهِ أَنَّ الذِي جَرَى العَمَلُ بِه بالأَنْدَلُسِ إِذَا تَظَالَمَ اليَهُودُ فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالحُقُوقِ وَدَعَا أَحَدُ الخَصْمَيْنِ مِنْهُمْ إِلَى حُكْمِ الإِسْلامِ،وَدَعَا الثَّانِي إِلَى قُضَاتِهِمْ،أَنْ يَرْفَعُوا إِلَى قُضَاتِهِمْ،كَيْفَ وَالطَّالِبَةُ تَقُولُ إِنَّ شُهُودَهَا مِنَ اليَهُودِ وَلا تُمْكِنُهُمُ الشَّهَادَةُ

---

١ – انْظُرْ: عَطَا رَبِّه"**اليَهُود فِي بِلادِ المَغْرِبِ الأَقْصَى**" ص٢٠١ .

٢ – انْظُرْ فِي البَحْثِ : ص ١٩٩– ٢٠٣.

٣ – هُوَ الطَّبِيبُ الفيلسوف:**مُوسَى بنُ مَيْمُونَ القُرْطُبِيُّ** (٥٣٠–٦٠٢هـ) وُلِدَ فِي قُرْطُبَةَ وَتَلَقَّى عُلُومَهُ فِيهَا، ثُمَّ هَاجَرَتْ عَائِلَتُهُ سَنَةَ ٥٤٤هـ إِلَى إِفْرِيقْيَةَ ثُمَّ إِلَى فلسطين،وَرَحَلَ إِلَى مِصْرَ سَنَةَ ٥٦١هـ وَخَدَمَ القَاضِي الفَاضِلَ،وقِيلَ إِنَّهُ طَبَّبَ صلاح الدِّين الأيوبي،وقِيلَ إِنَّهُ تَظَاهَرَ بِالإِسْلام فِي المَغْرِبِ وَحَفِظَ القُرْآنَ وَاشْتَغَلَ بِالفِقْهِ،ثُمَّ عادَ فِي مِصْرَ إِلَى يَهُودِيَّتِهِ،وَصارَ رَئِيسًا لِلْيَهُودِ،وَبَحَثَ فِي الطِّبِّ وَالفَلْسَفَةِ وَاللاهُوتِ،وَلَهُ مؤلفات أهمها "دَلالَةُ الحَائِرِينَ"،تُوُفِّيَ بالقاهرة،ونقل رفاته إِلَى طبرية، ولا يزالُ قبرُهُ قَائِمًا فيها .

انْظُرْ: القِفْطِيّ "**إِخْبَار العُلَمَاءِ بِأَخْبَارِ الحُكَمَاءِ**"ص ٢٠٩–٢١٠؛ ابن أَبِي أُصَيْبِعَة"**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**"١/٥٨٢–٥٨٣؛ الكُتْبِيّ"**فَوَات الوَفَيَات**"٢/٥٣٧–٥٣٨؛عَبْد العَزِيزِ عبد الله"**الطبّ وَالأَطِبّاء فِي المَغْرِبِ**"ص٣٩؛وِل دِيوْرَانت"**قِصَّة الحَضَارَة**" ١٤/٤٧ وَمَا بعدها،١٢٠–١٣١؛إِسْرَائِيل وِلفنسُون"**مُوسَى بن مَيْمُون**"ص١–٤؛ خوان فِيرنِيت"**فَضْلُ الأَنْدَلُسِ عَلَى ثَقَافَةِ الغَرْبِ**"ص٨٢–٨٣؛ أحمد شَحْلان "**مُوسَى بنُ مَيْمُونَ وَكِتَابه دَلالَةُ الحَائِرِينَ**"،مَجَلّة كُلِّيَّةِ الآدَاب وَالعُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ بِالرِّبَاطِ، ع٥و٦، ١٩٧٩م، ص١– ٢٣ .

٤ – انْظُرْ: ابن أَبِي أُصَيْبِعَة "**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ١/٥٨٢ .

٥ – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ١٠/٥٦ .

٦ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ١٠/١٢٨ – ١٢٩ .

إلا عِنْدَ قُضَـاتِهِمْ.إلا أنَّهُ اسْتِنَادًا إلَى قَوْلِهِ تَعَالَى(فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ)[١] يُخَيِّرُ حَاكِمُ المُسْلِمِينَ فِي الحُكْمِ بَيْنَهُمْ إِذَا جَاؤُوا رَاضِينَ بِحُكْمِ المُسْلِمِينَ[٢].

وَكَانَ دينُهُم مُعَظَّمًا حِينَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ مُسْلِمُونَ؛فقِيلَ إنَّ القَاضِي أبَا عَبْدِ اللهِ الأليَدِيّ[٣] كَانَ يَطْلُبُ مِنَ الغَرِيمِ مِنَ اليَهُودِ الحَلْفَ بِالتَّوْرَاةِ[٤].وَمِنْ أَطْرَفِ مَا قَرَأتُ عَنْ إنْصَافِ اليَهُودِ مَا قِيلَ مِنْ أنَّ القَاضِي سُلَيْمَانَ بْنَ أَسْوَدَ[٥] طُلِبَ بِمَارْدَةَ للحُكْمِ بَيْنَ تَاجِرٍ يَهُودِيٍّ وَمُحَمَّدٍ أَمِيرِ هَا،فَقَدْ قَدِمَ اليَهُودِيُّ بِرَقِيقٍ مِنْ جِلِّيقِيَّةَ[٦]،وَكَانَ فِيهِنَّ جَارِيَةٌ رَائِعَةُ الجَمَالِ،تشَطَّطَ اليَهُودِيُّ فِي ثَمَنِهَا عَلَى الأَمِيرِ مُحَمَّدٍ، فَأَمْسَكَهَا الأَمِيرُ،فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى سُلَيْمَانَ،فَآلَ الأَمْرُ إِلَى أَنْ أَنْكَرَهَا الأَمِيرُ،فَمَا كَانَ مِنَ القَاضِي إلا أنْ رَكِبَ إِلَى قُرْطُبَةَ لِيَشْكُوهُ عِنْدَ أَبِيهِ،فَحِينَئِذٍ رَدَّهَا عَلَى اليَهُودِيِّ،فَقَالَ القَاضِي لِليَهُودِيِّ:قَدْ بَلَّغْتُكَ مَا طَلَبْتَهُ،وَأَرَى أنْ تَصِيرَ الجَارِيَةُ إِلَى الأَمِيرِ بِمَا أَحَبَّهُ مِنَ الثَّمَنِ فَهَذَا أَشْبَهُ بِالأَمِيرِ وَأَلْيَقُ.فَفَعَلَ ذَلِكَ[٧].فَأَوْصَلَ إِلَى اليَهُودِيِّ حَقَّهُ أَوَّلاً،ثُمَّ اقْتَرَحَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَفَاهَمَ مَعَ خَصْمِهِ الأَمِيرِ حَوْلَ الثَّمَنِ.

المَبْحَثُ الخَامِسُ : **الحَيَاةُ الثَّقَافِيَّةُ لِليَهُودِ** فِي الأَنْدَلُسِ .

شَـارَكَ اليَهُودُ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَنَـاحِي الحَيَـاةِ الثَّقَافِيَّـةِ فِـي الأَنْدَلُسِ،صَـحِيحٌ أنَّـهُمْ ذَابُوا فِـي الحَضَـارَةِ العَرَبِيَّةِ لكِنْ كَانَ لَهُمْ أَثَرٌ وَاضِحٌ فِيهَا مِنْ عِدَّةِ نَوَاحٍ، مِنْهَا :

أَوَّلاً :- تَعْلِيمُهُم وَمَدَارِسُهُم .

وُجِدَ اتِّجَاهَانِ لِتَعْلِيمِ أَبْنَاءِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ؛ النَّمَطُ الدِّينِيُّ اليَهُودِيُّ وَالتَّعْلِيمُ العَرَبِيُّ:

١ـ النَّمَطُ الدِّينِيُّ اليَهُودِيُّ:

يَرَى وِل دِيوْرَانت أَنَّ نَمَطَ التَّعْلِيمِ اليَهُودِيِّ الدِّينِيِّ فِي إِسْبَانيا الإِسْلامِيَّةِ لَمْ يَخْتَلِفْ عَنِ النَّمَطِ الذِي كَانَ سَائِدًا فِي بَابِل،فَكَانَ الأَطْفَالُ يَتَعَلَّمُونَ مَا يُؤَهِّلُهُم لِلمُشَارَكَةِ فِي الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ فِي

---

١ – **سُورَة المَائِدَة**، آية ٤٢ .

٢ – انْظُرْ : الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ١٠/١٢٨ – ١٢٩ .

٣ – هُوَ: أَبُو **عَبْدِ اللهِ الأَلْيَدِيِّ**، قَاضِي الجَمَاعَةِ بِغَرْنَاطَةَ . انْظُرْ : الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ١٠/٣٠٩ .

٤ – الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ١٠/٣٠٩ .

٥ – هُوَ القَاضِي: أَبُو **أَيُّوب سُلَيْمَانُ بنُ أَسْوَدَ**،عمل عِنْدَ أَحْمَدَ بنِ زِيَادٍ وأخيه مُحَمَّدٍ بعده.قَالَ ابنُ سَعِيدٍ إِنَّهُ كَانَ صالحًا متقشفًا . انْظُرْ : ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١/١٥١– ١٥٢ .

٦ – **جِلِّيقِيَّة**: بكسرتين واللام مشددة وياء ساكنة وقاف مكسورة وياء مشددة وهاء، مَدِينَةٌ قرب ساحل البحر المحيط مِنْ ناحية شمالي الأَنْدَلُسِ فِي أقصاه مِنْ جهة الغرب.وصل إِلَيْهِ مُوسَى بن نصير لَمَّا فتح الأَنْدَلُسِ . انْظُرْ : يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٢/١٥٧ .

٧ – انْظُرْ : ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١/١٥١ .

المَعْبَدِ.وَكَانَ يُطْلَبُ مِنْ كُلِّ جَالِيَةٍ يَهُودِيَّةٍ فِي أيِّ بلدٍ أَنْ تُقِيمَ عَلَى نَفَقَتِهَا مُجْتَمِعَةً مَا لا يَقِلُّ عَنْ مَدْرَسَةٍ ابتِدائيَّةٍ وأُخْرَى ثَانَوِيَّةٍ دَاخِلَ الكَنِيسِ اليَهُودِيِّ فِي العَادَة،وَكَانَ يُشَارُ إِلَى العُلَمَاءِ ألا يَعِيشُوا فِي بَلَدٍ يَخْلُو مِنْ هَاتَيْنِ المَدْرَسَتَيْنِ[١]،وَكَانَ التَّرْكِيزُ عَلَى تَعْلِيمِ القِرَاءَةِ وَالصَّلَوَاتِ وَعَلَى دِرَاسَةِ التَّوْرَاةِ وَالتَّلْمُودِ،وظَلَّتْ بعضُ المَدَارِسِ فِي الأَنْدَلُسِ تُرَكِّزُ عَلَى تَعْلِيمِ الشَّرِيعَةِ اليَهُودِيَّةِ حَتَّى فَتْرَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ؛ فَقَدْ أَصْدَرَ سُلَيْمَانُ بنُ أَبْرَاهَامَ بنُ أَرْدُوطَ زَعِيمُ يَهُودِ بَرْشَلُونَةَ عَامَ ٧٠٤هـ قَرَارًا بِحِرْمَانِ كُلِّ يَهُودِيٍّ يُعَلِّمُ أَيَّ عِلْمٍ مِنَ العُلُومِ غَيْرِ الدِّينِيَّةِ مَا عَدَا الطِّبِّ أَوْ أَيَّةَ فَلْسَفَةٍ غَيْرِ يَهُودِيَّةٍ أَوْ يَجْرُؤُ عَلَى دِرَاسَةِ شَيْءٍ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الخَامِسَةَ وَالعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ[٢].

وَتَغَيَّرَ الحَالُ قَلِيلاً لَمَّا افْتُدِيَ مُوسَى بنُ حَنُّوخ(سَنَة ٣٦٤هـ)[٣]مِنَ الأَسْرِ بِقُرْطُبَةَ حَيْثُ أَنْشَأَ بِمَعُونَةِ حَسْدَاي مَجْمَعًا عِلْمِيًّا مَا لَبِثَ أَنْ أَصْبَحَتْ لَهُ الزَّعَامَةُ الفِعْلِيَّةُ عَلَى يَهُودِ العَالَمِ كُلِّهِ.وَافْتُتِحَتْ مَجَامِعُ مِثْلُهُ فِي أَلِيسَانَةَ وَطُلَيْطِلَةَ وَبَرْشَلُونَةَ وَغَرْنَاطَةَ،وَكَانَتِ المَدَارِسُ اليَهُودِيَّةُ فِي الشَّرْقِ تُقْصُرُ نَشَاطَهَا عَلَى التَّعْلِيمِ الدِّينِيِّ،بَيْنَمَا هَذِهِ تُعَلِّمُ فِيمَا تُعَلِّمُهُ الأَدَبَ وَالمُوسِيقَى وَالرِّيَاضِيَّاتِ وَالهَيْئَةِ وَالطِّبِّ وَالفَلْسَفَةِ.فَنَالَ بعْضُ يَهُودِ إِسْبَانِيَا فِي ذَلِكَ الوَقْتِ سِعَةً وَعُمْقًا فِي الثَّقَافَةِ.فَكَانَ مِمَّا يُسَرْبِلُ الرَّجُلَ العَلَمَ وَصَاحِبَ المَرْكَزِ السِّيَاسِيِّ بِالعَارِ أَلا يَلُمَّ بِالتَّارِيخِ وَالعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالفَلْسَفَةِ وَالشِّعْرِ[٤].

وَسَاعَدَ مُوسَى بنِ حَنُّوخ فِي مَجْمَعِ قُرْطُبَةَ عُلَمَاءُ يَهُودٌ مِنْهُمُ اللغويُّ مِنَاحِيم بنُ سَرُّوق، وَالنَّحْوِيُّ يَهُودَا بنُ حَيُّوج[٥]،وَدُونَاش بنُ لِبْرَاط[٦]،وَأَبُو الوَلِيدِ مَرْوَانُ بنُ جَنَاح وَغَيْرُهُمْ.وَصَيَّرَ هَؤُلاءِ قُرْطُبَةَ مَرْكَزًا مِنْ مَرَاكِزِ الثَّقَافَةِ اليَهُودِيَّةِ عِدَّةَ قُرُونٍ[٧].ثُمَّ ظَهَرَ فِيهَا يَعْقُوبُ بنُ جُو،وَيُوسُفُ بنُ أَبِي ثَوْر الذي نَازَعَ يُوسُفَ بنِ جَنَاح عَلَى الرِّئَاسَةِ،فَانْقَسَمَ يَهُودُ قُرْطُبَةَ إِلَى حِزْبَيْنِ: جَمَاعَةٌ تَتَشَيَّعُ لِيُوسُفَ بنِ جَنَاح،وَأُخْرَى إِلَى حَنُّوخ،وَلَجأُوا إِلَى الخَلِيفَةِ فَنَصَحَ ابنَ أَبِي ثَوْر أَنْ يَرْحَلَ مِنْ

---

١ – انْظُرْ: وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ١٤/٩-١٠ .

٢ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ١٣٤/١٤ .

٣ – هُوَ: **مُوسَى بنُ أنوخ**، Moses ben Enoch وَتلفظ وَشَنُوك وَأَخنوخ وهنوخ عالم يهوديّ مِنْ أَهْلِ العِرَاقِ، اشتهر بعلمه بالتَّلْمُود، جَاءَ إِلَى قُرْطُبَةَ، فأقام بها،وَاتصل بابن سعديا الفيومي وَراسله ليساعده فِي حل بعض المشكلات . انْظُرْ: جواد علي"**مَا عَرَفَهُ ابنُ النَّدِيمِ عَنْ اليهوديّة وَالنَّصْرَانِيَّةِ؛** القِسْم الثَّانِي" مَجَلّة المَجْمَع العِلْمِيّ العِرَاقِيّ، م ١٠، ١٩٦٣م، ص ١٧٢ .

٤ – انْظُرْ: وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ٥٣/١٤ .

٥ – هُوَ: **يَهُودَا حَيُّوج** وبِالعَرَبِيَّةِ أَبُو زَكَرِيًّا يَحْيَى بنُ دَاوُود بنُ حَيُّوج، وُلِدَ فِي فاس ثُمَّ رحلَ إِلَى قُرْطُبَةَ وظل بِهَا إِلَى أن مات، وَلَهُ مؤلفات عديدة فِي النحو . انْظُرْ: عَطَا رَبَّه"**اليَهُود فِي بِلادِ المَغْرِبِ الأقصَى**"ص٢٠٤؛ وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ٩٦/١٤ .

٦ – هُوَ الشَّاعِرُ: **دوناش هاليفي بن لبراط**، وُلِدَ بفاس سَنَةَ ٤٧٨هـ،ثُمَّ ذهب إِلَى قُرْطُبَةَ الأَنْدَلُسِ،وَكَانَ لَهُ دور فِي إدخال أوزان الشعر العَرَبِي، فجَدَّدَ الشِّعْرَ العِبْرِيَّ بِإدْخَالِهِ البُحُورَ العَرَبِيَّةَ فِيهِ،وَكَانَ ذَا باع طويل فِي شعر المدح،نظم قصائد عديدة فِي المدح .

انْظُرْ: مُحَمَّد بحر عبد المجيد"**اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ**"ص٢٧-٣١؛عَطَا رَبَّه"**اليَهُود فِي بِلادِ المَغْرِبِ الأقصَى**"ص٢٠٥- ٢٠٦ .

٧ – انْظُرْ: جواد علي"**مَا عَرَفَهُ ابنُ النَّدِيمِ عَنْ اليهوديّة وَالنَّصْرَانِيَّةِ – القِسْم الثَّانِي**" ص ١٧٢ .

قُرْطُبَةَ،فَامْتَثَلَ وَرَحلَ إِلَى سُورْيَةَ،وَبَعْدَ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ أَرْسَلَ إِلَيْهِ يَعْقُوبُ بنُ جُو يَقْتَرِحُ عليهِ العَوْدَةَ إِلَى قُرْطُبَةَ لِيَتَسَلَّمَ رِئَاسَةَ المَدْرَسَةِ،لَكِنَّه رَفَضَ،وَمَاتَ فِي دِمَشْقَ سَنَةَ ٤٠٢هـ[١].

وَنَشِطَ التَّأْلِيفُ فِي عُلُومِ اليَهُودِ الشَّرْعِيَّةِ؛فَعَمِلَ إِسْحَاقُ الفَاسِيُّ(ت:٤٩٧هـ) عَلَى إِثْرَاءِ الدِّرَاسَاتِ الدِّينِيَّةِ اليَهُودِيَّةِ،واستَغْرَقَ شَرْحُهُ لِلتَّلْمُودِ خَمسينَ سَنَةٍ،ثُمَّ أَسَّسَ فِي أَلِيسَانَةَ بَعْدَ هِجْرَتِهِ إِلَيْهَا مَدْرَسَةً لِلدِّرَاسَاتِ التَّلْمُودِيَّةِ.ثُمَّ أَتَى أَبْرَاهامُ بنُ عِزْرَا(ت:٥٦٢هـ)[٢].فَشَرَحَ القَوَانِينَ التَّلْمُودِيَّةَ فِي أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ مُجَلَّدًا[٣].وَبَعْدَهُ أَلَّفَ مُوسَى بنُ مَيْمُونَ(ت:٦٠٢هـ) كِتَابًا لَعَلَّهُ أَهَمُّ مَا ظَهَرَ فِي فِقْهِ اليَهُودِ، وَسَمَّاهُ "مَشْنِي تَوْرَاة" أَيْ إِعَادَةُ الشَّرِيعَةِ وَاشْتُهِرَ بِاسْمِ "يَدْ حَزَاقَة أي اليَدُ القَوِيَّةُ"،صَاغَ فِي أَجْزَائِهِ الأَرْبَعَةَ عَشَرَ كُلَّ أَحْكَامِ التَّلْمُودِ وَالمَشْنَا وَالتَّوْرَاةِ[٤]،وَكَتَبَ بِالعَرَبِيَّةِ "السِّرَاج" وَهُوَ شَرْحٌ دَقِيقٌ "للمَشْنِي"،وَأَلَّفَ ابنُ مَيْمُونَ بِالعَرَبِيَّةِ "كِتَابَ الفَرَائِضِ" يَدْفَعُ بِهِ النَّقْدَ المُوَجَّهَ إِلَيهِ[٥]. فَقَدْ شَنَّ يَهُودٌ كَثِيرُون الغَارَةَ عَلَيْهِ لِمُحاوَلَتِهِ إِحْلالَ الفَلْسَفَةِ مَحَلَّ التَّلْمُودِ وَشَكَّكُوا بِهِ وَدَنَّسُوا قَبْرَهُ، وَقِيلَ إِنَّ فِي كُتُبِهِ آراءً خَارِجَةً عَنِ الدِّينِ شَدِيدَةَ الخَطَرِ،فَأُحْرِقَتْ كُتُبُهُ فِي احْتِفَالٍ عَامَ ٦٣١هـ فِي مُنْبِلِيِيه، وَفِي بَارِيسَ عَامَ ٦٣٩هـ وَأُحْرِقَ التَّلْمُودُ فِي بَارِيسَ،ثُمَّ نَدِمَ بَعْضُهمْ؛فَقَدِمَ الكوهن جناح إِلَى مُنْبِلِيِيه وَكَفَّرَ عَنْ مُشَارَكَتِهِ فِي إِحْرَاقِ كُتُبِ ابنِ مَيْمُونَ عَلَنًا فِي كَنِيسِهَا وَحَجَّ تَائِبًا إِلَى قَبْرِهِ[٦].

٢ ـ التَّعْلِيمُ العَرَبِيُّ:

تُرِكَ لِليَهُودِ حُرِّيَةُ تَعْلِيمِ أَبْنَائِهِمْ عُلُومَ التَّوْرَاةِ وَالكِتَابَةِ بِالعِبْرِيَّةِ،فَضْلاً عَنِ العُلُومِ الأُخْرَى مِثْلِ الحِسَابِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ التِي دَرَسُوهَا عَلَى يَدِ شُيُوخٍ مُسْلِمِينَ.ويرَى مُونْتَغَمْرِي وَات أَنَّ يَهُودَ إِسْبَانِيَا خَاصَّةً مَدِينِينَ لِلفِكْرِ العَرَبِيِّ بِصُورَةٍ مُبَاشِرَةٍ،فَجَلَسَ عَدِيدٌ مِنْهُمْ عِنْدَ أَقْدَامِ أَسَاتِذَةٍ يَتَكَلَّمُونَ بِالعَرَبِيَّةِ،وَأَلَّفُوا كُتُبَهُمْ بِهَا كَابنِ مَيْمُونَ[٧]الذِي دَرَسَ فِي مَدَارِسِ قُرْطُبَةَ،وَمِنْ شُيُوخِهِ تِلْمِيذٌ مِنْ

---

١ – مُحَمَّد بحر عبد المجيد"**اليهود فِي الأَنْدَلُسِ**"ص٣٥-٣٦ .

٢ – هُوَ: **أَبْرَاهام بنُ عِزْرَا الطُّلَيْطِلَيّ**، يُسَمَّى بالحكيم الكبير،قضى شطرًا مِنْ حياته الأولى فِي مَدِينَةِ قُرْطُبَةَ، كتب عدة مؤلفات فِي النحو والفَلْسَفَةِ وَالفلك وَالطب باللغة العِبْرِيَّةِ،وكتب شَرْحًا لَفْظِيًّا لِنُصُوصِ كُتُبِ العَهْدِ القَدِيمِ، وَخَرَجَ عَلَى النَّاسِ بِأَفْكَار تَتَضَارَبُ مَعَ أفكار معاصريه فاصطدموا بِهِ،واضطرُّوهُ إِلَى الرَّحِيلِ عَنْ وَطَنِهِ فَلَمْ يَقِرَّ لَهُ قرار،فتنقل بين إيطاليا وَفرنسا وَاليونان وَلندن التي اتخذها مقرا لَهُ حَتَّى وافته منيته سَنَةَ ٥٦٢هـ .

انْظُرْ: ربحي كمال"**دُرُوسٌ فِي اللُّغَةِ العِبْرِيَّةِ**"ص٤٧– ٤٨؛ مُحَمَّد مجيد السعيد "**الشِّعْر فِي عَهْدِ المُرَابِطِينَ وَالمُوَحِّدِينَ بِالأَنْدَلُسِ**"ص ٥٥ ؛أنخل جُنْثَالِث بالنثيا "**تَارِيخُ الفِكْرِ الأَنْدَلُسِيّ**" ص٢٦ ،٥٠٠– ٥٠١ ؛ مونتغمري وات "**أَثَر الحضَارَةِ العَرَبِيَّةِ الإِسلامِيَّةِ عَلَى أُوْرُوبَّا**" ص١٢٨ .

٣ – انْظُرْ: إِبْرَاهِيم بوتشيش"**مَبَاحِثُ فِي التَّارِيخِ الاجْتِمَاعِيِّ لِلمَغْرِبِ وَالأَنْدَلُسِ،خِلالَ عَصْرِ المُرَابِطِينَ**"ص ١٠٦ .

٤ – انْظُرْ: حسن ظاظا "**الفِكْرُ الدِّينِيُّ اليَهُودِيُّ؛ أَطْوَارُهُ وَمَذَاهِبُهُ**" ص ٩٠ .

٥ – انْظُرْ: أنخل جُنْثَالِث بالنثيا "**تَارِيخُ الفِكْرِ الأَنْدَلُسِيّ**" ص ٥٠٢ .

٦ – انْظُرْ: وِل دِيوْرَانت "**قِصَّةُ الحَضَارَةِ**" ١٣٤/١٤ .

٧ – انْظُرْ: مونتغمري وات "**فِي تَارِيخ إِسْبَانِيَا الإِسْلامِيَّةِ**" ص ١٦٧ .

تلاميذِ ابنِ بَاجَةَ[١] .وَأَظْهَرَ بَعْضُ اليَهُودِ نَجَابَةً اعْتَرَفَ بِهَا مُعَلِّمُوهُمَ العَرَبُ؛فَأَبُو عَامِرِ ابنُ شُهَيدٍ (٣٨٢-٤٢٦هـ) يَقُولُ إِنَّ يُوسُفَ بنَ إِسْحَاقَ الإِسْرَائِيلِيَّ كَانَ أَفْهَمَ تِلْمِيذٍ مَرَّ بِهِ[٢] .

وَكَانَ لِمُلُوكِ العَرَبِ دَوْرٌ فِي دَفْعِ اليَهُودِ إِلَى التَّحَوُّلِ عَنِ التَّعْلِيمِ الدِّينِيِّ إِلَى تَعْلِيمٍ شَامِلٍ مُنْفَتِحٍ، فَيَقُولُ الرَّاعِي إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بنَ سَهْلٍ وَغَيْرَهُ مِنْ يَهُودِ الأَنْدَلُسِ كَانُوا يَقْرَأُونَ اللُّغَةَ وَالنَّحْوَ وَالأَدَبَ، وَيَتَعَاطَوْنَ العُلُومَ العَقْلِيَّةَ كَالطِّبِّ وَالحِسَابِ وَعِلْمِ الأَحْكَامِ النُّجُومِيَّةِ وَالنَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالخَطِّ لأَنَّ مُلُوكَ الأَنْدَلُسِ كَانُوا عَرَبًا مَجْبُولِينَ عَلَى حُبِّ ذَلِكَ بِطِبَاعِهِمْ وَمَائِلِينَ إِلَيْهِم بِخِلْقَتِهِمْ وَجِبِلَّتِهِمْ،غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يُوَلُّونَ كِتَابَةَ السِّرِّ إِلا لِمَنِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ أَدَوَاتُ ذَلِكَ[٣] ،وَهَذَا مَا جَعَلَ أَبْنَاءَ الطَّائِفَةِ اليَهُودِيَّةِ تَوَّاقَةً لِمِثْلِ تِلْكَ الدِّرَاسَاتِ،حَتَّى إِنَّنَا نَسْمَعُ عَنْ يَهُودٍ وَعَرَبٍ فِي هَذِهِ الفَتْرَةِ دَرَسُوا مَعًا عَلَى مُعَلِّمٍ وَاحِدٍ، وَهَكَذَا. وَسَرْعَانَ مَا أَضْحَى صَاحِبُ الثَّقَافَةِ المُتَعَدِّدَةِ الجَوَانِبِ شَخْصِيَّةً مُحْتَرَمَةً بَيْنَ يَهُودِ الأَنْدَلُسِ[٤] . وَظَهَرَ أَثَرُ هَذَا التَّعْلِيمِ فِي الأَدَبِ؛فَيرى ريمُونْد شَايِنْدلِين أَنَّ مِنْ أَهَمِّ مَا أَنْجَزَهُ يَهُودُ الأَنْدَلُسِ الثَّقَافَةَ الأَدَبِيَّةَ التَّوْفِيقِيَّةَ التِي جَمَعَتْ بَيْنَ الأَفْكَارِ وَالأَشْكَالِ الأَدَبِيَّةِ العَرَبِيَّةِ والعِبْرِيَّةِ. وَلَعِبَ حَاخَامَاتُ البَلاطِ أَمْثَالُ ابنِ شَبْرُوطَ وابنِ نَغْرِيلَّةَ دَوْرًا بَارِزًا فِي تَغْذِيَةِ هَذَا الأَدَبِ.وَلَمْ يَكُنْ رِجَالاتُ البَلاطِ اليَهُودُ لِيَسْتَطِيعُوا أَدَاءَ مَهَامِّهِم الرَّسْمِيَّةِ مَا لَمْ يَسْتَعِدُّوا لَهَا بِثَقَافَةٍ عَرَبِيَّةٍ شَبِيهَةٍ بِتِلْكَ التِي تَمَتَّعَ بِهَا أَقْرَانُهُمْ المُسْلِمُونَ،وَلَمْ تَكُنِ اللُّغَةُ عَائِقًا لأَنَّ اليَهُودَ كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ العَرَبِيَّةَ[٥] .وَلَمْ يَكْتَفِ مُلُوكُ الأَنْدَلُسِ بِجَلْبِ طَلَبَةِ اليَهُودِ لِهَذِهِ المَدَارِسِ،بَلْ أَلْغُوا الطَّائِفِيَّةَ فِيهَا،وكَانَتِ المَدَارِسُ الابْتِدَائِيَّةُ كَثِيرَةَ العَدَدِ،وَأَضَافَ الحَكَمُ المُسْتَنْصِرُ(٣٥٠- ٣٦٦هـ)[٦] سَبْعًا وَعِشْرِينَ مَدْرَسَةً لِتَعْلِيمِ أَبْنَاءِ الفُقَرَاءِ بِالمَجَّانِ[٧] ،وَكَانَ الحَكَمُ مُسْتَجْلِبًا لِلعُلَمَاءِ مِنْ كُلِّ الآفَاقِ مُقَرِّبًا لَهُمْ،ذَا وَلَهٍ بِالمُطَالَعَةِ

---

١ - انظُرْ: أنخل جُنْثَالِث بالنثيا "تَارِيخُ الفِكْرِ الأَنْدَلُسِيّ" ص ٥٠٢ .

٢ - انظُرْ: ابن بَسَّامٍ "الذَّخِيرَة" ق١، م ٢٣٣/١ .

٣ - انظُرْ: الرَّاعِي"المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَة وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ"، حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونُسِيَّة،ع٢٩، ١٩٨٠م، ص٤١ .

٤ -انظُرْ: ريمُونْد شَايندلِين"اليَهُود فِي إِسْبَانْيَا المُسْلِمَةِ" تَرْجَمَة: مَرْيَم عَبْدِ البَاقِي، بَحْثٌ في:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ" تَحْرير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ١/ ٣٠٧ .

٥ - انظُرْ: نَفْسُهُ ١/ ٣٠٦ .

٦ - هُوَ: المُسْتَنْصِرُ بِاللهِ الحَكَمُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنُ مُحَمَّدٍ الأَمَوِيّ المَرْوَانِيّ، يُكْنَى أَبَا العَاص وَيُلَقَّبُ بِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ بالأَنْدَلُسِ، بُويِعَ بَعْدَ أَبِيهِ سَنَةَ ٣٥٠هـ، وَعُنِيَ بِتَقْرِيبِ العُلَمَاءِ، وَكَانَ حَسَنَ السِّيرَةِ جَامِعًا لِلعِلْمِ وَالكُتُبِ النَّفِيسَةِ الكَثِيرَةِ بحَيْثُ إنها قاربت نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْ أَلْف سِفْرٍ،جَمَعَ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ أَحَدٌ مِنَ المُلُوكِ لا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ، وَاشْتُرِيَتْ لَهُ مِنَ البلاد البعيدة بأغلى الأثمان.فَضاقت خزائنه بالكُتُبِ.وَقَلَّمَا تجد لَهُ كتابًا إلا وَلَهُ فِيهِ قِرَاءَة أَوْ نَظَرٌ مِنْ أَيِّ فَنٍّ، وَلِيَ الحَكَمُ بَعْدَهُ ابنُهُ هِشَام وَكَانَ ابن تِسْعِ سَنَوَاتٍ .

انظُرْ: مُحَمَّد القُضاعِيّ"الإِنْبَاء بِأَنْبَاءِ الأَنْبِيَاءِ"ص٢٥١؛ الضَبِّيّ"بُغْيَة المُلْتَمِس"١/ ٤٠-٤٢؛عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"المُعْجِب" ص٢٦-٢٩؛ ابن الأَبَّار"الحُلَّة السِّيَرَاء" ١/١٩٩-٢٠١، ابن الأَبَّار"التَّكْمِلَة"١/٢٢٦-٢٢٧؛ ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "البَيَان المُغْرِب" ٢/٢٢٣-٢٥٢؛ ابن سَعِيد "المُغْرِب"١/١٨٦-١٨٧؛ الذَّهَبِيّ"سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ" ٨/٢٦٩- ٢٧١؛ المَقَّرِيّ "نَفْح الطِّيب" ١/٣٦٥- ٣٧٨ .

٧ - انظُرْ: وِل دِيوْرَانت "قِصَّة الحَضَارَة" ١٣/٣٠٦ .

وَتَحْصِيلِ الكُتُبِ النَّفِيسَةِ(١)،وَكَانَ لَهُ وَرَّاقُونَ بِأَقْطَارِ البِلادِ يَنْتَخِبُونَ لَهُ غَرَائِبَ التَّوَالِيفِ وَرِجَالٌ يُوَجِّهُهُم إِلَى الآفَاقِ بَحْثًا عَنْهَا(٢).وَفُتِحَ الطَّرِيقُ أَمَامَ اليَهُودِ لِخَلْقِ نَوْعٍ جَدِيدٍ مِنَ التَّعْلِيمِ عَلَى يَدِ حَسْدَاي بنِ شَبْرُوط الذي عَمِلَ بِفَضْلِ عَلاقَتِهِ الوَثِيقَةِ بِالحَكَمِ عَلَى اسْتِجْلابِ تَآلِيفِ اليَهُودِ مِنَ المَشْرِقِ،وَكَانُوا قَبْلُ يَضْطَرُّونَ فِي مَعْرِفَةِ عُلومِهِم إِلَى يَهُودِ بَغْدَادَ(٣).

وَأَوَّلُ كُلِّيَّةٍ إِسْلامِيَّةٍ فِي الأَنْدَلُسِ أُنْشِئَتْ بِإِشْرافِ مُحَمَّدٍ القَرْمُوطِيِّ المُرْسِيِّ (ت:٧٤٤هـ)(٤) الذي وَصَفَهُ ريبيرا بِأَنَّهُ أُعْجُوبَةٌ فِي عِلْمِهِ الوَاسِعِ الغَزِيرِ العَمِيقِ(٥)،وَلَمَّا تَغَلَّبَ أَلفُونْسُ العَاشِرُ عَلَى مُرْسِيَةَ عَرَفَ لَهُ حَقَّهُ فَبَنَى لَهُ مَدْرَسَةً يُقْرِىءُ فِيهَا المُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى وَاليَهُودَ(٦)،فَكَانَ يُعَلِّمُ الطُّلابَ مِنْ مُخْتَلَفِ الأَدْيَانِ(٧)،وَكَانَ يُقْرِىءُ الأُمَمَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فُنُونَهُمُ التِي يَرْغَبُونَ فِي تَعَلُّمِهَا(٨) ثُمَّ وُجِدَتْ أُخْرَى فِي إِشْبِيلِيَةَ،فَاجْتَمَعَ فِي المَدْرَسَتَيْنِ العُلَمَاءُ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى وَاليَهُودِ(٩) ثُمَّ فِي لُوسَانْيَا، وَمِنْ أَسَاتِذَتِهَا إِسْحَقُ بنُ مَرْشَاءُول،وَتِلْمِيذُهُ مَرْوَانُ بنُ جَنَاح .

ثَانِيًا :- أَشْهَرُ عُلُومِهِم وَعُلَمَائِهِمْ .

كَثُرَ عُلَماءُ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ،لكِنْ يُلاحَظُ أَنَّ المَصَادِرَ العَرَبِيَّةَ تَجَاهَلَتْهُم؛فَلَمْ يَذْكُرِ النَّدِيمُ مَثَلاً مِنَ اليَهُودِ فِي المَشْرِقِ والمَغْرِبِ فِي فِهْرِسِهِ سِوَى سَعْدِيَّا الفَيُّومِيِّ(ت:٣٣٠هـ)(١٠)،وَذُكِرَ قَلِيلٌ

١ – قِيلَ إِنَّ كتبَهُ قَارَبَتْ نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْ أَلْفِ سِفْرٍ،وَقَالُوا أَرْبَعمِائَةَ أَلفٍ،لَمَّا نقَلُوهَا أَقَامُوا سِتَّةَ أَشْهُرٍ فِي نَقْلِهَا ،وَعَدَدُ الكُتُبِ التي كَانَتْ فَهَارِسَ بِأَسْمَاءِ الكُتُبِ التِي اجْتَمَعَتْ فِي خَزَائِنِ الحَكَمِ المُسْتَنْصِرِ أَرْبَعَةٌ وَأَرْبَعُونَ فِي كُلٍّ مِنْهَا عِشْرُونَ وَرَقَةً. انْظُرْ: ابن الأَبَّار"**الحُلَّةَ السِّيَرَاء**" ١/٢٠٢،١٠١– ٢٠٣؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١/١٨٦؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"١٦/٢٣٠ ؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ١/٣٧٧ .

٢ – انْظُرْ: ابن الأَبَّار"**الحُلَّةَ السِّيَرَاء**" ١/٢٠٢ .

٣ – انْظُرْ: ابن أَبِي أُصَيْبِعَة"**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ١/٤٩٨ .

٤ – هُوَ العَالِمُ: أَبُو بَكْرٍ **مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القَرْمُوطِيُّ**،وقِيلَ الرقوطي،المُرْسِيّ، مِنَ النابهين فِي الرياضيات ،مِنْ أَهْلِ رقوطة،مِنْ أعمال مُرْسِيَةَ، قَالَ المَقَّرِيُّ إِنَّهُ مِنْ أَعْرَفِ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ بِالعُلُومِ القَدِيمَةِ:المَنْطِقِ وَالهَنْدَسَةِ وَالعَدَدِ وَالمُوسِيقَى وَالطِّبِّ،وَكانَ طَبِيبًا مَاهِرًا،آية اللهِ فِي المَعْرِفَةِ بِالأَنْدَلُسِ يُقْرِىءُ الأُمَمَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فُنُونَهُمُ التِي يَرْغَبُونَ بِهَا وَفِي تَعَلُّمِهَا،رحل إِلَى غَرْنَاطَةَ وَدخل فِي خدمة سُلْطَانها مُحَمَّدٍ بن يُوسُفَ بن الأحمر،فَأَنْشَأَ لَهُ مدرسة تولى تدريس الرياضيات وَغَيْرِهَا مِنَ العُلُومِ فِيهَا حَتَّى وفاته سَنَةَ ٧٤٤هـ .

انْظُرْ: ابن الخَطِيب "**الإِحَاطَةُ**" ٣/٦٧؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٥/٢٧١ –٢٧٢ .

٥ – انْظُرْ: خوليان ريبيرا "**التَّرْبِيَةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ؛ أُصولُهَا المَشْرِقِيَّةُ وَتَأْثِيرَاتُهَا الغَرْبِيَّة**" ص ٢٤–٢٥ .

٦ – انْظُرْ: ابن الخَطِيب "**الإِحَاطَةُ**" ٣/٦٨؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٥/٢٧١ –٢٧٢ .

٧ – انْظُرْ: خوليان ريبيرا "**التَّرْبِيَةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ؛ أُصولُهَا المَشْرِقِيَّةُ وَتَأْثِيرَاتُهَا الغَرْبِيَّة**" ص ٢٥ .

٨ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٥/٢٧١ .

٩ – انْظُرْ: أنخل جُنْثَالِث بالنثيا"**تَارِيخُ الفِكْرِ الأَنْدَلُسِيّ**" ص٢٨ .

١٠ – هُوَ: **سَعْدِيَّا بنُ يُوسُفَ الفَيُّومِيّ**، وُلِدَ فِي مِصْرَ ٢٧٨هـ،وذهب إِلَى فلسطين وبابل وصارَ رئيسًا لجامعة سورا عَلَى نهر الفرات. ذكره ابنُ النَّدِيمِ فِي فهرسِهِ،وَقَالَ إِنَّهُ"مِنْ أَفَاضِلِ اليَهُودِ وَعُلَمَائِهِمُ المُتَمَكِّنِينَ مِنَ اللغَةِ العِبْرَانِيَّةِ، وَيَزْعُمُ اليَهُودُ أَنَّهَا لَمْ تَرَ مِثْلَهُ"، وَلِسَعْدِيَّا مُؤَلَّفَاتٌ عَدِيدَةٌ أَلَّفَهَا بِالعَرَبِيَّةِ، سَمَّى ابنُ النَّدِيمِ أَغْلَبَهَا، وَلَهُ مُؤَلَّفَاتٌ بِالعِبْرَانِيَّةِ كَذَلِكَ، انحصر عمله فِي محيط اللغة فعمل مُعْجَمًا عِبْرِيًّا فِي جزئين، وتُوُفِّيَ ٣٣٠هـ . انْظُرْ: ابن النَّدِيم"**الفِهْرِسْت**"١/٣٤؛ إِبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَر العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١٨٨؛ وِل دِيوْرَانت "**قِصَّةُ الحَضَارَة**" ١٤/٤٤؛ جواد علي"**مَا عَرَفَهُ ابنُ النَّدِيمِ عَنْ اليهودِيّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ**؛ القِسْم الثَّانِي" مَجَلَّة المَجْمَع العِلْمِيّ العِرَاقِيّ، م ١٠، ١٩٦٣م، ص١٥٦ – ١٥٨، ١٦٢– ١٦٩ .

مِنْهُمْ فِي المَصَادِرِ العَرَبِيَّةِ بِاخْتِصَارٍ شَدِيدٍ،وَبِتَفْصِيلٍ أَكْثَرَ فِي المَرَاجِعِ الحَدِيثَةِ التِي اعْتَمَدَتْ عَلَى مَصَادِرَ حَدِيثَةٍ غَيْرِ عربيةٍ، فَكَانُوا كَمَا يلي :

١ - فِي النَّقْلِ وَالتَّرْجَمَةِ .

تبَدَّى أَكْبَرُ دَورٍ لِلْيَهُودِ بِالأَنْدَلُسِ فِي نَقْلِ حَضَارَةِ العَرَبِ إِلَى أَوْرُوبَّا والعالَمِ.وَبَدَأَ دَوْرُهُم بِالتَّرْجَمَةِ؛فَحِينَ هَادَى المَلِكُ أَرْمَانيُوسُ الخَلِيفَةَ النَّاصِرَ سَنَةَ ٣٣٧هـ كِتَابًا مَكْتُوبًا بِالإِغْرِيقِي وَهُوَ "مُصَوَّرُ الحَشَائِشِ" لِدِيسقُورِيدِس،طَلَبَ النَّاصِرُ مِنْ أَرْمَانيُوسَ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ رَجُلاً لِيُعَلِّمَ لَهُ مُتَرْجِمِينَ، فَبَعَثَ الرَّاهِبَ نِقُولاً سَنَةَ ٣٤٠هـ.وَكَانَ يَوْمَئِذٍ بِقُرْطُبَةَ أَطَبَّاءُ مِنْهُمْ حَسْدَاي بنُ شَبْرُوط الإِسْرَائِيلِيِّ الذي كانَ أَبْحَثُهُمْ وَأَحْرَصَهُم عَلَى ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ التَّقَرُّبِ إِلَى النَّاصِرِ [١]،وَقَدْ يَكُونُ يَهُودٌ غَيْرُ حَسْدَاي فِي هَذَا المَجْمَعِ العِلْمِيِّ .

وَبَدَأَ النَّقْلُ بِالتَّرْجَمَةِ مِنَ اللُّغَاتِ الأُخْرَى إِلَى العَرَبِيَّةِ؛وَأَقْدَمُ التَّرْجَمَاتِ مِنَ العِبْرِيَّةِ إِلَى العَرَبِيَّةِ قَامَ بِهَا إِسْحَاقُ بنُ رُوبِينَ البَرْجَلُونِيِّ سَنَةَ ٤٧٠هـ فَتَرْجَمَ مَقَالَةً لِلْيَهُودِ فِي البَيْعِ وَالشِّرَاءِ،وَكَذَلِكَ تَرْجَمَ "الأُصُول" لِمَرْوَانَ بنِ جَنَاح بِعُنْوَانِ "ספר השרשים "[٢].وَمِنَ العَرَبِيَّةِ إِلَى العِبْرِيَّةِ تَرْجَمَ أَبْرَاهَامُ بنُ صَمُويل بنُ ليفي بنُ حَسْدَاي كُتُبًا كَثِيرَةً مِنْهَا "التُّفَّاحَة" لأَرِسْطُو سَمَّاهُ "ספר התפוח"، وَ"السُّلُوك" للغزالي سَمَّاهُ "مِيزَانُ العَمَلِ מאזן צדק" وَاسْتَبْدَلَ فيهِ اقْتِبَاسَاتٌ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالتَّلْمُودِ بِاقْتِبَاسَاتِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ،وَ"الاستقصاء" لإِسْحَاقَ إِسْرَائِيل بِعُنْوَانِ "ספר היסודות"، وَ"الوَصَايَا" لابن مَيْمُونَ بِعُنْوَانِ "ספר המדות"[٣] . وَشَجَّعَ مشلم بن يَعْقُوب[٤] أَبْنَاءَ مِلَّتِهِ عَلَى تَرْجَمَةِ مَا كَتَبَهُ اليَهُودُ بِالعَرَبِيَّةِ إِلَى العِبْرِيَّةِ، فَتَرْجَمُوا "الكِتَابَ الخُزَرِيّ" لِيَهُودَا هَلِيفِي(ت:٥٤٠هـ)[٥]، وَ"إِصْلاحَ

---

١ – انْظُرْ : ابن أَبِي أُصَيْبِعَة "**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٤٩٤/١ .

٢ – انْظُرْ :أنخل جُنْثَالِث بالنثيا"**تَارِيخُ الفِكْرِ الأَنْدَلُسِيّ**" ص٥٠١– ٥٠٢؛ إِبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَرِ العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١٨٨ .

٣ – انْظُرْ : إِبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَر العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١٨٨ .

٤ – هُوَ : **مشلم بن يَعْقُوب**، يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ لونل جنوب فَرَنْسَا . انْظُرْ : أنخل جُنْثَالِث بالنثيا"**تَارِيخُ الفِكْرِ الأَنْدَلُسِيّ**" ص٥٠١ .

٥ – هُوَ:**يَهُودا هاليفي** (بن ليفي) **الطُّلَيْطِلِي**(٤٧٧– ٥٤٠هـ) يكنيه العَرَبُ بأَبِي الحسن، مِنْ مؤسسي مدرسة لليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ، عاش فِي عهد المُرَابِطِينَ ومطلع دولة المُوَحِّدِينَ،نظم أشعاره فِي قوالب وَموضوعات عربية،وَكَانَ يكتب بالعَرَبِيَّة فِي جمال نادر، لَهُ الكتاب المُسَمَّى "الخزري".
انْظُرْ: إِبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَر العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص٢٢٢– ٢٢٣؛ نَازِك عَبد الفَتَّاحِ"**عَرُوضُ الشِّعْرِ العِبْرِيِّ**" ص٤٠–٤١؛ وِل دِيوْرَانت "**قِصَّةُ الحَضَارَة**"١٠١/١٤، ١١٧؛ أنخل جُنْثَالِث بالنثيا "**تَارِيخُ الفِكْرِ الأَنْدَلُسِيّ**" ص٢٤، ٢٦ ؛ خوان فِيرنِيت"**فَضْلُ الأَنْدَلُسِ عَلَى ثَقَافَةِ الغَرْبِ**" ص٤١٢ .

الأَخْلاقِ" وَ"مُخْتَارَ اللآلِئِ" لِسُلَيْمَانَ بنِ جِبِيرُول(ت:٤٦٢هـ)[١]،وَرَسَائِلِ ابنِ جَنَاح فِي اللُّغَةِ[٢]. وَبِفَضْلِ مَا تُرْجِمَ إِلَى العِبْرِيَّةِ غَزَتِ العُلُومُ الإِسْلامِيَّةُ المُجْتَمَعاتِ اليَهُودِيَّةَ فِي أُورُوبَّا[٣].

٢ - فِي اللُّغَةِ وَالأدَبِ .

يَرَى هِنْدَاوِيّ أَنَّ الدِّرَاسَاتِ النَّحْوِيَّةَ لِليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ وَصَلَتْ النُّضُوجَ خَاصَّةً بِقُرْطُبَةَ، وَأَوَّلُ عَالِمٍ لُغَوِيٍّ نَحْوِيٍّ مِنَ اليَهُودِ ظَهَرَ فِي الأَنْدَلُسِ مِنَاحِيم بنُ سُورُوق(٢٩٧-٣٤٨هـ)[٤] سِكرتيرُ حَسْدَاي بنُ شَبْرُوط الذي عَمِلَ عَلَى وَضْعِ مُعْجَمٍ عِبْرِيٍّ يُسَمَّى "מחברת" أي الكُرَّاسَة،وَهُوَ أَوَّلُ عَمَلٍ لُغَوِيٍّ فِي العِبْرِيَّةِ شَمِلَ النَّاحِيَةَ اللُّغَوِيَّةَ الكَامِلَةَ لِلكِتَابِ المُقَدَّسِ،كَمَا شَغَلَ دُونَاش بنُ لِبْرَاط مَكَانَةً رَفِيعَةً فِي النَّحْوِ العِبْرِيِّ.وَيُعَدُّ أَوَّلَ مَنْ مَيَّزَ بَيْنَ الأَفْعَالِ المُتَعَدِّيَةِ وَغَيْرِ المُتَعَدِّيَةِ[٥].

وَظَهَرَتْ مَدَارِسُ لِلنَّحْوِ عِنْدَ اليَهُودِ،وانقسَمَ عُلَمَاءُ النَّحْوِ بينَ مِنَاحِم وَدُونَاش؛فَكَانَ إِسْحَاق ابنُ جِيكَاتِيلا وَيَهُودَا حَيُّوجْ مِنْ تَلامِيذِ مِنَاحِم وَاشْتَرَكَا فِي كِتَابٍ يُسَمَّى "رَدٌّ عَلَى الرَّدِّ" خُصِّصَ قِسْمٌ مِنْهُ لِنَقْدِ دُونَاش وَتَأْيِيدِ أَقْوَالِ مِنَاحِم وَحُجَجِهِ.وَكَانَ يَهُودَا شِيشِتْ مِنْ تَلامِيذِ دُونَاش وَكَتَبَ رَدًّا عَلَى تَلامِيذِ مِنَاحِم فِي أُسْلُوبٍ هِجَائِيٍّ شِعْرِيٍّ[٦] وَكَتَبَ مُوسَى بنُ جِيكَانيلا[٧] فِي النَّحْوِ العِبْرِيِّ مُؤَلَّفَاتٍ مُسْتَقِلَّةً وَتَرْجَمَ كُتُبَ حَيُّوج إِلَى اللُّغَةِ العِبْرِيَّةِ،كَمَا أَلَّفَ كِتَابًا عَلَى الجِنْسِ

---

١ – هُوَ الفيلسوف والشَّاعِرُ اليَهُودِيُّ: **سُلَيْمَانُ بن يَهُوذَا ابنُ جِبِيرُول** المَعْرُوفُ بِاسْمِ أَبِي أيوب سُلَيْمَان بن يَحْيَى،وُلِدَ عام ٤١٣هـ، وتُوُفِّيَ سَنَةَ ٤٥٠،أَوْ ٤٦٢هـ،كَانَ شاعرًا مَعْرُوفًا.وَمِنْ أوائل رواد الفَلْسَفَةِ فِي الأَنْدَلُسِ،تنَقَّلَ بينَ مالقا وَقُرْطُبَة، وَسَرَقُسْطَةَ وَغَرْنَاطَة. وَكَانَ فَقِيرًا مَرِيضًا قَصَدَ رَئِيسَ طَائِفَةِ اليَهُودِ بِسَرَقُسْطَةَ أَبَا عامر يقوتئيل وَمَدَحَهُ فِي قَصَائِدَ عِدَّةٍ،قُتِلَ أَبُو عامر سَنَةَ ٤٣٠هـ فِي السجن فرثاه،ثُمَّ هَامَ عَلَى وَجْهِهِ مَنْبُوذًا بسبَبِ آرَائِهِ الفَلْسَفِيَّةِ،فَلَجَأَ إِلَى ابْن نَغْرِيلَّةَ فِي غَرْنَاطَةَ فَأَكرمه،ثُمَّ أتهمه بِآرَائِهِ الفَلْسَفِيَّةِ.عُرِفَ بِكِتَابِهِ "يَنْبُوع الحَيَاة"، وَلَهُ "إِصْلاحُ الأَخْلاقِ" وَ"مُخْتَارُ اللآلئِ".

انْظُرْ: ربحي كمال"**دُرُوسُ اللغَةِ العِبْرِيَّةِ**" ص٤٦؛مُحَمَّد بحر عبد المجيد"**اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ**"ص٥٢–٦٠؛ نَازِك عَبد الفَتَّاحِ"**عَرُوضُ الشِّعْرِ العِبْرِيِّ**"ص٥٥–٥٩؛مونتغمري وات"**في تاريخ إسْبَانيَا الإسْلامِيَّةِ**"ص١٦٧؛ وِل دِيورَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**"١١٤/١٤–١١٥؛ أنخل جُنْثَالِث بالنثيا"**تَارِيخُ الفِكْرِ الأَنْدَلُسِيّ**" ص٢٦،٤٩٣،٥٠١–٥٠٢؛ خوان فِيرنيت"**فَضْلُ الأَنْدَلُسِ عَلَى ثَقَافَةِ الغَرْبِ**"ص١٨٣–١٨٤؛ أ.ر جب "**الأدب**" تَرْجَمَة:عَبْدِ اللطيف حَمْزَة بحْثٌ فِي: "تُرَاث الإِسْلامِ" ص٢٨٧ ،٢٩٠؛ جواد علي"**مَا عَرَفَهُ ابنُ النَّدِيمِ عَنْ اليهوديّة وَالنَّصْرَانِيَّةِ**"؛القِسْم الثَّانِي"مَجَلّة المَجْمَع العِلْمِيّ العِرَاقِيّ، م١٠، ١٩٦٣م،ص١٧١– ١٧٤ .

٢ – انْظُرْ: إبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَر العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١٨٤ .

٣ – انْظُرْ: وِل دِيورَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ١١٠/١٤ .

٤ – هُوَ:**مِنَاحِم بنُ سُورُوق**(٢٩٧–٣٤٨هـ)،اتصل بحَسْدَاي بن شَبْرُوط وزير الخليفة النَّاصِرِ وَصَارَ سِكِرْتِيرًا لَهُ.وَتمتع بعطف حَسْدَاي وتشجيعه فأنتج مَا هيأ لَهُ مَكَانًا رفيعًا فِي تاريخ الفكر اليَهُودِيّ .

انْظُرْ: إبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَر العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١٠ ؛ وِل دِيورَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ٩٦/١٤ .

٥ – انْظُرْ: إبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَر العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١٠– ١١ .

٦ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ص ١١ .

٧ – هُوَ : **مُوسَى بنُ جِيكَاتِيلا،** نَشَأَ فِي قُرْطُبَةَ وتركها إِلَى سَرَقُسْطَةَ أثر الاضطرابات الأهلية.

انْظُرْ: إبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَر العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١٣ .

فِي العِبْرِيَّةِ بِعُنْوَانِ "المُذَكَّرِ وَالمُؤَنَّثِ"(١) .وَعَاصَرَ ابْنَ جِيكَاتِيلا يَهُودَا بنُ بِلْعَامَ(ت:٤٩٣هـ)(٢)الذِي كَتَبَ عَدَدًا مِنَ المَقَالاتِ فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ بِعُنْوَانِ "مَا تَشَابَهَ لَفْظُهُ وَاخْتَلَفَ مَعْنَاهُ"،وَلَهُ كِتَابُ "الحُرُوفِ" وَكِتَابٌ عَنِ الأفْعَالِ، وَآخَرُ فِي الحَرَكَاتِ وَالنَّبَرَاتِ بِاسْمِ "المُرْشِدِ لِقِرَاءَةِ الكِتَابِ المُقَدَّسِ"(٣)،وَأَلَّفَ إِسْحَاقُ بنُ يَشُوسَ الطُّلَيْطِلِيُّ كِتَابًا فِي التَّصَارِيفِ،وَأَلَّفَ دَاوُدُ بنُ هَاجَرٍ مِنْ غَرْنَاطَةَ كِتَابًا فِي الحَرَكَاتِ، وَلِلِيفِي بنِ التَّبَّانِ "المِفْتَاحُ" فِي النَّحْوِ،وَتَحَدَّثَ ابنُ بَارُون عَنِ العَلاقَةِ النَّحْوِيَّةِ بَيْنَ اللُّغَتَيْنِ العَرَبِيَّةِ وَالعِبْرِيَّةِ فِي "كِتَابِ المُوَازَنَةِ".وَمِنَ المُلاحَظِ أَنَّ مُعْظَمَ هَذِهِ الكُتُبِ كُتِبَتْ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ(٤).

وَخَصَّصَ الشَّاعِرُ يَهُودَا هَلِيفِي جُزْءًا مِنْ كِتَابِهِ "كزاري" لِعِلْمِ الصَّوْتِ وَبُنْيَةِ النَّحْوِ العِبْرِيِّ. وَوَضَعَ إِسْمَاعِيلُ بنُ نَغْرِيلَّةَ تِلْمِيذُ حَيُّوج "كِتَابَ الاسْتِغْنَاءِ" فِي عِلْمِ اللُّغَةِ مِنْ عِشْرِينَ جُزْءًا(٥).إلا أَنَّ الفَضْلَ الأكْبَرَ لابْنِ نَغْرِيلَّةَ يَرْجِعُ إِلَى تَشْجِيعِهِ لِدِرَاسَةِ النَّحْوِ؛فَقَدْ وَجَّهَ عِنَايَةً خَاصَّةً لِهَذِهِ الدِّرَاسَةِ بِفَضْلِ مَرْكَزِهِ الذِي كَانَ يَتَمَتَّعُ بِهِ كَرَئِيسٍ لليَهُودِ فَجَمَعَ كَثِيرًا مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ والنَّحْوِ حَوْلَهُ وَشَجَّعَهُمْ عَلَى البَحْثِ.مِنْهُمْ سُلَيْمَانُ بنُ جِبِيرُول الذي مَدَحَ ابنَ نَغْرِيلَّةَ بِشِعْرِهِ ثُمَّ ذَمَّهُ(٦)،وَأَلَّفَ ابنُ جِبِيرُول مُخْتَصَرًا لِلنَّحْوِ العِبْرِيِّ عَلَى غِرَارِ أَلْفِيَّةِ ابنِ مَالِكٍ(٧)، ولِشِدَّةِ اهتِمَامِ ابنِ جِبِيرُول بِلُغَةِ قَوْمِهِ صَاغَ قَصِيدَةً عِبْرِيَّةً مِنْ أَرْبَعْمِائَةِ بَيْتٍ عَلَى بَحْرِ الرَّجَزِ يَتَحَسَّرُ فِيهَا عَلَى انْصِرَافِ اليَهُودِ وَسَمَّاهُمُ "الجَمَاعَةَ العَمْيَاءَ" عَنْ لُغَتِهِمْ وَالتَّكَلُّمِ بِعَجَمِيَّةِ أَهْلِ الأنْدَلُسِ إِيدُوم Edom وَبَعْضُهُم الآخَرُ يَسْتَعْمِلُ لُغَةَ كِيذَار Kedar أي اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ(٨).

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلأدَبِ فَقَدْ وَضَعَ أَبْرَاهَامُ بنُ عِزْرَا(ت:٥٦٢هـ) قِطْعَةً أَدَبِيَّةً عَلَى نَهْجِ "حَيّ بنِ يَقْظَانَ" أَسْمَاهَا "حَيّ بنَ مَقِيصٍ"(٩).كَمَا قَامَ عِزْرَا بنُ يَعْقُوب(٥٦٥- ٦٢٩هـ)بِتَرْجَمَةِ كِتَابِ "كَلِيلَة وَدِمْنَة" إِلَى العِبْرِيَّةِ يُسَمُّونَهُ "أَسَاطِيرَ بَيْدَبَا الفَيْلَسُوفِ الهِنْدِيِّ"(١٠).كَمَا أَلَّفُوا قِصَصًا عِبْرِيَّةً

١ – انْظُرْ: إِبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَرِ العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١٣ .

٢ – هُوَ : **يَهُودَا بنُ بِلْعَام**، وُلِدَ فِي طُلَيْطِلَةَ واستوطن إِشْبِيلِيَةَ وتُوُفِّيَ عام ٤٩٣هـ وكتب عددًا مِنَ المقالات فِي النحو واللغة .

انْظُرْ: إِبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَرِ العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١٤ .

٣ – انْظُرْ: إِبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَرِ العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١٤ .

٤ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ص ١٥ .

٥ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ص ١١ .

٦ – انْظُرْ: مُحَمَّد بحر عبد المجيد "**اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ**"ص٤٣، ٥٦؛ إِبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَرِ العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ٩٧ .

٧ – الكتاب مَكَوَّنٌ مِنْ أَرْبَعْمِائَةِ بَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ التَزَمَ فِيهَا تَوَالِي حُرُوفِ الأَبْجَدِيَّةِ العِبْرِيَّةِ فِي أَوَّلِ كُلِّ بَيْتٍ .

انْظُرْ: إِبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَرِ العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١٤ .

٨ – انْظُرْ: أنخل جُنْثَالِث بالنثيا "**تَارِيخُ الفِكْرِ الأَنْدَلُسِيّ**" ص ٤٩٤ .

٩ – تَصَوَّرَ فِي القصة أَنَّهُ قَابَلَ شَيْخًا يُدْعَى ابنُ مَقِيصٍ وَقَامَا بِرِحْلَةٍ بَيْنَ الأَفْلاكِ،غَلَبَ عَلَيْهَا الطَّابِعُ الفَلْسَفِيُّ .

انْظُرْ: مُحَمَّد بحر عبد المجيد "**اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ**" ص٨٢-٨٥ .

١٠ – انْظُرْ: إِبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَرِ العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١٢٠ .

مُتَّخِذِينَ مِنَ القِصَصِ العَرَبِيَّةِ مِثَالاً يَحْتَذُونَهُ،وَأَشْهَرُهَا لِيُوسُفَ زبارا(٥٣٤-٥٩٦هـ) قصَّةُ "שעשועים" أي البَهْجَة وَالسُّرُور[١] .ولأبْرَاهَام بنِ صَمُويل بن حَسْدَاي قِصَّةٌ بِعُنْوَانِ "الأمِير وَالدَّرْوِيش"[٢] . وَكَانَ يَهُوذَا الحَرِيزِيّ(ت:٦٢٢هـ)[٣] أَبْدَعَ كَاتِبٍ **لِلمَقَامَاتِ فِي العِبْرِيَّةِ**،تَرْجَمَ مَقَامَاتِ الحَرِيرِيِّ إِلَى العِبْرِيَّةِ وَتَأَثَّرَ بِهَا فَكَتَبَ مَقَامَاتٍ بِالعِبْرِيَّةِ،وَمَقَامَةً بِالعَرَبِيَّةِ،بِخَطٍّ عِبْرِيٍّ يَسْرُدُ فِيهَا رِحْلَتَهُ فِي الشَّرْقِ[٤] .ثُمَّ أَلَّفَ سُلَيْمَانُ بنُ زَقْبِيل[٥] مَقَامَةً كَمَقَامَاتِ الحَرِيرِيِّ[٦] .

وَتَمَيَّزَ يَهُوذَا الحَرِيزِيّ **بِالنَّقْدِ**،وَمِمَّا قَالَ فِي كِتَابِهِ "تحكموني" أَنَّ الشِّعْرَ البَدِيعَ الحَافِلَ بِاللآلِئِ كَانَ فِي بَادِئِ الأَمْرِ مُلْكًا مَقْصُورًا عَلَى بَنِي يَعْرُبٍ وَحْدَهُمْ،وَهُمْ يَفُوقُونَ فِي شِعْرِهِمْ شُعَرَاءَ العَالَمِ قَاطِبَةً،فَإِنَّ جَمِيعَ شِعْرِهِمْ لا قِيمَةَ لَهُ وَلا وَزْنَ مُقَابِلَ شِعْرِ العَرَبِ،فَالعَرَبُ وَحْدَهُمْ هُمُ المُسْتَأْثِرُونَ بِالشِّعْرِ العَذْبِ فِي لَفْظِهِ الجَمِيلِ فِي فَحْوَاهُ وَمَعْنَاهُ[٧] .

وَقَامَ بَعْضُ أُدَبَاءِ اليَهُودِ **بِتَرْجَمَةِ كَثِيرٍ مِنَ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ إِلَى اللُّغَةِ العِبْرِيَّةِ**.فَأَلَّفَ الشَّاعِرُ الفَيْلَسُوفُ سُلَيْمَانُ ابنُ جبيرُول كِتَابًا بِعُنْوَانِ "מבחר הפנינים" أَيْ "مُخْتَارِ اللُّؤْلُؤ"،كَتَبَهُ بِالعَرَبِيَّةِ ثُمَّ تَرْجَمَهُ يَهُودَا بنِ تَبُّون،والكِتَابُ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الأَمْثَالِ وَالحِكَمِ اسْتَعَانَ فِيهَا بِكَثِيرٍ مِنَ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ.وَمِنَ الكُتُبِ التِي تُرْجِمَتْ إِلَى اللُّغَةِ العِبْرِيَّةِ فِي الأَمْثَالِ وَالحِكَمِ كِتَابٌ بِعُنْوَانِ "نَصَائِح الفَلاسِفَةِ" وَهُوَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الأَمْثَالِ وَالحِكَمِ تَحْتَوِي عَلَى إِضَاءَاتٍ عَرَبِيَّةٍ وَأُصُولٍ شَرْقِيَّةٍ.وَقَدْ تَرْجَمَ الكِتَابَ يَهُودَا الحَرِيزِيّ بِعُنْوَانِ "מוסרי הפילוסופים" أَيْ "عِبَرِ الفَلاسِفَةِ"[٨] .وَتَرْجَمَ إِسْحَاقُ بِنْيَامِينَ يَهُودَا الأَمْثَالَ العَرَبِيَّةَ وَجَمَعَ فِيهَا مَا يَقْرُبُ مِنْ خَمْسَةِ

---

١ – يَحْتَوِي الكتاب عَلَى عَدَدٍ مِنَ القِصَصِ الشَّعْبِيَّةِ وَالأَمْثَالِ المُخْتَارَةِ وَالأَشْعَارِ الفُكَاهِيَّةِ القَصِيرَةِ.وَشمل معلوماتٍ كَثِيرَةً مِنَ التَّشْرِيحِ وَالطِبِّ وَالعُلُومِ.وَفيهِ قصصٌ عَلَى ألسنة الحيوانات مِنْ "كليلة ودمنة"،وأُخْرَى مِنْ "ألف ليلة وليلة".وَاحْتَوَى عَلَى مِائَةِ مَثَلٍ مِنْ مَصَادِرَ عَرَبِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَالتَزَمَ فِيهِ السَّجْعَ مُقَلِّدًا الأُسْلُوبَ العَرَبِيَّ. انْظُرْ : إبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَر العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**"ص١٢١– ١٢٢ .

٢ – انْظُرْ : أنخل جُنْثَالِث بالنثيا "**تَارِيخُ الفِكْرِ الأَنْدَلُسِيّ**" ص ٥٠١ .

٣ – هُوَالشَّاعِرُ اليَهُودِيُّ: **يَهُوذَا (زَكَرِيَّا) الحَرِيزِيّ بن شْلومون**، مِنْ أَهْلِ طُلَيْطِلَةَ،كان شاعرًا قويّ القريحة،غزير المادة، لَهُ شعر كَثِيرٌ فِي المَدْحِ وَالهِجَاءِ،كان رديء اللسان خبيث الطوية،كان قَدْ طاف فِي البلدان وَجال فِي الأقطار ثُمَّ سكن بأخرة حلب، وَلَمْ يزل بِهَا إِلَى أن مات سَنَةَ ٦٢٢هـ ، وَكَانَ فِي كل بلد يحل بِهَا يمْدَحُ وَجهاء اليَهُود فِيهَا.وَلَمْ يتعلم الحَرِيزِيّ أي مهنة غَيْرَ الأَدَب وَالتَرْجَمَة .

انْظُرْ : مُحَمَّد بحر عبد المجيد "**اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ**"ص ١٢٩–١٣٧؛ آمنة البدوي"**شعر النازحِينَ مِنَ الأَنْدَلُسِ إِلَى مِصْر وَالشام فِي القرنِ السابع الهجري بين التأثر وَالتأثير**"ص ٢٣٧ ؛ مِنْ عقود الجمان، مخطوط ،ورقة ٢٢٧– ٢٣١، النفح ٢/ ٦٦٠ ؛ وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ١٤/١١٧– ١١٨ ؛ أنخل جُنْثَالِث بالنثيا "**تَارِيخُ الفِكْرِ الأَنْدَلُسِيّ**" ص ٥٠١ .

٤ – كَتَبَ الحَرِيزِيّ مَقَامَاتِهِ بِالعِبْرِيَّةِ لِيَهْدِيَهَا إِلَى مِنْ يَمُدُّونَ لَهُ يَدَ المُسَاعَدَةِ المَالِيَّةِ.ومقاماته تسمى "بتحكموني" تتضمن خَمْسِينَ مَقَامَةً، يرويها هيمان ها ازراحي،وَبطلها حبرهاقيني وَهُمَا اسْمَانِ اقْتَبَسَهُمَا الحَرِيزِيّ مِنَ العَهْدِ القَدِيمِ،وَأَكْثَرَ فِيهَا مِنَ المُحَسِّنَاتِ البَدِيعِيَّةِ.

انْظُرْ : مُحَمَّد بحر عبد المجيد "**اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ**"ص١٢٩؛ أنخل جُنْثَالِث بالنثيا "**تَارِيخُ الفِكْرِ الأَنْدَلُسِيّ**" ص ٥٠١ .

٥ – هُوَ: **سُلَيْمَانُ بن زَقْبِيل أو صقبل**،عَرَفَتِ العِبْرِيَّةُ عَلَى يديه فن المقامات؛أَلَّفَ مَقَامَةً عَلَى نَمَطِ المَقَامَاتِ العَرَبِيَّةِ،وراويها هُوَ أشر بن يَهُوذَا. انْظُرْ :مُحَمَّد بحر عبد المجيد "**اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ**"ص٧٩–٨١؛ أنخل جُنْثَالِث بالنثيا "**تَارِيخُ الفِكْرِ الأَنْدَلُسِيّ**"ص٤٩٨،٥٠١ .

٦ – انْظُرْ : أنخل جُنْثَالِث بالنثيا "**تَارِيخُ الفِكْرِ الأَنْدَلُسِيّ**" ص ٥٠١ .

٧ – انْظُرْ : ربحي كمال "**دُرُوسٌ فِي اللُّغَةِ العِبْرِيَّةِ**" ص ٥٠ .

٨ – انْظُرْ : إبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَر العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١٢٣ .

آلافِ مَثَلٍ،بِأَنْ يَذْكُرَ المَثَلَ العَرَبِيَّ مَكْتُوبًا بِحُروفٍ عِبْرِيَّةٍ ثُمَّ يُتَرْجِمُهُ إِلَى اللُّغَةِ العِبْرِيَّةِ،وَيَشْرَحُهُ وَيَذْكُرُ مُنَاسَبَتَهُ وَمَصْدَرَهُ وَأَصْلَهُ،وَذَلِكَ فِي كِتَابِهِ أَمْثَال عِبْرِيَّة "משלי ערב" الذي رَتَّبَهُ تَرْتِيبًا أَبْجَدِيًّا فِي ثَلاثَةِ أَجْزَاءٍ[١].

وذُكِرَتْ أَسْمَاءُ عِدَّةِ شُعَرَاءَ مِنَ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ،سَيَتَحَدَّثُ البَحْثُ لاحِقًا عَمَّنْ نَظَمَ مِنْهُمْ بِالعَرَبِيَّةِ،وَهُنَاكَ شُعَرَاءُ لَمْ يَتَّضِحْ إِنْ كَانَ لَهُمْ شِعْرٌ بِالعَرَبِيَّةِ أَمْ لا،مِنْهُمْ فِي لُوسِيَانَا إِسْحَاق بنُ غياث[٢]،وَتُودرُوس أَبُو العَافِيَة[٣]،وَسُلَيْمَانُ ابنُ جِبِيرُول، وَزَكَرِيَّا بنُ يَهُودَا بنُ بِلْعَامَ[٤] مِنْ إِشْبِيلِيَةَ الذي اشْتُهِرَ بِهِجَائِهِ اللاذِعِ،وَزَكَرِيَّا الحَرِيزِيّ كَاتِبُ المَقَامَاتِ[٥]،وَسَعْدِيَا بنُ دَنَّان مِنْ غَرْنَاطَةَ الذِي كَانَ آخِرَ شَاعِرٍ عِبْرِيٍّ فِي إِسْبَانِيَا،وَكَانَ مِنَ المَنْفِيِّينَ عَامَ ٨٩٧هـ[٦]وَغَيْرُهُمْ .

٣- فِي الطِّبِّ .

وَيُعَدُّ حَسْدَاي بنُ شَبْرُوط مِنْ أَشْهَرِ أَعْلامِ الطِّبِّ عِنْدَ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ،وَمِنْ كِبَارِ أَحْبَارِهِمْ، وَكَانَ الطَّبِيبُ الخَاصُّ لِلْخَلِيفَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ وَابْنِهِ الحَكَمِ،تَدَرَّجَ فِي المَنَاصِبِ حَتَّى أَصْبَحَ أَحَدَ المُتَنَفِّذِينَ القَرِيبِينَ مِنَ الخَلِيفَةِ الحَاكِمِ بِقُرْطُبَةَ.وَبِسَبَبِ شُهْرَةِ أَطِبَّاءِ اليَهُودِ كَانَ يَطْلُبُهُمْ كِبَارُ السَّاسَةِ فِي الأَنْدَلُسِ وخَارِجِها،مِثَالٌ عَلَى هَذَا حَالَةُ إِبْرَاهِيمَ بنِ زَرُّورِاليَهُودِيِّ،فَعِنْدَمَا طَرَقَ طَائِفُ

---

١ – انْظُرْ : إِبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَر العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١٢٤ .

٢ – هُوَ الشَّاعِرُ اليَهُودِيُّ: **إسحاق بن غياث،** وُلِدَ ٤٢٩هـ،مِنْ لوسيانَا،كانَ أستاذًا مُتَبَحِّرًا فِي التفسير وَالفقه اليَهُودي،كان رئيسًا لمدرسة لوسيانا،ونظم ابن غياث مَا يربو عَلَى ٣٠٠ قَصِيدَة دينية "بيوطيم"، وَكَانَ مُخْلِصًا لعائلة ابْن نَغْرِيلَّةَ،وَرثاه بقَصِيدَة باللغة الآرامية، وَضمنها مدحًا لابنه يُوسُفَ،وَدَعَا أسرة ابْن نَغْرِيلَّةَ إِلَى لوسيانَا بعد مقتل عائلها، فأكرمها وَتعهد بتربية عزريا بن يُوسُفَ الذي مات وَهو فِي العشرين مِنْ عمره،وَظهرت كياسته عِنْدَمَا فرض الملك عبد الله ملك غَرْنَاطَةَ الحصار عَلَى لوسيانَا بعد أن رفض سكانها اليَهُود دفع الضرائب التي رفعت بعد قتل يُوسُفَ ابْن نَغْرِيلَّةَ،وَغلب عَلَيْهِ المرض بعد الحادثة،ونقل إِلَى قُرْطُبَةَ،وَبكاه اليَهُود فِي الأَنْدَلُسِ وَخارجها، لَمْ أعثر عَلَى شعر لَهُ بالعَرَبِيَّةِ.

انْظُرْ : مُحَمَّد بحر عبد المجيد "**اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ**"ص ٣٨ ،٦١ –٦٤ .

٣ – هُوَ الأديبُ اليَهُودِيُّ: **تُودرُوس أَبُو العَافِيَة:** كَانَ عَلَى صِلَةٍ وَثِيقَةٍ بِيَهُودِ بَلاطِ أَلْفُونْسُ العَاشِرِ عَمِلَ عَلَى التَّرْجَمَةِ إِلَى اللغَةِ القِشْتَالِيَّةِ المَحَلِّيَّةِ،كَمَا ازْدَهَرَ الأَدَبُ العِبْرِي عَلَى يَدَيْهِ فَقَدْ كَتَبَ مُعْظَمَ شِعْرِهِ العِبْرِيِّ بِأَشْكَالٍ مُشْتَقَّةٍ مِنَ العَرَبِيَّةِ،وَقَامَ كَذَلِكَ بِبَعْضِ التَّجَارِبِ بِالصِّيَغِ الشِّعْرِيَّةِ المُشْتَقَّةِ مِنْ لُغَةِ الرُّومَانث،تَرَكَ دِيوَانًا كَبِيرًا وَفِيهِ مُزْدَوَجَةٌ يُخَاطِبُ بِهَا أَلْفُونْسُ. انْظُرْ : رِيمُونْد شَايندلِين"**اليَهُود فِي إِسْبَانِيَا المُسْلِمَةِ**" تَرْجَمَة: مَرْيَم عَبْدِ البَاقِي، بَحْثٌ في:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ١/٣١٤.

٤ – هُوَالشَّاعِرُ اليَهُودِيُّ: **زَكَرِيَّا بنُ يَهُودَا بنُ بِلْعَام** مِنْ إِشْبِيلية،كان نَحْوِيًّا وَمُفَسِّرًا،وَكتب عدة مقالات بالعَرَبِيَّةِ،تناول الكلمات التي تستعمل لمعان مختلفة،وله شعرٌ ديني وَمُوَشَّحَةٌ . انْظُرْ : مُحَمَّد بحر عبد المجيد "**اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ**" ص ٦١ .

٥ – انْظُرْ : مُحَمَّد بحر عبد المجيد "**اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ**" ص ١٢٩–١٣٧ .

٦ – انْظُرْ : رِيمُونْد شَايندلِين"**اليَهُود فِي إِسْبَانِيَا المُسْلِمَةِ**" تَرْجَمَة: مَرْيَم عَبْدِ البَاقِي، بَحْثٌ في:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ١/ ٣١٥ .

المَرَضِ السُّلْطَانَ أَبَا عَنَان(ت:٧٠٩ هـ)[1] طَلَبَ مِنْ مُلُوكِ الأَنْدَلُسِ أَنْ يَبْعَثُوا إِلَيْهِ طَبِيبَ دَارِهِمْ إِبْرَاهِيمَ، لكِنَّ اليَهُودِيَّ امْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ وَاعْتَذَرَ،فَتَنَكَّرَ لَهُمُ السُّلْطَان[2].

وَلِكَثْرَةِ أَطِبَّاءِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ ظَهَرَتِ احْتِكَاكَاتٌ كَثِيرَةٌ لَهُمْ مَعَ النَّاسِ؛فَسُئِلَ مَثَلاً عَنْ مَمْلُوكَةٍ جُعِلَتْ عِنْدَ يَهُودِيٍّ لِيُطَبِّبَهَا فَضَاعَتْ عِنْدَهُ[3]،وَلِكَثْرَتِهِم تَوَزَّعَتْ أَسْمَاؤُهُمْ عَلَى خَرِيطَةِ الأَنْدَلُسِ، فَإِسْحَاقُ بنُ قِسْطَار(ت:٤٤٨هـ)[4] وَعِمْرَانُ بنُ إِسْحَاقَ،وَأَبْرَاهام ابن عِزْرَا(ت:٥٦٢هـ)[5] مِنْ طُلَيْطِلَةَ. بَيْنَمَا مناحم بنُ الفَوَّالِ[6] مِنْ سَرَقُسْطَةَ،وَمِنْ قُرْطُبَةَ مُوسَى بنُ مَيْمُونَ (٥٣٠-٦٠٢هـ)الذي وُصِفَ بِأَنَّهُ أَوْحَدُ زَمَانِهِ فِي الطِّبِّ[7]،وَهَاجَرَ الطَّبِيبُ اليَهُودِيُّ إِبْرَاهِيمُ بنُ زَرُّور مِنْ غَرْنَاطَةَ إِلَى قَشْتَالَةَ[8]،ويَهُودَا هَلِيفِي وسُلَيْمَانُ ابنُ المُعَلِّمِ فِي بَلاطِ عَلِيٍّ بنِ تَاشَفِينَ فِي إِشْبِيلِيَةَ،وَفِي بَرْشَلُونَةَ إِلْيَاسُ بنُ المُدَوِّرِ[9]،ويُوسُفُ ابنُ حَسْدَاي(ت:٥٣٣هـ) تَرَكَ الأَنْدَلُسَ إِلَى مِصْرَ[10].

وَظَهَرَ أَثَرٌ لأَطِبَّاءِ اليَهُودِ فِي أَشْعَارِ الأَنْدَلُسِيِّينَ ومُوَشَّحَاتِهِم،فَقَدْ يَكُونُ "**مَيْمُون**" فِي هَذِهِ المُحَاوَرَةِ **للغَيْشُوم**(ت:٤٣٠هـ)[11]،بَيْنَ عَرُوسٍ وَزَوْجِهَا العِنِّينِ وَاحِدًا مِنْهُمْ، بِقَوْلِهِ[12]:[السريع]

عَلَى مُعَاذٍ قُرونٌ[13] لَوْ يُعَايِنُهَا ... فِرْعَوْنُ مَا قَالَ أَوْقِدْ لِي عَلَى الطِّينِ
قَالَتْ لَهُ عِرْسُهُ إِذْ جَاءَ يَنْكِحُهَا ... مَاذَا دُهِيتُ بِهِ مِنْ كُلِّ عِنِّينِ[14]

---

١ – هُوَ سُلْطَان المَغْرِب: أَبُو **عَنَان** فارس ابن أَبِي الحسن **المريني**، لَمَّا قُتل السُّلْطَان أَبُو الحجاج الذي كَانَ لسان الدِّين وزيره،أرسل ابنُه مُحَمَّدًا الغَنِيَّ بِاللهِ إِلَى أَبِي عَنَان من إنشاء لسان الدِّين رسالة يستنجد بِهِ لقتال أعدائه.وَمدحه شعراء الأَنْدَلُسِ لدوره فِي قتال الأعداء. انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٤٢٩/١– ٤٣٢، ٢١٠/٢–٢١١، ١٨٦/٦– ١٩٣؛ أَحْمَد الناصِرِيّ"**الاستِقْصا**" ١٩٠/٣–٢٠٥.

٢ – انْظُرْ ابن خَلْدُونَ "**تَارِيخُهُ**" ٤٠٢/٧– ٤٠٣ .

٣ – انْظُرْ: الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٣١٩/٨ .

٤ – هُوَ الطَّبِيبُ اليَهُودِيُّ:**اسْحَاقُ بنُ قِسْطَار**،خدم كُلاً مِنْ مُجَاهِدِ العَامِرِيِّ،وَابنِهِ إِقْبَالِ الدَّوْلَةِ عَلِيٍّ،تَبَصَّرَ فِي مِهْنَةِ الطِّبِّ،وَأَتْقَنَ خَفَايَاهَا، كَمَا برع فِي الفَلْسَفَةِ وَالمنطق وَاللغة، وَأجاد فقه اليَهُودِ فأصبح حبرًا من أحبارهم،تُوُفِّيَ بطُلَيْطِلَةَ سَنَةَ ٤٤٨هـ وَلَهُ من العمر ٧٥ سَنَةَ .
انْظُرْ :ابن أَبِي أُصَيْبِعَةَ"**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٤٩٨/١ .

٥ – انْظُرْ: مُحَمَّد مجيد السعيد"**الشِّعْر فِي عَهْدِ المُرَابِطِينَ وَالمُوَحِّدِينَ بِالأَنْدَلُسِ**" ص ٥٥ .

٦ – هُوَ الطَّبِيبُ اليَهُودِيُّ: **منجم بن الفوال**،مِنْ سَرَقُسْطَةَ Sarragosa تبحّر فِي الفَلْسَفَةِ وَالمنطق،وَلَهُ كِتَابُ "كنز المُقل" عَلَى طَرِيقَةِ المَسْأَلَةِ وَالجَوَابِ ضَمَّنَهُ جُمَلاً مِنْ قَوَانِينِ المَنْطِقِ وَأُصُولِ الطَّبِيعَةِ. انْظُرْ: ابن أَبِي أُصَيْبِعَةَ"**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٤٩٨/١ .

٧ – انْظُرْ: ابن أَبِي أُصَيْبِعَة "**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٥٨٢/١ – ٥٨٣ .

٨ – ابن الخَطِيب "**نُفَاضَةُ الجراب فِي عُلالَةِ الاغْتِراب**" ص ١٩ .

٩ – انْظُرْ: إِبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَر العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١٧٩ نقلا عن"**دائرة المعارف اليَهُودِيَّة**" ٤١٤/٨ .

١٠ – انْظُرْ: ابن أَبِي أُصَيْبِعَةَ"**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٥٠٠/١ .

١١ – هُوَ: أَبُو بَكْر عَبْدُ اللهِ **بنُ** حَجَّاج الغَافِقِيُّ المُلَقَّب **بالغيشوم**،مِنْ إِشْبِيلْيَة ومِنْ شعراء المعتضد بن عباد، مات بعد ٤٣٠هـ .
انْظُر: الحُمَيْدِيّ"**جَذْوَة المُقْتَبِس**" ٤١٢/٢– ٤١٣؛ الضَبِّيّ"**بُغْيَة المُلْتَمِس**" ٤٤٥/٢؛ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢٦٥/١ – ٢٦٦؛ صفوان ابن إدريس"**زَادُ المُسَافِرِ**" ص١٠٢ – ١١٥؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٣٥،٢٦٨/٥ .

١٢ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٢٦٨/٥ .

١٣ – قُرون:جمع قَرْنُ؛ الذُّؤابة، وَخص بعضهم بِهِ ذُؤابة المرأة وَضفيرتها . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [قرن] ٣٣١/١٣ .

١٤ – العِنِّينُ: الذِي لا يأْتي النساء، وَلا يريدهن. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [عنن] ٢٩١/١٣ .

هَــلاَّ اسْــتَعَنْتَ **بِمَيْمُــونٍ** فَقَــالَ لَهَــا   إِنِّــي اسْــتَعَنْتُ عَلَـى نَفْسِـي **بِمَيْمُــونِ**

أَتَوَقَّعُ أَنْ يَكُونَ "**مَيْمُونُ**" فِي الأَبْيَاتِ طَبِيبًا يَهُودِيًّا مَشْهُورًا عِنْدَهُمْ[1] طَلَبَتِ العَرُوسُ أَنْ يَسْتَعِينَ عَرِيسُهَا بِهِ لِيَعْرِفَ سَبَبَ مَرَضِهِ،فَيَكُونُ المَعْنَى القَرِيبُ "**لِمَيْمُون**" فِي آخِرِ البَيْتِ المُبَارَكَ[2] بَيْنَمَا قَصَدَ الشَّاعِرُ الحَبِيبَ وَأرَجِّحُ أَنْ يَكُونَ الفَتَى اليَهُودِيُّ مُوسَى الذِي كَانَ الشَّاعِرُ مُغْرَمًا بِهِ،وَصَرَّحَ بِعِشْقِهِ لَهُ غَيْرَ مَرَّةٍ[3]؛فَهُوَ سَبَبُ عِلَّةِ الشَّاعِرِ مَعَ عَرُوسِهِ لِشِدَّةِ تَعَلُّقِهِ بِهِ. وإِنْ أَتَى ذِكْرُ الطَّبِيبِ اليَهُودِيِّ غَيْرَ صَرِيحٍ هُنَا،إلا أَنَّهُ بَدَا وَاضِحًا عِنْدَ ابنِ **قُزْمَان** بِقَوْلِهِ[4]: [الخفيف]

قَـــلَّ لَمَّـــا رَأَى بِ شُـــغْلِ البَـــالْ   وَنُحَـــــــوْلِ الجَسَـــــــدْ

" يَـــا أَبُـــو بَكْـــرٍ،لا غِنَـــي أَنْ تَعْمَـــلْ   مَـــا عَمَـــلْ كُـــلّ حَـــدْ

أَيْ[5]،عَـــرِّفْ **يَهُـــودَا** بِأَخْبَـــارِكْ   هُ طَبِيـــــــبَ البَلَـــــــدْ "

ففي الأَبْيَاتِ اسمُ طَبِيبٍ يَهُودِيٍّ مَشْهُورٍ يُدْعَى يَهُودَا،يَعْتَرِفُ كُورِينْطِي أَنَّهُ مِنَ الصَّعبِ تَحْقِيقَ ذَاتِهِ لِشُيُوعِ هَذَا الاسْمِ لَدَى اليَهُودِ،لَكِنْ يَتوَقَّعُ أَنَّهُ يَهُودَا هاليفي(ت: ٥٤٠هـ) الأَدِيبُ المَشْهُورُ الذِي احْتَرَفَ الطِّبَّ مُدَّةً فِي الأَنْدَلُسِ[6]،أَمَّا الدُّكْتُور سَامْسُو المُتَخَصِّصُ فِي عُلُومِ العَرَبِ أخبرَ كُورِينْطِي أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ يَهُودَا بنُ طِبُّون(ت: ٥٤٤هـ)[7]وَلا بُرْهَانَ عَلَى أَيٍّ مِنَ القَوْلَيْنِ.

٤- فِي الفَلْسَفَةِ .

كَانَ سُلَيْمَانُ بنُ جِبِيرُول(ت:٤٦٢هـ) مِنْ أَوَائِلِ رُوَّادِ الفَلْسَفَةِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ، عُرِفَ بِكِتَابِهِ "يَنْبُوعِ الحَيَاةِ"، وَلِعَدَمِ اسْتِشْهَادِهِ بِأَيَّةِ آيَةٍ مِنَ التَّوْرَاةِ أَوْ بِأَيِّ قَوْلٍ مِنَ التَّلْمُودِ، وَلِكَوْنِ الكِتَابِ فَلْسَفِيًّا، مَكْتُوبًا بِالعَرَبِيَّةِ فِي الأَصْلِ،ظَنَّ بَعْضُ عُلَمَاءِ الغَرْبِ أَنَّهُ مِنْ مُؤَلَّفَاتِ فَيْلَسُوفٍ عَرَبِيٍّ، أَوْ نَصْرَانِيٍّ، وَظَلَّ العُلَمَاءُ فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِهِ حَتَّى عُثِرَ عَلَى تَرْجَمَةٍ عِبْرَانِيَّةٍ لِلكِتَابِ مُنْتَصَفَ القَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ تَبَيَّنَ مِنْ مُقَدِّمَتِهَا أَنَّ مُؤَلِّفَهُ ابنُ جِبِيرُول وَأَنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا[8]، وَلَهُ مُؤَلَّفٌ آخَرُ كتبَهُ بِالعَرَبِيَّةِ وَنَقَلَهُ يَهُوذَا بنُ تَبُون إِلَى العِبْرِيَّةِ بِاسمِ "إِصْلاحِ النَّفْسِ". وَمِنَ المُتَعَمِّقِينَ فِي الفَلْسَفَةِ عَلَى نَمَطِ ابنِ جِبِيرُول

---

١ – مِنْهُمْ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ: الطبيب مُوسَى بن ميمون القرطبي، سَبَقَتْ تَرْجَمَتُهُ .

٢ – انْظُرْ : ابن منظور"**لِسَانُ العَرَبِ**" [يمن]١٣/٤٥٨ .

٣ – انْظُرْ : صفوان ابن إدريس"**زَادُ المُسَافِرِ**"ص١٠٦– ١٠٨؛ ابن سَعِيد"**المُغْرِب**"١/٢٦٧؛ المَقَّرِي"**نَفْحُ الطِّيبِ**"٥/٢٦٨،وانْظُرْ فِي البَحْثِ: ص ١١٦– ١١٧ .

٤ – ابن قُزْمَان"**دِيوَانُهُ**" ص ٤٨٤ .

٥ – أَيْ: بِمَعْنَى هَيَّا.

٦ – انْظُرْ : ابن قُزْمَان"**دِيوَانُهُ**" ص ٤٨٥ [الحَاشِيَة] .

٧ – هُوَ : **يَهُودَا بنُ شَاوُول بنُ طِبُّون**، مِنْ مَوَالِيدِ غَرْنَاطَة سَنَةَ ٥٣٠هـ ،وَفِيهَا مارس الطب إِلَى ٥٤٤هـ .

انْظُرْ : ابن قُزْمَان"**دِيوَانُهُ**" ص ٤٨٤ [الحَاشِيَة] .

٨ – انْظُرْ : جواد علي"**مَا عَرَفَهُ ابنُ النَّدِيمِ عَنْ اليهوديّة وَالنَّصْرَانِيَّةِ – القِسْمُ الثَّانِي**"ص ١٧٢– ١٧٣ .

كَانَ يَحْيَى بنُ يُوسُفَ بنُ بَقُّودَةَ (ت:٤٤١هـ)[١]،صَاحِبُ "الهِدَايَةَ إِلَى واجِباتِ القُلُوبِ" المُؤَلَّفِ بِالعَرَبِيَّةِ تَرْجَمَهُ كَذَلِكَ يَهُوذَا بنُ تَبّون بِعُنْوَانِ "واجِباتِ القُلُوبِ חובות הלבבות"[٢].أَمَّا إِبْرَاهِيمُ بنُ دَاوُود الطُّلَيْطِلَيّ فَهُوَ أَوَّلُ فَيْلَسُوفٍ يَهُودِيٍّ تَأَثَّرَ بِفَلْسَفَةِ أَرِسْطُوطَالِيسَ،وَأَرْجَعَ البَاحِثُونَ عِلْمَهُ بِهَذِهِ الفَلْسَفَةِ إِلَى كُتُبِ الفَارَابِيِّ(ت:٣٣٩هـ)[٣] وَابنِ سِينَا(ت:٤٢٨هـ)[٤]التِي قَرَأَهَا بِالعَرَبِيَّةِ[٥]. وَاشْتُهِرَ مِنْهُمْ يَهُوذَا لاوى(ت:٥٤٧هـ)[٦]وَيَحْيَى بنُ يَهُودَا هَلِيفِي[٧].إلا أَنَّ أَمِيرَ مُفَكِّري الأَنْدَلُسِ عندَ أنخل بالنثيا هُوَ مُوسَى بنُ مَيْمُونَ (ت:٦٠٢هـ) ،ولَهُ "دِلالَة الحَائِرِينَ" الذي كُتِبَ بِالعَرَبِيَّةِ،حَاوَلَ أنْ يُوَفِّقَ فِيهِ بَيْنَ العَقْلِ وَالدِّينِ كَمَا فَعَلَ ابنُ حَزْمٍ وَابنُ رُشْدٍ[٨].

ومِنَ المُلاحَظِ عَلَى الشُّعَرَاءِ اليَهُودِ بِالأَنْدَلُسِ أَنَّ مُعْظَمَهُم كَانُوا مِنَ الشُّعَرَاءِ الفَلاسِفَةِ، نَظَمُوا شِعْرًا فَلْسَفِيًّا وَعِلْمِيًّا، مِنْهُمْ سُلَيْمَانُ ابنُ جِبِيرُول الذي قِيلَ إِنَّهُ شَاعِرٌ بَيْنَ الفَلاسِفَةِ وَفَيْلَسُوفٌ بَيْنَ الشُّعَرَاءِ، وَأَبُو الحَسَنِ هَلِيفِي وأَبْرَاهام بنُ عِزْرَا وَيُوسُفُ بنُ صِدِّيقٍ(ت: ٥٤٣هـ)[٩]

---

١ – هُوَ : **يَحْيَى بنُ يُوسُفَ بن بَقُّودَةَ** (ت:٤٤١هـ) فيلسوف يَهُودي عاش فِي بَلَنْسِيَةَ مَعَ ابن جِبِيرُول، كتب بالعَرَبِيَّةِ "واجبات القلوب" وترجمه يَهُودَا بنُ تِبُّونَ بعُنْوَانِ "חובות הלבבות". وينسب إِلَيْهِ كتاب آخر يسمي"عقيدة النفس" أَلَّفه بالعَرَبِيَّةِ ثم ترجم للعبرية. انْظُرْ: إبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَرِ العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص١٤٩– ١٥٠؛ أنخل جُنْثَالِث بالنثيا "**تَارِيخُ الفِكْرِ الأَنْدَلُسِيّ**" ص٢٦،٤٩٤– ٤٩٧ .

٢ – انْظُرْ: جواد علي"**مَا عَرَفَهُ ابنُ النَّدِيمِ عَنْ اليهوديّة وَالنَّصْرَانِيَّةِ – القِسْم الثَّانِي**" ص ١٧٥ .

٣ – هُوَ الفيلسوف: أَبُو **نصر الفارابي** مُحَمَّدٌ بن مُحَمَّدٍ بن طرخان(٢٦٠– ٣٣٩هـ)، نَشَأَ بتركيا وَتنقلت بِهِ الأسفار إِلَى أن وَصل إِلَى بَغْدَادَ ثُمَّ دِمَشْقَ،عَرَفَ اللسان التركي وَعدة لغات غَيْرِ العَرَبِيّ.وَكَانَ مفرط الذكاء،وله مصنفات فِي الحكمة وَالمنطق وَالموسيقى مِنْهَا "آراء أهل المَدِينَةِ الفاضلة". وَرتب لَهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ كل يوم أربعة دراهم إِلَى أن مات . انْظُرْ: ابن خَلِّكَان "**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ١٥٣/٥– ١٥٧؛ الشهرزوري"**تَارِيخُ الحُكَمَاءِ**"ص٤٠٩–٤١٠؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"٤١٦/١٥– ٤١٨؛ الصَّفَدِيّ "**الوَافِي بِالوَفَيَات**" ١٠٢/١–١٠٧؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَبِ**" ٣٤٩/١– ٣٥٤؛ ابن فَضْل اللهِ العُمَرِيّ"**مَسَالِك الأَبْصَارِ**" ٣٣/٩ .

٤ – هُوَ الفيلسوف الطبيب: أَبُو عَلِيٍّ الحُسَيْنُ بنُ عَبْدِ اللهِ **ابنُ سِينَا**،وُلِدَ سَنَةَ ٣٧٠هـ،أَصْلُهُ بلخى وَمَوْلِدُهُ ببخارى.حَصَّلَ كَثِيرًا مِنَ العُلُومِ وَتَعَلَّمَ الطِّبَّ وَعَالَجَ بِهِ وَعَلَّمَهُ.تَنَقَّلَ فِي البُلْدَانِ حَتَّى نزل قزوين،فوزر بِهَا،وَفُتِنَ وسُجِنَ أربعة أشهر،مات بهمذان ٤٢٨هـ، لَهُ تصانيف كَثِيرَةٌ مِنْهَا "الإنصاف" عشرون مجلدًا "الشفاء" ثَمَانية عشرة مجلدًا وَ"القانون" وَ"أرجوزة فِي الطب" وَغَيْرِهَا. انْظُرْ: ابن أَبِي أُصَيْبِعَة "**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٤٣٧/١–٤٥٩؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**"١٥٧/٢–١٦٢، الصَّفَدِيّ"**الوافِي بِالوَفَيَات**" ٢٤٩/١٢–٢٥٥؛ الذَّهَبِيّ "**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"٥٣١/١٧– ٥٣٦؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَبِ**" ٢٢٤/٢– ٢٣٧؛ الشهرزوري"**تَارِيخُ الحُكَمَاءِ**" ص٤٢١ .

٥ – انْظُرْ: جواد علي"**مَا عَرَفَهُ ابنُ النَّدِيمِ عَنْ اليهوديّة وَالنَّصْرَانِيَّةِ – القِسْم الثَّانِي**" ص ١٧٧ .

٦ – انْظُرْ: مُحَمَّد مجيد السعيد "**الشِّعْر فِي عَهْدِ المُرَابِطِينَ وَالمُوَحِّدِينَ بِالأَنْدَلُسِ**" ص ٥٥ .

٧ – انْظُرْ: أنخل جُنْثَالِث بالنثيا "**تَارِيخُ الفِكْرِ الأَنْدَلُسِيّ**" ص٢٤ .

٨ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ص ٢٤، ٥٠٣ .

٩ – هُوَ الفيلسوف اليَهُودِيُّ: **يُوسُفُ بنُ صِدِّيقٍ**(٤٧٢– ٥٤٣هـ) عاش فِي قُرْطُبَةَ.ومؤلفه الفلسفي الأساسي يسمى "العَالَم الصَّغِير" كتبه بالعَرَبِيَّةِ وترجم أخيرا إِلَى العِبْرِيَّةِ بعُنْوَانِ"העולם הצעיר". وَكَانَ يُوسُفُ مُغْرَمًا بالفَلْسَفَةِ الإِسْلامِيَّةِ مُتَأَثِّرًا بِهَا وَلَكِنَّهُ كَانَ يطبعها بطابعه الخَاصّ .

انْظُرْ: إبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَر العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١٥٠ .

ومُوسَى بنُ عِزْرَا[١] .وَيَحْيَى بنُ يُوسُفَ بنُ بَقُّودَة،وأكثرُ هَؤُلاءِ تَأثُّرًا بالفَلْسَفَةِ الإسْلامِيَّةِ ابنُ صِدِّيقٍ،لهُ كِتَابُ "العَالَم الصَّغِير" كَتَبَهُ بِالعَرَبِيَّةِ وَتُرْجِمَ إِلَى العِبْرِيَّةِ بِعُنْوَانِ "העולם הצעיר"[٢] .

٥ـ فِي الجُغْرَافيا وَالفَلَكِ وَالرِّحْلات.

استَخْدَمَتِ المَصَادِرُ التِي تُؤَرِّخُ للأنْدَلُسِ التَّارِيخَ الهِجْرِيَّ فَقَط،لكنْ رُبَّمَا اسْتَخْدَمَ أَهْلُ الأَنْدَلُسِ التَّقْوِيمَ الأَوْرُوبِيَّ فِي تَسْيِيرِ أَعْمَالِهِمْ،وَقَدْ يَكُونُ استِخْدَامُ التَّقْوِيمِ الأَوْرُوبِيِّ بَيْنَ النَّصَارَى فِي مَنَاطِقِهِم،أَوْ بَيْنَهُم وَبَيْنَ العَرَبِ،فقدْ وَصَلَتْ إلينَا مَجْمُوعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الصُّكُوكِ التِي تُمَثِّلُ طَرِيقَةَ البَيْعِ وَالشِّرَاءِ تُؤَرِّخُ بِهِ فِي مَدِينَةِ طُلَيْطِلَةَ بَعْدَ سُقُوطِهَا سَنَةَ ٤٧٧هـ،إلا أَنَّ التَّقْوِيمَ الأَوْرُوبِيَّ فِي ذَلِكَ الحِينِ لَيْسَ هُوَ المَعْرُوفَ اليوم،بَلْ كَانَ يُعْرَفُ بِاسْمِ "تَارِيخِ الصِّفْرِ"[٣] .

وَكَانَ القَاضِي حَنَان مِنْ قُرْطُبَةَ عام ٣٥٩هـ مِنْ **أَوَائِلِ العُلَمَاءِ اليَهُودِ الذِينَ شُغِفُوا بِالفَلَكِ** وَأَلَّفَ كِتَابًا مُطَوَّلاً فِيهِ.وَمِثْلُهُ اشْتُهِرَ إِبْرَاهِيمُ بنُ حَيًّا بِالفَلَكِ وَكَذَلِكَ أَبْرَاهامُ بنُ عِزْرَا[٤] .وَيَقُولُ وِل دِيوْرَانت: إِنَّهُ لَمْ يُفِدْ عِلْمَ الجُغْرافيا إلا قليلٌ مِنَ الشَّعْبِ اليَهُودِيِّ رُغْمَ كَثْرَةِ تَنَقُّلِه،بَيْدَ أَنَّ اثْنَيْنِ مِنْهُمْ بِنَاحيَا الرَّاتسبُونِيُّ وَبِنْيَامِينُ التُّطَيْلِيُّ(ت:٥٦٩هـ) **كَانَا أَعْظَمَ الرَّحَّالَةِ**،كَمَا يَرَى وِل دِيورَانْت، فَكَتَبَا قَصَصًا عَنْ رِحْلاتِهِمَا فِي أَوْرُوبَّا وَالشَّرْقِ؛ارْتَحَلَ بِنْيَامِينُ التُّطَيْلِيُّ عَنْ سَرَقُسْطَةَ عَامَ ٥٥٤هـ، بِدَافِعِ الاطِّلاعِ الشَّخْصِيِّ وَطَافَ فِي البِلادِ ثُمَّ عَادَ إِلَى مَوْطِنِهِ عَامَ ٥٦٨هـ حَيْثُ مَاتَ.وَكَانَ أَكْثَرُ مَا يَهْتَمُّ بِهِ هُوَ الجَمَاعَاتِ اليَهُودِيَّةَ،فَأَعْطَى مَعْلُومَاتٍ عَنِ اليَهُودِ،وَوَصَفَ أَحْوَالَهُمْ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ زَارَهَا فِي كِتَابِهِ "המסעות"أيّ الرِّحْلاتِ الذي يُعْتَبَرُ مَرْجِعًا فِي تَارِيخِ اليَهُودِ، وَأَحْوَالِهِم وَجُغْرَافِيَّةِ البِلادِ فِي عَصْرِهِ؛فكَتَبَ بِالتَّفْصِيلِ عَنْ رِحْلاتِهِ مُتَنَقِّلاً بَيْنَ أَوْرُوبَّا والشَّرْقِ العَرَبِيِّ[٥] ،وَوَصَفَ مُدُنَهَا الرَّئِيسَةَ، وَذَكَرَ أَسْمَاءَ اليَهُودِ البَارِزِينَ فِيهَا،وَأَشَارَ إِلَى المُعَامَلَةِ الطَّيِّبَةِ التِي كَانَ يَلْقَاهَا اليَهُودُ فِي ظِلِّ الخِلافَةِ الإِسْلامِيَّةِ، وَوَصَفَ المَظَاهِرَ الجُغْرَافِيَّةَ لِكُلِّ بَلَدٍ مَرَّ بِهِ وَالخَصَائِصَ الجِنْسِيَّةَ لِسُكَّانِهِ وَصْفًا

---

١ – انْظُرْ: إِبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَر العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١١٨ .

٢ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ص ١٥٠ .

٣ – **تاريخُ الصِّفْر:** هُوَ تاريخ كَانَ مصطلحًا عَلَيْهِ فِي إسْبَانيَا مِنْ قبل دخول الإسْلام،بَلْ مِنْ قبل المَسِيح،وَكَانَ مبدأه فِي أول يناير سَنَةَ ٣٨ قبل المَسِيح لعهد أغسطس قيصر،وبقي هَذَا التاريخ مَعْرُوفًا فِي إسْبَانيَا إِلَى القرن الخامس عشر للمسيح، وكَانَتِ اليَهُود تؤرخ قبله بوفاة مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ . انظُر:المَقْرِيزِيّ "**المَوَاعِظ وَالاعْتِبَار**"٩٤٢/٤؛ عدنان مصطفى "**نَظَرِيَّةُ ريبيرا حَوْلَ عُرُوبَةِ الأَنْدَلُسِ**"، حولية كلية الإنسانيات والعُلُوم الاجْتِمَاعِيَّة بجامعة قطر،ع ١٢ ،١٩٨٩ م،ص١٩١ .

٤ – انْظُرْ: إِبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَر العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١٧١ .

٥ – زار بِنْيامِين كُلاً مِنْ شَمَالَ إِسْبَانيَا جَنُبَ فَرَنْسَا إيطاليا تُرْكِيًّا الجَزَائِرِ بَحْر إيجه قُبْرُص سريا فِلَسْطِين العِرَاقِ اليمن مِصْر صِقِلِّيَةَ. انْظُرْ: مُحَمَّد بحر عبد المجيد "**اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ**"ص٨٢؛ وِل دِيوْرَانت "**قِصَّةُ الحَضَارَة**" ١١٣/١٤ .

يَمْتَازُ بِكَثِيرٍ مِنَ الدِّقَّةِ وَالمَوْضُوعِيَّةِ وَالقُرْبِ مِنَ الحَقِيقَةِ(١).

وَيُعْتَقَدُ أَنَّ اليَهُودِيَّ إِبْرَاهِيمَ بنَ يَعْقُوبَ الإِسْرَائِيلِيَّ المَعْرُوفَ بِالطَّرْطُوشِيِّ أَهْدَى كِتَابًا عَنْ رِحْلاتِهِ إِلَى مُدُنِ وَمَمَالِكِ أَوْرُوبَّا إِلَى الخَلِيفَةِ الحَكَمِ(٢).وَوَصَفَ اليَهُودِيُّ يَهُوذا الحَرِيزِيُّ بِأُسْلُوبِ السَّجْعِ أَسْفَارَهُ وَرِحْلاتِهِ وَأَعْطَى مَعْلُومَاتٍ عَنِ الأَمَاكِنِ وَالبِلادِ كَمَا أَعْطَى صُورَةً عَنْ حَيَاةِ اليَهُودِ وَأَحْوَالِهِمْ فِي مُدُنِ الشَّرْقِ الهَامَّةِ.فَوَصَفَ بِلادًا زَارَهَا مِنْهَا مِصْرُ وفِلَسْطِينُ وَسُورْيَةُ وَالعِرَاقُ،وأَعْطَى أَخْبَارًا هَامَّةً كَثِيرَةً عَنِ العُلَمَاءِ وَ الشُّعَرَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ فأَشْبَه الرَّحَّالَةَ بِنْيامِين(٣).

٦- فِي الغِنَاءِ وَالمُوسِيقَى .

لَمْ تُرَكِّزِ المَصَادِرُ كَثِيرًا عَلَى مَوْضُوعِ الغِنَاءِ والمُوسيقى،إلا أَنَّهُ جاءَ فِي "الذَّخِيرَة" حَديثٌ عنِ احْتِفَالٍ فِي قصْرِ المَأْمُونِ سَبَقَتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ سَمَّى بِهِ ابنُ بَسَّامٍ يَهُودِيَّيْنِ انْمازُوا عَنْ غَيْرِهِم فِي الحَفْلَةِ،وَهُمَا ابْنُ حَسْدَايِ الذي كَانَ مُدَبِّرَ الحَفْلَةِ،وَالمُطْرِبُ ذَيٌّ(٤).وَلَمْ يُحَدِّدْ ابنُ بَسَّامٍ هَوِيَّةَ زُمَرِ المُغَنِّينَ،وأَتَوَقَّعُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ اليَهُودِ.

وَلَمْ تَكُنْ حَالَةُ المَأْمُونِ شَاذَّةً عَنْ المُجْتَمَعِ الأَنْدَلُسِيِّ،فَعَلَى سَبِيلِ المِثَالِ عَمِلَ عِنْدَ الحَكَمِ بنِ هِشَامٍ الرَّبَضِيِّ(١٨٠- ٢٠٦هـ) مُغَنٍّ يَهُودِيٌّ اسْمُهُ أَبُو النَّصْرِ مَنْصُور الذي بَعَثَهُ إِلَى بَغْدَادَ رَسُولاً إِلَى المُغَنِّي زِرْيَابَ يَسْتَدْعِيهِ لِلْقُدُومِ إِلَى بَلاطِهِ وَنَجَحَ مَنْصُور فِي مَهمَّتِهِ(٥).وَكَانَ إِسْحَاقُ بنُ شَمْعُونَ اليَهُودِيُّ القُرْطُبِيُّ مِنْ عُلَمَاءِ المُوسِيقَى(٦).

---

١ – انْظُرْ: آمنة البدوي"**شعر النازحِينَ مِنَ الأَنْدَلُسِ إِلَى مِصْرَ وَالشام فِي القرنِ السابع الهجري بين التأثر وَالتأثير**"ص٩ ؛ وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ١١٣/١٤ .

٢ – انْظُرْ: عبد المطلب مَظْهَر"**أَهْلُ الذِّمَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ خِلالَ الحُكْمِ الأَمَوِيِّ**" ص ١١٧ .

٣ – انْظُرْ: إِبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَر العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١٣٤ .

٤ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٤،م١/١٣٥ ؛ وانْظُرْ:"**قَلائِد العِقْيان**"ق٣،ج٢/٥٤٨ .

٥ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ١١٠/٤ .

٦ – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٢٧/١ –١٢٨ ، وَسَتَرِدُ تَرْجَمَة لَهُ فِي مَتْنِ البَحْثِ لاحِقًا : ص 228 .

الفَصْلُ الثَّانِي : **حُضُورُ اليَهُودِ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ** فِي الأَنْدَلُس.

المَبْحَثُ الأوَّلُ : **اليَهُودُ فِي مَوْضُوعاتِ الشِّعْرِ** العَرَبِيِّ بالأنْدَلُس.

لَمْ تَخْتَلِفْ كَثِيرًا مَوْضُوعاتُ الشِّعرِ فِي الأنْدَلُسِ عَنْهَا فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ التَّقْلِيدِيِّ،لِذا سَيَتَنَاوَلُ البَحْثُ أثَرَ اليَهُودِ فِي أشْهَرِ مَوْضُوعَاتِ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ :

أوَّلاً:- اليَهُودُ فِي شِعْرِ الغَزَلِ

لَمْ تَمْنَعِ اليَهُودِيةُ الأنْدَلُسِيِّينَ مِنْ أنْ تَتَعَلَّقَ قُلُوبُهُمْ بِبَنَاتِ اليَهُودِ،وَلَمْ يُشَكِّلِ اخْتِلافُ الدِّينِ حَاجِزًا يَحُولَ بَيْنَ شُعَرَاءِ الأنْدَلُسِ وَالحَدِيثِ عَنْ نساءِ اليَهُودِ وَالتَّغَزُّلِ بِهِنَّ.فَلَمْ أجِدْ مَثَلاً بَيْنَ شُعَرَائِهِم مَنْ تعَلَّق قَلْبُهُ بِفَتَاةٍ مَا،وَأرادَ الاقْتِرَابَ فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ لِكَوْنِهَا مِنَ اليَهُودِ.

وَلَمْ تظْهَرْ صُورَةٌ وَاضِحَةُ الخُطوطِ وَالألْوانِ لِلنِّسْوةِ اليَهُودِيّاتِ فِي أشْعَارِهِمْ؛فَلا تَظْهَرُ فِيهَا مَعَالِمُ أُنْثَوِيَّةٌ أوْ صِفَاتٌ جَسَدِيَّةٌ لأُنْثَى،بَلْ كَانَ عَامًّا،وَخُوطِبُ المَحْبُوبُ كَثِيرًا بِلُغَةِ التَّذْكِيرِ وهَذَا أُسْلُوبٌ شَائِعٌ فِي الغَزَلِ العرَبِيِّ،ومِنْهُ قَوْلُ **أحَدِهِمْ** فِي مَحْبُوبٍ يَهُودِيٍّ [1]: [مخلع البسيط]

وَأهْيَفَ **مِنْ يَهُودَ** يَرْنُو بِمُقْلَتَيْ شَادِنٍ غَرِيرِ
أقْبَلَ كَالغُصْنِ فِي تَأَنٍّ مُمْتَزِجَ الأُنْسِ بِالنُّفورِ
فَقُلْتُ يَا غُصْنُ أيْنَ تَنْمِي [2] فَقَالَ إنِّيَ فِي بَنِي النَّضِيرِ

وَالهُوِيَّةُ الدِّينيةُ لَمْ تمنَعِ المَرْأةَ اليَهُودِيَّةَ مِنْ أنْ تَكُونَ مَحْبُوبَةً جَمِيلَةً مُؤَثِّرَةً عَلَى قَرِيحَةِ الشُّعَرَاءِ، وَلَمْ تَمْنَعِ الشَّاعِرَ مِنْ أنْ يَتَغَزَّلَ بِهَا وَأن يُسْبِغَ عَلَيْهَا أوْصَافًا تَقْلِيدِيَّةً؛فَهِيَ هيفاءُ القامةِ،وَعيونُهَا عُيُونُ شَادِنٍ غَرِيرٍ،وَتُقْبِلُ كَالغُصْنِ فِي تَثَنِّيهَا.وكُلُّهَا أوْصَافٌ تقليديةٌ لا جديدَ فِيهَا سِوَى تَوْظِيفِ قِصَّةِ بني النَّضِيرِ الَّتِي أخَذَهَا الشَّاعِرُ الأنْدَلُسِيُّ مِنَ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ للإشارَةِ إلَى يَهُودِيَّةِ المَحْبُوبِ. وأخذ ابنُ **زَيْدُونَ** قِصَّةَ قَوْمِ مُوسَى مِنَ القُرْآنِ لِيَخْتَصِرَ حَالَ مَحْبُوبَتِهِ مَعَهُ بِقَوْلِهِ [3]:[الخفيف]

قَدْ عَلِقْنَا سِوَاكِ عِلْقًا نَفِيسًا وَصَرَفْنَا إلَيْهِ عَنْكِ النُّفوسَا
وَلَبِسْنَا الجَدِيدَ مِنْ خِلَعِ الحُبِّ، وَلَمْ نَأْلُ أنْ خَلَعْنَا اللَّبِيسَا [4]
لَيْسَ مِنْكِ الهَوَى،وَلا أنْتِ مِنْهُ اهْبِطِي مِصْرَ، أنْتِ مِنْ قَوْمِ مُوسَى [5]

---

[1] – ابن الأَحْمَر "نَثِيرُ فَرَائِدِ الجُمَانِ فِي نَظْمِ فُحُولِ الزَّمَانِ" ص٣٠٣ .

[2] – فلان يَنْمِي إلَى حسبٍ وَيَنْتَمِي وَيَنْمُو : يرتفع إلَيْهِ. ابن مَنْظُور "لِسَان العَرَبِ" [نمي] ١٥/٣٤٢ .

[3] – ابْن زَيْدُونَ "دِيوَانُهُ وَرَسَائِلُهُ" ص١٩٥؛ الكُتْبِيّ "فَوَات الوَفَيَات" ٢/ ٥٨٨ .

[4] – اللَّبِيس: الثوب الذي كثر لبسه حَتَّى أخلق . ابن مَنْظُور "لِسَان العَرَبِ" [لبس] ٦/٢٠٢ .

[5] – إشَارَةٌ إلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا . . . . اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ **سُورَةُ البَقَرَةِ**، آية ٦١ .

فَمَحْبُوبَتُهُ رَفضَتْ مَوَدَّتَهُ وَتَمَنَّعَتْ عَلَيْه،وَلَمْ يُعْجِبْهَا أيُّ حَالٍ يُقَدِّمُهُ الشَّاعِرُ لَهَا فَأشْبَهَتْ قَوْمَ مُوسَى الذينَ لَمْ يُعْجِبْهُم أيُّ حَالٍ.فَلَمْ تَكُنْ مِنَ اليَهُودِ لكنَّهَا أشْبَهَتِ اليَهُودَ بِرَفْضِهَا لِحُبِّهِ[1].

وَبِمَا أنَّ الشَّاعِرَ الأنْدَلُسِيَّ لَمْ يَتَسَتَّرْ عَلَى دِينِ مَحْبُوبَةٍ حَتَّى لَوْ كَانَ يَهُودِيًّا لَمْ يَكُنْ غَرِيبًا عَلَى ابنِ **قُزْمَان** أنْ يُسَمِّيَ بَنَاتِ اليَهُودِ فِي شِعْرِهِ مُتَأثِّرًا بِشَخْصِيَّاتِ "**التَّوْرَاة**"،بِقَوْلِهِ[2]:

أوْقَــدَ فِــي قَلْبِــي النَّـــارْ	جُلُــــوس لِلظَّـــــلْ
يَـــرَوْا قُطَـــوعَ قَلْبِـــي	**مَـــرْيَم وَلِيقَـــهْ**
الوَحْـــدَ مِـــنْ سُـــكَّرْ	وَالأخِـــرَه قِرْفَـــةْ
جَـــوارْ **بَنِـــي لَيْلَـــى**	مُخْتَـــارٌ صِـــفَةْ

وَيَتَوَقَّعُ كُورِينْطِي[3]أنَّ "مَرْيَم وَلِيقَة"جَارِيَتَانِ يَهُودِيَّتَانِ مِنْ "بَنِي لَيْلَى" أيْ مِنْ "بني لِيئَةَ" وَهُمُ اليَهُودُ، وَلِيئَةُ مِنْ أزْوَاجِ يَعْقُوبَ وَهِيَ التِي وَلَدَتْ لَهُ أكْثَرَ بَنِيهِ[4].وَسَمَّى ابنُ قُزْمَانَ بمَا اعْتَادَ أنْ يَسْمَعَ مِنْ تَسْمياتٍ لجواري اليَهُودِ حوله؛ فَلِيئَةُ لَمْ تُذْكَرْ فِي القُرْآنِ،بَلْ فِي الإسْرَائِيلِيات.

وَلَمْ يَكُنِ الكَلامُ مُتَكَلِّفًا،بَلْ فِيهِ سُهُولَةٌ وَعَفَوِيَّةٌ،إلا أنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ فَهْمُ مَعْنَى هَذِهِ الأبْيَاتِ بِسُهُولَةٍ لِلعَامِيَّةِ فِيهَا،وَيُمْكِنُ التَّكَهُّنُ أنَّ الشَّاعِرَ يَتَحَدَّثُ عَنْ جِيرَتِهِ أمامَ مَجْمُوعَةِ الجَوَارِيّ اللائي رآهُنَّ فِي مُتَنَزَّهِ "حَوْرِ مُؤَمّل"[5]،فَأُعْجِبَ بِهِنَّ،وَتميَّزَتْ مِنْهُنَّ "مَرْيَم وَلِيقَة".وَإنْ سَلَّمْتُ بِأنَّ الجَارِيَتَيْنَ مِنَ اليَهُودِ -وَهَذَا مَا أميلُ إلَيْهِ لِلتَّعْلِيلِ المَعْقُولِ الذي جَاءَ بِهِ كُورِينْطِي- فَإنَّ الشِّعْرَ العَامِيَّ احْتَوَى شَيْئًا ضَاعَ مِنَ الكُتُبِ لِقِلَّةِ عِنَايَةِ الدَّارِسِينَ بِشِعْرِ العَامَّةِ[6]. فَأظْهَرَ الكَلامُ العامِيُّ

---

١ – بدا هُنَا تَأثُّرُ ابنِ زَيْدُونَ بأَبِي نُوَاس فِي قَوْلِهِ:[الوافر]

وَمُظْهِرَةٍ لِخَلْقِ اللهِ نُسْكًا وَتَلْقَاني بِدِلٍ وَابْتِسـامِ

أَتَيْتُ فُؤَادَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ	فَلَمْ أَخْلُصْ إِلَيْهِ مِنَ الزِّحَامِ
فَيَا مَنْ لَيْسَ يَكْفِيهَا خَلِيلٌ	وَلا أَلْفَا خَلِيلٍ كُلَّ عَـامِ
أَظُنُّكِ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ مُوسَى	فَهُمْ لا يَصْبِرونَ عَلَى طَعَامِ

انْظُرْ :أبو الفَرَجِ الأَصْفَهَانِيّ"**الأغاني**"١٧/٧٨؛ الكُتْبِيّ"**فَوَات الوَفَيَات**" ٢/٥٨٨ . وَلَمْ أجدها فِي "**ديوان أبِي نُوَاس**".

٢ – ابن قُزْمَان "**دِيوَانُهُ**" ص٩٠٠ – ٩٠٣ / رقم ١٤٤ .

٣ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ص٩٠١ /رقم ١٤٤ .

٤ – هِيَ: **ليا** (ليئة، لائقة، ليقة، لياء) **بنت لابان** (لبان)حفيد آزَرَ والد إبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ،ابنة خال سيدنَا يَعْقُوبَ نكحها فَوَلَدَتْ لَهُ سبعة مِنْ أبنائه، ثُمَّ تُوُفِّيت فَتَزَوَّجَ أخْتَهَا رَاحِيل، فوَلَدَتْ لَهُ يُوسُفَ وبنيامين، وَكَانَ أبناء يَعْقُوبَ مِنْ أزواجه اثني عشر رجلاً هُمْ آباءُ الأسْبَاطِ.

انْظُرْ : الطَّبَرِيّ "**تَارِيخُهُ**"١/٣١٧؛ ابن حَزْم"**جَمْهَرَة أنْسَاب العَرَب**"٥٠٤؛ أبُو الفِدَاءِ"**المُخْتَصَر فِي أخْبَارِ البَشَرِ**"١/١٦ .

٥ – انْظُرْ : المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٢/٢١ .

٦ – قَالَ جيمس ت مونرو إنَّهُ أتى بِأدلة وثائقية فِي دراستين نشرهمَا مؤخرًا عَلَى وجود أدب شعبي لَمْ يسجل فِي الكُتُبِ وَلَمْ تشر إلَيْهِ الكُتُبُ؛ فثَمَّةَ مخطوطة عربية تشير إلَى وجود أزجال شعبية تَمَّ نسخها عام ٤٤٠هـ وَلا بد أن يكون أصلها أقدم بكثير،كَمَا توجد رسالة حَوْلَ تنظيم الأسواق فِي الأَنْدَلُسِ كتبها عام ٣١٩هـ مُحْتَسِب اسمه ابن عبد الرؤوف،تقول إنَّ الذين يطوفون بالأسواق منشدين الأزجال وغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ ضروب الغناء محظور عليهم ذَلِكَ عِنْدَمَا يُدعى النَّاسُ إلَى الجهاد أَوْ إلَى الحج .

انْظُر : جيمس ت. مُونْرُو "**الزَّجَلُ وَالمُوَشَّحُ: الشِّعْر الأَنْدَلُسِيّ وَالتُّرَاثُ الرُّومَانسِيّ**" تَرْجَمَة: عَبْد الوَاحِدِ لُؤْلُؤَة، بَحْثٌ في:"**الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ**" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ١/ ٥٩٠ – ٥٩١ .

مَا لا يَظْهَرُ فِي شِعْرِ عِلْيَةِ القَوْمِ وَالمُتَقَرِّبِينَ مِنَ البلاطاتِ،وَأَبَانَ أَثَرًا لِنِسْوَةِ اليَهُودِ عَلَى الشَّاعِرِ، وَقَدْ يَكُونُ فِيمَا اختفى مِنْ أَشْعَارِهِم العامِيَّةِ مَا يُنْبِي عَنْ تلاقٍ أَفْتَرِضُ حُصُولَهُ بِصُورَةٍ مَعْقُولَةٍ.

وَجَاءَتْ مَصَادِرُ الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ بِغَزَلٍ **لِسَعْدِ الدِّينِ بنِ عَرَبِيّ**(ت:٦٥٦هـ)[1] مِنْهُ[2]: [الخفيف]

وَغَـــزَالٍ مِـــنَ اليَهُـــودِ أَتَـــانِي	زَائِـــرًا مِـــنْ كَنِيسِـــهِ أَوْ كِنَاسِـــهْ
بِـــتُّ أَجْنِـــي الشَّـــقِيقَ مِـــنْ وَجْنَتَيْـــهِ	وَأَشُـــمُّ العَبِيـــرَ مِـــنْ أَنْفَاسِـــهْ
وَاعْتَنَقْنَـــا إِذْ لَـــمْ نَخَـــفْ مِـــنْ رَقِيـــبٍ	وَأَمِنَّـــا الوُشَـــاةَ مِـــنْ حُرَّاسِـــهْ
مَـــنْ رَآنِـــي يَظُنُّنِـــي لِنُحُـــولِي	وَاصْـفِرارِي عَلامَـةً فَـوْقَ رَاسِـهْ

المَحْبُوبُ يَهُودِيٌّ،وذَكَرَهُ الشَّاعِرُ دُونَ تَعْلِيلٍ أَوْ تَبْرِيرٍ أَوِ اسْتِغْرَابٍ،وَقَضَى مَعَهُ أَحْلَى الأَوْقَاتِ بَعِيدًا عَنِ الوشَاةِ وَالحُرَّاسِ،وَعَانَى مِنْ أَثَرِ هَذَا الحُبِّ؛فَظَهَرَ عَلَيْهِ اصْفِرَارُ المُحِبِّينَ وَهُزَالُهُم،وَجَاءَتْ أَوْصَافُ المَحْبُوبِ اليَهُودِيِّ تَقْلِيدِيَّةً؛فَالوجْنَتَانِ كَالشَّقِيقِ الأَحْمَرِ،وَالأنفاسُ كَالعَبِيرِ العَطِرِ،كَمَا أَنَّ لِلحُبِّ أَثَرًا بادِيًا عَلَى جَسَدِ المُحِبِّ تَمَثَّلَ باصفرارٍ شَدِيدٍ عَلَيْهِ فَكَانَ كَشُكْلَةِ اليَهُودِ الصَّفْرَاءِ عَلَى جَسَدِ هَذَا المَحْبُوبِ اليَهُودِيِّ،إلا أَنَّ هَذِهِ الخُصُوصِيَّةَ اليَهُودِيَّةَ الوَاضِحَةَ لِمَحْبُوبٍ مِنَ اليَهُود لَمْ تَظْهَرْ وَلَمْ تتكَرَّرْ فِيمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ أَشْعارِ الأَنْدَلُسِيِّينَ .

١ـ لِقَاءُ الشَّاعِرِ الأَنْدَلُسِيِّ بِفَتَيَاتِ اليَهُودِ

تَجَاهَلَ الشَّاعِرُ الأَنْدَلُسِيُّ الدِّينَ اليَهُودِيَّ فِي الغَزَلِ،وَلَمْ يشعرْ أَنَّهُ عائقٌ يقفُ بينَهُ وَبَيْنَ مَنْ أَحَبَّ،وَلَمْ أجدْ أَنَّ شاعِرًا مِنْهُمْ تَمَادَى فِي غَزَلِهِ وَأَشْعَارِهِ بِامرأةٍ يَهُودِيَّةٍ؛فَلا يُعْقَلُ القولُ إِنَّ الشَّاعِرَ الأَنْدَلُسِيَّ لَمْ يَرَ نساءً مِنَ اليَهُودِ،فَفِي بيئةٍ كَالأَنْدَلُسِ كَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَمُرَّ غَيْرُ وَاحِدَةٍ مِنْ نِسَاءِ اليَهُودِ بِحَيَاتِهِ.كَمَا أَنَّ المَصَادِرَ تجاهلَتْ عَلاقَةَ الشُّعَرَاءِ بِنِسَاءِ اليَهُودِ إِنْ كَانَ هُنَاكَ شعرٌ قِيلَ فِيهِنَّ وَأَقُولُ بِتَجَاهُلٍ لِمَعْرِفَتِي مِنْ خِلالِ الشِّعْرِ نفسِهِ أَنَّ فُرْصَةَ التَّلاقِي بِهِنَّ كَانَتْ متيَسِّرةً،وَلا يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ التَّجَاهُلُ مَقْصُودًا مِنْ قِبَلِ الشُّعَرَاءِ الأَنْدَلُسِيِّينَ أنفُسِهِم.

وَأَشَارَ ابنُ قُزْمَان إِلَى أَنَّهُ مِنَ المُمْكِنِ مُلاقاةُ نِسَاءِ اليَهُودِ عَلَى الأَقَلِّ فِي المُتَنَزَّهَاتِ العَامَّةِ حَيْثُ التَقَى الجَارِيَتَيْنِ اليَهُودِيتَيْنِ.فَقَدْ كَثُرَتْ مَجَالِسُ الأُنْسِ وَاللَّهْوِ فِي أَحْضَانِ الطَّبِيعَةِ،وَلا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ حِكْرًا عَلَى نِسَاءِ المُسْلِمِينَ فَقَطْ،وَمَحْظُورٌ عَلَى اليَهُودِيات دُخُولُهَا أَوِ المُرورُ مِنْهَا.

[1] – هُوَ الشَّاعِرُ الصُّوفِيُّ: **سَعْدِ الدِّينِ** مُحَمَّدُ بن مُحَمَّدٍ **بن عربي** أو العربي، **ابن محيي الدين** المَوْلُود بمُرْسِيَةَ سَنَةَ ٥٦٠هـ، رحل عن إِشْبِيلْيَة ٥٩٨هـ إِلَى الشرق حاجًا،وتُوُفِّيَ ٦٣٨هـ،وابنه هَذَا سمع الحَدِيثَ، وَلَهُ ديوان شعر ،وتُوُفِّيَ بِدِمَشْقَ.

انْظُر : الكُتْبِيّ"**فَوَات الوَفَيَات**" ٢/٢٦٨– ٢٧١؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢/٣٨٢– ٣٨٥ ؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٣/٢٨٣ .

[2] – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢/٣٨٤ .

وَمِنَ المُمْكِنِ لِقَاءُ نِسَاءِ اليَهُودِ فِي أَمَاكِنِ العِبَادَةِ الخَاصَّة باليَهُودِ أَوْ فِي الطَّرِيقِ إِلَيْهَا؛ فَالشَّاعِرُ الأَنْدَلُسِيُّ رَحَلَ إِلَى الأَدْيِرَة وَالبِيَعِ بَحْثًا عَنْ الخَمْرِ مَثَلاً أَوِ النِّسَاءِ الجَمِيلات؛وَهَذَا لَيْسَ جَدِيدًا، فَشِعرُ المَشَارِقَةِ يفيضُ بهَا،وَلَنْ أقولَ خَمْرِيَّات أبِي نُوَاس فَحَسْبُ،فَدِيوَانُ ابنِ المُعْتَزِّ[1] امتلأ بالحَدِيثِ عَنْ الأَدْيِرَة وَسمَّى بَعْضَها،وَوَصَفَ الرُّهْبَانَ والرَّاهِبات،فَفِي قَصِيدَة "سقى المَطِيرَة" مَثَلاً سَمَّى دَيْرَيْنِ وَهُمَا المَطِيرَةُ وَديرَعَبْدُونَ[2]،وَفَصَّلَ الحَدِيثَ عمَّنْ فِيهِما.وَفِي الأَنْدَلُسِ ظَهَرَتْ حُرِّيَّةٌ أَكْثرُ فِي التَّحَرُّكِ،لكِنْ لَمْ تَظْهَرْ زِيَارَاتٌ لِبِيَعِ اليَهُودِ فِي شِعْرِهم،وَوَجدتُ إِشارَاتٍ قَلِيلَةً إِلَيْهَا دُونَ تَوْضِيحٍ لِمَا حَصَلَ بِالزِّيَارَةِ ومَنْ تَمَّتْ مُشَاهَدَتُهُ فِيهَا.وَمِنْهُ قَوْلُ **شِهَابِ الدِّينِ بنِ الخَلُوفِ**(ت:٨٩٩هـ)[3] فِي مُقَدِّمَةِ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ لَهُ يَقُولُ فِيهَا[4]:

[الطويل]

فَطَـوْرًا أُرَى فِـي كُـلِّ سَـرْحٍ[5]وَمَعْبَـدِ	وَطَـوْرًا أُرَى فِـي كُـلِّ دَوْحٍ وَرَوْضَـةِ
وَطَــوْرًا أرى فِــي كُــلِّ دَرْسٍ وَمَعْبَــدِ	وَطَــوْرًا أرَى فِــي كُــلِّ دَيْــرٍ **وَبِيْعَــةِ**
أَدِيــنُ بــدينِ الحُــبِّ فِــي كُــلِّ مَوْضِــعِ	وَأَصْبُو لِـذَاتِ الحُسْنِ فِـي كـلِّ وِجْهَـةِ

تُشِيرُ الأَبْيَاتُ إِلَى أَنَّ ابنَ الخَلُوفِ تَنَقَّلَ بَاحِثًا عَنْ الحُبِّ بَيْنَ المعابدِ وَأماكنِ الدَّرْسِ وَالتَّعْلِيمِ؛ فَالشَّاعِرُ لا يَرَى الدِّينَ حَاجِزًا يَمْنَعُ الوُصُولَ إِلَى جَمِيلات الدِّيَانَاتِ الأُخْرَى وَمِنْهُنَّ اليَهُودِيات.

وَمِنَ الإِشَارَاتِ التِي تَدُلُّ عَلَى لِقَاءٍ بِنِسَاءٍ مِنَ اليَهُودِ مَا قِيلَ فِي أَشْعَارِهم عَنْ بَيْعِ الدِّين أَوْ تَغْيِيرِهِ بِسَبَبِ الحُبِّ[6]؛وَلَمْ يُبِنِ الشِّعْرُ إنْ كَانَ المَحْبُوبُ المَقْصُودُ مَسِيحيًّا أَمْ يَهُودِيًّا،وَأَسْتَبْعِدُ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا؛فتاريخُنَا الإِسْلامِيُّ مملوءٌ بقصصِ الحُبِّ التِي أبقتْ عَلَى الغَزَلِيِّينَ دِينَهُمْ وَإِن كَانَ فِي كَلامِ بَعْضِهِمْ مَا يُشِير إِلَى انْحِرَافٍ فِي بَعْضِ مَظَاهِرِ الدِّين أَوْ تَشْتِيتٍ فِي العِبَادَةِ مِنْ شِدَّةِ الحُبِّ كَمَا رأيْنَا عِنْدَ مَجْنُونِ لَيْلَى حِينَ غَيَّرَ قبلته فِي الصَّلاةِ،أَوْ حِينَ سَهَا فِي عَدَدَ الرُّكْعَاتِ إلا أَنَّهُ لَمْ يُغَيِّر

---

[1] – للمزيد انْظُرْ: ابن المُعْتَزِّ "**دِيوَانُهُ**" القَصَائِدِ التَّالِيَةِ: أَمكنتْ عاذلتي ص١٢، يا أرض عمرو ص٢٠٣– ٢٠٤ صبوتُ إِلَى الندامي ص ٢٠٤–٢٠٦، وَفتيان لهو ص٢١١، سقى المطيرة ص٢١٨–٢١٩،رعى شهرين بالدير ص٢٢٦، لا تبكِ للظاعنين ص٢٤٠ . وَعاقَدْ زنار ص٢٤٢، صحوت ص٣٩١ .

[2] – **دير المَطِيرَة:** فِي قرية المَطِيرَة مِنْ نواحي سر مَنْ رأى. انْظُرْ: الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**" ص ٢٥٢ .

دير عَبْدُونَ: بظاهر المَطِيرَة،نسبة إِلَى عبدُونَ أخو الوَزِير صاعد بن مخلد لأنه كَانَ كَثِير التردد إِلَيْهِ وَالمقام فِيهِ وَالعناية بعمارته .

انْظُرْ: ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٨٠/٣؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص ٢٥١ .

٣ – هُوَ الشَّاعِرُ:أحمد بنُ مُحَمَّدٍ الحميري يُعْرفُ **بشهاب الدِّين بن الخلوف**.فاسِيُّ الأصل،قَسَنْطِينِيُّ المَوْلِدِ، تُونُسِيُّ الدار، كتب فِي الأدب نَظْمًا وَنَثْرًا وَبَرَعَ فِيهِ. تُوُفِّيَ عام ٨٩٩هـ . انْظُرْ: السَّخَاوِيّ"**الضَّوْء اللامع**" ١٢٢/٢، ١٠٢؛الزِّرِكْلِيّ "**الأَعْلام**"٢٣١/١ .

٤ – شِهَاب الدِّينِ ابنِ الخلوُفِ "**دِيوَانُهُ**" ص٨٨ .

٥ – السَّرْحةُ: دَوْحة واسِعةٌ يَحُلُّ تحتها النَّاسُ فِي الصيف ويَبْتَنُون تحتها البيوت وظلها صالح،وقِيلَ هو كلُّ شجر طال.

ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [سرح] ٤٨٠/٢ .

٦ – قَالَ ابنُ لُبُّون(ت:بعد ٤٩٣هـ) مَثَلاً إِنَّهُ بَاعَ دِينَهُ مِنْ أجل الحُبِّ ،وَفِي مُوَشَّحٍ لَهُ أَكَّدَ أَنَّهُ يدينُ بدينِ الهَوَى.

انْظُرْ: عَلِيّ بن بشْرى الأَغَرْنَاطِيّ "**عُدَّةُ الجَلِيس**" ص٣٣٦ – ٣٣٧؛ ٤٢٢ – ٤٢٣ /مُوَشَّحة رقم (٢٢٤، ٢٨١) .

وذَكَرَ ابنُ شَفِيعِ البَسْطِيِّ مقرئ المَرِيَّةِ، إِنَّ شَرِيعَةَ الحُبِّ شَرْعُهُ، وَالهَوَى دِينُهُ. انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٧٩/٢ .

وَتَسَاوَتِ الأديانُ عِنْدَ أَحْمَدِ بنِ طَلْحَةَ(ت:٦٣١هـ). انْظُرْ: ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَة**"٢٣٧/١؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٧٦/٤ .

دِينَهُ لأَجْلِهَا[1].وَاسْتِبْدَالُ دِينِ الحُبِّ بِالمِلَّةِ وَالدِّينِ يمكنُ اعتبارُهُ مِنَ الخيالِ الشِّعْرِيِّ،لِذَا لَمْ تَكُن إجابَةُ ابنِ سَهْلٍ **الإسْرَائِيلِيِّ**(ت:٦٤٩هـ)[2] غَرِيبَةً حِينَ قَالَ[3]: [الطويل]

يُسَائِلُنِي **مِنْ أَيِّ دِينٍ** مُدَاعِبًا وَشَمْلُ اعْتِقَادِي فِي هَوَاهُ مُبَدَّدُ
فُؤَادِي حَنِيفِيٌّ وَلَكِنَّ مُقْلَتِي مَجُوسِيَّةٌ مِنْ خَدِّهِ النَّارَ تَعْبُدُ

٢- أَثَرُ اليَهُودِ فِي الغَزَلِ التَّقْلِيدِيِّ

تَصَدَّرَتْ قَصَائِدُ مَدْحِ اليَهُودِ عَلَى قِلَّتِهَا بِالغَزَلِ.**فَابنُ الفَرَّاءِ الأَخْفَشُ بنُ مَيْمُون**[4]فِي مَدْحِهِ ابنِ نَغْرِيلَّةَ اليَهُودِيِّ يتَغَزَّلُ في سُهُولَةٍ،تَاسَبَتْ كَوْنَ المَمْدُوحِ يَهُودِيًّا بِقَوْلِهِ[5]: [الرجز]

أَهْوَى الذِي تَيَّمَنِي حُبُّهُ وَمَا دَرَى أَنِّيَ أَهْوَاهُ
أَكَادُ أَفْنَى مِنْ غَرَامٍ بِهِ لا سِيَّمَا سَاعَةَ أَلْقَاهُ
وَاللهِ مَا يَذْكُرُنِي سَاعَةً وَلا وَحَقِّ اللهِ أَنْسَاهُ

وَظَهَرَ عَكْسُ هَذَا عِنْدَ ابنِ خِيرَةَ **المُنْفَتِلِ** فِي المَمْدُوحِ نَفْسِهِ،فِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ مطْلَعُهَا[6]:[الطويل]

أُحَاجِيكُمْ هَلْ يَمَّمُوا الضَّالَ وَالسِّدْرَا[7] أَبَى قَلْبِيَ المَعْمُودُ[8]أَنْ يَسْكُنَ الصَّدْرَا
وَفِي الهَوْدَجِ المَزْرُورِ جُؤْذُرُ رَمْلَةٍ[9] أَسِيلُ مَجَالِ القرْطِ فِي حُرَّةِ الذِّفْرَى[10]

---

[1] – انْظُرْ : قيس بن الملوح "**دِيوَان مَجْنُون لَيْلَى**" ص٢٩٩ . [الطويل]

وَإِنِّي إِذَا صَلَّيْتُ يَمَّمْتُ نَحْوَهَا بِوَجْهِي وَإِنْ كَانَ المُصَلَّى وَرَائِيَا
وَمَا بِيَ إِشْرَاكٌ وَلَكِنَّ حُبَّهَا كَعُودِ الشَّجَا أَعْيَا الطَّبِيبَ المُدَاوِيَا
أُصَلِّي فَمَا أَدْرِي إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا أَثِنْتَيْنِ صَلَّيْتُ الضُّحَى أَمْ ثَمَانِيَا

[2] – سترد تَرْجَمَة لَهُ فِي مَتْنِ البَحْثِ : ص ١٩٦– ٢١٤ .

[3] – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٦٩/٥ .

[4] – هُوَ:**الأخفش بن ميمون** القبذاقي المَعْرُوفُ **بابن الفرّاء**، ذَكَرَهُ الحجاري فِي "المُسْهِب"،مِنْ حصن القبذاق مِنْ أَعْمَالِ قلعة بَنِي سَعِيدٍ، وَتَأَدَّبَ فِي قُرْطُبَةَ،ثُمَّ عَادَ إِلَى غَرْنَاطَةَ وَاعْتَكَفَ بِهَا عَلَى مَدْحِ وَزِيرِهَا اليَهُودِيِّ ابْن نَغْرِيلَّةَ.وَكَانَتْ مُهَاجَاةٌ بَيْنَهُ وَبيْنَ المُنْفَتِل شَاعِرِ إِلْبِيرَةَ الذي كَانَ كَذَلِكَ مِنْ مَادِحِي الوَزِير اليَهُودي، وَبَعْدَ قَتْلِ اليَهُوديِّ وَفِدَ عَلَى المَرِيَّةِ وَمَدَحَ رفيعَ الدولة بنَ المُعْتَصِمِ بنِ صُمَادِح.

انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٨٢/٢ – ١٨٤؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٣٤٦/٤ – ٣٤٧ .

[5] – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٨٢/٢ .

[6] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٧٦٣/٢ – ٧٦٤ .

[7] – السدر : شجر النبق وَاحدتها سِدْرَة،وَهُوَ لَوْنَانِ (عُبْرِيٌّ وَضالٌ)،العُبْرِيُّ لا شوك فِيهِ،وَأَمَّا الضَّالُ فهوَالسِّدْر البَرِّيُّ أَوْ الجَبَلِي، وهُوَ ذو شوك.

ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [دقر، سدر، ضيل] ٢٩٠/٤، ٣٥٤/٤، ٣٩٧/١١ .

[8] – المَعمودُ:المريض،ويُقَالُ له: مَا يَعْمِدُكَ؟ أَيِ مَا يُوجِعُك. وَعَمَده المرض أَي أَضْناه. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**"[عمد] ٣٠٣/٣ .

[9] – الجؤذر: البقرة الوحشية أَوْ وَلَدُها وَشبهت بِهِ المرأة لجمال عيونه . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [جذر] ١٢٤/٤ .

مزرور: مُزَيَّنٌ بالأَزْرارِ التي تشتدّ بِهَا الكِلَلُ وَالستور عَلَى مَا يكون فِي حَجَلَةِ العروس. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**"[زرر]٣٢١/٤ .

وَرَدَ الهودج المزرور كَثِيرًا فِي أشعار الأَنْدَلُسِيِّينَ،منه قولُ ابن الحَدَّادِ :[الطويل]

وَمَا حَزَنِي أَلا تَعُوجَ حُدُوجُهُمْ لَوَالهَوْدَجُ المَزْرُورُ منهُنَّ عَائِجُ ابن الحَدَّادِ الأَنْدَلُسِيِّ "**دِيوَانُهُ**" ص١٧٤ .

[10] – حُرَّةُ الذِّفْرَى: موضعُ مَجَالِ القُرْطِ مِنْهَا. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [حرّ] ١٨٣/٤ .

فَالقُوَّةُ والجَزَالَـةُ وَاضِحَـةٌ عِنْدَ ابنِ خِيرَةَ،وَالتَزَمَ الشَّاعِرُ النَّمَطَ العَرَبِـيَّ القَدِيمَ لِقَصَـائِدِ المَدْحِ؛بَدَأَهَا بِمُقَدِّمَـةٍ طَلَلِيَّةٍ قَصِيرَةٍ تَتَحَدَّثُ عَنِ الرَّحِيلِ وَأثرِهِ عَلَى قَلْبِهِ الذي أوْشَكَ أنْ يَقْفِزَ مِنْ صَدْرِهِ،اسْتَهَلَّهَا بِسُؤَالٍ طَرَحَـهُ أمَامَ الرَّحْلِ مُسْتَفْهِمًا مُسْتَغْرِبًا إنْ كَانَتِ المَحْبُوبَةُ قَدْ غَادَرَتِ الدِّيَارَ وَرحلتْ،ثُمَّ لاحَقَ هَوْدَجَ المَحْبُوبَـةِ بَيْنَمَـا قَلْبُهُ المَرِيضُ بِحُبِّهِ دائِمُ الحَرَكَةِ وَالخَفَقَانِ يَأبَى السُّكُونَ لِتَفْكِيرِهِ بِرَاكِبَةِ ذاكَ الهَوْدَجِ، وَكُلُّ هَذَا مُقَدِّمَـةٌ لِلغَزَلِ بالمَحْبُوبَةِ حَتَّى يَصِلَ إلَى مَدْحِ اليَهُودِيِّ.

وَلَمْ تختلفْ مُقَدِّمَةُ **المُنْفَتِل**ِ وَمَا تَلاهَا فِي القَصِيدَةِ عَنْ مَثِيلاتِهَا عِنْدَ العَرَبِ فِي مَدْحِ غَيْرِ اليَهُودِ، فَعُنِيَ كَثِيرًا بِجَزَالَـةِ الألفاظِ كَالعَادَةِ فِي شِعْرِ المَدْحِ،وَلاحقَ هَودجَ المَحْبُوبةِ،وَوَصَفَ أثَرَ الحُبِّ،ثُمَّ تَحَدَّثَ عَنْ مَحَاسِنِهَا بِتَشَابِيهِ مَطْرُوقَةٍ وَرَدَ مثيلٌ لَهَا فِي شِعْرِ العَرَبِ،بِقَوْلِهِ(١): [الطويل]

كَـأنَّ الثُّرَيَّـا مَـا بَـدَا مِـنْ وِشَـاحِهَا ... وَقَدْ هَمَّتِ الأرْدَافُ أنْ تُسْلِمَ الخَصْـرَا
يُـذَكِّرُنِـي شَــكْلَ الهِـلالِ سِـوَارُهَا ... وَقَـدْ أرْسَـلَتْ مِـنْ دُونِ هَوْدَجِهَـا سِـتْرَا
يَقُولُـونَ إنَّ السِّـحْرَ فِـي أرْضِ بَابِلَ ... وَلَـوْ عَـايَنُوا أجْفَانَـهَـا نَظَـرُوا السِّـحْرَا
يُرِيـكَ طُلُـوعَ البَـدْرِ طَـرْقُ شُـعَاعِهَا ... وَتَفْجَـأُ مِـنْ إيضَـاحِ غُرَّتِهَـا الشِّـعْرَى(٢)
فَيَـا لَـكَ مِـنْ نَحْـرٍ يُـزَيِّنُ عِقْـدَهَا ... إذَا عِقْـدُ مَـنْ شَـجَى بِهَـا زَيَّـنَ النَّحْـرَا

فوشاحُهَا المُزَيَّنُ باللآلئِ يُشبه الثُّرَيَّا،وَسِوَارُهَا كَالهلالِ،وَسحرُ جُفُونِهَا فَاقَ سِحْرَ السَّحَرَةِ بِبَابِلَ.وَالعِقْدُ ازْدَادَ جَمَالاً عَلَى النَّحْرِ الجَمِيلِ،ثُمَّ وَصَفَ **المُنْفَتِل**ُ أثَرَ الحُبِّ عَلَيْهِ،فَقَالَ(٣):[الطويل]

فَـلا هَجَـرَتْ عَيْنِـي سَـوَابِقُ أدْمُعِـي ... كَمَـا أنَّ لَيْلِـيَ بَعْـدَهُمْ هَجَـرَ الفَجْـرَا
فَقُـلْ فِـي شَـجٍ قَـدْ بَـاتَ يَمْسَـحُ دَمْعَـهُ ... بِكَـفٍّ وَأُخْـرَى تحتَهَـا كَـبِـدٌ حَـرَّى(٤)
وَقَـدْ ضَـرَبَ الليـلُ البَهِـيمُ رِوَاقَـهُ ... وَأطْلَـعَ فِـي الآفَـاقِ أنْجُمَـهُ الزُّهْـرَا
كَـأنَّ سَـمَاءَ الأرْضِ بَحْـرُ زَبَرْجَـدٍ ... وَقَـدْ نَثَـرَ الغَـوَّاصُ مِـنْ فَوْقِـهِ دُرَّا
لَقَـدْ طَـالَ هَـذَا اللَّيْـلُ فالـدَّهْرُ بَعْضُـهُ ... وَلَـمْ أرَ لَـيْلاً قَبلَـهُ شَـاكَلَ الـدَّهْرَا
وَمَا **اكْتَحَلَتْ عيْنِي بِمِثْلِ ابنِ يُوسُفَ** ... وَلَستُ أُحَاشِي الشَّمْسَ مِنْ ذَا وَلا(٥)البَدْرَا

وَمِنْ وَصْفِ دُمُوعِهِ الغَزِيرَةِ المُتَسَاقِطَةِ دُونَ انْقِطَاعٍ انْتَقَلَ لِلحَدِيثِ عَنْ مَخْبَأِ هَذِهِ الدُّمُوعِ وَهُوَ لَيلُ العُشَّاقِ الطَّوِيلُ.ولا هَمَّ لَدَى الشَّاعِرِ إلا أنْ يَمْسَحَ دُمُوعَهُ الغَزِيرَةَ بِإحْدَى يَدَيْهِ وَاليَدُ الأُخْرَى يَضَعُهَا عَلَى كَبِدٍ مُتَألِّمَةٍ مُلْتَهِبَةٍ لِشِدَّةِ ألَمِهِ مِنَ الحُبِّ،وَفِي هَذَا تَقْلِيدٌ لِمَنْ قَالَ بِأنَّ أثَرَ الحُبِّ يَظْهَرُ عَلَى الكَبِدِ وَلَيْسَ القَلْب(٦).ثُمَّ يَصِفُ اللَّيْلَ البَهِيمَ،وَيتَخَلَّصُ حَسَنٍ يَنْتَقِلُ إلَى الهَدَفِ مِنَ القَصِيدَةِ وَهُوَ مَدْحُ ابنِ يُوسُفَ الذي جَاءَ نورُهُ كَالقَمَرِ الذِي يُزِيلُ سَوَادَ اللَّيْلِ،بَلْ كَانَ كَالشَّمْسِ شَدِيدَةِ اللَّمَعَانِ.فَالأبْيَاتُ السَّابِقَةُ فِي الغَزَلِ وَأثَرِهِ وَطُولِ اللَّيْلِ مَا هِيَ إلا مُقَدِّمَاتٌ تَقْلِيدِيَّةٌ لِلمَدْحِ.وَلَمْ يتَأثَّرِ الغَزَلُ كَثِيرًا بِكَوْنِ المَمْدُوحِ يَهُودِيًّا سَوَاءٌ فِي أبْيَاتِ الغَزَلِ أمْ فِي المَدْحِ

---

١ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٦٤ .

٢ – الشعرى: كوكب نَيِّرٌ يُقَالُ لَهُ المِرْزَمُ يَطْلُعُ بعد الجَوْزاءِ،وَطلوعه فِي شدّة الحرّ. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [شعر] ٤/٤١٦ .

٣ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٦٣ – ٧٦٤ .

٤ – الكبد الحَرَى: المُلْتَهِبة كالنار المشتعلة. لأنَّ الحَرَى وَالحَرَاة تُستعمل لصوت النار المشتعلة.

ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [حرر] ٤/١٧٨ .

٥ – أحاشي: أفزع مِنْ حاش يَحِيشُ حَيْشاً إذَا فَزِعَ، وَأحاشي فلاناً: أبعده وَأعزله. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [حيش] ١٤/١٨١

يقصد أنَّهُ لن يخاف غُرُوبَ الشَّمْس ولا اخْتِفَاءِ القمر .

٦ – كَانَ الشُّعَرَاءُ المُحِبُّونَ قسمين: مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ بِأنَّ القلبَ مركز يظهرُ بِهِ أثر الحُبِّ وَألمه الشديد وَهَذَا الشائع فِي الأدب العَرَبِي، لكن وُجد مِنَ العَرَبِ مَنْ قَالَ بِأنَّ الكبد هِيَ مكان الألم الناتج عَنْ شدة الحب وَمِنْهُمْ عروة حِينَ قَالَ فِي محبوبته عفراء: [الطويل]

عَلَى كبدي مِنْ حُبِّ عفراء قرحةٌ ... وعيناي مِنْ وَجدٍ بِهَا تكفان أبُو علي القالي "**الأمالي**" ٢/١٦٠ .

انْظُرْ : إبْرَاهِيم السَّامِرائِي وَأحْمَد بشر "**شِعْر عُرْوَة بن حزَام**"، مَجَلَّة كُلِّيَّة الآدَاب بجامعة بغداد،١٩٦١م، ع٤، ص١٢ .

بَعْدَهَا،وَلَمْ يَظْهَرْ فِي القَصِيدَةِ أيُّ تَجْدِيدٍ أَوْ غَرَابَةٍ عَمَّا اعْتَادَتِ العَرَبُ سَمَاعَهُ؛وَالقَصِيدَةُ تَقْلِيدِيَّةٌ بِكُلِّ تَفَاصِيلِهَا.

٣- أَثَرُ اليَهُودِ فِي شِعْرِ الغَزَلِ بِالغِلْمَانِ

لَمْ يَظْهَرِ اسْمٌ لِفَتَاةٍ مِنَ اليَهُودِ احْتَلَّتْ مَسَاحَةً وَاسِعَةً مِنْ شِعْرِ شَاعِرٍ أَنْدَلُسِيٍّ.بَيْنَمَا شَاعَ الغَزَلُ بِغِلْمَانِ اليَهُودِ فِي شِعْرِهِمْ؛فَعِمْرَانُ مُوسَى بنُ عَبْدِ الصَّمَدِ[١] مَلِيحُ إِشْبِيلِيَة تَغَزَّلَ فِيهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الشُّعَرَاءِ مِنْهُمْ ابنُ **حَجَّاج الغَافِقِيُّ الغَيْشُوم**(ت: ٤٣٠هـ)،بِقَوْلِهِ[٢]: [الكامل]

مَـنْ مُبْلِـغٌ مُوسَـى المَلِـيحَ رِسَـالَةً بُعِثَـتْ لَـهُ مِـنْ كَـافِرِي عُشَّـاقِهِ
مَـا كَـانَ خَلْـقٌ رَاغِبًـا عَـنْ دِينِـهِ لَـوْ لَـمْ تَكُـنْ تَوْرَاتُـهُ مِـنْ سَـاقِهِ

وَقَدْ يَكُونُ الشَّاعِرُ التَقَاهُ فِعْلاً لأَنَّهُ تَغَزَّلَ فِيهِ بِأَبْيَاتٍ أُخْرَى غَيْرِ هَذَا البَيْت،مِنْهَا قولُهُ[٣]: [السريع]

وَأَنْــتَ يَــا مُوسَــى قَـدِ اخْتَرْتَــهُ وَاخْتَــارَ مُوسَـى قَبْـلُ مِـنْ قَوْمِـهِ

حتى لَوْ لَمْ يَكُنِ التَقَى بِهِ فَقَدْ سَمِعَ عَنْهُ لِشُهْرَتِهِ.وَلأَنَّ الشَّاعِرَ وَالفتى مِنْ إِشْبِيلِيَة يَتَرَجَّحُ لَدَيَّ القَوْلُ بِأَنَّهُ التَقَاهُ فِعْلاً وَفِي إِشْبِيلِيَة. وَظَهَرَ حُسْنُ التَّعْلِيلِ[٤] عِنْدَ الشَّاعِرِ بِقَوْلِهِ إِنَّ النَّاسَ تَرْغَبُ عَنْ دِينِ الفَتَى مُوسَى وَهُوَ دِينُ اليَهُودِ لأَنَّ **"تَوْرَاتُهُ مِنْ سَاقِهِ"**،وَلَمْ تُسْعِفْنِي كُتُبُ التُّرَاثِ لِتَوْضِيحِ المَعْنَى،فَرَجَّحْتُ أَنَّهُ قَصدَ بِقَوْلِهِ "ساقِهِ" السَّاقِيَ الذي يَسْقِي الخَمْرَ،وَ**"التَّوْرَاة"** هي الشَّرَائعُ وَالقَوانينُ؛وَالنَّاسُ تُعْرِضُ عَنْهُ لأَنَّهُ يَأْخُذُ قَوَانِينَهُ وَشَرَائِعَهُ مِمَّنْ يَسْقِيهِ الخَمْرَ إِشَارَةً إِلَى مُجُونِهِ.

---

١ – هُوَ: **عمران مُوسَى بن عبد الصمد**، يُلَقَّب بمَلِيحِ إِشْبِيلْيَة فِي ذاك الأوان،تغَزَّل بِهِ عَدَدٌ مِنْ شعراء إِشْبِيلْيَة.

انْظُرْ: ابن سَعِيد **"المُغْرِب"** ٢٨٨/١؛ المَقَّرِيّ **"نَفْحُ الطِّيبِ"** ٢٧١/٥،٢٠٩

٢ – صفوان ابن إدريس **"زَادُ المُسَافِرِ"** ص١٠٦ – ١٠٨؛ ابن سَعِيد **"المُغْرِب"** ٢٦٧/١؛ المَقَّرِيّ **"نَفْحُ الطِّيبِ"** ٢٦٨/٥ .

٣ – المَقَّرِيّ **"نَفْحُ الطِّيبِ"** ٢٦٨/٥ .

٤ – **حسن التعليل:** وَهُوَ أن يُدَّعَى لوصف عِلَّة مناسبة لَهُ باعتبار لطيف غَيْرِ حقيقي .

انْظُرْ: الخَطِيب القَزْوِينِيّ **"الإيضَاح فِي عُلُومِ البَلاغَةِ"**ص٥١٨ – ٥٢٣.

الشَّديدِ وَبَدَا تَأَثُّرُ الشَّاعِرِ بِالمَوْرُوثِ فِي مُحَاوَرَتِهِ لِليَهُودِيِّ؛فَاخْتَارَ الغُلامَ المُسَمَّى "مُوسَى"[1] لِيَكُونَ مَحْبُوبَهُ وَلِيَكُونَ شَبِيهًا للنَّبِيِّ مُوسَى الذي اخْتَارَ سَبْعِينَ مِنْ قَوْمِهِ لِمِيقَاتِ اللهِ،وَيُشِيرُ عَجُزُ البَيْتِ إِلَى تَأَثُّرٍ وَاضِحٍ بِالقُرْآنِ[2]،وَلَمْ يَكْتَفِ ابنُ **حَجَّاجٍ** بِالبَيْتَيْنِ السَّابِقِينِ،**فَقَالَ** فيهِ[3]:[السريع]

إِنَّ الزَّوِيلِــيَّ[4] فَتَــى شَــاعِرٌ قَـدْ أَعْجَـبَ العَــالَمَ مِــنْ نَظْمِــهِ

فَالمَدْعُوُّ مُوسَى زَوِيلِيٌّ مَنْسُوبٌ إِلَى زَوِيلَةَ،وَزَوِيلَةُ اسمٌ لِعِدَّةِ مُدُنٍ شَمَالَ إِفْرِيقْيَةَ،مِنْهَا وَاحِدَةٌ فِي طَرَابُلُسَ إِفْرِيقْيَةَ[5] كَانَ يُجلبُ مِنْهَا الرَّقِيقُ[6]،وَقَدْ يَكُونُ مُوسَى هَذَا رَقِيقًا مَجْلُوبًا مِنْهَا،وَقَدْ يَكُونُ سَاقِيًا للخَمْرِ فِي إِحْدَى حَانَاتِ الخَمْرِ التِي اشْتَهَرَتْ بِوجودِ اليَهُودِ،فَكَانَ مِنْهُمْ أَصْحَابٌ لِتِلْكَ الحَانَاتِ أَوْ بَاعَةٌ للخَمْرِ فِيهَا أَوْ رُوَّادٌ.وَانْظُرْ إِلَى أَيِّ مَرْتَبَةٍ ارْتَفَعَ الشَّاعِرُ بِمُوسَى فِي البَيْتِ الثاني،فَاخْتَارَهُ مِنْ بَيْنِ كُلِّ البَشَرِ لِيُصْبِحَ فِي مَحَبَّتِهِ مُشَابِهًا لحالةِ النَّبِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ حِينَ اخْتَارَ مِنْ قَوْمِهِ أَفْضَلَهُم لِمِيقَاتِهِ مَعَ رَبِّهِ.وَكَانَ مِثْلَهُ **أَحْمَدُ الكَسَّادُ**[7] الذي تَغَزَّلَ فِي مُوسَى مَلِيح إِشْبِيلِيَةَ بِقَوْلِهِ[8]:[الخفيف]

مَــا لِمُوسَــى قَــدْ خَــرَّ للهِ لَمَّـــا فَـاضَ نُـورٌ أَغْشَـاهُ ضَـوْءُ سَنَـاهُ

وَأَنَـا قَـدْ صَـعِقْتُ[9] مِـنْ نُـورِ مُوسَـى لا أُطِيــقُ الوُقُــوفَ حِــينَ أَرَاهُ

وَلَمْ يقفِ الأمْرُ عِنْدَ التَّغَزُّلِ بِهَذَا الفَتَى بَلْ رَثَاهُ **الكَسَّادُ** لَمَّا مَاتَ **فَقَالَ** فِيهِ[10]:[الرمل]

هَتَــفَ النَّــاعِي بِشَــجْوِ الأَبَــدِ إِذْ نَعَـى مُوسَـى بـنَ عَبْـدِ الصَّـمَدِ

مَــا عَلَــيْهِمْ وَيْحَهُــمْ لَــوْ دَفَنُــوا فِــي فُــؤَادِي قِطْعَــةً مِــنْ كَبِــدِي

وَقَالَ فِيهِ كَذَلِكَ[11] : [السريع]

رُدَّ إِلَـــى الجَنَّــــةِ حُورِيُّهَـــا وَارْتَفَــعَ الحُسْــنُ مِــنَ الأَرْضِ

---

[1] – مُوسَى المَغْنِيُّ هُوَ: **مُوسَى بن عبد الصمد** "مليح إِشْبِيلْيَة"، سَبَقَتْ تَرْجَمَتُهُ .

[2] – مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ **سُورَة الأَعْرَاف**، آيَة ١٥٥ .

[3] – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٢٦٨/٥ .

[4] – الزُّوَيلي نسبة إِلَى زَوِيلَةَ، بفتح الأول وكسر الثاني،اسم لعدة مدن بإفْرِيقْيَةَ واحدة مِنْهَا فِي طَرَابُلْسَ يجلب مِنْهَا الرَّقِيقُ،وَثانية زَوِيلَةُ بناها المهدي عبيد الله إِلَى جانب المَهْدِيَّةِ. انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ١٦٠/٣؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص ٢٩٥ –٢٩٦ .

[5] – **طَرَابُلُس:** بفتح أوله وبعد الألف باء موحدة مضمومة ولام مضمومة ويُقَالُ أطَرَابُلُس وَطَرَابُلُس الغربِ،معناها بالرومية والإغريقية ثلاث مدن،مَدِينَةٌ عَلَى ساحل البحر الأبيض المتوسِّطِ شَمَالَ إِفْرِيقْيَةَ .

انْظُرْ :يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَانِ**" ٢٥/٤؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص٣٨٩– ٣٩٠ .

[6] – انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ١٦٠/٣؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص ٢٩٦ .

٧ – هُوَ :**أبو العباس أحمد المقريني المعروف بالكساد**،كان شاعرًا وشاحًا زَجَّالاً فِي إِشْبِيلية فِي مدة منصور بني عبد المؤمن،وَكَانَ يهوى مُوسَى مليح إِشْبِيلية . انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢٨٨/١ ؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٢٧١/٥ .

٨ – المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٢٧١/٥ .

٩ – مُتَأَثِّرٌ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ **سُورَة الأَعْرَافِ**، آيَة ٤٣ .

١٠ – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢٨٨/١ ؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٢٧١/٥ .

١١ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَاتُ نَفْسُهَا ، مَعَ اختلاف "قَرَّ" بدلا مِنْ "رُدَّ" في"**نَفْح الطِّيبِ**".

وَأَصْـــبَحَ العُشّـــاقُ فِـــي مَـــأْتَمٍ　　　بَعْضُـــهُمْ يَبْكِـــي عَلَـــى بَعْـــضِ

وَرُغْمَ قِلَّةِ الشِّعْرِ الذي وَصَلَ إِلينَا مِنْ شُعَرَاءِ اليَهُودِ إلا أَنَّهُ لَمْ يَخْلُ مِنَ الغَزَلِ بِالغِلْمَانِ وَمِنْ ذَلِكَ **إِبْرَاهِيمُ بنُ الفَخَّارِ اليَهُودِيُّ**[١] الذِي بَدَا تَأَثُّرُهُ الواضِحُ بِالمُحَسِّنَاتِ البَدِيعِيَّةِ فِي قَوْلِهِ[٢]: [الطويل]

وَلَمَّـــا دَجَـــا لَيْـــلُ العِـــذَارِ بِخَـــدِّهِ　　　تَيَقَّنْـتُ أَنَّ اللَيْـلَ أَخْفَـى وَأَسْـتَرُ

وَأَصْـبَحَ عُـذَّالِي يَقُولُـونَ صَـاحِبٌ　　　فَـأَخْلُو بِـهِ جَهْـرًا وَلا أَتَسَـتَّرُ

وَذُكِرَتْ **أَسْمَاءٌ لليَهُودِ** فِي مُوَشَّحَاتِهِم كَابْنِ رَاحِيلَ فِي مُوَشَّحَةٍ **لابنِ بَقِّي**(ت: ٥٤٠هـ)[٣] بِقَوْلِهِ[٤]:

سَـاحِرِ الطَّـرْفِ رَخِـيمٍ فِـي صِـفَاتِ ابـنِ **رَاحِيـلِ**

طَيِّـــبِ الشَّـــمِّ لَذِيـــذِ اللَّـــثْمِ حُلْـــوِ التَّقْبِيـــلِ

وَظَهَرَ ابنُ رَاحِيلَ كَذَلِكَ فِي مُوَشَّحَةٍ أُخْرَى للمُسَمَّى ابنَ **رَافِع رَأْسُهُ**، يَقُولُ فِيهَا[٥]:

يَـــا أَشْـــبَهُ القَـــوْمِ　　　بِـالفَتَى ابـنِ **رَاحِيـلِ**

أَقْصِـرْ عَـنْ لَـوْمِي　　　مُـــذْ رَآكَ عَـــذُولِي

هَـبْ لِـي مِـنْ نَـوْمِي　　　كَهَبَّـــــــــاتِ

وَظَهَرَ تَأَثُّرُ اليَهُودِ فِي هَذَا الغَزَلِ كَذَلِكَ بِغَزَلِ ابن سَهْلٍ الإِسْرَائيلِيِّ بِفَتَاهُ المُسَمَّى مُوسَى حَيْثُ قَصَرَ عَلَيْهِ جُلَّ غزَلِه، مِمَّا جَعَل بَعْضُهُم يُسَمِّيهِ أَبَا نُوَاس الأَنْدَلُسِ[٧].

٤ـ الغَزَلُ عِنْدَ شُعَرَاءَ مِنَ اليَهُودِ

لا بُدَّ أَنْ لِليَهُودِ شِعْرًا نُظِمَ بِالعَرَبِيَّةِ فِي الغَزَلِ وَفِي غَيْرِهِ مِنْ فُنُونِ الشِّعْرِ لأَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ تَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ،وَنَظَمَ بِهَا،لكن لَمْ تُعْطِنَا المَصَادِرُ كَثِيرًا فِي هَذَا.وبِشَهَادَةِ أَسَاتِذَةِ العَرَبِ أَظْهَرَ بَعْضُ

١ – سَتَرِد تَرْجَمَة لَهُ فِي مَتْنِ البَحْثِ : ص ٢٢٧ .

٢ – المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٧٤/٥ .

٣ – هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو **بكر** يَحْيَى بن مُحَمَّدٍ بنُ عبد الرَّحْمن **بن بقِّي** الأَنْدَلُسِيّ القُرطبي(ت:٥٤٠هـ)،قَلَّمَا يَخْلُو شِعْرُهُ مِنْ بَدِيعٍ، صَاحِبُ مُوَشَّحات،قِيلَ إِنَّ لَهُ مَا ينيف عَلَى ثلاثة آلاف مُوَشَّحة وَمثلها قصائد وَمقطعات،أصله مِنْ سَرَقُسْطَةَ،وَتأدب بِإِشْبِيلْيَة شهد فتنة طُلَيْطِلَة تقلب فِي بلاد الله إِلَى أن وَصل إِلَى يَحْيَى بن علي بن القاسم فقصر مدائحه عَلَيْهِ تُوُفِّيَ بوادي آش ٥٤٠هـ أو ٥٤٥هـ .

انْظُرْ: الفتح ابن خاقان"**قَلائِد العِقْيَانِ**" ق٢،ج٢/٢٧٨؛"**مَطْمَح الأَنْفُسِ**"ص٤٠٧ – ٤٠٨؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢ ،م٢/٦١٥– ٦٣٦؛ الأَصْفَهَانِيّ"**خَرِيدَةُ القَصْرِ**"ق٤،ج١/١٣٠–١٤٣، ق٤،ج٢/٦٦٧؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ الأُدَبَاءِ**"٢٠/٢١–٢٥؛ ابن خلكان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٦/٢٠٢؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٩/٢،"**رَايَات المُبَرِّزِين**"١٣٦– ١٣٨؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ١٧/٢ ، ٦/١٤– ١٨ .

٤ – عَلِيّ بن بشْرى الأَغْرَنَاطِيّ "**عُدَّةُ الجَلِيس**" ص٥١٤–٥١٥ /مُوَشَّحة رقم (٣٤٤).

٥ – سيد غَازِي "**دِيوانُ المُوَشَّحَاتِ الأَنْدَلُسِيَّةِ**" ١٤/١ .

٦ – هُوَ: **بَاقِيل**، رَجُل مِنَ العَرَبِ اشترى ظَبْياً بأحد عشر درهمًا فقِيلَ له: بكم اشتريته، ففتح كفيه وفَرَّق أصابِعَه وأخرجَ لِسَانَه، يشِير بذَلِكَ إِلَى أحد عشر، فانفلتَ الظَّبيُ،فضربوا بِهِ المَثَلُ فِي العِيّ بقولهم: "أَعْيَا مِنْ بَاقِيل". انْظُرْ:الرَّازِيّ"**مُخْتَار الصِّحَاح**" ٢٤/١ .

٧ – محروس منشاوي "**أَبو نُوَاس الأَنْدَلُسِ؛ ابنُ سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيّ**" ص١٦٠– ١٦١، وَسَيَرِدُ فِي تَرْجَمَةِ ابنِ سَهْلٍ حَدِيثٌ عَنْهُ .

اليَهُودِ نَجَابَةً فِي تَعَلُّمِ النَّظْمِ؛فَهَذَا أبُو عَامِرٍ ابنُ شُهَيدٍ(ت:٤٢٦هـ) يَقُولُ: إنَّهُ جَلَسَ إِلَيْهِ يَوْمًا يُوسُفُ ابنُ إِسْحَاقَ الإِسْرَائِيلِيُّ-وَكَانَ أَفْهَمَ تِلْمِيذٍ مَرَّ بِهِ- وَهُوَ يُوصِي رَجُلاً عَزِيزًا عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ عَنْ كيفيةِ نَظْمِ الشِّعْرِ،وَطَلَبَ إليهِ أَنْ يأْتِي الغَداةَ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ يَصْنَعُهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فَهِمَ.وَكَانَ ذَاكَ اليُهُودِيُّ سَاكِتًا يَعِي مَا يُقَالُ،فغَدَا القُرْطُبِيُّ فَأَنْشَدَ لأُستَاذِه،ثُمَّ جَاءَ **اليُهُودِيُّ**،فَأَنْشَدَهُ[١]:[المتقارب]

أَيَمَّـــمَ رُكْبَـــانُهُمْ مَنْعِجًـــا[٢] … وَقَـدْ ضَـمَّنُوا قَلْبَـكَ الهَوْدَجَـا؟

وَاسْتَمَرَّ إِلَى آخِرِ قَصِيدَتِهِ،فَأَتَى بِكُلِّ حَسَنٍ،فَقَالَ القُرْطُبِيُّ:شِعرُ اليَهُودِيِّ أَحْسَنُ مِنْ شِعْرِي[٣]، وَيُلاحَظُ أَنَّ ابنَ بَسَّامٍ لَمْ يَذْكُرْ إلا بَيْتًا وَاحِدًا مِنْ قَصِيدَةِ اليَهُودِيِّ رُغْمَ نَجَابَتِهِ وَجَوْدَةِ شِعْرِهِ.

وَمِنَ القَلِيلِ الذي ذُكِرَ مِنْ شِعْرِ اليَهُودِ أَبْيَاتٌ مِنَ الشِّعْرِ فِي الغَزَلِ أَوْرَدَهَا ابنُ سَعِيدٍ فِي "المُغْرِبِ" وَنَسَبَهَا إِلَى ابنِ نَغْرِيلَّةَ الذي قَتَلَهُ الصَّنْهَاجِيّونَ،قَالَ فِيهَا[٤]: [السريع]

يَـا غَائِبًـا عَـنْ نَـاظِرِي لَـمْ يَغِـبْ … عَنْ خَـاطِرِي رِفْقًـا عَلَـى الصَبِّ

فَمَـا لَـهُ فِـي البُعْـدِ مِـنْ سَـلْوَةٍ … وَمَـــا لَـــهُ سُـــولٌ[٥]سِـــوَى

صُـوِّرْتَ فِـي قَلْبِـي فَلَـمْ تَبْتَعِـدْ … عَـــنْ نَـــاظِرِ الفِكْـــرَةِ بِالْحُـــبِّ

مَـا أَوْحَشَـتْ طَلْعَـةُ مَـنْ لَـمْ يـزَلْ … يُنْقَـلُ مِـنْ طَـرْفٍ إِلَـى قَلْـبِ

وَقَالَ ابنُ سَعِيدٍ إِنَّهُ أخذهَا عَنْ "المُسْهِبِ"،وَلَمْ تُثْبِتْهَا المَصَادِرُ الأُخْرَى.وَلا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الأَبْيَاتُ المُثْبَتَةُ فِي "المُغْرِبِ" هِيَ الوَحِيدَةُ التِي قَالَهَا هَذَا اليَهُودِيُّ،وَعادةُ ابنِ سَعِيدٍ فِي كِتَابِهِ أَنْ يَخْتَارَ أَبْيَاتًا قَلِيلَةً جِدًّا لِلشُّعَرَاءِ حَتَّى لَوْ كَانَ لَدَيْهِمُ الكَثِيرُ مِنَ الشِّعْرِ.لِذَا أَرَى أَنَّ أَبْيَاتًا مُتَوقَّعَةً لِهَذَا الشَّاعِرِ وَلِغَيْرِهِ مِنْ شُعَرَاءِ اليَهُودِ غَابَتْ عَنْ هَذَا الكِتَابِ وَعَنْ غَيْرِهِ مِنَ الكُتُبِ.

والأَبْيَاتُ السَّابِقَةُ لا تَكْفِي لِلحُكْمِ،لكنَّ غيابَ غَيْرِهَا يَدْفَعُ إِلَى القولِ بِأَنَّ الغَزَلَ عِنْدَ شُعَراءِ اليَهُودِ كَانَ عَلَى شاكِلَتِهَا وَلا يَخْتَلِفُ عَمَّا قالَهُ العَرَبُ؛فَلا جَدِيدَ فِيهَا،وَمعانِيهَا تَقْلِيدِيَّةٌ.إِلا أَنَّهَا انْحَطَّتْ رُتْبَةً لِكَثْرَةِ طَلَبِ الشَّاعِرِ لِلمُحَسِّنَاتِ مُضَافًا إِلَيْهَا عَدَمُ عِنَايَتِهِ بِاخْتِيَارِ أَلْفَاظِهِ؛فَالطِّبَاقُ فِي "غَائِبًا وَلَمْ يَغِبِ" وَفِي "البُعْدِ وَالقُرْبِ" وَفِي "البُعْدِ وَلَمْ تَبْتَعِدْ".وَالجناس ماثلٌ فِي "سَلْوَةٍ وَسُولٌ"بِجانِبِ التَّكْرَارِ فِي المَعْنَى وَاللفظِ رُغْمَ قِلَّةِ الأَبْيَاتِ.وَهَذَا جَعَلَ الفِكْرَةَ فِيهَا سَطْحِيَّةً بَاهِتَةً وَالعاطِفَةَ بَارِدَةً غَيْرَ مُتَأَجِّجَةٍ. وَلا يُمْكِنُ نِسْبَتُهَا مَثَلاً لِشَاعِرٍ عَرَبِيٍّ لَهُ بَاعٌ فِي الشِّعْرِ؛فَالرَّكَاكَةُ فِيهَا بَادِيَةٌ. بالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ خُلُوَّهَا

---

١ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١، م ٢٣٣/١ .

٢ – **مَنْعِج:** بِالفتح ثُمَّ السكون وكسر العين، موْضِعٌ بِالمَدِينَةِ لبني عامر. انْظُرْ :يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**"٥/٢١٢ .

٣ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١، م ٢٣٣/١ – ٢٣٤ .

٤ – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/١١٤ .

٥ – سُولُ الإِنسان:أُمْنِيَّته أَن يَتَمَنَّاها فتُزَيِّن لطالبها الباطلَ وَغَيْرَهُ مِنْ غُرور الدنيا،وأَصل السُّول مهموز عِنْدَ العَرَبِ استثقلوا ضَغْطة الهمزةِ فِيهِ فتكلَّموا بِهِ عَلَى تخفيف الهمز. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [سول] ١١/٣٥٠ .

مِنَ التَّشْبِيهَاتِ وَالصُّورِ جَعَلَهَا غَرِيبَةً بَعْضَ الشَّيْءِ عَنْ شِعْرِ الغَزَلِ الذي جَاءَ بِهِ الأَنْدَلُسِيُّونَ مُمْتَلِئًا بِتَشَابِيهَ وَصُوَرٍ فِيهَا تَجْدِيدٌ وَفِيهَا تَنَوُّعٌ فِي أَغْلَبِ الأَحْيَانِ.

ثانِيًا:- اليَهُودُ فِي شِعْرِ المَدْحِ

يَسِيرُ الحَدِيثُ عَنْ أَثَرِ اليَهُودِ فِي شِعْرِ المَدْحِ فِي اتِّجَاهَيْنِ:الأَوَّلُ مِنْهُمَا مَدْحُ اليَهُودِ،وَالاتِّجَاهُ الثَّانِي أَثَرُ اليَهُودِ فِي مَدْحِ الشُّعَرَاءِ لِرِجَالاتِ الأَنْدَلُسِ .

الاتِّجَاهُ الأَوَّلُ: مَدْحُ اليَهُودِ

يُلاحظُ فِي هَذَا النَّوْعِ مِنَ الشِّعْرِ أَنَّ الشُّعَرَاءَ لَمْ يَتَأَثَّرُوا بِاليَهُودِ فِيهِ.وَأَسْتَطِيعُ القَوْلَ إِنَّ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ قَصَائِدِ المَدْحِ التِي قِيلَتْ فِي اليَهُودِ لَمْ يَكُنْ بِطُولِ◌ قَصَائِدِ المَدْحِ التِي انْتَشَرَتْ فِي مَدْحِ المُلُوكِ وَالأُمَرَاءِ أَوِ القَادَةِ العَرَبِ فِي تِلْكَ البِيئَةِ أَوْ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ عَامَّةً،وَهُنَاكَ أَسبابٌ عَدِيدَةٌ وَراء هَذَا؛فقَدْ يَكُونُ مُعْظَمُ شِعْرِ المَدْحِ الذي قِيلَ فِي اليَهُودِ اخْتَفَى أَوْ أَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا كَامِ◌لاً لِنَقْرَأَ فِيهِ الطَّوِيلَ،فالذي وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْهُ مُقَطَّعَاتٌ قَصِيرَةٌ أَوْ أَبْيَاتٌ مُتَفَرِّقَةٌ فِي المَصَادِرِ،فَلَمْ أَعْثُرْ عَلَى قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ فِي هَذَا البَابِ،كَمَا أَنَّ قِلَّةً مَعْدُودَةً مِنَ الشُّعَرَاءِ هِيَ التِي مَدَحَتْ شَخْصِيَّاتٍ يَهُودِيةً، وَكَانَ ابنُ نَغْرِيلَّةَ الشَّخْصِيَّةَ المِحْوَرِيَّةَ فِي هَذَا الشِّعْرِ.

أَثَرُ ابنِ نَغْرِيلَّةَ فِي شِعْرِ مَدْحِ اليَهُودِ

تكادُ تَكُونُ شَخْصِيَّةُ ابنِ نَغْرِيلَّةَ سواءٌ الأبُ أَوِ الابنُ[1] الوَحِيدَةَ التي ظَهَرَتْ فيمَا وَصَلَ إِلَيْنَا في شِعْرِ مَدْحِ اليَهُودِ،وَبالنَّظَرِ فِي الأَبْيَاتِ القَلِيلَةِ التِي قِيلَتْ فِيهِ يُمكِنُ اسْتِخْرَاجُ أَهمِّ سِمَاتِ مَدْحِ اليَهُودِ.وَابنُ نَغْرِيلَّةَ هُوَ الوَزِيرُ اليَهُودِيُّ إِسْمَاعِيلُ،وَهُوَ الأبُ الذي اشْتُهِرَ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ وَطِيبِ تَعَامُلِهِ بِجَانِبِ دَهَائِهِ وَحُسْنِ سِيَاسَتِهِ بِعَكْسِ ابنِهِ.لِذَا يَكُونُ إِسْمَاعِيلُ الأبُ هُوَ المَقْصُودَ فِي المَدْحِ وَهُوَ المَعْنِيُّ بِقَوْلِي إِنْ لَمْ أذكرْ مَا يُخَصِّصُهُ،وَإِنْ كَانَ الأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِابنِهِ يُوسُفَ الذِي ثَارَتْ عَلَيْهِ العَامَّةُ وَقَتَلَتْهُ سَوْفَ أُثْبِتُ اسْمَهُ كَامِلاً فِي الحَدِيثِ حَتَّى لا يَحْصُلَ لَبْسٌ.

ولا يُمْكِنُ الآنَ البَحْثُ فِي الدَّافِعِ الذي حَدَا بِهَؤُلاءِ الشُّعَرَاءِ إِلَى مَدْحِ هَذَا الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ، فَبَعْدَ انْقِضَاءِ وَقْتٍ طَوِيلٍ عَلَى نَظْمِ مِثْلِ هَذِهِ الأَشْعَارِ لا أَسْتَطِيعُ القَوْلَ بِأَنَّ الشُّعَرَاءَ الذينَ مَدَحُوا هَذَا اليَهُودِيَّ كَانُوا يَتَمَلَّقُونَهُ كَمَا يَرَى هِنْرِي بيرِسْ[2] أَوَ أَنَّهُم كَانُوا صَادِقِينَ فِي مَدْحِهِ،لأَنَّ هَذَا سَيَقُودُنَا إِلَى البَحْثِ فِي النَّوايا.وَإِنْ كُنْتُ أَمِيلُ إِلَى القَوْلِ بِأَنَّهُم لَمْ يَصِفُوا غَيْرَ مَا رَأَوْا،وَمَنْ يَتَمَلَّقْ عَادَةً يَقُلْ فِي المَمْدُوحِ غَيْرَ مَا هُوَ مَوْجُودٌ لِيَكْسِبَ وُدَّهُ أَوْ يَنَالَ حُظْوَةً عِنْدَهُ.

[1] – ابن نَغْرِيلَّةَ يُطْلَقُ عَلَى أثنين مِنْ وُزَرَاءِ غَرْنَاطَةَ الأب وَالابن، وَسَيَرِدُ حَدِيثٌ عَنْهُما فِي البَحْثِ : ص٢٧٨ – ٢٨٩ .

[2] – انْظُرْ : هنري بيرِسْ "**الشِّعْرُ الأَنْدَلُسِيّ فِي عَصْرِ الطَّوائِفِ**" ص٢٤٥

وَحَتَّى لَوْ كَانَ الشَّاعِرُ يَتَحَدَّثُ عَنْ وَاقِعٍ فَهَذَا لا ينفي أَنْ يَكُونَ التَّمَلُّقُ حَاصِلاً،خاصَّةً حِينَ يَكُونُ المَمْدُوحُ لَهُ مِنَ السَّطْوَةِ وَالنُّفُوذِ مَا لِذَاك اليَهُودِيِّ.إلا أَنَّ بُكَاءَ ابنِ **الفَرَّاءِ الأَخْفَشِ** عَلَيْهِ يُثْبِتُ عَكْسَ هَذَا الادِّعاءِ، فَقَدْ قَالَ فِي ابْنِ نَغْرِيلَّةَ اليَهُودِيِّ بَعْدَ مَوْتِهِ[1]: [الطويل]

وَلكِـنَّ عِنْـدِي لِلوَفَـاءِ شَـرِيعَةً ... تَرَكْتُ بِهَا الإِسْلامَ يَبْكِي عَلَى الكُفْرِ

وَاتَّخَذَ بَعْضُهُمْ هَذِهِ الرِّوَايَةَ مِصْيَدَةً للإيقاعِ بِهِ أمامَ رَفِيعِ الدَّوْلَةِ ابنِ صُمَادِحٍ(ت بعد:٥٣٩هـ)[2] فَكَانَ هَذَا الشِّعْرُ مَنْجَاةً لَهُ وَمَفْخَرَةً؛فَحِينَ وَفَدَ الأَخْفَشُ عَلَى المَرِيَّةِ وَمَدَحَ ابنَ صُمَادِح قَالَ بعضُ الحُسّادِ لَهُ مِمَّنْ أَرَادُوا ضُرَّهُ:يا سَيِّدِي لا تُقَرِّبْ هَذَا اللَّعِينَ فإِنَّهُ قَالَ فِي اليَهُودِيِّ،فمَا كَانَ مِنْ رَفِيعِ الدَّوْلَةِ إلا أَنْ قَالَ:"هَذَا وَاللهِ هُوَ الحُرُّ الذي يَنْبَغِي أَنْ يُصْطَنَع فَلَوْلا وَفاؤُهُ مَا بَكَى كَافِرًا بَعْدَ مَوْتِهِ،وَقَدْ وَجَدْنَا فِي أَصْحَابِنَا مَنْ لا يَرْعَى مُسْلِمًا فِي حَيَاتِهِ"[3].فلا يُقَالُ إِنَّ الشَّاعِرَ كَانَ مُتَمَلِّقًا لليَهُودِيِّ مَعَ العِلْمِ أَنَّهُ بَكَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ،وَلَمْ يَخْجَلْ أَنْ يُصَرِّحَ وَيَجْهَرَ بهَذَا وَسْطَ بيئةٍ عَرَبِيَّةٍ إِسْلامِيَّةٍ،بَعْدَ أَنْ زَالَتْ سَطْوَتُهُ،وَانْتَهَى نُفُوذُهُ.وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ مَظَاهِرَ التَّمَلُّقِ وَالكَذِبِ تَخْتَفِي فِي الرِّثاءِ[4].

وَتُؤَكِّدُ قِصَّةُ الأَخْفَشِ مَعَ ابنِ صُمَادِحٍ أَنَّ مَدْحَ مَنْ يَستَحِقُّ المَدْحَ مِنَ اليَهُودِ كَانَ مَأْلُوفًا حَتَّى عِنْدَ أمُرَاءِ العَرَبِ وَالمَمْدُوحِينَ مِنْهُمْ،وَلَمْ يكُنْ دِينُ اليَهُودِيِّ يَقِفُ عَائِقًا أَمَامَ ذِكْرِ فَضَائِلِ ذَوِي الفَضْلِ فِي تِلْكَ البِيئَةِ المُنْفَتِحةِ حَتَّى وإِنْ كَانُوا يَهُودًا.وَالمُجْتَمَعُ الأَنْدَلُسِيُّ لَمْ يَعْتَرِضْ عَلَى مَدْحِ الشُّعَرَاءِ العَرَبِ سادةَ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ،لكِنَّ غِيرَةَ الشُّعَرَاءِ مِنْ نُدَماءِ السَّلاطِينِ تَبْدُو مَأْلُوفَةً فِي كُلِّ بِيئَاتِ المَدْحِ،ولا يُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّ مَدْحَ اليَهُودِ كَانَ مُشْعِلاً أَوْ سَبَبًا لَهَا،والمُطَّلِعُ عَلَى أَحْوَالِ الشُّعَرَاءِ فِي عُصُورِ الأَدَبِ العَرَبِيِّ شَرْقًا وَغَرْبًا يَجِدُ الكَثِيرَ مِنْهَا.وَقِصَصُ المُتَنَبِّي مَعَ حُسَّادِهِ فِي بَلاطِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ خَيْرُ مِثَالٍ عَلَى ذَلِكَ[5].وَلَوْ تركتُ النِّيَّةَ وَالدافعَ وَانتقلتُ إِلَى مَا مُدِحَ بِهِ هَذَا اليَهُودِيُّ لَوَجَدْتُ أَنَّ وَضاءَةَ الوَجْهِ وَإِشراقَهُ مِنْ أبرزِ وَأَشْهَرِ مَا قِيلَ فيه،مُضَافًا إِلَيْهَا صِفَةٌ ثَانِيَةٌ

---

[1] – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٣٤٦/٤ .

[2] – هُوَ: **رَفِيعُ الدَّوْلَة أَبُو** يَحْيَى بنُ **المُعْتَصِمِ بنُ صُمَادِح**،ذكر ابنُ سَعِيدٍ أنهم قَالُوا فِي وصفه أَنَّهُ ذو الخلق الكريم والشرف الباذخ. فَكَانَ كوالده لَهُ سيرة حسنة.وفي "الحلة السيراء" أَنَّهُ لَمْ يكن فِي بني صُمَادِح أشعر منه،إلا أن الخمول أخنى عَلَى محاسنه،وَكَانَ بتِلِمْسانَ أثيرا عِنْدَ وَالِيهَا حِينَئِذٍ،وذَلِكَ فِي سَنَةَ ٥٣٩هـ . انْظُر:ابن خَاقَان"**مَطْمَح الأَنْفُس**"ص٢٢٢-٢٢٥؛ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٣٧-٧٣٩؛ ابن الأَبَّار"**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ٩٢/٢-١٩٢،٩٦؛ ابن سعيد "**المُغْرِب**" ١٩٩/٢-٢٠٠؛المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٢٦٩/٩- ٢٧١ .

[3] – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٣٤٦/٤ .

[4] – لا يَسْتَطِيعُ أحدٌ الجَزْمَ بِأَنَّ مَنْ يَمْدَحُ مَمْدُوحًا مُسْلِمًا أَوْ عَرَبِيًّا يَكُنْ صَادِقًا بَيْنَمَا يَكُونُ كاذِبًا حِينَ يَمْدَحُ اليَهُودِيَّ،كَمَالا يُمْكِنُ القَوْلُ بِأَنَّ أَرْوَعَ قَصَائِدِ المَدْحِ العَرَبِيِّ خَلَتْ مِنَ التَّمَلُّقِ،خُصُوصًا إِنْ كَانَ للمَمْدُوحِ سَطْوَةٌ وَقُوَّةٌ وَنُفُوذٌ وَاضِحٌ.فَالصِّدْقُ فِي المَدْحِ مِنَ الأُمُورِ التي لا يمكنُ الجزمُ بِهَا بسهولة،ويزدادُ الأمرُ صُعُوبَةً إِنْ كَانَ هَذَا المَمْدُوحُ اليَهُودِيُّ مَحْبُوبًا كَمَا يَتَّضِحُ فِي الرِّوَايَاتِ عَنْهُ.

[5] – انْظُرْ مَثَلاً المُتَنَبِّي: [الطويل] أَزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ ... فَأَنْتَ الذي صَيَّرْتَهُم لي حُسَّدًا المُتَنَبِّي"**شَرْح دِيوَانه**"١٣/٢.

هِيَ جَمَالُ نَادِيهِ،وَوَفَاؤُهُ وَمَحَبَّتُهُ وَكَرَمُهُ مَعَ أَصْدِقَائِهِ كَانَتِ الثَالِثَةَ.وَحَوْلَ هَذِهِ المَعَانِي دَارَ مُعظَمُ مَدْحِهِ. واجْتَمَعَتْ هَذِهِ الثلاثَةِ فِي بَيْتَيْنِ **لِلأَخْفَشِ** بِقَوْلِهِ[1]:[البسيط]

صَابِحْ مُحَيَّاهُ تَلْقَ النَّجْحَ فِي الأَمَلِ ... وَانْظُرْ بِنَادِيـهِ حُسْنَ الشَّمْسِ فِي الحَمَلِ[2]

مَـا إِنْ يُلاقِـي خَلِيـلٌ فِيـهِ مِـنْ خَلَـلِ ... وَكُلَّمَـا حَـالَ صَـرْفُ الـدَّهرِ لَـمْ يَحُـلِ

وَلا أَجِدُ فِي الأَبْيَاتِ مُبَالَغَةً فِي المَدْحِ،أَوْ خُروجًا عَنِ المَأْلُوفِ،أَوْ أثرًا بيِّنًا لِليَهُودِ.بَلْ وَصَفَهُ الشَّاعِرُ بمَا هُوَ أَهلٌ لَهُ،وبِمَا يَنْسِجِمُ تَمَامًا مَعَ الصُّورَةِ التِي جَاءتْ فِي الكُتُبِ عَنْهُ.

وَلَمْ يَكُنِ الأَخْفَشُ المَادِحَ الوَحِيدَ لِهَذَا اليَهُودِيِّ؛**فَالمُنْفَتِلُ** كَذَلِكَ قَالَ فيهِ[3]:[مجزوء الكامل]

قَــرَنَ الفَضَـــائِلَ وَالفَواضِـــلْ ... فَشَــأَى[4]الأَوَاخِــرَ وَالأَوَائِــلْ

سَــــقَطُوا بِرِفْعَـــةِ فَضْـــلِهِ ... كَالشَّمْسِ فِي شَرَفِ المَنَاقِلْ[5]

كَمَا أَنَّ المَمْدُوحَ قَدْ أكسَبَ الزَّمَانَ شَرَفًا،لا القَبِيلَةَ أَوِ الجَمَاعَةَ عِنْدَ **المُنْفَتِلِ** بِقَوْلِهِ[6]:[مجزوء الكامل]

شَـــرُفَ الزَّمَـــــانُ بِمِثلِـــهِ ... شَـرَفَ الأَسِـنَّةِ بِالعَوَامِـلْ[7]

وَلَمْ يُرَكِّزِ المُنْفَتِلُ كَثِيرًا عَلَى شَرَفِ القَوْمِ أَوِ القَبِيلَةِ أَوِ الدَّوْلَةِ أَوِ الأُمَّةِ بِهِ،فيَكادُ المَمْدُوحُ فِي مِثْلِ هَذِهِ القَصَائِدِ يَكُونُ مَعْزُولاً عَنْ أَيِّ انْتِمَاءٍ أَوْ جَمَاعَةٍ أَوْ حِزْبٍ يَرْفَعُهُ أَوْ يَرْتَفِعُ بِهِ.وَفِي مُعْظَمِ أَبْيَاتِ المَدْحِ التِي قِيلَتْ فِي هَذَا الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ كَانَتْ تَظْهَرُ لَهُ صُورَةٌ مثاليةٌ،مَعْزُولَةٌ عَنْ أَيِّ تفاعُلٍ حَقِيقِيٍّ مَعَ البيئةِ وَالمُجْتَمَعِ المُحِيطِ بِهِ،فَفِي قَصَائِدِ المَدْحِ التِي قِيلَتْ فِي الخُلَفَاءِ وَ الأُمَرَاءِ وَالقَادَةِ الأَنْدَلُسِيِّينَ كَانَتْ تَظْهَرُ تَفَاصِيلٌ لِحَيَاةِ المَمْدُوحِ وعِلاقَاتِهِ الاجْتِمَاعِيَّةِ.

أَمَّا فِي مَدْحِ ابنِ نَغْرِيلَّةَ فكَانَتِ الصِّفَاتُ التِي تُسْبَغُ لَهُ مِثالِيَّةً،فَلَمْ نرَ فِيهَا تَحَرُّكًا بِجَيْشٍ،أو قِتَالاً لأعداءٍ،أو بِنَاءً لِمَدِينَةٍ أَوْ مَسْجِدٍ أَوْ معْلَمٍ حَضَارِيٍّ،وَلا مُشَارَكَةً لِلنَّاسِ فِي احْتِفَالٍ نَبَوِيٍّ أَوْ مُنَاسَبَةٍ دِينِيَّةٍ مَثَلاً،وَلا رأَيْنَا توَافُدَ الوُفُودِ إِلَيْهِ مُؤَيِّدَةً أَوْ مُهَنِّئَةً أَوْ مُعَزِّيَةً إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ التِي يَقومُ بِهَا عِلْيَةُ القَوْمِ أَوْ يُشَارِكُونَ بِهَا العامَّةَ.فَكَانَ ابنُ نَغْرِيلَّةَ فِيمَا قِيلَ فِيهِ مِنَ الأَشْعَارِ التِي وَصلتْ إِلَيْنَا نَمُوذَجًا بَعِيدًا عَنْ أَيِّ تَحَرُّكٍ بَشَرِيٍّ لَهُ عَلَى أَرْضِ الوَاقِعِ.صَحِيحٌ أَنَّ صُورَةَ العَرَبِ المَمْدُوحِينَ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ كَانَتْ مِثَالِيَّةً كَذَلِكَ،وَامْتَلأَتْ بالمُبَالَغَاتِ كَثِيرًا،لَكِنَّهَا بِجَانِبِ هَذَا كَانَتْ تَصِفُ وَاقِعًا وَتَحَرُّكًا اجْتِمَاعِيًّا أَوْ سِيَاسِيًّا وَاضِحًا،وَهَذَا لَمْ يظهرْ فِي مَدْحِ ابنِ نَغْرِيلَّةَ.

---

[1] – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٣٤٦/٤ .

[2] – عِنْدَمَا تدخل الشَّمْس فِي برج الحمل أي فِي اعتدال الربيع،يبلغ لمعانها غايته ويتساوى فِيهَا الليل مَعَ النهار .
انظُر : النُّوَيْرِيّ "**نِهَايَةُ الأَرَب**" ١٦٥/١؛ القَلْقَشَنْدِيّ"**صُبح الأَعْشَى**" ٣٧١/٢–٣٧٦ .

[3] – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٧٦٢/٢ – ٧٦٣ .

[4] – شَأَى: سَبَقَ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [شأي]٤١٨/١٤

[5] – المَنَاقِل : المَرَاحِل . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [نقل] ٦٧٤/١١ .

[6] – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٧٦٣/٢ .

[7] – عَوَامِلُ الرُّمح: جمع عامل،وَهُوَ مَا يَلِي السِّنَان. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [عمل] ٤٧٧/١١ .

وَجَاءَ تَعْدِيلُ النَّمُوذَجِ العَرَبِيِّ فِي قَصَائِدِ مَدْحِ ابنِ نَغْرِيلَّةَ اليَهُودِيِّ تَعْدِيلاً مُنَاسِبًا يَنْسَجِمُ مَعَ خُصوصِيَّةِ هَذَا الوَزِيرِ،فَمِنَ المُنَاسِبِ أَنْ يُقَالَ فِيهِ إِنَّهُ كَرِيمٌ مِعْطَاءٌ،لكِنْ مِنْ غَيْرِ المُمكِنِ أَنْ يُقَالَ فِيهِ إِنَّهُ قَوِيٌّ شُجَاعٌ أَوْ مُقَاتِلٌ تَخْشَاهُ الأَعْدَاءُ؛وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ لِذَا لَمْ يَقُدْ حَرْبًا ضِدَّ الأَعْدَاءِ وَلَمْ يُشارِكْ فِي أَيٍّ مِنْهَا؛فَهَذَا لِلخُلَفَاءِ وَ الأُمَرَاءِ وَالقَادَةِ .

وَحَاوَلَ **المُنْفَتِلُ** أَنْ يَكُونَ حَذِرًا فِي قَوْلِ مَا يُناسبُ يَهُودِيَّةَ المَمْدوحِ فَقَالَ[١]: [مجزوء الكامل]

مَـــنْ لَـــمْ يَلُـــذْ بِجَنَابِـــهِ   لَـــمْ يـــأْمَنِ الـــدَّهْرَ المُخاتِـــلْ
مُتَقَلِّـــدٌ سَـــيْفَ العُـــلا   وَالمَكرُمَـــاتُ لَـــهُ حَمائِـــلْ

وَقَدْ يَكُونُ هِنْرِي بيرِسْ مُحِقًّا حِينَ قَالَ بتَ◌◌مَلُّق المُنْقَتِلِ لهَذَا المَمْدُوحِ؛فَيُوحِي النَّظْمُ بِمَدَى قُوَّةِ وَنُفُوذِ المَمْدُوحِ،فالذي لا يَدُورُ فِي فلكِهِ لَنْ يأمَنَ خِدَاعَ الدَّهْرِ.ولهَذَا قَدْ يَكُونُ الخَوْفُ مِنْ بَطْشِهِ دَافِعًا قَوِيًّا دَفَعَ الشَّاعِرَ وَأَمْثَالَهُ إِلَى تَمَلُّقِهِ ومَدْحِهِ طَلَبًا لِلأَمَانِ عِنْدَهُ.وَحِينَ ذُكِرَ اللوذُ وَالأمانُ بَدَتْ قوَّةُ المَمْدُوحِ وليسَ أمامَ الأعْدَاءِ،وَأَتَتْ التَّشْبِيهَاتُ عاديَّةً مألوفةً بتقلُّدِهِ سَيْفَ العُلا وَالمَكْرُمَاتِ حَمَائِلَ له،لكنْ عَدَّ **المُنْفَتِلُ** نفسَه مُقَصِّرًا فِي وَصْفِ كَمَالِهِ،فقَالَ[٢]: [مجزوء الكامل]

قَصَّـــرْتُ فِـــي وَصْـــفِي لَـــهُ   وَلَـوَ انَّـنِ◌ي سَـحْبَانُ وَائِـلْ[٣]
مَـــا قَـــلَّ◌ مَـــا يُرجَـــى الكَمَـــا   لُ لمَـــنْ أَبُـــوهُ غَيْـــرُ كامِـــلْ

فَمَعْ أَنَّ وَالدَهُ "غَيْرُ كَامِلٍ" أيْ يَهُودِيٌّ إلا أَنَّهُ امْتَازَ بِصِفاتِ الكَمَالِ بِقَوْلِهِ[٤]: [مجزوء الكامل]

سَـــكَنَ النَّـــدَى فِـــي كَفِّـــهِ   سُـكْنَى الرَّواجِـبِ[٥]فِـي الأَنَامِـلْ
وَجَـــرَى الحَيَـــاءُ بِوَجْهِـــهِ   جَـــرْيَ الفِرِنْـــدِ◌[٦]عَلَـــى [٧]

وَلا أدْرِي بَعْدَ كُلِّ هَذِهِ الصِّفَاتِ ماذَا بَقِي مِنْ صِفَاتِ المُرُوءَةِ العَرَبِيَّةِ لَمْ يُذْكَرْ فِي هَذَا اليَهُودِيِّ.

وَأَخَذَ المُنْقَتِلُ مِنْ صِفَاتِ المَجْدِ مَا يُناسبُ كونَ مَمْدُوحِهِ يَهُودِيًّا،سَوَاءٌ الصِّفَاتُ المَادِيَّةُ كَجَمَالِهِ وَحُسْنِ الطَّلْعَةِ أَوِ المَعْنَوِيَّةُ كَكَرَمِهِ وَعِلْمِهِ وَحيائِهِ وَشُهْرَتِهِ وَكَوْنِهِ ملاذًا للمُحْتَاجِينَ،وَلَمْ يَصِفْهُ بِمَا يُظْهِرُ دِينَهُ أَوْ يُشِيرَ إِلَيْهِ أَوْ يُلَمِّحُ إِلَيْهِ بِذِكْرِ رَمْزٍ أَوْ عَادَةٍ أَوْ طَقْسٍ مِنْ طُقُوسِ اليَهُودِ،فكُلُّ هَذِهِ اخْتَفَتْ تَمَامًا؛أَيْ أَنَّ الشِّعْرَ الأَنْدَلُسِيَّ لَمْ يَعْتَرِفْ باليَهُودِيةِ كَدِينٍ فِي المَدْحِ،وَحِينَ بَرَزَ المَمْدُوحُ اليَهُودِيُّ كَانَتِ الصِّفَاتُ التِي أُسْبِغَتْ عَلَيْهِ خَالِيَةً تَمَامًا مِنَ الرُمُوزِ الدِّينِيَّةِ .

---

١ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٦٣ .

٢ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .

٣ – هُوَ: **سَحْبَانُ وَائِلٍ**، مِنْ خطباء باهلة وَشعرائها، يضرب بِهِ المثل فِي البلاغة، فيُقال:أَنْطَقُ مِنْ سَحْبَانَ،وَمِنْ قُسِّ بْن سَاعِدَةَ كذلك.
انْظُرْ: المَيْداني"**مَجْمَع الأَمْثَالِ**" ١/٣٤٦ .

٤ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٦٣ .

٥ – الرَّواجِبُ:مَفاصِلُ أُصول الأَصابع التي تلي الأَنامل. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [رجب] ١/٤١٣ .

٦ – الفِرِندُ: وَشْيُ السيف،وَقَالُوا: هُوَ السيف نفسُه؛ وَهُوَ دخيل . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [فرند] ٣/٣٣٤ .

٧ – نَصْل السيف: حديده . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [نصل] ١١/٦٦٢ .

وَمِنْ أَبْيَاتِ المَدْحِ التِي أُرَجِحُ أَنْ يَكُونَ ابنُ نَغْرِيلَّةَ اليَهُودِيُّ المَمْدُوحَ بِهَا بَيْتَانِ أَوْرَدَهُمَا "المُغْرِبُ" **للمُنْفَتِل** وَلَمْ يُشِرْ إِلَى المَعْنِيِّ بِهِمَا،وَهُمَا[1]: [البسيط]

إِذَا مَــدَحْتَ فَــلا تَمْــدَحْ سِــوَاهُ فَفِــي ... يُمْنَــاهُ بَحْــرٌ مُحِــيطٌ لِلعُفَــاةِ زَخَــرْ[2]

يُصْغِي إِلَى المَدْحِ مِنْ جُودٍ وَمِنْ أَدَبٍ ... كَمُشْتَكِي الجَدْبِ قَدْ أَصْغَى لِصَوْبِ مَطَرْ

تَذْكُرُ المَصَادِرُ أَنَّ للمُنْفَتِلِ أَمْدَاحًا عَدِيدَةً فِي هَذَا الوَزِيرِ،كَمَا أَنَّ الصِّفَاتِ فِي البَيْتَيْنِ تَنْسجِمُ مَعَ مَا وَرَدَ عَنْهُ؛فَأَثْبَتَتِ المَصَادِرُ شِدَّةَ كرمِهِ وَحُسْنَ إِصغائِهِ للأدباءِ وَالشُّعَرَاءِ.وَأرى أَنَّ المُنْفَتِلَ أَجادَ فِي البَيْتَيْنِ وَجَدَّدَ،فَجَاءَ بصورةِ طريقَةٍ للمَمْدُوحِ وَهُوَ يُصْغِي إِلَى المَدْحِ الذي يُقَالُ فِيهِ بِكُلِّ أَدَبٍ كَحَالِ الأَرْضِ تُصْغِي للمَطَرِ المُنْدَفِعِ فَوْقَهَا بِشِدَّةٍ وَهيَ عَطْشَى تَشْتَكِي الجَدْبَ.

مِثَالٌ عَلَى شِعْرِ المَدْحِ لِليَهُودِ

اخترْتُ قَصِيدَةً لِلمُنْفَتِلِ فِي مَدْحِ ابنِ نَغْرِيلَّةَ لِتَكُونَ مِثَالاً عَلَى شِعْرِ مَدْحِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ، فَهِيَ أطولُ قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ اليَهُودِ،فَقَدْ خَلا شِعْرُهُمْ مِنْ قَصَائِدَ كامِلةٍ طَوِيلَةٍ فِي المَدْحِ،وَجَمَعْتُ أَبْيَاتَهَا مِنَ "الذَّخِيرَة" فَلَمْ تُوجَدْ فِي غَيْرِهِ،وَهِيَ غَيْرُ مُثْبَتَةٍ كقَصِيدَةٍ تَامَّةٍ،بَلْ جَاءَتْ عَلَى شَكْلِ مُخْتَارَاتٍ مِنْ شِعْرِهِ،وَلا أعْرِفُ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الأَبْيَاتُ مُجْتَمِعَةً تُشَكِّلُ القَصِيدَةَ كَامِلةً،أَمْ أَنَّ هُنَاكَ أَبْيَاتًا غَيْرَهَا غَفلَتْ عَنْهَا المَصَادِرُ أَوْ لَمْ أَتَوَصَّلْ إِلَيْهَا بَعْدُ[3].

وَحَدَثَ خَلْطٌ فِي الكُتُبِ حَوْلَ تَعْيِينِ اسْمِ المَقْصُودِ بِقَصَائِدِ المَدْحِ هَذِهِ؛فَقَدْ أُطْلِقَ ابْن نَغْرِيلَّةَ عَلَى اثنينِ وَزَرَا لِبَادِيسَ بنْ حَبُّوس.وَنَشَأَتِ الصُّعُوبَةُ فِي تَحْدِيدِ الاسْمِ لأَنَّ الكُتُبَ تَوَارَثَتِ الحَدِيثَ عَنْهُمَا بِلَقَبِ "ابن نَغْرِيلَّة" فِي مُعْظَمِ الأَحْيَانِ،وَيَقُولُ إِحْسَانُ عَبَّاس: "إِنَّ هَذَا اللقبَ يُطْلَقُ عَلَى اثْنَيْنِ مَشْهُورَيْنِ هُمَا صَمُوئِيلُ بنُ يُوسُفَ "إِسْمَاعِيلُ أَوْ إِشْمُوالُ" وَيُوسُفُ ابنُهُ،وَقَدْ كَانَ إِسْمَاعِيلُ عَالِمًا وَزِيرًا لِصَاحِبِ غَرْنَاطَةَ،وَخَلَفَهُ ابنُهُ يُوسُفُ فَأَسَاءَ التَّصَرُّفَ فِيمَا يَبْدُو،فَثَارَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَقَتَلُوهُ.لكنَّ ابنَ بَسَّامٍ يَنْسِبُ أَفْعَالَ الابْنِ إِلَى أَبِيهِ،وَيُتَابِعُهُ فِي ذَلِكَ ابنُ سَعِيدٍ"[4].وَفِي مَوْقِعٍ آخرَ فِي حَاشِيَةِ الكِتَابِ نَفْسِهِ خَطَّأَ إِحْسَانُ عَبَّاس مَرَّةً أُخْرَى ابنَ بَسَّامٍ لأَنَّهُ يَرَى أَنَّ القَصِيدَةَ مُوَجَّهَةٌ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بَيْنَمَا الكَلامُ فِي ابْنِهِ يُوسُفَ،فَيَكُونُ ابنُ بَسَّامٍ كَمَا يَرَى إِحْسَانُ عَبَّاس قَدْ وَقَعَ فِي اضْطِرابٍ[5].

وأَرَى أَنَّ إِحْسَان عَبَّاس أَصَابَ فِي جُزْءٍ مِنَ الكَلامِ وَأَخْطَأَ فِي آخَرَ؛أَصَابَ فِي قَوْلِهِ إِنَّ هُنَاكَ خَلْطًا فِي تَحْدِيدِ اسْمَيْهِمَا،وَهَذَا وَاضِحٌ فِي الاضْطِرَابِ الحَاصِلِ فِي الكُتُبِ عِنْدَ الحَدِيثِ عَنْهُمَا،

---

[1] – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/١٨٣ .

[2] – العُفَاةُ: الأَضْيافُ وَطُلَّاب المَعْرُوف . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [عفا] ١٥/٧٤ .

يزخر: يمتلئ وَيرتفع . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [زخر] ٤/٣٢٠ .

[3] – انْظُرْ القَصِيدَةَ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٦٣ – ٧٦٥ . وَهِيَ مُثْبَتَةٌ كَامِلَةً فِي المَلاحِقِ .

[4] – نَفْسُهُ ق١،م٢/٧٦١ . [الحَاشِيَة]

[5] – انْظُرْ: نَفْسُهُ ق١،م٢/٧٦٦ . [الحَاشِيَة]

فابنُ بَسَّامٍ لَمْ يَكُنْ مُخْطِئًا حِينَ نسَبَ الأَبْيَاتَ إِلَى إِسْمَاعِيلَ لا لِيُوسُفَ.ففي كَلامِ إِحْسَان عَبَّاس نفسِهِ إشارةٌ إِلَى أَنَّ الأبَ مِنْهُمَا كَانَ حَسَنَ السِّيرَةِ مَحْبُوبًا،والذي أَسَاءَ التَّصَرُّفَ وَكَرِهَهُ النَّاسُ هُوَ الابنُ، وَعَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ الأبَ هُوَ إِسْمَاعِيلُ وَالابنُ هُوَ يُوسُفُ،أرَى أَنَّ الأَبْيَاتَ قِيلَت فِي حَسَنِ السِّيرةِ مِنْهُمَا الأبِ إِسْمَاعِيلَ فلا يَكُونُ هُنَاكَ خَطَأٌ،وَإِنْ حَصَلَ خَطَأٌ فَهُوَ عِنْدَ إِحْسَان عَبَّاس،وَفِي الأبْيَاتِ نفسِهَا مَا يُزِيلُ هَذَا الجَدَلِ، فقَدْ قَالَ **المُنْفَتِلُ** فِيهَا [١]: [الطويل]

وَمَـا **اكْتَحَلَـتْ عيْنِـي بِمِثْـلِ ابـنِ يُوسُـفَ** وَلَسـتُ أُحَاشِـي الشَّـمْسَ مِـنْ ذَا وَلا البَـدْرَا

يُشِيرُ البَيْتُ بمَا لا يَقْبَلُ الجَدَلَ إِلَى أَنَّ المَمْدُوحَ ابنُ يُوسُفَ ولَيْسَ يُوسُفَ،كَمَا أَنَّ الرُّقْعَةَ التِي وَرَدَتْ فِيهَا الأَبْيَاتُ ذُكِرَ فِيهَا ابنُ يُوسُف كَذَلِكَ صَرَاحَةً فِي النَّثْرِ بقولِهِ:"إِذَا اتَّصَلْتُنَّ بإِسْمَاعِيلَ بنِ يُوسُفَ،فَتَى كَرُمَ خَالاً وَعَمًّا....."[٢]،كَمَا أَنَّ **المُنْفَتِلَ** نَصَّ عَلَى اسْمِهِ،بِقَوْلِهِ[٣]: [مجزوء الكامل]

هَـــذَا ابـــنُ يُوسُـــفَ الـــذي وَرِثَ الفَضَـــائِلَ عَـــنْ فَوَاضِـــلْ

فإِنْ سَلَّمْتُ مَعَ إِحْسَان عَبَّاس بِأَنَّ تَحْرِيفًا حَصَلَ لِكَلِمَةِ "إِسْمَاعِيلَ" فِي النَّثْرِ المُرْفَقِ مَعَ القَصِيدَةِ، وَالتَّحْرِيفُ فِي النَّثْرِ شائعٌ،إلا أَنَّ الأَبْيَاتَ تَكُونُ أدقَّ وَأصدقَ،كَمَا أَنَّ كلا مِنَ "الذَّخِيرَة" وَ"المُغْرِب" لَمْ يَطُلْ بِهِمَا العَهْدُ كَثِيرًا عَنْ هَذَا الشِّعْرِ،ثُمَّ إِنَّ تَغْيِيرَ "إِسْمَاعِيلَ" بَدَلاً مِنْ يُوسفَ سَيُؤَدِي إِلَى خَلَلٍ فِي وَزْنِ هَذِهِ الأَبْيَاتِ،لِذَا أُرَجِّحُ أَنَّ الأَبْيَاتَ مَعَ مَا رَافَقَهَا مِنْ نَثْرٍ صَحِيحَةٌ لا خَطَأَ فِيهَا،وَأَنَّ اسمَ المَمْدُوحِ بِهَا ابنُ يُوسُفَ جَاءَ صائبًا وَفِي مَوْقِعِهِ تَمَامًا،ولا أجِدُ سَبَبًا لِزَعْمِ خَلْطٍ فِي الاسْمِ الوَارِدِ فِي الأَبْيَاتِ، وَإِنْ حَصَلَ خَطَأٌ فقَدْ كَانَ فِي النَّثْرِ فَقَطْ.وَحِينَ كَتَبَ ابنُ بَسَّامٍ تَلْخِيصًا يُعَرِّفُ بِمَقْتَلِ اليَهُودِيِّ جاءَ فِيهِ أَنَّ الأبَ يُوسُفَ كَانَ حَسَنَ السِّيرَةِ فيهم مَيْمُونَ النَّقِيبَةِ عِنْدَهُم...[٤]،فَهُنَا فَقطْ أَتَوَقَّعُ الخَطَأَ، والأَصْوَبُ القَوْلُ إِسْمَاعِيلُ.أَمَّا فِي الصَّفْحَةِ المُقَابِلَةِ حِينَ قَالَ أَحَدُهُم:"لا بَأسَ بإِسْمَاعِيلَ لَوْلا أَنَّهُ نَسِيَ اليَهُودِيَّة"[٥] رُبَّمَا قِيلَ فِي الأبِ ولَيْسَ الابْنُ؛فَالكَلامُ عامٌ وَغَيْرُ مُرْتَبِطٍ بِوَقْتٍ مُعَيَّنٍ.وَيعتقِدُ إِحْسَانُ عَبَّاسٍ أَنَّ المَمْدُوحَ هُوَ المَقْتُولُ فِي المَذْبَحَةِ،وَلا يوجدُ فِي الأَبْيَاتِ أَوْ مُنَاسَبَتِهَا مَا يُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ،وَكَونُ الابنِ المَقْتُولِ هُوَ يُوسُفُ لا يَنْفِي أَنْ يَكُونَ المَمْدُوحُ فِي الأبْيَاتِ وَالِدَهُ وَلَيْسَ هُوَ؛فوالدُهُ وَزَرَ فترةً طَوِيلَةً بِغَرْنَاطَةَ،تَعَوَّدَتِ النَّاسُ عَلَيْهِ،وَشَهِدَتْ مِنْهُ مَا يُوجِبُ المَدْحَ،وَهُوَ وَالِدُ يُوسُفَ المَقْتُولِ وَهُوَ ابن يُوسُفَ الجَدّ،ولا غَرَابَةَ فِي هَذَا،بَلْ الغَرَابَةُ تَتَأتَّى إِنْ كَانَتِ الأَبْيَاتُ تُقَالَ فِي مَدْحِ وَزِيرٍ يَهُودِيٍّ اشْتُهِرَ بِرُعُونَتِهِ وَسُوءِ تَصَرُّفِهِ .

---

١ - ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٦٤ .

٢ - نَفْسُهُ ق١،م ٢/٧٦١ - ٧٦٢ . يبدُو أَنَّ الكلامَ فِيهَا مُوَجَّهٌ لجماعة مِنَ النِّسْوَةِ كُنَّ بحاجة للمَعُونَةِ فِي أَمْرٍ ما.

٣ - نَفْسُهُ ق١،م٢/٧٦٢ - ٧٦٣ .

٤ - انْظُر : نَفْسُهُ " ق١،م٢/٧٦٦ .

٥ - نَفْسُهُ ق١،م٢/٧٦٧ .

لِذَا أَرَى أَنَّ المَوَاقِعَ الثَّلاثَةَ السَّابِقَةَ قِيلَتْ بِحَقِّ الوَزِيرِ إِسْمَاعِيلَ ذِي الشَّخْصِيَّةِ المَحْبُوبةِ التِي جذبتْ الشُّعَرَاءَ إِلَى بلاطِهِ،فَلا يَكُونُ بِهَذَا خَلْطٌ،وأمرٌ آخرُ يُقَوِّي الاعْتِقَادَ عِنْدِي بِصِحَّةِ الاسمِ المَذْكُورِ فِي الأَبْيَاتِ بِجَانِبِ الوَزْنِ الشِّعْرِيِّ الذي حَفِظَ الاسمَ مَرَّتَيْنِ فِي قَصِيدَتَيْنِ هُوَ تَشَابُهُ اسْمِ الابنِ مَعَ الجَدِّ فِي نَسَبِ هَذَا اليَهُودِيِّ.ويَكُونُ ابنُ يُوسُفَ هُوَ الأبَ،وَقَدْ سُمِّيَ وَالِدُ المَمْدُوحِ وابنُهُ بالاسمِ نَفْسِهِ عَلَى عَادَةِ يَهُودِ الأَنْدَلُسِ فِي تَسْمِيَةِ الحَفِيدِ باسمِ الجَدِّ أَحْيَانًا كَالعَرَبِ؛فَيُوسُفُ فِي "المُغْرِب" هُوَ:يُوسُفُ بنُ إِسْمَاعِيلَ بنُ يُوسُفَ ابنُ نَغْرِيلَّةَ[1]،وَمِثالٌ آخرُ هُوَ أَبُو الفَضْلِ حَسْدَاي بن يُوسُفَ ابن حَسْدَاي الإِسْرَائِيلِيّ[2]،وَلَوْ حَوَتْ كُتُبُ التُّرَاثِ تَرْجَمَةً لِكَثِيرٍ مِنَ اليَهُودِ لَلاحَظْنَا هَذِهِ الظَّاهِرَةَ أَكْثَرَ.وَبِمَا أَنَّهُمْ التَزَمُوا تَسْمِيَةَ الحَفِيدِ بِاسْمِ الجَدِّ بِهذين الاسْمَيْنِ وَسْطَ هَذِهِ القِلَّةِ المُتَرْجَمِ لَهُم مِنَ اليَهُودِ يُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّ هَذِهِ كَانَتْ عَادَةً مُتَّبَعَةً عِنْدَ بَعْضِ يَهُودِ الأَنْدَلُسِ.فَتَكُونُ الأَبْيَاتُ قِيلَتْ فِعْلاً فِي إِسْمَاعِيلَ،وَحِينَ نادى الشَّاعِرُ ابنَ يُوسُفَ قَصَدَ إِسْمَاعِيلَ الذي سَمَّى ابْنَهُ عَلَى اسْمِ أَبِيهِ،وَتَكُونُ صِيغَةُ الجَمْعِ فِي الأبْيَاتِ التَّالِيَةِ **لِلمُنْفَتِل** تَعُودُ عَلَى الوَزِيرَيْنِ[3]:[الطويل]

بُـدُورٌ وَلَكِنَّــا أَمِنَّــا سِرَارَهَــا[4]	بُحُـورٌ وَلَكِـنْ لا نَـرَى دُونَهَـا بَـرَّا
غُيـوثٌ إِذَا مَــا المَحْــلُ شَــبَّ بِبَلْــدَةٍ	كُهُوفٌ إِذَا جَاءَتْ بِنَـا أَرْضُـهُ كُبْرَى
يُخَــالُوْنَ مِــنْ فَــرْطِ الحَيَــاءِ أَذِلَّــةً	وتَـرْتَجُّ أَحْشَـاءُ المُلُـوكِ لَهُـم ذُعْـرَا
وَمَــنْ لَـمْ يَكُـنْ لِلنَظْمِ وَالنَّثْـرِ مُحْسِـنًا	فَــإِنَّ نَــدَاهُم عَلَّــمَ الــنَّظْمَ وَالنَّثْــرَا

حَتَّى وَإِنْ كَانَ المَعْنِيُّ بِالأَبْيَاتِ هُوَ "يُوسُفُ" المَقْتُولُ فِيمَا بَعْد - مَعَ أَنَّنِي لا أَمِيلُ إِلَى هَذَا الرَّأْيِ- يَكُونُ فِي الجَمْعِ بَيْنَ المَمْدُوحِ وَاسْمِ أَبِيهِ مَعْنَى بَلاغِيٌّ هَدَفَ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ بِمَدْحِ الاثْنَيْنِ،كَمَا أَنَّ ذِكْرَ اسْمِ الأَبِ وَتجَاهُلَ اسْمِ المَمْدُوحِ قَدْ يَكُونُ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الأَبَ لِتَمَيُّزِهِ اسْتَحَقَّ أَنْ يُذْكَرَ اسْمُهُ.

١- نَهْجُ قَصِيدَةَ المُنْفَتِلِ فِي ابنِ نَغْرِيلَّةَ :

كَانَ المُنْفَتِلُ فِي مَدْحِهِ لِليَهُودِيِّ ابْنِ نَغْرِيلَّةَ مُقَلِّدًا؛فابْتَدَأَ القَصِيدَةَ بِمُقَدِّمَةٍ طَلَلِيَّةٍ سَبَقَتِ الإِشَارةُ إِلَيْهَا فِي الغَزَلِ.ثُمَّ انْتَقَلَ بَعْدَهَا لِلحَدِيثِ عَنْ أَثَرِ الحُبِّ ثُمَّ وَصَفَ اللَّيْلَ الطَّوِيلَ الذي هَجَرَهُ فَجْرُهُ، إِلى أن وَصَلَ إِلَى مَدْحِهِ بِتَخَلُّصٍ جَمِيلٍ سَرِيعٍ،وَجَاءَ طُولُ اللَّيْلِ وَظُلْمَتُهُ تَوْطِئَةً لِلدُّخُولِ فِي المَدْحِ، فَفِي هَذَا اللَّيْلِ البَهِيمِ الذي هَيَّجَ دُمُوعَ الشَّاعِرِ وَزَادَ مِنْ أَلَمِ كَبِدِهِ لَمْ تَكْتَحِلْ عَيْنَاهُ بِمَنْ هُوَ أَجْمَلُ مِنَ ابنِ يُوسُفَ،فَكَأَنَّ مُحَيَّاهُ نَجْمٌ مُشِعٌّ يُغْنِي عَنْ نُورِ الشَّمْسِ،فَجَاءَ ذِكْرُ اللَّيْلِ مُنَاسِبًا لِنَقْلِ الحَدِيثِ عَنِ البدرِ المُكَافِئِ لِلشَّمْسِ المُنِيرَةِ التِي سَتُزِيلُ الظَّلامَ مِنْ حَيَاةِ **المُنْفَتِلِ**،فقالَ[5]:[الطويل]

---

[1] – انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/١١٥ .

[2] – انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/٤٤١؛ صَاعِد "**طَبَقَات الأُمَم**" ص١١٢ .

[3] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٦٤ .

[4] – سِرَارُهَا: اختفاؤُهَا، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ استَسَرَّ الهلالُ فِي آخر الشهر بمعنى خَفِيَ. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [سرر] ٤/٣٥٧ .

[5] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٦٤ .

لَقَـدْ طَـالَ هَـذَا اللّيْـلُ فالـدَّهْرُ بَعْضُـهُ ... وَلَـمْ أَرَ لَـيْلاً قبلَـهُ شَـاكَلَ الـدَّهْرَا

وَمَـا **اكْتَحَلَـتْ عيْنِـي بِمِثْـلِ ابـنِ يُوسُـفَ** ... وَلَستُ أُحَاشِي الشَّمْسَ مِنْ ذَا وَلا البَدْرَا

وعلى كُلِّ الأحْوَالِ فإنَّ المَمْدُوحَ وَوَالِدَهُ اليَهُودِيَّيْنِ وُصِفَا بِمَا يُوصَفُ بِهِ المَمْدُوحُ مِنَ العَرَبِ.

٢ـ الغُلُوُّ فِي قَصِيدَةِ المُنْفَتِلِ:

أَتْبَعَ ابنُ بَسَّامٍ الأَبْيَاتَ السَّابِقَةَ بقولِهِ:"إِنَّهُ اندرجَ لَهُ [يقصدُ المُنفتِلَ] مِنَ الغُلوِّ فيه،مَا لا أُثْبِتُهُ وَلا أَرْوِيهِ،وَأبعدَ اللهُ المُنْفَتِلَ،فِيمَا نَظَمَ فِيهِ وَفَصَّلَ،وَقَبَّحَهُ وَقَبَّحَ مَا أَمَّلَ"[1].وَإِنْ دَقَّقَ القارِئُ النظرَ بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ لَنْ يَجِدَ فِيهَا غُلُوًّا شديدًا يَدْعُو ابنَ بَسَّامٍ أَنْ يَتَوَقَّفَ عَنْ إثباتِ بَقِيَّةِ أَبْيَاتِهَا، وَيُقَرِّرَ أَنْ لا يَرْوِيهَا،إلا إنْ كَانَتِ الأَبْيَاتُ التِي أَخْفَاهَا وَلَمْ يُثْبِتْهَا قَدِ احْتَوَتْ بِالفِعْلِ غُلُوًّا قَبِيحًا جَعَلَهُ يَتْلُو مُلاحَظَتَهُ تِلْكَ بِالدُّعَاءِ عَلَى قَائِلِهَا بِالقُبْحِ مُسْتَنْكِرًا مَا نَظَمَ وَمَا فَصَّلَ.فَالصِّفَاتُ التِي أَلْحَقَهَا المُنْفَتِلُ عَلَى ابنِ نَغْرِيلَّةَ فِي مَدْحِهِ هِيَ الصِّفَاتُ التِي دَارَتْ فِي فَلَكِهَا قَصَائِدُ المَدْحِ العَرَبِيِّ. بَيْنَمَا قِيلَ فِي شِعْرِ المَدْحِ عِنْدَ العَرَبِ مَا احْتَوَى غُلُوًّا وَاضِحًا،لا يُقَارَنُ بِهَذَا؛فالمُبَالَغَةُ وَاضِحَةٌ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ عِنْدَ أَبِي نُوَاس حِينَ مَدَحَ هَارُونَ الرَّشِيدَ[2]،وَالمُتَنَبِّي فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ[3]، وَمِثْلُهُمَا فِي الأَنْدَلُسِ **مُحَمَّدُ بنُ هَانِئ**(ت: ٣٦٢هـ)[4]حِينَ مَدَحَ المُعِزَّ لِدِينِ اللهِ الفَاطِمِيَّ[5].وَلا أرَى فِي الأبيَاتِ السَّابِقَةِ مُغَالاةً تَدْعُو ابنَ بَسَّامٍ إِلَى الحَنَقِ عَلَى الشَّاعِرِ لِهَذِهِ الدَّرَجَةِ إلا إنْ كَانَ يَعُدُّ مَدْحَ اليَهُودِيِّ هُوَ المُغَالاة. وَرُغْمَ حَنَقِهِ وَقرارِهِ أَنْ لا يُثْبِتَ وَأَنْ لا يروي شَيْئًا مِنْ مُغَالاتِهِ إلا أَنَّهُ غَيَّرَ قَرَارَهُ وَأَثْبَتَ بَعْدَهَا مُبَاشَرَةً مَا فِيهِ غُلُوٌّ ظَاهِرٌ عِنْدَ **المُنْفَتِلِ** بِقَوْلِهِ[6]: [الطويل]

وَمَـنْ يَـكُ مُوسَـى مِـنْهُمْ ثُـمَّ صِـنْوُهُ ... فَقُـلْ فِـيهِمْ مَـا شِـئْتَ لَـنْ تبلُـغَ العُشْـرَا

فَكَمْ لَهُـمُ فِـي الأرْضِ مِـنْ آيَـةٍ تُـرَى ... وَكَـمْ لَهُـم فِـي النَّـاسِ مِـنْ نِعْمَـةٍ تُتْـرَى

---

[1] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَةِ**" ق١،م٧٦٤/٢ .

[2] – انْظُرْ مَثَلاً :[الوافر] وَأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى أَنَّهُ ... لَتَخَافُكَ النُّطَفُ التي لَمْ تُخْلَقِ ... أَبُو نُوَاس"**دِيوَانُهُ**" ص١٨٥ .

[3] – انْظُرْ مَثَلاً :[البسيط] كَفَى بِجِسْمِي نُحُولا أَنَّنِي رَجُلٌ ... لولا مُخاطَبَتِي إيَّاكَ لَمْ تَرَنِي ... المُتَنَبِّي"**شَرْح دِيوَانه**" ٣١٩/٤ .

[4] – هُوَ : أَبُو القاسم **مُحَمَّدُ بنُ هانِئ الأزدي**،أَصله مِنْ بني المُهَلَّب ملوك إِفْرِيقْيَةَ،وانتقل أبوه إِلَى الأَنْدَلُسِ وسَكَن إِلْبِيرَةَ، فَوُلِدَ بِهَا مُحَمَّدٌ وبرع فِي الشِّعْرِ،وَكَانَ عِنْدَ الأَنْدَلُسِيِّينَ كالمُتَنَبِّي عِنْدَ أَهْلِ المشرق،وَكَانَ مُتَّهَمًا بالفَلْسَفَةِ يسلُكُ فِي أقواله وأشعاره مسلك المَعَرِّي كَمَا أَنَّهُ كَانَ شهيرَ الاستِهْتَارِ.وقف بشعره للوزير جَعْفَرِ بن علي الأَنْدَلُسِي ملك الزاب إِلَى أن كتب الخليفة المُعِزُّ بالقيروان أن يتوجه لحضرته، ففعل، وَفِي سَنَةَ ٣٦٢هـ قُتِل فِي برقة فِي مَشرَبَةٍ عَلَى صَبِيٍّ فقَدْ كَانَ مُغرمًا بحُبِّ الصبيان.ولَمَّا بلغ المُعِزَّ خبرُ موتِهِ أسف عَلَيْهِ أسفًا عظيمًا، وقال:هَذَا الذي كُنَّا نرجو أن نُفاخِرَ بِهِ شُعراء المشرق فلم يُقَدَّرْ لنَا ذلك. انظُرْ: ابن خَاقَان"**مَطْمَح الأَنْفُسِ**"ص٣٢٢ – ٣٣٢؛ الحُمَيْدِيّ"**جَذْوَة المُقْتَبِس**"١٥٦/١–١٥٧؛الضَبِّيّ"**بُغْيَة المُلْتَمِس**"١٨١/١–١٨٢؛ياقوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم الأُدَبَاءِ**"٩٢/١٩–١٠٥؛ابن دِحْيَةَ "**المُطْرِب**"ص١٩٢–١٩٥؛ ابن الأَبَّار"**التَّكْمِلَة**" ١٤٧/٤؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٩٧/٢–٩٩؛ "**رَايَات المُبَرِّزِين**"ص١٥٠–١٥٥؛ الذَّهَبِيّ "**سِيَر أَعْلامِ النُّبلاءِ**"٧٣/١٦؛ ابن الخَطِيب"**الإحَاطَة**"٢٨٨/٢–٢٩٢؛ المَقَّرِيّ"**نَفْحُ الطِّيب**"١٨٢/١؛ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**"٤١/٢– ٤٤ .

[5] – انْظُرْ مَثَلاً :[الرجز] مَا شِئتَ لا مَا شاءَتِ الأَقْدَارُ ... فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الوَاحِدُ القَهَّارُ ... ابن هَانِئ "**دِيوَانُهُ**" ص١٤٦ .

[6] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَةِ**" ق١،م٧٦٥/٢ .

فَالمُغَالاةُ وَاضِحَةٌ بِمَدْحِ قَوْمِ "مُوسَى"،وَتُؤَكِّدُ الأَبْيَاتُ اللاحِقَةُ أَنَّهُمُ اليَهُودُ،فيَكُونُ مُوسَى فِيهَا هُوَ النَّبِيُّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ.وَبعد مَدْحِ قومِ المَمْدُوحِ،يَمْدَحُ **المُنْفَتِلُ** اليَهُودِيَّ قَائِلا[1]: [الطويل]

أَجَــامِعَ شَــمْلِ المَجْــدِ وَهُــوَ مُشَــتَّتٌ   وَمُطْلِقَ شَخْصِ الجُودِ وَهُوَ مِنَ الأَسْرَى

فَضُــلْتَ كِـرَامَ النَّــاسِ شَـرْقًا وَمَغْرِبًــا   كَمَا فَضُلَ العِقْبَانُ بِالخَطَرِ القِطْرَا[2]

فَيَصِفُهُ بِأَنَّهُ جَمَعَ شَمْلَ المَجْدِ بَعْدَ أَنْ تَشَتَّتَ،وقَدْ يُفهمُ مِنْ هَذَا أَنَّ المُسْلِمِينَ هُمُ الذين شَتَّتُوا المَجْدَ هُنَاكَ،وَأَنَّ هَذَا اليَهُودِيَّ هُوَ الذي جَمَعَهُ.وَهَذَا جَعَلَ الشَّاعِرَ يَعُدُّهُ أَفْضَلَ النَّاسِ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَكَأَنَّ العَالَمَ العَرَبِيَّ وَالإِسْلامِيَّ خَلا مِنْ أَمْثَالِ هَذَا اليَهُودِيِّ،فَفَضَّلَه عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ،وَلا أَسْتَطِيعُ تَحْدِيدَ مَاذَا قَصَدَ الشَّاعِرُ بِكِرَامِ النَّاسِ شَرْقًا وَغَرْبًا الذينَ فَضَلَهُمْ هَذَا اليَهُودِيُّ؟ وَأَيَّ زَمَنٍ يَقْصِدُ،وَعَنْ أَيِّ قَوْمٍ يَتَحَدَّثُ؟وَهَلْ يَنْدَرِجُ الأَنْبِيَاءُ وَالمُرْسَلُونَ تَحْتَ هَذِهِ المُوَازَنَةِ مَثَلاً؟ فَإِنْ وَسَّعْتُ القَتْرَةَ التَّارِيخِيَّةَ،سَتَأْتِي المُقَارَنَةُ بِغُلُوٍّ قَبِيحٍ فِي الحَدِيثِ عَنْ غَيْرِ المُسْلِمِينَ،وَإِن وُجِدَ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ مَا فَاقَ هَذِهِ المُبَالَغَةِ فِي مَدْحِ بَعْضِ المُسْلِمِينَ.وَأَتَوَقَّعُ أَنَّ هَذِهِ المُوَازَنَةَ هِيَ التِي دَفَعَتْ ابنَ بَسَّامٍ إِلَى الهُجُومِ عَلَيْهَا؛فَبَعْدَ أَنْ أَثْبَتَ ابنُ بَسَّامٍ الأَبْيَاتَ أَتْبَعَهَا بِقَوْلِهِ:"فَقَبَّحَ اللهُ هَذَا مَكْسَبًا،وَأَبْعَدَ مِنْ مَذْهَبِهِ مَذْهَبًا،تَعَلَّقَ بِهِ سَبَبًا؛فَمَا أَدْرِي مِنْ أَيِّ شُؤُونِ هَذَا المُدِلِّ بِذَنْبِهِ،المُجْتَرِئِ عَلَى رَبِّهِ، أَعْجَبُ:أَلِتَفْضِيلِ هَذَا اليَهُودِيِّ المَأْفُونِ عَلَى الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ،أَمْ خَلْعِهِ إِلَيْهِ الدُّنْيَا وَالدِّينَ؟ حَشَرَهُ اللهُ تَحْتَ لِوَائِهِ،وَلا أَدْخَلَهُ الجَنَّةَ إلا بِفَضْلِ اعْتِنَائِهِ"[3].ولا يُسْتَغْرَبُ هَذَا الهُجُومُ مِنَ ابنِ بَسَّامٍ عَلَى **المُنْفَتِلِ** فَقَدْ ظَهَرَتِ المُغَالاةُ عندَهُ أَكْثَرَ فِي قَوْلِهِ[4]:[الطويل]

وَلَـوْ فَرَّقُـوا بَـيْنَ الضَّـلالَةِ وَالهُـدَى   لَمَــا قَبَّلُــوا إلا أَنَامِلَــكَ العَشْــرَا

وَلاسْــتَلَمُوا كَفَّيْــكَ كَــالرُّكْنِ زُلْفَــةً   فَيُمْنَــاكَ لليُمْنــى وَيُسْـرَاكَ لِلْيُسْـرَى

وَلَمْ يَكُنْ غرَيبًا فِي الأَدَبِ العَرَبِيِّ تَقْبِيلُ يَدِ المَمْدُوحِ عِرْفَانًا بِفَضْلِهِ،وَوُجِدَ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ مَنْ شَبَّهَ تَقْبِيلَ رَاحَةِ المَمْدُوحِ بِتَقْبِيلِ الرُّكْنِ مِنَ الكَعْبَةِ[5]،وباسْتِلامِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ،فَكَانَ الشَّاعِرُ مُقَلِّدًا فِيهِ.لكِنَّ ذَاكَ قِيلَ فِي غَيْرِ اليَهُودِ،أَمَّا أَنْ يَأْتِيَ بِحَقِّ وَاحِدٍ مِنَ اليَهُودِ،فهُنَا الغَرَابَةُ.

وَتَزْدَادُ الغَرَابَةُ وَتَرْتَفِعُ دَرَجَةُ الغُلُوِّ حِينَ يَعْمَلُ المُنْفَتِلُ مُفَارَقَةً بَيْنَ الضَّلالَةِ وَالهُدَى فَيَجِدُ أَنَّ مَمْدُوحَهُ اليَهُودِيَّ يُمثِّلُ الهُدَى خَيْرَ تَمْثِيلٍ.وَأَتَسَاءَلُ كَيْفَ يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ المَمْدُوحُ يَهُودِيًّا وَفِي

---

[1] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٦٥ .

[2] – القَطْرُ: المَطَرُ .   ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [قطر] ٥/١٠٥ .

العِقْبَانُ:جمع عِقَّبَانٌ وَهُوَ الرَّجُلُ الغَلِيظُ .   ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [عقب] ١/٦٢٣ .

يَقْصِدُ أَنَّ الرَّجُلَ الغَلِيظَ الشُّجَاعَ يَوْمَ الخَطَرِ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ المَاءِ المُنْهَمِرِ الذي تَتَمَنَّاهُ العَرَبُ وَتَطْلُبُهُ دَوْمًا.

[3] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٦٥.

[4] – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

[5] – قَالَ أَبُو نُوَاس مَثَلاً فِي مَدْحِ الأَمِينَ:[البسيط]

يَا نَاقُ لا تَسْأَمِي أَوْ تَبْلُغِي رَجُلاً   تَقْبِيلُ رَاحَتِهِ وَالرُّكْنِ سِيَّانِ   أَبُو نُوَاس "**دِيوَانُهُ**" ص٢٢٥ .

الوَقْتِ نَفْسِهِ مَهْدِيًّا؟وَكَيْفَ يَجْرُؤُ الشَّاعِرُ عَلَى القَوْلِ إِنَّ مَمْدُوحَهُ يَسْتَحِقُّ التَّبْجِيلَ الذِي تَسْتَحِقُّهُ الكَعْبَةُ مِنَ المُؤْمِنِين؟ وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ أَنْ تُقَبَّلَ أنامِلُهُ كُلُّهَا اعْتِرَافًا بِهِدَايَتِه وَبُعْدِهِ عَنِ الضَّلالَةِ عِلْمًا أَنَّه لَمْ يَقَعْ بَيْنَ يَدَيَّ مَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّ أَحَدَ وَزِيرِيْ بَادِيسَ أَوْ كِلَيْهِمَا قَدْ أَسْلَمَ أَوِ ادَّعَى الإِسْلامَ،وَكُلُّ مَنْ كَتَبَ عَنْهُمَا كَانَ يَصِفُ اسْمَهُمَا أَوْ مِهنَتَهُمَا بِكَلِمَةِ اليَهُودِيِّ،حَتَّى إِنَّ الأَمِيرَ عَبْدَ اللهِ فِي مُذَكِّرَاتِهُ التِي تَحَدَّثَ فِيهَا بِاسْتِفَاضَةٍ عَنْ تِلْكَ الفَتْرَةِ التِي تَأَلَّقَ فِيهَا نَجْمُ هَذَا الوَزِيرِ يَوْمَ كَانَتْ لَهُ الكَلِمَةُ المَسْمُوعَةُ عِنْدَ جَدِّه بَادِيسَ إِلَى أَنْ تَمَّ قتله،لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ الأَوَّلِ مِنْهُمَا فِي المُذَكِّرَاتِ وَلا اسْمَ ابْنِهِ،وَغالبًا مَا كَانَ يَقُولُ "اليَهُودِيّ" أَوِ "اليَهُودِيَّ اللعينَ"[1]،وَهَذَا يُؤَكِّدُ أَنَّ أَيًّا مِنْهُمَا لَمْ يُسْلِمْ،بَلْ بَقِيَا عَلَى يَهُودِيَّتِهِمَا، وَهَذَا يُرْجِعُنِي إِلَى سُؤَالٍ وَهُوَ:كَيْفَ تَجَرَّأَ عَلَى نِسْبَةِ الهِدَايَةِ لِهَذَا اليَهُودِيِّ وَسْطَ بِيئَةٍ إِسْلامِيَّةٍ ؟وَلا يَكْتَفِي **المُنْفَتِلُ** بِهَذَا بَلْ يُضِيفُ مَا يَزِيدُ الأَمْرَ غَرَابَةً،فِي قَوْلِهِ[2]: [الطويل]

وَقَـدْ فُـزْتُ بِالـدُّنْيا وَنِلْـتُ بِـكَ المُنَـى — وَأَطْمَعُ أَنْ أَلْقَى بِكَ الفَوْزَ فِي الأُخْرَى

وَهُنَا يَظْهَرُ فِعْلاً الغُلُوُّ الذي أَزْعَجَ ابنَ بَسَّامٍ،وَلا أَجِدُ تَفْسِيرًا مُنَاسِبًا لِهَذِهِ الأُمْنِيَةِ عِنْدَ الشَّاعِرِ، فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا اليَهُودِيُّ طَرِيقَ الفَوْزِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.وَحَتَّى إِنْ قُبِلَ قَوْلُهُ فِي الدُّنْيَا،فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا "اليَهُودِيُّ الكافرُ"طَرِيقَ الفَوْزِ فِي الآخِرَةِ،فَقَدْ وَصَلَتِ المُبَالَغَةُ هُنَا أَقْصَى حَدٍّ مُمْكِنٍ لَهَا،وَلا مَثِيلَ لَهَا فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ مَهْمَا تَمَيَّزَ هَذَا المَمْدُوحُ اليَهُودِيُّ الذِي قِيلَتْ فِيهِ.

وَأَشارَ هِنْرِي بيرِسْ إِلَى أَنَّ ناسِخَ مَخْطُوطَةِ "الذَّخِيرَة" المَوْجُودَةِ فِي بارِيس كَانَ يُصرِّح أَنَّهُ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ يُكْتَبَ أمامَ هَذَا البَيْتِ:"أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ"[3]،مُسْتَنْكِرًا الشَّطَطَ وَالغُلُوَّ الواضِحَ.وَلولا أَنَّ هَذَا الكَلامَ شعرٌ،وَلِلشُّعَرَاءِ فِي نَظْمِهِمْ شَطَحَاتٌ وَجُنُونٌ لَقُلْتُ إِنَّ هَذَا البَيْت دليلٌ وَاضِحٌ عَلَى اعْتِنَاقِهِ اليَهُودِية،فَلا يَصِلُ للفَوْزِ فِي الآخِرَةِ بِيَهُودِيٍّ إِلا إِنْ كَانَ عَلَى دِينِهِ.إِلاَّ أَنَّ الحُكمَ فِي أَمْرِ الدِّين لا يُؤْخَذُ بِمِثْلِ هَذَا الكَلامِ،وَلا يَتَأَتَّى بِتَحْلِيلِ بَيْتٍ شِعْرِيٍّ فَقَطْ.

٣- اعْتِنَاقُ المُنْفَتِلِ اليَهُودِيَّةَ :

وَلَمْ تَقِفِ المُبَالَغَةُ وَالغُلُوُّ عِنْدَ هَذَا الحَدِّ فِي شِعْرِ **المُنْفَتِلِ**،بَلْ أَعْلَنَ أَنَّهُ غَيَّرَ دِينَهُ فِعْلاً لِيُصْبِحَ عَلَى دِينِ مَمْدُوحِهِ اليَهُودِيِّ فِي قَوْلِهِ[4]: [الطويل]

أَدِيــنُ بِــدِينِ السَّــبْتِ جَهْـرًا لَــدَيْكُمُ — وَإِنْ كُنْـتُ فِـي قَـومِي أَدِيـنُ بِـهِ سِـرًّا

وَقَـدْ كَـانَ مُوسَـى خَائِفًـا مُتَرَقِّبًـا — فَقِيــرًا وَأَمَّنْــتَ المَخَافَــةَ وَالفَقْــرَا

---

[1] – انْظُرْ : الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص٣١ – ٦٠ .

[2] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٦٥ .

[3] – هنري بيرِسْ "**الشِّعْر الأَنْدَلُسِيّ فِي عَصْرِ الطَّوائِف**" ص٢٤٤ .

[4] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٦٥ .

وَلا يمكِنُ الجَزْمُ إِنْ كَانَ الشَّاعِرُ قَدْ تَحَوَّلَ فِعْلاً عَنْ دِينِه إِلَى اليَهُودِيَّةِ،أَمْ أَنَّ هَذَا الكَلامَ مُجَرَّدُ خَيَالٍ شِعْرِيٍّ عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ الشُّعَرَاءَ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ،وفِي البَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ إِشَارَةٌ وَتَلْمِيحٌ إِلَى هَذَا.وَلَمْ تُسْعِفْنِي المَصَادِرُ للبَتِّ فِي هَذَا وَسَتَبْقَى المَصَادِرُ مُقَصِّرَةً فِيهِ إِلَى أَنْ يأْتِيَ فِي هَذَا الشَّأْنِ جَدِيدٌ سَوَاءٌ فِي المَصَادِرِ التِي لَمْ تصِلْ إِلَيْنَا بَعْدُ،أَوِ التِي لَمْ أصِلْ إِلَيْهَا إِلَى الآن.

وَأَسْتَبْعِدُ القَوْلَ بِأَنَّ الشَّاعِرَ هُنَا اعْتَقَدَ أَنَّ هَذَا اليَهُودِيَّ اعْتَنَقَ الإِسْلامَ وَحَسُنَ إِسْلامُهُ مَثَلاً، وَلا تَحْمِلُ الأَبْيَاتُ غُلُوًّا أَوِ اسْتِهْجَانًا.سَأَسْتَبْعِدُ هَذَا القَوْلَ لأَنَّ الشَّاعِرَ نَفْسَه أَعْلَنَ عَلَى المَلأ مَا لا تَسْتَطِيعُ كُتُبُ التَّارِيخِ أَوِ الأَدَبِ أَنْ تَدْخُلَ فِي مَتَاهَاتٍ فِيهِ بِقَوْلِهِ:"أَدِينُ بدِينِ السَّبْتِ جَهْرًا لَدَيْكُمُ" فَفِي هَذَا جَزْمٌ مِنَ الشَّاعِرِ نَفْسِهِ بِأَنَّ دِينَ المَمْدُوحِ الذي يَدِينُ بِهِ الشَّاعِرُ هُوَ "دِينُ أَصْحَابِ السَّبْتِ" وَهم اليَهُودُ بلا أَدْنَى رَيْبٍ،لِذَا قَالَ بَعْضُ الدَّارِسِينَ إِنَّ الشَّاعِرَ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى اليَهُودِيَّةِ وَأَنَّهُ كَانَ يَكْتُمُ وَيُخْفِي هَذَا التَّحَوُّلَ،لكَنَّهُ لَمْ يَعُدْ خَائِفًا،فَقَدْ أَعطاهُ مَمْدُوحُهُ مِنَ الأَمَانِ مَا لَمْ يَحْصُلْ عَلَيْهِ النَّبِيُّ مُوسَى أمامَ أَعْدَائِهِ لِشِدَّةِ نُفُوذِ وَسَطْوَةِ هَذَا الوَزِيرِ الذي كَانَ فِي حِمَايَتِهِ.فَاحْتَوَتِ الأَبْيَاتُ مُبَالغَةً لا حُدُودَ لَهَا،سَوَاءٌ اعْتَنَقَ المُنْفَتِلُ اليَهُودِيَّةَ سِرًّا كَمَا يَرَى هِنْرِي بيرِسْ[1] دُونَ أيِّ تَوْضِيحٍ وَمُعْتَمِدًا عَلَى الأَبْيَاتِ المَذْكُورَةِ،أَمْ لَمْ يَدِنْ بِدِينِهِم بَلْ مَجَّدَهم وَتَحَدَّثَ عَنْ فَضَائِلِهِمْ فَحَسْبُ.

حِينَ يُذْكَرُ دِينُ المَمْدُوحِ اليَهُودِيِّ فِي الشِّعْرِ،يَكُونُ الحَدِيثُ عَنْهُ بصِفَةٍ عَامَّةٍ دُونَ دُخُولٍ فِي تَفَاصِيلِ هَذَا الدِّينِ.فَصَرَّحَ المُنْفَتِلُ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ بِحُبِّهِ لدِينِ اليَهُودِ بَعْدَ أَنْ أَخْفَاهُ مُدَّةً وَهُوَ بَيْنَ قَوْمِهِ.لكَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِي تَفَاصِيلِ هَذَا الدِّين،وَفِي طُقُوسِهِ؛فَلا يَظْهَرُ فِي شِعْرِهِ وَلا فِي شِعْرِ غَيْرِهِ شَيْءٌ عَنْ صَلاتِهِمْ أَوْ دُعَائِهِم أَوْ طُقُوسِهِمْ أَوْ تَرَاتِيلِهِم أَوْ التَّعَالِيمِ الخَاصَّةِ بِدِينِهِمْ.وَأَرَى أَنَّ المُنْفَتِلَ فِي اعْتِنَاقِهِ لِدِينِهِم لَمْ يَعْتَنِقْهُ مَحَبَّةً لِهَذَا الدِّينِ،لكَنَّهُ أَحَبَّهُ لِمَحَبَّتِهِ لِلمَمْدُوحِ.فَلَمْ يَظْهَرْ فِي شِعْرِهِ مَا يُشِيرُ إِلَى مُعْتَقَدَاتٍ يَهُودِيَّةٍ أَعْجَبَتْهُ لإِعْجَابِهِ بِمَمْدُوحِهِ وَهُوَ يُؤَدِّيهَا مَثَلاً.وَلَمْ يَذْكُرِ المُنْفَتِلُ مِنْ دِينِهِمْ إلا عُمُومِيَّةً وَاحِدَةً هِيَ دِينُ السَّبْتِ، وَلَمْ يَلْجَأْ لِتَوْضِيحٍ آخَرَ لِهَذَا الدِّينِ.

وَإِنْ تَرَكْتُ البَحْثَ فِي قَضِيَّةِ تَغْيِيرِ دِينِ **المُنْفَتِلِ** فِي الأَبْيَاتِ تَبْقَى المُغَالاةُ غَيرُ المُتَوَقَّعَةِ حِينَ أَجْرَى الشَّاعِرُ مُقَارَنَةً بَيْن صُورَتَيْنِ:صُورَةِ النَّبِيِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ فَقِيرٌ مُحْتَاجٌ خَائِفٌ يَتَرَقَّبُ مَعَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ،وَتَحْتَ رِعَايَةِ اللهِ،وَمُؤَيَّدٌ مِنَ اللهِ،وَهُوَ كَلِيمُ اللهِ وَيَعْرِفُ أَنَّ اللهَ مَعَهُ، تُقَابِلُهَا صُورَةُ الشَّاعِرِ فِي البَيْتِ الأَخِيرِ وَاثِقًا مِنْ مَمْدُوحِهِ اليَهُودِيِّ آمِنًا فِي حِمَاهُ،وَقَدْ أَغْنَاهُ وَأَزَالَ عَنْهُ الفَقْرَ وَالخَوْفَ،فَتَكُونُ النَّتِيجَةُ أَنَّ حَالَ الشَّاعِرِ تَحْتَ رِعَايَةِ مَمْدُوحِهِ اليَهُودِيِّ أَفْضَلُ مِنْ حَالِ النَّبِيِّ مُوسَى تَحْتَ عِنَايَةِ رَبِّهِ.وَفِي هَذَا الكَلامِ مُغَالاةٌ وَجُرْأَةٌ مَا قَرَأْتُ مِثْلَهَا فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ خَاصَّةً فِي الحَدِيثِ عَنْ اليَهُودِ مَهْمَا كَانَتْ مَكَانَتُهُمُ الاجْتِمَاعِيَّةُ أَوِ السِّيَاسِيَّةُ.

---

[1] – انْظُرْ: هنرِي بيرِسْ "**الشِّعْر الأَنْدَلُسِيّ فِي عَصْرِ الطَّوائِفِ**" ص ٢٤٤ .

وَستَزِيدُ الغَرَابَةُ إِنْ صَدَّقْنَا أَنَّ هَذِهِ الأَبْيَاتِ قِيلَتْ فِعْلاً فِي مَقْتَلِ اليَهُودِيِّ يُوسُفَ بنِ إِسْمَاعِيلَ ابنِ نَغْرِيلَّةَ كَمَا ذَكَرَ إِحْسَان عَبَّاس حِيَ علَّقَ عَلَيْهَا فِي الحَاشِيَةِ.فكَيْفَ يَلْجَأُ الشَّاعِرُ إِلَى هَذِهِ المُبَالَغَاتِ وَيَتَجَرَّأُ عَلَى الدِّينِ فِي وَقْتٍ كَانَ المَمْدُوحُ فِيهِ مَقْتُولاً وَأَتْبَاعُهُ مُلاحَقُونَ،وَمَذْبَحَةٌ عَظِيمَةٌ رَافَقَتْ مَقْتَلَهُ. ألم يَخَفِ الشَّاعِرُ عَلَى نفْسِهِ مِنَ المُنْتَقِمِينَ وَالثَّائِرِينَ؟!

الاتِّجَاهُ الثَّانِي: **أَثَرُ اليَهُودِ فِي مَدْحِ الشُّعَرَاءِ لِرِجَالاتِ الأَنْدَلُسِ**

رُغْمَ كَثْرَةِ مَدْحِ الشُّعَرَاءِ لِرِجَالاتِ الأَنْدَلُسِ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ وَرُغْمَ طُولِ قَصَائِدِ المَدْحِ إلا أَنَّ أَثَرَ اليَهُودِ فِيهِ قَلِيلٌ جِدًّا؛فَمَعْرَكَةُ المَمْدُوحِ التِي تَمَّتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهَا فِي شِعْرِ المَدْحِ مَعْرَكَةٌ أَمَامَ الصَّلِيبِ وَالنَّاقُوسِ،وفِيهَا كَثِيرٌ مِمَّا لَهُ دِلالَةٌ عَلَى دِينِ النَّصَارَى.وَلَمْ يَكُونُوا اليَهُودَ،حَتَّى وَإِنْ كَانَ قِسْمٌ مِنْهُمْ يُقَاتِلُ مَعَ النَّصَارَى،فَعَلَى أَرْضِ الوَاقِعِ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ حَرْبٌ مُعْلَنَةٌ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَاليَهُودِ، وَلَمْ تَتَجَمَّعِ اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ فِي جُيُوشٍ مِنَ المُقَاتِلِينَ اليَهُودِ لِحَرْبِ المُسْلِمِينَ فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنْ بلادِ الأَنْدَلُسِ،وَلَمْ يكُنْ لَهَا أَيُّ تَجَمُّعٍ دِينِيٍّ سِياسِيٍّ يقَاتِلُ المَمْدُوحِينَ،بَلْ كَانُوا طَوْعًا فِي أَيْدِي المُلُوكِ العَرَبِ وَذَوِي السُّلْطَةِ يُسَاعِدُونَهُم وَيُنَفِّذُونَ مَا يُرِيدُونَ،إلى أَنْ وَصلتِ الحَالُ أَنْ أَصْبَحَ المُلُوكُ أَنْفُسُهُم لُعْبَةً بِأَيْدِيهِمْ يُحَرِّكُونَهَا بِسِيَاسَةٍ وَدَهَاءٍ كَمَا حَصَلَ مَعَ بَادِيسَ ووَزِيرِهِ ابْن نَغْرِيلَّةَ،إِلا أَنَّ غَالِبِيَّتَهُمْ كَانُوا رَعَايَا آمِنِينَ فِي دَوْلَةِ الإِسْلامِ.

وَبِهَذَا لَمْ يَكُنْ لِليَهُودِ أَثَرٌ وَاضِحٌ فِي المَدْحِ إِنْ كَانَ المَمْدُوحُ مُسْلِمًا،لَكِنْ لَمْ يَخْتَفِ أَثَرُهُم نِهَائِيًّا؛ فَكَانَ أَعْدَاءُ المَمْدُوحِ كَاليَهُودِ حِينَ مَدَحَ ابنُ عَمَّارٍ(ت:٤٧٩هـ)(١) المُعْتَضِدَ بِاللهِ(ت:٤٦٤هـ)(٢) بَعْدَ نِزَاعِهِ مَعَ بَادِيسَ حَوْلَ قَرَمُونَةَ(٣)،قَالَ ابنُ **عَمَّارٍ**(٤):[الطويل]

يَهُودًا وَكَانَتْ بَرْبَرًا فَانْتَضِ(٥) الظُّبَا ... وَأَنْبِئْهُمُ مِنْهَا بِأَلسِنَةٍ لُدِّ(٦)

---

١ – هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو **بكر مُحَمَّدُ بن عمار**،أصله مِنْ شِلْب،عمل عِنْدَ المُعْتَضِد واختلف معه فنفاه،وَلَمَّا ولي المُعْتَمِدُ بعده قربه إِلَيْهِ كَثِيرًا. وولاه عَلَى شِلْب،ثُمَّ مُرْسِيَة، فَسَوَّلَتْ لَهُ نفسُهُ الانفراد بِهَا،ثُمَّ فَرَّ إِلَى المُؤْتَمِنِ بن هُودٍ فِي سَرَقُسْطَةَ،ووجه إِلَيْهِ المُعْتَمِدُ يُمَنِّيهِ،فرجعَ إِلَيْهِ، فسجنه ثُمَّ قتله عام ٤٧٩هـ،له ديوان شعر. انْظُرْ: ابن خَاقَان"**قَلائِد العِقْيان**" ق٢،ج٢٥٣/١ – ٢٨٨؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م٣٦٨/١–٤٣٣ .ابْن دِحْيَةَ "**المُطْرِب**"ص١٦٩؛ عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص١١١– ١٢٩؛ ابن الأَبَّار"**الحُلَّة السِّيَراء**" ١٣١/٢؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٤٢٥/٤–٤٢٩؛ابن سَعِيد "**رَايَات المُبَرِّزِين**"٨٦– ٨٩؛ ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلام**"ص١٥٩– ١٦٢ .

٢ – هُو :أبو عمرو المتلقب **بِالمُعْتَضِد بِاللهِ**؛ والده أَبُو القاسم مُحَمَّدٌ بنُ إِسْمَاعِيلَ بن عبَّاد ثاني أمراء بَنِي عَبَّادٍ،وَلاهُ أَهلُ إِشْبِيلِيَةَ أمرَهم بعد أن انتهى حكم القَاطِمِيِّينَ فِيهَا(٤٣٩–٤٦٤هـ)،ودانت لَهُ المُلُوكُ مِنْ جميع أقطار الأَنْدَلُسِ،وعهد بالحكم بعده إِلَى ابنه المُعْتَمِد، واختلف فِي سبب وفاته.
انْظُرْ: ابْن دِحْيَةَ"**المُطْرِب**"ص١٢ – ١٣؛ عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص ٩٥– ١٠١ .

٣ – **قَرَمُونَة**: مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ بِالأَنْدَلُسِ شرقي إِشْبِيلْيَةَ . انْظُرْ: الحِمْيَرِيّ "**الرَّوْض المِعْطَار**" ص٤٦١؛ .

٤ – ابن خَاقَان"**قَلائِد العِقْيان**" ق٢،ج٢٦٣/١ .

٥ – انْتَضى السيف: استخرجه مِنْ غِمْدِه. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [نضا] ٣٣٠/١٥ .

٦ – ألسنة لُدد أَوْ لُدّ: شديدة الخصومة. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [لدد] ٣٩١/٣ .

وَأقِفُ هُنَا عِنْدَ تَحْليلٍ لهِنْري بيرسْ فِيهِ بَعْضُ الغَرَابَةِ،حَيْثُ عَقَّبَ عَلَى البَيْتِ السَّابِقِ بِقَوْلِهِ: "رُبَّمَا كَانَتْ هُنَاكَ صِلاتٌ أُسْرِيَّةٌ بَيْنَ بَادِيسَ بنِ حَبُّوسَ الذِي حَكَمَ غَرْنَاطَةَ وَوَزِيرِهِ اليَهُودِيِّ ابنِ نَغْرِيلَّةَ،وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ النِّسَاءِ اليَهُودِيات:أخوات صَمُوئِيل [يقصدُ إسْمَاعِيل ابنَ نَغْرِيلَّة]،أو بَنَاتِ عَمِّهِ، أو بَنَاتِهِ،كُنَّ يُكَوِّنَّ جَانِبًا مِنْ حَرِيمِ بَادِيسَ،لا عَشِيقَاتٌ،وَإنَّمَا زَوْجَاتٌ شَرْعِيَّاتٌ،وَهُوَ مَا يُفَسِّرُ لَنَا مِنْ أَيِّ سَبَبٍ آخَرَ القُوَّةَ التِي وَصَلَ إلَيْهَا،فَعَنْ طَرِيقِ هَذِهِ الصِّلَةِ الأُسْرِيَّةِ سَيْطَرَ عَلَى عَائِلَةِ الأَمِيرِ الحَاكِمِ، وَبالتَّالِي يُمْكِنُ اعْتِبَارُهُ سَيِّدًا مِنْ بَرْبَرِ المَمْلَكَةِ،وَأنْ يَسْخُوَ عَلَى أَهْلِهِ،وَلَمْ يَتَرَدَّدْ هَؤُلاءِ فِي أَنْ يَرْتَفِعُوا بِهِ إِلَى مَرْتَبَةِ عَاهِلِ غَرْنَاطَةَ الحَقِيقِيِّ"[١].وَأَرَى هَذَا مِنْ أَغْرَبِ مَا قَرَأْتُ حَوْلَ عَلاقَةِ هَذَا الوَزِيرِ بِمُلُوكِ غَرْنَاطَةَ،وَلَمْ أَجِدْ فِي المَصَادِرِ مَا يُؤَيِّدُه،وَلا أَدْرِي مِنْ أَيْنَ جاءَ بيرسْ بِهَذَا التَّوَقُّعِ، إِلى دَرَجَةِ التَّأْكِيدِ أَنَّ أولاءِ النِّسْوَةَ كُنَّ زَوْجَاتٍ شَرْعِيَّاتٍ،وَلَمْ يَكُنَّ بِزَعْمِهِ حَتَّى عَشِيقَات،بَيْنَمَا لَمْ تَتَعَرَّضْ لَهُ الكُتُبُ القَدِيمَةُ التِي تَحَدَّثَتْ عَنِ ابنِ نَغْرِيلَّةَ؛فَقَدْ كَانَ يُذْكَرُ فِيهَا كَاتِبًا تَرَقَّى بِعَمَلِهِ وَبِحِيَلِهِ وَبِدَهَائِهِ وَبِضَعْفِ شَخْصِيَّاتٍ مَنْ حَوْلَهُ إِلَى المَكَانَةِ التِي لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا حَتَّى العَرَبُ المُحِيطُون.وَأَقْرَبُ المَصَادِرِ التِي كَتَبَتْ عَنْ تِلْكَ الأُسْرَةِ كِتَابُ "التِّبْيَان" الذي كَتَبَهُ حَفِيدُ بَادِيسَ،وَفِي الكِتَابِ إِشَارَةٌ إِلَى سَبَبِ قُرْبِ هَذَا الوَزِيرِ مِنْ بَادِيسَ لَيْسَ فَقَطْ كفاءةُ هَذَا اليَهُودِيِّ،بَلِ اعْتِبَارَاتٌ سِيَاسِيَّةٌ كَثِيرةٌ[٢]، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهَا أَبَدًا أَيُّ ذِكْرٍ لِعَلاقَةٍ أُسْرِيَّةٍ أَوْ قَرَابَةٍ عائِلِيَّةٍ مِنْ هَذِهِ الأُسْرَةِ الحَاكِمَةِ أَبَدًا.

وَلَمْ أجِدْ فِيمَا قَرَأْتُ مَا يُشِيرُ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ إِلَى أَنَّ عائِلَةَ بَادِيسَ احْتَوَتْ فِي حَرِيمِهَا قَرِيبَةً مِنْ أَقَارِبِ ابنِ نَغْرِيلَّةَ كَانَتْ سَبَبًا لِتَقْرِيبِه؛فَفِي مُذَكِّرَاتِ الأَمِيرِ عَبْدِ اللهِ تَأْكِيدٌ عَلى أَنَّ النِّسَاءَ فِي قَصْرِ بَادِيسَ لَمْ يَكُنَّ عَامِلَ تَقْرِيبٍ وَمُصَاهَرَةٍ،بَلْ عَلَى العَكْسِ،ظَهَرَتْ مِنْهُنَّ عَدَاوةٌ وَاضِحَةٌ لِهَذَا اليَهُودِيِّ فَكُنَّ يَمْنَعْنَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ وَالدَ كَاتِبِ المُذَكِّرَاتِ مَثَلاً مِنَ الاقْتِرَابِ مِنْهُ،وَقَدْ تَرَدَّدَ القَوْلُ بِعَدَاوَةِ النِّسَاءِ لَهُ فِي مَوَاقِعَ عَدِيدَةٍ فِي المُذَكِّرَاتِ كَانَ مِنْهَا قَوْلُهُ:"وَمِمَّا أَعَانَ عَلَى الفَسَادِ قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّ أبَانَا كَانَ مَعَ **أمَّهاتِه**،اللائِي رَبَّيْنَ وَلَدَهُ المُعِزَّ أَخَانَا،عَلَى ضِدٍّ مِنَ الأَمْنِ؛ لإِفْرَاغِهِنَّ المَالَ عَلَى ابْنِهِ طِفْلاً صَغِيرًا وَمَنْعِهِ هُوَ مِنْهُ.فَاحْتَاجَ إِلَى اليَهُودِيِّ عَنِ المَالِ.وَكَانَ **أُمَّهاتُهُ يُطَالِبْنَهُ وَيمنَعْنَهُ عَنْ صُحْبَةِ اليَهُودِيِّ**،حَتَّى شَعَرَ بِذَلِكَ"[٣].فَالنِّسَاءُ فِي القِصَّةِ المَذْكُورَةِ كُنَّ سَبَبَ بَلاءٍ لِهَذَا اليَهُودِيِّ، وَلَمْ يكُنْ بينَهُنَّ مَنْ أعانَتْهُ للوُصُولِ أوِ الاقْتِرَابِ.بَلْ عَلَى العَكْسِ تَمَامًا فإنَّ مَعَارِكَ النِّسَاءِ حَوْلَ تَنْشِئَةِ وَلِيِّ العَهْدِ المُنْتَظَرِ كَانَتْ سَبَبًا مِنَ الأسْبَابِ التِي دَعَتْ ذاكَ الوَزِيرَ اليَهُودِيَّ إِلَى مُشَاوَرَةِ الخَواصِّ مِنَ اليَهُودِ فِي أَمْرِه،فَقِيل:"إنَّ الخِنْزِيرَ- لَعَنَهُ اللهُ- لَمَّا رَأَى **طُغْيَانَ النِّسَاءِ**،وَكُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُنَّ تُرِيدُ وِلايَةَ مَنْ تُرَبِّيهِ مِنْ أَبْنَاءِ السُّلْطَانِ،وَرَأَى تَغَيُّرَ مَوْلاهُ عَلَيْهِ .... فَلَمْ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مَهْرَبًا،

---

١ – هنري بيرسْ "**الشِّعْر الأَنْدَلُسِيّ فِي عَصْرِ الطَّوائِفِ**" ص٢٤٣

٢ – الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص٣١٠ – ٣٢ .

٣ – نَفْسُهُ ص٤١ .

وَلا وَجَدَ إِلَى التَّخَلُّصِ سَبِيلاً،وَشَاوَرَ فِي ذَلِكَ مَشْيَخَتَهُ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ فَاتَّفَقَ رَأْيُهُم عَلَى مُخَاطَبَةِ ابنِ صُمَادِح،وَأَنَّهُ الأَوْلَى لِجِيرَتِهِ وَقُرْبِهِ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيهِ"[١] .

وَلَمْ تَكُن العَدَاوَةُ مُجَرَّدَ تَحْلِيلٍ قام بِهِ هَذَا الأَمِيرُ الحفيدُ أَوْ أَوْحَتْ إِلَيْهِ مَنْ ربَّتْهُ مِنَ النِّسَاءِ، فقَدْ جَاءَ فِي المُذَكَّرَاتِ قَوْلٌ لَهُ حِينَ قُدِّمَتْ لَهُ نَصِيحَةٌ بِأَنْ يُصَايِرَ الأُمُورَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ المُظَفَّرُ، لاسِيَّما أَنَّهُ قَدْ أَسَنَّ،وَيُلْقِي يَدَهُ فِي حَفِيدِهِ المُعِزِّ،فتَبْقَى حالُهُ مَعَهُ حَسْبَ مَا كَانَتْ مَعَ جَدِّهِ؛قَالَ اليَهُودِيُّ: "كُنْتُ أَفْعَلُ ذَلِكَ لَوْلا أَنَّ المُعِزَّ صَغِيرُ السِنِّ،**وَلَهُ أُمَّهَاتٌ وَطَبَقَاتٌ جَمَّةٌ مِنَ النِّسَاءِ وَالحَاشِيَةِ**. فَكَيْفَ نَرْجُو مَعَهُم الفَلاحَ؟وَالحَالُ إِذ ذَاكَ تَكُونُ عَلَيَّ أَشَدَّ لاخْتِلافِ أَهْوائِهِمْ"[٢]ففي هَذَا الكَلامِ إِشَارَةٌ إِلَى خُطُورَةِ وَصُعُوبَةِ وَضْعِ النِّسَاءِ أمام طُمُوحَاتِ هَذَا الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ.

وَفِي كُلِّ مَا ذَكَرْتُ لا يُوجَدُ أَيُّ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ هَذَا الوَزِيرَ كَانَتْ لَهُ صِلَةٌ بِالنِّسَاءِ حَوْلَ بَادِيسَ، كَمَا زَعَمَ هِنْرِي بِيرِسْ،وَلَوْ كَانَتْ وَاحِدَةٌ عَلَى عَلاقَةٍ بِهِ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ بِهِ لَظَهَرَ فِي المُذَكَّرَاتِ مَا يُؤَيِّدُ هَذَا أَوْ يُلَمِّحُ إِلَيْهِ.فَالأَمِيرُ الكاتِبُ واحدٌ مِنْ هَذِهِ الأُسْرَةِ،وتَحَدَّثَ عن خفايا الأُسْرَةِ بِصَرَاحَةٍ كَبِيرَةٍ،كَمَا أَنَّهُ تَوَسَّعَ كَثِيرًا فِي الحَدِيثِ عن هَذَا اليَهُودِيِّ،ولَوْ كَانَتْ لَهُ عَلاقَةٌ مَعَ نِسَاءِ القَصْرِ تَدْعَمُهُ لَذَكَرَهَا كَاتِبُ المُذَكَّرَاتِ وَلَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِهَا لِعَدَاوَتِهِ الشَّدِيدَةِ لِهَذَا الوَزِيرِ الَّتِي بَرَزَتْ فِي الألفاظِ القَبِيحَةِ الَّتِي كَانَ يَنْعَتُهُ بِهَا،فلَوْ كَانَتْ هُنَاكَ يَدٌ نِسَائِيَّةٌ فِي الأُسْرَةِ تُعِينُهُ أَوْ عَيْنٌ تُسَاعِدُهُ فِي غُرَفِ الحَرِيمِ فِي القَصْرِ لِيَبْلُغَ تِلْكَ المَكَانَةَ عِنْدَ بَادِيسَ لَكَانَ مِنَ الأَوْلَى أَنْ يَذْكُرَهَا هَذَا الأَمِيرُ مُسْتَهِينًا بِهَا، مُسْتَهْزِئًا بِمَكَانَتِهَا.وَأَرَى أَنَّ ابنَ عَمَّارٍ أَرَادَ تَشْبِيهَ أَعْدَاءِ مَمْدُوحِهِ مِنَ البَرَابِرَةِ مُلوكِ غَرْنَاطَةَ بِأَنَّهُم كَاليَهُودِ فِي عَدَاوَتِهِم لِلمُسْلِمِينَ لَيْسَ إِلا،فَفِي البَيْتِ تَشْبِيهٌ غَابَ عَنْ هِنْرِي بِيرِسْ حِينَ أَتَى بِادِّعَائِهِ الذي لا يَصْمُدُ طَوِيلاً أمامَ أَيِّ بَحْثٍ فِي حياةِ كُلٍّ مِنْ بَادِيسَ وَوَزِيرِهِ اليَهُودِيِّ،فَلَمْ يَرِدْ تَأْكِيدٌ لَهُ فِي الكُتُبِ التِي تَحَدَّثَتْ عَنْ تِلْكَ الفَتْرَةِ أَبَدًا،وَلَوْ كَانَ الأَمْرُ عَلَى تِلْكَ الحَالَةِ لَمَا غَفِلَتْ عَنْهُ تِلْكَ الكُتُبُ.

أَثَرُ اليَهُودِ فِي المَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ

قَدْ يُسْتَغَلُّ الشِّعْرُ الدِّينيُ فِي المَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ مَثَلاً لإِبْرَازِ صِرَاعٍ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَاليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ؛ فَيُفَرِّغُ الشَّاعِرُ فِيهِ جُزْءًا مِمَّا بِهِ تجاههم،وَيَتَأَتَّى هَذَا بِذِكْرِ تَارِيخِهِم الأَسْوَدِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَثَلاً،أَوِ التَّشَفِّي بِمَا حَصَلَ لَهُم حِينَ تَمَّتْ مُلاحَقَتُهُم وَطَرْدُهُمْ مِنَ المَدِينَةِ وَمَا حَوْلَها.إلا أَنَّنِي تَوَصَّلْتُ إِلَى عَكْسِ هَذا؛فمَا قِيلَ فِيهِم قَلِيلٌ وَلا يُشَكِّلُ أَثَرًا وَاضِحًا،وَلا يُوحِي أَبَدًا بِتَعَصُّبٍ ضِدَّهم.

وَوُجِدَ ذِكْرٌ مُبَاشِرٌ لِليَهُودِ مَقْرُونِينَ مَعَ النَّصَارَى فِي مَدِيحٍ نَبَوِيٍّ **لأَحَدِهِم**[٣]: [الوافر]

لَقَـدْ رَفَـعَ الإِلَــهُ عَـنِ البَرَايَــا	بِبَعْـثِ مُحَمَّـدٍ مِحَـنَ الصُّـرُوفِ
أَتَى وَالنَّاسُ فِي الآفَاقِ نَهْبٌ[٤]	لِسُمْرِ الخَـطِّ أَوْ بِـيضِ السُّـيُوفِ
فَأَنْقَــذَهُمْ وَلَــوْلاهُ لَكَــانُوا	لَقِـي بَيْنَ الضَّـلالَةِ وَالحُتُـوفِ
نَبِــيٌّ لا يَغِــلُّ[٥]عَلَيْــهِ إِلا	سَخِيفُ العَقْلِ ذُو رَأْيٍ مَؤُوفِ[٦]
كَأَغْمَارٍ[٧]**اليَهُودِ** أَوِ النَّصَارَى	أَوْ الفَلَكِــيِّ أَوْ كَالفَيْلَسُــــوفِ
فَـــبَعْضٌ لِلتَّجَاهُــلِ وَالتَّعَــامِي	وَبَعْــضٌ لِلتَّحَيُّــرِ وَالوُقُــوفِ

---

١ – الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص50 – ٥١ .

٢ – نَفْسُهُ ص51 .

٣ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ١٠/٣٣٥ – ٣٣٦ .

٤ – نهبٌ للسيوف: تتناوله أَوْ تأخذه السيوف. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [نهب] ١/٧٧٤ .

٥ – لا يَغِلّ عليه: لا يدخله حِقْدٌ عَلَيْهِ يُزيله عَنْ الحق . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [غلل] ١١/٤٩٩ .

٦ – مَؤُوفٌ: أَصابته آفةٌ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [أوف] ٩/١٦ .

٧ – الأَغْمَارُ: جمع غُمْر ،وَهُوَ الجاهل الغِرُّ الذي لَمْ يُجَرِّب الأُمُورَ. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [عمر] ٥/٣١ .

أَعْطَى الشَّاعِرُ أَمْثِلَةً عَلَى السُّخَفَاءِ الذين يُبْغِضُونَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ﷺ وَهُمْ أَرْبَعُ جَمَاعَاتٍ،عَلَى رَأْسِهِمْ سَفَلَةُ اليَهُودِ أَوِ النَّصَارَى.ولَمْ يُعَمِّمِ الشَّاعِرُ حُكْمَهُ، وَلَمْ يكُنِ الهِجَاءُ مُوَجَّهًا إِلَيْهِم كَجَمَاعَةٍ دِينِيَّةٍ،بَلْ أَرَاهُ اسْتَقْبَحَ مَوْقِفَ أَرَاذِلِهِمْ كَمَا اسْتَقْبَحَ مَوْقِفَ عُلَمَاءِ الفَلَكِ وَالمُتَحَذِّقِينَ فِي الفَلْسَفَةِ مِنَ المُسْلِمِينَ. وَأَخَذَ الشَّاعِرُ فِي الأَبْيَاتِ التَّالِيَةِ يُجَادِلُهُم وَيُحَاجِجُهُم حَوْلَ بَرَاهِينِ النُّبُوَّةِ التِي يُكَذِّبُونَهَا.وَأَرَى فِي هَذَا الشِّعْرِ هُدُوءًا فِي الجِدَالِ وَالحِوَارِ مَعَ اليَهُودِ،بِالإِضَافَةِ إِلَى مَوْضُوعِيَّةٍ تَمَثَّلَتْ فِي عَدَمِ إِطْلاقِ الأَحْكَامِ العَامَّةِ عَلَيْهِم.وَقَدْ يَكُونُ فِي الواقِعِ الأَنْدَلُسِيِّ هدوءٌ مُشَابِهٌ فِي التَّعَامُلِ بَيْنَ اليَهُودِ والمُسْلِمِينَ.

وَبَحَثْتُ عَنْ إِشَارَةٍ إِلَى اليَهُودِ القُدَمَاءِ فِي المَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ،وفي الجُزْءِ العَاشِرِ وَالأَخِيرِ مِنَ "النَّفْحِ" عَلَى كَثِيرٍ مِنْهَا،فَلَمْ ألمحْ فِيهَا ذِكْرًا لليَهُودِ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُدْرَسَ،فقَدْ كَانَ قَليلاً بَلْ نادِرًا.وَمِنهُ مَا وَرَدَ حَوْلَ تنبُّؤِ التَّوْرَاةِ بِقُدُومِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهَذَا وَجَدْتُهُ فِي تَسْدِيسٍ[1] وَتَخْمِيسَيْنِ[2]،تَخْمِيسٌ **مِنْهَا** لابن سَهْلٍ الذي كَانَ يَهُودِيًّا وَأَسْلَمَ سأتحدثُ عَنْهُ فِي البَحْثِ لاحِقًا .

ثالثا:- اليَهُودُ فِي شِعْرِ الهِجَاءِ

هِجَاءُ اليَهُودِ مُتَوَقَّعٌ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ،وَجَاءَ هِجَاؤُهُم فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي :

(١) دَوائِرُ هِجَاءِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ .

الدَّائِرَةُ الأُوْلَى قُصِدَ بِهَا هِجَاءُ اليَهُودِ،وَالثَّانِيَةُ جَاءَ هِجَاؤُهُم فِيهَا ضِمْنَ أَغْرَاضٍ أُخْرَى كَالمَدْحِ أَوِ الرِّثَاءِ أَوْ فِي المُهَاجَاةِ بَيْنَ الشُّعَرَاءِ أَوِ الإِخْوَانِيَّاتِ،الثَّالِثَةُ هِيَ هِجَاءُ اليَهُودِ للعَرَبِ:

الدَّائِرَةُ الأُولَى : هِجَاءُ اليَهُودِ

جاءَ هِجَاءُ اليَهُودِ في ضَرْبَيْنِ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ:**الأَوَّلُ مِنْهُمَا يَهْجُو اليَهُودَ عامَّتَهُم دُونَ تَمْيِيزٍ بَيْنَهُمْ**،أَيْ يَهْجُو كُلَّ اليَهُودِ لا يَسْتَثْنِي مِنْهُمْ أَحدًا،وهَذَا كَانَ قَلِيلاً بَلْ نَادِرًا،وَمِنْهُ قَوْلُ ابنِ **جُزَيٍّ الكَلْبِيِّ** الذي وَصَفَ اليَهُودَ بالحِقْدِ وَسُوءِ السَّرِيرَةِ فِي قَوْلِهِ[3]: [الطويل]

وَرُبَّ **يَهُـــودِيٍّ** أَتَـــى مُتَطَبِّبَـــا ... لِيَأْخُذَ ثَـارَاتِ **اليَهُـودِ** مِنَ النَّـاسِ

إِذَا جَـسَّ نَـبْضَ المَـرْءِ أَوْدَى ... سَـــرِيعًا أَلَـــمْ تَسْـــمَعْ بِفَتْكَـــةِ (٤)

فَمَعَ أَنَّ ظَاهِرَ الأَبْيَاتِ هِجَاءُ الأَطِبَّاءِ مِنْهُمْ،إلا أنّني أَرَى أَنَّ الشَّاعِرَ أرادَ هِجَاءَ اليَهُودِ عَامَّةً، لكنَّه وَرَّى بالأَطِبَّاءِ كَمَا أَشَارَ المَقَّرِيُّ حِينَ كَتَبَ قَبْلَ الأَبْيَاتِ إِنَّ الشَّاعِرَ قَالَهَا "مُورِيًّا".وَلَمْ يُوَضِّحْ المَقَّرِيُّ كَمَا لَمْ يُوَضِّحْ الشَّاعِرُ نفسُهُ فِي الأَبْيَاتِ السَّبَبَ الذي دَعَاهُ لِهَذَا الهِجَاءِ.

وَالضَّرْبُ الثَّانِي يُقْصَدُ بِهِ جَمَاعَةً مِنَ اليَهُودِ،وَمِنْهُ شِعْرٌ **لابنِ الخَطِيبِ** قَالَ فيهِ[5]: [الطويل]

وَعُصْـبَةِ شَـرٍّ مِـنْ يَهُـودٍ لَقِيتُهَـا ... يُجَانِبُهَـا دَاعِي الهُـدَى وَيُحَاشِـيهَا[6]

إِذَا أَمِنُـوا وَاسْـتَوْثَقُوا البَـابَ أَعْلَنُـوا ... خَبَائِـثَ مَـا كَـانَ اللِّسَـانُ لِيُفْشِـيهَا

---

[1] – انْظُرْ : المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٨٨/١٠، ٣٠٠ ، ٣١٠ .

[2] – التخميسات المخمس أَوْ المخمسات:هُوَ الشِّعْرِ الذي يقسم فِيهِ الشَّاعِرُ قَصِيدَته إِلَى أقسام فِي كل مِنْهَا خمسة أشطر،مَعَ مراعاة نظام للقافية فِي هَذِهِ الأسطر، وَأول مَنْ أتي بِهَا أَبُو الجنان. انْظُرْ :إميل بديع يَعْقُوب"**المُعْجَم المُفَصَّل فِي عِلْمِ العَرُوض**"ص٣٩٩،١٨٨ .

[3] – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٧٧/٨؛"**أَزْهَارُ الرِّيَاضِ**" ١٩٧/٣ .

[4] – هُوَ : **جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ الشَّيْبَانِي،** قاتِلُ كُلَيبِ وَائِلٍ،دارت الحرب بَيْن بكر وَوائل سنين بسبب فَتْكَتِهِ. انْظُرْ:ابن الأَثِيرِ"**الكَامِل**" ٤١١/١–٤٢٠؛الأَبْشِيهِيّ"**المُسْتَطْرَف**"٣٠٤/١؛ القَلْقَشَنْدِيّ"**صُبح الأَعْشَى**"٣٩١/١–٣٩٢، ٤٤٦؛ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**"[جسس]٣٩/٦ .

[5] – ابن الخَطِيب السلماني "**دِيوَانُهُ**" ٧٣٩/٢ .

[6] – يجانبها: يبتعد عَنْهَا . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [جنب] ٢٧٨/١ .

يحاشيها: يعزلها وَيبعدها . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [حشي] ١٨٢/١٤ .

كَــأَنَّ رُؤُوسَ القَــوْمِ عِنْــدَ صَــلاتِهِمْ ... وَقَدْ أَوْمَـأَتْ لِـلأَرْضِ صُـفْرٌ شَوَاشِيهَا[١]

أَقَاحٌ[٢]أَمالَتْهَـا الرِّيَـاحُ عَلَـى الثَّـرَى ... وَقَـدْ أَسْـقَطَتْ عَنْهَـا بَيَـاضَ حَواشِـيهَا

وَعِنْدِي مُلاحَظَاتٌ حَوْلَ هَذِهِ الأَبْيَاتِ:أولاهَا أَنَّ تَقْدِيمَ الشَّاعِرِ للأَبْيَاتِ يَدُلّ بمَا لا شَكَّ فِيهِ أَنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ فِي هِجَاء اليَهُودِ عَامَّةً،بَلْ كَانَ فِي عُصْبَةٍ مِنْهُمْ[٣]،وَقَدَّمَ ابنُ الخَطِيبِ لِلأَبْيَاتِ بِقَوْلِهِ:"قُلْتُ فِي اليَهُودِ حَسْبَمَا اقْتَضاهُ وَقْتٌ مِنَ الأَوْقَاتِ"[٤]،وَأَرَى فِي هَذَا اعْتِذَارًا لِليَهُودِ،فَالكَلامُ لا يَسْتَحِقُّونَهُ فِي كُلِّ الأَوْقَاتِ،وَلا يُسْحَبُ هَذَا الوَصْفُ عَلَى اليَهُودِ عَامَّةً؛وَهُوَ فِي هَذِهِ الجَمَاعَةِ فَحَسْبُ.

---

١ – الشواشي: الرقيق الناعم مِنَ الثياب،ويقصد هُنَا عمائمهم الصفراء،لم تُستَخدم فِي المعاجم القَدِيمَةِ للثياب ولكن في"لسان العَرَبِ" الوَشْوَاشُ: الخفيفُ مِنَ النَّعام. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [شوش] ٣١٠/٦

٢ – أَقاح هُوَ الأُقْحوان: نبت تشبه بِهِ الأسنان،واحدته أُقْحوانة،والجمع أَقَاحٍ،وَهُوَ نبت طيب الريح حوالَيْهِ ورق أَبيض وَوَسَطُهُ أَصْفَر. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [قحو] ١٧١/١٥ .

٣ – العُصْبَةُ تُطْلَقُ عَلَى الجَمَاعَةِ مَا بَيْن العَشَرَةِ إِلَى الأَرْبَعِينَ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [عصب] ٦٠٧/١ .

٤ – ابن الخَطِيب السلماني "**دِيوَانُهُ**" ٧٣٩/٢ .

وَأشارَ ابنُ الخَطيبِ إلَى أنَّ أعْمَالَ هَذِهِ الجَمَاعَةِ لَمْ تكُنْ ظَاهِرَةً،وَلَمْ يَأْتِ بِهِمْ يُصَلُّونَ فِي بِيَعٍ أَوْ أَمَاكِنِ العِبَادَةِ،بَلْ كَانُوا يَقُومُونَ بِعِبَادَتِهِم سِرًّا بَعْدَ أَنْ يُغلِقُوا البابَ عَلَيْهِمْ.وهَذِهِ الأَبْيَاتُ الوحيدةُ الَّتِي وَجَدْتُ بِهَا إشارَةً إلَى طُقُوسِ اليَهُودِ فِي صَلاتِهِم،فَشَبَّهَ الشَّاعِرُ حالَتَهُم وَهُمْ يَقُومُونَ بِأَدَاءِ صَلاتِهِم وَقَدْ غَطُّوا رُؤُوسَهُم بِعَمَائِمِهِم الصَّفْرَاءِ وَكَأنَّهُم زَهْرُ الأُقْحُوَانِ يَمِيلُ بِرَأسِهِ إلَى الأَرْضِ،فَهَزِئَ بِحَرَكَاتِهِم فِي الصَّلاةِ. وَعَرَّضَ ابنُ **عَبْد رَبِّهِ** بِالمُنَجِّمِ ابنِ عِزْرا، بِقَوْلِهِ(١) : [السريع]

قُلْ لابنِ عِزْرًا السَّخيفِ الحِجَا ... زَرَى عَلَيْكَ الكَوْكَبُ الثَّاقِبُ

وَوَجَدْتُ بَيْتَيْنِ مِنَ الشِّعْرِ فِي هِجَاءِ وَزيرٍ يُنَبَّزُ(٢) "تَحْقُونَ"،جاءَ فيهما(٣): [الرمل]

ضَجَّ مِنْ تَحْقُونَ بَيْتُ الذَّهَبِ ... وَدَعَا مِمَّا بِهِ وَاحَرَبِي

رَبِّ طَهِّرْنِي فَقَدْ دَنَّسَنِي ... عَارُ تَحْقُونَ أَلُوفَ الذَّنَبِ

أَرَى أَنَّ المَهْجُوَّ أَبُو الفَضْلِ بنُ حَسْدَاي؛ فَمَجْلِسُ الذَّهَبِ فِي البَيْتِ الأَوَّلِ مِنْ مَجَالِسِ المُقْتَدِر بن هُودَ فِي القَصْرِ المُسَمَّى بِدَارِ السُّرُورِ(٤)،وابنُ حَسْدَاي أَسْلَمَ وَعَمِلَ فِي بِلاطِ المُقْتَدِرِ(٥).وَلَمْ أَجِدْ فِي هِجَاءِ اليَهُودِ أَبْيَاتًا أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ.

الدَّائِرَةُ الثانِيَةُ : **هِجَاءُ اليَهُودِ فِي أغْرَاضٍ غَيْرِ الهِجَاءِ**

ظَهَرَ فِي أَغْراضٍ غَيْرِ مُخَصَّصَةٍ للهِجَاءِ، مِنْهَا مَا يَلِي :

١- فِي الكَلامِ عَنْ مُعْتَقَدَاتٍ فَاسِدَةٍ

أتى ذِكْرُ "اليَهُودِ" كَثِيرًا مَعْطُوفًا عَلَيْهِم "النَّصَارَى" أَوِ العَكْس فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ.وَحِينَ تَرِدُ الكَلِمَتانِ مُتَتَابِعَتَيْنِ فِي شِعْرِهِم فهَذَا إشارةٌ إلَى شَرٍّ مُتَوَقَّعٍ أَوْ عَدُوٍّ مُجْتَمِعٍ لِضَرْبِ المُسْلِمِينَ.وَبِجَانِبِهِمَا كَانَتْ تُذْكَرُ أَحْيَانًا فِرْقَةٌ مِنَ الفِرَقِ المُفْسِدَةِ الضَّالَّةِ،وَيُقْرَنُ اليَهُودُ بِهَذِهِ الجَمَاعَةِ لِلدِّلالَةِ عَلَى سُوءِ تَفْكِيرِ وَخُطُورَتِهَا.وَمِنْهُ مَا جَاءَ عِنْدَ أَبِي **الحَسَنِ بنِ الجَيَّابِ**(ت:٧٤٩هـ)(٦) بِقَوْلِهِ(٧):[الطويل]

إِذَا أَنْتَ ذَاكَرْتَ امْرَأً فَرَأَيْتَهُ ... يُحِبُّ ابنَ سِينَا(٨) أَوْ يُوالِي أَبَا

وَيَزْهَى بِأَنْ كَانَ ابنُ رُشْدٍ(١٠) إِمَامَهُ ... يُقَلِّدُهُ مِنْ حَيْثُ يَدْرِي وَلا يَدْرِي

وَلِيُحَذِّرَ الشَّاعِرُ مِنْ عُلُومِ الفَلْسَفَةِ جَمَعَ طَالِبَهَا مَعَ اليَهُودِ بَعْدَ بِضْعَةِ أَبْيَاتٍ بِقَوْلِهِ(١):[الطويل]

---

١ – ابن عبد عَبْد رَبِّهُ "شِعْرُهُ" ص٦٥ . وقَدْ يكون ابن عِزْرا فِي البيتِ هُوَ أَبْرَاهام بنُ عِزْرَا، سَبَقَتْ تَرْجَمَتُهُ ص ٩٠.

٢ – يُنَبَّزُ : يُلَقَّبُ . ابن مَنْظُور "لِسَان العَرَبِ" [نبز] ٥/٤١٣ .

٣ – المَقَّرِيّ "نَفْحُ الطِّيبِ" ٢/٧٣،والأبياتُ لذي الوِزَارَتين ابن غُنْدَ شِلْبَ مِنْ وُزَرَاءِ المُقْتَدِر بن هُودٍ .

٤ – انْظُرْ : نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٥ – انْظُرْ : الجَزَّار السَّرَقسْطِيّ"رَوْضَةُ المَحَاسِنِ وَعُمْدَةُ المَحَاسِنِ"ص ١٥٦؛ابن خَاقَان"قَلائِدُ العِقْيَان" ق٣،ج٢/٥٤٦ .

٦ – هُوَ:**أبو الحَسَنِ** عَلِيٌّ بنُ مُحَمَّدِ بن سُلَيْمَانَ **بن الجَيَّاب**: مِنْ مشايخ ابن الخَطِيبِ وُلِدَ فِي غَرْنَاطَة ٦٧٣هـ،وتُوُفِّيَ عام ٧٤٩هـ،قَالَ فِي أغراض شعرية شتى،وأجاد القول فِي الألغاز الشعرية وكتب نَثْرًا مُطَوَّلاً كَثِيرًا،وله مراسلات مَعَ ابنِ الخَطِيبِ وغَيْرِهِ. وقَدْ جمع ابنُ الخَطِيبِ نثره فِي "تَافِهٌ مِنْ جَمّ ونُقْطَةٌ مِنْ يَم" . انْظُرْ :الحُمَيْدِيّ"جَذْوَةُ المُقْتَبِس" ٢/١١٩؛ ابن الخَطِيب"الإحَاطَة" ٤/١٢٥– ١٥٢؛ ٧١؛"الكَتِيبَةُ الكَامِنَةُ"ص١٨٣– ١٩٣؛"اللَّمْحَةُ البَدْرِيَّةُ"ص١٠٤؛ ابن الأَحْمَر"نَثِيرُ فَرَائِدِ الجُمَانِ فِي نَظْمِ فُحُولِ الزَّمَانِ" ص٢٣٩ – ٢٤٢؛ المَقَّرِيّ "نَفْحُ الطِّيبِ" ٧/٤٠٧– ٤٣١، ٨/١– ٩ .

٧ – أَبُو الحَسَنِ بْن الجَيَّابِ "دِيوَانُهُ " ص٢٥٣ .

٨ – يقصد ابن سينَا الفيلسوف سَبَقَتْ تَرْجَمَتُهُ .

٩ – يقصد أَبَا نصر الفارابي ، سَبَقَتْ تَرْجَمَتُهُ .

١٠ – يقصد :الفقيه الفيلسوف ابن رشد سَبَقَتْ تَرْجَمَتُهُ.

فَـإِنْ مَـرَّ بِحُكْـمِ الشَّـافِعِيِّ وَمَالِـكٍ | أَرَمّ(۲) فَلَـمْ يَنْـبِسْ بِخَيْـرٍ وَلا شَـرِّ
فَـذَاكَ مِـنَ أَعْـداءِ لِمِلَّـةِ أَحْمَـدَ | فَبَشِّرْهُ يَوْمَ العَرْضِ بِالخِزْيِ وَالخُسْرِ
وَلَـيْسَ **اليَهُـودُ** وَ**النَّصَـارَى** بِحَالَـةٍ | بِـأَبْلَغَ مِنْـهُ فِـي مُعَاضَـدَةِ الكُفْـرِ

وَلَمْ يَتَحَدَّثِ الجَيَّابُ عَنْ أي صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اليَهُودِ،وَفِي هَذَا الكَلام مِنَ الإِيْلامِ وَالتَّقْرِيعِ كَثِيرٌ؛فَكَانَتْ كَلِمَةُ "اليَهُودِ" وَحْدَهَا تَكْفِي لِيَتِمَّ التَّحْذِيرُ المَطْلُوبُ فَكَيْفَ إِذَا أُضِيفَتْ لَهَا كَلِمَةُ "النَّصَارَى".

وَجَاءَ هِجَاءُ اليَهُودِ كَذَلِكَ مُقْتَرِنًا مَعَ الحَدِيثِ عَنْ الفَلْسَفَةِ وَأَتْبَاعِهَا فِي أَبْيَاتٍ سَبَقَتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهَا فِي قَوْلِ أَحَدِهِمْ فِي المَدِيحِ النَّبَوِيّ(۳)،وَكَانَ الغَبَاءُ وَالتَّجَاهُلُ صِفَةَ أَغْمَارِهِمْ فِيهَا.

٢- فِي المَدْحِ

شُبِّهَ أَعْدَاءُ المَمْدُوحِ بِاليَهُودِ فِي أَفْعَالِهِمْ أَوْ مُعْتَقَدَاتِهِمْ،فَظَهَرَ هَذَا مَرَّتَيْنِ فِي مَدْحِ ابنِ **عَمَّارٍ** لِلمُعْتَضِدِ؛الأُولَى سَبَقَتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ:"يَهُودًا وَكَانَتْ بَرْبَرًا"(٤)،وَالثَّانِيَةُ فِي قَوْلِهِ(٥): [الكامل]

شَـقِيَتْ بِسَـيْفِكَ أُمَّـةٌ لَـمْ تَعْتَقِـدْ | إِلا **اليَهُـودَ** وَإِنْ تَسَـمَّتْ بَرْبَـرًا

وَلَمْ يَكُنِ الهِجَاءُ مُوجَّهًا إِلَى اليَهُودِ.لكِنَّ الشَّاعِرَ يَرَى البَرَابِرَةَ أَعْدَاءَهُ كَاليَهُودِ تَمَامًا يجِبُ قِتَالُهُم. وَقَدْ يَكُونُ فِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى عَلاقَةِ البَرَابِرَةِ بِاليَهُودِ حَيْثُ اعْتَلَى ابْنَا النَغْرِيلَّةَ اليَهُودِيَّانِ الوِزَارَةَ فِي مَمْلَكَةِ بَادِيسَ زَعِيمِ البَرْبَرِ،الذي كَانَ فِي عَدَاءٍ مَعَ المُعْتَضِدِ وَابْنِهِ(٦).

٣- فِي الرِّثَاءِ

جاءَ هِجَاءٌ لِلْيَهُودِ فِي غَرَضِ الرِّثَاءِ أَيْضًا؛ فَفِي مُوَشَّحٍ **لابن حَزْمُونَ** يَقُولُ(٧):

---

١ – أَبُو الحَسَنِ بْن الجَيَّابِ "**دِيوَانُهُ**" ص ٢٥٤ .

٢ – أَرَمَّ: سكت، وَترمرم القوم: تحركوا للكلام وَلَمْ يتكلموا. ابن مَنْظُور "**لِسَانُ العَرَبِ**" [رمم] ٢٥٥/١٢ .

٣ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٣٣٥/١٠ – ٣٣٦ ، وانْظُرْ فِي البَحْثِ : ص ١٣٤ .

٤ – ابن خَاقَان "**قَلائِدُ العِقْيَان**" ق٢،ج٢٦٣/١ . سبق الحَدِيثُ عن هَذَا البيت فِي البَحْثِ : ص ١٣١ .

٥ – ابن خَاقَان "**قَلائِدُ العِقْيَان**" ق٢،ج٢٨٣/١؛ ابْن دِحْيَةَ "**المُطْرِب**" ص١٧١؛ عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي "**المُعْجِب**" ص ١١٦؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ١٨٧/٢ .

٦ – انْظُرْ: خميسي حميدي " **الحَرَكَةُ الأَدَبِيَّةُ فِي إِشْبِيلِيَةَ لِزَمَنِ بَنِي عَبَّادٍ ٤١٤هـ – ٤٨٤هـ**" ص١٤٠ .

٧ – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢١٧/٢ – ٢١٨ .

مَـــاءُ المَـــدَامِعِ صَـــابْ   عَلَيْـــــكَ أَوْلَــــى أَنْ يَجُــــودْ
سَـــقَى البَرِيَّـــةَ صَـــابْ   رُزْءٌ أَحَلَّـــــــكَ اللحُــــــودْ
فَكُـــلُّ خلـــقٍ أَصَـــابْ   **إلا النَّصَــــارَى وَاليَهُــــود** ۝

فَمَعْ أَنَّ النَّصَارَى هُمْ مَنْ قَتَلُوا المَرْثِيَّ بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ كَمَا يُشِيرُ ابنُ سَعِيدٍ فِي التَّقْدِيمِ للأَبْيَاتِ،إلا أَنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يَكْتَفِ بِقَوْلِ النَّصَارَى حِينَ أَرَادَ الحَدِيثَ عَنْ المُتَشَفِّينَ بِمَوْتِهِ،فَجَمَعَ مَعَهُمْ اليَهُودَ.وَقَدْ يَكُونُ بِكلامِ ابنِ حَزْمُونَ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اليَهُودَ كَانُوا مُشَارِكِينَ لجُيُوشِ النَّصَارَى،فلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي بَلَدِهِ خُصُوصِيَّةٌ لِليَهُودِ جَعَلَتْهُ يُسَمِّيهِمْ مَعَ النَّصَارَى المُقَاتِلَةِ للمُسْلِمِينَ.

وَمَعَ أَنَّ ابنَ حَزْمُونَ كَانَ لَهُ بَاعٌ طَوِيلٌ فِي الهِجَاءِ،حَتَّى إِنَّهُ هَجَا نفسَه[1]،وَرُغْمَ أَنَّهُ كَانَ يُفْحِشُ وَيُقْذِعُ فِي كَثِيرٍ مِنْ هِجائِهِ[2]إلا أَنَّ كلامَهُ هَذَا عَنْ اليَهُودِ جَاءَ هَادِئًا عَامًّا.لِذَا أَتَسَاءَلُ كَيْفَ سَلِمَ اليَهُودُ مِنْ بَذَاءَةِ لِسَانِهِ وَمِنْ إِقْذَاعِهِ فِي الوَقْتِ الذي لَمْ يَسْلَمْ مِنْ لِسَانِهِ كَثِيرٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَذَوِي المَكَانَةِ.وَفِي الإِجَابَةِ عَنْ هَذَا التَّسَاؤُلِ أَرَى أَنَّ الأَبْيَاتَ تُشِيرُ إِلَى هُدُوءٍ وَاضِحٍ فِي العَلاقَاتِ بَيْنَ العَرَبِ وَاليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ رُغْمَ مَا يُقَالُ عَنْ دَوْرِهِمْ فِي التَّعَاوُنِ مَعَ أَعْدَاءِ الدَّوْلَةِ. فَلَوْ كَانَتْ هُنَاكَ مُشَادَّاتٌ بَيْنَ اليَهُودِ وَالعَرَبِ شَهِدَهَا ابنُ حَزْمُونَ لكَانَ القَوْلُ فِي اليَهُودِ أَقْسَى وَلَظَهَرَ فِي شِعْرِهِ، فَسَلاطَةُ لِسَانِ هَذَا الشَّاعِرِ وَفُحْشُهُ فِي القَوْلِ لَمْ يَقْرَبَا مِنَ اليَهُودِ،وَحِينَ اقْتَرَبَ مِنَ الحَدِيثِ عَنْهُمْ كَانَ حَدِيثًا عَادِيًّا يُفهَمُ مِنْهُ أَنَّ المُسْلِمِينَ جَمِيعَهُمْ بَكَوْا عَلَى هَذَا القَائِدِ،وَأَنَّ الكُفَّارَ فَقَطْ لَمْ يَبْكُوهُ.

وَأَرَى أَنَّ ذِكْرَ اليَهُودِ فِي نِهَايَةِ البَيْتِ اسْتَدْعَتْهُ القَافِيَةُ أَكْثَرَ مِمَّا اسْتَدْعَاهُ صِرَاعٌ سِيَاسِيٌّ أَوِ اجْتِمَاعِيٌّ؛فَقَدْ أَشَارَ ابنُ سَعِيدٍ فِي تَقْدِيمِهِ للقَصِيدَةِ فِي "المُغْرِبِ" أَنَّ لِلشَّاعِرِ قُدْرَةً عَلَى مُضَايَقَةِ القَوَافِي، فَأَرَى أَنَّ ذِكْرَ اليَهُودِ فِي الأَبْيَاتِ مِنْ بَابِ هَذِهِ المُضَايَقَةِ لَيْسَ إلا.

٤- فِي هِجَاءِ غَيْرِهِم

كَانَ حَظُّ اليَهُودِ قَلِيلاً فِي هِجَاءٍ مُخَصَّصٍ لُهُم،لَكِنِ احْتَلُّوا مَسَاحَةً فِي هِجَاءِ المَجْمُوعَاتِ التَّالِيَةِ :

(أ) فِي هِجَاءِ السَّاسَةِ مِنَ المُلُوكِ وَالوُزَرَاءِ

كَانَتِ السِّيَاسَةُ سِلاحًا ذَا حَدَّيْنِ لِنُشَطَاءِ۝ اليَهُودِ أَوْ مَنْ يُقَرِّبُهُم،وَلَهَا دَوْرٌ مُهِمٌّ فِي رَفْعِ مَكَانَتِهِم؛ فَنَجَاحُ اليَهُودِيِّ فِي السِّيَاسَةِ يَدُلُّ عَلَى نَجَاحِهِ فِي المُجْتَمَعِ الأَنْدَلُسِيِّ،فَنَجَحَ وَاشْتَهَرَ مِنْهُمْ مَنْ وَصَلَ إِلَى

---

[1] – قَالَ ابنُ حَزْمُونَ فِي هِجَاءِ نفسه:[الطويل] تَأَمَّلْتُ فِي المِرْآةِ وَجْهِي فَخِلْتُهُ   كَوَجْهِ عَجُوزٍ قَدْ أَشَارَتْ إِلَى اللَّهْوِ
انْظُرْ : عَبْدَ الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص ٢٩٣ – ٢٩٧ .

[2] – يَقُولُ المَرَّاكُشِيُّ فيه:"وَلَهُ [ابنُ حَزْمُونَ] فِي هَذَا المَعْنَى [يَقْصِدُ الهِجَاءَ] أَحْسَنَ مِنْ هَذَا كَثِيرًا إلا أَنَّهُ أَقْذَعَ فِيهِ،فَلِذَلِكَ لَمْ أُودِعْهُ هَذِهِ الأَوْرَاقَ لأَنِّي لا أَسْتَجِيزُ أَنْ يُنْقَلَ مِثْلُ هَذَا عَنِّي.... إِنَّهُ نَالَ عِنْدَ قُضَاةِ المَغْرِبِ وَعُمَّالِهِ وَوُلاتِهِ جَاهًا وَثَرْوَةً،كُلُّ ذَلِكَ خَوْفًا مِنْ لِسَانِهِ وَحَذَرًا مِنْ هِجَائِهِ،وَلا أَعْلَمُ فِي جَمِيعِ بِلادِ المَغْرِبِ بَلَدًا إلا وَأَهَاجِي هَذَا الرَّجُلِ تُحْفَظُ فِيهِ وَتُدْرَسُ".
عَبْدَ الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**" ص٢٩٧ .

مكانَةٍ سياسِيَّةٍ مَرْمُوقَةٍ،وَحَظِيَ الوُزَرَاءُ اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ بمكَانَةٍ مَرْمُوقَةٍ،وَكَانَتْ لَهُم مَسَاحَةٌ وَاسِعَةٌ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ وَالتَّرَاجِمِ،بَلْ إِنَّ بَعْضَ اليَهُودِ حَظَوْا بِمَسَاحَةٍ أَكْبَرَ مِمَّا شَغَلَهَا نُظَرَاؤُهُمْ مِنَ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ،وَمَنْ يَبْحَثُ فِيمَا كُتِبَ عَنِ ابنِ نَغْرِيلَّةَ مَثَلاً سَيَتَأَكَّدُ مِنْ هَذَا.لكِنْ ظَهَرَتْ بَعْضُ الآثَارِ الدَّالَّةِ عَلَى تَأَثُّرِ الشُّعَرَاءِ وَاسْتِقْبَاحِهِم دُخُولَ اليَهُودِ دَائِرَةَ السِّيَاسَةِ،وَتَعَرَّضَ بَعضٌ مِنَ السَّاسَةِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ النِّقْمَةِ أَدَّتْ إِلَى مَذَابِحَ كَمَا حَصَلَ مَعَ ابنِ نَغْرِيلَّةَ.وَلَمْ تَكُنْ بَوَاعِثُ هَذَا الهِجَاءِ دِينِيَّةً أو طَائِفِيَّةً بَلْ كَانَتْ كَمَا تَرَى هَنَاءُ أَبُو الرّبِ ذَاتِيَّةً إِذْ جَاءَ فِي مُعْظَمِهِ نَاجِمًا عَنْ حِقْدٍ وَضَغِينَةٍ شَخْصِيَّةٍ نَظَرًا لِلمَنْصِبِ الذي احْتَلَّهُ أُولئكَ الوُزَرَاءِ الذي كَانَ مَطْمَحًا للكَثِيرِينَ[1].

وكَثُرَ هِجَاءُ مَنْ كَانَتْ لَهُ عَلاقَةٌ بِاليَهُودِ مِنْ سَاسَةِ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ.ليسَ هَذَا فَحَسْبَ، بَلْ كَانَ أَمْنُ اليَهُودِ واطمِئْنَانُهُمْ مَدْعَاةً لِهِجَاءِ بَعْضِ السَّاسَةِ فِي **قَوْلِ الشَّاعِرِ**[2]:[الطويل]

بَنُــو الأَدْعِيَــاءِ الأَحْرِيَــاءِ بِلَعْــنِهِمْ أَحَــالُوا عَلَـى الأَبْـرَارِ أَسْيافَ ضَغْنِهِمْ

وَرَدُّوا بَنِي الهَادِي دَرِيئَةً[3] طَعْنِهِمْ يَنَــامُ النَّصَــارَى **وَاليَهُــودُ** بِــأَمْنِهِمْ

وَنَــــوْمُهُمُ بِــــالخَوْفِ نَــــوْمُ مُشَــــرَّدِ

وَعَمَّ السُّخْطُ لِدُخولِ اليَهُودِ فِي الحُكْمِ فِي المَغْرِبِ العَرِبِيِّ كَذَلِكَ،وحِينَ سُئِلَ أَبُو **عَبْدِ اللهِ ابنُ الحَدَّادِ** الأَنْدَلُسِيُّ عَنْ حالَ تِلِمْسَانَ[4] حِينَ زَارَهَا،قَالَ[5]: [الطويل]

تِلِمْســانُ أَرْضٌ لا تَلِيــقُ بِحَالِنَــا وَلكِنَّ لُطْفَ اللهِ نَسْأَلُ فِي القَضَا

وَكَيْفَ يُحِبُّ المَرْءُ أَرْضًا يَسُوسُهَا **يَهُود** وَفُجَّارٌ وَمَنْ لَيْسَ يُرْتَضَى

وَهَذَا مُشَابِهٌ لِلحَالِ بِالأَنْدَلُسِ حِينَ أَصْبَحَتِ الأُمُورُ بِيَدِ وَزَرَاءَ مِنَ اليَهُودِ فِي غَرْنَاطَةَ مَثَلاً،فَنَظَمَ الإِلْبِيرِيُّ قَصِيدَةً طَوِيلَةً فِي هِجَائِهِم كَانَتْ مُنْطَلَقَ ثَوْرَةٍ عليهم[6]،أَوَّلُهَا[7]: [المتقارب]

أَلا قُــلْ لِصِــنْهَاجَةٍ أَجْمَعِــينْ بُــدُورِ النَّــدِيِّ[8]وَأُسْــدِ

مَقَالَــةَ ذِي مِقَّــةٍ[9]مُشْــفِقٍ يَعُــدُّ النَّصِــيحةَ زُلْفَــى وَدِيــنْ

لَــقَدْ زَلَّ سَــيِّدُكُمْ زَلَّــةً تَقِــرُّ بِهَــا أَعْــيُنُ الشَّــامِتِينْ

تَخَيَّـــرَ كَاتِبَــــهُ كَـــافِرًا وَلَـوْ شَـاءَ كَـانَ مِـنَ المُسْـلِمِينَ

فَعَــزَّ اليَهُــودُ بِــهِ وَانْتَخَــوْا[10] وَتَــاهُوا وَكَــانُوا مِـنَ الأَرْذَلِـينْ

وَلَمْ يَكُنْ هَذَا خَاصًّا بِالأَنْدَلُسِ وَالمَغْرِبِ بَلْ ذَكَرَ الأَنْدَلُسِيُّونَ حَالاً مُشَابِهَةً فِي المَشْرِقِ، فَلَمَّا زَارَ الشَّاعِرُ **الشَّهِيدُ أَبُو حَفْصٍ الهَوْزَنِيِّ**(ت:٤٦٠هـ)[11] مَكَّةَ رَاعَهُ الحَالُ المُشَابِهُ فيهَا،فَقَالَ[1]: [الطويل]

---

١ – انْظُرْ: هَنَاءُ أَبُو الرَّب "**النَّقْد السِّيَاسِيّ وَالاجْتِمَاعِيّ عِنْدَ شُعَرَاءِ الذَّخِيرَة**" ص ٧٣ .

٢ – المَقَّرِيّ "**أَزْهَارُ الرِّيَاضِ**" ٢٧٨/٥ .

٣ – دَرِيئَةَ: أعداء أَوْ غرباء . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [درأ] ٧٣/١ .

٤ – **تِلِمْسَان:** بكسرتين وسكون الميم، بالمغرب وهما مدينتان مُتَجَاوِرَتَانِ مُسَوَّرَتَانِ. انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ "**مُعْجَم البُلْدَان**" ٤٤/٢ .

٥ – المَقَّرِيّ "**أَزْهَارُ الرِّيَاضِ**" ٣٠٧/٣ .

٦ – انْظُرِ القَصِيدَةَ فِي مَلاحِقِ البَحْثِ .

٧ – أَبُو إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ "**دِيوَانُهُ**" ص٨٩؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٣٣/٢؛ ابن الخَطِيب "**أَعْمَال الأَعْلَام**" ص٢٣١؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٩٣/٦– ٩٤ .

٨ – النَّدِي: مَجْلِس القوم . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [ندى] ٣١٧/١٥ .

٩ – مِقَّةٍ : مَحَبَّةٍ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [ومق] ٣٨٥/١٠ .

١٠ – انْتَخُوا : افْتَخَرُوا وتَعَظَّمُوا . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [نخا] ٣١٣/١٥ .

١١ – هُوَ: أَبُو **حَفْصٍ** عُمَرُ بنُ الحَسَنِ **الهَوْزَنِيّ**(٣٩٢– ٤٦٠هـ) مِنْ شعراء "الذَّخِيرَة"،كَانَ بينه وَبين المُعْتَضِد بن عباد صداقة قبل أن يتولى رئاسة إِشْبِيلْيَة،وَبعد الرياسة أوجس مِنْهُ المُعْتَضِدُ ذُعْرًا وَضاق بمكانه،فاستأذن عام ٤٤٠هـ وَرحل إِلَى الشام وَالعِرَاقِ ثُمَّ مِصْرَ، وَوصل إِلَى مكة،ثُمَّ رجع إِلَى

أَيَـــا أَسَـــفَا لِلـــدِّينِ إِذْ ظَــلَّ نُهْبَـــةً　　　بِأَعْيُنِنَـــا وَالمُسْـــلِمُونَ شُـــهُودُ
أَفِـي حَـرَمِ الـرَّحْمَنِ يُلْحَـدُ جَهْـرَةً　　　وَيُجْعَـلُ أَشْـرَاكَ الإِلـهِ **يَهُـودُ**

فَذُكِرَ اليَهُودُ لِلدِّلالَةِ عَلَى هَوَانِ أَمْرِ الحُكَّامِ المُسْلِمِينَ وَضَعْفِ أَحْوالِهِم حَتَّى فِي أَطْهَرِ بِلادِ اللهِ.

وَتَحَدَّثَ أَبُو **الحُسَيْنِ ابنُ الجَدِّ**(ت بعد:٤٧٩هـ)(٢) عَنْ وِزَارَةِ اليَهُودِ وَتَسَلُّطِهِم بِقَوْلِهِ(٣): [الوافر]

تَحَكَّمَــتِ **اليَهُــودُ** عَلَــى الفُــرُوجِ　　　وَتَاهَــتْ بِالبِغَــالِ وَبِالسُّــرُوجِ
وَقَامَـــتْ دَوْلَـــةُ الأَنْـــذَالِ فِينَـــا　　　وَصَـــارَ الحُكْـــمُ فِينَـــا لِلعُلُـــوجِ(٤)
فَقُـــلْ لِلأَعْـــوَرِ الـــدَّجَّالِ هَـــذَا　　　زَمَانُـكَ إِنْ عَزَمْـتَ عَلَـى الخُـرُوجِ

وَحَمَلَتِ "الفُرُوجِ" فِي الأَبْيَاتِ دِلالَةً وَتَوْرِيَةً(٥) نَاسَبَتِ القَوْلَ فِي الهِجَاءِ،فالذي يَتَبَادَرُ إِلَى الذِّهْنِ أَنْ تَكُونَ جَمْعًا لِلفَرْجِ أَيْ العَوْرة أَوْ أَنَّهَا جَمْعٌ لِسَوءَاتِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ(٦) فَنَاسَبَتْ هَدَفَ الشَّاعِرِ

الأَنْدَلُسِ ،استقر بِإِشْبِيلْيَةَ سَنَةَ ٤٥٦هـ،فاستدرجه إِلَى قصره وَقتله بيده وأمر بدفنه داخل القصر مِنْ غَيْرِ غسل وَلا صلاة سَنَةَ ٤٦٠هـ، لِذَا أطلق عَلَيْهِ ابن الأبار فِي "التَّكْمِلَة" لقب الشَّهيد.وَابنه أَبُو القاسم هُوَ الذي كَانَ سبب فساد دولة المُعْتَمِدِ بتحريض يُوسُفَ بنِ تَاشَفِينَ عَلَيْهِ حَتَّى أزال ملكه.

انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م١/٨١– ٩٤؛ ابن بَشْكوال"**الصِّلَة**" ٢/٤٠٢؛ ابن الأَبَّار"**التَّكْمِلَة**" ١/٥٠، ١٥٣؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١/٢٣٩– ٢٤٠؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢/٣٠٧ – ٣٠٨ ، ٣/٣٧١ – ٣٧٣؛ القاضي عَيَّاض "**ترتيب المدارك**" ٤/٨٢٥–٨٢٦ .

١ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م١/٩٢ – ٩٣ . وَفِي أبياتٍ تُنْسَبُ إِلَى الحَسَنِ بنِ خَاقَانَ، يَتَهَكَّمُ عَلَى وَضْعِ الحُكْمِ بِمِصْرَ قالَ: [المنسرح]

يَهُودُ هَذَا الزَّمانِ قَدْ بَلَغُوا　　　غَايَةَ آمالِهِمْ وَقَدْ مَلَكُوا
العِزُّ فِيهِم وَالمَالُ عِنْدَهُم　　　وَمِنْهُمُ المُسْتَشارُ وَالمَلِكُ
يَا أَهْلَ مِصْرَ قَدْ نَصَحْتُ لَكُمْ　　　تَهَوَّدُوا قَدْ تَهَوَّدَ الفَلَكُ

انْظُرْ: المَقْرِيزِيّ"**اتعاظ الحُنَفَا بِأَخْبَارِ الأَئِمَّةِ الفَاطِمِيِّينَ الخُلَفَا**"ص١٥٩ ؛السيوطي"**حسن المُحاضرة**" ٢/١٨٢ .

وَقِيلَ إِنَّهَا لِلشَّاعِرِ المَعْروفِ بِابنِ الشَّوَّاءِ فِي بَعْضِ الوُزَرَاءِ مِنَ اليَهُودِ بِدِمَشْقَ . انْظُرْ:ابن العديم "**بُغْيَةَ الطَّلَبِ فِي تَارِيخِ حَلَبٍ**"٢/٦٩٧ .

٢ – هُوَ:**أبو الحُسَيْنِ** يُوسُفُ بنُ مُحَمَّدٍ **ابْنُ الجَدِّ**، استكتبه ابنُ عمّار (ت:٤٧٩هـ) لَمَّا ملك مُرْسِيَةَ.وَقَالَ ابن بَسَّامٍ أَنَّ معاقرته الخَمْر غَضَّتْ منه، وَلولاها لملأ ذكرُه البلاد، وَوصفه الحِجاري بِحُبِّ الغلمان.

انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م٢/٥٥٦ – ٥٦٢؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١/٣٤٠ .

٣ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م٢/٥٦٢ .

٤ – العُلوج: جمع للعِلْج،وهو الرجل مِنْ كفَّار العَجَمِ،وَيُقَالُ للقويّ الضخم مِنْهُمْ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [علج] ٢/٣٢٦ .

٥ – **التَّوْرِيَة**: وَتُسَمَّى الإيهامُ تَعني أن يُطلَقَ لَفْظٌ لَهُ مَعنَيان: قريبٌ وَبعيدٌ،وَيرادُ البعيدُ مِنْهُمَا.

انْظُرْ: الخَطِيب القَزْوِينِيّ"**الإِيضَاح فِي عُلُومِ البَلاغَة**"ص٤٩٩ ،٥٢٨؛ مُحَمَّد المِنَّاوِيّ"**التَّعَارِيف**" ١/٢١٣– ٢١٤ .

٦ – انْظُرْ:ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [فرج] ٢/٣٤٢ .وَعَلَيْهَا جَاءَتِ الآيةُ: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ **سُورَة الأَحْزَاب**، آية35 .

فيهَا.وَاسْتِخْدَامُ الشَّاعِرِ لكَلِمَةِ "تحكَّمَت" يَجْعَلُنِي أَسْتَبْعِدُ مَعْنَى العَوْرَةِ،وأرَاهَا تَعْنِي نَوَاحِي البِلادِ أو الثُّغور فِيهَا([1]).وَبِقَوْلِهِ "تحكَّمَتِ" يَكُونُ فِي الأبْيَاتِ إِشَارَةٌ وَاضِحَةٌ إِلَى أَنَّ تَوْلِيَةَ اليَهُودِ مَنَاصِبَ حَسَّاسَةٍ فِي نَوَاحِي البِلادِ كَانَ مُنْتَشِرًا،وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ خَاصًّا بِمَنْطِقَةٍ وَاحِدَةٍ،وَهَذَا جَعَلَ الشَّاعِرَ يَرَى أَنَّ أُمُورَ الحُكْمِ أَصْبَحَتْ فِي نَوَاحِي البِلادِ بِيَدِ هَؤُلاءِ العُلُوجِ الأَنْذَالِ([2])،وَتَبَاهَى اليَهُودُ بِالمُخَالَفَةِ فِي البِغَالِ وَسُرُوجِهَا([3]).فَظَهَرَتْ بِهَذَا عَلامَةٌ عَلَى الفِتَنِ التِي حذَّرَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْهَا وَاقْتَرَبَ زَمَنُ المَسِيحِ الدَّجَّالِ([4]).وَقَالَ المَشَارِقَةُ فِي النَّصَارَى أَبْيَاتًا مُشَابِهَةً،نَسَبَهَا الحَمَوِيُّ إِلَى **ابنِ بَسَّامٍ العَبَرْتَائِيّ**(ت:٣٠٢هـ)([5])،بَيْنَمَا المَقْرِيزِيُّ يَنْسِبُهَا إِلَى **ابنِ الخلال**(ت:٥٦٦هـ)([6])،جاءَ فِيهَا([7]): [الوافر]

إِذَا حَكَمَ النَّصَارَى فِي الفُرُوجِ ... وَغَالَوا بِالبِغَالِ وبِالسُّرُوجِ

وَذَلَّتْ دَوْلَةُ الإِسْلامِ طُرًّا ... وَصَارَ الأَمْرُ فِي أَيْدِي العُلُوجِ

فَقُلْ لِلأَعْوَرِ الدَّجَّالِ هذا ... زَمَانُكَ إِنْ عَزَمْتَ عَلَى الخُرُوجِ

أَرَى أَنَّ ابنَ الجَدِّ أَخَذَهَا عن العَبَرْتَائِيّ؛فابنُ الجَدِّ عَمِلَ عِنْدَ ابنِ عَمَّارٍ المُتَوَفَّى عَامَ ٤٧٩هـ بَيْنَمَا سَابِقُهُ العَبَرْتَائِيّ تُوُفِّيَ عَامَ ٣٠٢هـ. وَإِذَا كَانَ ابنُ الجَدِّ وَصَفَ الوُزَرَاءَ اليَهُودَ بِالأَنْذَالِ،وَجَعَلَهُمْ مَسْؤُولِينَ عَنْ فِتْنَةٍ عَظِيمَةٍ،فإِنَّ السُّمَيْسِرَ هَجَا بَادِيسَ بِألفاظٍ أقبحَ حِينَ اسْتَوْزَرَ يَهُودِيًّا ثُمَّ نَصْرَانِيًّا، بِقَوْلِهِ "بُدِّلَ البَوْلُ بِالخَرَا"([8]).

وَأَحْيَانًا تَكُونُ **حِيَلُ اليَهُودِ وَألاعيبُهُمُ المَرْوِيَّةُ** أَفْضَلَ مَا يَذْكُرُهُ الشَّاعِرُ فِي هَؤُلاءِ السَّاسَةِ كَمَا حَصَلَ عِنْدَ **أَبِي الحُسَيْنِ يُوسُفَ ابنِ الجَدِّ** حِينَ قَالَ فِي مُلوكَ الطَّوَائِفِ([9]): [البسيط]

أَرَى المُلُوكَ أَصَابَتْهُم بِأَنْدَلُسٍ ... دَوَائِرُ السَّوْءِ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ

وَكَيْفَ يَشْعُرُ مَنْ فِي كَفِّهِ قَدَحٌ ... تَحْدُو بِهِ مُذهلاتُ النَّايِ وَالوَتَرُ

صَمَّتْ مَسَامِعَهُ عَنْ غَيرِ نَغْمَتِهِ ... فَمَا تَمُرُّ بِهِ الآيَاتُ وَالسُّوَرُ

تَلْقَاهُ **كَالعِجْلِ مَعْبُودًا بِمَجْلِسِهِ** ... لَهُ خُوارٌ وَلكن حَشْوُهُ خَوَرُ([10])

فَغَدَتِ المُلُوكُ برأيِ الشَّاعِرِ **كعجلِ بَنِي إِسْرَائِيل**؛ مَعْبُودَةً بمَجَالِسِهَا وَتسَلُّطِهَا ولهَا صَوْتٌ مَسْمُوعٌ هُوَ صَوْتُ سُلْطَتِهَا وَجَبَرُوتِها،لكَنْ لا فَائِدَةَ فِيهَا،بَلْ فِيهَا ضَعْفٌ شَدِيدٌ.وَقِصَّةُ عِجْلِ بَنِي إِسْرَائِيل تَخُصُّ اليَهُودَ

---

[1] – انْظُرْ: ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [فرج] ٣٤٢/٢ .

[2] – النَّذْلُ: هُوَ الخَسِيسُ المُحْتَقَرُ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [نذل] ٥٦٥/١١ .

[3] – فِي النَّوَازِلِ مَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُم أَصْبَحُوا يركبونَ السُّروجَ عَلَى ظَهْرِ الدَّوَابِ وَيَلْبَسُونَ الفَاخِرَ مِنَ الثِّيَابِ الرَّفِيعَةِ الجَلِيلَةِ وَعَمَائِمَ الثَّوْبِ، وَبَاتَتْ هَذِهِ الظَاهِرَةُ تُزْعِجُ المُسْلِمِينَ وَأخذوا يسألون الفُقَهَاءَ حولها .

انْظُرْ : الوَنْشَرِيسي"**المِعْيَار المُعْرِب**" ٢٥٦/٢ – ٢٥٧؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ١٠٩/٣

[4] – انْظُرْ: البُخَارِيّ "**صحِيحُهُ**" ٩٦/٨ وَمَا بعدها [باب التعوذ مِنَ الفتن].

[5] – هُوَ الكاتب : عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ نَصْرِ بنِ مَنْصُورِ **بنِ بَسَّامٍ العَبَرتَائي** نسة إِلَى عبرتا، يُكنى أَبَا الحسن،كان حَسَنَ البَدِيهَةِ شاعرًا ماضياً لا يسلم مِنْ لسانه أحد،وَكَانَ يَقُولُ الشعرَ فِي هِجَاءِ الخُلَفاءِ والوُزَراءِ الرُّؤَساءِ،تُوُفِّيَ سَنَةَ ٣٠٢هـ عن نيف وسبعين سنة.

انْظُرْ : يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ الأُدَبَاء**"١٣٩/١٤– ١٥٣ .

[6] – هُوَ الأديب: موفق الدين **أَبُو الحجاج** يُوسُفُ بنُ مُحَمَّدٍ **بنُ الخلال المصري** مِنْ أعيان الكُتَّابِ المِصْرِيِّينَ وفضلائهم،وَكَانَ صاحب ديوان الإنشاء فِي وزارة صلاح الدين. انْظُرْ :ابن خَلِّكَان "**وَفَيَات الأَعْيَان**" ٢٢٠/٧– ٢٢٤؛ الذَّهَبِيّ "**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاء**"٥٠٥/٢٠ .

[7] – انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ "**مُعْجَمُ الأُدَبَاء**"١٥٢/١٤؛ المَقْرِيزِيّ "**المَوَاعِظ وَالاعْتِبَار**" ١٩٤/٢ .

[8] – انْظُرْ :السِّلَفِيّ"**أَخْبَارُ وَتَرَاجِمُ أَنْدَلُسِيَّةٌ**"ص٨٤؛ المَقْرِيزِيّ"**السُّلُوك**" ٨٣/٧؛ ابن تَغْرِي بَرْدِي"**النُّجُوم الزَّاهِرَة**"٢٥٥/١٤–٢٥٦؛ السَّخَّاوِيّ "**الضَّوْءُ اللامِع**" ٣١٨/١٠–٣١٩؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**"٢٩٠/٤ . وَسَتَمُرُّ الأبيات كَامِلَةً فِي الحَدِيثِ عن بالسُّمَيْسِر:ص١٤٣ .

[9] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م٢٥٦/١– ٢٥٧ .

[10] – الخَوَرُ: الضعف وَالانكسار . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [خور] ٢٦٢/٤ .

إلا أَنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يَأْخُذْهَا عَنْهُمْ، بَلْ مِنَ القُرْآنِ مِنْ (عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ)[1]، وَتَأَثُّر الشَّاعِرِ بِالقُرْآنِ وَاضِحٌ؛ففِي البَيْتِ الأَوَّلِ "دَوَائِرُ السَّوْءِ" من(عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ)[2]،وَاقْتَبَسَ مِنَ القُرْآنِ (لاَ تُبْقِي وَلا تَذَرُ)[3]،كَمَا أَنَّ هَذَا المهجُوَّ مَا عَادَتْ تُؤَثِّرُ فِيهِ "الآيَاتُ وَالسُّوَرُ".

هِجَاءُ السُّمَيْسِرِ لِلمُلُوكِ الذِينَ اسْتَوْزَرُوا يَهُودًا

كَانَ خَلَفُ بنُ فَرَجِ الإِلْبِيرِيُّ المَعْرُوفُ بِالسُّمَيْسِرِ[4]مثالاً لِلمُعَارَضَةِ السِّيَاسِيَّةِ الجَرِيئَةِ، فوَقَفَ فِي شِعْرِهِ مَوْقِفَ **المُعَارِضَةِ لِلسُّلْطَةِ الحَاكِمَةِ** مَهْمَا كَلَّفَهُ الأَمْرُ،وَكَانَ شِعْرُهُ حَافِلاً بِهِجَاءِ السَّاسَةِ وَعَلَى رَأْسِهِمُ المُلُوكُ وَالأمراءُ قِمَّةُ الهَرَمِ السِّيَاسِيِّ.وَلَمْ يَكُنِ السُّمَيْسِرُ الشَّاعِرَ الوَحِيدَ الذِي سَاءَهُ هَذِهِ الحَالُ،وَتَأَثَّرَ بِتَوَلِّي الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ الحُكْمَ وَتَحَدَّثَ عَنْ فَسَادِ الأُمُورِ.لكنَّ السُّمَيْسِرَ سَارَ فِي طَرِيقٍ خَافَ غَيْرُهُ أَنْ يَسلُكَهُ،فَكَانَتْ لَدَيْهِ جُرْأَةٌ وَصَرَاحَةٌ فِي مُوَاجَهَةِ صَاحِبِ غَرْنَاطَةَ، فَخَافَ الشُّعَرَاءُ وَلَجَأُوا إِلَى هِجَاءِ الوُزَرَاءِ،وَلَمْ يَقْتَرِبُوا مِنْ هِجَاءِ المُلُوكِ خَوْفًا مِنْ بَطْشِهِمْ بَيْنَمَا رَكَّزَ **السُّمَيْسِرُ** عَلَى هِجَاءِ مَنِ استَوْزَرَ اليَهُودَ.فَهَجَا بَادِيسَ لِتهاوُنِهِ وَتَرْكِ أُمُورِ دَوْلَتِهِ لِليَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَعَمَّمَ تَجْرُبَتَهُ عَلَى جَمِيعِ مُلوكِ عَصْرِهِ،فطَالَبَ بِالثَّوْرَةِ عَلَيْهِمْ،بِقَوْلِهِ[5]:[مجزوء الكامل]

نَـــادِ المُلْـــوكَ وَقـــلْ لَهُـــم مَـــاذَا الـــذِي أَحْـــدَثتُمُ

وَجَـــبَ القِيَـــامُ عَلَـــيكمُ إِذْ بِالنَّصَـــارَى قُمْـــتُمُ

---

[1] – **سُورَة الأَعْرَافِ**، آيَة ١٤٨؛ **سُورَة طَه**، آيَة ٨٨ .

[2] – **سُورَة التَّوْبَةِ**، آيَة ٩٨؛ **سُورَة الفَتْحِ**، آيَة ٦ .

[3] – **سُورَة المُدَّثِرِ**، آيَة ٢٨ .

[4] – هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو القَاسِمِ خَلَفُ **بنُ فَرَجٍ الأَلْبِيرِيّ** المَعْرُوفُ **بِالسُّمَيْسِر** ويكتبها ابن دِحْيَة **السُّمَيْسِير** بياء قبل الراء،مِنْ أعلام شعراء إِلْبِيرَةَ فِي مدة ملوك الطَّوَائِفِ،وَقَدْ ذكره الحجاري فِي "المُسْهِبِ"، وَابن بَسَّامٍ فِي "الذَّخِيرَة"، لَهُ تصرف حسن فِي مَقْطُوعَاتِ الأَبْيَات وَخاصَّة إِذَا هَجَا وَقدح،فقَدْ كَانَ كَثِيرَ الهِجَاءِ،وَأَمَّا إن مدح وَأطال القَصَائِدِ فشعره أقل جودة. وَلَهُ كتاب سَمَّاهُ "شِفَاء الأَغْرَاضِ فِي أَخْذِ الأَعْرَاضِ" .

انْظُرْ: الحُمَيْدِيّ"**جَذْوَة المُقْتَبِس**" ١/٣٢١–٣٢٢؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٨٨٢– ٩٠٤؛ السِّلَفِيّ"**أَخْبَارٌ وَتَرَاجِمُ أَنْدَلُسِيَّة**"ص ٢٨،٨٣– ٨٤؛ الأَصْفَهَانِيّ"**خَرِيدَة القَصْرِ**"ق٤،ج٢/١٥– ١٦؛ ابن دِحْيَةَ "**المُطْرِب**"ص٩٣؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/١٠٠– ١٠١؛"**رَايَات المُبَرِّزِين**"١٥٦؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٥/٢٥٢– ٢٥٣ .

[5] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٨٨٥ .

وَالسُّمَيْسِرُ هُوَ صَاحِبُ الكِتَابِ المُسَمَّى "شِفَاءُ الأَمْرَاضِ فِي أَخْذِ الأَعْرَاضِ" الذي اسْتَعَاذَ المَقَّرِيُّ بِاللهِ تَعَالى مِمَّا بِهِ حِينَ ذَكَرَهُ(١)، لِذَا لاءَمَ الهِجَاءُ اللاذِعُ لِلمُلُوكِ طَبْعَهُ وَكَثُرَ عِنْدَهُ.فَحِينَ اسْتَوْزَرَ بَادِيس يَهُودِيًّا ثُمَّ نَصْرَانِيًّا، قَالَ **السُّمَيْسِرُ** فيه(٢): [مجزوء الخفيف]

كُـــلَّ يَـــوْمٍ إِلَـــى وَرَا ... بُـــدِّلَ البَـــوْلُ بِـــالخَرَا

فَزَمَانًـــا تَهَـــوَّدَا ... وَزَمَانًـــا تَنَصَّـــرَا

وَسَتَصْـــبو إِلَـــى المَجُـــوسِ إِذَا الشَّـــيْخُ عَمَّـــرَا

وَجَاءَ فِي مُعْجَمِ السَّلَفِيِّ أَنَّ السُّمَيْسِرَ قَالَ الأَبْيَاتَ الثَّلاثَةَ فِي بَادِيسَ بنِ حَبُّوسَ حِينَ هَلَكَ وَزِيرُهُ اليَهُودِيُّ فَاسْتَوْزَرَ بَعْدَهُ نَصْرَانِيًّا،وَكَتَبَ بِهَا نُسَخًا عِدَّةً،وَرَمَاهَا فِي شَوَارِعِ البَلَدِ وَالطُّرُقَاتِ،وَسَارَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى المُعْتَصِمِ بنِ صُمَادِحٍ(٣)في المَرِيَّةِ،وَلَمَّا وَقَفَ بَادِيسُ عَلَيْهَا أَرْسَلَ وَرَاءَهُ أَصْحَابَ الخَيْلِ،فَفَاتَهُم،وَلَمْ يَلْحَقُوهُ وَطَارَتِ الأَبْيَاتُ فِي أَقْطَارِ الأَنْدَلُسِ(٤).وَاشْتُهِرَتْ حَتَّى فِي المَشْرِقِ، فَاسْتَشْهَدَ بِهَا صاحبُ "شَذَرَاتُ الذَّهَبِ" فِي الحَدِيثِ عن جمالِ الدِّينِ الكَرَكِيِّ(ت:٨٥٦هـ)(٥)مِنْ نَصَارَى الكَرَكِ،وَقَدِ استقرَّ كاتبًا للسِرِّ بِالدِّيارِ المِصْرِيَّةِ بَعْدَ مَوْتِ سَابِقِهِ اليَهُودِيِّ علمِ الدِّينِ ابنِ الكُوَيْزِ، فَكَانَتْ وَلايَتُهُ عِنْدَ بعضِ المُؤَرِّخِينَ أَقْبَحَ حَادِثَةٍ رَآهَا بَنُو عَصْرِهِ،وَقَالَ المَقْرِيزِيُّ إِنَّ وِلايَةَ الكَرَكِيِّ المَسِيحِيِّ بَعْدَ ابنِ الكُوَيْزِ اليَهُودِيِّ ذَكَّرَتْهُ بِأبياتِ السُّمَيْسِرِ حِينَ هَلَكَ ابنُ نَغْرِيلَّةَ الوَزِيرُ اليَهُودِيُّ لبَادِيسَ فاسْتَوْزَرَ بَعْدَهُ وَزِيرًا نَصْرَانِيًّا،فَأَثْبَتَهَا المَقْرِيزِيُّ(٦).

وبهَذَا كَانَ هِجَاءُ المُلُوكِ مُقْتَرِنًا كَثِيرًا بِهِجَاءِ وُزَرَائِهِم اليَهُودِ .

---

١ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٥/٢٥٣ .

٢ – السَّلَفِيّ"**أَخْبَارٌ وَتَرَاجِمُ أَنْدَلُسِيَّةٌ**"ص٨٤؛ المَقْرِيزِيّ"**السُّلُوك**"٧/٨٣؛ ابن تَغْرِي بَرْدِي"**النُّجُوم الزَّاهِرَة**"١٤/٢٥٥– ٢٥٦؛ السَّخَّاوِيّ "**الضَّوْء اللامِع**" ١٠/٣١٨– ٣١٩؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٤/٢٩٠ .

٣ – هُوَ السُّلْطَان:**المُعْتَصِم بالله** أَبُو يَحْيَى مُحَمَّدٌ بن معن **ابن صُمَادِح** التُّجيبي،وَالتُّجِيبِيُّون [يضم التاء عِنْدَ ابن دحية وفتحها بعضُهم، نسبة إِلَى امرأة اسمها تُجيب] وُلاة سَرَقُسْطَةَ،كَانَتْ مدة المملكة الصمادحية نحو خمسين سَنَةَ وَنيف،ملك المُعْتَصِم مِنْهَا إحدى وَأربعين، وَهُوَ ابن أربع عشرة سَنَة، كان جزل العطاء.وَفد إِلَيْهِ طالبو العطاء، وَكَانَ شديد العداء للمُعْتَمِدِ بنِ عَبَّادٍ.وَصدمته خيل المُرَابِطِينَ وَهُوَ عليل علته التي مات مِنْهَا، فحاصروه إِلَى أن توفى ٤٨٤هـ . انْظُرْ:ابن خَاقَان"**قَلائِد العِقْيَان**"ق١،ج١/١٤٦–١٥٦؛ عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص ١٣٥–١٣٧؛ ابن الأَبَّارِ"**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ٢/٧٨– ٨٨ ؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/١٩٥ – ١٩٨ .

٤ – انْظُرْ: السَّلَفِيّ"**أَخْبَارٌ وَتَرَاجِمُ أَنْدَلُسِيَّةٌ**"ص٨٣ .

٥ – وَهما: جمالِ الدِّين **يُوسُفُ بن الصفي الكَرَكِيّ** النَّصْرَانِيّ وَصديقه اليَهُودِيّ **عَلَمُ الدِّينِ دَاوُدُ ابنُ الكُوَيز**. وَقَدْ كَانَ أَبُو الجمال هَذَا مِنْ نصارى الكَرَك وَتظاهر بالإِسْلام،وَكَانَ هُوَ وَأبو عَلَم الدِّين قَدْ خدم كاتبًا عِنْدَ قاضِي الكَرَك وانتقلا إِلَى مِصْرَ،وَقَدْ عيَّنَ الأشرف برسباى عَلَم الدِّين دَاوُدُ بنُ الكُوَيْز ناظرًا للجيش بِمِصْرَ ٨٢٤هـ،ثُمَّ تَوَلَّى وَظِيفة كتابة السِّرِّ إِلَى أَنْ مات،وَبعد مَوْتِهِ خَلَعَ السُّلْطَانُ عَلَى جَمَال الدِّين يُوسُفَ بن الصفي الكَرَكِيّ (ت:٨٥٦هـ) كِتَابَةَ السِّرِّ. وَتوفى القاضِي جَمَال الدِّين بِدِمَشْقَ عَنْ سن عال،وَكَانَ قَدْ عزل عَنْهَا لِعَدَمِ أَهْلِيَّتِهِ .
انْظُر: المَقْرِيزِيّ"**السُّلُوك**" ٧/٨٣–٨٤؛ ابن تَغْرِي بَرْدِي"**النُّجُوم الزَّاهِرَة**"١٣/٨٥، ١٤/٨،٢٨،١٧٣–١٧٤،٢٥٥–٢٥٦،٢٧٧، ١٥/٨٣،١١٩،٣٥٠،٣٥٤،٣٩٧، ١٦/١٥،٢١،١٨٩،١٩٣،٣٤٩؛ السَّخَّاوِيّ"**الضَّوْء اللامِع**" ٣/٢١٣ –٧٩٧،٢١٤، ١٠/٣١٨–٣١٩؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٤/٢٩٠ .

٦ – انْظُر: المَقْرِيزِيّ"**السُّلُوك**" ٧/٨٣– ٨٤؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٤/٢٩٠ .

(ب) فِي هِجَاءِ مُوَظَّفِي الدَّوْلَةِ

وَلَمْ يَقِفِ الأمرُ عِنْدَ الشُّعَرَاءِ عَلَى هِجَاءِ المُلُوكِ لعَلاقَتِهِمْ بِاليَهُودِ،بَلْ تَعَدَّى الأمرُ هَذَا ليَشْمَلَ مَنْ قام مِنَ اليَهُودِ عَلَى أيِّ مصلحةٍ للمُسْلِمِينَ،مَهْمَا كَانَتِ الوَظِيفَةُ التِي يَشْغَلُهَا اليَهُودِيُّ.فَنَبَغَ كَثِيرٌ مِنَ اليَهُودِ،وَوَصَلَ بعضُهُمْ إلَى قُصُورِ الحُكَّامِ،وَعَمِلُوا فِي الوِزَارَةِ كَمَا رَأَينا،وَكُلُّ هَذَا لَمْ يَتِمّ فجأةً، فقدْ سبقتْهُ خطواتٌ عديدة مِنْ أدنى درجاتِ العملِ،لِذَا أتَوَقَّعُ أنَّ عددًا لَيْسَ قليلاً مِنَ اليَهُودِ كَانُوا يَقُومُونَ عَلَى أُمُورِ المُسْلِمِينَ فِي وَظَائفَ مُخْتَلِفَةٍ.فَابنُ نَغْرِيلَّة بَدَأَ حَيَاتَهُ كَاتِبًا أَمَامَ قَصْرِ بَادِيسَ بنِ حَبُّوسٍ،وَتَرَقَّى إلَى أَنْ وَصَلَ الوِزَارَةَ.وَذُكِرتْ أَسْمَاءُ بعضِ المُوَظَّفِينَ مِنَ اليَهُودِ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ وَالتَّرَاجِمِ،أوْ أُشِيرَ إلَيْهِم إشَارَةً دُونَ ذِكْرِ الاسْمِ أَحْيَانًا؛فذكر ابنُ عِذَارِي أنَّ أبَا عُمَرَ يَنَالَه اللَّمْتُونِيَّ والي غَرْنَاطَةَ كَانَ لهُ كاتبٌ "يَهُودِيُّ الأَعْرَاقِ وَالأَخْلاقِ"[١]،وَفِي قَوْلِهِ "يَهُودِيُّ الأَخْلاقِ" لَمزٌ وَاستهزاءٌ وَاضحٌ،وَإشارَةٌ إلَى أنَّ اليَهُودَ فِي بلادِ الأنْدَلُسِ كَانَ لَهُم وَضْعٌ خَاصٌّ وَأَخْلاقٌ خَاصَّةٌ، لِدَرَجةِ أنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يُحَاوِلْ تَوْضِيحَ المَقْصُودِ بِهَذَا الوَصْفِ الغَرِيبِ.

وَوُجِدَ مَنْ نَفَّرَ مِنَ اسْتِكْتَابِ اليَهُودِ وَنَسَبَ إلَيْهِمُ الغَدْرَ وَالحِقْدَ عَلَى المُسْلِمِينَ،فَفِي الأبْيَاتِ التَّالِيَةِ **لِعِيسَى بنِ عَبْدِ اللهِ الشَّرِيشِيِّ**[٢] يُخَاطِبُ مَنِ اسْتَكْتَبَهُمْ، قَائِلاً[٣]: [الوافر]

أَتَرْضَـــى أَنْ تَكُــونَ فَتَـــى هِـــلالٍ ... وَقَيْسٍ[٤] وابـنُ عَمِّكُمُ الرَّسُـولُ
وَتَحْمِـــي دِينَـــهُ بِالسَّـــيْفِ نَصْـــرًا ... وَكَـــاتِبُكُمْ يُكَـــذِّبُ مَـــا يَقُـــولُ
وَتَنْقُـــدُهُ عَلَيْـــكَ العُـــرْبُ طُـــرًّا ... أَمَـــا فِـــي المُسْـلِمِينَ بِـــهِ بَـــدِيلُ
مَتَـــى نَصَـــحَتْ **يَهُـــودُ** العُـــرْبَ يَوْمًـــا ... أَحِقْـــــدُهُمُ لأَوْسِـــــكُمُ يَـــــزُولُ

فَوُصِفَ اليَهُودُ بِالحِقْدِ الدَّائِمِ عَلَى المُسْلِمِينَ لِمَا فَعَلَهُ الأَوْسُ بِهِم،وَفِي هَذَا إشَارَةٌ إلَى أنَّ اليَهُودَ لا تَنْسَى أَبَدًا حُكْمَ سَعْدٍ(ت:٥هـ)[٥] فِي بَنِي قُرَيْظَةَ،وَيَجِبُ الحَذَرُ مِنَ الحِقْدِ الدَّفِينِ فِي نُفُوسِهِمْ.

---

١ – ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِيّ"**البَيَان المُغْرِب**" ٤/٧٧ .

٢ – هُوَ : **عيسى بنِ عَبْدِ اللهِ اللخْمِيِّ الذّجي الشَّرِيشِيِّ**، يكنى أَبَا موسى،مِنْ معاصري المُوَحِّدِينَ .

انْظُرْ : ابنُ عَبْدِ المَلِكِ المَرَّاكُشِيّ"**الذَّيْل وَالتَّكْمِلَة**"السفرالخامس ق٢ ، ص٤٨٧–٤٩٨ .

٣ – ابنُ عَبْدِ المَلِكِ المَرَّاكُشِيّ"**الذَّيْل وَالتَّكْمِلَة**"السفر الخامس ق٢ ،ص ٤٩٨ .

٤ – "هلال" وَ"قيس": مِنْ قبائل العَرَبِ؛ تنسبُ قيس إِلَى قيس بن عيلان بن مضر،وَقَدْ رزَقَ الله تعالى لقيس هَذَا أولادا كثر،وَمِنْ وَلَدِهِ قبائل هوازن،وَمِنْهَا جاء بنو هلال . انْظُرْ قبائل العَرَبِ في: أَبُو الفِدَاءِ"**المُخْتَصَر فِي أَخْبَارِ البَشَرِ**" ١/١٠٥ – ١٠٦ .

٥ – هُوَ الصحابي:**سَعْدُ بنُ مَعَاذ** بنُ النُّعْمَانِ الأنصاري الأوسي.شهد بَدْرًا،وَرُمِيَ يومَ الخَنْدَقِ فَعَاشَ شَهْرًا،ثُمَّ مات.وَفِي الأَبْيَاتِ إشارةٌ إِلَى حُكْمِ سَعْدِ عَلَى بني قُرَيْظَةَ بعد نَقْضِهِم عَهْدَهِم مَعَ الرَّسُولِ ﷺ فِي غزوةِ الخندق.فَأُمِرَ الرَّسُولُ ﷺ بالمسير إليهم ،وَحاصرهم خمسًا وَعشرين ليلة،وَلَمَّا اشتدَّ عليهم الحصارُ وافقوا أن يَحكُمَ فيهم زعيم الأوس سَعْدُ بنُ مَعَاذ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُ سيحكم بإطلاقهم.فأرسل إِلَيْهِ رسول الله ﷺ وَحِينَ حضر سَعْدُ مَحْمُولاً. قال:لَوْ وُلِّيتُ أمْرَهُمْ لَقَتَلْتُ مُقَاتِلَتَهُم وَسَبَيْتُ ذَرَارِيهِم.

انْظُرْ : الطَّبَرِيّ "**تَارِيخُهُ**" ٢/٥٨٣– ٥٨٧؛ البُخَارِيّ "**صَحِيحُهُ**" ٤/٨١– ٨٢؛ أَبُو الفِدَاءِ"**المُخْتَصَر فِي أَخْبَارِ البَشَرِ**" ١/١٣٥–١٣٦؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" ١/٢٧٩–٢٩٧؛ العَسْقَلاني"**فَتْح البَارِيّ**" ٧/٤٩٩– ٥٠٢ .

وَبَدَا أَثَرٌ لِليَهُودِ فِي **هِجَاءِ أَهْلِ المُدُنِ عَامَّةً**،وَمِثالٌ عَلَيْهِ ما قالَهُ أَبُو **حَفْصٍ الزَّكْرَمِيّ**[١] فِي هَجْوِ دَانِيَةَ[٢] وَأَهْلِهَا عِنْدَمَا طُولبَ بِمَكْسٍ[٣]،كَانَ يَتَوَلاهُ يَهُودِيٌّ،فَقَالَ[٤]: [الكامل]

يَـا أَهْـلَ دَانِيَــةٍ لَقَـدْ خَـالَفْتُمُ ... حُكْـمَ الشَّـرِيعَةِ وَالمُـرُوءَةِ فِينَـا
مَـالي أَرَاكُـمْ تَـأْمُرُونَ بِضِـدِّ مَـا ... أَمَرَتْ،تُـرَى نَسَـخَ الإِلـهُ الـدِّينَا
كُنَّـا نُطَالِـبُ **لِليَهُـودِ** بِجِزْيَــةٍ ... وَأَرَى **اليَهُـودَ** بِجِزْيَـةٍ طَلَبُونَـا
مَـا إِنْ سَـمِعْنَا مَالِكًـا أَفْتَـى بِـذَا ... لا لا وَلا مِــنْ بَعْــدِهِ سَــحْنُونَا
هَــذَا وَلَــوَ أَنَّ الأَئِمَّـــةَ كُلَّهُــمْ ... حاشَــاهُمْ بِــالمَكْسِ قَـدْ أَمَرُونَـا
مَـا وَاجِبٌ مِثْلِـي يُمَكِّسُ عِدْلَـهُ ... لَوْ كَانَ يَعْدِلُ وَزْنَـهُ قَاعُونَـا[٥]
وَلَقَـدْ رَجَوْنَـا أَنْ نَنَـالَ بِعَـدْلِكُمْ ... رِفْدًا يَكُونُ عَلَـى الزَّمَـانِ مُعِينَـا
فَــالآنَ نَقْنَــعُ بِالسَّــلامَةِ مِــنْكُمُ ... لا تَأْخُــذُوا مِنَّــا وَلا تُعْطُونَــا

يَسْتَهْزِئُ بِأَهْلِ دَانِيَةَ لأَنَّهُم يَسْتَخْدِمُونَ اليَهُودَ،فَاليَهُودُ تَتَوَلَّى جَمْعَ أَمْوَالِ الزَّكَاةِ مِنَ المُسْلِمِينَ،وَلَمْ يَقُلِ الزَّكَاةَ بَلِ الجِزْيَةَ لِيَزِيدَ السُّخْرِيَةَ بِمَا يَحْصُلُ.وَأَرَى فِي الأَبْيَاتِ ثَوْرَةً وَغَضَبًا شَدِيدَيْنِ للسَّمَاحِ لِليَهُودِ بِتَوَلِّي هَذِهِ الوَظَائِفِ.وَهَذَا جَعَلَ الشَّاعِرَ لا يَصُبُّ جَامَ غَضَبِهِ عَلَى مَلِكٍ أَوْ قَائِدٍ أَوْ وَزِيرٍ بَلْ وَجَّهَ الكَلامَ وَالهِجَاءَ إِلَى أَهْلِ دَانِيَةَ جَمِيعًا.

(ج) فِي مُهَاجَاةِ الشُّعَرَاءِ

قَامَتْ مُنَافَسَةٌ قَوِيَّةٌ بَيْنَ الشُّعَرَاءِ فِي بَلاطَاتِ الأُمَرَاءِ وَالمُلُوكِ العَرَبِ فِي الأَنْدَلُسِ وَفِي بلاطِ الوُزَرَاءِ اليَهُودِ كَذَلِكَ،وَكَانَتِ المُهَاجَاةُ بينهم مِنْ مَظَاهِرِ هَذِهِ المُنَافَسَةِ،ومِثالٌ عَلَى ذَلِكَ قِصَّةٌ سَبَقَتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهَا عَنِ الأَخْفَشِ حِينَ وَفَدَ عَلَى ابنِ صُمَادِح فَأَرادَ بعضُ الحُسّادِ الإيقاعَ بِهِ بِحُجَّةِ أَنَّهُ مَدَحَ ابنَ نَغْرِيلَةَ وبكاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ[٦].وَكَانَ ابنُ مَيْمُونَ الأَخْفَشُ وَابنُ المُنْفَتِلِ أَشْهَرَ الشُّعَرَاءِ

---

[١] – هُوَ: أَبُو **حفص العَرُوضِيّ الزَّكْرَمي** نسبة إِلَى زَكْرَم،لم ترد في"الرَّوْض المِعْطَار"،ولمْ يَحدِّدِ الحَمَوِيُّ مَوْقِعَهَا،فَقَالَ:إِمَّا قَرْيَةٌ بِإِفْرِيقْيَةَ أَوْ بِالأَنْدَلُسِ، وَإِمَّا قَبِيلَةٌ مِنَ البَرْبَرِ.

انْظُرْ: السَّلَفِيّ"**أَخْبَارٌ وَتَرَاجِمُ أَنْدَلُسِيَّةٌ**"ص٣٧؛ الأَصْفَهَانِيّ"**خَرِيدَةُ القَصْرِ**"ق٤،ج١/٣٥٨؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**"٣/١٤٥ .

٢ – **دَانِيَةُ:** بعد الألف نون مكسورة بعدها ياء مفتوحة،مَدِينَةٌ بالأَنْدَلُسِ مِنْ أعمال بَلَنْسِيَةَ عَلَى ضفة البحر شَرْقًا،وعَلَيْهَا سور حصين، وفي الجنوب مِنْهَا جبل عظيم مستدير ويسمى هَذَا الجبل جبل قاعُونَ .وكَانَتْ قاعدة ملك مجاهد العامري .

انْظُرْ: الإِدْرِيسِيّ"**نُزْهَةُ المُشْتَاقِ**" ٢/٥٥٧؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ "**مُعْجَمُ البُلْدَانِ**" ٢/٤٣٤، ٣/١٤٥، ٤/٢٩٨ .

٣ – المَكْسُ: الضريبة التي يأْخذها الماكسُ (العَشَّار) وَأَصله جباية مال يؤخذ مِنْ بائعي السلع فِي الأسواق.

ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [مكس] ٦/٢٢٠ .

٤ – يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٣/١٤٥ – ١٤٦؛ السَّلَفِيّ"**أَخْبَارٌ وَتَرَاجِمُ أَنْدَلُسِيَّةٌ**"ص٣٧– ٣٨ .

٥ – **قاعُونَ:** جبل شاهق عظيم مستدير قربَ دانية بالأَنْدَلُسِ،يُرى مِنْ مسيرة يومين.

انْظُرْ :الإِدْرِيسِيّ"**نُزْهَةُ المُشْتَاقِ**" ٢/٥٥٧؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٤/٢٩٨؛ السَّلَفِيّ"**أَخْبَارٌ وَتَرَاجِمُ أَنْدَلُسِيَّةٌ**"ص٣٨ [الحَاشِيَةُ].

[٦] – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٤/٣٤٦، سَبَقَتِ الإِشَارَةُ إِلَى البيت فِي البَحْثِ : ص ١٢١ .

بِبَلاطِ ابنِ نَغْرِيلَّة،وَدَارَتْ بَيْنَهُمَا مُهَاجَاةٌ(١)،ومَع أَنَّ دخُولَ الشَّاعِرَينِ بلاطَ الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ زَادَ المُنَافَسَةَ بَيْنَهُمَا وَأَلْهَبَ الهِجَاءَ بَيْنَهُمَا،إلا أَنَّ هَذِهِ المُهَاجَاةَ لَمْ يَكُنِ اليَهُودُ سببَهَا المُباشرَ،لكِنْ كَانَ البَلاطُ مَسْرَحًا لَهَا وَتُربةً خَصْبَةً أذْكَتْهَا.وَبِطَرِيقٍ غَيْرِ مُبَاشِرٍ كَانَ الوَزِيرُ اليَهُودِيُّ وَبلاطُهُ دَافِعًا لِهَذَا الهِجَاءِ،لا لِيَهُودِيَّتِهِ بَلْ لتَنَافُسِ الشُّعَرَاءِ حَوْلَهُ كالعَادَةِ فِي بَلاطَاتِ الأُمَرَاءِ.

ومِنَ المُلاحَظِ عَلَى مُهَاجَاةِ الشُّعَرَاءِ حَوْلَ ابن نَغْرِيلَّةَ أَنَّ أشعارَهم كَانَتْ عَادِيَّةً لا يَظْهَرُ فِيهَا أَثَرٌ لِلْيَهُودِ،فَكَانَتْ هِجَاءً مُرًّا بَيْن شَاعِرينِ.إلا أَنَّ مُهَاجَاةَ بَعْضِ الشُّعَرَاءِ خَارِجَ بَلاطِ اليَهُودِيِّ جَاءَ فِيهَا ذِكْرُهُم؛فَحِينَ دَارَتْ مَعْرَكَةٌ هِجَائِيَّةٌ بَيْن ابنِ اليَاسَمِينِ(ت:٦٠١هـ)(٢)وَعَدَدٍ مِنَ الشُّعَرَاءِ كَأَبِي العَبَّاسِ الجَرَاوِيّ(ت:٦٠٩هـ)(٣)،ذَاعَ **لِلجَرَاوِيِّ فِي هِجَائِهِ قَوْلُهُ**(٤):[البسيط]

إسْتُ الحُبَارَى(٥)وَرَأسُ النَّسْرِ بَيْنَهُمَا	لَوْنُ الغُرَابِ وَأنْفَاسٌ مِنَ الجُعَلِ(٦)
خُذْهَا إِلَيْكَ بِحُكْمِ الوَزْنِ أَرْبَعَةً	كَالنَّعْتِ وَالعَطْفِ وَالتَّوْكِيدِ وَالبَدَلِ

فَرَدَّ عَلَيْهِ ابنُ **اليَاسَمِينِ بِقَوْلِهِ** طاعِنًا فِي نَسَبِهِ(٧): [البسيط]

يَا أعْرَقَ النَّاسِ فِي **نَسْلِ اليَهُودِ** وَمَنْ	تَأْبَى شَمَائِلُهُ التَّفْصِيلَ للجُمَلِ
خُذْهَا بِحُكْمِ اجْتِمَاعِ الذَّمِّ وَاحِدَةً	تُغْنِي عَنْ النَّعْتِ وَالتَّوْكِيدِ وَالبَدَلِ

فيلمِزُ بِنَسَبِهِ بِقَوْلِهِ إِنَّهُ عَرِيقٌ فِي نَسَبِ اليَهُودِ،ويَظْهَرُ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ لازَمَتْهُ وَقَوْمَهُ(٨)حتَّى إِنَّهُ وَقَّعَ عَلَى اسْتِجْداءٍ لأَحَدِ الشُّعَرَاءِ بِبَيْتَيْنِ،زَادَ عَلَيْهِمَا الشَّاعِرُ البيتَ التَّالِي مُسْتَهزِئًا بِهِ: [مخلّع البسيط]

نَسَبْتُ لِلْمُسْلِمِينَ آلِي	وَكَانَ شَيْخُ **اليَهُودِ** جَدِّي

١ – مِنْ هَذِهِ المهاجاة أَنَّ ابنَ المُنْفَتِلِ هَجَا الأَخْفَشَ بِقَوْلِهِ: [المجتث]

إنْ كُنْتَ أَخْفَشَ عَيْنٍ   فَإِنَّ قلبَكَ أَعْمَى

فَكَيْفَ تَنْثُرُ نَثْرًا   وَكَيْفَ تَنْظِمُ نَظْمَا   ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٨٣/٢؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٣٤٧/٤ .

ومِنْ هِجَاءِ المُنْفَتِلِ كَذَلِكَ لابنِ مَيْمُونَ الأَخْفَشِ قَوْلُهُ : [مجزوء الرمل]

لابنِ مَيْمُونَ قَرِيضٌ   زَمْهَرِيرُ البَرْدِ فِيهِ

فَإِذَا مَا قَالَ شِعْرًا   نَفَقَتْ سُوقُ أَبِيهِ   المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٣٤٦/٤ .

٢ – هُوَ :عبد الله بن مُحَمَّدٍ بن حجاج وَيُعْرَفُ **بابن اليَاسَمِين** مِنْ فاس مِنَ البَرْبَرِ،كان أحد رجالات السلطان بالمغرب وَلَهُ أرجوزة فِي الجبر سمعت مِنْهُ بِإِشْبِيلْيَةَ فِي سَنَةَ ٥٨٧هـ، وتُوُفِّيَ ذبيحًا بِمَرَّاكُشَ سَنَةَ ٦٠١هـ .   انْظُرْ: ابن الأَبَّار "**التَّكْمِلَة**" ٣٠٧/٢ .

٣ – هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو **العباس** أحمد بن عبد السلام الكورائي **الجراوي**، قبيلته"كوراية" برابر، سكن مَرَّاكُشَ وَكَانَ أديبًا ،وله ديوان شعر، ألف للسُّلْطَانِ يعقوب المَنْصُور كتابه "صفوة الأدب وديوان العَرَبِ فِي مختار الشعر"، وَكَانَ يضرب بِهِ المثل فِي حسن التوقيع وإجادته. دخل الأَنْدَلُسَ متكررًا عَلَيْهَا وتُوُفِّيَ بِإِشْبِيلْيَةَ سنة٦٠٩هـ .   انْظُرْ: ابن الأَبَّار "**التَّكْمِلَة**" ١١٢/١– ١١٣؛ ابن سَعِيد "**الغُصُون اليَانِعَة**" ص٩٨–١٠٣ ؛ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَان**" ١٢/٧؛ أَحْمَد الناصِرِيّ"**الاستقصا**" ٢٠٠/٢ .

٤ – ابن سَعِيد "**الغُصُون اليَانِعَة**" ص٤٦ .

٥ – الحُبَارَى : طائر .   ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [حبر] ١٦٠/٤ .

٦ – الجُعَل : هو حَيَوَانٌ كالخُنْفُساء .   ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [جعل] ١١٢/١١ .

٧ – الباخِرْزِيّ "**دُمْيَة القَصْر**" ١٥٥/١؛ بن سَعِيد "**الغُصُون اليَانِعَة**" ص٤٦ .

٨ – قَالَ ابن سعيد إِنَّ قبيلتَهَ "كوراية" برابرٌ يعيبهم أهل المغرب وَيَزْعمُونَ أَنَّهُمْ يَهُودٌ.   انْظُرْ: ابن سَعِيد "**الغُصُون اليَانِعَة**"ص٩٨ .

وَكَانَ الجَرَاوِيُّ يُجَالِسُ بَنِي الشَّحْمَاتِ،فَقَالَ فِيهِ شَاعِرٌ يُدْعَى **بابن تلِّيس** يَسْتَهْزِئُ بهِ[١]:[الوافر]

بَنِـــي الشَّــحْمَاتِ أَنْـــتُمْ خَيْـــرُ آلٍ   وَأَكْـــرَمُ مَـــنْ تَسَـــامَى بِالجُـدُودِ

أَرَى نَجْــلَ الجَــرَاوِيِّ لكُــم جَلِيسًــا   وَحُرِّمَــتِ الشّــحُومِ عَلَــى **اليَهُـودِ**

وأرَى هَذَا مِنَ الهِجَاءِ القَاسِيّ.وَمِثْلُ هَذَا تَكَرَّرَ عِنْدَ ابنِ عَمَّارَ بِقَوْلِهِ لِلمُعْتَضِدِ إنَّ أعْدَاءَهُ البَرَابِرَةَ كَاليَهُود فِي مَوْقِعَيْنِ سبَقَتِ الإشَارَةُ إليهِما[٢].

الدَّائِرَةُ الثَّالِثَةُ: **هِجَاءُ اليَهُودِ لِلْعَرَبِ.**

بَحَثْتُ عَنْ شِعْرٍ لِليَهُودِ فِي هِجَاءِ العَرَبِ،فَلَمْ أجِدْ لَهُم شَيْئًا يُذكر،وَإِنْ كَانَ قَدْ قِيلَ فَلَمْ تُثْبِتْهُ الكُتُبُ.وَإِنْ ضَاعَ مَا استقبَحَهُ جَامِعُو الشِّعْرِ مِنْ هِجَاءِ المُسْلِمِينَ لِلمُسْلِمِينَ[٣]فَسَيَكُونُ مُتَوَقَّعًا أَنْ يُسْتَقْبَحَ وَيُسْتَبْعَدَ هِجَاءُ اليَهُودِ للمُسْلمِينَ،فَضَاعَ مثْلُ هَذَا الهِجَاءِ،لكِنْ بَقِيَتْ مِنْهُ أشْيَاءُ قَلِيلَةٌ،مِنْهَا مَا جاءَ عَنِ ابنِ نَغْرِيلَّةَ،أَنَّهُ: "أَقْسَمَ أَنْ يَنْظُمَ جَمِيعَ القُرْآنِ فِي أَشْعَارٍ وَمُوَشَّحَاتٍ يُغَنَّى بِهَا"[٤]،لكِنْ لَمْ تُوَضِّحِ الكُتُبُ هَلْ برَّ بِقَسَمِهِ أَمْ لا،فَلا يُرْوَى مِنْ شِعْرِ ابنِ **نَغْرِيلَّةَ** إلا قولُهُ[٥]:[مجزوء الرمل]

نَقَشَــتْ فِـــي الخَـــدِّ سَـــطْرًا   مِـــنْ كِتَـــابِ اللهِ مَـــوْزُونْ

لَــــنْ تَنَـــالُوا البِـــرَّ حَتَّـــى   تُنْفِقُـــوا مِمَّـــا تُحِبُّـــونْ

وفي هَذَا الكَلامِ اسْتِهْزَاءٌ وَاضِحٌ بِالقُرْآنِ،لكِنْ لَمْ يَبِنْ فِيهِ إِقْذَاعٌ وَلا فُحْشٍ،وَلا أدْرِي إِنْ كَانَ ابنُ **نَغْرِيلَّةَ** قَدْ أَتْبَعَ هَذِهِ بِأَبْيَاتٍ أُخْرَى كَمَا أَقْسَمَ أَمْ أَنَّ قَتْلَهُ مِنْ قِبَلِ العَرَبِ فِيمَا بَعْدُ لَمْ يُمْهِلْهُ،وَوَضَعَ حَدًّا لاسْتِهْزَائِهِ هَذَا.إلا أَنَّهُ وَرَّثَ **ابنَهُ** صِفَةَ الاسْتِهْزَاءِ بِالمُسْلِمِينَ وَقَدْ كَانَ صَغِيرًا لَمَّا قُتِلَ أَبُوهُ بِغَرْنَاطَةَ[٦]،فَهَرَبَ إِلَى إِفْرِيقِيَةَ،وَكَتَبَ مِنْهَا إِلَى أَهْلِ غَرْنَاطَةَ شِعْرًا مِنْهُ[٧]:[الخفيف]

أَقتِـــيلاً بِسَـــنْجِلٍ لَـــيْسَ تَخْشَـــى   حَشْـرَ جِسْـمٍ وَقَـدْ سَـمِعْتَ النَّصِـيحَا

غُـودِرَ الجِسْـمُ فِـي التُّـرابِ طَرِيحًـا   وَغَـدَا الـرُّوحُ فِـي البَسِـيطَةِ رِيحَـا

أَيُّهَـــا الغَـــادِرُونَ هَـــلا وَفَيْـــتُمْ   وَفَــدَيْتُمْ شِـبهَ الــذَّبِيحِ الــذَّبِيحَا

إِنْ يَكُـــنْ قَـــتْلُكُمْ لَـــهُ دُونَ ذَنْـــبٍ   قَــدْ قَتَلْنَــا مِــنْ قَبْــلِ ذَاكَ المَسِـيحا

وَنَبِيًّـــا مِـــنْ هَاشِـــمٍ قَـــدْ سَـــمَمْنَا   خَـرَّ مِنْ أكلَـةِ الـذِّرَاعِ طَرِيحَـا[٨]

---

١ – مُحَمَّد بن شَرِيفَة "**أديب الأَنْدَلُسِ أَبُو بَحْرٍ التَّجِيبِيّ**" ص ٢٨٣ .

٢ – ابن خَاقَان"**قَلَائِد العِقْيَان**"ق٢،ج١/٢٨٣ ،ق٢،ج١/٢٦٣؛السَّلَفِيّ"**أَخْبَارٌ وَتَرَاجِمُ أَنْدَلُسِيَّةٌ**"ص٨٤؛ابْن دِحْيَةَ"**المُطْرِب**"ص١٧١؛عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص١١٦؛المَقْرِيزِيّ"**السُّلُوك**"٨٣/٧؛ابن تَغْرِي بَرْدِي"**النُّجُوم الزَّاهِرَة**"٢٥٥/١٤-٢٥٦؛السَّخَّاوِيّ "**الضَّوْء اللامِع**" ٣١٨/١٠-٣١٩؛ المَقَّرِيّ"**نَفْحُ الطِّيبِ**"١٨٧/٢؛ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**"٢٩٠/٤. سَبَقَتِ الإشَارَةُ إِلَيْهَا فِي البَحْثِ:ص١٣٧،١٣١.

٣ – فصَرَّحَ المَرَّاكُشِي مَثَلاً بِأَنَّهُ استبعدَ شعرًا حسنًا كَثِيرًا للشَّاعِرِ ابنِ حَزْمُونَ لأَنَّهُ أقذعَ فيه، فلَمْ يُودِعْهُ كِتَابَهُ لأَنَّهُ لا يَستجيزُ أن يُنْقَلَ عَنْهُ مثل ذاكَ الإقذاعِ فِي القَوْلِ . انْظُر: عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**" ص٢٩٦ ، وانْظُرْ قَوْلَهُ فِي البَحْثِ: ص ١٣٨ [الحَاشِيَة] .

٤ – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١١٤/٢ .

٥ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٦ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ١١٥/٢ .

٧ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .

٨ – فِي الكلام إشارةٌ إِلَى الحَدِيثِ المروي عَنْ أنس بن مالك رضي الله وَفِيهِ أَنَّ يهودية أتتِ النَّبِيَّ ﷺ بشاةٍ مَسْمُومَةٍ،فَأَكل مِنْهَا ثُمَّ اكتشف السم،وَلَمَّا جيءَ بِهَا،وَسألها الرَّسُولُ ﷺ اعترفت بأَنَّها وَضعت لَهُ السم. انْظُرْ: البُخَارِيّ "**صَحِيحُهُ**" ٢٠٢/٣ – ٢٠٣ .

يَقُولُ ابنُ سَعِيدٍ فِي تَقْدِيمِهِ للأَبْيَاتِ:إنَّ هَذَا مِنْ شِعْرِه المَشْهُورِ،وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ شِعْرٍ غَيْرِ هَذَا[١]،وَبِمُلاحَظَةِ أَنَّ الشِّعْرَ المَذْكُورَ فِي هِجَاءِ العَرَبِ مِنْ وَزِيرٍ وَابْنِهِ،أَرَى أَنَّ غَيْرَهُمَا لا يَتَجَرَّأُ عَلَى هِجَاءِ المُسْلِمِينَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَأَكِّدًا مِنْ وُجُودِ حِمَايَةٍ لَهُ مِنْ غَضَبِهِم.حَتَّى إِنَّ الوَزِيرَ يُوسُفَ نفسَهُ كَانَ هِجَاؤُهُ أَحَدَ الأَسْبَابِ فِي الثَّوْرَةِ عَلَيْهِ وَقَتْلِهِ رُغْمَ بَأْسِهِ وَسُلْطَتِهِ.

وَمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ هِجَاءٍ بينَ اليَهُودِ وَالمُسْلِمِينَ لَمْ يَصِلْ إِلَى مُسْتَوى الشُّعُوبِيَّةِ؛فَلَمْ أجِدْ لِليَهُودِ مَا يُشْبِهُ مَثَلاً مَا جَاءَ بِهِ ابنُ غَرْسِية[٢]،وَفِي البَحْثِ أَبْيَاتٌ فِي هِجَاءِ اليَهُودِ،لكِنْ لَمْ أرَ قَصِيدَةً كاملةً أَوْ رِسَالَةً كَامِلَةً تَسْخَرُ مِنْهُمْ،لِذَا يَرَى سَعْد شَلَبِيّ أَنَّ هِجَاءَ اليَهُودِ مُجَرَّدُ مُمَاحَكَاتٍ قَائِمَةٍ عَلَى العَصَبِيَّةِ الدِّينِيَّةِ التِي أَثَارَتْهَا الخِلافَاتُ السِّيَاسِيَّةُ والتَّصَرُّفَاتُ الفَرْدِيَّةُ الشَّاذةُ[٣].

(٢) أَوْصَافٌ تَرَدَّدَتْ فِي هِجَاءِ اليَهُودِ .

تَكَرَّرَ لَفْظُ "**القِرْد**" أَوِ "**الخِنْزِير**" فِي السُّخْرِيَةِ مِنَ اليَهُودِ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ،وَكَانَ نَعْتُ اليَهُودِ **بالقُرُودِ** أَكْثَرَ مِنْ نَعْتِهِمْ بِأَيِّ شَيْءٍ آخَرَ فِي الهِجَاءِ،وَأَحْيَانًا كَانَ يَأْتِي لَفْظُ "**القِرْد**" مُفْرَدًا، وَأَحْيَانًا كَانَ يَأْتِي مَعَ صِفَةٍ تَزِيدُ مِنْ قُبْحِ لَفْظِهِ وَمِنَ البَذَاءَةِ فِيهِ،كَمَا حَصَلَ فِي قَصِيدَةِ **أَبِي إِسْحَاقَ الإلْبِيرِيِّ** التِي وَرَدَ فِيهَا لَفْظُ "**القِرْد**" مَرَّتَيْنِ،الأُولَى مِنْهُمَا عَنْ بَادِيسَ؛بِقَوْلِهِ[٤]: [المتقارب]

فَعَزَّ اليَهُودُ بِهِ وَانْتَخَوْا ... وَتَاهُوا وَكَانُوا مِنَ الأَرْذَلِينْ

فَكَمْ مُسْلِمٍ فَاضِلٍ قَانِتٍ ... لأرْذَلِ **قِرْدٍ** مِنَ (٥)

وَالثَّانِيَةَ فِي القَصِيدَةِ نَفْسِهَا،فَقَالَ **الإلْبِيرِيُّ** :[المتقارب]

وَرَخَّمَ **قِرْدُهُمُ** دَارَهُ ... وَأَجْرَى إِلَيْهَا نَمِيرَ العُيُونْ

فَصَارَتْ حَوَائِجُنَا عِنْدَهُ ... وَنَحْنُ عَلَى بَابِهِ قَائِمُونْ

---

١ – لَمْ أَجِدْ شَيْئًا مِنْهُ فِي المَصَادِرِ.وَفِي اخْتِفَائِهِ تَأْكِيدٌ عَلَى مَا قُلْتُ سَابِقًا عَنِ اخْتِفَاءِ شِعْرٍ لِليَهُودِ ضمن مَا اختفى مِنَ الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ .

٢ – هُوَ: أَبُو عامر أحمد **ابن غَرْسِية**، مِنْ أبناء نصارى البُشْكُنس،سُبِيَ صَغِيرًا،وَأَدَّبه مُجَاهِدٌ،وَكَانَ بينه وَبين أَبِي جَعْفَرٍ بن الجَزَّارِ الشَّاعِرِ صُحْبَةٌ وَاسْتِكْتَابَاتٌ كَانَ مِنْهَا مَا كتبه لَهُ معاتبًا إياه لتركه مدح مُجَاهِدٍ وَاقتصاره عَلَى مدائح المُعْتَصِم بن صُمَادِح،فَقَالَ ابن بَسَّامٍ إِنَّهَا رسالة ذميمة وَإِنَّهُ ذَمَّ العَرَبَ فِيهَا وَفخر بقومه العَجَم. ثُمَّ أورد ابن بَسَّامٍ مَعَهَا فُصُولاً مِنْ رَسَائِلِ لبعض مَنْ ردوا عَلَيْهِ وَبكتوه،حَتَّى أسكتوه . انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/٤٠٦ – ٤٠٧؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٠٤ – ٧٢٢ .

٣ – انْظُرْ: سَعْد إِسْمَاعِيل شَلَبِيّ"**البيئة الأَنْدَلُسِية وأثرها فِي الشعر**" ص٤٢٦ .

٤ – أَبُو إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ "**دِيوَانُهُ**"ص٨٩؛ ابن سَعِيد"**المُغْرِب**"٢/١٣٣؛ ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلام**"ص٢٣١؛المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**"٦/٩٤.

٥ – إِشارة إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ **سُورَة البَقَرَة**، آيَة ٦٥ .

وَحِينَ رَحلَ ابنُ عُتْبَةَ الإشْبِيلِيُّ[١] إِلَى مِصرَ سُئِلَ عَنْ حَالِهِ سَمَّى مِصرَ دَوْلَةَ القُرُودِ لتَحَكُّمِ النَّصَارَى واليَهُودِ فِيهَا،وَفَضَّلَ العَودَةَ لابنِ هُودٍ،فَقَالَ[٢]: [مخلع البسيط]

أَصْـبَحْتُ فِـي مِصْـرَ مُسْتَضَـامًا   أَرْقُـصُ **فِـي دَوْلَـةِ القُـرُودِ**

وَاضَـيْعَةَ العُمْــرِ فِــي أَخِيــرٍ   مَــعَ النَّصَــارَى أَوِاليَهُــودِ

تَبَصَّــرِ الــدَّهْرَ مَــنْ يُرَاعِــي   مَعْنَــى قَصِــيدَ وَلا قَصُــودِ

أَوَدُّ مِــــنْ لُــــؤْمِهِمْ رُجُوعًــــا   لِلغَـرْبِ فِـي دَوْلَـةِ ابـنِ هُـودِ

وَادَّعَى هِنْرِي بيرِسْ أَنَّ لفْظَ القِرْدِ خَاصٌّ باليَهُودِ بِقَوْلِهِ:"وَإذا كَانَتْ كَلِمَةُ **الخِنْزِير**... تُطْلَق عَلَى المَسِيحِيِّينَ فَإِنَّ كَلِمَةَ **قِرْد** كَانَتْ بِعَامَّةٍ مِنْ نَصِيبِ اليَهُودِ تَأَثُّرًا بِالآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ"[٣]،وَاسْتَشْهَدَ هِنْرِي بيرِسْ بِآيَاتٍ مِنَ القُرْآنِ فِيهَا لَفظُ **"قِرَدَةٍ"** لِتُؤَكِّدَ ادِّعَاءَهُ.وَمَنْ يَتَأَمَّلُ سِيَاقَ الآيَاتِ يَجِدْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ فِي اليَهُودِ،بَلْ جَاءَتْ فِي الحَدِيثِ مَعَ أَهْلِ الكِتَابِ،وَاليَهُودُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ المُخَاطَبِينَ فِيهَا.

وَبَحَثْتُ عَنْ لَفْظِ **"قِرْدٍ"** وَ**"قِرْدَةٍ"** فِي شِعْرِ الأَنْدَلُسِيِّينَ لأَرَى إِنْ كَانَتْ صِفَةً لازَمَتْ جَمَاعَةَ اليَهُودِ كَمَا يَزْعُمُ هِنْرِي بيرِسْ،فَوَجَدْتُ أَنَّهَا وَرَدَتْ بِكَثْرَةٍ كَذَلِكَ فِي هِجَاءِ المُسْلِمِينَ؛فَجَاءَ مِنَ إِبْرَاهِيمَ ابنِ إِدْرِيسَ المُؤَبِّلِ[٤] لَمَّا مَرَّ مَوْكِبُ المَنْصُورِ بنِ أَبِي عَامِرٍ(ت:٣٩٢هـ)[٥] أَمَامَهُ حِينَ تَغَلَّبَ عَلَى هِشَامِ المُؤَيَّدِ (ت:٣٩٣هـ)[٦] وَاستَبَدَّ بِالأَمْرِ دُونَهُ،فَقَالَ **المُؤَبِّلُ** مُسْتَهْزِئًا[٧]:[الكامل]

تَمْشِـي عَسَـاكِرُهُم حَـوالَيْ هَـوْدَجٍ   أَعْـوَادُهُ فِـيهِنَّ **قِـرْدٌ** أَشْـهَبُ[٨]

أَبَنِـي أُمَيَّــةَ أَيْـنَ أَقْمَـارُ الـدُّجَى   مِــنْكُم وَمَــا لِوُجُوهِهَــا تَتَغَيَّــبُ

١ – هُوَ: ابنُ **عُتْبَةَ الإشْبِيلِيُّ** رحلَ مِنَ الأَنْدَلُسِ إِلَى مِصْرَ ،وَفارق إِشْبِيلِيَةَ حِينَ تولاها ابنُ هُودٍ. انْظُرْ:المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٣/٤٠٤ .

٢ – المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٣/٤٠٤ .

٣ – هنري بيرِسْ "**الشِّعْر الأَنْدَلُسِيّ فِي عَصْرِ الطَّوائِف**"ص٢٢٠ .

٤ – هُوَ: **إِبْرَاهِيمُ** بنُ إِدْرِيسَ العَلَوِيُّ الحَسَنِيُّ **المُلَقَّب بِالمُؤَبِّل**،مِنْ أبناء الأدارسة، كان أديبًا شاعرًا.أصله مِنَ المَغْرِب وَسكن قُرْطُبَةَ إِلَى أَنْ سَيَّرَهُ ابن أبِي عامر عَنْ الأَنْدَلُسِ ،والمُؤَبِّل هو مَنْ كَانَ حاذقًا برعاية الإبل وَالقيام عَلَيْهَا،وقِيلَ هُوَ الذي لا يَغْشَى النساء. انْظُرْ: ابن الأَبَّارِ"**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ١/٢٢٦ – ٢٢٨؛ ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**" ٢/٢٨١؛ ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [أبل] ١١/٤ .

٥ – هُوَ:**المَنْصُور** مُحَمَّدٌ بن عبد الله **بن أَبِي عامر** المعافري،أَصْلُهُ مِنَ الجَزِيرَةِ الخَضْرَاءِ،مَوْلِدُهُ عام ٣٢٧هـ،وَرَدَ قُرْطُبَةَ لِطَلَبِ العلم، وَلَمْ تَزَلْ حَالُهُ تَعْلُو فِيهَا إِلَى أَنْ صَارَ صَاحِبَ التَّدْبِيرِ وَالمُتَغَلِّبِ عَلَى الأُمُورِ وَحَجَبَ هِشَامًا المُؤَيّد ،فَدَانَتْ لَهُ أَقْطَارُ الأَنْدَلُسِ كُلُّهَا.

انْظُرْ: الحُمَيْدِيّ"**جَذْوَة المُقْتَبِس**" ١/١٣١،٤٧– ١٣٣؛ ابن خَاقَان"**مَطْمَح الأَنْفُسِ**"ص٣٨٨ – ٣٩٧؛ الضَبِّيّ"**بُغْيَة المُلْتَمِس**" ١/١٥٢–١٥٣؛ابن الأبار"**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ١/٢٦٨ – ٢٧٧؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١/١٩٩– ٢٠٣؛ ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَة**" ٢/١٠١ –١٠٧؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ١/٣٧٨– ٤٠٥؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٢/١٤٣–١٤٤؛ ابن خَلْدُونَ"**تَارِيخُهُ**" ٤/١٨٩– ١٩٢ .

٦ – هُوَ الخليفة: **هِشَامُ المُؤَيَّد** بن الحَكَمِ المُسْتَنْصِرُ(٣٦٦– ٣٩٣هـ) يُكْنَى أَبَا الوليد،أمه أُمُّ وَلَدٍ اسْمُهَا صُبْحٌ،وَلِيَ الخِلافَةَ بَعْدَ أَبِيهِ عَشْرَةَ أَعْوَامٍ وَأَشْهُرٍ،وَكَانَ مُتَغَيِّبًا لا يظهر وَلا ينفذ لَهُ أمر،حَيْثُ تغلب عَلَى أمره وتولى حجابته وتدبير مملكته أَبُو عامر المَنْصُور،الذي ضَمِنَ لِصُبْحٍ استقرار الملك لابنها . انْظُر: الضَبِّيّ"**بُغْيَة المُلْتَمِس**"١/٤٣؛عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**" ص٢٧– ٣٠.

٧ – ابن الأَبَّارِ"**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ١/٢٢٦ – ٢٢٨ .

٨ – أَشْهَبُ: قَوِيٌّ شديدٌ، وَأَكثرُ مَا يُسْتَعْمل فِي الشِّدَّة وَالكَرَاهَة . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [شهب] ١/٥٠٨ .

وَجَاءَ لفظُ "**قِرْدٍ**" فِي شِعْرِ **لابنِ زَمْرَك**(ت:٧٩٥هـ)[١] مَدَحَ فِيهِ السُّلْطَانَ أَبَا العَبَّاسِ المُرَيْنِيِّ،**وَالقِرْدُ** فِيهَا هُوَ لِسَانُ الدِّينِ بنُ الخَطِيبِ حِينَ سُمِحَ لَهُ بِسُكْنَى فَاسَ[٢]،وَذَكَرَ هِنْرِي بيرِسْ نَفْسُهُ أَنَّ "**القِرْدَ**" لَمْ يَكُنْ إِشارةَ احتقارٍ دَائِمًا[٣]،ثُمَّ أضافَ بيرِسْ أَنَّ أَحَدَ المُتَشَدِّدِينَ مِنْ وُلاةِ البَرْبَرِ أَلْزَمَ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَنْ يَضَعُوا عَلَى أَكْتَافِهِمْ رِقَاعًا بَيْضَاءَ فِي كُلِّ رُقْعَةٍ مِنْهَا **قِرْدٌ وَخِنْزِيرٌ** وَعَلَى أَبْوَابِ دُورِهِمْ أَلْوَاحًا مُصَوَّرٌ فِيهَا **قِرَدَةٌ**[٤].وَعَلَّقَ بيرِسْ أَنَّ تَشَدُّدَ الوَالِي لَمْ يَكُنْ خَاصًّا بِأَهْلِ الذِّمَّةِ بَلْ كَانَ مُتَشَدِّدًا مَعَ أَهْلِ مَنْطِقَتِهِ آخِذًا عَلَيْهِمْ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَنَاحِي لَهْوِهِمْ وَلَعِبِهِمْ.وَأَنَا مَعَ هِنْرِي بيرِسْ فِي أَنَّ "**القِرْدَ**" لَمْ يَكُنِ القَصْدُ مِنْهُ دَائِمًا إِهَانَةَ اليَهُودِ فَحَسْب،بَلْ كَانَ كَذَلِكَ رَمْزًا للسُّخْرِيَةِ مِنَ المُسْلِمِينَ[٥]،فَكَانَ لفظُ "**قِرْدٍ**" فِي هِجَاءِ اليَهُودِ كَاسْتِخْدَامِهِمْ لَهُ فِي هِجَاءِ العَرَبِ.

وَكَانَ "**قِرْدٌ**" يُشْبِهُ "**الكَلْبَ**" فِي قَوْلِ المُنْتَقِلِ فِي عَرَبِيٍّ "**كَالكَلْبِ** أَسْقَطَ شَعْرَهُ لَعْقُ الدَّمِ"[٦]، وَجَاءَ "**الكَلْبُ**" وغَيْرُهُ مِنَ الحَيَوانَاتِ وَصْفًا لليَهُودِ كَذَلِكَ عِنْدَ **الإلْبِيرِيِّ** بِقَوْلِهِ فِيهِمْ[٧]:[المتقارب]

فَقَدْ ضَجَّتْ الأَرْضُ مِنْ فِسْقِهِمْ … وَكَادَتْ تَمِيدُ بِنَا أَجْمَعِينْ

تَأَمَّلْ بِعَيْنَيْكَ أَقْطَارَهَا … تَجِدْهُمْ **كِلابًا** بِهَا خَاسِئِينْ

ثُمَّ وَصَفَ وَزِيرَهُم اليَهُودِيَّ **بِالكَبْشِ السَّمِينِ** وَطَالَبَ **الإلْبِيرِيُّ** بِذَبْحِهِ بِقَوْلِهِ[٨]: [المتقارب]

فَبَادِرْ إِلَى ذَبْحِهِ قُرْبَةً … وَضَحِّ بِهِ فَهْوَ **كَبْشٌ** سَمِينْ

فَإِنِ استُخدِمَتْ أَلفاظُ "**قِرَدَة أَوْ خَنَازِير**" مَرَّةً فِي الإِشَارَةِ إِلَى يَهُودِيٍّ وَأُخْرَى فِي نَصْرَانِيٍّ إلا أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ خَاصَّةً بِاليَهُودِ وَالنَّصَارَى،بَلْ جَاءَتْ بِكَثْرَةٍ فِي هِجَاءِ العَرَبِ،وَمِثَالٌ عَلَيْهَا مَا جَاءَ عِنْدَ أَبِي عَامِرِ بنِ شُهَيْد فِي رِسَالَةٍ طَوِيلَةٍ احْتَوَتْ شِعْرًا كَثِيرًا تَكَرَّرَ فِيهَا "**القِرْدُ**" وَ"**الخِنْزِيرُ**" وغَيْرُهُمَا مِنَ

---

١ – هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو عبد الله مُحَمَّدُ بن يُوسُفُ الصريحي،وَيُعْرَفُ **بابن زَمْرَك** (٧٣٣–٧٩٥هـ) مِنْ أشهر تلامذة ابن الخَطِيب،ومِنْ أشد خصومه فِيمَا بعد،أصله مِنْ شرقي الأَنْدَلُسِ،سكن سلفه غَرْنَاطَة،وترقَّى فِي الكِتَابَةِ إِلَى أن وَصل إِلَى السُّلْطَان أَبِي سَالِم ملك المَغْرِب، وَلَمَّا انتقل آخر سلاطين العَرَبِ ابن الأحمر إِلَى المَغْرِب،أنس لَهُ وَخصه بكتابة سره،مات مقتولاً. انْظُرْ: ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَة**" ٢/٣٠٠– ٣١٤؛"**الكَتِيبَة الكَامِنَة**"ص ٢٨٢– ٢٨٨؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٣/١٠– ١٢٢؛"**أَزْهَارُ الرِّيَاضِ**" ٧/٢ .

٢ – قَالَ ابنُ زَمْرَك:[الكَامِل] قُولُوا لِقِرْدٍ فِي الوِزَارَةِ غَرَّهُ … حِلْمٌ مَنَنْتَ بِهِ عَلَى مِقْدَارِ

أَسْكَنْتَهُ مِنْ فَاسَ جَنَّةَ مُلْكِهَا … مُتَنَعِّمًا مِنْهَا بِدَارِ قَرَارِ

المَقَّرِيّ "**أَزْهَارُ الرِّيَاضِ**" ٣٠/٢؛ "**نَفْحُ الطِّيب**" ١٦٤/٧ .

٣ – أَرْسَلَ أَلفونسُ السَّادِسُ لحُسَامِ الدَّوْلَةِ ابنِ رَزِينٍ "قِرْدًا" لِكَيْ يَشْكُرَهُ عَلَى الهَدَايَا التِي تَلَقَّاهَا مِنْهُ، وَلَمْ يرَ الأَمِيرُ فِي عَمَلِهِ هَذَا إِشَارَةَ احْتِقَارٍ، وَسُرَّ بِهَا. انْظُرْ: هنري بيرِسْ "**الشِّعْر الأَنْدَلُسِيّ فِي عصر الطَّوَائِفِ** " ص٢٢٠ .

٤ – انْظُرْ: هنري بيرِسْ "**الشِّعْر الأَنْدَلُسِيّ فِي عصر الطَّوَائِفِ** " ص٢٢٠ .

٥ – مِثالٌ عَلَى هَذَا حِينَ قَضَى المَنْصُورُ بنُ المَهْدِيِّ (ت:٣٤١هـ) عَلَى مُخَلدٍ الإبَاضِيِّ(ت:٣٣٦هـ) أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ عَلَى جَمَلٍ وَعَلَى كَتِفَيْهِ قِرْدَانِ، وَطيفَ بِهِ أَيَّامًا إِلَى أَنْ مَزَّقَتْهُ الرِّيَاحُ. انْظُرْ: ابن الأَبَّار "**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ٣٨٧/٢ –٣٨٩ .

٦ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٦١ .

٧ – أَبُو إِسْحَاقَ الإلْبِيرِيّ"**دِيوَانُهُ**" ص٨٩– ٩٢؛ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٣٣/٢؛ ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلَامِ**"ص ٢٣١– ٢٣٣ .

٨ – نَفْسُهُ ص ٩٢ ؛ نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا ؛ نَفْسُهُ ص ٢٣٣ .

الحَيَوانَاتِ،وَكُلُّهَا كَانَتْ فِي العَرَبِ وَلَيْسَ اليَهُودِ[1]،وَمَعَ أَنَّ الكَلامَ فِي مُعْظَمِهَا اسْتِهْزَاءٌ بِوَزِيرَيْنِ مِنَ العَرَبِ،إلا أَنَّهُ قَالَ فِيهِمَا نَظْمًا أَقْسَى مِمَّا قِيلَ فِي اليَهُودِ،وَفي الأبْيَاتِ المُدْرَجَةِ فِي الرِّسَالَةِ أَوْصَافٌ لَهُمَا قَدْ يَكُونُ الوَصْفُ "**بِالقِرَدَةِ**" أَوِ "**الخَنَازِير**" أَهْوَنَ مِنْهَا[2].وَلَمْ يُعْطِهِمَا وَصْفًا وَاحِدًا فَقَطْ كَمَا كَانَ يُقَالُ أَحْيَانًا فِي وَصْفِ اليَهُودِ،فَقَدْ وَصَفَهُم بِأَوْصَافٍ عِدَّةٍ،وَكَانَتِ الصُّورَةُ العَامَّةُ لَهُم أَنَّهُم لَيْسُوا مِنَ البَشَرِ مَعَ أَنَّهُم عَلَى شَكْلِ البَشَرِ؛بَلْ كَانُوا قَائِمَةً طَوِيلَةً مِنَ الحَيَوانَاتِ[3]،وبِهَذَا لا يَكُونُ لفظُ "**قِرْد**" خَاصًّا بِاليَهُودِ وَإِنِ اسْتُخْدِمَ فِي هِجَائِهِمْ بِكَثْرَةٍ.

وَكَانَتِ "**الأَنْذَالُ،وَالعُلُوجُ**" مِنَ الأَلْفَاظِ الَّتِي جَاءَتْ فِي هِجَائِهِم.وَجَاءَتْ فِي النَّثْرِ أَكْثَرَ مِنَ الشِّعْرِ.وَظَهَرَ إِقْذَاعٌ أَحْيَانًا، كَمَا مَرَّ فِي البَحْثِ سَابِقًا بِأَنَّهُم "البَوْلُ الذي بُدِّلَ بِالخَرَا"[4].

وَمُعْظَمُ الصِّفَاتِ الَّتِي وُصِفُوا بِهَا فِي شِعْرِ الهِجَاءِ كَانَتْ مَعْنَوِيَّةً وَلَيْسَت خَلْقيةً؛فَوُصِفُوا بِعَدَمِ الإِخْلاصِ فِي عَمَلِهِم؛فَالطَّبِيبُ مِنْهُمْ بَدَا سَيِّئًا شِرِّيرًا فِي تَطْبِيبِهِ لِلمُسْلِمِينَ،وَهُمْ يَحْمِلُونَ مُعْتَقَدَاتٍ خَاطِئَةً،فَهُمْ "عُصْبَةُ شَرٍّ"،وَوُصِفوا "بِسَخَافَةِ العَقْلِ وَقُبحِ الرَأْيِ".وَوُصِفُوا بِأَنَّهُم يَحْمِلُونَ عَدَاءً كَبِيرًا لِلإِسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ؛فَهُمْ يغُلُّونَ عَلَى النَّبِيِّﷺ،وَلَدَيْهِم حِقْدٌ لا يَزُولُ عَلَى المُسْلِمِينَ،وَلا يَقْبَلُونَ النُّصْحَ مِنَ المُسْلِمِينَ وَلا يُقَدِّمونَ النُّصْحَ للمُسْلِمِينَ،وَلا يَتَوَرَّعُونَ أَبَدًا عَنْ تَحْلِيلِ الحَرَامِ عَنِ المُسْلِمِينَ،كُلُّ هَذَا بِجَانِبِ فُجُورِهِمْ.وَقَدْ كَانَ أَثَرُ اليَهُودِ فِي الهِجَاءِ أَوْضَحَ مَا يُمْكِنُ حِينَ كَانَ يُشَبَّهُ بِهِم المَهْجُوُّ دُونَ تَفْصِيلٍ أَوْ تَوْضِيحٍ لِلتَّشَابُهِ بَيْنَ المَهْجُوِّ وَاليَهُودِ،وَهَذَا كَانَ كَثِيرًا فِي الشِّعْرِ.

---

[1] – أورد ابن بَسَّامٍ فصولا مِنَ الرِّسَالَةُ مِنْهَا قوله:[الرجز]

هَلا سَتَرتَ الشَّيْنَ بِالزَّيْـنِ ... مِنْ قَبْلِ إِحْضَارِ الوَزِيرَيْنِ
صَدَّهُمَا مِنْ **قِرْدِكَ** المُصْطَفَى ... نَطْحَةُ **نَطَّاحٍ** بِـرَوْقَيْنِ
وَمَا رَأَى النَّاسُ عَلَى مَا مَضَى ... مِنْ قَبْلِهِ **قِرْدًا** بِقَرْنَيْـنِ

ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢١٥/١ .

[2] – مِنْهَا:[البسيط] نَذْلانِ مَا حُرِّكا إلا فَشَا ذُفْرٌ ... نَفْحُ **الكِلابِ** إِذَا مَا مَسَّهَا المَطَرُ
لَوْ أَنَّ أَشياخَنَا كَانَتْ لَهُمْ هِمَمٌ ... تُبْقِي رِيَاسَتَنَا لَمْ تَرْأَسِ **البَقَـرُ**
لكِنَّهُم – وَقَضَاءُ اللهِ مُحْتَمَلٌ – ... لَيْسُوا مِنَ النَّاسِ إلا أَنَّهُم صُوَرُ
بُومٌ يُرَى الشُّؤْمُ بَادٍ فِي صَحِيفَتِهِ ... **وَقِرْدُ** سُوءٍ عَلَى صَفْحَاتِهِ وَبَرُ

ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢٢٤/١ .

[3] – هَجَا ابنُ شُهَيدٍ اثْنَيْنِ؛فَشَبَّهَ أَحَدَهُمَا **بِالثُّعْبَانِ** العَظِيمِ،وَرَائِحَتَهُمَا تَنْدَفِعُ بِشِدَّةٍ كَرَائِحَةِ **الكَلْبِ**،وَهُمْ **كَالبَقَرِ**،وَهُما فِي مَجْلِسِهِمَا **بُومٌ وَقِرْد**. وَجَاءَ فِي نَثْرِ الرِّسَالَةِ نَفْسِهَا كميةٌ أُخْرَى مِنَ الحَيَوَانَاتِ فِي هِجَاءِ مُسْلِمِينَ مِنْهَا:"فالله، اللهَ فِي قَبُولِ هَذَا **القرد** وَالالتباس به.... وَمَا كَانَ هَذَا **القردُ** أهلا لأن يُحْمَلَ عَلَيْهِ حُرُّ كلامٍ... وَقَدْ علاه **خنزير**....وعطس مُستنجاهُ بإبرَةِ **زُنْبُورٍ**.....فالله،اللهَ فِي قَبولِ هَذَا **القرد** وَالالتباس بِهِ،فإنه **قُدارٌ**....لا يَصْلُحُ **للأفعى** مَرادُ الرَّوْضِ،وَلا وُرودُ الحوضِ،ولا يدفعُ لؤمَ **الكلبِ**....كرمُ الصَّحْبِ ثلاثة سموم:سُمٌّ **أفعى وَعقرَبٍ وَيَعْسُوبِ نحلٍ**.....أَقذع كَثِيرًا فِي الحَدِيثِ فِي غراميل **البغال**،وَالكلام فِي **الجرذانِ**.....أمثالُ **الجَنَادِبِ**،وَقُرَنَاءُ **الخَنَافس**.....فوق درجة **الحمار الوحشي** فِي شدة ضراطه....."انْظُرْ الرِّسَالَةَ: وَرِدت قِطَعٌ مِنْهَا متناثرة فِي ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢١٣/١ – ٢٤٤ .

[4] – السِّلَفِيّ"**أَخْبَارٌ وَتَرَاجِمُ أَنْدَلُسِيَّة**"ص٨٤؛ المَقْرِيزِيّ"**السُّلُوك**"٨٣/٧؛ ابن تَغْرِي بَرْدِي"**النُّجُوم الزَّاهِرَة**"٢٥٥/١٤– ٢٥٦؛ السَّخَاوِيّ "**الضَّوْء اللامع**" ٣١٨/١٠– ٣١٩؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٢٩٠/٤ ، وَانْظُرْ فِي البَحْثِ : ص ١٤٣ .

لكنْ لَمْ يَتَعَرَّضِ الشُّعَرَاءُ فِي هِجَائِهِمْ إِلَى طُقُوسِهِم الدِّينيةِ وَمُعْتَقَدَاتِهِمْ إلا مَا جَاءَ فِي قَوْلِ ابنِ الخَطِيبِ حِينَ اسْتَهْزَأَ بِصَلاةِ جَماعَةٍ مِنْهُمْ وَبِحَرَكَاتِهِمُ التِي يَقُومُونَ بِهَا أَثْنَاءَ الصَّلاةِ،وَسِوَى هَذَا لَمْ يَكُنْ دِينُهُم وَمَا بِهِ مِنْ طُقُوسٍ مَجَالاً للسُّخْرِيَةِ وَالهُزْءِ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ.

وَاتَّخَذَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ قِصَصَ اليَهُودِ وَمَا رُوِيَ عَنْهُمْ مَجَالاً للسُّخْريةِ وَالتَّنَدُّرِ بِمَنْ يُرِيدُونَ هَجْوَهُ؛ فَهَجَا ابنُ **الجَدِّ** مُلوكَ الطَّوَائِفِ بِأَنَّهُم" **كَالعِجْلِ مَعْبودًا** بِمَجْلِسِهِ" فِي أَبْيَاتٍ سَبَقَتِ الإِشَارَةُ إليها(١)،وجاءتْ **قِصَّةُ بَقَرَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي هِجاءِ لابنِ عمَّار الأَنْدَلُسيّ** بِقَوْلِهِ(٢):[مجزوء الوافر]

وَهَـــذَا عُـــذْرُ مَـــأْبُونٍ   أَبُـــوهُ **سَـــارِقُ البَقَـــرَةْ**

فَقَالَ الشَّاعِرُ إِنَّ أَبَا المَهْجُوِّ مَأْبُونٌ(٣)بِأَنَّهُ سَارِقُ البَقَرَةِ،وَيَقْصِدُ بِهَا **بَقَرَةَ بَنِي إِسْرَائِيلِ**(٤).

وَكَانَتِ "**البَقَرَةُ**" مَجَالَ تَنَدُّرٍ وسُخْرِيَةٍ بَيْنَ الشَّاعِرَةِ نَزْهُون(٥)وَابنِ قُزْمَانَ كَذَلِكَ،فَقَالَتْ لَهُ،وَقَدْ أَتَى بِغِفَارَةٍ صَفْرَاءَ،وَكَانَ قَبِيحَ المَنْظَرِ:أَصْبَحْتَ **كَبَقَرَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ**،وَلَكِنْ لا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ(٦).

رابعًا:- اليَهُودُ فِي شِعْرِ الخَمْرِ

اقْتَرَنَ ذِكْرُ اليَهُودِ مَعَ الحَدِيثِ عَنِ الخَمْرِ وَاللهو كَثِيرًا؛ فَالخَمْرُ تَتَعَامَلُ بِهِ اليَهُودُ بَيْنَمَا هُوَ منهِيٌّ عَنْهُ فِي الدِّينِ الإِسْلامِيِّ،وَلَمْ تَكُنْ عَامَّةُ النَّاسِ عَلَى رِضَى بِمَا يَحْصُلُ فِي مَجَالِسِ الخَمْرِ،لِذَا كَانَتْ عَلاقَةُ اليَهُودِ بِالخَمْرِ سَبَبًا مِنَ الأَسْبَابِ المُوجِبَةِ لِهِجَائِهِم وَلِذِكْرِهِم أَثْنَاءَ الحَدِيثِ عَنْهَا.

وَجَاءَ الخَمْرُ فِي شِعْرِ الأَنْدَلُسِيِّينَ عَلَى ضَرْبَيْنِ بِهِمَا أَثَرٌ وَاضِحٌ لِليَهُودِ،**الأَوَّلُ**: نَظَمَهُ كَارِهٌ لَهَا ولِمَنْ يَقْرَبُ مَجَالِسَهَا، يُنْسَبُ إِلَى مَجَالِسِهَا سُوءُ أَحْوَالِ المُلُوكِ وَالوُزَرَاءِ وَفَسَادُ أُمُورِ البِلادِ، وَتَمَّتِ الإِشَارَةُ إِلَى أَثَرِ اليَهُودِ فِي هِجَاءِ هَذِهِ الفِئَةِ سَابِقًا.**وَالضَّرْبُ الثاني:** قَالَهُ مُتَلَذِّذٌ بِشُرْبِ الخَمْرِ

---

١ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م٢٥٦/١– ٢٥٧ .

٢ – خالص صلاح "**مُحَمَّد بن عمار الأَنْدَلُسِي**؛ دراسة أدبية تاريخية" ص٢٥٠ .

٣ – المَأْبُون: مَنْ رُمِيَ بِقبيح وَقُذِفَ بسُوء .   ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [أبن] ٣/١٣ .

٤ – يقصد قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ. فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ **سُورَة البَقَرَة**، آيَة ٧٢– ٧٣.وَمُلَخَّصُ القِصَّةِ:"أَنَّ أَصْحَابَ بَقَرَةِ بَنِي إِسْرَائِيل طَلَبُوهَا أَرْبَعينَ سَنَةً حَتَّى وَجَدُوها عِنْدَ رجلٍ فِي بقرٍ لَهُ،وَكَانَتْ بقرةً تُعْجِبُهُ،فَجَعَلُوا يُعْطُونَهُ بِهَا فيأبَى،حَتَّى أَعْطَوْهُ مِلءَ مَسْكِهَا دنانير،فَذَبَحُوهَا، فَضَرَبُوهُ يعني القتيلَ . بِعُضْوٍ مِنْهَا،فقامَ تشخب أوداجه دماً،فَسَأَلُوهُ فَقَالُوا لَهُ مَنْ قَتَلَكَ؟ قال:قَتَلَنِي فُلان" .   انْظُرْ: ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" ١١٢/١ .

٥ – هِيَ: **نَزْهُون القلاعِيَّةُ** ،يُقَالُ كَذَلِكَ بنتُ القليعي وبِنتُ القلاعِيّ والقليعية، كَانَ وَالدُهَا مُحَمَّدُ بنُ أَحْمد بنُ خَلَفٍ القليعيُّ قَاضِيًا تَوَلَّى قَضَاءَ غَرْنَاطَةَ عَامَ ٥٠٨هـ،وَتُوُفِّيَ عَلَى قَضَائِهَا سَنَةَ ٥١٠هـ . وَلَمْ تذكر كتب التراجم تاريخًا لولادتها ووفاتها.وَهِيَ شَاعِرَةٌ غَرْنَاطِيَّةٌ مَاجِنَةٌ كَثِيرَةُ النَّوَادِرِ ،أديبةٌ ظَرِيفَةٌ، قَالَ ابنُ الأَبَّارِ فِي وَصْفِهَا إِنَّهَا "كَانَتْ وَاحِدَةَ صِنْفِهَا فِي أَدَبِهَا".

انْظُرْ: الضَبِّيّ"**بُغْيَة المُلْتَمِس**" ٧٣٢/٢؛ ابن الأَبَّار"**التَّكْمِلَة**" ٢٥٨/٤، "**المُقْتَضَب مِنْ تُحْفَةِ القَادِم**" ص٢١٦ –٢١٧، ٢٣٦؛ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢٢٨/١، ١٢١/٢؛ "**رَايَات المُبَرِّزِين**" ص١٥٩؛ ابن عَبْد المَلِكِ المَرَّاكُشِيّ"**الذَّيْل وَالتَّكْمِلَة**" السفر الثامن ق٢ ،ص ٤٩٣؛ ابن الخَطِيب "**الإِحَاطَة**" ٣٤٤/٣–٣٤٥؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٦٩/٦– ٧٢ .

٦ – انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٢١/٢ ؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٧٠/٦ .

مُسْتَمْتِعٌ بِمَجَالِسِهَا؛مِثَالٌ عَلَيْهِ حِينَ مُنِعَ بَيْعُ مَا يُؤْكَلُ مَعَ الشَّرَابِ حَوْلَ المَسْجِدِ،لأَنَّهَا فَاكِهَةُ الخُلاعِ لِلحَدِّ مِنْ شُرْبِ الخَمْرِ،أعلَنَ ابنُ **قُزْمَانَ** رَفْضَهُ التَّوْبَةَ[1]،لَيْسَ هَذَا فَحَسْب،بَلْ أَتَى بِطَبِيبٍ يَهُودِيٍّ يُبِيحُ لَهُ شُرْبَ الخَمْرِ فِي وَقْتٍ تَتَأَجَّجُ فِيهِ العَاطِفَةُ الدِّينِيَّةُ وَتَكُونُ مُتَّقِدَةً مُرْتَفِعَةً وَهُوَ أَوَائِلُ شَوَّال بَعْدَ رَمَضَانَ مُبَاشَرَةً،وَلَمْ يَكْتَفِ بِإِبَاحَتِهَا بَلْ عَدَّهَا حَلالاً لا حَرَامَ فِيهَا، فَقَالَ[2]: [المجتث]

شَهْرُ الصِّيامِ زَالْ   وَجَا شَوَّالْ   يَا لَسْ نَسَالْ![3]

مِنْ ذَابَ نَشْرَبْ وَلَسْ نَسَلْ عَنْ الصِّيامْ

إن القَوَام دُونَ شَرَاب عِنْدِي لَسْ قَوَامْ

حَرَامُ هُ مَنْ قَلْهَا ؟ لا تَكْذِبْ،لَسْ حَرَامْ

اليَوْم عَادْ قَالْ   ابن قَمْنَالْ   أَنْ حَلالْ

فَالشَّاعِرُ يُدَاوِمُ عَلَى شُرْبِ الخَمْرِ بِنَاءً عَلَى نَصِيحَةِ ابنِ قَمْنَال الذي حَلَّلَ شُرْبَهَا،وَابنُ قَمْنَال طَبِيبٌ يَهُودِيٌّ مَشْهُورٌ فِي بَلاطِ المُرَابِطِينَ كَمَا يَرَى عَبْدُ العَزِيزِ الأَهْوَانِيُّ[4].وفي هَذَا إِشَارَتَانِ،الأُولَى كَثْرَةُ اشْتِغَالِ اليَهُودِ بِالطِبِّ فِي الأَنْدَلُسِ،وَالثَّانِيَةُ أَنَّ تَأْثِيرَ اليَهُودِ عَلَى مُسْلِمِي الأَنْدَلُسِ كَبِيرٌ وَوَاضِحٌ، فَحَتَّى لا تَلُومُهُ النَّاسُ عَلَى شُرْبِ الخَمْرِ حَاوَلَ إِقْنَاعَهُم بِمَنْ لَهُ مَكَانَةٌ وَتَأْثِيرٌ عِنْدَهُمْ،وَهُوَ الطَّبِيبُ اليَهُودِيُّ الذي سَمَّاهُ،وَمِنَ الواضِحِ أَنَّ هَذَا الطَّبِيبَ كَانَ مَشْهُورًا،وَأَنَّ النَّاسَ كَانَتْ تَأْخُذُ بِكَلامِهِ وَتَسْمَعُ نَصَائِحَهُ،وَإِلا لَمَا لَجَأَ الشَّاعِرُ إِلَى الاسْتِشْهَادِ بِهِ وَبِرَأْيِهِ فِي تَحْلِيلِ شُرْبِ الخَمْرِ.

وَظَهرَ العَكْسُ عِنْدَ ابنِ القَرَوِيِّ الأَسْلَمِيِّ[5]ذِي الأَصْلِ اليَهُودِيِّ الذي اتَّخَذَ لَهُ كَاتِبًا مِنَ الأَنْدَلُسِيِّينَ يُدْعَى أَبَا **الحُسَيْنِ ابنَ الجَدِّ**،فَغَابَ الأَخِيرُ عَنْهُ أَيَّامًا يَشْرَبُ النَّبِيذَ فَلامَهُ عَلَى اسْتِهْتَارِهِ، وَالغَرِيبُ هُنَا أَنَّ اليَهُودِيَّ يُطَالِبُ الشَّاعِرَ بِالكَفِّ عَنْ شُرْبِهَا، بَيْنَمَا يُحَاوِلُ الشَّاعِرُ إِقنَاعَهُ بِفَوَائِدِهَا. فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِأَبْيَاتٍ يُعْلِمُهُ بِتَرْكِ الخِدْمَةِ عِنْدَهُ وَيَلُومُهُ بِقَوْلِهِ[6]: [الكامل]

اعْـزِلْ وَوَلِّ فَفِـي حَـدِيثِكَ آيَـةٌ   لَـوْ أَنَّ قَوْمَـكَ أَحْسَـنُوا التَّـأْوِيلا

هَـلا عَـذَرْتَ عَلَـى البَطَالَـةِ[7]أَهْلَهَـا   وَرَأَيْـتَ رَأْيًـا فِـي المُـدَامِ أَصِـيلا

هِـيَ مَـا عَلِمْـتَ فَـإِنْ عَرَتْـكَ جَهَالَـةٌ   فَاسْتَفْسِـرَنْ مِـنْ سِـرِّهَا الإِنْجِـيلا[8]

ولِمَعْرِفَةِ أَثَرِ اليَهُودِ فِي شِعْرِ الخَمْرِ لا بُدَّ مِنَ البَحْثِ عَنْ أَمْرَيْنِ،هُمَا:أَمَاكِنُ التَقى فِيهَا الشُّعَرَاءُ بِاليَهُودِ وَشَرِبُوا فِيهَا الخَمْرَ،وَالثَّانِي هُوَ العَلاقَاتُ التِي أَظْهَرَهَا هَذَا الشِّعْرُ وَكَانَ فِيهَا أَثَرٌ لِليَهُودِ.

---

١ – انْظُرْ : ابن قُزْمَان "**دِيوَانُهُ**" ص ٦٠٠ .

٢ – نَفْسُهُ ص٧٧٤ /رقم ١١٩ .

٣ – يا لَس نسال: لَمْ أعد أسأل [حاشية الديوان]

٤ – **ابن قمنال:** حقق الأهواني شخصيته فِي مقالة نشرها فِي مَجَلّة المَعْهَدِ المِصْرِيّ للدراسات الإِسْلامِيَّةِ بمدريد عدد١٨ ص٧٧،مُعْتَمِدًا عَلَى مقالة للأستاذ شترن فِي "مَجَلّة الأَنْدَلُسِ" عدد ١٣ ص٣١٧،على أنه طبيب يَهُودي. ابن قُزْمَان "**دِيوَانُهُ**" ص٧٧٥ [الحَاشِيَة] .

٥ – هُوَ : **ابن القروي الأسلمي** ذِو الأصل اليَهُودِيّ كَانَ حاجبًا لصَاحِبِ غَرْنَاطَة، لَمْ أعثر لَهُ عَلَى تَرْجَمَة وقَدْ يَكُونُ ابْنُ القَرَوِيِّ هَذَا واحدًا مِنْ وزيرين أخوين ذَكَرَهُمَا الأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ فِي مُذَكَّراته،أَحَدُهُمَا **عَلِيٌّ** والآخَرُ **عَبْدُ اللهِ**،كَانَتْ نشأتهمَا مَعَ الوَزِير اليَهُودي ابْن نَغْرِيلَّةَ فِي مكتب بَادِيسَ بن حَبُّوسَ،وكانَا قائدي العسكر. انْظُرْ : الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص٣٦ – ٣٩ ، ٥٩ .

٦ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م٢/٥٦٢ .

٧ – البَطَالَة: اتباع اللهْوِ وَالجهالة . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [بطل] ٥٦/١١ .

٨ – يقصد بهَذَا استحالة الخمر إِلَى دم المَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي الإنجيل فِي قَوْلِهِم"وَكَانَتْ وَاقِفَاتٍ عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ أُمُّهُ وَأُخْتُ أُمِّهِ مَرْيَمُ... قَالَ:أَنَا عَطْشَانُ،وَكَانَ إِنَاءٌ مَوْضُوعًا مَمْلُوًّا خَلا،فَمَلأُوا إِسْفَنْجَةً مِنَ الخَلِّ وَوَضَعُوهَا عَلَى زُوفَا [عشبة برية تُشبه الميرمية] وَقَدَّمُوهَا إِلَى فَمِهِ،فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الخَلَّ قَالَ:قَدْ أُكْمِلَ،وَنَكَّسَ رَأْسَهُ،وَأَسْلَمَ الرُّوحَ" . **إنجيل يوحنا**،الإصحاح ١٩ :٢٨،٢٥–٣٠.

وَمِنَ التفسيرات لَهَا أنهم قدموا لَهُ خلاً ممزوجًا بمرارة كمخدر لتخفيف الآلام،انْظُرْ : موقع **بيت الله**
http://www. **baytallah**. com/food/200 3/ 7/20 . htm

الأَوَّلُ : أَمَاكِنُ لِلْخَمْرِ التَقَى فِيهَا الشُّعَرَاءُ المُسْلِمُونَ بِاليَهُودِ

لَمْ يكُنْ هُنَاكَ مَكَانٌ وَاحِدٌ يَلْتَقِي فِيهِ الشَّاعِرُ الأَنْدَلُسِيُّ باليَهُودِ يُعَاقِرُون الخَمْرَ،فمِنْهَا: الأَدْيِرَةُ وَالبِيَعُ وَالحَانَاتُ،وَمِنْهَا قُصُورُ الحُكَّامِ وَالأُمَرَاءِ، وَالوُزَرَاءِ، وَمِنْهَا أَحْضَانُ الطَّبِيعَةِ .

وَجَاءَ أَكْثَرُ وَصْفٍ لِمَجَالِسِ الخَمْرِ فِي شِعْرِ الأَنْدَلُسِيِّينَ **فِي الأَدْيِرَةِ وَالبِيَعِ** لِتَوَفُّرِ الخَمْرِ فِيهَا، ثُمَّ الحَانَاتِ التِي يُشْرِفُ عَلَيْهَا اليَهُودُ وَالنَّصَارَى.لكنْ يَكَادُ يَخْتَفِي فِيهَا الحَدِيثُ المُطَوَّلُ عَنْ بيعِ اليَهُودِ فِي شِعْرِ الخَمْرِ،بَيْنَمَا كَانَ أثرُ النَّصَارَى فِي هَذِهِ الأَشْعَارِ وَاضِحًا بَارِزًا[1]،ولا أَعْلَمُ سَبَبًا لِذَلِكَ إلا عُزْلَةَ اليَهُودِ وتَكَتُّمَهُمْ عَلَى طُقُوسِهِمْ؛فعُزْلَةُ اليَهُودِ وَتكتُّمُهُم عَلَى طُقُوسِهِم جَعَلَتْهُمْ بَعِيدِينَ عَنْ عُيُونِ الشُّعَرَاءِ،فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ فَتَحَ النَّصَارَى أَبْوَابَ كَنَائِسِهِمْ لِمَنْ يُرِيدُ دُخُولَها،فَدَخَلَهَا الشُّعَرَاءُ، وشَاهَدُوا عَادَاتِهِم،وَوَصَفُوا مَا شاهَدُوا فِيهَا.وَمَا قِيلَ فِي الأَدْيِرَةِ لَمْ يَتَجاهَلْ دَوْرَ اليَهُودِ. فَوَرَدَتْ أَبْيَاتٌ ظَهَرَ فِيهَا اليَهُودُ؛ فَفِي مُحَاوَرَةٍ **لابنِ الخَطِيبِ** مَعَ صَاحِبِ دَيْرٍ قَالَ[2]: [الطويل]

فَقَــالَ لَبِــئْسَ المُسْــلِمُونَ ضُــيُوفُنَا   أَمَـا وَأَبِيكَ **الحِبْرِ** مَـا نَحْنُ بِـالبِيسِ

أَرَى "**الحِبْرَ**" هُنَا إِشَارَةً إِلَى أَنَّ العَابِدَ فِي الدَّيرِ كَانَ يَهُودِيًّا لَوْ أَخَذْنَا بِقَوْلِ الجَوهرِيِّ بِأَنَّ "**الحِبْرَ**" وَاحِدُ أَحْبَارِ اليَهُودِ[3] رُغْمَ أَنَّهُ ذَكَرَ "التَّثْلِيثَ" فِي بَيْتٍ سَابِقٍ بِقَوْلِهِ[4]: [الطويل]

أَيَــا عَابِــدَ النَّاسُــوتِ إِنَّــا   أَتَيْنَــا لِتَثْلِيــثٍ ،بَلَى،وَلِتَسْــدِيسِ

---

[1] – الغَالِبُ عَلَى الخَمَّارِ أَوِ المُغَنِّي في الشِّعْرُ الأَنْدَلُسِيُّ أَنْ يَكُونَ نَصْرَانِيًّا، وَحَمَلَ الشِّعْرُ صُورَةَ الإِعْجَابِ وَالانْسِجَامِ لِلدَّيْرِ وَمَنْ بِهِ، فَوُصِفَتِ الكنيسةُ،وَوُصِفَ القِسُّ الدَّاعِي لِتِلْكَ المَجَالِس أَو سَاقِي الخَمْرِ،وَوُصِفَتْ ملابسُهُم،وَعاداتُهم،وَبَعْضُ طُقُوسِهِمْ.وَمِثَالٌ عَلَى هَذَا مَجْلِسُ خَمْرٍ لابنِ خَفَاجَةَ(ت: ٥٣٣هـ) فِي أَحَدِ أَدْيِرَةِ النَّصَارَى ،قَالَ فِيه: [الوافر]

وَخَمَّارٍ أَنَخْتُ بِهِ مَسِيحِيٌّ   رَخِيمِ الدَّلِّ ذِي وَتَرٍ فَصِيحِ   ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٣٧٢/٢

إلا أَنَّ بَعْضَهُم وَصَفَ قُبْحَ مَا رَآهُ فِي كنيسة، فَعُمَرُ ابنُ الشَّهِيدِ (ت بعد:٤٤٠هـ) يَقُولُ فِي مَقَامَةٍ له: [الكَامِل]

وَكَنِيسَةٍ أَخَذَ البِلَى مِنْهَا كَمَا   أَبْصَرْتَ فِيئًا فِي مُغَارٍ يُنهَبُ

بِئْسَ المُصَلَّى إِنْ أَرَدْتَ تَعَبُّدًا   فِيهِ وَلَكِن كَانَ نِعْمَ المَشْرَبُ   ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٦٨٣ .

[2] – انْظُرْ : المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ١٩٣/٩ .

[3] – انْظُرْ : الجوهري"**الصِّحَاح**" ٢٧٠/٢ .

[4] – انْظُرْ : المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ١٩٣/٩ .

وَلا أقُولُ "التَّثْلِيثُ" إشَارَةً إلَى عَدَدِ الكُؤُوسِ أَوِ المَرَّاتِ التِي يَنْوِي الشَّاعِرُ شُرْبَهَا لِذِكْرِ التَّسْدِيسِ بَعْدَهُ،بَلْ أَرَى أَنَّهُ أَرَادَ التَّوْرِيَةَ أَمَامَ عَابِدِ النَّاسُوتِ[1] لِيَفْتَحَ لَهُمُ البَابَ وَيُدْخِلَهُمْ الدَّيْرَ،وَأخذ ابنُ الخَطِيبِ هَذَا مِنْ أَحَدِ أشياخِهِ **يَحْيَى التَّجِيبِيِّ**(ت:٧٠٣هـ) وَالتَّوْرِيَةُ وَاضِحَةٌ فِيهِ بِقَوْلِهِ[2]:[الطويل]

فَقُلْنَـا لَــهُ أَمْنًـا فَإنَّـا عِصَـابَةٌ ... أَتَيْنَـا لِتَثْلِيـثٍ وَإنْ شِـئْتَ تَسْدِيسَـا

وَفِي الأبْيَاتِ نَفْسِهَا مَا يَجْعَلُنِي أَقُولُ هَذَا؛حَيْثُ يَقُولُ ابنُ **الخَطِيبِ** فِي البَيْتِ التَّالِي[3]:[الطويل]

وَمَا قَصَدْنا إلا المُقَامُ بِحانَـةٍ ... وَكَـمْ أُلْـبِسَ الحَـقُّ المُبِـينُ بِتَلْبِيسِ

فَأَخْفَى الشَّاعِرُ قَصْدَهُ وَهُوَ الخَمْر وَذكرَ مَا يَسُرُّ العابدَ اليَهُودِيَّ مُدَلِّسًا عَلَيْهِ لِيَسْتَقْبِلَهم العابدُ مُعْتَقِدًا أَنَّهُم قادمون للعبادة مَعَهُ وَلَوْ عَلَى غَيْرِ طَرِيقَتِهِ،وَهَذَا مَا أَمِيلُ إِلَيْهِ،وَفِي البَيْت اعْتِرَافٌ أَنَّهُ لَحَنَ فِي قَوْلِهِ وَأَنَّهُ قَامَ بِتَدْلِيسِهِ لِيَقْتَنِعَ وَيفْتَحَ بَابَ مَعْبَدِهِ،مَعَ أَنَّ هَدَفَهُم بَعِيدٌ عَنِ العِبَادَةِ.وَالذِي يَجْعَلُنِي أَمِيلُ إِلَى القَوْلِ بِيَهُودِيَّةِ المُحَاوِرِ أَنَّ القَصِيدَةَ لَمْ تحْتَوِ عَلَى مُسَمَّيَاتٍ كَثِيرَةٍ خاصَّةٍ بِالنَّصَارَى كَمَا هِيَ العَادَةُ،فَلَمْ تَحْوِ الأَبْيَاتُ مَعَ "التَّثْلِيثِ" السَّابِقِ الذِّكْرِ إلا "اصْطِكاكَ النَّوَاقِيسِ" وَقَدْ تَكُونُ لليَهُودِيَّةِ خُصُوصِيَّةٌ مَعَ النَّوَاقِيسِ. وَقَدْ يَحْتَجُّ مُحْتَجٌّ عَلَى قَوْلِي بِوُرُودِ "قِسٍّ"[4] فِي أَوَّلِهَا،لكنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي المُقَدِّمَةِ الطَّلَلِيَّةِ وَرِحْلَةِ العِيسِ عَلَى الهَضبَةِ قُرْبَ قَصْرِ بَادِيسَ،حِينَ بَدَأَهَا بِقَوْلِهِ[5]: [الطويل]

عَسَى خَطْرَةٌ بِالرَّكْبِ يا حَادِيَ العِيسِ ... عَلَى الهَضْبَةِ الشَّمَّاءِ مِنْ قَصْرِ بَادِيسِ

وَأَتَى بَعْدَهَا ذِكْرُ القِسِّيسِ نَكِرَةً عامَّةً تَصِفُ عُبَّادَ الإنْجِيلِ فِي قَوْلِهِ[6]: [الطويل]

لَقَدْ رَسَخَتْ آيُ الجَوَى فِي جَوانِحِي ... كَمَـا رَسَـخَ الإنْجِيـلُ فِـي قَلْـبِ قِسِّيسِ

بَيْنَمَا العَابِدُ الذي قَابَلَهُم بِالحانَةِ ابنُ **"الحِبْرِ"** مرةً وَ**"رَبَّانِيّ"** فِي أُخْرَى في قَوْلِهِ[7]: [الطويل]

تَطَلَّـــعَ **رَبَّانِيّهَـــا** مِـــنْ جِــدَارِهِ ... يُهَيْنِمُ فِـي جُـنْحِ الظَّـلامِ بِتَقْـدِيسِ

---

١ – **النَّاسوت:** طبيعة خاصة للمسيح عِنْدَ أتباعه،لَمْ أجد لَهَا تعريفًا فِي المعاجم التقليدية، يَقُولُونَ إنَّ المَسِيحَ كلمةُ الله المتجسد بشراً، وَحمل فِي شخصه طبيعتين مترابطتين (طبيعة اللاهوت الأزلية،وَطبيعة النَّاسوت) أي الإنسانية المقدسة،للمزيد انْظُرْ:

أبو عبد الله الذَّهَبِيّ"**الرد عَلَى النَّصَارَى فِي ادعاء نبوة المَسِيح وَألوهيته**" . www. arabic. **islamicweb**. com

حامد العولقي"**الثالوث**" . www. **khayma**. com

قاسم إبْرَاهِيم"**هل المَسِيح هُوَ الله**؛Is Jesus God www. **arabicbible**. org

٢ – ابن الخَطِيب"**الإحَاطَة**" ٣٩٩/٤ – ٤٠٠؛"**الكَتِيبَة الكَامِنَة**"ص٨٠؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٤٠/٨ .

٣ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ١٩٣/٩؛ وَأخذه مِنْ شيخه يَحْيَى التَّجِيبِيّ:[الطويل]

وَمَا قَصَدْنَا إلا الكُؤُوسَ وَإنَّمَا ... لَحَنَّا لَهُ فِي القَوْلِ خُبْثًا وَتَدْلِيسَا

ابن الخَطِيب"**الإحَاطَة**" ٣٩٩/٤ ؛"**الكَتِيبَة الكَامِنَة**"ص٨٠؛المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٤٠/٨ .

٤ – القَسُّ وَالقِسِّيسُ:رَئِيس مِنْ رُؤساء النَّصَارَى فِي الدِّين وَالعِلْم،وَقِيلَ:هُوَ الكَيِّس العالم.وَتُجْمَعُ عَلَى غَيْرِ قياس قَساقِسة وَقِسِّيسُون وَلَوْ جمعه قُسُوسًا كَانَ صواباً. انْظُرْ: مُحَمَّد المنَاوِيّ "**التَّعَارِيف**" ٥٨١/١؛ ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [قسس] ١٧٤/٦ .

٥ – انْظُرْ : المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ١٩١/٩ .

٦ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ١٩٢/٩ .

٧ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ١٩٣/٩ .

وَلَوْ تَرَكْتُ "عَابِدَ النَّاسوت" التِي ذُكِرَتْ مُجاوِرَةً للتَثْلِيثِ،مُعْتَبِرَةً أَنَّهَا جَاءَتْ لتُكْمِلَ التَّوْرِيَةَ فِي البَيْتِ،فَسَيَتَرَجَّحُ لَدَيَّ الظَنُّ أَنَّ العَابِدَ **الرَبَّانِيَّ** يَهُودِيٌّ،فَكَلِمَةُ **الرَبَّانِيِّ** لَيْسَتْ عَرَبِيَّةً بَلْ عِبْرانِيَّةً أَوْ سُرْيانِيةً عِنْدَ أَبِي عُبَيْد(ت:٤٨٧هـ)[١] لأنَّ العَرَبَ لا تَعْرِفُ **الرَّبَّانِيِّينَ**.كَمَا أَنَّ ذِكْرَ قَصْرِ بَادِيسَ فِي مَطْلَعِ القَصِيدَةِ قَدْ يَكُونُ بِهِ مؤَشِّرٌ آخَرُ عَلَى أَثَرِ اليَهُودِ فِي القَصِيدَةِ؛فقَدْ عَزَّ اليَهُودُ وَارتَفَعَ شَأْنُهُم كَثِيرًا مُعْظَمَ فَتْرَةِ حُكْمِ بَادِيسَ بنِ حَبُّوسَ لغَرْنَاطَةَ وَحُكْمِ أَبِيهِ قَبْلَهُ.وَإنْ كَانَ الأمرُ كَذَلِكَ، وَحتَّى لَوْ كَانَ هَذَا المُخاطَبُ بِالأَبْيَاتِ يَهُودِيَّ النِّحْلَةِ،أَرَى أَنَّ تَأْثِيرَ الدِّيَانَةِ النَّصْرَانِيَّةِ أَكْبَرُ مِنَ اليَهُودِيَّةِ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ،حَتَّى إِنَّ الشَّاعِرَ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنْ حِبْرٍ يَهُودِيٍّ،لا يَذْكُرُ عَقِيدَتَهُ صَرَاحَةً،ولا يُشِيرُ إِلَى طُقُوسِهِم،فَرُمُوزُ النَّصْرَانِيَّةِ وَطُقُوسُهَا كَانَتْ أَشْهَرَ فِي بِيئَتِهِم.

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِوُجُودِ اليَهُودِ **فِي حَانَاتِ الخَمْرِ** فَهَذَا لَمْ يَظْهَرْ فِي شِعْرِ الخَمْرِ سِوَى "مُوسَى" مَلِيحِ إِشْبِيلْيَةَ،كَمَا لَمْ يكُنْ هُنَاكَ وَصْفٌ لأَصْحَابِ الحَانَاتِ أَوِ السُّقَاةِ مِنَ اليَهُودِ فِي شِعْرِ الخَمْرِ.

وَكَانَ الخَمْرُ يُسْقَى فِي **قُصُورِ عِلْيَةِ القَوْمِ مِنَ الحُكَّامِ وَالأُمَرَاءِ عَرَبٍ وَنَصَارَى**،فَفِي احْتِفَالٍ فِي قَصْرِ المَأْمُونِ ابنِ ذِي النُّونِ رَافَقَ وَلِيمَةَ إِعْذارٍ[٢] بِمُنَاسَبَةِ تَطْهِيرِ حَفِيدٍ لِلمَأْمُونِ،قَالَ ابنُ بَسَّامٍ فِيهِ: "إِنَّ المَأْمُونَ ذَهَبَ إِلَى تَتْمِيمِ تَكْرِيمِ زُوَّارِهِ مِنْ رِجَالِ الأُمَرَاءِ الذينَ اسْتَحْضَرَهُم يَوْمَئِذٍ لِشُهُودِ فَرْحَتِهِ،بِمُشَاهَدَةِ مَجْلِسِ خَلْوَتِهِ، وَتَنْعِيمِ أَسْمَاعِهِم بِلَذَّاتِ أَغَانِيهِ،وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ فِيهِمْ مَنْ يُرَخِّصُ فِي النَّبِيذِ وَلا يَسُوغُ لَهُ نَعِيمٌ دُونَهُ، فَاحْتَمَلَ حَرَجَ ذَلِكَ مُبَالَغَةً فِي تَأْنِيسِهِم،فَاحْتَفَلَ لَهُمْ فِي مَجْلِسٍ قَدْ نُضِّدَ،وَأُحْضِرَ فِيهِ جَمِيعُ آلاتِ الأُنْسِ...وَنُظِّمَتْ نَوْبَةُ المُغَنِّينَ زُمَرًا،فَهَاجُوا الأَطْرَابَ[٣] وَاستَخَفُّوا الأَلْبَابَ،وَنَقَلُوا الطِّبَاعَ فَجَاءُوا بِأَمْرٍ عُجَابٍ،بَذَّهُمْ فِيهِ سَابِقُ حَلْبَتِهِم،المُحَسَّدُ مِنْ جَمَاعَتِهِمْ، الإِسْرَائِيلِيُّ ذَّيُّ،الزَّائِدُ إِحْسَانُهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ المُوصِلِيِّ(ت:١٨٨هـ)[٤]،صَدِيقُ إِبْلِيسَ،الظَّرِيفُ فِي فِتْنَتِهِ، وَتَخَايُلِهِ بِالمَاخُورِ[٥] المَكْنُونِ الذي اغْتَذَى فِي بَاطِلِهِ،نَسِيجُ وَحدَهُ،يَزْدَهِي العِيدَانَ جَسُّه، وَيُخْرِسُ الأَطْيَارَ شَجْوَهُ،قَاتَلَهُ اللهُ مِنْ آخِذٍ بِالقُلُوبِ! فَطَرِبُوا وَطَرِبَ المَأْمُونُ لِيَلْتَذِ عَلَى وُفُورِ

---

[١] – انْظُرْ: [ربب] ابن مَنْظُور"**لِسَانُ العَرَب**" ٤٠٤/١ .

وَهُوَ: أَبُو **عُبَيْد** عبد الله بن عبدالعزيز بن مُحَمَّدٍ **البَكْرِيّ**،نزيل قُرْطُبَةَ. كَانَ رَأسًا فِي اللغة وأيام النَّاسِ،صنف فِي أعلام النُّبُوَّةِ،وَعَمِلَ "شَرْحًا لأمالي القالي"، وَلَهُ "اشتقاق الأسماء" وَ"مُعْجَم مَا اسْتَعْجَمَ" وَ"النبات"، تُوُفِّيَ سَنَةَ ٤٨٧هـ .

انْظُر: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢، م ٢٣٢/١– ٢٣٨؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"٣٥/١٩– ٣٦ .

[٢] – الإِعْذار: طعام الختان. وَفِي الحَدِيثِ: الوليمة فِي الإِعْذار حقٌّ. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [عذر] ٥٥١/٤ .

[٣] – الأطراب: مِنَ الطَّرَبِ وَهُوَ خِفَّةٌ تَعْتَرِي عِنْدَ شِدَّةِ الفَرَحِ أَوْ الحُزنِ وَالهمّ. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [طرب] ٥٥٧/١ .

[٤] – هُوَ المُغَنِّي: **إِبْرَاهِيمُ بنُ** ماهَان بن بهمن **المَوصِليّ** المعروف بالنَّدِيمِ، فَارِسِيُّ الأَصْلِ.عُرِفَ بِالغِنَاءِ وَالأَلْحَانِ، لَقَّبَهُ الذَّهَبِيُّ رَئِيسَ المُطْرِبِينَ،غنَّى لِلمَهْدِيِّ وَلِهَارُونَ الرَّشِيدِ .وُلِدَ إِبْرَاهِيمُ سَنَةَ ١٢٥هـ وكَانَتْ وفاة فِي سَنَةَ ١٨٨هـ وَلَهُ مصنفات كَثِيرَةٌ فِي الفِقْهِ وَغَرِيبِ الحَدِيثِ وَالنَّوَادِرِ وَالشِّعْرِ.

انْظُرْ: ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَان**" ٤٢/١– ٤٣؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" ٧٩/٩– ٨٠؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٣١٨/١– ٣١٩ .

[٥] – الماخُورُ: مَجْلِس الرِّيبَةِ وَمَجْمَعُ أَهْلِ الفِسْقِ وَالفَسادِ وَبُيوتُ الخَمَّارِينَ ،وهو لون مِنَ النغم كَذَلِكَ .

ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [مخر] ١٦١/٥؛ بُطْرُس البُسْتَانِيّ"**مُحِيطُ المُحِيط**" ١٩٥٥/١ .

حِلْمِهِ"[١].

يُلاحَظُ مِنَ النَّصِّ السَّابِقِ أَنَّ قُصُورَ الأُمَرَاءِ كَانَتْ تَتَنَافَسُ عَلَى أَنْ يَكُونَ فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ بِمَا فِيهِ الخَمْر،وَيُفهمُ مِنَ الكَلامِ أَنَّ المَأْمُونَ لَمْ يَكُنْ يَسْتَسِيغُ شُرْبَ الخَمْرِ،لَكِنَّهُ أَحْضَرَهُ لِعِلْمِهِ أَنَّ بَيْنَ الحُضُورِ مَنْ يُرَخِّصُ شُرْبَ النَّبِيذِ.وَلَمْ يَكُنْ وُجُودُ اليَهُودِ فِي قُصُورِ الحُكَّامِ وَالأُمَرَاءِ وُجُودًا ثَانَوِيًّا،بَلِ احْتَلُّوا مَكَانَةً هَامَّةً فِي إِعْدَادِ مَجَالِسِ عِلْيَةِ القَوْمِ،وَكَانَ لِبَعْضِهِم دَورُ مُدِيرِ الحَفلاتِ لِتِلْكَ القُصُورِ كَمَا وَضُحَ مِنَ النَّصِّ السَّابِقِ؛وَمِثْلُهُ لَمَّا أَعْرَسَ المُسْتَعينُ بِاللهِ،بِبِنْتِ الوَزِيرِ أَبِي بَكْرِ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ،احْتَفَلَ أَبُوهُ المُؤْتَمِنُ بِاللهِ فِي ذَلِكَ احْتِفَالاً عَظِيمًا،وَكَانَ مُدِيرُ ذَاكَ الاحْتِفَالِ الوَزِيرَ أَبَا الفَضْلِ ابنَ حَسْدَايٍ[٢].وَلَمْ يَلْتَقِ الشُّعَرَاءُ فِي قُصُورِ الحُكَّامِ وَالأمراءِ العَرَبِ فَحَسْبُ؛بَلْ كَانَ هُنَاكَ لقاءٌ بَيْنَ الشُّعَرَاءِ العَرَبِ مَعَ اليَهُودِ دَاخِلَ قُصُورِ الأمراءِ النَّصَارَى[٣].

وَلَمْ تأتِ الكُتُبُ بِكَثِيرٍ عَنْ **قُصُورِ الوُزَرَاءِ اليَهُودِ**،وَلِقِلَّةِ عَدَدِ الوُزَرَاءِ اليَهُودِ سَبَبٌ فِي ذَلِكَ، لكِنْ جَاءَ فِي مُذَكِّرَاتِ "التِّبْيَانِ" لِحَفِيدِ بَادِيسَ بنِ حَبُّوسَ ذكرٌ كَثِيرٌ لقَصْرِ وَزِيرِهم اليَهُودِيِّ،أَوْ مَنْزِلِهِ كَمَا كَانَ يُسَمِّيهِ الأَمِيرُ.وَحِينَ كَانَ يَذْكرُ مَنْزِلَ اليَهُودِيِّ كَانَ الهَدَفُ فِي مُعْظَمِ الأَحْيَانِ الإِشَارَةَ إِلَى مَجْلِسِ دَسَائِسَ وَمُؤامَرَاتٍ أَوْ مَجْلِسِ خَمْرٍ وَأُنْسٍ وَلَهْوٍ.وَتَكادُ تَخْتَفِي أَيُّ صِفَةٍ ثَالِثَةٍ قَدْ يَأْخُذُهَا مَنْزِلُ ذَاكَ الوَزِيرِ فِي الكِتَابِ.فَكَانَ مِمَّا قَالَهُ الأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ حَوْلَ وَفاةِ وَالِدِهِ بُلُقِّينَ المُلَقَّبِ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ مَسْمُومًا مِنْ شَرَابٍ تَنَاوَلَهُ فِي مَنْزِلِ اليَهُودِيِّ بِقَوْلِهِ:"إِنَّ أَبَانَا كَانَ كَثِيرَ الشُّرْبِ مَعَهُ وَالتَّكْرَارِ عَلَيْهِ فِي مَنْزِلِهِ.فَشَرِبَ يَوْمًا عِنْدَهُ عَلَى عَادَتِهِ"[٤].وَتَكَرَّرَتِ الإِشَارَةُ مَرَّةً أُخْرَى حِينَ قَالَ: "فَتَحَيَّلَ الخِنْزِيرُ عَلَى أَنْ دَعَا أَبَانَا إِلَى مَنْزِلِهِ لِشَرَابٍ،حَتَّى سَكِرَ"[٥].فَـمَنْزِلُ ذَلِكَ الوَزِيرِ كَانَ مُهَيَّئًا لِمَجَالِسِ الخَمْرِ لدَرَجَةِ أَنْ كَانَ الأُمَرَاءُ أَنْفُسُهُم يَتَرَدَّدُونَ عَلَيْهِ طَالِبِينَ شُرْبَهَا.

---

[١] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٤،م١٣٥/١؛ وانْظُرْ :ابن خَاقَان "**قَلائِدُ العِقْيَانِ**" ق٣،ج٥٤٨/٢ .

٢ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ١٧٣/٢ .

[٣] – قَالَ الطَّاهِر مَكِّي:إِنَّ أَيَّ رجلٍ مَيْسُورِ الحَالِ مِنْ أمراءِ النَّصَارَى كَانَ إِذَا أَقام حفلا دَعَا إِلَيْهِ الشُّعَرَاءَ دُونَ تمييزٍ لِدينِهِم،وَأَضافَ أَنَّ بلادَ الملكِ شانجة الخامس فِي قَشْتَالَةَ عَامَ ٦٩٢هـ كَانَتْ تَضُمُّ ستةً وَعشرين شاعرًا مُسْلِمًا بينهم امرأتان،واثني عشر شاعرًا مسيحيا، وَشاعرا يَهُودِيا،وَوُجِدَ فِي محاضر إحدى المَجَالِسِ البلدية سَنَةَ [٨٤٦هـ] طلبٌ مِنَ الأعضاءِ بدفعِ عشر قطعٍ نقديةٍ للمدعُوِّ مُحَمَّدٍ جَاجُو مِنْ أهل مَدِينَةِ ألبونت،وَهُوَ مُسْلِم كَمَا يبدو مِنَ اسمه،لأَنَّهُ قامَ بالعزفِ عَلَى آلة موسيقية فِي احْتِفَالات البلدية.كَمَا شكا مجمعُ القساوسةِ لبلد مِنْ بلدان الأَنْدَلُسِ مِنْ أَنَّ النَّصَارَى يجلِبُونَ المُسْلِمِينَ وَاليَهُودَ إِلَى الكنائس ليُغَنُّوا فِيهَا وَيعزفون،وَأَنَّ مدينةَ شَاطِبَةَ بنوعٍ خاص اشتهرتْ بأَنَّها موطنٌ لهَؤُلاءِ المُسْلِمِينَ الذين يجيدُونَ وَالإِنشاد وَالعزف. انْظُرْ :"**ملحَمَةُ السِّيد**" تَرْجَمَة: الطَّاهِر مَكِّي ص٣٩ .

[٤] – الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص٤٠ .

[٥] – نَفْسُهُ ص٤١ .

وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ القُصُورُ تَضُمُّ اليَهُودِيَّ مَعَ نُدَمَائِهِ العَرَبِ فَحَسْبُ،بَلْ كَانَ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهَا أَقْرِبَاؤُهُ وَمعَارِفُهُ مِنَ اليَهُودِ،وَفِي مُذَكِّرَاتِ الأَمِيرِ إِشَارَةٌ إِلَى ذَلِكَ حِينَ ذَكَرَ قِصَّةَ مَقْتَلِ خَالِ ابنِ نَغْرِيلَّةَ اليَهُودِيِّ أَبِي الرَّبِيعِ بن المَاطُونِيِّ،فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَهُ غَدْرًا فِي مَنْزِلِهِ عَلَى الشَّرَابِ[١].

أَمَّا بالنِّسْبَةِ لِمُعَاقَرَةِ الخَمْرِ فِي **مَجَالِسَ بِأَحْضَانِ الطَّبِيعَةِ** فَقَدْ سَبَقَ القَوْلُ إِنَّ ابنَ شُهَيْدٍ وَالزَّجَّالِيُّ كَانَا يَجْتَمِعانِ فِيهِ حَيْرَ الزَّجَّالِي الوَاقِعَ خَارِجَ "بَابِ اليَهُودِ" بِقُرْطُبَةَ عَلَى الخَمْرِ[٢]،وَلَمْ يكُنِ الحَيْرُ خَاصًّا بِهِمَا؛ فَفِي "النَّفْحِ"مَا يؤكِّدُ أَنَّهُ كَانَ عَامًّا يَكْثُرُ فِيهِ اجْتِمَاعُ الأَصْدِقَاءِ[٣].

الثَّانِي : **عَلاقَاتٌ لِليَهُودِ بِالخَمْرِ ظَهَرَتْ فِي الشِّعْرِ**

إِنَّ البَاحِثَ فِي الأدبِ الأَنْدَلُسِيِّ يَرَى عَلاقَةً وَاضِحَةً لِليَهُودِ بِالخَمْرِ.وَقَدْ تَكُونُ عَلاقَةُ اليَهُودِ بِالخَمْرِ أكبرَ عَلاقَةٍ اقْتَرَنَ ذِكْرُهُمْ بِهَا فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ؛ فَكَانَتْ كَالتَّالِي:

١ - يَحُضُّون عَلَى شُرِبِهَا ويُحَلِّلُونَهَا

كَانَ لِليَهُودِ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي الحَضِّ جِهَارًا عَلَى شُرْبِ الخَمْرِ،مِثالٌ عَلَيْهِ مَا ذُكِرَ فِي أَبْيَاتٍ كَتَبَها **يُوسُفُ بنُ حَسْدَاي** اليَهُودِيُّ إِلَى خَالِ أَبِي الحُسَيْنِ ابنِ الفَخَّارِ،يَقُولُ فِيهَا[٤]: [البسيط]

أَبَــا الحُسَــيْنِ أَتَــاكُمْ يَشْــتَكِي ظَمَــأً	ضَيْفٌ عَلِيلٌ غَدَتْ فِي **الرَّاحِ** رَاحَتُـهُ
فَابْعَثْ إِلَيْـهِ بِهَـا **صَـهْبَاءَ**[٥] نَارِيَـةً	تَلْتَـفُّ مِنْهَــا بِنُــورِ الشَّـمْسِ رَاحَتُـهُ

فَرَدَّ عَلَيْهِ ابنُ الفَخَّارِ بِأَبْيَاتٍ يَدْعُوهُ فِيهَا إِلَى الإِسْلامِ[٦]،وَيُفْهَمُ مِنَ الرِّوَايَةِ أَنَّ ابنَ الفَخَّارِ كَانَ ضِدَّ دَعْوَةِ حَسْدَاي،لِذَا رَفَضَهَا،وَأَتْبَعَ رَفْضَهُ بِدَعْوَةِ ذَاكَ اليَهُودِيِّ إِلَى الإِسْلامِ.وَفِي دَعْوَتِهِ إِلَى الإِسْلامِ مَلْمَحٌ إِلَى أَنَّهُ لا يَقْرَبُ الخَمْرَ تَدَيُّنًا وأَنَّ اليَهُودِيَّ كَانَ يَحُضُّهُ عَلَى مُخَالَفَةِ دِينِهِ بِشُرْبِهَا[٧].

---

١ – انْظُرْ : الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص٤٨ .

٢ – انْظُرْ : ابن خَاقَان"**قَلائِد العِقْيَان**" ق٢،ج٤٣٩/٢ .

٣ – فَأَبو الحُسَيْنِ ابنُ سَرَّاج مثلا اجتمعَ عشيةً بِرُبُضِ الزَّجَالي بِقُرْطُبَةَ مَعَ ثُلَّةٍ مِنَ الشُّعَرَاءِ يَرْتَجِلُونَ الشِّعْرَ وَيَرْوُونَ الأَخْبَارَ وَيَنْشُرُونَ مَحَاسِنَ الآدَابِ. انْظُرْ : المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ١٣/٦ .

٤ – ابن خَمِيس المَالَقِيّ "**أُدَبَاء مَالَقَة**" ص٢٨١ .

٥ – الصَهْبَاءَ: الخَمْر . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [صهب] ٥٣٢/١ .

٦ – انْظُرْ : ابن خَمِيس المَالَقِيّ "**أُدَبَاء مَالَقَة**" ص ٢٨١ .

٧ – وفِي مَلاحِقِ البَحْثِ رِسَالَتَانِ:وَاحِدَةٌ لابْنِ الدَّبَّاغِ،وَالثَّانِيَةُ رَدٌّ عَلَيْهَا مِنَ اليَهُودِيِّ ابنِ حَسْدَاي،يَظْهَرُ فِيهِمَا الحَثُّ جِهَارًا عَلَى شُرْبِ الخَمْرِ، كَمَا يَظْهَرُ الدَّوْرُ الوَاضِحُ لليَهُودِيِّ فِي تَهْيِئَةِ مَجَالِس الخَمْرِ وَالدَّعْوَةِ لَهَا،وَيُلاحَظُ بِالنِّسْبَةِ لِشِعْرِ الخَمْرِ أَنَّ ابنَ حَسْدَاي اليَهُودِيَّ المَقْصُودَ فِي الرِّسَالَتَيْنِ لَدَيْهِ تَمَكُّنٌ وَاطِّلاعٌ وَاسِعٌ عَلَى أَبْيَاتٍ قِيلَت فِي الخَمْرِ فَاسْتَشْهَدَ بِكَثِيرٍ مِنْهَا فِي رِسَالَتِهِ،كَمَا استشهد بِكَثِيرٍ مِنَ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ، بِجَانِبِ كَثْرَةِ تَضْمِينِهِ وَاقْتِبَاسِهِ،وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى سِعَةِ اطِّلاعٍ وَعَلَى مَعْرِفَةٍ جَيِّدَةٍ بِالأَدَبِ العَرَبِيِّ عِنْدَ يَهُودِ الأَنْدَلُس.

انْظُرْ : ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٢٨٣/١، ٢٨٥-٢٨٨ .

وَكَانَ أَبُو **الفَضْلِ بنُ حَسْدَاي** يَوْمًا فِي ضِيَافَةِ بَعْضِ إِخْوانِهِ بِحِصْنِ رُوطَةَ،وَارْتَفَعَ الطَّعَامُ وَلَمْ تَحْضُرِ المُدَامُ،فَقَالَ لِرَبِّ المَنْزِلِ أَبْيَاتًا يَطْلُبُ الخَمْرَ، مِنْهَا[١]: [المجتث]

العِيـــــدُ أَيَّـــــامُ أَكْـــــلِ   وَمَشْـــــرَبٍ وَبَعَـــــالِ

وَقَـــدْ أَكَلْنَـــا فَهَـــاتِ اسْـــ   ـــقِنَا مِـــنَ الجِرْيَـــالِ[٢]

فلمَّا وَصَلَ أَبُو الفَضْلِ إِلَى مَنْزِلِهِ بَعَثَ إِلَيْهِ بِمَا طَلَبَ،وَكَتَبَ مَعَهَا أَبيَاتًا شِعرِيَّةً يُعَارِضُهُ فِيهَا[٣].

وَحِينَ يَقُومُ أَحَدُ المَشْهُورِينَ بِشُرْبِ الخَمْرِ فِي الأَنْدَلُسِ كَثِيرًا مَا كَانَ يَتَّهِمُ اليَهُودُ بِإِغْوَائِهِ، فقدْ صَرَّحَ ابنُ بُلُقِّينَ صَاحِبُ المُذَكِّرَاتِ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً بأَنَّ اليَهُودَ كَانُوا يُشَجِّعُونَ الأُمَرَاءَ حَوْلَهُ على مُعَاقَرَةِ الخَمْرِ وَيُسَهِّلُونَ لَهُم الحُصُولَ عَلَيْهَا[٤]،وَكَانَ شُربُ الخَمْرِ فِي بُيُوتِ اليَهُودِ وَسِيلَةً للسَّيْطَرَةِ عَلَى هَؤُلاءِ السَّادَةِ؛فَصَوَّرَتِ المُذَكِّرَاتُ الأُمَرَاءَ والمُلُوكَ أُلْعُوبَةً بِيَدِ اليَهُودِيِّ،وَصَوَّرَتْهُ شَيطانًا يُزَيِّنُ لَهُمْ شُرْبَ الخَمْرِ فَيَنْقَادُونَ بِسُهُولَةٍ.فَأَغْرَى المُظَفَّرَ حَاكِمَ غَرْنَاطَةَ بِالشَّرَابِ بعدَ أَنْ جَعَلَهُ يَمِيلُ إِلَيْهِ كَثِيرًا،فَتَرَكَ لَهُ سِيَاسَةَ أُمُورِ مَمْلَكَتِهِ،إِلَى أَنْ تَجَرَّأَ عَلَى التَّآمُرِ مَعَ ابنِ صُمَادِح بَيْنَمَا "المُظَفَّرُ فِي هَذَا كُلِّهِ،لا خَبَرَ عِنْدَهُ إلا الإِقْبَالَ عَلَى الشُّرْبِ وَالدَّعَةِ"[٥].

٢- يَبِيعُونَ الجَيِّدَ مِنْهَا وَيُوَفِّرُونَهَا لِمَنْ يُرِيدُهَا

ذَكَرَ إِميليو غَرْسِية غُومِس أَنَّ بَعْضَ شُعَرَاءِ الأَنْدَلُسِ كَانُوا يَفِيئُونَ إِلَى ظِلالِ البِيَعِ المُسْتَعْرَبِيَّةِ الصَّغِيرَةِ فِي قُرْطُبَةَ لِيُصِيبُوا شَيْئًا مِنَ النَّبِيذِ[٦]،وَقَالَ قُرْطُبَةَ لِوُجُودِ كَثْرَةٍ مِنَ اليَهُودِ فِيهَا يُوَفِّرُونَهَا وَيَبِيعُونَهَا.وَكَانَ طَبِيعِيًّا أَنْ يَقُومَ اليَهُودُ بِالمُتَاجَرَةِ بِهَا وَتَوْفِيرِهَا لِمَنْ يُرِيدُهَا مِنَ المُسْلِمِينَ،حَيْثُ يُمْنَعُ عَلَى المُسْلِمِ المُتَاجَرَةُ بِهَا،فَلَجَأَ ابنُ الفَخَّارِ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ فِي أَبياتٍ ذُكِرَتْ سَابِقًا إِلَى ابنِ حَسْدَاي اليَهُودِيِّ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُوَفِّرَهَا لَهُ[٧].

وَمَرَّ فِي البَحْثِ نَصٌّ عَنِ احْتِفَالٍ أُقِيمَ فِي قَصْرِ المَأْمُونِ قُدِّمَ فِيهِ الخَمْرُ.وَجَاءَ فِيهِ ذِكْرٌ لاثْنَيْنِ مِنَ اليَهُودِ؛الأَوَّلُ مِنْهُمَا ابنُ حَسْدَاي الذي كَانَ يُدَبِّرُ الحَفَلاتِ وَيُنَظِّمُهَا وَيَجْلِبُ لَهَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ

---

١ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٨٩/١ .

٢ – الجِرْيال وَالجِرْيالة: الخَمْرُ الشَّدِيدَةُ الحُمْرة. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [جرل] ١٠٨/١١ .

٣ – الأَبْيَات هِيَ : [المجتث] زُفَّتْ إِلَيْكَ عَرُوسٌ بِكْرٌ مِنَ الجِرْيالِ

قَمِيصُهَا ذَهَبِيٌّ   كَالشَّمْسِ فِي الآصَالِ

وَحَلْيُهَا فِضِيٌّ   مُنَظَّمٌ كَـاللآلِي

فَدُونَكَ اشْرَبْ هَنِيئًا   لا زِلْتَ نَاعِمَ بَالِ

ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٨٩/١ .

٤ – انْظُرْ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ : الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٤٠- ٤٠، ٤٧، ٥٤ .

٥ – نَفْسُهُ ص٥٣ .

٦ – انْظُرْ: إِميليو غَرْسِية غُومِس "**الشِّعْر الأَنْدَلُسِي؛ بحث فِي تطوره وَخصائصه**" ص٣٥ .

٧ – انْظُرْ: ابن خَمِيس المَالقِيّ "**أُدَبَاء مَالَقَة**" ص ٢٨١

المَدْعُوُّونَ مِنْ وَسَائِلِ الرَّاحَةِ كَالخَمْرِ وَالغِنَاءِ،وَالثَّانِي المُطْرِبُ الإِسْرَائِيلِيُّ ذَيُّ[١]،وَإِنْ كَانَ مُدِيرُ الحَفْلَةِ مِنَ اليَهُودِ وَالمَطْرِبُ مِنَ اليَهُودِ،لا بُدَّ أَنْ تَكْتَمِلَ الصُّورَةُ بِخَمْرٍ يَهُودِيٍّ المَتْجَرِ.

وَظَهَرَتْ فِي مُذَكِّرَاتِ "التِّبْيَانِ" أَكْثَرُ مِنْ إِشَارَةٍ إِلَى مَجَالِسِ خَمْرٍ أَشْرَفَ عَلَيْهَا ابنُ نَغْرِيلَةَ اليَهُودِيُّ،وَكَشَفَتِ المُذَكِّرَاتُ أَنَّهُ كَانَ وَرَاءَ مَقْتَلِ الأَمِيرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بَعْدَ أَنْ تَمَكَّنَ مِنْهُ بِجَعْلِهِ يَتَعَوَّدُ شُرْبَ الخَمْرِ مَعَهُ[٢].كَمَا نُسِبَ إِلَيْهِ قَتْلُ خَالِهِ فِي مَنْزِلِهِ عَلَى الشَّرَابِ[٣]،فَكَانَتِ الخَمْرُ الوَسِيلَةَ المَشْهُورَةَ أَمَامَ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ لِلوُصُولِ إِلَى مَآرِبِهِمْ حَتَّى مَعَ بَنِي مِلَّتِهِمْ مِنَ اليَهُودِ.

وَمِنْ غَرِيبِ التَّدَابِيرِ أَنْ تَكُونَ نِهَايَةُ هَذَا اليَهُودِيِّ مُشَابِهَةً لِنِهَايَةِ مَنِ احْتَالَ عَلَيهِم،فَبَعْدَ أَنْ مَرَّتْ حَيَاتُهُ مَا بَيْنَ حَضْنٍ عَلَى شُرْبِ الخَمْرِ،وَمُؤَامَرَاتٍ وَدَسَائِسَ مَسْرَحُهَا مَجَالِسُ الخَمْرِ،وُضِعَ حَدٌّ لِحَيَاتِهِ مِنْ مَجْلِسِ خَمْرٍ كَانَ أَعَدَّهُ،فَقَدِ اسْتَعْمَلَ اليَهُودِيُّ الشَّرَابَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ أَقْوَامٍ مِنْ عَبِيدِ بَادِيسَ كَانُوا قَدْ عَاقَدُوهُ وَاتَّفَقُوا مَعَهُ،إِلَى أَنْ خَرَجَ أَحَدُهُمْ وَهُوَ سَكْرَان يُنَادِي النَّاسَ لِلثَّوْرَةِ عَلَى اليَهُودِيِّ المُتَآمِرِ مَعَ ابنِ صُمَادِحٍ[٤].وَبِهَذَا خَرَجَتْ شَرَارَةُ مَقْتَلِهِ مِنْ مَجْلِسِ خمر أعدَّهُ لِيَضَعَ فِيهِ الخُطُوطَ الأَخِيرَةَ لِمَكِيدَةِ تَسْلِيمِ غَرْنَاطَةَ إِلَى ابنِ صُمَادِحٍ .

٣- اشْتُهِرَ بَعْضُ شُعَرَائِهِمْ بِشُرْبِهَا

اشْتَهَرَ بَعْضُ شُعَرَاءِ اليَهُودِ بِشُرْبِ الخَمْرِ؛فَوَصَفَ ابنُ سَعِيدٍ الشَّاعِرَ **إِسْحَاقَ بنَ شَمْعُونَ** القُرطُبِيَّ اليَهُودِيَّ بِأَنَّهُ كَثِيرُ المُقَامِ عَلَى شُرْبِ المُدَامِ[٥]،فَقَرَنَ ذِكْرَ الخَمْرِ بِالغِنَاءِ وَالمُوسِيقَى وَوَصْفِ الطَّبِيعَةِ فِي أَبْيَاتٍ فَاضَتْ بِالفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَجَمَالِ المَجْلِسِ،دُونَ أَنْ يَأْتِيَ بِتَفْصِيلٍ حَوْلَ دَوْرِ الخَمْرِ أَوْ أَثَرِهَا عَلَى شَارِبِهَا،بَلْ مَرَّ ذِكْرُهَا عَلَى عَجَلٍ حِينَ قَالَ[٦]: [الكامل]

قُمْ هَاتِ كَأْسَكَ فَالنَّعِيمُ قَدِ اتَّسَقْ ... وَالعُودُ عَنْ دَاعِي المَسَرَّةِ قَدْ نَطَقْ

وَلَدَيْكَ مِنْ حَثِّ الكُؤُوسِ أَزَاهِرًا ... فِي الخَزِّ يَمْرَحُ كَالأَرَاكَةِ فِي الوَرَقْ[٧]

وَالزَّهْرُ زَهْرٌ وَالرِّيَاضُ سَمَاؤُهَا ... وَالفَجْرُ نَهْرٌ وَالشَّقَائِقُ كَالشَّفَقْ

إلا أَنَّهُ تَوَسَّعَ فِي الحَدِيثِ عَنْ فَائِدَتِهَا وَأَثَرِهَا عَلَى شَارِبِهَا فِي مكَانٍ آخَرَ،فَقَالَ[٨]: [الوافر]

خَبَرْتُ العَالَمِينَ فَلَمْ أَجِدْ مَنْ ... يُثِيرُ لِيَ المُنَى غَيْرَ **المُدَامِ**

تُجَلِّي الهَمَّ عَنْ فِكْرِي وَتُبْدِي ... لِيَ اللَّذَّاتِ أَجْمَعَ فِي نِظَامِ

وَتُطْعِمُنِي بِمَا لا أَرْتَجِيهِ ... بِأَحْلَى مِنْ لِذَاذَاتِ المَنَامِ

وَتُخْرِجُ بِي إِذَا وَالَيْتُ حَثًّا ... بِهَا فِي الشُّرْبِ مِنْ خُلُقٍ

وَلَوْ أَنِّي أُحَكِّمُ لَمْ أَذَرْهَا ... تُحَلُّ بِغَيْرِ آفَاقِ الكِرَامِ[٩]

---

١ – انْظُرْ:"**قَلائِدِ العِقْيَان**"ق٣،ج٢/٥٤٨؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٤،م١/١٣٥–١٣٦؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ١٧٣/٢ .

٢ – الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص٤٠–٤١ .

٣ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ص٤٨ .

٤ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ص٥٤ .

٥ – انْظُرْ : ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٢٨/١ .

٦ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .

٧ – الخَزُّ : معروف مِنَ الثياب مشتق مِنْهُ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [خزز] ٣٤٥/٥ .

الأَرَاكَةُ:الأراك؛ شجرة طويلة خضراء ناعمة تتخذ مِنْهَا المَساويك . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [أرك] ٣٨٨/١٠ .

٨ – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٢٨/١ .

٩ – الطَّغَامُ: أَرْذَالُ النَّاسِ وَأَوغَادُهم . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [طغم] ٣٦٨/١٢ .

وفِي الأَبْيَاتِ لايَصِفُ أَثَرَ الخَمْرِ عَلَيْهِ وَفائدتها فَحَسْب،بَلْ يَرَى لَهَا مكَانَةً عَظِيمَةً تَجْعَلُهُ يَتَمَنَّى أَنْ لا تُسْقَى إلا فِي مَجَالِسِ الكِرَامِ وَعِلْيَةِ القَوْمِ حَتَّى لا تُهان لِمَا لَهَا مِنْ فَائِدَةٍ.

٤ـ لَهُمْ عَلاقَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ عَقَدِيَّةٌ بِهَا

تَجَاوَزَ الشَّاعِرُ الأَنْدَلُسِيُّ الحُدُودَ حِينَ لَغَى الحَوَاجِزَ الدِّينيةَ،وَظَهَرَتِ الخَمْرُ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ ذَاتَ صِفَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ مَعْبُودَةَ الجَمِيعِ،وَبِمَجَالِسِهَا التَقَى الجَمِيعُ:الشَّاعِرُ المُسلمُ وَأَصْحَابُ "**التَّجْسِيم**" اليَهُودُ وَأَصْحَابُ "**التَثْلِيث**" النَّصَارَى،وَمِنْ ذَلِكَ **لِسَانُ الدِّين بنُ الخَطِيبِ** فِي قَوْلِهِ[١]: [المتقارب]

مُعَتَّقَــةً [٢] **جَسَّـــمَتْهَا** اليَهُــودُ ... وَمِــنْ بَعْـدِهَا **ثَلَّثَتْهَــا** النَّصَــارَى

وَلأَنَّ القَصِيدَةَ عَلَى طَرِيقَةِ الصُّوفِيِّينَ،أَرَى أَنَّ الشَّاعِرَ أرادَ القَوْلَ إِنَّ مَحَبَّةَ اللهِ هِيَ الخَمْرُ التِي تَلْتَقِي عندَهَا أَصْحَابُ الدِّيَانَاتِ مَهْمَا اخْتَلَفَتْ طُرُقُهُمْ فِي العِبَادَةِ.وَجَاءَتْ مُرْتَفِعَةً عَنْ "**التَّجْسِيم**" فِي مُحَاوَرَةٍ **لابنِ إبْرَاهِيمَ المَلِيكْشِيّ**(ت:٧٤٠هـ)[٣]مَع قِسٍّ جَاءَ فِيهَا[٤]: [الطويل]

مُشَعْشَـعَةٌ كَالشَّـمْسِ لَكِـنْ تَرَوْحَنَـتْ[٥] ... وَجَلَّـتْ عَـنْ **التَّجْسِـيمِ** قِـدْمًا فَـلا تُـرَى

وَالجَمْعُ بَيْنَ الخَمْرِ وَعَقِيدَةِ "**التَّجْسِيم**" الخَاصَّةِ بِاليَهُودِ فِي الشِّعْرِ لَيْسَ خَاصًّا بالأَنْدَلُسِيِّينَ.وَوُجد مَا يُشَابِهُ هَذَا فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ المَشْرِقِيِّ[٦].

---

١ – ابن الخَطِيب السلماني "**دِيوَانُهُ**" ٣٨٦/٢ .

٢ – المُعَتَّقَةُ: الخَمْر التي عُتِّقَتْ زماناً حَتَّى عَتُقَتْ أي أَصْبَحَتْ قَدِيمَةً .   ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [عتق] ٢٣٧/١٠ .

٣ – هُوَ: **مُحَمَّدٌ** بن عُمَرُ بنُ عَلِيّ **بن إبْرَاهِيمَ المليكشي** يُكْنَى أَبَا عبد الله. كَانَ فاضِلاً،متخلقاً،أديباً،شاعراً صوفياً، كتبَ عَنْ الأمراء بإفْرِيقْيَةَ، وَنالَ حظوةً،وَوَصَلَ الأَنْدَلُسَ عام ٧١٨هـ،فلقي بغَرْنَاطَة حفاية، ثُمَّ عادَ إِلَى وَطنه إِلَى آخر عمره عام ٧٤٠هـ .

انْظُرْ : المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٣٧٥/٨ – ٣٧٧؛ ابن الخَطِيب "**الإحَاطَة**" ٥٦٣/٢– ٥٧١ .

٤ – ابن الخَطِيب "**الإحَاطَة**" ٥٦٧/٢ .

٥ – تروحنت عَلَى وَزن تفعللت للمبالغة تدلُّ عَلَى سَعَةٍ وَفُسْحَةٍ وَاطّراد .

انْظُر :ابن فارس "**مُعْجَم مَقَايِيس اللغة**" [باب الراء وَالواو وَمَا يثلثهمَا] ص٤٢٨ – ٤٣٠ .

٦ – جاءتْ الخَمْرُ مُشَعْشَعَةً وَبلا تَجْسِيم مَثَلاً عِنْدَ ابنِ المُعْتَزِّ (ت:٢٩٦هـ) فِي قَوْلِهِ: [البسيط]

أَبْقَى الجَدِيدَانِ مِنْ مَوْجُودِهَا عَجَبًا ... وَرَائِحَةً فِي **غَيْرِ تَجْسِيمِ**   ابْن المُعْتَزِّ "**دِيوَانُهُ**" ص٣٥٩ .

خَامِسًا:ـ اليَهُودُ فِي مَوْضُوعاتٍ وَفُنُونٍ أُخْرَى

ظَهَرَ أَثَرُ اليَهُودِ فِي مَوضوعاتٍ أُخْرَى أَشْهَرُهَا مَا يَلِي :

الأَوَّلُ : فِي شِعْرِ الإِخْوَانِيَّاتِ

قَدْ يَظْهَرُ فِي شِعْرِ الإِخْوَانِيَّاتِ مَا لا يَظْهَرُ فِي شِعْرِ المُنَاسَبَاتِ، فَبِهِ صِدْقٌ وَوُضُوحٌ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ مِمَّا يُقَالُ بِتَصَنُّعٍ أَوْ تَأَنُّقٍ قَدْ يُفْسِدُ التِّلْقَائِيَّةَ وَالصِّدْقَ أَحْيَانًا،وَلأَنَّ اليَهُودَ لَمْ يَكُونُوا مِنْ عِلْيَةِ القَوْمِ بَلْ مِنَ الفِئَاتِ المَغْمُورَةِ،وَلأَنَّ الَّذِينَ وَصَلُوا مِنْهُمْ لِمَكَانَةٍ عَالِيَةٍ فِي الأَنْدَلُسِ كَانُوا قِلَّةً، وَلأَنَّ مُعْظَمَ الشِّعْرِ الذِي وَصَلَ إِلَيْنَا كَانَ شِعْرَ الفِئَةِ المُخْتَارةِ وعِلْيَةِ القَوْمِ عَلَى الأَغْلَبِ،لِكُلِّ هَذَا كَانَ ذِكْرُهُمْ فِيمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ شِعْرٍ عَزِيزًا،لكنَّ هَذَا لَمْ يَلْغِ أَثَرَهمْ فِيهِ وَعَلى رأسِهِ المُرَاسَلاتُ.

وَلَمْ يَكُنْ لِليَهُودِ مَسَاحَةٌ كَبِيرَةٌ فِي شِعْرِ المُرَاسَلاتِ،فَلَمْ تَصِلْنَا أَبْيَاتٌ مَوْضُوعُهَا اليَهُودُ. وَكَانَ مُلاحَظَاتٍ وَأَقْوَالاً مُتَنَاثِرَةً كَمَا فِي الأَغْرَاضِ الأُخْرَى.وَجَاءَتِ المُرَاسَلاتُ عَلَى نَوْعَيْنِ :

١ـ مُرَاسَلاتٌ مِنَ اليَهُودِ أَوْ إِلَيْهِمْ

الشَّخْصِيَّاتُ اليَهُودِيَّةُ التِي تَبَادَلَتِ المُرَاسَلاتِ فِي الأَنْدَلُسِ قَلِيلَةٌ جِدًّا،وَيَسْتَرعِي الانْتِبَاهُ مَوْقِفُ الرُّوَاةِ مِنْ هَذِهِ الأَشْعَارِ.فَحِينَ نُقِلَتْ هَذِهِ الأَشْعَارُ فِيمَا بَعْدُ وَدَخَلَتْ كُتُبَ التَّرَاجِمِ وَالأَدَبِ كَانَ هُنَاكَ حُكْمٌ مُسْبَقٌ عَلَى اليَهُودِ فِيهَا أَدَّى إِلَى مُعَامَلَةٍ خَاصَّةٍ لِهَذِهِ الأَشْعَارِ،فإلحاقُ اسْمِ اليَهُودِيِّ بِدُعَاءٍ بِاللعْنَةِ عَلَيْهِ مَثَلاً يُشِيرِ إِلَى اسْتِنْكَارٍ وَرَفْضٍ نَاقِلِي الشِّعْرِ وَالمُؤَرِّخِينَ لِهَذَا اليَهُودِيِّ،لَيْسَ لِقُبْحِ المَوْضُوعِ الذي قَالَ فِيه،فقَدْ قَالَ الشُّعَرَاءِ العَرَبُ مَا يفوقُهُ سُوءًا وَنُقِلَتْ أَشْعَارُهم،وَبِهَذا أَرْجِعُ إِلَى الدَّائِرَةِ الأُولَى الَّتِي انْطَلَقَ مِنْهَا البَحْثُ بِقَوْلِي إِنَّ عُيُونَ البَاحِثِينَ مُفَتَّحَةٌ عَلَى هُوِيَّتِهِمُ الدِّينِيَّةِ وَسُوءِ مُعْتَقَدِهِم أَكثَرَ مِنْ رِوَايَةِ شِعْرِهِم،فَلَمْ يُعْنَ المُؤَرِّخُ كَثِيرًا بِنَقْلِ أَشْعَارِهِمْ كَافَّةً،بَلْ أَتَى بِأَبْيَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ فِي مُعْظَمِ الحَالاتِ إِنْ تَمَيَّزَ هَذَا الشَّاعِرُ اليَهُودِيُّ بِسُلْطَةٍ وَاسِعَةٍ أَوْ كَانَ مِنَ العِلْيَةِ كَمَا حَصَلَ فِي إِثْبَاتِ كَثِيرٍ مِنَ المُرَاسَلاتِ مَعَ الوَزِيرِ ابنِ حَسْدَاي.

وَمِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ الدُّعاءَ بِاللَّعْنَةِ لَمْ يَكُنْ مُوَجَّهًا لِليَهُودِ فَقَطْ،فقَدْ نَالَتِ اللَّعْنَةُ بَعْضَ المُسْلِمِينَ فِي كُتُبِ التَّرَاجَمِ وَالأَدَبِ؛فَأُتْبِعَ اسْمُ الثَّائِرِ الجَزِيرِيِّ(ت:٥٨٦هـ)[١] مَثَلاً بِعِبَارَةِ "لَعَنَهُ اللهُ" فِي التَّرْجَمَةِ لَهُ عِنْدَ ابنِ خَمِيسٍ نَفْسِهِ[٢].كَمَا أَنَّ نِسْيَانَ الأَشْعَارِ أَوْ تَجَاهُلَهَا لَمْ يَكُنْ خَاصًّا بِاليَهُودِ بَلْ كَانَ يَنْسَحِبُ كَذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الشُّعَرَاءِ المُسْلِمِينَ عَلَى اخْتِلافِ أَغْرَاضِهِم الشِّعْرِيَّةِ.

١ – هُوَ الثائر: أَبُو عبد الله مُحَمَّدُ **بن عبد الله الجزيري** ثار عَلَى بني عبد المؤمن، فَفَرَّ وَلَمْ يزل يتنقل مستخفيًا إِلَى أن وَصلَ مَدِينَةَ بسطة. فَقُتِلَ وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى مَرَّاكُشَ . انْظُرْ : ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١/٣٢٣– ٣٢٤؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٥/٢١٣– ٢١٤ .

٢ – انْظُرْ : ابن خَمِيس المَالقِيّ "**أُدبَاء مَالَقَةَ**" ص ٢٨١ .

هَذَا مِنْ نَاحِيَةٍ،وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى كَانَتْ هَذِهِ المُرَاسَلاتُ تَأْتِي أَحْيَانًا دُونَ مُراقَبَةٍ لِهُوِيَّةِ اليَهُودِيِّ المُوَجَّهَةِ مِنْهُ أَوْ إِلَيْهِ،بَلْ ظَهَرَ اليَهُودِيُّ فِيهَا ذَا مكَانَةٍ وَقِيمَةٍ أَدَبِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ،فكَانَ صَاحِبَ سُلْطَةٍ وَقَرَارٍ فِي حَلِّ مُشْكِلاتِ الشُّعَرَاءِ،كَمَا حَصَلَ مَثَلاً مَعَ **ابنِ عَمَّار**ِ[1] حِينَ اعتُقِلَ فِي شَقُورَةَ[2]، فَرَاسَلَ ابنَ حَسْدَايِ يصِفُ مَوْقِعَ اعْتِقَالِهِ،وَيَطْلُبُ نَجْدَتَهُ بِقَوْلِهِ[3]:[الكامل]

أَدْرِكْ أَخَــاكَ وَلَــوْ بِقَافِيَــةٍ ... كَالطَّــلِّ يُــوقِظُ نَـائِمَ الزَّهْــرِ
فَلَقَــد تقَاذَفَــتِ الرِّكَــابُ بِــهِ ... فِــي غَيْــرِ مَوْمَــاةٍ[4] وَلا بَحْــرِ
طَفِحَــتْ[5] صَــحَابَتُهُ بِــلا ... وَتَســاقَطُوا سُــكْرًا بِــلا خَمْــرِ
بِمَعَــارِجٍ أَدَّتْ إِلَــى حَــرَجٍ ... حتَّــى مِــنَ الأَنْــوَاءِ وَالقَطْــرِ
عَــالٍ أَظَــنُّ الجِــنَّ إِذْ مَــرَدَتْ ... جَعَلَتْــهُ مَرْقَــاةً إِلَــى النَّسْــرِ
وَحْــشٍ تَتَــاكَرَتِ الوُجُــوهُ بِــهِ ... حَتَّــى اسْــتَرَبْتُ بِصَــفْحَةِ البَــدْرِ
قَصْــرٍ تمَهَّــدَ بَــيْنَ حَــافِيَتَيْ ... نِسْــرِينٍ مِــنْ فَلَــكٍ وَمِــنْ وَكْــرِ
مُتَحَيِّــزٍ سَــالَ الوَقَــارُ عَلَــى ... عِطْفَيْــهِ مِــنْ كِبَــرٍ وَمِــنْ كِبْــرِ
مَلَكَــتْ عَنَــانَ الــرِّيحِ رَاحَتُــهُ ... فَجِيَادُهَــا مِــنْ تَحْتِــهِ تَجْــرِي
مَــأْوَى العَزِيــزِ وَقَــدْ نَصَحْــ ... ــتُ وَقَــدْ أَبْلَيْــتُ فِــي العُــذْرِ
وَوَصَــلْتُ خِدْمَــةَ قَــاطِعٍ سَــبَبِي ... وَأَطَعْــتُ أَمْــرَ مُضَــيِّعٍ أَمْــرِي

وَبَعْدَ أَنْ يَصِفَ مُعتَقَلَهُ،يَشْكُرُهُ عَلَى جَمِيلِ صُنْعِهِ مَعَهُ،طَالِبًا مِنْهُ أَنْ يَرُدَّ عليه،فيَقُولُ[6]: [الكامل]

دَعْ ذَا وَصِــلْنَا غَيْــرَ مُــؤْتَمَرٍ ... مُسْـــتَأْثِرًا بِالحَمْـــدِ وَالشُّـــكْرِ
واكْتُـــبْ إِلَيْنَـــا إِنَّهَـــا لَيَـــدٌ ... تَمْحُــو الــذي كَتَبَــتْ يَــدُ الــدَّهْرِ

فَحِينَ احتاجَ الشَّاعِرُ السُّلْطَةَ وَالنُّفُوذَ وَالسِّيَاسَةَ تَحَدَّثَ إِلَى اليَهُودِيِّ مِنْ سِجْنِهِ مُسْتَعْطِفًا إِياه،مُتَطَلِّعًا إِلَى نُفُوذِهِ وَمكَانَتِهِ السِّيَاسِيَّةِ،وَأَحْيَانًا جَاءَتْ هَذِهِ المُرَاسَلاتُ بَعِيدَةً عَنِ السُّلْطَةِ وَالنُّفُوذِ وَالسِّيَاسَةِ،

---

١ – هُوَ : **مُحَمَّدُ بن عَمَّارٍ** بنُ الحُسَيْنِ بنُ عَمَّارٍ المَهْرِيّ البَكْرِيّ، صَحِبَ المُعْتَمِدَ بنَ عَبَّاد مِنَ الصبا حَتَّى كَانَتْ لَهُ مكانته الخاصة عنده، إِلَى أن فسد مَا بينهما، فقتله المُعْتَمِدُ بيده بساطور كَانَتْ معه . انْظُرْ : ابن خَاقَان"**قَلائِدُ العِقْيَانِ**"ق٢،ج١/٢٧٣ .

٢ – **شَقُورَةَ:** بفتح أوله وبعد الواو الساكنة راء، مَدِينَةٌ بالأَنْدَلُسِ، بِهَا حِصْنٌ مَنِيعٌ مِنْ حُصُونِ الأَنْدَلُسِ وبها كَانَتْ دار إمارة هَمْشَك.

انْظُرْ : يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٣/٣٥٥ ؛عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِيّ"**المُعْجِب**" ص ١٢٣– ١٢٤ ؛ابن الأَبَّار"**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ٢/١٤٩؛ الإِدْرِيسِيّ"**نُزْهَة المُشْتَاق**" ٢/٥٦٠ –٥٦١ ؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**" ص٣٤٩ .

٣ – ابن خَاقَان"**قَلائِدُ العِقْيَانِ**"ق٢،ج١/٢٧٤ .

٤ – المَوْمَاةُ: المَفَازَةُ الواسعة المَلْساء،أو الفلاة التي لا ماءَ بِهَا وَلا أَنِيسَ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**"[موم] ١٢/٥٦٦.

٥ – طَفَحَت: مَلأَها الشرابُ؛ وَمنه قِيلَ للسكران: طافِحٌ أَي أَن الشراب قَدْ مَلأَه . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [طفح] ٢/٥٣٠.

٦ – خالص صلاح "**مُحَمَّد بن عَمَّار الأَنْدَلُسِي؛ دراسة أدبية تاريخية**" ص٣٠٢ – ٣٠٣ .

تَتَحَدَّثُ عَنِ الحَيَاةِ اليَوْمِيَّةِ العَادِيَّةِ وَالأُمُورِ الحَيَاتِيَّةِ العَادِيَّةِ التِي يَتَبَادَلُهَا الإخوانُ عَادَةً.

وَتَعَدَّدَتِ المَوْضُوعاتُ التِي تَنَاوَلَهَا شِعْرُ المُرَاسَلاتُ؛**فَأَبُو الحَسَنِ الحُصَرِيُّ**(ت:٤٨٨هـ)(١) يُرْسِلُ إِلَى ابنِ حَسْدَاي أَبْيَاتًا تُظْهِرُ المكانَةَ وَالنُّفُوذَ لِهَذَا المُخَاطَبِ،مِنْهَا(٢):[مجزوء الرمل]

أَيُّهَـــــا المُشْـــــرِفُ حَاشَــــــا ... لأولِـــي الـــرَّأيِ الخِطَـــاءُ

لا تَقُـــلْ مَـــــا بِيَـــدِي مَـــــا ... لٌ وَلا عِنْـــــدِي عَطَـــــاءُ

بَيْــــتُ أَمْوَالِــــكَ بَحْــــرٌ ... مَـــا عَلَـــى البَحْــرِ غِطَــاءُ

تُشِيرُ الأَبْيَاتُ إِلَى الغِنَى الفَاحِشِ الذِي تَمَتَّعَ بِهِ هَذَا اليَهُودِيُّ،فَالنَّاسُ تَقْصِدُهُ طَامِعَةً فِي عَطَائِهِ، وَيُتْبِعُهَا **الحُصَرِيُّ** بِأَبْيَاتٍ يَشْكُو فِيهَا ابنَ عيَّاشٍ اليَهُودِيَّ صَهْرَ ابنِ حَسْدَاي،مِنْهَا(٣):[مجزوء الكامل]

مَـــا بَـــالُ صِـــهْرِكَ صَـــدَّنِي ... وَإِلَـــى سَـــنَاكَ أَتَـــاقَنِي(٤)

هُــــوَ عَقَّنِـــــي وَبَرَرْتَنِـــــي ... هُــوَ عَــنْ لِقَائِــكَ عَــاقَنِي

إِنِّـــي أَخَــفُّ عَلَـــى [الوَزِيــــ ... ـــرِ] وَلَــوْ ثَقُلْــتُ لَطَــاقَنِي

نَفْسِـــي فِـــداؤُكَ يَـــا أَبَـــا الـــ ... ـــفَضْلِ الــذِي قَــدْ رَاقَنِـــي

أَتَوَقَّعُ أَنْ يَكُونَ ابنُ عيَّاشٍ اليَهُودِيُّ هَذَا حَاجِبًا لِلوَزِيرِ المَذْكُورِ،وَتُصَوِّرُ الأَبْيَاتُ أَنَّهُ كَانَ يَتَمَتَّعُ بِنُفُوذٍ كَبِيرٍ عِنْدَ الوَزِيرِ فَكَانَ بِاسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَمْنَعَ هَذَا الشَّاعِرَ مِنْ لِقَاءِ الوَزِيرِ،وَبِهَذَا تُشِيرُ الأَبْيَاتُ إِلَى أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ اليَهُودِ وَمِنْ أَقَارِبِ الوَزِيرِ كَانَتْ تُحِيطُ بِهِ وَتُدَافِعُ عَنْهُ وَتُسَاعِدُهُ فِي تَدْبِيرِ أُمُورِهِ،وَهَذَا ابنُ عيَّاشٍ المَذْكُورُ فِي الأَبْيَاتِ وَاحِدٌ مِنْهُمْ.

وَفِي أَبْيَاتٍ مِنْ أَبِي **عَامِرِ بنِ الفَرَجِ**(ت بعد:٤٦٧هـ)(٥) إِلَى ابنِ حَسْدَاي يَقُولُ فِيهَا(٦): [المجتث]

إِنْ كَـــانَ عِنْـــدَكَ شَـــيءٌ ... مِـــنَ الـــدَّيَاخِيلُونِ(٧)

فَابْعَـــثْ بِـــهِ تَتَعَـــوَّضْ ... مِنْـــهُ بِشُـــكْرٍ ثَمِـــينِ

فَـــإِنَّ عِنْـــدِي خُرَاجًـــا ... مِـــنْ بَابَـــةِ التَّلْيِـــينِ

---

١ – هُوَ: أَبُو **الحَسَنِ** عَلِيٌّ بنُ عبدِ الغَنِيِّ الفِهْرِيِّ **الحُصَرِيُّ** القيرواني نزيلُ سبته، كَانَ ضَرِيرًا،مِنْ كبار الشُّعَرَاءِ مَدَحَ مُلُوكًا وَوُزَرَاءَ وأخذ جوائزهم وَلَهُ فِي ابن عباد قصائد عدة.وقَالُوا إِنَّهُ كَانَ عَالِمًا بِالقِرَاءَاتِ، وَقَدْ أَقْرَأَ النَّاسَ القُرْآنَ الكَرِيمَ بِسِبْتَةَ وَغَيْرِهَا إِلَى أن توفاهُ اللهُ سَنَةَ ٤٨٨هـ،وله تَصَانِيفُ فِي القِرَاءاتِ وَطُرُقِهَا،وَلَهُ قَصِيدَةٌ فِي قِرَاءَةِ نَافِعِ عَدَدُ أَبْيَاتِها مائَتَانِ وَتِسْعَةٍ،وَلَهُ دِيوانُ شِعْرٍ، ومِنْ قَصَائِدِه المَشْهُورَةِ التي تَبْتَدِئُ بِقَوْلِهِ [المتدارك]: يا لَيْلُ، الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ

انْظُرْ :الحُمَيْدِيّ"**جَذْوَة المُقْتَبِس**" ٢/٤٩٧–٤٩٨؛ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م١/٦٦–٦٧،ق٤،م١/٢٤٥–٢٨٣؛ابن بَشْكَوال"**الصِّلَة**" ٢/٦٢٧؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ الأدباء**"١٤/٣٩– ٤١؛ ابْن دِحْيَةَ"**المُطْرِب**"ص١٣، ٢٠، ٨٠، ٨٤؛ عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص ١٤٤– ١٤٥؛ ابن الأَبَّار"**التَّكْمِلَة**"٤/٢٣٧؛ "**الحُلَّةُ السِّيَرَاء**" ٢/٥٤؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**"٣/٣٣١– ٣٣٤؛ابن سَعِيد "**رَايَات المُبَرِّزِين**" ٢٦٢– ٢٦٣؛ الذَّهَبِيّ "**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" ١٩/٢٦ – ٢٧؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ "**شَذَرَات الذَّهَبِ**" ٢/٣٨٥– ٣٨٦ .

٢ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٤،م١/٢٥٣ .

٣ – نَفْسُهُ ق٤،م١/٢٥٤ .

٤ – أَتاقني : نازعني . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [توق] ١٠/٣٣ .

٥ – هُوَ الوَزِيرُ: أَبُو **عَامِرٍ بنُ الفَرَجِ** عَمِلَ عِنْدَ المَأْمُونِ يَحْيَى بنِ ذي النُّونِ(٤٣٥–٤٦٧هـ)،ونالَ لقبَ ذي الوِزَارَتين،كان مِنْ بيت رئاسة. تصرف آباؤه وقومه مَعَ بني ذي النون ملوك طُلَيْطِلَةَ.

انْظُرْ: ابن الأَبَّار"**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ٢/١٧١– ١٧٢؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/١٢؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٤/٣٦٥– ٣٦٦.

٦ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٨٦ – ٤٨٧ .

٧ – الدياخيلون: مرهم ينفع مِنَ الجراحات وَيحلل السلع وَالصلابات،وَيتكون مِنْ نسب معلومة مِنْ لعاب بزر الكتان وَبزر مر وَبزر الخطمي وَحلبة وَمرداسنج . انْظُرْ: أَبُو المنى بن أَبِي النصر"**مِنْهَاجُ الدُّكَّان**"ص٢١٥؛ وَمَقَال: عبد الناصركعدان"**الأدوية التي استعملها الزهراوي فِي الجراحة**"، فِي موقع : http://www.**ishim.net**/ankaadan 6/surgicalDrugsZahrawi.htm

فَأَجَابَهُ أَبُو **الفَضْلِ** بِقَوْلِهِ[1]: [المجتث]

يَـــا آخِـــذًا بِـــاليَمِينِ   فِــي المَجْــدِ شَــتَّى الفُنُــونِ
سَــلِّمْ لِعِلْمِــيَ فِــي الطِّبْـــ   ــــبِ وَالقَرَابَــــاذِينِ[2]
لا يَنْبَغِــي أَنْ يُــدَاوَى الــ   ــــخُرَاجُ[3] بِـــالتَّلْيِينِ
[حَتَّــى يُقَــوَّمَ رَدْعُ الــ   أَخْـــــلاطِ بِالتَّسْـــــكِينِ]
وَقَــــدْ بَعَثْــــتُ شَــــرَابًا   يُعْـزَى إِلَـى الزَّرَجُـونِ[4]
يُغْنِــي إِذَا ذُقْتَــهُ عَــنْ   مَشْــرُوبِ الأَفْسِــنْتِينِ[5]

فَلَمْ تَظْهَرْ هُوِيَّةُ اليَهُودِ بِهَا،بَلْ ظَهَرَتْ مَعْرِفَةٌ دَقِيقَةٌ بِالطِّبِّ وَبِالعِلاجِ،كَمَا يُلاحَظُ طُغْيَانُ المُصْطَلَحَاتِ الطِّبِّيَّةِ عَلَى أَلفاظ الأَبْيَاتِ،فَلَمْ تَظْهَرْ بِالأَبْيَاتِ المُقَدَّرةُ الشِّعْرِيَّةُ بِقَدَرِ مَا كَانَتْ تَعْرِضُ حَاجَةً أَخَوِيةً.

٢- أَثَرُ اليَهُودِ فِي مُرَاسَلاتٍ بَيْنَ المُسْلِمِينَ

ظَهَرَ رَأْيُ الأَنْدَلُسِيِّينَ فِي اليَهُودِ فِي المُرَاسَلاتِ بَيْنَ الشُّعَرَاءِ المُسْلِمِينَ؛فَفِي رَدٍّ **لأَبِي الوَلِيدِ ابْنِ زَيْدُونَ** عَلَى رِسَالَةٍ بَعَثَهَا لَهُ المُعْتَضِد،يَقُولُ شَاكِرًا[6]: [مجزوء الكامل]

هَـلْ يَشْـكُرَنَّ "أَبُـو الوَلِيـدْ "   إِدْنَـــاءَكَ الأَمَـــلَ البَعِيـــدْ
أَوْ أَنْ تُسَـــــوِّغَ نِعمَـــــةً   لِلْــدَّهْرِ أَسْــهَرَتِ الحَسُــودْ
إِنْ لَــمْ يَــدِنْ بِنَصِيحَـــةٍ   تُرْضِـيكَ فَهُـوَ مِـنَ **اليَهُـودْ**
لا زِلْـــتَ رَافِـــعَ رَايَـــةٍ   تُضْـحِي السُّـعُودُ لَهَـا جُنُـودْ

---

[1] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٨٦ – ٤٨٧ .

[2] – القراباذين: الأدوية المركبة .   انْظُرْ :ابن سينا "**القانون فِي الطب**" ص ٤٠٨ .

٣ – الخُرَاجُ مَا يَخْرُجُ فِي البدن مِنَ القُرُوح .   ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [خرج] ٢/٢٥١

[4] – الزَّرَجُون : الخَمْر،وَهُوَ فارسي معرّب .   ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [زرجن] ١٣/١٩٦ .

٥ – الأَفْسِنْتِينِ(Absinthe) وَيسمى كَذَلِكَ شيبة العجوز وَالشيخ الرومي،وَقَدْ أطنبتِ الكُتُبُ فِي الحَدِيثِ عَنْ الشراب الذي يصنع منه.

انْظُرْ: أَبُو المنى بن أَبِي النصر"**مِنْهَاجُ الدُّكَّانِ**"ص٦٣،٣٨٥؛ مُوسَى ابن عبيد الله الإِسْرَائِيلي القرطبي"**شَرح أَسْمَاء العقار**"ص٤ ،٦٢-٦٣؛ ابن سينا"**القانون فِي الطب**"ص٨٧–٩٠ ،٢٨٤؛ "**مُفْرَدَات النَّبَاتَات الطِّبِّيَّةِ وَطُرُق المُعَالَجَةِ بِهَا**" ص٣٨– ٤٠ ؛ "**تُحْفَةَ الأَحْبَاب**" ص٤؛ وديع جبر"**مُعْجَمُ النَّبَاتَاتِ الطِّبِّيَّة**" ص٤٤ .

[6] – ابْن زَيْدُونَ "**دِيوَانُهُ وَرَسَائِلُهُ**" ص٢٢٣ .

يُفهَم مِنْ هَذِهِ الأَبْياتِ أَنَّ اليَهُودَ لا يستَمِعُونَ النَّصِيحَةَ،أوْ أَنَّهُم لا يَنْصَحونَ غَيْرَهُمْ أَبَدًا،وَفِي هَذِهِ وَتلكَ سُخْرِيةٌ وتَعْرِيضٌ بِهِم.فإِنْ كانَتْ "يَدِنْ" بِمَعْنَى الطَّاعَةِ وَالانْقِيادِ(١) يَكُونُ المَعْنَى أَنَّ اليَهُودَ لا يَأْخُذُونَ بِالنَّصَائِحِ المُقَدَّمَةِ إِلَيْهِم،وإِنْ كَانَتْ "يَدِنْ" بِمَعْنَى يَقُومُ بِإِسْدَاءِ النُّصحِ وَالمُجَازَاةِ وَالمُكافَأَةِ(٢)، فَيَكُونُ المَعْنَى أَنَّ اليَهُودَ لا يقُومُونَ بِنُصْحِ غَيْرِهِمْ،وَعَلَى كِلا المَعْنَيَيْنِ حَوَتِ الأَبْيَاتُ اسْتِهْزَاءً بِاليَهُودِ عَامَّةً فِي الأَنْدَلُسِ لأَنَّهُم بِزَعْمِ الشَّاعِرِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ.

وَفِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ **لعَبْدِ الكَرِيمِ القَيْسِيِّ** إِلَى صَدِيقٍ لَمْ يُسَمِّهِ(٣)،قَالَ(٤):[الطويل]

تُجَاوِرُ قَوْمًا مَا تَرَى مِنْهُمْ سِوَى ... مُعَرَّى عَنِ الخَيْرَاتِ بِالشَّرِّ مَوْسُومِ

عَدِيمٍ مِنَ التَّقْوَى مَلِيءٍ مِنَ الخَنَى(٥) ... لَدَى الحِسِّ مَوْجُودٌ وَلَكِنْ كَمَعْدُومِ

أَنَاسٌ وَلَكِنْ بِالبَهَائِمِ أَلحِقُوا ... لِوَصْفَيْنِ مَنْطُوقٍ ذَمِيمٍ وَمَفْهُومِ

تُدَارِيهِمُ تَبْغِي بِذَاكَ رِضَاهُمُ ... وَهَيْهَاتَ يَرْضَى بِالمُدَارَاةِ ذَو اللومِ

ثُمَّ فَصَّلَ القَوْلَ عن حَالِهِ السَّيِّئِ وَسْطَ قومٍ تَهَاوَنُوا بِالإِمَامَةِ اليَهُودُ أَفْضَلُ مِنْهُمْ، قَالَ(٦):[الطويل]

وَإِنَّ أُنَاسًا بِالإِمَامِ تَهَاوَنُوا ... لأَفْضَلُ مِنْهُمْ فِي **اليَهُودِ** وَفِي الرُّومِ

فَدَعْ دَارَهُمْ مِثْلَ الإِمَامَةِ عِنْدَهُمْ ... فَمَا إِنْ تُرَى بِالسُّوءِ بَعْدُ بِمَأْمُومِ

وَرَحْلَكَ حَوِّلْ عَنْهُمْ نَحْوَ غَيْرِهِمْ ... عَلَى عَجَلٍ تَظْفَرْ بِجُودٍ وَتَكْرِيمِ

فَمَعَ أَنَّهُ يُفَضِّلُ بَعْضَ اليَهُودِ وَالرُّومِ عَلَيْهِمْ،إِلا أَنَّ الكَلامَ بِهِ هِجَاءٌ مُرٌّ لَهُمْ وَلِليَهُودِ وَلِلرُّومِ.

وَفِي هَذَا البَابِ جَاءَتْ بَعْضُ الأَشْعَارِ الَّتِي عَارَضَ فِيهَا العَرَبُ شِعْرَ اليَهُودِ وَالعَكْسُ، وَسَأَتَحَدَّثُ عَنْهَا فِي الكَلامِ عَنْ دَوْرِ أَبِي الفَضْلِ بنِ حَسْدَاي فِي المُعَارَضَاتِ.

الثَّانِي : فِي الشِعْرِ المُتَحَدِّثِ عَنِ الفِتَنِ

كَانَ لِليَهُودِ دَوْرٌ وَاضِحٌ فِي الأَشْعَارِ الَّتِي أَشْعَلَتِ الفِتَنَ وَسَبَّبَتِ المَذَابِحَ،أوِ الَّتِي قِيلَتْ عَنهَا. فَفِيمَا يُرْوَى عن الوَزِيرِ ابنِ عَمَّارٍ أَنَّهُ كَانَ ضِدَّ أَبِي بَكْرِ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ(٧)،وأَنَّهُ تَوَلَّعَ بِانْتِقَاصِهِ، وَخَاطَبَ أَهْلَ بَلَنْسِيَةَ يُغْرِيهِمْ بِهِ وَيَحُضُّهُم عَلَى القِيَامِ عَلَيْهِ،فَأَحْدَثَتْ نَفْسُ ابنِ عَبْدِ العَزِيزِ لَهُ عَلَيْهِ

---

١ – يَدِن: ينقَدْ، يُطِع . ابن مَنْظُور "**لِسَانِ العَرَبِ**" [دين] ١٦٩/١٣ .

٢ – يَدِن: يجْزِ أو يُكافِئ . ابن مَنْظُور "**لِسَانِ العَرَبِ**" [دين] ١٦٨/١٣ .

٣ – فِي حاشية الدِّيوَانِ أَنَّهُ : أَبُو عبد الله مُحَمَّدٌ بن مالك الأَلبيري.

٤ – عبد الكريم القَيْسِي الأَنْدَلُسِي "**دِيوَانُهُ**" ص ٣٣٦ .

٥ – الخَنَى : الفُحْشُ فِي القولِ . ابن مَنْظُور "**لِسَانِ العَرَبِ**" [خنا] ٢٤٤/١٤ .

٦ – عبد الكريم القَيْسِي الأَنْدَلُسِي "**دِيوَانُهُ**" ص ٣٣٨ .

٧ – هُوَ الكاتب : أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ **بنُ عَبْدِ العَزِيزِ**، مدبر أمر بَلَنْسِيَةَ، زوج ابنته للمُسْتَعِينِ بالله ابن المُؤْتَمِنِ، كَانَ عَلَى خلاف مَعَ المُعْتَمِدِ بنِ عَبَّادٍ . انْظُرْ :ابن الأَبَّار "**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ١١٩/٢– ١٢٤؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٣٤/٢ .

مَكِيدَةً،وَذَلِكَ أَنَّهُ دَسَّ إِلَى مُرْسِيَةَ نَبِيلاً مِنْ يَهُودِ الشَّرْقِ لابَسَ ابنَ عَمَّارٍ حَتَّى اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ،وَأَحَلَّهُ مَحَلَّ الرِّوَايَةِ لأَشْعَارِهِ،فَحَصَلَ هَذَا اليَهُودِيُّ عَلَى قَصِيدَةٍ فِيهَا هِجَاءٌ لِلمُعْتَمِدِ،وَطَارَ بِهَا اليَهُودِيُّ إِلَى ابنِ عَبْدِ العَزِيزِ، فَطَيَّرَهَا الأَخِيرُ مُدْرَجَةً فِي طَيِّ كِتَابٍ إِلَى المُعْتَمِدِ، فَكَانَتِ الشَّرَارَةَ الوَاضِحَةَ التِي أَشْعَلَتْ ثَوْرَةَ المُعْتَمِدِ عَلَى صَدِيقِهِ ابنِ عَمَّارٍ فَاسْتَدْرَجَهُ إِلَى أَنْ قَتَلَهُ(١).

وَكَانَتْ نُونِيَّةُ أَبِي إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ(ت: ٤٥٩هـ)التِي بَلَغَتْ وَاحِدًا وَسِتِّينَ بَيْتًا دَعْوَةً صَرِيحَةً لِذَبْحِ يَهُودِ غَرْنَاطَةَ،وَتَتَّفِقُ المَصَادِرُ عَلَى أَنَّ الإِلْبِيرِيَّ قَالَهَا فِي ابنِ نَغْرِيلَّةَ الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ،وَفِي "المُغْرِبِ" أَنَّهُ كَانَ يُنْكِرُ عَلَى مَلِكِهَا بَادِيسَ أَنَّهُ اسْتَوْزَرَ اليَهُودِيَّ،فَنَفَاهُ بَادِيسُ إِلَى العُقَابِ بِإِلْبِيرَةَ، فَقَالَ قَصِيدَتَهُ،فَاشْتُهِرَتْ وَثَارَتْ صِنْهَاجَةُ عَلَى اليَهُودِيِّ فَقَتَلُوهُ(٢).وَالقَصِيدَةُ طَوِيلَةٌ(٣)،قَسَّمَهَا فَوْزِي عِيسَى إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:الأَوَّلُ يَسْتَثِيرُ قَبَائِلَ صِنْهَاجَةَ وَيُحَفِّزُهُمْ لِتَدَارُكِ هَذِهِ السَّقْطَةِ الشَّنِيعَةِ التِي وَقَعَ فِيهَا بَادِيسُ حِينَ اسْتَوْزَرَ يَهُودِيًّا،وَالقِسْمُ الثَّانِي يَسْتَثِيرُ حَمِيَّةَ بَادِيسَ وَيُهَيِّجُ مَشَاعِرَهُ لِلغَضَبِ عَلَى اليَهُودِ الذِينَ بَغَّضُوهُ إِلَى النَّاسِ وَهَدَمُوا مَا شَيَّدَ،وَالثَّالِثُ يُشِيرُ إِلَى وَاقِعِ غَرْنَاطَةَ الأَلِيمِ بَعْدَ أَنِ اسْتَحَالَتْ إِلَى بِيئَةٍ يَهُودِيَّةٍ،تَمَيَّزَ اليَهُودُ بِهَا بِالثَّرَاءِ وَالتَّرَفِ،وَالقِسْمُ الرَّابِعُ دَعْوَةٌ صَرِيحَةٌ إِلَى بَادِيسَ وَالصِّنْهَاجِيِّينَ لِلتَّنْكِيلِ بِابنِ نَغْرِيلَّةَ وَرَهْطِهِ(٤).

وَيُمْكِنُ إِثْبَاتُ عِدَّةِ مُلاحَظَاتٍ حَوْلَ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ مِنْ قِرَاءَةِ أَبْيَاتِهَا؛فَالقَصِيدَةُ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ حَالَةَ ابنِ نَغْرِيلَّةَ لَمْ تَكُنْ حَالَةً عَامَّةً،وَلَمْ تَتَكَرَّرْ عِنْدَ غَيْرِهِ،**فَقَالَ الإِلْبِيرِيُّ** فِيهَا(٥): [المتقارب]

تَأَمَّـــلْ بِعَيْنَيْـــكَ أَقْطَارَهَـــا   تَجِـدْهُمْ كِلابًـا بِهَـا خَاسِـئِينْ

وَكَيْـــفَ انْفَـــرَدْتَ بِتَقْـــرِيبِهِمْ   وَهُـمْ فِـي الـبِلادِ مِـنَ المُبْعَـدِينْ

وَهَذَانِ البَيْتَانِ يُؤَكِّدَانِ أَنَّ بَادِيسَ انْفَرَدَ بِتَقْرِيبِهِمْ بَيْنَمَا العَادَةُ أَنَّهُم مِنَ المُبْعَدِينَ عَنْ مَرَاكِزِ الحُكْمِ وَالسِّيَاسَةِ فِي البِلادِ كَافَّةً،وَأَنَّ المَكَانَةَ التِي حَصَلَ عَلَيْهَا هَذَا الوَزِيرُ كَانَتْ فَوْقَ مَا تَمَنَّى يَهُودُ الأَنْدَلُسِ، وَبِمَكَانَتِهِ تِلْكَ ارْتَفَعَ اليَهُودُ كَثِيرًا،**فَقَالَ الإِلْبِيرِيُّ** (٦): [المتقارب]

فَعَـــزَّ اليَهُـــودُ بِـــهِ وَانْتَخَـــوْا(٧)   وَتَــاهُوا وَكَــانُوا مِـنَ الأَرْذَلِـينْ

وَنَـــالُوا مُنَـــاهُمْ وَجَـــازُوا المَـدَى   فَحَــانَ الهَــلاكُ وَمَــا يَشْــعُرُونْ

وَفِي الأَبْيَاتِ ذِكْرٌ وَاضِحٌ لِبَقَاءِ هَذَا الوَزِيرِ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يُسْلِمْ،فَفِيهَا(٨): [المتقارب]

تَخَيَّـــــرَ كَاتِبَـــــهُ كَــــافِرًا   وَلَـوْ شَـاءَ كَـانَ مِـنَ المُسْـلِمِينْ

وَبِهَذَا تَأْكِيدٌ عَلَى أَنَّ يهوديَّتَهُ كَانَتْ سَبَبَ المُشْكِلَةِ.فَلَمْ يَرِدْ فِيهَا تَعْدَادٌ لأَفْعَالٍ لَهُ كَانَتْ سَبَبًا لِلثَّوْرَةِ إلا أَنَّهُ كَانَ يَضْحَكُ مِنَ المُسْلِمِينَ وَمِنْ دِينِهِمْ(٩) **فَقَالَ الإِلْبِيرِيُّ فِيهِ**(١٠): [المتقارب]

وَيَضْـــحَكُ مِنَّـــا وَمِـــنْ دِينِنَـــا   فَإِنَّـــا إِلَـــى رَبِّنَـــا رَاجِعُـــونْ

وَأَظْهَرَتِ القَصِيدَةُ وَصْفًا عامًّا لِحَالِ اليَهُودِ فِي غَرْنَاطَةَ،مَثَّلَهُ **الإِلْبِيرِيّ** بِقَوْلِهِ(١): [المتقارب]

---

١ –انْظُرْ :ابن بَسَّامٍ"**الذَّخِيرَة**"ق٢،م١/٤١٥[الحَاشِيَة]؛ابن الأَبَّارِ"**الحُلَّة السِّيَرَاء**"٢/١٥٧–١٥٨؛ابن خَاقَان"**قَلائِد العِقْيَان**"ق٢،ج١/١٨٤–١٨٥.

٢ – انْظُرْ : ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/١٣٢– ١٣٣ .

٣ – القَصِيدَةُ مُثْبَتَةٌ فِي مَلاحِقِ البَحْثِ .

٤ – انْظُرْ : فوزي سعد عيسى"**الهِجَاءُ فِي الأَدَبِ الأَنْدَلُسِيِّ**" ص ٨٦ .

٥ – أَبُو إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ "**دِيوَانُهُ**" ص ٩١ ؛ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلام**"ص٢٣٢ .

٦ – أَبُو إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ "**دِيوَانُهُ**" ص٨٩ ؛ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلام**"ص٢٣١؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٦/٩٤ .

٧ – انْتَخُوا : افْتَخَرُوا وتَعَظَّمُوا . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [نخا] ١٥/٣١٣ .

٨ – أَبُو إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ "**دِيوَانُهُ**" ص٨٩ ؛ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/١٣٣ ؛ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلام**"ص٢٣١؛ البيت الأول فِي المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٦/٩٤ .

٩ – قِيلَ إِنَّ سَبَبَ الثَّوْرَةِ عَلَيْهِ أَنَّهُ "أَقْسَمَ أَنْ يَنْظُمَ جَمِيعَ القُرْآنِ فِي أَشْعَارٍ وَمُوَشَّحَاتٍ يُغَنَّى بِهَا. انْظُرْ : ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/١١٤.

١٠ – أَبُو إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ "**دِيوَانُهُ**" ص ٩١ ؛ ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلام**"ص٢٣٢ .

وَإِنِّي احْتَلَلْتُ بِغَرْنَاطَةَ   فَكُنْتُ أَرَاهُمْ بِهَا عَابِثِينْ
وَقَدْ قَسَّمُوهَا وَأَعْمَالَهَا   فَمِنْهُمْ بِكُلِّ مَكَانَ لَعِينْ
وَهُمْ يَقْبِضُونَ جِبَايَاتِهَا(٢)   وَهُمْ يَخْضِمُونَ وَهُمْ يَقْضِمُونْ
وَهُمْ يَلْبَسُونَ رَفِيعَ الكُسَا   وَأَنْتُم لأَوْضَعِهَا لابِسُونْ
وَهُمْ أُمَنَاكُم عَلَى سِرِّكُمْ   وَكَيْفَ يَكُونُ خَؤُونٌ أَمِينْ؟

وَمَعْ أَنَّ هَذَا الوَصفَ لِجَمَاعَةِ اليَهُود،لكنْ لا بُدَّ أَنَّهُ تَرَكَّزَ عَلَى ابنِ نَغْرِيلَّةَ،وهَذَا الكَلامُ بِصِيغَةِ الجَمْعِ عَنْ اليَهُودِ يَدُلُّ عَلَى كَثْرَتِهِمْ فِي غَرْنَاطَةَ،كَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ابْن نَغْرِيلَّةَ لَمْ يَصِلْ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ وَحْدَه،وَقَدْ يَكُونُ هُوَ سَبَبًا فِي تَمْكِينِ غَيْرِهِ مِنَ اليَهُودِ مِنْ أَعْمَالٍ كَثِيرَةٍ فِي دَائِرَتِهِ بِحَيْثُ أَصْبَحَ "مِنْهُمْ بِكُلِّ مَكَانَ لَعِينْ"،فَبَدَوْا بِغَرْنَاطَةَ كَأَنَّهم "قَسَّمُوهَا وَأَعْمَالَهَا" فِيمَا بَيْنَهُم،فَارْتَفَعُوا كَثِيرًا وَحَازُوا فَوْقَ مَا تَمَنَّوْا بِقُرْبِهِمْ مِنَ السُّلْطَةِ،وَتَوَلِّيهِمْ مَنَاصِبَ مَرْمُوقَة،بَيْنَمَا "يُقْصَى" المُسْلِمُونَ عَلَى أَتْفَهِ الأَسْبَابِ◌، فَعَاشَ المُسْلِمُونَ بِحَالٍ مُخَالِفٍ تَمَامًا،اخْتَصَرَهُ **الإِلْبِيرِيُّ** بِقَوْلِهِ(٣): [المتقارب]

وَيَأْكُلُ غَيْرُهُمُ دِرْهَمًا   فَيُقْصَى،وَيُدْنَوْنَ إِذْ يَأْكُلُونْ
وَقَدْ لابَسُوكُمْ بِأَسْحَارِهِمْ(٤)   فَمَا تَسْمَعُونَ وَلا تُبْصِرُونْ
وَهُمْ يَذْبَحُونَ بِأَسْوَاقِ◌هَا   وَأَنْتُمْ لأَطْرَافِهَا(٥) آكِلُونْ

ثُمَّ انْتَقَلَ **الإِلْبِيرِيُّ** لِوَصْفِ المُسْتَوَى الذِي وَصَلَ إِلَيْهِ هَذَا اليَهُودِيُّ،فَقَالَ(٦): [المتقارب]

وَرَخَّمَ قِرْدُهُمُ دَارَهُ   وَأَجْرَى إِلَيْهَا نَمِيرَ العُيُونْ
فَصَارَتْ حَوَائِجُنَا عِنْدَهُ   وَنَحْنُ عَلَى بَابِهِ قَائِمُونْ

وَبَعْدَ أَنْ رَسَمَ الشَّاعِرُ خُطُوطَ هَذِهِ الصُّورَةِ القَاتِمَةِ لِحَالِ المُسْلِمِينَ بِغَرْنَاطَةَ بِسَبَبِ اليَهُودِيِّ وَجَمَاعَتِهِ اكْتَمَلَتِ التَّهْيِئَةُ النَّفْسِيَّةُ للقَارِئِ حَتَّى يَستَقْبِلَ دَعْوَةَ **الإِلْبِيرِيِّ** الجَرِيئَةَ(٧): [المتقارب]

فَبَادِرْ إِلَى ذَبْحِهِ قُرْبَةً   وَضَحِّ بِهِ فَهْوَ كَ◌بْشٌ سَمِينْ
وَلا تَرْفَعِ الضَّغْطَ عَنْ رَهْطِهِ   فَقَدْ كَنَزُوا كُلَّ عِلْقٍ ثَمِينْ
وَفَرِّقْ عِدَاهُمْ وَخُذْ مَالَهُمْ   فَأَنْتَ أَحَقُّ بِمَا يَجْمَعُونْ

وَحَتَّى لا يَتَوانَى السَّامِعُ،وَلِكَيْ لا يَشْعُرَ بالإِثْمِ لِقَتْلِهِ أَهْلِ الذِّمَةِ،أتى **الإِلْبِيرِيُّ** بِمُبَرِّرَاتٍ لإِزَالَةِ أَيِّ حَرَجٍ مِنْ مَسْأَلَةِ قَتْلِهِمْ؛فَقَدْ نَكَثُوا عَهْدَهُم،فَلا ذِمَّةَ لَهُمْ،بَلِ الخِيَانَةُ بِالسُّكُوتِ عَنْهُمْ؛فَقَالَ(٨):[المتقارب]

وَلا تَحْسِبَنْ قَتْلَهُمْ غَدْرَةً   بَلِ الغَدْرُ فِي تَرْكِهِمْ يَعْبَثُونْ
وَقَدْ نَكَثُ◌وا عَهْدَنَا عِنْدَهُم   فَكَيْفَ تُلامُ عَلَى النَّاكِثِينْ
وَكَيْفَ تَكُونُ لَهُمْ ذِمَّةٌ   وَنَحْنُ خُمُولٌ وَهُمْ ظَاهِرُونْ

---

١ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .

٢ – جِبَايَة الخراج: جمعه وتحصيله .   ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [جبي] ١٣١/١٤.

٣ – أَبُو إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ "**دِيوَانُهُ**" ص ٩٠ ؛ ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلام**"ص ٢٣١ .

٤ – لابَسُوكُم: مِن الْتُبِسَ بي أَي خُولِطْتُ فِي عَقْلي،أو مِنْ لابس بمعنى عَرَفَ باطنه . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**"[لبس] ٢٠٤/٦ .
"بإِسْحارِهم"يكسرِ الهمزة في"**أَعْمَال الأَعْلام**"وقَدْ يكون معناها بعملِهِمْ السِّحْرَ.

٥ – "لإِطْرِيفِهِمْ"في"**أَعْمَال الأَعْلام**"،والإطريف قَدْ تكون مِنَ الطَّرِيفِ:ضَرب مِنَ الكلإِ .   ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [طرف] ٢٢٠/٩.

٦ – أَبُو إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ "**دِيوَانُهُ**" ص ٩١ ؛ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلام**"ص٢٣٢ .

٧ – أَبُو إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ "**دِيوَانُهُ**" ص ٩١ ؛ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلام**"ص٢٣٢ .

٨ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَاتُ نَفْسُهَا.

وَنَحْـــنُ الأذِلَّـــةُ مِـــنْ بَيْـــنِهِمْ   كَأنّـــا أسَـــأنَا وَهُـــمْ مُحْسِـــنُونْ

وَلا يَبْدُو أَنَّ بَادِيسَ تَأَثَّر بهَذَا التَّحْذِيرِ فِي مُعْظَمِ الرِّوَايَاتِ سِوَى رِوَايَةِ الرَّاعِي(ت:٨٥٣هـ)(١)وَسَبَقَ الحَدِيثُ عَنْهَا(٢)،إلا أَنَّ هَذَا الشِّعْرَ كَمَا يرَى هِنْري بِيرِس كَهْرَبَ عَزَائِمَ الخَائِفِينَ،وَأَيْقَظَ خُمُودَ الغَافِلِينَ، وَأَثَارَ حَرَكَةً شَعْبِيَّةً مَحَتْ خِلالَ سَاعَاتٍ قَلائِلَ سُلْطَةً كَانَتْ بَالِغَةَ الخُوَارِ،وَظَهَرَتْ رَدَّةُ الفِعْلِ،وَكَانَ الرَّدُّ عَنِيفًا،لكنْ أَخْطَأَ هِنْري بِيرِس بِزَعْمِهِ أَنَّ عُنْفَ الرَّدِّ بِسَبَبِ مَا أُشِيعَ مِنْ أَنَّ اليَهُودَ كَانُوا يَنْوُونَ إقَامَةَ مَمْلَكَةٍ يَهُودِيَّةٍ(٣)؛فالرِّوَايَاتُ لِلحَادِثَةِ لَمْ تَذْكُرْ هَذَا الادِّعَاءَ بِاسْتِثْنَاءِ ابنِ عِذَارِي(٤)،وَرَكَّزَتْ مُعْظَمُهَا عَلَى مُؤَامَرَتِهِ مَعَ ابنِ صُمَادِح لِتَمْكِينِهِ مِنْ دُخُولِ غَرْنَاطَةَ(٥).وَأَكَّدَ هِنْري بِيرِس أَنَّ نَقْمَةَ العَامَّةِ وَثَوْرتَهَمْ لَمْ تَكُنْ ضِدَّ اليَهُودِ فَقَدِ "انْتَهَتْ الثَّوْرَةُ بِانْتِهَاءِ يُوسُفَ وَلَمْ تَمْتَدّ إِلَى اليَوْمِ

---

١ – هُوَ: أَبُو عبد الله **شمس الدين** مُحَمَّدٌ بن إِسْمَاعِيل الأَنْدَلُسِي **الغَرْنَاطِيّ الرَّاعِيّ**(٧٨٢–٨٥٣هـ) نَشَأَ بغَرْنَاطَة وتعلم فِيهَا الفقه والأصول والعَرَبِيَّةِ ومهر فِيهَا،رحل إِلى القاهرة سَنَةَ ٨٢٥هـ، وَانتفع بِهِ النَّاسُ لا سِيَّمَا فِي العَرَبِيَّةِ،وَكَانَ حاد اللسان والخلق. انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٤٣٢/٣ – ٤٣٦؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٢٧٩/٤ .

٢ – يقُولُ الرَّاعي إنَّ بَادِيسَ قَرَأَ القَصِيدَةَ وَسَأَلَ عَنْ خَبَرِهَا فَأُعْلِمَ بِالقَضِيَّةِ،فَأَمَرَ بِذَبْحِهِ،فَطُلِبَ،فَوُجِدَ فِي الحَمَّامِ مَشْدُوخَ الرَّأْسِ قَتِيلا.
انْظُرْ: الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَة وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"، حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونُسِيَّة،ع٢٩، ١٩٨٠م، ص٤٢– ٤٤ .

٣ – انْظُرْ: هِنْرِي بيرِسْ "**الشِّعْر الأَنْدَلُسِي فِي عَصْرِ الطَّوَائِفِ**" ص٢٤٦– ٢٤٧ .

٤ – انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٢٦٥/٣ – ٢٦٦ .

٥ – والمراجع الحَدِيثَةِ معظمها تركز عَلَى أَنَّ السبب تآمره مَعَ ابن صمادح انْظُرْ:مُحَمَّد ابن الخُوجَة"**يهودُ المَغْرِبِ العَرَبِيّ**"ص٢٨.

التَّالِي،لأنَّ البَرْبَرَ كَانُوا بِاخْتِصَارٍ يَكْرَهُونَهُ وَحْدَهُ،أَمَّا اليَهُودُ فَوَاصَلُوا حَيَاتَهُم كَمَا كَانُوا يَعِيشُونَ قَبْلاً فِي مُقَاطَعَةِ غَرْنَاطَةَ دُونَ أنْ يَبْحَثُوا فِيمَا تَلا ذَلِكَ عَنْ مَنَاصِبَ ذَاتِ مَكَانَةٍ عَالِيَةٍ"(١).وفي هَذَا الكَلامِ مِنْ بِيرِس نَفْسِهِ إشَارَةٌ إِلَى أَنَّ طُمُوحَاتِ الوَزِيرِ وتَآمُرَهُ هُوَ سَبَبُ الثورةِ،وَلَمْ يَكُنْ لليهودِ طُمُوحٌ وَلا أَمَلٌ بِإِقَامَةِ دَوْلَةٍ يَهُودِيَّةٍ بَلْ كَانُوا خَائِفِينَ مِنْ تَغَيُّرِ بَادِيسَ عَنْهُمْ فَبَحَثُوا عَنْ بَدِيلٍ سِيَاسِيٍّ،فَلَوْ كَانَتْ لَهُمْ نِيَّةٌ لإِقَامَةِ دَوْلَةٍ مَا أَبْقَتِ العَامَّةُ مِنْهُمْ أَحَدًا وَلأَبَادَتْهُمْ مِنْ غَرْنَاطَةَ أَوْ أَجْلَتْهُمْ عَنْهَا بِلا هَوَادَةٍ فِي حَمِيَّةِ ثَوْرَتِهِمْ.وَتَمَّ للشَّاعِرِ مَا أَرَادَ وفَهِمَتْ صِنْهَاجَةُ الإشارةَ وَثَارَتْ،وَزَحَفُوا عَلَى دَارِ ابْنِ نَغْرِيلَّةَ "فَاقْتَحَمُوهَا،وَانْتَهَبُوهَا،وَأَخْفَى اليَهُودِيُّ نَفْسَهُ فِي بَيْتٍ مَلآنَ فَحْمًا،وَسَوَّدَ بِهِ وَجْهَهُ وَتَنَكَّرَ،فَأَخْرَجُوهُ،وَقَتَلُوهُ،وَصَلَبُوهُ عَلَى بَابِ المَدِينَةِ،وَقُتِلَ فِي هَذَا اليَوْمِ آلافٌ مِنَ اليَهُودِ"(٢). وَكَانَتْ قَصِيدَةُ الإِلْبِيرِيِّ السَّبَبَ المُبَاشِرَ للثَّوْرَةِ،حَيْثُ قَالَ ابنُ الخَطِيبِ إِنَّ مَهْلِكَ اليَهُودِيِّ كَانَ بِسَبَبِ شِعْرٍ حُفِظَ عَنْهُ،يُحَرِّضُ صِنْهَاجَةَ عَلَيْهِ(٣).

فَلَمْ تَكُنِ القَصِيدَةُ نَظْمًا عَادِيًّا؛بَلْ كَانَتْ،كَمَا يَرَى سَلْمَانُ الحَطَّابُ صَحِيفَةَ المُعَارَضَةِ الَّتِي أَبْرَزَتْ جَوانِبَ الثَّغَرَاتِ فِي هَيْكَلِ دَوْلَةِ بَادِيسَ(٤) وَرأى إِمِيلُو غَرْسِيه غُومِثْ أَنَّ القَصِيدَةَ تَسْتَحِقُّ مَا حَظِيَتْ بِهِ مِنْ شُهْرَةٍ،فَقَالَ إِنَّه لا يَعْرِفُ إلا القَلِيلَ النَّادِرَ مِنْ أبياتِ الشِّعْرِ لَعِبَتْ دَوْرًا سِيَاسِيًّا مُبَاشِرًا فِي التَّارِيخِ السِّيَاسِيِّ لأُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ،فَكَهْرَبَتِ العَزَائِمَ،وَدَفَعَتْ بِهَا فِي سُرْعَةٍ خَاطِفَةٍ إِلَى إِشْعَالِ الحَرَائِقِ،وَشَحَذَتْ السُّيُوفَ إِلَى القَتْلِ،كَالدَّوْرِ الذي لَعِبَتْهُ قَصِيدَةُ الإِلْبِيرِيُّ هَذِهِ(٥).

وكَانَتِ القَصِيدَةُ مُوَجَّهَةً لاثْنَيْنِ أَهْلِ صِنْهَاجَةَ أَوَّلاً،حَيْثُ بدَأَهَا **الإِلْبِيرِيُّ** بِقَوْلِهِ(٦): [المتقارب]

أَلا قُــلْ لِصِــنْهَاجَةٍ أَجْمَعِــينْ بُــدُورِ النَّــدِيِّ وَأُسْـدِ العَـرِينْ

وَثَانِيًا بَادِيسُ، فَنَادَى **الإِلْبِيرِيُّ** بَادِيسَ بِاسْمِهِ بِقَوْلِهِ(٧): [المتقارب]

أَبَــادِيسُ أَنْــتَ امْــرؤٌ حَــاذِقٌ تُصِــيبُ بِظَنِّــكَ نَفْــسَ اليَقِــينْ

وتَأَرْجَحَتْ أَبْيَاتُ القَصِيدَةِ فِي الاتِّجَاهَيْنِ: بَادِيسَ وَصِنْهَاجَة.وفي الوَقْتِ الذي صُمَّتْ فِيهِ أُذُنُ بَادِيسَ عَنِ القَصِيدَةِ،اسْتَطَاعَ الصِّنْهَاجِيُّونَ البَرْبَرُ أَنْ يَفْهَمُوا هَذَا الشِّعْرَ.

وَاعْتَمَدَ الإِلْبِيرِيُّ عَلَى أَدَوَاتٍ كَثِيرَةٍ كَيْ يُحَقِّقَ الغَايَةَ مِنْ قَصِيدَتِهِ فَيَرَى الطَّاهر مَكِّيّ،أَنَّهُ عَرَفَ أَنَّ الجُنُودَ،وَهم الذين اصْطَفَاهُمْ أَصْلاً بِالحَدِيثِ،مِنْ بَرْبَرِ صِنْهَاجَةَ،وَلعلَّ بعضَهم جَاءَ إِلَى

١ – هِنْري بيرِسْ "**الشِّعْر الأَنْدَلُسِي فِي عَصْرِ الطَّوَائِفِ**" ص ٢٤٧ .

٢ – ابن الخَطِيب "**أَعْمَال الأَعْلامِ**" ص ٢٣٤ .

٣ – انْظُرْ: ابن الخَطيب "**الإِحَاطَةُ**" ١/ ٤٤٠ .

٤ – انظُرْ : سَلْمَان الحَطَّاب"**الشِّعْر السياسي فِي الأَنْدَلُسِ فِي عهد الطَّوَائِفِ** " ص٦٨

٥ – انْظُرْ : إِمِيلْوغَرْسِيه غُومِثْ"**مَع شعراء الأَنْدَلُسِ وَالمُتَنَبِّي**؛ سِيَرٌ ودِرَاسَات" ص٩٧ .

٦ – أَبُو إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ"**دِيوَانُهُ**"ص٨٩؛ابن سَعِيد"**المُغْرِب**"٢/ ١٣٣؛ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلامِ**"ص٢٣١؛المَقَّرِيّ"**نَفْحُ الطِّيبِ**"٦/ ٩٣– ٩٤.

٧ – أَبُو إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ "**دِيوَانُهُ**" ص ٩٠ ؛ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلامِ**"ص٢٣٢ .

غَرْنَاطَةَ مِنْ قَرِيبٍ،لَيْسُوا مُهَيَّئِينَ لِلأَشْعَارِ الرَّقِيقَةِ،وَحَظُّهُمْ مِنَ العَرَبِيَّةِ مُتَوَاضِعٌ،وَكُلُّ نَصِيبِهِمْ مِنَ المُعْجَمِ اللُّغَوِيِّ العَرَبِيِّ الأَلْفَاظُ ذَاتُ الدِّلالَةِ الدِّينِيَّةِ(١)،فَاعْتَمَدَ عَلَى هَذِهِ الأَدَوَاتِ،وَأَضَافَ إِمِيلُو غُومِثْ أَنَّهُ "ابْتَعَدَ عَنِ الكَلِمَاتِ الغَامِضَةِ،وَالبُحُورِ المُعَقَّدَةِ،وَعَنِ الرُّمُوزِ الشِّعْرِيَّةِ،وَعَنِ الأَوْصَافِ وَالأَقْوَالِ المَكْرُورَةِ فِي مَصْنَعِ الشُّعَرَاءِ؛فَأَخَذَ مِنَ العَرَبِيَّةِ أَشَدَّ الكَلِمَاتِ قُوَّةً وَصَلابَةً،وَالأَلْفَاظَ التِي يُمْكِنُ أَنْ يَفْهَمَهَا كُلُّ مُسْلِمٍ قَادِرٍ عَلَى قِرَاءَةِ القُرْآنِ،وَأَنْ يَجْمَعَهَا فِي تَرَاكِيبَ سَهْلَةٍ غَيْرِ مُعَقَّدَةٍ،وَأَنْ يَرْمِي بِهَا فِي مَقَاطِعَ عَادِيَّةٍ وَمُؤَثِّرَةٍ،كَالخُطْوَةِ العَسْكَرِيَّةِ،وَأَنْ تَكُونَ فِي بَحْرِ المُتَقَارِبِ،وَالأَفْكَارُ؟لا شَيْءَ أَكْثَرُ مِمَّا هُوَ ضَرُورِيٌّ،وَالإِشَارَاتُ القُرْآنِيَّةُ التِي تَجْعَلُ مِنْ اللهِ شَرِيكًا فِيمَا قَدْ يَحْدُثُ(٢).

كَمَا بَدَا لِلشَّاعِرِ نَفَسٌ طَوِيلٌ فِي القَصِيدَةِ،وَهَذِهِ الإِطَالَةُ دَلَّتْ عَلَى حِرْصِ الشَّاعِرِ عَلَى تَقْلِيبِ الفِكْرَةِ بِعِدَّةِ قَوَالِبَ لأَهَمِّيَّةِ مَوْضُوعِهَا وَسَيْطَرَتِهِ عَلَى أَفْكَارِهِ،وهَذَا النَّفَسُ الطَّوِيلُ بِرَأْيِي كَانَ لَهُ دَوْرٌ بَالِغٌ فِي تَغْذِيَةِ الشُّعُورِ بِالكَرَاهِيَّةِ لِليَهُودِيِّ وَرَهْطِهِ.فَالإِطَالَةُ بِجَانِبِ اسْتِعْمَالِهِ لِلُغَةٍ خَاصَّةٍ قَرِيبَةٍ،مَأْنُوسَةِ اللَّفْظِ،وَاضِحَةِ المَعْنَى،تَعْتَمِدُ عَلَى المُبَاشَرَةِ وَالصَّرَاحَةِ،وَالتَّعْبِيرِ الوَاقِعِي،بِالإِضَافَةِ إِلَى لُجُوءِ الشَّاعِرِ إِلَى العِبَارَاتِ الدَّارِجَةِ وَالأَلْفَاظِ الشَّائِعَةِ،كُلُّ هَذَا جعلَ القَصِيدَةَ تبدو كَلامًا قَرِيبًا مِنَ النَّثْرِ أَوْ مِنْ كَلامِ الخُطَبِ المُرْتَجَلَةِ.وَلَمْ يَتَكَلَّفِ الإِلْبِيرِيُّ فِي خِطَابِهِ بَلْ عَزَفَ جَيِّدًا عَلَى مَشَاعِرِ العَامَّةِ بِأُسْلُوبِهِ السَّهْلِ المُبَاشِرِ الذِي اقْتَرَبَ مِنْ أَنْ يَكُونَ أدبًا شَعْبِيًّا(٣).

وَأَصِلُ مِنْ هَذَا إِلَى أَنَّ اليَهُودَ كَانَتْ لَهُمْ مَسَاحَةٌ وَاضِحَةٌ فِي حَدِيثِ العَامَّةِ،وَكَانَ الحَدِيثُ عَنْهُمْ مِنْ هَمِّ العَامَّةِ،وباعتِقَادي أَنَّ قَصِيدَةَ الإِلْبِيرِيِّ لولا أَنَّهَا رَافَقَتْ مَذْبَحَةً لِوَاحِدٍ مِنْ عِلْيَةِ القَوْمِ لَمَا اشْتَهَرَتْ وَمَا وَصَلَتْ إِلينا.وَتَجَاهُلُ المُؤَرِّخِينَ لِلإِلْبِيرِيِّ ولِلقصِيدَةِ يُقَوِّي اعْتِقَادِي هذا؛فَلَمْ أَجِدْ سَبَبًا مَعْقُولاً لِصَمْتِ المُؤَرِّخِينَ عَنْ الإِلْبِيرِيِّ مَثَلاً؛فلا تُوجَدُ لَهُ تَرْجَمَةٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ المَصَادِرِ،كَمَا أَنَّ المَصَادِرَ لَمْ تُعْنَ بِالقَصِيدَةِ فَلَمْ تَرِدْ كَامِلَةً إلا فِي "أَعْمَالِ الأَعْلام" وَالدِّيوَان،وَالمَقَّرِيُّ مَثَلاً فِي نَفْحِهِ لَمْ يَذْكُرْ مِنْهَا إلا أَبْيَاتًا خَمْسَةً رُغْمَ قَوْلِهِ إِنَّهَا قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ مَشْهُورَةٌ(٤).

أَمَّا فِي الدِّرَاسَاتِ الحَدِيثَةِ فَقَدْ كَانَ ابْنِ نَغْرِيلَّةَ وَمَا رَافَقَهُ مِنْ أَحْدَاثٍ مِنْهَا القَصِيدَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى ذَبْحِهِ مِحْوَرَ دِرَاسَاتٍ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ البَاحِثِينَ:فَيُلَخِّصُ أنخل جونثالث بالنثيا دَوافع الإِلْبِيرِيِّ لِنَظْمِ قَصِيدَةِ التَّحْرِيضِ ضِدَّ ابْنِ نَغْرِيلَّةَ وَاليَهُودِ بِأَسْبَابٍ شَخْصِيَّةٍ بحتَةٍ تَتَعَلَّقُ بِالشَّاعِرِ؛فَقَدْ كَانَ مَغِيظًا لأَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْ فِي بَلاطِ غَرْنَاطَةَ المَرْكَزَ الذِي كَانَ يَرَى نَفْسَهُ أَهْلاً لَهُ،وَزَادَ فِي حُنْقِهِ كَمَا يَرَى بالنثيا أَنَّ يُوسُفَ هَذَا أَمَرَ بِنَفْيِهِ مِنْ غَرْنَاطَةَ،فَانْصَرَفَ إِلَى النُّسْكِ وَالزُّهْدِ،وَنَظَمَ فِي مُعْتَكَفِهِ

---

١ – انْظُرْ: الطَّاهر مَكِّيّ "دِرَاسَاتٌ أَنْدَلُسِيَّةٌ؛ فِي الأَدَبِ وَالتَّارِيخِ وَالفَلْسَفَةِ" ص٧٣– ٧٤ .

٢ – انْظُرْ: الطَّاهر مَكِّيّ "دِرَاسَاتٌ أَنْدَلُسِيَّةٌ؛ فِي الأَدَبِ وَالتَّارِيخِ وَالفَلْسَفَةِ" ص٧٣-٧٤ ؛ إمِيلُو غَرْسِيه غُومِث"مَعَ شُعَرَاءِ الأَنْدَلُسِ وَالمُتَنَبِّي؛ سِيَرٌ ودِرَاسَات" ص ١٠٥– ١٠٦ .

٣ – انْظُر أَبُو إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ "دِيوَانُهُ" ص ١٢– ١٣ .

٤ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "نَفْحُ الطِّيبِ" ٩٤/٦ .

يَهْجُو يُوسُفَ،وَيُؤَلِّبُ المُسْلِمِينَ وَبَادِيسَ عَلَى اليَهُودِ[1].وَيَرَى نَافِع عَبْد اللهِ أَنَّ هِجَاءَ الإِلْبِيرِيِّ مُرْتَبِطٌ بِشَخْصِ ابنِ نَغْرِيلَّةَ نَفْسِهِ لا بِعَقِيدَتِهِ،لأَنَّهُ جَاءَ إِلَى الوِزَارَةِ لِكَمَالِ عِلْمِهِ لا لِدِينِهِ.وَثَارَ النَّاسُ عَلَيْهِ لِتَسَلُّطِهِ وَظُلْمِهِ لا بِسَبَبِ عَقِيدَتِهِ أَوْ دِينِهِ.وَمَعْ ذَلِكَ يَبْدُو أَنَّ ابنَ نَغْرِيلَّةَ كَانَ يُمَثِّلُ اليَهُودَ فِي غَرْنَاطَةَ فِي ذَلِكَ العَصْرِ تَمْثِيلاً صَحِيحًا[2].

وَخَصَّصَ أَحْمَد مَكِّيّ فَصْلاً كَامِلاً لِلحَدِيثِ عَنْ دَورِ أَبِي إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ فِي مَقْتَلِ ابْن نَغْرِيلَّةَ بِعُنْوَانِ "القَصِيدَةُ التِي فَجَّرَتْ ثَوْرَةً"[3]،فَلاحَظَ أَنَّ المُؤَرِّخِينَ لَمْ يُشِيرُوا إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ، وَبِخَاصَّةٍ الأَمِيرِ عَبْدِ اللهِ فِي مُذَكِّرَاتِهِ "التِّبْيَانِ"،فَرُغْمَ أَنَّهُ أَمَدَّنَا بِتَفْصِيلاتٍ وَافِيَةٍ عَنْ الأَحْدَاثِ التِي رَافَقَتْ مَقْتَلَ هَذَا الوَزِيرِ إلا أَنَّهُ التَزَمَ الصَّمْتَ إِزاءَ أَبِي إِسْحَاقَ[4].

وَبَحَثَ إِحْسَان عَبَّاس عَنْ دَوْرِ ابنِ حَزْمٍ كَذَلِكَ فِي التَّحْرِيضِ عَلَى مَقْتَلِ الوَزِير؛ فرَأى أَنَّ الكِتَابَ الذِي صَدَرَ عَنْ ابْن نَغْرِيلَّةَ كَانَ أَسَاسَ الثَّوْرَةِ عَلَيْهِ بِالإِضَافَةِ إِلَى إِسَاءَاتِهِ الأُخْرَى[5].

الثَّالِثُ: فِي المُوَشَّحَاتِ والأَزْجَالِ

لَمْ يَظْهَرْ أَثَرٌ كَبِيرٌ لِليَهُودِ فِي المُوَشَّحَاتِ وَالأَزْجَالِ الأَنْدَلُسِيَّةِ،بَلْ جَاءَ عَابِرًا وَمُتَفَرِّقًا فيهَا؛ فالزَّجَالُ ابنُ **قُزْمَانَ** يَقْتَبِسُ مِنْ **"التَّوْرَاةِ"** أَحْيَانًا وَيُصَرِّحُ بِلفظِهَا بِقَوْلِهِ[6]:

فَـإِنَّ مَكْتُـوب هُ فِـي **التَّـوْرَاة** اطْلُـبْ تَجِـدْ

وَلَمْ يستغربْ عَبْدُ العَزِيزِ الأَهْوَانِيّ هَذَا الحَدِيثُ عَنِ **"التَّوْرَاةِ"** بَلْ رآهُ أَخْذًا مُبَاشِرًا مِنْ البِيئَةِ التِي كَانَتِ **"التَّوْرَاةُ"** فِي بُيُوتِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِهَا[7]،وَبِهَذَا الاسْتِشْهادِ مِنَ **"التَّوْرَاةِ"** فِي الأَدَبِ الشَّعْبِيِّ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا كَانَتْ مَصْدَرًا لِلمَعْلُومَاتِ عِنْدَ العَامَّةِ.وَأَتَى **ذِكْرٌ لِليَهُودِ مَعَ النَّصَارَى** حِينَ تَزَوَّجَ **ابنُ قُزْمَانَ** وَضَاقَ بِالزَّوَاجِ وَبِالمَرْأَةِ،وَهَرَبَ إِلَى مَجَالِسِ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ خَارِجَ البَيْتِ،يُصَاحِبُهُ عُودُ النَّصَارَى أَوِ اليَهُودِ[8]،فَذُكِرَوا فِي مَجَالِسِ اللهْوِ مَعَ النَّصَارَى.

---

1 – انْظُرْ: أنخل جُنْثَالِث بالنثيا "**تَارِيخُ الفِكْرِ الأَنْدَلُسِيّ**" ص١٠٨ .

2 – انْظُرْ: نافع عبد الله "**الهِجَاءُ فِي الشِّعْرِ العَرَبِي الأَنْدَلُسِيّ**" ص ١٠٣ .

3 – انْظُرْ: الطَّاهر مَكِّيّ "**دِرَاسَاتٌ أَنْدَلُسِيَّةٌ؛ فِي الأَدَبِ وَالتَّارِيخِ وَالفَلْسَفَةِ**" ص ٥٠-٧٦ .

4 – انْظُرْ: نَفْسُهُ ص ٧٦ .

5 – انْظُرْ: ابن حَزْمٍ "**رَسَائِلُهُ**" ؛"رِسَالَة فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ نَغْرِيلَّةَ اليَهُودِيِّ" ١٩/٣ .

6 – ابن قُزْمَان "**دِيوَانُهُ**" زجل رقم ٦٠ .

7 – انْظُرْ: عَبْد العَزِيز الأَهْوَانِيّ"**الزَّجَل فِي الأَنْدَلُس**" ص ١٩١ .

8 – قَالَ : أَنَا تَايِبْ يَا لِسْ نَقُول بِزوَاجْ وَلا جَلْوَ وَلا عَرُوس بتَـاجْ

لا رِيَاسَة غَيْر اللَّعِب بِالزُّجَاجْ وَالمَبِيت بَرَّا وَالطَّعَامْ وَالشَّرَابْ

شَعْفَ كَانَتْ وَيا بَعَد لِسْ تَعُودْ من يُسَمِّيهِ نَخُذْ إِلَيْه العُودْ

لِلنَّصَارَى مَرُّوا احْمِلُوهْ **وَالِيَهُودْ** أَوْ لِحُمْق بِصَخْرتِينْ أَوْ مُصَابْ ابن قُزْمَان "**دِيوَانُهُ**" زجل رقم ٢١ .

وَمَرَّ سَابِقًا ذِكْرُ النَّصَارَى وَاليَهُودِ مُتَتَالِيَيْنِ فِي مُوَشَّحٍ **لابن حَزْمُونَ**، فيهِ[1]:

فَكُـلُّ خلــقٍ أَصـــابْ   إلا **النَّصَـــارَى وَاليَهُـــود** ◌ْ

وَأَتَى **ذِكْرُ اليَهُودِ بِعُمُومِيَّةٍ** فِي بَعْضِ المُوَشَّحَاتِ؛فَالمَحْبُوبُ يَهُودِيٌّ مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ دُونَ تَفْصِيلٍ أَوْ تَوْضِيحٍ لأَيِّ صِفَةٍ خَاصَّةٍ لَهُ أَوْ لِقَوْمِهِ فِي قَوْلِ **أَحَدِهِم**[2]:

ظَبْـيٌ مِـنْ **بَنِـي إِسْحَاقْ**◌   يُـــرَاعُ بِســـحْرِ

ثَــوَى فِـي ظَبَـا الأَحْـدَاقِ   وَبُوسَـــا بِخَمْــرِ

ثَغْــر جَــلّ عَــنْ أعْــلاقِ   وَعَــنْ كُـــلّ دُرِّ

وَذُكِرَتْ **أَسْمَاءٌ لليَهودِ** فِي مُوَشَّحَاتِهِم كابنِ رَاحِيلَ فِي مُوَشَّحَتَيْنِ **لابنِ بَقِّي** و**ابنِ رافع رأسُهُ** سَبَقَتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهِمَا فِي شِعْرِ الغَزَلِ بِالغلْمَانِ[3].

وَقَدْ يَكُونُ لليَهُودِ مُشَارَكَةٌ فِي الأَدَبِ الشَّعْبِيِّ وَفِي المُوَشَّحَاتِ وَالأَزْجَالِ،وَسَبَقَ الحَدِيثُ عَنْ **مَلْعَبَةٍ**[4]مِنَ الشِّعْرِ الزَّجَلِي مَنْسُوبَةٍ لِبَعْضِ اليَهُودِ،قَالَ ابنُ خَلْدُونَ إِنَّهَا نَحْوُ الخَمْسِمائَةِ[5]، وَأَوْرَدَ أَبْيَاتًا خمْسَةً مِنْهَا،وإِنِ استَطَاعَ يَهُودِيٌّ نَظْمَ هَذَا العَدَدِ مِنَ الأَبْيَاتِ مَرَّةً وَاحِدَةً أَتَوَقَّعُ وُجُودَ نَظْمٍ مُشَابِهٍ سَابِقٍ أَوْ لاحِقٍ لَهُ وَلِغَيْرِهِ مِنَ اليَهُودِ،لكِنَّهُ اخْتَفَى وَلَمْ يَصِلْنَا.

وَقَلَّةُ ظُهُورِ اليَهُودِ فِي المُوَشَّحَاتِ يَعُودُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الآدَابَ الشَّعْبِيَّةَ لَمْ تَحْظَ بِعِنَايَةِ الدَّارِسينَ، فَكَانَتْ فَنًّا شَعْبِيًّا لا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُدَوَّنَ حَتَّى وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ؛فَالمَرَّاكُشِيُّ يعترِفُ مَثَلاً أَنَّهُ لَمْ يُسَجِّلْ مُوَشَّحَاتِ أَبِي بَكْرٍ ابنِ زُهْرٍ(ت:٥٩٥هـ)[6]لأَنَّ العَادَةَ لَمْ تَجْرِ بِإِيرَادِ المُوَشَّحَاتِ في الكُتُبِ[7]. فَإِنْ أُضِيفَ لِهَذَا تَجَاهُلُ البَاحِثِينَ لِليَهُودِ يُتَوَقَّعُ كَثيرٌ عَنِ اليَهُودِ لَمْ يَصِلْ إِلَينَا فِي هَذَا الأَدَبِ الشَّعْبِي.

---

[1] – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢١٨/٢ .

٢ – عَلِيّ بن بشْرى الأَغَرْنَاطِيّ "**عُدَّةُ الجَلِيس**" ص ٣٧٤- ٣٧٥ /مُوَشَّحة رقم (٢٤٨) .

٣ – انْظُرْ :عَلِيّ بن بشْرى الأغَرْنَاطِيّ"**عُدَّةُ الجَلِيس**"ص٥١٤-٥١٥ /مُوَشَّحة رقم(٣٤٤)؛سيد غَازِي"**دِيوانُ المُوَشَّحَاتِ الأَنْدَلُسِيَّةِ**"١/١٤.

٤ – انْظُرْ :ابن خَلْدُونَ"**المُقَدِّمَة**"ص٣٣٩؛ ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**"–قسم المُوَحِّدِين–ص٢٢٩،انْظُرْ فِي البَحْثِ:ص٤٨- ٤٩.

[5] – انْظُرْ: ابن خَلْدُونَ"**المُقَدِّمَة**" ص ٣٣٩ .

[6] – هُوَ: أَبُو **بكر** مُحَمَّدٌ بن أَبِي مروان عبد الملك **ابن زُهْر**،يُعرفُ بابن زُهْر الحفيد (وزُهْر بِضَمِّ الزَّايِ وَسُكُونِ الهَاءِ) مَوْلِدُهُ ونشأته بِإِشْبِيلْيَةَ ٥٠٧هـ.كان مِنْ أهل بيت كُلُّهُمْ عُلَمَاءُ رُؤَسَاءُ حُكَمَاءُ وُزَرَاءُ،كانَ وَشَّاحًا وَشَاعِرًا وَفَيْلَسُوفًا، وَاشْتُهِرَ بِالطِّبِّ، وَتَوَهَّمَ بَعْضُهُم أَنَّهُ يهودِيٌّ كَمَا يذكر عَبْدُ العَزِيزِ،وتُوُفِّيَ بِمَرَّاكُش ٥٩٥هـ . انْظُرْ :يَاقُوت الحَمَوِيّ" **مُعْجَمُ الأُدَبَاءِ**"٢١٦/١٨-٢٢٥؛عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص٩١-٩٢؛ابن الأَبَّار"**التَّكْمِلَة**" ٧٥/٢؛ ابن خَلِّكَان "**وَفَيَات الأَعْيَانِ**"٤٣٤/٤-٤٣٦؛ ابن دِحْيَةَ"**المُطْرِب**"ص٢٠٣؛ ابن أَبِي أُصَيْبِعة"**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٥٢٢/١-٥٣٠؛ ابن سَعِيد"**المُغْرِب**" ٢٧١/١-٢٧٩؛ "**رَايَات المُبَرِّزِين**"٥٦-٥٧؛الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" ٣٢٦/٢١-٣٢٧؛المَقَّرِيّ"**نَفْحُ الطِّيبِ**" ١٥/٣-٢٠؛ عَبْد العَزِيزِ بن عبد الله "**الطِّبّ وَالأَطِبَّاء فِي المَغْرِبِ**" ص ٣٠ .

[7] – عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**" ص٩٢، واعتبرت الاستعارة منقصة عِنْدَ الوَشَّاحِينَ؛ فابنُ سناء المُلكِ يفتَخِرُ أَنَّهُ يصنعَ مُوَشَّحاتِهِ بنفسِهِ وَلا يستعيرُها . انْظُرْ :مُحَمَّد زكَرِيَّا عَنَانِي"**المُوَشَّحات الأَنْدَلُسِيَّة**" ص٣٦، نقلا عن مخطوط كتاب: ابن سناء الملك " فصوص الفصول وعقود العقول" بدار الكُتُبِ والأزهر وباريس والاسكوريال .

وظَهَرَ فِي شِعرِهمْ تَعْويذَاتٌ بالعِبْرِيَّةِ يُرَدِّدُهَا المُشَعْوِذُونَ دونَ أن يَعْرِفُوا مَعْنَاهَا، مِنْهَا فِي شِعْرِ للنَبَاهي: "بِهَرْشَاهَيَا" يُرَجِّحُ عبد الحميد الهَرَّامَة أَنَّهَا عِبْرِيَّةٌ،معناهَا "مُدَمَّرَة كَانَتْ"(١).

وَمِنَ الأُمُورِ التِي تُشيرُ بوضوحٍ كبيرٍ إلَى نوعٍ مِنَ التَأثُّرِ بينَ العَرَبِ واليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ وُجُودُ خَرْجَاتٍ مُشْتَرَكَةٍ فِي مُوَشَّحَاتِهِم.وَكَتَبَ شتيرْنِ عَامَ ١٩٤٨م مَقالَةً(٢)بعد عُثُورِهِ عَلَى مَخْطُوطِ "عُدَّةُ الجَلِيس" لابن بشْرى الأَغْرَنَاطِيّ.وأَثَارَتْ مَقَالَتُهُ هَذِهِ ضَجَّةً كَبيرَةً حِينَ أَعْلَنَ عَنْ اشْتِرَاكِ مُوَشَّحات عَرَبِيَّةٍ وَأُخْرَى عِبْرَانِيَّةٍ فِي خَرْجَاتٍ أَعْجَمِيَّةٍ.وَحِينَ دَرَس مُصْطَفَى الغَديرِيّ الخَرْجَاتِ الأعجمية وَجَدَ أَنَّ عَدَدَ المُوَشَّحاتِ فِيمَا اطّلَعَ عَلَيْهِ فِي المَصَادِرِ أربعٌ وَعِشْرُونَ وَسِتُّمِائَةِ مُوَشَّحَةٍ، ستٌّ وَأَرْبَعُونَ مُوَشَّحَةً مِنْهَا تَنْتَهِي بِخَرْجَاتٍ أَعْجَمِيَّةٍ؛وبِهَذَا تَكُونُ نسبَتُهَا إِلَى مَجْمُوعِ المُوَشَّحَاتِ ٧.٣٧%(٣)،وَهَذِهِ نِسْبَةٌ لَيْسَتْ قَلِيلَةً فِي مَجَالِ التَأَثُّرِ وَالتَأْثِيرِ.وَلَمْ أَجِدْ بَيْنَ الدَّارِسِينَ الذينَ قَرَأْتُ لَهُمْ فِي المَوْضُوعِ مَنْ يَقُولُ إِنَّ المُوَشَّحَاتِ العَرَبِيَّةَ مأخوذَةٌ مِنَ العِبْرِيَّةِ لتَشَابُهِ الخَرْجَاتِ،وَلَمْ أجِدْ فِيمَا قرأتُ فِي المَصَادِرِ مُوَشَّحاتٍ للعَرَبِ استَعَارُوا خَرْجَاتِهَا مِنَ اليَهُودِ باللُّغَةِ العِبْرِيَّةِ،بلْ رَكَّزَ مُعْظَمُ الدَّارِسِينَ أبْحَاثَهُمْ حَوْلَ الأثَرِ العَرَبِيِّ عَلَى اليَهُودِ فِيهَا؛**فالمُوَشَّحَاتُ العِبْرِيَّةُ بِالأَنْدَلُسِ بِرَأْيِهِمْ نَشَأَتْ مُحَاكَاةً للمُوَشَّحاتِ العَرَبِيَّةِ وَتَقْلِيدًا لَهَا بُنًى وَمَوْضُوعًا**(٤).

وَالبَحْثُ فِي اسْتِعَارةِ العَرَبِ وَاليَهُود لأَجْزَاء مِنَ المُوَشَّحَاتِ يَطُولُ،وَيَصْعُبُ القَوْلُ إِنَّ أَحَدَهُمْ تَأثَّرَ بِالآخَرِ وَاسْتَعَارَ مِنْهُ أَوْ أَثَّرَ بِهِ،فَهَذَا بِحَاجَةٍ إِلَى بَحْثٍ مُستَقِلٍّ.لكنَّنِي أَمِيلُ إِلَى الرَّأْيِ القَائِلِ بِأَنَّ **العَرَبَ وَاليَهُودَ اسْتَعَارُوهَا مِنَ اللُّغَةِ الرُّومَانْثِيَّةِ الإسْبَانِيَّةِ**؛فهَذِهِ اللُّغَةُ كَانَتْ مُنْتَشِرَةً وَهَذَا

---

١ – جاءت فِي أبيات للنَّبَاهِي مِنْهَا : [الطويل] أَعُوذُ مَنْ يُمْسِي عَلَيْهِ مُعَلَّقًا حِجَابِي بِطَهَ أَوْ بِيَاسِينَ وَالخَمْسِ
بِهَرْشَاهَيَا هَرْشَا هَيَا وَشَرَاهَيَا وَبِاسْمِ عَظِيمٍ جَاءَ فِي آيَةِ الكُرْسِي
ابن الخَطيب "**الكَتِيبَة الكَامِنَة**"ص١٤٩– ١٥٠ ، وانْظُرْ :عبد الحميد الهَرَّامَة"**القَصِيدَة الأَنْدَلُسِيَّة**"ص٢٦٨ .

٢ – انْظُرْ : مُصْطَفَى الغَدِيرِيّ "**المُوَشَّحات الأَنْدَلُسِية بَيْن الإبداع وَالإتباع**" مَجَلّة دِرَاسَات أَنْدَلُسِيَّة،ع ١٣ ، تُونُس:١٩٩٥م، ص ٣٩ .

٣ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ص٤١– ٤٢ ، وَكَانَ توزيع هَذِهِ الخرجات كالتالي:تِسْعُ عَشْرَةَ مُوَشَّحَةً مِنْهَا فِي "جَيْشِ التَّوْشِيحِ"، وَاثْنَتَانِ وَثَلاثُونَ فِي "عُدَّةُ الجَلِيس"، وَمُوَشَّحَتَانِ فِي "دِيوَان الأَعْمَى التُّطَيْلِيّ"، وَثلاثٌ فِي "دِيوَانِ الجَزَّار السَّرَقسْطِيّ".

٤ – والقَائِلُونَ بِهَذَا يَسْتَنِدُونَ إِلَى أَنَّ أَقْدَمَ المُوَشَّحاتِ العِبْرِيَّةِ لوَشَّاحِينَ عَاشُوا فِي عَصْرِ الطَّوَائِفِ وَبَعْدَهُ،فَلا تُوجَدُ مُوَشَّحَةٌ عِبْرِيَّةٌ قبل المُوَشَّحَاتِ العَرَبِيَّةِ التي وَصلت إِلَيْنَا مِنْ عَصْرِ الأُمَوِيِّينَ،وَأقدمُ الوَشَّاحِينَ اليَهُودِ إِسْمَاعِيلُ ابنُ نَغْرِيلَّةَ(ت:٤٤٨هـ)،وَبَعْدَهُ إسحاقُ بنُ غياث(ت:٤٨٢هـ) وَيُوسُفُ بنُ صِدِّيق(ت:٥٢٦هـ) وَمُوسَى بنُ يَعْقُوب بن عزرا משה בן יעקב עזרא(ت:٥٣٣هـ) وَيَهُودَا هَلِيفِي יהודה הלוי(ت:٥٤٠هـ) وَأَبْرَاهَامَ بنُ عزرا(ت:٥٤٥هـ).وَيَسْتَنِدُونَ إِلَى نُصُوصٍ مِنْ "عُدَّةُ الجَلِيس" مِنْهَا المُوَشَّحَةُ السَّادِسَةُ عَشْرَةَ وَرَدَ مَطْلَعُهَا خَرْجَةً فِي مُوَشَّحَةٍ يَهُودَا هَلِيفِي العِبْرِيَّةِ دُونَ تَغْيِيرٍ،وَالمُوَشَّحَةُ الحَادِيَةُ وَالسَّبْعُونَ لأَبِي بَكْرٍ بنِ الأَبْيَضِ،خَرْجَتُهَا فَصِيحَةٌ،وَرَدَتْ فِي مُوَشَّحَتَيْنِ عِبْرِيَّتَيْنِ؛ إِحْدَاهُمَا لمُوسَى بن عزرا وَالأُخْرَى ليَهُودَا هَلِيفِي،وَهُمَا مُعَاصِرَانِ لابنِ الأَبْيَضِ،وَماتا بَعْدَهُ،ثُمَّ المُوَشَّحَةُ السَّادِسَةُ بَعْدَ المِائَةِ لابنِ بَاجَة(ت:٥٢٣هـ) مَطْلَعُهَا خَرْجَةٌ لِمُوَشَّحَةٍ يَهُودَا بنِ غَيَّاث יהודה בן גיאת وَكَانَ مُعَاصِرًا لَهُ،وَعَارَضَهَا وَشَّاحُونَ يَهُودٌ، بَعْدَ ذَلِكَ. انْظُرْ : عَلِيّ بن بشْرى الأَغْرَنَاطِيّ "**عُدَّةُ الجَلِيس**" ص٢٦، ١١٠ ، ١٦٢؛ انْظُرْ: مُصْطَفَى الغَدِيرِيّ"**المُوَشَّحات الأَنْدَلُسِية بَيْن الإبداع وَالإتباع**" مَجَلّة دِرَاسَات أَنْدَلُسِيَّة،ع ١٣ ، تُونُس:١٩٩٥م ،ص٤٣، ٤٦ .

وَاضِحٌ فِي فَتْوى لابنِ رُشْدٍ عَنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ قالَ:"أَنَا أَقْرَأُ سُورَةَ يُوسُفَ بِالأَعْجَمِيَّةِ"[١]. كَمَا أَنَّ ابنَ حَزْمٍ تَحَدَّثَ عَنْ قَبِيلَةٍ عَرَبِيَّةٍ بِقَوْلِهِ:"وَدَارُ بَلِّي بِالأَنْدَلُسِ فِي المَوْضِعِ المَعْرُوفِ بِاسْمِهِمْ شَمَالَ قُرْطُبَةَ،... ،لا يُحْسِنُونَ الكَلامَ بِاللطِينِيَّةِ،لكِنْ بَالعَرَبِيَّةِ فَقَطْ، نِسَاؤُهُمْ وَرِجَالُهُمْ"[٢]،وهَذَا دَالٌّ عَلَى أَنَّ القَبائِلَ العَرَبِيَّةَ كَانَتْ تُحْسِنُ اللُّغَةَ الأَعْجَمِيَّةَ إِلَى جَانِبِ العَرَبِيَّةِ.كَمَا أَنَّ وُجُودَ الخَرْجَاتِ الأَعْجَمِيَّةِ فِي مَخْطُوطَاتِ المُوَشَّحَاتِ الأَنْدَلُسِيَّةِ دُونَ شَرْحٍ لِمَعَانِي أَلْفَاظِهَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ اللُّغَةِ الأَعْجَمِيَّةِ كَانَتْ مَعْرُوفَةً لَدَى كَتَبَةِ وَقُرَّاءِ المُوَشَّحَاتِ.

وهَذِهِ الخَرْجَاتُ المُسْتَعَارَةُ[٣]يَطُولُ بَعْضُهَا وَتَصْغُرُ فِيهَا الفِقْرَاتُ وَتَكْثُرُ القَوَافِي،وَيَتَّسِمُ بَعْضُهَا الآخَرُ بِسُهُولَةِ التَّقْفِيَةِ،وَازْدِواجِ الفِقْرَاتِ،وهي عَلَى لِسَانِ فَتَاةٍ تَشْكُو هَوَاهَا[٤].

المَبْحَثُ الثَّانِي : **أَعْلامُ اليَهُودِ وَقِصَصُهُم** فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ.

ظَهَرَ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ أَعْلامٌ مِنَ اليَهُودِ،وَقِصَصٌ مَشْهُورَةٌ عَنْهُمْ،على النَّحْوِ التَّالِي :

أَوَّلاً:- أَشْهَرُ أَعْلامِ اليَهُودِ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ

بَعِيدٌ عَنْ أَسْمَاءِ أَنْبِيَاءِ اليَهُودِ الذِينَ ذُكِرُوا كَثِيرًا فِي القُرْآنِ لَمْ تَكُنْ أَعلامُ اليَهُودِ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ كثيرَةً؛ ذُكِرَ فِي القُرْآنِ مِنْهُمْ **السَّامِرِيُّ**، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُذْكَرْ فِي القُرْآنِ **كَيُوشَعَ بنِ نُونٍ وَبِلْعَامَ**، وَمِنْهُم مَنْ جَاءَ مِنَ التَّارِيخِ العَرَبِيِّ **كَالسَّمَوْأَلِ** :

١ - السَّامِرِيّ

وَكَانَ **السَّامِرِيُّ**[٥]مِنْ مَشاهِيرِ اليَهُودِ الذين ذُكِرُوا فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ،وَاتَّخَذَ **السَّامِرِيّ** فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ عِدَّةَ رُمُوزٍ وَمَعَانٍ؛فَمَرَّةً هُوَ رَمْزٌ لِسِحْرِ سَاحِرٍ،وَمَرَّةً هُوَ رَمْزٌ لِفِتْنَةٍ وَعلى الجَمِيعِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْهُ وَلا يَقْتَرِبَ مِنْهُ،وَفِي أُخْرَى هُوَ رَمْزٌ لِمُعْتَقَدٍ دِينِيٍّ وَلِطَائِفَةِ السَّامِرِيِّينَ اليَهُودِ.

---

١ – عَبْد العَزِيز الأَهْوَانِيّ"**الزَّجَل فِي الأَنْدَلُسِ**"ص٤٧،نقلا عن مخطوط فِي المكتبة الأهلية فِي باريس،رقم ١٠٧٢،وَرقة ١٦٣ .

٢ – انْظُر : ابن حزم"**جَمْهَرَة أَنْسَابِ العَرَب**"٤٤٢– ٤٤٣ .

٣ – وَمِنَ الأَمْثِلَةِ عَلَى هَذِهِ الخَرْجَاتِ المُشْتَرَكَةِ بَيْنَ العَرَبِيَّةِ والعِبْرِيَّةِ مُوَشَّحُ شَوْقٍ لِلوَطَنِ لابن بَقِّي خَاتِمَتُهُ :

بَنَذّ لِبَشِقَّة أَيُون شِنل حصري مُو قَرَجُونَ برل. المَعْنَى:"أَقْبَلَ العِيدُ وَمَا أَزَالُ بِدُونِهِ يَبْكِي فُؤَادِي أَسَى مِنْ أَجْلِهِ"

وَهَذِهِ خَرْجَةٌ فِي مُوَشَّحةٍ عِبْرِيَّةٍ لِيَهُودَا هَلِيفِي(ت:٥٤٠هـ) وَهُوَ مُعَاصِرٌ لابن بَقِّي(ت:٥٤٠هـ).

ومثالٌ ثانٍ عَلَى الخَرْجَاتِ المُشْتَرَكَةِ بَيْنَ العَرَبِيَّةِ والعِبْرِيَّةِ فِي مُوَشَّحَةٍ لِمَجْهُولٍ موجودة فِي مُوَشَّحةٍ عِبْرِيَّةٍ لِيَهُودَا هَلِيفِي خَاتِمَتُهَا :

كَمْ مِنْ قَلْيولِ البِينْ نُون مِشْ لِقَرْمِش مُو شِين مَعْنى الخَرْجَةِ:"كَأَنَّكَ وَلَدِي بِالتَّبَنِّي،فَمَا عُدْتَ تَنَام جَنْبِي".

انْظُرْ: عَلِيّ بن بشْرى الأَغَرْنَاطِيّ "**عُدَّةُ الجَلِيس**" ص٢٥٤–٢٥٥ /مُوَشَّحة رقم (١٦٧)، ص٣٨٩–٣٩٠ /مُوَشَّحة رقم (٢٦٠).

٤ – انْظُرْ: عَبْد العَزِيز الأَهْوَانِيّ"**الزَّجَل فِي الأَنْدَلُسِ**" ص ٥٠ .

٥ – انْظُرْ قِصَّة السَّامِرِيّ فِي:ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" ٣/١٥١ – ١٥٢؛ النُّوَيْرِيّ "**نِهَايَة الأَرَب**"١٣/٢٢٣ – ٢٢٩ .

وَعِنْدَ **مُحَمَّدِ بنِ هَانِئٍ** كَانَ **السَّامِرِيُّ** سَاحِرًا،وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ [1]: [الكامل]

اقتِــكْ بِهَــذَا **السَّــامِرِيّ** السَّــاحِرِ وَأَذِقْــهُ طَعْــمَ المَشْــرِفِيِّ البَــاتِرِ

قَدْ تَكُونُ المَحْبُوبَةُ **سَامِرِيَّةَ** المُعْتَقَدِ أي يَهُودِية مِنْ فِرْقَةِ السَّامِرةِ،وَقَدْ تَكُونُ مَحْبُوبَتُهُ ذاتَ جَمَالٍ يَسْحَر،وَقَدْ تَكُونُ كَذَلِكَ كَلِمَةُ **سَامِرِيَّة** احْتَمَلَتْ المَعْنَيَيْنِ مَعًا،وَقَدْ عَدَّ ابنُ بَسَّامٍ [2] هَذا مِنْ مَليحِ الكَلامِ، ثُمَّ أشار إِلَى أَنَّه مَأخوذٌ [3] مِنْ **تَميمِ بن المُعِزِّ**(ت:٣٧٤هـ) [4] بِقَوْلِهِ [5]: [المتقارب]

وَبَـــارِزَةٍ بَـــيْنَ أَحْبَارِهَـــا بُـــرُوزَ الشُّـــمُوسِ لإِسْـــفارِهَا

وَقَـدْ فُصِّـلَتْ بَـيْنَ ثِقْـلِ الكَثِيـبِ وَلِــينِ القَضِــيبِ بِزُنَّارِهَــا

وَيَتَرَجَّحُ لَدَيَّ القولُ بأَنَّ مَحْبُوبَةَ ابنِ هَانِئٍ مِنَ اليَهُودِ لِذا قَالَ إِنَّهَا **سَامِرِيَّةٌ**،فَأَبْيَاتُ تَمِيمِ بنِ المُعِزِّ التِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا فِي قَوْلِهِ السَّابِقِ تُشِيرُ بُوضُوحٍ إِلَى أَنَّ المَحْبُوبَةَ يَهُودِيَّةٌ بَرَزَتْ أَمَامَهُ تَلْبَسُ الزُّنَّارَ بَيْنَ أَحْبَارِها،لكن تَرَكَ ابنُ هَانِئٍ الإِشارَةَ إِلَى الأَحْبَارِ وَالزُّنَّارِ لِيَقُولَ عِوَضًا عَنْ هَذَا إِنَّهَا **سَامِرِيَّةٌ**.وإِنْ كَانَ الأمرُ كَذَلِكَ ففي الأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ إِشارَةٌ إِلَى أَنَّ الحَدِيثَ عَنْ نِسَاءِ اليَهُودِ كَانَ عَادِيًّا فِي شِعْرِ الأَنْدَلُسِيِّينَ ،وَلَمْ يَكُنْ غَرِيبًا أَوْ مُسْتَهْجَنًا .

وَلِعَدَمِ غَرَابَةِ الحَدِيثِ عَنِ **السَّامِرِيِّ** عِنْدَ الأَنْدَلُسِيِّينَ عَقَّبَ ابنُ بَسَّامٍ عَلَى نَظْمٍ [6] لأَبي الوَلِيدِ بنِ حَزْمٍ(ت بعد:٥٠٠هـ) [7] بِقَوْلِهِ:"مِمَّا فُتِنَ فِيهِ أبُو الوَلِيدِ فِتْنَةً لا يُحْسِنُهَا **السَّامِرِيُّ**،بَلْ سُحِرَ سِحْرًا لا تَتَعَاطَاهُ الحِبَالُ وَلا العِصِيُّ" [8] .فَجَمَعَ ابنُ بَسَّامٍ فِي **السَّامِرِيِّ** رَمْزَيْنِ؛الأولُ أَنَّهُ صَاحِبُ فِتْنَةٍ كَبِيرَةٍ،وَالثَّانِي أَنَّهُ سَاحِرٌ فَاقَ بِسِحْرِهِ سِحْرَ النَّبِيِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ.

---

[1] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٧٥، وَلَمْ ترد فِي"**ديوان ابن هانئ**".

[2] – انْظُرْ : نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .

[3] – لا أعرفُ عَلَى ماذَا اعْتَمَدَ ابنُ بَسَّامٍ فِي قَوْلِهِ هَذَا وَالشَّاعِران مُتَعَاصِرَانِ؛ فابنُ هَانِئٍ توفاه اللهُ عَامَ ٣٦٢هـ، بَيْنَمَا ابنُ المُعِزِّ عَامَ ٣٧٤هـ، فَقَدْ يكونُ ابنُ المُعِزِّ هُوَ الذي بنى كلامَهُ عَلَى سابقه وَلَيْسَ العكس وَهُوَ الذي عاشَ سَنَواتٍ عديدة بعدَهُ.

[4] – هُوَ: **تَمِيمُ بنُ المُعِزِّ** بن المَنْصُور بن القائم بن المهدي **الفَاطِمِيُّ**، يكنى أبَا عليٍّ، وُلِدَ ٣٣٧هـ، وَكَانَ أبوه صاحب الديار المصرية والمَغْرِبِ وهو الذي بنى القاهرة المعزية،وَسَبَقَتْ تَرْجَمَتُهُ. وَكَانَ تَمِيمُ المَذْكُورُ فاضِلاً شَاعِرًا مَاهِرًا لَطِيفًا ظَرِيفًا وَلَمْ يَلِ المَمْلَكَةَ لأن ولاية العهد كَانَتْ لأخيه العزيز بعد أبيه. وكَانَتْ وفاته بِمِصْرَ.

انْظُرْ : الثَّعَالِبِيّ"**يَتِيمَة الدَّهْر**" ١/٥٢٥ – ٥٣٤؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَان**" ١/٣٠١ – ٣٠٣ .

[5] – تَمِيم بن المُعِزِّ لِدِينِ اللهِ الفَاطِمِيّ "**دِيوَانُهُ**" ص٣٧٣ – ٣٧٤ .

[6] – نظم ابنُ حَزْمٍ هو : [الطويل] أطارِحُهُ حُلْوَ العِتَابِ وَرُبَّمَا تَغَاضَبَ فاسْتَرْضَيْتُهُ بِبُكائي

وَفِي لَفْظِهِ مِنْ سُورَةِ الكَأْسِ فَتْرَةٌ تَمُتُّ إِلَى أَلحَاظِهِ بِوَلاءِ

انْظُرْ : ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م٢/٦٠٣؛ الكُتُبِيّ"**فَوَات الوَفَيَات**" ٢/٤٤٨ .

[7] – هُوَ: أَبُو **الوَلِيدِ** مُحَمَّدُ بنُ يَحْيَى **بنُ حَزْمٍ** المُذْحَجِيُّ،ابن عم الفقيه أَبِي مُحَمَّدِ بن حزم،جَعَلَهُ ابنُ بَسَّامٍ فِي "الذَّخِيرَة" أَحْلَى النَّاسِ شِعْرًا لا سِيَّمَا إِذَا عَاتَبَ أَوْ عَتِبَ. وَفِي ترجمته في"المَطْمَح" أَنَّهُ واحد دونه الجمع،وأَنَّهُ لَمْ يشتهر بفساد،مَعَ نفس برئت مِنَ الكبر،مَعَ عفاف التحف بِهِ برودا،وأَمَّا شعره فحسن. انْظُرْ : ابن خَاقَان"**مَطْمَح الأَنْفُس**"ص٢٧٩– ٢٨٢؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م٢/٥٩٨– ٦١٥؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١/٢٤٤ – ٢٤٥؛ الكُتُبِيّ"**فَوَات الوَفَيَات**" ٢/٤٤٧ – ٤٤٨؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٩/٢٧١ – ٢٧٢ .

[8] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م٢/٦٠٣ .

وَجَاءَتِ **السَّامِرِيَّةُ** فِي شِعْرِ ابنِ **الحَدَّادِ**، بِقَوْلِهِ فِي الغَزَلِ[1]: [الطويل]

وَبَـيْنَ المَسـيحِيَّاتِ لِـي **سَـامِرِيَّةٌ** ... بَعِيدٌ عَلَى الصَّبِّ الحَنِيفِيِّ أنْ تَدْنُو

وَذُكِرَ أَنَّ فَتَاةَ ابنِ الحَدَّادِ "رُومِيَّةٌ مَسِيحِيَّةٌ تُقِيمُ فِي دِيرٍ لِلمَسِيحِيِّينَ"[2]وَتُشِيرُ الأبياتُ صَرَاحَةً إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:"وَبينَ المَسيحِيَّاتِ"،فَالقَوْلُ إِنَّ هَذِهِ الفَتَاةَ نَصْرَانِيَّةٌ تَعْتَنِقُ مَذْهَبَ **السَّامِرِيَّةِ** اعْتِمَادًا عَلَى مَا جَاءَ فِي البَيْتِ الأول ليسَ دقيقا؛**فَالسَّامِرِيَّةُ** مُعْتَقَدٌ يَهُودِيٌّ لا نَصْرَانِيّ.ويبقَى احتمالٌ آخرٌ لقولِ ابنِ الحَدَّاد **سَامِرِيَّةٌ** وَهُوَ أَنَّ القَوْلَ مُجَرَّدُ تَشْبِيهٍ كَمَا يَرَى هِنْرِي بيرِس بِقَوْلِهِ:"وَقَدْ شَبَّهَ ابنُ الحَدَّادِ صَاحِبَتَهُ نُوَيْرَةَ بِأَنَّهَا **سَامِرِيَّةٌ** طِبْقًا لِلأسْطُورَةِ الإسْلامِيَّةِ،بِسَبَبِ صُعُوبَةِ الوُصُولِ إِلَيْهَا"[3]،وَأَنَا مَعَ بيرس بقولِهِ إِنَّ **السَّامِرِيَّةَ فِي** هَذَا البَيْتِ مُجَرَّدَ تَشْبِيهٍ لِتَمَنُّعِهَا وَبُعْدِهَا[4]،وَآخُذُ بِهَذَا الرَّأْيِ لِعِدَّةِ قَرَائِنَ أُولاهَا أَنَّ المَصَادِرَ أَشَارَتْ إِلَى أَنَّ دِيَانَةَ مَحْبُوبَتِهِ كَانَتِ النَّصْرَانِيَّةَ وَلَيْسَتِ اليَهُودِيَّةَ،وَثَانِيهَا أَنَّ عَجُزَ البَيْتِ يَكَادُ يوضِّحُ المَقْصُودَ **بِسَامِرِيَّةٍ**،فقولُهُ:"بَعِيدٌ عَلَى الصَّبِّ الحَنِيفِيِّ أنْ تَدْنُو" يُشِيرُ بِاعْتِقَادِي إِلَى أَنَّ الكَلِمَةَ لَيْسَتْ إِشَارَةً إِلَى مُعتقَدٍ دِينِيٍّ تَدِينُ بِهِ،لكنَّهَا رَمْزٌ لِلفِتْنَةِ وَالسِّحْرِ وَخَطَرِ الاقْتِرَابِ،بِسَبَبِ تَدَلُّلِهَا عَلَى الشَّاعِرِ وَتَمَنُّعِهَا فَلا يَسْتَطِيعُ الاقْتِرَابَ مِنْهَا.

وَكَانَتْ قِصَّةُ **"لا مِسَاس"**[5] مِنْ أَبْرَزِ مَعَانِي **السَّامِرِيِّ** فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ؛ **فَابنُ زَيْدُونَ** مَثَلاً يُرْسِلُ مِنْ سِجْنِهِ إِلَى صَدِيقِهِ أَبِي حَفْصِ بنِ بُرْدٍ(ت بعد: ٤٨٠هـ)[6]،قَائِلاً[7]: [مجزوء الرمل]

مَــا تَــرَى فِــي مَعْشَــرٍ حَــا ... لُــوا عَــنْ العَهْـدِ وَخاسُـوا[8]

وَرَأوْنِـــــي **سَــــــامِرِيًّا** ... يُتَّقَـــى مِنْــــهُ المِسَـــاسُ

أذْؤُبٌ هَامَــــــتْ بِلَحْمِــــي ... فَالتِ هَــــامٌ وَانْتِهَــــاسُ[9]

كُلُّهُــمْ يَسْــــأَلُ عَــــنْ حَــا ... لِــي وَلِلـــذِّئْبِ اعْتِبَــاسُ[10]

---

[1] – ابْن الحَدَّاد الأَنْدَلُسِيّ "**دِيوَانُهُ**" ص٢٥٦؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٧٠٨/٢ .

[2] – قَالَ ابنُ سَعِيدٍ إِنَّ ابنَ الحَدَّادِ "كَانَ يَهْوَى رُومِيَّةً يُكَنِّي عَنْهَا بِنُوَيْرَةَ،وله فِيهَا شعر كَثِير"، وَقَالَ ابن بَسَّامٍ إِنَّه "مُنِيَ فِي صِبَاهُ بِصَبِيَّةٍ نَصْرَانِيَّةٍ، ذَهَبَتْ بِلُبِّهِ كُلَّ مَذْهَبٍ،وَرَكِبَ إِلَيْهَا أَصْعَبَ مَرْكِبٍ...،وَكَانَ يُسَمِّيهَا "نُوَيْرَةَ" كَمَا فَعَلَهُ الشُّعَرَاءُ الظُّرفاءُ قَدِيمًا فِي الكِنَايَةِ عَمَّنْ أَحبُّوهُ، وَتَغْيِيرِ اسْمِ مَنْ عَلِقُوهُ".وكَذَلِكَ ابنُ فَضْلِ اللهِ العُمَرِيِّ(ت:٧٤٩هـ)ذَكَرَ أَنَّهُ التقاها فِي دَيْرِ رِيفَةَ بصعيدِ مِصْرَ،وَذَكَرَ أَنَّه"مَرَّ بِهِ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ لِيَحُجَّ فِي البَحْرِ فَرَأَى دَيْرَانِيَّةً اسْمَهَا نُوَيرَةَ. فألقَى عِنْدَهَا عَصَا سَفَرِهِ،وَتَرَكَ الحَجَّ...،وَأَعْلَمَهَا أَنَّهُ إِنَّمَا أَتَى لِيَحُجَّ،فَتَمَنَّعَتْ عَلَيْهِ. وَاحْتَجَبَتْ عَنْهُ". قَالَ فِيهَا:[مجزوء الوافر]
عَسَاكِ بِحَقِّ عِيسَاكِ مُرِيحَةُ قَلْبِيَ الشَّاكِي

انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٦٩٣/٢ ،٧٠٧؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**"١٤٤/٢؛ ابن فَضْل اللهِ العُمَرِيّ"**مَسَالِك الأَبْصَار**" ١٢٧/١ .

[3] – هنري بيرِسْ "**الشِّعْر الأَنْدَلُسِيّ فِي عَصْرِ الطَّوائِفِ**" ص٢٥٤

٤ – لا أُوَافِقُ هنْرِي بِيرِس القولَ إِنَّ السَّامِرِيَّ أسطورةٌ إِسْلامِيةٌ؛ فالأَسَاطِيرُ هي الأَحَادِيثُ التي تُشْبِهُ البَاطِلَ،وهي تَسْطِيرُ مَا لا أَصلَ لهُ. بَيْنَمَا الحَدِيثُ عَنْ السَّامِرِيِّ وَفِتنَتِهِ وَرَدَتْ الإشارةُ إِلَيْهِ فِي القُرْآنِ وَبِنَصٍّ صَرِيحٍ كَمَا سبقَ وَذَكَرْتُ، فَهُوَ حقيقةٌ وَتاريخٌ مَرْوِيٌّ .

[5] – لا مَسَاس: لا تخالط أَحداً،وَمعناه أَي لا أَمَسُّ وَلا أُمَسُّ. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [مسَّ] ٢١٩/٦ .

وَذكر الحميري فِي حديثه عَنْ جزيرة السَّامِرِيِّ فِي بحر القلزم أَنَّهُ يسكنها قوم مِنَ اليَهُود السَّامِرِيَّة،وَعلامتهم أن يَقُولَ أحدهم إِذَا لاقى إنساناً: لا مساس،وَبهَذِهِ اللفظة يُعْرَفُ أنهم مِنَ اليَهُود المنسوبين إِلَى السَّامِرِيِّ. انْظُرْ: الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص ١٦٥،٤٩٢ .

[6] – هُوَ: أَبُو **حفص أَحْمَد الأصغر** بن مُحَمَّدِ بن أَبِي حَفْصٍ **أَحْمَد الأكبر بن بُرْدٍ**،رحل مِنْ قُرْطُبَةَ إِلَى المَرِيَّةِ فاسْتَوْزَرَهُ المُعْتَصِمُ بنُ صُمَادِحَ صَاحِبُ المَرِيَّةِ(٤٤٤– ٤٨٠هـ)،ثُمَّ رَحَلَ إِلَى مُجَاهِد صَاحِبِ دَانية قَالَ ابن بَسَّامٍ إِنَّهُ فلك البلاغة الدائر ومثلها السائر،وجعله الحجاري فوق جده أَبِي حَفْصٍ الأكبر فِي النَّثْرِ. انْظُرْ :الحُمَيْدِيّ"**جَذْوَة المُقْتَبِس**" ١٨٣/١–١٨٤؛ابن خَاقَان"**مَطْمَح الأَنْفُس**"ص٢٠٧– ٢٠٨؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٤٨٦/١– ٥٣٥؛ الأَصْفَهَانِيّ"**خَرِيدَةُ القَصْرِ**"ق٤،ج٨٨/٢؛ ابْن دِحْيَةَ "**المُطْرِب**" ص١٢٧؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٨٦/١ – ٩١؛"**رَايَات المُبَرِّزِين**"١٢٠– ١٢١؛الصَّفَدِيّ"**الوافِي بِالوَفَيَات**" ٢٢٨/٧– ٢٢٩ .

[7] – ابْن زَيْدُونَ "**دِيوَانُهُ وَرَسَائِلُهُ**" ص٢٧٥؛ ابن خاقان "**قَلائِد العِقْيَانِ**"ق٢،ج٢٣٢/١ .

[8] – خاس: أَتى بالخسيس مِنَ الأفعال . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [خسس] ٦٤/٦ .

[9] – الانْتِهَاس: القبض عَلَى اللحم بمقدَّم الأَسنان ونَتْره . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [نهس] ٢٤٤/٦ .

[10] – العوابس مِنَ الذئاب: العاقدة أذنابها. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [عبس] ١٢٩/٦ .

فشَبَّه ابنُ زَيْدُونَ حَالَهُ وَقدِ ابْتَعَدَ النَّاسُ عَنْهُ وَخَذَلُوهُ **بِالسَّامِرِيِّ** الذي يتَجَنَّبُهُ النَّاسُ وَلا يَقْتَرِبُونَ مِنْهُ(١) وَلَمْ يُشَبِّهْ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ **سَامِرِيًّا** وَيسكتُ،بَلْ شَرَحَ وَفصَّلَ بِقَوْلِهِ: "يُتَّقَى مِنْهُ المِساسُ".

وَظَهَرَتْ صَورَةٌ مُغَايِرَةٌ تَمَامًا عِنْدَ **أبِي بَكْرٍ الزُّبَيْدِيِّ**(ت:٣٨٠هـ)(٢)حِينَ قَالَ(٣): [مجزوء الرمل]

أَشْــــعِرَنَّ قَلْبَـــــكَ يَاسَـــــا ... لَـيْسَ هَـذَا النَّـــاسُ نَاسَـــا

ذَهَـــبَ الإبْرِيـــزُ مِـــنْهُمْ ... فَبَقُـــوْا بَعْـــدُ نُحَاسَـــــا

سَـــــــامِرِيِّينَ يَقُولُــــــــو ... نَ جَمِيعًـــــا **لا مِسَاسَـــــا**

فَرُغْمَ تَشَابُهِ الوَضْعِ عِنْدَ هَذَا الإشْبِيلِيِّ مَعَ سابِقِهِ ابنِ زَيْدُونَ؛ فَكِلاهُمَا مَلأَ اليأسُ قَلْبَهُ،وَكِلاهُمَا يَرَى النَّاسَ قَدْ تَحَوَّلَتْ عَنْ الخَيْرِ وَالمَنْفَعَةِ،وَكِلاهُمَا يُبْصِرُ السُّوءَ وَالشَّرَّ فِي تَصَرُّفاتِ كُلِّ مَنْ حَوْلَهُ، وَكِلاهُمَا اتَّخَذَ صُورَةَ **السَّامِرِيِّ** لِيُعَبِّرَ عَنْ حَالِهِ مَعَ النَّاسِ.لكِنْ مَعَ أَبِي بَكْرٍ جَاءَتِ الصُّورَةُ مَعْكُوسَةً عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ عِنْدَ ابنِ زَيْدُونَ؛فَلَمْ يكُنِ الشَّاعِرُ نفْسَهُ مُشَبَّهًا **بِالسَّامِرِيِّ** الذي تَخَافُ النَّاسُ مساسَهُ أوِ القُرْبَ مِنْهُ،بَلْ كَانَ المُحِيطُونَ بِهِ جَمِيعُهُم برأيه،**سَامِرِيِّينَ**،يَقُولُونَ لَهُ **"لا مِسَاس"** وَيطلُبُون مِنْهُ البُعْدَ عَنْهُم.وَفِي الحَالَتَيْنِ جَاءَتِ الصُّورَةُ مُعَبِّرَةً بِطَرِيقَةٍ رَمْزِيَّةٍ طَرِيفَةٍ.

وَذَكَرَ الأَنْدَلُسِيُّونَ **السَّامِرِيَّ** فِي أَشْعَارِهِمْ غَالِبًا للدِّلالةِ عَلَى المَذَلَّةِ.**فَفِي أَبْيَاتٍ قِيلَتْ**(٤)فِي خُرُوجِ الصَّقَالِبَةِ(٥)مِنَ القَصْرِ مُهَانِينَ حِينَ طَرَدَهُمُ ابنُ أَبِي عَامِرٍ(ت:٣٩٢هـ)،مِنْهَا(٦):[السريع]

أُخْـــرِجَ مِـــنْ قَصْـــرِ إِمَـــامِ الهُـــدَى ... كُـــلُّ فَتَـــى مُنْبَسِـــطٍ جَـــائِرِ

فَمَـــنْ رَأَيْنَـــا مِـــنْهُمْ قَـــالَ: **لا** ... **مَسَـــاسَ**،فِعْـلَ النَّـــاسِ **بِالسَّـــامِرِ**

وكَذَلِكَ ذَكَرَ **أَبُو إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ**(ت:٤٥٩هـ) قِصَّةَ **السَّامِرِيِّ** أكثَرَ مِنْ مَرَّةٍ رُغْمَ قِلَّةِ إِنْتَاجِهِ الشِّعْرِيِّ المُتَمَثِّلِ فِي صِغَرِ حَجْمِ دِيوانِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الشُّعَرَاءِ،فَفِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ بَلَغَتْ مِائَةً وَاثْنَيْ عَشَرَ بَيْتًا بَدَأَ بِهَا دِيوَانَهُ(٧)،قامَ بإسْدَاءِ عَدَدٍ مِنَ النَّصائِحِ مِنَ الزَّاهِدِ العَابِدِ الذي يَتَأَمَّلُ الدُّنْيا وَصُرُوفَهَا مَعَ الإنْسَانِ،لِيَخْلُصَ إِلَى نَتِيجَةٍ بِأَبْيَاتٍ عَدِيدَةٍ بِهَا حِكْمَةٌ وَعُمْقٌ،مِنْهَا(٨): [الوافر]

وَخَـفْ أَبْنَـاءَ جِنْسِكَ وَاخْشَ مِنْهُم ... كَمَا تَخْشَى الضَّراغِمَ وَالسَّبَنْتَى(٩)

وَخَــــالِطْهُم وَزَايِلْهُــــمْ حِــــذَارًا ... وَكُـــنْ **كَالسَّـــامِرِيِّ** إذا لَمَسْـــتَا

وَإِنْ جَهِلُـــوا عَلَيْـــكَ فقُـــلْ سَـــلامًا ... لَعَلَّـــكَ سَـــوْفَ تَسْـــلَمُ إِنْ فَعَلْتَـــا

---

١ – ابن خاقان "**قَلائِد العِقْيَان**" ق٢،ج٢٣٢/١ .

٢ – هُوَ: أَبُو **بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ** الحَسَنِ **الزُّبَيْدِيُّ** الإشْبِيلِيُّ،سكنَ قُرْطُبَةَ،وَكَانَ إِمَامًا فِي النَّحْوِ وَاللغة وَالسير والأخبار،وَكَانَ شاعرًا كثير الشعر. له"الواضح" فِي النحو وَ"مُخْتَصَر كتاب العين" و"طبقات النحويين واللغويين بالمشرق والأنْدَلُسِ" وَغَيْرِهَا،واختاره الحَكَمُ المُسْتَنْصِر لتأديب وَلَدِه ولي عهده هشام المؤيد بالله، وتولى قضاء إِشْبِيلْيَةَ وخطة الشرطة، وَتُوُفِّيَ بِهَا قريبًا مِنْ ٣٨٠هـ .

انْظُرْ: الثَّعَالِبِيّ"**يَتِيمَة الدَّهْرِ**" ٨٠/٢– ٨١؛ ابن خَاقَان"**مَطْمَح الأَنْفُسِ**"ص٥٢؛ عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص ٣٠، ٩٤؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٣٧٢/٤– ٣٧٤؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢٥٥/١– ٢٥٦؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٦٤/٤– ٦٧، ٢٦٥/٩– ٢٦٦ .

٣ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٢٥/٥ .

٤ – القائل هُوَ: **سَعِيد الشَّنْتَرِينِيِّ**، لَمْ أعثر لَهُ عَلَى ترجمة.

٥ – بايع الصَّقَالِبَةُ هِشَامَ بنَ الحَكَمِ سَنَةَ ٢٦٦هـ،فَطَرَدَهُمُ المَنْصُور مِنَ القَصْرِ.والصَّقَالِبَةُ مِنْ جيلٍ يُتَاخِمُ بلادَ الخَزَرِ.يُنْسَبُونَ إِلَى صقْلُب مِنْ أبناء يَافِث بن نُوحٍ. انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَانِ**" ٤١٦/٣؛ الفَيْرُوز آبَادِيّ"**القَامُوس المُحِيط**" [صقلب] ٨٦ .

٦ – ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِيّ"**البَيَان المُغْرِب**" ٢٦٣/٢ – ٢٦٤ .

٧ – قَالَ فِي أَوَّلِها:[الوافر] تَفُتُّ فُؤادَكَ الأَيَّامُ فَتًّا ... وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتًا
وَتَدْعُوكَ المَنُونُ دُعاءَ صِدْقٍ: ... أَلا يَا صَاحِ،أَنْتَ أُرِيدُ، أَنْتَا أَبُو إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ "**دِيوَانُهُ**" ص ٢٤ .

٨ – أَبُو إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ "**دِيوَانُهُ**" ص٣٤ .

٩ – السَّبَنْدَى: الجَرِيء المُقْدِم مِنْ كل شيء ، وسُمِّي بِهِ النِّمر والأسد لشدتهمَا . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [سبت] ٢٠٣/٣ .

وَلَمْ يَكْتَفِ الشَّاعِرُ بِذِكْرِ كَلِمَةِ **السَّامِرِيِّ** فَحَسْبُ،بَلْ أَضَافَ إِلَيْهَا مَا زَادَ الصُّورَةَ رَهْبَةً حِينَ قَالَ "إِذا لَمَسْتَنَا" أَيْ لا يَقْتَرِبُ مِنْهُمْ وَلا يُلامِسُهُم حَتَّى يَنْجُوَ مِنْ شُرُورِهِمْ.وَلَمْ يَكْتَفِ **الإِلْبِيرِيُّ** بِأَبْيَاتِهِ هَذِهِ،بَلْ كَرَّرَ استخدامَ قِصَّةِ **السَّامِرِيِّ وَالمَسِّ** فِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى فَأَعْطَى صُورَةً طَرِيفَةً وَتَعْبِيرًا فِيهِ شَيْءٌ مِنَ التَّجْدِيدِ حِينَ نصَحَ أَنْ يَكُونَ الإنسانُ **كَالسَّامِرِيِّ**،بِقَوْلِهِ [1]: [الخفيف]

فَمِنَ الرَّأْيِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا[2]   **سَامِرِيًّا** يَدِينُ بِالانْزِوَاءِ

وَجاءَ **السَّامِرِيُّ** كَذَلِكَ فِي مُوَشَّحٍ **لابنِ سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيِّ** يَقُولُ فِيهِ[3]:

حَكَى يُوسُفَ   وَظَلَّ فِي البَحْرِ

كَالسَّامِرِيِّ

لَمَّا أُخْلِفْ   غَنَّيْتُ عَنْ جَهْرِ

غِنَا شَجِي

يَرَى الشَّاعِرُ مَمْدُوحَهُ كَالنَّبِيِّ يُوسُفَ فِي حُسْنِهِ وَجَمَالِهِ،لكنَّهُ هَجَرَهُ وَابْتَعَدَ عَنْهُ كَمَا يَظْهَرُ فِي الكَلامِ،فظَلَّ فِي البَحْرِ،وَلَمْ أَجِدْ تَعْلِيلاً مُنَاسِبًا لِقَوْلِهِ "البَحْر" إلا أَنَّهُ كَانَ يَقْصِدُ فِيهِ البِئْرَ مِنْ بَابِ المَجَازِ المُرْسَلِ وَكِلاهُمَا مَحَلٌّ للماءِ،وَأُرَجِّحُ أَنْ يَكُونَ سَبَبَ التَّشْبِيهِ بِيُوسُفَ هُنَا بُعْدُهُ عَنْ الشَّاعِرِ وَهُجْرانُهُ لَهُ،فَأَشْبَهَ يُوسُفَ حِينَ رُمِيَ فِي البِئْرِ.وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ البَحْرَ إِشَارَةٌ إِلَى غَرَقِ **السَّامِرِيِّ** مَعَ

---

[1] – أَبُو إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ "**دِيوَانُهُ**" ص ٩٧ .

[2] – تأثرا ببيت المُتَنَبِّي : وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ المَوْتِ بُدٌّ   فَمِنَ العَجْزِ أَن تكونَ جَبَانَا   المُتَنَبِّي"**شَرْح دِيوَانه**" ٤/٣٧٢ .

[3] – انْظُرْ : ابنِ سَهْلٍ "**دِيوَانُهُ**" ص٣٣٠ .

فِرْعَوْنَ لأنَّهُ عَصَى مُوسَى،إلا أنَّنِي أَسْتَبْعِدُ هَذَا الرَّأْيَ لأنَّ قِصَّةَ **السَّامِرِيِّ** حَدَثَتْ بَعْدَ أنْ ذَهَبَ مُوسَى لِمِيقَاتِ رَبِّهِ،وَبعدَ أنِ اجْتَازُوا اليَمَّ وَتَرَكُوا مِصْرَ وَبَعْدَ أنْ أغْرَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ فِي البَحْرِ.لكنَّ مَلامِحَ هَذَا المُسْتَعْطَفِ لَمْ تكُنْ قَبِيحَةً بَلْ كَانَ كَيُوسُفَ فِي الحُسْنِ،فَالهدفُ مِنْ ذِكْرِ **السَّامِرِيِّ** هُنَا قَضِيَّةُ البُعْدِ والهُجْرانِ دُونَ أَيِّ حَذَرٍ أَوْ تَخْوِيفٍ مِنْ قِصَّةِ "**لا مِسَاس**".

وأَحْيَانًا أَتَى الشَّاعِرُ الأنْدَلُسِيُّ بِقِصَّةِ **السَّامِرِيِّ** بِطَرِيقٍ غَيْرِ مُبَاشِرٍ،كَمَا فَعَلَ **ابنُ هَانِئٍ** حِينَ خَاطَبَ مُعَارِضِي مَمْدُوحِهِ تَمِيمِ بنِ المُعِزِّ بِقَوْلِهِ[١]: [الرجز]

لَكِـنَّكُمْ كُنْـتُمْ **كَأَهْـلِ العِجْـلِ** لَـمْ ... يُحْفَظْ لِمُوسَى فِيهُمُ هَارُونُ

فذَكَرَ **أَهْلَ العِجْلِ** قَاصِدًا أَتْبَاعَ **السَّامِرِيِّ**،وَهَذِهِ لَمْ أَجِدْ لَهَا أمثلةً أُخْرَى فِي أشْعَارِهِمْ.

٢ - يُوشَعُ بنُ نُونٍ

وَجَدْتُ أنَّ **يُوشَعَ** بنَ نُونٍ مِنْ أكثرِ الشَّخْصِيَّاتِ التَّوْرَاتِيَّةِ ذِكْرًا فِي الشِّعْرِ الأنْدَلُسِيِّ،فَقِصَّةُ **مُطَاوَعَةِ الشَّمْسِ لَهُ** أَخْصَبَتْ خيالَ الشُّعَرَاءِ،واحْتَلَّتْ مَسَاحَةً جيدةً فِي نَظْمِهِمْ،وَكَانَتْ المَعْنِيَّةَ حِينَ يُذْكَرُ **يُوشَعُ**.وَوُجُودُ **يُوشَعَ** كَثِيرًا فِي أَدَبِ الأنْدَلُسِيِّينَ لا يَعْنِي أنَّهُ غَابَ عَنِ أَدَبِ المَشَارِقَةِ؛ فَقِصَّتُهُ كَانَتْ مُلْهِمَةً لِكَثِيرٍ مِنْهُمْ أَيْضًا[٢].

وَفِي الأنْدَلُسِ كَانَ **ابنُ مَرْجِ الكَحْلِ**(ت:٦٣٤هـ)[٣] مِمَّنْ تَأَثَّرُوا **بِيُوشَعَ** بِمَكَانَيْنِ فِي شِعْرِهِ؛ الأوَّلُ مِنْهُمَا فِي مَجْلِسٍ لأبِي عِمْرَانَ مُوسَى[٤] فِي بُسْتَانٍ لَهُ كَانَ يَجْتَمِعُ فِيهِ مَعَ أَصْدِقَائِهِ،وَحِينَ

---

١ – ابن هَانِئ "**دِيوَانُهُ**" ص٣٥٥ .

٢ – كَانَتْ قِصَّةُ يُوشَعَ مُلْهِمَةً لِبَعْضٍ مِنْ كبارِ الشُّعَرَاءِ فِي المشرقِ العَرَبِيِّ. مِنْهُمْ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِيُّ(ت:٢٣١هـ) بِقَوْلِهِ: [الطويل]

فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ ... بِشَمْسٍ لَهُم مِنْ جَانِبِ الخِدْرِ تَطْلَعُ

فَوَ اللهِ مَا أَدْرِي: أَأَحْلامُ نَائِمٍ ... أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّكْبِ يُوشَعُ

أَبُو تمام "**دِيوَانُهُ**" ص١٦٧ .

وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي العَلاءِ المَعَرِّيّ(ت:٤٤٩هـ)عن **يُوشَع** أَنَّهُ رد بوحًا أي الشمس: [الوافر]

وَيُوشَعُ رَدَّ بُوحًا بَعْضَ يَوْمٍ ... وَأَنْتَ مَتَى سَفَرْتَ رَدَدْتَ بُوحًا

انْظُرْ: ابن خَلِّكَان "**وَفَيَاتُ الأَعْيَانِ**" ٢٢٨/٧؛ الشَّرِيف الغَرْنَاطِيّ "**رَفْعُ الحُجُبِ المَسْتُورَةِ**"١/٢٥ .

وَكَذَلِكَ جَاءَتْ فِي شِعْرِ علي الصَّنْعَانِيِّ بِقَصِيدَةٍ طويلة أولها : [الكَامِل]

أَرِيَاضُ رَوْضٍ أَشْرَقَتْ أَزْهَارُهُ ... تَفْتَرُّ عَنْ بِشْرٍ وَعَنْ سَرَّاءِ

أَمْ يُوشَعٌ فِي العَصْرِ قَدْ رُدَّتْ لَهُ ... شَمْسُ النَّهَارِ بِحِنْدِسِ الظَّلْمَاءِ الشَّوْكَانِيّ "**البدرُ الطَّالِعُ**" ٤٧٠/١ .

٣ – هُوَ الشَّاعِرُ: **مُحَمَّدُ بنُ إِدْرِيس** بنُ عَلِيّ بنُ القَاسِمِ،يُكنى أَبَا عبد الله وَيُعْرَفُ **بابنِ مَرْجِ الكُحْلِ**،مِنْ بَلَنْسِيَةَ وَسكن جزيرة شُقر،وَكَانَ مبتذل اللباس عَلَى هيئة أهل البادية،وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ أُمِّيًّا، وَكَانَ شَاعِراً غَزِلاً، بَارِعَ التَّوْلِيدِ، رَقِيقَ الغَزَلِ. تُوُفِّيَ ببلده سَنَةَ ٦٣٤هـ .

انْظُرْ: ابن خَمِيس المَالِقِيّ "**أُدَبَاء مَالَقَة**" ص ١٥٤– ١٦١؛ابن سَعِيد "**رَايَات المُبَرِّزِين**" ٢٢٠– ٢٢١؛ ابن الخَطِيب "**الإِحَاطَة**" ٣٤٣/٢ – ٣٤٨؛"**أَعْمَال الأَعْلام**"ص١٥٩ – ١٦٢؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٤٧/٧ – ٥٧ .

٤ – لَمْ تذكر المَصَادِرُ مَنْ هُوَ،قَدْ يكون الوَزِير:أَبُو **عِمْرَانَ مُوسَى بنُ رِزْق** صَاحِبُ الشَّاعِرِ الرُّصَافِيُّ البَلَنْسِيُّ.قَالَ عَنْهُ ابن خَمِيسٍ إِنَّهُ كَانَ كَرِيمًا مَقْصُودًا جَمِيلَ العِشْرَةِ،وَكَانَ طلبة مَالَقَة يَجْتَمِعُونَ فِي مَنْزِلِه لا يَبْرَحُونهُ لَيْلاً وَلا نَهَارًا،وَكَانَ لَهُ بُسْتَانٌ يَخْتَصُّ بِهِمْ لِجُلُوسِهِمْ وَمُنَاظَرَاتِهِمْ،وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ البُسْتَانِ أَوْصَافٌ عَجِيبَةٌ وَمَعَانٍ مُخْتَرَعَةٌ،وَلَهُمْ فِيهِ أَمْدَاحٌ رَائِعَةٌ،ومنهم الرُّصَافِيُّ وَابنُ مَرْجِ الكَحْلِ في أبياتٍ ستأتي،وبمَا أَنَّ ابنَ مَرْج مُتَأَخِّرٌ زَمَنِيًّا عَنِ الرصافي يكون قَدْ قالها وهو صَغِيرُ السِّنِّ إِنْ كَانَتْ قِيلَت فِي مُوسَى المَمْدُوحِ نَفْسِهِ، لكنْ أُرَجِّحُ أَنْ تَكُونَ قِيلَتْ فِي مَنْ اسْمُهُ مُوسَى أَبُو عمران وَلَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَكُونَ الاثْنَانِ نَظَمَا أَبْيَاتِهِمَا فِي الشَّخْصِ نَفْسِهِ.

انْظُرْ: ابن خَمِيس المَالِقِيّ "**أُدَبَاء مَالَقَة**" ص٢٠٠ – ٢٠٢؛ابن سَعِيد "**رَايَات المُبَرِّزِين**"٢١١– ٢١٣ .

دَنا الغُرُوبُ لَمْ يَخْشَ **ابنُ مَرْجِ الكَحْلِ** الظَّلامَ لأنَّ سَنَا مُوسَى عَمَّ المَكانَ، فَقالَ[1]: [الكامل]

فَــانْعَمْ أَبَــا عِمْــرانَ وَالْـــهُ بِرَوْضَــةٍ　　　حَسُنَ المَصِـيفُ بِهَـا وَطَـابَ المَرْبَـعُ
الشّـــمْسُ يَغْـــرُبُ نُورُهَـــا وَلَرُبَّمَـــا　　　كُسِــفَتْ،وَنُورُكَ كُــلَّ حِــينٍ يَطْلُــعُ
إِنْ غَــابَ نُــورُ الشّــمْسِ بِتْنَــا نَتَّقِـي　　　بِسَــــنَاكَ لَيْــــلَ تَفَــــرُّقٍ يَتَطَلّـــعُ
أَفَلَــتْ فَنَــابَ سَــنَاكَ عَــنْ إِشْــرَاقِهَا　　　وَجَــلا مِــنَ الظّلَمَــاءِ مَــا يُتَــوَقَّعُ
فَأَمِنْــتُ يَــا مُوسَــى الغُــرُوبَ وَلَــمْ أَقُلْ　　　"فَــوَدِدْتُ يَــا مُوسَــى لَــو انَّــكَ **يُوشَــعُ**"

وَكَانَ مُنَاسِبًا أَنْ يأْتِيَ ابنُ مَرْجِ الكُحْلِ بِقِصَّةِ "**يُوشَعَ**" فِي مَقَامٍ تَحَدَّثَ فِيهِ عَنْ نُورِ المَمْدُوحِ المُسَمَّى مُوسَى وَيُكَنَّى بِأَبِي عِمْرَانَ،وَهَذَا يُذَكِّرُ بِالنَّبِيِّ مُوسَى بنِ عِمْرَانَ.فَحَصَلَتِ التهيئةُ بِالأَسْمَاءِ مَعَ نُورِ المَمْدُوحِ الذي يَطْلُعُ كُلَّ حِينَ لِيَدْخُلَ القارِئُ فِي أَجْوَاءِ قِصَّةِ "**يُوشَع**" حَتَّى لَوْ لَمْ يَذْكُرْهَا الشَّاعِرُ.

وَكَانَ الشَّاعِرُ،فِيمَا أَرَى،حَذِرًا مِنْ أَنْ تَطْغَى الصِّبْغَةُ التَّوْرَاتِيَّةُ عَلَى القِصَّةِ؛لِذَا لَمْ يَقُلْ إِنَّهُ يَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ مَمْدُوحَهُ "**يُوشَعَ**"،وَلِعَدَمِ تَمَنِّي الشَّاعِرِ أَنْ يَكُونَ مَمْدُوحُهُ "**يُوشَعَ**" ثلاثةُ أَوْجُهٍ مِنَ التَّأْوِيلِ عِنْدِي؛أَوَّلُهَا أَنَّهُ يَرَى أَنَّ مَمْدُوحَهُ تَفَوَّقَ عَلَى "**يُوشَعَ**" بِكَوْنِهِ يُضِيءُ حَتَّى حِينَ تَخْتَفِي الشَّمْسُ وَلا يَأْفُلُ نُورُهُ أَبَدًا،وَقَدْ يُفْهَمُ مِنْ هَذَا أَكْثَرُ؛**فَيُوشَعُ** النَّبِيُّ احْتَاجَ أَنْ تَتَوَقَّفَ الشَّمْسُ لِيُكْمِلَ قِتَالَهُ،وَكَانَ هَذَا مُعْجِزَةً وَلِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ بَيْنَمَا المَمْدُوحُ يَنْشُرُ سَنَاهُ لِمَنْ حَوْلَهُ بِدَيْمُومَةٍ وَلَيْسَ فِي يوم وَاحِدٍ أَوْ حَادِثَةٍ وَاحِدَةٍ،وَفِي هَذَا مُبَالَغَةٌ وَاضِحَةٌ،وَالمُبَالَغَةُ سِمَةٌ فِي مُعْظَمِ مَدائِحِهِ كَمَا يَرَى صَلاح جَرَّار[2].والوَجْهُ الثَّانِي هُوَ خوفُهُ أَنْ يُشَبِّهَ مَمْدُوحَهُ بِنَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اليَهُودِ لَمْ تَتَأَكَّدْ نُبُوَّتُهُ عِنْدَ المُسْلِمِينَ.

وَثَالِثُ الأَوْجُهِ،وَهُوَ الذي أُرَجِّحُهُ،أَنَّهُ أَرادَ مُخَالَفَةَ **الرُّصَافِيِّ**(ت:٥٧٢هـ)[3] بِقَوْلِهِ[4]: [الكامل]

مَا مِثْلُ مَوْضِعِكَ ابنَ رِزْقٍ مَوْضِعُ　　　رَوْضٌ يَــرِفُّ وَجَــدْوَلٌ يَتَــدَفَّعُ
وَعَشِــيَّةٌ لَبِسَــتْ رِدَاءَ شُــحُوبِها　　　وَالجَــوُّ بِــالغَيْمِ الرَّقِيــقِ مُقَنَّــعُ
بَلَغَــتْ بِنَــا أَمَــدَ السُّــرورِ تَأَلُّفَــا　　　وَاللَيْــلُ نَحْــوَ فِراقِنَــا يَــتَطَلّعُ
فَابلُــلْ بِهَــا زَمَــنَ الغَبُــوقِ فَقَدْ أَتَــى　　　مِنْ دُونِ قُرْصِ الشّمْسِ مَـا يُتَـوَقّعُ
سَــقَطَتْ وَلَــمْ تَمْلِــكْ يَمِينُــكَ رَدَّهَــا　　　فَوَدِدْتُ يا مُوسَى لَو أَنَّكَ **يُوشَعُ**

فَقَلَبَ ابنُ مَرْجِ الكُحْلِ الصُّورَةَ وَجَدَّدَ؛فَجَعَلَ سَنَا مَمْدُوحِهِ مُوسَى بنِ أَزْرَقَ بَدِيلاً لِغِيابِ الشَّمْسِ فِي ذاك البُسْتَانِ.فَلَمْ يكنْ مُقَلِّدًا وَحَسْبُ،بَلْ أَتَى بِمَعْنَى جَدِيدٍ وَمُعَاكِسٍ لِلمَعْنَى تَمَامًا.فالرُّصَافِيُّ تَمَنَّى لَوْ أَنَّ مُوسَاهُ **يُوشَعُ**،وَجَاءَتِ الأُمْنِيَةُ كَذَلِكَ فِي سِياقٍ مُنَاسِبٍ وَدقيقٍ وَمُنْسَجِمٍ مَعَ التَّفَاصِيلِ الشِّعْرِيَّةِ فِي الأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ،وَلَمْ تأْتِ قِصَّةُ **يُوشَعَ** هُنَا مُقحَمَةً أَوْ غَرِيبَةً عَنِ السِّيَاقِ؛فَخَوْفُ الشَّاعِرِ مِنْ قُدُومِ اللَّيْلِ بَدَأَ يَظْهَرُ مِنَ

---

١ – انْظُرْ: صفوان ابن إدريس"**زَادُ المُسَافِرِ**"ص٧٠–٧١؛ ابن خَمِيس المَالقِيّ"**أُدَباء مَالَقَةَ**"ص٢٠١؛عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**" ص٢٢٢؛ الشَّرِيف الغَرْنَاطِيّ "**رَفْع الحُجُبِ المَسْتُورَةِ**"١/٢٥؛ ابن الخَطِيب"**الإحَاطَة**"٢/٣٤٦– ٣٤٧؛"**أَعْمَال الأَعْلام**"ص٢٧٨؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٧/٥٣،٥٠؛ صلاح جَرَّار "**مَرْجُ الكُحْلِ الأَنْدَلُسِيُّ؛ سِيرَتُهُ وَشِعْرُهُ**" ص 126–127 .

٢ – انْظُرْ: صلاح جَرَّار"**مَرْجُ الكُحْلِ الأَنْدَلُسِيُّ؛ سِيرَتُهُ وَشِعْرُهُ**" ص٧٧ .

٣ – هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو عبد الله مُحَمَّدٌ **بنُ غالب البلنسيّ** المَعْرُوفُ **بِالرُّصَافي** بضم الراء،أَصلُهُ مِنْ رُصَافة [بليدة بقرب بَلَنْسِيَةَ]،خرج صَغِيرًا مِنْ وطنه فَكَانَ يكثر الحنين إِلَيْهِ،ثُمَّ استوطن مَالَقَةَ إِلَى أَن تُوُفِّيَ بِهَا ٥٧٢هـ.ووُصِفَ بِأَنَّهُ رُومِيُّ الأَنْدَلُسِ لِحُسْنِ اخْتِرَاعِهِ وَتَوْلِيدِهِ،وَامْتَازَ شِعْرُهُ بِالرِّقَّةِ وَسَلاسَةِ الطَّبْعِ،وَعَابَهُ بَعْضُهُمْ بِالإِقْلالِ.وَلَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ قَالَ صَاحِبُ الشَّذَرَاتِ أَنَّ كُلَّهُ مُلَحٌ. انْظُرْ: ابن خَمِيس المالقي"**أُدَباء مَالَقَةَ**"ص٦٨–٨٥؛ عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص٢٨٦– ٢٩٢؛ ابن الأَبَّار"**التَّكْمِلَة**" ٢/٤٦– ٤٧؛ ابن الأَبَّار "**المُقْتَضَب مِنْ تُحْفَةِ القَادِمِ**" ص٧٥–٧٩؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/٣٤٢– ٣٥٣؛"**رَايَات المُبَرِّزِين**"٢١١– ٢١٣؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" ٢ /٧٤/١؛ ابن الخَطِيب"**الإحَاطَة**" ٢/٥٠٥؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٥/٣٥– ٣٦؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَبِ**" ٢/٢٤٢ .

٤ – عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص٢٢٢؛ ابن الأَبَّار "**المُقْتَضَب مِنْ تُحْفَةِ القَادِمِ**" ص٧٩؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/٣٥٠؛ الشَّرِيف الغَرْنَاطِيّ "**رَفْع الحُجُبِ المَسْتُورَةِ**" ١/٢٥؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٤/٣٩٢، ٧/٥٣ .

الأَبْيَاتِ السَّابِقةِ،وَهَذَا هَيَّأَ القارئَ للتَّوَقُّعِ وَقُبُولِ قِصَّةِ **يُوشَعَ**.وَأَتَوَقَّعُ أَنَّ القَارِئَ بَدَأَ يَتَمَنَّى لَوْ يَظْهَرُ **يُوشَعُ** فَيُؤَخِر لَهُم غُرُوبَ الشَّمْسِ قَبْلَ أَنْ يَذْكُرَ الشَّاعِرُ هَذِهِ الأمنيةَ.

وَلَمْ يَظْهَرِ التَّأَثُّرُ بِقِصَّةِ **يُوشَعَ** بِقِلَّةٍ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ؛ **فالرُّصَافِيُّ** نَفْسُهُ أَشَارَ إِلَى قِصَّةِ **يُوشَع** حِينَ وَفدَ سَنَةَ ٥٥٦هـ وَلَمْ تَكْمُلْ لَهُ عِشْرُونَ سَنَةً [١] على عَبْدِ المُؤْمِنِ(ت:٥٥٨هـ) [٢] في جَبَلِ طَارِقٍ، فَذَكَرَ **يُوشَعَ** "قَمَّاع الجَبَابِيرِ" بِقَوْلِهِ[٣]: [البسيط]

إِذَا صَدَعْتَ بِأَمْرِ اللهِ مُجْتَهِدًا	ضَرَبْتَ وَحْدَكَ أَعْنَاقَ الجَمَاهِيرِ
فَالبَحْرُ قَدْ عَادَ مِنْ ضَرْبِ العَصَا يَبَسًا	وَالأَرْضُ قَدْ غَرِقَتْ مِنْ فَوْرِ تَنُّورِ
وَالشَّمْسُ إِنْ ذَكَرَتْ مُوسَى فَمَا نَسِيَتْ	فَتَاهُ **يُوشَعَ** قَمَّاعُ الجَبَابِيرِ

وَالقَصِيدَةُ تَمْتَلِئُ بِإِيحَاءَاتٍ تُكْمِلَ خُطُوطَ صُورَةِ **يُوشَعَ**،قَالَ فِي أَوَّلِهَا[٤]: [البسيط]

لَوْ جِئْتَ نَارَ الهُدَى مِنْ جَانِبِ الطُّورِ	قَبَسْتَ مَا شِئْتَ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ نُورِ

وَمَلأَ الشَّاعِرُ القَصِيدَةَ ألفاظًا تُشعِرُ بالنُّورِ وَالظَّلامِ،وهُمَا المِحْوَرَانِ اللذانِ قَامَتْ عَلَيْهِمَا القِصَّةُ مِنْهَا: "نار الهُدى،وجانبِ الطُّور،مِنْ نُورِ النُّبُوَّةِ،نُورِ الهِدَايَةِ تَجْلُو ظُلْمَةَ الزُّورِ،وَالإِيمَانِ وَالكُفْرِ،لَيْلاً، دَيْجُورٍ،أَضَاءَتْ،عَنْ قَبَسٍ،نُورٌ،الشَّمْسِ"،وَبِهَذَا نَشَرَ أَجْوَاءً مُنَاسِبَةً مُمَهِّدَةً لِقِصَّةِ **يُوشَعَ**.إلا أَنَّهُ يُلاحَظُ

---

[١] – عَبْدَ الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**" ص ٢٢١ .

[٢] – هُوَ زعيم المُوَحِّدِينَ: **عَبْدُ المُؤْمِنِ بنُ عَلِيٍّ الكُومِيّ**(٤٨٧– ٥٥٨هـ) أَمَّرَهُ ابن تومرت عَلَى الجيش وقاتل المُرَابِطِينَ،إلى أن تُوُفِّيَ ابن تومرت سَنَةَ ٥٢٤هـ،فقام بعده عبد المؤمن. وصفه المَرَّاكُشي بِأَنَّهُ كَانَ مُؤثرًا لأهل العلم،مُحبًا لهم،مُحْسِنًا إِلَيْهِم.وبعد وفاة زعيم المُرَابِطِينَ علي بن يُوسُفَ بنِ تَاشَفِينَ سَنَةَ ٥٣٧هـ دان لعبد المُؤْمِنِ جميع أقطار المَغْرِبِ الأقصى مِمَّا كَانَ يملكه المُرَابِطُونَ.

انْظُر : عَبْدَ الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص ١٨٠–١٨٥، ١٩٢–٢٧٦ .

[٣] – عَبْدَ الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص ٢٢١؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/٣٥٠ .

[٤] – عَبْدَ الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص ٢١٨ .

غَلَبَةُ المُؤَثِّرَاتِ القُرْآنِيَّةِ أَكْثَرُ مِنَ التَّوْرَاتِيَّةِ فِي صِيَاغَةِ الصُّورَةِ الشِّعْرِيَّةِ؛**فَيُوشَعُ** "فَتَى مُوسَى"[1]، وَنَارُ الهُدَى تَأْتِي "مِنْ جَانِبِ الطُّورِ"[2].

وَالمَوْقِعُ الثَّانِي **لابنِ مَرْجِ الكَحْلِ** حِينَ مَدَحَ المُتَوَكِّلَ (ت:٦٣٥هـ)[3] بِقَوْلِهِ[4]: [الطويل]

فَتَحْتَ بِلادَ اللهِ دُونَ مَشَقَّةٍ وَمَا عَرَفَتْ أَرْبَابُهَا حَادِثًا نُكْرًا
ولا بُدَّ مِنْ فَتْحِ البَقِيَّةِ عَاجِلاً وَيَجْعَلُ للأَشْيَاءِ خَالِقُهَا قَدْرًا
فَيُوشَعُ رَدَّ الشَّمْسَ فِي جَرَيَانِهَا وَمَا بَعُدَتْ نُورًا وَلا نَقَصَتْ قَدْرًا

فيأْمُلُ الشَّاعِرُ أَنْ يُكمِلَ المَمْدُوحُ فَتْحَ بَقِيَّةِ بِلادِ الله بَعْدَ هَذَا الفَتْحِ،وَيشِير إِلَى أَنَّ مَا تَأَخَّرَ مِنْ أَعْمَالِ الإِنْسَانِ قَدْ يَتَفَوَّقُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ،وَيُدَلِّلُ عَلَى هَذَا بِقِصَّةِ **يُوشَعَ** الذي حَقَّقَ النَّصْرَ عَلَى أَعْدَائِهِ آخِرَ اليَوْمِ وَقْتَ الغُرُوبِ،فَكَانَتِ الفَضِيلَةُ التِي تَحَصَّلَتْ **لِيُوشَعَ** بعدَ العَصْرِ أَفْضَلَ مِمَّا حَقَّقَهُ فِي البِدايات، ثُمَّ يُوَضِّحُ ابنُ **مَرْجِ الكَحْلِ** كَلامَهُ أَكْثَرَ فَيُفَسِّرُهُ بالأَبْيَاتِ التَّالِيَةِ،قائلا[5]: [الطويل]

قَضَى رَبُّهُ أَنْ يَمْلِكَ الأَرْضَ آخِرًا فَقَدَّمَهُ فَضْلاً وَأَخَّرَهُ عَصْرًا
وَكَمْ آخِرٍ قَدْ جَاءَ بِالفَضْلِ أَوَّلاً وَهَلْ تُجعَلُ الدُّنْيَا سَوَاءٌ مَعَ الأُخْرَى
فَفِي رَمَضَانَ لَيْلَةُ القَدْرِ كَوْنُهَا وَمَا صَحَّحَتْ إلا أَوَاخِرَهُ العَشْرَا

ومِثْلُ الشَّاعِرَين ابنِ مَرْجِ الكَحْلِ وَالرُّصَافِيِّ وَظَّفَ أَبُو **عبدِ اللهِ الشَّرَّان**[6] قِصَّةَ **يُوشَعَ** أكثرَ مِنْ مَرَّةٍ كَذَلِكَ، وَاحِدَةٌ مِنْهَا فِي مِدْحَةٍ طَوِيلَةٍ، قَالَ فِيهَا[7]: [الكامل]

لَهُ غُرَّةٌ لَوْ أَلْبِسَ اللَّيْلُ نُورَهَا لَلاحَ لَدَيْنَا فِيهِ بُرْهَانُ **يُوشَعَا**

وَلَمْ يأتِ تَطْوِيعُ أَبِي عَبْدِ اللهِ الشَّرَّانِ لِهَذِهِ القِصَّةِ التَّوْرَاتِيَّةِ مُقْحَمًا عَلَى جَوِّ القَصِيدَةِ،بَلْ أَضَاءَ الشَّاعِرُ سَمَاءَ أَبْيَاتِ القَصِيدَةِ التِي نَاهَزَتِ السِّتِّينَ بَيْتًا بِلَيْلٍ وَنُجُومٍ،وَسِرَاجٍ يَطْلُعُ لِيَحْصُلَ انْسِجَامٌ وَتَآلُفٌ بَيْنَ شَمْسِ **يُوشَعَ** وَبَقِيَّةِ الإِشْرَاقاتِ المُنْتَشِرَةِ فِي الأَبْيَاتِ لِيَتَنَاسَبَ مَعَ تَوْظِيفِهِ لِلقِصَّةِ.

---

1 – تَأَثَّرَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ **سُورَةِ الكَهْفِ**، آيَة ٦٠ .

2 – تَأَثَّرَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ **سُورَةِ مَرْيَمَ**، آيَة ٥٢ .

3 – هُوَ السُّلْطَان: مُحَمَّدُ بن يُوسُفَ **بن هُودٍ** الجذامي **المُتَوَكِّل عَلَى** الله، ثار بمُرْسِيَةَ وَادَّعَى أَنَّهُ مِنْ مُلُوكِ سَرَقُسْطَةَ ثُمَّ مَلَكَ مُرْسِيَةَ. ثارتْ بلاد الأَنْدَلُسِ عَلَى المَأْمُونُ وانقادتْ لابنِ هُودٍ سَنَةَ ٦٢٥هـ،خَطَبَ للعَبَّاسِيِّينَ وَاتَّخَذَ السَّوَادَ شِعَارًا، وَكَانَ عَامِّيًا جَاهِلاً مَشْؤُومًا عَلَى الأَنْدَلُسِ، بدأت تسقط البلاد بأيدي النَّصَارَى فِي عصره.إلى أَنْ قَتَلَهُ وَزِيرُهُ مُحَمَّدٌ ابنُ الرُّمَيْمِيّ غِيلَةً سَنَةَ ٦٣٥هـ فِي المَرِيَّةِ .

انْظُر:"**المُغْرِب**" ٢/٢٥١– ٢٥٢؛ عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص ٣٣٥–٣٣٦؛ ابن الأَبَّار"**التَّكْمِلَة**" ١٢٦/٤ ،١٩٢؛ "**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ٣٠٣/٢؛ ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَة**" ١٢١/٢– ١٢٧؛ "**أَعْمَال الأَعْلَام**"ص١٦٠ – ١٦٢ .

٤ – ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلَام**" ص١٦٠ – ١٦٢ .

٥ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٦ – هُوَ : أَبُو **عبد الله** مُحَمَّدٌ بن إِبْرَاهِيمَ **الشَّرَّان** الفقيه الكاتب الشَّاعِرُ الغَرْنَاطِيّ،كان حيّاً سَنَةَ ٨٣٧هـ. لَهُ أرجوزة فِي الفرائض وشرحها القلصادي.

انْظُر:ابن فُرْكُون "**مُظْهِر النُّورِ**" ص٢٩؛ مُحَمَّد بن مخلوف "**شجرة النور الزكية**" ص ٢٤٨ ؛ المَقَّرِيّ "**أَزْهَارُ الرِّيَاضِ**" ١١٦/١؛ أحمد التنبكي "**نَيْل الابْتِهَاج**" ٢١٤/٢–٢١٥ .

٧ – ابن فُرْكُون "**مُظْهِر النُّورِ**" ص٤٥ .

وَكَرَّرَ **الشَّرَّانُ** تَوْظِيفَ الرُّمُوزِ السَّابِقَةِ فِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى له،قَالَ فِيهَا[1]: [الطويل]

وَإِذا دَجَـا لَيْـلُ العَجَـاجِ بِمَعْـرَكٍ وَبَــدَا،رَأَيْنَا مَــا رَآهُ **يُوشَــعُ**

وفِي المُوَشَّحاتِ كَذَلِكَ جاءَتْ قِصَّةُ **يُوشَعَ**، وَمِنْهَا مُوَشَّحٌ **لابنِ زُهْر** قَالَ فيه[2]:

مَنْ لِصَبٍّ غَدَا مَشُوقْ ظَلَّ فِي دَمْعِهِ غَرِيقْ حِينَ أَمُّوا حِمَى العَقِيقْ[3]

وَاسْـتَقَلُّوا بِـذِي الغَضَـا[4] أَسَـفِي يَـوْمَ وَدَّعُـوا

مَـا تَـرَى حِـينَ أَظْعَنَـا وَسَرَى الرَّكْبُ مَوْهِنَا[5] وَاكْتَسَـى اللَّيْـلُ بِالسَّـنَا

نُـورُهُم ذَا الـذِي أَضَـا أَمْ مَـعَ الرَّكْـبِ **يُوشَـعُ**

فَكَانَ **يُوشَعُ** فِي المُوَشَّحِ كَمَا كَانَ فِي الشِّعْرِ التَّقْلِيدِيِّ نُورًا شَدِيدًا يَأْتِي وَقْتَ اشْتِدَادِ الظَّلامِ وَانْقِطَاعِ الأَمَلِ،فَيَبْعَثُ النُّورَ وَيُعِيدُ الأَملَ بِسُوَيْعَاتٍ مِنَ اللَهْوِ وَالمَرَحِ وَالسُّرُورِ.

٣ - بَلْعَام

كانَتْ قِصَّةُ **بِلْعَامَ**[6] دَليلاً آخَرَ عَلَى تَأَثُّرِ الأَنْدَلُسِيِّينَ باليَهُودِ.فذُكِرَتْ مَثَلاً فِي أَبْيَاتٍ أَرْسَلَهَا **لِسَانُ الدينِ ابنُ الخَطِيبِ** إِلَى ابنِ مَرْزُوقٍ التِّلِمْسَانِيِّ(ت: ٧٥٣هـ)[7]قَالَ فِيهَا[8]:[الطويل]

تَعَلَّــمَ طَيْفُــورِي خِلالَ سَــمِيِّهِ وَإِنْ كَــانَ مَنْسُــوبًا إِلَــى غَيْــرِهِ

وَجَــاءَ فَقِيــرَ الوَقْــتِ لابِـسَ خِرْقَــةٍ فَلَــيْسَ بِــرَاضٍ غَيْــرَ صُــحْبَةِ[9][10]

---

١ – ابن فُرْكُون "**مُظْهِر النُّور**" ص٤٧ .

٢ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ١٩/٣ .

٣ – **العَقِيقُ**: وادٍ بالحجاز عَلَى ميلين مِنَ المَدِينَةِ المنورة وقِيلَ عَلَى عشرة أميال مِنْهَا، مات بِهِ سعد بن أبِي وقاص رضي الله عنه. وَفِي بلاد العَرَبِ مواضع كَثِيرَةٌ تسمى العَقِيقَ؛ ويُقَالُ لِكُلِّ مَا شَقَّه ماء السيل فِي الأَرض فأَنهره ووسَّعه عَقِيق. انْظُرْ:ابن خَلِّكَان "**وَفَيَات الأَعْيَان**" ١٣٨/٤-١٣٩؛ ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [عقق] ٢٥٥/١٠؛ الحِمْيَرِيّ"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص٤١٦- ٤١٧ .

٤ – الغَضَا: شَجَر ؛ وَهُوَ مِنْ نَباتِ الرمل لَهُ هَدَب . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [غضا] ١٢٨/١٥ .

٥ – مَوْهِنًا: نحو مِنْ نصف الليل أَوْ بعد ساعة مِنْهُ وَقِيلَ هُوَ حِينَ يدبر الليل . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [وَهن] ٤٥٥/١٣ .

٦ – هُوَ: **بَلْعَام أَوْ بَلْعَم** بدون ألف رابعة،وفِي "لِسَان العَرَبِ" بَلْعَم لكن يشير إِلَى أَنَّ الكلمة ليست عربية،وقَدْ وَرَدَ الاسم بعدة أشكال ليس هَذَا مجال التدقيق فِيهَا فقَالُوا ابن باعورا أَوْ باعوراء أَوْ باعور أَوْ باعر . انْظُرْ قصته في: ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" ٢٦٤/٢ – ٢٦٧؛ النُّوَيْرِيّ "**نِهَايَة الأَرَب**" ٢٦٧/١٣ – ٢٧١؛ ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [بلعم] ٦٥/١٢ .

٧ – هُوَ الخَطِيبُ: ابنُ **مَرْزُوق أبُو** عبد الله مُحَمَّدُ بنُ أحمدَ التِّلِمْسَانيُّ،عمل حاجبًا فِي الدولة الغَرْنَاطِيَّةِ،وُلِدَ فِي تِلِمْسانَ عام ٧١٠هـ . تنقل بين كتابة الرِّسَالَة وولاية القضاء بين المَغْرِبِ والأَنْدَلُسِ.وَكَانَ المَقَّرِيّ يُلَقِّبُهُ بعالم الدُّنيا. انْظُرْ:ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَة**"٦٣/٣-١٠٥؛ المَقَّرِيّ"**نَفْحُ الطِّيب**"٣٤٠/٢- ٣٤٣، ٣١٩/٣، ٤٣٠، ٤٣٢، ٩٥/٧-١٣٧، ١٤٤- ٣٦٥-٣٨٩، ١٠٦/٩-١٠٧، ١٣٦، ١٤٠، ١٩٨ .

٨ – ابن الخَطِيب السلماني "**دِيوَانُهُ**" ٥٥٤/٢؛ المَقَّرِيّ "**أَزْهَارُ الرِّيَاض**" ٣٠١/١ .

٩ – **بِسْطَامُ** : بالكسر ثم السكون،ليس مِنْ أَسْمَاء العَرَبِ،وإِنَّمَا سُمِّيَ بِهِ قيسُ بنُ مسعود ابنَه بِسْطاماً باسم ملك مِنْ مُلوك فارِس،كَمَا سَمَّوا قابُوس وَدَخْتَنُوس،فعرَّبوه بكسر الباء.**وَبِسطام** بلدة كَبِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ مِنْ أعمال قومس وَيُقَالُ إِنَّها أَوَّلُ بِلادِ خُرَاسَانَ مِنْ جِهَةِ العِرَاقِ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى نيسابور بعد دامغان، وَفِيهَا قَبْرُ أَبِي يَزِيدِ البِسْطَامِيّ طَيْفُورَ. انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَان**" ٤٢١/١ – ٤٢٢ ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [بسطم] ٥٠/١٢؛ الفَيْرُوز آبَادِيّ"**القَامُوسُ المُحِيطُ**" [بسطم] ٨١/٤ .

١٠ – المَقَّرِيّ "**أَزْهَارُ الرِّيَاض**" ٣٠١/١

فَـــدَيْتُكَ لا تَـــرُدْهُ عَنْـــكَ مُخَيَّبًـــا   وَدَرِّسْـــهُ يـــا مَـــوْلايَ قِ◌صَّـــةِ◌[1]

انْظُرْ كَيْفَ جمعَ ابنُ الخَطِيبِ بَيْنَ الطَّيْفُورَيْنِ؛فالطَّيْفُورُ[2] لَيْسَ أَبَا زَيْدٍ البِسْطامِيِّ[3] لأَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى غَيْرِ بِسْطَام،لكِنْ فِي البَيْتِ الثَّانِي يُوصَفُ هَذَا الطَّائِرُ بِأَنَّهُ ضَعِيفُ الحَجْمِ قَلِيلُ اللَّحْمِ بِقَوْلِهِ "فقيرٌ،لابسُ خِرْقَةٍ"،فَكَأَنَّهُ مُرِيدٌ تَعَلَّمَ الزُّهْدَ مِنْ سَمِيِّهِ طَيْفُورَ البِسْطَامِيِّ العَابِدِ الذي نَحَلَ جِسْمُهُ مِنْ شِدَّةِ الصِّيَامِ،ثُمَّ كَانَ "فَقِيرَ الوَقْتِ"،وَقَدْ يَكُونُ بِهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ إِنْ مرَّ عَلَيْهِ وَقتٌ كَبيرٌ سَيَفْسُدُ فَيَجِبُ أَكْلُهُ عَلَى الحَالِ لكونِهِ مَطْبُوخًا جاهِزًا للأكلِ،كَمَا أَنَّ مُرْسِلَهُ غَطَّاهُ بِخِرْقَةٍ كَخِرَقِ الصُّوفِيِّينَ،إلى هُنَا قَدْ يُصْبِحُ مَعْنَى الأَبْيَاتِ مَفْهُومًا.لكن فِي البَيْتِ الأخيرِ غُمُوضٌ؛فَمَا وَجْهُ المُقَارَبَةِ بَيْنَ قِصَّةِ **بِلْعَامَ** وَهَذَا الطُّوَيْئِرِ؟حِينَ غَيَّرتُ فِي مُنَاسَبَةِ الأَبْيَاتِ فِي"أَزْهَارِ الرِّيَاضِ" وَعَكَسْتُهَا تَوَصَّلْتُ إِلَى شَيءٍ مِنَ التَّأْوِيلِ قَدْ يَكُونُ بِهِ مُرَادُ الشَّاعِرِ،فالمَقَّرِيُّ كَتَبَ أَمامَ الأَبْيَاتِ أَنَّ الطَّيْفُورَ هَدِيَّةٌ لابنِ الخَطِيبِ عَلَى طَبَقٍ فِيهِ طَعَامٌ،وَفِي الدِّيوَانِ قَدَّمَ للأَبْيَاتِ بِقَوْلِهِ "أَهْدِيَتُهُ" وَفَاعِلُهُ مَجْهُولٌ.

لكنَّنِي أَرَى أَنَّ ابنَ الخَطِيبِ هُوَ مُرْسِلُ الهَدِيَّةِ وَلَيْسَ العَكْس،وَحَصَ◌لَ تَصْحِيفٌ[4] للكَلِمَةِ، فَقُلِبْتِ المُنَاسَبَةُ.وَقَوَّى هَذَا الرَّأْيَ عِنْدِي كَلِمَةُ "طَيْفُورِي"،فَبِإِضافَةِ اليَاءِ فيها يَتَرَجَّحَ عِنْدِي أَنَّ ابنَ الخَطِيبِ هُوَ المُهْدِي [بكسر الدال] وَلَيْسَ المُهدَى إِلَيْهِ [بفتح الدال].وَبِقَلْبِ المُنَاسَبَةِ أَتَوَقَّعُ أَنَّ هَذَا الطعامَ المَطْبُوخَ المُرسَلَ مِنْ قِبَلِ ابنِ الخَطِيبِ كَانَ مُرْسَلاً إِلَى شَخْصٍ خَافَ الشَّاعِرُ أَنْ يَرُدَّ هَذِهِ الهَدِيَّةَ لسَبَبٍ ما،لِذَا طَلَبَ مِنْهُ أَنْ لا يُخَيِّبَ رَجَاءَهُ بِرَفْضِ الهديَّةِ.وَعلى هَذَا الفَهْمِ الجَدِيدِ للأَبْيَاتِ سَيَكُونُ "المَوْلَى" المُخَاطَبُ حَسْبَ مَا أَرَى لَيْسَ الشَّخْصَ المُخَاطَبَ فِي صَدْرِ البَيْتِ الذي تَعُودُ إِلَيْهِ الكافُ

---

[1] – لعله يقصد: **بلعام بن باعوراء**،وَفِي حاشية الديوان أَنَّه مِنْ بلع الطعام . انْظُرْ: ابن الخَطِيب السلماني"**دِيوَانُهُ**"٢/٥٥٤ [الحَاشِيَة].

٢ – طَيْفُور كَلِمَةٌ نادرةُ الاستعمال. وَمَذْكُورَةٌ فِي كتبٍ مَحْدُودةٍ جِدًّا،وَجَدْتُ "الطَّيْفُورَ" فِي اثنينِ مِنْهَا فَقَطْ بِجَانِبِ المَعَاجِمِ اللغَوِيَّةِ، ففي "النُّجُوم الزَّاهِرَة" وَ"رِحْلَة ابنِ بَطُّوطَة"،وفِي "مُعْجَمِ دُوزِي" أَنَّ "الطَّيْفُورَ" قَدْ يكون طَبَقًا صَغيرًا يُشْبِهُ الصِّينِيَّةَ يُوضَعُ فِيهِ الطعامُ أَوْ أدواتُهُ. وعليه جاءوَمَعْ أَنَّ الأبياتَ تتحدثُ عن طعام إلا أَنَّ هَذَا المَعْنَى برأيي لا يستقيمُ مَعَ الأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ،فكيف"يَتَعَلَّمُ طَيْفُورُهُ خِلالَ سَمِيِّهِ"؟ فاسْتَبْعَدْتُهُ.وَفي المعاجم اللغوية الطَّيْفُورُ طُوَيْئِرٌ صَغِيرٌ ،،كَمَا أَنَّه اسمُ البِسْطَامِيِّ الصُّوفِيِّ وَهَذَا يناسبُ الأبيات. انْظُرْ ابنِ بَطُّوطَةَ "**رِحْلَتُهُ**" ص٢٠٦ ،٥٠٩– ٥١٠؛ ابن تَغْرِي بَرْدِي"**النُّجُوم الزَّاهِرَة**" ٤/٩٣؛ ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [طفر] ٤/٥٠٢؛ الفَيْرُوز آبَادِيّ"**القَامُوس المُحِيط**" [طفر] ١/٨١؛ رينهارت دوزي "**تَكْمِلَة المَعَاجِمِ العَرَبِيَّةِ**" تَرْجَمَة: مُحَمَّد النُّعَيْمِي[طفر] ٧/٥٦ .

[3] – سمِيُّهُ هُوَ: أَبُو **يَزِيدٍ طَيْفُورُ** بنُ عِيسَى ابنُ شَرُوسَانَ **البِسْطَامِيّ**، مِنْ أَشياخِ الصُّوفِيَّةِ، تُوُفِّيَ ٢٦١هـ .

انْظُرْ : السُّلَمِيّ"**طَبَقَات الصُّوفِيَّةِ**"ص٦٧– ٧٤؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَان**"١/٤٢١؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٢/٥٣١؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" ١٣/٨٦– ٨٩؛ ابن فَضْل اللهِ العُمَرِيّ"**مَسَالِك الأَبْصَارِ**" ٨/٧١؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"١٣/٨٦؛ ابن تَغْرِي بَرْدِي"**النُّجُوم الزَّاهِرَة**" ٣/٣٥؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ١/١٤٣– ١٤٤؛ البَكْرِيّ"**مُعْجَمُ مَا اسْتَعْجَم**" ١/٢٥٠؛ ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [بسطم،طفر] ١٢/٥٠، ٤/٥٠٢؛ الفَيْرُوز آبَادِيّ"**القَامُوس المُحِيط**" [بسطم] ٣/٨١ .

[4] – التَّصحيف: هو أن يُقرأ الشيء بخلاف مَا أرادَ كاتِبُهُ،وعلى غيرِ مَا اصطَلَحَ عَلَيْهِ تسميته .

انْظُر: علي الجُرْجَانِيّ"**التَّعْرِيفَات**" ١/٨٢؛ مُحَمَّد المِنَّاوِيّ"**التَّعَارِيف**" ١/١٦٢؛ ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [صحف] ٩/١٨٧؛ إنعام عكاوي "**المُعْجَمُ المُفَصَّلُ فِي عُلُومِ البَلاغَةِ**" ص٣٦٠ .

فِي "فديتُكَ".وَلأَنَّ "المَوْلَى" اسمٌ يَقَعُ عَلَى جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ[1] أَرَى مَعْنَاهُ هُنَا هُوَ العَبْدُ أَوِ الخَادِمُ الذي أَرْسَلَ ابنُ الخَطِيبِ هَذِهِ الهَدِيَّةَ مَعَهُ،أَوْصَاهُ أَنْ يَقُولَ للآخَرِ أَنْ لا يَرُدَّ الهَدِيَّةَ،لأَنَّ مُرْسِلَهَا حَالُهُ كَحَالِ **بِلْعَامَ** الذي يَأْمَلُ أَنْ تَكُونَ دَعْوَتُهُ مُجَابَةً.

فَلَجَأَ الشَّاعِرُ إِلَى قِصَّةِ **بِلْعَامَ** الذي لا تُرَدَّ دَعْوَتُهُ كَيْ تُقْبَلَ هَدِيَّتُهُ وَلا تُرَدُّ كَمَا لَمْ تُرَدّ دَعْوَةُ **بِلْعَامَ** أَبَدًا.وَبِهَذَا قَدْ يَزُولُ غُمُوضُ الأَبْيَاتِ.وَلَمْ تَكُنْ دِلالَةُ **بِلْعَامَ** فِي الأَبْيَاتِ مُتَوَقَّعَةً.بل كانَتْ مُقْحَمَةً فِي الكَلامِ.ولا يُتَوَصَّلُ إِلَى المَعْنَى إلا بَعْدَ عَنَاءٍ كَبِيرٍ وَتَحْلِيلٍ عَمِيقٍ للأَبْيَاتِ كافَّةً،هَذَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلأَبْيَاتِ مَعْنَى آخَرَ لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِي بَعْدُ.

وفِي حَاشِيَةِ الدِّيوَانِ[2] رَأْيٌ أَنَّ **بِلْعَامَ** هُنا قَدْ يَكُونُ اشْتِقَاقًا مِنْ بَلْعَ الطَّعَامِ وَفِي الكَلامِ تَوْرِيَةٌ،وَأَرَى فِي هَذَا الرَّأْيِ تَكَلُّفًا فِي النَّظْمِ لَمْ أَرَ شَبِيهًا لَهُ فِي شِعْرِ ابنِ الخَطِيبِ،لِذَا أَسْتَبْعِدُهُ.

فَعَلاقَةُ الانْسِجامِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَاليَهُودِ مهَّدَتْ لِهَذَا الجمْعِ الكَبِيرِ مِنَ الرُّمُوزِ الصُّوفِيَّةِ كَطَيْفُورَ البِسْطَامِيِّ وَخِرْقَةِ الصُّوفِيَّةِ وَصُحْبَةِ الصُّوَّامِ بجانبِ رَمْزٍ مِنْ رُمُوزِ العِبَادَةِ عِنْدَ اليَهُودِ ألا وَهُوَ العَابِدُ **بَلْعَام**.فلا يُمْكِنُ أَنْ يَلْجَأَ شَاعِرٌ كَابنِ الخَطِيبِ صَاحِبِ المَكَانَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالأَدَبِيَّةِ المَعْرُوفَةِ إِلَى اسْتِعَارَةِ اسْمِ عَابِدٍ مِنَ الدِّيَانَةِ اليَهُودِيَّةِ وَيضَعَهُ فِي نَظْمِهِ مُتَجَاوِرًا مَعَ عَابِدٍ صُوفِيٍّ بهَذَا الهُدوءِ إلا إِنْ كَانَ فِي المُجْتَمَعِ حَوْلَهُ مَنْ يَقْبَلُ هَذَا التَّجَاوُرَ وَالانْسِجَامَ،وهَذَا لا يُنْبِئُ بأيِّ حَالٍ مِنَ الأَحْوالِ عَنْ عَداءٍ أَوْ تَصَارُعٍ بَيْنَ مَنْ يُمَثِّلُهُمَا خَارِجَ أَبْيَاتِ الشِّعْرِ عَلَى أرضِ الواقعِ.لِذَا أقولُ فِي البَيْتِ أَثَرٌ مِنْ آثارِ التَّلاقِي الحَاصِلِ بَيْنَ أَهْلِ الدِّيَانَتَيْنِ فِي تِلْكَ البلادِ.إِضافَةً إِلَى أَنَّ الشَّاعِرَ اشْتَغَلَ عِنْدَ أُمَراءِ بَني الأَحْمَرِ بِغَرْنَاطَةَ التِي تَجَاوَرَتْ فِيهَا الدِّيَانَتَانِ بِهُدُوءٍ وَسَلامٍ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الزَّمَنِ.

كما أَنَّ الانْسِجَامَ الحَاصِلَ بَيْنَ رُمُوزٍ للتَدَيُّنِ عِنْدَ المُسْلِمِينَ وَاليَهُودِ لَمْ يَكُنْ حَالَةً نَادِرَةً فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ؛**فَالمَقَّرِيُّ الجَدُّ**(ت:٧٥٩هـ)[3] مِنْ شُيُوخِ ابنِ الخَطِيبِ لَهُ أَبْيَاتٌ يُعَارِضَ فِيهَا أَلْفِيَّةَ ابنِ الفَارِضِ(ت:٦٣٢هـ)[4] قَالَ فِيهَا[5]: [الطويل]

وَعُدْتُ عَلَى حَلاجِ شُكْرِي بِصَلْبِهِ وَأَلْقَيْتُ **بِلْعَامَ** التَّفَانِي بِهُوَّةِ

---

[1] – المَوْلَى اسمٌ يَقَعُ عَلَى جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ،فَهُوَ:الرَّبُّ وَالمَالِكُ وَالسَّيِّدُ وَالمُنْعِمُ وَالمُعْتِقُ وَالنَّاصِرُ وَالمُحِبُّ وَالتَّابِعُ وَالجَارُ وَابْنُ العَمِّ وَالحَلِيفُ وَالعَقِيدُ وَالصِّهْرُ وَالعَبْدُ وَالمُعْتَقُ وَالمُنْعَمُ عَلَيْهِ. انْظُرْ : ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [وَلي] ١٥/٤٠٦ – ٤١٥ .

[2] – انْظُرْ : ابن الخَطِيب السلماني "**دِيوَانُهُ**" ٢/٥٥٤ [الحَاشِيَة].

[3] – هُوَ : **المَقَّرِيُّ الجَدُّ**، مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنُ أَحْمَدَ القُرَشِيّ،يكنى أَبَا عبد الله،وُلِدَ وَنَشَأَ بتِلِمْسَانَ وَسَكَنَ فَاسَ،جَدُّ المَقَّرِيّ صَاحِبِ "نَفْحِ الطِّيبِ".عملَ قاضِي الجَمَاعَةِ بِفَاسَ وتِلِمْسانَ،استُعْمِلَ فِي الرِّسَالَة،وانتقل إِلَى الأَنْدَلُسِ ٧٥٦هـ، تُوُفِّيَ بغَرْنَاطَةَ وَنُقِلَ جُثْمَانُهُ إِلَى تِلِمْسَانَ.

انْظُرْ : ابن الخَطِيب "**الإِحَاطَة**" ٢/١٩١ – ٢٢٦؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٧/١٩٥ – ٢١٢ ، ٢٤٠ – ٢٦٦ ، ٣٠٦ – ٣١٧ .

[4] – هُوَ: **شَرَفُ الدِّينِ** عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنُ مُرْشِد الحَمَوِيّ الأصل المصرِيّ المَوْلِدِ والدار والوفاة والملقب بسُلْطَان المحبين والعشاق،يُعْرَفُ **بابن الفارض**.وُلِدَ بِمِصْرَ سَنَةَ ٥٧٦هـ،سلك طريق الصُّوفِيَّةِ،وتُوُفِّيَ بالقاهرة سَنَةَ ٦٣٢هـ وَدُفِنَ فِي المقطم. لَهُ ديوان شعر. انْظُرْ : ابن خَلِّكَان "**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٣/٤٥٤ – ٤٥٦؛ الذَّهَبِيّ "**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" ٢٢/٣٦٨؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ "**شَذَرَات الذَّهَب**" ٣/١٤٩ – ١٥٣ .

[5] – ابن الخَطِيب "**الإِحَاطَة**" ٢/٢١٢؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٧/٣١٤ .

وَالأبياتُ طَوِيلَةٌ جِدًّا،وَقَدْ قَسَّمَهَا إِلَى عِدَّةِ فُصُولٍ.فَحَتَّى يَصِلُ الشَّاعِرُ إِلَى مَا وَصلَ إِلَيْهِ مِنَ القُرْبِ مِنَ الذَاتِ الإلهيَّةِ كَانَ عَلَيْهِ أن يَسْلُكَ طَرِيقًا شَاقَّةً صَعْبَةً،وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْفُضَ جَمِيعَ طُرُقِ السَّالِكِينَ فِي هَذَا الدَّرْبِ قَبْلَهُ جُمْلَةً وَتفصِيلاً.وَحَتَّى يَتَحَقَّقَ الحَالُ الذي يريدُهُ قامَ بِاسْتِحْضَارِ قِصَّةِ صَلْبِ الحَلاجِ(ت:٣٠٩هـ)[1]الصُّوفِيِّ المَشْهُورِ الذي اتُّهِمَ فِعْلاً بِدِينِهِ وَصُلِبَ وَقُتِلَ بَعْدَ أَنْظَهَرَتْ لَهُ كَرَامَاتٌ كَثِيرَةٌ ذُكِرَتْ فِي كُتُبِ الصُّوفِيَّةِ،كَمَا قامَ الشَّاعِرُ كَذَلِكَ بِإِرْسَالِ **بِلْعَامَ** إِلَى هُوَّةٍ لا يَسْتَطِيعُ الخُرُوجَ مِنْهَا رُغْمَ تَفَانِيهِ وَصِدْقِ سَيْرِهِ إِلَى اللهِ قَبْلَ ذلك؛فَالحَلاجُ يُمَثِّلُ تَطَرُّفًا وَانْحِرَافًا فِي العِبَادَةِ بَعْدَمَا أَعْطَاهُ اللهُ الكَثِيرَ مِنَ الكَرَامَاتِ،كَذَلِكَ فَإِنَّ **بِلْعَامَ** يُمَثِّلُ فِي هَذَا البَيْتِ تَطَرُّفًا فِي العِبَادَةِ بَعْدَ نَعِيمٍ هَائِلٍ عَاشَهُ.فَتَحَوَّلَتْ عِنْدَهُمَا النِّعْمَةُ إِلَى نِقْمَةٍ؛فالحَلاجُ ضُرِبَ نَحْوَ أَلْفِ سَوْطٍ ثُمَّ قُطِعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلاهُ ثُمَّ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ،وَأُحْرِقَتْ جُثَّتُهُ بِالنَّارِ،وَنُصِبَ رَأْسُهُ عَلَى سُورِ الجِسْرِ بِبَغْدَادَ وَعُلِّقَتْ يَدَاهُ وَرِجْلاهُ إِلَى جانِبِ رَأْسِهِ[2]،**وَبِلْعَامُ** كَذَلِكَ انْحَرَفَ فِي طَرِيقِ العِبَادَةِ.

وَأَرَى أَنَّ المقابلةَ الشِّعْرِيَّةَ بَيْنَ الحلاجِ وَ**بِلْعَامَ** فِي الأبْيَاتِ السَّابِقَةِ تَمَّتْ بِهُدوءٍ،وَبِلا حَشْدٍ كَبِيرٍ لِلكَلِمَاتِ أَوْ صَخَبٍ فِي المَعَانِي،وَجَاءَ الهُدُوءُ فِي البَيْتِ بَعْدَ اسْتِحْضَارِ سِلْسِلَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْ أَئِمَّةِ الصُّوفِيَّةِ وَكِبَارِ العَارِفِينَ بِاللهِ سَمَّاهُم وَاحِدًا وَاحِدًا،ورُغْمَ مَكَانَتِهِم إلا أَنَّهُ يَرْفُضُهُم كُلَّهُم،بَدْءًا مِنَ الفَارَابِيِّ(ت:٣٣٩هـ) إِلَى ابنِ سِينَا(ت:٤٢٨هـ) إِلَى ابنِ رُشْدٍ (ت:٥٩٥هـ)[3] إِلَى ابنِ طُفَيْلٍ[4] إِلَى

---

[1] – هُوَ: **أَبُو** عبد الله الحُسَيْنُ بنُ مَنْصُور بنُ مُحَمَّدٍ القَارِسِيّ **الحَلاج**،كان مَجُوسِيًّا،تصوف ثُمَّ قدم بَغْدَادَ فَصَحِبَ الجُنَيْدَ ثُمَّ فتن،فسافر إِلَى الهند وَتعلم السِّحْرَ، ثُمَّ بَدَتْ مِنْهُ كُفْرِيَاتٌ أَبَاحَتْ دَمَهُ، قُتِلَ سَنَةَ ٣٠٩هـ . انْظُر: السُّلَمِيّ"**طَبَقات الصُّوفِيَّة**"ص٣٠٧-٣١١؛ ابن الأَثِيرِ"**الكَامِل**" ٤/٧– ٥؛ ابن خَلِّكَان"**وَفِيَات الأَعْيَانِ**" ١٤٠/٢– ١٤٦؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"٣١٣/١٤ – ٣٥٦؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَبِ**" ٢٥٣/١– ٢٥٧؛ ابن فَضْل اللهِ العُمَرِيّ"**مَسَالِك الأَبْصَارِ**" ١١٠/٨ .

[2] – انْظُرْ: ابن الأَثِيرِ"**الكَامِل**" ٥/٧؛ ابن خَلِّكَان"**وَفِيَات الأَعْيَانِ**"١٤٥/٢؛ابن العِمَادِ الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَبِ**" ٢٥٧/١ .

[3] – هُوَ الفقيه الفيلسوف:**أبو الوليد** مُحَمَّدٌ بنُ أَحْمَدَ **بنُ رُشْدٍ الحَفِيد**(٥٢٠– ٥٩٥هـ) قَاضِي الجَمَاعَةِ بِقُرْطُبَةَ،مَالَ إِلَى الفَلْسَفَةِ،وَبرَعَ فِي الطِّبِّ.وَلَمَّا كَانَ المَنْصُورُ صَاحِبُ المَغْرِب بِقُرْطُبَةَ اسْتَدْعَاهُ وَاحْتَرَمَهُ كَثِيرًا،ثُمَّ نَقَمَ عَلَيْهِ حِينَ اتَّهَمَهُ خُصُومُهُ بِالزَّنْدَقَةِ، فَنَفَاهُ إِلَى مَرَّاكُش، وقِيلَ إِلَى غَيْرِهَا، وَأَحْرَقَ بَعْضَ كُتُبِهِ. وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ اسْتَدْعَاهُ المَنْصُورُ مِنَ الأَنْدَلُسِ للعَفْوِ عَنْهُ، فَمَرِضَ بِمَرَّاكُش إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ بِهَا.لَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ "بِدَايَةُ المُجْتَهِدِ" وَ"مُخْتَصَرُ المُسْتَصْفَى"، وَلَهُ شَرْحُ أُرْجُوزَةِ ابنِ سينَا وَ"المُقَدِّمَات" وَغَيْرِهَا. انْظُرْ: أَبُو الحَسَن النّبَاهِيّ"**تَارِيخ قُضَاةِ الأَنْدَلُسِ**"ص٩٨،١١١؛ عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص٢٤٢– ٢٤٣؛ ابن خَلِّكَان"**وَفِيَات الأَعْيَانِ**"١٣٥/٧؛ ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**" –قِسم المُوَحِّدِي– ص ٢٢٦؛ابن أَبِي أُصَيْبِعَة"**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٥٣٠/١–٥٣٣؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٠٤/١– ١٠٥؛الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"٣٠٧/١٢– ٣٠٩؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَبِ**"٢٢٨/٢–٢٣٠، ٦٢/٤ .

[4] – هُوَ الطبيب الفيلسوف: أَبُو **بكر** مُحَمَّدُ **بن طفيل**،كانَ فَقِيهًا شَاعِرًا لُغَوِيًّا مُهَنْدِسًا طَبِيبًا،وَلَهُ تَصَانِيفُ مِنْهَا "رسالة حي بن يقظان" وَ"رسالة فِي النفس"، وَكَانَ يُوسُفُ بن عبد المُؤْمِنِ شَدِيدَ الشَّغَفِ بِهِ،وَكَانَ يقيم فِي القصر عِنْدَهُ أَيَّامًا يُجَالِسُهُ وَيستفيد مِنْهُ .

انْظُرْ: ابْن دِحْيَةَ"**المُطْرِب**"ص٦٦؛ عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص٢٣٩– ٢٤٣؛ ابن خَلِّكَان"**وَفِيَات الأَعْيَانِ**" ١٣٤/٧؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٨٥/٢ – ٨٦؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"٩٩/٢١ .

الجُنيدِ(ت:٢٩٧هـ)[١] إلى ابنِ أدْهَمَ(ت:١٦٢هـ)[٢]،وَهُنا ظَهَرَتْ قُدْرَةُ الشَّاعِرِ عَلَى جَمْعِ هَذِهِ الأَسْمَاءِ، وَمِنْهُم مَن اتُّهِمَ بِدِينِهِ،وَمِنْهُم مَنْ قُتِلَ،وَمِنْهُم مَنْ سُجِنَ،وَمِنْهُم مَنْ طُرِدَ[٣].وحِينَ رَفَضَ الشَّاعِرُ طريقَتَهُم فِي السَّيْرِ إِلَى اللهِ لَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ المُسْلِمِ وَاليَهُودِيِّ مِنْهُمْ،فكُلُّهُم مرفوضون عِنْدَهُ،بَدَأَ أَوَّلاً بِعُلَمَاءَ وَفلاسفةٍ وَمُفَكِّرِينَ مِنَ المُسْلِمِينَ ثُمَّ **بِلْعَامَ** العابِدِ اليَهُودِيِّ فِي نهايةِ القائمة،وَهَذا لا يدلُّ عَلَى تأثُّرِ الشَّاعِرِ باليَهُودِ فَقَطْ،بَلْ يُشْعِرُ القارئَ بِأَنَّ أَهلَ الأَنْدَلُسِ فِي تِلْكَ الأوقاتِ لَمْ يَجِدُوا أيَّ حَرَجٍ فِي الحَدِيثِ عَنْ عُلَمَاءِ اليَهُودِ،وَلَمْ يَأْتِ **بَلْعَامُ** فِي صُورَةٍ يَهُودِيةٍ خَاصَّةٍ،بَلْ يَحْسَبُهُ مَنْ لا يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْهُ أَحَدَ عُلَمَاءِ الصُّوفِيَّةِ،وَلَمْ يأتِ بِهِ بِشَكْلٍ عدائِيٍّ وَاضِحٍ،بَلْ جَاءَ مَعَ ابنِ رُشْدٍ وَابْنِ طُفَيْلٍ.دُونَ أَيِّ فَصْلٍ بَيْنَهُ وَبينَهم،وَرُغْمَ مَا أُخِذَ عَلَيْهِم إلا أَنَّهُم جَمِيعًا ومِنْهُم **بَلْعَامُ** اليَهُودِيُّ كَانُوا يُشَكِّلون طُرُقًا للوُصُولِ إِلَى اللهِ،يَجْمَعُهُم الشَّاعِرُ نفسُهُ فِي بَدْءِ نَظْمِهِ حِينَ قالَ[٤]: [الطويل]

عَلَى أَنَّنَا فِي القُرْبِ وَالبُعْدِ وَاحِدٌ ... تُؤَلِّفُنَا بِالوَصْلِ عَيْنُ التَّشَتُّتِ

فَالطَّرِيقُ إِلَى اللهِ وَاحِدٌ يُوَحِّدُ السَّالِكِينَ مَهْمَا تَعَدَّدَتْ مَذَاهِبُهُم.وَالشَّاعِرُ لا يُنْكِرُهُمْ رَفْضَ عَدَاوَةٍ وَصِرَاعٍ، وَإِنَّمَا يَرْفُضُهُم رَفْضَ مَنْ يَرْغَبُ فِي التَّمَيُّزِ فِي عَلاقَةٍ مُبْتَكَرَةٍ مَعَ مَحْبُوبِهِ اللهِ .

وَهَذا الجَمْعُ الغَرِيبُ بَيْنَ الحَلاجِ وَ**بِلْعَامَ** لَيْسَ جَدِيدًا عَلَى مَجَالِسِ الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ،فَفِي "النَّفْحِ" عَنِ المَقَّرِيِّ الجَدِّ كَذَلِكَ أَنَّهُ سَأَلَ ابنَ شَاطِرٍ[٥] عَنْ مَعْنَى قَوْلِ ابنِ **الفَارِضِ**[٦]:[الطويل]

فَلَمْ أَلْهُ بِاللاهُوتِ عَنْ حُكْمِ مَظْهَرِي ... وَلَمْ أَنْسَ بِالنَّاسُوتِ مَوْضِعَ حِكْمَتِي

فَقَالَ ابنُ شَاطِرٍ:يَقُولُ مَا أَنَا بِالحَلاجِ وَلا **بِبِلْعَامَ**[٧]،فَذِكْرُ **بِلْعَامَ** وَالجَمْعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدِ أَقْطَابِ العَبَادَةِ المُسْلِمِينَ فِي مَجَالِسِ المَقَّرِيِّ الجَدِّ مُشَابِهٌ لِلأَجْوَاءِ المَوجُودةِ فِي شِعْرِ تِلْمِيذِهِ ابنِ الخَطِيبِ.

---

[١] – هُوَ: أَبُو القاسم **الجُنَيْدُ بنُ** مُحَمَّدٍ القَوَارِيرِيّ **الخَزَّازُ** (٢٢٠– ٢٩٧هـ) مِنْ نَهَاوَنْدَ وَنَشَأَ بالعِرَاقِ،وَكَانَ أبوه يبيع الزجاج فلذَلِكَ كَانَ يُقَالُ لَهُ القواريري.وهُوَ مِنْ أشياخ الصُّوفيَّة. انْظُرْ: السُّلَمي"**طَبَقَات الصُّوفِيَّة**"ص١٥٥– ١٦٣؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٢٨٥/٣؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"٦٦/١٤ – ٧٧؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَبِ**" ٢٢٨/١ – ٢٣٠ .

[٢] – هُوَ: أَبُو إِسْحَاقَ **إِبْرَاهِيمُ بنُ أَدْهَمَ البَلْخِيّ** مِنْ أهل بَلْخ مِنْ أبناء المُلُوكِ. خرج إِلَى مكة وَصحب بِهَا سفيان الثوري وَالفضيل ابن عياض.ثُمَّ دخل الشام فكَانَ يعمل وَيأكل مِنْ عمل يده وَبها مات. انْظُرْ: السُّلَمي"**طَبَقَات الصُّوفِيَّة**"ص٢٧ –٣٨؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" ٣٨٧/٧ – ٣٩٦؛أبو نعيم الأَصْبَهَانِيّ"**حُلْيَة الأَوْلِيَاءِ**" ٣٦٧/٧– ٣٩٤؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ "**شَذَرَات الذَّهَبِ**" ٣٥٥/١ – ٣٥٦ .

[٣] – وَزَرَ ابنُ سِيْنَاءَ بهمذان فقام عَلَيْهِ الأمراءُ وَأرادوا قَتْلَهُ،ثُمَّ سُجِنَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ،وَلَمَّا ماتَ يُوسُفُ بنُ عبدِ المُؤْمِن اتُّهِمَ ابنُ طُفَيْل بِأَنَّهُ سَمَّهُ فَجَرَتْ عَلَيْهِ مِحْنَةٌ وَخلَدَ فِي مَنْزِلِهِ مَسْجُونًا،وَابْنُ رُشْدٍ قَضَى آخرَ أيامِهِ مَهْجُورًا فِي مَنْزِلِهِ،وأُمِرَ كُلُّ مَنْ يَمُرُّ بِهِ أَنْ يَلْعَنَهُ وَيَبْصُقَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ كَانَ نَفْيُهُ إِلَى بَيَانَةَ مَدِينَةِ اليَهُودِ،وَقَالَ آخرونَ إِلَى أَلِيسَانَةَ التي كَانَتْ لِليَهُود. انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٠٥/١، ٨٥/٢؛ ابن أَبِي أُصَيْبِعَةَ"**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٥٣٢/١ ؛الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"٥٣٥/١٧؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَبِ**" ٢٢٤/٢ .

[٤] – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٣٠٧/٧ .

[٥] – هُوَ: أَبُو عبد الله مُحَمَّدٌ بن أَحْمَدَ **بنُ شَاطِرٍ** الجُمَحِيّ المَرَّاكُشِي،رزق بِصُحْبَةِ الصَّالِحِينَ حَلاوَةَ القُبُولِ فَلا تَكَادُ تَجِدُ مَنْ يستثقله، وَكَانَ السُّلْطَان أَبُو عنان عَلَى فقهه يُعَظِّمُهُ وَيَصِلُهُ،ويسَلِّمُ له.وَكَانَ يدخل قصره،ولا تحتجب مِنْهُ الجَوَارِيّ.ذكر المَقَّرِي نَوَادِرَ وعجائب عَنْهُ في "نَفْحُ الطِّيبِ". انْظُرْ :ابْن دِحْيَةَ"**المُطْرِب**"ص٨٠؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٣٤/٧ – ٢٣٦، ٢٥٤ – ٢٥٦ .

[٦] – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٥٤/٧ .

[٧] – انْظُرْ: نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .

٤ ـ السَّمَوْأَل .

إِنَّ شَخْصِيَّةَ **السَّمَوْأَلِ** مِنْ أَشْهَرِ شَخْصِيَّاتِ اليَهُودِ التِي بَرَزَتْ فِي الأدبِ الأَنْدَلُسِيِّ.وَأتى **السَّمَوْأَلُ** عَلَى الأغلبِ بصُورَةٍ وَاحِدَةٍ تَقْرِيبًا،امْتَلأَتْ بِمَعانِي الوَفَاءِ وَجِيرَةِ الضَّعِيفِ وَعَدَمِ الخِيانَةِ بِجَانِبِ القُوَّةِ لِنُصْرَةِ هَذَا المُسْتَجِيرِ مَهْمَا كَلَّفَ الأمْرُ.وَانْتَشَرَ **السَّمَوْأَلُ** فِي الأَدَبِ فِي اتِّجَاهَيْنِ؛ فَتَارَةً كَانَ يُسْتَخدمُ كَرَمْزٍ لِلوَفَاءِ وَالشَّجَاعَةِ فَقَطْ وَلا عَلاقَةَ لَهُ باليَهُودِ أَوِ اليَهُودِيَّةِ،وَتَارَةً أُخْرَى كَانَ رَمْزًا إِلَى اليَهُودِيَّةِ.وَبينَ هَذَا وَذاكَ تَأَرْجَحَ ذِكْرُ **السَّمَوْأَلِ** فِي الأَنْدَلُسِ وخارجِها. لكنَّ الأَغْلَبَ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ استخدامُهُ كشَخْصِيَّةٍ عَرَبِيَّةٍ اشْتُهِرَتْ بِوَفَائِهَا وَشَجَاعَتِهَا،لِذَا أُوَيِّدُ فايزةَ حجازي فِي قَوْلِهَا "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُذْكَرُ **السَّمَوْأَلُ** كاسْمٍ يَخْطُرُ بِبَالِ القَارِئِ قِصَّةُ الوَفَاءِ المَشْهُورَةُ عَنْهُ"(١).

وَكَثُرَ تَسْمِيَةُ أَبْنَاءِ اليَهُودِ بِهَذَا الاسْمِ فِي المَغْرِبِ وَالأَنْدَلُسِ؛مِنْهُمْ مَثَلاً **السَّمَوْأَلُ** بنُ يَهُوذَا المَغْرِبِيُّ(ت: حوالي ٥٧٠هـ)(٢)الحَكِيمُ اليَهُودِيُّ الأَصْلِ الذي اعتَبَرَهُ القَفْطِيُّ حِينَ تَرْجَمَ لَهُ مِنَ الأَنْدَلُسِ، ومَعَ أَنَّهُ يَأْتِي بَيْنَ حُكَمَاءِ المُسْلِمِينَ،إلا أَنَّنِي أَتَوَقَّعُ أَنَّ اليَهُودِيَّةَ أَوَّلُ مَا يَتَبَادَرُ لِذِهْنِ مَنْ يَقْرَأُ اسْمَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ حَتَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ اسمُ وَالِدِهِ مُثْبَتًا وَرَاءَهُ.

وَكَمَا دَرَجَ الشُّعَرَاءُ المَشَارِقَةِ عَلَى التَّرْكِيزِ عَلَى وَفاءِ **السَّمَوْأَلِ** فَعَلَ شُعَرَاءُ الأَنْدَلُسِ ذَلِكَ؛ **فَأَبُو الحَسَنِ ابنُ سَابِق**(٣)كانَ وَفِيًّا لابنِ لُبُّون(ت:بعد ٤٩٣هـ)(٤)،وفِي وَفَائِهِ قَالَ(٥): [البسيط]

مَنْ كَانَ يَطْلُبُ مِنْ أَصْحَابِنَا صِلَةً ... عَلَى فِرَاقِ أَبِي عِيسى بنِ لَبُّونِ

فَلَيْسَ يُقنِعُنِي مِنْ بَعْدِهِ عِوَضٌ ... وَلَوْ جُعِلْتُ عَلَى أَمْوَالِ قَارُونِ

---

١ – فايزة حجازي"**أهل الذِّمَّة فِي بلاد الشام فِي العَصْرِ العَبَّاسِيِّ**" ص١٣٩ – ١٤٠ .

٢ – هُوَ: **السَّمَوْأَلُ بنُ يَهُوذا المَغْرِبِيّ** الحَكِيمُ اليَهُودِيُّ الأَصْلِ وَيظن القفطي حِينَ يترجم لَهُ أَنَّهُ مِنَ الأَنْدَلُسِ،كان طبيبًا رِيَاضِيًّا، رَحَلَ إِلَى الشَّامِ ثُمَّ أَذْرَبِيجَانَ وَأَقام بمَدِينَةِ المرَاغَةِ حَيْثُ خَدَمَ بَعْضَ كُبَرَائِهَا،وَأَوْلَدَ أَوْلادًا هُنَاكَ سلكوا طريقته فِي الطِّبِّ.وَصنف كتبًا فِي الطِّبِّ وَالرياضيات، وَأسلم فحسن إِسْلامه وَصنف كتابًا فِي إِظْهار معائب اليَهُود،وَكذب دعاويهم فِي التَّوْرَاة، وَمات بِالمرَاغَةِ.

انْظُرْ: القِفْطِيّ "**إِخْبَار العُلَمَاءِ بِأَخْبَارِ الحُكَمَاءِ**"ص١٤٢؛ مُصْطَفَى القُسْطَنْطِينِيّ "**كَشْفُ الظُّنُونِ**" ٢/١٩٤٠

٣ – هُوَ: أَبُو **الحَسَنِ ابنُ سَابِق** وفي"المُغْرِب" أَنَّهُ أَبُو الحُسَيْنِ،مِنْ بَلَنْسِيَةَ، جَاءَ فِي "المُسْهِبِ" أَنَّهُ مِنَ النُّجَبَاءَ الذين أَطلعهم الأفق البلنسي. كَانَ فِي أول حاله مستجديًا بِالشِّعْرِ مُتَجَوِّلاً فِي الآفَاقِ إِلَى أَنْ تَرَقَّى إِلَى وِلايَةِ السُّوقِ بِبَلَنْسِيَةَ، ثُمَّ وَلِيَ خُطَّةَ الأَشْرَافِ،وَهُوَ مَعْدُودٌ فِي نُبَهَاءِ الكُتَّابِ وَالشُّعَرَاءِ. انْظُرْ: ابن خَاقَان"**قَلائِد العِقْيَانِ**" ق١،ج١/١٦٤؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/٣١٣ .

٤ – هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو عِيسَى لُبُّون بنُ عَبْدِ العَزِيزِ بنُ **لُبُّون**،كان مِنْ أَصْحَابِ يَحْيَى بنِ ذِي النُّونِ،ورأس بمُرْبِيطَرْ مِنْ أعمال بَلَنْسِيَةَ، ثُمَّ تَخَلَّى عَنْهَا لِعبد الملك بن رَزِينٍ جَارِهِ صَاحِبِ شَنْتَمَرِيَّةَ الشَّرْقِ،تُوُفِّيَ بسَرَقُسْطَةَ.أشار حسين مؤنس فِي حاشية "الحُلَّة السِّيَرَاء" إِلَى أَنَّ الصواب فِي كتابة "لُبُّون" بضم اللام وَليس فتحها كَمَا يفعل بعضهم،مِنَ الاسم الإسباني المُعَرَّب "لُبْ" مِنْ Lobo أي "ذئب الجزيرة"، وهي صيغة تكبير أخذتها اللغة الإسبانية عن اللاتينية،وقبسها العَرَبُ وَطَبَّقُوهَا عَلَى أسمائهم،فقَالُوا:حَمْدُونَ وزَيْدُونَ وَفَرْحُونَ.

انْظُرْ:ابن خَاقَان"**قَلائِد العِقْيَانِ**"ق١،ج١/١٦٤؛ الأَصْفَهَانِيّ"**خَرِيدَةُ القَصْرِ**"ق٤،ج٢/٣٣١–٣٣٦؛ابن الأَبَّارِ "**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ٢/١١٥، ١٦٧،١٥٠–١٧٢؛ ابن سَعِيد"**المُغْرِب**"٢/٣٧٦،٢٧٥؛المَقَّرِيّ"**نَفْحُ الطِّيبِ**"٢/١٨٠–١٨١ ، ٢٠٢، ٤/٢٢٨، ٥/١٣٦.

٥ – ابن خَاقَان"**قَلائِد العِقْيَان**" ق١،ج١/١٦٤؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/١٢٣ .

وَلَمْ يُذْكَرِ اسْمُ **السَّمَوْأَلِ فِي** الأَبْيَاتِ،لكِنْ لمَّا سَمِعَهَا **عبدُ المَلِكِ بنُ رَزِين**(ت:٤٩٦هـ)[١]،أَعْجَبَتْهُ،وَذَكَّرَتْهُ بِوَفَاءِ **السَّمَوْأَلِ**وَكَانَ مِنَ الأَوْفياءِ لِلْخَلِيفَةِ هِشَام المُؤَيَّد، فَقَالَ فِيهِ[٢]:[البسيط]

هَذَا **السَّمَوْأَلُ فِي** هَذِي السَّلاطِينِ ... حَتَّى تَقُولَ اللَيَالِي وَهِيَ صَادِقَةٌ

وَقَالَ أَبُو بَحْرٍ التُّجِيبِيِّ يُرَاجِعُ أَبَا الرَّبِيع بن سَالِمٍ ذَاكِرًا **السَّمَوْأَل** وَوَفَاءَهُ بِعَهْدِه بِقَوْلِهِ[٣]:[الطويل]

وَإِنْ عَاهَدَتْ أَنْ لا تُؤَلِّفَ بَيْنَنَا ... تَذَكَّرْتَ آثَارَ **السَّمَوْأَلِ فِي** العَهْدِ

وَكَانَ السَّمَوْأَلُ صِفَةً لابنِ اللَبَّانَة(ت:٥٠٧هـ)[٤] فَقَالُوا إِنَّهُ:"**سَمَوْأَلُ** الشُّعَرَاءِ"[٥]،أَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ لِوَفَائِهِ مَعَ المُعْتَمِدِ بنِ عَبَّادٍ وَتَفَجُّعِهِ عَلَيْهِ حِينَ خُلِعَ عَنْ مُلْكِهِ.

وَلَمْ يَكْتَفِ الشُّعَرَاءُ الأَنْدَلُسِيُّونَ بِذِكْرِ **السَّمَوْأَل** رَمْزًا مُفْرَدًا مُنْفَصِلاً عَنْ بَقِيَّةِ الحِكَايَةِ،بَلْ ذَكَرَ بَعْضُهُم تَفَاصِيلَ حِكَايَتِهِ؛فَفِي **كِتَاب**[٦]**السُّلْطَانِ المَخْلُوع** ابنِ **الأَحْمَر**(ت:٩٤٠هـ)إلى سُلْطَانِ فَاسَ الحَفْصِيِّ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ جِدًّا مَبْدُوءَةٌ بالاسْتِجَارَةِ التَّالِيَةِ[٧]: [البسيط]

رَعْيًا لِمَا مِثْلُه يُرْعَى مِنَ الذِّمَمِ ... مَوْلَى المُلُوكِ مُلُوكِ العُرْبِ

جَارَ الزَّمَانُ عَلَيْهِ جَوْرَ مُنْتَقِمِ ... بِكَ اسْتَجَرْنَا وَنِعْمَ الجَارُ أَنْتَ لِمَنْ

وَبَعْدَ أَنْ اسْتَهَلَّ بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ المُتَحَدِّثَةِ عَنْ مَمْدُوحِهِ بِوَصْفِهِ لَهُ بأَنَّهُ يَرْعَى الذِّمَمَ،وأَنَّهُ نِعْمَ الجَارُ لِمَنْ يَسْتَجِيرُ.وَكَانَ يَكْفِي قَوْلُهُ "بِكَ اسْتَجَرْنَا وَنِعْمَ الجَارُ أَنْتَ" لِيَعْرِفَ القَارِئُ فَوْرًا أَنَّهُ يُشَبِّهُهُ **بِالسَّمَوْأَلِ**، لَكِنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يَكْتَفِ بِهَذَا،بَلْ سَيْطَرَتْ عَلَيْهِ قِصَّةُ **السَّمَوْأَل** بِكُلِّ رُمُوزِهَا فَتَكَاثَفَتْ هَذِهِ الرُّمُوزُ المَأْخُوذَةُ عَنْ هَذَا اليَهُودِيِّ الوَفِيِّ،وَأَعَادَ تَلْخِيصَ قِصَّتِهِ قَائِلاً[٨]: [البسيط]

فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيلِ مُرْتَكِمِ ... كُنْ **كَالسَّمَوْأَلِ** إِذْ سَارَ الهُمَامُ لَهُ

---

[١] – هُوَ :أَبُو مَرْوَانَ **عَبْدُ المَلِكِ بنُ هُذَيل بنُ رَزِين** المُلَقب بِحُسَامِ الدَّوْلَةِ والمَعْرُوفُ بِابنِ الأَصْلَعِ،وليَ شنتمريةَ بعد أبيه،وَهُوَ أَطْوَلُ أُمَرَاءِ الطَّوَائِفِ عَهْدًا فَقَدْ حَكَمَ حوالي ٦٠ سنة(٤٣٦– ٤٩٦هـ). وَكَانَ مِنَ الأوفياء المتعزِّزينَ عَلَى المَخْلوعِ هِشَام . انْظُرْ: ابن خَاقَان"**قَلائِد العِقْيان**" ق١،ج١/١٥٧– ١٦٩؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/١٠٩– ١٢٤؛ الأَصْفَهَانِيّ"**خَرِيدَةُ القَصْرِ**"ق٤،ج٢/٣٠٨– ٣١٢؛ ابن دِحْيَة"**المُطْرِب**"ص٣٩– ٤١؛ ابن الأَبَّارِ"**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ٢/١٠٨– ١١٥؛ ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٣/٣٠٩؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/٤٢٨ – ٤٢٩؛ ابن الخَطِيب"**أَعْمَال الأَعْلَام**"ص٢٣٨ .

[٢] – ابن خَاقَان"**قَلائِد العِقْيان**" ق١،ج١/١٦٤؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/١٢٤ .

٣ – مُحَمَّد بن شَرِيفَة "**أديب الأَنْدَلُسِ أَبُو بَحْرٍ التُّجِيبِيّ**" ص١٠٥، وَفِي نثرِ التُّجِيبِيّ ذَكَر السَّمَوْأَل كذَلِكَ فِي رسالة لَهُ يصف أحدهم بأَنَّهُ السَّمَوْأَلُ فِي وَفَائِهِ انْظُرْ: مُحَمَّد بن شَرِيفَة "**أديب الأَنْدَلُسِ أَبُو بَحْرٍ التُّجِيبِيّ**" ص ١٥٣ .

٤ – هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو **بكر** مُحَمَّدُ بنُ عِيسَى المَشْهُورُ **بابنِ اللَبَّانَةِ**،مِنْ دانية واشتُهر بأَبِي بكر الدَّانِي،كَانَ شَاعِرًا يتصرف وَقَادِرًا لا يتكلف، وَذُكِرَ أن أَمَّهُ كَانَتْ تبيع اللبن،ألف كتابين فِي أخبار بَنِي عَبَّادٍ،أحدهمَا "السُّلُوكُ فِي وَعْظِ المُلُوكِ" تُوُفِّيَ بميورقة سَنَةَ ٥٠٧هـ.

انْظُرْ :ابن دِحْيَةَ"**المُطْرِب**"ص١٧٨–١٨٠؛ عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِيّ"**المُعْجِب**"ص١٤٧–١٦٠؛ ابن الأَبَّار "**التَّكْمِلَة**" ١/٣٣٣–٣٣٤؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/٤٠٩– ٤١٤؛"**رَايَات المُبَرِّزِين**" ٢١٥– ٢١٦؛ الكُتُبِيّ"**فَوَات الوَفَيَات**" ٢/٤٢٧– ٤٣١ .

٥ – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/٤١١ .

[٦] – الكِتَاب مِنْ إنشاء أَبِي عَبْدِ اللهِ العُقَيْلِيّ وَسَمَّاهُ "الرَّوْض العَاطِر الأَنْفَاسَ فِي التَّوَسُّلِ إِلَى المَوْلَى الإِمَامِ سُلْطَانِ فَاسَ" .

[٧] – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٦/٢٨٣؛ "**أَزْهَارُ الرِّيَاضِ**" ١/٧٢ .

[٨] – نَفْسُهُ 284/٦؛ نَفْسُهُ ١/٧٩ – ٨٠ .

فَلَمْ يُبِحْ أَدْرُعَ الكِنْدِي وَهُوَ يَرَى   أَنَّ ابْنَهُ البَرَّ قَدْ أَشْفَى عَلَى الرَّجَمِ[1]

وفِي هَذَا تَضْمينٌ[2] وَاضِحٌ لِبَيْتِ **الأعْشَى**[3]،وَبَرَزَ فِي البَيْتَيْنِ تَأَثُّرُ الشَّاعِرِ بِبَقِيَّةِ تَفَاصِيلِ القِصَّةِ المَرْوِيَّةِ عَنْ ذاكَ **السَّمَوْأَلِ** اليَهُودِيِّ،وَكَبِرَتْ مَسَاحَةُ التَّأَثُّرِ عِنْدَهُ لِتَشْمَلَ مُعْظَمَ رُمُوزِ القِصَّةِ المَرْوِيَّةِ عنه؛وَكَأَنَّ الشَّاعِرَ تَوَقَّعَ أَنْ لا يَسْتَجِيبَ لَهُ السُّلْطَانِ الوَطَّاسِيِّ بِإِشَارَةٍ بِسِيطَةٍ تَأْتِي فِي القَصِيدَةِ إِلَى الوَفَاءِ وَالأَوْفِيَاءِ،فاسْمُ **السَّمَوْأَلِ** مُفْرَدًا قَدْ لا يُشْعِرُهُ بِمَدَى الحَاجَةِ إِلَى نَجْدَتِهِ،فأَتَى بِتَفَاصِيلَ عَدِيدَةٍ تُوضِّحُ الصُّورَةَ الكَامِلَةَ لِقِصَّةِ النَّجْدَةِ هَذِهِ التِي دَفَعَ **السَّمَوْأَلُ** مِنْ أَجْلِهَا أَغْلَى مَا يَمْلِكُ وَهُوَ ابْنُهُ، لِيَأْخُذَ المَعْنِيُّ مَوْقِفًا مُمَاثِلاً فَيَهُبُّ لِنجدةِ هَذَا السُّلْطَانِ الذي تَكَالَبَتْ الأَعْدَاءُ حَوْلَهُ تُحَاوِلُ أَخْذَ مَمْلَكَتِهِ وَالقَضَاءَ عَلَى مملَكَةِ المُسْلِمِينَ فِي الأَنْدَلُسِ بِأَنْ يَكُونَ **كالسَّمَوْأَلِ** إِذْ تقدمتْ نَحْوَهُ جَحَافِلُ أَعْدَائِهِ وَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِ الأُمُورُ مِنْ سَيِّءٍ إِلَى أَسْوَأ؛وَاسْوَدَّتْ الدُّنْيَا حَوْلَهُ وَمعْ ذَلِكَ تَمَسَّكَ بِوَفَائِهِ وَهبَّ لِنَجْدَةِ مَنِ اسْتَجارَ بِهِ مَهْمَا كَلَّفَهُ هَذَا مِنْ ثَمَنٍ.وَلَمْ يَقِفِ الشَّاعِرُ عِنْدَ هَذَا التَّأَثُّرِ بقِصَّةِ **السَّمَوْأَل** بَلْ تَجَاوَزَهُ حِينَ انتقلَ إِلَى الحَدِيثِ عَنْ السُّلالَةِ المُرَيْنِيِّةِ،فَقَالَ فِيهِمْ[4]: [البسيط]

بنُو مُرَيْنَ لُيوثٌ فِي عَرِينٍ أَبَوْا   رُؤْيَا قَرِينٍ لَهُم فِي البَأْسِ وَالكَرَمِ

النَّازِلِينَ مِنَ البَيْضَاءِ وَسْطَ حِمَى   أَحْمَى مِنَ **الأَبْلَقِ السَّامِي** وَمِنْ إِرَمِ

فَشَبَّهَ حِمَى بني مُرَيْنَ بأَنَّهُ أَمْنَعُ مِنَ "**الأَبْلَقِ السَّامِي**" وَيقْصِدُ بِهِ "**الأَبْلَقَ الفَرْدَ**" قصْرَ **السَّمَوْأَلِ**. وَمِثْلُ هَذَا الأَخْذِ لِتفاصيلِ قِصَّةِ **السَّمَوْأَلِ** وَإِيرادُهَا فِي الشِّعْرِ فِي أَبْيَاتٍ مُتَبَاعِدَةٍ فِي هَذِهِ القَصِيدَةِ الطَّوِيلةِ يُعْطِي انْطِبَاعًا أَنَّه كَانَ رَمْزًا خَصْبًا لِلعَدِيدِ مِنَ الشُّعَرَاءِ فِي الأَنْدَلُسِ وَخارِجِها.وَحَمَلَ كُلَّ صِفَاتِ **السَّمَوْأَلِ** القَدِيمِ دُونَ أَنْ تُشَكِّلَ يَهُودِيَّتُهُ وَاخْتِلافُ دِينِهِ عَائِقًا أَمَامَ اسْتِخْدَامِهِ كَرَمْزٍ قَوِيٍّ.

وَتُظْهِرُ الأَبْيَاتُ السَّابِقَةُ أَنَّ قِصَّةَ **السَّمَوْأَلِ** كَانَ لَهَا وَجْهَانِ؛الأَوَّلُ مِنْهُمَا جِيرَةُ الضَّعِيفِ وَالمُحْتَاجِ وَالوَفَاءُ بِالعَهْدِ مَهْمَا كَلَّفَ الأَمْرِ،وَالثَّانِي شَجَاعَتِهِ وَبُطُولَتِهِ المُتَمَثِّلَةِ "**بِالأَبْلَقِ الفَرْدِ**".

وَ"**الأَبْلَقُ**" قصْرُ **السَّمَوْأَلِ** بِتَيْمَاءَ،وَاخْتَلَفَتِ الآرَاءُ حَوْلَ بِنَاءِ هَذَا الحِصْنِ[5]،إلا أَنَّ الاخْتِلافَ حَوْلَ بِناءِ "**الأَبْلَقِ**" لَمْ يُؤَثِّرْ فِي حديثِ الشُّعَرَاءِ،وَظَلَّ رَمْزًا لِلعِزَّةِ وَالمَنْعَةِ وَاسْتِحَالَةِ الوُصُولِ.

---

[1] – الرَّجَمُ: بِفَتْحِ الجيم هُوَ القَبْرُ نَفْسُهُ .   ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [رجم]/٢٢٧ – ٢٢٨ .

[2] – **التضمين:** أن يُضَمِّنَ الشَّاعِرُ فِي شِعْرِه شَيْئًا مِنْ شِعْرِ غَيْرِهِ مَعَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يكن مَشْهُورًا عِنْدَ البُلَغَاء.
انْظُرْ : الخَطِيب القَزْوِينِيّ "**الإيضَاح فِي عُلُومِ البَلاغَةِ**" ص٥٨٠ .

[3] – قَالَ الأَعْشَى : [البسيط] كُنْ كَالسَّمَوأَلِ إِذْ سَارَ الهُمَامُ لَهُ   فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ
الأَعْشَى "**دِيوانُه**" ص٢٢٩؛ أَبُو الفَرَجِ الأَصْفَهَانِيّ "**الأَغَانِي**" ٢ /١٢٦؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ "**مُعْجَمُ البُلْدَان**" ١/٧٥ .

[4] – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٦/286؛ "**أَزْهَارُ الرِّيَاضِ**" ١/٧٦ .

[5] – أَشار السَّمَوْأَلُ إِلَى أَنَّ جده عادياء بناه، لكنَّ الأَعْشَى يَزْعُمُ أَنَّ بناءَهُ يَرْجِعُ إِلَى النَّبِيِّ سُلَيْمَانَ بنِ دَاوُدَ،قَالَ الأَعْشَى:[الطويل]
وَلا عَادِيا لَمْ يَمْنَعِ المَوْتَ حالُهُ   وَوِرْدٌ بِتَيْمَاءَ اليَهُودِيِّ أَبْلَقُ
بَنَاهُ سُلَيْمَانُ بنُ دَاوُدَ حُقْبَةً   لَهُ أَزَجٌ عَالٍ وَطَيٌّ مُوَثَّقُ
الأَعْشَى "**دِيوانُه**" ص٢٦٧؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ "**مُعْجَمُ البُلْدَان**" ١/٧٦ .

وَكَثُرَ الحَدِيثُ عَنْهُ وَجَرَى مَجْرَى المَثَلِ،فَصَارَ "**الأَبْلَقُ**" رَمْزًا لِكُلِّ مَا يَعِزُّ وَيمْتَنِعُ عَلَى طَالِبِه(١)، وَدَخَلَ الشِّعْرَ العَرَبِيَّ بِهَذَا الرَّمْزِ،وَقَدْ ذَكَرَهُ **السَّمَوْأَلُ** فِي شِعرِهِ(٢)،وَالأَعْشَى وَصَفَهُ وَتَحَدَّثَ عَنْ حَصَانَتِهِ(٣)،وَذَكَرَهُ ابنُ **هَانِئٍ الأَنْدَلُسِيُّ** حِينَ هَنَّأَ ابنَ حَمْدُونَ(٤) بِفَتْحِهِ،بِقَوْلِهِ(٥): [الطويل]

بَلَى! هَذِهِ(٦)تَيْمَاءُ وَ**الأَبْلَقُ** الفَرْدُ   فَسَلْ أَجَمَاتِ الأُسْدِ مَا فَعَلَ الأُسْدُ

وَذَكَرَهُ **أَبُو بَحْرٍ التَّجِيبِيّ** للإِشَارَةِ عَلَى طَلَبِ مَا لا يَكُونُ، بِقَوْلِهِ(٧):[الطويل]

كَفَى زَلَلاً لِلدَّهْرِ أَنَّ التِقَاءَنَا   كَــ**أَبْلَقَ** مَعْلُومِ الوُجُودِ عَقُوقِ

وَحِينَ أَصْدَرَ أَحَدُ الأُمَراءِ أَمْرًا بِكَسْرِ دِنَانِ الخَمْرِ،مَدَحَهُ ابنُ **زَيْدُونَ،فَقَالَ**(٨): [الطويل]

أَجَلْ،إِنَّ لَيْلَى حَيْثُ أَحْيَاؤُهَا الأُسْدُ(٩)   مَهَاةٌ حَمَتْهَا – فِي مَرَاتِعِهَا – أُسْدُ

يَمَانِيَّةٌ تَدْنُو،وَيَنْأَى مَزَارُهَا   فَسِيَّانِ مِنْهَا فِي الهَوَى القُرْبُ وَالبُعْدُ

إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهَا تَمَرَّدَ مَارِدٌ   وَعَزَّ فَلَمْ نَظْفَرْ بِهِ **الأَبْلَقُ الفَرْدُ**(١٠)

---

١ – قَالُوا: "أَشْهَرُ مِنَ الأَبْلَقِ"، وَقَالَ المَيْدَانِيُّ إِنَّ ماردًا وَالأَبلَقَ حِصنانِ قَصَدَتْهُمَا الزَّبّاءُ مَلِكَةُ الجزيرةِ فَلَمَّا لَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهِمَا قَالَتْ: "تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الأَبْلَقُ" . انْظُرْ: المَيْداني"**مَجْمَع الأَمْثَال**" ١/١٧٣، ٥٢٨ .

٢ – قَالَ السَّمَوْأَلُ: [المتقارب] بِالأَبلَقِ الفَرْدِ بَيْتِي بِهِ   وَبَيْتُ المَصِيرِ سِوَى الأَبْلَقِ

بِبَلْقَعَةٍ أَثْبَتَتْ حُفْرَةً   ذِرَاعَيْنِ فِي أَرْبَعٍ خَيْسَقِ

فَلا أَدْفَعُ الضَّيْفَ عَنْ رِزْقِهِ   لَدَيَّ إِذَا قِيلَ لَمْ يُرْزَقِ

وَفِي البَيْتِ ضَخْماءُ مَمْلُوءَةٌ   وَجَفْنٌ عَلَى هَمَعٍ مُدْهِقِ

أَبَيْتُ الذِي قَدْ أَتَى عَادِيا   وَحيًّا مِنَ الحَلَقِ الأَزْرَقِ   عُرْوَة بن الوَرْدِ وَالسَّمَوْأَل "**ديواناهما**" ص٨٨ .

وَقَالَ السَّمَوْأَلُ كَذَلِكَ فِيهِ : [الطويل]

لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِيرُهُ   مَنِيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلُ

رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ   إِلَى النَّجْمِ فَرْعٌ لا يُنَالُ طَوِيلُ

هُوَ الأَبْلَقُ الفَرْدُ الذِي سَارَ ذِكْرُهُ   يَعِزُّ عَلَى مَنْ رَامَهُ وَيَطُولُ

عُرْوَة بن الوَرْدِ وَالسَّمَوْأَل "**ديواناهما** "ص ٩٠؛ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [بلق] ٦٢١٧؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ" **مُعْجَمُ البُلْدَان**" ١/٧٦ .

٣ – قَالَ الأَعْشَى [البسيط] :بِالأَبْلَقِ الفَرْدِ مِنْ تَيمَاءَ مَنْزِلُهُ   حِصْنٌ حَصِينٌ وَجارٌ غَيْرُ غَدَّارِ

الأعشى "**دِيوانُه**" ص٢٢٩ – ٢٣١ .

٤ – هُوَ: أَبُو علي جَعْفَرُ بنَ عَلِيِّ **بن حَمْدُونَ** (أَو حمدان) الأَنْدَلُسِي ملك الزاب والمَسِيلَة بِإِفْرِيقِيَةَ.كَانَ بابه مَعْمُورًا بالشُّعَرَاءِ،وَكَانَ سَمْحًا كَثِيرَ العَطَاءِ مُؤْثِرًا لأَهْلِ العِلْمِ، ولابنِ هَانِئٍ فِيهِ مَدائِحُ كَثِيرَةٌ .   انْظُرْ: مُحَمَّد ابن حَمَّاد"**أَخْبَارُ مُلُوكِ بَنِي عُبَيْدٍ وَسِيرَتُهُمْ**" ص٦٥؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَان**" ٣/١٢٤؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/٩٧؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَاتُ الأَعْيَانِ**" ١/٣٦٠ .

٥ – ابن هَانِئٍ "**دِيوَانُهُ**" ص١٠٥ .

٦ – يقصد قَلْعَةِ كُتَاقة فِي الديوان،وَقَدْ تكون هي قلعة كياتة المطلة عَلَى قلعة حماد وَقَدِ استردها الممدوح مِنَ الأعداء. انْظُرْ: ابن هَانِئٍ "**دِيوَانُهُ**" ص١٠٥؛ مُحَمَّد ابن حَمَّاد"**أَخْبَارُ مُلُوكِ بَنِي عُبَيْدٍ وَسِيرَتُهُمْ**" ص٧١،٦٥؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ" **مُعْجَمُ البُلْدَان**" ٣/١٢٤ .

٧ – مُحَمَّد بن شَرِيفَة "**أديب الأَنْدَلُسِ أَبُو بَحْرٍ التَّجِيبِيّ**" ص ١١٨ .

٨ – ابْن زَيْدُونَ "**دِيوَانُهُ وَرَسَائِلهُ**" ص٣٥١ – ٣٥٢؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م١/٣٨٩ ..

٩ – هُوَ : **الأَسْدُ أَوْ الأَزْد بن الغوث** (وَالسين أفصح) ،وَمِنْ أولاده الأَنْصَارُ ؛ يقصد أن هَذِهِ الفتاة التي تنتمي لأسد هِيَ ظبية يحيط بِهَا مِنْ قومها الأُسُودُ الكَوَاسِرُ.   انْظُرْ: ابن منظور "**لِسَان العَرَبِ**" [أزد] ٢/١٧٥ .

١٠ – **مارِدٌ**: حِصْنٌ معروف بِدُومةِ الجندل. وَالأَبْلَقُ الفَرْد: حصنٌ بِتَيْماءَ وهُوَ قصر السَّمَوْأَل بن عاديِاء اليَهُودي.

انْظُرْ: المَيْداني"**مَجْمَع الأَمْثَال**" ١/١٧٣؛ ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [مرد،بلق] ٣/٤٠٢، ١٠/٢٦؛ النُّوَيْرِيّ "**نِهَايَةَ الأَرَبِ**" ١/٣٨٥ .

فَشَبَّهَ ابنُ زَيْدُونَ عِزَّةَ مَحْبُوبَتِهِ كَعِزَّةِ "**الأَبْلَقِ الفَرْدِ**".وَإِنْ أَغْفَلَ ابنُ زَيْدُونَ الإِشَارَةَ إِلَى **السَّمَوْأَل** فِي أَبْيَاتِهِ هَذِهِ فَقَدْ ذَكَرَهُ فِي "رِسَالَتِهِ الهَزْلِيَّةِ" إِلَى **ابنِ عَبْدُوس**(ت بعد: ٤٧٠هـ)[1] يَسْتَهْزِئُ بِهِ عَلَى لِسَانِ وَلادَةَ(ت بعد: ٥٠٠هـ)[2] بِقَوْلِهِ: "وَ**السَّمَوْأَلُ** إِنَّمَا وَفِي عَنْ عَهْدِكَ....."[3].

وَاقْتَرَنَ **الأَبلَقُ الفَرْدُ بِالسَّمَوْأَل** كَمَا مَرَّ،وَأَحْيَانًا يَأْتِي "**الأَبْلَقُ**" مُجَرَّدًا مِنَ "**الفَرْد**"،وَمِنْهُ **أَحْمَدُ بنُ سُفْيَانَ ابن عِقَال**[4] يُشِيرُ إِلى حِصْنِ **السَّمَوْأَل** وَإِن لَمْ يَذْكُرِ اسْمَهُ مُبَاشَرَةً. بِقَوْلِهِ[5]:[مجزوء الرمل]

إِنَّمَـــا **الأَبْلَـــقُ** حِصْـــنِي ثُـــمَّ رُمْحِـــي وَحُسَـــامِي

ومِنْ هَذَا أَرَى أَنَّ الكُتَّابَ أَوِ الشُّعَرَاءَ حِينَ ذَكَرُوا **السَّمَوْأَل** لَمْ يكُنْ بِتَأْثِيرِ اليَهُودِ المُنْتَشِرِينَ بَيْنَهُم،بَلْ لأَنَّهُ عَلَمٌ مِنَ الأَعْلامِ الَّتِي تَتَرَدَّدُ بِكَثْرَةٍ فِي الثَّقَافَةِ العَرَبِيَّةِ.

ثَانِيًا :- مَصَادِرُ قِصَصِ اليَهُودِ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ.

أَخَذَ الأَنْدَلُسِيُّ قِصَصَ اليَهُودِ مِنَ "**التَّوْرَاةِ**" وَشُرُوحِ الإِسْرَائِيلِياتِ،وَأَحْيَانًا مِنَ القُرْآنِ،وَكَانَتِ السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ وَمَا تَلاهَا مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ العربيِّ الإِسْلامِيِّ مَصْدَرًا مُهِمًّا لأخذِ قِصَصِهِمْ، وَكَانَ زَمَنُ الرَّسُولِ ﷺ وَالصَّحَابَةِ أَكثَرَ بُرُوزًا فِي شِعْرِهِم مِنَ التَّارِيخِ اللاحِقِ لهُم.وَإِيرادُ هَذِهِ القِصَصِ وَإِن كَانَ فِيهَا مَعْنَى التَّشَفِّي بِمَا حَصَلَ لِليَهُودِ أَحْيَانًا كَعَدُوٍّ مَذْكُورٍ فِيهَا،لَكِنْ لَمْ أَرَ فِي شِعْرِهِمْ تَشَفِّيًا بِفِئَةِ اليَهُودِ المُحِيطَةِ،وَلَمْ يَكُنْ لِلْيَهُودِ المُحِيطِينَ أَثَرٌ وَاضِحٌ دَفَعَ الشَّاعِرَ لِقَوْلِ هَذِهِ القِصَصِ عَلَى الأَغْلَبِ بَلْ جَاءَتْ تَأَثُّرًا بِمَوْرُوثٍ تَارِيخِيٍّ دِينِيٍّ لا غَيْرُ.

وَلَمْ يَكُنِ القَصْدُ مِنْ هَذِهِ الإِشَارَاتِ التَّارِيخِيَّةِ،بِرَأْيِي،أَنْ يَقْرَأَهَا اليَهُودُ المَوْجُودُون. لِذَا لَمْ يَكُنِ الشَّاعِرُ فِي الغَالِبِ يُعَقِّبُ عَلَى كَلامِهِ بِمَا يَدْعُو إِلَى قِتَالِ اليَهُودِ أَوِ الثَّوْرَةِ عَلَيْهِم[6].

---

[1] – هُوَ الأديبُ الكاتبُ: أَبُو عَامِرِ بنُ جَهْوَرٍ **ابنُ عَبْدُوسَ**،مِنْ قُرْطُبَةَ،مُنَافِسُ ابن زَيْدُونَ فِي حب وَلادَةَ،وَهُوَ المقصودُ "بِالرِّسَالَةِ الهَزْلِيَّةِ" الَّتي كتبها ابنُ زَيْدُونَ عَلَى لِسانِ ولادةَ يهزأَ فِيهِ ،كان حَيًّا ٤٧٠هـ .

انْظُرْ: ابْن زَيْدُونَ "دِيوَانُهُ وَرَسَائِلُهُ" ص640 ؛ابن الأَبَّارِ "التَّكْمِلَة" ٤/ ٣٠؛ المَقَّرِيّ "نَفْح الطِّيبِ" ٥/ ٣٤٣ .

[2] – هِيَ:**وَلادَةُ بِنْتُ المُسْتَكْفِي** بِاللهِ مُحَمَّدٍ بنِ عبد الرَّحْمَنِ النَّاصِرِيِّ، قَالُوا إِنَّها أَشْهَرُ شَاعِرَاتِ الأَنْدَلُسِ، وأكثرُ شِعْرِهَا كَمَا يَقُولُ ابنُ بَسَّامٍ فِي الهِجَاءِ لِذَا لَمْ يذكره،كَانَ لَهَا مَجْلِسٌ يَغْشَاهُ أُدَبَاءُ قُرْطُبَةَ وَظُرَفَاؤُهَا،واشتُهِرَتْ بِالغِنَاءِ وَبِقِلَّةِ مُبَالاتِهَا وَمُجَاهَرَتِهَا بِلَذَّاتِهَا،أَحَبَّها ابنُ زَيْدُونَ، وبسببها خاطَبَ ابنَ عَبْدُوس بِالرِّسَالَةِ الهزلية.عَمَّرَتْ طَوِيلاً.

انْظُرْ : ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٤٢٩/١ – ٤٣٣؛ الضَبِّيّ"**بُغْيَةُ المُلْتَمِس**" ٧٣٣/٢؛ ابْن دِحْيَةَ"**المُطْرِب**"ص٧– ١٠؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٦٥/١ – ٦٦؛ الكُتْبِيّ"**فَوَات الوَفَيَات**" ٥٨٦/٢–٥٨٨؛الصَّفَدي"**الوافي بالوَفَيَات**"٢٦٢/٢٧–٢٦٤؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٣٤٠/٥ – ٣٤٦.

[3] – ابْن زَيْدُونَ "**دِيوَانُهُ وَرَسَائِلُهُ**" ص640،

[4] – هُوَ : **أَحْمَدُ بنِ** سُفْيَانَ ابنُ **عِقَالَ**،وَلِيَ الزَّابَ،ثُمَّ طَرَابُلُسَ سِنِينَ عَدِيدَةً،وَلَهُ بِهَا أَخْبَارٌ وَوَقَائِعُ مَشْهُورَةٌ،وَهُوَ مِمَّنْ قام بِنُصْرَةِ أَبِي العَبَّاسِ مُحَمَّدٍ بن الأغلب عَلَى أَخيه أَحْمَدَ . انْظُرْ : ابن الأَبَّارِ "**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ١٨٢/١ – ١٨٥ .

[5] – ابن الأَبَّارِ "**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ١٨٤/١ – ١٨٥ .

[6] – حَتَّى قَصِيدَةَ الإِلبيري التي دعت إِلَى ثورة لَمْ تشر إِلَى أي قصة تاريخية لليهود. انْظُرْ القَصِيدَةَ فِي المَلاحِقِ .

فأبو **الحَسَنِ بنُ الجَيَّابِ** يَذْكُرُ اليَهُودِيَّ **مَرْحَبَا** [١] فِي قَوْلِهِ مُهَنِّئًا بِمَوْلُودٍ[٢]: [السريع]

مَرْحَبًــا بِــابْنِ الإِمَــامِ الــذِي   جَــدَّلَ يَــوْمَ خَيْبَــرِ **مَرْحَبَــا**

وَكَذَلِكَ أَشَارَ **ابنُ الجَيَّابِ** فِي مَوْقِعٍ آخرَ إِلى حُكْمِ سَعْدٍ عَلَى **اليَهُودِ** بِقَوْلِهِ[٣]: [الخفيف]

جَاهِــدِ الــنَّفْسَ جَاهِـدًا فَــإِذَا مَــا   فَنِيَتْ عَنْكَ فَهِيَ عَيْنُ الوُجُودِ

وَلْــيَكُنْ حُكْمُــكَ المُسَــدَّدُ فِيهَــا   حُكْمَ سَعْدٍ فِــي **قَتْلِــهِ لِليَهُــودِ**

شَبَّهَ ابنُ الجَيَّابِ حَالَ مَنْ يُحسِنُ السَّيْطَرَةَ عَلَى نَفْسِهِ وَيُحْسِنُ مُجَاهَدَتَهَا بِقُوَّةٍ وَإِصْرَارٍ دُونَ رَأْفَةٍ أَوْ تَهَاوُنٍ بِحَالِ الصَّحَابِيِّ سَعْدِ بنِ مَعَاذٍ حِينَ حَكَمَ بِقَتْلِ اليَهُودِ دُونَ تهاوُنٍ.فقدِ اتُّخِذَ هَذَا الحُكْمُ رَمْزًا لكلِّ مَنْ يَكُونُ حَازِمًا فِي حُكْمِهِ،قَاسِيًا فِي قَرَارٍ فِيهِ مَصْلَحَةٌ.وَتَمَّتِ الإِشارَةُ إِلَى قِصَّةِ تَحْكِيمِ سَعْدٍ فِي مَوَاقِعَ عِدَّةٍ، مِنْهَا قَوْلُ **عيسى الشَّرِيشِيِّ** يُنَفِّرُ مِنَ اسْتِكْتَابِ اليَهُودِ فِي قَوْلِهِ[٤]: [الوافر]

مَتَــى نَصَـحَتْ يَهُـودُ العُـرْبَ يَوْمًـا   أَحِقْــــدُهُمُ لأَوْسِـــكُمُ يَـــزُولُ

وَيَظْهَرُ فِي هَذَا البَيْتِ تَأَثُّرُ بِحَالِ اليَهُودِ حَوْلَ الشَّاعِرِ،فَيَرَى الشَّرِيشِيُّ أَنَّ اليَهُودَ لَمْ يَنْسُوا مَا عَمِلَهُ الأَوْسُ وَزَعِيمُهُم سَعْدُ بِاليَهُودِ قَدِيمًا،فَهُمْ يَحْقِدُونَ إِلَى الآنَ عَلَى المُسْلِمِينَ بِسَبَبِ هَذِهِ الحَادِثَةِ.

وبِهَذا أَرَى أَنَّ الشَّاعِرَ الأَنْدَلُسِيَّ حِينَ كَانَ يَسْتَشْهِدُ بِأَحْدَاثٍ أَوْ شَخْصِيَّاتٍ مِنَ التَّارِيخِ لَهَا عَلاقَةٌ بِاليَهُودِ،كَانَ عَلَى الأَغْلَبِ يَذْكُرُهَا عَامَّةً،وَلَمْ يَكُنْ يَقْصِدِ اليَهُودَ حَوْلَهُ بِهَا إلا فِي القَلِيلِ مِنْهَا؛ كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْهَا عَنْهُمْ فِي الأَغْلَبِ،بَلْ كَانَ يُشيرُ إِلَيْهَا لِيُبْرِزَ قُدْرَتَهُ الشِّعْرِيَّةَ وَثَقَافَتَهُ المُنَوَّعَةَ التِي مَكَّنَتْهُ مِنْ وَضْعِ هَذِهِ المَعْلُومَةِ التَّارِيخِيَّةِ بِسُهُولَةٍ فِي شِعْرِهِ.

وَكَثُرَتْ رُمُوزُ النَّصَارَى **كَالصَّلِيبِ وَالنَّاقُوسِ** فِي الشِّعْرِ،لَكِنْ لَمْ أَجِدْ مَا يُشِيرُ إِلَى رُمُوزٍ وَاضِحَةٍ لِليَهُودِ،فَإِن عُدَّ **البُوقُ**[٥] مَثَلاً وَ**النَّفْخُ** فِيهِ مِنْ رُمُوزِ اليَهُودِ التِي تَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعِ شَأْنِهِم

---

١ – مَرْحَبَا : يَهُودِيٌ بَارَزَهُ عَلِيٌّ يَومَ خَيبَرَ وقَتَلَهُ   انْظُرْ : ابن كثير "**البِدَايَةَ وَالنِّهَايَةَ**" ١٨٨/٤– ١٩١ .

٢ – الشَّرِيف الغَرْنَاطِيّ "**رَفْع الحُجُبِ المَسْتُورَةِ**"١/١٤ .

٣ – أَبُو الحَسَنِ بْن الجَيَّابِ "**دِيوَانُهُ** " ص ٥٧٢– ٥٧٣؛ ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَةَ**" ٤٦٠/٣؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٤٣١/٧؛

٤ – ابنُ عَبْدِ المَلِكِ المَرَّاكُشِيّ"**الذَّيْل وَالتَّكْمِلَة**"السفر الخامس ق٢، ص٤٩٨، أتى ذِكْرٌ للأبيات السَّابِقَةِ فِي البَحْثِ : ص ١٤٤ .

٥ – البُوقُ: شِبه مِنْقافٍ مُلْتَوِي الخَرْق يُنْفُخ فِيهِ وَيُزْمَر ،فَيَعْلُو صَوْتُهُ وَيُعلَم المُرادُ بِهِ. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [بوق]٣١/١٠ .

وعن استخدامه عِنْدَ اليَهُود يَقُولُ المسيرِي إِنَّ كلمة البوق تقابلها فِي العِبْرِيَّةِ لفظة (شوفار) Shofar يُصنع مِنْ قَرْنِ كَبْشٍ،وَيُقَالُ إِنَّ أولَ بُوقٍ صُنِعَ مِنْ قَرْنِ الكَبْشِ الذِي ضَحَّى بِهِ إِبْرَاهِيمُ افْتِدَاءً لابْنِهِ.وَيَبْلُغُ طُولُ البُوقِ مَا بَيْن عَشْرِ بُوصَاتٍ وَاثنتي عَشْرَةَ بُوصَةٍ.وَاسْتَخْدَمَ العِبْرَانِيُّونَ البُوقَ فِي المُنَاسَبَاتِ الدِّينية مِثْل إِعْلانِ السَّنَةِ السَّبْتِيَّةِ،وَسَنَةِ اليُوبِيلِ،وَتَكْرِيسِ المَلِكِ الجَدِيدِ،كَمَا يُنفَخ فِيهِ فِي عيد رَأْسِ السَّنَةِ، وَفِي يَوْمِ الغُفْرَانِ بَعْدَ صَلاةِ الخِتَامِ. وَيُتْلَى المَزْمُورُ سَبْعَ مَرَّاتٍ رَمْزًا لِعَدَدِ المَرَّاتِ التي طَافَهَا أَعْضَاءُ جَمَاعَةِ يسْرائيل حَوْلَ أريحا قبل أن ينفخوا فِي البوق، فسَقَطَتْ أَسْوَارُهَا.وَلَكِنْ لا يَصِحُّ النَّفْخُ فِيهِ إِذَا وَقعَتْ رَأْسُ السَّنَةِ يَوْمَ سَبْتٍ.وَيَرَى بَعْضُ اليَهُود المتدينين أَنَّ النَّفْخَ فِي البُوقِ يُرْبِكُ الشَّيْطَانَ. وأُعيد بعث هَذَا التقليد الدِّيني فِي دَوْلَةِ إِسْرَائِيل،فيُنفَخ فِي البُوقِ حِينَ يُؤَدِّي رَئِيسُ الدَّوْلَةِ اليَمِينَ،وَلا يزال يُستخدَم هَذَا فِي المَعَابِدِ اليَهُودية،وَفِي بَعْضِ الأَحْيَاءِ اليَهُودِيَّةِ لِلإِعْلانِ عَنْ مَقْدَمِ يَوْمِ السَّبْتِ.وَحِينَمَا احتَلَّت القُدْسُ عام١٩٦٧م، ذَهَبَ الحَاخَام الجِنرَال جُورِين، وَنفخ فِي بُوقِهِ أَمَامَ حَائِطِ البُرَاقِ، وَهُوَ نَفْسُهُ البُوق الذي نُفِخَ فِيهِ فَوْقَ جَبَلِ سَيْنَاءَ حِينَمَا احْتَلَّتْ إِسْرَائِيل سَيْنَاءَ عِدَّةَ شُهُورٍ عام ١٩٥٦م . وَيُكتَبُ عَلَى البُوقِ فِي العَصْرِ الحَدِيثِ عِبَارَةُ «السَّنَةُ القَادِمَةُ فِي القُدْسِ».

انْظُرْ : عبد الوَهَّاب المَسِّيرِيّ" **مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" ٢٣٨/٥–٢٣٩ .

وَتَمَكُّنِهِم،لَمْ أَجِدْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فِيمَا وَقعَ بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ شِعْرِهِم.وَقَدْ يَكُونُ التَّعْلِيلُ أَنَّ هَذِهِ الفِئَةَ كَمَا قُلْتُ سَابِقًا ذَابَتْ بَيْنَ فِئَاتِ المُجْتَمَعِ وَلَمْ تَتَصَارَعْ مُبَاشَرَةً مَعَ السُّلْطَةِ الحَاكِمَةِ،وَلَمْ تَقِفْ مِنْهَا مَوْقِفَ العَدُوِّ،وَلَمْ يَكُنْ لَهَا جُيُوشٌ أَوْ كِيانٌ سِياسِيٌّ خَاصٌ تُقَاتِلُ باسْمِهِ،أَوْ تَتَحَدَّى بِهِ.وَكُلُّ هَذَا جَعَلَهَا فِئَةً مَغْمُورَةً،وَبالتالي غُمِرَتْ مُعْظَمُ طُقُوسِهَا وَرُمُوزِهَا،فَبُعْدُهَا عَنْ سَاحَاتِ السِّيَاسَةِ وَالسِّيَاسِيِّينَ أَوَّلاً، ثُمَّ عُزْلَتُهَا اجْتِمَاعِيًّا وَانْغِلاقُهَا عَلَى نَفْسِهَا ثَانِيًا،لَمْ يَدَعِ الشُّعَرَاءَ يُشَاهِدُونَ طُقُوسَهَا الدِّينيةَ،فَلَمْ يأْتِ الشَّاعِرُ الأَنْدَلُسِيُّ بِرُمُوزِهَا فِي شِعْرِهِ لِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ بِهَا،وَقِلَّةِ مُشَاهَدَتِهِ لِطُقُوسِهَا.

وَلاخْتِفَاءِ تَفَاصِيلِ عِبَادَتِهِمْ وَطُقُوسِهِمْ سَبَبٌ آخَرُ بِرَأْيِي؛وَهُوَ أَنَّ الشَّاعِرَ الأَنْدَلُسِيَّ المُسْلِمَ عَلَى الأَغْلَبِ يَكَادُ أَحْيَانًا لا يُعْنَى بِشَعَائِرِ دِينِهِ الذي يَنْتَمِي إِلَيْهِ،فلا يُعْقَلُ أَنْ يَدْخُلَ فِي تَفَاصِيلِ دِينِ اليَهُودِ وَلا أَنْ يُعَدِّدَ شَعَائِرَهُم،أو يَصِفَ طُقُوسَهُم خُصُوصًا أَنَّهُم تَمَيَّزُوا بِالسِّرِّيَّةِ فِي أَدَائِهَا.

ونَظَرَ الشَّاعِرُ الأَنْدَلُسِيُّ إِلَى **"التَّوْرَاة"** بِاحْتِرَامٍ،وَكَانَتْ تُذْكَرُ أَحْيَانًا فِي أَحَبِّ الأَغْرَاضِ إِلَيْهِ أَلا وَهُوَ الغَزَلُ وَالمَدْحُ أَحْيَانًا.أَمَّا **"الزَّبُورُ"**[1] فَقَلَّ ذِكْرُهُ؛وَظَهَرَ فِي مَدْحِ ابنِ **هَانِئٍ** الخليفَةَ المُعِزَّ لدينِ اللهِ وَالصَّنَادِيدَ مَعَهُ،وَالكَلامُ فِيهِ إِعْجَابٌ بِدَاوُدَ وَمَزَامِيرِهِ وَ**"الزَّبُورِ"**،فِي قَوْلِهِ[2]: [البسيط]

كَأَنَّ أَرْمَاحَهُم تَتْلُو إِذَا هُزِجَتْ[3] **زَبُـورَ** دَاوُدَ فِـي مِحْـرَابِ دَاوُدِ

وَلَمْ يَأْتِ **"الزَّبُورُ"** دَالاً عَلَى كِتَابِ اليَهُودِ دَائِمًا[4]؛أَمَّا كِتَابُ اليَهُودِ **"الزَّبُورُ"** المُنَزَّلُ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَثَرٌ وَاضِحٌ فِي شِعْرِهِمْ[5].

---

[1] – **الزَّبُور**: الكتاب المَزبُورُ،والجمع: زُبُر.مَأْخُوذٌ مِنْ زَبَرْتُ الكتاب إذا أَتْقَنْتُ كتابتَهُ.والزِّبْر: الكتابُ،والجمع زُبُور؛ومنه قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ **سُورَةِ الأَنْبِيَاءِ**، آيَة ١٠٥.وَقَدْ غلب الزَّبُور عَلَى مَا أُنْزِلَ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام؛ ومنه قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ **سُورَةِ الإِسْرَاءِ**، آيَة ٥٥ . انْظُر: ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [زبر] ٣١٥/٤ .

[2] – ابن هَانِئ "**دِيوَانُهُ**" ص٩٣ .أَكْثَرَ ابنُ هَانِئٍ مِنْ رُمُوزِ اليَهُودِ،وَلَجَأَ إِلَى قِصَصِ دَاوُدَ أكثر مِنْ،فَأَشَارَ إِلَى قِصَّتِهِ مَعَ جَالوتَ بِقَوْلِهِ:

[البسيط] لَمْ يَلْقَ جَالُوتُ مِنْ دَاوُدَ مَا لَقِيَتْ شُرَاتُهُ مِنْكَ فِي حَلٍّ وَفِي رِحَلِ (الشُّرَاةُ هُمُ الخَوَارِجُ)

انْظُرْ: ابن هَانِئ "**دِيوَانُهُ**" ص٢٧٨،٣٥٥. وَالبَحْث: ص ١٧٦، ١٨٠ .

[3] – هزجت القوس (الرُّمْح): إِذَا صوتت عِنْدَ جذبِها وشدِّها للرمي عَنْهَا . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [هزج] ٣٩١/٢ .

٤ – وأَحْيَانًا جَاءَ لفظُ "الزَّبُورِ" لا يُقْصَدُ بِهِ دينُ اليَهُودِ، بَلْ أيّ كِتَابٍ . كَمَا فِي قَوْلِ ابنِ المُرَحِّلِ(ت:٦٩٩هـ) فِي الغَزَلِ: [الوافر]

عَلَى صِدْغَيْهِ مَرْقُومُ المَثَانِي وَفِي سَاقَيْهِ مَرْقُومُ الزَّبُورِ ابن المُرَحِّلِ " **الجَوَّالات**" ص ١٠٢ .

وَعِنْدَ أَبِي عَامِرِ بنِ شُهَيْد، يَقْصِدُ بِهِ الكِتَابَ المُقَدَّس فَحَسْبُ، فِي قَوْلِهِ: [البسيط]

وَالقَسُّ مِمَّا شَاءَ طُولَ مُقَامِنَا يَدْعُو بِعَوْدٍ حَوْلَنَا بِزَبُورِهِ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٦٦/٢ .

٥ – هَذَا فِي الشِّعْرِ أَمَّا فِي النَّثْرِ فَقَدِ اسْتُشْهِدَ أَحْيَانًا بِمَا جَاءَ فِي التَّوْرَاةِ وَالزَّبُور، انْظُرْ مَثَلاً : ابن رضوان المالقي "**الشُّهُبُ اللامِعَةُ فِي السِّيَاسَةِ النَّافِعَةِ**" استشهدَ بأقوالٍ مِنَ الزَّبُور عَنِ العَدْلِ ص ٨٥ ، وعَنْ ذِكْرِ اللهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ص ١١١ .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: **شُعَرَاءُ اليَهُودِ** فِي الأَنْدَلُسِ.

لَمْ تَذْكُرِ المَصَادِرُ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الشُّعَرَاءِ اليَهُودِ الذينَ نَظَمُوا بِالعَرَبِيَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ،والقِلَّةُ الذينَ ذكَرَتْهم لَمْ تُتَرْجِمْ لَهُمْ كَثِيرًا وَلَمْ تُثْبِتْ إلا القَلِيلَ مِنْ شِعْرِهِمْ،وَسَيُفَصِّلُ البَحْثُ الحَدِيثَ عن اثنينِ مِنْ شُعَرَاءِ اليَهُودِ لِدِرَاسَةِ أَثَرِهِمْ عَلَى الشِّعْرِ بالأَنْدَلُسِ.وَهُمَا:أَبُو الفَضْلِ بنُ حَسْدَاي وَإِبْرَاهِيمُ ابنِ سَهْلٍ.وسأقوم بدراسةِ شِعْرِهِمَا لأَنَّ لَهُمَا أَكْبَرَ مَسَاحَةٍ بين شُعَرَاءِ اليَهُودِ فِي صَفَحَاتِ كُتُبِ التُّرَاثِ، فقَدْ كَتَبَا شِعْرَهُمَا بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ.وَلَنْ أستطيعَ دراسةَ شِعْرِهِمَا فِي مُخْتَلَفِ الأَغْرَاضِ،فهَذَا مَا لا يَسْتَوْعِبُهُ البَحْثُ،لكنْ سَأُطَبِّقُ دِرَاسَتِي عَلَى تَخْمِيسٍ لابنِ سَهْلٍ الإسْرَائِيلِيِّ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ عَلَى قَصِيدَةِ مَدْحٍ لأَبِي الفَضْلِ ابنِ حَسْدَاي.ثُمَّ سأجمع مَا قِيلَ فِي غَيْرِهِم مِنْ شُعَرَاءِ اليَهُودِ الأَنْدَلُسِيِّينَ الذينَ كَتَبُوا شِعْرًا بِالعَرَبِيَّةِ أَوْ ذَكَرَتْهُمْ مَصَادِرُ الأَدَبِ الأَنْدَلُسِيِّ .

أَوَّلاً :- ابنُ سَهْلِ الإِسْرَائِيلِيّ

١- مَوْلِدُهُ وَنَشْأَتُهُ :

هُوَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بنُ سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيِّ[١]،وُلِدَ بِإِشْبِيلِيَةَ سَنَةَ ٦٠٩ هـ وَنَشَأَ بِهَا وَقَرَأَ كُتُبَ النَّحْوِ عَلَى إِمَامِ النَّحْوِ بِزَمَانِهِ أَبِي عَلِيٍّ الشَّلَوْبِينِ(ت:٦٤٥هـ)[٢]،هَاجَرَ مِنْ إِشْبِيلِيَةَ لَمَّا أَخَذَهَا الإِفْرَنْجِ إِلَى سِبْتَةَ حُبًّا فِي المُسْلِمِينَ وَبُغْضًا فِي النَّصَارَى[٣]كَمَا يَرَى الرَّاعِي[٤]،وَرُغْمَ إِسْلامِهِ إلا أَنَّهُ غالبًا مَا يوضَعُ مَعَ أَعْلامِ اليَهُودِ؛ففِي "نَفْح الطِّيبِ" تَرَاجِمُ لِسِتَّةِ شُعَرَاءَ مِنَ اليَهُودِ أَحَدُهُمُ ابنُ سَهْلٍ[٥].وغَلَبَ إِتْبَاعُ اسْمِهِ بِالإِسْرَائِيلِيِّ أَوِ الإِسْلامِيِّ أَوِ اليَهُودِيِّ إِشَارَةً إِلَى دِينِ أَسْلافِهِ،فَفِي "شَذَرَات الذَّهَب" وَرَدَ ذِكْرُهُ مَرَّتَيْنِ أُتْبِعَ اسْمُهُ فِي الأُولَى بِالإِسْرَائِيلِيِّ الإِسْلامِيِّ،وَفِي الثَّانِيَةِ بِالإِشْبِيلِيِّ

---

١ – انْظُرْ ترجمته في: ابن الأَبَّار "**تُحْفَةِ القَادِمِ**"ص٢٤٣؛ "**المُقْتَضَب مِنْ تُحْفَةِ القَادِمِ**"ص٢٤٣؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**"١/٢٦٩– ٢٧٠؛ "**رَايَات المُبَرِّزِين**" ص٧٦– ٧٧؛ابن خَلْدُونَ "**المُقَدِّمَة**"ص٥٨٦؛ الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَة وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"، حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونُسِيَّة،ع٢٩، ١٩٨٠م، ص٤٠– ٥٢؛ الصَّفَدِيّ"**الوافِي بِالوَفَيات**" ٦/٥–١٠؛ الكُتْبِيّ"**فَوَات الوَفَيات**" ١/٦٧– ٧٥؛المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٣/٧٠، ٥/٦٩– ٧٤، ٩/٢٣٧، ١٠/٢٨٨– ٢٩١ ؛ابن عماد الحَنْبَلِيّ "**شَذَرَات الذَّهَب**" ٣/٢٤٤، ٢٩٧؛ مُحَمَّد الإفراني"**المَسْلَك السَّهْل فِي شَرْح تَوْشِيح ابنِ سَهْل**" ص٦٢–٧٤؛ مُصْطَفَى القُسْطَنْطِينِيّ "**كَشْف الظُّنُون**" ١/٧٦٣ .

٢ – هُوَ النحوي: أَبُو **عَلِيّ الشَّلَوْبِين** عُمَرُ بنُ الأزدي الأَنْدَلُسِي الإِشْبِيلِيّ(٥٦٢– ٦٤٥هـ) قِيلَ إِنَّهُ كَانَ فِي العَرَبِيَّةِ بَحْرًا لا يُجَارَى. وَالشَّلَوْبِينَ بفتح الشين المعجمة واللام وسكون الواو وكسر الباء الموحدة وسكون المثناة التحتية ونون لقَبٌ بلغة الأَنْدَلُسِ تَعْنِي الأبيضَ الأشقر.

انْظُرْ: الذَّهَبِيّ "**سِيَر أَعْلامِ النُّبلاءِ**"٢ ٣/٢٠٧– ٢٠٨؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ "**شَذَرَات الذَّهَب**" ٣/٢٣٢– ٢٣٣ .

٣ – انْظُرْ: الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَة وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"، حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونُسِيَّة،ع٢٩، ١٩٨٠م،ص ٤١ .

٤ – هُوَ: أَبُو عبد الله **شمس الدين** مُحَمَّدٌ بن إِسْمَاعِيلَ الأَنْدَلُسِي الغَرْنَاطِيّ **الرَّاعِيّ**(٧٨٢–٨٥٣هـ) نَشَأَ بغَرْنَاطَة وتعلم فِيهَا الفقه والأصول والعَرَبِيَّةِ وَمَهَرَ فِيهَا،وَدَخَلَ القاهرة سَنَةَ ٨٢٥هـ فَحَجَّ وَاسْتَوْطَنَهَا،وَتَصَدَّى للاشْتِغَالِ فَانْتَفَعَ بِهِ النَّاسُ لا سِيَّمَا فِي العَرَبِيَّةِ،وَكَانَ حَادَّ اللسَانِ وَالخُلُقِ. انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٣/٤٣٢ – ٤٣٦؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٤/٢٧٩.

٥ – المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٥/٦٨– ٧٧ .

اليَهُودِيِّ[١] .وَيَقُولُ الرَّاعِي إنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ يُطْلِقُونَ عَلَيْهِ الإِسْرَائِيلِيَّ وَلا يُطْلِقُونَ عَلَيْهِ اليَهُودِيَّ بِسبَبِ إِسْلامِهِ،إلا أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ يُطْلِقُ عَلَيْهِ اليَهُودِيَّ أَيْضًا[٢] .وَنَعَتَهُ البَلَوِيُّ فِي رِحْلَتِهِ بالإِسْلامِيِّ[٣] لأَنَّهُ مِنَ القَائِلِينَ بِحُسْنِ إِسْلامِهِ كَمَا سَيَأْتِي.

وَشَهِدَ لَهُ كَثِيرُونَ بالبَرَاعَةِ وَالمَقْدِرَةِ االشِّعْرِيَّةِ؛فقَدْ كَانَ يَقْرَأُ مَعَ المُسْلِمِينَ وَيُخَالِطُهُمْ[٤] ، فَقَالَ ابنُ سَعِيدٍ: "إِنَّهُ قَرَأَ مَعَهُ فِي إِشْبِيلِيَةَ،وَإِنَّهُ كَانَ مِنْ عَجَائِبِ الزَّمَانِ فِي ذَكَائِهِ عَلَى صِغَرِ سِنِّهِ يَحْفَظُ الأَبْيَاتَ الكَثِيرَةَ مِنْ سَمْعَةٍ"[٥] ،وَأَثْنَى عَلَيْهِ ابنُ سَعِيدٍ ثَنَاءً عَظِيمًا،فَقَالَ:"لَمْ يَشْتَهِرْ بِإِشْبِيلِيَةَ بَعْدَ ابنِ الصَّابُونِيِّ(ت:٦٣٨ هـ)[٦] شَاعِرٌ كَاشْتِهَارِهِ،وَلا حَازَ انْطِبَاعَهُ فِي الشِّعْرِ وَاقْتِدَارَهُ،هَذَا وَمَا بَلَغَ عِشْرِينَ سَنَةً"[٧] .وَقَالَ ابنُ الأَبَّارِ:"إِنَّهُ مِنَ الأُدَبَاءِ الأَذْكِيَاءِ الشُّعَرَاءِ"[٨] .وَهُوَ شَاعِرُ زَمانِهِ فِي "شَذَرَات الذَّهَب"[٩] .وَهُوَ شَاعِرُ إِشْبِيلِيَةَ وسبْتَةَ عِنْدَ ابنِ خَلْدُونَ[١٠] وَعِندَ المَقَّرِيِّ مرَّةً،وَفِي ثانِيَةٍ قَالَ المَقَّرِيُّ:"إِنَّهُ شَاعِرُ إِشْبِيلِيَةَ وَوَشَّاحُهَا"[١١] .وَلَمَّا سَمِعَ المُسْتَنْصِرُ[١٢] وَفَاةَ ابنِ سَهْلٍ قَالَ: "عَادَ الدُّرُّ إِلَى مَعْدِنِهِ"[١٣] .وَكَانَ الرَّاعِي مُعْجَبًا بِشِعْرِهِ يُقَيِّدُه وَيَحْفَظُهُ ويُسْمِعُ طلَبَتَهُ شَيْئًا مِنْهُ،وَذَلِكَ،كَمَا يَقُولُ، لِفَصَاحَتِهِ وَظُرْفِهِ وَكَثْرَةِ نُكَتِهِ وَاقْتِبَاسَاتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَشْهُورٌ عَنْهُ بَيْنَ النَّاسِ.وَوَصَفَهُ بِالأَدِيبِ البَارِعِ،وَقَالَ:"إِنَّهُ نُخْبَةُ زَمَانِهِ وَتُحْفَةُ أَوَانِهِ،وَوَاسِطَةُ عِقْدِ مَكَانِهِ"،وَتَرْجَمَ لَهُ لأَنَّ صِغَارَ الطَّلَبَةِ وَكِبَارَهُمْ عِنْدَهُ أُعْجِبُوا بِمَا سَمِعُوهُ مِنْهُ مِنْ شِعْرِهِ،فَرَغِبُوا مِنَ الرَّاعِي أَنْ يُمْلِيَ عَلَيْهِمْ مِمَّا بَقِي مِنْ مَحْفُوظِهِ مِنْهُ لِيُثْبِتُوهُ فِي وَرَقَاتٍ لِئَلا يَضِيعَ[١٤] .

---

١ – انْظُرْ: ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٢٤٤/٣، ٢٩٧ .

٢ – انْظُرْ: الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَةِ وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"، حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونُسِيَّة،ع٢٩، ١٩٨٠م،ص٤٨ .

٣ – انْظُرْ: البَلَوِيّ "**تَاجُ المَفْرِقِ فِي تَحْلِيَةِ عُلَمَاءِ المَشْرِقِ**"٩٧/١ .

٤ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٧٣/٥ .

٥ – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢٦٩/١ – ٢٧٠ .

٦ – هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو **بكر** مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ **الصَّابُونِيّ**(ت:٦٣٨هـ)شَاعِرُ إِشْبِيلْيَةَ بِعَصْرِهِ،رَحَلَ إِلَى تُونُسَ ثُمَّ مِصْرَ،وَمَاتَ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ. أَظْهرَه مَأْمُونُ بنِي عَبْدِ المُؤْمِنِ(٦٢٤– ٦٢٩هـ) وَلَهُ مُوَشَّحَاتٌ مَشْهُورَةٌ.قَالَ ابنُ سَعِيدٍ:إِنَّهُ كَانَ يُلَقَّبُ بِالحِمَارِ. انْظُرْ: ابن الأَبَّار"**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ٣٠٩/٢؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢٦٨/١، ١٣٠/٢؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٢٣٦/٩؛ الصَّفَدِيّ"**الوافِي بِالوَفَيَات**" ٧١/٢–٧٢ .

٧ – الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَةِ وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"، حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونُسِيَّة،ع٢٩، تُونُس: ١٩٨٠م،ص٥١ .

٨ – ابن الأَبَّار "**المُقْتَضَب مِنْ تُحْفَةِ القَادِمِ**" ص ٢٤٣ ؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢٦٩/١ – ٢٧٠ .

٩ – انْظُرْ: ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٢٩٧/٣ .

١٠ – انْظُرْ: ابن خَلْدُونَ"**المُقَدِّمَة**"ص ٥٨٦ .

١١ – المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٢٣٧/٩ ، ٦٩/٥ .

١٢ – هُوَ: **المُسْتَنْصِرُ علي بن خلاص** صَاحِبُ سِبْتَةَ . انْظُرْ: البَلَوِيّ "**تَاجُ المَفْرِقِ فِي تَحْلِيَةِ عُلَمَاءِ المَشْرِقِ**"٩٨/١.

١٣ – الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَةِ وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"،حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونُسِيَّة،ع٢٩، تُونُس:١٩٨٠م،ص٤٩؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٦٩/٥؛ مُحَمَّد الإفراني"**المَسْلَك السَّهْل فِي شَرْح تَوْشِيح ابنِ سَهْل**" ص٧٢؛ البَلَوِيّ "**تَاجُ المَفْرِقِ فِي تَحْلِيَةِ عُلَمَاءِ المَشْرِقِ**" ٩٨/١.

١٤ – انْظُرْ: الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَةِ وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"، حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونُسِيَّة،ع٢٩، ١٩٨٠م،ص٤٠ .

٢ - تَعْلِيمُهُ وَثَقَافَتُهُ وَأَعْمَالُهُ :

قَالَ ابنُ سَعِيدٍ: "إِنَّهُ قَرَأَ مَعَ ابنِ سَهْلٍ عَلَى الدَّبَّاجِ(ت: ٦٤٦هـ)[١] وَغَيْرِهِ"[٢]،وَقَالَ المَقَّرِيُّ: "إِنَّهُ قَرَأَ كَذَلِكَ عَلَى الشَّلَوْبِين"[٣]،وَقَالَ الرَّاعِي:"إِنَّهُ كَانَ يأخُذُ عَنِ إِبْرَاهِيمَ الغَافِقِيِّ (ت:٧١٦هـ)[٤] شَارِحِ الجُمَلِ"[٥].وَيَبْدُو مِنْ شَهَادَةِ مُعَاصِرِيهِ أَنَّهُ تَعَلَّمَ كَأَبْنَاءِ المُسْلِمِينَ تَمَامًا وَمَعَهُم،فَأَتْقَنَ العَرَبِيَّةَ وَنَظَمَ بِهَا،فَقَالَ ابنُ المُرَحَّلِ إِنَّهُ "لازَمَ القِرَاءَةَ وَاشْتَغَلَ بِهَا،وَنَظَرَ فِي الأَدَبِ فَنَبَغَ فِي الشِّعْرِ"[٦]،وَيَبْدُو مِنْ أَشْعَارِهِ اطِّلاعٌ واسِعٌ عَلَى فُنُونِ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ قَدِيمِهِ وَحَدِيثِهِ وَتَمَكُّنٌ مِنَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ،كَمَا يَبْدُو اطِّلاعُهُ عَلَى المَوْرُوثِ العَرَبِيِّ الإِسْلامِيِّ،وَمِنْهُ القُرْآنِ الكَرِيمِ،وَتَأَثُّرُهُ بِهِ،وَهَذَا بَدَا جَلِيًّا فِي تَخْمِيسِهِ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ.وَاسْتَدَلَّ المَقَّرِيُّ مِنْ أَشْعَارِ ابنِ سَهْلٍ التِي قَالَهَا قَبْلَ إِسْلامِهِ عَلَى أَنَّ يَهُودَ الأَنْدَلُسِ كَانُوا يَشْتَغِلُونَ بِعِلْمِ العَرَبِيَّةِ[٧].وَإِن صَدَقَتْ رِوَايَةُ الرَّاعِي مِنْ أَنَّ ابنَ سَهْلٍ عَاشَ أَيَّامًا قَلائِلَ فَقَطْ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ[٨]يَكُونُ شِعْرُ ابنُ سَهْلٍ وَثِيقَةً بَالِغَةَ الأَهَمِّيَّةِ دَالَّةً عَلَى مَدَى انْدِمَاجِ يَهُودِ الأَنْدَلُسِ بِالثَّقَافَةِ العَرَبِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ،فَقَدْ وَصَلَ الأَمْرُ إِلَى أَنْ يَنْظُمَ يَهُودِيٌّ شِعْرًا مَمْلُوءًا بِالمَوْرُوثَاتِ الإِسْلامِيَّةِ لا تظْهرُ فِيهِ مُعطَيَاتٌ عنِ الطَائِفَةِ اليَهُودِيَّةِ،رُغْمَ قِصَرِ عَهْدِهِ بِالإِسْلامِ.

وَرَوَى الرَّاعِي عِنْ بَعْضِ الشُّيُوخِ أَنَّ ابنَ سَهْلٍ كَانَ يَحْضُرُ فِي سِبْتَةَ دَرْسًا،وَلَمْ يُؤَكِّدْ الرَّاعِي إِنْ كانَتِ الحِكَايَةُ حَصَلَتْ مَعَ الشَّلَوْبِين أَوْ مَعَ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ الغَافِقِيِّ،لِسَمَاعِ عِلْمِ العَرَبِيَّةِ،وَيَقْعُدُ عِنْدَ بَابِ المَسْجِدِ عَلَى نِعَالِ الطَّلَبَةِ وَيُبَاحِثُ الشَّيْخَ،وَيَرُدُّ عَلَيْهِ وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ فِي البَحْثِ،وَيَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ بِآيَاتٍ مِنَ القُرْآنِ وَالحَدِيثِ وَأَشْعَارِ العَرَبِ،فَيُجَاوِبُهُ الشَّيْخُ فِي كُلِّ بَحْثٍ بِقَوْلِهِ: "يَا مَلْعُونُ،الأَمْرُ عَلَى كَذا..."فَيَسُبُّهُ فِي كُلِّ بَحْثٍ[٩].وَلِي عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ مُلاحَظَاتٌ: الأُولَى أَنَّ ابنَ سَهْلٍ كَانَ مُتَمَكِّنًا فِي عُلُومِ العَرَبِيَّةِ مُحِبًّا لَهَا حَرِيصًا عَلَى تَحْصِيلِ العِلْمِ رُغْمَ جُلُوسِهِ "عِنْدَ بَابِ

---

١ – هُوَ: أَبُو **الحَسَنِ** عَلِيّ بنُ جَابِرٍ **الدَّبَّاج** (٥٦٦– ٦٤٦هـ) شَيْخُ القُرَّاءِ وَالنُّحَاةِ بِالأَنْدَلُسِ،تَصَدَّرَ لِلْعِلْمَيْنِ خَمْسِينَ عَامًا، وَاشْتُهِرَ بِإقراء كتب الآداب كالكَامِلِ ونوادر القالي،وَكَانَ مَعَ زهده فِيهِ لَوْذَعِيَّةٌ، فاشتُهِرَ بِاللطافة والمُدَاعَبَةِ للغلْمَانِ وَالتَّنَدُّرِ فِي شأنهم، قِيلَ إِنَّهُ تُوُفِّيَ بِإِشْبِيلْيَةَ أسفًا عَلَيْهَا يوم استيلاء الرُّومِ عَلَيْهَا .

انْظُرْ :ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١/٢٦٠–٢٦١؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"٢ ٢٠٩/٣؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٢٣٥/٣– ٢٣٦ .

٢ – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢٦٩/١ .

٣ – المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٦٩/٥ .

٤ – هُوَ : أَبُو **إِسحاق** إِبْرَاهِيمُ بنُ أَحْمَدَ بنُ عِيسَى الغَافِقِيّ **الإشبيلي السبتي**(ت:٧١٦هـ) مقرئ، فقيه، نحوي،مِنْ مؤلفاته شرح عَلَى كتاب "الجُمَل فِي النَّحْوِ" للزَّجَّاجِ . انْظُرْ : ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٣٨/٣ .

٥ – الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَة وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"،حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونُسِيَّة،ع٢٩، تُونُس:١٩٨٠م،ص٤٥ .

٦ – البَلَوِيّ "**تَاجُ المَفْرِقِ فِي تَحْلِيَةِ عُلَمَاءِ المَشْرِقِ**" ٩٧/١ .

٧ – المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٧٠/٥ .

٨ – انْظُرْ :الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَة وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"،حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونُسِيَّة،ع٢٩، تُونُس:١٩٨٠م،ص٤٥– ٤٦ .

٩ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ص٤١ .

المَسْجِدِ عَلَى نِعَالِ الطَّلَبَةِ" لأنَّهُ ذِمِّيٌّ يَهُودِيٌّ أو لأنَّهُ صَغِيرٌ لا يُسْمَحُ لَهُ بِالجُلُوسِ فِي صَدْرِ مَجَالِسِ العِلْمِ،ورُغْمَ تكْرَارِ الإهَانَةِ لَهُ،كَمَا يَبْدُو،مِنْ قِبَلِ مُعَلِّمٍ غَيْرِ مُبَالٍ بِنَجَابَتِهِ.وَالمُلاحَظَةُ الثَّانِيَةُ أنَّ أَبْنَاءَ اليَهُودِ تَعَلَّمُوا عَلَى مَشَايِخِ العَرَبِ،وَكَانَ يُسْمَحُ لَهُمْ بِالمُنَاقَشَةِ والمُسَاءَلَةِ وَالمُجَادَلَةِ.وَالمُلاحَظَةُ الأخِيرَةُ أنَّ العَرَبَ لَمْ يَكُونُوا يَنْسَوْنَ انْتِمَاءَهُ الدِّينِيَّ رُغْمَ نَجَابَتِهِ وَحِرْصِهِ عَلَى التَّعَلُّمِ،فَتَعَرَّضَ لِلسَبِّ وَالإهَانَةِ وَاللعْنَةِ حَتَّى فِي مَجَالِسِ العِلْمِ،إلا أنَّ هَذَا لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ مُوَاصَلَةِ الاشْتِغَالِ بِالعِلْمِ.

وَلَمْ تَذْكُرِ المَصَادِرُ شَيْئًا عَنِ الأعْمَالِ التِي وَلِيَهَا ابنُ سَهْلٍ إلا مَا قِيلَ عَنْ أنَّهُ وَلِيَ الكِتَابَةَ عِنْدَ ابنِ خَلاصِ عَامِلِ سِبْتَةَ بَعْدَ إسْلامِهِ،وَمَدَحَهُ بِأمْدَاحٍ عَظِيمَةٍ[1].وَقَدْ يَكُونُ ولِيَ الكتابَةَ لِغَيْرِ ابنِ خَلاص بِالأنْدَلُسِ،لكنَّهُ لَمْ يَقْتَنِعْ فَسَافَرَ إِلَى المَغْرِبِ بَحْثًا عَمَّا يُرْضِيهِ،فَكَانَتْ نِهَايَتُهُ هُنَاكَ.

٣- شَكُّ النَّاسِ فِي إسْلامِهِ :

حَصَلَ خِلافٌ كبيرٌ حَوْلَ إسْلامِ ابنِ سَهْلٍ؛وَلَمْ يَظْهَرِ الخِلافُ عِنْدَ المُتَأخِّرِينَ مِنَ الدَّارِسِينَ فَحَسبُ،بَلْ بدأ هَذَا الخلافُ يَظْهَرُ فِي حَيَاتِهِ وَعِنْدَ المُعَاصِرِينَ،وهَذَا يُشِيرُ إِلَى أنَّ النَّاسَ لَمْ تُبْعِدْ عَنْهُ ذُلَّ اليَهُودِيَّةِ رُغْمَ إسْلامِهِ،مَعْ أنَّ المُتَوَقَّعَ أنْ يُقَدَّرَ لَهُ إسْلامُهُ كَمَا هي العَادَةُ فِي المُجْتَمَعِ الإسْلامِيِّ. وَلاحَقَ الذينَ شَكُّوا فِي إسْلامِهِ أشْعَارَهُ وحَمَّلُوهَا تَأوِيلاتٍ وَفَلْسَفَاتٍ فِيهَا مُبَالَغَةٌ وَغُلُوٌّ، فَقَالُوا مَثَلاً إنَّ يَهُودِيَّتَهُ وَاضِحَةٌ فِي قَوْلِهِ "النَّبِيِّ" وَلَمْ يقُلِ "الرَّسُولَ"، فِي قَوْلِهِ[2]: [الطويل]

تَكَــــادُ مُنَاجَــــاةُ النَّبِـــــيِّ مُحَمَّــــدِ   تَنِمُّ بِهَا مِسكًا عَلَى الشَّمِّ ذائِعَا

فَالرَّسُولُ أخَصُّ وَأبْلَغُ فِي المَدْحِ،فَكَأنَّهُ مِمَّنْ يُثْبِتُ النُّبُوَّةَ وَيُنْكِرُ الرِّسَالَةَ[3].وَاسْتَغَلَّ ابنُ سَهْلٍ هَذَا الشَّكَّ بِإسْلامِهِ لِيَنْظُمَ مُحَاوَرَةً غَزَلِيَّةً جَمِيلَةً تترُكُ القَارِئَ فِي حِيرَةٍ،وذَلِكَ فِي قَوْلِهِ[4]: [الطويل]

يُسَــــائِلُنِي مِــــنْ أيِّ دِيــــنٍ مُـــدَاعِبًا   وَشَـمْلُ اعْتِقَـادِي فِـي هَـوَاهُ مُبَـدَّدُ

فُــــؤَادِي حَنيفِـــيٌّ وَلكِـــنَّ مُقْلَتِــــي   مَجُوسِـيَّةٌ مِـنْ خَـدِّهِ النَّــارَ تَعْبُـدُ

وَكَتَبَ ابنُ سَعِيدٍ إِلَى ابنِ سَهْلٍ يَسْتَدْعِيهِ إِلَى الأنْدَلُسِ بِثَلاثَةِ أبْيَاتٍ،فَأجَابَهُ بِأبْيَاتٍ آخِرُهَا[5]:[الطويل]

ســــألَفُهَا إِلَــــفَ العَتِيــــقِ كِتَابَـــــهُ   وَلا أشْــتَهِي وِرْدًا سِــواهَا إِلَــى الحَشْــرِ

يَقُولُ ابنُ سَعِيدٍ: "فَلَمَّا وَصَلَ،أظْهَرْتُ اسْتِحْسَانَ خِطَابِهِ مَعَ سُرْعَةِ جَوَابِهِ،ثُمَّ أنْكَرْتُ بَيْتَهُ الأخِيرَ، وَلَذَعْتُهُ مِنَ المَلامِ بِيَسِيرٍ،فَقَالَ:ألَيْسَ فِي الجَنَّةِ نَهْرُ الخَمْرِ؟! قُلْتُ:بِحُرْمَةِ مَا بينَنَا،ألا أزَلْتَ عَنِّي

---

١ – انْظُرْ: ابن الأبَّار "**المُقْتَضَب مِنْ تُحْفَةِ القَادِمِ**" ص ٢٤٣؛ الرَّاعِي"**المُمْتع السَّهْل فِي تَرْجَمَةِ وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"، حَوْلِيَّاتِ الجَامِعَةِ التُّونسِيَّة،ع٢٩، ١٩٨٠م، ص ٤٨– ٤٩؛ البَلَوِيّ "**تَاجُ المفْرِقِ فِي تَحْلِيَةِ عُلَمَاءِ المَشْرِقِ**" ٩٧/١.

٢ – انْظُرْ: الرَّاعِي"**المُمْتع السَّهْل فِي تَرْجَمَةِ وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"، حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونسِيَّة،ع٢٩، ١٩٨٠م، ص٥١ .

٣ – ابنِ سَهْلٍ "**دِيوَانُهُ**" ص ٢٣٣ .

٤ – ابنِ سَهْلٍ "**دِيوَانُهُ**" ص١١٤ ؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٦٩/٥ .

٥ – ابنِ سَهْلٍ "**دِيوَانُهُ**" ص١٦٦؛ ابن سَعِيد "**اخْتِصَار القِدْحِ المُعَلَّى**" ص ٧٧ .

شَكَّ النَّاسِ فِيكَ،وَصَدَّقْتَنِي،هَلْ أَنْتَ عَلَى دِينِ أَسْلافِكَ بَاقٍ،أَمْ عَلَى دِينِ المُسْلِمِينَ حَقِيقٌ،فَقَالَ: اعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّ لِلنَّاسِ مَا ظَهَرَ وَللهِ مَا خَفِيَ"(١)،وهُنَاكَ رِوَايَاتٌ أُخْرَى لِمَا دَارَ بَيْنَهُمَا(٢).

وَظَلَّ **ابنُ سَعيدٍ** يَشُكُّ فِي إِسْلامِ ابنِ سَهْلٍ صَدِيقِهِ رُغْمَ مَحَبَّتِهِ لَهُ، فَقَالَ فِيهِ(٣):[الطويل]

وَإِنِّـــــي لأَرْجُـــو أَنْ تَكُـــونَ وَفَاتُـــهُ عَلَـى مِلَّـةِ الإِسْـلامِ كَيْمَـا يُسَـلَّمَا
وَأَلْقَـــاهُ فِـــي جَنَّـــاتِ عَـــدْنٍ مُخَلَّـــدَا فَلَـيْسَ بِأَهْـلٍ أَنْ يَحُـلَّ جَهَنَّمَـــا

ويُعَقِّبُ الرَّاعِي(ت:٨٥٣هـ) عَلَى الأَبْيَاتِ بِقَوْلِهِ:إِنَّمَا قَالَ ابنُ سَعِيدٍ هَذَا لِمَا رَآهُ مِنْ حِفْظِهِ لِلْقُرْآنِ العَزِيزِ أَوْ لأَكْثَرِهِ،وَلِجَوْدَةِ شِعْرِهِ وَفَهْمِهِ لِكَلامِ العَرَبِ،فَشَبَّهَهُ بِابنِ الصَّابُونِيِّ وَضَرَبَ بِهِ المَثَلَ لِكِبَرِهِ فِي عَيْنِهِ وَهَذَا مِمَّا قَوَّى جَانِبَ إِسْلامِهِ عِنْدَ الرَّاعِي(٤)،ولا أَدْرِي كَيْفَ عَرَفَ الرَّاعِي أَنَّ ابنَ سَعِيدٍ رَأَى حِفْظَ ابنِ سَهْلٍ لِلقُرْآنِ العَزِيزِ أَوْ لأَكْثَرِهِ،فَابنُ سَعِيدٍ لَمْ يُصَرِّحْ بِهَذَا،وَالرَّاعِي مُتَأَخِّرٌ عَنْهُمَا حَوَالَيْ قَرْنَيْنِ،وَأَسْتَغْرِبُ كَيْفَ يَرَى جَوْدَةَ شِعْرِهِ وَفَهْمَهُ لِكَلامِ العَرَبِ دَلِيلاً عَلَى صِحَّةِ إِسْلامِهِ.

وَظَلَّتْ مَسْأَلَةُ إِسْلامِ ابنِ سَهْلٍ بَاطِنًا تُشْغِلُ بَالَ كَثِيرِينَ،وَكَانَ يَتَعَمَّدُ إِبقاءَهَا غَامِضَةً وَهَذَا مَا زَادَ مِنْ شَكِّ النَّاسِ فِيهَا،وَلَمْ يُحاوِلْ أَنْ يُزِيلَ شُكُوكَهُم.فَنُقِلَ عَنِ العِزِّ بنِ عبدِ السَّلامِ(ت:٦٥٩هـ) قَوْلُهُ:"إِنَّ ابنَ سَهْلٍ كَانَ يَتَظَاهَرُ بِالإِسْلامِ،وقِيلَ إِنَّ هَذَا القَوْلَ لا يَخْلُو مِنْ قَدْحٍ وَاتِّهَامٍ"(٥)،ومَنْ شَكَّ فِي إِسْلامِهِ تَأَثَّرَ بِقَوْلِ ابنِ سُمْعَةَ الغَرْنَاطِيِّ(٦):"شَيْئَانِ لَمْ يَقَعَا فِي الوُجُودِ وَلا أُصَدِّقُهُمَا أَبَدًا: أَحَدُهُمَا تَوْبَةُ الزَّمَخْشَرِيِّ(٧)مِنَ الاعْتِزَالِ،والثَّانِيَةُ إِسْلامُ إِبْرَاهِيمَ بنِ سَهْلٍ"(٨).

---

١ – الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَة وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"، حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونُسِيَّة،ع٢٩، ١٩٨٠م، ص٥٣؛ مُحَمَّد الإفراني "**المَسْلَك السَّهْل فِي شَرْح تَوْشِيح ابنِ سَهْل**" ص ٦٧ .

٢ – نَفْسُهُ ٥/٧٠ .

٣ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ص٥١ .

٤ – انْظُرْ: نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٥ – المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٥/٦٩ ؛ مُحَمَّد الإفراني"**المَسْلَك السَّهْل فِي شَرْح تَوْشِيح ابنِ سَهْل**" ص٦٧ .

٦ – القائلُ هو:أبو الحسن **عَلِيّ** بن مُحَمَّدٍ بنُ عَلِيّ **بن سُمْعَةَ الغَرْنَاطِيّ**، شيخ الراعي وَفِي "النَّفْح" تُروى بشكل آخر:"شيئان لا يصحان إسلام ابنِ سَهْلٍ وتوبة الزَّمَخْشَرِيِّ مِنَ الاعْتِزَالِ". انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٥/٧٠ .

٧ – هُوَ : **الزَّمَخْشَرِيّ** مَحْمُود بنُ عُمَرَ بنُ مُحَمَّدٍ جار الله أَبُو القسم (٤٦٧– ٥٣٨هـ) النحوي اللغوي وَكَانَ مُتَفَنِّنًا فِي كل علم، وَكَانَ رأسًا فِي البلاغة والعَرَبِيَّةِ والمعاني والبيان وَلَهُ نظم جيد، ومِنْ تصانيفة "الكَشَّافُ فِي التَّفْسِيرِ" وَ"المُفَصَّلُ فِي النَّحْوِ".

انْظُرْ: الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"٢٠/١٥١–١٥٦؛ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٢/١١٨– ١٢١ .

٨ – المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٥/٧٠؛ الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَة وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"، حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونُسِيَّة،ع٢٩، ١٩٨٠م، ص ٤٩؛ مُحَمَّد الإفراني"**المَسْلَك السَّهْل فِي شَرْح تَوْشِيح ابنِ سَهْل**" ص ٦٨ .

ومِنَ الأدِلَّةِ عَلَى صِحَّةِ إِسْلامِ ابنِ سَهْلٍ مَا نَقَلَهُ المَقَّرِيُّ عَنِ ابنِ رُشَيدٍ الفهْرِيِّ(ت:٧٢١هـ) فِي "مِلْء العَيْبَةِ" فَقَدْ كَتَبَ أَنَّ هُنَاكَ خِلافًا فِي إِسْلامِ ابنِ سَهْلٍ بَاطِنًا،إلا أَنَّ ابنَ مَرْزُوقٍ(ت:٧٨١هـ)[١] كَتَبَ عَلَى هَامِشِ هَذَا الكَلامِ مَا نَصُّهُ "صَحَّح لَنَا مَنْ أَدْرَكْنَاهُ مِنْ أَشْيَاخِنَا أَنَّهُ مَاتَ عَلَى دِينِ الإِسْلامِ، وَقَدْ مَدَحَ النَّبِيَّ ﷺ بِأَمْدَاحٍ تَدُلُّ عَلَى مُفَارَقَتِهِ دِينَ أَسْلافِهِ"[٢].

وَيُؤَكِّدُ الرَّاعِي صِدْقَ إِسْلامِ ابنِ سَهْلٍ بِأَنْ يَنْظُرَ فِي أَمَانَةِ مَنْ رَوَى ذَلِكَ،فَيَقُولُ:"وَأَمَّا إِسْلامُ ابنِ سَهْلٍ،فَحَدَّثَنِي بِهِ صَاحِبِي فِي اللهِ تَعَالَى الشَّيْخُ الفَقِيهُ الوَزِيرُ الحَسِيبُ الأَصْلِ المُجَاهِدُ أَبُو البَقَاءِ خَالِدُ بنُ أَبِي خَالِدٍ الأَنْدَلُسِيُّ البُرْسَانِيُّ[٣] البَلَوِيُّ(ت:بعد٧٥٧هـ)[٤] الشَّهِيرُ إِبَاؤُهُ بِبَنِي العِلْمِ،وَحَدَّثَنِي بِهِ عَنْ عَمَّتِهِ شَقِيقَةِ أَبِيهِ،وَكَانَتْ صَالِحَةً مَشْهُورَةً بِالرِّئَاسَةِ وَالأَصَالَةِ بِبَلَدِهَا،لَمْ أَسْأَلْهُ عَنِ اسْمِهَا، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ بِإِسْلامِهِ عَنْ جَدِّهِ الشَّيْخِ الإِمَامِ الرَّئِيسِ صَاحِبِ القَلَمِ بِمَدِينَةِ تُونُسَ أَبِي البَقَاءِ خَالِدِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ العَلَمِ رَئِيسِ الكُتَّابِ بِتُونُسَ،وَخَالِدٌ هَذَا كَانَ رَجُلاً عَالِمًا شَاعِرًا كَاتِبًا.

وَحَدَّثَ بِإِسْلامِهِ خَالِدٌ عَنِ الرُّصَافِيِّ(ت:٧٤٥هـ)[٥] عَنْ مَالِكِ بنِ المُرَحَّلِ(ت:٦٩٩هـ)[٦] الشَّاعِرَيْنِ الفَحْلَيْنِ المَشْهُورَيْنِ بِالمَغْرِبِ الأَقْصَى وَالأَنْدَلُسِ:أَنَّ ابنَ سَهْلٍ أَسْلَمَ وَعَاشَ مُسْلِمًا أَيَّامًا قَلائِلَ وَمَاتَ غَرِيقًا فِي البَحْرِ المَالِحِ،وَهَذَا السَّنَدُ لا مَطْعَنَ فِيهِ لأَنَّهُمْ مِنْ خِيَارِ المُسْلِمِينَ،وَكِبَارِهِمْ وَعُلَمَائِهِمُ المَشْهُورِينَ،فَلا يُتَّهَمُونَ عَلَى الإِحْسَانِ لإِبْرَاهِيمَ بنِ سَهْلٍ بِإِلحَاقِهِ بِالمُسْلِمِينَ،وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِ بِشَيْءٍ لا يَنْفَعُهُ مَعَ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ النُّظَرَاءِ المُعَاصِرُونَ مِنَ الحَسَدِ"[٧].وَيُكْمِلُ تَدْقِيقَهُ فِي أَمَانَةِ الرُّوَاةِ بِإِعَادَةِ الشَهَادَةِ مَرَّةً ثَانِيةً،بِقَوْلِهِ:"وَأَمَّا الرُّصَافِيُّ وابْنُ المُرَحَّلِ فَمَشْهُورَانِ بِالمَغْرِبِ

١ – هُوَ: مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ **بنُ مَرْزُوقٍ العُجَيْسيّ الخَطِيب**(ت:٧٨١هـ) فقيه أصولي محدث،نحوي،مفسر، وُلِدَ بتِلِمْسانَ ثُمَّ رَحَلَ إِلَى المشرق، وأقام بالقاهرة إِلَى وفاته،له كتاب "الشفا فِي التعريف بحقوق المصطفى" وَ"إيضاح المسالك إِلَى ألفية ابن مالك".

انْظُرْ: عمر رضا كَحَّالَة "**مُعْجَمُ المُؤَلِّفِينَ**" ١٦/٩– ١٧ .

٢ – المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٧٠/٥؛ مُحَمَّد الإفراني"**المَسْلَك السَّهْل فِي شَرْح تَوْشِيح ابنِ سَهْل**" ص٦٧ .

٣ – البُرْسانِيّ : نسبة إِلَى بُرْسَانَ مِنْ قرى سَمَرْقَنْد . انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَان**" ٣٨٣/١ .

٤ – هُوَ القاضي: أَبُو **البقاء** خَالِدُ بنُ عِيسَى بنُ أَحْمَدَ بنُ إِبْرَاهِيمَ **بنُ أَبِي خَالِدٍ البَلَوِيّ** الأَنْدَلُسِي، وَهُوَ صَاحِبُ الرِّحْلَةِ المُسَمَّاةِ "تَاجُ المَفْرِقِ فِي تَحْلِيَةِ عُلَمَاءِ المَشْرِقِ" المَوْضُوعَةِ عام ٧٥٧هـ . انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٢٧٧/٣– ٢٧٩ .

٥ – هُوَ : أَبُو **العباس** أَحْمَدُ بنَ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيّ المَعْرُوفُ **بِالرُّصَافِيّ**، مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَيَّانَ الغَرْنَاطِيّ الأَنْدَلُسِي المُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٤٥هـ. قَالَ عَنْهُ البلوي إِنَّهُ شيخٌ صَالِحٌ غَادٍ فِي طَاعَةِ اللهِ، لا يُخَالِطُ أحدًا وَلا تَرَاهُ إلا مُنْفَرِدًا مُشْتَغِلاً بِالعِلْمِ وَالعَمَلِ.

انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٢٥٥/٥ ؛ البَلَوِيّ "**تَاجُ المَفْرِقِ فِي تَحْلِيَةِ عُلَمَاءِ المَشْرِقِ**" ٩٧/١ .

٦ – هُوَ :أَبُو الحَكَمِ **مَالِكُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ** بنُ عَلَيّ المَعْرُوف **بابنِ المُرَحِّلِ** (ت:٦٩٩هـ)شاعر،أديب نحوي لغوي،وُلِدَ بمَالَقَةَ،مِنْ آثاره: اللامية، نظم فِيهَا التفسير، ومنظومة فصيح ثعلب المسماة بالموطأة، قَالَ المَقَّرِيّ إِنَّهُ مِنْ مشاهير الأُدَبَاءِ .

انْظُرْ: جَلال الدين السُّيُوطِي"**بُغْيَة الوُعاة**"٢٧١/٢؛المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٢٩٧/٣؛البَلَوِيّ"**تَاجُ المَفْرِقِ فِي تَحْلِيَةِ عُلَمَاءِ المَشْرِقِ**"٩٧/١ .

٧ – الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَة وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"، حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونُسِيَّة،ع٢٩، ١٩٨٠م، ص ٤٥– ٤٦ .

وَالأَنْدَلُسِ بِالعِلْمِ وَالشِّعْرِ وَالأَدَبِ وَاللَّطَافَةِ وَالرِّئَاسَةِ"[1].وَيُضِيفُ: "وَإِنَّ مَا حَمَلَنِي عَلَى أَنْ أُعرِّفَكَ بِهَؤُلاءِ الرُّوَاةِ لأَنَّ بِمَعْرِفَتِهِم تتَقَوَّى صِحَّةُ إِسْلامِهِ".وَجَاءَتْ شَهَادَةُ البَلَوِيُّ كَذَلِكَ فِي "تَاج المَفْرِقِ فِي تَحْلِيَةِ عُلَمَاءِ المَشْرِقِ" عِنْ شيخِهِ ابنِ المُرَحَّلِ فقَالَ: "قَدْ حَسُنَ إِسْلامُهُ وَلازَمَتِ الجَمَاعَاتُ صَلَوَاتِهُ، وَلازَمَ القِرَاءَةَ وَاشْتَغَلَ بِهَا،وَنَظَرَ فِي الأَدَبِ فَنَبَغَ فِي الشِّعْرِ"[2].إلا أَنَّ الرَّاعِي يَقَعُ فِي تنَاقُضٍ بِقولِهِ: "وَلأَجْلِ هَذَا يُطْلِقُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بنِ سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيَّ وَلا يُطْلِقُونَ عَلَيْهِ اليَهُودِيَّ لِقُوَّةِ هَذَا الخَبَرِ عِنْدَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يُطْلِقُ عَلَيْهِ اليَهُودِيَّ"[3].فكَيْفَ يُطلِقُ كَثيرٌ مِنْهُمْ عَلَيْهِ اليَهُودِيَّ أو حَتَّى الإِسْرَائِيلِيَّ ويَكُونُ هَذَا دليلاً عَلَى صِحَّةِ إِسْلامِهِ ؟!.

وَقَالَ صَاحِبُ "كَشْفِ الظُّنُونِ(ت:١٠١٧هـ): "إِنَّ أَهْلَ إِفْرِيقْيَةَ يَقُولُونَ مَاتَ مُسْلِمًا وَيَسْتَدِلُّونَ بِشِعْرِهِ،وَأَهْلُ الأَنْدَلُسِ يَقُولُونَ بَلْ مَاتَ عَلَى كُفْرِهِ[4].وَقَالَ المَقَّرِيُّ(ت:١٠٤١هـ) إِنَّ بَعْضَ المَغَارِبَةِ سُئِلَ عَنِ السَّبَبِ فِي رِقَّةِ نَظْمِ ابنِ سَهْلٍ فَقَالَ: "لأَنَّهُ اجْتَمَعَ فِيهِ ذُلانِ ذُلُّ العِشْقِ وَذُلُّ اليَهُودِيَّةِ"[5]. وهَذَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّ النَّاسَ لَمْ تُبْعِدْ عَنْهُ ذُلَّ اليَهُودِيَّةِ رُغْمَ إِسْلامِهِ.

إلا أَنَّ بَعْضَهُم اسْتَدَلَّ عَلَى صِحَّةِ إِسْلامِ ابنِ سَهْلٍ كَذَلِكَ مِنْ شِعْرِهِ،وَمِنْ قَوْلِهِ[6]: [الطويل]

تَسَلَّيْتُ عَنْ مُوسَى بِحُبِّ مُحَمَّدٍ	هُدِيتُ وَلَوْلا اللهُ مَا كُنْتُ أَهْتَدِي
وَمَا عَنْ قِلًى قَدْ كَانَ ذَاكَ وَإِنَّمَا	شَرِيعَةُ مُوسَى عُطِّلَتْ بِمُحَمَّدِ

وَيَقُولُ إِحْسَانُ عبَّاس: "إِنَّ هَذَا اسْتِنْتَاجٌ ضَعيفٌ لا يُؤَيِّدُ شَيئًا وَلا يَنْفِيهِ"[7].وَمِثْلُهُ الرَّاعِي الذي لا يَرَى فِي البَيْتَيْنِ دَلِيلاً عَلَى إِسْلامِهِ،لأَنَّهُ قَالَ: "عُطِّلَتْ" وَلَمْ يقُلْ: "نُسِخَتْ"،مَعْ أَنَّهُ مَسْبُوقٌ لِمَعْنَاهُما، فَيُرَجِّحُ أَنْ يَكُونَ انْتَقَلَ مِنَ التَّغَزُّلِ فِيمَنْ اسْمُهُ مُوسَى لِمَنْ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ لا غَيْرَ[8].

وَبِدِرَاسَةِ هَذِهِ الآرَاءِ الَّتِي قِيلَتْ فِي صِحَّةِ إِسْلامِ ابنَ سَهْلٍ يَتَوَصَّلُ إِحْسَانُ عبَّاس إِلَى أَنَّ إِسْلامَهُ كَانَ عَلَى مرحَلَتَيْنِ:الأولى أيامَ إِقَامَتِهِ فِي إِشْبِيلِيَةَ،كَانَ فِيهَا شَابًّا يتَرَدَّدُ إِلَى المَسْجِدِ ويدْرُسُ القرْآنَ والعُلُومَ الإِسْلامِيَّةَ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الطلبةِ المُسْلِمِينَ،لكنَّهُ لا يهتَمُّ كَثِيرًا بِأَداءِ الفُرُوضِ الَّتِي تجْعَلُ النَّاسَ يَعُدُّونَهُ مُسْلِمًا،كالصلاةِ مَعَ الجَمَاعَةِ والطُّهُورِ،والمرحَلَةُ الثَّانِيَةُ هي القَتْرَةُ السَّبْتِيَّةُ كَانَ يُلازِمُ

---

١ – الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَة وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"، حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونُسِيَّة،ع٢٩، ١٩٨٠م، ص ٤٦ .

٢ – البَلَوِيّ "**تَاجُ المَفْرِقِ فِي تَحْلِيَةِ عُلَمَاءِ المَشْرِقِ**" ٩٧/١ .

٣ – الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَة وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"، حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونُسِيَّة،ع٢٩، ١٩٨٠م، ص ٤٨ .

٤ – انْظُرْ: مُصْطَفَى القُسْطَنْطِينِيّ "**كَشْف الظُّنُونِ**" ٧٦٣/١ .

٥ – المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٦٩/٥ .

٦ – ابنِ سَهْلٍ "**دِيوَانُهُ**" ص١١٦؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢٢٠/١؛ الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَة وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"، حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونُسِيَّة،ع٢٩، ١٩٨٠م، ص٥٠؛ المَقَّرِيّ"**نَفْحُ الطِّيبِ**"٧٠/٥؛ مُحَمَّد الإفراني"**المَسْلَك السَّهْل فِي شَرْح تَوْشِيح ابنِ سَهْل**"ص٦٦ .

٧ – ابنِ سَهْلٍ "**دِيوَانُهُ**" ص ٣٤ [المُقَدِّمَة] .

٨ – انْظُرْ: الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَة وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"، حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونُسِيَّة،ع٢٩، ١٩٨٠م، ص٥٠ .

صَلَواتِ الجَمَاعَةِ ويشْتَغِلُ بقِرَاءَةِ القُرْآنِ وَهَذَا مَا أَكَّدَهُ ابنُ مَرْزُوقٍ عَلَى حاشِيَةِ "مِلْءِ العَيْبَةِ" حَيْثُ كَتَبَ أَنَّ هُنَاكَ خِلافًا فِي إِسْلامِ ابنِ سَهْلٍ بَاطِنًا[١].

وَأَرَى أَنَّ إِحْسانَ عبَّاس أصابَ فِي تقسيم حياةِ ابنِ سَهْلٍ إِلَى مرحَلَتَيْنِ،فَهَذِهِ الخِلافاتِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ ابنَ سَهْلٍ لَمْ يَكُنْ يَقُومُ بِشَعَائِرِ الإِسْلامِ وَلا يُعْنَى بِهَا فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ،وَحديثُهُ مَعَ ابنِ سَعِيدٍ يُشِيرُ بوُضُوحٍ إِلَى هَذَا،وَفِي الوَقْتِ نفْسِهِ لَمْ يَكُنْ مُبالِيًا بِإِبْعَادِ هَذِهِ التُّهْمَةِ عَنْهُ،ولَوْ كَانَ إِسْلامُهُ حَقًّا لَتَأَثَّرَ بِمَا يُقَالُ عَنْهُ وَلَحَاوَلَ الدِّفاعَ عنْ دينِهِ ومُعتقَدِهِ بِنَظْمِهِ أَوْ بِمُحَاوَرَاتِهِ،لكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ وَهَذَا يُقَوِّي عِنْدِي الاعْتِقاد بِأَنَّهُ كَانَ يَتَظَاهَرُ بِالإِسْلامِ كَمَا قَالَ مَعَاصِرُونَ لَهُ،وَاللهُ أَعْلَمُ .

٤ـ وَفاتُهُ :

تَقُولُ المَصَادِرُ إِنَّ ابنَ سَهْلٍ مَاتَ غَرِيقًا مَعَ ابن وَالِي سِبْتَةَ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى تُونُسَ لِتَقْدِيمِ هَدِيَّةٍ إِلَى رَئِيسِهَا أَبِي زَكَرِيَّا الحَفْصِيِّ[٢].وَكَانَ سِنُّهُ حِينَ غَرِقَ نَحْوَ الأَرْبَعِينَ سَنَةً[٣].وَاخْتَلَفَتِ المَصَادِرُ حولَ سَنَةِ وَفَاتِهِ؛ففِي "تُحْفَةِ القَادِمِ" أَنَّهُ مَاتَ قَبْلَ سَنَةَ ٦٤٦هـ[٤]،وَيَقُولُ ابن عِذارِي إِنَّهَا سَنَةُ ٦٤٣هـ[٥]، بَيْنَمَا "فَوَات الوَفَيَاتِ" يقُولُ إِنَّهَا سَنَةُ ٦٤٩هـ[٦]،وفي "تَاريخ ابنِ خَلْدُونَ" هي ٦٤٦هـ[٧]،وفي "نَفْح الطِّيبِ" هي سَنَةُ ٦٤٩هـ كذلِكَ[٨]،وَصَاحِبُ "المَسْلَك السَّهْل" يَقُولُ إِنَّهَا سَنَةُ ٦٥٩هـ[٩]،وَلَهُ ذِكْرٌ فِي "شَذَرَات الذَّهَب" مَرَّتَيْنِ:وَاحِدَةٌ تَقُولُ سَنَةَ ٦٤٩هـ وَالثَّانِيَةُ ٦٥٩هـ[١٠].وبِمَا أَنَّ ولادَتَهُ كَانَتْ سَنَةَ ٦٠٩هـ،وَعَاشَ نَحْوَ الأَرْبَعِينَ سَنَةً أُرَجِّحُ أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ قَرِيبَةً مِنْ سَنَةِ ٦٤٦هـ،وأَسْتبعِدُ أَنْ تَكُونَ سنة ٦٤٩هـ أَوْ ٦٥٩هـ لأَنَّ دَوْلَةَ ابنِ خَلاص فِي سِبْتَةَ انْتَهَتْ سَنَةَ ٦٤٧هـ[١١]،وَبِمَا أَنَّ أَقْرَبَ المَصَادِرِ إِلَيْهِ كَانَتِ "التُّحْفَةُ" وَ"البَيَانُ" يَتَقَوَّى لَدَيَّ الاعْتِقَادُ بِأَنَّ سَنَةَ وَفَاتِهِ كَانَتْ بَيْنَ ٦٤٣ وَ٦٤٦هـ .

---

١ – انْظُرْ: ابنِ سَهْلٍ "**دِيوَانُهُ**" ص ٣٥ –٣٦ [المُقَدِّمَة] .

٢ – انْظُرْ: ابن الأَبَّار "**المُقْتَضَب مِنْ تُحْفَةِ القَادِمِ**" ص ٢٤٣؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢٦٩/١ – ٢٧٠ .

٣ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٧٣/٥

٤ – انْظُرْ: ابن الأَبَّار "**المُقْتَضَب مِنْ تُحْفَةِ القَادِمِ**" ص ٢٤٣؛

٥ – انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "**البَيَان المُغْرِب**"– قسم المُوَحِّدِينَ – ص ٣٧٨ .

٦ – انْظُرْ: الكُتُبِيّ "**فَوَات الوَفَيَات**" ١/ ٦٧ .

٧ – انْظُرْ: ابن خَلْدُونَ "**تَارِيخُهُ** " ٣٩٥/٦، ٢٤٦/٧ .

٨ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٧٣/٥

٩ – انْظُرْ: مُحَمَّد الإِفراني"**المَسْلَك السَّهْل فِي شَرْح تَوْشِيح ابنِ سَهْل**" ص ٧١ .

١٠ – انْظُرْ: ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٢٤٤/٣، ٢٩٧ .

١١ – انْظُرْ: ابن خَلْدُونَ "**تَارِيخُهُ** " ٢٤٦/٧ .

٥- أهَمُّ سِمَاتِ شِعْرِهِ :

تَرَكَ ابنُ سَهْلٍ دِيوَانًا كَبِيرًا وَصَفَهُ المَقَّرِيّ بِأنَّهُ حَازَ بِهِ قَصَبَ السَّبْقِ بِالنَّظْمِ وَالتَّوْشِيحِ[١]، وَعُرِفَ بالارْتِجَالِ وَبِسُرْعَةِ القَوْلِ. وَنَظَمَ شِعْرَهُ فِي المَدْحِ وَالغَزَلِ وَالهِجَاءِ وَالرِّثَاءِ وَوَصْفِ الطَّبِيعَةِ وَالمُرَاسَلاتِ الإِخْوانِيَّةِ.إلا أنَّهُ لَمْ يُجَسِّدِ المَآسِي الاجْتِمَاعِيَّةَ التِي كَانَ يُعانِيهَا وَطَنُهُ،فَظَلَّ بَعِيدًا عَنْهَا فِي شِعْرِهِ؛فَلا يُوجدُ فِيهِ بُكَاءٌ عَلَى قُرْطُبَةَ وَلا رِثَاءٌ لِمَسْقَطِ رَأْسِهِ إِشْبِيلِيَةَ،ولا تَفَجُّعٌ عَمِيقٌ عَلَى المَصِيرِ الذِي كَانَ يُوَاجِهُ المُدنَ الأَنْدَلُسِيَّةَ،ومَرَدُّ هَذَا بِرَأيِ إحْسان عبَّاس انْتِمَاؤُهُ إِلَى فِئَةِ الأَقَلِّيَّاتِ[٢].وَكَانَ أكثَرُ شِعْرِهِ فِي غَرَضَيْنِ هُمَا المَدْحُ وَالغَزَلُ.

وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى مَدْحِهِ فقَدْ تَعَدَّدَتْ أَسْمَاءُ المَمْدُوحِينَ فِي ديوانِهِ؛فَمَدَحَ ابنَ عَمِيرَةَ[٣]بِقَصِيدَتَيْنِ حِينَ وَصَلَ إِشْبِيلِيَةَ عَامَ ٦٤١هـ.وفي إِشْبِيلِيَةَ مَدَحَ أَبَا عَمْرُو يَحْيَى بنَ الجَدِّ (ت:٦٤٤هـ)[٤]بِأَرْبَعِ قَصَائِدَ ومُوَشَّحٍ،ومِنَ المُتَوَقَّعِ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَيامَ حُكْمِهِ(٦٣٥-٦٤٠هـ)،وَفِي دِيوَانِهِ قَصِيدَةٌ يَمْدَحُ بِهَا أَبَا فَارِسٍ الفَتْحِ بن فَارِسِ بن أَبِي حَفْصٍ[٥]والي إِشْبِيلِيَةَ ٦٤٣هـ بعدَ أَنْ خَلَعَتْ إِشْبِيلِيَةُ وَسِبْتَةُ طَاعَةَ المُوَحِّدِينَ عَامَ ٦٤٠هـ وتَحَوَّلَتَا إِلَى مُبَايَعَةِ أَبِي زَكَرِيَّا الحَفْصِيِّ صَاحِبِ تُونُسَ، ويَتَوَقَّعُ إِحْسانُ عبَّاس أَنَّ ابنَ سَهْلٍ لَمْ يُكْمِلْ عَامَ ٦٤١هـ فِي إِشْبِيلِيَةَ،بَلِ ارْتَحَلَ إِلَى مَنُورْقَةَ ناوِيًا كَمَا يَبْدُو أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى تُونُسَ،فَظَهَرَ اسْمُهُ فِي بلاطِ الأَمِيرِ أَبِي عُثْمَانَ سَعِيدِ بنِ الحَكَمِ(ت:٦٨٠هـ) أَمِيرِ مَنُورقَةَ،وفي دِيوَانِهِ ثَلاثُ قَصائدَ ومُوَشَّحَةٌ فِي مَدْحِهِ[٦].ويُغَادِرُ مَنُورقَةَ إِلَى سِبْتَةَ عامَ ٦٤٢هـ عِنْدَ وَالِيهَا أَبِي العَلِيِّ الحَسَنِ بنِ خَلاصٍ(ت:٦٤٦هـ)[٧].

ويَرَى إحْسان عبَّاس أَنَّ أَيامَهُ فِي سِبْتَةَ التِي امتدتْ حَتَّى عَامَ ٦٤٥هـ كَانَتْ مِنْ أَخْصَبِ الفَترَاتِ فِي حياةِ ابنِ سَهْلٍ،وفِيهَا نَظَمَ إِحْدَى عَشْرَةَ قَصِيدَةً مِمَّا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ شِعْرِهِ،مِنْهَا ثَمَانِي

---

١ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٧٠/٥ .

٢ – انْظُرْ: ابنِ سَهْلٍ "**دِيوَانُهُ**" ص ٤٤ [المُقَدِّمَة] .

٣ – هُوَ : أَبُو **عِمْرَانَ بنُ عميرَة** ، أَمِيرُ عَرَبِ المعقل، وصل إِشْبِيلْيَةَ ٦٤١هـ . انْظُرْ : ابنِ سَهْلٍ "**دِيوَانُهُ**" ص ١٤٠ .

٤ – هُوَ : أَبُو عَمْرُو **يَحْيَى** بن عبد الملك **بنُ الجَدِّ**،ثار وتملك السلطة فِي إِشْبِيلْيَةَ بعد مقتل المُتَوَكِّل بن هُودٍ سَنَةَ ٦٣٥هـ، وحِينَ دخلت إِشْبِيلْيَةَ فِي العهد الحفصي سَنَةَ ٦٤٣هـ قامت فِيهَا فتنة قتل فِيهَا ابن الجَدِّ عام ٦٤٤هـ وَقَدْ كَانَ مُصَافِيًا لأَلْفُونْسُ .

انْظُرْ : ابن خَلْدُونَ "**تَارِيخُهُ** "٢١٩/٤، ٣٤٤/٦، ٣٩٣ .

٥ – هُوَ: أَبُو **فَارِسٍ** الفَتْح بن يُونُسَ بنُ **أَبِي حَفْصٍ**، أَرْسَلَهُ الأَمِيرُ أَبُو زَكَرِيَّا الحَفْصِيّ وَالِيًا إِلَى إِشْبِيلْيَةَ سَنَةَ ٦٤٤هـ، كَرِهَهُ الإِشْبِيلِيُّونَ وَأَخْرَجُوهُ وَجَمَاعَتَهُ مِنْ مَدِينَتِهِمْ . انْظُرْ : ابن خَلْدُونَ "**تَارِيخُهُ** "٣٩٣/٦ –٣٩٤ .

٦ – انْظُرْ: مَجْهُول "**لُبَاب الأَلْبَابِ مِنْ نَظْمِ الشُّعرَاء ونَثْرِ الكُتَّابِ**" ص ١٥٢–١٦٣ .

٧ – هُوَ: أَبُو **العَلِيِّ الحَسَنُ بنُ خَلاص** البَلَنْسِيّ،وَلِيَ سِبْتَةَ عَامَ ٦٣٧هـ وَبَايَعَ أَبَا زَكَرِيَّا الحَفْصِيّ سَنَةَ ٦٤١هـ،تُوُفِّيَ غَرِيقًا مَعَ ابن سَهْلٍ. انْظُرْ :ابن الأَبَّار "**التَّكْمِلَة**"١٥١/٢؛ ابن خَلْدُونَ"**تَارِيخُهُ**" ٣٤٥/٦–٣٤٧، ٣٩٥، ٢٤٦/٧؛ابن سعيد"**اختصارالقدح المُعَلَّى**"ص٩٨ .

قَصَائِدَ فِي مَدْحِ أَبِي عَلِيّ ابنِ خَلاص.وَظَهَرَ اسمُ ابنِ الرُّمَيْمِيّ[١]الذي كَانَ يَعْمَلُ عِنْدَ ابنِ هُودَ فِي المَرِيَّةِ،وَاسْمُ أَبِي العَبَّاسِ اليَنَاشتِيّ(ت بعد:٦٣٥هـ)[٢]،إلا أَنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ فِي القَصَائِدِ وَلا فِي المَصَادِرِ إِنْ كَانَ عَمِلَ لَدَيْهِمَا أَوِ التَقَاهُمَا أَوْ أَنَّهُ اكْتَفَى بِإِرْسَالِ القَصَائِدِ لَهُ.وَيَرَى إِحْسانُ عبَّاس أَنَّ "القَصِيدَةَ المَدْحِيَّةَ لَدَيْهِ بَاهِتَةٌ ضَعِيفَةُ الحَرَارَةِ حَتَّى كأَنَّهُ يُكَلِّفُهَا تَكْلِيفًا"[٣]،فكَانَ مَدْحُهُ تَقْلِيدِيًّا فِي مَعَانِيهِ مُتَأَثِّرًا بِثقَافَةٍ عَرَبِيَّةٍ وَاضِحَةٍ عَلَى رَأْسِهَا القُرْآنُ، فَقَالَ[٤]: [الكامل]

وَكَأَنَّ بَابَكَ كَعْبَةٌ يَمْحُو بِهَا زَلاتِهِ مَنْ قَدْ أَتَاهَا مُذْنِبًا

وبَدَا تَأَثُّرُ ابنِ سَهْلٍ بالمَوْرُوثَاتِ القَدِيمَةُ فِي مَدْحِهِ التالي[٥]: [الكامل] .

وَالأَرْضُ حَيْثُ حَلَلْتَ قدْسٌ كُلّهَا وَالدَّهْرُ أَجْمَعُ فِي زَمَانِكِ عيدُ

فَطَهَارَةُ الأَرْضِ وَقُدْسِيَّتُهَا حَيْثُ حَلَّ، وَتَحَوُّلُ الأَيَّامِ عِيدًا مِنَ المَعَانِي المَكْرُورَةِ فِي الشِّعْرِ.

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الغَزَلِ عِنْدَ ابنِ سَهْلٍ فقدِ اقْتَصَرَ غَزَلُهُ عَلَى فَتَى يُدْعَى مُوسَى،وَذَكَرَ اسْمَهُ "مُوسَى" ثلاثًا وَخَمْسِينَ مَرَّةً فِي قَصَائِدِهِ،وَأَرْبعَ مَرَّاتٍ فِي المُوَشَّحاتِ.وَطَغَتْ التَّشْكيلاتُ البَيَانِيَّةُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَعَانِيهِ الغَزَلِيَّةِ فَفَاضَتْ أَشْعَارُهُ بِفَوَائِدَ كَثِيرةٍ مِنْ تَفَاصِيلِ قِصَّةِ مُوسَى،فكَانَ مِنْهَا مراضِعُهُ وَعَصَاهُ وَالسَّحَرَةُ وَالثَّعَابِينُ وَشَقُّ البَحْرِ وَفِرْعَوْنُ وَهَارُونُ وَبِنْتَا شُعَيْبٍ وَالقَبَسُ وَالطُّورُ وَغَيْرُهَا. وَاسْتَحْسَنَ المَقَّرِيُّ **لابْنِ سَهْلٍ** فِي مُوسَى قَوْلَهُ[٦]: [الطويل]

تَأَمَّلْ لَظَى شَوْقِي وَمُوسَى يَشُبُّهُ تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ

وَأَبْطَلَ ابنُ سَهْلٍ سِحْرَ السَّحَرَةِ أمامَ وَجْهِ مُوسَى بِقَوْلِهِ[٧] : [الطويل]

إِذَا فِئَةُ العُذَّالِ جَاءَتْ بِسِحْرِهَا فَفِي وَجْهِ مُوسَى آيَةٌ تُبْطِلُ السِّحْرَا

وأَحْيَانًا جَاءَ غَزَلُ ابنِ سَهْلٍ بمُوساهُ عَادِيًّا عُذرِيًّا بدَوِيًّا كَقَوْلِهِ[٨]: [الطويل]

كَسَانِيَ مُوسَى مِنْ سِقَامِ جُفُونِهِ رِدَاءً وَسَقَّانِي مِنَ الحُبِّ أَكْؤُسَا

---

١ – هُوَ: أَبُو عبد الله أو أَبُو يَحْيَى مُحَمَّدٌ ابنُ **الرُّمَيْمِيّ**، نِسْبَةً إِلَى رُمَيْمَةَ مِنْ أَعْمَالِ قُرْطُبَةَ،وَلِيَ عَلَى المَرِيَّةِ، وَدَخَلَ فِي طَاعَةِ ابنِ هُودٍ وَرَفَضَ مُوَالاةَ المُوَحِّدِينَ،وَحِينَ هَلَك ابنُ هُودٍ بالمَرِيَّةِ سَنَةَ ٦٣٥هـ،استبد بِهَا، وَحِينَ هَاجَمَ الرُّومُ المَرِيَّةِ فَرَّ إِلَى فَاسَ. انْظُرْ:عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي"**المُعْجِب**"ص٢١٠؛ابن سَعِيد"**المُغْرِب**"١٩٨/٢؛ابن خَلْدُونَ"**تَارِيخُهُ** "٢١٩،٦/٤/٣٩٥؛المَقَّرِيّ"**نَفْح الطِّيبِ**" ٧٩/٥– ٨٠ .

٢ – هُوَ: أَبُو **العَبَّاسِ** أَحْمَدُ بنُ أَبِي الفَضْلِ **اليَنَاشتِي** أو الينشتي تسمَّى **بِالمُوَفَّقِ**،أَحَدُ وُلاةِ بَنِي هُودٍ تَمَلَّكَ سِبْتَةَ (٦٣٠ –٦٣٥هـ) .

انْظُرْ :ابن سَعِيد"**المُغْرِب**"٣٦٤/٢؛ابن الخَطِيب "**الإِحَاطَةُ**"٢٣٨/١؛ ابن خَلْدُونَ "**تَارِيخُهُ** " ٢١٧/٤، ٣٩٤/٦ ؛الحِمْيَرِيّ "**الرَّوْض المِعْطَار**" ،ص١٠٣ ،٦٢٢؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٣٠/٣ ،٢٧٦/٤ .

٣ – ابنِ سَهْلٍ "**دِيوَانُهُ**" ص ٤٣ [المُقَدِّمَة] .

٤ – نَفْسُهُ ص ٦٩ .

٥ – نَفْسُهُ ص ٤٣ [المُقَدِّمَة] .

٦ – ابنِ سَهْلٍ "**دِيوَانُهُ**" ص ٩٩؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٦٩/٥ .

٧ – ابنِ سَهْلٍ "**دِيوَانُهُ**" ص ١٥٩ .

٨ – ابنِ سَهْلٍ "**دِيوَانُهُ**" ص ٢٦١؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٧٣/٥ .

وَبَدَا تَأَثُّرُهُ الكَبِيرُ بِمَا جَاءَ فِي القُرْآنِ وَالمَوْرُوثِ الدينِيِّ،مِنْهُ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ إِبْطَالُ مُوسَى السِّحْرَ، وَحُسْنُ يُوسُفَ، وَالسَّامِرِيُّ، وَأَمَانُ مُوسَى مِنَ الغَرَقِ فِي ثَلاثَةِ أَبْيَاتٍ قَالَ فِيهَا [1]: [السريع]

أَبْطَلَ مُوسَى السِّحْرَ فِيمَا مَضَى وَجَاءَ مُوسَى اليَوْمَ بِالسِّحْرِ
يَا يُوسُفَ الحُسْنِ وَيَا سَامِرِيّ ي الهَجْرِ أَشْفِقْ لِلْهَوَى العُذْرِي
أَنْتَ عَلَى التَّحْقِيقِ مُوسَى فَقَدْ أَمِنْتَ أَنْ تَغْرَقَ فِي البَحْرِ

وَتَكَرَّرَتِ الإِشَارَةُ إِلَى السَّامِرِيِّ عِنْدَ **ابنِ سَهْلٍ** مِنْهَا فِي مُوَشَّحٍ سَابِقٍ يُعَاتِبُ فِيهِ [2] دُونَ تَفْصِيلٍ، وَفِي آخَرَ يُخَاطِبُ مَنْ يُسَمَّى أَبَا طَاهِرٍ بِقَوْلِهِ [3]:

هُوَ أَبَا الطَّاهِرِ قَدْ صَحَّ نَصًّا وَقِيَاسْ
أَفْدِيهِ مِنْ **سَامِرِي** خِطَابُهُ بِلا مِسَاسْ

وَلِكَثْرَةِ أَخْذِ ابنِ سَهْلٍ مِنَ القُرْآنِ لا أَرَى السَّامِرِيَّ تَأَثُّرًا بِاليَهُود وَإِنْ أَتَى بِكَثْرَةٍ عِنْدَهُ.

وَكَانَتِ **الرِّقَّةُ سِمَةً بَارِزَةً فِي شِعْرِهِ**. وَبِجَانِبِ الرِّقَّةِ كَانَ **الإِكْثَارُ مِنَ المُحَسِّنَاتِ البَدِيعِيَّةِ** سِمَةً عَامَّةً فِي شِعْرِ ابنِ **سَهْلٍ**،وَمِنْهُ قَوْلُهُ [4]: [الطويل]

تُنَازِعُنِي الآمَالُ كَهْلاً وَيَافِعًا وَيُسْعِدُنِي التَّعْلِيلُ لَوْ كَانَ
وَمَا اعْتَنَقَ العُلْيَا سِوَى مُفْرَدٍ سَرَى لِهَوْلِ الفَلا وَالشَّوْقُ وَالسَّوْقُ رَابِعًا

وَلِكَثْرَةِ اقْحَامِهِ المُحَسِّنَاتِ البَدِيعِيَّةِ عَدَّهُ مِقْدَادُ رَحِيم رَائِدًا لِلبَدِيعِيَّاتِ [5] فِي الأَنْدَلُسِ [6] .وَقَالَ إِحْسَانُ عَبَّاس **إِنَّهُ أَكْثَرَ مِنْ فُنُونِ التَفَنُّنِ الشَّائِعَةِ** كَالأَلْغَازِ أَوِ النَّظْمِ بِقَوَافٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَتَكْرَارِ المَعَانِي المَاسُوشِيَّةِ [7] الَّتِي تَلَذُّ بِالأَسَى [8]، فَقَالَ مُلْغِزًا عَنْ فَوَاتِحِ سُوَرِ القُرْآنِ [9] بِقَوْلِهِ [10]: [الطويل]

لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مُوَاصِلِي فَأَسْقَيْتَنِي بِالبُعْدِ فَاتِحَةَ الرَّعْدِ
فَبِاللهِ بَرِّدْ مَا بِقَلْبِي مِنَ الجَوَى بِفَاتِحَةِ الأَعْرَافِ مِنْ رِيقِكَ الشَّهْدِ

---

١ – ابنِ سَهْلٍ "**دِيوَانُهُ**" ص ١٥٠ –١٥٠ .

٢ – نَفْسُهُ ص ٣٣٠ ، وَانْظُرْ فِي البَحْثِ : ص ١٧٩ .

٣ – نَفْسُهُ ص٣٢٧ .

٤ – ابنِ سَهْلٍ "**دِيوَانُهُ**" ص٢٣٢ .

٥ – البَدِيعِيَّةِ: قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ– وَنَادِرًا غَيْرُهُ– يتضمن كل بيت مِنْ أبياتها نَوْعًا مِنْ أنواع البديع،أغلبُها ميمية عَلَى بحر البسيط. انْظُرْ: ابن حِجَّة الحَمَوِيّ "**خِزَانَةُ الأَدَبِ**"١/١٧؛ مُحَمَّد التُّونجِي "**المُعْجَم المُفَصَّل فِي الأَدَب**"١/١٧٦– ١٧٧ .

٦ – انْظُرْ: مقداد رحيم "**اتِّجَاهَات نَقْد الشِّعْرِ فِي الأَنْدَلُس**" ص ٢٢٩ .

٧ – الماسوشية Masochism :وَهَذِهِ النَّزْعَةُ تُعَدُّ عَكْسَ السَّادِيَّةِ لأَنَّ الشَّخْصَ المَاسُوشِيّ يَشْعُرُ بِاللذَّةِ عَنْ طَرِيقِ إِحْسَاسِهِ بِالأَلَمِ وَالأَذَى الصَّادِرِ مِنْ شَخْصٍ آخَرَ . انْظُرْ: موقع **حلول**: http://www.**holol**.net/files/disturbances/index.htm

٨ – ابنِ سَهْلٍ "**دِيوَانُهُ**" ص ٥٠ [المُقَدِّمَة] .

٩ – يقصد أَنَّهُ أسقاه "المر" وحروفها فواتح **سُورَة الرَّعْد** ، مع أَنَّهُ يتمنى منه "المص" وحروفها فواتح **سُورَة الأَعْرَاف**.

١٠ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٥/٧٠ .

كمَا **أكْثَرَ** ابنُ سَهْلٍ مِنَ **التَّوْجِيهِ**(١) **بِاصْطِلاحِ النُّحَاةِ** فِي غَزَلِهِ فَقَالَ(٢): [الطويل]

أَمُوسَـــى أَيَـــا بَعْضِـــي وَكُلِّـــي حَقِيقَـــةً   وَلَـيْسَ مَجَـازًا قَـوْلِيَ الكُـلَّ وَالبَعْضَـا

خَفَضْـــتَ مَكَـــانِي إِذْ جَزَمْـــتَ وَسَـــائِلِي   فَكَيْفَ جَمَعْتَ الجَزْمَ عِنْدِيَ وَالخَفْضَـا

وَلَهُ كَذَلِكَ فِي التَّوْجِيهِ(٣): [الكامل]

تَنْــــأَى وَتَــــدْنُو وَالتِفَاتُــــكَ وَاحِــــدٌ   كَالفِعْــلِ يَعْمَــلُ ظَـــاهِرًا وَمُقَــدَّرًا

وَاشْتُهِرَ ابنُ سَهْلٍ بِالتَّوْشِيحِ؛فَفِي دِيوَانِهِ أرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ مُوَشَّحًا،قَالَ المَقَّرِيّ إنَّ مِنْ مَحَاسِنِهَا "هَلْ دَرَى ظَبْيُ الحِمَى"(٤).وَيَرَى إحْسانُ عبَّاس أنَّ مُوَشَّحَاتِهِ بَرَاعَةٌ فِي التَّفَنُّنِ القَائِمِ عَلَى تَنْوِيعِ النَّغَمَاتِ المُتَبَاعِدَةِ وَالتَّخَلُّصِ بِقُدْرَةٍ فَائِقَةٍ بَيْنَ مُزَاحَمَةِ التَّقْسِيمَاتِ التِي لا تَخْلُو مِنْ جُرْأَةٍ عَلَى البِنَاءِ المُرَكَّبِ،هَذَا إِلَى خَرْجَاتٍ هَزَّازَةٍ سَحَّارَةٍ بِاللَّهْجَةِ العَامِّيَّةِ،وَالجَمْعُ بَيْنَ الصَّنْعَةِ الدَّقِيقَةِ وَالسُّهُولَةِ التَّعْبِيرِيَّةِ فِي مُوَشَّحَاتِهِ يَجْعَلُهُ فِي فَنِّ المُوَشَّحِ غَيْرَ مُتَخَلِّفٍ عَنْ أَعْلامِهِ الكِبَارِ(٥).

وَكَانَ ابنُ سَهْلٍ **فِي شِعْرِهِ مُتَأَثِّرًا وَمُؤَثِّرًا**؛فَتَأَثَّرَ بِشُعَرَاءِ العَرَبِ وَقَلَّدَهُمْ،بَلْ عَارَضَ أشْعَارَهُمْ، فَعَارَضَ ابنَ الجنَّانِ فِي تَخْمِيسِهِ فِي المَدْحِ النَّبَوِيِّ كَمَا سَيَأْتِي لاحِقًا(٦).وَعَارَضَ أشْعَارَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ مَشَاهِيرِ الشُّعَرَاءِ،فَمَا شَقُّوا لَهُ غُبَارًا كَمَا يَرَى المَقَّرِيُّ(٧).فَأخَذَ **أحْمَدُ الحِمْيَرِيُّ الوَزَغِيُّ**(٨) أبْيَاتَهُ التِي مِنْهَا "شَرِيعَةُ مُوسَى عُطِّلَتْ بِمُحَمَّدِ"(٩)وَعَارَضَهَا حِينَ عَشِقَ غُلامًا اسمهُ عِيسَى فَقَرَأَ

---

١ – التَّوْجِيه: أنْ يَحْتَمِلَ الكَلامُ وَجْهَيْنِ مِنَ المَعْنَى احْتِمَالاً مُطْلَقًا مِنْ غَيْرِ تقييد .

انْظُرْ : مُحَمَّد المِنَّاوِيّ "**التَّعَارِيف**" ٢١٣/١ ؛ابن حِجَّة الحَمَوِيّ "**خَزَانَةُ الأَدَب**"٣٠٢/١ .

٢ – المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٧١/٥ .

٣ – نَفْسُهُ ٧٠/٥ .

٤ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٢٣٧/٩ .

٥ – ابنِ سَهْلٍ "**دِيوَانُهُ**" ص ٥٠– ٥١ [المُقَدِّمَة] .

٦ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٢٨٨/١٠– ٢٩٠ .

٧ – نَفْسُهُ ٧٣/٥ .

٨ – هُوَ:أبو جَعْفَرٍ **أحْمَدُ بنُ يَحْيَى** الحِمْيَرِيّ **الوَزَغِيّ**، يُنْسَبُ إِلَى وَزغة مِنْ قُرَى قُرْطُبَةَ،كَانَ خَطِيبَ جَامِعِ قُرْطُبَةَ فِي المِائَة السابعة، جلس فِي المسجد لإقراء النحو وَفنون الأدب المشهور بالظرف وَاللطافة،وَأكثر مِنَ التغزل بالغلمان وَالجَوَارِيّ فِي شِعْرِهِ .

انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٤١/١ ،٢٢٠؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" ٢٧/٢٢ .

٩ – ابنِ سَهْلٍ "**دِيوَانُهُ**" ص١١٦؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢٢٠/١؛ الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَة وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"، حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونُسِيَّة،ع٢٩، ١٩٨٠م، ص ٥٠؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٧٠/٥ .

عَلَيْهِ غُلامٌ اسمُهُ مُحَمَّدٌ،فَمَالَ إِلَيْهِ،فقَالَ[١]: [الطويل]

تَبَـدَّلْتُ مِـنْ عِيسَـى بِحُـبِّ مُحَمَّـدِ   هُدِيتُ وَلَـوْلا اللهُ مَـا كُنْـتُ اهْتَـدِي
وَمَـا عَـنْ مَـلالٍ كَـانَ ذَاك وَإِنَّمَـا   شَـريعةُ عِيسَـى عُطِّلَـتْ بِمُحَمَّـدِ

وَعَارَضَ ابْنُ زَمْرَك[٢]مُوَشَّحَةَ **ابْنِ سَهْلٍ** التِي أَوَّلُهَا[٣]:

لَيْـــلُ الهَـــوَى يَقْظَـــانْ   وَالحُـــبُّ تِـــرْبُ السَّـــهَرِ
وَالصَّـــبْرُ لِـــي خَـــوَّانْ   وَالنَّـوْمُ عَـنْ عَيْنِـي بَـرِي

٦- دِرَاسَةُ مِثَالٍ عَلَى شِعْرِهِ "تَخْمِيسُهُ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ" :

اخْتَرْتُ تَخْمِيسًا فِي المَدْحِ النَّبَوِيِّ لابنِ سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيِّ[٤]للبَحْثِ عَنْ أَثَرِ اليَهُودِ فِي شِعْرِ الأَنْدَلُسِيِّينَ،وَسَبَبُ الاخْتِيارُ أَنَّ القَصِيدَةَ قِيلَت فِي بِدَايَةِ إِسْلامِهِ،وَلِقُرْبِ دُخُولِ قَائِلِهَا بِالإِسْلامِ فَإِنَّ أَثَرَ اليَهُودِ عَلَيْهِ-إِنْ كَانَ لَهُم أَثَرٌ- سَيَكُونُ أكبرَ مِنْهُ عَلَى غَيْرِهِ،فَقَدْ تَرَعْرَعَ وَسْطَ بِيئَةٍ يَهُودِيَّةٍ فَتَأَثَّرَ بِهَا وَأَثَّرَتْ عليه،فإِنْ كَانَ لَهُم أَثَرٌ عَلَى الشُّعَرَاءِ العَرَبِ وَشِعْرِهِم فمِنْ بَابِ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّأْثِيرُ مُتَمَثِّلاً وَوَاضِحًا فِيمَنْ عَاشَ بَيْنَهُم وَكَانَ مِنْهُمْ إِلَى فَتْرَةٍ قَرِيبَةٍ. فَهِيَ مِثَالٌ وَاضِحٌ عَلَى أَثَرِ اليَهُودِ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ،كَمَا أَنَّهَا شَاهِدٌ عَلَى شِعْرِ اليَهُودِ الذي نُظِمَ بِالعَرَبِيَّةِ،ولأَنَّهَا مِنَ المَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ أَتَوَقَّعُ أَنَّهَا وَصلت إِلَيْنَا شِبْهَ تَامَّةٍ،وَالوَحْدَةُ وَالتَّسَلْسُلُ فِي الأَفْكَارِ فِيهَا دَلِيلانِ عَلَى ذَلِكَ،حَيْثُ بَدَأَتْ بِالحَدِيثِ عَنْ مَكَانَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى مَوْلِدِهِ ثُمَّ صِفَاتِهِ وَمُعْجِزَاتِهِ وَأَهَمُّهَا الإِسْرَاءُ لِيَصِلَ فِي الأَخِيرِ إِلَى شَوْقِ الشَّاعِرِ لِلَثْمِ مَثْوَاهُ الطَّاهِرِ.وَبالإِضافة إِلَى هَذَا فَهِيَ مِنْ حَيْثُ عَدَدُ الأَبْيَاتِ مِنْ أَطْوَلِ قَصَائِدِ جَمَاعَةِ اليَهُودِ التِي وَصَلَتْ إِلَيْنَا مِنَ الأَنْدَلُسِ.

وَيَقُودُ هَذَا المَدِيحُ النَّبَوِيُّ إِلَى مُلاحَظَاتٍ عَدِيدَةٍ بِالنِّسْبَةِ لأَثَرِ اليَهُودِ فِي الشِّعْرِ؛أَوَّلُهَا أَلْحَظُهُ مِنْ تَقْدِيمِ صَاحِبِ "النَّفْح" للقَصِيدَةِ حِينَ قَالَ "إِنَّهَا مِنْ قَوْلِ ابنِ سَهْلٍ لَمَّا أَظْهَرَ الإِسْلامَ"[٥]،فَإِنْ كَانَ ابنُ سَهْلٍ قَدْ قَالَ هَذِهِ القَصِيدَةَ فِي بِدَايَةِ إِسْلامِهِ كَمَا يُشِير "النَّفْحُ" فَهَذَا يَدُلُّ بوضوح عَلَى

---

١ – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٤١/١؛ الصَّفَدِيّ "**الوافِي بِالوَفَيَات**" ١٩٠/١٨ .ونَسَبَهَا ابنُ الأَبَّارِ فِي "تُحْفَةِ القَادِمِ" إِلَى السَّالِمِيّ،وَهُوَ: أَبُو زَيْدٍ **عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّالِمِيّ** مِنْ أَهْلِ أستجة. وقال:إِنَّ أَحَدَهُمْ لقِيَ السَّالِمِيّ بقُرْطُبَةَ فَأَنْشَدَهُ لِنَفْسِهِ وَقَدْ صَحِبَ فَتَى اسْمُه عيسى،ثُمَّ تَرَكَ صَدَاقَتَهُ وَانْتَقَلَ إِلَى صَدَاقَةِ آخَرَ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ . انْظُرْ: ابن الأَبَّار "**المُقْتَضَب مِنْ تُحْفَةِ القَادِمِ**" ص ٨٠؛ الصَّفَدِيّ"**الوافِي بِالوَفَيَات**" ١٨/ ١٩٠ .

٢ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ١٠٢/١٠– ١٠٤ .

٣ – ابنِ سَهْلٍ "**دِيوَانُهُ**" ص ٢٩٦؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٧٣/٥ .

٤ – انْظُر :المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٨٨/١٠ ؛ انْظُرْ مَلاحِقِ البَحْثِ .

٥ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

وَجود شعرٍ كَثِير وَجيد لَهُ بالعَرَبِيَّةِ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ،وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ابنَ سَهْلٍ تفتَّحتْ شاعريَّتُهُ، وَانْطَلَقَ لسانُهُ بإنْشَادِ الشِّعْر وَتَمَكَّنَ فِيهِ قبْلَ أَنْ يُسْلِم؛فلا يُمْكِنُ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ القَوْلُ بِأَنَّ إِبْدَاعَهُ الشِّعْرِيَّ ظَهَرَ فَجْأَةً وَحِينَ أَعْلَنَ إِسْلامَهُ فَقَطْ وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَفْهَمُ شَيْئًا فِي الشِّعْرِ وَلَمْ يقلْ الشِّعْرَ مِنْ قَبْلُ.وَإِن كَانَتْ هَذِهِ القَصِيدَةُ مِنْ أَوَائِلِ مَا قِيلَ بَعْدَ إِسْلامِهِ،فَإِنَّ القُدْرَةَ الشِّعْرِيَّةَ وَالتَّمَيُّزَ الوَاضِحَ فِيهَا يَدُلانِ عَلَى أَنَّهُ قَدْ نَظَمَ الكَثِيرَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ،وَلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ابنُ سَهْلٍ قَدْ قَامَ بِمُحَاوَلاتٍ كَثِيرَةٍ قَبْلَهَا وَهُوَ يَهُودِيٌّ،وَهَذَا مُؤَشِّرٌ وَاضِحٌ عَلَى وُجُودِ شِعْرٍ مَنْظُومٍ بالعَرَبِيَّةِ لِيَهُودٍ لَمْ يُسْلِمُوا اخْتَفَى كَمَا اخْتَفَى شِعْرُ ابنِ سَهْلٍ الذِي نَظَمَهُ قَبْلَ إِسْلامِهِ.وَهَذَا يَقُودُ إِلَى الدَّائِرَةِ الأُولَى التِي بَدَأْتُ بِهَا بَحْثِي وَهِيَ اعْتِقَادِي أَنَّ لَهُم شِعْرًا كَثِيرًا لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا إِلَى الآنَ،لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الجيِّد، لكنَّهُ اخْتَفَى لأَنَّ اليَهُودَ هُمْ مَنْ نَظَمُوهُ.فَأَرَى أَنَّ شِعْرَ ابنِ سَهْلٍ ظَهَرَ وَانْتَشَرَ ،فَأَخْرَجَهُ إِسْلامُهُ مِنْ عُزْلَةٍ ظَلَّ بِهَا غَيْرُهُ مِنَ اليَهُودِ،وَأَتَوَقَّعُ أَنَّهُ لَوْ بَقِيَ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ لَمْ يَكُنْ شيءٌ كَبِيرٌ مِنْ شِعْرِه يَصِلُ إِلَيْنَا مَهْمَا كَانَ جَيِّدًا، وَبِالأَخَصِّ أَنَّهُ انْتقَلَ بَيْنَ البَلاطَاتِ السِّيَاسِيَّةِ.

وَأَسَجِّلُ **مُلاحَظَاتٍ حَوْلَ الأسْلُوبِ وَالشَّاعِرِيةِ فِي القَصِيدَةِ**،فَأَرَى فِي القَصِيدَةِ مَقْدِرَةً عَلَى قَوْلِ الشِّعْرِ الجَيِّدِ تَبَدَّتْ عِنْدَ ابنِ سَهْلٍ وَمَيَّزَتْهُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الشُّعَرَاءِ فِي الأَنْدَلُسِ وَرَفَعَتْ قَدْرَهُ. إلا أَنَّ ابنَ سَهْلٍ كَانَ **تَقْلِيدِيًّا**،وَلَمْ يَخْرُجْ عَمَّا تَعَوَّدْنَا رُؤْيَتَهُ فِي المَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ،فَبَدَا مُتَأَثِّرًا بِمَا قِيلَ فِي هَذَا المَوْضُوعِ وَلَيْسَ مُؤَثِّرًا فِيهِ.وَقَدْ يَكُونُ هَذَا إِشَارَةً إِلَى أَنَّ اليَهُودَ فِي مَجَالِ الشِّعْرِ كَانُوا مُتَأَثِّرِينَ بِمَا لَدَى العَرَبِ وَلَيْسَ العَكْس.وَالبَحْثُ فِي خُصُوصِيَّاتِ القَصِيدَةِ سَيُؤَكِّدُ هَذَا الكَلامَ أَكْثَرَ.

وَأَوَّلُ مَا تَبْتَدِئُ بِهِ المَدَائِحُ النَّبَوِيَّةُ عَادَةً هُوَ الحَدِيثُ عَنْ عَلاقَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِالرُّسُلِ وَالرِّسَالاتِ السَّابِقَةِ؛ فَهَدْيُهُ جَاءَ مُتَمِّمًا لِهَدْيِ مَنْ قَبْلَهُ فِي **مَطْلَعِ القَصِيدَةِ** عِنْدَ ابنِ سَهْلٍ حِينَ قَالَ(١): [الكامل]

جَعَلَ المُهَيْمِنُ حُبَّ أَحْمَدَ شِيمَةً ⁂ وَأَتَى بِهِ فِي المُرْسَلِينَ كَرِيمَةً

فَغَدَا هَوَاهُ عَلَى القُلُوبِ تَمِيمَةً ⁂ وَغَدَا هُدَاهُ لِهَدْيِهِمْ تَتْمِيمَا

وَرُغْمَ كَثْرَةِ الجِنَاسِ البَادِي فِي البَيْتِ الثَّانِي فِي "هَوَاهُ وَهُدَاهُ،تَمِيمَةً وَتَتْمِيمَا" إلا أَنَّ هَذَا سَاعَدَ فِي إِيْجَادِ إِيقَاعٍ مُوسِيقِيٍّ دَاخِلِيٍّ بَدَا وَاضِحًا بِانْسَجَامِ هَذِهِ الكَلِمَاتِ المُخْتَارَةِ بِعِنَايَةٍ وَانْسَحَبَ عَلَى مُعْظَمِ الأَبْيَاتِ.كَمَا أَنَّ تَكْرَارَ كَلِمَةِ "غَدَا" فِي البَيْتِ نَفْسِهِ زَادَ المُحَسِّنَاتِ البَدِيعِيَّةَ فِي البَيْتِ فَأَظْهَرَ شَيْئًا مِنَ التَّكَلُّفِ. وَلَمْ يكنِ **الإِكْثَارُ مِنَ المُحَسِّنَاتِ البَدِيعِيَّةِ** غَرِيبًا عَنِ العَصْرِ الذِي قِيلَتْ فِيهِ؛فقَدْ غَرِقتِ المَدَائِحُ النَّبَوِيَّةُ فِيهَا سَوَاءٌ فِي الأَنْدَلُسِ وَالمَشْرِقِ العَرَبِيِّ.فَكَانَ مُقَلِّدًا مَسْبُوقًا مُتَأَثِّرًا.

ولأَنَّ النَّبِيَّ مُتَمِّمٌ لِهَدْيِ مَنْ قَبْلَهُ تَحَدَّثَتِ الكُهَّانُ عَنْ ظُهُورِهِ بِقَوْلِ ابنِ **سَهْلٍ**(٢): [الكامل]

أَبْدَى جَبِينُ أَبِيهِ شَاهِدَ نُورِهِ ⁂ سَجَعَتْ بِهِ الكُهَّانُ قَبْلَ ظُهُورِهِ

---

١ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ١٠/ ٢٨٨ .

٢ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .

وَمِنَ المُلاحَظِ أَنَّ قَوْلَهُ "سَجعَتْ بِهِ الكُهَّانُ" فِيهِ مِنَ الدِّقَّةِ فِي التَّعْبِيرِ مَا يَدُلُّ عَلَى حَذَرٍ وَاضِحٍ فِي اخْتِيَارِ مَا يَقُولُ؛فَمَعْ أَنَّ الكَلامَ عَنِ التَّبْشِيرِ بِقُدُومِ مُحَمَّدٍﷺ وَمَعْ أَنَّ الذِي قَامَ بِالتَّبْشِيرِ هُوَ الكُهَّانُ وَهُمْ رِجَالُ الدِّينِ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى،إلا أَنَّ العَلاقَةَ الخَاصَّةَ لَهُ مَعَ الكُهَّانِ لِكَوْنِهِ وَاحِدًا مِنْهُمْ جَعَلَتْهُ يَقُومُ بِهَذَا الاخْتِيَارِ الدَّقِيقِ لِكَلِمَاتِهِ حِينَ رَأَى أَنَّ تَبْشِيرَهُمْ بِقُدُومِ النَّبِيِّﷺ مُجَرَّدُ كَلامٍ مَسْجُوعٍ دُونَ أَيِّ قُدْسِيَّةٍ،فَرُغْمَ عِنَايَةِ الشَّاعِرِ بِالفِكْرَةِ وَهِيَ التَّبْشِيرُ إلا أَنَّ قَوْلَ هَؤُلاءِ الكُهَّانِ الذِينَ كَانَ ابنُ سَهْلٍ إِلَى فَتْرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ زُمْرَتِهِمْ مُجَرَّدُ سَجْعٍ لَيْسَ إلا.وَلِلرَسُولِ ﷺ مَعَ السَّجْعِ[1]مَوْقِفُ اسْتِهْجَانٍ مِنَ الوَاضِحِ أَنَّ الشَّاعِرَ كَانَ عَلَى اطِّلاعٍ عَلَيْهِ ومُتَأَثِّرٌ بِهِ.

وَكَعَادَةِ المَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ بَعْدَ التَّمْهِيدِ تَحَدَّثَ ابنُ سَهْلٍ عَنْ **مَوْلِدِ الرَّسُولِ**ﷺ،فَقَالَ[2]:[الكامل]

وَافَـى وَظَهْـرُ الأَرْضِ دَاجٍ مُمْحِـلُ ... فَجَـلا البَهِـيمَ[3]بِـهِ وَأَرْوَى الهِيَّمَـا[4]

فَظَهَرَ الضِّيَاءُ بِمِيلادِهِ مُنِيرًا لِلبَشَرِيَّةِ دُرُوبَهَا،وَجَلا الظَّلامَ المُحِيطَ بِالبَشَرِيَّةِ.وَكَثُرَ القَوْلُ عَنْ نُورِ النَّبِيِّﷺ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الشُّعَرَاءِ وَكَثُرَ تَشْبِيهُهُ بِالبَدْرِ،وَكَثُرَ تَشْبِيهُ الأَرْضِ مُظْلِمَةً قَبْلَ سُطُوعِ نُورِهِ.

وَبَعْدَ هَذَا مَرَّ ابنُ سَهْلٍ عَلَى صِفَاتِهِ،وَامْتَلأَتِ المَدَائِحُ النَّبَوِيَّةُ بِالحَدِيثِ عَنْ صِفَاتِهِ وَمُعْجِزَاتِهِ،فَلَمْ يَكُنِ ابنُ سَهْلٍ بِهَذَا حَامِلاً الجَدِيدَ أَوِ الغَرِيبَ مِمَّا يُعَدُّ أَثَرًا لِليَهُودِ بَادِيًا عَلَى شِعْرِهِ،فَكُلُّ مَا جَاءَ بِهِ كَانَ مَطْرُوقًا،لَكِنْ بَرَزَتْ عِنْدَهُ **قُدْرَةٌ عَلَى كِتَابَةِ شِعْرٍ جَيِّدٍ عَلَى طَرِيقَةِ العَرَبِ**.وَمعْ أَنَّ الشَّاعِرَ نَشَأَ بَيْنَ اليَهُودِ إلا أَنَّ القَصِيدَةَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الثَّقَافَةَ العَرَبِيَّةَ وَالإِسْلامِيَّةَ تَمَكَّنَتْ مِنْهُ وَسَيْطَرَتْ عَلَيْهِ، فَكَانَتْ عَرَبِيَّةً بِأُسْلُوبِهَا وَصُوَرِهَا وَمَعَانِيهَا،وَلَمْ يَظْهَرْ أَثَرٌ واضِحٌ لِليَهُودِ فِيهَا.

وقَدْ ظَهَرَتْ عِنْدَ ابنِ سَهْلٍ **قُدْرَةٌ عَلَى اسْتِخْدَامِ التَّشْبِيهَاتِ المُتَنَوِّعَةِ المُنَاسِبَةِ**،وَجَاءَتْ مُتَنَوِّعَةً مُبْتَكَرَةً فِي مُعْظَمِهَا؛**فَكَانَتْ صَوْتِيَّةً** فِي "سَجْعِ الكُهَّانِ" وَفِي "تَغْرِيدِ الطَّيْرِ بِصَفِيرِهِ" وَيكادُ القَارِئُ يَسْمَعُ "حَنِينَ الجِذْعِ"،أَوْ يَتَخَيَّلُ مُحَاوَرَةً صَوْتِيَّةً سَمَاوِيَّةً فِي قَوْلِهِ "يَا مُحَمَّدُ مَرْحَبًا".وَكَانَتْ **لَوْنِيَّةً** بَرَّاقَةً فِي "النُّورِ عَلَى جَبِينِ أَبِيهِ"وَمِثْلُهُ فِي "وَجْهِ الإِصْبَاحِ"المُشْرِقِ المُنِيرِ،وَبَدَتِ الأَرْضُ "بِلَيْلِهَا الدَّاجِي البَهِيمِ"وَقَدْ جلاهَا هَذَا النُّورُ القَادِمُ.وَلَمْ **تَغِبِ الحَرَكَةُ** عَنْ الأَبْيَاتِ:فَقَدْ "تَرَنَّحَ الجِذْعُ" وَ"فَاضَ المَاءُ كَالعَيْنِ الفَوَّارَةِ"مِنْ كَفِّهِ الكَرِيمَةِ فِي البَيْت نَفْسِهِ،وَتَوَالَتِ الحَرَكَاتُ مَا بَيْنَ سَرِيعَةٍ وَبَطِيئَةٍ فِي الإِسْرَاءِ فِي "احْتِثَاثِ البُرَاقِ" وَ"اقْتِعَادِهِ لِيَنْزِلَ" وَ"جَرَى الزَّمَانُ"،وَ"وُجُومِ الأَرْضِ"،وَاسْتَمَرَّ التَّعَاكُسُ فِي الحَرَكَاتِ وَاتِّجَاهَاتِهَا "بِصُعُودِهِ النُّجُودَ وَسَبْرِ الأَغْوَارِ".وَ**خَرَجَتِ الرَّائِحَةُ العَطِرَةُ** الزَّكِيَّةُ

---

١ – وَرَدَ هَذَا المَوقِفُ فِي حَدِيثٍ عَنِ الرَّسُولِﷺ مُلَخَّصُهُ أَنَّ امْرَأَةً ضَرَبَتْ ضُرَّتَهَا بِعَمُودٍ وَهِي حُبْلَى فَقَتَلَتْهَا، فَجَعَلَ الرَّسُولُ ﷺدِيَةَ المَقْتُولَةِ عَلَى عُصْبَةِ القَاتِلَةِ،فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ عُصْبَةِ القَاتِلَةِ: أَنَغْرَمُ دِيَةَ مَنْ لا أَكَلَ وَلا شَرِبَ وَلا اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ، فَقَالَ الرَّسُولُﷺ : أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الأَعْرَابِ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمُ الدِّيَةَ . انظُرْ :"**صحِيح مُسْلِم**" ١١٠/٤ – ١١١ .

٢ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٩٠/١٠ .

٣ – البَهِيمُ: الأَسْوَدُ الذي لا يخالِطُهُ لونٌ آخر، ويقصد هُنَا الليل . ابن مَنْظُور"**لِسَانِ العَرَبِ**" [بهم] ٥٩/١٢ .

٤ – الهِيَم: جمع أهيم وَهُوَ الشديد العطش . ابن مَنْظُور"**لِسَانِ العَرَبِ**" [هيم] ٦٢٧/١٢ .

"فَاشْتَمَّ رَيْحَانَ القُلُوبِ الطَّيِّبَا"،وَكَانَتِ "الأَرَائِجُ تَفْتِقُ" بِلَيْلَةِ الإِسْرَاءِ،وَ"مِسْكُ اللَّيْلِ يَعْبِقُ" فِيهَا، فَفَاضَتِ الصُّوَرُ بِصَوْتٍ وَلَوْنٍ وَحَرَكَةٍ وَرَائِحَةٍ.وَلِشِدَّةِ **اعْتِنَاءِ ابنِ سَهْلٍ بِصُوَرِهِ** تداخَلَتْ أَبْعَادُ هَذِهِ الصُّوَرِ فاجْتَمَعَ بُعْدَانِ وَأَحْيَانًا أَكْثَر لِلصُّورَةِ الوَاحِدَةِ؛فَجَاءَتْ بِأبعادٍ ثَلاثَةٍ: **صَوْتِيَّةٍ لَوْنِيَّةٍ حَرَكِيَّةٍ** فِي صَفِيرِ الطَّيْرِ وَضِيَاءِ الصُّبْحِ مَعَ هُبُوبِ النَّسِيمِ،فِي قَوْلِهِ[١]: [الكامل]

كَـــالطَّيْرِ غَـــرَّدَ مُغْرِبًـــا بِصَـــفِيرِهِ عَـنْ وَجْـهِ إِصْـباحٍ يُطِـلُّ نَسِـيمَا

وَاجْتَمَعَ الصَّوْتُ وَالحَرَكَةُ فِي تَرَنُّحِ الجِذْعِ وَحَنِينِهِ[٢] حِينَ لَمَسَتْهُ اليَدَانِ الطَّاهِرَتَانِ،تَدْخُلُ مَعَهَا صُورَةٌ رَائِعَةٌ لانْهِمَارِ المَاءِ مِنْ أَصَابِعِهِ الكَرِيمَةِ[٣] كَالعَيْنِ الفَوَّارَةِ بِقَوْلِهِ[٤]: [الكامل]

وَالجِـذْعُ حَـنَّ هَـوَى لَـهُ فَتَرَنَّحَـا وَالمَـاءُ فَـاضَ بِكَفِّـهِ تَسْـنِيمَا

وكلُّ هَذِهِ العنايَةِ بِصُوَرِهِ أَخَذَهَا عَنْ مِيرَاثٍ شِعْرِيٍّ كَبِيرٍ تَأَثَّرَ بِهِ،وَلَمْ يَظْهَرْ تَأْثِيرٌ وَاضِحٌ لِلْيَهُودِ فِي قَصِيدَته،اللهُمَّ إلا إِنْ عَدَدْنَا الحَدِيثَ عَنْ **النُّجُومِ وَالتَّنْجِيمِ** حِكْرًا عَلَى اليَهُودِ بالأَنْدَلُسِ،وَبَدَا فِي قَوْلِهِ عَنِ الرَّسُولِﷺ: "أَوْصَافُهُ عُلْوِيَّةٌ فَلَكِيَّةٌ"[٥]،وَسِوَى هَذَا لَمْ يَظْهَرْ –بِرَأْيِي- أَيُّ أَثَرٍ لِلْيَهُودِ،بَلْ كَانَتِ القَصِيدَةُ دَلِيلاً عَلَى أَنَّ اليَهُودَ قَدْ صَقَلَتْهُمُ الثَّقَافَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ.

وَإِنْ كَانَ ابنُ سَهْلٍ لَمْ يَبْتَدِعْ وَلَمْ يأتِ بِجَدِيدٍ مِنْ قومِهِ اليَهُودِ فِي القَصِيدَةِ،فلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَأَثِّرا وَهَذَا مَا أراه.وَتَأَثُّره لَهُ وَجهان:الثَّقَافَةُ العَرَبِيَّةُ أَوَّلاً ثُمَّ المَوْرُوثُ الدِّينِيُّ الإِسْلامِيُّ وَأَحَدُّهُ بِالإِسْلامِيِّ حَيْثُ سَبَقَ القَوْلُ بِاسْتِبْعَادِ المَوْرُوثِ مِنَ اليَهُودِ.

وَبِالنِّسْبَةِ **لِتَأَثُّرِ ابنِ سَهْلٍ بِالثَّقَافَةِ العَرَبِيَّةِ** فَهَذَا وَاضِحٌ فِي النَّظْمِ الجَيِّدِ لِلقَصِيدَةِ بِالأَلْفَاظِ العَرَبِيَّةِ،وَبِالأُسْلُوبِ العَرَبِيِّ،وَبِالبُحُورِ العَرَبِيَّةِ،فَلَمْ يأتِ بِغَرِيبٍ أَوْ جَدِيدٍ أَوْ مُسْتَحَدَثٍ غَيْرِ مَا جَاءَتْ بِهِ العَرَبُ فِي هَذَا البَابِ مِنَ القَوْلِ،فَأَتَى بِمَا نَتَوَقَّعُ مِنْ أيِّ شَاعِرٍ عَرَبِيٍّ مُسْلِمٍ فِي هَذَا المَجَالِ.

أَمَّا تَأَثُّر ابنُ سَهْلٍ بِالمَوْرُوثِ الدِّينِيِّ فَقَدْ بَدَا وَاضِحًا؛بِالقُرْآنِ أَوَّلاً،ثُمَّ الحَدِيثِ وَتَلَتْهُمَا السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ.وَبَرَزَ بِوُضُوحٍ **تَأَثُّرُ ابنِ سَهْلٍ بِالقُرْآنِ الكَرِيمِ** فِي القَصِيدَةِ؛فَأَشَارَتِ الأَبْيَاتُ إِلَى اطِّلاعٍ وَاضِحٍ

---

[١] ـ المَقَّرِيّ "نَفْحُ الطِّيبِ" ٢٨٨/١٠ .

٢ – فِي الحَدِيثِ المروي عَنْ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يخطبُ يَوْمَ الجُمعةِ إِلَى جَنْبِ خَشَبَةٍ يُسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَيْهَا، فلَمَّا كَثُرَ النَّاسُ، قَالَ: ابنُوا لي منْبَرًا، فَبَنُوا لَهُ منْبَرًا لَهُ عَتَبَتَانِ،فلَمَّا قامَ عَلَى المنْبَرِ لِيَخْطبَ حنَّتْ الخشبةُ إِلَى رسوْلِ الله ﷺوَصاحتْ صياحَ الوَلَدِ، فَمَا زَالَتْ تَحِنُّ حَتَّى نَزَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا، فَسَكَنَتْ . انْظُرْ: البُخَارِيّ "**صَحِيحُهُ**" ٢٣٧/٤ [باب علامات النبوة].

٣ – عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ:رَأَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلاةُ العَصْرِ،فَالتُمِسَ الوَضُوءُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأُتِيَ رسولُ اللهِ ﷺ بِوَضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ فِي ذَلِكَ الإِنَاءِ،فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّأُوا مِنْهُ،فَرَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ حَتَّى تَوَضَّأُوا وَكَانُوا سبعين أَوْ نحوه وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى:فجعلَ الماءُ يثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ العُيونِ،فشَرِبنَا وَتوضَّأنا... وَلَوْ كُنَّا مِائَةَ ألفٍ لكفانا،وَلَوْ كُنَّا خمسَ عشرةَ مِائَةً. انْظُرْ: البُخَارِيّ "**صَحِيحُهُ**" ٢٣٣/٤ –٢٣٤ [باب علامات النبوة] .

٤ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٨٨/١٠ .

٥ – نَفْسُهُ ٢٨٩/١٠ .

عَلَى القُرْآنِ الكَرِيمِ وَمَعْرِفَةٍ بِآيَاتِهِ،وَمِنَ الوَاضِحِ أَنَّهُ كَانَ عَلَى مَعْرِفَةٍ بِأَسْمَاء سُوَرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَبِمَضْمُونِهَا؛فَاخْتَارَ "المُدَّثِرُ وَالمُزَّمِّلُ" مِنْ أَسْمَاءِ سُوَرِ القُرْآنِ،بِقَوْلِهِ[١]:[الكامل]

الشَّـــافِعُ المُتَوَسِّــــلُ المُتَقَبِّـــلُ   القَانِـــتُ المُـــدَّثِرُ المُزَّمِّـــلُ

وَجَاءَ بِأَسْمَاءِ "المُدَّثِرِ المُزَّمِّل" مُتَتَالِيَتَيْنِ دُونَ فَاصِلٍ بَيْنَهُمَا كَمَا هُمَا مُتَجَاوِرَتَيْنِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ. وَحِينَ ذَكَرَ سُورَةَ "نُون" لَمْ يَكْتَفِ بِأَوَّلِ آيَةٍ "نُونٍ وَالقَلَمْ"،بَلْ أَضَافَ فِي عَجُزِ البَيْتِ مَا يُشِير إِلَى اطِّلاعِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِمَضْمُونِهَا وَبِآيَةِ (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)[٢]،بِقَوْلِهِ[٣]: [الكامل]

وَعَـزَتْ لَـهُ آيَـاتُ نُـونٍ وَالقَلَـمْ   خُلُقًـا بِـهِ شَـهِدَ الإِلَـهُ عَظِيمَـا

وَفِي قَوْلِهِ "وَاللهُ بَيَّنَ حُبَّهُ فِي وَالضُّحَى"إِشَارَةٌ إِلَى سُورَةِ الضُّحَى والآيَةِ (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ)[٤] وَأَشَارَ مرةً أُخْرَى إِلَى مَضْمُونِ السُّورَةِ نَفْسِهَا فِي قَوْلِهِ:"يَا رَاحِلاً وَدَّعْتَهُ لا عَنْ قِلَى".وَفِي الأَبْيَاتِ إِشَارَاتٌ أُخْرَى تُظْهِرُ مَعْرِفَتَهُ الجَيِّدَةَ بِآيَاتِ القُرْآنِ،مِنْهَا "احْتَثَّ فِي السَّبْعِ الطِّبَاقِ بُرَاقُهُ"[٥]، وَقَوْلُهُ "سَمَكَ السَّمَا طَوْرا وَبَطْنَ الغَارِ"[٦]،وَكَانَ الماءُ المُنْبَجِسُ مِنْ كَفِّ النَّبِي ﷺ "تَسْنِيمًا"[٧]، وَمِنْ سُورَةِ الإِسْرَاءِ "سبْحَانَ مَنْ أَدْنَى سُرَاهُ فَسَاقَهُ"[٨]،وَتكليمُ اللهِ لِمُوسَى[٩] بِقَوْلِهِ[١٠]:[الكامل]

إِنِّـي جَعَلْتُـكَ جَـارَ عَرْشِـي الأَقْرَبَـا   إِنْ كُنْـتَ قَبْلَـكَ قَـدْ جَعَلْـتُ كَلِيمَـا

وكُلُّ هَذَا الأَخْذِ مِمَّا جَاءَ بِهِ القُرْآنُ يَدُلّ عَلَى أَنَّ مَعْرِفَةَ الشَّاعِرِ بِالقُرْآنِ لَمْ تَكُنْ مَعْرِفَةً سَطْحِيَّةً، بَلْ كَانَتْ مَعْرِفَةً وَاسِعَةً دقيقةً عَمِيقةً أَمْكَنَتْهُ أَنْ يَخْتَارَ مَا اخْتَارَهُ فِي القَصِيدَةِ بِدِقَّةٍ وَاضِحَةٍ.

إلا أَنَّ هَذِهِ الإِشَارَاتِ المَوْجُودَةَ فِي القَصِيدَةِ تكادُ تَشِي بِأَنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يكنْ عَلَى مَعْرِفةٍ دَقِيقةٍ بِكُلِّ سُورِ القُرْآنِ،وهَذَا لَيْسَ غَرِيبًا؛حَيْثُ إِنَّهُ فِي بِدَايَةِ مِشْوَارِهِ مَعَ الإِسْلامِ كَمَا سَبَقَ القَوْلُ، فَلاحَظْتُ أَنَّ الإِشَارَاتِ الوَارِدَةَ فِي القَصِيدَةِ،إِن اسْتَثْنَيْتُ مِنْهَا الإِشَارَةَ إِلَى كَلِيم اللهِ مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ وَمَا أَخَذَهُ مِنَ افْتِتَاحِيَّةِ سُورَةِ الإِسْرَاءِ، **مَأْخُوذَةٌ مِنَ الجُزْئَيْنِ الأَخِيرَيْنِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَهُمَا الجُزْآنِ**

---

١ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٢٩٠/١٠ .

٢ – **سُورَةَ القَلَمِ**، آية ٤ .

٣ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٢٩٠/١٠ .

٤ – **سُورَةَ الضُّحَى**، آية ٣ – ٥ .

٥ – مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ **سُورَةَ نُوحٍ**، آية ١٥ .

أو مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ **سُورَةَ المُلْكِ**، آية ٣ .

٦ – مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَاهَا . رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ **سُورَةَ النَّازِعَاتِ**، آية ٢٧ – ٢٨ .

٧ – مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ **سُورَةَ المُطَفِّفِينَ**، آية ٢٧ – ٢٨ .

٨ – مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ **سُورَةَ الإِسْرَاءِ**، آية ١ .

٩ – مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ **سُورَةَ النِّسَاءِ**، آية ١٦٤ .

١٠ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٢٨٩/١٠ .

التَّاسِعُ وَالعِشْرُونَ وَالثَّلاثُونَ فَقَطْ.وَلِهَذَا تَعْلِيلاتٌ عَدِيدَةٌ عِنْدِي لا يُمْكِنُ تَرْجِيحُ أَحَدِهَا؛فقدْ يَكُونُ الشَّاعِرُ لَمْ يطَّلِعْ بَعدُ عَلَى سِوَاهُمَا،وَمِنَ اطِّلاعِهِ عَلَيْهِمَا أَعْلَنَ إِسْلامَهُ،ثُمَّ قَالَ هَذِهِ القَصِيدَةَ مُتَأَثِّرًا بِمَعَانِيهِمَا،وَهَذَا مَعْقُولٌ بِالنِّسْبَةِ لابنِ سَهْلٍ لأَنَّهُ كَانَ فِي بِدَايَةِ إِسْلامِه .

وَقَدْ يَكُونُ هُنَاكَ تَعْلِيلٌ آخَرُ لَمْ أَجِدْ مَا يُؤَيِّدُهُ أَوْ يَنْفِيهِ يَتَعَلَّقُ بِتَعْلِيمِ العَرَبِيَّةِ أَوِ القُرْآنِ لِليَهُودِ بِبِلادِ الأَنْدَلُسِ،وَهَذَا الأَمْرُ لَمْ تبدِ المَرَاجِعُ التِي وَصَلْتُ إِلَيْهَا عِنَايَةً بِهِ.فقدْ يَكُونُ فِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى نَوْعِ التَّعْلِيمِ الذِي كَانَ يَتَلَقَّاهُ طَالِبُ عُلُومِ العَرَبِيَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ،حَتَّى لَوْ كَانَ يَهُودِيًّا؛فهَذِهِ الأجزاءُ يُبدأ بِهَا عادةً فِي تَعْلِيمِ المُبْتَدِئِينَ،فَيَبْدَأُ التَّعْلِيمُ بِحِفْظِ الجُزْئَيْنِ الأَخِيرَيْنِ مِنَ القُرْآنِ أَوْ دِرَاسَتِهِمَا لِمَنْ يَتَعَلَّمُ العَرَبِيَّةَ، سَوَاءٌ كَانَ مِنَ اليَهُودِ أَمْ مِنْ غَيْرِهِمْ، تَمَامًا كَمَا كَانَ يَحْصُلُ فِي تَعْلِيمِ الصِّغَارِ فِي الكَتَاتِيبِ؛ حَيْثُ يَبْدَأُ الشَّيْخُ بِتَلْقِينِ الصَّغِيرِ الجُزْءَ الأَخِيرَ مِنَ القُرْآنِ لِيَعْرِفَ مِنْهُ أَحْكَامَ القِرَاءَةِ وَيَتَعَلَّمَ مَبَادِئَ العَرَبِيَّةِ،ثُمَّ الجُزْءَ الذِي قَبْلَهُ وَهَكَذَا إِلَى أَنْ يُتْقِنَ المَبَادِئَ الأَوَّلِيَّةَ لِلقِرَاءَةِ،بَعْدَهَا يَنْتَقِلُ وَفْقَ خُطَّةِ الشَّيْخِ إِلَى السُّوَرِ الطِّوَالِ مِنَ القُرْآنِ. فالاخْتِيَارَاتُ المُتَعَدِّدَةُ للشَّاعِرِ مِنَ الجُزْئَيْنِ الأَخِيرَيْنِ لا يُمكنُ أَنْ تَكُونَ وَلِيدَةَ اطِّلاعٍ سَرِيعٍ أَوْ مُفَاجِئٍ لِمَا جَاءَ بِهِمَا،بَلْ أَرَى أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى تَعَمُّقٍ وَإِدْرَاكٍ وَاضِحٍ لمَعَانِيهَا ليَصُوغَ مِنْهَا ابنُ سَهْلٍ هَذَا النسيجَ الشِّعْرِيَّ العَرَبِيَّ المُتَمَيِّزَ.

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ **لِتَأَثُّرِ ابنِ سَهْلٍ بِالحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ** فَلَمْ أَرَ مِنْهُ سِوَى قَوْلِهِ[١]: [الكامل]

مُحْيِــي النُّبُــوَّةِ وَالهُـدَى عَـنْ فَتْـرَةٍ   فَكَأَنَّمَــا كَفِــلَ الرَّشَــادَ يَتِيمَــا

وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى كَفَالَةِ اليَتِيمِ التِي جَاءَتْ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ[٢]،وَلَمْ أَجِدْ فِي القَصِيدَةِ إِشَارَاتٍ أُخْرَى يَتَّضِحُ فِيهَا تَأَثُّرٌ كَبِيرٌ بالأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ.وَقَدْ يُشِيرُ هَذَا إِلَى أَنَّهُم لَمْ يَكُونُوا يُرَكِّزُونَ كَثِيرًا عَلَى الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ فِي تَعْلِيمِهِم العَرَبِيَّةَ لأَبْنَاءِ اليَهُودِ،وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ عِنْدَ ابنِ سَهْلٍ حَصِيلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الأَحَادِيثِ كَمَا كَانَ حَالُهُ مَعَ القُرْآنِ مَثَلاً لَبَدَتْ هَذِهِ المَعْرِفَةُ فِي الأَبْيَاتِ،وَلَتَعَمَّدَ الشَّاعِرُ إِظْهَارَهَا كَمَا تَعَمَّدَ إِظْهَارَ مَا أَخَذَهُ مِنَ القُرْآنِ.

وَالحَدِيثُ عَنِ السِّيرَةِ كَانَ مُغَايِرًا؛ **فَتَأَثُّرُ ابنِ سَهْلٍ بِالسِّيرَةِ كَانَ أَوْضَحَ** مِنْ تَأَثُّرِهِ بِالحَدِيثِ فَأَظْهَرَتِ الأَبْيَاتُ مَعْرِفَةً وَاسعةً دَقِيقةً بِتَفَاصِيلَ كَثِيرَةٍ مِنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ،وَلَمْ تَكُنِ المَعْرِفَةُ سَطْحِيَّةً،فَظَهَرَ فِي القَصِيدَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى سِعَةِ اطِّلاعِ الشَّاعِرِ عَلَى السِّيرَةِ؛فَذَكَرَ وَالدَهُ،وَقَوْلَ الكُهَّانِ قَبْلَ مِيلادِهِ، وَأَشَارَ إِلَى مُحَاوَلَةِ أَبْرَهَةَ الحَبَشِيِّ تَدْمِيرَ الكَعْبَةِ،وَذَكَرَ بَعْضَ صِفَاتِه، فَكَانَ المُنَزَّهَ حِينَ حَكَّمُوهُ لإِعَادَةِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ إِلَيْهَا،فِي قَوْلِهِ[٣]: [الكامل]

دفعَـتْ كَرَامَتُـهُ الزُّنُـوجَ[٤]عَـنِ الحَـرَمْ   وَدَعَـاهُ جِبْرِيـلُ المُنَـزَّهُ فِـي الحَـرَمْ

---

١ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٨٨/١٠ .

٢ – مِنْهَا عَنْ أَبِي هريرة :"أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الجَنَّةِ وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى" . انْظُرْ: مُسْلِم "**صَحِيحُهُ**" ٢٢١/٨ .

٣ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٩٠/١٠ .

٤ – يَقْصِدُ بالزُّنُوجِ جُنُودَ أَبْرَهَةَ الحَبَشِيِّ حِينَ عزم عَلَى تَخْرِيبِ الكَعْبَةِ وَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ .

وَلا بدَّ أَنَّ الشَّاعِرَ عَرَفَ كَثِيرًا عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَمُعْجِزَاتِهِ حَتَّى تَرَكَ دِينَ آبَائِهِ وَاعْتَنَقَ الإِسْلامَ، وَمِنْهَا حِكَايَةُ حَنِينِ الجِذْعِ لَهُ وَخُرُوجُ المَاءِ مِنْ أَصَابِعِهِ الكَرِيمَةِ،سَبَقَتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهِما.وانْظُرْ كَيْفَ تَمَّتْ صِيَاغَةُ هَذِهِ المُعْطَيَاتِ مِنَ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ بِحَيْثُ اسْتَوْعَبَهَا بَيْتٌ وَاحِدٌ مِنَ الشِّعْرِ بِوُضُوحٍ وَبِصِيَاغَةٍ دَقِيقَةٍ أَعْطَتِ المَعْنَى دُونَ حَشْوٍ أَوْ تَطْوِيلٍ؛مُسْتَخْدِمًا صُورَةً فَنِّيَّةً جَمِيلَةً جَعَلَتِ الجِذْعَ يَتَرَنَّحُ حِينَ لامَسَ يَدَ النَّبِيِّ ﷺ الطَّاهِرَةَ الشَّرِيفَةَ بَعْدَ أَنْ فَاضَ الحَنِينُ لَدَيْهِ،كَمَا أَنَّ الشَّاعِرَ دَمَجَ الوَارِدَ فِي السُّنَّةِ مَعَ عُيُونِ القُرْآنِ فِي البَيْتِ،فَجَعَلَ المَاءَ الذِي رَآهُ الصَّحَابَةُ كَالنَّبْعِ يَفِيضُ مِنْ بَينِ أَصَابِعِهِ مُشَابِهًا المَاءَ الخَارِجَ مِنْ تَسْنِيمِ الجَنَّةِ فِي قُدْسِيَّةٍ وَعَظَمَةٍ وَانْسِجَامٍ.وهَذِهِ القُدْرَةُ عَلَى الصِّيَاغَةِ يُمْكِنُ مُلاحَظَتُها كَذَلِكَ فِي اخْتِصَارِ ابنِ سَهْلٍ لِلحِكَايَةِ النَّبَوِيَّةِ الطَّوِيلَةِ بِكَلِماتٍ قَلِيلَةٍ كَقَوْلِهِ "طَاوٍ يَفِيضُ الزَّادُ فِي أَصْحَابِهِ"(١).وَاخْتَصَرَ حِكَايَةَ البُرَاقِ وَحَادِثَةَ الإِسْرَاءِ بِقَوْلِهِ "احْتَثَّ فِي السَّبْعِ الطِّبَاقِ بُرَاقُهُ"(٢) دُونَ زِيَادَاتٍ أَوْ شَرْحٍ أَوْ تَعْقِيبٍ لِمَا جَاءَ فِي السِّيرَةِ حَوْلَ زَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ أَوْ كَيْفِيَّةِ حُدُوثِ الإِسْرَاءِ. بَيْنَمَا اخْتَارَ مِنَ الأَحْدَاثِ مَا أَطَالَ الحَدِيثَ عَنْهُ فِي حَادِثَةِ الإِسْرَاءِ،فَكَانَ يَنْتَقِي مَا يَرْغَبُ فَيَخْتَصِرُ المُطَوَّلَ حِينًا، وَيَزِيدُ فِي المُخْتَصَرِ حِينًا لِيُوافِقَ مَعْنًى شِعْرِيًّا يُرِيدُهُ.

وَالتَّأَثُّرُ سَوَاءٌ جَاءَ من القُرْآنِ الكريمِ أو الحَدِيثِ أو السِّيرَةِ تَمَّتْ صِيَاغَتُهُ بطَرِيقَةٍ فَنِّيَّةٍ خَاصَّةٍ تَدُلُّ عَلَى تَمَكُّنٍ وَاضِحٍ مِنَ الثَّقَافَةِ العَرَبِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ،بِجَانِبِ إِلْمَامٍ بِعُلُومِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ،وَفَنِّ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ. وَهَذَا جَعَلَهُ قَادِرًا عَلَى تَطْوِيعِ كَلِمَاتِ اللُّغَةِ لِيَخْتَارَ المُنَاسِبَ مِنْهَا،وَعَلَى إِعْطَاءِ المَعَانِي بِقُدْرَةٍ وَشَاعِرِيَّةٍ وَاضِحَةٍ فِي الأَبْيَاتِ مَعَ تَجْدِيدٍ فِي الصِّيَاغَةِ وَالتَّشْبِيهِ،وَكُلُّ هَذَا دُونَ أَيِّ اعْتِبَارٍ لِيَهُودِيَّتِهِ السَّابِقَةِ، حَتَّى إِنَّ النُّقَّادَ اليَهُودَ عَابُوا عَلَيْهِ أَنَّ ديوانَهُ لا يَتَضَمَّنُ أَيَّةَ قَصِيدَةٍ صَهْيُونِيَّةٍ وَلا يَخْتَلِفُ شِعْرُهُ عَنْ شِعْرِ أَيِّ شَاعِرٍ عَرَبِيٍّ غَيْرِ يَهُودِيٍّ (٣).

وَمِنْ كُلِّ مَا مَرَّ أَرَى أَنَّ اليَهُودَ فِي شِعْرِ المَدْحِ لَمْ يَكُنْ لَهُم أَثَرٌ وَاضِحٌ مُمَيَّزٌ؛فالشِّعْرُ الذِي قِيلَ فِي مَدْحِهِم قَلِيلٌ جِدًّا،لِقِلَّةٍ بَلْ نُدْرَةِ المَمْدُوحِينَ مِنْهُمْ.أَمَّا الشِّعْرُ الذِي قِيلَ فِي مَدْحِ العَرَبِ فَقَدْ كَادَ يَخْتَفِي ذِكْرُ اليَهُودِ فيه،وَقَدْ مرَّتِ الإِشَارَةُ فِيهِ إِلَى اليَهُودِ عَلَى عَجَلٍ.

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ **لِلمَعَانِي وَالصُّوَرِ المَطْرُوقَةِ** فِي تِلْكَ المَدَائِحِ فِي الاتِّجَاهَيْنِ فَلَمْ تَكُنْ مُبْتَكَرَةً جَدِيدَةً، بَلْ كَانَتْ أَغْلَبُهَا مَطْرُوقَةً،وَمُتَكَرِّرَةً.وَمَعَ أَنَّ قَصَائِدَ مَدْحِ اليَهُودِ كَانَتْ قَلِيلَةً،وَمُدَّاحَ اليَهُودِ كَانُوا قِلَّةً كَذَلِكَ،إلا أَنَّ المَعَانِي فِي فِيهَا كَانَتْ تَتَكَرَّرُ عِنْدَ الشُّعَرَاءِ وَحتى عِنْدَ الشَّاعِرِ نَفْسِهِ فِي قَصَائِدِه.

ثَانِيًا :- أَبُو الفَضْلِ بنُ حَسْدَاي

١- مَوْلِدُهُ وَنَشْأَتُهُ :

هُوَ الوَزِيرُ الكاتِبُ أَبُو الفَضْلِ بنُ حَسْدَاي بنُ يُوسُفَ بنُ حَسْدَاي الإِسْرَائِيلِيّ(٤)،وُلِدَ بِسَرَقُسْطَةَ Sarragosa حَوالي سَنَةَ ٤٣٦هـ(١)،قَالَ ابنُ بَسَّامٍ إِنَّهُ مِنْ بَيْتِ شَرَفٍ لليَهُودِ بالأَنْدَلُسِ(٢)، وَقِيلَ إِنَّهُم مِنْ

---

١ – اختَصَرَ بِهَا الحَدِيثَ المَرْوِيَّ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ حِينَ اشتد الجوع عَلَى الصحابة وَمَنْ فِي المَدِينَةِ،فأرسلته وَالدته أُمُّ سُلَيم وَزوجُها أَبُو طَلْحَةَ الأَنْصَارِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يدعوانه وَحده إِلَى طعام قليل وُجِدَ عِنْدَهُمَا فِي وَقت ضيق وَشدة وَجوعٍ عِنْدَ المُسْلِمِينَ فِي المَدِينَةِ، فما كَانَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺإلا أن نادى جميع الصحابة حوله وَدعاهم،وَدَعَا بالبركة عَلَى الطعام،فدخل الصحابةُ عشرة عشرة يأكلون حَتَّى شبعوا كلهم،وَزادَ عَنْهُمْ، وَالقوم سبعُونَ أَوْ ثمانون رجلاً .

انْظُرْ البُخَارِيّ "**صَحِيحُهُ**" ٢٣٤/٤ – ٢٣٥ [باب علامات النبوة]، ١٣٧/٥– ١٤٤ . [باب غزوة الخندق].

٢ – انْظُرْ : البُخَارِيّ "**صَحِيحُهُ**" ٦٧/٥ [باب حديث الإسراء].

٣ – انْظُرْ : فَارُوق مُحَمَّد جَودي "**الصَّهْيُونِيَّة وَاللغَة**" ص١١٧ .

٤ – انْظُر ترجمته فِي : انْظُرْ : الجَزَّار السَّرَقسْطِيّ"**رَوْضَةُ المَحَاسِنِ وَعُمْدَةُ المَحَاسِنِ**"ص١٥٦؛ صَاعِد "**طَبَقَات الأُمَمِ**" ص ١١٢؛ ابن خَاقَان"**قَلائِد العِقْيَان**"ق٢،ج٣١٥/١، ٣١٨،ق٢،ج ٥٤٥/٢ – ٥٥١؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣، م ٤٥٧/١– ٤٩٨ ، ق٣،م٤٩٢/١، ق٣،م٩١٢/٢؛ الأَصْفَهَانِيّ"**خَرِيدَةُ القَصْرِ**"ق٤،ج٤٨٠/٢ – ٤٨٤؛ ابن دِحْيَةَ"**المُطْرِب**"ص١٩٦؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٤٤١/٢؛ ابن أَبِي أُصَيْبِعَة "**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٤٨٥/١ ، ٤٩٩ ؛المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٧٤/٢ –٧٥، ١٧٢– ١٧٤، ٢٣٥/٤–٢٣٦، ٣٥٩–٣٦٠؛شَاكِر مُصْطَفَى "**مَوْسُوعَة العَالَمِ الإِسْلامِيِّ وَرِجَالِهَا**" ٦٤٦/١؛ مونتغمري وات "**أثر الحضَارَة العَرَبِيَّةِ الإِسلامِيَّةِ عَلَى أَوْرُوبَّا**" ص١٢٨ .

وَلَدِ مُوسَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ[٣]،وكَانَتْ عائِلَةُ حَسْدَاي ذَاتَ شُهْرَةٍ فِي الأَنْدَلُسِ وَخَارِجِهَا؛ وَتَمَيَّزَ مِنْهُمْ فِي المَصَادِرِ ثَلاثَةُ أَعْلامٍ غَيْرُ أَبِي الفَضْلِ ابنِ حَسْدَاي،وَهُمْ:

١ـ **جَدُّهُ : حَسْدَاي بنُ شَبْرُوط**(٣٠٢-٣٥٩هـ)[٤] كَانَ مِنْ الكُتَّابِ المُقَرَّبِينَ عِنْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ[٥] وَعِنْدَ ابْنِهِ الحَكَمِ بَعْدَهُ، وسَبَقَتِ الإِشَارَةُ إِلَى عَمَلِهِ سَفِيرًا[٦].وَتَرْجَمَ كِتَابَ دِيسْقُورِيدِس عَنِ الحَشَائِشِ وَالعَقَاقِيرِ للناصر سَنَةَ ٣٤٠هـ بِقُرْطُبَةَ[٧].وَكَانَ مُتَقَدِّمًا فِي عِلْمِ شَرِيعَةِ اليَهُودِ "فَلَمَّا اتَّصَلَ حَسْدَاي بِالحَكَمِ وَنَالَ عِنْدَهُ نِهَايَةَ الحَظْوَةِ تَوَصَّلَ بِهِ إِلَى اسْتِجْلابِ مَا شَاءَ مِنْ تَآلِيفِ اليَهُودِ بِالمَشْرِقِ فَعَلِمَ حِينَئِذٍ يَهُودُ الأَنْدَلُسِ مَا كَانُوا قَبْلُ يَجْهَلُونَهُ،وَاسْتَغْنَوا عَمَّا كَانُوا يَتَجَشَّمُونَ الكُلْفَةَ فِيهِ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ لأَهْلِ الأَنْدَلُسِ مِنْهُمْ بَابَ عِلْمِهِم مِنَ الفِقْهِ وَالتَّارِيخِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكَانُوا قَبْلُ يَضْطَرُّونَ فِي فِقْهِ دِينِهِم وَسِنِي تَارِيخِهِم وَمَوَاقِيتِ أَعْيَادِهِمْ إِلَى يَهُودِ بَغْدَادَ فَيَسْتَجْلِبُونَ مِنْ عِنْدِهِم

: Maxi Margolis and Alexander Marx. "**A History of the Jewish people**" p 308 – 312 ; Louis Franklin "**The Jews ;their history**" p 232 ; Reinhart Dozy "**Spanish Islam**" p 437 .

١ – انْظُرْ : خوَان فيرْنِيه "**العُلُومُ الفِيزْيَاوِيَّةُ وَالطَّبِيعِيَّةُ وَالتَّقَنِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ**" تَرْجَمَة: أَكْرَم ذِي النُّونِ، بَحْثٌ في:"**الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ**" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ٢/ ١٣٠٧ .

٢ – انْظُرْ : ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٥٧ .

٣ – انْظُرْ : ابن أَبِي أُصَيْبِعة"**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٤٩٩/١ .

٤ – هُوَ: أَبُو **يُوسُفَ حَسْدَاي بنُ** إِسْحَاقَ بنُ عِزْرَا **بنُ شَبْرُوط** . انْظُرْ مَا كُتِبَ عَنْهُ فِي: صَاعِد "**طَبَقَاتُ الأُمَمِ**" ص١١٠– ١١١ ؛ ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٢٢١/٢؛ ابن أَبِي أُصَيْبِعَة"**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٤٩٤/١، ٤٩٨– ٥٠٠ ؛ أنخل جُنْثَالِث بالنثيا "**تَارِيخُ الفِكْرِ الأَنْدَلُسِيّ**" ص ٤٨٨ –٤٨٩؛ وِل دِيوْرَانت "**قِصَّةُ الحَضَارَة**" ٥١/١٤ .

٥ – انْظُرْ:ابن أَبِي أُصَيْبِعة"**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٤٩٤/١، ٤٩٨ .

٦ – انْظُرْ : ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٢٢١/٢ انْظُرْ فِي البَحْثِ : ص ٣٠–٣١ .

٧ – انْظُرْ : ابن أَبِي أُصَيْبِعَة "**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٤٩٤/١ .

حِسَابَ عِدَةٍ مِنَ السِّنِينِ يَتَعَرَّفُونَ بِهِ مَدَاخِلَ تَارِيخِهِم وَمَبَادِئَ سِنِيهِمْ"(١).وَكَانَ حَسْدَاي ذَا نُفُوذٍ وتَأْثِيرٍ عَلَى يَهُودِ الأَنْدَلُسِ،تَوَصَّلَ رِيمُونْد شَايندَلِين إِلَى أَنَّهُ كَانَ شَخْصِيَّةً مَرْكَزِيَّةً عِنْدَ اليَهُودِ،اسْتَغَلَّ مَرْكَزَهُ الرَّسْمِيَّ فِي رِعَايَةِ مَصَالِحِ المُجْتَمَعِ اليَهُودِيِّ عَامَّةً وَلَيْسَ الأَنْدَلُسِيَّ فَحَسْبُ.وَمِثَالٌ عَلَى هَذَا رِسَالَتُهُ التِي كَتَبَهَا إِلَى هِيلِينَا زَوْجَةِ الإِمْبَرَاطُورِ البِيزَنْطِيِّ قُسْطَنْطِينَ السَّابِعِ، يَطْلُبُ مِنْهَا حِمَايَةَ يَهُودِ بِيزَنْطَةَ مِنَ الاضْطِهَادِ(٢).وَالتَفَّ حَوْلَهُ عَدَدٌ مِنَ اليَهُودِ،فَعَمِلَ مِنَاحِمْ بنُ سُرُّوق(٢٩٧-٣٤٨هـ) اليَهُودِيُّ سِكِرْتِيرًا عِنْدَهُ وسَاعَدَهُ حَسْدَاي فِي وَضْعِ مُؤَلَّفَاتٍ هامَّةٍ لليَهُودِ(٣).

٢- والِدُهُ : يُوسُفَ ،قَالَ ابنُ بَسَّامٍ:إِنَّهُ مِنْ بَيْتِ شَرَفِ اليَهُودِ،وَإِنَّهُ اشْتُهِرَ فِي سَرَقُسْطَةَ عِنْدَ دَوْلَةِ ابنِ هُودَ وَكَانَ لَهُ فِي تِلْكَ الدَّولَةِ اسْتِقْلالٌ واضْطِلاعٌ،وَقَالَ ابنُ سَعِيدٍ إِنَّ لَهُ فِي الأَدَبِ بَاعٌ(٤).

٣- **الطَّبِيبُ : أَبُو جَعْفَرٍ يُوسُفُ بنُ أَحْمَدَ**(ت:٥٣٣هـ)(٥) هَاجَرَ أَيامِ المُؤْتَمِنِ(٤٧٣هـ-٤٧٧هـ) إِلَى مِصْرَ، وَعَمِلَ فِي وِزَارَةِ المَأْمُونِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدٍ الآمِرِيِّ(ت:٥٢٠هـ) الذِي كَانَتْ لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ وَرَغْبَةٌ فِي العُلُومِ،فَأَمَرَ ابنَ حَسْدَاي أَنْ يَشْرَحَ لَهُ كُتُبَ "الإِيمَانِ" فِي الطِّبِّ لأَبُقْرَاطَ فَفَعَلَ وَشَرَحَهُ بِعُنْوَانِ "شَرْحِ الفُصُولِ". وَكَانَ صَدِيقًا وَتِلْمِيذًا لابن بَاجَةَ الأَنْدَلُسِيِّ فَكَانَ يُرَاسِلُهُ مِنَ القَاهِرَةِ(٦)،وَكَانَ يُوسُفُ مُدْمِنًا لِلشَّرَابِ وَعِنْدَهُ دَعَابَةٌ وَنَوَادِر،وَكَتَبَ عِدَّةَ مُؤَلَّفَاتٍ(٧). وَافَاهُ الأَجَلُ قَبْلَ سَنَةِ ٥١٥هـ(٨)، وَمَدَحَهُ الفَقِيهُ المَعْرُوفُ **بِالفِسَنْاسِ** بِقَوْلِهِ(٩): [المتقارب]

خَلَعْتُ رِدَاءَ التَّصَابِي المُعَارَا	وَكَانَ بِفَوْدِي غُرَابٌ فَطَارَا
وَكَمْ خُضْتُ بِاللَّهْوِ لَيْلَ الشَّبَابِ	إِلَى أَنْ أَرَانِي المَشِيبُ النَّهَارَا
لَئِنْ كَدَّرَ الشَّيْبُ صَفْوَ الشَّبَابِ	وَبَاتَ بِرَغْمِي دَيَّارًا دِيَارَا
فَلا بَأسَ إِنْ مُدَّ لُجُّ البِعَادِ	فَإِنَّ لِكُلِّ مَسِيلٍ قَرَارَا

---

١ - انْظُرْ: صَاعِد "**طَبَقَات الأُمَم**" ص ١١٠- ١١١ ؛ ابن أَبِي أُصَيْبِعَةَ"**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٤٩٨/١ .

٢ - انْظُرْ: رِيمُونْد شَايندلين"**اليَهُود فِي إِسْبَانِيَا المُسْلِمَة**" تَرْجَمَة: مَرْيَم عَبْدِ البَاقِي، بَحْثٌ في:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ١/ ٣٠٤ .

٣ - انْظُرْ: إِبْرَاهِيم هِنْدَاوِيّ "**الأَثَر العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" ص ١٠ .

٤ - انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٥٧/١ - ٤٥٨ ؛ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٤٤١/٢ صَاعِد "**طَبَقَات الأُمَم**" ص ١١٢ .

٥ - انْظُرْ: ترجمته في: ابن أَبِي أُصَيْبِعَة"**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٤٩٩/١- ٥٠٠، ٥١٦ ؛ نَجِيب العَقِيقِيّ"**المُسْتَشْرِقُون**"٩٦/١؛ رِيَاض قُزَيْحَة "**الفُكَاهَةُ فِي الأَدَبِ الأَنْدَلُسِيِّ**" ص ١١٤؛ ابن بَاجَة وَآخَرُون "**رَسَائِل فَلْسَفِيَّة**" ص ١١٨ .

٦ - انْظُرْ: ابن أَبِي أُصَيْبِعة"**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٤٩٩/١ ، ٥١٦ .

٧ - انْظُرْ:ابن أَبِي أُصَيْبِعة"**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٤٩٩/١ ؛ خوَان فيرْنيه "**العُلُومُ الفِيزْيَاوِيَّةُ وَالطَّبِيعِيَّةُ وَالتَّقَنِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ**" تَرْجَمَة: أَكْرَم ذِي النُّونِ، بَحْثٌ في:"**الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ**" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ٢/ ١٣٠٧ .

٨ - انْظُرْ: خوَان فيرْنيه "**العُلُومُ الفِيزْيَاوِيَّةُ وَالطَّبِيعِيَّةُ وَالتَّقَنِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ**" تَرْجَمَة: أَكْرَم ذِي النُّونِ، بَحْثٌ في:"**الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ**" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ٢/ ١٣٠٧ .

٩ - انْظُرْ: الأَصْفَهَانِيّ "**خَرِيدَةُ القَصْرِ**"ق٤،ج٨٢٥/٢ .

٢ـ تَعْلِيمُهُ وَثَقَافَتُهُ وَأَعْمَالُهُ :

تَثَقَّفَ أَبُو الفَضْلِ بنُ حَسْدَاي بِأَلوانِ الثَّقَافَةِ المُتَاحَةِ فِي عَصْرِه؛فَقَدْ أَنْشَأَهُ أَبُوهُ يُوسُف عَلَى حُبِّ العِلْمِ وَالاهْتِمَامِ بِمُخْتَلَفِ أَلْوَانِ الفُنُونِ،وَنَالَ حظاً وَافِرًا مِنَ الشِّعْرِ وَالبَلاغَةِ وَالعُلُومِ،وَبَرَعَ فِي عِلْمِ الهَنْدَسَةِ وَالنُّجُومِ وَالمُوسِيقَا،وَأَتْقَنَ عِلْمَ المَنْطِقِ وَعِلْمَ الطَّبِيعَةِ وَكَانَ لَهُ بَاعٌ فِي الطِّبِّ بَدَأَ بِكِتَابِ "الكَيَانِ" لأَرِسْطُوطَالِيسَ حَتَّى أَحْكَمَهُ،ثُمَّ شَرَعَ فِي كِتَابِ "السَّمَاءِ وَالعَالَمِ"،وَتَوَقَّعَ صَاعِدٌ إِنِ امْتَدَّ بِهِ الأَجَلُ وَاتَّصَلَتْ بِهِ العِنَايَةُ أَنْ يَدْرُسَ الفَلْسَفَةَ جَيِّدًا وَتَكْتَمِلَ لَدَيْهِ فُنُونُ الحِكْمَةِ لِمَا رَأَى مِنْ شِدَّةِ شَغَفِهِ بِفُنُونِ العِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ وَهُوَ فَتَى يَافِعٌ لَمْ يَبْلُغْ الأَشُدَّ حِينَ تَرَكَهُ صَاعِدٌ[١] .

وَكَانَ ابنُ حَسْدَاي كَاتِبًا شَاعِرًا، فَقَالَ ابنُ بَسَّامٍ إِنَّهُ أَحْكَمَ عِلْمَ اللسَانِ العَرَبِيِّ،وَبَلَغَ الرُّتْبَةَ العُلْيَا مِنَ البَلاغَةِ فِي الشِّعْرِ وَالأَدَبِ، لَكِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ عِنَايَةٌ كَبِيرَةٌ بِالشِّعْرِ، وَأَنَّ لَهُ شِعْرًا لَكِنْ لَمْ يَرْوِهِ فَلَمْ يَضَعْهُ فِي كِتَابِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَسْتَجِدْهُ فَأَهْمَلَهُ وَلَمْ يَبْحَثْ عَنْهُ[٢] . وَذكرَ ابنُ سَعِيدٍ إِنَّهُ نَشَأَ هَضْبَةَ عَلاءٍ وَجَذْوَةَ ذَكَاءٍ، وَأَنَّهُ عُنِيَ بِأَنْوَاعِ العُلُومِ،وَقَالَ: "إِنَّ اللهَ قَصَرَ عَلَيْهِ الإِبْدَاعَ طَوْرًا فِي النَّدَى بِبَرَاعَةِ خَطِيبٍ وَبَلاغَةِ كَاتِبٍ وَطَوْرًا فِي الوَغَى بِبَدِيهَةِ طَاعِنٍ وَرَوِيَّةِ ضَارِبٍ"[٣] . وأَثْنَى عَلَيْهِ **ابنُ طَاهِرٍ**(ت:٥٠٧هـ)[٤] بِقَوْلِهِ إِنَّه: "وَحِيدُ الفَضْلِ وَيَنْبُوعُ النُّبْلِ،وَمَا عَدَاهُ قَوْلُ القَائِلِ[٥]: [السريع]

إِنَّ أَبَا الفَضْلِ لَهُ فَضْلُهُ   وَأَينَ فِي النَّاسِ فَتَى مِثْلُهُ

جَمَعَ الخِلالَ الزَّكِيَّةَ فَاحْتَوَاهَا،وَرَأَى تِلْكَ الجَلالَةَ فَاحْتَذاهَا،وَحَقٌّ لِمَنْ رُبِّيَ فِي حِجْرِهَا،وَارْتَضَعَ بَدْرَهَا، أَنْ يَتَبَيَّنَ فِيهِ رُجْحَانَهَا،وَيَتَنَسَّمَ عَلَيْهِ رَيْحَانَهَا،وَأَنْ يَكُونَ لَهُ الشُّفُوفُ وَالتَبْرِيزُ"[٦] .

وَكَانَتِ العُلَمَاءِ تَأْخُذُ بِرَأْيِهِ؛فَقَالَ ابنُ أَبِي أُصَيْبِعة إِنَّ الكَرْمَانِيِّ (ت:٤٨٠هـ)[٧] لَمْ يَكُنْ بَصِيرًا بِعِلْمِ النُّجُومِ التَّعْلِيمِيِّ وَلا المَنْطِقِ،والذي أَخْبَرَهُ عَنْهُ بِذَلِكَ هُوَ ابنُ حَسْدَاي فَقَدْ كَانَ خَبِيرًا بِهِ[٨] .

---

١ – انْظُرْ: صَاعِد "**طَبَقَاتِ الأُمَمِ**" ص١١٢ .

٢ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٥٧/١ – ٤٥٨ ؛ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٤٤١/٢ صَاعِد "**طَبَقَاتِ الأُمَمِ**" ص ١١٢ .

٣ – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٤٤١/٢ .

٤ – هُوَ : أَبُو **عَبْدِ الرَّحْمَنِ** مُحَمَّدٌ **بنُ طَاهِرٍ**، وصارت مُرْسِيَةَ بيدِهِ إِلَى أَنْ أخذها ابنُ عَمَّار مِنْهُ، فلجَأَ إِلَى بني عَبْد العَزِيزِ بِبَلَنْسِيَةَ إِلَى أن تُوُفِّيَ بِهَا سَنَةَ ٥٠٧هـ وَقَدْ نيف عَلَى التسعين.

انْظُرْ:عبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِيّ "**المُعْجِب**" ص١٢١– ١٢٢؛ ابن الأَبَّارِ "**التَّكْمِلَة**" ٣٦/٤؛ ابن سَعِيد"**المُغْرِب**"٢٤٧/٢، ٢٧٢، ٣٠٤ .

٥ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣ م ٤٥٩/١ .

٦ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٧ – هُوَ :**أبو الحَكَمِ** عَمْرُو بنُ أَحْمَدَ بنُ عَلِيٍّ **الكَرْمَانِيّ** مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ أحد الراسخين فِي عِلْمِ العَدَدِ وَالهَنْدَسَةِ وَالطِّبِّ،وَرَحَلَ إِلَى المَشْرِقِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الأَنْدَلُسِ،وَاسْتَوْطَنَ مَدِينَةَ سَرَقُسْطَةَ وتُوُفِّيَ بِهَا سَنَةَ ٤٥٨هـ وَقَدْ بَلَغَ تِسْعِينَ سَنَةٍ.

انْظُرْ: ابن أَبِي أُصَيْبِعة"**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٤٨٤/١– ٤٨٥

٨ – انْظُرْ: ابن أَبِي أُصَيْبِعة"**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٤٨٥/١ .

عَمِلَ ابنُ حَسْدَاي وَزِيرًا (٤٣٣-٤٥٨هـ)عندَ أُمَرَاءِ بَنِي هُودٍ:المُقْتَدِر(٤٣٨هـ-٤٧٣هـ) وَالمُؤْتَمِنِ (٤٧٣هـ-٤٧٧هـ) وَالمُسْتَعِينِ(٤٧٧-٥٠٣هـ)[1]فِي سَرَقُسْطَةَ،وَتَتَّصِلُ أخبارُهُ كَثِيرًا بالمُسْتَعِينِ،وَكَانَ ابْن حَسْدَاي مُدَبِّرَ حفلاتٍ فِي بلاط بَنِي هُودٍ،ووصفَتِ "الذَّخِيرَة" مَا وَفَّرَهُ لِلْمَدعُوين لَمَّا أَعْرَسَ المُسْتَعِينُ[2].وزَعمَ خوان فيرْنِيه أَنَّهُ هَاجَرَ إِلَى مِصْرَ وَأَنَّهُ كَانَ صَدِيقًا لابنِ بَاجَة وبِهَذَا يَكُونُ لَدَيْهِ خَلْطٌ مَعَ شَخْصِيَّةِ صَدِيقِ ابن بَاجَة الذي سَافَرَ إِلَى مِصْرَ[3]،وَلَمْ أَجِدْ هَذَا عِنْدَ غَيْرِهِ.

٣- إِسْلامُ ابنِ حَسْدَاي:

قَالَ ابنُ دِحْيَةَ إِنَّ الذِّمَّةَ كَانَتْ تُقْعِدُ أَبَا الفَضْلِ عَنْ مَرَاتِبِ أَكْفَائِهِ،فَتَطَهَّرَ،وَأَسْلَمَ،وفي إِسْلامِهِ قِيلَ إِنَّهُ عَشِقَ جَارِيَةً ذَهَبَتْ بِلُبِّهِ وَغَلَبَتْ عَلَى قَلْبِهِ فَجُنَّ بِهَا جُنُونُهُ وَخَلَعَ عَلَيْهَا دِينَهُ،وَعَلِمَ بِذَلِكَ صَاحِبُهَا،فَزَفَّهَا إِلَيْهِ وَجَعَلَ زِمَامَهَا فِي يَدَيْهِ،فَتَحَامَى عَنْ مَوْضِعِهِ مِنْ وَصْلِهَا أَنَفَةً مِنْ أَنْ يَظُنَّ النَّاسُ أَنَّ إِسْلامَهُ كَانَ مِنْ أَجْلِهَا،فَحَسُنَ ذِكْرُهُ،وَخَفِيَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَمْرُهُ[4].

وَرُغْمَ إِسْلامِهِ إلا أَنَّ دِينَ أَسْلافِهِ كَانَ مَجَالاً لِلتَنَدُّرِ بِهِ؛فَكَانَ يَوْمًا فِي مَجْلِسِ المُقْتَدِرِ ابنِ هُودٍ(ت:٤٧٥هـ) يَنْظُرُ فِي مُجَلَّدٍ،فَدَخَلَ الوَزِيرُ الكَاتِبُ أَبُو الفَضْلِ بنُ الدَّبَّاغِ[5]،وَأَرَادَ أَنْ يُنَدِّرَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ إِسْلامِهِ:يَا أَبَا الفَضْلِ مَا الذِي تَنْظُرُ فِيهِ مِنَ الكُتُبِ لَعَلَّهُ التَّوْرَاةُ،فَقَالَ: نَعَم وَجِلْدُهَا مِنْ جِلْدٍ دَبَغَهُ مَنْ تَعْلَمُ ،فَمَاتَ خَجَلاً،وَضَحِكَ المُقْتَدِرُ[6].

---

١ - انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣، م ٤٥٨/١ –٤٥٩؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٣٥٩/٤ .

٢ - انْظُرْ: الأَصْفَهَانِيّ "**خَرِيدَةُ القَصْرِ**"ق٤،ج٤٨٣/٢ ؛"**نَفْحُ الطِّيبِ**" ١٧٣/٢ .

٣ - انْظُرْ: خوَان فيرْنِيه "**العُلُومُ الفِيزْيَاوِيَّةُ وَالطَّبِيعِيَّةُ وَالتَّقَنِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ**" تَرْجَمَة: أَكْرَم ذِي النُّونِ، بَحْثٌ في:"**الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ**" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ٢/ ١٣٠٧ .

٤ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣ م ٤٥٨/١؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٣٥٩/٤ .

٥ – هُوَ : **أَبُو المُطَرِّفِ** عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ فَاخِرٍ المَعْرُوفُ **بِابنِ الدَّبَّاغِ**،وَأرى أَنَّ المَقَّرِيّ أَخْطَأَ أَوْ أَنَّهُ حَصَلَ تَحْرِيفٌ فِي الاسْمِ حِينَ قَالَ إِنَّهُ أَبُو **الفَضْلِ بنِ الدَّبَّاغِ**، مِنْ وُزَرَاءِ المُقْتَدِر بنِ هُودٍ، ،فَقَدِ اختلف مَعَ أميره المُقْتَدِر وَفر إِلَى المُعْتَمِدِ بن عَبَّادٍ فأجزلَ لَهُ العطاء،لكنه اخْتَلَفَ مَعَ المُعْتَمِدِ وَكَذَلِكَ مَعَ المُتَوَكِّل بنِ الأَفْطَسِ، وَرَجَعَ إِلَى سَرَقُسْطَةَ،وَذُبِحَ فِي بُسْتَانٍ مِنْ بَسَاتِينِهَا. اشتُهر بِحَلاوَةِ قَلَمِهِ،وَقِيلَ إِنَّه لَمْ يفلح فِي كل مكان توجه إِلَيْهِ لِسُوءِ خُلُقِهِ وَكَثْرَةِ ضَجَرِهِ،وَشِعرُهُ ونَثْرُهُ مَمْلُوءٌ مِنْ شَكْوَى الزَّمَانِ وَتَتَابُعِ الحِرْمَانِ كَأَنَّ المَصَائِبَ لَمْ تُخْلَقْ لأَحَدٍ سِوَاهُ.

انْظُرْ: ابن خَاقَان"**قَلائِد العِقْيَان**" ق٢،ج٣١٤/١– ٣٢١؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**"ق٣،م٢٥١/١–٣١٧؛ الأَصْفَهَانِيّ "**خَرِيدَةُ القَصْرِ**"ق٤،ج٣٤٩/٢– ٣٥٦؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٤٤٠/٢ .

٦ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٣٦٠/٤ .

٤ـ وَفاتُهُ :

قَالَ ابنُ أَبِي أُصَيْبِعَة إِنَّـهُ كَـانَ عَلَـى قَيْدِ الحَيَـاةِ سَنَةَ ٤٥٨هـ وَهُوَ فِي سِنِّ الشَّبِيبَةِ(١) .ثُمَّ سَكَتَتِ المَصَـادِرُ العَرَبِيَّـةُ عَنْـهُ،لكِنْ وَرَدَتْ إِشَـارَةٌ إِلَـى أَنَّـهُ سَـافرَ إِلَـى مِصْـرَ حَيْـثُ وَافَـاهُ الأَجَـلُ قَبْـلَ سَـنَةِ ٥١٥هـ،وَعُمْرُه فَوقَ السَّبْعِينَ(٢) .

٥ـ أَهَمُّ سِمَاتِ شِعْرِهِ :

نَظَمَ أَبُو الفَضْلِ ابنُ حَسْدَاي فِي الأَغْرَاضِ التِي نَظَمَ بِهَا شُعَرَاءُ عَصْرِهِ وَلَمْ يأْتِ بجديدٍ فِيهَا أَيْضًا.إلا أَنَّ وَصْفَ الطَّبِيعَةِ وَالخَمْرَ وَشِعْرَ الإِخْوَانِيَّاتِ مِنْ أَكْثَرِ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا عَنْهُ.وَلَمْ يَظْهَرْ فِي شِعْرِهِ أيُّ تَجْدِيدٍ فِي الأَلْفَاظِ أَوِ الأُسْلُوبِ أَوِ المَعَانِي أَوِ الصُّوَرِ عَمَّا جَاءَ فِي شِعْرِ العَرَبِ؛ بَلْ ظَهَرَ التَّقْلِيدُ وَاضِحًا فِي شِعْرِهِ.

وَبَدَتِ السُّهُولَةُ وَاضِحَةً فِي كَثِيرٍ مِنْ شِعْرِ ابنِ حَسْدَاي ،وَمِنْهُ قَوْلُهُ مُعَاتِبًا(٣): [الكامل]

قَابَلْـتُ بِـالعُتْبَى عِتابَـكَ جَاهِـدًا ... للعَهْـدِ حِفْـظَ العَـيْنِ لِلأَجْفَـانِ

أَسْـقِيكَ عَـذْبًا بَـارِدًا وَسَقَيْـتَنِي ... إِذْ جَـاشَ حَمْيُـكَ مِـنْ حَمِـيمٍ آنِ(٤)

أَغَضِبْتَ جَهْلاً أَنْ نُسِبَتَ إِلَى الصِّبَا ... فامْرَحْ،فإِنَّـكَ مِنْـهُ فِـي رَيْعَـانِ

وَيَظْهَرُ فِيهَا **تَأَثُّرُهُ بِسُورَةِ الرَّحْمَنِ**،وَمِنَ السُّورَةِ نَفْسِهَا اقْتَبَس لأبياتٍ أُخْرَى قَوْلهُ(٥):[البسيط]

رَأَى الغَمَائِمَ فِي عُسْرٍ فَأَقْرَضَـهَا ... إِنَّ الجَزَاءَ عَلَى الإِحْسانِ إِحْسانُ(٦)

وَلَمْ يَظْهَرِ اقْتِبَاسٌ آخرُ مِنَ القُرْآنِ أَوِ الحَدِيثِ فِيمَا وصلَ إِلَيْنَا مِنْ شِعْرِ ابنِ **حَسْدَاي** .

وَبَدَتْ صُوَرُهُ تَقْلِيدِيَّةً،لَمْ تَبْتَعِدْ كَثِيرًا عَنِ التَّشْبِيهَاتِ البَيَانِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ؛فَالشَّمْسُ تَبْدُو وَتَخْتَفِي بَيْنَ السَّحَابِ،وَالسَّمَاءُ مَمْلُوءَةٌ بِالغُيُومِ المُتَنَاثِرَةِ كَالقُطْنِ الأَبْيَضِ المَنْدُوفِ فِي قَوْلِهِ(٧): [الطويل]

وَأَطْرَبَنَـا غَـيْمٌ يُمَـازِجُ شَمْسَـهُ ... فَيَسْتُرُ طَوْرًا بِالسَّحَابِ وَيَكْشِفُ

تَرَى قُزَحًا فِي الجَوِّ يُفْتَحُ قَوْسُهُ ... مُكِبًّا عَلَى قُطْنٍ مِنَ الثَّلجِ يَنْدِفُ

---

١ - ابن أَبِي أُصَيْبِعة"**عُيُونُ الأَنْبَاء**" ٤٩٩/١ .

٢ - انْظُرْ : خوَان فيرْنيه "**العُلُومُ الفِيزْيَاوِيَّةُ وَالطَّبِيعِيَّةُ وَالتَّقَنِيَّةُ فِي الأَنْدَلُس**" تَرْجَمَة: أَكْرَم ذِي النُّونِ، بَحْثٌ في:"**الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُس**" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ٢/ ١٣٠٧ .

٣ - ابن خَاقَان"**قَلائِدُ العِقْيَانِ**" ق٣،ج٥٤٨/٢؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٩٢/١- ٤٩٣ .

٤ - مِنْ قَوْلِهِ سُبْحانَهُ وَتَعَالَى : ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ **سُورَة الرَّحْمَنِ**، آية ٤٤ .

٥ - ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٨٨/١ .

٦ - مِنْ قَوْلِهِ سُبْحانَهُ وَتَعَالَى : ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ **سُورَة الرَّحْمَنِ**، آية ٦٠ .

٧ - ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٩٠/١؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" 441/٢؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٣٥٩/٤- ٣٦٠ .

وَوَصْفُ الطبيعةِ يَحْتَلُّ مَكَانَةً مَعْقُولَةً فِي شِعْرِهِ القَلِيلِ الذِي وَصَلَ إِلَيْنَا،وَمِنْهُ وَصْفٌ لِنَهْرِ سَرَقُسْطَةَ فِي رِحْلَةٍ بِمَرْكَبٍ مَعَ المُسْتَعِينِ ابنِ هُودَ يَوْمًا،فَقَالَ ابنُ **حَسْدَاي أَبْيَاتًا** مِنْهَا(١):[البسيط]

لِلهِ يَـــوْمٌ أَنِيـــقٌ وَاضِـــحُ الغُـــرَرِ   مُفَضَّـضٌ مُـذْهَبُ الآصَـالِ وَالبُكَـرِ
نَسِيرُ فِي زَوْرَقٍ حَفَّ السَّفِينُ(٢) بِـهِ   مِـنْ جَانِبَيْــهِ لِمَنْظُـومٍ(٣) وَمُنْتَثِـرِ
تُثَـارُ مِـنْ قَعْـرِهِ النِّينَـانُ(٤) مُصْـعِدَةً   صِيدًا كَمَـا ظَفَـرَ الغَـوَّاصُ بِالـدُّرَرِ
وَلِلنَّــدَامَى بِـــهِ عَـــبٌّ وَمُرْتَشَـــفٌ   كَـالرِّيقِ يَعْذُبُ فِي وِرْدٍ وَفِي صَدَرِ

وَقَدْ عَبَّرَ ابنُ حَسْدَاي عَنْ نفْسِهِ وطُمُوحاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ فِي مَدِحِهِ لأَحَدِهِمْ(٥): [الرمل]

جُمْلَـةٌ مِنِّـي وَلا حَاجَـةَ لِـي   فِـي حَـدِيثِي أَنْ أُطِيـلَ القَصَصَـا
أَبَـدًا تَقْـنُصُ أَطْيَـارَ العُـلا   مُسْــــتَفِيدًا فَاتَّخِــذْنِي قَنَصَـــا
وَانْثُــرِ الحَـبَّ فَـإِنِي طَـائِرٌ   غَـــرِدٌ لا أَتَعَــدَّى القَفَصَـــا

وَلَمْ تَأْتِ المَصَادِرُ بِكَثِيرٍ عَنْهُ وَعَنْ أَخْلاقِهِ لكن تَظْهَرُ فِي الأَبْيَاتِ صِفَةُ الوَلاءِ،وحِفْظُ الجَمِيلِ.

وَلَمْ تَغِبِ الحِكْمَةُ مِنْ شِعْرِ ابنِ **حَسْدَاي** لكِنَّهَا جَاءَتْ بِقِلَّةٍ ،ومِنْهَا(٦):[الوافر]

خَضَـعْتُ وَلَـمْ أَهِـنْ ضَـعْفًا وَعَجْـزًا   وَصَـحَّ الـرَّأْيُ حِـينَ فَهِمْـتُ مَغْـزَا
وَلَــمْ أَظْعَـنْ عَـنِ الأَوْطَـانِ حَتَّــى   غَـدَوْتُ المُسْتَضَــامَ بِهَـا المُــرَزَّا
فَأَلْقَيْــتُ العَصَـــا فِــي خَيْــرِ أَرْضٍ   وَلُـذْتُ بِخَيْـرِ مَـنْ فِي المَجْـدِ يُعْـزَا
غَـــدَانِي وَابِـــلٌ فَأَصَـــابَ طَـــلٌّ   أَلا إِلا يَكُـــنْ إِبِـــلٌ فَمَعْـــزَا
فَخَفْـضُ العَـيْشِ فِـي دَعَـةٍ وَأَمْـنٍ   نِهَايَــةُ مَــا يُفِيــدُ غِنَــى وَعِــزَّا

وَنَظَمَ فِي الشِّعْرِ الرَمْزِيِّ وَمِنْهُ أَبْيَاتٌ عَلَى لِسَانِ النَّرْجِسِ فِي رِسَالَةٍ،مِنْهَا(٧): [الطويل]

وَمَـا العَـيْشُ إِلا فُرْصَـةٌ يَسْتَدِيمُهَا الـ   ـــلَبِيبُ بِأَثْمَـارِ السُّــرُورِ فَيُمْتَــعُ
فَبَــادِرْ زَمَــانَ الأُنْـسِ وَاعْمُـرْ جَنَابَـهُ   فَزَاهِـرُهُ رَيَّــانُ بِالحُسْـنِ يُنْـزَعُ
وَلا تَمْطُــلِ اللَّــذَّاتِ عُمْــرَكَ مِثْلَمَــا   يُسَــوِّفُ بِالــدَّيْنِ الغَــرِيمُ وَيُــدْفَعُ

---

١ – انْظُر :ابن خَاقَان"**قَلائِدُ العِقْيَانِ**" ق٣،ج٢/ ٥٥٠–٥٥١؛ الأَصْفَهَانِيّ "**خَرِيدَةُ القَصْرِ**"ق٤،ج٢/٤٨٢ ؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٩٣–٤٩٤؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢/١٧٤، ٤/٢٣٥–٢٣٦ .

٢ – "حَفَّ السُّرُورُ فِي "**نَفْحُ الطِّيبِ**".

٣ – "بِمَنْظُومٍ" فِي "**قَلائِدُ العِقْيَانِ**" وَ"**نَفْحُ الطِّيبِ**".

٤ – "صادَ مِنْ قَعْرِهِ" فِي "**قَلائِدُ العِقْيَانِ**" و"تُصادُ مِنْ قعرِهِ" فِي "**نَفْحُ الطِّيبِ**".

٥ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م ١/٤٨٧–٤٨٨ .

٦ – ابن خَاقَان"**قَلائِدُ العِقْيَانِ**" ق٣،ج٢/٥٤٧ .

٧ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٨٦ .

٦- إِخْوَانِيَّاتُهُ وَمُعَارَضَاتُهُ :

كَانَ لأَبِي الفَضْلِ بنِ حَسْدَايِ أَثَرٌ وَاضِحٌ فِي نَظْمِ إِخْوَانِيَّاتٍ أَوْ مُعَارَضَاتٍ،فَجَرَتْ مُعَارَضَاتٌ وَمُرَاسَلاتٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بعضِ الشُّعَرَاءِ.مِنْهَا حِينَ كَانَ فِي ضِيَافَةِ بَعْضِ إِخْوَانِهِ أَيامَ عِيدِ الأَضْحَى بِحِصْنِ رُوطَةَ،وَارتفع الطَّعَامُ وَلَمْ تَحْضر المُدَامُ،فَنَظَمَ أَبْيَاتًا لِرَبِّ المَنْزِلِ ابنِ المَرْشَانِيِّ يَطْلُبُها،فَلَمَّا وَصَلَ إِلى مَنْزِلِهِ بَعَثَ إِلَيْهِ ابنُ المَرْشَانِيِّ بِمَا طَلَبَ وَمَعَهَا أبياتٌ يُعارِضُهَا[١] .ومَرَّ فِي البحْثِ ذكرٌ لأبياتٍ نَظَمَهَا،فَرَدَّ عَلَيْهَا ابنُ الفَخَّارِ بِبَيْتَيْنِ،ثُمَّ كَتَبَ بَعْدَهُمَا أَبْيَاتًا يَدْعُوهُ فِيهَا إِلَى الإِسْلامِ[٢]،وَقَدْ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي عَامِرِ بنِ الفَرَجِ مُراسَلاتٌ،فكَتَبَ لَهُ أَبْيَاتًا يَطْلُبُ مِنْهُ دَوَاءً لِيُعَالِجَ بِهِ خُرَاجًا عِنْدَهُ[٣]،فَأَجَابَهُ أَبُو الفَضْلِ بِأَبْيَاتٍ شِعْرِيَّةٍ[٤] .وَجَرَتْ مُرَاسَلاتٌ بَيْنَهُ وبَيْنَ أبي عَامِرِ بنِ الفَرَجِ،وَلَهُ أَبْيَاتٌ فِي العِتَابِ لِلوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدِ بن سُفْيَان[٥] .

كانَتِ السُّهُولَةُ وَاضِحَةً فِي إِخْوَانِيَّاتِ ابنِ **حَسْدَايِ** سواءٌ أكانَتْ مِنْهُ أو إِلَيهِ.وَلَمْ يَظْهَرْ فِيهَا اهْتِمَامٌ بِتَخَيُّرِ الأَلْفَاظِ أوِ العِنَايَةِ بِالصُّوَرِ.كَمَا يُلاحَظُ فِي مَا وُجِّهَ إِلَيْهِ مِنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تُخَاطِبُ مَرْكِزَهُ ونُفُوذَهُ كَثِيرًا،وتَطْلُبُ عَوْنَهُ،وأَحْيَانًا عِلْمَه ومَعْرِفَتَه بِالطِّبِّ.فَلَمْ تَكُنْ مُعَارَضَةً فَنِّيَّةً بِقَدْرِ مَا كَانَتْ حَوْمًا فِي دائِرَةِ الوَزِيرِ للاسْتِفَادَةِ مِنْ سُلْطَتِهِ.

وَ**ابنُ حَسْدَايِ** أَشْهَرُ اليَهُودِ الذينَ عُورِضَتْ أَشْعَارُهُمْ،فَعَارَضُوا قَصِيدَتَهُ التِي أَوَّلُهَا[٦]: [البسيط]

عَهْـدٌ لِلُبْنَــى تَقَاضَــتْهُ الأَمَانَــاتُ   بَانَتْ وَمَا قُضِيَتْ مِنْهَا لُبَانَاتُ[٧]

عَارَضَهَا أَبُو **طَاهِرِ الأُشْكُرْكِيُّ** (ت: ٥٢٠هـ)[٨]، بِقَوْلِهِ[٩]: [البسيط]

---

١ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٨٩/١ .

٢ – انْظُرْ: ابن خَمِيس المَالقِيّ "**أُدَبَاء مَالَقَةَ**" ص ٢٨١ .

٣ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٨٦/١ – ٤٨٧ .

٤ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٥ – انْظُرْ :ابن خَاقَان"**قَلائِدُ العِقْيانِ**" ق٢،ج٢/ص ٢٥٤؛ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٩٢/١–٤٩٣ .

٦ – ابن خَاقَان"**قَلائِدُ العِقْيانِ**" ق٣،ج٢/ص٥٤٦–٥٤٧؛ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٩٢/١؛ابن دِحْيَةَ"**المُطْرِب**"ص١٩٦؛ المَقَّرِيّ"**نَفْحُ الطِّيبِ**" ١٧٢/٢.
قال ابن خاقان عَنِ الأبياتِ: إِنَّها مِمَّا لا يُرْجَى لَهُ لَحاقٌ،ولا يَغْشَى تَمَامَهُ مَحاقٌ،وأَنَّهُ أَطْلَعَها نَيِّرَةً،وتَرَكَ الألبابَ مِنْهَا مُتَحَيِّرَةً .

٧ – اللبانات: الحاجات مِنْ غَيْرِ فاقة .   ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [لبن] ٣٧٧/١٣ .

٨ – هُوَ :**أبو طَاهِرٍ** مُحَمَّدُ بنُ يُوسُفَ **الأُشْكُورِكِيِّ** الأُشْكُرْكِيِّ الاشتركوي؛إمامٌ فِي عِلْمِ اللغة،صَحِبَهُ عَمَى،كان لَهُ مَكَانَةٌ عِنْدَ بني هُودٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ ملوك الطَّوَائِفِ،وَأَكْثَرَ أَمْدَاحِهِ فِي المُعْتَصِمِ بنِ صُمَادِح مَلِكِ المَرِيَّةِ،تُوُفِّيَ ٥٢٠هـ،يرى شوقي ضيف إِنَّهُ هُوَ المذكور فِي البغية للسيوطي تحت اسم يُوسُفَ بنِ مُحَمَّدٍ السراقسطي الضرير .   انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٩١٢/٢؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٤٤٧/٢ – ٤٤٨؛جَلال الدين السَّيُوطِي"**بُغْيَةِ الوُعاة**" ٢٧٩/١؛ ابن بَشْكَوَال"**الصِّلَة**" ص٦٢١ .

٩ – ابن خَاقَان"**قَلائِدُ العِقْيانِ**" ق٣،ج٢/ص ٥٤٦– ٥٤٧؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٩٢/١، ق٣،م٩١٢/٢ .

وَعْــدٌ لِعَلْــوةَ أَنْ تَقْضِــي لُبَانَـــاتُ   أَلْـوَتْ[1] بِهَـا يَـوْمَ وَشْـكِ البَـيْنِ

وَالأُشْكُورِكِيُّ كَانَ مُلازمًا لِمُلُوكِ بَنِي هُود.لِذَا أَرَى أَنَّ المُعَارَضَتَهُ جَاءَتْ لِلدَّوَرَانِ فِي فَلَكِ المُلُوكِ وَالوُزَرَاءِ أَكْثَرَ مِنْ كَوْنِهَا تَأَثُّرًا بِشِعْرِ الوَزِيرِ،وَقَدْ يَضَعُهَا البَعْضُ مَعَ الإِخْوَانِيَّاتِ،فَالمُعَارِضَةُ -حَسْبَ مَا أَرَى- سِيَاسِيَّةٌ تَهْدِفُ إِلَى الاسْتِفَادَةِ مِنْ سُلْطَةِ اليَهُودِيِّ لَيْسَ إلا،وَالقَصِيدَةُ المُعَارَضَةُ عَادِيَّةٌ وَلَيْسَتْ نَمُوذَجًا مُتَفَوِّقًا أَوْ مُتَمَيِّزًا،وَتَمْتَازُ بِسُهُولَةِ التَّعْبِيرِ وَهَذَا وَاضِحٌ مَثَلاً فِي البَيْتَيْنِ الأَخِيرَيْنِ[2]:[البسيط]

لَعَـلَّ عَتْـبَ اللَّيَـالِي أَنْ يَعُـودَ إِلَـى   عُتْبَى،فَتُبْلَــغَ أَوْطَـــارٌ وَلَـــذَّاتُ
حَتَّـى نَفُـوزَ بِمَـا جَـادَ الخَيَـالُ لَنَـا   فَرُبَّمَـــا صَـــدَقَتْ تِلْـكَ المَنَامَـاتُ

وَسَمِعَ **ابنُ حَسْدَاي** قَصِيدَةَ الحَكِيمِ المِصرِيِّ "تَوْرِيدُ خَدِّكَ لِلأَحْدَاقِ لَذَّاتُ" فَعَارَضَهَا[3]: [البسيط]

تَوْرِيــدُ خَــدِّكَ لِلأَحْــدَاقِ لَــذَّاتُ   عَلَيْـهِ مِـنْ عَنْبَـرِ الأَصْـدَاغِ لامَـاتُ

وَقَـالَ ابـن دِحْيَـةَ إِنَّـهُ أَخَذَ هَذَا المَعْنَـى مِنْ قَوْلِ **أَبِـي عَلِـيٍّ إِدْرِيـسَ بـنِ اليَمَّـانِ**(ت: ٤٧٠ هـ)[4]، مِنْ جَزِيـرَةِ يَابِسَة،مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ يَمْدَحُ بِهَا إِقْبَالَ الدَّوْلَةِ مُجَاهِدًا (ت: ٤٧٤هـ)[5] بِقَوْلِهِ[6]:[الكامل]

ثَقُلَــتْ زُجَاجَــاتٌ أَتَتْنَـــا فُرَّغًـــا   حَتَّى إِذَا مُلِئَتْ بِصَرْفِ الرَّاحِ
خَفَّـتْ فَكَـادَتْ تَسْـتَطِيرُ بِمَـا حَـوَتْ   وَكَـذَا الجُسُـومُ تَخِـفُّ بِـالأَرْوَاحِ

وَدَخَلَ الشَّاعِرُ الجَزَّارُ السَّرَقَسْطِيُّ(٤٣٨- ٤٧٤هـ)[7] قَصْرَ سَرَقُسْطَةَ يَوْمًا مَعَ الجَزَّارِينَ فِي بَعْضِ أَحْوَالِهِمْ، فَأَبْصَــرَهُ الــوَزِيرُ ابــنُ **حَسْــدَاي** وَاعْتَرَضَــهُ،وَقِيلَ إِنَّ ابــنَ هُــودَ هُــوَ الــذِي أَمَــرَهُ أَنْ يُــوَبِّخَ

---

١ – أَلوت:اشتدتْ خصُومتها .   ابن مَنْظور "**لِسَان العَرَب**" [لوي] ٢٦٦/١٥ .

٢ – ابن خَاقَان"**قَلائِدُ العِقْيَانِ**" ق٣،ج٢/ص ٥٤٧؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٩٢/١، ق٣،م٩١٢/٢ .

٣ – ابن خَاقَان"**قَلائِدُ العِقْيَانِ**" ق٣،ج٢/ص ٥٤٧؛ الأَصْفَهَانِيّ "**خَرِيدَةُ القَصْرِ**"ق٤،ج٤٨٠/٢ – ٤٨١؛ ابن دِحْيَة"**المُطْرِب**"ص١٩٦؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ١٧٢/٢ ، ٢٦٢/٤ .

٤ – هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو عَلِيٍّ **إِدْرِيسُ بنُ اليَمَّانِ العبدري** اليابسي أطال الإقامة فِي جزيرة يابسة مِنَ الجزائر الشرقية حَتَّى عُرِفَ بِهَا، وَلَهُ أمداحٌ كَثِيرةٌ فِي ملوكِ الطَّوَائِفِ، وَكَانَ لا يمدحُ أحدًا إلا بشرطِ أن يدفع لَهُ مِائَةَ دِينار عَلَى القَصِيدَةِ. وَفاته سَنَةَ ٤٧٠هـ،وَقَالَ ابن الأبار سنة ٤٥٠هـ .
انظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٣٣٦/١ – ٣٦٠؛ ابن دِحْيَة"**المُطْرِب**"ص١٣٠، ١٩٦، ١٩٦–١٩٧؛ ابن الأَبَّار "**التَّكْمِلَة**"١٦٣/١؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٤٠٠/١ ؛ "**رَايَاتُ المُبَرِّزِين**"٢٢٩– ٢٣٠؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٢٢٢/٥ – ٢٢٣ .

٥ – هُوَ: **عَلِيُّ بنُ مُجَاهِد** بنُ يُوسُفَ بنُ عَلِيٍّ **العَامِرِي**،صَاحِبُ دانِيةَ، وَالِدُهُ مُؤَسِّسُ الدَّوْلَةِ العَامِرِيَّةِ فِي دَانِيَةَ وَمَيُورْقَةَ وَأَطْرَافِهِمَا،وَفِي الأَصْلِ وُلِدَ بِقُرْطُبَةَ وَكَانَ مَوْلَى رُومِيًّا رَبَّاهُ المَنْصُورُ بنُ أَبِي عَامِرٍ وَعَلَّمَهُ مَعَ مَوَالِيهِ فَنُسِبَ إِلَيْهِ،تُوُفِّيَ سَنَةَ ٤٣٦هـ،فَوَلى ابنه عَلِيٌّ هَذَا وَتَسَمَّى **إِقْبَالَ الدَّوْلَةِ** وَأَصْهَرَ إِلَى المُقْتَدِرِ بنِ هُودٍ، وَتَلَقَّبَ بِالوَاثِقِ،اشْتُهِرَ بِحُبِّهِ لِلعِلمِ وَلأَهْلِ العِلْمِ.   انظُرْ:عَبْد الوَاحِد المَرَّاكُشِيّ "**المُعْجِب**" ص٧٤؛ ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**"١٥٥/٣–١٥٨؛ابن سَعِيد"**المُغْرِب**"٤٠١/٢–٤٠٢؛ ابن خَلْدُون"**تَارِيخُهُ**" ٢١١/٤ .

٦ – ابن دِحْيَة "**المُطْرِب**"ص١٩٦ .

٧ – هُوَ: أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بنُ مُحَمَّدٍ **الجَزَّارِ السَّرَقُسْطِي**، تارةً يُلَقَّبُ بِالجَزَّارِ،وأُخْرَى بابنِ الجَزَّارِ،قَالَ ابن بَسَّامٍ إِنَّ أَبَاهُ كَانَ فلاحًا مَغْمُورًا فَقِيرَ الحَالِ وَالرَّاجِحُ أَنْ يَكُونَ اللقَبُ لَهُ لا لأبيه،لِمَا صَحَّ مِنْ أَنَّهُ كَانَتْ مِهْنَتُهُ الجِزَارَةَ فَانْتَسَبَ لَهَا.لَمْ أَعْثُرْ عَلَى مَعْلُومَاتٍ عَنْ حَيَاتِهِ الأُولَى وَنَشْأَتِهِ وَأُسْرَتِهِ،وجُهِلَ تاريخُ وفاته،فَضْلاً عن وِلادَتِهِ،اكتفى ابنُ سَعِيدٍ بأن جعله مِنْ شعراء المِائَةِ الخَامِسَةِ للهجرة.ولا يُعْرَفُ مَتَى عَمِلَ بِالجِزَارَةِ وَمَتَى عَدَلَ عَنْهَا،ثُمَّ عاد إِلَيْهَا ثانية.   انظُرْ: ابن الأَبَّار "**التَّكْمِلَة**" ٢٥/٢، ٩٥؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٩٠٥/٢– ٩٠٨؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٤٤٥/٢، المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٢٩١/٥–٢٩٢ .

الجَزَّارَ عَلَى تَرْكِهِ الشِّعْرَ إِلَى الجِزَارَةِ.فَقالَ لهُ[١] : [الوافر]

تَرَكْتَ الشِّعْرَ مِنْ ضَعْفِ الإِصَابَةْ[٢] وَعُدْتَ إِلَى التَّحَرُّفِ بِالقِصَابَةْ[٣]

فَأَجَابَهُ **الجَزَّارُ السَّرَقسْطِيُّ** بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ عَنْ مِهْنَةِ الجِزَارَةِ ،مِنْهَا[٤] : [الوافر]

تَعِيبُ عَلَيَّ مَأْلُوفَ القِصَابَةْ وَمَنْ لَمْ يَدْرِ قَدْرَ الشَّيءِ عَابَهْ

وَلَمْ يَقِفْ أَثَرُ حَسْدَاي عِنْدَ هَذِهِ،فَبَعْدَ قَصِيدَةِ القِصَابَةِ كَتَبَ **الجَزَّارُ** إِلَيْهِ أُخْرَى مِنْهَا[٥] : [الطويل]

أَبَا الفَضْلِ لا تَرتَبْ بِفَضْلِكَ إِنَّنِي حَفَزْتُكَ وَالمُضْطَرُّ يُعْذَرُ فِي الحَفْزِ[٦]

فَرَدَّ عَلَيْهِ أَبُو **الفَضْلِ بنُ حَسْدَاي** بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا[٧] : [الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ طَبَّقْتَ فِي الشِّعْرِ مِفْصَلا أَتَيْتَ بِهِ عَفْوًا وَأَقْلَلْتَ فِي الحَزِّ[٨]

فَرَاجَعَهُ **الجَزَّارُ السَّرَقسْطِيُّ** قَائِلاً[٩] : [الطويل]

وَإِنِّي لَذُو بَزٍّ مِنَ الحَمْدِ طَرْزُهُ فَمَالِي أَرَاكَ اليَوْمَ تَزْهَدُ فِي بَزِّي

وَقَدْ عَلَّقَ ابنُ مَطْرُوحٍ السَّرَقسْطِيُّ(ت:٦٠٦هـ) مُصَنِّفُ ديوانِ الجَزَّارِ السَّرَقسْطِيِّ عَلَى القَصِيدَةِ بِقَوْلِهِ: "إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الجَزَّارَ احْتَفَلَ فِي قَصِيدَتِهِ فِي القِصَابَةِ وَأَبْلَغَ،وَوَصَلَ بِهَا الغَايَةَ القُصْوَى مِنَ الفَصَاحَةِ وَبَلَغَ،وَنَزَعَ فِيهَا مَنْزِعًا رَشِيقًا نَبِيلاً،وَسَلَكَ مِنَ الجِدِّ وَالهَزْلِ سَبِيلاً،وَوَصَفَ فِيهَا قِصَابَتَهُ،وَمَدَحَ جَمَاعَتَهُ وَعِصَابَتَهُ،وَنَعَتَهُمْ بِالبَسَالَةِ وَالنَّجَابَةِ،وَفَضَّلَ صِنَاعَتَهُمْ عَلَى الحِجَابَةِ،فَطَوْرًا يَمْدَحُهُمْ وَيَذُمُّهُمْ تَارَةً،وَآنَةً تَصْرِيحًا،وَآونَةً إِشَارَةً،فَفِي بَيْتٍ يَصِفُهُمْ بِطَهَارَةِ الجِلْبَابِ،وَفِي آخَرَ يَجْعَلُهُمْ مَقَرًّا لِلذُّبَابِ، وَفِي ثَالِثٍ يَنْشُرُ لَهُمْ مَحَاسِنَ فِي النَّاسِ،وَيَصِفُهُمْ بِالقَذَارَةِ وَالأَدْنَاسِ.وَهَذِهِ نِهَايَةُ البَلِيغِ المَشْحُوذِ الفِكْرِ،وَغَايَةُ الأَدِيبِ الكَثِيرِ الذِّكْرِ،أَنْ يَمْدَحَ وَيَذِمَّ مَعًا إِذَا شَاءَ،وَيُجِيدُ السَّبْكَ وَالإِنْشَاءَ،وَيُنْشِئُ لِلكَامِلِ مِنَ النُّقْصَانِ صُورَةً،وَيَدَعُ المَحَاسِنَ عَلَى الخَسِيسِ مَوْقُوفَةً مَقْصُورَةً،وَهَذَا أَمْرٌ عَسِيرُ الاطرَادِ إلا عَلَى المَهَرَةِ الأَفْرَادِ"[١٠] .وفي تَعْلِيقِ ابنِ مَطْرُوحٍ هَذَا اخْتِصَارٌ لِمَوْضُوعِ القَصِيدَةِ الَّتِي طَغَتْ عَلَيْهَا

---

١ – الجَزَّار السَّرَقسْطِيّ"**رَوْضَةُ المَحَاسِنِ وَعُمْدَةُ المَحَاسِنِ**"ص١٥٦؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م ٩٠٥/٢ ؛ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٤٤٥/٢؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٩١/٥ .

٢ – "قِلَةِ" بِغَيْرِ تضعيف ليستقيم الوزن فِي الديوان. و"مِنْ ضَعفِ" في"**الذَّخِيرَة**" وَ"**المُغْرِب**"، وَ"مِنْ عَدَمٍ" في "**زَادُ المُسَافِرِ**" وَ"**نَفْحُ الطِّيبِ**".

٣ – "إِلى الدَّنَاءَةِ وَالقِصَابَةْ" في"**الذَّخِيرَة**" وَ"**المُغْرِب**"، و"مِلْتَ" في"**زَادُ المُسَافِرِ**"، وَ"إِلى التجارة" في"**نَفْحُ الطِّيبِ**".

٤ – الجَزَّار السَّرَقسْطِيّ"**رَوْضَةُ المَحَاسِنِ وَعُمْدَةُ المَحَاسِنِ**"ص١٥٧؛ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٩٠٥/٢؛صفوان ابن إدريس"**زَادُ المُسَافِرِ**" ص ١٤٠؛ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٤٤٥/٢ .؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٩١/٥ .وَالقَصِيدَةُ مثبتةٌ فِي الملاحق.

٥ – الجَزَّار السَّرَقسْطِيّ"**رَوْضَةُ المَحَاسِنِ وَعُمْدَةُ المَحَاسِنِ**"ص ١٦٣ .

٦ – الحَفْزُ: الحَثُّ والاستِعْجَال . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [حفز] ٣٣٧/٥ .

٧ – الجَزَّار السَّرَقسْطِيّ"**رَوْضَةُ المَحَاسِنِ وَعُمْدَةُ المَحَاسِنِ**"ص ١٦٣ .

٨ – الحَزُّ : القَطْعِ فِي عِلاجٍ، وقِيلَ: هو فِي اللَّحْمِ مَا كَانَ غَيرَ بائن . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [حزز] ٣٣٤/٥ .

٩ – الجَزَّار السَّرَقسْطِيّ"**رَوْضَةُ المَحَاسِنِ وَعُمْدَةُ المَحَاسِنِ**"ص ١٦٤ .

١٠ – نَفْسُهُ ص١٦٤– ١٦٥ .

أَلفَاظُ الجَزَّارِينَ،ومنْهَا: "القِصَابَة،كَلْبٍ، هِزَبْرٌ، الأوْضَامَ[١]،وَهِرٌّ، كَاسِرٌ نَابَهْ، بَنِي العَنْزِيِّ، جَمْلٌ، بالشِّفَارِ، قَفَاهُ، فَرَيْنَاهُ[٢]وَمَزَّقْنَا إِهَابَه، الثَّوْرِيِّ، لُعَابَهْ، نُرِيقُ دَمًا، وَمَنْ نَقْتُلْهُ،سَوَاطِرِنَا[٣]،قِصَابَتِهِ، وَأَنْشَبَ ظُفْرَهُ فِيهِ وَنَابَهْ،مُفْتَرِسًا ذِئَابَهْ،نَصَبْتُ لِلُؤْمِهِ شِرْكَ، لهاهُ،صُنَابَهْ[٤]،هَرَقْتُ...."

وَلمْ يَظْهَرْ أَثَرٌ لِليَهُودِ عَلَى الشَّاعِرِ فِيهَا بِمِقْدَارِ مَا ظَهَرَ تَأَثُّرُهُ بِمِهْنَتِهِ،أَوْ بِمِقْدَارِ تَأَثُّرِهِ بِالشِّعرِ العَرَبِيِّ القَدِيمِ كَتَأَثُّرِهِ بِشِعْرِ **عَمْرُو بنِ كُلْثُومٍ** مَثَلاً فِي قَوْلِهِ[٥]:[الوافر]

إِذَا طَلَـعَ الوَلِيـدُ لَنَـا رَضِـيعًا   رَأَيـتَ بِوَجْهِـهِ سِـيمَا النَّجَابَـهْ

وَإِنْ بَلَـغَ الفِطَـامَ فَـذَاكَ لَيْـثٌ   هِزَبْـرٌ كَاسِـرٌ للحَـرْبِ نَابَـهْ

وَبدَا تَأَثُّرُهُ بِأبِي تَمَّام بِقَوْلِهِ:"وَجِدُّ السَّيْفِ لا جِدُّ الكِتَابَةْ"،وأَشْبَهَ أَبَا **ذُؤَيبٍ الهُذَلِيَّ** في:"وَإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا"[٦]بِقَوْلِهِ: إِنَّ الدَّهْرَ "أَنْشَبَ ظُفْرَهُ فِيهِ وَنَابَهْ".إلا أَنَّ هَذَا التَّقْلِيدَ لَمْ يَكُنْ فِي الأَبْيَاتِ كَافَّةً،وَلَمْ يُلغِ قُدْرَةً عَلَى نَظْمِ الشِّعْرِ،سَاعَدَتْهُ عَلَى صِيَاغَةِ أُمْنِيتِهِ بِصُورَةٍ جَمِيلَةٍ جَعَلَتْ رَحْمَ التَّأَدُّبِ يَجْمَعُ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَالكَاتِبِ بِقَوْلِهِ[٧]: [الوافر]

وَصِـلْ رَحْـمَ التَّـأَدُّبِ بِالأَمَـانِي   فَـإِنَّ ذِمَامَـهُ أَدْنَـى قَرَابَـةْ

تَآلَفْنَـا عَلَـى نَسَـبٍ كَـرِيمٍ   فَبَـابُ الشِّـعْرِ مِـنْ بَـابِ الكِتَابَـةْ

وإنْ بَدَا تَأَثُّرٌ باليَهُودِ فَفِي اللُّجُوءِ إِلَى هَذَا الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ صَاحِبِ السُّلْطَةِ بِقَوْلِهِ[٨]: [الوافر]

"**أَبَـا الفَضْـلِ**" الـوَزِيرَ أَجِـبْ دُعَاءً   فَفَضْـلُكَ ضَـامِنٌ عَنْـكَ الإِجَابَـةْ

وَظَهَرَ الهَدَفُ مِنْ هَذِهِ المُعَارَضَةِ بِقَوْلِ **الجَزَّارِ السَّرَقُسْطِيِّ** طَامِعًا فِي عَطَائِهِ[٩]:[الوافر]

مَتَـى أَمْـدَحْ أَشِـدْ مَجْـدًا أَثِـيلا   يَـدُ الأَيَّـامِ لا تُمْضِـي خَرَابَـهْ

فَأَنْـتَ أَحَـقُّ مَسْـؤُولٍ بِقَصْـدِي   وَأَفْضَـلُ مَـنْ قَرَعْـتُ عَلَيْـهِ بَابَـهْ

وَقَـدْ صَـيَّرْتُ مَـا أَشْـكُو كِتَابًـا   فَصَـيِّرْ مَـا تَجُـودُ بِـهِ جَوَابَـهْ

وَإِلا فُرْصَـةٌ مِـنْكُمْ عَسَـى أَنْ   يُقَـالَ: لَقَـدْ مَـلا يَحْيَـى جِرَابَـهْ

دَعَـاكَ دُعَـاءَ مُضْـطَرٍّ غَرِيـقٍ   وَيَرْجُـو أَنَّ دَعْوَتَـهُ مُجَابَـةْ

إِذَا انْتُخِـبَ العَظِـيمُ لِكَشْـفِ جُلَّـى   وَتَبْلِيـغِ المُنَـى كُنْـتَ انْتِخَابَـهْ

---

١ – الأَوْضَامَ : جمعُ الوَضَمِ،وَهُوَ كلُّ شيءٍ يوضع عَلَيْهِ اللحمُ مِنْ خشب ونحوه.   ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [وضم] ٦٤٠/١٢ .

٢ – فَرَى الشيءَ : شقَّه وأَفسده .   ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [فرا] ١٥٢/١٥ .

٣ – سواطرنَا : جمع ساطور وهو سيف القصاب .   ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [سطر] ٣٦٣/٤ .

٤ – الصُّنابيُّ مِنَ الإبل: الذي لونه مِنَ الحُمْرة والصُّفْرة،مع كثرة الشَّعَر والوبر.   ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [صنب] ٥٣١/١ .

٥ – الجَزَّار السَّرَقسْطِيّ "**رَوْضَةُ المَحَاسِنِ وَعُمْدَةُ المَحَاسِنِ**"ص١٥٧ .

٦ – انْظُرْ :المُفَضَّل الضَّبي "**المُفَضَّلِيَّات**" ص٤٢٢؛ القُرَشِيّ "**جَمْهَرَة أَشْعَارِ العَرَبِ**" ص٣١٤؛ ياقُوت الحَمَوِيّ "**مُعْجَمُ الأُدَبَاء**" ٨٨/١١ .

٧ – نَفْسُهُ ص١٦٢ .

٨ – الجَزَّار السَّرَقسْطِيّ "**رَوْضَةُ المَحَاسِنِ وَعُمْدَةُ المَحَاسِنِ**" ص١٥٩؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٩٢/٥ .

٩ – الجَزَّار السَّرَقسْطِيّ "**رَوْضَةُ المَحَاسِنِ وَعُمْدَةُ المَحَاسِنِ**" ص١٦١– ١٦٢ .

وَمَـنْ تَـكُ سَـهْمَهُ المَاضِـي وَيَأْمَـلْ بِـكَ الغَـرَضَ الـذِي يَهْوَى،أَصَـابَهْ

فالمُعارَضَةَ لَمْ تَكُنْ مُعَارَضَةً أَدَبِيَّةً بِمِقْدَارِ مَا كَانَتْ تَكَسُّبًا وَاضِحًا وَطَمَعًا فِي عَطَائِهِ.

كَمَا أَنَّ اهْتِمَامَ أَبِي الفَضْلِ بالشِّعْرِ جَعَلَ الشُّعَرَاءَ يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ في حَوائِجِهِمْ كَأَبِي الحَسَنِ الحُصَرِيِّ الذِي أَرْسَلَ إِلَيْهِ شَاكِيًا بُخْلَ صِهْرِهِ ابنِ عيَّاشٍ اليَهُودِيِّ(١).وَحِينَ اعتُقِلَ ابنُ عمَّارٍ فِي شَقُورَةَ ،كَتَبَ إِلَى ابنِ حَسْدَاي رِسَالَةً يصِفُ فِيهَا مَوْقِعَ اعْتِقَالِهِ،وَيَطْلُبُ نَجْدَتَهُ لِفَكِّ أَسْرِهِ(٢).

وَلَمْ يَظْهَرْ أيُّ أَثَرٍ لِيَهُودِيَّةِ أَبِي الفَضْلِ ابْنِ حَسْدَاي فِي كُلِّ هَذِهِ الإخْوانيَّاتِ وَالمَعَارَضَاتِ سَواءٌ فِيهَا مَا كَانَ مِنْهُ أَوْ إِلَيْهِ. بَلْ بَدَا تَقْلِيدُ للنَّمُوذَجِ العَرَبِي وَاضِحًا.

٧- دِرَاسَةُ مِثَالٍ مِنْ شِعْرِهِ :

لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا كَثِيرٌ مِنْ شِعْرِ أَبِي الفَضْلِ بنِ حَسْدَاي رُغْمَ اعْتِرافِ ابنِ بَسَّامٍ وغَيْرِهِ بِوُجُودِ شِعْرٍ كَثِيرٍ جيِّدٍ لَهُ،وَمُعْظَمُ مَا أَثْبَتَتْهُ المَصَادِرُ لَهُ قليلٌ،هُوَ مُقَطَّعَاتٌ أَوْ أَبْيَاتٌ قَلِيلَةٌ مِنْ قَصَائِدِهِ مِمَّا صَعَّبَ أَمْرَ اخْتِيارِ قَصِيدَةٍ لِدِرَاسَتِها لِتَكُونَ مِثَالاً عَلَى شِعْرِهِ.وَاخْتَرْتُ أَطْوَلَ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي "الذَّخِيرَة" وهي فِي مَدْحِ مَنْ كُنْيَتُهُ أَبُو عِيسَى يَبْدَؤُها بِقَوْلِهِ(٣): [البسيط]

يَا صَاحِبَيَّ سَلا هَلْ سَالَ نَعْمَانُ(٤) بَعْـدِي وَأَوْرَقَ فِيـهِ الطَّلْـحُ(٥)

فبدأَهَا **بِمُخَاطَبَةِ صَاحِبَيْهِ** وَالسُّؤَالِ عَنِ الدِّيَارِ كَعَادَةِ الجَاهِلِيِّينَ،وَذكَرَ الطَّلْحَ وَالبَانَ وَحَيَّا الخِيَامَ، وَطَوَى المَرَاحِلَ، وَذكَرَ الحُدَاةَ **بِألفاظٍ تكرَّرَتْ فِي شِعْرِ القُدَمَاءِ فقَالَ**(٦): [البسيط]

حَـيِّ الخِيَـامَ فَلِـي فِـي الحَـيِّ آنِسَـةٌ وَاقْرَ السَّلامَ فَلِي بِالجِزْعِ(٧)إِخْوَانُ

تَسِـيرُ نَفْسِـي إِلَـيْهِمْ وَالحُـدَاةُ بِهَـا هَـوَى وَشَـوْقٌ وَتَأْمِيـلٌ وَإِذْعَـانُ

---

١ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٤،م٢٥٤/١ ، وَسَبَقَتِ الإشَارَةُ إِلَيْهَا فِي البَحْثِ : ص ١٦٤ .

٢ – انْظُرْ: ابن خَاقَان "**قَلائِدُ العِقْيانِ**" ق٢،ج١/ص ٢٧٤ ، وَسَبَقَتِ الإشَارَةُ إِلَيْهَا فِي البَحْثِ : ص ١٦٣ .

٣ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٨٨/١ .

٤ – **نَعْمَانُ** : بِالفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونَ، وَهُوَ نَعْمَانُ الأَرَاكِ وَادٍ يُنْبِتُهُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، وَفِيهِ قَالَ مَجْنُونُ لَيْلَى: [الطويل]

نُسَائِلُكُمْ هَلْ سَالَ نَعْمَانُ بَعْدَنَا وَحُبَّ إِلَيْنَا بَطْنُ نَعْمَانَ وَادِيَا

انْظُرْ: أَبُو الفَرَجِ الأَصْفَهَانِيّ"**الأَغَانِيّ**" ٧١/٢؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَان**" ٢٩٣/٥ .

٥ – الطَّلْحُ: شجرة حجازية طويلة لَهَا ظل يستظل بِهَا النَّاسُ والإبل. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [طلح] ٥٣٢/٢ .

٦ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٨٨/١ .

٧ – **الجِزْع** : مكان يستدير ويتسع مِنَ الوادي ويَكُونُ فِيهِ شجر،وجِزْعُ القوم: مَحِلَّتُهم . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [جزع] ٤٨/٨ .

وَقَدْ يَكُونُ الجِزْعُ مكانٌ لَهُ عَلاقَةٌ باليَهُود؛ ففي شعر يُنسبُ إِلَى الأَخْطَلِ يَقُولُ: [الكَامِل]

قَبَحَ الإِلَهُ مِنَ اليَهُودِ عِصَابَةً بِالجِزْعِ بَيْنَ خُلَيْجِلٍ وَصَحَارِ

لعن الإِلَهُ مِنَ اليَهُودِ عِصَابَةً بِالجِزْعِ بَيْنَ صُلَيْصِلٍ وَصِدَارِ

وعند المَعَرِّي: [البسيط]: يَا سَاهِرَ البَرْقِ أَيْقِظْ رَاقِدَ السُّمَّرِ لَعَلَّ بِالجِزْعِ أَعْوَانًا عَلَى السَّهَرِ انْظُرْ: أَبُو الفَرَجِ الأَصْفَهَانِيّ "**الأَغَانِيّ**" ١٠٤/١٥، ٤٣/١٦؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَان**" ٢٩٠/٢؛ ابن حِجَّة الحَمَوِيّ "**خَزَانَةُ الأَدَب**"٢٠/١، ٣١٩/٢ .

أَطْـوِي المَرَاحِلَ لا أَلْـوِي عَلَـى وَطَـرٍ يُشْـجِي وَلَـوْ ذَكَّـرَتْ بِالعَهْـدِ أَوْطَـانُ

وَظَهَرَتْ **أَسْمَاءُ أَمَاكِنَ تَكَرَّرَتْ** عِنْدَ القُدَمَاءِ كَنَعْمَانَ وَجُلَّقَ وَالنَّهْرَيْنِ وَتَيْمَاءَ وَمِنْهَا[١]: [البسيط]

أَرْضٌ بِـجُلَّـقَ وَالنَّهْـرَيْنِ مُونِقَـةٌ أُرَيْضَـةٌ كُلُّهَـا قَصْـرٌ وَبُسْـتَانُ

حَتَّـى يُمَهِّـدَنِي قُطْـرٌ قَرَارَتُـهُ تَيْمَـاءُ وَالهَضْـبَةُ العَلْيَـاءُ عُمْـرَانُ

وَالدِّيَارُ أَمْسَتْ خَلاءً فِي مَعَاهِدِهَا وَحَلَّتْهَا **الحَيَوَانَاتُ مِنْ قصائدِ القُدَمَاءِ**، بِقَوْلِهِ[٢]: [البسيط]

أَمْسَـتْ دِيَـارِي خَـلاءً فِـي مَعَاهِـدِهَا وَحلَّهَـا دَيْسَـمٌ[٣] بَعْـدِي وَسَـرْحَانُ

وَالصُّوَرُ تَقْلِيدِيَّةٌ فِي مُعظَمِ شِعْرِ ابنِ **حَسْدَاي** وَظَهَرَتْ فِي الأَبْيَاتِ بِقَوْلِهِ[٤]: [البسيط]

أَنَّـى وَلَـمْ يَسْـرِ طَيْـفٌ لِلسَّـحابِ بِـهِ وَلا تَنَـدَّتْ بِـدَمْعٍ مِنْـهُ أَجْفَـانُ

وَكَانَ **التَّضْمِينُ** واضِحًا[٥] وَدَالاً عَلَى تَأَثُّرِ ابنِ **حَسْدَاي** بِالشِّعْرِ العَرَبِيِّ فِي قَوْلِهِ[٦]: [البسيط]

وَفِـي جَنَـابِ أَبِـي عِيسَـى لَنَـا بَـدَلٌ إِذْ قُطِعَتْ مِنْ حِبَـالِ الوَصْـلِ أَقْرَانُ

وَاقْتَـبسَ مِـنَ القُـرآنِ "إِنَّ الجَـزَاءَ عَلَـى الإِحْسَـانِ إِحْسَـانُ"،وَنَادَى إِخْـوَانَ المَعَـرِّيِّ(ت:٤٤٩هـ)[٧] بِالجِزْعِ،وَأَظْهَرَ حَيَوَانَاتِ القُدَمَاءِ وَكَرَّرَ أَلفاظَ الشُّعَرَاءِ السَّابِقِينَ نَفْسَهَا،وَاقْتَرَبَ مِنْ صُوَرِهِمْ،لِذَا أَرَى أَنَّ **تَقْلِيدَ الشُّعَرَاءِ العرَبِ** كَانَ سِمَةً عامَّةً فِي شِعْرِهِ وَفِي قَصِيدَتِهِ هَذِهِ وَلَمْ يَكُنْ مُؤَثِّرًا وَلَمْ يَأْتِ بِجَدِيدٍ عَلَى الشِّعْرِ العَرَبِيِّ بِالأَنْدَلُسِ،وَلَمْ يَظْهَرْ لليَهُودِ أَيُّ أَثَرٍ فِي شِعْرِهِ .

ثَالِثًا :- آخَرُونَ :

بدأتُ بِالحَدِيثِ عنْ ابنِ سَهْلٍ وَابْنِ حَسْدَاي مِنْ شُعَراءِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ لِوُجُودِ حديثٍ طَوِيلٍ عَنهُمَا فِي المَصَادِرِ،إلا أَنَّ المَصَادِرَ العَرَبِيَّةَ لَمْ تُعْنَ بِغَيْرِهِمَا مِنْ شُعَراءِ اليَهُودِ الذين نَظَمُوا بِالعَرَبِيَّةِ،وَكَانَ يُشَارُ إِلَى اسْمِهِمْ فَحَسْبُ،أَوْ يُذْكَرُ شَيْءٌ قليلٌ مِنْ أَخْبَارِهِم،فكَانَ مِنْهُمْ :

---

١ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٨٨/١ .

٢ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٣ – الدَّيْسَمُ: وَلَدُ الثعلب مِنَ الكَلْبَة أو وَلَدُ الذِّئْبِ مِنَ الكَلْبَة. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [دسم] ٢٠١/١٢ .

السرحان : الذِّئْب. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [سرح] ٤٨١/٢ .

٤ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٨٨/١ .

٥ – جرير [البسيط] :بَانَ الأَخِلا وَمَا وَدَّعْتُ مَنْ بَانَا وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الوَصْلِ أَرْكَانَا أَبُو الفَرَجِ الأَصْفَهَانِيّ "**الأَغَانِيّ**" ٣٢٥/٧

معبد [البسيط] : بَانَ الخَلِيطُ وَلَوْ طُوِّعْتُ مَا بَانَا وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الوَصْلِ أَقْرَانَا أَبُو الفَرَجِ الأَصْفَهَانِيّ "**الأَغَانِيّ**" ٣٠٥/١٩

٦ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٨٨/١ .

٧ – هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو **العَلاءِ** أَحْمَدُ بنُ عبدِ اللهِ **المَعَرِّيّ**.ولادته سَنَةَ ٣٦٣هـ بِمَعَرَّةِ النُّعْمَان قرب حلب،عمي مِنَ الجدري وهو صَغِيرٌ. وَلَزِمَ مَنْزِلَهُ بِالمَعَرَّةِ وَشَرَعَ فِي التَّصْنِيفِ،وَسَمَّى نَفْسَهُ رَهِينَ المَحْبِسَيْنِ لِلُزُومِهِ مَنْزِلَهُ وَلِذَهَابِ عَيْنَيْهِ.سار إِلَيْهِ الطلبة مِنَ الآفاق وَكَاتَبَهُ العُلَمَاءُ وَالوُزَرَاءُ. وَنَظَمَ الشِّعْرَ وَهُوَ ابنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً.وَلَهُ تصانيف كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ وَرَسَائِلُ،مِنْهَا "لُزُومُ مَا لا يَلْزَم" في خَمْسَةِ أَجْزَاءَ، وَلَهُ "سقْطُ الزَّنْد" كَذَلِكَ وَشَرَحَهُ بِنَفْسِهِ وَسَمَّاهُ "ضوء السَّقْطِ"،وتُوُفِّيَ ٤٤٩هـ بالمَعَرَّةِ. انْظُرْ: ابن خَلِّكَان "**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ١١٣/١ – ١١٦؛الصَّفَدِيّ "**الوافِي بِالوَفَيَات**" ٦٢/٧– ٧٤ ؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ "**شَذَرَات الذَّهَب**" ٢٨٠/٢– ٢٨٢ .

١- إِبْرَاهِيمُ بنُ الفَخَّارِ: يُكْنَى أَبَا إِسْحَاقَ،وُصِفَ بِالتَّفَنُّنِ فِي الشِّعْرِ وَمَعْرِفَةِ العُلُومِ القَدِيمَةِ وَالمَنْطِقِ[١]،وتُذْكَرُ لَهُ مُزْدَوَجَةٌ مِنَ الشِّعْرِ يُخَاطِبُ بِهَا أَلْفُونْسُ[٢]،فَقَدْ سَادَ فِي طُلَيْطِلَةَ،وَصَارَ رَسُولاً عِنْدَ مَلِكِهَا أَلْفُونْسُ العاشر إِلَى مُلُوكِ العَرَبِ ،وَمَدَحَ **الفَخَّارُ** أَلْفُونْسُ بِقَوْلِهِ[٣]: [المديد]

حَضْـــرَةَ الأَذْفُـــنْشُ لا بَرِحَـــتْ غَضَّـــةً أَيَّامِهَـــا عُـــرْسُ

فَــــاخْلَعِ النَّعْلَـــيْنِ تَكْرِمَـــــةً فِـــي ثَرَاهَـــا إِنَّهَـــا قُـــدْسُ

رُوِيَتْ أَبْيَاتٌ لَهُ قَالَهَا فِيمَنْ كَانَ يُعَامِلُهُ بِإِذْلالٍ فَضَاقَ ذِرْعُ ابنُ **الفَخَّارِ** بِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ[٤]: [الطويل]

أَيَـــا جَـــاعِلاً أَمْـــرَينِ شِـــبهَيْنِ مَـــا لَـــهُ مِـــنَ العَقْـــلِ إِحْسَـــاسٌ بِـــهِ يَتَفَقَّـــدُ

جَعَلْـــتَ الغِنَـــى وَالفَقْـــرَ وَالـــذّلَّ وَالعُـــلا سَـــوَاءً فَمَـــا تَنْفَـــكُّ تَشْـــقَى وَتَجْهَـــدُ

وَهَـلْ يَسْـتَوِي فِـي الأَرْضِ نَجْـدٌ وَتَلْعَـةٌ[٥] فَتَطْلُـبَ تَسْـهِيلاً وَسَـيْرُكَ مُصْـعِدُ

وَمَـــا كُنْـــتَ ذَا مَيْـــزٍ لِمَـــنْ كُنْـــتَ طَالِبًـــا بِمَـا كُنْـتَ فِـي حَـالِ الفَـرَاغِ تَعَـوَّدُ

وَقَـــدْ حَـــالَ مَـــا بَيْنِـــي وَبَيْنِـــكَ شَـــاغِلٌ فَـلا تَطْلُبَنِّـــي بِالَّـذِي كُنْـتَ تَعْهَـدُ

فَـــإِنْ كُنْـــتَ تَـــأْبَى غَيْـــرَ إِقْـــدَامِ جَاهِـــلٍ فَإِنَّـــكَ لا تَنْفَـــكُّ تُلْحَـــى وَتُطْـــرَدُ

أَلا فَـــأْتِ فِـــي أَبْوَابِـــهِ كُـــلَّ مَسْـــلَكٍ وَلا تَـكُ مَحْـلاً حَيْثُمَـا قُمْـتَ تَقْعُـدُ

وَمَرَّ فِي الغَزَلِ بَيْتَانِ لَهُ فِي غُلامٍ[٦]،كَمَا تُرْوَى عَنْهُ طُرْفَةٌ حِينَ دَخلَ بُسْتَانَ الخَلِيفَةِ المُسْتَنْصِرِ قَالَ: "فَوَجَدْتُهُ فِي غَايَةِ الحُسْنِ كَأَنَّهُ الجَنَّةُ،وَرَأَيْتُ عَلَى بَابِهِ بَوَّابًا فِي غَايَةِ القُبْحِ.فَلَمَّا سَأَلَنِي الوَزِيرُ عَنْ حَالِ فُرْجَتِي،قُلْتُ:رَأَيْتُ الجَنَّةَ إِلا أَنِّي سَمِعْتُ أَنَّ الجَنَّةَ يَكُونُ عَلَى بَابِهَا رِضْوَانُ وهَذِهِ عَلَى بَابِهَا مَالِكٌ، فَضَحِكَ وَأَخْبَرَ الخَلِيفَةَ بِمَا جَرَى،فَقَالَ لَهُ:قُلْ لَهُ إِنَّا قَصَدْنَا ذَلِكَ،فَلَوْ كَانَ رِضْوَانُ عَلَيْهَا بَوَّابًا لَخَشِينَا أَنْ يَرُدَّهُ عَنْهَا وَيَقُولُ لَهُ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُكَ،وَلَمَّا كَانَ هُنَاكَ مَالِكٌ أَدْخَلَهُ فِيهَا وَهُوَ لا يَدْرِي مَا وَرَاءَهُ وَيُخَيَّلُ أَنَّهَا جَهَنَّمُ.قَالَ فَلَمَّا أَعْلَمَنِي الوَزِيرُ بِذَلِكَ قُلْتُ لَهُ:اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالاتِهِ"[٧].وَيُلاحَظُ فِي العِبَارَةِ الأَخِيرَةِ تَأَثُّرُهُ بِآيَاتِ القُرآنِ الكَرِيمِ[٨].

---

١ – انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢٣/٢ ؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٧٤/٥ .

٢ – انْظُرْ : رِيمُونْد شَايندلِين"**اليَهُود فِي إِسْبَانيَا المُسْلِمَةِ**" تَرْجَمَة: مَرْيَم عَبْدِ البَاقِي، بَحْثٌ في:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ١/ ٣١٤ .

٣ – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢٣/٢ ؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٧٤/٥ .

٤ – المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٧٤/٥ .

٥ – التَّلْعَةُ: أَرض مُرتفعة غَلِيظة يَتَرَدَّدُ فِيهَا السيْلُ ثم يَنْدفع إِلَى أسفل . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [تلع] ٣٦/٨ .

٦ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٧٤/٥ ، وَانْظُرْ فِي البَحْثِ : ص ١١٦ .

٧ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ٧٥/٥ .

٨ – مِنْ قَوْلِهِ سُبْحانُه وتَعَالَى: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ **سُورَة الأَنْعَامِ**، آيَة ١٢٤ .

٢- إلِيَاسُ بنُ المُدَوِّرِ الرُّنْدِيُّ[١]: ذَكَرَ ابنُ سَعِيدٍ أنَّ اسمَهُ إليَاسُ بنُ صَدُّود[٢]،وَأنَّهُ كَانَ فِي صَدْرِ المِائَةِ السَّادِسَةِ[٣]،وَلَمْ تَتَعَرَّضِ المَصَادِرُ لِنَشْأَتِهِ.لكِنْ هُنَاكَ آخرُ يَحْمِلُ اسْمًا مُشَابِهًا عِنْدَ ابنِ أَبِي أُصَيْبِعَةَ وَهُوَ اليَهُودِيُّ أَبُو البَيَانِ بنُ المُدَوِّرِ،خَدَمَ صَلاحَ الدِّينِ،وَكَانَ مُقَرَّبًا إِلَيْهِ، وتُوُفِّيَ سَنَةَ ٥٨٠هـ بِالقَاهِرَةِ[٤]،قَدْ يَكُونُ هُوَ؛وَهَاجَرَ مِنَ الأَنْدَلُسِ إِلَى مِصْرَ كَمَا فَعَلَ ابْنُ حَسْدَاي مَثَلاً فِي تِلْكَ الفَتْرَةِ،بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهُ يَهُودِيٌّ وَطَبِيبٌ،وَمِنْ أَعْلامِ المِائَةِ السَّادِسَةِ أَيْضًا.كَتَبَ شِعْرًا بِالعَرَبِيَّةِ، مِنْهُ مَا وجَّهَهُ إِلَى طَبِيبٍ آخَرَ فِي رُنْدَةَ كَانَ يَحْسُدُهُ لاشْتِراكِهِمَا فِي الصَّنْعَةِ،أَصْلَحَ النَّاسُ بَيْنَهُمَا مِرَارًا،فَقَالَ لَهُ[٥]: [الكامل]

لا تَخْدَعَنَّ فَمَا تَكُونُ مَوَدَّةٌ ... مَا بَيْنَ مُشْتَرِكَيْنِ أَمْرًا وَاحِدًا

انْظُرْ إِلَى القَمَرَيْنِ حِينَ تَشَارَكَا ... بِسَنَاهُمَا كَانَ التَّلاقِي فَاسِدًا

قَالَ المَقَّرِيُّ إِنَّهُ "يَعْنِي أَنَّهُمَا مَعًا لَمَّا اشْتَرَكَا فِي الضِّيَاءِ وَجَبَ التَّحَاسُدُ بَيْنَهُمَا وَالتَّفْرِقَةِ:هَذَا يَطْلُعُ لَيْلاً وهَذِهِ تَطْلُعُ نَهَارًا وَاعْتِرَاضُهُمَا يُوجِبُ الكُسُوفَ"[٦].وَلَمْ يَرِدْ عَنْهُ فِي المَصَادِرِ لَهُ غَيْرُ هَذَا.

٣- بَسَّامُ بنِ شَمْعُونَ القُرْطُبِيُّ[٧]ذكرَهُ ابنُ سَعِيدٍ وَالمَقَّرِيّ،قَالَ ابنُ سَعِيدٍ إِنَّهُ كَانَ لَهُ نَظْمٌ رَائِقٌ وَإِنَّهُ لازَمَ ابنَ بَاجَةَ(ت: ٥٢٣هـ)،وَأَنَّهُ كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ المُوسِيقَى وَمِنْ عَجَائِبِ الزَّمَانِ فِي الاقْتِدَارِ عَلَى الأَلْحَانِ،وَأَنَّهُ أَحْسَنَ الغِنَاءَ بِلِسَانِهِ وَيَدِهِ[٨]،لكِنْ لَمْ تُذْكَرْ لَهُ إلا بضعَةُ أبياتٍ فِي الخَمرِ،فقَدْ كَانَ كَثِيرَ المَقَامِ عَلَى شُرْبِ المُدَامِ[٩].

٤- قَسْمُونَةُ بِنْتُ إِسْمَاعِيلَ[١٠]:أَغْفَلَتْ مُعْظَمُ المَصَادِرِ ذِكْرَهَا،وَلَمْ يَذْكُرْهَا إلا المَقَّرِيّ،وَلَمْ يُشِر المَقَّرِيُّ إِلَى العَصْرِ الذِي عَاشَتْ فِيهِ،وَجعَلَهَا مُحَمَّدُ الرَّيْسُونِيّ ضِمْنَ شَاعِرَاتِ عَصْرِ الطَّوَائِفِ

١ – انْظُرْ ترجمته في: ابن أَبِي أُصَيْبِعَةَ"**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**"١/ ٥٨٠؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٣٣٦/١؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٧٥/٥ ؛ مُحَمَّد الإفراني"**المَسْلَك السَّهْل فِي شَرْح تَوْشِيح ابنِ سَهْل**"ص٩٥-٩٦ .

٢ – انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٣٣٦/١ . وأرى أَنَّهُ حَصَلَ تَصْحِيفٌ فِي الاسْمِ عِوَضًا عَنْ "مُدَور" كَتَبُوا "صَدود" أَوِ العَكْس .

٣ – انْظُرْ نَفْسَهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٤ – انْظُرْ: ابن أَبِي أُصَيْبِعَةَ "**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ١/ ٥٨٠ .

٥ – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٣٣٦/١؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٧٥/٥ .

٦ – المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٧٥/٥ .

٧ – هُوَ: **بَسَّامٍ أو إِسْحَاق بن شَمْعُونَ اليَهُودِيُّ** الوَشَقِيُّ،ذكره المَقَّرِيّ والأفراني . انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٢٧/١-١٢٨، ١١٩/٢؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٧٦/٥؛ مُحَمَّد الإفراني"**المَسْلَك السَّهْل فِي شَرْح تَوْشِيح ابنِ سَهْل**"ص٩٦؛ خُولْيُو سَامْسُو "**العُلُومُ الدَّقِيقَةُ فِي الأَنْدَلُسِ**" تَرْجَمَة :عُمَر الشَّيْخ، بَحْثٌ في: "الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ" تَحْرِير:سَلْمَى الجَيُّوسِيّ ١٣٠٧/٢ .

٨ – انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٢٧/١ .

٩ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ١/ ١٢٨ ، ووَرَدَتْ أبياتُهُ فِي البَحْثِ سابِقًا : ص ١٦٠ .

١٠ – انْظُرْ ترجمتها فِي : جَلال الدِّينِ السُّيُوطِيّ "**نُزْهَةُ الجُلَسَاءِ فِي أَشْعَارِ النِّسَاءِ**"ص ٦٥ – ٦٦؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٧٥/٥؛ مُحَمَّد الإفراني"**المَسْلَك السَّهْل فِي شَرْح تَوْشِيح ابنِ سَهْل**"ص٩٧ ؛ مُحَمَّد المُنْتَصِر الرَّيْسُونِيّ"**الشِّعْر النِّسَوِيّ فِي الأَنْدَلُسِ**" ص ١٠٤ .

لأنَّ هَذَا العَصْرَ تَمَيَّزَ بِازْدِهَارِ المُوَشَّحَاتِ،وَقسْمُونَةُ كَانَتْ وَشَّاحَةً[١] قَالَ المَقَّرِيُّ **إنَّ** أَبَاهَا كَانَ شَاعِرًا وَاعْتَنَى بِتَأْدِيبِهَا،وَرُبَّمَا صَنَعَ مِنَ المُوَشَّحَةِ قِسْمًا فَأَتَمَّتْهَا هِيَ بِقِسْمٍ آخَرَ[٢].

قَالَ لَهَا أَبُوهَا يَوْمًا أَجِيزِي[٣]: [الكامل]

لِـي صَـاحِبٌ ذُو بَهْجَـةٍ قَـدْ قَابَلَـتْ   نُعْمَـى بِظُلْـمٍ وَاسْـتَحَلَّتْ جُرْمَهَـا

فَفَكَّرَتْ **قَسْمُونَةُ** غَيْرَ كَثِيرٍ وَقَالَتْ[٤]: [الكامل]

كَالشَّـمْسِ مِنْهَـا البَـدْرُ يَقْـبِسُ نُـورَهُ   أَبَـدًا وَيَكْسِـفُ بَعْـدَ ذَلِـكَ جِرمَهَـا

فَقَامَ أَبُوهَا كَالمُخْتَبِلِ وَضَمَّهَا إِلَيْهِ،وَجَعَلَ يُقَبِّلُ رَأْسَهَا،وَيَقُولُ "أَنْتِ وَالعَشْرِ كَلِمَاتٍ أَشْعَرُ مِنِّي".

وَنَظَرَتْ **قَسْمُونَةُ** فِي المِرْآةِ فَرَأَتْ جَمَالَهَا وَقَدْ بَلَغَتْ أَوَانَ التَّزَوُّجِ وَلَمْ تَتَزَوَّجْ،فَقَالَتْ[٥]: [الطويل]

أَرَى رَوْضَـةً قَـدْ حَـانَ مِنْهَـا قِطَافُهَـا   وَلَسْـتُ أَرَى جَـانٍ[٦] يَمُـدُّ لَهَـا يَـدَا

فَوَاأَسَـفَا يَمْضِـي الشَّـبَابُ مُضَـيَّعًا   وَيَبْقَـى الـذِي مَـا إنْ أُسَـمِّيهِ مُفْـرِدَا

وَقَالَتْ **قَسْمُونَةُ** فِي ظَبْيَةٍ عِنْدَهَا[٧]: [الكامل]

يَـا ظَبْيَـةً تَرْعَـى بِـرَوْضٍ دَائِمًـا   إنِّـي حَكَيْتُـكِ فِـي التَّـوَحُّشِ وَالحَـوَرْ

أَمْسَـى كِلانَـا مُفْـرَدًا عَـنْ صَـاحِبٍ   فَلْنَصْـطَبِرْ أَبَـدًا عَلَـى حُكْـمِ القَـدَرْ

٤- **مَائِير أَبُو العَافِيَة** : حاخام شهير فِي طُلَيْطِلَةَ،قَالَ رِيمُونْد شَايِنْدَلِين إِنَّهُ كَتَبَ شِعْرًا دُنْيَوِيًّا بِصِيَغٍ عَرَبِيَّةٍ وَقَدَّمَ أَشْعَارَهُ بِشُرُوحٍ عَرَبِيَّةٍ أَثْبَتَهَا فَوْقَ النَّصِّ العَرَبِيِّ،حَتَّى إِنَّهُ تَرْجَمَ قَصِيدَةً قَصِيرَةً لِلمُعْتَمِدِ بنِ عَبَّادٍ إِلَى العِبْرِيَّةِ[٨].

٥- **نَسِيم الإِسْرَائِيلِيّ**[٩]: شَاعِرٌ وَشَّاحٌ مِنْ أَهْلِ إِشْبِيلِيَةَ ذُكِرَ فِي "المُسْهِب"، لَهُ[١٠]: [المجتث]

يَـا لَيْتَنِـي كُنْـتُ طَيْـرًا   أَطِيـرُ حَتَّـى أَرَاكَ

بِمَـنْ تَبَـدَّلْتَ غَيْـرِي   أَوْ لَـمْ تَحُـلْ عَـنْ هَـوَاكَ

١ – انْظُرْ: مُحَمَّد المُنْتَصِر الرَّيْسُونِيّ"**الشِّعْر النِّسَوِيّ فِي الأَنْدَلُس**" ص ١٠٤ .

٢ – جَلال الدِّين السُّيُوطِيّ "**نُزْهَةُ الجُلَسَاءِ فِي أَشْعَارِ النِّسَاءِ**"ص ٦٥ – ٦٦؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٧٥/٥ .

٣ – المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٧٦/٥ .

٤ – نَفْسُهُ ٧٦/٥ .

٥ – نَفْسُهُ ٧٧/٥ .

٦ – تقصد "جَانيا" لكن جاءت "جان" لضرورة الوزن .

٧ – المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٧٧/٥ .

٨ – انْظُرْ: رِيمُونْد شَايِندلِين"**اليَهُود فِي إسْبَانيَا المُسْلِمَة**" تَرْجَمَة: مَرْيَم عَبْدِ البَاقِي، بَحْثٌ فِي:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُس" تَحْرِير :سَلْمَى الجَيُّوسِيّ ٣١٣/١ – ٣١٤ .

٩ – انْظُرْ ترجمته فِي : المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٦٨/٥ ؛ مُحَمَّد الإفراني"**المَسْلَك السَّهْل فِي شَرْح تَوْشِيح ابن سَهْل**" ص ٩٨ .

١٠ – المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٦٨/٥ .

الفَصْلُ الثَّالِثُ : **حُضُورُ اليَهُودِ فِي النَّثْرِ العَرَبِيِّ** فِي الأَنْدَلُس.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : **الفُنُونُ النَّثْرِيَّةُ التِي ظَهَر فِيهَا اليَهُودُ** فِي الأَنْدَلُسِ.

ظَهَرَ اليَهُودُ كَثِيرًا فِي الرَّسَائِلِ وبِقِلَّةٍ فِي غَيْرِهَا مِنْ فُنُونِ النَّثْرِ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:

أَوَّلاً:- الرَّسَائِلُ .

كَانَتِ الرَّسَائِلُ بِالنِّسْبَةِ لِمَوْضُوعِ البَحْثِ ثلاثة أَقْسَامٍ:الأولُ مِنَ العَرَبِ إِلَى اليَهُودِ، والثَّانِي مِنَ اليَهُودِ إِلَى العَرَبِ،والثَّالِثُ مِنَ العَرَبِ إِلَى العَرَبِ :

القِسْمُ الأَوَّلُ : رَسَائِلُ مِنَ العَرَبِ إِلَى اليَهُودِ.

كَانَتْ رَسَائِلُ العَرَبِ إِلَى اليَهُودِ فِي المَصَادِرِ قليلةً جدًّا،بَلْ مَعْدُودَة،فَهِيَ سِتٌّ؛ واحِدَةٌ مِنْ أَيُّوبَ المَرْوَانِيِّ إِلَى ابنِ شَمْعُونَ اليَهُودِيِّ،وَالثَّانِيَةُ مِنَ ابنِ الدَّبَّاغِ إِلَى ابنِ حَسْدَاي،وَالثَّالِثَةُ مِنَ المُنْفَتِلِ إِلَى ابْنِ نَغْرِيلَّة،وَالرَّابِعَةُ جَوَابُ ابنِ هُودَ لابنِ حَسْدَاي عِنْدَ فِرَارِهِ عَنْهُ،وَالخَامِسَةُ مِنْ أَبِي الرَّبِيعِ القُضَاعِيِّ إِلَى يُوسُفَ الإِسْلامِيِّ مُعَاتِبًا،وَالأَخِيرَةُ هِيَ رِسَالَةُ ابنِ حَزْمٍ إِلَى ابنِ نَغْرِيلَّة.

يُلاحَظُ أَنَّ اليَهُودَ الذينَ وُجِّهَتْ إِليهِمْ هَذِهِ الرَّسَائِلِ أَغْلَبُهُمْ وُزَرَاءُ؛فَنَالَ الوَزِيرُ اليَهُودِيُّ ابْن نَغْرِيلَّة النَّصِيبَ الأَكْبَرَ مِنْهَا،وَأَثْبَتُّ الأَرْبَعَةَ الأُوْلَى كامِلَةً لِقِصَرِهَا،أمَّا رِسَالَتَيْ يُوسُفَ الإِسْلامِيِّ وابنِ حَزْمٍ إِلَى ابنِ نَغْرِيلَّة فَأُثْبِتُ جُزْءًا مِنْهُمَا في الدِّرَاسَةِ،وَأَضَعُهُمَا كامِلَتَيْنِ فِي المَلاحِقِ،وَحَتَّى لا يَتَكَرَّرَ الكَلامُ سَأَتَحَدَّثُ عن سِمَاتٍ عَامَّةٍ لِهَذِهِ الرَّسَائِلِ مُجْتَمِعَةً .

أَوّلاً :- الرَّسَائِلُ

١ - رِسَالَةٌ مِنْ أَيُّوبَ المَرْوَانِيِّ إِلَى ابنِ شَمْعُونَ اليَهُودِيِّ .

كَتَبَ أَيُّوبُ بنُ سُلَيْمَانَ المَرْوَانِيِّ[1] إِلَى بَسَّامِ بنِ شَمْعُونَ اليَهُودِيِّ[2] يَدْعُوهُ إِلَى مُشَارَكَتِهِ الخَمْرِ،يَقُولُ فِيهَا :"لَمَّا كُنْتَ -وَصَلَ اللهُ تَعَالَى إِخَاءَكَ وَحَفِظَكَ- مَطْمَحَ نَفْسِي وَمُنْتَزَعَ اخْتِيَارِي مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِي عَلَى جَوَانِبِكَ أَمِيلُ،وَأَرْتَعُ فِي رِيَاضِ خُلُقِكَ الجَمِيلِ،هَزَّتْنِي خَوَاطِرُ الطَّرَبِ وَالارْتِيَاحِ فِي هَذَا اليَوْمِ المَطِيرِ الدَّاعِي بُكَاؤُهُ إِلَى ابْتِسَامِ الأَقْدَاحِ وَاسْتِنْطَاقِ البَمِّ وَالزِّيرِ[3] فَلَمْ أَرَ مُعِينًا عَلَى ذَلِكَ وَمُبْلِغًا إِلَى مَا هُنَالِكَ إِلا حُسْنَ نَظَرِكَ وَتَجَشُّمَكَ مِنَ المَكَارِمِ مَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُكَ.وَهَذَا يَوْمٌ حُرِمَ الطَّرْفُ فِيهِ الحَرَكَةُ وَجُعِلَ فِي تَرْكِهَا الخَيْرُ وَالبَرَكَةُ،فَهَلْ تُوصِلُ مَكْرُمَتُكَ أَخَاكَ إِلَى التَّخَلِّي

---

[1] – هُوَ: **أَيُّوبُ بنُ سُلَيْمَانَ السُهَيْلِيّ المَرْوَانِيّ** مِنْ ذُرِّيَّةِ سُهيل بن عَبْدِ العَزِيزِ أَخِي عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ كَانَ بِقُرْطُبَةَ يَخْدِمُ ابنَ الحَاجِّ ووزيره ابن بَاجَةَ، تُوُفِّيَ فِي المِائَةِ الخامسة فِي سَرَقُسْطَةَ . انْظُر :ابن سَعِيد "**المُغْرِب**"١/٦٠- ٦٢؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**"٥/٧٦ .

[2] – هُوَ: **بَسَّامُ بنُ شَمْعُونَ اليَهُودِيُّ** الوَشَقِيُّ، لَمْ أعثرْ لَهُ عَلَى تَرْجَمَة. انْظُر :المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٥/٧٦ .

[3] – البَمّ : كلمه ليست عربية، وهي أَحدُ أَوتارِ العُودِ. الزِّير: الدَّنّ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [بمم، زير] ١٢/٥٦، ٤/٣٣٩ .

مَعَكَ فِي زَاوِيَةٍ مُتَّكِئًا عَلَى دَنٍّ مُسْتَنِدًا إِلَى خَابِيَةٍ وَنَحْنُ خِلالَ ذَلِكَ نَتَجَاذَبُ أَهْدَابَ الحَدِيثِ الَّتِي لَمْ يَبْقَ مِنَ اللَّذَّاتِ إِلا هِيَ،وَنُجِيلُ الأَلْحَاظَ فِيمَا تَعَوَّدَتْ عِنْدَكَ مِنَ المَحَاسِنِ وَالأَسْمَاعِ فِي أَصْنَافِ المَلاهِي وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ وَكَرَمُكَ بِتَكَلُّفِهِ جَدِيرٌ[1]: [السريع]

وَلا يُعِــينُ المَــرْءَ يَوْمًــا عَلَــى ... رَاحَتِـــــهِ إِلا كَــــرِيمُ الطِّبَــــاعْ

وَهَــا أَنَــا وَالسَّــمْعُ مِنِّــي إِلَــى الــ ... ـبَابِ وَذُو الشَّــوْقِ حَلِيــفُ اسْــتِمَاعْ

فَــإِنْ أَتَــى دَاعٍ بِنَيْــلِ المُنَــى ... وَدِّعْ أَشْـــجَانِي وَنِعْـــمَ الــــوَدَاعْ"[2]

لَمْ تَرِدْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ إِلا فِي "نَفْح الطِّيبِ"،وَلَمْ أَجِدْ تَرْجَمَةً لِلْيَهُودِيِّ المُرْسَلَةِ إِلَيْهِ فِي المَصَادِرِ، وَاكْتَفَى النَّفْحُ بِالقَوْلِ إِنَّهَا مُرْسَلَةٌ إِلَى بَسَّامِ بنِ شَمْعُونَ اليَهُودِيِّ وَلَمْ يُضِفْ أَيَّ مَعْلُومَةٍ عَنْهُ.لَكِنْ تُوجَدُ فِي "المُغْرِبِ" تَرْجَمَةٌ لإِسْحَاقَ بنِ شَمْعُونَ اليَهُودِيِّ القُرْطِبِيِّ،أُرَجِّحُ أَنَّهُ بَسَّامٌ نَفْسُهُ لأَنَّ مَعْنَى إِسْحَاقَ צחק فِي العِبْرِيَّةِ المُبْتَسِمُ أَوِ الضَّاحِكُ[3]،فَرُبَّمَا عَرَّبُوهُ فقَالُوا بَسَّامًا كَمَا فَعَلُوا بِصَمُوئيل فَقَالُوا إِسْمَاعِيلَ،وَيَهُودَا قَالُوا يَحْيَى[4]وَنَقَلَ ابنُ سَعِيدٍ عَنِ "المُسْهِبِ" أَنَّ إِسْحَاقَ أَحَدُ عَجَائِبِ الزَّمَانِ فِي الاقْتِدَارِ عَلَى الأَلْحَانِ،وَكَانَ قَدْ لازَمَ ابنَ بَاجَةَ(ت:٥٢٣هـ) وَأَحْسَنَ الغِنَاءَ بِلِسَانِهِ وَيَدِهِ،وَكَانَ لَهُ نَظْمٌ رَائِقٌ،وَكَانَ كَثِيرَ المَقَامِ عَلَى شُرْبِ المُدَامِ[5]،وَاليَهُودِيُّ المَقْصُودُ هُنَا كَانَ كَذَلِكَ مَشْهُورًا بِشُرْبِ المُدَامِ كَمَا يَظْهَرُ فِي الرِّسَالَةِ.وَقَالَ ابنُ سَعِيدٍ إِنَّهُ تُوُفِّيَ فِي المِائَةِ الخَامِسَةِ لَكِنْ المَقَّرِيّ قَالَ إِنَّهُ مِنْ شُعَرَاءِ المِائَةِ السادِسَةِ،لِذا يَرَى شَوْقِي ضيف أَنَّ ابنَ سَعِيدٍ سَهَا بِهذا[6]،وَإِنْ كَانَ إِسْحَاقُ مِنَ المِائَةِ السادِسَةِ يَتَقَوَّى القَوْلُ لَدَيَّ بِأَنَّهُ بَسَّامٌ أَحدُ عُلَماءِ المُوسِيقَى وَصَدِيقُ ابنِ بَاجَةَ[7].وَأَيُّوبُ المَرْوَانِيِّ اتَّصَلَ بِإِبْرَاهِيمَ ابنِ تِيْفُلويت[8]حِينَ رَحَلَ إِلَى سَرَقُسْطَةَ،وَكَانَ وزيرُهُ ابنَ بَاجَةَ[9]، فيَكُونُ إِسْحَاقُ قَدْ عَاشَ فِي الفَتْرَةِ نَفْسِهَا واجْتَمع مَعَ ابنِ بَاجَةَ عِنْدَ ابنِ تَيْفلُويت كَمَا يَبْدُو،وعِندَ المَقَّرِيّ ذِكْرٌ لِمَجْلِسٍ اجتَمَعَ فِيهِ أَيُّوبُ المَرْوَانِيُّ صَدِيقُ ابنِ شَمْعُونَ هَذا مَعَ ابنِ بَاجَةَ[10]،فيَكُونُ

---

١ - المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٧٦/٥ .

٢ - نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٣ – انْظُرْ: ي. قُوجْمَان "**قَامُوسَهُ**" ص ٧٦٢ .

٤ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٧٦٦/٢ . [الحَاشِيَة]؛ هنري بيرِسْ "**الشِّعْر الأَنْدَلُسِيّ فِي عَصْرِ الطَّوائِف**" ص٢٤٣ .

٥ – انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٢٧/١– ١٢٨ .

٦ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ٦٠/١ [الحَاشِيَة] .

٧ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ١٢٧/١ .

٨ – هُوَ:**أبو بَكْرِ** بنُ إِبْرَاهِيمَ بنِ **تَيْفلُويت**،ولاه عَلِيٌّ بن يُوسُفَ بن تاشفين عَلَى شرق الأَنْدَلُسِ،كان وَزِيرُهُ ابنُ بَاجَةَ،قِيلَ إِنَّهُ طَرِبَ مَرَّةً مِنْ لَحْنٍ لابن بَاجَةَ وَحَلَفَ الأَيْمَانَ المُغَلَّظَةَ أَنْ لا يَمْشِيَ ابنُ بَاجَةَ لِدَارِهِ إِلا عَلَى الذَّهَبِ، فَاحْتَالَ ابنُ بَاجَةَ بِأَنْ جَعَلَ ذَهَبًا فِي نَعْلِهِ وَمَشَى عَلَيْهِ .
انْظُرْ:ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٦١/١، ١١٩/٢؛المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٢٣٣/٩ .

٩ – انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٦١/١ ، ١١٩/٢ .

١٠ – المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٢٩٩/٤– ٣٠٠ .

ابنُ بَاجَةَ صَدِيقًا لِلمَرْوَانِيِّ وَابنِ شَمْعُونَ اليَهُودِيِّ أي بَسَّامٍ وَهُمَا أطرَافُ هَذِهِ الرِّسَالَةِ.وبِسَبَبِ هَذِهِ الصَّدَاقَةِ بَيْنَ الثَّلاثَةِ لَمْ يَكُنْ مُصَادَفَةً أَنْ يُذْكَرَ اليَهُودُ فِي تَرْجَمَةِ كُلٍّ مِنَ ابنِ بَاجَةَ وَأَيُّوبُ المَرْوَانِيِّ؛ فَقَالَ ليون الإفْرِيقِيُّ إِنَّ ابنَ بَاجَةَ يَنْحَدِرُ مِنْ أَصْلٍ يَهُودي.أَمَّا أَيُّوبُ المَرْوَانِيُّ فَقَدِ اتَّفَقَ حِينَ كَانَ فِي طَرِيقِهِ أَنْ أَكْرَمَهُ بَدَوِيٌّ نَزَلَ عِنْدَهُ وَقَدْ تَخَيَّلَ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ بَعْضِ مُلُوكِ المُلَثَّمِينَ أَوْ مِمَّنْ يَلُوذُ بِهِمْ،فَلَمَّا أَعْلَمَهُ غُلامُهُ أَنَّهُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ هَاجَ،وَأَخَذَ رُمْحَهُ وَحَلَفَ أَنْ لا يَبْقَى لَهُ فِي مَنْزِلٍ.فَقَالَ المَرْوَانِيُّ لِغُلامِهِ إِذَا سُئِلْتَ عَنِّي فَقُلْ إِنَّهُ مِنَ اليَهُودِ،فَإِنَّهُ أَمْشَى لِحَالِنَا(١).

٢ - رِسَالَةٌ مِنَ ابنِ الدَّبَّاغِ إِلَى ابنِ حَسْدَاي .

خَاطَبَ الوَزِيرُ أَبُو المُطَرِّفِ ابنِ الدَّبَّاغ(٢)جَمَاعَةً مِنْ إِخْوَانِهِ بِرِسَالَةٍ مِنْ وَادِي الزَّيْتُونِ(٣) وَصَفَ جَمَالَ المَكَانِ الذي يَكْتُبُ منه،بِقَوْلِهِ:"كِتَابِي هَذَا مِنْ وَادِي الزَّيْتُونِ،وَنَحْنُ فِيهِ مُحتَلُّونَ،بِبُقْعَةٍ اكْتَسَتْ مِنَ السُّنْدُسِ الأَخْضَرِ،وَتَجَلَّتْ بِأَنْوَاعِ الزَّهَرِ،وَتَخَايَلَتْ بِأَنْهَارٍ تَتَخَلَّلُهَا،وَأَشجارٍ تُظَلِّلُها، تَحْجِبُ أَدْوَاحُهَا الشَّمْسَ لالْتِفَافِهَا،وَتَأْذَنُ لِلنَّسِيمِ فَيَمِيلُ مِنْ أَعْطَافِهَا،وَمَا شِئْتُمْ مِنْ مَحَاسِنَ تَرُوقُ وَتُعْجِبُ، وَأَطْيَارٍ تَتَجَاوَبُ بِأَلْحَانٍ تُلْهِي وَتُطْرِبُ،فِي مِثْلِهِ يَعُودُ الزَّمَانُ كُلُّهُ صِبَا،وَتَجْرِي الحَيَاةُ عَلَى الأَمَلِ وَالمُنَى"(٤)،**ثُمَّ أَعْلَنَ ابنُ الدَّبَّاغِ أَنَّهُ تَوَقَّفَ عَنْ شُرْبِ الخَمْرِ**،فَقَالَ:"وَأَنَا–أَبْقَاكُمُ اللهُ– فِيهَا بِحَالِ مَنْ طَابَ غِذَاؤُهُ،وَحَسُنَ اسْتِمْرَاؤُهُ،وَصَحَا مِنْ جُنُونِ العُقَارِ،وَاسْتَرَاحَ مِنْ مَضَضِ الخُمَارِ(٥)وَزَايَلَتْهُ وَسَاوِسُهُ، وَخَلُصَتْ مِنَ الخُبَاطِ(٦)هَوَاجِسُهُ،لا أَبِيتُ بِلَيْلَةِ الشَّئِسِ(٧)وَلا أَقُومُ كَالذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ،بَلْ أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي(٨)نَوْمَ مَسْرُورٍ،وَأَنْتَبِهُ إِذَا انْتَبَهْتُ غَيْرَ مَذْعُورٍ،فَلْتَبْتَعِدْ بَعْدَهَا عَنِ الخَمْرِ،مَا بَقِيَ الدَّهْرُ،فَقَدْ طَلَّقْتُهَا ثَلاثًا،وَتَرَكْتُ الأَسْبَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا رِثَاثًا،وَللهِ الحَمْدُ عَلَى أَنْ خَلَّصَ مِنْ حَبَائِلِهَا،وَنَجَّى مِنْ غَوَائِلِهَا،وَسَلَّى مِنْ حَيْثُ كَانَ يُتَوَقَّعُ الكَرْبُ،وَلَقِيَ المَحْبُوبَ مِنْ حَيْثُ كَانَ يُخْشَى المَكْرُوهُ وَالخَطْبُ"(٩)،**ثُمَّ خَاطَبَ أَصْدِقَاءَهُ وَوَصَفَ شِدَّةَ تعلُّقِهِمْ بِالخَمْرِ** قَائِلاً:"وَأَنْتُم سَادَتِي

---

١ – انْظُرْ:ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٦٢/١ .

٢ – سَبَقَتْ تَرْجَمَتُهُ .

٣ – **وَادِي الزَّيْتُونِ**: لَمْ أَجِدْ تَعْرِيفًا لَهُ فِي مَعَاجِمِ البُلْدَانِ، وَورد هَذَا الاسْمُ مَرَّتَيْنِ فِي "تاريخ ابن خَلْدُونَ" وَفِي "الاستقصا" فِي الحَدِيثِ عن أخبار السُّلْطَانِ أَبِي عَنَان فِي بِلاد المَغْرِبِ، لكنْ جَاءَ فِي "الرَّوْضِ المِعْطارِ" فِي الكلامِ عن مَدِينَةِ إِفْرَاغَةَ غربي لاردَةَ فِي الأَنْدَلُسِ أَنَّهَا عَلَى نَهْرِ الزَّيْتُونِ، فَقَدْ يَكُونُ وَادِي الزَّيْتُونِ عَلَى هَذَا النَّهْرِ أو قربِهِ .

انْظُرْ:ابن خَلْدُونَ "**تَارِيخُهُ**" ٣٦٩/٧؛ الحِمْيَرِيّ "**الرَّوْض المِعْطَار**"ص٤٨؛ أَحْمَد الناصِرِيّ"**الاسْتِقْصا**" ١٦٥/٣ .

٤ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٢٨٢/١ .

٥ - الخُمَار: بقية السُّكر . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [خمر] ٢٥٥/٤ .

٦ – الخُباط: داء كَالجُنُونِ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [خبط] ٢٨٢/٧ .

٧ – الشِئسِ: القلق مِنْ مرض أو غم . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [شأس] ١١٠/٦ .

٨ - مُتَأَثِّرٌ بالمُتَنَبِّي [البسيط]: أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ . المُتَنَبِّي"**شَرْح دِيوَانه**" ٣٦٧/٣ .

٩ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٢٨٢/١ –٢٨٣ .

أخلاءُ النَّبيذِ،بَرِئْتُ مِنْكُم كَمَا بَرِئَ المَسِيحُ مِنَ اليَهُودِ،فَهَنِيئًا لَكُمْ تَنَفُّسُ أَنْفَاسِهَا،وَتَعَاطِي أَكْوَاسِهَا، فَلَسْتُ أُزَاحِمُكُمْ عَلَيْهَا بِمَنْكِبٍ،وَلا أُوَافِقُكُم فِيهَا عَلَى مَذْهَب،فَاطْلُبُوا لِحَثِّهَا الأَلْحَانَ،وَاخلَعُوا فِيهَا العُذْرَ وَالأَرْسَانَ[1]،وَتَعَرَّوْا فِي ثِيَابِ الوَقَارِ،وَارْكَبُوا رُؤُوسَكُم فِي هَتْكِ الأَسْتَارِ،وَمُوتُوا سُكْرًا،وَلا تَعْصُوا لِشَارِبِهَا أَمْرًا،وَاتَّخِذُوا الحَسَنَ[2]فِي دِينِهَا نَبِيًّا،وَاعْتَقِدُوهُ إِمَامًا مَرْضِيًّا،وَقُولُوا عَيْشُ الخَلاعَةِ عَيْشٌ رَقِيقٌ،وَلَذَّةُ النُّفُوسِ صَبُوحٌ وَغَبُوق،فَلَيْسَ لِقَوْلِكُمْ رَدٌّ،وَلا فِي غَيْرِ رَأْيِكُمْ رُشْدٌ،وَلا أَقْصَى اللهُ إلا مَنْ تَعَسَّفَ،وَلا أَبْعَدَ إلا مَنْ لامَ وَعَنَّفَ"[3]،**ثُمَّ تَخَيَّلَ ابنُ الدَّبَّاغِ حالَهُمْ حِينَ يَعْلَمُونَ قَرَارَهُ بِشَأْنِ الخَمْرِ وَتَوَقَّعَ ماذا سيفعلون لِيعُودَ عنهُ**،فَقَالَ:"وَكَأَنِّي بِكُمْ –أَبْقَاكُمُ اللهُ– إِذَا قَرَأْتُم أَحْرُفِي هَذِهِ تَسْتَذْكِرُونَ عَلَيْهَا عَهْدِي،وَتَشْرَبُونَ مِنْهَا كَأْسًا فِي وُدِّي،وَتَقُولُونَ:سَنَنْفُثُ فِي العُقَدِ،وَنَصْرِفُهُ عَنْ ذَلِكَ المُعْتَقَدِ.فَلا تَعْتَقِدُوا ذَلِكَ وَلا تَتَوَهَّمُوا أَنْ تَكِيدُونِي بِكَيْدٍ،وَلَوْ تَأَيَّدْتُم عَلَيْهِ بِأَشَدِّ أَيْدٍ،فَقَدِ اسْتَدْفَعْتُ بِرَبِّ النَّاسِ غَامِضَ شَرِّكُم،وَتَعَوَّذْتُ بِرَبِّ الفَلَقِ مِنْ نَافِثِ عُقَدِكُم،وَاللهُ وَلِيُّ الكِفَايَةِ بِفَضْلِهِ.شَارَكْتُكُمْ يَا سَادَتِي–أَعَزَّكُمُ اللهُ– نِعْمَةَ اللهِ المُتَجَدِّدَةَ قَبْلِي،وَأَعْلَمْتُكُمْ بِمَبْلَغِ سُرُورِي وَجَذَلِي،فَإِنْ كُنْتُم قَدْ خَصَّكُمْ مِنْهُ –جَلَّ وَعَزَّ– بِمِثْلِهَا عَرَّفْتُمُونِي [بِهَا] لِنَتَسَاوَى فِي الشُّكْرِ،وَإِنْ كُنْتُم عَلَى الحَالِ التِي تَرَكْتُكُمْ عَلَيْهَا مِنَ البَطَالَةِ،وَالتَّمَادِي فِي الضَّلالَةِ،فَأَعْفُونِي مِنْ جَوَابٍ بِصِفَتِهَا، فَلَسْتُ أَتَطَلَّعُ إِلَى مَعْرِفَتِهَا، وَأَنْتُم أَوْلِيَاؤُنَا إِنْ شَاءَ اللهُ"[4].

لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ مُرْسَلَةً إِلَى شَخْصٍ مُحَدَّدٍ،بَلْ وَجَّهَ ابنُ الدَّبَّاغِ خِطَابَهُ إِلَى مَجْمُوعَةٍ مِنْ أصدِقائِهِ وَلَمْ يُسَمِّهِم،ونَاداهم بصيغَةِ الجَمْعِ بِقَوْلِهِ:"أَبْقَاكُمُ اللهُ ... وَأَنْتُم سَادَتِي ... وَكَأَنِّي بِكُمْ –أَبْقَاكُمُ اللهُ– إِذَا قَرَأْتُم أَحْرُفِي ... شَارَكْتُكُمْ يَا سَادَتِي–أَعَزَّكُمُ اللهُ– ... وَأَنْتُم أَوْلِيَاؤُنَا" لكِنْ تَلاهَا فِي "الذَّخِيرَة" جَوَابٌ مِنَ الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ أَبِي الفَضْلِ بنِ حَسْدَاي لِذَا أَتَوَقَّعُ أَنَّ ابنَ الدَّبَّاغِ خَاطَبَ فِيهَا ابنَ حَسْدَاي،أَوْ أَنَّهُ أَهَمُّ المُخَاطَبِينَ فيها،إلا أَنَّهُ خَاطَبَهُ بِصِيغَةِ الجَمْعِ مَزِيدًا فِي التَّقْدِيرِ والتَّبْجِيلِ. وَيَظْهَرُ فِي االرِّسَالَةِ وَفِي رَدِّ الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ عَلَيْهَا دَورٌ كبيرٌ لليَهُودِ فِي تَرْوِيجِ الخَمْرِ وَتَهْيِئَةِ مَجَالِسِهَا.كَمَا تَظْهَرُ فِي الرِّسَالَةِ قُوَّةُ شَخْصِيَّةِ هَذَا اليَهُودِيِّ الذي يُشَجِّعُ شُرْبَ الخَمْرِ،وَيَسْتَهْزِئُ بِمَنْ يَتْرُكُهَا،وَيُصِرُّ عَلَى إِرْجَاعِهِ لِمَجَالِسِهَا عَلَنًا دُونَ أَنْ يَخْشَى أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ.

وَرَدَّ ابنُ حَسْدَاي فِعْلاً،وَكَمَا تَوَقَّعَ ابنُ الدَّبَّاغِ حَاوَلَ اليَهُودِيُّ أَنْ يُرْجِعَهُ عَنْ قرارِهِ بشَأْنِ الخَمْرِ،وَحَاوَلَ إِغْرَاءَهُ لارْتِيَادِ مَجَالِسِ الشَّرَابِ مُسْتَخِفًّا بِقَرَارِ الطَّلاقِ،وَمُسْتَهْزِئًا بِهِ[5].

---

[1] – اخلعُوا الأرسان: خَلُّوا سبيلكم فلا أحد يمنعكم مِمَّا تريدُونَ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [رسن] ١٣/ ١٨٠ .

٢ – الحسَن: هُوَ الحَسَنُ بنُ هَانِئ أَبُو نُوَاس .

٣ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/ ٢٨٣ .

[4] – نَفْسُهُ ق٣،م١/ ٢٨٣ – ٢٨٤ .

٥ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ق٣،م١/ ٢٨٤ – ٢٨٩ .

٣ - رِسَالَةٌ مِنَ المُنْفَتِلِ إِلَى ابْنِ نَغْرِيلَّةَ .

خَاطَبَ ابنُ خِيرَةَ القُرطُبِيُّ المُنْفَتِلُ إِسْمَاعِيلَ ابنَ نَغْرِيلَّةَ بِرِسَالَةٍ يُعْلِمُهُ فِيهَا بِعَزْمِهِ عَلَى الرَّحِيلِ،وَيَصِفُ سُوءَ حَالِهِ وَحَالِ مَجْمُوعَةِ نِسْوَةٍ رَآهُنَّ فِي سَفَرِهِ،قَالَ فِيهَا: "مَنْ فَهِمَ عَنِ الزَّمَانِ وَخُلُقِهِ،وَرقَّ فِي جَدِيدِهِ وَخَلَقِهِ،وَعَلِمَ أَنَّهُ يَسْتَأْصِلُ رَيْثَمَا يُوَاصِلُ،وَيَقْصِمُ غِبٌّ[1]مَا يَقْسِمُ،لَمْ يُبَالِ بِوَقْعِ سِلاحِهِ،وَلا اسْتَعَدَّ لِوَقْتِ اسْتِصْلاحِهِ،وَلمّا أَغَصَّنِي بِالرِّيقِ،وَحفَزَنِي بِالمَضِيقِ،وَلَمْ يَتْرُكْ هَمًّا إِلاَّ سَنَّى[2]عُقْدَهُ،وَلا نَظْمًا إِلا نَثَرَ عِقْدَهُ؛وَرَأَيْتُ الاسْتِحَالةَ فِي الحَالِ وَالعَيْلَةَ[3]فِي العِيَالِ،وَجَدًّا قَدْ جَدَّ،فَجَاءَ مِنَ المُصَلِّينَ،وَساهم فَكَانَ مِنَ المُدْحَضِينَ،هَيَّأْتُ رَاحِلةً وَأَثَاثًا،وَطَلَّقْتُ ابنَةَ الوَطَنِ ثَلاثًا، وَقُلْتُ إِمَّا أَنْ أَجِدَّ فَأَظْهَرَ،أَوْ أَمُوتَ فأُعْذَرَ[4]"؛فَكَمْ مِنْ حُرَّةٍ سَافِرَةِ القِنَاعِ،تَنْدُبُنِي مَوقتَ الوَدَاعِ، وَباكِيَةٍ يَوْمَ الرَّحِيلِ،بُكَاءَ الحَمَامِ عَلَى الهَدِيلِ؛فَقَدْ فَقَأْتُ عَيْنَ السُّرَى،بِأَرْبَعٍ كَقِدَاحِ السَّرا[5]، يَتَشَبَّثُونَ الآكَامَ،تَشَبُّثَ الخُصُومِ بِالأَحْكَامِ؛وَيَتَعَلَّقُونَ بِالمَطِيِّ تَعَلُّقَ الأَيْتَامِ بِالوَصِيِّ،إِلَى أَنْ أَخْضَلَتِ الدُّمُوعُ المَحَاجِرَ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ،وَجَعَلْتُ أُعَوذُهُنَّ بِالمَثَانِي،وَأَبْسُطُ لَهُنَّ الأَمَانِي" تَأَثَّرَ الكَاتِبُ لِحَالِ النِّسْوَةِ،وقرَّرَ مُسَاعَدَتَهُنَّ،**فَنَصَحَهُنَّ الاتِّصالَ بِابْنِ نَغْرِيلَّةَ**،بِقَوْلِهِ:"وَأَقُولُ:سَتَنْسَيْنَ هَذَا المَوْقِفَ،إِذَا اتَّصَلْتُنَّ بِإِسْمَاعِيلَ بنِ يُوسُفَ،فَتًى كَرُمَ خَالاً وَعَمًّا،وَشَرَحَ مِنَ المَجْدِ مَا كَانَ مُعمًّى، قُسًّا[6]فَصَاحَةً، وَكَعْبًا سَمَاحَةً،وَلُقْمَانَ عِلْمًا،وَالأَحْنَفَ حِلْمًا،أَكْرَمُ هِمَّةً مِنْ هَمَّام،وَأَعْظَمُ بَسْطَةً مِنْ بِسْطَام؛إِنْ خَاطَبَ أَوْجَزَ،وَإِنْ غَالَبَ أَعْجَزَ،أَوْ جَادَ أَجَادَ،أَوْ وَعَدَ أَعَادَ؛يَأْمُرُ وَيُمِيرُ[7]وَيَأْجُرُ وَيُجِيرُ،مَأْوَى السَّمَاحِ وَالضَّيْفِ وَرِحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ؛حَامِي الذِّمَارِ،بَعِيدُ المِضْمَارِ؛لا يَظْلِمُ نَقِيرًا،وَلا يُخَيِّبُ فَقِيرًا،يُحَافِظُ عَلَى صِلاتِهِ حِفْظَهُ لِصَلاتِهِ،وَيَحِنُّ إِلَى البَذْلِ،حَنِينَ الغَرِيبِ إِلَى الأَهْلِ[8]:[مجزوء الكامل]

---

[1] – يقصِم: يهلِكُ ؛ غِبّ الأَمْرِ: عاقبتُه وآخِرهُ . ابن مَنْظُور"لِسَان العَرَبِ" [قصم؛ غبب] ٤٨٦/١٢ ؛ ٦٣٤/١ .

[2] – سنَّى : رَفَعَ وزَادَ . ابن مَنْظُور"لِسَان العَرَبِ" [سنا] ٤٠٣/١٤ .

[3] – العَيْلَةَ: الفقر . ابن مَنْظُور"لِسَان العَرَبِ" [عيل] ٤٨٨/١١ .

٤ – مُتَأَثِّرٌ بامْرِئِ القَيْسِ [الطويل]: بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيْقَنَ أَنَّا لاحِقَانِ بِقَيْصَرَا

فقُلتُ لَهُ لا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نمُوت فَنُعْذَرَا امْرِؤ القَيْسِ "**دِيوَانُهُ**"ص ٩٥؛ الزَّوْزَنِيّ"**شَرْح المُعَلَّقَات السَّبْع**" ص١٠٧؛أبو الفرج الأَصْفَهَانِيّ"**الأَغَانِيّ**" ١٤٨/١٨؛ العَبَّاسِيّ"**مَعَاهِدُ التَّنْصِيص**" ١٢/١ .

[5] – السَّراء: مِنْ كِبار الشجر ينبت فِي الجبال وتُتَّخذ القِسِيُّ . ابن مَنْظُور"لِسَان العَرَبِ" [سري] ٣٨٠/١٤ .

وَهَذَا مأخوذ مِنْ زهير [الطويل]: ثلاثٌ كأَقواسِ السَّراءِ وَمَسْحَلٌ قَدِ اخضَرَّ مِنْ لَسِّ الغَمِيرِ جَحَافِلُهُ .

زهير بن أَبِي سلمي "**دِيوَانُهُ**" ص ٢٧ .

٦ – هُوَ: **قُسُّ بنُ سَاعِدَةَ الإِيادِيُّ**، مِنْ حُكَمَاءِ العَرَبِ وَمِنَ المَشْهُورِينِ بِالبَلاغَةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ علا عَلَى شَرَفٍ وَخَطَبَ عَلَيْهِ وَأَوَّلُ مَنْ اتَّكَأَ فِي خُطْبَتِهِ عَلَى سَيْفٍ أَوْ عَصَا ،وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ: "مِنْ فُلانٍ إِلَى فُلانٍ"، وَأول مَنْ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ". وَعُمِّرَ كَثِيرًا .

انْظُرْ : المَيْداني"**مَجْمَع الأَمْثَال**" ١٥٢/١ ؛الصَّفَدِيّ "**الوافي بالوَفَيَات**" ١٨٠/٢٤ .

[7] – يُمِير : يجلب الطعام . ابن مَنْظُور"لِسَان العَرَبِ" [مير] ١٨٨/٥ .

[8] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٦٢ – ٧٦٣ .

قَــرَنَ الفَضَــائِلَ وَالفَواضِــلْ فشَــأَى الأَوَاخِــرَ وَالأوَائِــلْ

هَــذَا ابــنُ يُوســفَ الــذِي وَرِثَ الفَضَــائِلَ عَـنْ فَوَاضِـلْ

...وَأكمَلَ القَصِيدَةَ[1]...فَحِينَ سَمِعُوا بِوَصْفِهِ الذِي هُوَ طَلِيعَةُ عُرْفِهِ،وَثِقُوا بِمَجْدِهِ،وَوَدَّعُونِي مُسْتَبْشِرِينَ، وَتَرَكْتُهُم مُنْتَظِرِينَ"[2].

تُظْهِرُ الرِّسَالَةُ سِعَةَ نُفُوذِ الوزيرِ اليَهُودِيِّ وَكَرَمِهِ فَكَانَ مَلاذًا للمُحْتَاجِينَ،كَمَا تُظْهِرُ الرِّسَالَةُ دَوَرَانَ المُنْقَتِلِ فِي فَلَكِ هَذَا الوَزِيرِ بِحَيْثُ يَبْدُو بُوقًا إِعْلامِيًّا يُرَدِّدُ صِفَاتِهِ،ومِنَ الوَاضِحِ أَنَّهُ يَطْمَعُ أَنْ يَنَالَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ مِنْ هَذَا المَذْكُورِ حِينَ يَعلَمُ أَنَّهُ يُرْسِلُ إِلَيْهِ المُحْتَاجِينَ،فَلَمْ تَكُنِ الرِّسَالَةُ رِسالَةً إِخْوَانِيَّةً عَادِيَّةً بِقَدْرِ مَا كَانَتْ مَدْحًا وَاضِحًا مِنْ طَامِعٍ بِعَطاء اليَهُودِيِّ،وَالأَبْيَاتُ فِيهَا تُؤَكِّدُ هَذَا .

٤ - جَوَابُ ابنِ هُودَ لابنِ حَسْدَايِ عِنْدَ فِرَارِهِ عَنْهُ.

أَرْسَلَ ابنُ هُودَ إِلَى ابْنِ حَسْدَايِ عِنْدَ فِرَارِهِ عَنْهُ الجَوَابَ التَّالِي:"سَيِّدِي وَأَجَلَّ عُدَدِي،وَأَسْنَى الذَّخَائِرِ عِنْدِي،وَأَزْكَى الفَوَائِدِ بِيَدِي،وَمَنْ أَبْقَاهُ اللهُ فِي أَتَمِّ نِعْمَةٍ،وَأَعَمِّ حُرْمَةٍ؛وَرَدَنِي كِتَابُكَ بِمَا أَوْدَعْتَهُ مِنْ صُورَةِ وِجْهَتِكَ وَمَمَرِّكَ،وَصِفَةِ مُسْتَوْطَنِكَ وَمُسْتَقَرِّكَ،وَعَرَفْتُ حَقِيقَةَ مَنْزَعِكَ[3]،فِي تَعَجُّلِكَ وَتَسَرُّعِكَ، وَمَا عَلِمْتُكَ-عَلَى مَعْلُومِ ذَكَائِكَ-يَذْهَبُ عَلَيْكَ السَّدَادُ فِي آرَائِكَ،وَلَكِنْ لا تَمْلِكُ عَنَانَكَ فِي اعْتِسَافِ[4]طُرُقِكَ،وَخَالِقُ خَلْقِكَ خَالِقُ خُلُقِكَ،وَكَانَ الأَشْبَهُ بِالجَمِيلِ أَنْ تُشْعِرَ بِإِزْماعِ الرَّحِيلِ،فتُوصَلَ وَتُشَيَّعَ،وَلا تُصَدُّ عَنْ غَرَضِكَ وَلا تُمْنَعُ،مُهِّدَتْ بِكَ الحَالُ هُنَالِكَ فَلَمْ تَبْرَحْ مَوْضِعَكَ،وَلا فَارَقْتَ مَأْلَفَكَ وَمَجْمَعَكَ،بِمَا يَقْتَضِيهِ انْتِظَامُ الجَانِبَيْنِ،وَالتِفَافُ الآفِقِينَ،وَكَيْفَمَا تَصَرَّفْتَ فَأَنْتَ الوَلِيُّ الحَمِيمُ،لا يُنْكَرُ وُدُّكَ،وَلا يُخْفَرُ عَهْدُكَ،وَاللهُ يُلَقِّيكَ كُلَّ خَيْرٍ،وَيُجْنِيكَ ثَمَرَ الغِبْطَةِ فِي كُلِّ مَقَامٍ وَسَيْرٍ "[5] .

٥ - رِسَالَةُ أَبِي الرَّبِيعِ القُضَاعِيِّ إِلَى يُوسُفَ الإِسْلامِيِّ مُعَاتِبًا.

جاءَ فِي "الذَّخِيرَة" فَصْلٌ مِنْ رُقْعَةٍ لأَبِي الرَّبِيعِ سُلَيْمانَ القُضَاعِيِّ خَاطَبَ بِهَا يُوسُفَ الإِسْلامِيِّ، وَقَدْ طَلَبَ مِنْهُ آلَةَ نَجَّارٍ خَدَمَ عِنْدَهُ، فَوَجَّهَ بِهَا حَاشَا المِنْشَارَ[6]،مِنْهَا:"مَنْ دَخَلَ فِي مِلَّةٍ التَزَمَهَا، وَلَيْسَ مِنْ شَرِيعَةِ هَذَا الدِّينِ مَنْعُ المَاعُونِ،وَمِنْ تَمَامِ الإِسْلامِ حِفْظُ الجِوَارِ وَرِعَايَةُ الذِّمَامِ،وَمِنْ

---

١ - ابن بَسَّامٍ "الذَّخِيرَة" ق١،م٧٦٢/٢،والقَصِيدَةُ سَبَقَتِ الإشارةُ إِلَيْهَا فِي المَدْحِ، وَهِيَ مُثْبَتَةٌ فِي المَلاحِقِ .

٢ - نَفْسُهُ ق١،م٧٦١/٢ - ٧٦٢ .

٣ - مَنْزَعَكَ: رأيك وتدبيرك . ابن مَنْظُور "لِسَان العَرَب" [نزع] ٨/ ٣٥٢ .

٤ - اعْتسف الطريقَ: إِذَا قَطَعَه دُونَ صوْب تَوَخّاه فأَصابه . ابن مَنْظُور "لِسَان العَرَب" [عسف] ٢٤٥/٩ .

٥ - ابن بَسَّامٍ "الذَّخِيرَة" ق٣،م١ /٤٩٤ .

٦ - المِئْشَارُ : هُوَ المِنْشَارُ . ابن مَنْظُور "لِسَان العَرَب" [أشر] ٢١/٤ .

أَحْسَنِ الإِحْسَانِ قَضَاءُ لُبَانَاتِ الإِخْوَانِ،...،وَمَا تُعْزَى إِلَى بُخْلٍ وَأَنْتَ أَسْمَحُ مِنْ لافِظَةَ[1]،وَلا تُبَصَّرُ مِنْ جَهْلٍ وَأَنْتَ قُطْبُ العُلُومِ الثَّاقِبَةِ،وَقَدْ أَنْكَرْتَ أَشَدَّ الإِنْكَارِ بُخْلَكَ بِالمِنْشَارِ،وَأَعْمَلْتُ الفِكْرَةَ فِي النَّظَرِ إِلَى بُعْدِ مَرَامِيكَ،وَالبَحْثِ عَنْ غُمُوضِ مَعَانِيكَ،فَلاحَتْ لِي دَرِيئَةُ[2]مَرْمَاكَ،وَأَشْرَفْتُ مُطِلاً عَلَى مَغْزَاكَ،وَحَدَسْتُ بَعْدَ تَسْدِيدِ سِهَامِ التَّوَهُّمِ،وَرَمَيْتُ عَنْ قِسِيِّ التَّفَهُّمِ أَنَّ عِلَّةَ ضَنَانَتِكَ بِهِ مِنْ أَجْلِ مَا مَرَّ بِبَالِكَ ذِكْرُ الشَّجَرَةِ التِي أُشِرَتْ وَفِيهَا يَحْيَى بنُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلامُ،فَتَحَرَّجْتَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ حَرِيمِكَ آلَةً كَانَتْ فِيمَا مَضَى سَبَبًا إِلَى حَدَثٍ مَشْئُومٍ بِسَفْكِ دَمِ نَبِيٍّ كَرِيمٍ،وَلَوْ لَمَحْتَ وَجْهَ مَطْلَبِي بِنَاظِرِ تَأَمُّلِكَ لَعَلِمْتَ،وَمَا أَظُنُّكَ جَهِلْتَ أَنَّ الخَشَبَةَ التِي أَحْبَبْتَ أَنْ تُؤْشَرَ عِنْدِي لَمْ يَكُنْ فِيهَا حَيَوَانٌ غَيْرُ الأَرْضَةِ التِي أَكَلَتْ مِنْسَأَةَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ.... "[3].

ذَكَرَ رِيَاض قُرَيْحَة أَنَّ يُوسُفَ الإِسْلامِيَّ ابنُ الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ؛ أَبِي الفَضْلِ بنِ حَسْدَاي[4] وَأَشَارَ قُرَيْحَة إِلَى أَنَّ القُضَاعِيَّ اتَّخَذَ مِنْ عَدَمِ إِرْسَالِ المِنْشَارِ لَهُ ذَرِيعَةً لِيَكْتُبَ لِليَهُودِيِّ تِلْكَ الرُّقْعَةَ التِي تَبْدُو كَأَنَّهَا مُدَاعَبَةُ صَدِيقٍ لِصَدِيقِهِ،وَأَضَافَ أَنَّ أَيَّ قِرَاءَةٍ مُتَأَنِّيَةٍ لَهَا تُبْدِي أُمُورًا خَطِيرَةً وَصِرَاعًا خَفِيًّا وَتَنَاقُضًا اجْتِمَاعِيًّا؛فَالكَاتِبُ يُشِيرُ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ إِلَى اعْتِنَاقِ صَاحِبِهِ الإِسْلامَ، وعدَمِ الْتِزَامِهِ بِالشَّرِيعَةِ التِي ارْتَضَاها، فكَأَنَّهُ يُشَكِّكُ فِي صِحَّةِ إِسْلامِهِ،وَلا يَكْتَفِي بِذَلِكَ بَلْ يُلَمِّحُ إِلَى مَا فَعَلَهُ اليَهُودُ بِالنَّبِيِّ زَكَرِيَّا،إِذْ قَتَلُوهُ نَشْرًا بِالمِنْشَارِ وَهُوَ مُثْبَتٌ عَلَى شَجَرَةٍ،وفِي هَذَا الكَلامِ إِدَانَةٌ لَهُمْ بِقَتْلِهِمْ أَنْبِيَاءَ الله، ثُمَّ يَنْهِي كَلامَهُ فِيهَا بِتَهَكُّمٍ آخرَ فيُؤَكِّدُ لِصَاحِبِهِ أَنَّهُ كَانَ يَرْغَبُ فِي نَشْرِ خَشَبَةٍ فِيهَا الأَرَضَةُ التِي أَكَلَتْ عَصَا النَّبِيِّ سُلَيْمَانَ مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنْبِيائِهِم[5].

٦ - رِسَالَةُ ابنِ حَزْمٍ إِلَى ابنِ نَغْرِيلَّةَ .

كَتَبَ ابنُ حَزْمٍ رِسَالَةً طَوِيلَةً يَرُدُّ فِيهَا عَلَى الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ ابنِ نَغْرِيلَّة،سَأَتحدَّثُ عَنْهَا لاحِقًا فِي الحَدِيثِ عن ابنِ حَزْمٍ وهِي مُثْبَتَةٌ فِي المَلاحِقِ كَذَلِكَ[6].

ثَانِيًا:- سِمَاتٌ؛ عَامَّةٌ لِرَسَائِلِ العَرَبِ إِلَى اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ.

لَمْ أَجِدْ فِي الرَّسَائِلِ السَّابِقَةِ شَيْئًا جَدِيدًا خَاصًّا بِاليَهُودِ،**وَمَوَاضِيعُهَا مَطْرُوقَةٌ**؛فَالرِّسَالَةُ الأولى مِنْ أَيُّوبَ المَرْوَانِيِّ إِلَى ابنِ شَمْعُونَ اليَهُودِيِّ كَانَتْ قَصِيرَةً تَلَطَّفَ كَاتِبُهَا كَثِيرًا فِي دَعْوَةِ اليَهُودِيِّ

---

١ – مِنَ المَثَلِ: "أسمح مِنْ لافظة" ، وَاللافِظَة: هي الرَّحى سُمِّيَتْ بذَلِكَ لأَنها تَلْفُظُ مَا تَطْحَنُهُ .

انْظُرْ: أبو هلال العَسْكَري "**جَمْهَرَةَ الأَمْثَالِ**" ٥٣١/١؛ ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [لفظ] ٤٦١/٧ .

٢ – الدريئة : كل مَا استتر . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [درأ] ٧٤/١ .

٣ – انْظُرْ الرِّسَالَةَ فِي : ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/ ٤٩٩– ٥٠٥ ، وهِي مثبَتَةٌ فِي مَلاحِقِ البَحْثِ .

٤ – انْظُرْ: رِيَاض قُرَيْحَة "**الفكَاهَةُ فِي الأَدَبِ الأَنْدَلُسِيِّ**" ص ١١٤ .

٥ – انْظُرْ: نَفْسُهُ " ص ١١٥ .

٦ – انْظُرْ: ابن حَزْمٍ "**رَسَائِلُهُ**" ؛"رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ النَّغْرِيلّة اليَهُودِيِّ" ٤١/٣ – ٧٠، وَهِيَ مُثْبَتَةٌ فِي المَلاحِقِ .

إِلَى مُشَارَكَتِهِ الخَمْر دُونَ إِطالةٍ فِي التَّقْدِيمِ أَوِ الخَاتِمَةِ،بَلْ دَارَتْ حَوْلَ الدَعْوَةِ فَحَسْبُ وَأَثَرِ الصَّدَاقَةِ، مُضَمِّنًا الرِّسَالَة ثَلاثَةَ أبْيَاتٍ مِنَ الشِّعْرِ.وَفِي الثَّانِيَةِ:خَاطَبَ ابنُ الدَّبَّاغِ ابنَ حَسْدَاي وَجَمَاعَةً مِنْ إِخْوَانِهِ،قَدَّمَ لَهَا بِمُقَدِّمَةٍ طَوِيلَةٍ وَصَفَ فِيهَا جَمالَ المَكَانِ الذي يُقِيمُ بِهِ،ثُمَّ أَعْلَنَ ابنُ الدَّبَّاغِ أَنَّهُ تَوَقَّفَ عَنْ شُرْبِ الخَمْرِ،فَخاطَبَ أصدِقاءَهُ وَوَصَفَ شِدَّةَ تعلُّقِهِم بِالخمرِ،وَتَخَيَّلَ حالَهُمْ حِينَ يَعْلَمُونَ قَرارَهُ بِشَأْنِ الخَمْرِ وَتَوَقَّعَ مَاذَا سَيَفْعَلُونَ لِيعُودَ عنْ قرارهِ تَرْكِ الخَمْرِ،وَأَنْهَاهَا بِجُمْلَةِ دُعَاءٍ لَهُمْ.وفي الثَّالِثَةِ: يُخَاطِبُ المُنْفَتِلُ إِسْمَاعِيلَ ابنَ نَغْرِيلَّةَ وَيُعْلِمُهُ فِيهَا بِعَزْمِهِ عَلَى الرَّحِيلِ،بَدَأَهَا بِالحَدِيثِ عَنْ سُوءِ حَالِهِ لِيَنْتَقِلَ إِلَى الحَدِيثِ عن مَجْمُوعَةِ نِسْوَةٍ رَآهُنَّ فِي سَفرِهِ،وتَأَثَّرَ بِسُوءِ حالِهِنَّ،وَقَرَّرَ مُسَاعَدَتَهُنَّ، فَنَصَحَهُنَّ الاتِّصالَ بِابْنِ نَغْرِيلَّةَ وَعَدَّدَ لَهُنَّ صِفاتِ هَذَا الوَزِيرِ،وَأَنْهَاهَا بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْ نَظْمِهِ يَمْدَحُ هَذَا الوزيرِ.وَالرِّسَالَةُ الرَّابِعَةُ:جَوَابُ ابنِ هُودَ لابنِ حَسْدَاي عِنْدَ فِرَارِهِ عَنْهُ،جَاءَتْ قَصِيرَةً بِلا مُقَدِّمَةٍ طَوِيلَةٍ أَوْ خَاتِمَةٍ،رَكَّزَتِ الرِّسَالَةُ حَوْلَ مَوْضُوعِ سَفَرِهِ،وَأَنْهَاهَا بِجُمْلَةِ دُعَاءٍ لِلمُخَاطَبِ، وَالخَامِسَةُ:كَانَتْ مُدَاعَبَةً بَيْنَ صَدِيقَيْنِ وَإِنْ حَمَلَتْ مَعْنَى التَّهَكُّمِ بِاليَهُودِ.

أَمَّا رِسَالَةُ ابنِ حَزْمٍ إِلى ابنِ نَغْرِيلَّةَ،وَهِيَ أَطْوَلُ هَذِهِ الرَّسَائِلِ،فَتتضَمَّنُ أَرْبَعًا وسِتِّينَ فِقْرَة، يَرُدُّ فِيهَا ابنُ حَزْمٍ عَلَى مَزَاعِمِ ابنِ نَغْرِيلَّةَ الذِي أَلَّفَ كِتَابًا قَصَدَ فيهِ،بِزَعْمِهِ،إِلَى إِبَانَةِ تَنَاقُضِ كَلامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي القُرْآنِ،بَدَأَهَا ابنُ حَزْمٍ بِحَمْدِ اللهِ وَالدُّعَاءِ،وَمَهَّدَ لِمَوْضُوعِهَا بِأَبْيَاتٍ شِعْرِيَّةٍ تُشِيرُ إِلَى ضَرُورَةِ الاهْتِمَامِ بِصِغَارِ الأُمُورِ مَهْمَا كَانَتْ،لِيَتَحَدَّثَ عن هَذَا الوزيرِ المُخاطبِ الذي تَقَلَّى قَلْبُهُ لِلعَدَاوَةِ لِلإِسْلامِ وَأَهْلِهِ،وذُوِّبَتْ كَبِدُهُ بِبُغْضِهِ الرَّسُولَ ﷺ فَتَطَاوَلَ عَلَى الإِسْلامِ،وَتَنْقَسِمُ الرِّسَالَةُ إِلَى قِسْمَيْنِ، الأَوَّلُ مِنْهُمَا يَتَحَدَّثُ عَنِ المُشْكِلاتِ التِي أَثَارَهَا ابنُ نَغْرِيلَّةَ وَرَدِّ ابنِ حَزْمٍ عَلَى كُلٍّ مِنْهَا، وَهَذِهِ قَسَّمَهَا ابنُ حَزْمٍ إِلَى ثَمانِيةِ فُصُولٍ جاءَتْ فِي ثَلاثٍ وثَلاثِينَ فِقْرَة،وَالقِسْمُ الثَّانِي مِنَ الرِّسَالَةِ نَاقَشَ فِيهِ ابْنُ حَزْمٍ مَا أَسْمَاهُ "الطَّوَام" وَهِيَ السَّخَافَاتِ أَوِ التَّنَاقُضَاتِ التِي وَرَدَتْ فِي كُتُبِ اليَهُودِ، وَأَطَالَ ابنُ حَزْمٍ التَّفْصِيلَ وَالرَّدَّ وَاسْتَدَلَّ عَلَى أَقْوَالِهِ بِكَثِيرٍ مِنَ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ،وَفِقْرَاتٍ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَفِي الخِتَامِ اعْتَذَرَ ابنُ حَزْمٍ عَنْ إِيرادِ شَنَعِهِم التِي تَقْشَعِرُّ مِنْهَا الجُلُودُ،وَذَكَرَ أَنَّهُ اسْتَجَازَ ذِكْرَهَا اقْتِداءً بِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَيَانِ كُفْرِهِمْ.

وَمُخَاطَبَةُ اليَهُودِ فِي هَذِهِ الرَّسَائِلِ أَشْبَهَتْ مُخَاطَبَةَ العَرَبِ؛فَعَلَى سَبِيلِ المِثَالِ فِي رِسَالَةِ ابنِ الدَّبَّاغِ لابنِ حَسْدَاي رَكَّزَ فِي مَدْحِهِ عَلَى مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ المُخَاطَبُ مِنَ الصِّفَاتِ الحَمِيدَةِ وَالأَخْلاقِ الفَاضِلَةِ التِي تَعَوَّدَ الأُدَبَاءُ التَّرْكِيزَ عَلَيْهَا فِي رَسَائِلِهِم،وَافْتَتَحَ رِسَالَتَهُ بِالإِشَادَةِ بفضائلِ المُخَاطَبِ، وَتَغَنَّى بِمَحَاسِنِهِ،وَبَالَغَ فِي ذَلِكَ مُبَالَغَةً كَبِيرَةً،ولَمْ يكتفِ الشَّاعِرُ بِمَا جاءَ فِي نَثْرِهِ الذي كَانَ فِيمَا يبدُو مُوَجَّهًا لِجَمَاعَةٍ مِنَ النِّسْوَةِ كُنَّ بِحَاجَةٍ للمَعُونَةِ فِي أَمْرٍ مَا،بَلْ ضَمَّنَ رِسَالَتَهُ مَجْموعَةً كبيرَةً مِنَ الأَبْيَاتِ دارتْ حَوْلَ المعاني نَفْسِهَا،وَهَذَا لَيسَ جَدِيدًا،وَالجَدِيدُ أَنَّ المُخَاطَبَ يَهُودِيٌّ.

أَمَّا بالنسبَةِ لأهمِّ سِمَاتِ هَذِهِ الرَّسائِلِ فَأُسَجِّلُ المُلاحَظَاتِ التَّالِيَةَ :

أولُ المُلاحَظَاتِ **قِصَرُهَا بِالنِّسبَةِ إِلَى مُعْظَمِ الرَّسَائِلِ** التِي كَانَتْ تَدُورُ مِنْ وَإِلَى العرَبِ فِي الأَنْدَلُسِ؛منهَا مَثَلاً رَسَائِلُ ابنِ شُهَيْدٍ[١]أو ابنِ زَيْدُونَ[٢]المُعَاصِرَينِ لِلْمَذكُورينَ،وكَذَلِكَ رَسَائِلُ المُتَأَخِّرِينَ كَابنِ الخَطِيبِ وَغَيْرِهِ[٣]باسْتِثْنَاءِ الرِّسَالَةِ المُطَوَّلَةِ لابْنِ حَزْمٍ.

وَالمُلاحَظَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ **اللُّطْفُ الشَّدِيدُ والتَّأَدُّبُ فِي مُخاطَبَةِ اليَهُودِ** وَاحْتِرَامُهُم وَالسَّعْيُ إِلَى القُرْبِ مِنْهُمْ،فلا يُوجَدُ فَرْقٌ وَاضِحٌ بَيْنَ أيِّ رِسَالَةٍ مُوَجَّهَةٍ للعَرَبِ وهَذِهِ المُوَجَّهَةُ إِلَى اليَهُودِ؛ بِاسْتِثْنَاءِ رِسَالَةِ ابْنِ حَزْمٍ وَالقُضَاعِيِّ؛فَالمَرْوانِيُّ يَبْدَأُ رِسَالَتَهُ بالقَوْلِ إِنَّ ابنَ شَمْعُونَ اليَهُودِيِّ مِنْ أَبناءِ جِنْسِهِ،وفي هَذَا تَقْدِيرٌ لَهُ ولُطْفٌ فِي مُخاطبَتِهِ،وَيَطْلُبُ مِنَ اللهِ أَنْ يَصِلَ إِخَاءَهُ وَيَحْفَظَهُ،وَقَالَ إِنَّهُ لَمْ يَرَ مُعِينًا لَهُ عَلَى حَالِهِ إلا حُسْنَ نَظَرِ هَذَا اليَهُودِيِّ[٤].وَيَتَأَدَّبُ ابنُ الدَّبَّاغِ فِي مُخاطَبَةِ اليَهُودِيِّ بالدُّعاءِ لَهُ وَلأَصْحَابِهِ،وَباسْتِخْدامِ صِيغَةِ الجَمْعِ زِيَادَةً فِي الأَدَبِ مَعَ اليَهُودِيِّ بِقَوْلِهِ "أَبْقَاكُمُ اللهُ وَأَعَزَّكُمُ اللهُ"،وَبِقَوْلِهِ:"وَأَنْتُم سَادَتِي أَخِلاءُ النَّبِيذِ"،وَ"شَارَكْتُكُمْ يَا سَادَتِي"،وَاعتبرَهُ كَذَلِكَ مِنْ أَوْلِيائِهِ حِينَ خَتَمَ النصَّ المُخْتَارَ بِقَوْلِهِ:وَأَنْتُم أَوْلِيَاؤُنَا[٥].

وَالمُنْفَتِلُ يَرَى ابنَ نَغْرِيلَّةَ،نَمُوذَجًا مِثَالِيًّا تتَرَكَّزُ فِيهِ طُمُوحاتُ أيِّ عَرَبِيٍّ؛فَقَدْ "شَرَحَ مِنَ المَجْدِ مَا كَانَ مُعمًّى،قُسًّا فَصَاحَةً،وَكَعْبًا سَمَاحَةً،وَلُقْمَانَ عِلْمًا،وَالأَحْنَفَ حِلْمًا،أَكْرَمُ هِمَّةً مِنْ هَمَّامٍ"[٦]. وَحَتَّى فِي رِسَالَةِ العِتَابِ مِنْ أَبِي الرَّبِيعِ القُضَاعِيِّ إِلَى يُوسُفَ الإِسْلامِيِّ كَانَتِ المُخَاطَبَةُ هَادِئَةً والاسْتِهْزَاءُ واللمْزُ بِاليَهُودِ فيهَا جاءَ مُبَطَّنًا تَحْتَ مُعَاتَبَةِ أُخَوِيَّةِ الهَدَفُ مِنْهَا مُدَاعَبَةُ صَدِيقٍ .

وَالمُلاحَظَةُ الثَّالِثَةُ هِيَ **الاهْتِمَامُ بِتَضْمِينِ الشِّعْرِ فِيهَا أَوْ ظُهُورُ أَثَرٍ وَاضِحٍ للشِّعْرِ فِيهَا كَعَادَةِ كُتَّابِ الرَّسَائِلِ العَرَبِ**؛فَمُعْظَمُهَا احْتَوَتْ أَبْيَاتًا لَيْسَتْ قَلِيلَةً مِنَ الشِّعْرِ،أَسْتَثْنِي مِنْهَا رِسَالَةَ ابنِ الدَّبَّاغِ التِي لَمْ تتَضَمَّنْ شِعْرًا لكِنْ ظَهَرَ أَثَرُهُ فِيهَا،فَتَأَثَّرَ بِامْرِئِ القَيْسِ بِقَوْلِهِ "أَوْ أَمُوتَ فَأُعْذَرَ"؛وفي المُتَنَبِّي بِقَوْلِهِ "بَلْ أَنَامُ مِلءَ جُفُونِي"،وَعَنَى أَبَا نُوَاس بِقَوْلِهِ "وَاتَّخَذُوا الحَسَنَ فِي دِينِهَا نَبِيًّا".وَكَذَلِكَ ظَهَرَ **تَأَثُّرُهم بالأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ**،وهَذَا وَاضِحٌ فِي رِسَالَةِ القُضَاعِيِّ بِكَثْرَةِ الأَمْثَالِ فِيهَا .

وَالمُلاحَظَةُ الرَّابِعَةُ **التَّأَثُّرُ الوَاضِحُ بِالمَوْرُوثِ الدِّينِيِّ وبِالأَخَصِّ القُرْآنِ**؛فابنُ الدَّبَّاغِ لا يَقُومُ "كَالذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ[٧]"،وَأصدقَاؤُهُ سَيَكِيدُونَ لَه وسَيَقُولونَ"سَنَنْفُثُ فِي

---

[١] – انْظُر عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ رِسَالَتَهُ إِلَى المُؤْتَمِنِ عَبْدِ العَزِيزِ بن أَبِي عامِرٍ (ت:٤٥٢هـ): ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م١/١٩٣– ١٩٧ .

[٢] – انْظُر عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ رِسَالَتَهُ إِلَى ابنِ جَهْوَرٍ : نَفْسُهُ ق١،م١/٣٤٠– ٣٤٧ .

[٣] – انْظُرْ : المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٩/١٠١–١٤٣ .

[٤] - انْظُرْ : نَفْسُهُ ٥/٧٦ .

[٥] – انْظُرْ : ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٢٨٢ – ٢٨٤ .

[٦] – نَفْسُهُ ق١،م٢/٧٦٢ – ٧٦٣ .

[٧] – مُتَأَثِّرٌ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ **سُورَة البَقَرَةِ**، آية ٢٧٥ .

العُقدِ[1]"،وَ"وَتعَوَّذتُ بِرَبِّ الفَلَقِ[2]مِنْ نَافِثِ عُقدِكُم[3]".وَالمُنْقَتِلُ "سَاهَمَ فَكَانَ مِنَ المُدْحَضِينَ[4]"،وَ"بَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ[5]"وَذَكَرَ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ[6]؛وَالقُضَاعِيُّ ذكرَ شَجَرَةَ يَحْيَى بنُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلامُ،وَتَذَكَّرَ كَيْفَ اقْتَبَسَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ نَارًا فَأَقْبِسَ أَنْوَارًا،واقْتَبَسَ قَوْلَ الصِّدِّيقِ "لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً لَجَاهَدْتُهُمْ عَلَيْهِ"،وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْلِهِ تعَالَى:(وَمِنْ أَصْوَافِهَا

وَجَاءَتْ رِسَالَةُ ابنِ حَزْمٍ رَدًّا عَلَى مَنْ تَطَاوَلَ عَلَى المَوْرُوثِ الدِّينِيِّ فَأَلَّفَ كِتَابًا قَصَدَ فِيهِ-بِزَعْمِهِ- إِبَانَةَ تَنَاقُضِ القُرْآنِ،فَمُلِئَتْ الرِّسَالَةُ بِكثيرٍ مِنْ آياتِ القُرْآنِ الكَرِيمِ؛ففي الفَصْلِ الأولِ يَقُولُ:"فَكَانَ أَوَّلَ مَا اعْتَرَضَ بِهِ هَذَا الزِّنْدِيقِ المُسْتَتِرِ بِاليَهُودِيَّةِ عَلَى القُرْآنِ بِزَعْمِهِ أَنْ ذَكَرَ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ:(وإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدَ اللهِ ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ)[7]قَالَ هَذَا المَائِقُ الجَاهِلُ: فَأَنْكَرَ فِي هَذِهِ الآيَةِ تَقْسِيمَ القَائِلِينَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ عِنْدَ اللهِ،وَمَا أَصَابَهُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ عِنْدَ مُحَمَّدٍ،وَأَخْبَرَ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدَ اللهِ؛قَالَ:ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ هَذِهِ الآيَةِ:(مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ)[8]قَالَ هَذَا الزِّنْدِيقُ الجَاهِلُ:فَعَادَ مُصَوِّبًا لِقَوْلِهِمْ وَمُضَادًا لِمَا قَدَّمَ"[9].

وَالمُلاحَظَةُ الأَخِيرَةُ **أَنَّ بَعْضَ اليَهُودِ كَانُوا عَلَى مُسْتَوى عَالٍ فِي فَهْمِ الأَدَبِ**؛فالوَاضِحُ أَنَّهُم كَانُوا يُتْقِنُونَ العَرَبِيَّةَ،لَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ بَلْ كَانُوا عَلَى مُسْتَوى عَالٍ فِي فَهْمِ الأَدَبِ وتَذَوُّقِهِ.فالاهتمامُ الواضحُ بِاللُّغَةِ والأسلُوبِ عِنْدَ كَاتِبِي هَذِهِ الرَّسَائِلِ المُتَمَثِّلِ فِي إحكامِ الصِّيَاغَةِ وَتَخَيُّرِ الأَلفَاظِ الجَزِلَةِ القَوِيَّةِ يَدُلُّ عَلَى هَذَا، كَمَا أَنَّ رُدُودَ المُخَاطَبِينَ اليَهُودِ عَلَيْهَا تؤكِّدُ هَذَا .

---

[1] - مُتَأَثِّرٌ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ **سُورَةِ الفَلَقِ**، آية ٤ .

[2] - مُتَأَثِّرٌ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ **سُورَةِ الفَلَقِ**، آية١ .

[3] - ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَةُ**" ق٣،م١/٢٨٢ – ٢٨٤ .

[4] - مُتَأَثِّرٌ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ **سُورَةِ الصَّافَّاتِ**، آيَة ١٤١ .

[5] - مُتَأَثِّرٌ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ **سُورَةِ الأَحْزَابِ**، آيَة ١٠ .

[6] - مُتَأَثِّرٌ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ* إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ **سُورَةِ قُرَيْشٍ**، آيَة ١ –٢ .

[7] - **سُورَةِ النِّسَاءِ**، آية ٧٨ .

[8] - **سُورَةِ النِّسَاءِ**، آية ٧٩ .

[9] - ابن حَزْمٍ "**رَسَائِلُهُ**" ؛"رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ النَّغْرِيلَةِ اليَهُودِيِّ" ٤٣/٣ .

القِسْمُ الثَّانِي : رَسَائِلُ مِنَ اليَهُودِ إِلَى العَرَبِ.

لَمْ تَأْتِ فِي المَصَادِرِ إِشَارَةٌ إِلَى رَسَائِلَ لِليَهودِ سِوَى مَا جاءَ مِنْ مُخْتَارَاتٍ مِنْ فُصُولٍ عَدِيدَةٍ مِنْ رَسَائِلِ ابنِ حَسْدَاي، لِذَا سأتَحَدَّثُ عَنْ رَسَائِلِهِ لِتَكُونَ مِثَالاً عَلَى رَسَائِلِ اليَهُودِ.

١ـ رَسَائِلُ ابنِ حَسْدَاي .

انتَخَبَ ابنُ بَسَّامٍ فِي "الذَّخِيرَة" خَمْسَ عَشْرَةَ رِسَالَةً أو فَصْلاً مِنْ رَسَائِلِ ابْنِ حَسْدَاي، سَأَضَعُهَا كَامِلَةً فِي المَلاحِقِ، وَجاءَ فَصْلٌ صَغِيرٌ مِنْ رِسَالَةٍ لَهُ فِي "المُغْرِب".

وَرَسَائِلُ ابنُ حَسْدَاي نَوْعَانِ:**الأَوَّلُ مِنْهَا كَتَبَهُ عَنْ نَفْسِهِ**،وَالثَّانِي كَتَبَه عنْ أَحَدِهِمْ أوْ بِلِسَانِهِ. وَعَلَى النَّوْعِ الأَوَّلِ جَاءَتْ سبْعُ مُنْتَخَباتٍ فِي "الذَّخِيرَةِ"؛الأُولَى إِلَى ابنِ رَزِينٍ: بِشَأْنِ عَبْدٍ أَبَقَ عَنْهُ. وَالثَّانِيَة إِلَى المُسْتَعِينِ:يَعْتَذِرُ عَنْ خُرُوجِهِ عَنْهُ وَيَطْلُبُ الصَّفْحَ.وَالثَّالِثَة إِلَى أَحَدِهِمْ:يَطْلُبُ السَّمَاحَ لَهُ بِالإِقَامَةِ عِنْدَهُ وَأَنْ يُمَهِّدَ مَنْزِلاً لَهُ.وَالرَّابِعَة إِلَى أَحَدِهِمْ: يُثْنِي عَلَيْهِ رُغْمَ بُعْدِهِ.وَالخَامِسَة إِلَى أَحَدِهِمْ: يخبِرُهُ أنَّهُ مُزْمِعٌ عَلَى الرَّحِيلِ مِنْ مُرْسِيَةَ.وَالسَّادِسَة إِلَى أَبِي بكْرِ بنِ عَمَّارٍ:عِنَايَةً بابنِ الحَدَّادِ. وَالسَّابِعَة إِلَى المُقْتَدِرِ:على لِسَانِ النَّرْجِسِ.يُلاحَظُ عَلَى هَذِهِ الرَّسَائِلِ أَنَّهَا تندَرِجُ تحتَ مُسَمَّى الرَّسَائِلِ الدِّيوانيةِ حَتَّى الأَخِيرَةِ التِي كَتَبَهَا عَلَى لِسَانِ النَّرْجِسِ؛فهي مُوَجَّهَةٌ إِلَى مَنِ استَخْدَمَهُ،فَجَمَعَتْ بين الرِّسَالَةِ الدِّيوانيَّةِ والرِّسَالَةِ الأَدَبِيَّةِ إِنْ جَازَ القولُ بأَنَّهَا مِنَ الرَّسَائِلِ الأَدَبِيَّةِ.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي الذِي كَتَبَهُ عَنْ أَحَدِهِمْ أوْ بِلِسَانِهِ ثَمَانِي رَسَائِلَ،الأُولَى عَنِ المُؤْتَمِنِ إِلَى ابنِ طَاهِرٍ يَطْلُبُ مِنْهُ مُقَابَلَتَهُ.وَالثَّانِيَة عَنْ المُؤْتَمِنِ يَرُد عَلَى كِتَابٍ وَرَدَ مِنْ أَحَدِهِمْ.وَالثَّالِثَة عَنِ المُؤْتَمِنِ إِلَى أَحَدِهِمْ يُخْبِرُهُ عَنْ وَفَاتِهِ لَهُ رُغْمَ بُعدِهِ عَنْهُ.وَالرَّابِعَة عَنِ المُقْتَدِرِ إِلَى أَخِيهِ صَاحِبِ لارْدَة يَشْكُرُهُ عَلَى هَدِيَّةِ آسٍ وخَمْرٍ.وَالخَامِسَة عَنِ المُقْتَدِرِ إِلَى المُظَفَّرِ أَخِيهِ لوَفَاةِ ابْنِهِ،وَيَسْتَعْطِفُهُ فِي شَخْصٍ. وَالسَّادِسَة عَلَى لِسانِ المُنَجِّمِ بَلارْدَةَ إِلَى الطَّبِيبِ البُرْذُقُونِ يُوَاسِيهِ فِي مَرَضِهِ.وَالسَّابِعَة عَلَى لِسانِ البُرْذُقُونِ يرُدُّ عَلَى الرِّسَالَةِ السَّابِقَةِ.وَالثَّامِنَة عَنِ المُقْتَدِرِ إِلَى أَحَدِهِمْ عِنَايَةً بالحُصَرِيِّ.

٢ـ مِثَالٌ عَلَى رَسَائِلِ ابْنِ حَسْدَاي .

سَأَخْتَارُ واحِدَةً مِنْ رَسَائِلِ ابنِ حَسْدَاي لِتَكونَ مِثَالاً عَلَى رَسَائِلِهِ وَعَلَى رَسَائِلِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ،وَلَنْ أُثْبِتَ جَمِيعَ رَسَائِلِه لِكَثْرَتِهَا،ولِتشَابُهِ أُسْلُوبِهِ فِيها.وَفي دِرَاسَةِ سِماتِ رَسَائِلِهِ سأُثْبِتُ نُصوصًا مُتَعَدِّدَةً مِنْ رَسَائِلِهِ الأُخْرَى.وَالرِّسَالَةُ إِلَى ابنِ رَزِينٍ يَتَحَدَّثُ فِيهَا عَنْ عَبْدٍ آبِقٍ،جاءَ فِيهَا:

"كُنْتُ أَرْتَاحُ إِذَا وَمَضَ مِنْ أُفُقِهِ البَسَّامِ بَارِقٌ،أَوْ ذَرَّ[١]مِنْ سَمْتِهِ الوَضَّاحِ شَارِقٌ،فَأَقْتَصِرُ مِنْ تِلْقَائِهِ عَلَى اسْتِنْشَاقِ نَسِيمٍ،وَأَنَّى لِي مِنْ عَرَارِ نَجْدٍ بِشَمِيمٍ،حَتَّى وَرَدَ مَا أَمْتَعَ بِوَابِلٍ بَعْدَ طَلٍّ،

---

[١] – ذَرَّ : نثر أو بَدَّدَ ، والشَّارق: الشَّمس. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [ذرر] ٣٠٣/٤، [شرق] ١٧٤/١٠.

وَسَقَى نَهْلاً وَوَالَى بِعَلٍّ[1]،وَاسْتَرْهَبَ بِمُعْجِزَيْ سِحْرٍ حَرَامٍ وَحِلّ،قَدْ قَصَرَ اللهُ عَلَيْهِ الإِبْدَاعَ: طَوْرًا فِي النَّدَى بِبَرَاعَةِ خَطِيبٍ وَبَلاغَةِ كَاتِبٍ،وَطَوْرًا فِي الوَغَى بِبَدِيهَةِ طَاعِنٍ وَرَوِيَّةِ ضَارِبٍ، وَالرَّبُّ يُدِيمُ إِمْتَاعَ أَشْيَاعِهِ بِبَارِعِ جَلالِهِ،وَيَصُونُ عُيُونَ الحَوَادِثِ عَنْ كَمَالِهِ بِمَنِّهِ.

وَاسْتَوْضَحْتُ مَا أَوْمَأَ إِلَيْهِ مِنْ نَشْدِ العَبْدِ الآبِقِ[2]عَلَى النَّهْدِ السَّابِقِ[3]،وَقَدْ أَعْمَلْتُ فِي بَقَائِهِ المَكَايِدَ،وَبَثَثْتُ فِي اقْتِنَاصِهِ الحَبَائِلَ وَالمَرَاصِدَ، فَكَأَنَّ الرِّيَاحَ تَخَطَّفَتْهُ،وَالبِحَارَ غَمَرَتْهُ،وَالبِلادَ أَخْفَتْهُ وَأَضْمَرَتْهُ،وَكَيْفَ يُظْفَرُ بِعَبْدٍ حَوشِ الفُؤَادِ، شَكِسِ القِيَادِ،رَغِبَ عَنْ خُضُوعِ المَمَالِيكِ،وَلَحِقَ بِذُؤْبَانِ الصَّعَالِيكِ،يَعْتَسِفُ شَتَّى المَسَالِكِ،وَيَعْرَوْرِي[4]ظُهُورَ المَهَالِكِ[5]،فَاتِحٌ كَاسْمِهِ سَائِحٌ عَلَى أَجْرَدَ سَابِحٍ "كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهِ ثَوْبَ مَاتِحٍ[6]".وَعَسَى أَنْ يَعُودَ هَذَا الذَّاهِبُ وَشِيكًا إِلَى مُلْكِهِ، وَيَنْتَظِمَ المُتَبَدِّدُ مِنْ سِلْكِهِ،وَإِنْ نَدَّ[7]هَذَا الشَّارِدُ،فَمَا يَأْسَى لَهُ الفَاقِدُ،فَلا حَظَّ فِي ارْتِبَاطِ غَادِرٍ،وَلَوْ أَرْبَى فِي البَأْسِ عَلَى أَسَدٍ خَادِرٍ[8]،وَمَا أَوْلاهُ –أَيَّدَهُ اللهُ– أَنْ يَرْتَادَ لِصَنِيعِهِ طَرِيقَ المَصْنَعِ[9]،وَيُودِعَهَا خَيْرَ المُسْتَوْدَعِ، وَأَنْ يَرْتَابَ بِالثِّقَاتِ،وَيُسِيءَ ظَنًّا بِالخَدَمِ تَفَرُّسًا فِي السِّمَاتِ،وَقَدْ عُرِيَ عَنِ الخَيْرِ مَنْ جَمْعِ تِلْكَ الصِّفَاتِ: مِنْ زُرْقَةِ مُقْلَةٍ،وَصُفْرَةِ بَشَرَةٍ،وَحُمْرَةِ شَعْرَةٍ،لا جَرَمَ أَنَّهُ نَزَعَ بِدَنَاءَةِ الأَرُومِ،إِلَى أَشْبَاهِهِ الرُّومِ، فَلْيَبْعُدْ مِثْلُهُ،فَسَيَنَالُهُ مَا هُوَ أَهْلُهُ،وَيُوبِقُهُ غَيُّهُ وَجَهْلُهُ"[10].

٣- مِيزَاتُ رَسَائِلِ ابنِ حَسْدَاي .

لَمْ تَخْتَلِفْ رَسَائِلُ ابنِ حَسْدَاي فِي أَغْرَاضِهَا وسِمَاتِهَا عَنْ رَسَائِلِ مُعَاصِرِيهِ مِنَ الكُتَّابِ العَرَبِ، إلا أَنَّهَا امتازَتْ بِسِمَاتٍ مِنْهَا :

أَوَّلاً : كَثْرَةُ الاقْتِبَاسِ وَالتَّضْمِينِ .

بَدَا عَلَى رَسَائِلِ ابْنِ حَسْدَاي تَأَثُّرُهُ الواضِحُ بِالمَوْرُوثِ العَرَبِيِّ والإِسْلامِيِّ المُتَمَثِّلُ بِكَثْرَةِ الاقْتِبَاسِ وَالتَّضْمِينِ مِنَ المَوْرُوثِ حَتَّى كادت شَخْصِيتُهُ تَخْتَفِي وراءَ مَا اسْتَجْلَبَهُ مِنْ أَسَالِيبِ غَيْرِهِ

---

١ - النَّهَل: أَوَّل الشُّرْبِ، والعَلّ : الشُّرْب بعد الشرب تِباعًا. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [نهل] ١١/٦٨٠، [علل] ١١/٤٦٧ .

٢ - العَبْد الآبِق: العَبْد الهَارِب مِنْ سَيِّدِهِ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [أبق] ١٠/٣ .

٣ – نَهَد القومُ لعدوّهم: صَمَدوا لَهُ وَشَرَعُوا فِي قِتَالِهِ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [نهد] ٣/٤٣٠ .

٤ – يَعْرَوْرِي فَرَسَهُ : يَرْكَبُهُ عُرْيًا . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [عرا] ١٥/٤٨ .

٥ – مِنْ قول تَأَبَّطَ شَرًّا:[الطويل] يَظَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا جُحَيْشًا وَيَعْرَوْرِي ظُهُورَ المَهَالِكِ أَبُو تمَّام"**دِيوان الحَمَاسَةِ**" ص١٩.

٦ – ماتِح : مُمْتَد . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [متح] ٢/٥٨٨ .

٧ – نَدَّ: شَرَد وذَهَبَ عَلَى وَجْهه . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [ندد] ٣/٤٢٠ .

٨ – أَسَدٌ خادِرٌ :مقيم فِي عَرِينِه داخلٌ فِي الخِدْرِ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [خدر] ٤/٢٣١ .

٩ – المَصْنَع: الرشوة أو الخديعة . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [صنع] ٨/٢١٢ .

١٠ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**"ق٣،م١ /٤٥٩ – ٤٦٠ ، وأورد الفقرة الأولى مِنْهَا ابن سَعِيد "**المُغْرِب**"٢/٤٤١ .

سَوَاءٌ أَكَانَ هَذَا المَجْلُوبُ آيَاتٍ أَوْ أَحَادِيثَ أَوْ أَشْعَارًا أَوْ أَمْثَالاً،فَفِي رِسَالَتِهِ[١] عَلَى لِسَانِ المُنَجِّمِ بَلارْدَةَ إِلَى الطَّبِيبِ البُرْذُقُونِ[٢] مَثَلاً،رُغْمَ قِصَرِ الرِّسَالَةِ نِسْبَةً إِلَى مَا كَتَبَهُ غَيْرُهُ مِنَ الأَنْدَلُسِيِّينَ، أَوْرَدَ فِيهَا سَبْعَةَ أَبْيَاتٍ كَامِلَةٍ؛أَرْبَعَةً مِنْهَا مِنْ نَظْمِهِ،وثَلاثةً لِغَيْرِهِ دُونَ أَنْ يَذْكُرَ نِسْبَتَهَا لِصَاحِبِهَا، وَضَمَّنَ كَلامَهُ أَشْطَارَ أَبْيَاتٍ ثَلاثَةٍ،وَمَثَلَينِ،وَنَصًّا للجَاحِظِ.وَفِي جَوابِهَا[٣] مِنْ إِنْشَائِهِ هُوَ كَذَلِكَ تأثرٌ وَاضِحٌ بِآيَةٍ قُرْآنِيةٍ وَحَدِيثٍ نَبَوِيٍّ،وَضَمَّنَهَا مَثَلَيْنِ مَشْهُورَيْنِ عِنْدَ العَرَبِ،وَفِيهَا بَيْتَانِ لَهُ وَأَرْبَعَةٌ نَقَلَهَا عَنْ غَيْرِهِ، وَأَخَذَ أَشْطَارَ أَبْيَاتٍ وَأَدْرَجَهَا فِي ثَنَايَا كَلامِهِ فِي مَرَّتَيْنِ.

١- مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَالأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ .

ظَهَرَ بِوُضُوحٍ تَأَثُّرُ ابنِ حَسْدَايِ بِالقُرْآنِ الكَرِيمِ؛فَفِي رِسَالَةِ الاعتذار للمُسْتَعِينِ[٤] تَحَدَّثَ عَنْ لُطفِهِ وإِحْسَانِهِ معه بالاستشهادِ بالآيَةِ:(وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)[٥]،وَكَانَ التَّأَثُّرُ بِالقُرْآنِ نَسْخًا مُبَاشِرًا بِالاقْتِبَاسِ المُبَاشِرِ لِنَصِّ الآيَةِ دُونَ أَيِّ تَغْيِيرٍ،وَأَحْيَانًا كَانَ هَذَا يحصُلُ بِتَغْيِيرٍ قَلِيلٍ مَعَ الحَذَرِ الشَّدِيدِ فِي الأَخْذِ مِنَ النَّصِّ القُرْآنِي،وهَذَا واضِحٌ عَلَى لِسَانِ المُنَجِّمِ بَلارْدَةَ له: "قَذَفَ بِكَ فِي قَرَارِ اليَمِّ العَظِيمِ،وَالتَقَمَكَ الحُوتُ وَأَنتَ مُلِيم،إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ"[٦] .

إلا أَنَّ تَأَثُّرَهُ بالقُرْآنِ كَانَ قَلِيلاً فِي رَسَائِلِهِ،وَلَمْ يَأْخُذْ مَسَاحَةً كَتِلْكَ المَسَاحَةِ التِي بَدَا فِيهَا تَأَثُّرُهُ بِالحَدِيثِ مَثَلاً رُغْمَ قِلَّتِهِ كَذَلِكَ.انْظُرْ إِلَى المَسَاحَةِ التِي احْتَلَّهَا المَسِيحُ الدَّجَّالُ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ فِي الرِّسَالةِ نَفْسِهَا عَلَى لِسَانِ بَلارْدَةَ: "لَكِنَّهُمْ لَمْ يَشْعُرُوا أَنَّكَ الدَّجَّالُ المُنْتَظَرُ،وَقَدْ خَرَجْتَ عَلَيْهِمْ بِخُرُوجِ عَيْنَيْكَ،وَبَرَزْتَ إِلَيْهِم بِبُرُوزِهَا عَنْكَ.فَإِنِ اعْتَرَضَ مُعْتَرِضٌ وَقَالَ:إِنَّ الدَّجَّالَ،يَقْدُمُهُ خُرُوجُ الدَّابَّةِ، فَإِنْ يَكُنْ هَذَا هُوَ الدَّجَّالُ فَأَيْنَ الدَّابَّةُ؟فَالجَوَابُ:أَنَّكَ كُنْتَ الدَّابَّةَ ثُمَّ صِرْتَ بِ◌العَوَرِ دَجَّالاً"[٧]،ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أَسْطُرٍ قَلِيلَةٍ فقَالَ:"فَأَنْتَ حَقًّا الدَّجَّالُ الأَعْوَرُ،وَالقَائِمُ المُنْتَظَرُ،الذِي نبَّأَنَا بِهِ الأَثَرُ،نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعِزَّنَا بِأَعْلامِكَ،وَيَنْصُرَنَا فِي أَيَّامِكَ،وَنَبْتَهِلُ إِلَيْهِ فِي أَنْ يَكْفِيَنَا أَشْرَاطَكَ"[٨]،فَذَكَرَ ابنُ حَسْدَايِ تَفَاصِيلَ كَثِيرَةً عَنْهُ؛فَهُوَ دَجَّالٌ،ولَمْ يَظْهَرْ بَلْ مُنْتَظَرٌ،كَمَا أَنَّهُ أَعْوَرُ مِثْلُهُ خَرَجَتْ عَنْهُ إِحْدى عَيْنَيْهِ،وَتُرَافِقُهُ الدَّابَّةُ، وَتُرَافِقُهُ أَشْرَاطُ فِتْنَةٍ يَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَكْفِيَهُ إِيَّاهَا.وَقَدْ غَيَّرَ وَبَدَّلَ فِي نَقْلِ مَا يُرْوَى عَنِ الدَّجَّالِ فَأَعْطَى صِفَتَهُ للمُخَاطَبِ فِي الرِّسَالَةِ لِمُشَابَهَتِهِ لِهَذَا الدَّجَّالِ بِعَوَرِهِ .

وَرُغْمَ أَنَّ ابنَ حَسْدَايِ كَانَ حَذِرًا فِي تَنَاوُلِ نُصُوصِ القُرْآنِ إلا أَنَّهُ تَنَاوَلَ قِصَّةَ الدَّجَّالِ الأَعْوَرِ بِفَنٍّ وتَجْدِيدٍ فِي الفِكْرَةِ وَالتَّصْوِيرِوَتَوَسُّعٍ،ومرَّةً ثَانِيةً أَخَذَ مِنَ الحَدِيثِ لكِنْ كَانَ أَخْذُهُ نَسْخًا مُبَاشِرًا فِي كَلامِهِ إِلَى الطَّبِيبِ البُرْذُقُونِ عَنِ التُّخْمَةِ فِي قَوْلِهِ "وَكُلُّ دَاءٍ أَصْلُهُ البَرَدَةُ[٩] ..."[١٠]،وَسِوَى هَذِينِ المَوْقِعَيْنِ لَمْ أَجِدْ أَثَرًا للحَديثِ فِي رَسَائِلِهِ،لأَنَّ أَخْذَهُ عَنِ الحَدِيثِ وَالقُرْآنِ قَلِيلٌ.

٢- مِنَ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ :

كَانَ تعامُلُ ابنِ حَسْدَايِ مَعَ المَوْرُوثِ الشِّعْرِيِّ كَثِيرًا،وَعَلَى شَكْلَيْنِ:

الشَّكْلُ الأَوَّلُ : ذَكَرَ فِيهِ أَشْطَارَ الأَبْيَاتِ فَحَسْب.

---

١ - انْظُرِ الرِّسَالَةَ : ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٧٤- ٤٨٠، وهي مثبتة في الملاحق .

٢ - البُرْذُقُون: الفتى أَوْ الشاب . رينهارت دوزي" **تَكْمِلَةُ المَعَاجِمِ العَرَبِيَّة**" تَرْجَمَة: مُحَمَّد النُّعَيْمِي [برذق] ١/٢٨٣ .

٣ - انْظُرِ الرِّسَالَةَ : ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٨١- ٤٨٤ .

٤ - انْظُرْ : نَفْسُهُ ق٣،م١/٤٦١ .

٥ - **سُورَةُ آل عِمْرَانَ**، آيَة ١٥٩ .

٦ - ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/ ٤٨٤ .

٧ - نَفْسُهُ ق٣،م١/٤٨٣- ٤٨٤ .

٨ - نَفْسُهُ ق٣،م١/٤٨٤ .

٩ - البَرَدَة:التُّخْمَة،والكَلامُ مِنْ حَدِيثِ:"كُلُّ دَاءٍ أَصْلُهُ البَرَدَة" . انْظُرْ : الرَّازِيّ "**مُخْتَار الصِّحَاحِ**"١/١٩ ؛ ناصر الدين الألباني "**سِلْسِلَةُ الأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالمَوْضُوعَة**" ٥/٤٠٩ ؛ ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**"[برد] ٣/٨٣ .

١٠ - ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٨١ .

ضَمَّنَ ابنُ حَسْدَاي رَسَائِلَهُ أشْطَارَ الأبياتِ فَبَدَتْ وَكَأنَّهَا مِنْ كلامِهِ هُوَ،فَبَيْنَمَا هُوَ يَسْتَنْشِقُ النَّسيمَ مِنْ رُقْعَةٍ إلى ابنِ رَزينٍ السَّابِقَةِ،يَتَذَكَّرُ شَمِيمَ عَرَارِ نَجْدٍ[1]وَ"شَمِيمُ عَرَارِ نَجْدٍ" مَأْخُوذٌ مِنْ بَيْتٍ **للصُمَّةِ ابنِ عَبْدِ اللهِ القُشَيْرِيّ**[2]،وفي الرِّسالةِ نفسِهَا قَالَ فِي أَحَدِ المُنْخَلِعِينَ عَنِ ابنِ رَزِينٍ بِأنَّهُ: "يَعْرَوْرِي ظُهُورَ المَهَالِكِ"،وَفِي هَذَا أَخْذٌ مِنْ بيتٍ لتَأبَّطَ شَرًّا.وفي أُخْرَى لَهُ إلَى المُسْتَعِينِ يَعْتَذِرُ عَنْ خُرُوجِهِ عَنْهُ،قالَ فِيها: "...،وَإِنَّمَا النَّاسُ نُفُوسُ الدِّيَارِ"[3]،مِنْ عَلِيٍّ الإيَادِيّ[4].وَكَذَلِكَ أَخَذَ مِنْ شِعْرِ الجاهِلِيِّينَ فِي رِسَالَتِهِ عَلَى لِسَانِ المُنَجِّمِ بَلارْدَة،المُلَقَّبِ بِالعَافِيَةِ،وَقَدْ أُصِيبَتْ إحْدَى عَيْنَيْهِ،إلَى الطبيبِ البُرْذُقُونِ،وَقَدْ أُصِيبَتْ إحدى خُصْيَيْهِ،جاءَ فِيهَا: "وَإِنْ تَكُنْ-جُعِلْتُ فِدَاكَ-قَدْ أَصَابَكَ عَوَرٌ،وَنَالَكَ مِنْهُ ضَعْفٌ وَخَوَرٌ،....،فَقَدْ حُبِيتَ بِاجْتِمَاعِ نُورِ البَصَرِ وَكَانَ مُتَفَرِّقًا،وَاتِّحَادِهِ وَكَانَ

---

[1] – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٥٩ ؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/٤٤١ .

وَالعَرَار: نَبْتٌ طَيِّبُ الرِّيحِ؛ وقِيلَ هُوَ النَّرْجِسُ البَرِّيُّ. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [عرر] ٤/٥٦٠ .

والكلام مِنْ قَوْلِ مَجْنُونِ لَيْلى أوِ الصمّة القُشَيْرِيّ: [الوافر]

تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فمَا بَعْد العَشِيّة مِنْ عَرارِ

انْظُرِ البَيْتَ في: قيس بن المُلَوَّح "**ديوان مَجْنُونِ لَيْلَى**" ص١٥٠؛ أبُو تمَّام "**دِيوان الحَمَاسَةِ**" ص٢٣٤؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ "**مُعْجَمُ البُلْدَان**" ٣/٤٦٢ ، ٤/٩٣، ٥/٢١٨؛ ابن خَلِّكَان "**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٧/٢٠٤ ؛ ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [عرر] ٤/٥٦٠ .

[2] – هُوَ: **الصمّة** بنُ عَبْدِ اللهِ بنُ الطُّفَيْلِ **القُشَيْرِيّ**،شَاعِرٌ بَدَوِيٌّ مُقِلٌّ مِنْ شُعَرَاءِ الدَّوْلَةِ الأُمَوِيَّةِ،وَلِجَدِّهِ قُرَّةُ بنُ هبَيْرَةَ صحبة بِالنَّبِيِّ ﷺ.

انْظُرْ :أبو الفرج الأَصْفَهَانِيّ "**الأَغَانِيّ**" ٦/٥-١٣؛يَاقُوت الحَمَوِيّ "**مُعْجَمُ البُلْدَان**" ١/٤٢٧- ٤٢٨؛ابن خَلِّكَان "**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٦/٣٧١-٣٧٢.

٣ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/ ٤٦١ .

٤ – هُوَ : **عَلِيّ بن مُحَمَّدٍ الإيادي** التُونُسِيُّ،ورد اسمه فِي الحِلَّةِ والنَّفْح، وَلَمْ أعثر عَلَى تَرْجَمَة لَهُ ،والكلام مِنْ بيتٍ لَهُ يَقُولُ:[السريع]

بانُوا فَمَاتَتْ أَسَفًا دَارُهُمْ وَإِنَّمَا النَّاسُ نُفُوسُ الدِّيارْ ابن الأَبَّار "**الحُلَّة السِّيَرَاء**" ١/٢٨٥؛المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٥/١٤٤.

مُبَدَّدًا،...،كَالحَالِ فِي القَمَرِ...فَقَدَتْهُ النُّجُومُ،فَاعْتَرَاهَا الوُجُومُ،وَلَفَّهَا اللَّيْلُ فِي مُلاءَةِ دَيَاجِيهِ، وَأَرْدَفَ أَعْجَازَهُ وَنَأَى بِهَوَادِيهِ[١]..."[٢] فَيَظْهَرُ فِيهِ تَأَثُّرُه بامرئ القَيْسِ.

وَأَتَى بِالتَّضْمِينَاتِ أَحْيَانًا مُتَتَالِيَةً كَمَا فِي قَوْلِهِ:"النَّاسُ–أَيَّدَ اللهُ مَوْلايَ– أَطْوَارٌ،وَلِلبَصَائِرِ ظُلَمٌ وَأَنْوَارٌ،وَأَكْثَرُهُم سَاعٍ لأمْرٍ لا يُدْرِكُهُ[٣]،مُرَاعٍ لِرَأْيٍ لا يَمْلِكُهُ،وَالحَقُّ مُسْتَبْهَمٌ عَلَى مَنْ يَتَعَسَّفُ المَجْهَلَ فِيمَا يَسْلُكُهُ،وَمَنْ أَبْصَرَ رُشْدَهُ،وَاسْتَوْضَحَ قَصْدَهُ،أَمْضَى عَزْمَهُ مُجِدًّا فِي سَعْيِهِ،وَلَمْ يَسْتَشِرْ غَيْرَ نَفْسِهِ فِي رَأْيِهِ[٤]،..."[٥].وَأَحْيَانًا لا تَأْتِي مُتَتَالِيةً،بَلْ تَكُونُ بالفِقْرَةِ نفسِهَا مَعَ فَاصِلٍ بِجُمْلَةٍ أَوْ شِبْهِ جُمْلَةٍ كَقَوْلِهِ:"وَلا فَتَاةٌ عَرُوبٌ[٦]إلا وَهِيَ تَسْتَغْشِي مِنْ غَيْرِ نَعْسَةٍ رَجَاءً فِي لِقَاءِ خَيَالِكَ[٧]وَلا مَحْجُوبَةٌ مَصُونَةٌ إلا وَهِي تُرَقِّعُ الكُوَى بِالمَحَاجِرِ[٨]لِمَمَرِّكَ"[٩]. فَقَدْ نَقَلَ عَنِ المَجْنُونِ أَوَّلاً وَتَلاهُ مُبَاشَرَةً أَخْذُهُ عَنْ ابنِ أَبِي رَبِيعَةَ دُونَ أَنْ يَكُونَ الفَاصِلُ طَوِيلاً بَيْنَهُمَا.وفَصَلَ أَحْيَانًا بينَ هَذِهِ التَّضْمِينَاتِ بِجُمَلٍ عَدِيدَةٍ كَمَا جَاءَ عَلَى لِسَانِ النَّرْجِسِ[١٠]؛فَقَدْ أَخَذَ مِنْ أَبِي نُوَاس:"مِنْ حَصْباءِ دُرٍّ فِي أَرْضِ ذَهَبٍ"[١١]، لِيَكْتُبَ بعد جُمَلٍ عِدَّةٍ المَثَلَ: "فَالعَصَا قُرِعَتْ لِذِي الحِلْمِ"[١٢].

وَبَدَا تَأَثُّرُه بِالشُّعراءِ المَشَارِقَةِ بِأَخْذِهِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ عَنْهُمْ فِي رَسَائِلِهِ،وأَحْيَانًا فِي الفِقْرَةِ نَفْسِهَا مِنَ الرِّسَالَةِ.فَعَنِ المُتَنَبِّي أَخَذَ مَرَّتَيْنِ؛الأُولَى مِنْهُمَا حِينَ قَالَ:"فَكَمْ تَمَنَّى الأَزْهَارُ أَنْ تُضَامَ لَدَيْكَ

---

١ – هُوَادِي اللَّيْلِ: أَوَائِلُهُ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [هدي] ٣٥٧/١٥ ، والكلام مِنْ قَوْلِ امْرِئِ القَيْسِ: [الطويل]

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ امْرُؤ القَيْسِ "**دِيوَانُهُ**"ص٤٨؛ الزَّوْزَنِيّ "**شَرح المُعَلَّقَات السَّبْع**" ص٣٨؛ القُرَشِيّ "**جَمْهَرَة اشْعَار العَرَب**" ص١٣٠؛العَبَّاسِيّ "**مَعَاهِدُ التَّنْصِيص**"١/٢٦٤ .

٢ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق،م١/ ٤٨١– ٤٨٢ .

٣ – مِنْ قولِ عَبْدَة بنِ الطَّبِيب:[البسيط] والمرءُ ساعٍ لأمرٍ لَيْسَ يُدرِكه والعَيْشُ شُحٌّ وإِشْفَاقٌ وَ تَأمِيلُ الجَاحِظ"**الحَيَوَان**" ٤١٥/١ .

٤ – مِنْ قول سَعْد بن نَاشِبٍ مِنْ تَميم (ت:١١٠هـ): [الطويل]

و لَمْ يستَشِرْ فِي أمْرِهِ غَيْرَ نفْسِهِ وَلَمْ يرضَ إلا قائمَ السيفِ صَاحِبًا أَبُو تمَّام"**دِيوان الحَمَاسَةِ**" ص ١٦ .

٥ - ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٦٤/١ .

٦ – العَرُوبُ: المَرْأَةُ المُتَحَبِّبَةُ إِلَى زَوجها، المُظهِرةُ لَهُ ذلك. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [عرب] ٥٩١/١ .

٧ – مِنْ قول المَجْنُونِ: [الطويل] وَإِنِّي لأَسْتَغْشِي وَمَا بِيَ نَعْسَةٌ لَعَلَّ خَيَالاً مِنْكِ يَلْقَى خَيَالِيَا

قيس بن الملوح"**ديوان مَجْنُونِ لَيْلَى**" ص ٢٩٦ .

٨ – الكُوَى: جمع للكَوَّةِ وهِيَ الخَرْق فِي الحائط والثقب فِي البيت ونحوه ،الكلام مِنْ بيت لعُمَر بنِ أَبِي رَبِيعَةَ : [الطويل]

وَكُنَّ إِذَا أَبصَرْنَنِي أَوْ سَمِعْنَنِي سَعَيْنَ فَرَقَّعْنَ الكُوَى بِالمَحَاجِرِ

عُمَر بنِ أَبِي رَبِيعَةَ "**دِيوَانُهُ**" ص ١٥٨؛ ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [رقع، كوى] ١٣١/٨، ٢٣٦/١٥ .

٩ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٧٨/١ .

١٠ – انْظُرْ: نَفْسَهُ ق٣،م٤٧٢/١ .

١١ – مِنْ أَبِي نُوَاس:[البسيط] كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَقَاقِعِها حَصْباءُ دُرٍّ عَلَى أرضٍ مِنَ الذَّهَبِ أَبُو نُوَاس "**دِيوَانُهُ**" ص ٧٤ .

١٢ – مِنْ قول **الحَارِثِ بنِ وَعْلَةَ** (فارسي جاهلي مِنْ عبس): [الكامل]

وَ زَعَمْتُم أَنْ لا حُلُومَ لَنَا إِنَّ العَصَا قُرِعَتْ لِذِي الحِلْمِ

أَبُو تمَّام"**دِيوان الحَمَاسَةِ**"ص ٣٦ ؛ المَيْدَانِيّ"**مَجْمع الأَمْثَالِ**" ٦٤٢/١– ٦٤٣ .

مَطَالِبي،...،فَأَزِلْ عَنِّي حَسَدَهُم بِكَبْتِهِم[1]،فَقَدْ شَجَاهُم تَقَدُّمِي قَبْلَ وَقْتِهِم"[2]،وَالثَّانِيَةُ بِقَوْلِهِ:"فَكُلُّ عَرَضٍ ذَاهِبٌ مَعَ جِسْمِهِ الفَانِي،وَ"ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي"[3]،وَإِنِ اسْتُحِلَّ حَرَامٌ،مِنْ دَارٍ أَوْرَثَهَا كِرَامٌ، فَالعَفَاءُ عَلَى الجَفْنِ[4]إِذَا سَلِمَ الحُسَامُ،وَقَدْ صَانَهُ وَأَغْمَدَهُ مَنْ زَانَهُ إِذَا تَقَلَّدَهُ،وَإِنْ تَعَدَّى إِلَى تَغْيِيرِ الرُّسُومِ،فَرُبَّمَا لُبِسَ عَلَى الإِقْوَاءِ ثَوْبُ النَّعِيمِ[5]،وَقَدْ قَالَ سُقْرَاطُ...."[6].وَفي هَذِهِ الفِقْرَةِ لَمْ يَكْتَفِ بِأَخْذِهِ عَنَ المُتَنَبِّي "ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي" بَلْ تعدَّاهُ إِلَى المَعَرِّي بِقَوْلِهِ:"فَالعَفَاءُ عَلَى الجَفْنِ"، ثُمَّ بِأَبِي نُوَاس بِقَوْلِهِ:"فَرُبَّمَا لُبِسَ عَلَى الإِقْوَاءِ ثَوْبُ النَّعِيمِ"،لِيُكْمِلَ تَضْمِينَاتِهِ هَذِهِ بِقَوْلٍ لِسُقْرَاطَ،فبدتِ الفِقْرَةُ مَمْلُوءَةً بِالتَّضْمِينَاتِ مِنَ الشِّعْرِ وَغَيْرِهِ .

وَقَدْ وَاءَمَ ابنُ حَسْدَاي بَيْنَ هَذِهِ العِبَارَاتِ المُسْتَجْلَبَةِ فَبَدَتْ كَأَنَّهَا نَسِيجٌ وَاحِدٌ مُتَلائِمٌ مَعَ مَا كَتَبَهُ حَتَّى يَظُنُّهَا مَنْ لا يَعْرِفُهَا أَنَّهَا مِنْ صِيَاغَةِ الكَاتِبِ نَفْسِهِ لِمَا يَبْدُو عَلَيْهَا مِنَ انْسِجَامٍ.

الشَّكْلُ الثَّانِي : ذَكَرَ فِيهِ البَيْتَ أَوِ الأَبْيَاتَ كَامِلَةً .

أَخَذَ ابنُ حَسْدَاي كَثِيرًا عن غَيْرِهِ فِي هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّضْمِينَاتِ، إِلا أَنَّهُ لَمْ يَنْسِبْ أَيًّا مِنْهَا لِصَاحِبِهِ.وَقَدْ يَكُونُ تَجَاهَلَهُ لأَنَّ **البيْتَ لا يُعْرَفُ لَهُ قائِلٌ،** كقَوْلِهِ[7]:[الطويل]

وَكَـمْ مِـنْ غُـرَابٍ رَامَ مِشْـيَةَ قَبْجَـةٍ   فَأُنْسِـيَ مَمْشَـاهُ وَلَـمْ يَمْـشِ كَالحَجَـلْ

وَبعدَهُ مُبَاشَرَةً أَتَى بِبَيْتٍ آخَرَ **اخْتَلَفَتْ كُتُبُ التُّراثِ فِي نِسْبَتِهِ** لِشَاعِرٍ مُعَيَّنٍ،وَهُوَ[8]:[الرجز]

وَهَــلْ عَلِمْـتِ يَـا قُقَـيِّ[9]   وَمَرْسِنَ[10]العِجْلِ وَسَاقَ الحَجَلَةْ

وَفِي الرِّسَالَةِ نفسِهَا أَنْشَدَ ابنُ حَسْدَاي شِعْرًا **للمَجْنُونِ** دُونَ أَنْ يُسَمِيهِ،وَهُوَ[11]: [الطويل]

أَيَـا شِـبْهَ لَيْلَـى لا تُرَاعِـي فَـإِنَّنِي   لَــكِ اليَــوْمَ مِــنْ وَحْشِــيَّةٍ

---

١ – مِنْ قول المُتَنَبِّي:[الطويل] أَزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عني بِكَبْتِهِم   فأَنتَ الذِي صَيَّرتَهُمْ لي حُسَّدًا   المُتَنَبِّي"**شَرْح دِيوَانه**"١/٢٨٩

٢ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٧٢ .

٣ – مِنْ قول المُتَنَبِّي:[البسيط] ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُهُ الثاني وَحَاجَتُهُ   مَا فاتَهُ وَفُضُولُ العَيْشِ أَشْغَالُ   المُتَنَبِّي"**شَرْح دِيوَانه**"٣/٢٨٨ .

٤ – الجَفْن: غِمْد السَّيفِ .   ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [جفن] ١٣/٨٩ .

وقوله:"فالعفاء عَلَى الجفنِ"مِنْ قول المَعَرِّيّ فِي رثاءِ أَبيه:[الطويل]

وَإِجْلالُ مغناكَ اجْتِهادُ مقَصِّرٍ   إِذَا النَّصْلُ أَوْدَى فالعَفَاءُ عَلَى الجِفْنِ   المَعَرِّيّ"**شُرُوح سَقْطِ الزَّنْدِ**" ٢/٩٣٠ .

٥ – مِنْ قول أَبِي نُوَاس: لِمَنْ دِمَنٌ تزدادُ طيبَ نسيم   على طولِ مَا أَقوَتْ وَحُسْنَ رُسُومِ

تجافى البِلى عنهُنَّ حَتَّى كَأَنَّمَا   لَبِسْنَ عَلَى الإِقْوَاءِ ثوبَ نَسِيمِ   أَبُو نُوَاس "**دِيوَانُهُ**" ص٢١٦ .

٦ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٦٢ .

٧ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٨٠ ، والبَيْت فِي: الثَّعالبي"**ثِمَار القُلُوبِ**" ١/٤٨٩ قال:القبج تشبه بِهَا كل مشية ظريفة.

٨ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٨٠ ؛ "**الأَصْمَعِيَّات**" ص ١٢٨؛ أَبُو علي القالي"**الأَمالي**" ٢/٢٨٨ .

٩ – قُقَيٌّ: قَفَاء التُّتْفُلَةْ: الأنثى مِنْ وَلَدِ الثعلب .   ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [قفاء، تفل] ١٥/١٩٤، ١١/٧٨ .

١٠ – مَرْسِنَ : موضعُ الرَّسَنِ مِنْ أَنف الفرس أَو غَيْرِهِ .   ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [رسن] ١٣/١٨٠ .

١١ – قيس بن الملوح "**ديوان مَجْنُونِ لَيْلَى**"ص ٢٠٦ ؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٨١ .

وَأَحْيَانًا يَذْكُرُ أَنَّ البَيْتَ مَشْهُورٌ،منه:"وَأُومِئُ فِي ذَلِكَ إِلَى البَيْتِ الذِي **يُعْرَفُ وَيُرْوَى**"(١):[الطويل]

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي لِلمَقَامِ أُطَوِّفُ

وَكَثِيرًا مَا كَانَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ هَذَا البَيْتَ مِنْ تَضْمِينِهِ،كَمَا فِي البَيْتِ السَّابِقِ عن مَجْنُونِ ليلى.وَأَمَامَ بَيْتٍ **للنَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيِّ** قَالَ: "وَأُنْشِدُ قَبْلَ أَنْ أُنْشَدَ"(٢): [الكامل]

سَقَطَ النَّصِيفُ(٣)وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِاليَدِ

وَأَحْيَانًا كَانَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الأَبْيَاتَ لَيْسَتْ لَهُ بِقَوْلِهِ مَثَلاً:"قَالَ القَائِلُ"(٤).لِذَا رَجَّحْتُ أَنَّه هُوَ الذي نَظَمَ الأَبْيَاتَ المَذْكُورَةَ دُونَ إِشَارَةٍ تَدُلُّ عَلَى أَخْذِهَا؛مِنْهَا الثَّلاثَةُ عَلَى لِسَانِ المُنَجِّمِ بَلارْدَةَ(٥)،وَكَذَلِكَ البَيْتَانِ الوَارِدَانِ فِي الرَّدِّ عَلَى لِسَانِ البُرْذُقُونِ(٦)،وَلَمْ أَجِدْ سِوَى هَذِهِ الخَمْسَةِ،بِالإِضَافَةِ إِلَى الاثْنَيْ عَشَرَ بَيْتًا عَلَى لِسَانِ النَّرْجِسِ(٧)،وَهَذِهِ قَلِيلَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى المَنْقُولَةِ عَنْ غَيْرِهِ.

٣- مِنَ المُؤَلَّفَاتِ العَرَبِيَّةِ

رُغْمَ سِعَةِ اطِّلاعِ ابْنِ حَسْدَايِ وثقافتِهِ المتَنَوِّعَةِ التِي بَدَتْ فِي فُصُولِ رَسَائِلِهِ،إلا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ الكُتُبَ التِي نقلَ عَنْهَا تَضْمِينَاتِهِ،بِاسْتِثْنَاءِ مَوْقِعٍ وَاحِدٍ اسْتَشْهَدَ فِيهِ بِقَوْلٍ لِلجَاحِظِ ذَكَرَ أَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ كِتَابِ "الحَيَوَانِ" فَقَالَ:"ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الحَيَوَانِ أَنَّ إِنَاثَ القَبْجِ تَسْتَقْبِلُ الذُّكُورَةَ،فَتَتَنَسَّمُ الرِّيحَ تَهُبُّ مِنْ تِلْقَائِهَا فَتَحْبَلُ"(٨).وَلَمْ أَجِدْ أَيَّةَ إِشَارَةٍ سِوَى هَذِهِ إِلَى المُؤَلَّفَاتِ التِي قَرَأَهَا.وَظَهَرَ تَأَثُّرُهُ بِأُسْلُوبِ الجَاحِظِ فِي كَثْرَةِ اسْتِطْرَادَاتِهِ،وفِي فُكَاهَتِهِ وَسُخْرِيَتِهِ،وَفِي كَثْرَةِ الأَمْثِلَةِ عِنْدَهُ.

٤- مِنَ الأَمْثَالِ وَالحِكَمِ :

ضَمَّنَ ابنُ حَسْدَايِ رَسَائِلَهُ كَثِيرًا مِنَ الحِكَمِ وَالأَمْثَالِ المَأْثُورَةِ،وأَحْيَانًا كَانَتْ تَأْتِي مُتَتَالِيَةً، مِنْهَا قَوْلُهُ:"وَمَا يَضُرُّ القَمَرَ أَنْ يَنْبَحَهُ كَلْبٌ"(٩) بَعْدَ قَوْلِهِ فِي الرِّسَالَةِ نفسِهَا "فَالحُسْنُ أَحْمَرُ"(١٠)

---

١ – البَيْت فِي : ابن قُتَيْبَةَ"**عُيُونُ الأَخْبَار**" ٢٣٤/١ ؛ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٦٧/١ .

٢ – النَّابِغَة الذبْيَانِيّ "**شَرْح دِيوَانِهُ**" ص٢٩ ؛ابن سَلام الجُمَحِيّ"**طَبَقَات الشُّعَرَاء**" ٦٨/١؛أبو الفرج الأَصْفَهَانِيّ"**الأَغَانِيّ**"١٤/١١-١٥؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٦٧/١ .

٣ – النَّصِيفُ: الخِمَارُ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [نصف] ٣٣٢/٩ .

٤ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٨٢/١ .

٥ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ق٣،م٤٧٥/١ .

٦ – انْظُرْ نَفْسُهُ ق٣،م٤٨١/١ .

٧ – نَفْسُهُ ق٣،م٤٦٦/١- ٤٦٧ .

٨ – نَفْسُهُ ق٣،م٤٧٨/١- ٤٧٩ .

٩ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٨٠/١، مثله "لا يَضُرُّ السَّحَابَ نُبَاحُ الكِلابِ"، و"أَهْوَنُ مِنَ النُّبَاحِ عَلَى السَّحَابِ"

انْظُرْ: الميداني "**مجمع الأمثال**" ٢١٥/٢-٢١٦ .

١٠ – الحُسْنُ أَحْمَرُ: مثلٌ أُخِذَ معناه مِنْ قولهم، موت أحمر أي شديد. ومَعناهُ: مَنْ طلب الجمال احتمل المشقة.

انْظُرْ: المَيْدَانِيّ"**مَجْمع الأَمْثَال**" ٢٧٦/١- ٢٧٧ .

في: "وَحَسُنَ لَمَاكَ بِفَضْلِ الحُمْرَةِ،فالحُسْنُ أَحْمَرُ،وَهَذا حَقٌّ لا يُنْكَرُ"[1].وَتَمَثَّلَ بِزَرْقَاءِ اليَمَامَةِ التِي أَصْبَحَتْ مَثَلاً فِي حِدَّةِ البَصَرِ وَبُعْدِ النَّظَرِ فِي مُخَاطَبَتِهِ المُنَجِّمِ بَلارْدَةَ مُوَضِّحًا أَبْعَادَ المَثَلِ بِمَثَلٍ آخَرَ حِينَ قَالَ:"وَقَدْ أَزْرَيْتَ بِزَرْقَاءِ اليَمَامَةِ،وَمَا يَبْعُدُ أَنْ تَحْسِبَ فِي لَحْظَةٍ أَلْفَ حَمَامَةٍ،وَتَرَى حَضَنًا[2]مِنْ أَقْصَى تُهامَةَ"[3].كَمَا صاغَ كَثِيرًا مِنْ عِبَارَاتِهِ حِكَمًا انْسَجَمَتْ مَعَ مَا جَاءَ بِجَانِبِهَا مِنَ التُّرَاثِ؛فلا يَسْتَطِيعُ القَارِئُ أَحْيَانًا الحُكْمَ إنْ كَانَتْ هَذِهِ العِبَارَاتُ حِكَمًا مَأْثُورَةً أَمْ مِنْ فَلْسَفَةِ الكَاتِبِ نَفْسِهِ:"فَالحَازِمُ الذِي يُسَدِّدُ إِلَى الغَرَضِ قَبْلَ إِرْسَالِ سَهْمِهِ"[4]،وفي أُخْرَى:"وَالعَاقِلُ لا يَتَنَكَّدُ بِمَا تَرَاهُ العَوَامُّ قَبِيحًا مُسْتَحِيلاً،إِذَا كَانَ فِي حُكْمِ الخَوَاصِّ حَسَنًا جَمِيلاً"[5].وَمِثْلُهَا:"وَإِنَّمَا يُوصَفُ الشَيءُ بِالأَغْلَبِ عَلَيْهِ،فَيُذْكَرُ بِهِ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ"[6].

وأَحْيَانًا كَانَ ابنُ حَسْدَاي يأتي بالحِكْمَةِ مَنْسُوبَةً إِلَى فَيْلَسُوفٍ أَوْ حَكِيمٍ دُونَ أَنْ يُسَمِّيَهُ كقولِهِ: "فَقَدْ قَالَ الفَيْلَسُوفُ:إِنَّ البَيْضَتَيْنِ[7]كَالمِعْلاقَتَيْنِ"[8]،وَفي رِسَالَتِهِ لِلمُسْتَعِينِ أورد عِدَّةَ حِكَمٍ؛نَسَبَ الأُولَى مِنْهَا لِحَكِيمٍ وترك اللاحِقَاتِ مَعْطُوفَةً عَلَى هَذِهِ دُونَ نسبتها لأحد،فَلَمْ يَعُدْ سَهْلاً عَلَى القَارِئِ أَنْ يُمَيِّزَ المَأْثُورَ مِنْهَا عَنْ مَا توصل إِلَيْهِ الكَاتِبُ بِحُنْكَتِهِ وَخِبْرَتِهِ فِي الحَيَاةِ،قَالَ فِيهَا:"وَقَالَ الحَكِيمُ: (مَنْ لانَ تَأَلَّفَ،وَمَنْ شَدَّ نَفَّرَ)،وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ،وَلِكُلِّ زَمَانٍ رِجَالٌ،وَفِي كُلِّ مَضِيقٍ مَجَالٌ،وَقَلَّمَا اطَّرَدَتِ الحَظْوَةُ فِي الدُّوَلِ،لِمَنِ اخْتَصَّ بِالأَسْلافِ الأُوَلِ،وَمَنْ خَدَمَ الآبَاءَ لَمْ يَخْدِمِ الأَوْلادَ"[9].

وإِنْ نسب ابْن حَسْدَاي الحِكْمَةَ إِلَى الحَكِيمِ مَرَّةً إلا أَنَّهُ سَمَّاهُ فِي الرِّسَالَةِ نفسها،فقال:"قَالَ سُقْرَاطُ:إِذَا انْكَسَرَ الحُبُّ لَمْ يَنْكَسِرِ المَكَانُ،وَلا يَتَّسِعُ فِي تَغْيِيرِهِ الإِمْكَانُ،وَلَكَ فِي مَا تَرَاهُ المَثَلُ الأَعْلَى، وَفِي مَا تَتَوَخَّاهُ الشَّرَفُ الأَزْكَى"[10].وإِنْ لَمْ تَكُنِ الحِكْمَةُ مألوفةً لا يُمْكِنُ الفَصْلُ بينَ قولِ سُقْرَاطَ مَثَلاً فِي النَّصِّ السَّابِقِ وَحِكْمَةِ ابنِ حَسْدَاي فَتَتَدَاخَلُ هَذِهِ بِتِلْكَ وَيَصْعُبُ التَّمْيِيزُ بَيْنَهُمَا.

---

[1] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٧٩ .

٢ – حَضَنٌ:اسمُ جبل فِي أَعالي نجد.وفِي المثل:"أَنجد مَنْ رأى حضنًا"،أَي مَن عايَنَ هَذَا الجَبَلَ فَقَدْ دَخل فِي ناحية نجدٍ. وَمَنْ فِي تهامة لا يستطيع رؤيته . انْظُر:ابن خَلِّكَان"**وَفِيَّات الأَعْيَانِ**" ٢٤٨/٥؛ ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [حضن] ١٢٤/١٣ .

[3] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٨٣ .

[4] – نَفْسُهُ ق٣،م١/٤٦٧ .

[5] – نَفْسُهُ ق٣،م١/٤٧٦ .

[6] – نَفْسُهُ ق٣،م١/٤٨٠ .

[7] – المِعْلاقَتَانِ :الخشبتان اللتان تنصبان عَلَى رأْس البئر . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [علق] ٢٦٦/١٠ .

[8] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٧٦ .

[9] – نَفْسُهُ ق٣،م١/٤٦١ .

[10] – نَفْسُهُ ق٣،م١/٤٦٢ .

ثانِيًا : ظُهُورُ ثَقَافَتِهِ الوَاسِعَةِ .

تَظْهَرُ فِي رَسَائِلِ ابْنِ حَسْدَاي **ثَقَافَةٌ وَاسِعَةٌ واطلاعٌ شَامِلٌ** عَلَى جَمِيعِ المَعَارِفِ وَالفنونِ وَالعُلُومِ الشَّائِعَةِ فِي عَصْرِهِ،أَسْتَثْنِي مِنْهَا العلومَ الدينيةَ الإِسْلامِيَّةِ،فَرُغْمَ أَخْذِهِ عَنِ القُرْآنِ وَالحَدِيثِ إلا أَنَّهُ لَمْ تَتَّضِحْ لَدَيْهِ فِي رَسَائِلِهِ مَعْرِفَةٌ وَاضِحَةٌ مَثَلاً بِعُلُومِ الفِقْهِ وَالسِّيرَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ العُلُومِ الدِّينِيَّةِ. وظَهَرَ بِوُضُوحٍ تُمَيُّزُهُ بعلومِ الطِّبِّ والفَلَكِ بجانبِ قُدْرَتِهِ عَلَى الكِتَابَةِ فِي هَذِهِ الرَّسَائِلِ.وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَعْضَ يَهُودِ الأَنْدَلُسِ كَانَ عَلَى مُسْتَوى كَبِيرٍ مِنَ العِلْمِ والثَّقَافَةِ،وَظَهَرَتْ ثَقَافَتُهُ المُتَنَوِّعَةُ فِي ذِكْرِهِ لِعَدَدٍ مِنَ الأَعْلامِ المَشْهُورَةِ،وَلَكِنَّهُ لَمْ يُسهِبْ فِي ذِكْرِهَا إِسْهَابًا مُمِلاً كَمَا بَدَا فِي رَسَائِلِ غَيْرِهِ كَابنِ زَيْدُونَ مَثَلاً([1])؛فَجَاءَتِ الأَعْلامُ مَعْقُولَةً مُتَنَاثِرَةً فِي الرَّسَائِلِ أَوْ فِي فُصُولِ الرِّسَالَةِ الوَاحِدَةِ، وَقَلَّمَا جَمَعَ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الأَعْلامِ فِي فِقْرَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَلَمْ يُعنَ ابنُ حَسْدَاي بِالتركيزِ عَلَى مَا امْتَازَتْ بِهِ هَذِهِ الأَعْلامِ مِنْ صِفَاتٍ،ولَمْ يُشِرْ كَثِيرًا إِلَى مَا رَافَقَهَا مِنْ أَحْدَاثٍ تَارِيخِيَّةٍ،كَمَا أَنَّهُ لَمْ يُمَيِّزْ جِنْسِيَّتَهَا أو دِينَهَا أو مَذْهَبَهَا الذي امْتَازَتْ بِهِ أَثْنَاءَ الحَدِيثِ عَنْهَا؛**فَخَلَطَ مَشَاهِيرَ العَرَبِ بِالعَجَمِ،وَالقُدَمَاءَ بِالمُحْدَثِينَ،والمَعْرُوفِينَ بِالمَجْهُولِين**،وَأَعْلامَ فَنٍّ بِأَعْلامِ فَنٍّ آخرَ فِي الرِّسَالَةِ الوَاحِدَةِ،وَيَغْفِرُ لَهُ هَذَا الخَلْطَ أَنَّ الأَعْلامَ جَاءتْ مُتَبَاعِدَةً فِي الرِّسَالَةِ وَلَمْ تَكُنْ مُتَجَاوِرَةً.ففي رِسَالَتِهِ عَلَى لِسَانِ بَلارْدَةَ ذكرَ بُقْرَاطَ ومُوسَى فِي الصَّفْحَةِ نفْسِهَا مُتَبَاعِدَيْنِ؛ فَفِي أَوَّلِ الرِّسَالَةِ وَفِي بَدْءِ الأَبياتِ الشِّعْرِيةِ:"فَوُقِّيْتَ بُقْرَاطَ([2])الطُّيُورِ تَطَبُّبًا" ثُمَّ ذَكَرَ حُوتَ مُوسَى بقَوْلِهِ:"كَأنِّي شِقٌّ([3])فِي قَفْرٍ،أَوْ حُوتُ مُوسَى فِي بَحْرٍ"([4])دُونَ أَيِّ عَلاقَةٍ بينَ بُقْرَاطَ وَمُوسَى أو حُوتِهِ. ومثْلُ هَذَا ظهرَ كَذَلِكَ فِي الرَّدِّ عَلَى لِسانِ البُرْذُقُونِ فأَشَارَ إِلَى بَعْضِ الأَمَاكِنِ التَّارِيخِيَّةِ وَأَعْلامِ القِصَصِ الدِّينِيَّةِ بقَوْلِهِ:"فَأَنْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَكْرَمِ البَرِيَّةِ،وَأَجْدَى مِنْ مَنَارِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ،لكِنَّهُمْ لَمْ يَشْعُرُوا أَنَّكَ الدَّجَّالُ المُنْتَظَرُ،وَقَدْ خَرَجْتَ عَلَيْهِمْ بِخُرُوجِ عَيْنَيْكَ،وَبَرَزْتَ إِلَيْهِم بِبُرُوزِهَا عَنْكَ.فَإِنِ اعْتَرَضَ مُعْتَرِضٌ وَقَالَ:إِنَّ الدَّجَّالَ يَقْدُمُهُ خُرُوجُ الدَّابَّةِ،فَإِنْ يَكُنْ هَذَا هُوَ الدَّجَّالُ فَأَيْنَ الدَّابَّةُ؟"([5])،ثُمَّ أَضَافَ سِلْسِلَةً مِنْ قُدَمَاءِ الحُكَمَاءِ كَقِيطُوسَ وَجَالِينُوسَ،قَبْلَ أَنْ يَعُودَ مَرَّةً ثَانِيَةً لِلدَّجَّالِ بِقَوْلِهِ:"فَالجَوَابُ:أَنَّكَ كُنْتَ الدَّابَّةَ ثُمَّ صِرْتَ بِالعَوَرِ دَجَّالاً.وَقَدْ جَالَ الصِّدْقُ فِي ذَلِكَ مَجَالاً؛وَأَنْتَ **قِيطُوسُ**([6])دَابَّةُ البَحْرِ تَعُومُ

[1] – انْظُرْ الرِّسَالَةَ الهزلية والرِّسَالَةَ الجدِّيَةَ لابن زَيْدُونَ ، ابْن زَيْدُونَ "**دِيوَانُهُ وَرَسَائِلُهُ**" ص ٦٣٤– ٧١٧ .

[2] – هُوَ: **بُقْرَاط** أو **أَبُقْرَاط** الحكيمُ اليُونَانِيّ، تلميذُ لُقْمَانَ الحَكِيمِ، وفي عيون الأنباء أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ صِنَاعَةَ الطِّبِّ وَأَوَّلُ مَنْ دَوَّنَهَا.

انْظُرْ : يَاقُوت الحَمَوِيّ" **مُعْجَمُ البُلْدَان**" ١٩٨/٣؛ابن أَبِي أُصَيْبِعَة "**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ٢٧/١؛ ابن خَلْدُونَ"**المُقَدِّمَة**"ص٤٨٠ .

[3] – الشَّقُّ: الصَّدْع البائن . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [شقق] ١٨١/١٠ .

[4] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٧٥/١ .

[5] – نَفْسُهُ ق٣،م٤٨٣/١ .

٦ – **قِيطُوس** وَتُكْتُبُ أَحْيَانًا قيطس Cetus : لَفْظَةٌ يُونَانِيَّةٌ تَعْنِي الحُوتَ أَوْ سَبْعَ البَحْرِ .

انْظُرْ : **موقع الجمعية العلمية الفلكية** فِي الأردن : http://www.jas.org.jo/arabic/cons.html

فِي حُبُكِ المَاءِ،وَتَسْبَحُ مِثَالَهَا فِي فَلَكِ السَّمَاءِ،فَإِنَّ صُورَةَ قِيطُوسَ التِي أَثْبَتَهَا جَالِينُوسُ جَمَاعَةُ كَوَاكِبَ تُعْرَفُ بِدَابَّةِ البَحْرِ،وَبَطْنُهَا غَائِصٌ فِي كَوَاكِبِ النَّهْرِ.... فَأَنْتَ حَقًّا الدَّجَّالُ الأَعْوَرُ،وَالقَائِمُ المُنْتَظَرُ، الذِي نَبَّأَنَا بِهِ الأَثَرُ،نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعِزَّنَا بِأَعْلامِكَ"(١)،وَكَانَ بِهَذَا يُجِيبُ عَلَى رِسَالَةِ المُنَجِّمِ بَلارْدَةَ التِي احتوَتْ سِلْسِلَةً أُخْرَى مِنَ الحُكَمَاءِ وَمِمَّنْ لهم عَلاقَةٌ بالفَلَكِ والتَّنْجِيمِ مِنْهُمْ كَذَلِكَ جَالِينُوسُ المذكُورُ فِي رَدِّ البُرْذُقُونِ هُنَا،فَفِيهَا:"إِذْ كُنْتَ تَهْزِلُ بِجَالِينُوسَ،تَلْهُو بِلِحْيَةِ اسْقَلْبِيُوسَ(٢)،فَإِنَّكَ مِنْ فِرْقَةِ أَصْحَابِ الحِيَلِ،...،فَنَصَرْتَ تَاسْلاسَ(٣)عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ"(٤).

وِيُلاحَظُ **كثرَةُ استغلالِ ابْنِ حَسْدَاي لأعلامِ وَمُصْطَلَحَاتِ الطِّبِّ والفَلَكِ اسْتِغْلالاً وَاسِعًا** لِلتَّوْرِيَةِ عَنْ مَعَانِيهِ وَصُوَرِه،فَجَاءتْ تَعْبِيرَاتُهُ حَافِلَةً بِهَا.وَجَاءَتْ هَذِهِ المُصطلحاتُ بِهُدُوءٍ وَناسَبَتْ أَحْيَانًا المَعْنَى أو الصُّورَةَ التِي كَانَتْ بِها.انْظُرْ كَيْفَ جَمَعَ مَا لَهُ عَلاقَةٌ بالطبِّ بِغَيْرِهِ بِقَوْلِهِ:"وَقَبَّحَ اللهُ النَّهَمَ فَعَنْهُ تَكُونُ العِلَلُ المُتَوَلِّدَةُ،وَكُلُّ دَاءٍ أَصْلُهُ البَرَدَةُ،وَمَع مَا رُكِّبَ فِي مِنَ الشَّرَهِ إِلَى المَأْكَلِ، فَإِنِّي مُتَطَفِّلٌ عَلَى استجازَةِ أَكْلِ الحَجَلِ،فَأَذْهَبَ اللهُ نَفْسِي،يَوْمَ أَرُومُ أَكْلَ أَبْنَاءِ جِنْسِي،إِذنْ أَكُونُ كَالزَّنْجِ الأَنْجَاسِ،الذِينَ يَسْتَجِيزُونَ أَكْلَ لُحُومِ النَّاسِ" لِيَنْتَقِلَ بعدَهَا للحديث عَمَّا لَهُ عَلاقَةٌ بِالحَجَلِ وَالطَّيْرِ بِقَوْلِهِ:"بَلْ إِنِّي أَطْلُبُهَا مِنْ مَظَانِّهَا،وَأَرْتَادُهَا،وَأَنْصُبُ لَهَا الحَبَائِلَ وَأَصْطَادُهَا،ثُمَّ أُرْسِلُهَا أَسْرَابًا وَأَفْواجًا،وَأُسَرِّحُهَا فُرَادَى وَأَزْوَاجًا"(٥).وَمُصْطَلَحَاتُ الطِّبِّ نَاسَبَتْ مِهْنَةَ مُرْسِلِهَا الطَّبِيبِ البُرْذُقُونِ الذي كَتَبَ ابنُ حَسْدَاي الرِّسَالَةَ عَلَى لِسَانِهِ.بَيْنَمَا امتلأتِ الرِّسَالَةُ المَكْتُوبَةُ عَلَى لِسَانِ المُنَجِّمِ بَلارْدَةَ بِمُصْطَلَحاتِ الفَلَكِ وَبِعُلَماءِ الفَلَكِ،فَالرِّسَالَةُ مُوَجَّهَةٌ إِلَى مَنْ يَشْكُو ضَعْفًا فِي عَيْنِهِ؛فَذَكَرَ حالَ النُّجومِ حِينَ تفقدُ القَمَرَ بِحالِهِ حِينَ فَقَدَ بَعْضَ الرُّؤْيَةِ،وَذَكَرَ الخَفَافِيشَ وَزَرْقَاءَ اليَمَامَةِ لِتُنَاسِبَ قُوَّةَ الرُّؤْيَةِ وَعَدَمَهَا،ثُمَّ تَذَكَّرَ عورَ الدَّجَّالِ ودابَّتَهُ فَذَكَرَ كَمَا أَشرتُ سابقا:"دَابَّةَ البَحْرِ،فَلَكَ السَّمَاءِ،قِيطُوسَ، جَالِينُوسَ،جَمَاعَةَ كَوَاكِبَ تُعْرَفُ بِدَابَّةِ البَحْرِ،كَوَاكِبَ النَّهْرِ،ذَنَبَهَا مِمَّا يَلِي الدَّلْوَ،فَمَ الحُوتِ الجَنُوبِيَّةِ، كَوَاكِبَ الحُوتِ مِنْ فَلَكِ البُرُوجِ،بُرْجَ الحَمَلِ"(٦)،وَلَمْ يَكْتَفِ ابْنُ حَسْدَاي بِهَذَا فِي رِسَالَتِهِ بَلْ أَتَى

---

١ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٨٣– ٤٨٤ .

٢ – **جَالِينُوس:** قَالُوا إِنَّهُ خَاتِمُ الأَطِبَّاءِ الكِبَارِ المُعَلِّمِينَ وَهُوَ الثَّامِنُ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُ لَيْسَ يُدَانِيهِ أَحَدٌ فِي صِنَاعَةِ الطِّبِّ.

انْظُرْ: ابن النَّدِيم"**الفِهْرِسْت**" ١/٤٠١– ٤٠٣ ؛ ابن أَبِي أُصَيْبِعَة "**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ١/١٠٩– ١٥٠ .

اسْقَلْبِيُوس: مِنْ أَشْرَافِ اليُونَانِيِّينَ قَبْلَ أَبُقْرَاطَ وَمِمَّنِ اشتُهِرُوا بِصِنَاعَةِ الطِّبِّ. انْظُرْ: ابن أَبِي أُصَيْبِعَة"**عُيُونُ الأَنْبَاءِ**" ١/٤٤، ٨٠ .

٣ – **تَاسْلاسَ** أو **ثَاسْلُوس:** هُوَ أَحَدُ أَبْنَاءِ أَبُقْرَاطَ الكَبِيرِ وَتَلامِيذِهِ مِنْ آلِ أسقليبيوس.أَمَّا أَوْلادُهُ فَهُمْ أَرْبَعَةٌ: تاسلوس، ودراقن، وابناهما: أَبُقْرَاطُ بنُ ثَاسْلُوسَ؛ وَأَبُقْرَاطُ بنُ دراقن. فَكُلٌّ وَاحِدٍ مِنْ وَلَدَيْهِ كَانَ لَهُ وَلَدٌ سَمَّاهُ أَبُقْرَاطَ بِاسْمِ جَدِّهِ. انْظُرْ:ابن النَّدِيم"**الفِهْرِسْت**" ١/٤٠٠ .

٤ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٧٩ .

٥ – نَفْسُهُ ق٣،م١/٤٨١ .

٦ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ق٣،م١/٤٨٣– ٤٨٤ ، وَأَثْبَتُّ النصَّ كاملاً فِي المَلاحِقِ.

قبلها بِمَجْمُوعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ مُصْطَلَحاتِ الفَلَكِ يَسْتَهْزِئُ بِهِ قائِلا:"فَحَدَّثْنَا عَنْ هَقعَةِ الجَوْزَاءِ[1] أَوْ نَثْرَةِ السَّرَطَانِ[2]:هَلْ هِيَ كَوَاكِبُ صِغَارٌ مُنْتَظِمَةٌ،أَوْ لَطْخَةٌ[3] سَحَابِيَّةٌ مُظْلِمَةٌ؟ فَإِنَّ بَصَرَكَ يُدْرِكُ حَقِيقَةَ ذَلِكَ وَلا يَكِلُّ عَنْ نَيْلِ مَدَاهُ،وَبُلُوغِ أَقْصَاهُ،وَأَمَّا رُؤْيَتُكَ الثُّرَيَّا[4] سَبْعَةَ أَنْجُمٍ فَهُوَ مَا لا يَفْخَرُ بِهِ مِثْلُكَ،وَإِنَّمَا يُقاسُ بِهِ الحَدِيدُ البَصَرِ،وَأَنْتَ فِي ذَلِكَ أَقْوَى البَشَرِ.وَحَدِّثْنَا عَنْ كَلَفِ القَمَرِ[5] مَا هُوَ؟ وَاشْرَحْ لَنَا الحَالَ فِي قَطْرِ السَّحَابِ كَيْفَ هُوَ؟فَإِنَّكَ تُبْصِرُهُ مُجْتَمِعًا قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ بَدَدًا،وَتَلْحَظُهُ ذَائِبًا قَبْلَ أَنْ يَجْمَدَ بَرْدًا،وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا تَرَاهُ عَيَانًا"[6].ويُلاحَظُ أَنَّ استخدامَ مُصْطَلَحاتِ الفَلَكِ أَتَى كَثِيفًا مُتلاحِقًا مُصْطَنَعًا،وَتَتَابَعَتْ بِدَرَجَةٍ مُمِلَّةٍ يَكَادُ لا يَفْهَمُهَا إلا مُتَخَصِّصٌ أَوْ عَارِفٌ بِهَذَا العِلْمِ فقطْ،بَيْنَمَا كَانَتْ مُصْطَلَحاتُهُ الطِّبِّيَّةُ أَقلَّ عَدَدًا وَأَوْضَحَ مَعْنًى.

ثالِثًا : سِماتٌ مَوْضُوعِيَّةٌ وَفَنِّيَّةٌ أُخْرَى.

لَمْ تَكُنْ رَسَائِلُ ابنِ حَسْدَايٍ كامِلَةً حَتَّى يَتِمَّ اسْتِخْرَاجُ سِمَاتِ الكِتَابَةِ عندهُ بدقَّةٍ،لكن مِنْ هَذِهِ المُنْتَخَباتِ الَّتِي وَصَلَتْ إلينا يمكِنُ التَّوَقُّفُ عِنْدَ ما يَلِي :

١ ـ المَوْضُوعات :

رَسَائِلُ ابنُ حَسْدَايٍ نَوْعَانِ:الأَوَّلُ مِنْهَا كَتَبَهُ عَنْ نَفْسِهِ،وَالثَّانِي كَتَبَه عَنْ أَحَدِهِمْ أَوْ بِلِسَانِهِ. وَكَتَبَ ابنُ حَسْدَايٍ سِتَّةً مِنَ الرَّسَائِلِ عنِ اثْنَيْنِ مِنْ مُلُوكِ الأَنْدَلُسِ وَهُمَا المُؤْتَمِنُ وَالمُقْتَدِرُ حَيْثُ كَانَ يعملُ عِنْدَهُمَا،فَهِيَ مِنَ الرَّسَائِلِ الدِّيوَانِيَّةِ.وَوُصُولُهُ إِلَى هَذِهِ المَكانَةِ عِنْدَ أَصْحَابِ السُّلْطَةِ والنُّفُوذِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَتَمَتَّعُ بِمَلَكَةٍ أَدَبِيَّةٍ واضِحَةٍ وشَخْصِيَّةٍ مُمَيَّزَةٍ أَهَّلَتْهُ هَذِهِ المكانَةَ.

وَرَسَائِلُ ابنِ حَسْدَايٍ غَيْرِ الشَّخْصِيَّةِ نوعَانِ:الرَّسَائِلُ الدِّيوانِيَّةُ وَالرَّسَائِلُ الهَزْلِيَّةُ، وَسَوَاءٌ أَكَانَتِ الرَّسَائِلُ دِيوانِيَّةً أَمْ هَزْلِيَّةً أَمْ أَدَبِيَّةً -إنِ اعتَبَرنا رِسَالَتَهُ عَلَى لِسَانِ النَّرْجِسِ مِنْهَا- فإِنَّ مُعْظَمَ الرَّسَائِلِ الَّتِي كَتَبَهَا ابْن حَسْدَايٍ **امتازَتْ بِالجِدِّيَّةِ باسْتِثْناءِ رِسَالَتِه الهَزْلِيَّةِ** الَّتِي كَتَبَهَا عَلَى لِسَانِ المُنَجِّمِ بَلارْدَة إِلَى الطَّبِيبِ المُلَقَّبِ بِالبُرْذُقُونِ وَالرَّدِّ عَلَيْهَا.وَجاءَتِ الجِدِّيَّةُ مِنْ كَوْنِ مُعْظَمِهَا صَادِرَةً عن دِيوانِ الرَّسَائِلِ،وَمِمَّنْ يَعْمَلُ فيهِ.وَحَدَّدَتِ **الجِدِّيَّةُ** أَغْرَاضَ رَسَائِلِهِ قَلِيلاً،فَلَمْ يَظْهَرْ فِيهَا تَنَوُّعٌ فِي

---

١ – الهَقْعةُ: ثلاثةُ كواكِبَ نَيِّرَةٌ قريب بعضها مِنْ بعض فوق مَنْكِبِ الجَوْزاءِ. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [هقع] ٣٧٣/٨ .

٢ – النَّثْرَةُ: كوكبان بينهما مقدار شبر، وفيهما لَطْخ بياض كأنه قِطْعة سحاب مِنْ بُرْجِ السرطانِ. أوهي ثلاثة كواكبَ خَفِيَّة متقاربة، أو أربعة . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [نثر] ١٩٢/٥ .

٣ – اللَّطخ: كل شيءٍ لُطِّخ بغَيْر لونه، وَفِي السماء لَطْخٌ مِنْ سحاب أَي قليل . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [لطخ] ٥١/٣ .

٤ – الثُّرَيَّا: مِنَ الكواكب، سميت بذَلِكَ لكثرة كواكبها مَعَ صغر مَرْآتها . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [ثرا] ١١٢/١٤ .

٥ – كَلَفُ القَمَرِ: تغيُّره ، والمقصود هُنَا منازله . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [كلف] ٣٠٧/٩ .

٦ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٨٣ .

الأغْرَاضِ،وَحَوَتِ الرَّسَائِلُ عَنِ المُؤْتَمِنِ أَوِ المُقْتَدِرِ أُمُورًا تَتَعَلَّقُ بِالأُسْرَةِ أَوِ الصَّدَاقَةِ أَوِ التَّعْزِيَةِ لِوفَاةِ قَرِيبٍ لِلمُخَاطَبِ،أَو طَلَبِ مُقَابَلَةٍ،أَوِ الحَدِيثِ عَنِ الوَفَاءِ،أَوِ التَّوَسُّطِ لأَحَدِهِمْ عِنْدَ مَنْ يُخَاطِبُهُمْ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛**وَدَارَتْ أَغْرَاضُ مَا كَتَبَهُ عَنْ نَفْسِهِ حَوْلَ الشُّكْرِ وَالامْتِنَانِ وَالثَّنَاءِ** عَلَى أَوْلِيَاءِ نِعْمَتِهِ عَلَى مَعْرُوفٍ سَابِقٍ أَوْ رِسَالَةٍ سَابِقَةٍ،أَوِ الاعْتِذَارِ وَطَلَبِ الصَّفْحِ،أَوْ طَلَبِ السَّمَاحِ لَهُ بِالمُكْثِ فِي دِيارِ المُخاطَبِ أَوِ الرَّحِيلِ عَنْهَا فِي أُخْرَى.وَلَمْ تَتَعَدَّ الرَّسَائِلُ التِي كَتَبَهَا عَنْ نَفْسِهِ هَذِهِ الأَغْرَاضَ إلا رِسَالَتَهُ التِي كتبهَا عَلَى لِسَانِ النَّرْجِسِ.

والفُصُولُ التِي اختارهَا ابنُ بَسَّامٍ لابْنِ حَسْدَاي **بَعْضُهَا قَدَّمَ لَهُ تَقْدِيمًا وَاضِحًا** فقالَ:كَتَبَهَا عَنْ فُلانٍ أو فُلانٍ،لكنَّ بعضَهَا قدَّمَ لَهُ بِقَوْلِهِ:وله مِنْ أُخْرَى،وَهَذِهِ لا يَظْهَرُ فِيهَا إنْ كَانَتْ مِنْهُ أَو أَنَّهَا عَنْ غَيْرِهِ.**وَيَظْهَرُ فِي رَسَائِلِهِ أَنَّهُ كَانَ صاحِبَ قُوَّةٍ وَنُفُوذٍ وَسَيْطَرَةٍ** تُقارِبُ مَا حَصَلَ عَلَيْهِ الوُزَرَاءُ العَرَبُ المُسْلِمُونَ المُقرَّبُونَ بَلْ فَاقَ مَا حَصَلَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ،انْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ:"وَمِنْ أُولئِكَ الأَعْيَانِ الأَكَابِرِ،بَلِ المُبِرِّ[1]عَلَيهِمْ بِخَصَائِصِ المَآثِرِ،فُلان،فَإِنِّي مَا أُفاوِضُكَ فِي وَصْفِ مَنَاقِبِهِ،وَأُعْلِمُكَ بِكَرِيمِ ضَرَائِبِهِ،وَاعْتِلائِهِ فِي مَرَاقِي العِلْمِ وَتَسَنُّمِهِ،وَشُفُوفِهِ[2]بِالبَرَاعَةِ فِي الإِبْدَاعِ وَتَقَدُّمِهِ،مُفَاوَضَةَ مَنْ يَسِمُ لَدَيْكَ غُفْلاً،وَيُنَبِّهُ خَامِلاً،وَيُذَكِّرُ نَاسِيًا،فإِنَّكَ أَعْلَى مَلْحَظًا،وَأَزْكَى تَيَقُّظًا،مِنْ أَنْ يَغِيبَ عَلَيْكَ مَكَانُ مِثْلِهِ،وَلا يَتَقَرَّرَ لَدَيْكَ سُمُوُّ مَحَلِّهِ،فِي إِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ،وَحَسْبُكَ بِهِ جُمْلَةً تُغْنِي عَنِ التَّفْصِيلِ،مَعْ عَالِي نَظَرِكَ الجَلِيلِ،أَنِّي مَا عَاشَرْتُ أَكْبَرَ مِنْهُ فِي البِرِّ وَالصِّلَةِ،وَلا أَقْوَمَ بِحَقِيقَةِ الوُدِّ والخُلَّةِ[3]،وَلا نَاسَمْتُ أَطْيَبَ مِنْهُ نَفْسًا،وَلا أَمْتَعَ أُنْسًا،نَفَاسَةَ خِيمٍ[4]صَادِرَةً عَنْ شَرَفِ أَرُومٍ[5]،وَأَنْتَ خَلِيقٌ بِالاسْتِكْثَارِ مِنْ جَانِبِهِ،وَالإِجْمَالِ فِي مَعُونَةِ مَطَالِبِهِ"[6].

وَهَذِهِ القُوَّةُ وَالنُّفُوذُ جَعَلَتْهُ يُعَانِي مِمَّا يُعَانِي مِنْهُ عَادَةً كِبارُ السَّاسَةِ مِنَ المُلُوكِ وَالوُزَرَاءِ مِنَ الغِيرَةِ وَالحَسَدِ وَالمُؤَامَرَاتِ وَالدَّسَائِسِ.**فَأَظْهَرَتْ رَسَائِلُهُ البِيئَةَ النَّفْسِيَّةَ لَهُ**،وَأَشارَ إِلَى المُنَغِّصَاتِ هَذِهِ بِطَرِيقَةٍ رَمْزِيَّةٍ عَلَى لِسَانِ النَّرْجِسِ:"فَلَيْتَ الرِّياضَ تَعْلَمُ بِمَكَانِي فَتَذْبُلَ كَمَدًا،وَتذْوَى[7] حَسَدًا، وَتَرَانِي وَقَدْ أَنَرْتُ فِي أُفُقِكَ البَهِيجِ،وَزَهَرْتُ فِي رَوْضِكَ الأَرِجِ،فَكَمْ تَمَنَّى الأَزْهَارُ أَنْ تُضَامَ لَدَيْكَ مَطَالِبِي،وَتَتَكَدَّرَ فِي ذُرَاكَ مَشَارِبِي،فَأَزِلْ عَنِّي حَسَدَهُم بِكَبْتِهِم،فَقَدْ شَجَاهُم تَقَدُّمِي قَبْلَ وَقْتِهِم"[8].

---

[1] – المُبِرّ : الغالب . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [برر] ٤/٥٥ .

[2] – شُفُوفِهِ : رِقَّتِهِ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [شفف] ٩/١٨١ .

[3] – الخُلَّة: الصَّدَاقَة المُخْتَصَّة التي لَيْسَ فِيهَا خَلَل . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [خلل] ١١/٢١٦ .

[4] – خِيَم: أصل . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [خيم] ١٢/١٩٤ .

[5] – أَرُوم: أصل. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [أرم] ١٢/١٥ .

[6] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٦٨ .

[7] – تذْوَى: تهلَكُ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [ودى] ١٥/٣٨٦ .

[8] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٧١ – ٤٧٢ .

وَأَظْهَرَتْ رَسَائِلُ ابْن حَسْدَاي كَذَلِكَ البِيئَةَ المَادِّيَّةَ حَوْلَهُ؛فَبَدَتْ الطَّبِيعَةُ الخَلابَةُ بَيْنَ أَسْطُرِ رَسَائِلِهِ بِمَا فِيهَا مِنْ أَزْهَارٍ وَنَوَاوِيرَ جَمِيلَةٍ بِقَوْلِهِ عَنْ المُقْتَدِرِ لأَخِيهِ:"وَصَلَتِ الهَدِيَّةُ التِي أَصْدَرْتَهَا سَاحَةَ الفَضْلِ،وَتضَمَّنَتْهَا رَاحَةُ النُّبْلِ،وَزَفَّهَا المَجْدُ زَفَافَ الهَدْيِ تَرْفُلُ فِي الحِلِيِّ وَالحُلَلِ،وَتَقَدَّمَ سَفِيرُ الآسِ[1]،فَأَذَاعَ مَا حَمَلَ مِنْ طِيبِ الأَنْفَاسِ،وَتَلَقَّيْتُهُ بِمَا يُتَلَقَّى مِثْلُهُ مِنْ كِرَامِ الزُّوَّارِ،إِذْ كَانَ بِحُكْمِ الإِجْمَاعِ سَيِّدَ الزَّهْرِ وَالنَّوَارِ،بِدَوَامِ عُهْدَتِهِ،وَبَقَاءِ جِدَّتِهِ وَتَمَادِي نَضْرَتِهِ،وَتَنَاوَلْتُ الظَّرْفَ الظَّرِيفَ الوَاصِلَ مَعَهُ،فَفَضَضْتُ خِتَامَهُ وَتَرَشَّفْتُ مُسْتَوْدَعَهُ،وَتَسَوَّغتُ مِنْهُ شُمُولاً[2]مُعَتَّقَةً،لَذَّةً عَبِقَةً، ....وَوَصَلَ مُبْكِرُ البَهَارِ[3]الجنِيِّ،مُمْتِعًا بِمَنْظَرِهِ البَهِيِّ،وَعَرْفِهِ[4]الذَّكِيِّ "[5] .

وَظَهَرَتِ البِيئَةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ كَذَلِكَ فِي هَذِهِ الرَّسَائِلِ،فَبَدَتْ كَأَنَّهَا وَثِيقَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ وَاضِحَةٌ، فَأَظْهَرَتْ بَعْضَ العَادَاتِ كَالتَّهَادِي بَيْنَ النَّاسِ فِي الرِّسَالَةِ السَّابِقَةِ،وَمِثْلُهُ كَذَلِكَ فِي رِسَالَتِهِ عَنِ المُقْتَدِرِ إِلَى أَخِيهِ المُظَفَّرِ لِوفاةِ ابنهِ،فيهَا إِنَّهُ:"قَرَنَ بِالرُّقْعَةِ ظَرْفَ بلُّورٍ أَحْمَر مَمْلُوءًا خَمْرًا مَعَ بَاقَةِ آسٍ، يُسَلِّيهِ عَنْ ابنٍ تُوُفِّيَ لَهُ،وَاشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِ"[6] .

وَظَهَرَتِ **طَبِيعَتُهُ اللاهِيَةُ المُسْتَهْتِرَةُ بِالقِيَمِ الإِسْلامِيَّةِ دُونَ خَوْفٍ** فِي رِسَالَتِهِ التِي أَصَرَّ فِيهَا عَلَى مُلاحَقَةِ ابنِ الدَّبَّاغِ لِيَعُودَ إِلَى الخَمْرِ وإِلى مَجَالِسِهِم،فَفِيهَا:"وَنَعَمْ،سَنَأْدُبُكَ إِلَى مَآدِبِ أُنْسِنَا، وَنَنْدُبُكَ[7]إِلَى مَحَاضِرِ لَهْوِنَا،فَمَا تَتِمُّ إِلا بِكَ،وَلا نَلَذُّ إِلا بِاقْتِرَابِكَ،وَأَيُّ شَيْءٍ أَلَذُّ وَأَمْتَعُ مِنْ أَنْ نَتَعَاطَى عَنْكَ وَأَنْتَ فِي مَجْرَاهَا،وَنُحَلِّقَ بِهَا عَلَيْكَ وَأَنْتَ لا تَرَاهَا،وَلا تُعَلُّ مِنْهَا بِنَسِيمٍ،وَلا تَنْفَحُ لَكَ مِنْ رَيَّاهَا بِشَمِيمٍ،حَتَّى إِذَا دَبَّتْ فِينَا حُمَيَّا الخَمْرِ،وَقَهَرَتْنَا سَوْرَةُ السُّكْرِ[8]،تَمَايَلْنَا عَلَيْكَ مُعَرْبِدِينَ، وَتَمَسَّحْنَا بِأَثْوَابِكَ رَاكِعِينَ وَسَاجِدِينَ"[9]،و أضَافَ:"وَأَمَّا صِفَةُ حَالَتِنَا التِي سَأَلْتَ عَنْهَا،فَسَنَزِيدُكَ جُنُونًا بِالحَدِيثِ عَنْهَا:اعْلَمْ أَنَّنَا قَيْدُ الْتِهَاءٍ وَارْتِيَاحٍ،وَرَهْنُ اغْتِبَاقٍ وَاصْطِبَاحٍ،تَصْرَعُنَا القَهْوَةُ،فَنَتَدَاوَى مِنْهَا بِهَا،وَنَتَدَرَّعُ النَّشْوَةَ،فَلانَعْرَى مِنْ إِهَابِهَا،فَنَخْرُجُ مِنْ سَكْرَةٍ إِلَى سَكْرَةٍ،وَنَعْبُرُمِنْ غَمْرَةٍ فِي غَمْرَةٍ[10] ...وَسَتَرِدُ فَتَعْلَمُ،وَتَلْقَى خِلافَ مَا تَظُنُّ وَتَتَوَهَّمُ،وَاللهُ يُمَتِعُنَا بِمَقْدَمِكَ،وَيُؤْنِسُنَا بِلِقَائِكَ،وَيَنْفَعُنَا بِصَلاحِكَ وَبَرَكَةِ

---

[1] – الآسُ: ضَرْبٌ مِنَ الرَّيَاحِينِ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [أوس] ١٩/٦ .

[2] – الشَّمُول: الخَمْر . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [شمل] ٣٦٩/١١ .

[3] – البَهار : نَبْتٌ طَيِّبُ الرائِحَةِ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [بهر] ٨٤/٤ .

وجاء في"نَفْحُ الطِّيبِ" :أَنَّ النَّرْجِسَ وَيُسَمَّى العَبْهَرُ هُوَ البَهَارُ عِنْدَ الأَنْدَلُسِيِّينَ . المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٦١/٤ .

[4] – عَرْفِه: رائِحَتِه . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [عرف] ٢٤٠/٩ .

[5] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٦٩/١ .

[6] – انْظُرْ : نَفْسَهُ ق٣،م٤٧٣/١ .

[7] – نَنْدُبُكَ: ندعوكَ ونَحُثُّكَ لِتُسْرِعَ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [ندب] ٧٥٥/١ .

[8] – سَوْرَةَ الخَمْر : حِدَّتُها . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [سور] ٣٨٤/٤ .

٩ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٢٨٨/١ .

١٠ – الغَمْرَة : الماء الكثير . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [غمر] ٢٩/٥ .

دُعَائِكَ"[١] .وإنْ دَلَّتِ الرِّسَالَةُ عَلَى شيْءٍ فإنَّمَا تَدُلُّ عَلَى مقدارِ النُّفُوذِ الذي تمتَّعَ بهِ هَذَا اليَهُودِيُّ حَتَّى يُعلِنَ بِمُجَاهَرَتِهِ هَذِهِ واسْتِهْتَارِهِ وَسْطَ بيئةٍ عَرَبيَّةٍ إسْلاميَّةٍ.

وَكَانَ **الاسْتِعْطَافُ أكْثَرَ غَرَضٍ بَادٍ فِي رَسَائِلِ ابنِ حَسْدَاي**،رافقهُ أحْيَانًا تذلُّلٌ وَلِينٌ فِي الخِطَابِ،ومنْهُ قَوْلُهُ:"وَأنَا أيَّةَ[٢]تَصَرَّفْتُ،وَحَيْثُ تقلَّبْتُ،العبدُ القِنُّ،فَلْيُحْسِنْ بِيَ الظَّنَّ،فإنِّي لا أُلِمُّ بِنَقْضٍ وَلا ثَلْمٍ،وَلا أَهُمُّ بِبُغْضٍ وَلا وَصْمٍ[٣].وَمِنْ أمَلِي أنْ ألْقَى مَوْلايَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ،بِوَجْهٍ يُسْفِرُ عَنْ أسَارِيرِهِ الزُّهْرِ[٤]،صَافِيَ الفِرِنْدِ[٥]مِنْ صَدَأٍ يَعِيبُ،نَقِيِّ الأَدِيمِ مِنْ خَجَلٍ يَرِيبُ،وَلَهُ عَلَيَّ مِنْ كَرَمِ العَهْدِ كَالِئٌ[٦]وَرَقِيبٌ وَإنْ أضْمَرَتْنِي مِنْ جَوَانِحِ البِلادِ حُجُبٌ وَغُيوبٌ[٧]:[الطويل]

فَلَـوْ كُنْـتُ بِالعَنْقَـاءِ أَرْبَـأُ سَـوْمَهَا[٨] لَخِلْتُـكَ إلا أنْ تَصُـدَّ تَرَانِـي

وَقَدْ خَاطَبْتُ مَنْ وَثِقْتُ بِوُدِّهِ،وَأنِسْتُ إلَى جَدِّهِ،فَإنْ جَادَ مَوْلايَ بِالصَّفْحِ،وَعَادَ بِالخُلُقِ السَّمْحِ،فَهُوَ الذِي يَضْطَرُّهُ إلَيْهِ عَالِي مَنْصِبِهِ،وَسَامِي رُتَبِهِ،وَإنْ صَرَمَ الحَبْلَ،وَجَذَمَ[٩]الأَصْلَ،فَهُوَ حُكْمُ الزَّمَانِ الفَاسِدِ،وَلا نُعْمَى لِلشَّامِتِ الحَاسِدِ،فَلَيْسَ بِالبَاقِي وَلا الخَالِدِ.."[١٠]،وَمِثْلُ هَذَا بَدَا كَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: "وَقَذَفَتْنَا غُرْبَةُ النَّوَى،حِينَ هَوَتْ بِيْ حَيْثُ الإِلْفُ وَالهَوَى،وَلَهُ الطَّوْلُ فِي الإِذْنِ وَالقَبُولِ،وَالتَّوْطِئَةِ لِلحُلُولِ،بِتَمْهِيدِ مَنْزِلٍ يُتَبَوَّأُ،وَبِمَدِيدِ ظِلٍّ يُتَفَيَّأُ،لا زَالَ فِنَاؤُهُ لِلقُصَّادِ مَأْلَفًا آهِلاً،وَحَرَمًا آمِنًا"[١١].فَبَدَا الأُسْلُوبُ لَيِّنًا وَالعباراتُ رَقِيقَةً،وَهَذَا أسْلُوبٌ مُوَفَّقٌ فِي مُخَاطَبَةِ الحُكَّامِ لِينالَ مَزِيدًا مِنَ العَطَاءِ وَالمَكَانَةِ التِي كَانَ بِحَاجَةٍ إلَيْهَا فِي مُجْتَمَعٍ لا يُؤمِنُ بِدِيانَتِهِ.

٢ـ الأُسْلُوب :

لَمْ تتعَدَّدْ أَسَاليبُ ابنِ حَسْدَاي كَثِيرًا فِي رَسَائِلِهِ؛وَقَدْ يَرْجِعُ هَذَا إلَى تَقَارُبِ مَعَانِي الفُصُولِ المُخْتَارَةِ.إلا أنَّ هَذَا لَمْ يَمْنَعْ ظُهُورَ شَخْصِيَّةٍ أُسْلُوبِيَّةٍ وَاضِحَةٍ؛فَمِنْ سُهُولَةٍ وتكْرَارٍ وَتَرَادُفٍ إلَى

---

١ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٢٨٩/١ .

٢ – أيَّةَ تَصَرَّفْتُ :يقصدُ أيَّةَ طريقةٍ تَصَرَّفْتُ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [أوا] ٥٧/١٤ .

٣ – الوَصْمُ: العَيْبُ فِي الحَسَب . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [وصم] ٦٣٩/١٢ .

٤ - أسَارِيرِهِ الزُّهْرِ: وَجهِهِ الأبيض الحسن . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [زهر] ٣٣٢/٤ .

٥ – الفِرِنْد: السَّيف . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [فرند] ٣٣٤/٣ .

٦ – كَالِئٌ : حافظ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [كلأ] ١٤٦/١ .

٧ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٦١/١ .

٨ – العَنْقَاءُ: أكمة فوق جبل مشرف . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [عنق] ٢٧٤/١٠ .

أَرْبَأُ : أنظر للقوم لئلا يَدْهَمَهُم عدوّ، ولا يكُونُ إلاَّ عَلَى جبل أو شَرَف ينظر مِنْهُ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [ربأ] ٨٢/١ .

سَوْمَهَا: ملازمتها فلا أبرحُ مِنْهَا . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [سوم] ٣١١/١٢ .

٩ – جَذَمَ : أسرع القطع . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [جذم] ٨٧/١٢ .

١٠ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٦١/١– ٤٦٢ .

١١ – نَفْسُهُ ق٣،م٤٦٤/١ .

مُبَالَغَةٍ وَإِيجَاءٍ وَغُمُوضٍ وَتَوْرِيَةٍ،وَمِنَ الأَلْفَاظِ الجَزْلَةِ إِلَى المَأْنُوسَةِ،وَمِنَ اللِّينِ وَالرِقَّةِ إِلَى الإِقْذَاعِ، وَمِنَ الغِيبَةِ إِلَى المُخَاطَبَةِ،ومِنَ الاهْتِمَامِ الزَّائِدِ بِالمُحَسِّنَاتِ البَدِيعِيَّةِ إِلَى سُهُولَةٍ فِي التَّعْبِيرِ،وَمِنْ ضَرْبِ الأَمْثَالِ إِلَى الاسْتِشْهَادِ بِمَأْثُورٍ عَلَى التَّفْصِيلِ التَّالِي .

وَظَهرَعِنْدَ ابنِ حَسْدَاي **اهْتِمَامٌ وَاضِحٌ بِالألفاظِ الجَزْلَةِ القَوِيَّةِ**،كقولِهِ"يَعْتَسِفُ شَتَّى المَسَالِكِ وَيَعْرَوْرِي ظُهُورَ المَهَالِكِ،فَاتِحٌ كَاسْمِهِ سَائِحٌ عَلَى أَجْرَدَ سَابِحٍ كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهِ ثَوْبَ مَائِحٍ.."[1] ومثلُهَا فِي قَوْلِهِ مِنْ رُقْعَةٍ إِلَى ابنِ رَزِينٍ:"إِذَا وَمَضَ مِنْ أُفُقِهِ البَسَّامِ بَارِقٌ،أَوْ ذَرَّ[2]مِنْ سَمْتِهِ الوَضَّاحِ شَارِقٌ[3]...حَتَّى وَرَدَ مَا أَمْتَعَ بِوَابِلٍ بَعْدَ طَلٍّ،وَسَقَى نَهْلاً،وَوَالَى بِعَلٍّ،وَاسْتَرْهَبَ بِمُعْجِزَيْ سِحْرٍ حَرَامٍ وَحِلّ"[4].وَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى عَمَلِهِ فِي دِيوَانِ الرَّسَائِلِ فِيمَا أَرَى.

كَمَا أَنَّهُ **اسْتَخْدَمَ الألفاظَ السَّهْلَةَ المَأْنُوسَةَ كَثِيرًا** كَقَوْلِهِ:"فَأَنْتَ حَقًّا الدَّجَّالُ الأَعْوَرُ،وَالقَائِمُ المُنْتَظَرُ،الذِي نبَّأَنَا بِهِ الأَثَرُ،نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعِزَّنَا بِأَعْلامِكَ،وَيَنْصُرَنَا فِي أَيَّامِكَ،وَنَبْتَهِلُ إِلَيْهِ فِي أَنْ يَكْفِيَنَا أَشْرَاطَكَ،وَيَزْوِيَ عَنَّا تَعَدِّيكَ وَإِفْرَاطَكَ،حَتَّى إِذَا ظَلَمْتَ وَجُرْتَ،وَغَيَّرْتَ وَبَدَّلْتَ،قَذَفَ بِكَ فِي قَرَارِ اليَمِّ العَظِيمِ،وَالتَقَمَكَ الحُوتُ وَأَنتَ مُلِيمٌ،إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ "[5] .

وَجاءتِ الألفاظُ مُنَاسِبَةً للمَوْقِفِ؛فَبَدَتْ حَزِينَةً دَامِعَةً فِي قَوْلِهِ عَنِ المُقْتَدِرِ لأَخِيهِ المُظَفَّرِ لوفاةِ ابنهِ:"وَغَايَةُ الرَّجَاءِ وَالأَمَلِ،وَبِهِ المَتَاعُ فِي الدُّنْيَا،وَالنَّعِيمُ فِي الأُخْرَى،وَنَقِيضُهُ الحُزْنُ،وَهُوَ أَلَمٌ مِنْ آلامِهَا يَطْمِسُ نُورَهَا،ويُكَدِّرُ صَفَاءَهَا،وَيُنَغِّصُ نِعْمَتَهَا وَهَنَاءَهَا،فَإِذَا انْجَذَبَتْ مُجِيبَةً لِدَوَاعِي الهَمِّ مُنْقَادَةً فِي زِمامِهِ،وَلَمْ تُدَافِعْهُ عِنْدَ اعْتِرَاضِهِ وَإِلمَامِهِ،اشْتَمَلَتْ عَلَى المَضَضِ وَالنَّكَدِ،وَحَصَلَتْ فِي غَمْرَةِ الرُّكُودِ وَالتَّبَلُّدِ،وَبِحُكْمِ ذَلِكَ يَحِقُّ عَلَى الحَازِمِ اللَّبِيبِ أَنْ لا يَنْثَنِي عَنِ الأَخْذِ مِنْ أَقْسَامِ المَسَرَّةِ بِأَوْفَى النَّصِيبِ،فَيَسْتَمْتِعُ بِالمَوَاهِبِ أَيَّامَ مُصَاحَبَتِهَا،وَلا يَجْزَعُ عِنْدَ ارْتِحَالِهَا وَمُفَارَقَتِهَا، وَيَسْتَشْعِرُ أَنَّهَا مُعَارَةٌ لِتُؤَدِّي،مُودَعَةٌ لِتَقْضِي،فَلا يَأْسَفُ عِنْدَ اقْتِضَائِهَا وَارْتِجَاعِهَا،وَلا يَأْسَى عِنْدَ بَيْنِهَا وَوِدَاعِهَا، وَيُجَاهِدُ الهَمَّ إِذَا اعْتَلَجَ فِي صَدْرِهِ،بِمَضَاءِ عَزْمِهِ وَقُوَّةِ صَبْرِهِ"[6].وَبَدَتْ مُبْتَهِجَةً رَاقِصَةً تَتَحرَّكُ فِي رُقْعَتِهِ إِلَى ابنِ رَزِينٍ المَذْكُورَةِ سَابِقًا .

وَلأَنَّ ابنَ حَسْدَاي نَاسَبَ بَيْنَ المَوْقِفِ وَالأَلْفَاظِ **ظَهَرَتِ الألفَاظُ المُقْذِعَةُ** بِكَثْرَةٍ فِي رِسالَتَيْهِ عَلَى لِسَانِ المُنَجِّمِ بَلارْدَةَ وَالطَّبِيبِ البُرْذُقُونِ وَانْدَفَعَ فِي إِقْذَاعِهِ لِيُنَاسِبَ السُّخْرِيَةَ والاسْتِهْزَاءَ غَرَضَهُمَا.

---

[1] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/ ٤٦٠ .

[2] – ذَرَّ : نثر أو بَدَّدَ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [ذرر] ٣٠٣/٤ .

[3] – الشَّارِق: الشَّمس . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [شرق] ١٧٤/١٠ .

[4] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٥٩/١؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٤٤١/٢ .

[5] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٧٤/١ – ٤٨٣ .

[6] – نَفْسُهُ ق٣،م٤٧٣/١– ٤٧٤ .

وَيُلاحظُ عَلَى رَسَائِلِهِ أَنَّ **مَعَانيهَا سَطْحِيَّةٌ مَعَ ظلالٍ قَليلَةٍ مِنَ التَّلْمِيحَاتِ الذَّكِيَّةِ** أكْسَبَتْهَا حَيَوِيَّةً طَبِيعيَّةً؛فَوُضُوحُ الفِكْرَةِ وَالقَصْدُ إلَيْهَا دُونَ مُقَدِّمَاتٍ يَطْغَى عَلَى مُعظَمِ رَسَائِلِهِ،أَسْتَثْنِي مِنْ هَذَا رِسالَتَهُ عَلَى لِسَانِ النَّرْجِسِ؛فَحِينَ كَتَبَ إلَى المُسْتَعِينِ يَعْتَذِرُ عَنْ خُرُوجِهِ عَنْهُ قَالَ:"الدَّهْرُ–أَيَّدَ اللهُ مَوْلايَ– مُنْتَقِلٌ مُتَقَلِّبٌ،وَالدُّنْيَا دُوَلٌ وَعُقَبٌ،وَمَقَامُ القُطَّانِ[1]فِي الأَوْطَانِ كَمَقَامِ الأَرْوَاحِ فِي الأَبْدَانِ،تَصْحَبُهَا إِلَى آجَالٍ مُوَقَّاةٍ،عِنْدَ آمَادٍ مُسْتَوْفَاةٍ،فَمُدَدُ الأَحْوَالِ مُنَاسِبَةٌ للأَعْمَارِ "[2] ثُمَّ قَالَ بعدَهَا طَالِبًا العَفْوَ وَالصَّفْحَ بِخِطَابٍ فِيهِ لِينٌ وَذَكَاءٌ فِي التَّلْمِيحِ:"قَدْ خَاطَبْتُ مَنْ وَثِقْتُ بِوُدِّهِ،وَأَنِسْتُ إِلَى جَدِّهِ،فَإِنْ جَادَ مَوْلايَ بِالصَّفْحِ،وَعَادَ بِالخُلُقِ السَّمْحِ،فَهُوَ الذِي يَضْطَرُّهُ إِلَيْهِ عَالِي مَنْصِبِهِ،وَسَامِي رُتَبِهِ،وَإِنْ صَرَمَ الحَبْلَ، وَجَذَمَ[3]الأَصْلَ،فَهُوَ حُكْمُ الزَّمَانِ الفَاسِدِ،وَلا نُعْمَى لِلشَّامِتِ الحَاسِدِ،فَلَيْسَ بِالبَاقِي وَلا الخَالِدِ،فَكُلٌّ عَرَضٍ ذَاهِبٌ مَعَ جِسْمِهِ الفَانِي،....فَقَدْ قَالَ سُقْرَاطُ:"إِذَا انْكَسَرَ الحُبُّ لَمْ يَنْكَسِرِ المَكَانُ،وَلا يَتَّسِعُ فِي تَغْيِيرِهِ الإِمْكَانُ،وَلَكَ فِي مَا تَرَاهُ المَثَلُ الأَعْلَى،وَفِي مَا تَتَوَخَّاهُ الشَّرَفُ الأَزْكَى"[4] .

وَأَحْيَانًا كَانَ يأْتي بِمُقَدِّمَاتٍ قَصِيرَةٍ مُمَهِّدَةٍ للمَوْضُوعِ كَقَوْلِهِ وَهُوَ مُزْمِعٌ عَلَى الرَّحِيلِ مِنْ مُرْسِيَةَ:"المُقَدِّمَاتُ تُوَطِّئُ فِي الكَلامِ لإِيضَاحِ النَّتَائِجِ،وَإِمْرَارِ الكَلامِ عَلَى اطِّرَادِ المَنَاهِجِ،وَأَمَّا إِذَا كَانَ المَطْلُوبُ جَلِيًّا مُتَبَيِّنًا،وَالوِدَادُ المُرْتَادُ فِي النُّفُوسِ زَكِيًّا مُتَمَكِّنًا،فَتَكَلُّفُ مَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ عِيٌّ[5]لا سِيَّمَا إِذَا خُوطِبَ ذَكِيٌّ ألمَعِيٌّ،وَمِثْلُكَ الحَمِيمُ الكَرِيمُ الذِي يُتَيَقَّنُ صَفَاؤُهُ،وَيُدَّخَرُ وَفَاؤُهُ؛وَكُنْتُ قَدْ خَاطَبْتُكَ مُشْعِرًا نِيَّتِي فِي التَّحَوُّلِ،وَعَزْمِي فِي التَّجَوُّلِ،حَتَّى تُلْقَى العَصَا... "[6] .

وَرُغْمَ سُهُولَةِ العِبَارَاتِ فِي رَسَائِلِ ابنِ حَسْدَايِ إلا أَنَّ **بَعْضَ التَّلْمِيحَاتِ دَلَّتْ عَلَى وَضْعِهِ وَنَفْسِيَّتِهِ دُونَ أَنْ يَطْغَى عَلَيْهَا غُمُوضٌ أَوْ تَعْقِيدٌ فِي المَعْنَى**،فكَانَتِ التَّلْمِيحَاتُ وَاضِحَةً للمُخَاطَبِ أَو مَنْ رافَقَ الفَتْرَةَ التِي كُتِبَتْ فِيهَا،وَكَانَتْ بَعْضُ التَّلْمِيحَاتِ خَاصَّةً بِالطِّبِّ وَالفَلَكِ اللذَيْنِ بَرعَ فِيهِمَا الكَاتِبُ كَمَا سَبَقَ وَأَشَرْتُ،وَهَذَا وَاضِحٌ فِي قَوْلِهِ:"وَلَوِدِدْتُ أَنَّ الأَيَّامَ أَعْطَتْنِي مَا مَنَحَتْكَ زِيَادَةً عَلَى مَا نَقَصَتْنِي فَكَانَتْ تُكْمِلُ صِنَاعَتِي،وَتُنْفِقُ بِضَاعَتِي،وَلاسْتَغْنَيْتُ عَنْ اسطِرْلابِ كُرِّيٍّ[7]،وَكُرَةٍ ذَاتِ كُرْسِيٍّ،إِذْ كُنْتُ أَعُوذُ مِنَ الأُدْرَةِ[8]إِلى أَصَحِّ كُرَةٍ قَدْ مَاسَّهَا جُرْمٌ أُسْطُوانِيٌّ،وَمَخْرُوطٌ عَصْبَانِيٌّ،

---

[1] – القُطَّانِ : المُقيمُون . ابن مَنْظُور "لِسَانِ العَرَبِ" [قطن] ٣٤٣/١٣ .

[2] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَةِ**" ق٣،م٤٦١/١ .

[3] – جَذَمَ : أسرع القطع . ابن مَنْظُور "لِسَانِ العَرَبِ" [جذم] ٨٧/١٢ .

[4] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَةِ**"ق٣،م١ /٤٦٢ .

[5] – عِيٌّ : جَهْلٌ . ابن مَنْظُور "لِسَانِ العَرَبِ" [عيا] ١١٣/١٥ .

[6] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَةِ**" ق٣،م٤٦٦/١– ٤٦٧ .

[7] – الاسْطِرْلابِ كُرِّيّ: مِنَ آلاتِ الرصد. ابن خَلِّكَان"**وَفَيَاتِ الأَعْيَانِ**" ٧٠/٦ .

[8] – الأُدْرَةُ: نفخةٌ فِي الخُصْيَةِ . ابن مَنْظُور "لِسَانِ العَرَبِ" [أدر] ١٥/٤ .

يَكُونُ تَارَةً عُضَادَةً[1] اسْطِرْلابٍ،وتَارَةً مِقْيَاسَ بَابٍ"[2] .إلا أَنَّ **تَلْمِيحَاتِهِ لَمْ تَصِلْ إِلَى عُمْقٍ فِي المَعَانِي وَفَلْسَفَةٍ**؛فَحَوَتْ مَعَانِيَ خَاصَّةً يَسْهُلُ مَعْرِفَتُهَا إِنْ عُرِفَتْ مُناسبَتُها،مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ قَوْلُهُ:"وَلَكَ فَضْلُ الإِجْمَالِ،فِي الإِمْتَاعِ مِنْ ذَلِكَ بِأَعْظَمِ الآمَالِ،وَالإِعْدَاءِ عَلَى الأَيَّامِ بِقَضَاءِ دَيْنٍ مَمْطُولٍ، وَإِنْجَازِ مَوْعُودٍ لَمْ أَحْلَ مِنْهُ بِغَيْرِ تَسْوِيفٍ وَتَعْلِيلٍ"[3] .

وَبِسَبَبِ السُّهُولَةِ في رَسَائِلِ ابنِ حَسْدَاي **طَغَتِ العَاطِفَةُ عَلَى الأَفْكَارِ المَنْطِقِيَّةِ**،وَخَلَتْ مِنَ الغُمُوضِ **وَلَمْ يَظْهَرْ فِيهَا الرَّمْزُ كَثِيرًا**.وَأَكْثَرُ مَا ظَهَرَ الرَّمْزُ فِي كَلامِهِ[4] على لِسَانِ النَّرْجِسِ إِلَى المُقْتَدِرِ،بَدَأَهُ بِقَوْلِهِ:"أَنَا-وَصَلَ اللهُ بَهْجَةَ سُلْطَانِكَ،وَنَضْرَةَ أَوْطَانِكَ- إِذَا لَحَظْتَنِي بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ، قَائِدُ النَّوَّارِ،وَوَافِدُ الأَزْهَارِ،وَأَنَا لَهَا جَالِبٌ وَهِيَ طَارِدَةٌ،وَمُبَشِّرٌ بِوُرُودِهَا وَهِيَ مُؤْيِسَةٌ مُتَبَاعِدَةٌ،فَإِنِّي غَلَبْتُ بِمَا فِي طَبْعِي مِنَ التَيَقُّظِ وَالذَّكَاءِ،خُلْدَ التُّرَابِ وَصَرْدَ[5] الهواء،فقُمْتُ عَنْ إِسَاءَةِ الفَصْلِ عُذْرًا،ونَحَلْتُ الشِّتَاءَ عَلَى الرَّبِيعِ فَخْرًا،وَفَضَلْتُ الوَرْدَ سَيِّدَ الأَزْهَارِ طُرًّا،وَتَوَرُّدُهُ شَاهِدُ خَجَلِهِ، تَسْتُرُهُ مِنَ الحَيَاءِ فِي أَكِمَّتِهِ وَكِلَلِهِ[6] فَلِي عَلَيْهِ فَضْلُ العُيُونِ عَلَى الخُدُودِ،وَشَرَفُ السيِّدِ عَلَى المَسُودِ..."[7] ، وَسَبَقَتِ الإِشَارَةُ إِلَى سُطُورٍ مِنَ الرِّسَالَةِ فِي البَحْثِ[8] .

وَرُغْمَ أَنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ عَلَى لِسانِ النَّرجِسِ رمزِيَّةٌ إلا أَنَّ انْتِقَالَهُ بَيْنَ الخَوَاطِرِ وَالأَفْكَارِ كَانَ طَبِيعِيًّا لا فَجَوَاتَ فِيهِ،وهَذَا واضِحٌ فِي غَيْرِهَا كَذَلِكَ،فَهُوَ سِلْسِلَةٌ مُتَرَابِطَةُ الحَلْقَاتِ أَقْرَبُ إِلَى الطَّبْعِ وَأَبْعَدُ عَنِ التَّكَلُّفِ؛فَالرِّسَالَةُ صَدَى لِحالَةِ هَذَا الوَزِيرِ الكاتِبِ،أَبَانَتِ طُمُوحَ هَذَا اليَهُودِيِّ وَسْطَ مَنْ يَكِيدُونَ لَهُ وَيَغَارُونَ مِنْهُ وَيَحْسِدُونَهُ،وَيَرَى فايز القيسيّ أَنَّ الرِّسَالَةَ جاءَتْ صَدَى عَمِيقًا للحَالَةِ السِّيَاسِيَّةِ لِمُلُوكِ الطَّوَائِفِ؛فَالمُدَاهَنَةُ وَالتَّمَلُّقُ إِلَى المُلُوكِ دَفَعَتْ بَعْضَ الكُتَّابِ إِلَى تَفْضِيلِ مَلِكٍ بِعَيْنِهِ عَلَى غَيْرِهِ،فَيَتَّخِذُ مِنْ وَرْدَةٍ أَوْ زَهْرٍ مُعَيَّنٍ رَمْزًا لأَمِيرِهِ وَوَلِيِّ نِعْمَتِهِ،وَجَعَلَ مِنْ تَفَرُّدِهِ بَيْنَ الوُرُودِ وَالأَزْهَارِ نَظِيرًا لِتَفَرُّدِ أَمِيرِهِ بَيْنَ الأُمَرَاءِ.وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الرَّسَائِلُ كَذَلِكَ صَدَى لِلتَّنَافُسِ وَالحَسَدِ الذِي كَانَ بَيْنَ الكُتَّابِ فِي بَلاطَاتِ الأُمَرَاءِ،حَيْثُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الكُتَّابِ يَرْجُو التَّمَيُّزَ عَلَى أَقْرَانِهِ،وَيُوضِحُ فَضْلَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كُتَّابِ القَصْرِ[9] .

---

١ – عُضَادَة: ناحية أو جانب . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [عضد] ٢٩٣/٣ .

٢ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٧٨ .

٣ – نَفْسُهُ ق٣،م١/٤٦٥ .

٤ – انْظُرْ الرِّسَالَة: نَفْسُهُ ق٣،م١/٤٧٠ – ٤٧٣ .

٥ – صَرْد: بَرْد . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [صرد] ٢٤٨/٣ .

٦ – أَكِمَّة: رَوَابي؛ الكلَل: هِيَ الصَّوَامِعُ وَالقِبَابُ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [أكم؛ كلل]١٢/٢١؛١١/٥٩٥.

٧ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٧٠– ٤٧١ .

٨ – انْظُرْ مَلاحِقِ البَحْثِ.

٩ – انْظُرْ: فايز القَيْسِيّ"**أدبُ الرَّسَائِلِ فِي الأَنْدَلُسِ فِي القَرْنِ الخَامِسِ الهِجْرِيّ**"ص ٢٠٤ – ٢٠٥ .

وَالسُّهُولَةُ فِي رِسَالَتِهِ جَعَلَتْهُ يلجَأُ إِلَى **التَّكْرَارِ وَالتَّرَادُفِ كَثِيرًا**،مِنْهَا قَوْلُهُ:"وَاسْتَوْضَحْتُ مَا أَوْمَأَ إِلَيْهِ مِنْ نَشْدِ العَبْدِ الآبِقِ[١]عَلَى النَّهْدِ السَّابِقِ[٢]،وَقَدْ أَعْمَلْتُ فِي بَقَائِهِ المَكَايِدَ،وَبَثَثْتُ فِي اقْتِنَاصِهِ الحَبَائِلَ وَالمَرَاصِدَ،فَكَأَنَّ الرِّيَاحَ تَخَطَّفَتْهُ،وَالبِحَارَ غَمَرَتْهُ،وَالبِلادَ أَخْفَتْهُ وَأَضْمَرَتْهُ،وَكَيْفَ يُظْفَرُ بِعِيدِ حَوشِ الفُؤَادِ،شَكِسِ القِيَادِ،رَغِبَ عَنْ خُضُوعِ المَمَالِيكِ"[٣]،ومِنْهَا قَوْلُهُ:"وَوَجَدْتُهُ قَدْ نَعَى بَصَرَهُ، وَشَكَا عَوَرَه،.... وَإِنْ تَكُنْ قَدْ أَصَابَكَ عَوَرٌ،وَنَالَكَ مِنْهُ ضَعْفٌ وَخَوَرٌ،وَهُوَ نَقْصٌ فِي الظَّاهِرِ، فَبَصَرُكَ الآنَ بِحَمْدِ اللهِ أَجْمَعُ نُورًا،وَأَضْوَأُ شُعَاعًا،وَأَنْفَذُ نَظَرًا وَأَبْعَدُ اطِّلاعًا"[٤].وَمِثْلُهَا قَوْلُهُ: "فَأَنَا الآنَ أَهْجُرُهُ وَأُقْصِيهِ،فَلَقِيَ مِنِّي انْزِوَاءً عَنْهُ وَانْقِبَاضًا،وَشَكَا مِنِّي جَفَاءً وَإِعْرَاضًا"[٥].لكِنَّهُ لَمْ يُبَالِغْ فِي اسْتِعْمَالِ المُتَرَادِفَاتِ وَالتّكْرَارِ مُبَالَغَةً خَرَجَتْ عَنِ المَأْلُوفِ،بَلْ كانَتْ مَعْقُولَةً مَقْبُولَةً.

وَكَانَ **الاسْتِطْرَادُ قَلِيلاً فِي رَسَائِلِهِ**،إلا أَنَّ هَذَا لَمْ يمنعْ أَنْ يأْتيَ بكثيرٍ مِنَ الأَمْثِلَةِ أَحْيَانًا للدِّلالَةِ عَلَى مَا يُرِيدُ؛فأتى بِالبَنَّاءَ وَالمُهَنْدِسِ مِثَالَيْنِ فِي قَوْلِهِ: "فَإِنَّ البَنَّاءَ إِنَّمَا يَزِنُّ بِرَصَاصِهِ[٦]، وَالمُهَنْدِسُ يَرْصُدُ بِشَاقُولٍ[٧]..."،وكَثُرتِ الأمثلةُ أَحْيَانًا؛فكَانَتِ الغَانِيَةُ والمُخَدَّرةُ وَالخَوْدُ وَالعَرُوبُ وَالمَحْجُوبَةُ المَصُونَةُ فِي الرِّسَالَةِ نفسِهَا وَفِي نهايةِ الصفحةِ نفسِهَا بِقَوْلِهِ:"وَكَيْفَ تَفْرُكُكَ غَانِيَةٌ،أَوْ تَعْتَصِمُ مِنْكَ مُخَدَّرةٌ[٨]،وَمَا عَلَى ظَهْرِهَا خَوْدٌ[٩]إلا وَهِيَ إِذَا عَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا[١٠]أُعِيذَتْ بِاسْمِكَ، وَلا فَتَاةٌ عَرُوبٌ إلا وَهِيَ تَسْتَغْشِي مِنْ غَيْرِ نَعْسَةٍ رَجَاءً فِي لِقَاءِ خَيَالِكَ،وَلامَحْجُوبَةٌ مَصُونَةٌ إلا وَهِيَ تُرَقِّعُ الكُوَى بِالمَحَاجِرِ لِمَمَرِّكَ"[١١].وَلَمْ تَكُنْ أَمْثِلَةُ ابنِ حَسْدَاي فِي رَسَائِلِهِ مِنَ البَشَرِ فَحَسْبُ، بَلْ **ذَكَرَ أمثلةً عديدةً مِنَ الحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورِ**؛فَجَاءَ بِالغَزَالِ وَالطَّاوُوسِ بِقَوْلِهِ:"وَهَذَا الغَزَالُ،وَهُوَ

---

[١] – العَبْد الآبق: العَبْد الهَارِب مِنْ سَيِّدِهِ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [أبق] ٣/١٠ .

[٢] – نَهَد القومُ لعدوّهم: صَمَدوا لَهُ وَشَرَعُوا فِي قِتَالِهِ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [نهد] ٤٣٠/٣ .

[٣] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٥٩– ٤٦٠ .

[٤] – نَفْسُهُ ق٣،م١/٤٨١ – ٤٨٢ .

[٥] – نَفْسُهُ ق٣،م١/٤٧٤ .

[٦] – الرَّصَّاصةُ: الحجارة . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [رصص]٤١/٧ .

[٧] – الشَّاقُولُ: خَشَبة قَدْرُ ذراعين فِي رأْسها زُجٌّ،يجعل فِيهَا رأس الحَبْلِ ثم يَرُزُّها فِي الأَرض ويَتَضَبَّطها حَتَّى يَمُدُّوا الحَبْلَ .
ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [شقل] ٣٥٦/١١ .

[٨] – مُخَدَّرَةٌ: امرأةٌ ، مأخوذ مِنَ الخِدْرُ وَهُوَ سِتْرٌ يُمَدُّ للجارية فِي ناحية البيت . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [خدر] ٢٣٠/٤ .

[٩] – خَوْدُ: فَتَاةٌ حَسَنَةُ الخَلْقِ شَابَّةٌ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [خود] ١٦٥/٣ .

[١٠] – مِرْط: بفتح الميم أو كسرها، كِساء مِنْ خَزّ أَو صُوف أَو كتّان . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [مرط] ٤٠١/٧ .

[١١] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٤٧٧– ٤٧٨ ، وَانْظُرْ : مَلاحِقِ البَحْثِ .

النِّهَايَةُ فِي الجَمَالِ،لَهُ دِقَّةُ الشَّوَى[1] وَنُشُوزُ[2] القَرْنِ وَصَدْعُ الظِّلْفِ[3]،وَالطَّاوُوسُ-وَهُوَ الغَايَةُ فِي الحُسْنِ-لَهُ قُبْحُ الرِّجْلَيْنِ وَعُرْيُ السَّاقَيْنِ"[4].وَذَكَرَ العُقَابَ وَالنَّسْرَ وَابنَ المَاءِ والخَفَافِيشَ وَالأَخْلادَ مَعَ زَرْقَاءِ اليَمَامَةِ بِقَوْلِهِ:"وَالعُقَابُ الكَاسِرُ،وَالنَّسْرُ الطَّائِرُ،وَابنُ المَاءِ المُحَلِّقُ[5]،بِالإِضَافَةِ إِلَيْكَ خَفَافِيشُ،وَبِالمُقَايَسَةِ بِكَ أَخْلادٌ[6] وَقَدْ أَزْرَيْتَ بِزَرْقَاءِ اليَمَامَةِ"[7].

وَ**بَدَا فِي رَسَائِلِهِ ابْتِكَارٌ فِي المَعَانِي أَحْيَانًا** بِسَبَبِ اهْتِمَامِهِ بِالفَلْسَفَةِ وَبِالأَقْيِسَةِ المَنْطِقِيَّةِ **إلا أَنَّ هَذَا كَانَ قَلِيلاً**،وَمِنْهُ قَوْلُهُ السَّابِقِ إِلَى البُرْذُقُونِ بِهِ تَوَصَّلَ إِلَى أَنَّ بَصَرَ البُرْذُقُونِ الآنَ أفضَلَ، حَيْثُ اجْتَمَعَ نُورُ البَصَرِ بِفَقْدِ إِحْدَى عَيْنَيْهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتَفَرِّقًا بين الاثنَتَيْنِ،فَالقَمَرُ فِي لَيَالِيهِ البِيضِ أفضَلُ مِنَ الكَوَاكِبُ التِي تَحْوِي مِنَ الضِّيَاءِ أَضْعَافَ البَدْرِ لَكِنَّهَا مُتَنَاثِرَةً تُفَرِّقُ الضَّوْءَ[8]، إلا أَنَّ هَذَا الابْتِكَارَ لَمْ يَكُنْ سِمَةً بَارِزَةً فِي رَسَائِلِهِ.

وَلَمْ تَحْمِلْ رَسَائِلُ ابنِ حَسْدَايِ عَوَاطِفَ قَوِيَّةً عَنِيفَةً مِنْ حُبٍّ وَبُغْضٍ وَغِيرَةٍ وَحِقْدٍ،فَبَدَتْ عَوَاطِفُهُ فَاتِرَةً خَلْفَ اهْتِمَامٍ وَاضِحٍ بِجَزَالَةِ الأَلْفَاظِ وَبِالحُلْيَةِ البَدِيعِيَّةِ مَعَ مَنْطِقٍ زَادَهَا فُتُورًا.إلا أَنَّه حَاوَلَ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ هَذَا الفُتُورِ بِبَعْضِ الأَبْيَاتِ الشِّعْرِيةِ لِغَيْرِهِ،وَأَحْيَانًا مِنْ نَظْمِهِ هُوَ[9]،وَهَذَا البُرُودُ فِي العَوَاطِفِ قَدْ يَكُونُ سَبَبًا مِنْ أَسْبَابِ قِصَرِ مُعْظَمِ فُصُولِ رَسَائِلِهِ.كَمَا أَنَّ غِيَابَ الرَّسَائِلِ الشَّخْصِيَّةِ عَن مُعْظَمِ رَسَائِلِهِ التِي وَصَلَتْ إِلَيْنَا لَهُ أَثَرٌ فِي غِيابِ العَاطِفَةِ.

وَبَدَتِ الصُّوَرُ فِي رَسَائِلِ ابنِ حَسْدَايِ تَقْلِيدِيَّةً لا ابْتِكَارَ فِيهَا،وَمِنْهَا:"وَرَدنِي كِتَابُكَ الذِي تَفْتَرُّ عَنْ وَاضِحِ الوُدِّ مَبَاسِمُهُ،وَتَنْشَقُّ عَنْ نَاضِرِ العَهْدِ كَمَائِمُهُ،تَنْهَلُّ بِوَاكِفِ البِرِّ غَمَائِمُهُ"[10]،وَمِثْلُهُ: "وَعَسَى أَنْ يَعُودَ هَذَا الذاهِبُ وَشِيكًا إِلَى مُلْكِهِ،وَيَنْتَظِمَ المُتَبَدِّدُ مِنْ سِلْكِهِ"[11].إلا أَنَّ هَذَا لَمْ يَمْنَعْ أَنْ يَأْتِيَ بِبَعْضِ الصُّوَرِ المُبْتَكَرَةِ،مِنْهَا:"وَعَهْدِي بِكَ تَمُجُّ الأَنْوَاءُ[12] رِيقَتَهَا فِي ثُغُورِكَ فَتُصْبِحَ

---

[1] – الشَّوَى (للحَيَوان): الأَطراف أو القوائم . ابن مَنْظُور "**لِسَانِ العَرَبِ**" [شوا] ١٤/ ٤٤٧ .

[2] – نُشُوز: جمعٌ لِلنَّشْزِ وَهُوَ الغَلِيظُ الشَّدِيدُ . ابن مَنْظُور "**لِسَانِ العَرَبِ**" [نشز] ٥/ ٤١٨ .

[3] – صَدْعُ الظِّلْفِ أو الظِّلف: شَقٌّ فِي ظفْرِ كل مَا اجترّ كالبقرة والظبْي وَمَا أَشبهها. ابن مَنْظُور "**لِسَانِ العَرَبِ**" [صدع] ٨/ ١٩٩ .

[4] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/ ٤٨٠ .

[5] – ابنُ المَاءِ: يطلق عَلَى كل طائر يألف الماء . انْظُرْ: الثَّعالبي"**ثِمَار القُلُوب**" ١/ ٢٦٣ .

[6] – أخلاد: جمع لِلخُلْد وَالخَلْد، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الجُرْذان عُمْي لَمْ يخلق لَهَا عيون . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [خلد] ٣/ ١٦٥ .

[7] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/ ٤٨٢ .

[8] – انْظُرْ: نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا، وَفِي مَلاحِقِ البَحْثِ .

٩ – انْظُرْ قَصِيدَته التي وضعها فِي رسالته عَلَى لِسَانِ النَّرْجِسِ : نَفْسُهُ ق٣،م١/ ٤٨٦ .

[10] – نَفْسُهُ ق٣،م١/ ٤٦٥ .

١١ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

[12] – الأَنْوَاءُ: النجوم الدالة عَلَى المطر . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [جدح؛ ربع] ٢/ ٤٢٢؛ ٨/ ١١٢ .

حَافِلَةً،وَتَرْضَعُ الأَنْدَاءُ أَفْنَانَكَ فَتَغْدُو حَامِلَةً،فَتَنُوءُ بِجِيدِكَ مُنْثَنِيًا،كَأَنَّكَ أَصْبَحْتَ مُنْتَشِيًا"[1]؛ فَالأَنْدَاءُ تَرْضَعُ أَفْنَانَ المُقْتَدِرِ فَتُصْبِحُ حُبْلَى بِهَذَا الخَيْرِ العَمِيمِ،فَيَنُوءُ بِجِيدِهِ مُنْثَنِيًا كَالمُنْتَشِي مِنَ الخَمْرِ.

وَسَارَ ابنُ حَسْدَاي فِي رَسَائِلِه عَلَى طَرِيقَةِ ابنِ العَمِيدِ[2]التِي تَعْتَمِدُ عَلَى الكَلامِ المُرَصَّعِ المَصْقُولِ المُزَيَّنِ بِالمُقْتَبَسَاتِ القُرْآنِيَّةِ،وَالأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ،وَالأَشْعَارِ المَأْثُورَةِ أَوْ شُطُورِهَا دُونَ إِشَارَةٍ إِلَى قَائِلِيهَا،وَالحِكَمِ المَشْهُورَةِ،وَالأَمْثَالِ المَضْرُوبَةِ مَعَ التِزَامِ السَّجْعِ فِي الأَغْلَبِ **وَالشَّغَفِ بِالمُحَسِّنَاتِ البَدِيعِيَّةِ وَالصُّوَرِ البَيَانِيَّةِ**.وَلَمْ يَتَحَلَّلْ ابنُ حَسْدَاي مِنَ الاهْتِمَامِ بِالمُحَسِّنَاتِ البَدِيعِيَّةِ إِلا فِي القَلِيلِ النَّادِرِ؛ فَهَكَذَا بَدَتِ الرَّسَائِلُ فِي عَصْرِهِ،حَتَّى إِنَّهَا كَانَتْ سِمَةً بَارِزَةً فِي خِطَابِ مَنْ يُرَاسِلُهُ،مِنْهُ جَوَابُ ابنِ هُودَ لَهُ عِنْدَ فِرَارِهِ عَنْهُ:"وَرَدَنِي كِتَابُكَ بِمَا أَوْدَعْتَهُ مِنْ صُورَةِ وِجْهَتِكَ وَمَمَرِّكَ،وَصِفَةِ مُسْتَوْطَنِكَ وَمُسْتَقَرِّكَ،وَعَرَفْتُ حَقِيقَةَ مَنْزَعِكَ[3]،فِي تَعَجُّلِكَ وَتَسَرُّعِكَ،وَمَا عَلِمْتُكَ-عَلَى مَعْلُومِ ذَكَائِكَ-يَذْهَبُ عَلَيْكَ السَّدَادُ فِي آرَائِكَ،وَلَكِنْ لا تَمْلِكُ عَنَانَكَ فِي اعْتِسَافِ[4] طُرُقِكَ،وَخَالِقُ خَلْقِكَ خَالِقُ خُلُقِكَ"[5]؛ فَالاهْتِمَامُ بِالمُحَسِّنَاتِ البَدِيعِيَّةِ عِنْدَ ابنِ هُودَ أَكْثَرُ وَأَوْضَحُ.

وَأَظْهَرَتْ رَسَائِلُ ابنِ حَسْدَاي اهْتِمَامًا وَاضِحًا بِالسَّجْعِ؛فَكَانَ أَكْثَرَ مَا ظَهَرَ مِنْ فُنُونِ البَدِيعِ فِي رَسَائِلِهِ،وَمِنْهُ قَوْلُهُ:"وَقَذَفَتْنَا غُرْبَةُ النَّوَى،حِينَ هَوَتْ بِيْ حَيْثُ الإِلْفُ وَالهَوَى،وَلَهُ الطَّوْلُ فِي الإِذْنِ وَالقَبُولِ،وَالتَّوْطِئَةِ لِلحُلُولِ،بِتَمْهِيدِ مَنْزِلٍ يُتَبَوَّأُ،وَبِمَدِيدِ ظِلٍّ يُتَفَيَّأُ"[6].ومِثْلُهُ:"فَإِنَّكَ مِنْ فِرْقَةِ أَصْحَابِ الحِيَلِ،وَهَذَا رَأْيٌ أَتَاكَ مِنْ جِهَةِ مِزَاجِ الحَجَلِ،فَنَصَرْتَ تَاسْلاسَ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ،وَغَنِيتَ بِجِنْسِ الاسْتِرْسَالِ وَالاحْتِبَاسِ،عَنْ هَذَيَانِ أَصْحَابِ القِيَاسِ"[7]،ومِثْلُهُ:"حَتَّى وَرَدَ مَا أَمْتَعَ بِوَابِلٍ بَعْدَ طَلٍّ،وَسَقَى نَهْلاً،وَوَالَى بِعَلٍّ"[8]،وَلَوْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الصِّفَةُ مَطْلُوبَةً عِنْدَ كُتَّابِ عَصْرِهِ مَا تَقَيَّدَ بِهَا فِي كِتَابَاتِهِ عَنِ السَّلاطِينِ بِذَاكَ الوَقْتِ؛فَفِيمَا كَتَبَهُ عَنِ المُقْتَدِرِ إِلَى أَخِيهِ المُظَفَّرِ قَوْلُهُ: "وَقَدْ تَعَرَّضَ لِي إِلْفٌ أَصِلُهُ وَأُدْنِيهِ،فَأَنَا الآنَ أَهْجُرُهُ وَأُقْصِيهِ،فَلَقِيَ مِنِّي انْزِوَاءً عَنْهُ وَانْقِبَاضًا،وَشَكَا مِنِّي جَفَاءً وَإِعْرَاضًا،فَتَصَدَّى ضَارِعًا مُلْحِفًا،فِي أَنْ أُرْسِلَهُ نَحْوَكَ مُسْتَعْطِفًا"[9].وَبِهَذَا يَظْهَرُ أَنَّ ابنَ **حَسْدَاي كَانَ مُتَأَثِّرًا بِالعَرَبِ مُقَلِّدًا لَهُمْ**،وَلَمْ يَظْهَرَ أَيُّ أَثَرٍ لَهُ عَلَى كِتَابَةِ الرَّسَائِلِ عِنْدَ الأَنْدَلُسِيِّينَ.

---

1 – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٧١/١ .

٢ – هُوَ الكَاتِبُ:أبو الفَضْلِ مُحَمَّدُ بنُ الحُسَيْنِ المَعْرُوفُ **بِابنِ العَمِيدِ**، والعَمِيدُ لَقَبُ وَالِدِهِ لقبوه بِذَلِكَ عَلَى عَادَةِ أَهْلِ خُرَاسَانَ فِي التَّعْظِيمِ. كَانَ وزيرَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بنِ بُوَيْهٍ. انْظُرْ : يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ الأُدَبَاء**" ٧٦/٨؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَان**" ١٠٣/٥ .

٣ – مَنْزَعَكَ: رأيك وتدبيرك . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [نزع] ٣٥٢/٨ .

٤ – اعْتِسف الطريقَ: إِذَا قَطَعَه دُونَ صوْب تَوَخّاه فَأَصابه . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [عسف] ٢٤٥/٩

٥ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٤٩٤/١ .

6 - نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

7 – نَفْسُهُ ق٣،م٤٧٤/١ .

8 – نَفْسُهُ ق٣،م٤٥٩/١ .

٩ – نَفْسُهُ ق٣،م٤٧٤/١ .

القِسْمُ الثَّالِثُ : أَثَرُ اليَهُودِ فِي رَسَائِلَ مِنَ العَرَبِ إِلَى العَرَبِ .

أَتَى ذِكْرُ اليَهُودِ فِي رَسَائِلِ العرَبِ تَلْميحًا وَلَيْسَ صَرَاحَةً؛ففِي رُقْعَةٍ لِلوَزِيرِ الكَاتِبِ **أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بنِ عَبَّاسٍ** خَاطَبَ بِهَا أَبَا المُغِيرَةِ بنَ حَزْمٍ(ت:٤٣٨هـ)[١]،جَاءَ مُعْظَمُ الكَلامِ فِي الفَصْلِ المُختارِ مِنَ الرِّسَالَةِ عَنِ الرَّسُولِ حَامِلِ الرِّسَالَةِ مِنْ أَبِي المُغِيرَةِ فَوَصَفَهُ ابنُ عَبَّاسٍ بِقَوْلِهِ إِنَّهُ:"رَجُلٌ طَوِيلُ القَامَةِ،**فِي مَنْطِقِهِ لَكْنَةٌ صَعْبَةٌ**"[٢]ثُمَّ أَعَادَ الإِشَارَةَ إِلَى غَرَابَةِ لُغتِهِ بِقَوْلِهِ "لَقِيتُ الرَّجُلَ وَقَدْ أَحَاطَ بِي جَمْعٌ،وَالتَفَّ عَلَيَّ قَوْمٌ،فَوَقَفْتُ مَعَهُ مَوْقِفًا كَفَاكَ اللهُ خِزْيَهُ،وَلا وَقَفَكَ مِثْلَهُ.وَقَدْ عَهِدْتُكَ تَجْرِي بِمَيْدَانِ الفُكَاهَةِ،وَتَنْخَرِطُ فِي سِلْكِ الدُّعَابَةِ؛فَمَا أَسْلَمَ إِلَيَّ الكِتَابَ وَلَحَظْتُ عُنْوَانَهُ، **وَحَيَّانِي بِلَفْظٍ لَمْ أَفْهَمْ لِسَانَهُ**،قُلْتُ:خَبَّأَهَا أَبُو المُغِيرَةِ وَرَبِّ الكَعْبَةِ،وَأَهْدَى إِلَيْكَ بِهَذَا الإِنْسَانِ لُعْبَةً... فَتَمَاسَكْتُ وَمَا كِدْتُ،ثُمَّ تَجَلَّدْتُ؛وَلَجَأْتُ إِلَى فَضِّ الكِتَابِ،...وَصَعَّدْتُ فِي الكِتَابِ،حَتَّى رَأَيْتُ النَّسَبَ وَسَمِعْتُ اللَّقَبَ،فَقُلْتُ:الرَّجُلُ-لا مَحَالَةَ-**عِبْرِيُّ المُنْتَمَى**...فَوَحَقِّ الطَّرَبِ،وَحُرْمَةِ الأَدَبِ،لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُوفِيَ الشَّطَارَةَ حَقَّهَا،وَأَسِمَ الخَلاعَةَ وَسْمَهَا،فَأَجْعَلَ فِي يَدِهِ عُكَّازَ قَصَبَةٍ خَضْرَاءَ،وَفِي رَأْسِهِ قَلَنْسُوَةً بَيْضَاءَ،وَأَضَعُ عَلَى عَاتِقِهِ خُرْجًا بِنِخَالَةٍ،وَأُقِيمُ مِنْ نَفْسِي وَمَنْ حَضَرَ عَرَّافَةً وَآلَةً،وَآخُذُ بِهِ مِنْ **طُرُقِ بَنِي مَرْدَخَايَ** عَلَى قَارِعَةِ المَحَجَّةِ بَيْنَ النَّاسِ"[٣].أَرَى أَنَّ الرَّسُولَ حَامِلَ الرِّسَالَةِ يَهُودِيٌّ يَتَكَلَّمُ العِبرِيَّةَ،وَكَانَ مَوْضِعَ اسْتِهْزَاءٍ عِنْدَ ابنِ عَبَّاسٍ؛فَاللكْنَةُ الصَّعْبَةُ هِيَ لُغَتُهُ العِبْرِيَّةُ،أَوِ العَرَبِيَّةُ غَيْرُ الفَصِيحَةِ،وَفِي الرِّسَالَةِ أَنَّهُ"عِبْرِيُّ المُنْتَمَى"،أَي يَنْتَمِي لِلْعِبرانِيِّينَ، لَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ،بَلْ أَرادَ أَنْ يَأْخُذَهُ "بِطُرُقِ بَنِي مَرْدَخَايَ" وَهُمُ اليَهُودِ.وَأَتَى ذِكْرٌ سَرِيعٌ لِلْيَهُودِ عِنْدَ ابنِ عَبَّاسٍ،فِي رِسَالَةٍ أُخْرَى[٤]وَجَّهَهَا إِلَى أَهْلِ قُرْطُبَةَ تَحَدَّثَ فِيهَا عَنْ قَسْوَةِ زُهَيْرٍ الفَتَى مَعَ المُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالَ:"فَتَارَةً يَأْخُذُ النَّصَارَى **وَاليَهُودَ بِذَنْبِ التَّوْرَاةِ** وَالإِنْجِيلِ"[٥].

وَكَتَبَ أَبُو **المُغِيرَةِ بنُ حَزْمٍ** الذي أُرسِلَتْ إِلَيْهِ رِسَالَةُ ابنِ عَبَّاسٍ السَّابِقَةِ بِإِشَارَاتٍ أَكْبَرَ عن اليَهُودِ فِي رِسَالَةٍ لأحدهم،جاءَ فِيهَا: "أبدأُ بِحَدِيثِ **اليَهُودِيِّ مُوصِلِ كِتَابِكَ**:دَخَلَ الحَضْرَةَ عَقِبَ جَوْلَةٍ كَانَتْ لِي مَعَ ابنِ مُخَامِسٍ -**حَشَرَ اللهُ كِلَيْهِمَا مَعَ صَاحِبِهِ**- وَاللهِ لا أَعْلَمُ حَالَ مَنْ مِنْهُمَا أَضْعَفَ وَأَظْلَمَ،أَحَالَ **اليَهُودِيِّ** بِمُضَادَّةِ الدِّينِ،أَمْ حَالَ هَذَا المُسْلِمِ؟فَوَافَى وَقَدْ كَشَفْتَ عَوْرَاتِهِ،وَمَا

---

١ – هُوَ الوَزِيرُ الكَاتِبُ:**أَبو المُغِيرَةِ** عَبْدُ الوَهَّابِ **بنُ حَزْمٍ**(ت:٤٣٨هـ)اشتهر فِي النَّظْمِ والنَّثْرِ،وَكَتَبَ عَنْ عَدَدٍ مِنَ المُلُوكِ وَنَالَ حَظًّا مِنْ دنياهم.له عِدَّةُ مُؤَلَّفَاتٍ. انْظُرْ:ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م١/١٣٢-١٩٠؛ابن سَعِيد"**المُغْرِب**" ١/٣٥٧؛المَقَّرِيّ"**نَفْح الطِّيب**" ٢/١٥٠- ١٥٣

٢ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٦٤٥ .

٣ – نَفْسُهُ ق١،م٢/٦٤٦ – ٦٤٧ .

٤ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ق١،م٢/٦٥٠- ٦٥٢ .

٥ – نَفْسُهُ ق١،م٢/٦٥٢ .

زَالَتْ مَكْشُوفَةً،وَعَرَّفَتْ سَوْآتِهِ،وَمَا زَالَتْ مَعْرُوفَةً،إِخْبَارًا عَنْهُ،وَتَحْذِيرًا مِنْهُ،وَإِعْلامًا بِمَا يَسْتُرُهُ ذَيْلُهُ،وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ لَيْلُهُ،مِنْ قَبَائِحَ"[١]،تُظْهِرُ الرِّسَالَةُ أَنَّ الرَّسُولَ الذي أَتَى بِالرِّسَالَةِ لابْنِ حَزْمٍ يَهُودِيٌّ،ويُلاحظُ عَلَى هَذَا النَّصِّ المُخْتَارِ مِنْهَا الدُّعاءُ عَلَى اليَهُودِ أَنَّى ذُكِرُوا،كَمَا يُلاحَظُ فِيهَا الاسْتِهْزَاءُ بِهِ بِالقَوْلِ إِنَّ لَهُ ذَيْلاً كَالحَيوانِ وَأَنَّ عَوْرَاتِهِ مَكْشُوفَةٌ وَسَوْآتِهِ مَعْرُوفَةٌ .

وَفِي فَصْلٍ مِنْ رِسَالَةٍ أُخْرَى **لأَبِي المُغِيرَةِ بنِ حَزْمٍ** يُخَاطِبُ بِهَا ابنَ عَمِّهِ الفَقِيهَ أَبَا مُحَمَّدٍ الذي كَانَ عَلَى خِلافٍ مَعَهُ،وَعَابَ عَلَيْهِ دِرَاسَتَهُ لِدِينِ اليَهُودِ وَالاهتمامَ بِهِمْ وَحَدِيثَهُ عَنْ قَصَصِهِمْ، بِقَوْلِهِ:"فاستَقْصَرْتُ مَنْ دَفَعَ إِليَّ كِتَابَكَ،فَقُلْتُ:مَنْ لِي بِمِثْلِ غَاشِيَتِكَ[٢]مِنْ هَذِهِ العِصَابَةِ،وَبِأَشْبَاهِ المُلَمِّينَ بِكَ مِنْ تِلْكَ البَابَةِ[٣]،وَنَسِيتَ أَبَا مُحَمَّدٍ حَاشِيَتَكَ وَشِيعَتَكَ،التِي صِرْتَ رَئِيسَ مِدْرَاسِهِم، وَكَبِيرَ أَحْرَاسِهِمْ،تُحَدِّثُهُمْ عَمَّا كَانَ فِيهِمْ مِنَ العِبَرِ،وَتُخْبِرُهُمْ بِمَا تَعَاقَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّفَا وَالكَدَرِ؛ فَتَارَةً عَنِ **السَّامِرِيِّ وَالعِجْلِ**،وَتَارَةً عَنِ **القَمْلِ وَالنَّمْلِ**،وَطَوْرًاتُبْكِيهِم بِحَدِيثِ **التِّيهِ**،وَطَوْرًا تُضْحِكُهُم **بِقَوْمِ جَالُوتَ** وَذَوِيهِ؛حَتَّى كَأَنَّ **التَّوْرَاةَ مُصْحَفُكَ**..."[٤]،ومع أَنَّ هَذِهِ القِصَصَ "السَّامِرِيُّ وَالعِجْلُ، وَالقَمْلُ وَالنَّمْلُ،وَالتِّيهُ،وَقَوْمُ جَالُوتَ" مِنَ القُرْآنِ إلا أَنَّ أَبَا المُغِيرَةِ عَابَ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ جُلُوسَهُ مَعَ اليَهُودِ وَمُجَادَلَتَهُم فِي أُمُورِ دِينِهِم،ويبدو أَنَّ ابْنَ حَزْمٍ كَانَ كَثِيرَ الجُلُوسِ مَعَهُمْ،فَقَالَ ابنُ بَسَّامٍ فِي تَرْجَمَتِهِ:"**وَلِهَذَا الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ مَعَ يَهُودَ** -لَعَنَهُمُ اللهُ-وَمَعَ غَيْرِهِمْ مِنْ أُولِي المَذَاهِبِ المَرْفُوضَةِ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ مَجَالِسُ مَحْفُوظَةٌ وَأَخْبَارٌ مَكْتُوبَةٌ وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ"[٥] .

وَظَهَرَتْ إِشَارَةٌ إِلى حَالِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ بِوَاحِدَةٍ مِنَ الزَّرْزِيرِيَّاتِ[٦]خَاطَبَ فِيهَا أَبُو **مُحَمَّدٍ عَبْدُ الغَفُورِ**(ت:٥٣٩هـ)[٧] أَحَدَهُمْ،وَوَصَفَ فِيهَا سُوءَ حَالِهِ الذي كَانَ مِنْهُ قَوْلُهُ:"وَحسبُكَ مِنْ نُهودِهَا[٨]**لِيَهُودِهَا**"[٩]أَرَى الكَاتِبَ يَرْمِزُ بِهَذَا إِلَى اسْتِشْرَافِ اليَهُودِ وَارْتِفَاعِ شَأْنِهِمْ،بَيْنَمَا الكَاتِبُ وَأَمْثَالُهُ مِنَ المُسْلِمِينَ فِي حال مِنَ الهَوَانِ وَالمَذَلَّةِ يَظْهَرُ فِي الرِّسَالَةِ.وَيَبْدُو أَنَّ الرِّسَالَةَ مَبْعُوثَةٌ مَعَ

---

١ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م١/١٦١ .

٢ – الغَاشِيَة :القَوْمُ الحُضُورُ عندَه الذين يَغْشَوْنه للخِدْمَة والزيارَةِ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [غشي] ١٥/١٢٨.

٣ – البَابَة : الغَايَة . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [باب] ١/٢٢٤ .

٤ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م١/١٦٣ .

٥ – نَفْسُهُ ق١،م١/١٧٠ .

٦ – **الزَّرْزِيرِيَّات**:هي رسائل بدأها الوَزِير أَبُو الحُسَيْنِ بنُ سراج خاطب بعض أَهْلِ العَصْرِ بِرُقْعَةٍ يَشْفَعُ لرجلٍ يُعْرَفُ بالزريزير، والزرزير نَوْعٌ مِنَ الطُّيُورِ، وَقَدْ عَارَضَ رِسَالَةَ ابنِ سراج أدباء كثيرون مِنْهُمْ ابنُ الجَدِّ . انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م١/٣٤٧

٧ – هُوَ: أَبُو **مُحَمَّدٍ عَبْدُ الغَفُورِ** بنُ عَبْدِ اللهِ **الكُلاعِيّ**،مِنْ أَهْلِ مُرْسِيَةَ،ابن ذي الوزارَتين أَبِي القاسم،نَشَأَ بَيْنَ يَدَيْ أَبِيهِ فِي دَوْلَةِ المُعْتَمِدِ، ذَمَّهُ صَاحِبُ "القَلائِدِ" فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ نَوَيْتُ ألا أَجْرِي لَهُ ذكرًا وَلا أَعْمَلُ فِيهِ فكرًا لِتَهَوُّرِهِ وَكَثْرَةِ تَقَعُّرِه، وَتُوُفِّيَ بِقُرْطُبَةَ سَنَةَ ٥٣٩هـ .

انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م١/٣٢٥-٣٦٨؛ ابن الأَبَّار "**التَّكْمِلَة**" ٢/٤، ٣/١٣١؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١/٢٤١- ٢٤٢ .

٨ – النهودُ : جمع النَّهْد هُوَ المكان المُرْتَفِعُ المُشْرِفُ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [نهد] ٣/٤٢٩ .

٩ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م١/٣٥٣ .

طَبِيبٍ يهودِيٍّ يُشِيرُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ:"وَأَنْفَذْتُهُ مِنْ كِتَابٍ .... وحَمَّلْتُهُ المُتَطَبِّبَ أَبَا فُلانٍ،النَّابِهَ الذِّكْرِ فِي أَعْلامِ سِبْطِهِ،**زَعِيمَ يَهُودِ**،المُسَوَّدَ فِيهِمُ المَسُودَ"[١]،وَقَد يَكُونُ هَذَا الطَّبِيبُ اليَهُودِيُّ أحدَ القَائِمِينَ عَلَى أَعْمَالِ هَذَا المُخَاطَبِ وَمِمَّنْ لَهُمْ مَكَانَةٌ عِنْدَهُ،تَظْهَرُ مَكَانَتُهُ بِقَوْلِهِ"زَعيمَ يَهُودٍ،المُسَوَّدَ فِيهِمُ المَسُودَ"،فَأَرْسَلَ ابنُ عَبْدِ الغَفُورِ رِسَالَتَهُ عَنْ طَرِيقِهِ لِقُرْبِهِ مِنْ هَذَا المَأمُولِ عَطَاؤُهُ .

وَأَحْيَانًا جَاءَ ذِكْرُ اليَهُودِ فِي الرَّسَائِلِ غَامِضًا؛فَفِي فَصْلٍ **لابنِ شُهَيدٍ** يَتَحَدَّثُ عَنْ أَبِي القَاسِمِ ابنِ الأَفْلِيلِيّ(ت:٤٤١هـ)[٢]الذِي قَالَ عَنْهُ بَعْضُ الصِّبْيانِ:"لَيْسَتْ مِشْيَتُهُ مِشْيَةَ أَدِيبٍ،وَلا وَجْهُهُ وَجْهَ أَرِيبٍ،وَلا جِلْسَتُهُ جِلْسَةَ عَالِمٍ،وَلا أَنْفُهُ أَنْفَ كَاتِبٍ،وَلا نَغْمَتُهُ نَغْمَةَ شَاعِرٍ"،وأضَافُوا:"إِنَّهُ أَحْذَقُ النَّاسِ فِي إِخْرَاجِ **لُعْبَةِ اليَهُودِيِّ**،فَأَقْلَقُوهُ بِمَا يَسْمَعُ"[٣]،فجَاءَ الحَدِيثُ عَنْ **لُعْبَةِ اليَهُودِيِّ** غامِضًا وَلَمْ يَأتِ فِي الفَصْلِ المُخْتارِ مِنَ الرِّسَالَةِ مَا يُوَضِّحُهُ.

وَتُظْهِرُ هَذِهِ الرَّسَائِلُ عَلَى قِلَّتِهَا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ اليَهُودَ كَانُوا رُسُلاً[٤]بينَ الكُتَّابِ وَذَوِي السُّلْطَةِ.وأنَّ اليَهُودَ لَمْ يَكُونُوا مَوْضُوعًا رَئِيسًا فِيمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنَ الرَّسَائِلِ بينَ العَرَبِ أَبَدًا .

ثانِيًا :ـ مَوْضُوعَاتٌ نَثْرِيَّةٌ أُخْرَى .

لَمْ يَظْهَرْ أَثَرٌ كبيرٌ لِليَهُودِ خَارِجَ الرَّسَائِلِ،فظَهَرَ أَثَرٌ قَليلٌ لهمْ فِي الأَمْثَالِ وَالمَقَامَاتِ والمُذَكِّرَاتِ:

١ ـ الأَمْثَال .

قَدْ تُظْهِرُ **الأمثالُ** مَا لا تُظْهِرُهُ أدبياتُ البلاطِ أَوْ غَيْرُهَا،وفي أَمْثَالِ الزَّجَّالِيّ(ت:٦٩٤هـ) جَاءَتْ أَمْثَالٌ عَشَرَةٌ كَانَ اليَهُودُ مَوْضوعَهَا.وَسِتَّةٌ مِثْلُهَا عِنْدَ ابنِ عَاصِمٍ الغَرْنَاطِيِّ (ت:٨٢٩هـ).

وَاحتَلَّ التَّاجِرُ اليَهُودِيُّ أكبَرَ مَسَاحَةٍ فِي هَذِهِ الأَمْثَالِ فَجَاءَتْ فِيهِ أَمثالٌ خَمْسَةٌ يَظْهَرُ فِيهَا صَاحِبَ سِلَعٍ وَتِجَارَةٍ؛الأَوَّلُ مِنْهَا:"**مَنْ فتَحْ حَانُوتْ لِلتِجَارَة،يَبِيعْ مِنْ يَهُودْ ونَصَارَى**"[٥]،في هَذَا المَثَلِ تأكيدُ نَوْعٍ مِنَ التَّعَامُلِ التِّجاري بَيْنَ العَرَبِ واليَهُودِ،سَبَقَتِ الإِشارَةُ إِلَيْهِ فِي الفَصْلِ الأَوَّلِ. وَالثَّانِي:"**إذا رَيْت اليَهُودِيّ يذم السَّلَعْ،ادرِ أنَّه يشْتريه**"[٦]،يبدُو اليَهُودِيُّ فِيهِ جَشِعًا يَذِمُّ السِّلَعَ حَتَّى لا يَشْتَرِيهَا غَيْرُهُ،فَيَأْخُذَهَا هو بِأَرْخَصِ الأَسْعَارِ.وَالثَّالِث:"**إذا أفلسَ اليَهُودِيّ،يفَتِّش دفاتر**

---

١ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م١/٣٦٤ .

٢ – هُوَ الكَاتِبُ: أَبُو **القَاسِمِ ابنُ الأَفْلِيلِيّ**، قَالَ ابنُ الأبار أَنَّهُ كَانَ بِقُرْطُبَةَ،وَتَعَجَّبَ ابنُ بَسَّامٍ مِنْ أمرِ هَذَا الكاتِبِ الذي كَتَبَ لِلسَّلاطِينِ، ومع ذَلِكَ لا تُروَى أشعارُهُ وَلا رَسَائِلُهُ . انظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م١/٢٤١ – ٢٤٢ ؛ابن الأَبَّارِ "**التَّكْمِلَة**" ٢٩٨/١ .

٣ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م١/٢٤١ – ٢٤٢ .

٤ – سَبَقَتِ الإشارةُ أَنَّ مَعْرِفَةَ اليَهُود لعدة لغاتٍ وتقريبهم مِنْ ذوي السلطة ساعدهم فِي هَذِهِ الوظيفة .

٥ – الزَّجَّالي "**أَمْثَالُ العَوَام فِي الأَنْدَلُس**" ٢٩٣/٢ – رقم ١٢٦٤ .

٦ – نَفْسُهُ ١١/٢ – رقم ٣١ .

وَلَدُ"[١]،يُظْهِرُ هَذَا المَثَلُ حِرْصَ اليَهُودِ الشَّدِيدَ عَلَى المَالِ ومُتَابعَتَهُمْ لِحُقُوقِهِم إِلَى أَقْصَى حَدٍّ.وَالرَّابِعُ: "**حَاجَ بِقطَاعْ يَهُودِ يَقْضِيهَا**"[٢]،يُشِيرُ هَذَا إِلَى نَشَاطِ اليَهُودِ فِي الأَعْمَالِ التِّجَارِيَّةِ،وَيُوحِي المَثَلُ أَنَّهُمْ مُسْتَعِدُّونَ لأيِّ نَوْعٍ مِنَ الخَدَمَاتِ التِّجَارِيَّةِ التِي يَطْلُبُهَا مِنْهُمْ الأَنْدَلُسِيُّونَ مُقَابِلَ القطَاعِ وَهُوَ الدَّرَاهِمُ[٣]. وَالخَامِسُ:"**مُسْلِمْ صَاغْ،يِهُودِي أحسنْ مَنُّ**"[٤]،يَقُولُ المَثَلُ إِنَّ جُلَّ الصَّاغَةِ أَوْ كُلَّهُمْ كَانُوا مِنَ اليَهُودِ،وإِذا احترفَهَا مُسْلِمٌ احتقَرَهُ النَّاسُ.

وَبِجَانِبِ التِّجَارَةِ اشْتُهِرَ اليَهُودُ بِعَمَلِهِم جُبَاةً للضَّرَائِبِ وَمَحَصِّلينَ للأَمْوَالِ مِنْ أَبْنَاءِ مِلَّتِهِم وَمِنَ المُسْلِمِينَ كَذَلِكَ،ففي قولِهِم:"**عَرَب البِطَاحْ يَغْرَمُ الجزيَ لليَهُودْ**"[٥]إِشَارَةٌ إِلَى حَالَةٍ سَبَقَ الحَدِيثُ عَنْهَا فِي الشِّعْرِ وَهِيَ تَوَلِّي كَثِيرٍ مِنَ اليَهُودِ الأُمُورَ المَالِيَّةَ فِي الأَنْدَلُسِ،وسَخَطُ العَامَّةِ مِنْ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ،وَفِي المَثَلِ إشارةٌ إِلَى أَنَّ المُسْتَضْعَفِينَ الأذِلاءَ هُمْ مَنْ كَانُوا يُغَرَّمُونَ أَيْ يُؤَدُّونَ وَيَدْفَعُونَ الجِزْيَةَ لليَهُودِ؛فَالبِطَاحُ هِيَ السُّهُولُ وَالبَسَائِطُ وَالودْيَانِ[٦]،فالأذِلاءُ يُقِيمُونَ فِي أَمَاكِنَ يَسْهُلُ اقْتِحَامُهَا مِنْ قِبَلِ اليَهُودِ فَيُحَصِّلُونَ الجِزْيَةَ مِنْهُمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ أَهْلُ الجِبَالِ الأقوِيَاءُ.

وَأَبَانَتِ الأَمْثَالُ عَنْ بعْضٍ مِنَ الصِّفَاتِ التِي أُلصِقَتْ لِيَهُودِ الأَنْدَلُسِ،مِنْهَا اللؤْمُ فِي قَوْلِهِمْ: "**خنَافْ يَجْلِسْ فُوْق أضْيَافْ**"[٧]،وَخنَافُ فِيهِ اسْمُ شَخْصٍ وَهُو مِنْ أَسْمَاءِ اليَهُود كَمَا يَرى مُحَقِّقُ المَثَلِ،وأشارَ إِلَى أَنَّ المَثَلَ يُقَالُ للشَّخْصِ اللئِيمِ فِي التَّخَاصُمِ وَالتَّعَارُكِ،وأتوقَّعُ أَنَّ "أَضْيَافُ" فِيهِ تَعْنِي ضُيُوفَهُ،فَمِنْ لُؤْمِهِ يَتَخَاصَمُ حَتَّى مَعَ ضُيُوفِهِ.ومِنْ صِفَاتِهِمْ الجُبْنُ فِي قَوْلِهِمْ:"**لِسْ يَفْزَعْ فَرَسْ طَبَّال بِيَهُودِ رَآهْ**"[٨]فَاليَهُودِيُّ جَبانٌ لا يُخِيفُ حَتَّى فَرَسَ الطَّبَّالِ.

وذَكَرَتِ الأَمثالُ أَعْيَادَهُمْ،فقالُوا:"**خُرُوجَكْ مِنْ يَنَّير،أَخيَرْ مِنْ خُرُوجَكْ مِنَ العَنْصَرَ**"[٩]. وَيَنِّير هُوَ يَنَايِر أَوْ رَأسُ السَّنَةِ عِنْدَ الأَنْدَلُسِيِّينَ،وَالعَنْصَرَ هُوَ عِيدُ العُنْصُرَةِ فِي الرَّابِعِ وَالعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ يونيه،فالخُرُوجُ مِنْ يَنَايِر أَفْضَلُ لأَنَّ المَرْءَ يَسْتَقْبِلُ فِيهِ الرَّبِيعَ وَالصَّيْفَ وَهُمَا أَجْمَلُ الفُصُولِ،أَمَّا الخُرُوجُ مِنَ العُنْصُرَةِ فَمَعْنَاهُ اسْتِقْبَالُ الخَرِيفِ وَالشِّتَاءِ.

١ – الزَّجَّالي "**أَمْثَالُ العَوَام فِي الأَنْدَلُسِ**" ٢/١٧ – رقم ٥٧ .

٢ – نَفْسُهُ ٢/١٨٢ – رقم ٨٠٥ عِنْدَ ابنِ عَاصِم – رقم ٣٦٧ ، وَفِي رِوَايَة مغربية للمثل حاجة بالدرهم يهودي يقضيها.

٣ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ٢/٧٩ [الحَاشِيَة] .

٤ – نَفْسُهُ ١/٢١٦ عِندَ ابنِ عَاصِم – رقم ٧٥٨ .

٥ – نَفْسُهُ ٢/٣٨٧ – رقم ١٦٩٢، ومثْلُهُ عِنْدَ ابنِ عَاصِم– رقم ٣ :"أَذَلْ مِنْ قِطٍّ ابنِ أَحْمَدَ الذي يغرم الجزية للفرين" أي الفيران .

٦ – انْظُرْ: ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [بطح] ٢/٤١٣ .

٧ – الزَّجَّالي "**أَمْثَالُ العَوَام فِي الأَنْدَلُسِ**" ٢/٢٠٢ – رقم ٨٩٩ .

٨ – نَفْسُهُ ٢/٢٧١ – رقم ١١٧٠ .

٩ – نَفْسُهُ ٢/٢٠٥ – رقم ٩١٤ . وشط فِيهَا يعني طويل .

وظَهَرَتْ بَعْضُ العَادَاتِ وَالطُّقُوسِ الخَاصَّةِ بِاليَهُودِ فِي الأَمْثَالِ،فَقَبْرُهُمْ طَوِيلٌ ضَيِّقٌ في: "**قبر يَهُودِي شَط ضيّق**"[١]،وَهَذِهِ تُخَالِفُ سُنَنَ الإِسْلامِ،وَمُلَخَّصُهَا عَدَمُ الضِّيقِ وَعَدَمُ الشَّقِّ[٢]. وَسَخِرَ الأَنْدَلُسِيُّونَ مِنْ عَادَاتِهِمْ فِي الجَنَازَةِ،فَقَالُوا: "**جَنيزَتْ يَهُود:الجَري والسُّكَات**"[٣]،وَقَدْ يُفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ عادةَ الأَنْدَلُسِيِّينَ المُسْلِمِينَ البطءُ فِيهَا،وَالإِسْرَاعُ عادةُ اليَهُودِ عَكْس المَشَارِقَةِ[٤].

وَفِي الصِّراعِ بَيْنَ الطَّوائفِ أَظْهَرَتِ العَامَّةُ فِي أَمْثَالِهَا شَيْئًا مِنْ هَذا،فقالُوا:"**بَحَلْ ربِّ فِي شَنُوع:يتحَرَّكْ ويبزُقْ**"[٥].والرِّبِّي أوِ الرَّابِي هُوَ حِبْرُ اليَهُودِ،وَالشَّنُوعَةُ مَعْبَدُ اليَهُودِ،فَيُصَوِّرُ المَثَلُ قِلَّةَ عِنَايَةِ اليَهُودِ بِنَظَافَةِ مَعَابِدِهِمْ وَقَذَارَتِهِمْ،حَتَّى كَانُوا يُدعَوْنَ مِنْ أجلِ ذَلِكَ بِالخَنَازِيرِ كَمَا يَرَى مُحَمَّدُ بنُ شَرِيفَةَ،وَسَبَقَتِ الإِشارَةُ فِي البَحْثِ إِلَى فَسادِ هَذَا الادِّعَاءِ الذِي قَالَ بِهِ بَعْضُ المُسْتَشْرِقِينَ[٦]. وجَاءَتْ عَكْسُ هَذِهِ الحَالَةِ فِي مثَلٍ آخرَ قَالَ بِنَظَافَتِهم وَهُوَ:"**كُل مَعَ يَهُودِي،وارقُدْ مَعَ نَصْرانِي**"[٧]، الذي ينصَحُ بِتَوَخِّي الحَلالِ والنَّظَافَةِ عِنْدَ اليَهُودِ فِي مأكَلِهِمْ،إلا أَنَّهُ لا أَمَانَ لهمْ فَعلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَحْذَرَ مِنْ غَدْرِهِمْ وَيُؤَمِّنُ لِلنَّصَارَى أَكْثَر.وَلَمْ ينسَ الأَنْدَلُسِيُّونَ الإِشارَةَ إِلَى مَلابِسِ اليَهُودِ الصَّفْرَاءِ، فَقَالُوا:"**عَوْد أَصْفَر اليَهُودِي**"[٨]،وَالعَوْدُ هُوَ الفَرَسُ.

وَاسْتَخْدَمَ الأَنْدَلُسِيُّونَ الألفاظَ القُرآنِيَّةَ الوَارِدَةَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ كَاللَّعْنَةِ وَالشَّقَاءِ وَغَضَبِ اللهِ، فَـهُمْ أَشْقِيَاءُ مَلْعُونُونَ فِي قَوْلِهِمْ:"**خَادِمْ شَنُوعْ:شَاقِي مَلْعُون**"[٩].وَيَشْمَلُهُم غَضَبُ اللهِ فِي قَوْلِهِمْ: "**بَحَلْ يَهُودِي فِي غَضَبِ الله**"[١٠]. كَمَا أَنَّ دِينَهُمْ رَقِيقٌ بِقَوْلِهِم:"**أَرَقّ مِنْ دِينْ يَهُودِي**"[١١]،أَيْ أَنَّهُم لا يَلْتَزِمُونَ بِشَعَائِرِ دِينِهِمْ، أَوْ أَنَّهُمْ يَتَنَازَلُونَ عَنْ تَعَالِيمِ دِينِهِمْ بِسُهُولَةٍ .

---

١ – الزَّجَّالي "**أَمْثَالُ العَوَام فِي الأَنْدَلُس**" ٢١٧/١ عِنْدَ ابنِ عَاصِم – رقم ٥٧١ .

٢ – قَالَ الرَّسُولُ ﷺ :"اللحْدُ لَنَا وَالشَّقُّ لِغَيْرِنَا". التِّرمِذِيّ"**الجامع الصَّحِيح**"٣٦٣/٣؛ ابن حجر العَسْقَلانيّ"**فَتح البَارِي**"٢١٨،٢٢٣/٣ .

٣ – الزَّجَّالي "**أَمْثَالُ العَوَام فِي الأَنْدَلُس**" ٢١٦/١ عِنْدَ ابنِ عَاصِم – رقم ٣٦٤ .

٤ – وَرَدَتْ مَأْثُورَاتٌ كَثِيرَةٌ تُخَالِفُ هَذَا وَتَدْعُو المُسْلِمِينَ إِلَى الإِسْرَاعِ في الجَنَازَةِ مِنْهَا أَنَّ الحَسَنَ أَوْصَى عِمْرَانَ بنَ حُصَيْن: " إِذَا أَنَا مِتُّ، فَأَسْرِعُوا، وَلا تُهَوِّدُوا تَهَوُّدَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى". انظُرْ : مُحَمَّد آبادي"**عَوْن المَعْبُود**"٣٢٦/٨؛ عبد الله ابن أَبِي شيبة "**المُصَنَّف**" ٤٨٠/٢؛ الشَّوكَانِيّ "**نَيْل الأَوْطَار**" ١١٤/٤ .

٥ – الزَّجَّالي "**أَمْثَالُ العَوَام فِي الأَنْدَلُس**" ١٤٤/٢ – رقم ٦٤٢ .

٦ – انْظُرْ فِي البَحْثِ : ص ١٥٠ .

٧ – الزَّجَّالي "**أَمْثَالُ العَوَام فِي الأَنْدَلُس**" ٢٠٦/٢ – رقم ١١١٦ .

٨ – نَفْسُهُ ٥٥١/٢ – رقم ١١٧٠ .

٩ – نَفْسُهُ ٢١٦/١ عِنْدَ ابنِ عَاصِم – رقم ٣٩٦ .

١٠ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا عِنْدَ ابنِ عَاصِم – رقم ٢٩٦ .

١١ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا عِنْدَ ابنِ عَاصِم – رقم ١٣ .

وَجاءَ فِي أُمْثالِهِم:"**أين معمر،مِنْ سُكّان خيْبَرْ**"[1]،وأَهْلُ خَيْبَرَ تُطلَقُ فِي الغَالِبِ عَلى اليَهُودِ وَقَالَ مُحَقِّقُ المَثَلِ مُحَمَّدٌ بنُ شَرِيفَةَ إِنَّهُ يُشبِهُ قَوْلَهُم:"**أين الوادي مِنَ الجُرْف**"[2]،وَيُقَالُ لِلمُفَاضَلَةِ بينَ شَخْصَينِ،وَاحِدٌ مِنْهُمَا "معمر" فَقِيرٌ أَوْ مُهانٌ وَالخَيْبَرِيُّ صَاحِبُ الامْتِيَازِ مِنْهُمَا؛وَيَعْتَمِدُ المُحَقِّقُ فِي هَذَا عَلَى قَوْلِ دُوزِي إِنَّه كَانَ للخَيَابِرَةِ بَعْضُ الامْتِيَازِ،إِذْ كَانُوا يُؤَلِّفُونَ طَبَقَةً خَاصَّةً،وَلَوْ تَجَاهَلْتُ إِشَارَةَ المُحَقِّقِ وقَرَأْتُ المَثَلَ بِكَسْرِ ميمِ " مُعَمِّرٌ" يَكُونُ مَعْنَاهُ طَالِبُ العِمْرَانِ والرَّفَاهِيَةِ فِي الحَيَاةِ،وَيَظْهَرُ فِيهِ دَعْوَةٌ إِلَى الزُّهْدِ وَتَذكِيرٌ بِمَا حَصَلَ لأهلِ خَيْبَرَ الذين كَانُوا مُتَمَكِّنِينَ فِي المَدِينَةِ ثُمَّ صَارَ مَا صَارَ فَهُجِّرُوا وتَرَكُوا مَا عَمَّرُوا فَجأَةً.فلا يَكُونُ فِيهِ كَمَا يَرَى دُوزِي امتِيازٌ لِلخَيْبَرِيِّ، بَلْ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَعَرَّضَ لَهُ الخَيَابِرَةُ مِنْ إِهَانَةٍ وَمَذَلَّةٍ وَفَقْدٍ لِمَا عَمَّرُوهُ.

وَمِنَ الإِضَافَاتِ التِي جَرَتْ مَجْرَى المَثَلِ عِنْدَهُمْ قَوْلُهُمْ:غَرْنَاطَةَ اليَهُودِ وَأَلِيسَانَةَ اليَهُودِ وَرُوطَةَ اليَهُودِ[3].لِكثرة اليَهُود فِي هَذِهِ الأَمَاكِنِ .

٢ ـ المَقَامَات .

فِي المَقَامَاتِ ذُكِرَ العَابِدُ اليَهُودِيُّ بَرْصِيصُ[4] **فِي المَقَامَةِ السَّاسَانِيَّةِ النُّونِيَّةِ للفَقِيهِ عُمَر**[5]،وَجَّهَهَا إِلَى أحدِهِمْ طَامِعًا فِي نَجْدَتِهِ،وَصَفَ يَأسَهُ بِقَوْلِهِ: "إِنْ حَلَّ زَاوِيَةً أَوْ نَزَلَ رِبَاطًا؛ أُقْصِيَ عَنْ أَهْلِ القُرْبِ وَالتَّخْصِيصِ،وَابتُلِيَ بِمِثْلِ حَالَةِ بَرْصِيصَ؛فَأُحِيلَ عَلَيْكَ،وَتَوَقَّفَتْ إِقَالَتُهُ عَلَى تَوْبَةٍ بَيْنَ يَدَيْكَ"[6]؛فَشَبَّهَ الكاتِبُ حالَةَ اليَأسِ التِي وَصَلَ إِلَيْهَا حِينَ سُدَّتْ أمامَهُ السُّبُلِ بِحَالِ العَابِدِ بَرْصِيصَ حِينَ أَوْقَعَ بِهِ الشَّيْطَانُ فَوَصَلَ إِلَى حالَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ اليَأْسِ .

---

١ – الزَّجَّالي "**أَمْثَالُ العَوَام فِي الأَنْدَلُس**" ٨٠/٢ – رقم ٣٤٣ .

٢ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا – رقم ٣٤٣ .

٣ – نَفْسُهُ ٢١٧/١ .

٤ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٣٧/٧ ؛ المقّري"**أَزْهَارُ الرِّيَاضِ**" ١١٧/١ .

هُوَ **الرَّاهِبُ: بَرْصِيصًا**،أَوْ **بَرْصِيص** وَيُقَالُ فِيهِ بَرْصِيعًا،أَحَدُ عُبَّادِ بني إسرائيل،قِيلَ إِنَّهُ كَانَ مِنْ أعبد أَهْلِ زمانه تَعَبَّدَ فِي صَوْمَعَتِهِ سَبْعين سَنَةً لَمْ يعص الله فِيهَا طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى أعيا إِبْلِيسَ،بَقِيَ إِبْلِيسُ يحتال عَلَيْهِ حَتَّى جعلَهُ يُواقِعُ امْرَأَةً جَمِيلَةً،فَحبلَتْ مِنْهُ،فَوَسْوَسَ لَهُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَقْتُلَ ابنَهَا،ثُمَّ أَنْ يقتُلَهَا هِيَ خَوْفَ أَنْ تُخْبِرَ أَخْوَتَهَا.جَاءَ الحَدِيثُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ **سُورَة الحَشْرِ**، آية ١٦ . انْظُرْ: القرطبي"**الجامع لأحكام القُرْآنِ**" ٣٧/١٨ – ٤١؛ ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" ٣٤٢/٤ .

٥ – هُوَ الفَقِيهُ :**عُمَرُ المالقي**، اشتهر بالأَزْجَالِ وَالمَقَامَاتِ،مِنْهَا المَقَامَةُ السَّاسَانِيَّةُ التي سَمَّاهَا "تَسْرِيح النِّصَالِ إِلَى مَقَاتِلِ الفِصَالِ"، فِيهَا ذكر بَرْصِيصَا . انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٣٧/٧؛ "**أَزْهَارُ الرِّيَاضِ**" ١١٧/١ .

٦ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٣٧/٧؛ "**أَزْهَارُ الرِّيَاضِ**" ١١٧/١ .

٣ـ المُذَكِّرَات .

ظَهرَتْ مَسَاحَةٌ كبيرَةٌ لليَهُودِ فِي **مُذَكِّرَات الأَمِيرِ عبْدِ اللهِ المُسَمَّاةِ "التِّبْيانِ"**،وَبِخَاصَّةٍ فِي الحَدِيثِ عن ابْن نَغْرِيلَّة الأبِ والابنِ مِنْ تولِيَتِهِمَا الوِزَارَةِ حَتَّى وَفَاتِهِمَا،وَلَمْ تكُنِ المُذَكِّرَاتُ مُجَرَّدَ سَرْدٍ لِحَوَادِث وَقِصَصٍ حَدَثَتْ مَعَ الأَمِيرِ الكاتِبِ أَوْ حَوْلَهُ،بَلْ امتَازَتْ فِي أُسْلُوبِهَا فَكَانَتْ عَلَى مُسْتَوى عَالٍ فِي الكِتابَةِ،فَحَوتْ مِنَ العِباراتِ مَا يَدُلُّ عَلَى مَقْدِرَةٍ أَدَبِيَّةٍ جَيِّدَةٍ لِلكَاتِبِ،مَع تَمَيُّزِهِ بِالابْتِعَادِ عَنِ المُحَسِّنَاتِ البَدِيعِيَّةِ؛انْظُرْ مَثَلاً هَذِهِ الفِقْرَةَ حِينَ جَمَعَ المُظَفَّرُ النَّاسَ يُشَاوِرُهم فِي أَمْرِ وَادِي آش، فَقَالَ لَهُمْ:"مَثَلي وَمَثَلُ ابنِ صُمَادِح كَمَثَلِ القُبَعَةِ[١] التِي كَانَ بِإِزَائِهَا عِشٌّ إِوَزَّة؛فَأَعْجَبَهَا بَيْضُهَا، فَقَالَتْ:لأحْضُنَنَّ هَذَا البَيْضَ،يَكُونُ خَيْرًا مِنْ مَتَاعِي فَلَمَّا رَامَتْ ذَلِكَ عَجِزَتْ وَقَصُرَتْ جَنَاحَاهَا عَنِ التَّحْضِينِ؛فَلَمَّا رَجعَتْ إِلَى مَتَاعِهَا،وَجَدَتْهَا قَدْ فَسَدَتْ.وَكَذَلِكَ ابنُ صُمَادِح:تَعَدَّى عَلَى بَلَدِي،وَسَيَخْرُجُ عَنْهُ وَعَنْ كَثِيرٍ مِمَّا كَانَ قَدِيمًا بِيَدِهِ فَقَوِيَتْ نُفُوسُ النَّاسِ،وَادَّرَعَ الحَزْمُ وَالعَزْمُ؛وَتَأَهَّبَ لِلمَسِيرِ، وَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ الأَجْنَادُ،وَفَرَّقَ فِيهِمُ العَطَايَا.وَنَازَلَ وَادي آش حَتَّى حَاصَرَهَا وَأَرْسَلَ ابنُ صُمَادِح بَعْدَ ذَلِكَ،يَسْأَلُهُ العَفْوَ وَالإِغْضَاءَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ،وَأَنَّهُ لا يَتَعَرَّضُ مِنْ ذَلِكَ شَيءٌ **لَوْلا اليَهُودِيُّ** وَخَوْفًا إِنْ أَهْمَلَ البَلَدَ أَنْ يَتَعَدَّى عَلَيْهِ مَنْ لا يُخْشَى دَاخِلَتُهُ"[٢].

وَحِينَ جاءَ ذِكرُ اليَهُودِ فِي المُذَكِّرَاتِ كَانَتْ لُغَةُ العِبَارَاتِ عَادِيَّةً تَسْجِيلِيَّةً ومَعانِيهَا سَهْلَةً وَاضِحَةً سَطْحِيَّةً،وظَهَرَ هَذَا حِينَ تحدَّثَ عَنِ الأبِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ،بِقَوْلِهِ مَثَلاً:"وَكَانَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ اليَهُودِيُّ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي العبَّاسِ كَاتِبِ حَبُّوسَ.... فَمَكَرَ بِهِ أَبُو إِبْرَاهِيمَ اليَهُودِيُّ،وَلَزِمَ خِدْمَةَ الرَّئِيسِ،وَصَارَ،مَتَى غَابَ وَلَدُ أَبِي العَبَّاسِ،يَحْضُرُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ فَيَسْأَلُ عَنْهُ حَبُّوسَ؛فَيَقُولُ، مُعْتَذِرًا فِي الظَّاهِرِ وَمُطَالبًا لَهُ فِي لَحْنِ القَوْلِ:وَلَدُ أَبِي العَبَّاسِ، كَمَا تَرَى،صَبِيٌّ يُؤْثِرُ الرَّاحَةَ؛وَأَنْتَ جَدِيرٌ بِالإِغْضَاءِ عَلَيْهِ وَإِقَامَةِ عُذْرِهِ.وَأَنَا عَبْدُهُ،أَنُوبُ مَنَابَهُ؛فَمُرْنِي بِمَا شِئتَ:يَتَهَيَّأُ ذَلِكَ!فَلَمْ يَزَلْ عَلَى هَذَا أَبَدًا حَتَّى تَمَكَّنَ،وَظَهَرَتْ خِدْمَتُهُ وَسَعْيُهُ فِي ضَمِّ الأَمْوَالِ.وَكَانَ مَعَ هَذَا قَدْ مَيَّزَ عَنْ بَادِيسَ سَعَادَتَهُ وَدَهَاءَهُ؛فَافْتَرَضَ السَّعْيَ لَهُ وَالتَّخَدُّمَ لإِرَادَتِهِ مَا دَامَ أَمْكَنَهُ ذَلِكَ،... فَلَمَّا اتَّفَقَ أَعْدَاؤُهُ مَعَ يَدَّيْر[٣]، وَوَعَدَهُم عَلَى الاجْتِمَاعِ عِنْدَهُ.وَتَقَدَّمَ إِلَى بَادِيسَ،وَأَخْبَرَهُ الخَبَرَ،وَأَتَى مَعَهُ إِلَى المَنْزِلِ،وَقَالَ لَهُ:لَيْسَ الخَبَرُ كَالعِيَانِ!اسْمَعْ بِأُذْنِكَ وَعِ بِقَلْبِكَ!وَهُوَ بِمَوْضِعٍ مُرْتَفِعٍ عَلَى البَيْتِ الذِي يَرُومُونَ فِيهِ عَمَلَهُم؛ وَأَبُو إِبْرَاهِيمَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ يَقُولُ عِنْدَ مُحَاوَرَتِهِمْ كَالمُخَاطِبِ لِلبَارِئ:يَا مَنْ يَرَى وَلا يُرَى!وَهُو يَعْنِي

---

١ – القُبَعةُ: طُوَيْئِرٌ صَغِيرٌ مثل العُصفورِ يَكُونُ عِنْدَ جُحْرِهِ الجِرْذان، فإذا فَزِعَ أَو رُمِيَ بحجر قَبَعَ فِيهَا أي دخَلَها .
ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [قبع] ٢٥٨/٨ .

٢ – الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٥٦ – ٥٧ .

٣ – هُوَ: **يَدَّير بن حُبَاسَةَ بن مَاكْسَن**، سَبَقَتْ تَرْجَمَتُهُ .

بِذَلِكَ بَادِيسَ جَدَّنَا الذِي يَرَاهُم وَلا يَرَونَهُ.فَشَكَرَ ذَلِكَ بَادِيسُ لأَبِي إِبْرَاهِيمَ،وَأَيْقَنَ بِثِقَتِهِ وَأَمَانَتِهِ. وَصَارَ لَهُ خَادِمًا مِنْ ذَلِكَ النَّهَارِ؛وَشَاوَرَهُ فِي أَكْثَرِ رَأْيِهِ مَعَ بَنِي عَمِّهِ"[١].

وَيُعْطِي هَذَا النَّصُّ مِنَ المُذَكِّرَاتِ فِكْرَةً عَنْ صُورَةِ اليَهُودِ وأَثَرِهِمْ بِهَا؛فَأَبُو إِبْرَاهِيمَ فِيهَا لا يُذْكَرُ بِاسمِهِ إِسْمَاعِيلَ أَبدًا وَلا اسْمِ عَائِلَتِهِ،واكْتَفَى غالبًا بِكُنْيَتِهِ أو قَوْلِ اليَهُودِيِّ فَحَسْبُ،وحِينَ ماتَ وَجَاءَ ابنُهُ يُوسُفُ عَلَى الوِزَارَةِ بعدَهُ،وصَفَهُ الأَمِيرُ بصِفَةِ اللَّعِينِ أوِ المَاكِرِ أوِ الخِنْزِيرِ مُفْرَدَةً أو صِفَةً لكَلِمَةِ اليَهُودِيِّ،وأَحْيَانًا كثيرَةً مَتْلُوَّةً بِعبارَةِ لعْنَةٍ عَلَيْهِ،مِنْهَا: "وَإِنَّ **الخِنْزِيرَ- لَعَنَهُ اللهُ**- لَمَّا رَأَى طُغْيَانَ النِّسَاءِ..."[٢]،وفي قِصَّةٍ عَنْهُ يَرْوِيهَا مُقَرَّبٌ مِنَ المُعْتَصِمِ:"فاتَّهَمَني **الخِنْزِيرُ**،وَخَاطَبَ بِأَمْرِي المُعْتَصِمَ"وفي الفِقْرَةِ نفْسِهَا قَالَ:"فرأى **الخِنْزِيرُ** مِنْ رَأْيِهِ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ البِلادِ كُلَّ مَنْ يُتَوَقَّعُ قِيَامَهُ"[٣].وفي غَيْرِهَا:"فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ،وَتَرَكَ ابنَهُ وَزِيرَ جَدِّنَا،وَرِثَ مِنْ أَبِيهِ أَمْوَالاً كَثِيرَةً، وَوَصَّاهُ بِأَنْ يَسْعَى فِي طَلَبِ الوُزَرَاءِ عِنْدَ اسْتِقَامَةِ الدَّوْلَةِ لِلرَّئِيسِ،وَعَرَضَ عَلَيْهِ الأَبْوَابَ التِي مِنْهَا يَكُونُ حَتْفُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، لِمَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ البِلادِ وَاسْتِئْثَارِهِمْ بِالجِبَايَاتِ فَجَعَلَ **الخِنْزِيرُ** نَفْسَهُ لِذَلِكَ"[٤]،وفي غَيْرِهَا:"فَعَمِلَ **الخِنْزِيرُ** رَأْيَهُ مَعَ مَشْيَخَةِ اليَهُودِ"[٥].

وَيُظْهِرُ النَّصُّ صِفَاتٍ لِهَذَا الوَزِيرِ وابنِهِ مُعْظَمُهَا كَانَتْ يَهُودِيَّتُهُ سَبَبًا فِي وَصْفِهِ بِهَا،فَقَدْ أَكْثَرَ الأَمِيرُ مِنْ وَصْفِ اليهودِيَّيْنِ المَذْكُورَيْنِ بِالمَكْرِ والخِدَاعِ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى مُبْتَغَاهُم،فمَرَّةً قالَ: "وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُ،إلا عَنْ **تَحَيُّلٍ وَمُكْرٍ**"[٦]،وَفِي أُخْرَى يُعَمِّمُ صِفَةَ المَكْرِ هَذِهِ عَلَى كلِّ اليَهُودِ بِقَوْلِهِ: "وَكَانَ اليَهُودِيُّ مُتَنَقِّلاً مِنْ دَارِهِ عَلَى القَصَبَةِ حَذَرًا مِنَ العَامَّةِ،حَتَّى يَتِمَّ مَا أَمَّلَ؛فَأَنْكَرَ ذَلِكَ النَّاسُ، مَعَ بُنْيَانِهِ لِحِصْنِ الحَمْرَاءِ عَلَى أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ ابنُ صُمادِحِ البَلَدَ،صَارَ هُوَ بِأَهْلِهِ إِلَيْهَا،إِلَى أَنْ تَتَوَطَّدَ الحَالُ،فَأَنِفَتِ العَامَّةُ وَالخَاصَّةُ **لِمَكْرِ اليَهُودِ** وَمَا اشْتُهِرُوا بِهِ مِنْ تَغَيُّرِ الأَحْوَالِ"[٧].وَلِكَثْرَةِ مَكْرِ الوَزِيرِ وَخِدَاعِهِ لِلسُّلْطَانِ حَتَّى يَصِلَ مُبْتَغَاهُ بِالقُرْبِ مِنْهُ أعطَاهُمُ الأَمِيرُ صِفَةَ البرامِكَةِ،فقالَ: "**وتَبَرْمَكَ عَلَى عَلِيٍّ** [ابن القروي] وَغَيْرِهِ،وَاسْتَوْثَقَ مِنْ جَانِبِ الرَّئِيسِ مَا لَمْ يَسْأَلْ بِهِ عَنْ عَلِيٍّ وَلا عَنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ"[٨]،وفي أُخْرَى قال:"**وتَبَرْمَكَ اليهوديُّ** بَعْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ"[٩].

---

١ – الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٣٠– ٣١ .

٢ – نَفْسُهُ ص ٥٠ .

٣ – نَفْسُهُ ص ٥٢ .

٤ – نَفْسُهُ ص 38 .

٥ – نَفْسُهُ ص ٤٠ .

٦ – نَفْسُهُ ص ٣٧ .

٧ – نَفْسُهُ ص ٥٤ .

٨ – نَفْسُهُ ص ٣٧ .

٩ – نَفْسُهُ ص ٤٢ .

وباخْتِصَارٍ فَقَدْ أرْجَعَ الأَمِيرُ فسادَ أمورِ البلادِ إِلى نِفَاقِ اليَهُودِيِّ بقَوْلِهِ بَعْدَ الحَدِيثِ عَنْ أخْذِهِ مَالَقَةَ: "فَتَهَدَّنَتِ الحَالُ،وَتَأتَّتِ السَّعَادَاتُ،وَامْتَلأَتْ بُيُوتُ الأَمْوَالِ سِنِينَ لا يُسْمَعُ فِيهَا بِفِتْنَةٍ،وَلا يُرَى مَعَهَا تَشْغِيبٌ،إِلى أنِ اخْتَلَّتِ الأَحْوَالُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا كَانَ مِنْ **نِفَاقِ اليَهُودِيِّ لَعَنَهُ اللهُ**"[١].

وأَحْيَانًا كَانَ الأَمِيرُ يَصِفُ اليَهُودِيَّ بِوَاحِدَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ الإيجابِيَّةِ التِي تَمَتَّعَ بِهَا،كَوَصْفِهِ بِالكَيْسِ وَالمُدَارَاةِ للنَّاسِ،بِقَوْلِهِ:"**وَكَانَ اليَهُودِيُّ مِنَ الكَيسِ وَالمُدَارَاةِ للنَّاسِ** مَا طَابَقَ الزَّمَانَ الذِي كَانُوا فِيهِ وَالقَوْمَ الذِينَ يَرُومُونَهُمْ"[٢]. كَمَا وَصَفَهُ وابنَهُ بِالحِكْمَةِ والقُدْرَةِ عَلَى إِسْدَاءِ النَّصَائِحِ لِلسُّلْطَانِ، فقالَ:"وَأَظْهَرَ وَلَدُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ لِلسُّلْطَانِ **نَصَائِحَ كَثِيرَةً حَظِيَ بِهَا عِنْدَهُ**"[٣]،وذكرَ بَعْضًا مِنْ حِكَمِهِم كَقَوْلِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ لِلمُظَفَّرِ يَوْمًا:"مَا قَطَعَ الشرَّ إلا سِياسَةٌ!"[٤].

وأشارَ أكثرَ مِنْ مَرَّةٍ إِلى أنَّ ميزاتِ اليَهُودِيِّ مَعَ فَسَادِ حَاشِيَةِ السُّلْطَانِ والأُمَرَاءِ كَانَ سَبَبًا فِي عُلُوِّ مَكانَةِ اليَهُودِيِّ،فاعْتَرَفَ أنَّ قِلَّةَ خِبْرَةِ والِدِهِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بِالنَّاسِ سَهَّلَتِ الأمْرَ عَلَى اليَهُودِيِّ لِقَتْلِهِ؛"فَقَدْ كَانَ يَتَحَدَّثُ بِذَلِكَ،ويُفْشِي سِرَّهُ إِلَى الوُزَرَاءِ الرَّافِعِينَ إِلَيْهِ؛فَلا هُوَ يَعْزِمُ عَلَى قَتْلِهِ،وَلا هُوَ يَتَكَتَّمُ بِالأَمْرِ،إِلى أَنْ صَحَّ ذَلِكَ عِنْدَ اليَهُودِيِّ،وَاعْتَزَمَ رَأْيُهُ عَلَى أَنْ يَسْبِقه بِالأَمْرِ،وَرَأَى عَيَانًا تَغَيُّرَهُ عَلَيْهِ.وَكَانَ أَبُونَا،لَمَّا هَمَّ بِقَتْلِهِ،وَأَعَدَّ لِذَلِكَ عَبِيدَهُ،فَكَّرَ فِي سَطْوَةِ أَبِيهِ؛فَكَفَّ"[٥].

المَبْحَثُ الثَّانِي : **المُؤَثِّرَاتُ عَلَى صُورَةِ اليَهُودِ** فِي النَّثْرِ الأَنْدَلُسِيِّ.

كَانَتْ صُورَةُ اليَهُودِ فِي نَثْرِ الأَنْدَلُسِيِّينَ عَلَى الأَغْلَبِ سَيِّئَةً،والخُطُوطُ الرَّئِيسَةُ لَهَا يُشَكِّلُهَا "النَّمُوذَجُ التَّآمُرِيُّ"[٦]؛فَاليَهُودِيُّ سيئٌ،وَيوصَفُ بِاليَهُودِيِّ مَنْ كَانَ بِزَعْمِهِم سَيِّئًا،فَاتَّهَمَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ عَبْدَ العَزِيزِ بْنَ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ(ت:٩٩هـ) عِنْدَمَا رَأَوْهُ يَضَعُ التَّاجَ،وَأَدْرَكُوا مَا رَمَى إِلَيْهِ مِنَ اتِّخَاذِ البَابِ الصَّغِيرِ الذِي يُجْبِرُ دَاخِلَهُ عَلَى الانْحِنَاءِ،اتَّهَمُوهُ بِالتَّنَصُّرِ،وَنَعَتَهُ بَعْضُهُمْ بِاليَهُودِيِّ وَكَانَ هَذَا سَبَبًا فِي قَتْلِهِ[٧].وَالفَقِيهُ ابنُ حَزْمٍ قَالَ عَنِ ابنَ نَغْرِيلَّةَ بِرِسَالَتِهِ:"هَا هُنَا انْتَهَى كُلُّ مَا ظَنَّ **المَائِقُ** أَنَّهُ اعْتَرَضَ بِهِ،قَدْ بَانَ فِيهِ كُلِّهِ زورُهُ وَجَهْلُهُ وَاغْتِرَارُهُ"،وَانْطَلَقَ مُبَاشَرَةً لِتَعْمِيمِ القَوْلِ عَلَى اليَهُودِ بِقَوْلِهِ: "ثُمَّ نَحْنُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ذَاكِرُونَ بِحَوْلِ اللهِ تَعَالَى وَقُوَّتِهِ قَلِيلاً مِنْ كَثِيرٍ مِنْ

١ – الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٤٤ .

٢ – نَفْسُهُ ص 31 .

٣ – نَفْسُهُ ص ٣٧ .

٤ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٥ – نَفْسُهُ ص ٤٠ .

٦ – انْظُرْ:عبد الوَهَّاب المَسِّيرِيّ" **مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**"١/١٥٠، وَسَبَقَتِ الإشَارَةُ إِلَيْهِ في البَحْثِ: ص٥٧ – ٥٨ .

٧ – انْظُرْ: الرقيق القيرواني"**تاريخ إفْرِيقِيَّةَ وَالمغرب**" ص٦١ ؛ النويري"**نِهَايَةُ الأرب**" ٥٥/٢٤ [الحَاشِيَة] .

قَبَائِحِهِمْ يُدِيرُونَهَا وَيَنْسِبُونَهَا إِلَى البَارِي تَعَالَى فِي كُتُبِهِم التِي طَالَمَا وَقَفْنَا عَلَيْهَا"[١].

وحِينَ يُذْكَرُ اليَهُودُ وَأهلُ الذِّمَةِ بِالنَّثْرِ **يَكُونُ ذِكْرُهُمْ فِي نِهَايَةِ قَائِمَةِ الأَسْمَاءِ المَذْكُورِينَ**، حتَّى إِنَّهُمْ ذُكِرُوا بَعْدَ الحَيَوانَاتِ فِي الحَدِيثِ عَنِ اسْتِسْقَاءٍ دَعَا إِلَيْهِ مُوسَى بن نُصَيْرٍ،حِينَ دَخَل إِفْرِيقْيَةَ، وَكَانَ بِهَا قَحْطٌ،فَأَمَرَ النَّاسَ بِالصِّيَامِ وَالخُرُوجِ إِلَى المُصَلَّى للاسْتِسْقَاءِ،يَقُولُ ابن عِذَارِي:"وَبَكَى، وَبكَوْا،وَبَكَى الصِّبْيَانُ وَالنِّسَاءُ،وَصَاحَتِ البَقَرُ وَالعُجُلُ وَالغَنَمُ وَالخِرْفَانُ وَأَهْلُ الذِّمَّة"[٢].

وَنُعِتَ اليَهُودُ بألفاظ كثيرَةٍ فِي النَّثْرِ،معْظَمُهَا تُؤَكِّدُ "النَّمُوذَجَ التَّآمُرِيَّ"،وَكَانَ لَفْظُ **"قِرْدٍ"** مِنْ أَكْثَرِ مَا قِيلَ فِي اليَهُودِ مِنَ الألفاظ فِي النَّثْرِ،وَأَحْيَانًا يَقُولُونَ **"الخِنْزِير"**،وَأَحْيَانًا يَصِفُونَهمْ **"بِالأَنْذَالِ، وَالعُلُوجِ"**،ليسَ هَذَا فَحَسْبُ،بَلْ كَانُوا يَغْسِلُونَ بِالماءِ نَجَسَ قُبْلَتِهِم أو مُصَافَحَتِهِم،فَيَذْكُرُ ابنُ **الخطيبِ** أَنَّ ابن أَلْفُونْسُ كَانَ قدِ اسْتَنْصَرَ عَلَى أَبِيهِ بِالسُّلْطَانِ يَعْقُوبَ بنِ عَبْدِ الحَقِّ المُرَيْنِيِّ، وَلاذَ بِهِ،وَرَهَنَ عِنْدَهُ تَاجَهُ وَبَعْدَ أَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ طَلَبَ بِلِسَانِ زِنَاتَه المَاءَ،لِيَغْسِلَ يَدَهُ بِهِ مِنْ قُبْلَةِ أَلْفُونْسُ،أَوْ مُصَافَحَتِهِ. وَلَمْ يَقِفِ الأَمْرُ عِنْدَ هَذَا الحَدِّ،بَلْ ظَلَّتْ هَذِهِ الحَادِثَةُ فِي ذِكْرَى ابنِ الخَطِيبِ،وَعَايَرَ بِهَا ابنَ زَرْزَار اليَهُودِيَّ رَسُولَ حَفِيدِ أَلْفُونْسُ،وَكَانَ قَدْ وَصَلَ إِلَى غَرْنَاطَةَ فِي بَعْضِ حَوَائِجِهِ،وَدَخَلَ عَلَى ابنِ الخَطِيبِ وَبِيَدِهِ كِتَابٌ مِنْ سُلْطَانِ المَغْرِبِ مُحَمَّدٍ[٣]،وَكَانَ مُحَمَّد هَذَا قَدْ فرَّ إِلَى صَاحِبِ قَشْتَالَةَ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ لابن الخَطِيبِ:"مَوْلايَ دُونْ بطْرَه[حفيد ألفونْس] يُسلِّمُ عليكَ،وَيَقُولُ لَكَ:انْظُرْ فِي مُخَاطَبَةِ هَذَا الشَّخْصِ،وَكَانَ بِالأَمْسِ **كَلْبًا** مِنْ **كِلابِ** بَابِهِ،حَتَّى تَرَى خَسَارَةَ الكَرَامَةِ فِيهِ"[٤].فَأَخَذَ ابنُ الخَطِيب الكِتَابَ مِنْ يدِهِ،وَقَرَأَهُ،وَقَالَ لَهُ:"أَبْلِغْهُ عَنِّي أَنَّ هَذَا الكَلامَ مَا جَرَّكَ إِلَيْهِ إِلا خُلُوُّ بَابِكَ مِنَ الشُّيوخِ،الذِين يُعَرِّفونَكَ **بِالكِلابِ** وَبِالأُسُودِ،وَبِمَنْ تُغْسَلُ الأَيْدِي مِنْهُمْ إِذَا قَبَّلُوها،فَتَعْلَمُ مَنِ **الكَلْبُ الذِي تُغْسَلُ اليَدُ مِنْهُ**،وَمَنْ لا،وَأَنَّ جَدَّ هَذَا الوَلَدِ هُوَ الذِي قَبَّلَ جَدُّكَ يَدَهُ،وَاسْتَدْعَى المَاءَ لِغَسْلِ يَدِهِ مِنْهُ بِمَحْضَرِ النَّصَارَى وَالمُسْلِمِينَ؛وَنِسْبَةُ الجَدِّ إِلَى الجَدِّ كَنِسْبَةِ الحَفِيدِ إِلَى الحَفِيدِ؛وَكَونُهُ لَجَأَ إِلَى بِلادِكَ لَيْسَ بِعَارٍ عَلَيْهِ،وَأَنْتَ مُعَرَّضٌ إِلَى اللجَإِ إِلَيْهِ،فَيُكَافِئُكَ بِأَضْعَافِ مَا عَامَلْتَهُ بِهِ"[٥].

---

١ – انْظُرْ: ابن حَزْمٍ "**رَسَائِلُهُ**" ٥٦/٣؛ "رِسَالَة فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ النَّغْرِيلَّة اليَهُودِيّ" .

٢ – ابن عِذَارِي المَرَاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ١٩/٢ .

٣ – هُوَ سُلْطَان المغرب: **مُحَمَّدُ بنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي الحَسَنِ** . انْظُرْ: المقّري"**أَزْهَارُ الرِّيَاضِ**" ٦٢/١ – ٦٣ .

٤ – انْظُرْ: المقّري"**أَزْهَارُ الرِّيَاضِ**" ٦٢/١ .

٥ – انْظُرْ: نَفْسُهُ /٦٢ – ٦٣ .

وَكَذَلِكَ نَعَتَ **الأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ** اليَهُودِيَّ فِي مُذَكِّرَاتِهِ "**بِالْخِنْزِيرِ وَالأَحْمَقِ**" بعْدَ حَدِيثٍ عَنْ مَجْلِسِ خَمْرٍ لِلنَّايَةِ(١)مَعَ المُظَفَّرِ وَحْدَهُما،فأَخَذَ النَّايَةُ يُجَرِّحُ الوَزِيرَ اليَهُودِيَّ ابنَ نَغْرِيلَّة،بِقَوْلِهِ:"قَدْ أَكَلَ مَالَكَ،وَتمَلَّكَ بِأَعْظَمَ مِنْ مُلْكِكَ،وَبَنَى خَيْرًا مِنْ قَصْرِكَ! فَاللهَ اللهَ فِي إِزَاحَتِهِ وَالتحَبُّبِ إِلَى المُسْلِمِينَ بِفَقْدِهِ! وَالمُظَفَّرُ فِي هَذَا كُلِّهِ يَعِدُهُ وَيَقُولُ لَهُ:لا بُدَّ لِي مِنْ ذَلِكَ؛وأُوَكِّلُكَ عَلَى قَتْلِهِ!فَرُبَّمَا لَفَظَ بِذَلِكَ بِمَسْمَعٍ مَنْ لا يُؤْبَهُ لَهُ مِنْ عَبِيدِهِ وَالمُتَصَرِّفِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ؛فَيَنْقُلُونَ ذَلِكَ عَلَى المَقَامِ إِلَى اليَهُودِيِّ لِيَصِلَهُم عَلَيْهَا. فَلا تَزْدَادُ نَفْسُ **الخِنْزِيرِ** إلا **حَمَاقَةً** وَمُنَافَرَةً،وَيَكَادُ أَنْ يَمُوتَ هَمًّا وَحنَقًا،مَعَ حَسَدِهِ لَهُ عَلَى المَنْزِلَةِ الَّتِي خُصَّ بِهَا دُونَهُ"(٢)،ومرَّةً أُخْرَى أتبعَ "**الخِنْزِيرَ**"،بِقَوْلِهِ:"**الخِنْزِيرَ**- لَعَنَهُ اللهُ-"(٣) وَغَيْرُهَا عِنْدَ الأَمِيرِ عَبْدِ اللهِ كثيرٌ،حتَّى إِنَّهُ أَحْيَانًا كَرَّرَ هَذَا النَّعْتَ مَرَّتين فِي الصَّفْحَةِ نَفْسِهَا(٤).وَلَمْ يكُنِ "**الخِنْزِيرُ**" خَاصًّا بِاليَهُودِ عِنْدَ الأَمِيرِ عَبْدِ اللهِ وَلا عِنْدَ غَيْرِهِ،كَمَا سَبَقَتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ؛فَنُعِتَ بِهِ النَّصَارَى كَذَلِكَ كَالْبَرْهَانِش(٥) أَحَدِ الزُّعماءِ عِنْدَ أَلفُونْسُ(٦).

أَمَّا **ابْنُ حَزْمٍ** فَقَدْ وَصَفَ ابْنَ نَغْرِيلَّةَ بِعِدَّةِ أَلْفَاظٍ تُرَكِّزُ فِيهِ الخِسَّةَ والنَّذَالَةَ، وَبَعْدَ أَنْ وَصَفَهُ بِالسُّكْرِ أَكمَلَ بِأَنَّهُ:"الخَسِيسُ إِذَا أَشِرَ،وَالذَّلِيلُ الجَائِعُ إِذَا عَزَّ وَشَبِعَ،وَالسُّفْلِيُّ إِذَا أَمَرَ وَشَطَّ،وَالكَلْبُ إِذْ ذُلِّلَ وَنَشِطَ،فَإِنَّ لِهَذِهِ المَعَانِي مَسَالِكَ خَفِيَّةً فِي إِفْسَادِ الأَخْلاقِ الَّتِي تُقَرِّبُ مِنَ الاعْتِدَالِ،وَكَيْفَ بِخُلُقِ سُوءٍ مُتَكَرِّرٍ فِي الخَسَاسَةِ وَالهُجْنَةِ وَالرَّذَالَةِ وَالنَّذَالَةِ وَاللعْنَةِ وَالمَهَانَةِ؟"(٧).

وَمِمَّا اشْتُهِرَ بِهِ اليَهُودُ فِي مَصَادِرِ الأَدَبِ الأَنْدَلُسِيِّ كَثْرَةُ جِدَالِهِم؛فَذَكَرَ المَقَّرِيُّ عِدَّةَ أَمْثِلَةٍ عَلَى هَذَا فِي نفْحِهِ(٨)،مِنْهَا أَنَّ **يَهُودِيًّا سَمِعَ بِحَدِيثِ**:"نِعْمَ الإِدَامُ الخَلُّ"(٩)،فَأَنْكَرَ ذَلِكَ حَتَّى كَادَ يُصَرِّحُ بِالقَدْحِ،فَبَلَغَ ذَلِكَ بَعْضَ العُلَمَاءِ،فَأَشَارَ عَلَى المَلِكِ أَنْ يَقْطَعَ عَنِ اليَهُودِ الخَلَّ وَأَسْبَابَهُ سَنَةً، فَمَا تَمَّتْ حتَّى ظَهَرَ فِيهِمُ الجُذامُ"(١٠).

١ – هُوَ: **النَّاية** عَبْدٌ مِنْ عَبيدِ المُعْتَمِدِ بنِ عَبَّادٍ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنِ اتَّفَقَ عَلَى غَدْرِهِ مَعَ ابْنِهِ، اعْتَنَى بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ العَبِيدِ،وتَوَسَّطُوا لَهُ عِنْدَ المُظَفَّرِ وَأَدْخَلُوهُ غَرْنَاطَةَ، وَصار قائدًا عِنْدَهُ.وزاد جِدُّهُ،ونما خَبَرُهُ،وَتضاعفَ إِحْسَانُ المُظَفَّرِ إِلَيْهِ.وَكَانَ المُظَفَّرُ متى مَا أتى مَالَقَةَ، نَزَلَ فِي دَارِهِ، وَشَرِبَ مَعَهُ. انْظُرْ: الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٤٦– ٤٧ .

٢ – الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٤٧ .

٣ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ص ٥٠ .

٤ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ص ٥٢ .

٥ – هُوَ: **أَلْبَرْهَانِش**، أوكلَ أَلفُونْسُ إِلَيْهِ أَمرَ غَرْنَاطَةَ وَالمَرِيَّةِ؛ فصار زعِيمًا فِي الجهتين. انْظُرْ:الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٤٧ .

٦ – انْظُرْ: الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ١٢٤ .

٧ – ابن حَزْمٍ "**رَسَائِلُهُ**" ؛"رِسَالَة فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ النَّغْرِيلَّة اليَهُودِيِّ" ٣/ ٤٥ .

٨ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٢٨٣/٧– ٢٨٤، ١٣٠/١٠ .

٩ – مُحَمَّد آبادي"**عَون المَعْبُود**" ٢١٤/١٠؛ القُرطُبِيّ"**الجَامِع لأحكامِ القُرْآنِ**" ١١/١٢؛ المُبَارَكْفُوري"**تُحْفَة الأَحْوَذِيّ**"٣٩٩/٤، ٤٦٦/٥.

١٠ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٢٤١/٧ .

وبِهَذَا أَرَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لليَهُودِ وُجُودٌ كَبيرٌ وَاضِحٌ فِي النَّثْرِ الأَنْدَلُسِيِّ،وَظَهَرَتْ صُورَةُ اليَهُودِ فِي النَّثْرِ مَبثُورَةً مُبَعْثَرَةً،وَيُمْكِنُ تَجْمِيعُ مَلامِحِ هَذِهِ الصُّورَةِ بمعْرِفَةِ أَهَمِّ المُؤثِّرَاتِ التِي أَثَّرَتْ عَلَيْهَا فَجَعَلَتِ الكُتَّابَ يكتُبُونَ بِشَكْلٍ مُباشِرٍ أَحْيَانًا،وأَحْيَانًا أُخْرَى بِرمُوزٍ أو إِشَارَاتٍ،وَيُمْكِنُ حَصْرُ المُؤَثِّرَاتِ عَلَى صُورَةِ اليَهُودِ فِي النَّثْرِ الأَنْدَلُسيِّ بِمَا يَلِي:

أَوَّلاً:- المَوْرُوثُ فِي التَّارِيخِ العَرَبِيِّ عَنْهُمْ .

ظَهَرَتْ فِي النَّثْرِ الأَنْدَلُسِيِّ أَحْيَانًا صُورَةٌ لليَهُودِ عن طَرِيقِ رُمُوزٍ لأَحْدَاثٍ مَأْخُوذَةٍ مِنَ التَّارِيخِ: التَّارِيخِ العَرَبِيِّ القَدِيمِ،أَوْ تَارِيخِهِمُ القَرِيبِ لِوُجُودِهم فِي الأَنْدَلُسِ.

١- مِنَ التَّارِيخِ القَدِيمِ :

مَا وَرَدَ فِي كُتُبِ الأَدَبِ بتَأْثِيرِ تَارِيخِ اليَهُودِ القَدِيمِ قِسْمَانِ: قِسْمٌ مِنْهُ أُخِذَ مِنْ تَارِيخِهِمْ بعدَ الإِسْلامِ وَالآخرُ قَبْلَ الإِسْلامِ ،فَمَا أُخِذَ مِنَ التَارِيخِ الإِسلامِيِّ كَانَ مِنَ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي مُعْظَمِهِ ويَتَمَثَّلُ بِأَحْدَاثٍ كَثِيرَةٍ تَتَعَلَّقُ باليَهُودِ ذُكِرَتْ فِي النَّثْرِ الأَنْدَلُسِيِّ،لَكِنْ يَصْعُبُ أَحْيَانًا عَلَى البَاحِثِ الجَزْمُ إِنْ كَانَ لليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ أَثَرٌ وَاضِحٌ لِقَوْلِ هَذِهِ الأَحْدَاثِ؛فَعَلَى سَبِيلِ المِثَالِ فِي **"الرِّسَالَةِ البَكْرِيَّةِ"** التِي كَتَبَهَا **ابن زَيْدُونَ** إِلَى صَدِيقِهِ أَبِي بَكْرٍ[1] عَاتِبًا وَآمِلاً،جَاءَ فِيهَا:"وَشَهِدَ ابنُ العَطَّارِ **العَشَّارُ**[2] العَارِي عَنِ الثِّقَةِ وَالأَمَانَةِ،البَعِيدُ مِنَ الرِّعَايَةِ وَالصِّيَانَةِ،النَّاشِرُ لأُذُنَيْهِ طَمَعًا،الآكِلُ بِيَدَيْهِ جَشَعًا،...وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى أَنْ أَلحِقَ بالشُّهُودِ،وَهُوَ وَاوُ عَمْرٍو فِيهِم،وَنُونُ الجَمْعِ المُضافِ مَعَهُم[3]، دُونَ أَنْ يُلْحَقَ بِخُزَيْمَةَ ذِي الشَّهَادَتَينِ[4]،وَيَنُوب مُنفَرِدًا عَنْ اثْنَيْنِ"[5].فِي هَذِهِ الأَسْطُرِ يُخْبِرُ ابنُ زَيْدُونَ صَدِيقَهُ فِيهَا أَنَّهُ أُلْقِيَ فِي السِّجْنِ دُونَ تَأَنٍّ أَوْ تَثَبُّتٍ،فَجَاءَ أَمْرُ سَجْنِهِ بِتَقْصِيرٍ مِمَّنْ سَجَنَهُ،وَسَاعَدَ عَلَى سِجْنِهِ كَذَلِكَ شَهَادَةُ ابنِ العَطَّارِ العَشْرِيِّ الذِي أَمِيلُ إِلَى القَوْلِ فِيهِ كَمَا قَالَ عَلِيٌّ

[1] – سُمِّيَت "الرِّسَالَة البَكْرِيّة" نسبة إِلَى أَبِي **بكر مُسْلِم بنِ أَحْمَدَ بنِ أفلحَ النَّحْوِيِّ** أستاذ ابنِ زَيْدُونَ وصديقه.

انْظُرْ الرِّسَالَة البَكْرِيّة: ابْن زَيْدُونَ "**دِيوَانُهُ وَرَسَائِلهُ**" ص٧١٨ – ٧٥٣ .

[2] – يَرَى عَلَيّ عبد العظيم فِي شَرْحِهِ لَدِيْوان ابنِ زَيْدُونَ أَنَّ ابن العَطَّارِ العَشّار هَذَا قَدْ يَكُونُ جَابِيًا للزَّكَاةِ وَيَسْتَدِلُّ عَلَى هَذَا بِكَلِمَةِ العَشَّارِ التي مِنْ مَعَانيها جَابِي الزَّكَاةِ .وَالكَلامُ التَّالِي كُلُّهُ حَوْلَ ابنِ العَطَّارِ.   ابْن زَيْدُونَ "**دِيوَانُهُ وَرَسَائِلهُ**" ص ٧٢٤[الحَاشِيَة].

[3] – نُونِ الجمع تحذف عِنْدَ الإِضافة، مثل: مُعَلِّمُو المَدِينَةِ، وَمهندسوها حاضرون .

[4] – هُوَ :**خُزَيْمَةُ بنُ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيُّ**،كَانَ مِنْ كبار جيش عَلِيٍّ واستشهد مَعَهُ يَوْمَ صِفِّينَ،سَمَّاهُ الرَّسُولُ ﷺ ذَا الشهادتين وَذَلِكَ أَنَّ يَهُودِيًا أَتَى الرَّسُولَ ﷺ،فَقَالَ:يا مُحَمَّدُ اقْضِ◌ِنِي دَيْنِي،فَقَالَ عَلَيْهِ السلامُ لأصحابِهِ:أَيُّكُم يَشْهَدُ أَنِّي قَضَيْتُ اليَهُودِيّ مَالَهُ؟فَأَمْسَكُوا جَمِيعًا،فَقَالَ خُزَيْمَةُ: أَنَا يا رَسُولَ اللهِ أَشْهَدُ أَنَّكَ قَضَيْتَهُ،قَالَ:وَكَيْفَ تَشْهَدُ بِذَلِكَ وَلَمْ تَحْضُرْهُ وَلَمْ تَعْلَمْهُ؟ فَقَالَ:يا رَسُولَ اللهِ نَحْنُ نُصَدِّقُكَ عَلَى الوَحْيِ مِنَ السَّماءِ، فَكَيْفَ لا نُصَدِّقُكَ عَلَى أَنَّكَ قَضَيْتَهُ؟ فَأَنْفَذَ عَلَيْهِ السَّلامُ شَهَادَتَهُ وَسَمَّاهُ ذَا الشهادتين .

انْظُرْ :"**فتح الباري**" ٥/٢٣٨؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" ٢/٤٨٥ – ٤٨٧ ؛"**المهذب**" ٢/٣٢٣ .

[5] – ابْن زَيْدُونَ "**دِيوَانُهُ وَرَسَائِلهُ**" ص٧٢٣ – ٧٢٥ .

عبْدُ العَظِيمِ بِأنَّهُ جَابِي الزَّكَاةِ فِي بَلَدِهِ عَلَى اعْتِبَارِ أنَّهُ عَشَّارٌ[١]،وَلِيُؤَكِّدَ ابنُ زَيْدُونَ عَلى عَدَمِ أهْلِيَّتِهِ للشَّهَادَةِ قَالَ إنَّ هَذَا المَذْكُورَ لَمْ يَكُنْ أبَدًا كَخُزَيْمَةَ صَاحِبِ الشَّهَادَتَيْنِ وَفِي هَذَا إشَارَةٌ إلَى حَادِثَةٍ تارِيخِيَّةٍ لَهَا عَلاقَةٌ باليَهُود.ولا أستبْعِدُ أنْ يَكُونَ ابنُ العَطَّارِ هَذَا يَهُودِيًّا جَعَلَ ابنَ زَيْدُونَ يَتَذَكَّرُ قِصَّةَ اليَهُودِيِّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ،فهو عَشْرِيٌّ وهَذِهِ مِهْنَةٌ اشْتُهِرَ اليَهُودُ بِهَا فِي الأنْدَلُسِ،وفي الحَدِيثِ ذِكْرٌ لِيَهُودِيٍّ تَقَاضَى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إلا أنَّ المَقْصُودَ بالإشارةِ لَمْ يَكُنِ اليَهُودِيَّ بَلْ ذَا الشَّهَادَتَيْنِ خُزَيْمَةَ الذِي نَطَقَ بِالحَقِّ حَتَّى عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَرَهُ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ.بَيْنَمَا ابنُ العَطَّارِ عَكْسُهُ؛فَقَدْ شَهِدَ بِمَا يُخَالِفُ الحَقَّ مَعَ أنَّ الحَقَّ واضِحٌ بالنِّسْبَةِ إلَيْهِ كَمَا يدَّعِي ابن زَيْدُونَ .

وَوَصَفَ **لسانُ الدِّينِ ابنُ الخَطِيب** فِي رِسَالَةٍ لَهُ اثْنَيْنِ[٢]:"كَأنَّهُمَا مِنْ **أذْلاءِ بَنِي النَّضِيرِ وَمُهْتَضِمِي خَيْبَرَ**"[٣]مُشِيرًا بهَذَا إلَى مَذَلَّةِ اللذَيْنِ يَتَحَدَّث عَنْهَما.

وَأرَى أنَّ أثَرَ اليَهودِ فِي الأنْدَلُسِ كَانَ ضَعِيفًا حِينَ تُذْكَرُ هَذِهِ الحَوَادِثُ التَّارِيخِيَّةُ المَأْخُوذَةُ مِنَ السِّيرَةِ أو مِنَ التاريخِ الإسْلامِيِّ،وَالإشاراتُ مِنْهُ تكادُ تَكُونُ مِنَ التَّأثُّرِ بِالمَوْرُوثِ الدِّينِيِّ فَقَطْ.

أمَّا تَارِيخُ اليَهُودِ قَبْلَ الإسْلامِ فَيَخْتَفِي تأثيرُهُ فيما وَصَلَ إلينَا مِنْ نثرٍ للأنْدَلُسِيِّينَ،ولا تَظْهَرُ مِنْهُ إلا شَخْصيةٌ يَهُودِيَّةٌ واحدةٌ وهي **السَّمَوْألُ**،وَمَكَانٌ تَارِيخِيٌّ وَاحِدٌ هُوَ قَصْرُهُ "**الأبْلَقُ الفَرْدُ**"،وَقَدْ سَبَقَ الحَدِيثُ عَنْهُمَا فِي الشِّعْرِ.وَكَمَا ذَكَرَ ابنُ **زَيْدُونَ السَّمَوْألَ** مِراراً فِي شِعْرِهِ[٤]ذَكَرَهُ وَسَمَّاهُ فِي نَثْرِهِ كَذَلِكَ فِي "رِسَالَتِهِ الهَزْلِيَّةِ"[٥]يَقُولُ:"أمَّا بَعْدُ أيُّهَا المُصَابُ بِعَقْلِهِ،المُوَرَّطُ بِجَهْلِهِ،البَيِّنُ سَقطُهُ، الفَاحِشُ غَلَطُهُ...،وَ**السَّمَوْألُ** إنَّمَا وَفِي عَنْ عَهْدِكَ"[٦]،وَضَرَبَ ابنُ زَيْدُونَ لابنِ عَبْدُوسَ(ت:٤٧٠هـ) أمْثِلَةً عَدِيدَةً،وَالأمْثِلَةُ مَأخُوذَةٌ مِنْ تَارِيخِ العَرَبِ،وَجَعَلَهُ الهَدَفَ فِيهَا مِنْ بابِ الاسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ؛ فَقَدْ أخْفَى الطَّرَفَ المُهِمَّ الذي كَانَتِ القِصَّةُ أوِ الحَادِثَةُ تَدُورُ حَوْلَهُ،وَوَضَعَ المُسْتَهْزَأَ بِهِ ابنَ عَبْدُوسَ بَدَلاً مِنْهُ وَكَانَتِ الأمْثِلَةُ فِي الرِّسَالَةِ كَثِيرةً،حَاوَلَ ابنُ زَيْدُونَ فِيهَا اسْتِعْرَاضَ مَهَارَتِهِ الثَّقَافِيَّةِ: اللُّغَوِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ وَالأدَبِيَّةِ مِنْهَا عَلَى وَجْهِ الخُصُوصِ.وَلَمْ يَكُنْ ذِكْرُهُ **للسَّمَوْألِ** فِي هَذَا المَجَالِ مِنْ بَابِ التَّأثُّرِ باليَهُود حَوْلَهُ،بَلْ لأنَّهُ عَلَمٌ مَشْهُورٌ فِي التَّارِيخِ العَرَبِيِّ .

واحْتَلَّ **السَّمَوْألُ** في رِسَالَةِ ابنِ زَيْدُونَ هَذِهِ مَكَانًا مُهِمًّا بِحَيْثُ كَانَ كالإسْكَنْدَرِ المَقْدُونِيِّ مَلِكِ الإغْرِيقِ الذِي قَتَلَ دَارَا مَلِكَ الفُرْسِ،وَقَتَلَهُ وَاحْتَلَّ مَمْلَكَتَهُ وَضَمَّهَا إلَيْهِ،كَمَا كَانَ كَكُلَيْبِ بنِ رَبِيعةَ

---

١ – العَشَّارُ: الماكس الذِي يجبي الأعشار مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ،وَفِي الحَدِيثِ:ليس عَلَى المُسْلِمِينَ عُشورٌ إِنَّمَا العُشُورُ عَلَى اليَهُود وَالنَّصَارَى.

انْظُرْ :التِّرمِذِيّ"**الجَامع الصَّحِيح**" ٢٧/٣؛أبو شيبة"**المُصَنَّف**"٤١٦/٢؛ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**"[عشر،مكس]٥٧٠/٤، ٢٢٠/٦ .

٢ – هُمَا : إبْرَاهِيمُ بنُ أبي الفَتْحِ الأَصْلَع اللغوي وَزِير إِسْمَاعِيلَ بنِ الأحْمَرِ وابنِ عَمِّهِ مُحَمَّدٍ .

٣ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ١٢٢/٧ .

٤ – ابْن زَيْدُونَ "**دِيوَانُهُ وَرَسَائِلهُ**" ص٣٥١ – ٣٥٢؛ ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٣٨٩/١ .وَفِي البَحْثِ : ص ١٩٢ – ١٩٣ .

٥ – انْظُرْ الرِّسَالَةَ فِي: ابْن زَيْدُونَ "**دِيوَانُهُ وَرَسَائِلهُ**" ص٦٣٤ – ٦٧٩؛ النُّوَيْرِيّ "**نِهَايَة الأَرَب**" ٢٩٠/٧ .

٦ – ابْن زَيْدُونَ "**دِيوَانُهُ وَرَسَائِلهُ**" ص640 ،وسبَقَتِ الإشارَةُ إِلَيْهِ فِي البَحْثِ ص ١٩٣ .

زعيمِ قَبيلَتَيْ بَكْرٍ وَتَغْلِبَ،وَكَصَهْرِهِ جَسَّاسِ بنِ مُرَّةَ الذي قَتَلَ كُلَيْبًا بِسَبَبِ نَاقَةِ خَالَتِهِ البَسُوسِ، وَكالمُهَلْهِلِ أَخُو كُلَيْبٍ الذي ظَلَّ يَطْلُبُ ثَأْرَ أخيه كُلَيْبٍ سَنَوَاتٍ عَديدَةً تَخَلَّلَتْهَا حُرُوبٌ طَاحِنَةٌ بَيْنَ قَبيلَتَيْ بَكْرٍ وَتَغْلِبَ،وَكالأَحْنَفِ الذي يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي الحِلْمِ وَالسِّيَادَةِ،وَكَحَاتِمٍ الطائِيِّ الذي يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي السَّخَاءِ،وَكَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ امْتَلأَتْ بِهِمْ الرِّسَالَةُ وَلا مَجَالَ هُنَا لِذِكْرِهِمْ جَميعًا لِكَثْرَتِهِمْ،وَادَّعَى ابنُ زَيْدُونَ أَنَّ كُلَّ هَؤُلاءِ قامُوا بِمَا قَامُوا بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ خَلَّدَتْهُم مَدَى الأَيَّامِ مِنْ أَجْلِهِ هُوَ مِنْ بابِ السُّخْرِيَةِ بِهِ،وَأَعْمَالُ **السَّمَوْأَلِ** كَانَتْ مِنْ أَجْلِ ابنِ عَبْدُوسَ كَذَلِكَ، وَجَاءَ **السَّمَوْأَلُ** وَسْطَ هَذِهِ القَائِمَةِ الطَّوِيلَةِ مِنَ المَشْهُورِينَ وَالعُظَمَاءِ للدِّلالَةِ عَلَى المَكَانَةِ التِي نَالَهَا هَذا اليَهُودِيّ بِعَمَلِهِ الذِي خَلَّدَهُ،فَجِيرَتُهُ لِمَنْ يَطْلُبُهُ وَوَفَاؤُهُ وَشَجَاعَتُهُ جَعَلَتْهُ يُذْكَرُ بَيْنَ هَؤُلاءِ العُظَمَاءِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الرِّسَالَة، وَلَمْ يَكُنْ لِيَهُودِيَّتِهِ أَيُّ اعْتِبَارٍ فِيهَا.

وَاقْتَرَنَ **السَّمَوْأَلُ** فِي النَّثْرِ كَثِيرًا بِقَصْرِهِ **"الأَبْلَقِ الفَرْدِ"** كَمَا كَانَ فِي الشِّعْرِ،فَقَالَ الأَدِيبُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ شَرَفٍ[1] في شُهْرَةِ أَحَدِهِم إنَّهُ:"أَشْهَرُ مِنَ **الأبلَقِ الفَرْدِ** عِنْدَ **السَّموألِ**"[2].

وَذَكَرَ أَبُو **الخَطَّابِ بنُ دَحْيَةَ**(ت:٦٣٣هـ)[3]**"الأَبْلَقَ الفَرْدَ"** فِي كِتَابِهِ "النِّبْرَاسُ فِي تَارِيخِ خُلَفَاءِ بَنِي العَبَّاسِ"،فِي حديثِهِ عَنْ غُرْبَتِهِ الطويلةِ وتَنَقُّلِهِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ،فتَسَاءَلَ عَنِ أخبارِ المَاضِينَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ ثُمَّ مَشَاهِيرِ المُلُوكِ وَأَصْحابِ القُصُورِ فِي القُرُونِ المَاضِيَةِ،فَكَانَ مِنْ تَسَاؤُلاتِهِ الكَثِيرَةِ قَوْلُهُ :"أَيْنَ أُولُو **الأَبْلَقِ الفَرْدِ؟**"[4].فَوَضَعَ الكاتِبُ **"الأَبْلَقَ الفَرْدَ"** فِي هَذِهِ الكلماتِ بَيْنَ قَائِمَةِ قُصُورٍ عَظِيمَةٍ مَشْهُورَةٍ بِمَنَعَتِهَا كَهَمَذَانَ[5]وَغُمْدَانَ[6]،ثُمَّ جَاءَتْ إِشَارَةٌ خَفِيَّةٌ إِلَى صَاحِبِ القَصْرِ الذِي بَادَ وَهلك وَمَرَّتْ عَلَيْهِ الأَزْمَانُ كَمَا مَرَّتْ عَلَى قَبَائِلَ عَظِيمَةٍ بَادَتْ وَهَلَكَتْ كَجَدِيسَ[7] وَعَاد،وَكَمَا انْتَهَى آدمُ وَبَقِيَّةُ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسلُ وَالعُظَمَاءُ المَذْكُورُون فِي الرِّسَالَةِ انْتَهَى صَاحِبُ **"الأَبْلَقِ الفَرْدِ"**.

١ – هُوَ الأديبُ :أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدٌ بنُ **شرف الجُذامِيّ**،عاشَ فترةً عِنْدَ المَأْمُونِ يَحْيَى بن إِسْمَاعِيلَ بنِ ذي النُّونِ، لقبهُ المَقَّرِيّ أديبَ إِفْرِيقْيَةَ، وَقَالَ ابنُ بَسَّامٍ أَنَّهُ أَدِيبُ القَيْرَوَانِ، لَهُ "أَعْلامُ الكَلامِ" وَ"أبكارُ الأفْكَارِ"، وابنُهُ أَبُو الفَضْلِ جَعْفَرٌ شاعرٌ مَشْهُورٌ بِالأَنْدَلُسِ .

انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٤،م١٦٩/١ – ٢٣٨؛ ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١٢/٢، ٢٣٠؛المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٣٥٤/٤ .

٢ - ابن بَسَّامٍ "الذَّخِيرَة" ق٤،م١٨٣/١ .

٣ – هُوَ:**ابنُ دَحْيَةَ أَبُو** الخَطَّابِ عُمَرُ بنُ الحَسَنِ بنُ عَليّ الكَلْبِيّ الأَنْدَلُسِي البلنسي.لَهُ عدة تصانيف،مِنْ أشهرها "المُطْرِب مِنْ أَشْعَارِ أَهْلِ المَغْرِب". وكَانَتْ ولادته سَنَةَ ٥٤٤هـ وتُوُفِّيَ بالقَاهِرَةِ. انْظُرْ: ابن دِحْيَةَ "**المُطْرِب**"– تعريف المُحققين بالمؤلف؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٤٤٨/٣ – ٤٥٠؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ٣١٣/٢ – ٣١٨ .

٤ – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيب**" ١١٠/٧ – ١١١ .

٥ – **هَمَذَان** : قَصْرٌ عَظِيمٌ؛ يُقَالُ إِنَّ **دارا بن دارا** لَمَّا حَاصَرَهُ الإِسْكَنْدَرُ أَمَرَ بِبِنَائِهِ بِمَنْطِقَةِ هَمَذَان يُحيطُ بِهِ حِصْنٌ، وَجَعَلَ فِي القصرِ ألفَ مَخْبَأً لِخَزَائِنِهِ وَأَمْوَالِهِ. انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَان**" ٤١١/٥؛ النُّوَيْرِيّ "**نِهَايَة الأَرَب**"١٦٤/١٥ .

٦ – **غُمْدان**: قَصْرٌ مِنْ قُصُورِ مُلُوكِ اليَمَنِ، قِيلَ إِنَّ الذِي بَنَى غُمْدَانَ سُلَيْمَانُ بنُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَمَرَ الشَّيَاطِينَ فبَنَوْا لِبَلْقِيسَ ثَلاثَةَ قُصُورٍ بِصَنْعَاءَ غُمْدانَ وَسلْحِينَ وَبينُونَ. انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَان**" ٢١٠/٤؛ النُّوَيْرِيّ "**نِهَايَة الأَرَب**" ٣٤٨/١ – ٣٨٥ .

٧ – **جَدِيس**: قَبِيلَةٌ مِنَ العَرَبِ،كَانُوا يناسبون عادًا الأُولى وكَانَتْ منازلهم اليمامَة؛ وَهُمْ إِخوة طَسْمٍ كَانَتْ فِي الدَّهْرِ الأَوَّلِ فَانْقَرَضَتْ.

ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [جدس] ٣٥/٦ .

وَكَمَا جاءَ **السَّمَوْأَل**ُ عِنْدَ ابن زَيْدُونَ بَيْنَ قَائِمَةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ المَشَاهِيرِ كَذَلِكَ أَتَى "**الأَبْلَقُ الفَرْدُ**" هُنَا بَيْنَ قَائِمَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْ قُصُورٍ مَنِيعَةٍ بَادَتْ وانْدَثَرَتْ.

وَقَالَ الأَدِيبُ **أَبُو جَعْفَرِ بنُ أَحْمَدَ** مِنْ رُقْعَةٍ أَنْشَأَهَا عَلَى لِسَانِ القَصْرِ المُسَمَّى بِالمُبَارَكِ حِينَ انْتَقَلَ عَنْهُ المُعْتَمِدُ بنُ عَبَّادٍ إِلَى القَصْرِ المُكَرَّمِ مِنْ قُصُورِ إِشْبِيلِيَةَ،فَقَالَ:"أَحْسَنْتَ أَيُّهَا القَصْرُ المُبَارَكُ، أَحْسَنْتَ،شَدَّ مَا بَيَّنْتَ،... فَأَيْنَ مِنْكَ الجَوْزَاءُ،وَقَلِيلٌ لَكَ أَنْ أَقُولَ **الأَبلَقُ الفَرْدُ وَتَيْمَاءُ**؟"[١].

وَأَتَى كُلٌّ مِنَ **السَّمَوْأَلِ** وَ"**الأَبْلَقِ الفَرْدِ**"فِي النَّثْرِ الأَنْدَلُسِيِّ لأَخْذِ العِظَةِ وَالاعْتِبَارِ بِمَا حَصَلَ لِمَشَاهِيرَ وَعُظَمَاءَ، وَحِينَ ذَكَرَهُمَا الكُتَّابُ **لَمْ** يَكُنْ هَذَا بِتَأْثِيرِ اليَهُودِ بَيْنَهُم،بَلْ بِتَأْثِيرِ الثَّقَافَةِ العَرَبِيَّةِ، وَكَالشِّعْرِ لَمْ يَكُنْ فِي النَّثْرِ أَيُّ اعْتِبَارٍ أَوْ تَرْكِيزٍ عَلَى يَهُودِيَّةِ **السَّمَوْأَل**ِ أَوْ دِينِهِ.

٢- مِنَ التَّارِيخِ القَرِيبِ لليَهُودِ فِي الأَنْدَلُس.

لاحظْتُ أَنَّ التَّارِيخَ القَرِيبَ لليَهُودِ قَبْلَ الفَتْحِ العَرَبِيِّ لبلادِ الأَنْدَلُسِ مُهْمَلٌ فِي مُعْظَمِ الكُتُبِ التِي لَهَا عَلاقَةٌ بالأَدَبِ وَالأدَباءِ كَكُتُبِ التَّارِيخِ وَالتَّرَاجِمِ؛فَتَارِيخُ اليَهُودِ لِهَذِهِ الفَتْرَةِ عَزِيزٌ فِيهَا، وَيعودُ ذَلِكَ برأيي إِلَى أَنَّهُم ذَابُوا فِي تَارِيخِ المُدُنِ وَالدُّوَلِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا،فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ كيانٌ سياسيٌّ مُنْفَصِلٌ لِيَكُونَ لَهُمْ ذِكْرٌ وَاضِحٌ فِي هَذِهِ الكُتُبِ،وَإِنْ وَرَدَ شيءٌ عَنْهُمْ فِي هَذِهِ الفَتْرَةِ،فَيَمَرُّ مُرُورًا عَابِرًا،ويَكُونُ غَيْرُهُمْ هُوَ المَقْصُودَ بِهَا ولَيْسُوا هُمْ.ومثالٌ عَلَى ذَلِكَ مَا قِيلَ فِي بعضِ الرِّوَايَاتِ فِي نَسَبِ عُبَيْدِ اللهِ الشِّيعِيِّ المُلَقَّبِ بِالمَهدِيِّ(ت:٣٢٢هـ)؛يُذْكَرُ أَنَّ أحدَ أجدادِهِ كَانَتْ لَهُ جارِيَةٌ غَشِيَهَا رجُلٌ مِنَ اليَهُودِ،دَفَعَتْ لَهُ مَالاً؛فَكَانَ يَهْوَاهَا وَتَهْواهُ،قَتَلَتْ مَوْلاهَا،فَوَلَدَتْ جَدَّ عُبَيدِ اللهِ[٢].

وَالأغلبُ فِي هَذِهِ القِصَصِ أَوِ الرِّوَايَاتِ أَنْ يَكُونَ ذِكْرُ اليَهُودِ عَامًّا دُونَ تَحْدِيدٍ أَوْ تَعْيِينٍ أَوْ تَسْمِيَةٍ؛فكَثِيرًا مَا يُقَالُ وَاحِدٌ مِنَ اليَهُودِ،أَوْ أَحَدُ اليَهُودِ،أَوْ يَهُودِيّ....إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّسْمِيَاتِ العَامَّةِ.فإِنْ كَانَتْ كُتُبُ التَّارِيخِ قَدْ نَسِيَتْ تَسْمِيَتَهُمْ،أَوْ تَفْصِيلَ أَحْداثٍ حَصَلَتْ لَهُمْ،فَمِنْ بَابٍ أَوْلَى أَنْ يُغْفِلَهُمُ الأَدِيبُ الأَنْدَلُسِيُّ.وَهَذَا التَّنْكِيرُ أو التَّعْمِيمُ استمَرَّ حَتَّى فِي الحَدِيثِ عَنْهُمْ بَعْدَ الفَتْحِ الإِسْلامِيِّ للأَنْدَلُسِ أَحْيَانًا،كَمَا فِي كِتَابِ "التِّبْيَان"؛فَيَقُولُ الأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ "اليَهُودِيَّ" مِرَارًا للدِّلالَةِ عَلَى وَزِيرِ جَدِّهِ، وَلَمْ يُسَمِّهِ بَلْ اكْتَفَى بقولِ اليَهُودِيِّ مُفْرَدًا وَأَحْيَانًا مَوْصُوفًا بِأَحَدِ الحَيَوَانَاتِ وَأَحْيَانًا كَانَ يَكَنِّيهِ رُغْمَ كَثْرَةِ الأَحْدَاثِ التِي فَصَّلَ الأَمِيرُ ذِكْرَهَا وَكَانَ اليَهُودِيُّ بَطَلَها،بِخاصَّةٍ فِي الحَدِيثِ عَنِ الفِتْنَةِ التِي حَصَلَتْ فِي حَيَاةِ جَدِّهِ المُظَفَّرِ وَأَدَّتْ إِلَى قَتْلِ هَذَا اليَهُودِيِّ[٣].فَلَمْ تَظْهَرْ صُورَةٌ واضِحَةٌ لليهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ فِي الفَتْرَةِ الَّتِي سَبَقَتِ الفتحَ الإِسْلامِيِّ للأَنْدَلُسِ .

---

١ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٢/ ٧٦٢.

٢ – انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَاكُشِي"**البَيَان المُغرِب**"١/١٥٨– ١٥٩، وَسَبَقَتِ التَّرْجَمَةُ لِعُبَيْدِ اللهِ وَذِكْرُ الرِّوَايَةِ فِي البَحْثِ : ص ٥٩–٦٠ .

٣ – الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص،٤٤ .

ثَانِيًا:- المَوْرُوثُ مِنَ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ عَنْهُمْ .

ظَهَرَ اليَهُودُ فِي الأدَبِ الأَنْدَلُسِيِّ أَحْيَانًا بِاسْتِشْهَادٍ بِآيَاتٍ وَأَحَادِيثَ نَبَوِيَّةٍ، فَتَنَاثَرَتِ الآيَاتُ وَالأَحَادِيثُ التِي تتحدَّثُ عَنْهُمْ فِي كُتُبِ الأَدَبِ،واعْتَمَدَتْ هَذِهِ المَصَادِرُ عَلَى الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ مُبَاشَرَةً أَحْيَانًا، وَكَثِيرًا مَا جاءَتْ عَلَى شَكْلِ إشَارَاتٍ وَرُمُوزٍ مأخوذَةٍ مِنْ هَذَا المَوْرُوثِ.

وَهَذَا المَوْرُوثُ لَمْ يكُنْ لِيَهُودِ الأَنْدَلُسِ عَلاقةٌ بِهِ عَلَى الأَغْلَبِ؛فمَثَلاً حِينَ كَتَبَ ابنُ **الخَطِيبِ** رِسَالَةً[1] عَلَى لِسَانِ السُّلْطَانِ الغَنِيِّ بِاللهِ(ت:بعد ٧٩٣هـ)[2]،تَحَدَّثَ فِيهَا عَمَّا حَقَّقَهُ المُسْلِمُونَ مِنْ نَصْرٍ عَلَى الأَعْدَاءِ رُغْمَ قِلَّةِ عَدَدِهِم،وَوَصَفَ هُجُومَهُم عَلَى إحْدَى القِلاع بِقَوْلِهِ: "وَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهَا **رِجْزًا إسْرَائِيلِيًّا** مِنْ جَرَادِ السِّهَامِ تَشُذُّ آيَاتُهُ عَنِ الأفْهَامِ"[3]؛فشَبَّهَ هُجُومَهُم عَلَى الأَعْدَاءِ بِالرِّجْزِ الذي أَرْسَلَهُ اللهُ عَلَى بَنِي إسْرَائِيلَ لِوَصْفِ شِدَّةِ الهُجُومِ وَلَيْسَ الحَدِيثُ عَنِ اليَهُودِ.

وَأَحْيَانًا جَاءَ الحَدِيثُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاليَهُودِ فِي كُتُبِ الأَدَبِ لِذِكْرِ الأَقْوَامِ وَالتَّوَارِيخِ، فَفِي "نَفْحُ الطِّيبِ" مَثَلاً استَشْهَدَ المُؤَلِّفُ بِآيَتَيْنِ مِنَ القُرْآنِ تَتَحَدَّثَانِ عَنِ اليَهُودِ[4]لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ المُلْكَ لَيْسَ فِي شريعةِ المُسْلِمِينَ،وَأَنَّهُ كَانَ فِي شَرْعِ مَنْ قَبْلَنَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،وَاسْتَشْهَدَ بِحَدِيثٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَنِ افْتِرَاقِ الأُمَّةِ عَلَى أَكْثَرَ مِمَّا افْتَرَقَتْ عَلَيْهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ[5].وَلَمْ يَكُنْ نَقْلُ الكُتَّابِ وَالأُدَبَاءِ لِهَذَا المَوْرُوثِ نَسْخًا لَهُ فَحَسْبُ،بَلْ صَاغَهُ بعضُهم صِيَاغَةً أَدَبِيَّةً جَدِيدَةً؛فالمَقَّرِيُّ نفسُهُ يُثْبِتُ تَشْكِيلاً جَدِيدًا لَهُ فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْقِعٍ،مِنْهُ مَا جَاءَ فِي ذِكْرِ فَوَائِدِ جَدِّهِ،مِنْهَا قولُهُ: "كَانَتْ **سَكِينَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي التَّابُوتِ** فَغُلِبُوا عَلَيْهَا وَسَكِينَةُ هَذِهِ الأُمَّةِ فِي القُلُوبِ فَغُلِبُوا بِهَا"[6].

وَالكَاتِبُ أَبُو **بَكْرِ بنُ القَبْطُرْنَةِ** يَذْكُرُ **بَقَرَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي** حَدِيثِهِ عَنْ مَآثِرِ صَدِيقٍ لَهُ فَيَقُولُ:"....وَيَسْتَنْقِذُنِي مِنْ أَنْيَابٍ قَدْ قَتَلَتْنِي بِعَضِّهَا،وَعَسَاهُ يَذْبَحُ لِي **بَقَرَةً مِنْ عِلْمِهِ فَيَضْرِبُ نَفْسِي**

---

[1] – انْظُر الرسالة : المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٨١/٩ – ٩٩ .

[2] – هُوَ السُّلْطَان: **الغَنِيُّ بِاللهِ مُحَمَّدٌ** بنُ يُوسُفَ بنُ إِسْمَاعِيلَ بنُ فَرَجِ بنُ نَصْرٍ ،وَهُوَ ابن أَبِي الحَجَّاجِ الذي كَانَ ابنُ الخَطِيب وَزِيرَهُ وَكاتِبَهُ، وَلَمَّا قُتِلَ أَبُو الحَجَّاجِ سَنَةَ ٧٥٥هـ قام بالأمْرِ بَعْدَهُ ابْنُهُ هَذَا الغَنِيُّ بِاللهِ الذي أَلْقَى مَقَالِيدَهُ لابنِ الخَطِيبِ كَوالدِهِ.وَمَدَحَهُ كُلٌّ مِنْ ابنِ الخَطِيبِ وَابنِ زَمْرَك فِي قَصَائِدِ عديدة . انْظُر: ابن الخَطِيب"**الإحَاطَة**" ١٤٣/١؛"**اللمْحَةُ البَدْرِيَّةُ**"ص١١٣– ١٢٦؛ابن خَلْدُونَ"**تَارِيخُهُ**" ٥٧٦،٥٩٢/٧؛ أحمد التنبكي "**نَيْلُ الابْتِهَاجِ**" ١٤٦/٢–١٤٨؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٣١٠/١–٣١١ ، ٥٠/٢، ٥٥، ٨٦/٤ ، ١٨٦/٦، ١٦٠/٧، ٦٠/٩– ٦١ .

[3] – المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٨٩/٩ .

[4] – انْظُر : المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٦٤/٧ –٢٦٥ . والآيةُ الأولى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ **سُورَة المَائِدَة**، آية ٢٠، والثانية: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ **سُورَة البَقَرَة**، ٢٤٧ .

[5] – الحَدِيثُ هو:"لَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُم شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ خَلْفَهُم، قِيلَ: اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟" . انْظُرْ: البُخاري "**صَحِيحُه**" ١٢٧٤/٣ ؛ مُسْلِم "**صَحِيحُه**" ٢٠٥٤/٤؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٦٠/٧ .

[6] – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٨٨/٧ .

بِبَعْضِهَا،وَيَرُدُّهَا"[١]،انْظُرْ كَيْفَ اسْتَفَادَ هُنَا مِنَ القِصَّةِ القُرْآنِيَّةِ[٢]فَرَسَمَ مِنْ خُطُوطِهَا تَشْبِيهًا جَمِيلاً بِأَنْ جَعَلَ نَفْسَهُ فَاقِدَةً لِمَعْنَى الحَيَاةِ دُونَ الاسْتِفَادَةِ مِنْ عِلْمِ صَدِيقِهِ المَذْكُورِ،فَكَانَ عِلْمُ هَذَا الفَقِيهِ الحَافِظِ البَقَرَةَ المُقَدَّسَةَ التِي تُحْيِي رُوحَ الكَاتِبِ.

وَتَطَرَّقَتْ كُتُبُ الأَدَبِ إِلَى **قِصَّةِ المَسِيحِ مَعَ اليَهُودِ**،فَعَلَّقَ **المَقَّرِيُّ** عَلَى قَوْلِ أهلِ التَثلِيثِ "إنَّ اليَهُودَ قَتَلَتْهُ مَصْلُوبًا،وَأَدْرَكَتْهُ مَطْلُوبًا،وَقَهَرَتْهُ مَغْلُوبًا،وَأَنَّهُ جَزِعَ مِنَ المَوْتِ،وَخَافَ..." بِقَوْلِهِ إنَّ هَذَا مِنَ الأقَاوِيلِ السِّخَافِ[٣]،وَهَذَا يَنْسَجِمُ مَعَ الحَقِيقَةِ القُرْآنِيَّةِ التي تَقُولُ إِنَّهُمْ لَمْ يَقتُلُوهُ وَلَمْ يَصْلِبُوهُ[٤]،وَهَذَا لَمْ يُخالفْ مَا قِيلَ فِي شعرِهم كَذلِكَ تَأَثُّرًا بِالقُرْآنِ:[٥] [الخفيف]

وَالمَسِيحُ ابنُ مَرْيَمَ وَهوَ رُوحُ الـ ـــــلهِ **كَادَتْ تَقْضِي عَلَيْهِ اليَهُودُ**

وَجَاءَتْ فِي نَثْرِ الأَنْدَلُسِيِّينَ إِشَارَةٌ إِلَى **عَلاقَةِ اليَهُودِ بِدَمِ المَسِيحِ**؛فالكَاتِبُ أَبُو المُطَرَّفِ ابنِ الدَّبَّاغِ لَهُ مِنْ رُقْعَةٍ خَاطَبَ بِهَا جَمَاعَةً مِنْ إِخْوَانِهِ يُعْلِمُهُم أَنَّهُ طَلَّقَ الخَمْرَ بِقَوْلِهِ:"وَأَنْتُمْ سَادَتِي أَخِلاءُ النَّبِيذِ، بَرِئْتُ مِنْكُمْ كَمَا بَرِئَ المَسِيحُ مِنَ اليَهُودِ"[٦].

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلمَوْرُوثِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالإِسْرَائِيلِيَّاتِ عَنْهُمْ فَلَمْ يَظْهَرْ هَذَا إلا فِي رِسَالَةِ ابْنِ حَزْمٍ بِخَاصَّةً فِي القِسْمِ الثَّانِي حِينَ نَاقَشَ بَعْضًا مِمَّا يُسَمِّيهِ "الطَّوَامَّ" التِي وَرَدَتْ فِي كُتُبِ اليَهُودِ. وَمَرَّ فِي البَحْثِ سَابِقًا كَيْفَ تَنَدَّرَ الوَزِيرُ الكَاتِبُ أَبُو الفَضْلِ بنُ الدَّبَّاغِ بِأَبِي الفَضْلِ ابنِ حَسْدَاي حِينَ دَخَلَ ورآهُ يَنْظُرُ فِي مُجَلَّدٍ،فَسَأَلَهُ مُسْتَهزِئًا:مَا الذِي تَنْظُرُ فِيهِ مِنَ الكُتُبِ لَعَلَّهُ **التَّوْرَاةُ**[٧] يقصدُ بِهَذَا اللمْزَ بِدِينِ أَسْلافِهِ.

---

[١] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٢،م٢/٧٦٣ .

[٢] – أخذ تشبيهه مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ. فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ **سُورَة البَقَرَةِ** ، الآيات ٧٢– ٧٣ .

[٣] – انْظُر : المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٦/٢٦٥ .

[٤] – مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ . . . ﴾ **سُورَةِ النِّسَاءِ**، آية ١٥٧ .

[٥] – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٧/١٤٦ ، والبيتُ مِنْ مَرْثِيَّةِ ابنِ صَابِرِ المَنْجَنِيقِيِّ (ت: ٦٢٦هـ) .

[٦] – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/٢٨٣ .

[٧] – المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٤/٣٦٠ ، وَسَبَقَتِ الإِشَارَةُ إِلَى الحَادِثَةِ فِي البَحْثِ : ص ٢١٨ .

المَبْحَثُ الثَّالث: **أَعْلامٌ أظْهَرُوا اليَهُودَ** فِي النَّثْرِ الأَنْدَلُسِيِّ .

لَمْ يَظْهَرْ اليَهُودُ فِي النَّثْرِ الأَنْدَلُسِيِّ كَثِيرًا لِذا كَانَ الأُدَبَاءُ الذِينَ أَظْهَرُوهُم بِالكِتَابَةِ عَنْهُمْ قِلَّةً،مِنْهُمْ يَهُودٌ وَهُمْ أَبْنَاءُ نَغْرِيلَّة، وَمُسْلِمٌ وَهُوَ الفَقِيهُ ابنُ حَزْمٍ .

أَوَّلاً :- أبنَاءُ نَغْرِيلَّةَ الوُزَراءُ اليَهُودُ بِغَرْنَاطَةَ .

أُطْلِقَ "ابْنُ نَغْرِيلَّة" عَلَى اثْنَيْنِ مَشْهُورَيْنِ تَوَلَّيَا الوِزَارَةَ لِبَادِيسَ بنَ حَبُّوس،وظَهرَا فِي النَّثْرِ وَكَانَ لَهْم مَسَاحَةٌ فِي الشِّعْرِ الذي قِيلَ كَذَلِكَ؛الأَوَّلُ مِنْهُمَا هُوَ الأبُ إِسْمَاعِيلُ بنُ يُوسُفَ[صَمُوئِيلُ أَوْ إِشْمُوالُ] وَالثَّانِي ابنُهُ يُوسُفُ الذي خَلَفَهُ وَثَارَتْ عَلَيْهِ العَامَّةُ وَقَتَلَتْهُ.لكنْ حَدَثَ خَلْطٌ فِي الكُتُبِ فِي تَهْجِئَةِ اللَّقَبِ أَوِ العَائِلَةِ،وَفِي تَعْيِينِ الاسْمِ الأَوَّلِ للمَقْصُودِ ببعضِ النُّصُوصِ الأَدَبِيَّةِ؛وَنشأتِ الصُّعُوبةُ لأَنَّ الكُتُبَ تَوَارَثَتِ الحَدِيثَ عَنْهُمَا بِلَقَبٍ وَاحِدٍ فِي مُعْظَمِ الأَحْيَانِ وَهُوَ "ابْنُ نَغْرِيلَّة"،مع اخْتِلافٍ فِي التَّهجِئةِ؛فَهُوَ النَّغْرِيلِّي[1] فِي "الذَّخِيرَة"،وَابْن نَغْزَالة[2] فِي "البَيَان المُغْرِب"،وَابنُ نَغْرِلّه[3] فِي "المُغْرِب"،وَابنُ نَغْرَالَّة[4] عندَ ابنِ الخَطيبِ فِي "الإِحَاطَة"وَ"أَعْلام الأَعْلام"،وَفي "المُمْتِع السَّهْل" لِلرَّاعِي قالَ إِنَّهُ ابنُ نَغْرِيلَّة[5]،وفي تَارِيخِ ابنِ خَلْدُونَ هُوَ ابن نَغزِلَّة[6].وَفِي "النَّفْحِ" لَقَبُهُ ابنُ نَغْدِلَّة[7]،وَمِنَ الغَرِيبِ أَنَّ التَّهْجِئَةَ اخْتَلَفَتْ حَتَّى فِي المَصَادِرِ التِي كَانَ أَصْحَابُهَا مُعَاصِرِينَ لَهُ أو قَرِيبِي العَهْدِ بِهِ؛فَهُوَ ابنُ النَّغْزَالُ[8] فِي "طَبَقَاتِ الأُمَمِ" لِصَاعِدٍ (ت:٤٦٢هـ) المُعَاصِرِ لَهُ.وَمَعْ أَنَّ ابنَ حَزْمٍ التَقَى بِابنِ نَغْرِيلَّةَ وَكَانَ مُعْجَبًا بِهِ،كَمَا أَنَّهُ كَتَبَ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ رِسَالَةً يَرُدُّ فِيهَا عَلَى مَزَاعِمِ مَنْ يُدْعَى بِابْنِ نَغْرِيلَّة،إلا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ دَقِيقًا فِي تَهْجِئَةِ اللَّقَبِ،وَقَدْ يَعُودُ هَذَا لِتَصْحِيفٍ حَصَلَ،فَقَدْ ذَكَرَهُ فِي مُنَاقَشَةِ نَصٍّ مِنْ تَوْرَاتِهِم فقال:"وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى هَذَا الكَلامِ مِنْ بَعْضِ مَنْ شَاهَدْنَاهُ مِنْهُمْ وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ بنُ يُوسُفَ المَعْرُوفُ بِابنِ النَّغْرالِّيِّ"[9] وفي الكِتَابِ نَفْسِهِ ذَكَرَهُ تَارَةً أُخْرَى بِقَوْلِهِ:"وَقَدْ قَرَّرْتُ عَلَى هَذَا الفَصْلِ أَعْلَمَهُمْ وَأَجْدَلَهُمْ وَهُوَ أَشْمُوالُ بنُ يُوسُفَ اللاوِيُّ الكَاتِبُ

---

١ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٦١ .

٢ – انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٢٦٤/٣، ٢٧٥، ٢٧٦ .

٣ – انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١١٤/٢ ،١٣٢، ١٨٢ .

٤ – انْظُرْ: ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَةُ**" ٤٣٩/١،"**أَعْمَال الأَعْلامِ**"، ص ٢٣٠ .

٥ – انْظُرْ:ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَةُ**"٤٣٨/١،٤٣٤؛ الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَة وَشِعْرِ ابنِ سَهْلٍ**"،بَحْث:حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونُسِيَّة، ع٢٩، ١٩٨٠م، ص٤٢ .

٦ – انْظُرْ: ابن خَلْدُونَ "**تَارِيخُهُ**" ٢٠٦/٤ .

٧ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيب**" ٩٣/٦ .

٨ – صَاعِد "**طَبَقَات الأُمَمِ**" ص ١١٢، وَيُشِيرُ مُحَقِّقُ الكتاب د. حسين مؤنس فِي الحَاشِيَة أَنَّ الأصل "الغزال" وَأَنَّهُ صوَّبَهُ مِنْ مَخْطُوطَةٍ أُخْرَى، دُونَ أَنْ يُسَمِّيَ المَخْطُوطَةِ، وَلا أَرَى هَذَا تَصْوِيبًا مُنَاسِبًا لِبُعْدِ اسْمِ "الغزال"عَمَّا جَاءَ فِي المَصَادِرِ الأُخْرَى عَنْهُ .

٩ – انْظُرْ: ابْن حَزْمٍ "**الفِصَل فِي المِلَلِ وَالأَهْوَاءِ وَالنِّحَلِ**" ١/ ١٣٥ .

المَعْرُوفُ بِابْنِ النَّفْرَالِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعْمِائَةٍ"[١]،فَهُوَ ابنُ النَّغْرالِّيّ عِنْدَ ابنِ حَزْمٍ تَارَةً، وَتَارَةً أُخْرَى هُوَ ابنُ النَّفْرَالِ مَعَ أَنَّهُ التقاهُ وتَحَدَّثَ مَعَهُ وَنَاقَشَهُ،وَاعْتَرَفَ بسِعَةِ عِلْمِهِ.

وَيَبْدُو مِنْ كَلامِ "المُغْرِب" أَنَّ الذي اسْتَهْزَأَ بِالمُسْلِمِينَ وَأَقْسَمَ أَنْ يَنْظُمَ جَمِيعَ القُرْآنِ فِي أَشْعَارٍ وَمُوَشَّحَاتٍ يُغَنَّى بِهَا هُوَ الذي قَتَلَتْهُ صَنْهَاجَة[٢] وهُوَ الذي رَدَّ عَلَيْهِ ابنُ حَزْمٍ،إلا أَنَّ ابنَ حَزْمٍ نفسَهُ قَالَ فِي بَدْءِ رِسَالَتِهِ واصِفًا الشَّخْصَ الذي وَجَّهَ إِلَيْهِ الرِّسَالَةَ بِأَنَّهُ:"أَلَّفَ كِتَابًا قَصَدَ فِيهِ، بِزَعْمِهِ،إِلَى إِبَانَةِ تَنَاقُضِ كَلامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ... وَلَعَمْرِي **إِنَّ اعْتِرَاضَهُ الذي اعْتَرَضَ** بِهِ لَيَدُلُّ عَلَى ضِيقِ بَاعِهِ فِي العِلْمِ،وَقِلَّةِ اتِّسَاعِهِ فِي الفَهْمِ عَلَى مَا **عَهِدْنَاهُ عَلَيْهِ قَدِيمًا**"[٣]،قَدْ يَعُودُ مُعظَمُ هَذَا الكَلامِ عَلَى الأَبِ وليسَ الابنِ؛فالأَبُ إِسْمَاعِيلُ هُوَ مَنِ اشْتُهِرَ بِالعِلْمِ وَالمُجَادَلَةِ كَمَا أَقَرَّ ابنُ حَزْمٍ، والأَبُ هُوَ الذِي كَانَ عَالِمًا وَشَاعِرًا وَنَابِغَةً أَلَّفَ عِدَّةَ مُجَلَّدَاتٍ فِي الشِّعْرِ وَالفَلْسَفَةِ وَمُقَدِّمَةً لِلتَّلْمُودِ وَمَجْمُوعَةً مِنَ الأَدَبِ العِبْرِيِّ[٤]،فَلا يُسْتَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ اطَّلَعَ عَلَى مَا جَاءَ فِي "الفِصَل" عَنِ التَّوْرَاةِ، وَأَنْ يَكُونَ إِسْمَاعِيلُ هُوَ الذِي أَلَّفَ كِتَابًا فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ حَزْمٍ كَمَا يَذْكُرُ ابنُ بَسَّامٍ[٥].

بِالإِضَافَةِ إِلَى هَذَا فَإِنَّ قَوْلَ ابنِ حَزْمٍ:"عَلَى مَا عَهِدْنَاهُ عَلَيْهِ قَدِيمًا" فِي رَدِّهِ يَحْتَمِلُ أَمْرَيْنِ: الأَوَّلُ مِنْهُمَا أَنَّ هَذَا الابنَ المُسَمَّى يُوسُفَ تَغَيَّرَ عَمَّا كَانَ حالُهُ قَدِيمًا،وَقَدْ يَكُونُ لابْنِ حَزْمٍ سَابِقُ مَعْرِفَةٍ بِهِ،وَرَأَى أَنَّهُ تَغَيَّرَ،وهَذَا غَيْرُ وَاضِحٍ فِي كِتَابَاتِ ابنِ حَزْمٍ وَلا فِي غَيْرِهَا.وَالاحْتِمَالُ الثَّانِي أَنَّ صَاحِبَ الرِّسَالَةِ والمَزَاعِمِ لَمْ يَكُنِ الابنُ الوَزِيرِ بَلْ كَانَ الأَبُ إِسْمَاعِيلُ لكنَّ ابنَ حَزْمٍ عَثَرَ عَلَى مَزَاعِمِهِ وَرِسَالَتِهِ مُتَأَخِّرًا فَتْرَةَ وِلايَةِ ابْنِهِ،وَرَدَّ عَلَيْهِ مُبَاشَرَةً،فَثَارَتِ العَامَّةُ عَلَى الابْنِ حِينَ قَرَأَتِ الرَّدَّ.إلا أَنَّنِي أَسْتَبْعِدُ أَنْ يَكُونَ إِسْمَاعِيلُ مُؤَلِّفَ كِتَابٍ فِي تَنَاقُضِ القُرْآنِ،فالذي جاءَ فِي المَصَادِرِ أَنَّ الذي قَامَتْ ثَوْرَةُ العَامَّةِ عَلَيْهِ هو مَنْ كَانَ يَتَمَدَّحُ بِالطَّعْنِ عَلَى المِلَلِ وَجَاهَرَ فِي الطَّعْنِ عَلَى مِلَّةِ الإِسْلامِ[٦]،وَهُوَ الذي أَقْسَمَ أَنْ يَنْظُمَ القُرْآنَ فِي أَشْعَارٍ وَمُوَشَّحَاتٍ يُغَنَّي بِهَا[٧].وَبِذا يَكُونُ قَوْلُهُ: "مَا عَهِدْنَاهُ عَلَيْهِ قَدِيمًا" إِشَارَةً إِلَى مَعْرِفَةٍ سَابِقَةٍ بِهِ لا نَعْرِفُهَا.

وَلَمْ يَكْتُبِ ابنُ حَزْمٍ بِلَهْجَةٍ وَاحِدَةٍ عنْ ابْنِ نَغْرِيلَّةَ،فَظَهَرَ تَقْدِيرٌ وَاحْتِرَامٌ لَهُ فِي "الفِصَل"، بينَمَا فِي رِسَالَتِهِ الأَخِيرَةِ نَعَتَهُ بِأَقْبَحِ الأَلْفَاظِ كَالجَاهِلِ وَالزِّنْدِيقِ وَالأَنْوَكِ[٨]وَالمَجْنُونِ وَالخَسِيسِ

---

١ – ابْن حَزْمٍ "**الفِصَل فِي المِلَلِ وَالأَهْوَاءِ وَالنِّحَلِ**" ١/ ١٥٢ .

٢ – انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١١٤/٢ .

٣ – ابن حَزْمٍ "**رَسَائِلُهُ**" ؛"رِسَالَة فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ نَغْرِيلَّةَ اليَهُودِيِّ" ٤٢/٣ – ٤٣ .

٤ – انْظُرْ شَيْئًا مِنْ شعره : ابن حَزْمٍ "**رَسَائِلُهُ**" ١٠/٣ – ١١ .

٥ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٧٦٦/٢ .

٦ – انْظُرْ: نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٧ – انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١١٤/٢ .

٨ – الأَنْوَكُ: الأَحْمَقُ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [نوك] ٥٠١/١٠

وَالأَحْمَقِ وَغَيْرِ هَذِهِ مِنَ الألفاظ[١]؛فإِمَّا أَنْ يَكُونَ المَقْصُودُ فِي الحَالَتَيْنِ وَاحِدًا،رَآهُ ابنُ حَزْمٍ قَبْلَ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ وَلَمْ يَتَعَرَّفْ إِلَيْهِ جَيِّدًا،أَوْ لَمْ تَكُنْ شَخْصِيَّتُهُ اتَّضَحَتْ بَعْدُ لابنِ حَزْمٍ حَيْثُ أَنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا عَادِيًّا لا يَمْلِكُ أَيَّ سُلْطَةٍ حِينَ رَآهُ عَامَ ٤٠٤هـ،لكن حِينَ اعْتَلَى كُرْسِيَّ الوِزَارَةِ ظَهَرَ عَلَى حَقِيقَةٍ تُخَالِفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ سَابِقًا؛فَظَهَرَ مِنْهُ الطَّعْنُ عَلَى الإِسْلامِ وَتَفَوَّهَ بِالمَزَاعِمِ البَاطِلَةِ التِي نَاقَشَهَا ابنُ حَزْمٍ،ويسيرُ مَعَ هَذَا القَوْلِ ابنُ بَسَّامٍ الذي يَرَى أَنَّ وزيرًا يَهُودِيًّا واحِدًا تَوَلَّى لِبَادِيسَ وَلأَبِيهِ قَبْلَهُ حَبُّوسَ بِغَرْنَاطَةَ جِبَايَةَ المَالِ،وَتَدْبِيرَ أَكْثَرِ الأَعْمَالِ،وَكَانَ أَبُوهُ [يُوسُف] رَجُلاً مِنْ عَامَّةِ اليَهُودِ، حَسَنَ السِّيرَةِ فِيهِم[٢]،وَابنُ خَلْدُونَ فِي تَارِيخِهِ يذكُرُ كَذَلِكَ يَهُودِيًّا واحدا،فقالَ:"وَلِيَ لِبَادِيسَ سَنَةَ ٤٢٩هـ وَاسْتَوْلَى عَلَى سُلْطَانِهِ كَاتِبُهُ وَكَاتِبُ أَبِيهِ إِسْمَاعِيلُ بنُ نَغْزِلةَ الذِّمِّيّ.ثُمَّ نَكَبَهُ وَقَتَلَهُ سَنَةَ ٤٥٩هـ،وَقَتَلَ مَعَهُ خَلْقاً مِنَ اليَهُودِ"[٣].وَالتَّعْلِيلُ الآخَرُ عِنْدِي أَنَّ اليَهُودِيَّ المَقْصُودَ بِقَوْلِ ابن حَزْمٍ فِي "الفِصَلِ" غَيْرُ اليَهُودِيِّ المُخَاطَبِ فِي الرِّسَالَةِ المكتوبَةِ فِي أَوَاخِرِ حَيَاةِ ابنِ حَزْمٍ، فَالأَوَّلُ مِنْهُمَا وَاسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ،كَمَا ذَكَرَهُ صَرِيحًا،لَقِيَهُ ابنُ حَزْمٍ قَدِيمًا وَتَحَدَّثَ بِاحْتِرَامٍ وَإِعْجَابٍ عَنْهُ،وَهُوَ الأبُ،وَتكادُ تُجْمِعُ الرِّوَايَاتُ عَلَى حُسْنِ سِيرَةِ وسُلوكِ الأبِ وَسِعَةِ علمِهِ وَاطِّلاعِهِ،وَكَانَ بَعِيدَ النَّظَرِ حَسَنَ المُدَارَاةِ،لا يَتَوَرَّطُ فِيمَا يُوغِرُ عَلَيْهِ الصُّدُورُ،وَهَذِهِ صِفَاتٌ افتَقَرَ إِلَيْهَا الثَّانِي،وَهُوَ ابْنُهُ يُوسُفُ المُسَمَّى عَلَى اسْمِ جَدِّهِ،وَلَمْ يُسَمِّهِ ابنُ حَزْمٍ فِي رِسَالَةِ الرَّدِّ عليه،وَقَدْ يَكُونُ فِي هَذَا تَصْغِيرٌ لِشَأْنِهِ وَاحْتِقَارٌ لَهُ لاسْتِهْزَائِهِ بِالقُرْآنِ الكَريمِ وَلِكَثْرَةِ مَزَاعِمِهِ عَنِ القُرْآنِ.وَالتَّعْليلانِ مَقْبُولانِ،إلا أَنَّنِي أعتَقِدُ أَنَّهُما اثنانِ،اختلفتْ شَخْصِيَّةُ الأَبِ إِسْمَاعِيلَ عن ابنِهِ يُوسُفَ الذي رَدَّ عَلَيْهِ ابنُ حَزْمٍ بِالرِّسَالَةِ الأخيرةِ،وَيُقَوِّي اعْتِقَادِي هَذَا مَا جاءَ عِنْدَ صَاعِدٍ وَالأَمِيرِ عَبْدِ اللهِ عَنْهُمَا.

وَتَحَدَّثَ الأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ كَثِيرًا عَنِ الوَزِيرَيْنِ اليَهُودِيَّيْنِ حَامِلَي اللقبِ وَزِيرَيْ جَدِّهِ بَادِيسَ المُظَفَّرِ،وَذَكَرَهُمَا فِي صَفْحَاتٍ عديدةٍ فِي مُذَكِّرَاتِهِ؛فَذَكَرَ الأَوَّلَ مِنْهُمَا بِكُنْيَتِهِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ،بَيْنَمَا الثَّانِي كَانَ يُشِيرُ إِلَيْهِ بِلَفظَةِ اليَهُودِيِّ فَقَطْ،وَفِي هَذَا اختصارٌ لِكَلامٍ كَثِيرٍ قَدْ يُفْهَمُ مِنْ مُذَكِّرَاتِ الأَمِيرِ؛ فَالأَبُ مِنْهُمَا كَانَ مَحَلَّ احترامٍ وَتَقْدِيرٍ مِنَ الأَمِيرِ فَكَانَ يَذْكُرُهُ بكنيتِهِ كَالخَاصَّةِ وَعِلْيَةِ القَوْمِ فِي مَجَالِسِ جَدِّهِ،أَمَّا الابنُ فَلَمْ يكنِ الأَمِيرُ يَسْتَلْطِفُهُ وَهَذَا وَاضِحٌ مِنْ تسميتِهِ بِاليَهُودِيِّ مَتْبُوعًا بِأَلفَاظٍ بَذِيئَةٍ،وَلَمْ يَذْكُرِ الأَمِيرُ أَيَّ مُسَمَّى لَهُ أَوْ لِعَائِلَتِهِ فِي أَيِّ صَفْحَةٍ مِنْ صَفَحَاتِ المُذَكِّرَاتِ التِي تَحَدَّثَتْ بِتَفْصِيلٍ كَبِيرٍ عَمَّا قَامَ بِهِ مَعَ جَدِّهِ وَعَمَّا كَانَ سَبَبَ قتلِهِ.فتَجَاهَلَ الأَمِيرُ لقبَهُما،كَمَا تَجَاهَلَهُ كَذَلِكَ ابنُ حَزْمٍ فِي رِسَالَةِ الرَّدِّ عَلَى أَحَدِهِمَا،لِذَا أَرَى أَنَّهُمَا لَمْ يَشْتَهِرا بِحَيَاتِهِمَا بِلَقَبِ ابنِ نَغْرِيلَّةَ،

---

١ – انْظُرْ : ابن حَزْمٍ "رَسَائِلُهُ" ؛"رِسَالة فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ نَغْرِيلَّةَ اليَهُودِيِّ" ٣/٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٤٩،٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٦٠، ٦٥ ، ٦٧، ٧٠ .

٢ – انْظُرْ : ابن بَسَّامٍ "الذَّخِيرَة" ق١،م٢/٧٦٦ .

٣ – ابن خَلْدُونَ"تَارِيخُهُ" ٤/٢٠٦ .

فَلَمْ يَذْكُرْهُمَا بِهَذَا اللَّقَبِ المُعَاصِرونَ لَهُمَا الذي أراهُ ثَقِيلاً عَلَى اللِّسَانِ العَرَبِيِّ الفَصِيحِ،وَأتوَقَّعُ أَنَّ الدَّارِجَ كَانَ مُنادَاتَهُمَا بِكُنيَتِهِمَا العرَبِيَّةِ أَوْ بِوَصْفٍ لَهُمَا،فَاشْتُهِرَ الأَبُ بِأَبِي إِبْرَاهِيمَ مَثَلاً لأَنَّهُ أَسْهَلُ نُطْقًا،بَيْنَمَا الابنُ غَلَبَتْ الإِشارَةُ إِلَيْهِ بِاليَهُودِيِّ أوِ اللَّعِينِ أَوِ المَاكِرِ لِسُوءِ أَفْعَالِهِ .

وَحَصَلَ اخْتِلافٌ فِي تَحْدِيدِ أَيِّهِمَا كَانَ الأَبُ وَأَيُّهِمَا الابنُ؛فسَمَّى صَاعِدٌ الأَبَ إِسْمَاعِيلَ ابنَ يُوسُفَ المُكَنَّى بِأَبِي إِبْرَاهِيمَ بينَ عُلَماءِ بني إسرائيلَ،وَقَالَ إِنَّهُ كاتِبٌ مَعْرُوفٌ،وَأَنَّهُ خَادِمُ الأَمِيرِ بَادِيسَ بنِ حَبُّوسَ الصِّنْهَاجِيِّ مَلِكِ غَرْنَاطَةَ وَأَعْمَالِهَا وَمُدَبِّرُ الدَّوْلَةِ،وَقَالَ إِنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ بِشَرِيعَةِ اليَهُودِ وَالمَعْرِفَةِ بِالانْتِصَارِ بِهَا وَالذَّبِّ عَنْهَا مَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ قَبْلَهُ،وحَدَّدَ تاريخَ وَفاتِهِ عَامَ ٤٤٨هـ[١].وَتارِيخُ وَفَاةِ إِسْمَاعِيلَ بِهَذِهِ السَّنَةِ يُزِيلُ الشَّكَّ بِأَنَّ نَغْرِيلَّةَ رجُلٌ واحدٌ كَانَ فِي وِزَارَةِ حَبُّوسَ فَتْرَةً طَوِيلَةً وَاخْتَلَفَتْ شَخْصِيَّتُهُ فِي نِهَايَةِ حَيَاتِهِ مِمَّا أدى إِلَى قتله عَامَ ٤٥٩هـ.وَوَفَاةُ إِسْمَاعِيلَ بِهَذِهِ السَّنَةِ عِنْدَ صَاعِدٍ أَكَّدَتْ مَا جَاءَ عِنْدَ ابنِ حَزْمٍ مِنْ إِعْجَابٍ بِإِسْمَاعِيلَ الذي لقيَهُ فِي بَدْءِ حياتِهِ،وَتَوْجِيهِ إِهَانَاتٍ عَدِيدَةٍ إِلَى الآخَرِ الذي ردَّ عَلَيْهِ بِرِسَالَةٍ فِي نِهَايَةِ حياتِهِ. كَمَا أَنَّ هَذَا الكَلامَ لا يَتَعَارَضُ مَعَ مَا جاءَ عِنْدَ ابنِ حَزْمٍ السَّابِقِ عن إِسْمَاعِيلَ مِنْهُمَا بِأَنَّهُ أَعْلَمُ اليَهُودِ وَأَجْدَلُهُمْ[٢].بَيْنَمَا فِي رسالَتِهِ فِي الردِّ عَلَى المُسَمَّى ابْنِ نَغْرِيلَّةَ لَمْ يذكرِ ابنُ حَزْمٍ ابنَ نَغْرِيلَّةَ نَصًّا فِي الرِّسَالَةِ وَإِنَّمَا أَشَارَ إِلَى أَنَّهُ:"رَجُلٌ مِنْ يَهُودٍ يَعْمَلُ فِي ظِلِّ مَلِكٍ ضَعِيفٍ وَأَنَّهُ اسْتَشْعَرَ البَطَرَ وَشَمَخَتْ نَفْسُهُ لِكَثْرَةِ أَمْوَالِهِ،وَأَنَّهُ قَلِيلُ العِلْمِ سَيِّءُ الفَهْمِ"[٣]،وَكُلُّ هَذِهِ الصِّفَاتِ مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ تَلْصَقَ بِيُوسُفَ لا بأبيه إِسْمَاعِيلَ.أَمَّا الأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ فِي مُذَكِّرَاتِهِ فَقَدْ ذَكَرَ الأَبَ كَذَلِكَ بِكنيتِهِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ يُسَمِّ الأَبَ وَلا الابنَ،إلا أَنَّ مَا ذكره مِنْ أحداثٍ يؤكِّدُ أَنَّ وَزِيرَيْنِ اثنينِ وَلَيْسَ واحدًا لُقِّبَا بِلَقَبِ (ابْنِ نَغْرِيلَّةَ)،فيَكُونُ اسمُ الأَبِ مِنْهُمَا إِسْمَاعِيلَ(ت:٤٤٨هـ) وَكَانَ حَسَنَ السِّيرَةِ،بَيْنَمَا ابْنُهُ يُوسُف(ت:٤٥٩هـ) كَرِهَتْهُ العَامَّةُ وَقَتَلَتْهُ[٤].وهَذَا يُخَالِفُ قَوْلَ ابنِ بَسَّامٍ فِي "الذَّخِيرَةِ"،وابنِ سَعِيدٍ فِي "المُغْرِبِ"،وابنِ خَلْدُونَ فِي تَارِيخِهِ"[٥]حَيْثُ يَقُولُونَ إِنَّ المَقْتُولَ هُوَ إِسْمَاعِيلُ،وَيَذْكُرُ ابْنُ سَعِيدٍ أَنَّ للمَقْتُولِ إِسْمَاعِيلَ ابنًا اسْمُهُ يُوسُفُ كَانَ صَغِيرًا حِينَ قُتِلَ أَبُوهُ وَصُلِبَ[٦].وَأَرَى أَنَّ الأَصْوَبَ القَوْلُ

---

١ – انْظُرْ: صَاعِد "**طَبَقَات الأُمَمِ**" ص ١١٢ .

٢ – انْظُرْ: ابن حَزْم"**الفِصَل فِي المِلَلِ وَالأَهْوَاءِ وَالنِّحَلِ**" ١/ ١٥٢ .

٣ – ابن حَزْمٍ "**رَسَائِلُهُ**" ؛"رِسَالَة فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ نَغْرِيلَّةَ اليَهُودِيِّ" ٤٢/٣ .

٤ – سار عَلَى هَذَا صاعِدٍ في"**طَبَقَاتِ الأمَمِ**" وابنُ عِذَارِي فِي"**البَيَان المُغْرِب**"، وابنُ الخَطيبِ في"**أَعْمَال الأَعْلامِ**" يجعَلُونَ الأَبَ إِسْمَاعِيلَ وَيُوسُفَ هُوَ الابنُ المَقْتُولُ.

٥ – انْظُرْ: ابن خَلْدُونَ"**تَارِيخُهُ**" ٢٠٦/٤ .

٦ – انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**"٢/١١٤–١١٥،ابن عِذَارِي المَراكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**"٣/٢٦٤،٢٧٦،٢٧٥ .

إنَّ إسْمَاعِيلَ هوَ الأبُ وَهُوَ الوَزيرُ الأولُ لِبَادِيسَ،ثُمَّ وَلِيَ الوِزَارَةَ بَعْدَهُ ابنُهُ يُوسُفُ الذي قَامَتْ عَلَيْهِ ثورةٌ فَقُتِلَ وَصُلِبَ، وَتَرَكَ وَرَاءَهُ الحَفِيدَ إسْمَاعِيلَ الذي هَرَبَ إلَى إفْرِيقِيَّةَ حِينَ قُتِلَ أَبُوهُ .

١ - الأَبُ: إسْمَاعِيل [٣٨٣ - ٤٤٨هـ]

أَقَامَ حَبُّوسُ بنُ مَاكْسَن مُلْكًا عَلَى جَمَاعَتِهِ،وَانْحَازُوا إلَى غَرْنَاطَةَ،ثُمَّ توسَّعَ مُلْكُهُ،وَدَامَتْ رِيَاسَتُهُ إلَى أنْ هَلَكَ سَنَةَ ٤٢٨هـ،فَوَلِيَ بَعْدَهُ ابنُهُ بَادِيسُ،فأمْضَى بَادِيسُ وَزيرًا لَهُ وَكَاتِبًا وَزِيرَ أَبِيهِ إسْمَاعِيلَ بنَ نَغْرَالَةَ [نَغْرِيلَّةَ] اليَهُودِيَّ عَلَى وِزَارَتِهِ وَكِتَابَتِهِ وَسَائِرِ أَعْمَالِهِ،لأنَّهُ سَاعَدَهُ فِي الوُصولِ إلَى الحُكم[1]،وَرَفَعَهُ فَوْقَ كُلِّ مَنْزِلَةٍ.وَاتَّخَذَ هَذَا اليَهُودِيُّ عُمَّالاً وَمُتَصَرِّفِينَ فِي الأشْغَالِ وَاكْتَسَبُوا الجَاهَ وَالمَالَ فِي أيَّامِهِ وَاسْتَطَالُوا عَلَى المُسْلِمِينَ[2].

وُلِدَ إسْمَاعِيلُ سَنَةَ ٣٨٣هـ بِقُرْطُبَةَ،وَدَرَسَ بِهَا التَّلْمُودَ عَلَى يَدِ هَانُوخ Rabbi Hanokh الرَّئِيسِ الرُّوحِي للجَالِيَةِ اليَهُودِيَّةِ،وتثقَّفَ بِأكْثَرِ العُلُومِ التِي كَانَتْ مَعْرُوفَةً آنَذَاكَ[3]،ثُمَّ انْصَرَفَ إلَى دِرَاسَةِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وآدابِهَا حَتَّى أصْبَحَ يُتْقِنُ الكِتَابَةَ البَلِيغَةَ بِالعَرَبِيَّةِ،وَتَعَلَّمَ سَبْعَ لُغَاتٍ[4]. قَالَ عَنْهُ الرَّاعِي بَعْدَ أنْ وَصَفَهُ بِالمَلعُونِ بِأنَّهُ قَدْ بَرَعَ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالتَّارِيخِ وَأخْبَارِ النَّاسِ وَعِلْمِ الطِّبِّ وَالنُّجُومِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ العُلُومِ العَظِيمَةِ،وَأضَافَ بِأنَّهُ قَدْ بَرَعَ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ فِي العُلُومِ المَذْكُورَةِ وَمَعْرِفَةِ كَثِيرٍ مِنَ اللُّغَاتِ زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ،وَذَكَرَ الرَّاعِي أنَّهُ حَفِظَ لَهُ فِي صِغَرِهِ قِطْعَةَ نَظْمٍ عَلَى تَرْتِيبِ التَّوْشِيحِ سَبْعَةَ أبْيَاتٍ بِسَبْعَةِ ألْسُنٍ،أوَّلُ بَيْتٍ مِنْهَا تَوْشِيحٌ بِالعَرَبِيِّ، وَكُلُّ بَيْتٍ بَعْدَهُ بِلِسَانٍ لا يُشْبِهُ الآخَرَ[5].وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَتِهِ الجَيِّدَةِ بِعِدَّةِ لُغَاتٍ،وَعلَى سِعَةِ اطِّلاعِهِ عَلَى الأدَبِ العَرَبِيِّ وَالتَّوْشِيحِ وَعَلَى مَقْدِرَتِهِ عَلَى التَّقْلِيدِ وَالتَّأَثُّرِ بِالشُّعَرَاءِ فِي الأنْدَلُسِ.

عَمِلَ فَتْرَةً طَوِيلَةً عَطَّارًا بِقُرْطُبَةَ أوَّلاً ثُمَّ فِي مَالَقَةَ[6]وَهاجَرَ مِنْهَا إلَى غَرْنَاطَةَ،بَعْدَ أن هَاجَرَ إلَيْهَا أَبُوهُ قَادِمًا مِنْ مَارِدَةَ.عَمِلَ فِي تِجَارَةِ العِمْلَةِ كَبَدَّالٍ صَغِيرٍ مُدَّةً طَوِيلَةً،ثُمَّ أقَامَ فِيهَا حَانُوتًا لِلعِطَارَةِ بِالقُرْبِ مِنْ قَصْرِ أَبِي القَاسِمِ ابنِ العَرِيفِ وَزِيرِ المَلِكِ بَادِيسَ بنِ حَبُّوسَ،وَكَانَ يَقُومُ إلَى جَانِبِ ذَلِكَ بِكِتَابَةِ الرَّسَائِلِ للذِينَ يَعْمَلُونَ فِي خِدْمَةِ القَصْرِ[7]،فَأعْجِبَ الوَزِيرُ أَبُو القَاسِمِ بِكِتَابَتِهِ

---

1 – See : Maxi Margolis and Alexander Marx. "**A History of the Jewish people**" p 316 .

٢ - انظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"البَيَان المُغْرب" ٢٦٤/٣ .

3 – See : Reinhart Dozy "**Spanish Islam**" p 609 .

4 – See : Reinhart Dozy "**Spanish Islam**" p 609 ;Maxi Margolis and Alexander Marx. "**A History of the Jewish people**" p 315 .

٥ – انظُرْ: الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَة وَشِعْرِ ابنِ سَهْل**"، حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونِسِيَّة،ع٢٩، ١٩٨٠م، ص٤٢ .

6 – See : Reinhart Dozy "**Spanish Islam**" p 609 ;Maxi Margolis and Alexander Marx. "**A History of the Jewish people**" p 315; Cecill Roth & Others."**The New Standard Jewish Encyclopedia**" p 1651 .

7 – See : Reinhart Dozy "**Spanish Islam**" p 609 .

وأُسلُوبه،فقَرَّبَهُ وَعَمِلَ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْهِ،وَعيَّنَهُ كَاتِبًا وَمُستَشارًا،فَدَخَلَ إِسْمَاعِيلُ بِذَلِكَ فِي خِدْمَةِ البَلاطِ الغَرْنَاطِيّ،ولَمَّا مَرِضَ ابنُ العَرِيفِ وَأَحَسَّ بِدُنُوِّ الأَجَلِ نَصَحَ أَمِيرَهُ بَادِيسَ بنَ حَبُّوسَ أَنْ يُبْقِيَ إِسْمَاعِيلَ فِي الخدْمَةِ مَعَ أُولادِهِ،فَعَمِلَ الأَمِيرُ بِنَصِيحَتِهِ،"وَلَمَّا تُوفِّى أبُو العَبَّاسِ،وَتَرَكَ بَنِينَ،أَقَامَ حَبُّوسُ أَكْبَرَهُمْ عِوَضًا مِنْ أَبِيهِ،وَاسْتَعْمَلَهُ مَكَانَهُ.وَكَانَ فِي الابْنِ صَبْوَةٌ لا يَرْتَبِطُ مَعَهَا إِلَى خِدْمَةِ الرِّيَاسَةِ؛فَمَكَرَ بِهِ أَبُو إِبْرَاهِيمَ اليَهُودِيُّ،وَلَزِمَ خِدْمَةَ الرَّئِيسِ،وَصَارَ مَتَى غَابَ وَلَدُ أَبِي العَبَّاسِ يَحْضُرُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ؛فَيَسْأَلُ عَنْهُ حَبُّوسُ،فَيَقُولُ مُعْتَذِرًا فِي الظَّاهِرِ وَمُطَالِبًا لَهُ فِي لَحْنِ القَوْلِ:"وَلَدُ أَبِي العَبَّاسِ، كَمَا تَرَى،صَبِيٌّ يُؤْثِرُ الرَّاحَةَ،وَأَنْتَ جَدِيرٌ بِالإِغْضَاءِ عَلَيْهِ وَإِقَامَةِ عُذْرِهِ، وأَنَا عَبْدُهُ أَنُوبُ مَنَابَهُ، فَمُرْنِي بِمَا شِئتَ:يَتَهَيَّأُ ذَلِكَ!فَلَمْ يَزَلْ عَلَى هَذَا أَبَدًا حَتَّى تَمَكَّنَ،وَظَهَرَتْ خِدْمَتُهُ وَسَعْيُهُ فِي ضَمِّ◌ الأَمْوَالِ"[١] .وَبِذا أَحَلَّ إِسْمَاعِيلَ بِقَصْرِهِ مَحَلَّ ابنِ العَرِيفِ،وَاتَّخَذَهُ كَاتِبَهُ وَنَاصِحَهُ وَمُسْتَشَارَهُ وَالوَزِيرَ الأَوَّلَ لِمَمْلَكَتِهِ.وَيَذْكُرُ وِل دِيوْرَانت أَنَّ صَمُويل[إِسْمَاعِيل] كَانَ اليَهُودِيَّ الوَحِيدَ الذِي شَغَلَ مَنْصِبَ وَزِيرٍ فِي دَوْلَةٍ إِسْلامِيَّةٍ[٢] .

وَإِسْمَاعِيلُ مِنْ عَامَّةِ اليَهُودِ،حَسَنُ السِّيرَةِ فِيهِمْ،مَيْمُونُ النَّقِيبَةِ عِنْدَهُمْ[٣] نَالَ بَيْنَهُم لَقَبَ هَنِيغِد הנגד أي الأَمِيرِ أَوِ المُدبِّرِ بِالعَرَبِيَّةِ[٤] .وَعَظَّمُوهُ حَتَّى قِيلَ "عِنْدَمَا يُعْطِي إِسْمَاعِيلُ نَصِيحَةً فَإِنَّ صَوْتَ اللهِ يُسْمَعُ فِي الأَرْضِ"[٥] .وَقَالَ ابنُ حَيَّان إِنَّهُ "مِنْ أَكْمَلِ الرِّجَالِ عِلْمًا وَحِلْمًا وَفَهْمًا وَذَكَاءً وَدَمَاثَةً وَرَكَانَةً وَدَهَاءً وَمُكْرًا،وَمُلْكًا لِنَفْسِهِ،وَبَسْطًا مِنْ خُلْقِهِ،وَمَعْرِفَةً بِزَمَانِهِ،وَمُدَارَاةً لِعَدُوِّهِ، وَاسْتِسْلالاً لِحُقُودِهِمْ بِحِلْمِهِ،نَاهِيكَ مِنْ رَجُلٍ كَتَبَ بِالقَلَمَيْنِ،واعتنى بِالعِلْمَيْنِ،وَشُغِفَ بِاللِّسَانِ العَرَبِيِّ، وَنَظَرَ فِيهِ،وَقَرَأَ كُتُبَهُ،وَطَالَعَ أُصُولَهُ،فَانْطَلَقَتْ يَدُهُ وَلِسَانُهُ،وَصَارَ يَكْتُبُ عَنْهُ وَعَنْ صَاحِبِهِ بِالعَرَبِيَّةِ،فِيمَا احْتَاجَ إِلَيْهِ مِنْ فُصُولِ التَّحْمِيدِ للهِ تَعَالَى،وَالصَّلاةِ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ،وَالتَّزْكِيَةِ لِدِينِ الإِسْلامِ، وَذِكْرِ فَضَائِلِهِ،مَا يُرِيدُهُ،وَلا يُقَصِّرُ فِيمَا يُنْشِئُهُ عَنْ أَوْسَطِ كُتَّابِ الإِسْلامِ"[٦] ،وَكَانَ قَ◌لِيلَ الكَلامِ مَعَ ذَكَائِهِ،مَاقِتًا لِلسِّبَابِ،دَائِمَ التَّفَكُّرِ،جَمَّاعَةً لِلكُتُبِ[٧] .

---

١ – الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٣٠– ٣١ .

٢ – انْظُرْ: وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ٥٢/١٤ .

٣ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٧٦٦/٢ .

٤ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٧٦٧/٢ ؛ وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ٥٣/١٤ .
See : Reinhart Dozy "**Spanish Islam**" p 610 .

٥ – انْظُرْ: وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ٥٢/١٤ ؛ Reinhart Dozy "**Spanish Islam**" p 60 .

٦ – ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَةُ**" ٤٣٩/١ .

٧ – انْظُرْ: نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

وَأَمَّا مَا بلغَ مِنَ المَنْزِلَةِ عِنْدَ صَاحِبِهِ وَغَلَبَتِهِ عَلَيْهِ فَمِمَّا لا شَيْءَ فَوْقَهُ.وَقَدْ نَافَسَ ابْنَ حَسْدَايِ ابنَ شبْرُوط فِي سُلْطَانِهِ وَحِكْمَتِهِ،وفاقَهُ فِي عِلْمِهِ[١]،قَالَ عَنْهُ مَنْ رَآهُ يُسَايِرُ صَاحِبَهُ بِسَاحَةِ قُرْطُبَةَ: "فرَأَيْتُهُ مَعَ بَادِيسَ،فَلَمْ أُفَرِّقْ بَيْنَ الرَّئِيسِ وَالمَرْؤُوسِ،فَأَنْشَدْتُ: "تَشَابَهَتِ المَنَاكِبُ وَالرُّؤُوسُ[٢]" وَقَالَ آخرُ :"لا بَأْسَ يَا إِسْمَاعِيلُ لَوْلا أَنَّهُ نَسِيَ اليَهُودِيَّةَ"[٣].

وَكَانَ هَذَا الوَزِيرُ اليَهُودِيُّ مَوْضِعَ ثِقَةٍ عِنْدَ بَادِيسَ يَسْتَشِيرُهُ فِي أَدَقِّ الأُمُورِ،وَلا يَقْطَعُ أَمْرًا دُونَهُ[٤]؛فَحِينَ وَقَعَتْ،عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ،بِيَدِ بَادِيسَ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ مِنْ عِنْدَ صِنهاجَةَ إِلَى عَدُوِّهِ ومُنَافِسِهِ يَدِّيْر يُخَاطِبُونَهُ،تَضَمَّنَتْ أَزْيَدَ مِنْ مِائَتَيْ رَجُلٍ مِنَ الأَكَابِرِ،غَضِبَ لِذَلِكَ،وَهَمَّ بِقَتْلِهِمْ. وَشَاوَرَ وَزِيرَهُ اليَهُودِيَّ فِي الأَمْرِ فَنَصَحَهُ أَلا تُؤَنِّبَ أَحَدًا،ففَعَلَ[٥].وَامتَازَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ بِالحُنْكَةِ والدَّهَاءِ وَالسِّيَاسَةِ،وفِي مُذَكِّرَاتِ حَفِيدِ بَادِيسَ كَثِيرٌ مِنَ الرِّوَايَاتِ عَنْ دَهَائِهِ وما فَعَلَ حَتَّى أَيْقَنَ بَادِيسُ بِثِقَتِهِ وَأَمَانَتِهِ،وأَصْبَحَ يَطْلُبُ رَأْيَهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأُمُورِ[٦].

وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ مِنْ أَهْلِ الأَدَبِ وَالشِّعْرِ[٧]،وَكَانَ ذَا ثَقَافَةٍ وَاسِعَةٍ شَمَلَتْ مُعظَمَ المَعَارِفِ فِي عَصْرِهِ،وَشَارَكَ فِي الهَنْدَسَةِ وَالمَنْطِقِ وَالفَلَكِ[٨].قَالَ الرَّاعِي إِنَّهُ "بَرَعَ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالتَّارِيخِ وَأَخْبَارِ النَّاسِ وَعِلْمِ الطِّبِّ وَالنُّجُومِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ العُلُومِ العَظِيمَةِ"[٩]،وَكَانَ يَفُوقُ فِي الجَدَلِ كُلَّ مُسْتَوْلٍ مِنْهُ عَلَى غَايَةٍ[١٠]،كَمَا كَانَ جَمَّاعَةً لِلْكُتُبِ[١١]مُؤَلِّفًا لَهَا،وَلَهُ "السَّجِيجُ[١٢] فِي عُلُومِ الأَوَائِلِ الرِّيَاضِيَّةِ وَتَقَدُّمِ مُنْتَحِلِيهَا بِالتَّدْقِيقِ لِلْمَعْرِفَةِ النُّجُومِيَّةِ"،وَلَهُ قَامُوسٌ شَامِلٌ لأَلفاظِ التَّوْرَاةِ[١٣]،كَمَا لَهُ دِرَاسَاتٌ تَلْمُودِيَّةٌ وَشِعْرِيَّةٌ[١٤].

كَمَا كَانَ إِسْمَاعِيلُ شَاعِرًا مَرْمُوقًا بَيْنَ أَهْلِ مِلَّتِهِ،وَلَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ،يُقَالُ إِنَّهُ نَظَمَ مَا يَزِيدُ عَلَى أَلفٍ وَسَبْعِمِائَةٍ بَيْنَ مَقْطُوعَةٍ وَقَصِيدَةٍ،وَقَدْ جَمَعَ ابنُهُ يُوسُفُ مُعْظَمَ أَشْعَارِ وَالِدِهِ العِبْرِيَّةِ فِي دِيوَانٍ قَسَّمَهُ إِلَى ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ سَمَّى كُلَّ قِسْمٍ بِعُنْوَانٍ اقْتَبَسَهُ مِنَ العَهْدِ القَدِيمِ،فَسَمَّى القِسْمَ الأَوَّلَ "المَزَامِيرَ الصَّغِيرَةَ"،وَالثَّانِي "الأَمْثَالَ الصَّغِيرَةَ"،وَالثَّالِثَ "سِفْرَ الجَامِعَةِ الصَّغِيرِ".وَكَانَ يَكْتُبُ مُقَدِّمَةً صَغِيرَةً بِالعَرَبِيَّةِ قَبْلَ كُلِّ قَصِيدَةٍ يَذْكُرُ فِيهَا المُنَاسَبَةَ الَّتِي قِيلَتْ فِيهَا.وَيَشْتَمِلُ القِسْمُ الأَوَّلُ عَلَى صَلَوَاتٍ وَأَدْعِيَةٍ،وَالثَّانِي عَلَى قَصَائِدِ مَدْحٍ لِلبَارِزِينَ مِنَ اليَهُودِ فِي عَصْرِهِ،وَالثَّالِثُ عَلَى أَشْعَارٍ يَتَنَبَّأُ فِيهَا بِزَوَالِ الوُجُودِ وَخَرَابِ الدُّنْيَا[١٥].

---

١ – انْظُرْ : وِل دِيوْرَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ٥٢/١٤ .

٢ – مِنْ قول أعرابي يهجو [الوافر]: إِذَا مَا قلتَ أَيُّهُمْ لأَيٍّ تَشَابَهَتْ المَنَاكِبُ وَالرُّؤُوسُ

وَقَالُوا هَذَا مِنْ أَقْبَحِ الهِجَاءِ . انْظُرْ :البَكْرِيّ "**فَصْلُ المَقَالَ فِي شَرْحِ كِتَابِ الأَمْثَالِ**"١٩٧/١؛ ابن بَسَّامِ "**الذَّخِيرَة**"ق١،م٧٦٧/٢ .

٣ – انْظُرْ : ابن بَسَّامِ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٧٦٧/٢ .

٤ – انْظُرْ : ابن الخَطِيب "**الإِحَاطَة**" ٤٣٧/١ .

٥ – الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٣٣ .

٦ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ص ٣١ .

٧ – انْظُرْ : ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٢٦٤/٣ .

٨ – انْظُرْ : ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَة**" ٤٣٩/١ .

٩ – الرَّاعِي"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَة وَشِعْرِ ابن سَهْلٍ**"، حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُّونِسِيَّة،ع٢٩، ١٩٨٠م، ص٤٢ .

١٠ – انْظُرْ : ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَة**" ٤٣٧/١ .

١١ – انْظُرْ نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

١٢ – السجيج: لَمْ أجد لَهَا معنى، قَدْ تكون بالحاء فِي أخرها أي السجيح وهو السهل . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [سجح] ٣٤٢/٢ .

١٣ – انْظُرْ : ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَة**" ٤٣٨/١ .

. See : Maxi Margolis and Alexander Marx. "**A History of the Jewish people**" p 317

١٤ – انْظُرْ : ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَة**" ٤٣٩/١ .

See : Cecill Roth & Others."**The New Standard Jewish Encyclopedia**" p 1652 .

١٥ – انْظُرْ : مُحَمَّد بحر عبد المجيد "**اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ**" ص٤٨ .

تَنَاوَلَ فِي شِعْرِهِ بِالعِبْرِيَّةِ بَعْضَ المَوْضُوعَاتِ الدِّينِيَّةِ،فَكَانَ لَهُ فِي الشِّعْرِ العِبْرِي التَّقْلِيدِيِّ، البِيُوطِيم وَالأَدْعِيَةِ،وَلَكِنَّهُ يُعَدُّ مِنْ أَوَائِلِ مَنْ تَجَاوَزُوا تِلْكَ المَوْضُوعَاتِ إِلَى مَوْضُوعَاتٍ دُنْيَوِيَّةٍ؛ فَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ مَنْ كَتَبَ بِالعِبْرِيَّةِ فِي الخَمْرِيَّاتِ،وَنَظَمَ فِي الغَزَلِ وَوَصْفِ الطَّبِيعَةِ وَمَنَاظِرِ الحَرْبِ وَالمَدِيحِ وَالهِجَاءِ،والرثاء وَالشِّعْرِ القَصَصِيِّ[1] .

وَعُنِيَ ابْنُ نَغْرِيلَّةَ كَثِيرًا بِأَبْنَاءِ مِلَّتِهِ مِنَ الشُّعَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ،وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ يَقْتَسِمُ مَالَهُ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الشُّعَرَاءِ،وَأَنْجَدَ الشَّاعِرَ **سُلَيْمَان بن جِبِيرُول**(ت: ٤٥٠هـ أو ٤٦٢هـ).وَأَمَدَّ بِالمَالِ طَائِفَةً مِنْ شَبَابِ الطُّلاَّبِ وَأَعَانَ الجَمَاعَاتِ اليَهُودِيَّةَ فِي قَارَّاتٍ ثَلاثٍ"[2] .وفي مُذَكَّرَاتِ عَبْدِ اللهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ كَانَ عَلَى صِلَةٍ مَعَ أبناءِ مِلَّتِه وَمشايِخِهِ مِنَ اليَهُودِ وأَنَّهُ كَانَ يَسْتَشِيرُهم ويأخُذُ بِرَأيهم[3] .وَكَانَ وَهُوَ وَزِيرُ المَلِكِ حَاخَامًا لِليَهُودِ يُحَاضِرُ عَنْ التَّلْمُودِ،أَنْجَبَ مِنَ الأَبْنَاءِ أَرْبَعَةً وَهُمْ: يُوسُفُ وَالياسَافا وَيَهُوذَا وأبو نَصْرٍ بنِ عِزْرَا.وَلَمَّا تُوُفِّيَ خَلَفَهُ فِي الوِزَارَةِ وَالنِّجَادَةِ ابنُهُ يُوسُفُ[4] .وَكَانَتْ وَفَاتُهُ عَامَ ٤٥٠هـ[5] .بَكَاهُ اليَهُودُ كَثِيرًا،فَقَالَ ابنُ الخَطِيبِ:"جَلَّلَ اليَهُودُ نَعْشَهُ،وَنَكَّسُوا لَهَا أَعْنَاقَهُمْ خَاضِعِينَ،وَتَعَاقَدُوهُ جَازِعِينَ،وَبَكَوْهُ مُعْلِنِينَ"[6] .

---

١ – انْظُرْ: مُحَمَّد بحر عبد المجيد "**اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ**" ص٤٥ ؛ إِمِيلُو غَرْسِيه غُومِثْ "**الشِّعْرُ الأَنْدَلُسِي** " ص ٩٦ .

٢ – انْظُرْ: وِل دِيوْرَانت "**قِصَّةُ الحَضَارَةِ**" ٥٢/١٤ .

٣ – انْظُرْ: الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٥٠ – ٥١ .

٤ – انْظُرْ: انْظُرْ: مُحَمَّد بحر عبد المجيد "**اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُسِ**" ص ٤٩؛ وِل دِيوْرَانت "**قِصَّةُ الحَضَارَةِ**" ٥٢/١٤ .

٥ – انْظُرْ: ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَةُ**" ٤٣٩/١ .

٦ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ٤٣٧/١ .

٢- الابنُ: يُوسُفُ [... - ٤٥٩هـ]

لَمَّا تُوُفِّيَ الوَزِيرُ إِسْمَاعِيلُ تَرَكَ ابْنًا لَهُ اسْمُهُ يُوسُفُ المُكَنَّى بِأَبِي حُسَيْنٍ[١]لَمْ يَعْرِفْ ذِلَّةَ الذِّمَّةِ وَلا قَدْرَ اليَهُودِيَّةِ[٢]،وَرِثَ عَنْ أَبِيهِ أَمْوالاً كَثِيرَةً[٣]،وَكَانَ جَمِيلَ الوَجْهِ حَادَّ الذِّهْنِ[٤]، إلا أَنَّهُ كَانَ سَيِّئَ الأخلاقِ قبيحَ الأفْعالِ،قَالَ فِيهِ ابنُ بَسَّامٍ "وَنَجَمَ ابْنُهُ بَعْد غُلامًا وَضِيًّا وَمَرْكَبًا -زَعَمُوا- وَطِيًّا،مُهَوَّنًا فِيهِ مَأْثُورُ القَبِيحِ"[٥]،وكَانَ يَتَمَدَّحُ بالطَّعْنِ عَلَى المِلَلِ[٦]،فقَدِ اسْتَهْزَأَ بِالمُسْلِمِينَ، وَأَقْسَمَ أَنْ يَنْظُمَ جَمِيعَ القُرْآنِ فِي أَشْعَارٍ وَمُوَشَّحَاتٍ يُغَنَّى بِهَا[٧]،وَأَلَّفَ كِتَابًا يَطْعَنُ فِيهِ عَلَى الإِسْلامِ وَكِتَابِهِ الكَرِيمِ،فَرَدَّ عَلَيْهِ ابنُ حَزْمٍ.وَكَانَ مَكْرُوهًا حَتَّى عِنْدَ أَبْنَاءِ مِلَّتِهِ مِنَ اليَهُودِ،فقَالَ ابنُ بَسَّامٍ:"إِنَّ اليَهُودَ كَانَتْ تَتَشَاءَمُ بِاسْمِهِ،وَتَتَظَلَّمُ مِنْ جُورِ حُكْمِهِ،عَلَى مَا كَانَ قَدْ رَضَخَ لَهُمْ مِنَ الحُطَامِ، وَوَطَّأَ لَهُمْ مِنْ مَرَاكِبِ الأُمُورِ العِظَامِ،وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُتَمَادٍ فِي غُلَوَائِهِ،غَافِلٌ عَنْ عَادَةِ اللهِ فِي نُظَرَائِهِ، فَغَصَبَ يَهُودَ أَحْكَامَهَا،وَذَلَّلَ أَعْلامَهَا"[٨].

وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ قَدْ حَمَلَ وَلَدَهُ يُوسُفَ عَلَى مُطَالَعَةِ الكُتُبِ،وَجَمَعَ إِلَيْهِ المُعَلِّمِينَ وَالأُدَبَاءَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ،وَأَعْلَقَهُ بِصِنَاعَةِ الكِتَابَةِ[٩].فَنَظَرَ فِي الكُتُبِ،وَشَدَا أَشْيَاءَ مِنْ عِلْمِ العَرَبِ[١٠].وَذَكَرَ ابنُ عِذارِي أَنَّهُ وُجِدَتْ لابْنِ نَغْزَالَةَ [نَغْرِيلَّة] فِيمَا وُجِدَ لَه،بَعْدَ المَذْبَحَةِ،خِزَانَةٌ جَلِيلَةٌ مِنْ كُتُبِ أَشْتَاتِ العُلُومِ الإِسْلامِيَّةِ،وأَنَّهُ كَانَ لَهُ وَرَّاقُونَ يَنْسَخُونَ لَهُ الكُتُبَ بِالنَّفَقَاتِ وَالمَرْتَبَاتِ[١١].

وَرَشَّحَهُ إِسْمَاعِيلُ فِي بَدْءِ حَيَاتِهِ لِلكِتَابَةِ عِنْدَ بُلُقِّينَ ابنِ بَادِيسَ[١٢]،وَوَصَّاهُ بِأَنْ يَسْعَى فِي طَلَبِ الوُزَرَاءِ،وَعَرَضَ عَلَيْهِ الأَبْوَابَ التِي مِنْهَا يَكُونُ حَتْفُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ،لِمَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ البِلادِ وَاسْتِئْثَارِهِمْ بِالجِبَايَاتِ[١٣].وَعِنْدَمَا هَلَكَ إِسْمَاعِيلُ،كَانَ يُوسُفُ فِي سِنِّ الصِّبَا،كَرِهِ بَادِيسُ تَوْلِيَتَهُ،وَوَلَّى مَكَانَهُ علِيًّا ابنَ القَرَوِيِّ،فتَقَرَّبَ إِلَيْهِ يُوسُفُ بِالأَمْوَالِ الجَسِيمَةِ لِيَظَلَّ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْهِ،

---

١ – انْظُرْ: ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَةُ**" ٤٣٧/١ .

٢ – انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٢٦٤/٣ .

٣ – انْظُرْ: الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٣٧ .

٤ – انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٢٦٤/٣ .

٥ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٦٦ .

٦ – انْظُرْ: نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٧ – انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١١٤/٢ .

٨ – ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٦٦- ٧٦٧ .

٩ – انْظُرْ: الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٣٧ .

١٠ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٢/٧٦٧ .

١١ – انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي"**البَيَان المُغْرِب**" ٢٦٤/٣ .

١٢ – انْظُرْ: ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَةُ**" ٤٣٧/١ .

١٣ – انْظُرْ: الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٣٧ .

مُقَابِلَ أَنْ يَقُومَ اليَهُودِيُّ بِنَفَقَتِهِ كُلِّهَا،وَلَوْ كَانَ أَهْلُهُ عددَ الحَصَى.فَطَمِعَ عَلِيٌّ فِي قَوْلِهِ،وَكَلَّمَ بَادِيسَ لِيُبْقِيهِ تَحْتَ إِشْرَافِهِ،فَفَعَلَ وَقَدَّمَهُ عَلَى العُمَّالِ وَالجِبَايَاتِ.وَأَظْهَرَ يُوسُفُ لِلسُّلْطَانِ نَصَائِحَ كَثِيرَةً حَظِيَ بِهَا عِنْدَهُ،وَتَبَرَّمَكَ عَلَى عَلِيٍّ وَغَيْرِهِ،وَاسْتَوْثَقَ مِنْ جَانِبِ بَادِيسَ بِقَوْلِهِ إِنَّه رَجُلٌ ذِمِّيٌّ لا هِمَّةَ لَهُ إِلا خِدْمَةَ السُّلْطَانِ وَجَمْعِ الدَّرَاهِمِ لِبَيْتِ المَالِ،فَوَثِقَ بَادِيسُ بِقَوْلِهِ،فَأَدْنَاهُ إِلَيْهِ،وَأَظْهَرَ الاغْتِبَاطَ بِهِ، وَالاسْتِعَاضَةَ بِخِدْمَتِهِ عَنْ عَلِيٍّ وَجَمِيعِ النَّاسِ[1].فَأَخَذَ يُوسُفُ نَفْسَهُ بِالاجْتِهَادِ فِي الأَحْوَالِ وَاسْتِخْرَاجِ الأَمْوَالِ،وَاسْتَعْمَلَ اليَهُودَ إِخْوَانَهُ عَلَى الأَعْمَالِ فَزَادَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ أَمِيرِهِ بَادِيسَ[2].

وَكَانَتْ لَهُ عُيُونٌ عَلَيْهِ فِي قَصْرِهِ مِنْ نِسَاءٍ وَفِتْيَانٍ شَغَلَهُمُ المَلْعُونُ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ،فَكَانَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ بَادِيسَ مِنْ كُلِّ مَا يَجْرِي فِي مَنْزِلِهِ مِنْ شَرَابٍ وَلَهْوٍ وَجِدٍّ وَهَزْلٍ إِلا وَيَعْلَمُهُ وَيُعْلِمُ اليَهُودَ بِهِ،فَلا يَكَادُ بَادِيسُ يَتَنَفَّسُ إِلا وَيَعْلَمُ اليَهُودِيُّ ذَلِكَ[3].فَلَمْ يكُنْ اليَهُودِيُّ يعمَلُ مُنْفَرِدًا؛بَلْ كَانَ بعضُ خُدَّامِ الدَّوْلَةِ مُتَّفِقِينَ مَعَهُ،لأَنَّهُ وَزِيرُ السُّلْطَانِ وَصَاحِبُ سِرِّهِ: فَمِنْهُمْ صَنِيعَةٌ لَهُ قَدِ اسْتَغْنَى مَعَهُ،وَمِنْهُمْ عَدُوٌّ لَهُ،مُؤَازِرٌ فِي الظَّاهِرِ اسْتِدْفَاعًا لِشَرِّهِ.فَأَعَانُوهُ عَلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ،وَأَنِسُوا إِلَى ثِقَتِهِ بِهِمْ[4].وَكانَتْ مُؤَامَرَاتُ اليهوديِّ واضِحَةً مَعْلُومَةً مَكْشُوفَةً لِلمُحِيطِينَ بِبَادِيسَ مِنَ الأُمَرَاءِ وغَيْرِهِم،حَتَّى إِنَّ صَاحِبَ المُذَكِّرَاتِ يَذْكُرُ أَنَّ عَمَّهُ مَاكْسَن قَالَ لليَهودِيِّ ذَاتَ يَوْمٍ مُواجَهَةً:"أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ أخي؟"[5].

وَرُغْمَ ثِقَةِ بَادِيسَ بِهِ واطْمِئنانِهِ إِلَيْهِ إِلا أَنَّهُ كَانَ حَذِرًا؛وفي هَذَا الشَّانِ قِيلَ إِنَّهُ بَنَى حِصْنَ الحَمْرَاءِ حَذَرًا مِنَ العَامَّةِ،حَتَّى إِذَا دَخَلَ ابنُ صُمَادِحٍ البَلَدِ،صَارَ هُوَ بِأَهْلِهِ إِلَيْهَا تَنَقَّلَ مِنْ دَارِهِ إِلَى القَصَبَةِ إِلَى أَنْ تَتَوَطَّدَ الحَالُ؛فَأَنْكَرَ ذَلِكَ النَّاسُ،وَأَنِفَتِ العَامَّةُ وَالخَاصَّةُ لِمَكْرِ اليَهُودِ[6].وَكَانَ آخِرَ أَمْرِهِ قَدْ حَجَبَ بَادِيسَ عَنِ النَّاسِ،وَسَجَنَهُ بَيْنَ الدَّنِّ وَالكَاسِ[7].وَوَعَدَ جارَه ابنَ صُمَادِحٍ بِالمَرِيَّةِ أن يُقْعِدَهُ مَكَانَهُ[8]،فَكَأَنَّهُ كَمَا قَالَ ابنُ بَسَّامٍ أَرَادَ أَنْ يَثُلَّ عَرْشَ البَادِيسِيِّ بِالصُّمَادِحِيِّ،وَقَدْ عَزَمَ

---

١ – انْظُرْ: الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٣٨ .

٢ – انْظُرْ: ابن الخَطِيب "**الإِحَاطَةُ**" ٤٣٧/١ .

٣ - انْظُرْ: ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِي "البَيَان المُغْرب" ٢٦٥/٣ .

٤ – انْظُرْ: الأَمِير عبد الله "**التِّبْيَان**" ص ٤٥ .

٥ – نَفْسُهُ ص ٤٨ .

٦ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ص٥١- 54 .

٧ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٧٦٧/٢ .

٨ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ق١،م٧٦٩/٢ .

سَاعَةَ يَخْلُو لَهُ وَجْهُ ابنِ صُمَادِحَ بَعْدَ بادِيسَ أَنْ يَتَمَرَّسَ بِجَانِبِهِ،وَيُلْحِقَهُ بِصَاحِبِهِ،فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَدْرِكَ عَلَى ابنِ ظِبْيَانَ[١]،بِقَتْلِ رَئِيسَيْنِ مِنْ رُؤَسَاءِ ذَلِكَ الزَّمَانِ[٢].

وبِسَبَبِ المَكَانَةِ الَّتِي تَرَقَّى إِلَيْهَا يُوسُفُ ابنُ نَغْرِيلَّةَ جَعَلَهُ ابنُ بَسَّامٍ "مِنْ عَجَائِبِ ذَلِكَ الزَّمَانِ الوَاهِي النِّظَامِ،اللاعِبِ بِالأَنَامِ"[٣].وَقَالَ ابنُ الخَطِيبِ إِنَّ لَهُ مَكَانَةً مَعرُوفَةً فِي الظَّرْفِ وَالأَدَبِ،إلا أَنَّ كُتُبَ التَّراجِمِ أَتَتْ بِبَعْضِ أَخْبَارِهِ رُغْمَ أَنَّهُ مِنْ أَعْلامِ الأُدَبَاءِ وَالأَفْرَادِ لِكَوْنِهِ انْتَحَلَ اليَهُودِيَّةَ[٤]. وَقَالَ ابنُ سَعِيدٍ إِنَّهُ اسْتَهْزَأَ بِالمُسْلِمِينَ وَبِدِينِهِمْ،فَآلَ أَمْرُهُ إِلَى أَنْ قَتَلَهُ صَنْهَاجَةَ أَصْحَابُ الدَّوْلَةِ،بِغَيْرِ أَمْرِ المَلِكِ،وَنَهَبُوا دُورَ اليَهُودِ وَقَتَلُوهُمْ.وَذَكَرَ شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ[٥]،أَمَّا المَقَّرِيّ فَرَأَى أَنَّ اللهَ أَرَاحَ البِلادَ وَالعِبَادَ بِقَتْلِهِ بَعْدَ أَنْ أَعْضَلَ دَاؤُهُ المُسْلِمِينَ[٦]،وَذَلِكَ بِبَرَكَةِ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الإِلبيرِيِّ وَقَصِيدَتِهِ المَشْهُورَةِ[٧].

وَاسْتُهْدِفَ ابنُ نَغْرِيلَّةَ لِلنَّاسِ فَشُغِلَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِهِ فِي عَصْرِهِ،وَمُلِئَتْ غَيْظًا عَلَيْهِ صُدُورُهُمْ، وَذَاعَتْ قَصِيدَةُ الزَّاهِدِ أَبِي إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ،فِي الإِغْرَاءِ بِهِمْ[٨]،وَقَبْلَهَا كَانَتْ رِسَالَةُ ابنِ حَزْمٍ فِي الرَّدِّ عَلَى مَزَاعِمِهِ عَنِ القُرْآنِ فكَانَتِ المَذْبَحَةُ المَذْكُورَةُ سَابِقًا عَامَ ٤٥٩هـ.وَلكنَّ اليَهُودَ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ وَيَدَّعُونَ أَنَّهُ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ سَنَةَ ٤٤٦هـ. وَقَبْرُهُ وَقَبْرُ أَبِيهِ تَعْرِفُهُ اليَهُودُ وَيَنْقُلُونَهُ بِتَوَاتُرٍ عِنْدَهُم،أَمَامَ بَابِ إِلْبِيرَةَ، يَعْتَرِضُ الطَّرِيقَ،عَلَى لَحْدِهِ حِجَارَةٌ قَوِيَّةٌ عَظِيمَةٌ[٩].

٣- الحَفِيدُ بِإِفْرِيقْيَةَ .

سَمَّاهُ ابنُ سَعِيدٍ فِي "المُغْرِبِ" يُوسُفَ،لأَنَّ أَبَاهُ عِنْدَ ابنِ سَعِيدٍ هُوَ إِسْمَاعِيلُ،وَقَالَ إِنَّهُ كَانَ صَغِيرًا لَمَّا قُتِلَ أَبُوهُ بِغَرْنَاطَةَ،وَصُلِبَ فِي نَهْرِ سَنجِل،فَهَرَبَ إِلَى إِفْرِيقْيَةَ،وَكَتَبَ مِنْ هُنَالِكَ إِلَى أَهْلِ غَرْنَاطَةَ شِعْرَهُ المَشْهُورَ الذِي مِنْهُ[١٠]: [الخفيف]

---

١ – هُوَ: **عُبَيْدُ اللهِ بنُ زِيَادِ بنْ ظِبْيَان**،قَتَلَ مُصْعَبُ أَخَاهُ،فَنَذَرَ عُبَيْدُ اللهِ لَيَقْتُلَنَّ بِهِ مِائَةً مِنْ قُرَيْشٍ،فَقَتَلَ ثَمَانِينَ ثُمَّ قَتَلَ مُصْعَبًا،وَجَاءَ بِرَأْسِهِ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ،فلمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عَبْدُ المَلِكِ سَجَدَ،فَهَمَّ عُبَيْدُ اللهِ أَنْ يَفْتِكَ بِهِ أَيْضًا،فَارْتَدَّ عَنْهُ، وَقَالَ هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ . انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَمُ البُلْدَان**" ١٢٧/٥ .

٢ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م٧٦٨/٢ .

٣ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ق١،م٧٦٦/٢ .

٤ – انْظُرْ: ابن الخَطِيب"**الإِحَاطَةُ**" ٤٣٩/١ .

٥ – انْظُرْ: ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١١٤/٢ .

٦ – انْظُرْ: المَقَّرِيّ "**نَفْحِ الطِّيب**" ٩٤/٦ .

٧ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ٩٤/٦ .

٨ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ٤٤٠/١ .

٩ – انْظُرْ: نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

١٠ – ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ١١٥/٢ .

أُقْتِيلاً بسَنْجِلٍ لَيْسَ تَخْشَى   حَشْرَ جِسْمٍ وَقَدْ سَمِعْتَ النَّصِيحَا
غُودِرَ الجِسْمُ فِي التُّرابِ طَرِيحًا   وَغَدَا الرُّوحُ فِي البَسِيطَةِ رِيحَا
أَيُّهَا الغَادِرُونَ هَلا وَفَيْتُمْ   وَفَدَيْتُمْ شِبهَ الذَّبِيحِ الذَّبِيحَا
إِنْ يَكُنْ قَتْلُكُمْ لَهُ دُونَ ذَنْبٍ   قَدْ قَتَلْنَا مِنْ قَبْلِ ذَاكَ المَسِيحَا
وَنَبِيًّا مِنْ هَاشِمٍ قَدْ سَمَمْنَا   خَرَّ مِنْ أكلَةِ الذِّرَاعِ طَرِيحَا

ثَانِيًا :- أَبُو مُحَمَّدٍ بنُ حَزْمٍ .

هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنُ سَعِيدٍ بْنُ حَزْمٍ بنُ غَالِبٍ الأُمَوِيُّ(ت:٤٥٦هـ)(١)الفَارِسِيُّ الأَصْلُ ثُمَّ الأَنْدَلُسِيُّ(٢)،وُلِدَ بِقُرْطُبَةَ سَنَةَ ٣٨٤هـ(٣)،كَانَ وَالِدُهُ مِنْ كُبَرَاءِ قُرْطُبَةَ وَعَمِلَ فِي الوِزَارَةِ فِي الدَّوْلَةِ العَامِرِيَّةِ،وَكَذَلِكَ وَزرَ أَبُو مُحَمَّد فِي شَبِيبَتِهِ للمُسْتَظْهِرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ هِشَام ثُمَّ تَرَكَ الوِزَارَةَ،وَأَقْبَلَ عَلَى العُلُومِ(٤).نَشَأَ أَبُو مُحَمَّدٍ فِي تَنَعُّمٍ وَرَفَاهِيَّةٍ وَرُزِقَ ذَكَاءً مُفْرِطًا وَذِهْنًا سَيَّالاً وَكُتُبًا نَفِيسَةً كَثِيرَةً(٥).تَلَقَّى العِلْمَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ(٦)،وَمَهرَ أَوَّلاً فِي الأَدَبِ وَالأخبارِ وَالشِّعْرِ وَفِي المَنْطِقِ وَالفَلْسَفَةِ،وَأثرت فِيهِ الفَلْسَفَةُ تَأْثِيرًا كَبِيرًا(٧)،وَكَانَ رَاوِيَةً للأَدَبِ وَالطُّرَفِ(٨)،قَالَ ابنُ حَيَّانَ إِنَّهُ إِلَيْهِ المُنْتَهَى فِي الذَّكَاءِ وَحِدَّةِ الذِّهْنِ وَسِعَةِ العِلْمِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالمَذَاهِبِ وَالمِلَلِ وَالنِّحَلِ وَالمَنْطِقِ وَالعَرَبِيَّةِ وَالآدَابِ،وَكَانَ لَهُ فِي الأَدَبِ وَالشِّعْرِ نَفَسٌ وَاسِعٌ وَبَاعٌ طَوِيلٌ،وَشِعْرُهُ المَجْمُوعُ كَثِيرٌ،كَمَا كَانَ مِنْ أَسْرَعِ مَنْ يَقُولُ الشِّعْرَ عَلَى البَدِيهَةِ(٩).وَكَانَ حَافِظًا لِلحَدِيثِ وَفِقْهِهِ،فَقِيلَ إِنَّهُ أَجْمَعُ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ قَاطِبَةً لِعُلُومِ الإِسْلامِ،وَبَعْدَ أَنْ كَانَ شَافِعِيَّ المَذْهَبِ انْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الظَّاهِرِ(١٠)،وَنَاظَرَ عَلَى مَا عِنْدَهُ وَبَسَطَ لِسَانَهُ وَقَلَمَهُ وَلَمْ يَتَأَدَّبْ مَعَ الأَئِمَّةِ

---

١ – انْظُرْ تَرْجَمَةَ ابنِ حَزْمٍ في: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م١/١٦٧–١٨٠؛ الضَبِّيّ"**بُغْيَة المُلْتَمِس**" ٢/٥٤٣–٥٤٥؛ عَبد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِيّ "**المُعْجِب**" ص٤٦–٤٩؛ ابن الأَبَّار "**التَّكْمِلَة**"١/٢٨٦– ٢٨٧؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٣/٣٢٥–٣٣٠؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" ١٨/١٨٤–٢١١؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ "**شَذَرَات الذَّهَب**" ٢/٢٩٩– ٣٠٠؛ المَقَّرِيّ "**نَفْح الطِّيبِ**" ٢/٢٩٢–٣٠٠ .

٢ – انْظُرْ: الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"١٨/١٨٤؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٣/٣٢٥ .

٣ – انْظُرْ: الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"١٨/١٨٥ .

٤ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م١/١٦٧؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"١٨/١٨٨ .

٥ – انْظُرْ: الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"١٨/١٨٦ .

٦ – انْظُرْ: ابن الأَبَّار "**التَّكْمِلَة**"١/٢٨٧ .

٧ – انْظُرْ: الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" ١٨/١٨٦

٨ – انْظُرْ: ابن الأَبَّار "**التَّكْمِلَة**" ١/٢٨٧ .

٩ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م١/١٧٢؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"١٨/١٨٨ .

١٠ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ق١،م١/١٦٧–١٦٨؛ نَفْسُهُ ١٨/١٨٦ .

فِي الخِطَابِ،وَكَانَ كَثِيرَ الوُقُوعِ فِي العُلَمَاءِ المُتَقَدِّمِينَ لا يَكَادُ أَحَدٌ يَسْلَمُ مِنْ لِسَانِهِ(١)،وَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي الوَلِيدِ البَاجِيِّ مُنَاظَرَاتٌ وَمُنَافَرَاتٌ(٢)،وَقَالُوا:كَانَ لِسَانُ ابنِ حَزْمٍ وَسَيْفُ الحَجَّاجِ شَقِيقَيْنِ(٣).فَنَفَرَتْ عَنْهُ القُلُوبُ،وَبَغَضَهُ فُقَهَاءُ وَقْتِهِ وَرَدُّوا قَوْلَهُ وَأَجْمَعُوا عَلَى تَضْلِيلِهِ وَشَنَّعُوا عَلَيْهِ وَحَذَّرُوا سَلاطِينَهُمْ مِنْ فِتْنَتِهِ،وَنَهَوْا عَوَامَّهُمْ عَنِ الدُّنُوِّ إِلَيْهِ،فَأَقْصَتْهُ المُلُوكُ وَشَرَّدَتْهُ عَنْ بِلادِهِ، فَمَاتَ سَنَةَ ٤٥٦هـ عَنْ وَاحِدَةٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً مُشَرَّدًا عَنْ بَلَدِهِ بِبَادِيَةِ لَبلَة،وَأُحْرِقَتْ مُجَلَّدَاتٌ مِنْ كُتُبِهِ بِإِشْبِيلِيَة،ومُزِّقَتْ عَلانِيَّةً(٤)،وَتَصَانِيفُهُ كَثِيرَةٌ فِي الفِقْهِ وَالحَدِيثِ وَالأُصُولِ وَالنِّحَلِ وَالمِلَلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّارِيخِ وَالنَّسَبِ وَالأَدَبِ وَالرَّدِّ عَلَى المُخَالِفِينَ.وعَنْ ابنِهِ الفَضْلِ أَنَّهُ اجْتَمَعَ عِنْدَهُ بِخَطِّ أَبِيهِ نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةِ مُجَلَّدٍ تَشْتَمِلُ عَلَى قَرِيبٍ مِنْ ثَمَانِينَ أَلْفَ وَرَقَةٍ،مِنْهَا "الفِصَلِ فِي المِلَلِ وَالنِّحَلِ" فِي مُجَلَّدَيْنِ كَبِيرَيْنِ،وَ"الرَّدّ عَلَى مَنِ اعْتَرَضَ عَلَى الفِصَلِ" وَ"المُحَلَّى" فِي ثَمانِيَةِ مُجَلَّداتٍ وَ"جَمْهَرَة أَنْسَابِ العَرَبِ" وَ"رِسَالَة فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ نَغْرِيلَّةَ اليَهُودِيِّ"(٥).

١ـ عَلاقَةُ ابْنِ حَزْمٍ بِاليَهُودِ :

لَمْ يَكُنِ ابنُ حَزْمٍ يَعْرِفُ اللُّغَةَ العِبْرِيَّةَ،أَوْ أَنَّ مَعْرِفَتَهُ بِهَا قَلِيلَةٌ،وَدَلِيلُ ذَلِكَ فِي "الفِصَلِ" حَيْثُ قَالَ:"ولَقَدْ أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَهْلِ البَصَرِ بِالعِبْرَانِيَّةِ"(٦)،لَكِنَّهُ كَانَ يُجَالِسُ اليَهُودَ وَيُنَاظِرُهُمْ، وَأُشِيرَ فِي الكُتُبِ إِلَى صَدَاقاتٍ لَهُ مَعَ اليَهُودِ؛فَكَانَ لَهُ صَدِيقٌ يَهُودِيٌّ يَتَرَدَّدُ عَلَى دُكَانِهِ بِالمَرِيَّةِ ذَكَرَهُ فِي "طَوْق الحَمَامَةِ" وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ بنُ يُونُسَ الطَّبِيبُ الإِسْرَائِيلِيُّ،وَقَالَ إِنَّهُ كَانَ بَصِيرًا بِالفِرَاسَةِ مُحْسِنًا لَهَا(٧)،وفِي "الفِصَلِ" كَذَلِكَ ذَكَرَهُ وَوَصَفَهُ بِالأَعْوَرِ مَرَّةً وَأُخْرَى بِأَنَّهُ ابنُ القَرَّادِ وَلَعَلَّهَا القَرَّاءُ،وَكَانَ يُحاوِرُهُ فِي أُمُورِ الدِّيَانَاتِ كَمَا يَظْهَرُ فِي قَوْلِهِ:"وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بنُ يُونُسَ الأَعْوَرُ الطَّبِيبُ اليَهُودِيُّ تَدُلُّ أَقْوَالُهُ وَمُنَاظَرَاتُهُ دِلالَةً صَحِيحَةً عَلَى .... وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بنُ القَرَّادِ

١ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م١/١٦٧؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"١٨/١٨٦–١٨٧ .

٢ – انْظُرْ: الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" ١٨/١٩٨ .

٣ – انْظُرْ: الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"١٨/١٩٩؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٢/٣٠٠ .

٤ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م١/١٦٨؛الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"١٨/١٩٨، وَلَبْلَةَ (بِفَتْحِ اللامَيْنِ والباء) مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ فِي الجَنُوبِ الغَرْبِيِّ مِنَ الأَنْدَلُسِ .   انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ "**مُعْجَمُ البُلْدَان**" ٥٠٧–٥٠٨ .

٥ – قَالُوا إِنَّ هَذَا شَيْءٌ مَا كَانَ لأَحَدٍ فِي مُدَّةِ الإِسْلامِ قَبْلَهُ إلا ابنُ جَرِيرٍ الطَبَرِيِّ؛ فَإِنَّهُ أَكْثَرُ أَهْلِ الإِسْلامِ تَصْنِيفًا .
انْظُرْ: عَبد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِيّ"**المُعْجِب**" ص ٤٧؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"١٨/١٨٧ .

٦ – "**الفِصَل فِي المِلَلِ وَالأَهْوَاءِ وَالنِّحَلِ**" ١/١٤٢ .

٧ – انْظُرْ: ابْن حَزْمٍ"**طَوْق الحَمَامَةِ**"ص ١٩،"**رَسَائِلُهُ**" ١/١١٤ .

الطَّبِيبُ اليَهُودِيُّ يَذْهَبُ إِلَى هَذَا القَوْلِ يَقِينًا،وَقَدْ نَاظَرْنَا عَلَيْهِ مُصَرِّحًا بِهِ"(١).وَيَقُولُ ابنُ حَيَّانَ إِنَّهُ كَثُرَتْ مُنَاظَرَاتُهُ مَعَ اليَهُودِ، وَتَعَدَّدَتْ حَتَّى كَانَ لَهُ مَعَ اليَهُودِ مَجَالِسُ مَحْفُوظَةٌ(٢) .

وَأَحْيَانًا كَانَ ابْنُ حَزْمٍ يُنَاظِرُ اليَهُودَ دُونَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى التَّوْرَاةِ،لِقَوْلِهِ "وَكَمْ عَرَضَ لَنَا هَذَا مَعَ عُلَمَائِهِمْ فِي مُنَاظَرَاتِنَا لَهُمْ قَبْلَ أَنْ نَقِفَ عَلَى نُصُوصِ التَّوْرَاةِ"(٣)،وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ اطَّلَعَ عَلَى التَّوْرَاةِ مُتَأَخِّرًا عَنْ مُنَاظَرَاتِهِ تِلْكَ.ويبدُو مِنْ كلامِهِ أَنَّهُ كَانَ مِنْهَا نُسَخٌ مُتَرْجَمَةٌ وَتَرْجَمَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ،وَلَمْ تَكُنْ تَرْجَمَةٌ وَاحِدَةٌ مُعْتَمَدَةٌ لقَوْلِهِ:"وَرَأَيْتُ فِي نُسْخَةٍ أُخْرَى مِنْهَا"(٤)،فَذَكَرَ نَصًّا مُغَايِرًا لآخَرَ وَجَدَهُ أَوْ سَمِعَ عَنْهُ فِي إِحْدَى النُّسَخِ،وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ اطَّلَعَ عَلَى نُسْخَةٍ واحدَةٍ مِنَ التَّوْرَاةِ عَلَى الأَقَلِّ وَصْفُ ابنِ حَزْمٍ لَهَا بِدِقَّةٍ بِقَوْلِهِ:"وإِنَّمَا هِيَ مِقْدَارُ مِائَةِ وَرَقَةٍ وَعَشْرَةِ أَوْرَاقٍ فِي كُلِّ صَفْحَةٍ مِنْهَا ثَلاثَةٌ وَعِشْرونَ سَطْرًا إِلَى نَحْوِ ذَلِكَ بِخَطٍّ هُوَ إِلَى الانْفِسَاحِ أَقْرَبُ،يَكُونُ فِي السَّطْرِ بِضْعُ عَشْرَةِ كَلِمَةٍ"(٥).وَحِينَ تَحَدَّثَ ابنُ حَزْمٍ عَنْ أَسْفَارِ التَّوْرَاةِ اسْتَعْمَلَ أَسْمَاءً مُعَرَّبَةً مِثْلَ سِفْرِ التَّكْرَارِ بَدَلَ التَّثْنِيَةِ(٦)،كَمَا أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ الأَسْمَاءَ العِبْرِيَّةَ،وَهَذَا قَدْ يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَةٍ قَلِيلَةٍ بِهَا،فَهُوَ يَقُولُ:وَأَمَّا الكُتُبُ التِي يُضِيفُونَهَا إِلَى سُلَيْمَان فَهِيَ ثَلاثَةٌ وَاحِدُهَا يُسَمَّى [شِير هَشِيرِيم שר השירים] وَمَعْنَاهُ شِعْرُ الأَشْعَارِ،وَالثَّانِي يُسَمَّى [مَثْلاً משל] مَعْنَاهُ الأَمْثَالُ،وَالثَّالِثُ يُسَمَّى [قوهلث קוהל] أَي الجَوَامِع(٧)،وَلَمْ تَكُنْ كِتَابَةُ الأَسْمَاءِ العِبْرِيَّةِ دَقِيقَةً،ويُرجِعُ إِحْسَانُ عَبَّاس التَّحْرِيفَ فِي كِتَابَتِهَا لِجَهْلِ النُّسَّاخِ وأَنَّ ابنَ حَزْمٍ كَانَ يَعْرِفُ الوَجْهَ الصَّحِيحَ لَهَا(٨)،إلا أَنَّنِي أُرَجِّحُ أَنَّ ابنَ حَزْمٍ أَخْطَأَ بِهَا لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ العِبْرِيَّةَ .

وَيَبْدُو أَنَّ ابنَ حَزْمٍ قَدِ اطَّلَعَ كَذَلِكَ عَلَى كُتُبِ وَشُرُوحِ اليَهُودِ لِلتَّوْرَاةِ،لكِنَّهُ لَمْ يُسَمِّهَا بَلْ اكْتَفَى بِالإِشَارَةِ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ:"وَفِي بَعْضِ كُتُبِهِمْ"أَوْ "وَفِي بَعْضِ كُتُبِهِمُ المُعَظَّمَةِ"(٩)،وأَشَارَ كَذَلِكَ إِلَى أَخْذِهِ مِنْ أَسْفَارِ التَّلْمُودِ،الذي عَرَّفَهُ بِقَوْلِهِ إِنَّهُ مُعَوَّلُهُمْ وَعُمْدَتُهُم فِي فِقْهِهِمْ وَأَحْكَامِ دِينِهِمْ وَشَرِيعَتِهِمْ وَهُوَ مِنْ أَقْوَالِ أَحْبَارِهِمْ بِلا خِلافٍ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ،ثُمَّ سَمَّى اثْنَيْنِ مِنْ كُتُبِ التَّلْمُوذِ،كَمَا كَانَ يُسَمِّيهِ،

---

١ – انْظُرْ: ابْن حَزْمٍ"**الفِصَل فِي المِلَلِ وَالأَهْوَاءِ وَالنِّحَلِ**" ١/ ٦٣٢ .

٢ – انْظُرْ: ابن بَسَّامٍ "**الذَّخِيرَة**" ق١،م١/١٧٠ .

٣ – "**الفِصَل فِي المِلَلِ وَالأَهْوَاءِ وَالنِّحَلِ**" ١/٢١٣ .

٤ – نَفْسُهُ ١/١٢١ .

٥ – نَفْسُهُ ١/١٨٧ .

٦ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ١/١٩٨ .

٧ – انْظُرْ: ١/٢٠٧ – ٢٠٨ .

٨ – انْظُرْ: ابن حَزْمٍ "**رَسَائِلُهُ**" ٣/١٦ .

٩ – انْظُرْ:"**الفِصَل فِي المِلَلِ وَالأَهْوَاءِ وَالنِّحَلِ**" ١/٢١٧ – ٢١٩ .

وَهُمَا شِعْرِ تُومَا وَسَادِرِ نَاشِيمْ[١]،وَظَهَرَ فِي "الفِصَلِ" أَنَّهُ قَرَأَ كَذَلِكَ تَارِيخِ يوسيفوس الذِي كَانَ يُسَمِّيهِ تَارِيخَ يُوسُفَ بنِ هَارُونَ الهَارُونِيِّ[٢]،وَلا بُدَّ أَنَّهُ عَرَفَ شَيْئًا عَنِ عُلُومِ اليَهُودِ وأَحْوَالِهِم بِالاخْتِلاطِ وَالمُجَاوَرَةِ وَالمُشَاهَدَةِ.

وَمِنَ المُلاحَظِ أَنَّ مُطَالَعَاتِهِ لِكُتُبِ اليَهُودِ كَانَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَشَرِيعَةِ اليَهُودِ،فَكَرَّسَ كَثِيرًا مِنْ جُهُودِهِ لإِثْبَاتِ التَّحْرِيفِ وَالتَّنَاقُضِ وَالتَّبْدِيلِ عَلَى التَّوْرَاةِ بَعْدَ أَنْ دَرَسَهَا دِرَاسَةً مُسْتَأْنِيَةً مِمَّا جَعَلَ إِحْسَانُ عَبَّاس يَعُدُّهُ رَائِدَ ابنِ خَلْدُونَ فِي المَنْهَجِ الذِي اتَّبَعَهُ فِي نَقْدِ الخَبَرِ التَّارِيخِيِّ[٣].

٢- دَوْرُ ابنِ حَزْمٍ فِي التَّحْرِيضِ عَلَى مَقْتَلِ ابنِ نَغْرِيلَّةَ .

بَحَثَ إِحْسَانُ عَبَّاس عَنْ دَوْرِ ابنِ حَزْمٍ فِي التَّحْرِيضِ عَلَى مَقْتَلِ الوَزِيرِ؛فرَأَى أَنَّ الكِتَابَ الذِي صَدَرَ عَنْ ابْن نَغْرِيلَّةَ كَانَ أَسَاسَ الثَّوْرَةِ عَلَيْهِ بِالإِضَافَةِ إِلَى إِسَاءَاتِهِ الأُخْرَى،ورُبَّمَا كَانَ لِشُيُوعِ رَدِّ ابنِ حَزْمٍ وَرَدِّ عَالِمٍ آخَرَ قَبْلَهُ بَيْنَ النَّاسِ دَوْرٌ آخرُ فِي تَحْرِيكِ النُّفُوسِ ضِدَّهُ،ثُمَّ تَوَّجَتِ الصَّيْحَةُ التَّحْرِيضِيَّةُ مِنَ الإِلْبِيرِيِّ هَذَا التَّفَاعُلَ الذي حَرَّكَ مَشَاعِرَ الثَّائِرِينَ.ولِيُؤَكِّدَ إِحْسَانُ عَبَّاس هَذَا قَامَ بِحِسَابَاتٍ تاريخيةٍ تُؤَكِّدُ هَذَا؛فَبِمَا أَنَّ يُوسُفَ خَلَفَ أَبَاهُ عَلَى الوزَارَةِ سَنَةَ ٤٥٠هـ أو التِي بَعْدَهَا،فقَدْ يَقْتَرِنُ تَطَاوُلُهُ عَلَى القُرْآنِ،كَمَا يَرَى عَبَّاس،بِشُمُوخِ نَفْسِهِ فِي ارْتِقَائِهِ إِلَى خُطَّةِ الوِزَارَةِ؛ أَيْ أَنَّهُ كَتَبَ ذَلِكَ بَيْنَ عَامَيْ ٤٥٠-٤٥٥هـ،وأَنَّ رِسَالَتَهُ كَانَتْ مَعْرُوفَةً قَبْلَ سَنَةِ ٤٥٦هـ وهي السَّنَةُ التِي تُوُفِّيَ فِيهَا ابنُ حَزْمٍ.وَابْنُ حَزْمٍ لَمْ يَظْفَرْ بِرِسَالَةِ ابنِ نَغْرِيلَّةَ وإِنَّمَا ظَفَرَ بِرَدٍّ عَلَيْهَا،وَهَذَا رُبَّمَا دَلَّ عَلَى أَنَّ الزَّمَنَ بَيْنَ كِتَابَتِهِ تِلْكَ الرِّسَالَةِ وَصُدُورِ رِسَالَةِ ابنِ حَزْمٍ قَدْ تَطَاوَلَ.وَلَعَلَّ تَارِيخَ رَدِّ ابنِ حَزْمٍ لا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ بَيْنَ سَنَتَي ٤٥٣-٤٥٥هـ، وَبِذَا يَكُونُ هَذَا الكِتَابُ الذِي صَدَرَ عَنْ ابْن نَغْرِيلَّةَ أَسَاسَ الثَّوْرَةِ عَلَيْهِ[٤].

٣- رِسَالَةُ ابنِ حَزْمٍ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ نَغْرِيلَّةَ .

كَتَبَ ابنُ حَزْمٍ رِسَالَةً طَوِيلَةً يَرُدُّ فِيهَا عَلَى مَزَاعِمِ الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ ابنِ نَغْرِيلَّةَ،بَدَأَهَا ابنُ حَزْمٍ بِحَمْدِ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ والصَّلاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ،وَقَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ بِمُخَاطَبَةِ ابن نَغْرِيلَّةَ،**شَكَا إِلَى الله حالَ حُكَّامَ المُسْلِمِينَ حَولَهُ** لأَنَّهُم مَكَّنُوا اليَهُودَ وأَهلَ الذِمَّةِ مِنَ المُسْلِمِينَ،بِضَعْفِهِم وَانشغالِهِم بالتَّرَفِ واللهْوِ،فقَالَ:"اللهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ تَشَاغُلَ أَهْلِ المَمَالِكِ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِنَا بِدُنْيَاهُمْ عَنْ إِقَامَةِ دِينِهِم، وَبِعَمَارَةِ قُصُورٍ يَتْرُكُونَهَا عَمَّا قَرِيبٍ عَنْ عَمَارَةِ شَرِيعَتِهِم اللازِمَةِ لَهُمْ فِي مَعَادِهِمْ وَدَارِ قَرَارِهِمْ،

---

١ – انْظُرْ:"**الفِصَل فِي المِلَلِ وَالأَهْوَاءِ وَالنِّحَلِ**" ٢١٨/١ .

٢ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ٩٩/١ .

٣ – ابن حَزْمٍ "**رَسَائِلُهُ**" ؛"رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ النَّغْرِيلَّة اليَهُودِيِّ" ١٧/٣ [المُقَدِّمَة] .

٤ – انْظُرْ: نَفْسُهُ ١٩/٣ .

وَبِجَمْعِ أَمْوَالٍ رُبَّمَا كَانَتْ سَبَبًا إِلَى انْقِرَاضِ أَعْمَارِهِمْ وَعَوْنًا لأَعْدَائِهِمْ عَلَيْهِمْ،وَعَنْ حِيَاطَةِ[1] مِلَّتِهِمْ الَّتِي بِهَا عَزُّوا فِي عَاجِلَتِهِمْ وَبِهَا يَرْجُونَ الفَوْزَ فِي آجِلَتِهِم حَتَّى اسْتَشْرَفَ لِذَلِكَ أَهْلُ القِلَّةِ وَالذِّمَّةِ،وَانْطَلَقَتْ أَلسِنَةُ أَهْلِ الكُفْرِ وَالشِّرْكِ بِمَا لَوْ حَقَّقَ النَّظَرَ أَرْبَابُ الدُّنْيَا لاهْتَمُّوا بِذَلِكَ ضِعْفَ هَمِّنَا،لأَنَّهُمْ مُشَارِكُونَ لَنَا فِيمَا يَلْزَمُ الجَمِيعَ مِنَ الامْتِعَاضِ لِلدِّيَانَةِ الزَّهْرَاءِ وَالحَمِيَّةِ لِلمِلَّةِ الغَرَّاءِ،ثُمَّ هُمْ مُتَرَدُّونَ بِمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ إِهْمَالُ هَذَا الحَالِ مِنْ فَسَادِ سِيَاسَتِهِم وَالقَدْحِ فِي رِيَاسَتِهِم،فَلِلأَسْبَابِ أَسْبَابٌ،وَلِلمَدَاخِلِ إِلَى البَلاءِ أَبْوَابٌ،وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ"[2]،وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ **فِئَةَ اليَهُودِ هَذِهِ قَلِيلَةُ العَدَدِ إلا أَنَّهَا عِصَابَةٌ خَبِيثَةٌ خَطِرَةٌ** تَكِيدُ لِلْمُسْلِمِينَ،ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِبَيْتَيْنِ مِنَ الشِّعْرِ عَلَى خُطُورَةِ الصَّغِيرِ أَحْيَانًا،فَقَالَ: "وَقَدْ قَالَ **عَلِيُّ بنُ العَبَّاسِ**(ت:٢٨٣هـ)[3]: [المجتث]

لا تَحْقِــــــرَنَّ سُـــــــبَيْبًا ... كَــمْ جَــرَّ أَمْــرًا سُــبَيْبُ

وَقَالَ أَبُو **نَصْرٍ ابنُ نُبَاتَةَ** (ت: ٤٠٤هـ)[4]: [المتقارب]

فَــلا تَحْقِــرَنَّ عَــدُوًّا رَمَــاكَ ... وَإِنْ كَانَ فِي سَاعِدَيهِ قِصَرْ

فَــإِنَّ السُّــيوفَ تَجِــذُّ الرِّقَــابَ ... وَتعْجِـزُ عَمَّـا تَنَـالُ الإِبَـرْ

لا سِيَّمَا إِنْ كَانَ العَدُوُّ مِنْ عِصَابَةٍ لا تُحْسِنُ إلا الخُبْثَ مَعَ مَهَانَةِ الظَّاهِرِ فَيَأْنَسُ المُغْتَرُّ إِلَى الضَّعْفِ المَادِيِّ،وَتَحْتَ ذَلِكَ الخَتْلُ وَالخَتْرُ[5]وَالكَيْدُ وَالمَكْرُ،كَاليَهُودِ الذِينَ لا يُحْسِنُونَ شَيْئًا مِنَ الحِيَلِ وَلا آتَاهُمُ اللهُ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ القُوَّةِ وَإِنَّمَا شَأْنُهُمْ الغِشُّ وَالتَّخَابُثُ وَالسَّرِقَةُ،عَلَى التَّطَاوُلِ وَالخُضُوعِ،مَعَ شِدَّةِ العَدَاوَةِ للهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ "[6]،ثُمَّ **أَبْدَى رَأْيَهُ فِي ابنِ نَغْرِيلَّةَ**،فَقَالَ:"وَبَعْدُ، فَإِنَّ بَعْضَ مَنْ تَقَلَّى قَلْبُهُ لِلعَدَاوَةِ لِلإِسْلامِ وَأَهْلِهِ،وذُوِّبَتْ كَبِدُهُ بِبُغْضِهِ الرَّسُولَ ﷺ مِنْ مُتَدَهِّرَةِ[7] الزَّنَادِقَةِ المُتَسَتِّرِينَ بِأَذَلِّ المِلَلِ وَأَرْذَلِ النِّحَلِ مِنَ اليَهُودِ الَّتِي اسْتَمَرَّتْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى المُرْتَسِمِينَ بِهَا،وَاسْتَقَرَّ غَضَبُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى المُنْتَمِينَ إِلَيْهَا،أَطْلَقَ الأَشَـــــــــرُ[8]لِسَـــــــانَهُ،وَأَرْخَى البَطَـــــــــرُ عِنَانَـــــــــهُ[9]،

---

١ – حِيَاطَةَ: حفظ وتَعَهُّد . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [حوط] ٧/٢٧٩

٢ – "ابن حَزْمِ "**رَسَائِلُهُ**" ؛"رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ النَّغْرِيلَّة اليَهُودِيِّ" ٣/٤١ .

٣ – يقصدُ **ابن الرومي** علي بن العبَّاس:مِنْ فُحُولِ شُعَرَاءِ العَصْرِ العَبَّاسِيِّ،كان شَدِيدَ التَّطَيُّرِ مَنْهُومًا فِي الأَكْلِ،وَاشْتُهِرَ بِالرِّثَاءِ وَالهِجَاءِ.

انْظُرْ: ابن الرومي "**دِيوَانُهُ**"١/١٤٦؛ ابن خَلْكَانِ "**وَفَيَات الأَعْيَانِ**"٣/٣٥٨-٣٦٢؛ الذَّهَبِيّ "**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"١٣/٤٩٥-٤٩٦؛ الصَّفدي "**الوَافِي بالوَفَيَاتِ**" ٢١/١١٣- ١٢٣ .

٤ – هُوَ: أَبُو نَصْر عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عُمَرَ **ابنُ نُبَاتَةَ** السَّعْدِيّ(٣١٧- ٤٠٥هـ)،كان شَاعِرًا مجيدًا ،طافَ البِلادَ وَمَدَحَ المُلُوكَ وَالوُزَرَاءِ وَالرُّؤَسَاءَ.وَلَهُ مَدَائِحُ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ، تُوُفِّيَ بِبَغْدَادَ لَهُ ديوانُ شعرٍ . انْظُرْ :الثَّعَالِبِيّ"**يَتِيمَة الدَّهْرِ**"٢/٤٤٧ ؛ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٣/١٩٠-١٩٣؛ الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**"١٧/٢٣٤ – ٢٣٥؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَب**" ٣/١٧٥- ١٧٦؛.

٥ – الخَتْرُ: أَسوأُ الغَدْرِ وَأَقْبَحُهُ. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [ختر] ٤/٢٢٩ .

٦ – ابن حَزْمِ "**رَسَائِلُهُ**" ؛"رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ النَّغْرِيلَّة اليَهُودِيِّ" ٣/٤١ – ٤٢ .

٧ – مُتَدَهِّرَة: مُلْحِدُونَ ،مأخوذ مِنْ قولهم رجل دَهْرِيٌّ أي مُلْحِدٌ لا يؤمن بالآخرة، وَيَقُولُ ببقاء الدهر .

ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [دهر] ٤/٢٩٣ .

٨ – الأَشَرُ : أَشَدُّ البَطَرِ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [أشر] ٤/٢٠ .

٩ – عِنَانَهُ : باطِلَهُ وظُلْمَهُ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [عنن] ١٣/٢٩٠ .

واسْتَشْمَخَتْ لِكَثْرَةِ الأَمْوَالِ لَدَيْهِ نَفْسُهُ المَهِينَةُ،وَأَطْغَى تَوَافُرُ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ عِنْدَهُ هِمَّتَهُ الحَقِيرَةَ، فَأَلَّفَ كِتَابًا قَصَدَ فِيهِ،بِزَعْمِهِ،إِلَى إِبَانَةِ تَنَاقُضِ كَلامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي القُرْآنِ اغْتِرَارًا بِاللهِ تَعَالَى أَوَّلاً،ثُمَّ بِمَلِكٍ ضَعفةٍ ثَانِيًا،وَاسْتِخْفَافًا بِأَهْلِ الدِّينِ بَدْءًا،ثُمَّ بِأَهْلِ الرِّيَاسَةِ فِي مَجَانَةٍ[1] عَوْدًا؛ فَلَمَّا اتَّصَلَ بِي أَمْرُ هَذَا اللَّعِينِ لَمْ أَزَلْ بَاحِثًا عَنْ ذَلِكَ الكِتَابِ الخَسِيسِ لأَقُومَ فِيهِ بِمَا أَقْدَرَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ مِنْ نَصْرِ دِينِهِ بِلِسَانِي وَفَهْمِي وَالذَّبِّ عَنْ مِلَّتِهِ بِبَيَانِي وَعِلْمِي،إِذْ قَدْ عَدِمَهَا.وَالمَشْكَى إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَوُجُودُ الأَعْوَانِ وَالأَنْصَارِ عَلَى تَوْفِيَةِ هَذَا الخَسِيسِ الزِّنْدِيقِ المُسْتَبْطِنِ مَذْهَبَ الدَّهْرِيَّةِ فِي بَاطِنِهِ المُتَكَفِّنِ بِتَابُوتِ اليَهُودِيَّةِ فِي ظَاهِرِهِ حَقَّهُ الوَاجِبَ عَلَيْهِ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ وَاسْتِيفَاءِ مَالِهُ وسَبْيِ نِسَائِهِ وَوَلَدِهِ،لِتَقَدُّمِهِ طَوْرِهِ وَخَلْعِهِ الصَّغَارَ عَنْ عُنُقِهِ،وَبَرَاءَتِه مِنَ الذِّمَّةِ الحَاقِنَةِ دَمَهُ،المَانِعَةِ مِنْ مَالِهِ وَأَهْلِهِ،وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ"[2]،وَذَكَرَ **أَنَّ سَبَبَ كِتَابَتِه لِهَذِهِ الرِّسَالَةِ عُثُورُهُ عَلَى مُؤَلَّفٍ يَرُدُّ عَلَى مَزَاعِمِ ابْنِ نَغْرِيلَّةَ عَنْ تَنَاقُضِ** القُرْآنِ،فَقَالَ:"فَأَظْفَرَنِي القَدَرُ بِنُسْخَةٍ رَدَّ فِيهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَانْتَسَخْتُ الفُصُولَ التِي ذَكَرَهَا ذَلِكَ الرَّادُّ عَنْ هَذَا الرَذِلِ الجَاهِلِ،وَبَادَرْتُ إِلَى بُطْلانِ ظُنُونِه الفَاسِدَةِ بِحَوْلِ اللهِ تَعَالَى وَقُوَّتِهِ،وَلَعَمْرِي إِنَّ اعْتِرَاضَهُ الذِي اعْتَرَضَ بِهِ لَيَدُلُّ عَلَى ضِيقِ بَاعِهِ فِي العِلْمِ،وَقِلَّةِ اتِّسَاعِهِ فِي الفَهْمِ عَلَى مَا عَهِدْنَاهُ عَلَيْهِ قَدِيمًا،فَإِنَّنَا نَدْرِيهِ عَارِيًا إِلا مِنَ المَخْرَقَةِ،سَلِيمًا إِلا مِنَ الكَذِبِ،صِفْرًا إِلا مِنَ البُهْتِ؛وَهَذِهِ عُقُوبَةُ اللهِ تَعَالَى المُعَجَّلَةُ لِمَنْ سَلَكَ مَسْلَكَ هَذَا الزِّنْدِيقِ اللَّعِينِ مُقَدَّمَةً،أَمَّا مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُ وَلأَمْثَالِهِ مِنَ الخُلُودِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَهُوَ المُقِرُّ لِعُيُونِ أَوْلِيَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ وَفِي ضُرَبَائِهِ،وَبِاللهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ،......"[3]

وَالرِّسَالَةُ طَوِيلَةٌ جِدًّا،ذَكَرَ ابنُ حَزْمٍ فِي الرِّسَالَةِ مَزَاعِمَ ابْنِ نَغْرِيلَّةَ وَرَدَّ عَلَيْهَا مَزْعَمًا مَزْعَمًا مُسْتَشْهِدًا بِالقُرْآنِ الكريم كَثِيرًا،وبِالتَّوْرَاةِ حِينًا.

٤- أَهَمُّ سِمَاتِ رِسَالَةِ ابنِ حَزْمٍ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ نَغْرِيلَّةَ .

الرِّسَالَةُ طَوِيلَةٌ،فِيهَا أَرْبَعٌ وسِتُّونَ فِقْرَةً،قَارَبَتْ ثلاثِينَ صفْحَةً[4]،وتَنْقَسِمُ الرِّسَالَةُ إِلَى قِسْمَيْنِ: الأَوَّلُ مِنْهُمَا عَرَضَ فِيهِ المَزَاعِمَ التِي أَثَارَهَا ابنُ نَغْرِيلَّةَ وَرَدَّ ابنُ حَزْمٍ عَلَيْهَا مَزْعَمًا مَزْعَمًا،وَهَذِهِ عِبَارَةٌ عن ثلاثٍ وثلاثِينَ فِقْرَةِ الأولى وَتَقَعُ فِي ثَمَانِيَةِ فُصُولٍ -كَمَا سَمَّاهَا ابنُ حَزْمٍ-وَلا يَكْتَفِي ابْنِ حَزْمٍ بِالرَّدِّ فَحَسْبُ،بَلْ يَنْتَقِدُ بَعْضَ المَسَائِلِ التِي وَرَدَتْ فِي التَّوْرَاةِ كَأَنَّهُ يريدُ أَنْ يَقُولَ لليَهُودِي: قَبْلَ أَنْ تَقُولَ مَا تَقُولُ عن القُرْآنِ انْظُرْ إِلَى تَوْرَاتِكَ المُحَرَّفَةِ وَمَا بِهَا مِنْ سَخَافَاتٍ.

---

١ – المَجَانَة: أَن لا يُبالِيَ مَا صَنَعَ وَمَا قِيلَ لَهُ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [مجن] ٤٠٠/١٣ .

٢ – ابن حَزْمٍ "**رَسَائِلُهُ**" ؛"رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ النَّغْرِيلَّة اليَهُودِيٍّ" ٤٢/٣ .

٣ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٤ – انْظُر: نَفْسُهُ ٤١/٣ – ٧٠ .

وَنَاقَشَ ابنُ حَزْمٍ فِي القِسْمِ الثَّانِي بَعْضًا مِمَّا يُسَمِّيهِ "الطَّوَامَّ" التِي وَرَدَتْ فِي كُتُبِ اليَهُودِ، وَهُوَ الجَانِبُ الذِي تَوَسَّعَ فِي الحَدِيثِ عَنْهُ كِتَابُ "الفِصَل فِي المِلَلِ وَالأَهْوَاءِ وَالنِّحَلِ"،وَاعْتَذَرَ ابْن حَزْمٍ فِي خِتَامِ الرِّسَالَةِ عَنْ إِيرَادِ شُنَعِ اليَهُود، بِقَوْلِهِ:"قَدْ أَوْرَدْنَا فِي هَذَا الكِتَابِ مِنْ شُنَعِهِم أَشْيَاءَ تقشَعِرُّ مِنْهَا الجُلُودُ،وَلَوْلا أَنَّ اللهَ تَعَالَى نَصَّ عَلَيْنَا مِنْ كُفْرِهِمْ مَا نَصَّ .... لَمَا اسْتَجَزْنَا ذِكْرَ مَا يَقُولُونَ لِشُنْعَتِهِ وَفَظَاعَتِهِ.وَلَكِنَّنَا اقْتَدَيْنَا بِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَيَانِ كُفْرِهِمْ،وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُمْ"[1]. فَكَانَتْ حُجَّتُهُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قصَّ عَلَيْنَا شَيْئًا مِنْ كُفْرِهِمْ،فَاقْتَدَى هُوَ بِكِتَابِ اللهِ فِي ذِكْرِ مَزَاعِمِهِمْ.

يُلاحَظُ عَلَى الرِّسَالَةِ **أُسْلُوبُ المُجَادَلَةِ والحِوارِ**،وَقَدْ يَكُونُ ابنُ حَزْمٍ بهَذَا مُتَأَثِّرًا بِأُسْلُوبِ القُرْآنِ فِي المُحَاوَرَةِ، فَجَاءَ بِمَزَاعِمِ اليَهُودِ ورَدَّ عَلَيْهَا مُرَكِّزًا عَلَى التَّنَاقُضِ فِي أَقْوالِهِم،فَذَكَرَ مِنْ عَجَائِبِهِمْ "قَوْلُهُمْ فِي السِّفْرِ الثَّانِي مِنْ كِتَابِهِمْ (ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو وَسَبْعُونَ رَجُلاً مِنَ المَشَايِخِ،وَنَظَرُوا إِلَى إِلَهِ إِسْرَائِيلَ وَتَحْتَ رِجْلِهِ كَلْبُهُ زُمُرُّدٌ فَيْرُوزِيٌّ)[2].وَفِي بَعْضِ الفُصُولِ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ أَوْ يَعْقُوبُ:(رَأَيْتُ اللهَ مُوَاجَهَةً وَسَلَّمْتُ نَفْسِي)[3]،مَعَ قَوْلِهِمْ إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لمُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ:(مَنْ رَأَى وَجْهِي مِنَ الآدَمِيِّينَ مَاتَ،وَلَسْتَ تَقْدِرُ تَرَانِي،لَكِنْ سَتَرَى مُؤَخَّرِي)[4].فَهَلْ فِي التَّنَاقُضِ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا:مَرَّةً يَقُولُ مَنْ رَأَى وَجْهِي مَاتَ،وَمَرَّةً يَقُولُ رَأَيْتُهُ مُوَاجَهَةً وَسَلَّمْتُ نَفْسِي،وَكُلُّ مَا ذَكَرْنَا فِي كِتَابِهِمُ الذِي يُسَمُّونَهُ "التَّوْرَاةَ" لا فِي نَقْلٍ ضَعِيفٍ وَلا غَيْرِهِ"[5].وقَدْ نَصَّ ابنُ حَزْمٍ عَلَى تَأَثُّرِهِ بِالقُرْآنِ فِي نِهَايَةِ رِسَالَتِهِ بِقَوْلِهِ:"وَلَكِنَّنَا اقْتَدَيْنَا بِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَيَانِ كُفْرِهِمْ،وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُمْ"[6].

وَيُلاحَظُ فِيهَا كَثْرَةُ الأَمْثِلَةِ المُؤَيِّدَةِ لِمَا يَقُولُ،ولأَنَّ الرِّسَالَةَ مُوَجَّهَةٌ لِمَنْ كَتَبَ مَزَاعِمَ عَدِيدَةً عَنِ القُرْآنِ **امتَلأَتْ بالآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ والأَحاديثِ** وهَذَا واضِحٌ فِي كُلِّ الرِّسَالَةِ.كَمَا ظَهَرَ فِيهَا اهتِمَامُ ابنِ حَزْمٍ **بِقواعد اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ**،فَجاءَ فِي الرِّسَالَةِ:"وليعلم أَنَّ إِنْ فِي هَذِهِ الآيةِ لَيْسَتِ التِي بِمَعْنَى الشَّرْطِ،...وإِنَّمَا مَعْنَى "إِنْ" هَا هُنَا الجَحْدُ؛فَهِيَ هُنَا بِمَعْنَى "مَا" وَهَذَا المَعْنَى هُوَ أَحَدُ مَوْضُوعَاتِهَا فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ،كَمَا قَالَ تَعَالَى آمِرًا نَبِيَّهُﷺ أَنْ يَقُولَ(إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[7]بِمَعْنَى مَا أَنَا إلا نَذِيرٌ

---

١ – ابن حَزْمٍ "رَسَائِلُهُ" ؛"رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ النَّغْرِيلَة اليَهُودِيِّ" ٧٠/٣ .

٢ – انظر : **التَّوْراة، سِفر الخروج** ٢ ٩/٤–١٠، يُلاحظُ أَنَّ التَرْجَمَة تَخْتَلِفُ عَنِ التَرْجَمَةِ التي بَيْنَ أَيْدِينَا اليَوْمَ، فَفِيهَا : "ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَرُونَ وَنَادَابَ وَأَبِيهُو وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ.وَرَأَوْا إِلَهَ إِسْرَائِيلَ وَتَحْتَ رِجْلَيْهِ شِبْهُ صَنْعَةٍ مِنَ العَقِيقِ الأَزْرَقِ الشَّفَافِرِ".

٣ – انْظُرْ : **التَّوْراة، سِفر الخروج** ٣ ٢٠/٣ . وَهِيَ : "وَقَالَ لا تَقْدِرُ انْ تَرَى وَجْهِي.لأَنَّ الانْسَانَ لا يَرَانِي وَيَعِيش".

٤ – انْظُرْ : **التَّوْراة، سِفر الخروج** ٣ ٢٣/٣ .وَهِيَ : " ثُمَّ أَرْفَعُ يَدِي فَتَنْظُرُ وَرَائِي.وَأَمَّا وَجْهِي فَلا يُرَى".

٥ – انظُر الرِّسَالَةَ : ابن حَزْمٍ "رَسَائِلُهُ" ؛"رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ النَّغْرِيلَة اليَهُودِيِّ" ٦١/٣ .

٦ – نَفْسُهُ ٧٠/٣ .

٧ – **سُورَةُ الأَعْرَافِ**، آيَة ١٨٨ .

وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ،كَمَا ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الأَنْبِيَاءِ أَنَّهُم قَالُوا(إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ)[١]وَكَمَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ النِّسْوَةِ إِذْ رَأَيْنَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ،فقُلْنَ(إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ)[٢] بِمَعْنَى:مَا هَذَا إلا مَلَكٌ كَرِيمٌ،وَكَمَا قَالَ تَعَالَى(إِن كُنَّا فَاعِلِينَ)[٣]... وَقَوْلُهُ تَعَالَى(وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)[٤]تَهْوِينًا لَهُ،وكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى(قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ)[٥]بمعنى مَا كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الجَاحِدِينَ...فَوَضُحَ جَهْلُ هَذَا المُعْتَرِضِ وَضَعُفَ تَمْيِيزُهُ"[٦].لِذَا كَانَ رَأْيُ ابنِ حَزْمٍ أَنَّهُ:"يَلْزَمُ هَذَا الخَسِيسَ أَنْ لا يَتَكَلَّمَ فِي لُغَةٍ لا يُحْسِنُهَا"[٧].

وَرَكَّزَ ابنُ حَزْمٍ كَثِيرًا عَلَى أَنَّ **التَّوْرَاةَ التِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مُحَرَّفَةٌ مُبَدَّلَةٌ**،فَهَزِئَ مِنْ "هَذَيَانِهِمُ الذِي يُسَمُّونَهُ تَوْرَاةً"[٨]،وَهَزِئَ مِمَّا "يَقْرَأُونَهُ فِي هَذَيَانِهِمُ المُخْتَرَعِ وَوِزْرِهِمُ المُفْتَعَلِ الذِي يُسَمُّونَهُ التَّوْرَاةَ "[٩]،وَمِثْلُهَا قَالَ:"لَوْ تَدبَّرَ مَا فِي كَذِبِهِمُ المُفْتَرَى الذِي يُسَمُّونَهُ التَّوْرَاةَ"[١٠]،وَفِي فِقْرَةٍ أُخْرَى ذكَرَ "مَا فِي بَاطِلِهِمُ المُبْتَدَعِ وَهَجْرِهِمُ المَوْضُوعِ الذِي يُسَمُّونَهُ تَوْرَاةً"[١١]،وكَذَلِكَ "مَا يَفْتَتِحُونَ بِهِ كَذِبَهُمُ المُفْتَرَى وَبُهْتَانَهُمُ المُخْتَلَقَ الذِي يُسَمُّونَهُ التَّوْرَاةَ"[١٢]،وَفِي غَيْرِهَا قَالَ:"لَيْسَ فِي حَمَاقَاتِهِمُ المُبَدَّلَةِ التِي يُسَمُّونَهَا التَّوْرَاةَ ذِكْرُ أَجْرٍ وَلا ثَوَابٍ لِمُحْسِنٍ بَعْدَ المَوْتِ"[١٣].وَفِي أُخْرَى تَحَدَّثَ عنْ "مَا يَقْرَأُونَهُ فِي كُفْرِهِمُ المُبَدَّلِ وَإِفْكِهِمُ المُحَرَّفِ بِأَخْرَقِ تَحْرِيفٍ وَأَنْتَنِ مَعَانٍ...فِي كِتَابِهِ الذِي يُسَمُّونَهُ التَّوْرَاةَ"[١٤]،وأَكَّدَ تَبْدِيلَ تَوْرَاتِهِم بِقَوْلِهِ:"وَالذِي لا شَكَّ فِيهِ عِنْدِي أَنَّ مَنْ بَدَّلَ تَوْرَاتَهُم وَأَدْخَلَ فِيهَا

---

١ – **سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ**، آيَة ١١ .
٢ – **سُورَةِ يُوسُف**، آيَة ٣١ .
٣ – **سُورَةِ الأَنْبِيَاءِ**، آيَة ١٧ .
٤ – **سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ**، آيَة ٤٦ .
٥ – **سُورَةِ الزُّخْرُف**، آيَة ٨١ .
٦ – ابن حَزْمٍ "**رَسَائِلُهُ**" ؛"رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ النَّغْرِيلَة اليَهُودِيِّ" ٥٣/٣ .
٧ – نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.
٨ – نَفْسُهُ ٥٦/٣ .
٩ – نَفْسُهُ " ٤٨/٣ .
١٠ – نَفْسُهُ ٥١/٣ .
١١ – نَفْسُهُ ٥٤/٣ .
١٢ – نَفْسُهُ ٤٦/٣ .
١٣ – نَفْسُهُ ٥٠/٣ .
١٤ – نَفْسُهُ ٤٥/٣ .

مِثْلَ هَذَا،إنَّمَا قَصَدَ إِلَى إبْطَالِ النُّبُوَّةِ جُمْلَةً"[١].وَلَمْ يَقِفِ الأَمْرُ عِنْدَ الاسْتِشْهَادِ بِالقُرْآنِ وَبِتَوْرَاتِهِمْ، بَلِ **اسْتَشْهَدَ بِأَبْيَاتٍ شِعْرِيَّةٍ** ثَلاثَ مَرَّاتٍ وَكَانَتْ لِلمَشَارِقَةِ[٢].

وَأَظْهَرَتِ الرِّسَالَةُ **ثَقَافَةَ ابنِ حَزْمٍ المُنَوَّعَةَ**؛فَاسْتَشْهَدَ فِي الرِّسَالَةِ بِوَصْفَاتٍ طِبِّيَّةٍ لعَمِيدَيْ أَهْلِ الطِّبِّ وهُمَا جَالِينُوس وَبُقْرَاط وَأَشَارَ إِلَى مَنَافِعِ العَسَلِ وَذَكَرَ بَعْضًا مِنْ مَضَارِّهِ[٣]،وَبَعْدَهَا تَحَدَّثَ عَنْ مَنَافِعِ التِّينِ فِي الشِّفَاءِ مِنْ بَعْضِ العِلَلِ[٤].

وَاسْتَهْزَأَ ابنُ حَزْمٍ بِكَثِيرٍ مِنْ مُعْتَقَدَاتِهِم مُوَضِّحًا مَوْطِنَ التَّفَاهَةِ فِيهَا،فَقَالَ:"أَفَيَسُوغُ فِي عَقْلِ مَنْ لَهُ أَدْنَى مُسْكَةٍ[٥]أَنْ يَكُونَ نَبِيٌّ يَعْمَلُ عِجْلاً لِلعِبَادَةِ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَى وَيَأْمُرُ قَوْمَهُ أَنْ يَعْبُدُوا لَهُ،وَيَرْقُصُ هُوَ وَهُمْ تَعْظِيمًا لِلعِجْلِ عَلَى أَنَّهُ إلاهُهُمْ الذِي مِنْ مِصْرَ؟وَإذَا جَازَ أَنْ يَكُونَ عِجْلاً وَثَنًا وَيَعْبُدُونَهُ،جَازَ لِنَبِيٍّ آخَرَ أَنْ يَزْنِي،فَكَيْفَ يَصْدُقُ فِي شَيْءٍ مِنْ كَلامِهِ"[٦].

وَأَظْهَرَتِ رِسَالَةُ ابْنِ حَزْمٍ كَذَلِكَ **شَيْئًا مِنْ عَادَاتِ اليَهُودِ وتَقَالِيدِهِمْ** فذَكَرَ أَنَّ مِنْ عَجَائِبِهِمْ أَنَّهُمْ يَلْتَزِمُونَ أَكْلَ الفَطِيرِ فِي وَقْتٍ مَذْكُورٍ فِي كُلِّ عَامٍ وَلا يَلْتَزِمُونَ أَكْلَ الخَرُوفِ فِيهِ[٧].

وَفِي الحَدِيثِ عن طَوَامِّهِم **عَمَّمَ الحَدِيثَ عَنِ اليَهُودِ،وَنَعَتَهُم بِأَقْبَحِ النُّعُوتِ**،فَقَالَ: "فَمِنْ طَوَامِّهِم أَنَّ عُلَمَاءَهُمْ يَقُولُونَ:إِنَّ أَوْلادَ يَعْقُوبَ لَعَنُوا كُلَّ مَنْ يَنْقُلُ إِلَى أَبِيهِمْ أَنَّ يُوسُفَ حَيٌّ. قَالُوا:فَدَخَلَ اللهُ تَحْتَ هَذِهِ اللعْنَةِ إِذْ أَطْلَعَ يَعْقُوبَ عَلَى حَيَاةِ يُوسُفَ،تَعَالَى اللهُ عَنْ إِفْكِ هَؤُلاءِ المَجَانِينِ وَكُفْرِهِمْ،وَاغَوْثَاهُ مِنْ عَظِيمِ هَذَا الحُمْقِ!أَفَيَكُونُ فِي البَقَرِ وَالحَمِيرِ أَوِ الكِلابِ أَضَلُّ مِنْ قَوْمٍ هَذَا مِقْدَارُ عُقُولِهِمْ،أَنْ يُجِيزُوا أَنْ تَكُونَ لَعْنَةُ مَخْلُوقٍ تَلْحَقُ الخَالِقَ؟"[٨].

وَمِنْ أهمِّ المُلاحظاتِ عَلَى الرِّسَالَةِ **كَثْرَةُ الأَلفَاظِ البَذِيئَةِ والمُهِينَةِ** فِي مُخَاطَبَةِ ابْنِ نَغْرِيلَّةَ؛ فَنَعَتَهُ بِالزِّنْدِيقِ المُسْتَتِرِ بِاليَهُودِيَّةِ[٩]وَبِالزِّنْدِيقِ الجَاهِلِ[١٠]،وَبِالزِّنْدِيقِ المَائِقِ[١١]وَالمَائِقِ

---

١ – ابن حَزْمٍ "**رَسَائِلُهُ**" ؛"رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ النَّغْرِيلّة اليَهُودِيِّ" ٦٢/٣ .

٢ – انْظُرْ : نَفْسُهُ : والأَبْيَاتُ هِيَ : بَيْتٌ لابنِ الرُّومِيّ ٤١/٣، بَيْتَيْنِ لابنِ نُبَاتَةَ ٤٢/٣، وَبَيْتَيْنِ للمُتَنَبِّيّ ٤٥/٣ .

٣ – انْظُر الرِّسَالَةَ : ابن حَزْمٍ "**رَسَائِلُهُ**" ؛"رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ النَّغْرِيلّة اليَهُودِيِّ" ٥٥/٣ .

٤ – انْظُر الرِّسَالَةَ : نَفْسُهُ ٥٥/٣ – ٥٦ .

٥ – مُسْكَةٍ : رأْي وعقل يُرْجَعُ إِلَيْهِ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [مسك] ٤٨٨/١٠ .

٦ – ابن حَزْمٍ "**رَسَائِلُهُ**" ؛"رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ النَّغْرِيلّة اليَهُودِيِّ" ٦٢/٣ .

٧ – انْظُر الرِّسَالَةَ : نَفْسُهُ ٦١/٣ .

٨ – نَفْسُهُ ٥٧/٣ .

٩ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٤٣/٣ .

١٠ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٤٣/٣ ، ٥٠ ، ٥٣، ٥٦ .

١١ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٥٣/٣ .

الجَاهِـلِ(١)وَالمَـائِقِ(٢)وَالجَاهِـلِ المَـائِقِ(٣)وَالأَنْـوَكِ(٤)وَالجَاهِـلِ الأَنْـوَكِ(٥)وَالزِّنْـدِيقِ الأَنْـوَكِ(٦) وَالخَسِيسِ(٧)وَالخَسِيسِ المَـائِقِ(٨)،وَالخَسِيسِ الجَاهِلِ(٩)وَالجَاهِلِ(١٠)وَالجَاهِلِ الشَّـقِيِّ(١١) وَالجَاهِلِ الوَقَّاحِ(١٢)،وَالمَجْنُونِ(١٣)وَالمَجْنُونِ الجَاهِلِ(١٤)وَالوَقِحِ المَجْنُونِ(١٥)،وَالوَقَّاحِ الزِّنْدِيقِ(١٦)،وَقَدْ بَانَ فِيهِ كُلِّهِ زُورُهُ وَجَهْلُهُ وَاغْتِرَارُهُ(١٧)،وَ"جَهْلُهُ أَعْمَى بَصِيرَتَهُ وَطَمَسَ إِدْرَاكَهُ"(١٨).ولَمْ يَفْصِلْهُ عَنْ أَبْنَاءِ مِلَّتِهِ،فَهُوَ "عَمِيدُ اليَهُودِ وَعَالِمُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ،وَهَذَا مَبْلَغُهُ مِنَ الجَهْلِ وَالسُّخْفِ"(١٩).وَقَالَ إِنَّهُ "عَدِيمُ العَقْلِ سَلِيبُ التَّمْيِيزِ مَطْمُوسُ عَيْنِ القَلْبِ ظَلِيمُ الجَهْلِ،...لَمْ يَقْطَعْ دَهْرَهُ إِلا بِالسَّرِقَةِ وَلا أَفْنَى عُمْرَهُ إِلا بِالخِيَانَةِ وَالغِشِّ"(٢٠).

وَجَاءَتْ **أَلفاظُ الرِّسَالَةِ سَهْلَةً وَعلَى مَعَانيهَا الحَقِيقِيَّةِ**؛ تَخْتَفِي مِنْهَا المَعَانِي المَجازِيَّةُ إلا مَا جاءَ فِي بَدْءِ الرِّسَالَةِ وَمَا احْتَوَتْهُ الأَشْعَارُ المُضَمَّنَةُ فِيهَا،وَاسْتَعْمَلَ ابنُ حَزْمٍ أسلوبَ الشرطِ كَثِيرًا، فأكثر مِنَ اسْتِخْدَامِ "لَوْ" فِيهِ،وَامْتَازَتِ الرِّسَالَةُ بِطُولِ العِباراتِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ،مِنْهَا قَوْلُهُ: "لَيْسَ فِي حَمَاقَاتِهِمُ المُبَدَّلَةِ التِي يُسَمُّونَهَا "التَّوْرَاةَ" ذِكْرُ أَجْرٍ وَلا ثَوَابٍ لِمُحْسِنٍ بَعْدَ المَوْتِ وَلا عِقَابٌ لِمُسِيءٍ فِي الدُّنْيَا أَصْلاً وَلا فِي الكُتُبِ التِي يَنْسِبُونَهَا إِلَى أَنْبِيَائِهِمْ مِنْ هَذَا قَلِيلٌ وَلا كَثِيرٌ.فَلَوْ نَظَرَ هَذَا المَجْنُونُ فِيمَا يَنْسِبُونَهُ إِلَى سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي تَصْوِيبِهِ دَاءَ امْرَأَةٍ دَعَتْ لَهُ،فَقَالَتْ:وَلا زَالَتْ أَرْوَاحُ أَعْدَائِكَ يَدُورُ بِهَا الفَلَكُ؛وَهَذَا إِبْطَالُ الثَّوَابِ وَالعِقَابِ إِلا عَلَى مَعْنَى التَّنَاسُخِ لِمَا ذَكَرُوهُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ

---

١ – انْظُرْ : ابن حَزْمٍ "رَسَائِلُهُ" ؛"رِسَالة فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ نَغْرِيلَّةَ اليَهُودِيِّ" ٤٣/٣ ،٤٥ ، ٥٠، ٥٥ .

٢ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٥٦/٣ .

٣ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٤٦/٣ .

٤ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٥٥/٣ ، ٥٦ .

٥ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٥٤/٣ ، ٥٥ .

٦ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٤٤/٣ .

٧ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٥٥/٣ ، ٥٦ .

٨ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٤٨/٣ .

٩ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٤٦/٣ ، ٤٩ .

١٠ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٤٦/٣ ، ٥٥ .

١١ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٥٠/٣ .

١٢ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٤٣/٣ .

١٣ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٤٤/٣، ٥٠، ٥٣، ٦٠ .

١٤ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٥٣/٣ .

١٥ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٥١/٣ .

١٦ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٥٣/٣ .

١٧ – انْظُرْ : نَفْسُهُ ٥٦/٣ .

١٨ – نَفْسُهُ " ٤٣/٣ .

١٩ – نَفْسُهُ ٥٦/٣ .

٢٠ – نَفْسُهُ ٤٨/٣ .

إنَّ هُنَالِكَ نَارًا وَنَعِيمًا؛وَمِثْلُ مَا يَنْسِبُونَهُ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلامُ كَذَلِكَ،أَنَّهُ قَالَ مَرَّةً:إنَّ العَالَمَ لا أَوَّلَ لَهُ، وأنَّهُ قَالَ مَرَّةً أُخْرَى:أَنَا كُنْتُ مَعَ اللهِ تَعَالَى حِينَ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاءَ. فَلَوْ أَنَّ هَذَا الجَاهِلَ الشَّقِيَّ اشْتَغَلَ بِمِثْلِ هَذَا وَتَشْبِيهِهِ مِنْ كَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ لَكَانَ أَوْلَى بِهِ مِنْ تَكَلُّفِ مَا لا يُحْسِنُ وَلا يَدْرِي،مِمَّا قَدْ فَضَحَهُ اللهُ فِيهِ عَاجِلاً،وَيُخْزِيهِ آجِلاً"[١]،وَمِثْلُهَا قَوْلُهُ:"وَلَكِنَّ هَذَا الوَقِحَ المَجْنُونَ لَوْ تَدَبَّرَ مَا فِي كَذِبِهِمُ المُفْتَرَى الذِي يُسَمُّونَهُ "التَّوْرَاةَ" فِي السِّفْرِ الثَّانِي مِنْهُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِمُوسَى بنِ عِمْرَانَ: إِنِّي أَرَى هَذِهِ الأُمَّةَ قَاسِيَةَ الرِّقَابِ،دَعْنِي لأعقبَ غَضَبِي عَلَيْهِمْ لأُهْلِكَهُمْ وَأُقَدِّمَكَ عَلَى أُمَّةٍ عَظِيمَةٍ. ثُمَّ ذَكَرُوا أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ دَعَا رَبَّهُ تَعَالَى وَقَالَ فِي دُعَائِهِ:تَذَكَّرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَإِسْحَاقَ عَبِيدَكَ الذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِذَلِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ سَأُكْثِرُ ذُرِّيَّتَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَأُورِثُهُمْ جَمِيعَ الأَرْضِ التِي وَعَدْتُهُمْ بِهَا وَيَمْلِكُونَهَا أَبَدًا،فَحَنَّ السَّيِّدُ وَلَمْ يُتِمَّ مَا أَرَادَ إِنْزَالَهُ بِأُمَّتِهِ مِنَ المَكْرُوهِ"[٢].

وَجَاءَتِ أَغْلَبُ الأَفْعَالِ فِي الرِّسَالَةِ **بِصِيغَةِ الفِعْلِ المَاضِي فِيمَا قَالَ ابنُ نَغْرِيلَّةَ بينَمَا المُضارِعُ فِي** الحَدِيثِ عَنْ مَا يَقُولُ الطَّوامُ،وكَأَنَّهُ يُرِيدُ القَوْلَ إِنَّ ابْنَ نَغْرِيلَّةَ قَالَ مَا قَالَ عَنِ القُرْآنِ وَسَيَنْتَهِي قَوْلُهُ بِهَذَا الرَّدِّ المُفْحِمِ،لَكِنَّ أقوالَ الطَّوامِ يَتَوَارَثُهَا اليَهُودُ جِيلاً بعدَ جِيلٍ وَلا يَسْتَطِيعُ ابنُ حَزْمٍ إِيقَافَ أَقْوَالِهِمْ لأَنَّهَا مِنْ صَمِيمِ دِينِهِمْ رُغْمَ تَنَاقُضِهَا الوَاضِحِ،ورُغْمَ سُخْفِهَا.

وَتَكَادُ رِسَالَةُ ابْنِ حَزْمٍ تَقْتَرِبُ فِي أُسْلُوبِهَا مِنْ **أُسْلُوبِ النَّثْرِ التَّأْلِيفِيِّ الذِي تُكتَبُ فِيهِ المُؤَلَّفَاتُ الدِّينِيَّةُ وَالعِلْمِيَّةُ**؛فقدِ اعْتَمَدَ عَلَى الأَفْكَارِ الوَاضِحَةِ وَالأَدلَّةِ وَالبَرَاهِينِ المُؤَيِّدَةِ،وَابتَعَدَ عَنِ الصُّوَرِ البَيَانِيَّةِ وَالتَّشْبِيهَاتِ،كَمَا ابتَعَدَ عَنْ فُنُونِ البَدِيعِ التِي كَانَتْ شَائِعَةً فِي كِتَابَةِ الرِّسَالَةِ.

كَمَا أَنَّ مناقَشَةَ اليَهُودِ فِي دِينِهِم كَانَتْ وارِدَةً عِنْدَ الأَنْدَلُسِيِّينَ،وَأَنَّهَا لَمْ تَقِفْ عِنْدَ الرَّسَائِلِ كَمَا حَصَلَ مَعَ ابْنِ حَزْمٍ،بَلْ وُضِعَتْ مُؤَلَّفَاتٌ تُشِيرُ إِلَى هَذَا الصِّرَاعِ الدَّائِرِ بَيْنَ أَصْحَابِ الدِّيَانَاتِ فِي الأَنْدَلُسِ؛يَذْكُرُ ابنُ الخَطِيبِ مَثَلاً فِي "الإِحَاطَةِ" فِي تَرْجَمَتِهِ لمُحَمَّدِ بن عَلِيٍّ الشَّقُورِيِّ أَنَّ لَهُ كتابًا بعُنْوَانِ "قَمْعُ اليَهُودِ عَنْ تَعَدِّي الحُدُودِ" قَالَ ابنُ الخَطِيبِ إِنَّ صَاحِبَهُ "أَحْسَنَ فِيهِ مَا شَاءَ"[٣].

ثَالِثًا :- الأَدِيبُ اليَهُودِيُّ ابْنُ حَسْدَاي .

كَانَ ابْنُ حَسْدَايٍ مِنَ الأُدَبَاءِ اليَهُودِ الذِينَ كَتَبُوا بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ فَكَانَ لَهُ دُورٌ كبيرٌ فِي إِظْهَارِ اليَهُودِ،وسَبَقَتْ الترجَمَةُ لَهُ بينَ شُعَرَاءِ الأَنْدَلُسِ، كَمَا تحدَّثَ البحثُ باستِفَاضَةٍ عنْ دَوْرِهِ فِي النَّثْرِ الحَدِيثِ عن رَسَائِلِهِ .

---

١ – ابن حَزْمٍ "رَسَائِلُهُ" ؛"رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ النَّغْرِيلَّةِ اليَهُودِيِّ" ٥٠/٣ .

٢ – نَفْسُهُ ٥١/٣

٣ – ابن الخَطِيب "**الإِحَاطَةُ**" ١٧٩/٣ .

الخَاتِمَة

في هَذَا البَحْثِ عَنِ اليَهُودِ وَأَثَرِهِمْ فِي الأَدَبِ العَرَبِيِّ فِي الأَنْدَلُسِ، تَوَصَّلَ البَحْثُ إِلى نَتَائِجَ عَدِيدَةٍ، مِنْهَا :

١- اخْتِفَاءُ الحَدِيثِ المُطَوَّلِ عَنِ اليَهُودِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِم مِنْ شِعْرٍ أَوْ نَثْرٍ فِي المَصَادِرِ ؛ فَقَدْ أَغْفَلَتِ المَصَادِرُ الحَدِيثَ عَنِ اليَهُودِ وَتَجَاهَلَتْهُم عَمْدًا،فِي الوَقْتِ الذِي رَكَّزَتْ عِنَايَتَهَا عَلَى كُلِّ مَا كَانَ عَرَبِيًّا أَوْ لَهُ علاقةٌ وَثِيقَةٌ بالعَرَبِ.وَحِينَ جاءَ ذِكْرُهُمْ كَانَ شَذَرَاتٍ تظهَرُ فِي السَّرْدِ العَامِ لِلأَحْدَاثِ التِي رَافَقَتْ عِلْيَةَ القَوْمِ. رافَقَ هَذَا طُغْيَانُ نَظْرَةِ اسْتِخْفَافٍ بِاليَهُودِ عَلَى مُعْظَمِ المَصَادِرِ التِي ذَكَرَتْهُمْ. وَظَهَرَ هَذَا فِي عِبَارَاتِ اللعْنَةِ التِي كَانَتْ تُذكَرُ تَالِيَةً لأَسْمَائِهِم فِي كَثِيرٍ مِنَ المَصَادِرِ.

٢- ظُهُورُ دَوْرٍ لِليَهُودِ مَعَ المُتَمَرِّدِينَ وَالثَّائِرِينَ عَلَى مَمَالِكِ دَوْلَةِ الإِسْلامِ فِي الأَنْدَلُسِ.

٣- نَالَ اليَهُودُ حُرِّيَّةً كَبِيرَةً في المُجْتَمَعِ الإِسْلامِيِّ فِي الأَنْدَلُسِ؛ فَتَوَلَّوْا الوَظَائِفَ الرَّسْمِيَّةَ الهَامَّةَ مِنْهَا الكِتَابَةُ وَالسِّفَارَةُ،حتَّى إِنَّهُم وَصَلُوا إِلى قِمَّةِ الهَرَمِ الاجْتِمَاعِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ بِوُصُولِهِم إِلى رِئَاسَةِ الوُزَرَاءِ أَحيانًا، كَمَا تَمَتَّعَتِ الطَّائِفَةُ اليَهُودِيَّةُ بِالحُرِّيَةِ الدِّينِيَّةِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى دُخُولِ بَعْضِ يَهُودِ الأَنْدَلُسِ فِي الإِسْلامِ.

٤- نَالَ اليَهُودُ في الأَنْدَلُسِ تَعْلِيمًا جَيِّدًا سَوَاءٌ فِي مَدَارِسِهِمُ الدِّينِيَّةِ أَوْ مَعَ الطُّلابِ الأَنْدَلُسِيِّينَ المُسْلِمِينَ، وَشَارَكُوا فِي كَثِيرٍ مِنْ مَنَاحِي الحَيَاةِ الثَّقَافِيَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ لِتَمَكُّنِهِمْ مِنْ عُلُومِ عَصْرِهِمْ، وَعَلَى رَأْسِهَا الطِّبُّ وَالفَلَكُ وَالتَّنْجِيمُ.

٥- كَانَ لابنِ نَغْرِيلَّةَ وابنِ حَسْدَايَ الوَزِيرَيْنِ اليَهُودِيَّيْنِ أَثَرٌ فِي الشِّعْرِ وَالنَّثْرِ وَفِي اجْتِلابِ الأُدَبَاءِ إِلى بَلاطِهِمَا.

٦- تكْرَارُ لفظِ "القِرْدِ" أَوِ "الخِنْزِيرِ" وَ"الأَنْذَالِ" وَ"العُلُوجِ" فِي السُّخْرِيَةِ مِنَ اليَهُودِ فِي الأَدَبِ الأَنْدَلُسِيِّ، وَكَانَ نَعْتُ اليَهُودِ بالقُرُودِ أَكْثَرَ مِنْ نَعْتِهِمْ بِأَيِّ شَيءٍ آخَرَ فِي الهِجَاءِ،وَأَحْيَانًا كَانَ يَأْتِي لَفْظُ "القِرْدِ" مُفْرَدًا،وَأَحْيَانًا كَانَ يَأْتِي مَعَ صِفَةٍ تَزِيدُ مِنْ قُبْحِهِ وَمِنَ البَذَاءَةِ فِيهِ.

٧- ظُهُورُ اليَهُودِ فِي شِعْرِ الفِتَنِ وَالمَذَابِحِ،وخَيْرُ مِثَالٍ على هَذَا كَانَتْ نُونِيَّةُ أَبِي إِسْحَاقَ الإِلْبِيرِيِّ التِي بَلَغَتْ وَاحِدًا وَسِتِّينَ بَيْتًا حيثُ كَانَتْ دَعْوَةً صَرِيحَةً لِذَبْحِ يَهُودِ غَرْنَاطَةَ، وَتَتَّفِقُ المَصَادِرُ عَلَى أَنَّ الإِلْبِيرِيَّ قَالَهَا فِي ابنِ نغْرِيلَّةَ الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ.

٨- كَانَ السَّامِرِيُّ وَيُوشَعُ بنُ نُونٍ وَبَلْعَامُ وَالسَّمَوْأَلُ أَشْهَرَ أَعْلامِ اليَهُودِ بالأَدَبِ الأَنْدَلُسِيِّ.

٩- يُعَدُّ ابنُ سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ وَأَبُو الفَضْلِ بنُ حَسْدَايَ أَشْهَرَ أُدَبَاءِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ، وظَهَرَتْ لَهُمْ بَعْضُ النُّصُوصِ في المَصَادِرِ.وجَاءَتِ الإِشَارَةُ إِلى آخَرِينَ مِنهم لكِنْ لَمْ تحتفِظْ لهم المَصَادِرُ بِقِطَعٍ شِعْرِيَّةٍ أَوْ نَثْرِيَّةٍ كَثِيرَةٍ،وَبَعضُهُم كَانَ يُذْكَرُ اسْمُهُ دُونَ إِثْبَاتِ أَيِّ شَيْءٍ مِنْ أَدَبِهِ .

١٠- رَسَائِلُ ابْنِ حَسْدَايَ مِثَالٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ اليَهُودَ فِي الأَنْدَلُسِ كَانُوا عَلَى عِلْمٍ وَاسِعٍ بِالقُرْآنِ الكَرِيمِ وَالأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَعُلُومِ العَرَبِيَّةِ وَآدَابِهَا، وَأَنَّ بَعْضَ اليَهُودِ كَانُوا عَلَى ثَقَافَةٍ وَاسِعَةٍ مُتَنَوِّعَةٍ .

وَبِنَاءً عَلَى هَذِهِ النَّتَائِجِ يَتَقَدَّمُ البَحْثُ بِبَعضِ التَّوْصِياتِ لِلبَاحِثِينَ مِنْهَا:

الخَاتِمَة

١- أنْ يُولِيَ البَاحِثُونَ المُهْتَمُّونَ بِالأَدَبِ فِئَةَ اليَهُودِ اهتِمَامًا بِالبَحْثِ في المَخْطوطاتِ غَيْرِ المَنْشُورَةِ ، لَعَلَّ بِهَا بعْضًا مِنَ الأَدَبِ المَفْقُودِ لِهَذِهِ الفئةِ .

٢- أنْ يَعْمَلَ المُهْتَمُّونَ بِالتَّاريخِ عَلى إعْدَادِ البُحُوثِ العِلْمِيَّةِ حَوْلَ تَاريخِ اليَهُودِ فِي الأَنْدَلُسِ لأَنَّ الغَايَةَ الأدَبِيَّةَ للبَحْثِ لَمْ تَدَعْ مَجَالا لِتَوْفِيَةِ هَذَا المَوْضوعِ حَقَّهُ .

٣- إعْدَادُ أبْحَاثٍ مُسْتَقِلَّةٍ عَنْ أثَرِ كُلٍّ مِنَ ابْنِ نَغْرِيلَّةَ وابنِ حَسْدَاي اليَهُودِيَّيْنِ فِي الأَدَبِ العَرَبِيِّ .

٤- أنْ يُحَاوِلَ المُهْتَمُّونَ بالأدَبِ العِبْرِيِّ والذينَ يَعْرِفُونَ اللغةَ العِبْرِيَّةَ البَحْثَ في أثَرِ العَرَبِ عَلَى أدَبِ اليَهُودِ في الأَنْدَلُسِ .

٥- أنْ يُحَاوِلَ المُخْتَصُّونَ باللغةِ العِبْرِيَّةِ والمُهْتَمُّونَ بالأدَبِ العِبْرِيِّ البَحْثَ عَنْ وُجُودِ خَرْجَاتٍ بِالعِبْرِيَّةِ مُسْتَعَارةٍ مِنَ اليَهُودِ فِي المُوَشَّحَاتِ العَرَبِيَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ .

المَلاحِق

أَوَّلاً:- جَدَاوِلٌ حَوْلَ "الإِسْرَائِيلِيّ وَالعِبْرِيّ وَاليَهُودِيّ وَمُشْتَقَّاتِهَا" فِي بَعْضِ كُتُبِ التُّرَاثِ.
ثانيًا :- أَشْهَرُ مُعْتَقَدَاتِ اليَهُودِ وَأَنْبِيَائِهِمْ وَعُظَمَائِهِم .
ثَالِثًا :- مَلاحِقُ القَصَائِدِ وَالمُقَطَّعَاتِ الشِّعْرِيَّةِ
رَابِعًا :- مَلاحِقُ القِطَعِ النَّثْرِيَّةِ

أَوَّلاً:- جَدَاوِلٌ حَوْلَ "الإِسْرَائِيلِيّ وَالعِبْرِيّ وَاليَهُودِيّ وَمُشْتَقَّاتِهَا " فِي بَعْضِ كُتُبِ التُّرَاثِ.

الكلمة	الذَّخِيرَة	التكملة لكتاب الصِّلَة	الحُلَّة السِّيَرَاء	المُعْجِب	المُغْرِب	مُقَدِّمَة ابن خَلْدُون	الرَّوْض المِعْطَار	نَفْح الطِّيب	الاسْتِقْصَا	مَجْمُوع تَكْرَار الكَلِمَةِ فِي كُلِّ الكُتُبِ المَذْكُورَة	
بن / أبي إسرائيل	0	0	0	0	0	0	0	2	0	2	إِسْرَائِيلِيّ وَمُشْتَقَّاتِهَا
إسرائيلي	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
إسرائيل	0	0	0	0	0	5	0	0	0	5	
إسرائيله	0	0	0	0	0	0	0	1	0	1	
إسرائيلية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
إسرائيليا	0	0	0	0	0	0	0	1	0	1	
إسرائيليان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
إسرائيليين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
إسرائيليتان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
إسرائيليتين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
إسرائيليون	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
إسرائيليات	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
بنو / بني إسرائيل	2	0	0	0	1	30	3	4	10	50	
بنات إسرائيل	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
أبناء إسرائيل	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
الإسرائيلي	1	0	0	0	1	1	1	9	0	13	
الإسرائيلية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
الإسرائيليان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
الإسرائيليين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
الإسرائيليتان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
الإسرائيليتين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
الإسرائيليون	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
الإسرائيليات	0	0	0	0	0	1	0	0	0	1	
المَجْمُوع	3	0	0	0	2	37	4	17	10	73	

جدول رقم ١ : حَوْلَ ورود**"إِسْرَائِيلي" واشْتِقَاقَاتِهَا فِي** بعض كُتُبِ التُّرَاثِ

الكلمة	الذَّخِيرَة	التكملة لكتاب الصِّلَة	الحُلَّة السِّيَرَاء	المُعْجِب	المُغْرِب	مُقَدِّمَةُ ابنِ خُلْدُون	الرَّوْض المِعْطَار	نَفْح الطِّيب	الاسْتِقْصَا	مَجْمُوع تَكْرَار الكَلِمَةِ فِي كُلِّ الكُتُبِ المَذْكُورَة	
عِبْرِيّ	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	عِبْرِيّ ومُشْتَقَّاتُهَا
عِبْرِيَّة	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
عِبْرِيًّا	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
عِبْرِيَّان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
عِبْرِيَّين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
عِبْرِيَّتَان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
عِبْرِيَّتَين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
عِبْرِيَّون	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
عِبْرِيَّات	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
العِبْرِيّ	0	1	0	0	0	0	0	0	0	1	
العِبْرِيَّة	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
العِبْرِيَّان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
العِبْرِيَّين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
العِبْرِيَّتَان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
العِبْرِيَّتَين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
العِبْرِيَّون	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
العِبْرِيَّات	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
عِبْرَانِي	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
عِبْرَانِية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
عِبْرَانِيان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
عِبْرَانِيين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
عِبْرَانِيتان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
عِبْرَانِيتين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
عِبْرَانِيون	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
عِبْرَانِيات	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
العِبْرَانِي	0	0	0	0	0	0	0	0	2	2	
العِبْرَانِية	0	0	0	0	0	1	0	0	1	2	
العِبْرَانِيان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
العِبْرَانِيين	0	0	0	0	0	1	0	0	0	1	
العِبْرَانِيتان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
العِبْرَانِيتين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
العِبْرَانِيون	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
العِبْرَانِيات	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
المجموع	0	1	0	0	0	2	0	0	3	6	

جدول رقم ٢ : حَوْلَ ورود"**عبري / عبراني**" **واشْتِقَاقَاتِهِمَا** فِي بعض كُتُبِ التُّرَاث

الكلمة	الذَّخِيرَة	التكملة لكتاب الصِّلَة	الحُلَّة السِّيَرَاء	المُعْجِب	المُغْرِب	مُقَدِّمَة ابن خَلْدُون	الرَّوْض المِعْطَار	نَفْح الطِّيب	الاستقصا	مَجْمُوع تَكْرَار الكَلِمَة في كُلّ الكُتُب المَذْكُورَة	
يَهُودِيّ	5	0	0	3	1	1	3	12	7	32	يَهُودِيّ ومشتقاتها
يَهُودِيًا	0	0	0	0	0	1	1	8	3	13	
يَهُودِيَة	0	0	0	0	0	0	0	0	3	3	
يَهُودِيَان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
يَهُودِيَين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
يَهُودِيَتَات	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
يَهُودِيَتَين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
يَهُودِيَات	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
يَهُود	4	0	1	1	1	0	7	4	14	32	
يَهُودًا	0	0	0	0	0	0	2	1	0	3	
اليَهُودِيّ	18	0	1	4	10	0	8	26	30	97	
اليَهُودِيَة	2	0	0	0	0	1	6	3	5	17	
اليَهُودِيَان	0	0	0	0	0	0	0	0	1	1	
اليَهُودِيَين	0	0	0	0	0	0	0	0	4	4	
اليَهُودِيَتَان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
اليَهُودِيَتَين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
اليَهُودِيَات	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	
اليَهُود	8	0	4	5	7	13	69	44	44	194	
المَجْمُوع	37	0	6	13	19	16	96	98	111	396	

جدول رقم3 : حَوْلَ ورود **"يَهُودِيّ" واشْتِقَاقَاتها فِي** بعض كُتُبِ التُّرَاثِ

الكلمة	الذخيرة	التكملة لكتاب الصلة	الحلة السيراء	المعجب	المغرب	مقدمة ابن خلدون	الروض المعطار	نفح الطيب	الاستقصا	مجموع تكرار الكلمة في كل الكتب المذكورة	
بن / أبي إسرائيل	0	0	0	0	0	0	0	2	0	2	إسرائيلي ومشتقاتها
إسرائيل	0	0	0	0	0	5	0	0	0	5	
إسرائيله	0	0	0	0	0	0	0	1	0	1	
إسرائيليا	0	0	0	0	0	0	0	1	0	1	
بنو / بني إسرائيل	2	0	0	0	1	30	3	4	10	50	
الإسرائيلي	1	0	0	0	1	1	1	9	0	13	
الإسرائيليات	0	0	0	0	0	1	0	0	0	1	
المجموع	3	0	0	0	2	37	4	17	10	73	
العبري	0	1	0	0	0	0	0	0	0	1	عبري ومشتقاتها
العبراني	0	0	0	0	0	0	0	0	2	2	
العبرانية	0	0	0	0	0	1	0	0	1	2	
العبرانيين	0	0	0	0	0	1	0	0	0	1	
المجموع	0	1	0	0	0	2	0	0	3	6	
يهودي	5	0	0	3	1	1	0	12	7	29	يهودي ومشتقاتها
يهوديا	0	0	0	0	0	1	0	8	3	12	
يهودية	0	0	0	0	0	0	1	0	3	4	
يهود	4	0	1	1	1	1	7	4	14	33	
يهودا	0	0	0	0	0	0	0	1	0	1	
اليهودي	18	0	1	4	10	0	0	26	30	89	
اليهودية	2	0	0	0	0	1	6	3	5	17	
اليهوديان	0	0	0	0	0	0	0	0	1	1	
اليهوديين	0	0	0	0	0	0	0	0	4	4	
اليهود	8	0	4	5	7	13	69	44	44	194	
المجموع	37	0	6	13	19	17	83	98	111	384	
مجموع كل الكلمات										463	

جدول رقم4 : مُلَخَّص عَنْ ورود "يَهُودِيّ،إسْرَائِيلي،عبري" واشْتِقَاقَاتِهَا فِي بعض كُتُبِ التُّرَاثِ

ثانيًا :- أَشْهَرُ مُعْتَقَدَاتِ اليَهُودِ وَأَنْبِيَائِهِمْ وَعُظَمَائِهِم .

"**التَّجْسِيم**" مِنْ أهمِّ مُعْتَقَدَاتِ اليَهُودِ التِي بَدَا لَهَا أَثَرٌ فِي الأدَبِ الأَنْدَلُسِيِّ،وَيُوَضِّحُهُ مَا جَاءَ في"فَتْح البَارِيّ" حَوْلَ قَوْلِهِ تَعالَى: (وَٱلأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ)[١]فَيُرْوى أنَّهُ "جَاءَ حِبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُول اللهِ ﷺ فقَالَ:يا مُحَمَّد،إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ،وَالأرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ،وَالشجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ،والماءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ،فيَقُولُ أَنَا المَلِكُ.فَضَحِك النَّبِي ﷺ حَتَّى بَدَتْ نواجذُهُ تَصْدِيقًا لقَوْلِ الحِبْرِ،ثُمَّ قرأ الرَّسُولُ ﷺ الآية"[٢]ثُمَّ يُكْمِلُ:"ظَاهِرُ الحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَ ﷺ صَدَّقَ الحِبْرَ فِي قَوْلِهِ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقْبِضُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِينَ وَالمَخْلُوقات بِالأَصَابِع...،قَالَ بَعْضُ المُتَكَلِّمِينَ لَيْسَ ضِحْكُهُ ﷺ وَتَعَجُّبُه وَتلاوتُهُ الآيَةَ تَصْدِيقًا للحِبْرِ،بَلْ هُوَ رَدٌّ لقَوْلِهِ وَإِنكارٌ وَتَعَجُّبٌ مِنْ سُوءِ اعْتِقَادِهِ؛ فَإِنَّ مَذْهَبَ اليَهُودِ **التَّجْسِيم**؛ فَفُهِمَ مِنْهُ ذَلِكَ...،هَذا كُلُّهُ قولُ اليَهُودِيِّ وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ **التَّجْسِيمَ** وَأَنَّ اللهَ شَخْصٌ ذُو جَوَارِحَ"[٣].فَيَعْنِي**التَّجْسِيمُ**[٤] النَّظَرَ إِلَى أَنَّ للهِ صِفَاتًا مَادِّيَّةً كَالأَشْخَاصِ أَوِ الأَجْسامِ تَمَامًا وَأَنَّهُ جِسْمٌ لَهُ مَا للجِسْمِ؛ مِنْ صِفَاتٍ مِنْ حَيْثُ امْتِلاكُهُ الأَعْضَاءَ أَوِ الحُلولُ بِحَيِّزٍ وَمَا يَتْبَعُ هَذَا مِنَ الفَوْقِيَّةِ أَوْ التَّحْتِيَّةِ مَثَلاً إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ التِي يَتَّصِفُ بِهَا الجِسْمُ عَادَةً[٥].

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لأنْبِيَاءِ اليَهُودِ وعَظَمَائِهِم المَذكُورَةِ فِي التَّوْرَاةِ،إلا أَنَّ البَحْثَ مَعْنِيٌّ بِالذينَ ظَهَرَ لهُمْ أَثَرٌ وَاضِحٌ عَلَى المُجْتَمعِ والأدَبِ الأنْدَلُسِيِّ،فكَانَ مِنْهَا يُوشَعُ وَبَلْعَامُ وَالسَّامِرِيُّ :

١- السَّامِرِيّ

كَانَ **السَّامِرِيُّ**[٦]مِنْ مَشاهيرِ اليَهُودِ الذِين ظَهَرُوا فِي الأدَبِ الأَنْدَلُسِيّ،وَهُوَ الذِي أخرجَ العِجْلَ لبَنِي إِسْرَائِيل مُدَّعيًا أَنَّهُ إِلَـٰهُهُمْ وَإِلَـهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ،وَقَدْ وَرَدَتْ تَسْمِيَتُهُ فِي القُرْآنِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ وذلكَ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ النَّبِيُّ مُوسَى مِنْ مِيقَاتِ رَبِّهِ،بِقَوْلِهِ تَعَالَى:(وَأَضَلَّهُمُ **ٱلسَّامِرِيُّ** ....قَالَ فَمَا خَطْبُكَ **يَسَامِرِيُّ** .قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَسُول فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي .قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ

١ – **سُورَة الزُّمَر**، آيَة . 67.

٢ – **البُخَارِيّ** "**صَحِيحُه**" 6/157 "؛ ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" . 4/62

٣ – العَسْقَلانِي"**فَتْح البَارِيّ**" ١٣/٣٩٨ .

٤ – للمزيد عنِ "التَّجْسِيم" عِنْدَ اليهود،انْظُرْ فِي "**الفِصَل فِي المِلَلِ وَالأَهْوَاءِ وَالنِّحَلِ**" لابن حَزْم الأَنْدَلُسِيّ، فَقَدْ خَصَّصَ فصلا فِي الحَدِيثِ عَنْ اليهود بعُنْوَانِ "الكلامُ عَلَى اليهود وَعَلَى مَنْ أَنْكَرَ التَّثْلِيث مِنَ النَّصَارَى" وَفصلا آخر بعُنْوَانِ "التَّثْلِيث فِي التَّوْرَاة بدأ مِنْ أيام إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ" وَفصلا آخر بعُنْوَانِ "فِي التَّوْرَاة تمهيد للنصارى للقول بالتَّثْلِيث" وَآخَرَ بعُنْوَانِ "التَّجْسِيم وَالتشبيه فِي التَّوْرَاة"، وذلك فِي حديثه عَنْ مناقضات ظاهِرةٍ فِي التَّوْرَاة .

٥ – انْظُر : العَسْقَلانِي"**فَتْح البَارِيّ**" ١٣/٣٩٣ – ٣٩٨ .

٦ – انْظُرْ قِصَّة السَّامِرِيّ فِي:ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**"٣/١٥١-١٥٢؛النُّوَيْرِيّ"**نِهَايَة الأَرَب**"١٣/٢٢٣-٢٢٩؛العَسْقَلانِي"**فَتْح البَارِيّ**"٧/٨٤-٨٦.

لَكَ فِي ٱلْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ)[١]،وَمِنَ القُرْآنِ مَعَ مَا وَصلَ للمُفَسِّرِينَ مِنَ الإِسْرَائِيلِيّاتِ كَانَتْ قِصَّةُ **السَّامِرِيِّ** عِنْدَ ابنِ كَثِير(ت: ٧٧٤هـ) بِقَوْلِهِ:"وَكَانَ هَارُون قَدْ خَطَبَهُمْ [يعني بَنِي إِسْرَائِيل] وَقَالَ:إِنَّكُمْ قَدْ خَرَجْتُمْ مِنْ مِصْرَ وَلِقَوْمِ فِرْعَوْنَ عندَكُمْ عَوَارِيٌّ وَوَدَائِعُ وَلَكُمْ فِيهِمْ مِثْلُ ذَلكَ،فَإِنِّي أَرَى أَنَّكُمْ تَحْتَسِبُونَ مَالَكُمْ عِنْدَهُمْ وَلا أُحِلُّ لَكُمْ وَدِيعَةً اسْتَوْدَعْتُمُوهَا وَلا عَارِيَةً،وَلسْنَا بِرَادِّينَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْ ذَلكَ وَلا مُمْسِكِيهِ لأَنْفُسِنَا،فَحَفَرَ حَفِيرًا وَأَمَرَ كُلَّ قَوْمٍ عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلكَ مِنْ مَتَاعٍ أَوْ حِلْيَةٍ أَنْ يَقْذِفُوهَا فِي ذَلكَ الحَفِيرِ ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهِ النَّارُ فَأَحْرَقَتْهُ،فَقَالَ:لا يَكُونُ لَنَا وَلا لَهُمْ،وَكَانَ **السَّامِرِيُّ** مِنْ قَوْمٍ يَعْبُدُونَ البَقَرَ جِيرَانٍ لبَنِي إِسْرَائِيل[٢]وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل فاحتملَ مَعَ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيل حِينَ احْتَمَلُوا،فَقضَى لَهُ أَنْ رَأَى أَثَرًا فَقَبَضَ مِنْهُ قَبْضَةً فَمَرَّ بِهَارُون فَقَالَ لَهُ هَارُون عَلَيْهِ السَّلامُ يا **سَامِرِيُّ** أَلا تُلْقِي مَا فِي يَدِكَ وَهُوَ قَابِضٌ عَلَيْهِ لا يَرَاهُ أَحَدٌ طُولَ ذَلكَ فَقَالَ هَذِهِ قَبْضَةٌ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ الذِي جَاوَزَ بِكُمُ البَحْرَ وَلا أُلْقِيهَا لِشَيْءٍ إِلا أَنْ تَدْعُوَ اللهَ إِذَا أَلْقَيْتُهَا أَنْ يَجْعَلَهَا مَا أُرِيدُ. فَأَلْقَاهَا وَدعَا لَهُ هَارُون،فَقَالَ أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ عِجْلاً فَاجْتَمَعَ مَا كَانَ فِي الحَفِيرَةِ مِنْ مَتَاعٍ أَوْ حِلْيَةٍ أَوْ نُحَاسٍ أَوْ حَدِيدٍ فَصَارَ عِجْلاً أَجْوَفَ لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ وَلَهُ خُوارٌ... فَلَمَّا كَلَّمَ اللهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُ مَا قَالَ أَخْبَرَهُ بِمَا لَقِيَ قَوْمُهُ مِنْ بَعْدِهِ،فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قومِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا،فَقَالَ لَهُمْ مَا سَمِعْتُمْ فِي القُرْآنِ.وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ وَأَلْقَى الألوَاحَ مِنَ الغَضَبِ ثُمَّ إِنَّهُ عَذَرَ أَخَاهُ بِعُذْرِهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ وَانْصَرَفَ إِلَى **السَّامِرِيّ**،فَقَالَ لَهُ:مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ،قَالَ: قَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ وَفَطِنْتُ لَهَا وَعَمِيَتْ عَلَيْكُم فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لي نَفْسِي،قَالَ:فاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ [أَيْ لا تَمَاسَّ النَّاسَ وَلا يُمَاسُّونَكَ]،وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَٱنظُرْ إِلَىٰ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا وَلَوْ كَانَ إِلَـٰهَا لَمْ يَخْلُصْ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُ فَاسْتَيْقَنَ بَنُو إِسْرَائِيل بِالفِتْنَةِ"[٣].

٢- يُوشَع بنَ نُونٍ

لاحَظْتُ أَنَّ **يُوشَع** بنَ نُونٍ مِنْ أَكْثَرِ الشَّخْصِيَّاتِ التَّوْرَاتِيَّةِ أَثَرًا عَلَى الأَدَبِ الأَنْدَلُسِيّ،وَهُوَ أَحَدُ أَنْبِيَاءِ اليَهُودِ المَشْهُورِينَ فِي"التَّوْرَاةِ "[٤]،وَالسَّامِرَةُ[٥]مِنْهُمْ يَعُدُّونَهُ آخرَ نَبِيٍّ نَزَلَ عليهم،

١ – **سُورَة طَه،** آيَة ٨٥ –٩٨ .

٢ – وَرَدَ فِي الروض المعطار أَنَّ صاحب مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ أرض كرمان متصلة بأرض فارس قريبة مِنْ خراسان وَسجستان وَفِي جنوب بحر فارس. انْظُرْ :"**الرَّوْض المِعْطَار**"ص٤٩١– ٤٩٢ .

٣ – ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" ٣/١٥١ – ١٥٢؛ وانْظُرْ القصة فِي: النُّوَيْرِيّ "**نِهَآيَة الأَرَب**"١٣/٢٢٩ .

٤ – فِي بعضِ الكُتُبِ يُوشَعُ وَصِيُّ النَّبِيِّ مُوسَى وفَتَاهُ والقائمُ بالأمرِ بعدَهُ انْظُر : الشَّهْرَسْتَانِيّ"**المِلَل وَالنِّحَل**" ١/٢١١ .

٥ – السَّامِرَةُ: قَبِيلَةٌ مِنْ قبائل بَنِي إِسْرَائِيل أو جماعَةٌ مِنَ اليَهُودِ يخالفونهم فِي بعض دينهم؛إِلَيْهِم نسب السَّامِرِيّ الذِي عبد العجل. وهم ينسبون إِلَى مدينة السامرة Samaria ويُطلَق عَلَيْهَا باللُّغَةِ العِبْرِيَّةِ شومرون نسبة إِلَى شمر الذِي كَانَ يمتلك التل الذِي بُنيت عَلَيْهِ المدينة.تقع عَلَى بَعْدَ ثلاثين ميلاً إِلَى الشمال مِنَ القُدْسِ،وستة أميال إِلَى الشمال الغربي مِنْ نابلس التي يحج إِلَى جَبَلٍ بِهَا السَّامِرِيّون فِي عيد الفصح. والآن يُطلق الصهاينة مصطلح يهودا والسامرة عَلَى الضفة الغربية لتسويغ الضم،وَقَدْ تأسست جماعات سامرية فِي كلٍّ من: سالونيكا وروما وحلب ودمشق وغزة وعسقلان ومِصْر. انْظُرْ :يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٤/٧٤، ٥/٢٤٨؛ المَقْرِيزِيّ"**المَوَاعِظ وَالاعْتِبَار**" ٤/٩٥٥–٩٥٨؛ القَلْقَشَنْدِيّ"**صُبح الأَعْشَى**"١٣/٢٧٠–٢٧١؛عبد الوَهَّاب المَسِّيرِيّ"**مَوْسُوعَة الصَّهْيُونِيَّة**" ٤/١١٨–١١٩ ، ٥/٣١٩–٣٢١؛ رجَا غُرَابي"**سِفْر التَّارِيخ اليهودِيّ**"٣٥٨– ٣٥٩؛ ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [سمر] ٤/٣٨٠ .

وَ"لا يُؤْمِنُونَ بِنَبِيٍّ بَعْدَ **يُوشَع**"[١].ويعودُ نَسَبُ[٢] **يُوشَع** فِي مُعْظَمِ المَصَادِرِإلَى النَّبِيِّ يُوسُف بن يَعْقُوب مَعَ اخْتِلافٍ فِي أَسْمَاءِ آبَائِهِ وَعَدَدِهِمْ مِنْ مَصْدَرٍ لآخَرَ[٣]،وَاحتلَّ **يُوشَعُ** مَسَاحَةً وَاسِعَةً فِي التَّوْرَاةِ،وَسُمِّي بِاسْمِهِ[يَشُوع] سِفْرٌ كَبِيرٌ مُكَوَّنٌ مِنْ أربعةٍ وَعِشْرِينَ إصْحَاحًا[٤]ابتدأ الإصْحَاحُ الأوَّلُ مِنْهَا بِالتَالي:"وَكَانَ بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى عَبْدِ الرَّبِّ أَنَّ الرَّبَّ كَلَّمَ **يَشُوعَ** بْنَ نُونٍ خَادِمَ مُوسَى قَائِلاً:مُوسَى عَبْدِي قَدْ مَاتَ. فَالآنَ قُمِ اعْبُرْ هَذَا الأُرْدُنَّ أَنْتَ وَكُلُّ هَذَا الشَّعْبِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ أَيْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ"[٥].وَفِي هَذَا تأكيدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ عِنْدَهُمْ،وَأَنَّهُ أَخَذَ النُّبُوَّةَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ مُوسَى،لَكِنَّ هَذَا لا يُؤَكِّدُ نُبُوَّتَهُ عِنْدَ المُسْلِمِينَ[٦].

وَاخْتَلَفَتِ المَصَادِرُ العَرَبِيَّةُ إِنْ كَانَ نَبِيًّا مُرْسَلاً كَمَا جَاءَ فِي التَّوْرَاةِ،أَمْ أَنَّهُ حِبْرٌ مشهورٌ حَكَمَ فيهم فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ[٧]؛فَكِتَابُ "مُعْجَمُ البُلْدَانِ" يَعُدُّه نَبِيًّا وَيُتْبِعُ اسْمَهُ دَائِمًا بِالسَّلامِ عَلَيْهِ كَبَقِيَّةِ

---

١ – ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" ١/٥٧٢ .

٢ – نَسَبُهُ عِنْدَ الطَّبَرِيِّ : يُوشَع بنُ نُونِ بنُ إِفْرَايْمَ بنُ يُوسُف بنُ يَعْقُوب بنُ إِسْحَاقُ بنُ إِبْرَاهِيمَ، وَهَذَا بَعِيدٌ عَنْ الصِّحَّةِ عِنْدَ غَيْرِهِ لأنَّ يُوشَع كَانَ بَعْدَ مُوسَى وَطرف نسبِهِ فِي زمان النَّبِيِّ دَاوُدَ ،وَكَانَ بَيْن دَاوُدَ وَمُوسَى مَا ينيف عَنْ ألف سَنَة

بَيْنَمَا نسبة عِنْدَ أَبِي الفداء: يُوشَع بنُ نُونِ بنُ إِلِيشَامَاعَ بنُ عَمِيهُوذَ بنُ لعَانَ بنُ تَاحِنَ بنُ تَالِحَ بنُ رَاشِفَ بنُ رَافِحَ بنُ بَرِيعَا بنُ إِفْرَايْمَ بنُ يُوسُف بنُ يَعْقُوب بنُ إِسْحَاقُ بنُ إِبْرَاهِيمَ انْظُرْ : الطَّبَرِيّ "**تَارِيخُه**" ١/٤٣٥؛ أَبُو الفِدَاءِ "**المُخْتَصَر فِي أَخْبَارِ البَشَرِ**" ١/٢٠ .

٣ – انْظُرْ : البُخَارِيّ "**صَحِيحُه**" ١/٤٠– ٤١ [بَاب الإنصات إِلَى العُلَمَاءِ]؛ الطَّبَرِيّ "**تَارِيخُه**" ١/٤٣٥؛ العَسْقَلانِي"**فَتْح البَارِيِ**"٦/٢٧٢؛ مُحَمَّد القُضَاعِيّ "**الإِنْبَاء بِأَنْبَاءِ الأَنْبِيَاءِ**"ص٧١؛ أَبُو الفِدَاءِ "**المُخْتَصَر فِي أَخْبَارِ البَشَرِ**" ١/٢٠ – ٢١؛ ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" ١/٣٠٠ .

٤ – انْظُرْ قِصَّةَ"يُوشَع أَوْ يَشُوع" فِي: التَّوْرَاة،سفر يَشُوع؛ الطَبَرِيّ"**جامع البيان**" ٢/٥٩٦–٦١٠؛ القُرْطُبِيّ"**الجَامِع لأَحْكَامِ القُرْآنِ**" ٦/١٢٦ –١٣٣؛ ابن حَزْم"**جَمْهَرَة أَنْسَابِ العَرَبِ**"٥٠٨،٥٠٥؛ ابن الأثير"**الكَامِلُ فِي التَّارِيخ**" ١/١١٤؛ النُّوَيْرِيّ "**نِهَايَة الأَرَبِ**"١٤/١؛ العَسْقَلانِي "**فَتْح البَارِيِ**" ٧/٩٢– ٩٣، ٩/٣٢٩– ٣٤٦؛ رجَا عُرَابِي"**سِفْر التَّارِيخ اليهوديّ**"١٨١– ١٨٧ .

٥ – التَّوْرَاة : **سفر يَشُوع** ١/١ – ٣ .

٦ – يَرَى د. أسامة مُحَمَّد أبو نحل (رئيس قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الأزهر. غزة) أن مَا قِيلَ عَنْ قيادة يشوع بن نون لبني إسرائيل بَعْدَ وفاة مُوسَى عبارة عَنْ مزاعم تحتاج لبحثٍ خاص فيوشع كَمَا تصوره المزاعم التوراتية شخصيته أسطورية، وَقَدْ لا يَكُونُ لَهُ وجود عَلَى مسرح التاريخ.واعتمد فِي دراسته عَلَى عدة دلائل كَانَ مِنْهَا مَا جَاءَ فِي دراسةٍ لباحثٍ إسرائيلي هُوَ إسرائيل فنكلشتاين بيّن فِيهَا أن الدِّرَاسَاتِ الأثرية الحَدِيثَةَ أثبتت أن أريحا لَمْ تكن مُحاطة بسورٍ بالمرة فِي القرن الثالث عشر قبل الميلاد،فترة العَصْر البرونزي المتأخر. وَلَمْ يتم إيجاد أي أثرٍ لأي موقعٍ سكاني فِي مواقعٍ كثيرة أُخْرَى وَرَدَ ذكرها فِي التَّوْرَاة،أي أن دمار المدن الكنعانية لَمْ يكن نتيجة لحملةٍ احتلالية واحدة بقيادة عسكريٍ واحد (يشوع بن نون) كَمَا زعم سفر يشوع بالقتالِ المباشر مَعَ سُكانها الأصليين بَلْ عَنْ طريق"التسلل السلمي"Infiltrate Peacefully أي داخل المناطق غَيْرِ المأهولة بالسكَانَ أَوْ المناطق التي كَانَ سُكانها متناثرين،بَلْ عملية متواصلة لفترة مِائَةِ عام عَلَى الأقل دمرت خلالها مدن وتجمعات سكنية فِي المنطقة.

انْظُرْ : أسامة مُحَمَّد أبو نحل"**قِيَادَةُ يَشُوعَ بنِ نُون لِبَنِي إِسْرَائِيل: بَيْنَ الوَاقِعِ وَالأُسْطُورَةِ**"

http://www.**fustat**.com/ancient_hist/yashou%20ben%20noon.shtml

٧ – أَبُو الفِدَاءِ مَثَلاً،لا يُؤَيِّدُ القَوْلَ بِنُبُوَّةِ يُوشَع بَعْدَ مُوسَى،لكنهُ أشارَ إِلَى قَوْلٍ بِأَنَّ يُوشَع قَدْ تنبَّأ زَمَنَ مُوسَى ثُمَّ حَدَثَ بينَهُمَا مَا جَعَلَ مُوسَى يسألُ اللهَ المَوْتَ،فماتَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ،فقامَ يُوشَع بِتَدْبِيرِ أُمُورِ بَنِي إِسْرَائِيل بَعْدَ مُوسَى،ثُمَّ ارْتَحَلَ بِهِمْ إِلَى أريحا فَقَاتَلُوا الجَبَّارِينَ فِيهَا وَانْتَصَرُوا عليْهِم.فَلَمْ يتولَّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيل مَلِكًا بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى،بَلْ كَانَ لَهُمْ حُكَّامٌ سَدُّوا مَسَدَّ المُلُوكِ حَتَّى قامَ فيهم طَالُوتُ آخر مُلوكهم.

انْظُرْ : ابن حزم"**جَمْهَرَة أَنْسَاب العَرَب**"٥٠٩؛ أَبُو الفِدَاءِ"**المُخْتَصَر فِي أَخْبَارِ البَشَرِ**" ١/٢٠ – ٢١ .

الأَنْبِيَاءِ[١]وَكَذَلِكَ "وَفِيَّاتُ الأَعْيَانِ" وَ"تَفْسِيرِ القُرْطُبِيّ"[٢]،ويَذْكُرُ وِل دِيورَانت أَنَّ **يُوشَعَ** لَمْ يَكُنْ إلا جُنْدِيًّا فظًّا[٣].وَيَتَرَجَّحُ القَوْلُ بِأَنْ يَكُونَ **يُوشَع** مِنْ نسلِ الأَنْبِيَاء،لَكِنْ لا يُمْكِنُ الجَزْمُ بِنُبُوَّتِهِ،فَلَمْ يُذكرِ اسْمُ **يُوشَع** فِي القُرْآنِ وَلَمْ تؤَكِّدِ المَصَادِرُ العَرَبِيَّةُ المَأْمُونَةُ مِنَ الإِسْرَائِيلِيّاتِ نُبُوَّتَهُ[٤]، وجَاءَتْ أخبارُ وَقصصِ **يُوشَعَ**[٥]عندَ بَعْضِ المُفَسِّرِينَ مُعْتَمِدِينَ عَلَى الإِسْرَائِيلِيّاتِ فِي مُعظَمِ الأحيان،وَبِهَذَا غَلَبَ تَأْثِيرُ اليَهُودِ وَمَرْوِيَّاتِهِمِ عَلَى مَا كُتِبَ حَوْلَ **يُوشَع** فِي التَّارِيخِ العَرَبِيِّ[٦].

واخْتَلَفَ مَنْ قَالُوا بِنُبُوَّتِهِ إِنْ كَانَتْ مَسِيرَتُهُ للقضاءِ عَلَى الجَبَّارِينَ فِي حياةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ أَمْ بَعْدَ وَفاته،كَمَا اخْتَلَفُوا إِنْ كَانَتْ نُبُوَّتُهُ زَمَنَ مُوسَى أم بَعْدَ وَفاتِهِ[٧].واخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ كَذَلِكَ حَوْلَ المَسِيرِ إِلَى أَرْضِ الجَبَّارِينَ هَلْ هِيَ أريحا أَمْ بَيْتُ المَقْدِسِ،وَسأَخْتَارُ فِي البَحْثِ القولَ بِأَنَّهَا أريحا دُونَ خوض فِي تَفَاصِيلِ هَذَا الخِلافِ،وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ القَائِلِينَ بِهِ[٨]،وَاخْتَلَفَت كَذَلِكَ حَوْلَ

---

١ – انْظُرْ : ابن حزم"**جَمْهَرَة أَنْسَابِ العَرَبِ**"٥٠٨؛ يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٢٨٣/٢ ، ١٦٧/٤ ، ١٥٦/٥ .

٢ – انْظُرْ :الطَّبَرِيّ "**تَارِيخُه**"٣٥٧/١، ٣٦٠، ٣٦٠–٣٦٥، ٣٧٦؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**"٢٢٧/٧؛القُرْطُبِيّ"**الجَامِع لأَحْكَامِ القُرْآنِ**"٢٧٠/٩ .

٣ – يَرَى وِل دِيورَانت أَنَّ يُوشَع سار عَلَى قانون "أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ قَتْلا هُوَ الذِي يَبْقَى حَيًّا"، وبِهَذِهِ الطريقة الواقعية التي لا أثر فِيهَا للعواطف استولى اليَهُود عَلَى الأَرضِ المَوْعُودَةِ يقصدُ فلسطين انْظُرْ : وِل دِيورَانت "**قِصَّة الحَضَارَة**" ٣٢٧/٢ .

٤ – فَوَرَدَ فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي "صَحِيحُ البُخَارِيّ" فِي رِحْلَةِ النَّبِيِّ مُوسَى للبَحْثِ عَمَّنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ، فَهُوَ"فَتَاهُ يُوشَع بنُ نُونٍ" فِي سُورَةَ الكَهْفِ،وَهَذَا لا يُؤَكِّدُ نُبُوَّتَهُ وَلا يَنْفِيهَا،وَفِي بَقِيَّةِ الصِّحَاحِ لا يُوجَدُ لَهُ ذكرٌ،أَمَّا خَارِجَ الأَحَادِيثِ الصَّحيحةِ فَقَدْ ذُكِرَ فِي كُتُبٍ اعْتَمَدَتْ عَلَى الإِسْرَائِيلِيّاتِ.فَوَرَدَ اسمُهُ فِي "تَفْسِير ابن كَثِير" مَثَلاً فِي ثَمَانِيَ عَشْرَةَ صَفْحَة،وَتكَرَّرَ فِي بعضِ هَذِهِ الصَّفْحَاتِ خَمْسَ مَرَّاتٍ مِنْهَا بعضُ الأَحَادِيثِ غَيْرُ الصَّحِيحَةِ،مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ حَدِيثٌ وَرَدَ مرتين عَنِ النَّبِي(أَنَّهُ قَالَ:"السُّبَّقُ ثَلاثَةٌ؛ فالسَّابِقُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ يُوشَع بنُ نُونٍ...". قَالَ ابنُ كَثِير إِنَّهُ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ،وَوَضَّح سَبَبَ إِنْكَارِهِ، وجَاءَتْ بقيةُ أخبارِ وَقصصِ يُوشَعَ مُعْتَمِدَةً مَا قالَهُ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ مُعْتَمِدِينَ عَلَى الإِسْرَائِيلِيّاتِ فِي مُعظَمِ الأحيان،وَبِهَذَا غَلَبَ تَأْثِيرُ اليَهُودِ وَمَرْوِيَّاتِهِم عَلَى مَا كُتِبَ حَوْلَ يُوشَع فِي التَّارِيخِ العَرَبِيّ. انْظُرْ: البُخَارِيّ "**صَحِيحُه**" ٤٠/١–٤١ [باب الإنصات إِلَى العُلَمَاءِ]، ١٠٩/٦–١١٧ [بَاب مَا جَاءَ فِي سُورَةَ الكهف]؛ العَسْقَلاني"فَتْح البَارِيّ" ٣٢٩/٩–٣٤٦؛ابن كَثِير "تَفْسِيرُهُ" ٩١/١، ٩٤، ٩٨، ٥٧٢،٣٠٠، ٣٢/٢، ٣٨، ٤٠، ٢٦٥، ٤٣١، ٤٨٢، ٩٢/٣، ٩٤، ١٠٠، ٣٣٦،٥٧٠، ٢٨٣/٤ .

٥ – انْظُرْ القِصَّة فِي سُورَةَ الكَهْفِ، الآيات ٦٠–٨٢؛ الطَّبَرِيّ "**تَارِيخُه**" ٤٣٥/١– ٤٣٦؛ ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" ٣٨/٢؛ القَزْوِينِيّ"**آثَارُ البِلادِ وَأَخْبَارُ العِبَادِ**" ص١٤٢ .

٦ – عِنْدَ الطَّبَرِيِّ(ت:٣١٠هـ)مَثَلاً روَايَة أُخْرَى لِذهابِ مُوسَى للبحثِ عَمَّنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ مَفَادُهَا أَنَّ النَّبِيَّ مُوسَى لَمَّا أَنْجَاهُ اللهُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيل: أَنْتُم خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ وَأعلَمُهُم،فقِيلَ لَهُ:إِنَّ هَا هُنَا رَجُلا هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، فانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يُوشَع يَطْلُبَانِهِ. بينمَا روَايَة البُخَارِيِّ(ت:٢٥٦هـ) تنص عَلَى أَنَّ اللهَ هُوَ الذِي أَوْحَى لِنَبِيِّهِ بالذَّهَابِ إِلَى العالِمِ، لَكِنَّ رِوَايَة الطَّبَرِيِّ تُعْلِي مِنْ شَأْنِ بَنِي إِسْرَائِيل وَتجْعَلُهُم أَعْلَمَ مِنْ نَبِيِّهِم المُرْسَلِ،وَهُمْ يُخْبِرُونَهُ بِمَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ وَلَيْسَ اللهَ.

انْظُرْ : البُخاري"**صَحِيحُه**" ٤٠/١ – ٤١ [باب الإنصات إِلَى العُلَمَاءِ]. الطَّبَرِيّ "**تَارِيخُه**" ٣٦٥/١ .

٧ – ابنُ إِسْحَاقَ(ت:١٥١هـ) مَثَلاً قَالَ بِنُبُوَّةِ يُوشَع زَمَنَ مُوسَى فقَدْ كَرِهَ المَوْتَ وَأَعْظَمَهُ،فأَرَادَ اللهُ أَنْ يُحَبِّبَ إِلَيْهِ المَوْتَ وَيُكَرِّهَ إِلَيْهِ الحَيَاةَ، فحُوِّلَتِ النُّبُوَّةُ إِلَى يُوشَع فكَانَ مُوسَى يسأَلُهُ عَمَّا أَحْدَثَ اللهُ إِلَيْهِ،فَلا يَذْكُرُ لَهُ شَيْئًا.فلَمَّا رَأَى مُوسَى ذلكَ كَرِهَ الحَيَاةَ وَأَحَبَّ المَوْتَ. وَقَالَ آخرون: إِنَّ يُوشَع لَمْ يَسِرْ إِلَى أريحا إلا بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى،وَبعد هلاكِ جَمِيعِ مَنْ أَبَى المَسِيرَ إِلَيْهَا مَعَ النَّبِيِّ مُوسَى بِمَنْ بَقِيَ مَعَهُ مَدِينَةَ الجَبَّارِينَ فافْتَتَحَها بعد التيه بِأَرْبَعِينَ سَنَةٍ انْظُرْ: الطَّبَرِيّ "**تَارِيخُه**" ٤٣٣/١، ٤٣٥؛ ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" ٤٠/٢ .

٨ – انْظُرْ: الطَّبَرِيّ "**تَارِيخُه**" ١/ ٤٣٥ – ٤٣٦ .

وَفاتِهِ وَمَكانِ دَفْنِهِ[١]،وَما زَالَتْ لِهَذا النَّبِيِّ قدسيةٌ وَمكانةٌ وتأثيرٌ حَتَّى وَقتٍ مُتَأَخِّرٍ[٢]، وكَانَتْ قصَّةُ **مُطَاوَعَةِ الشَّمْسِ لَهُ** هيَ الَّتِي أَخْصَبَتْ خيالَ بعْضَ الشُّعَرَاءِ فِي الأَنْدَلُسِ .

وَلتوضيحِ مُطَاوَعَةِ الشَّمْسِ **لِيُوشَع** أبدأُ بِمَا جَاءَ أَوَّلاً فِي التَّوْرَاةِ؛فَقَدْ وَرَدَ كلامٌ حولَهَا فِي "سِفْرِ **يَشُوع**" وَمنْه:"حِينَئِذٍ كَلَّمَ **يَشُوعُ** الرَّبَّ يَوْمَ أَسْلَمَ الرَّبُّ الأُمُورِيِّيْنَ أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ،وَقَالَ أَمامَ عُيُونِ إِسْرَائِيلَ:يا شَمْسُ دُومِي عَلَى جِبعُونَ[٣]،وَيَا قَمَرُ عَلَى وَادِي أَيَّلُونَ[٤].فدامَتِ الشَّمْسُ، وَوَقَفَ القَمَرُ حَتَّى انْتَقَمَ الشَّعْبُ مِنْ أَعْدَائِهِ..... فوَقَفَتِ الشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَلَمْ تَعَجَّلْ للغُرُوبِ نَحْوَ يَوْمٍ كامِلٍ.وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُ ذَلِكَ اليَوْمِ قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ سَمِعَ فِيهِ الرَّبُّ صَوْتَ إِنْسانٍ"[٥] .

وَقريبا مِنْهَا كَانَتْ روايةُ ابنِ كَثِير فَقَالَ إِنَّ **يُوشَع** قَادَ بَنِي إِسْرَائِيل وَقاتَلَ الجَبَّارِينَ عَشِيَّةَ جُمْعَةٍ وَقَدْ حُبِسَتْ لَهُمْ الشَّمْسُ يومَئِذٍ قليلاً حَتَّى أَمْكَنَ الفَتْحُ[٦]،وَوَرَدَتْ أَحَادِيثُ حَوْلَ القِصَّةِ

---

١ – فِي إحدى رواياتِ الطَّبَرِيّ تُوُفِّيَ يُوشَع عَنْ مِائَةٍ وَستٌّ وَعشرينَ سَنَةٍ،وَذلكَ سبعٌ وَعشرون سَنَةٍ بَعْدَ وَفاةِ مُوسَى.ومكَانَ دفنه فِي "تاريخ أَبِي الفِدَاء" كفر حَارِسٍ فِي الشَّامِ.وَفِي "مُعْجَم البُلْدَانِ" وَرَدَ ذكرُ ثلاثةِ أماكنَ يَدَّعِي النَّاسُ أَنَّ بِهَا قبرَ يُوشَع أولاها فِي قَرْيةِ صَرْفَةَ مِنْ قرب البَلْقَاءِ،وَالثانية عَورْتَا وَهي بُلَيْدَة بِنَواحِي نَابُلُسَ،وَالثالثةُ مَعَرَّةُ النُّعْمَانِ فِي بلاد الشام،وَفِي جانب سورِها قبرُ يُوشَع فيمَا قِيلَ. وَأَمَّا ابنُ خَلكَانَ فِي وَفيَّاتِهِ فَالصحيحُ عِنْدَهُ أَنَّ قبرَ يُوشَع بأَرْضِ نَابُلُسَ دُونَ أَنْ يُسَمِّي البَلْدَةَ انْظُرْ: الطَّبَرِيّ "**تَارِيخُه**" ١/٤٣٥– ٤٣٦، ٤٤٢؛ أَبُو الفِدَاءِ"**المُخْتَصَر فِي أَخْبَارِ البَشَرِ**" ٢١/١ ؛يَاقُوت الحَمَوِيّ "**مُعْجَم البُلْدَان**" ٤٨٩/١، ٤٠٢/٣، ١٦٧/٤، ١٥٦/٥، ٢٤٨ ؛ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ١١٦/١؛ ابْنِ بَطُّوطَةَ "**رِحْلَتُهُ**" ص١٧٨ .

٢ – فِي إحدى رواياتِ الطَّبَرِيّ تُوُفِّيَ يُوشَع عَنْ مِائَةٍ وَستٌّ وَعشرينَ سَنَةٍ،وَذلكَ سبعٌ وَعشرون سَنَةٍ بَعْدَ وَفاةِ مُوسَى.ومكَانَ دفنه فِي "تاريخ أَبِي الفِدَاء" كفر حَارِسٍ فِي الشَّامِ.وَفِي "مُعْجَم البُلْدَانِ" وَرَدَ ذكرُ ثلاثةِ أماكنَ يَدَّعِي النَّاسُ أَنَّ بِهَا قبرَ يُوشَع أولاها فِي قَرْيةِ صَرْفَةَ مِنْ قرب البَلْقَاءِ،وَالثانية عَورْتَا وَهي بُلَيْدَة بِنَواحِي نَابُلُسَ،وَالثالثةُ مَعَرَّةُ النُّعْمَانِ فِي بلاد الشام،وَفِي جانب سورِها قبرُ يُوشَع فيمَا قِيلَ. وَأَمَّا ابنُ خَلكَانَ فِي وَفيَّاتِهِ فَالصحيحُ عِنْدَهُ أَنَّ قبرَ يُوشَع بأَرْضِ نَابُلُسَ دُونَ أَنْ يُسَمِّي البَلْدَةَ انْظُرْ: الطَّبَرِيّ"**تَارِيخُه**" ١/٤٣٥– ٤٣٦، ٤٤٢؛ أَبُو الفِدَاءِ"**المُخْتَصَر فِي أَخْبَارِ البَشَرِ**" ٢١/١ ؛يَاقُوت الحَمَوِيّ "**مُعْجَم البُلْدَان**" ٤٨٩/١، ٤٠٢/٣، ١٦٧/٤، ١٥٦/٥، ٢٤٨ ؛ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ١١٦/١؛ ابْنِ بَطُّوطَةَ "**رِحْلَتُهُ**" ص١٧٨ .

– يُشِيرُ ابن خَلكَانَ إِلَى وجودِ دَيْرٍ عظِيمٍ بِمدينةِ مَيْافَارِقِين قُرْبَ كَنِيسَةِ اليَهُودِ وَفِيهِ جُرْنٌ مِنْ رُخَامٍ أَسْوَدَ فِي زجاج فِيهَا دمٌ يُقَالَ إِنَّهُ دمُ يُوشَع بن نُونٍ،وَلَمْ يُشِرْ ابنُ خَلكَانَ وَلا غَيْرُهُ إِلَى عَلاقَةِ هَذِهِ البلدِ بِيُوشَع أَوْ إن كَانُوا يَدَّعُونَ أَنَّهُ دُفِنَ بِهَا أَوْ قُرْبَها مَثَلاً.

انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٢٣٨/٥؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٢٢٧/٧ – ٢٢٨ .

٣ – جبعون: El Jeeb الاسم الكنعاني لبلدة الجيب الآن فِي فلسطين،وهي بلدة عربية كنعانية – تمتد جذورها إِلَى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد تُنسَبُ إِلَى ملكها العربي الكنعاني جبعون .بنيت عَلَى تله تشرف عَلَى مدينة القُدْسِ وتقع القرية عَلَى بَعْدَ ستة أميال (تسعة كيلو متر) شمال غرب القُدْسِ عَلَى ارتفاع ٧٩٠متر عَنْ سطح البَحْر حَيْثُ كَانَتْ مِنْ أشهر الممالك فِي ذلك العَصْر ،يوجد عَلَى أرضها الآن ثلاث مستعمرات (جبعون،حد شاه،وجفعات زئيف). انْظُرْ:موقع مركز التنمية المحلية الريفية (الجيب) محافظة القُدْسِ – فلسطين .

انْظُرْ: http://www.gibeon eljeeb.com/html/contents2 .htm

٤ – أيلون: قرية يالو فِي فلسطين،ومعناها بالكنعانية البلاطة.مساحتها ١٤٩٩٢ دونَمًا مِنْهَا سبعة للطرق والوديان،ترتفع ٣٠٠ متر عَنْ سطح البَحْر ،وَفِي العهد الروماني عرفت باسم الوس Alus مِنْ أعمال عمواس. وباسمها الأن سجن الرملة أيلون الذِي يحوي أشهر أقسام العزل هِيَ حَيْثُ يتسع لأكثر مِنْ ١٥ زنزانة

انْظُرْ: http://www.freebarghouti.org/ar/ar_reportf.asp ؛ http://www.ajjur.net/ramlah.htm

٥ – التَّوْرَاة، **سفر يَشُوع** ٦/١٠ .

٦ – انْظُرْ: ابن كَثِير "تَفْسِيرُهُ" ٩٨/١؛ وَفِي مكَانَ آخَرَ قَالَ ابنُ كَثِير:"وَدَنَتْ الشَّمْسُ للغُرُوبِ فَخَشِيَ إِنْ دَخَلَتْ لَيْلَةُ السَّبْتِ أَنْ يَسْبِتُوا،فَنَادَى الشَّمْسَ: إِنِّي مَأْمُورٌ وَإِنَّكِ مَأْمُورَةٌ فَوَقَفَتْ حَتَّى افْتَتَحَهَا" انْظُرْ: ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" ٤٠/٢ .

مِنْهَا: "إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ لِبَشَرٍ إلا **يُوشَعَ** بنَ نُونٍ لَيْلَةَ سَارَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ"[1].وَلَمْ تُؤَكِّدْ كُلُّ المَصَادِرِ العَرَبِيَّةِ قِصَّةَ **يُوشَعَ** مَعَ الشَّمْسِ؛فَوُجِدَ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ مَنْ لَمْ يَتَحَدَّثْ عَنْهَا وَلَمْ يُشِرْ إِلَيْهَا كَأَبِي الفِدَاء فِي تَارِيخِهِ[2] .

عَلاقَةُ يُوشَعَ بِعِيدِ العُنْصُرَةِ عِنْدَ اليَهُودِ.

احْتَلَّتْ قِصَّةُ يُوشَعَ وَالشَّمْسِ مَسَاحَةً فِي نَظْمِ شُعَرَاءِ الأَنْدَلُسِ،وَهِيَ المَعْنِيَّةُ حِينَ يُذْكَرُ اسمُ **يُوشَعَ** فِي الأَدَبِ عَلَى الأَغْلَبِ،وَقَدْ يَكُونُ المَوْرُوثُ الدِّينِيُّ الإِسْلامِيُّ هُوَ الذِي أَوْحَى هَذِهِ القِصَّةَ لَهُمْ،لَكِنِّي أَمِيلُ إِلَى القولِ إِنَّهُم اسْتَخْدَمُوا بعضَ رُمُوزِ القِصَّةِ مُتَأَثِّرِينَ بِقِصَصِ اليَهُودِ أَكْثَرَ وَذلك لأَهَمِّيَّتِهِ عِنْدَ اليَهُودِ وَعَدَمِ تَرْكِيزِ المَصَادِرِ الإِسْلامِيَّةِ عَلَيْهِ كَثِيرًا.وَالذِي يَجْعَلُنِي أَمِيلُ إِلَى هَذَا مَا قَرَأْتُهُ فِي بَعْضِ الكُتُبِ عَنْ احْتِفَالاتِ الأَنْدَلُسِيِّينَ بذكرى حَبْسِ **يُوشَعَ** لِلشَّمْسِ فِي عِيدِهِم المُسَمَّى **"يَوْمُ العُنْصُرَةِ"**[3]،وَلأهمِّيَّتِهِ وَشُهْرَتِهِ عِنْدَهُم كَانُوا يُؤَرِّخُونَ بِهِ؛فالذَّهَبِيُّ(ت: ٧٤٨هـ)مَثَلاً يُؤَرِّخُ بِهِ ضِمْنَ أَحداثِ عَامَ ٧١٩هـ فِي الأَنْدَلُسِ[4]،فَذَكَرَهُ دُونَ تَعْرِيفٍ أَوْ تَوْضيحٍ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّارِيخَ بِهِ لَمْ يكُنْ غَرِيبا عَلَى الأَنْدَلُسِيِّينَ الذِينَ يتحدَّثُ عَنْهُمْ، فلا يُمْكِن أَنْ يُؤَرِّخَ لأَحْداثِهِم بِعِيدٍ لا يَعْرِفُونَهُ أَصلا،وَجَعَلَهُ تأرِيخًا لِيَوْمِ نَصْرٍ عَظِيمٍ للمُسْلِمِينَ وَحازَ المُسْلِمُونَ بِهَذا القِتالِ الحاصلِ غَنِيمَةً لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا[5]،ويؤَرِّخُ لِلمُوَاجَهَةِ بِأَنَّها كَانَتْ فِي رَبِيعِ الآخِرِ يَوْمَ **عِيدِ العُنْصُرَةِ**[6]. وَاخْتَلَفَ الأَمْرُ فِي"وَفِيَّات الأَعْيَانِ" وَ"شَذَرَات الذَّهَبِ" فَكِلا الكِتَابَيْنِ ذَكَرَ **عِيدَ العُنْصُرَةِ**،لَكِنْ تلاهُ تَعْرِيفٌ بِالعِيدِ وَإِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ مَشْهُورٌ عِنْدَ الأَنْدَلُسِيِّينَ[7].وَاعْتَمَدَ صَاحِبُ "وَفِيَّات الأَعْيَانِ" هَذَا اليَوْمَ تأرِيخًا للأَنْدَلُسِيِّينَ، كَمَا حَصَلَ حِينَ أَرَّخَ بِهِ لوفاةِ الشَّاعِرِ الرَّمَادِيِّ(ت:٤٠٣هـ)[8]،فَقَالَ إِنَّهُ

---

١ – انْظُرْ : البُخَارِيّ "**صَحِيحُه**" ١/ ٤٠ – ٤١؛ العَسْقَلاني"**فَتْح البَارِيّ**" ٦/ ٢٢١؛ الألباني"**سِلْسِلَة الأَحَادِيث الصَّحِيحَة**" ٥/ ٢٦٦ .

٢ – ذَكَرَ أَبُو الفِدَاء مَثَلاً فِي تاريخِهِ أَنَّهُ قامَ بِمُرَاجَعَةِ كَثِير مِنْ كُتُبِ اليَهُودِ،فَوَجَدَ أَنَّ كُتُبَهُم كَثُرَ الغَلَطُ فِيهَا، وَكَانَتْ كُلُّ نُسْخَةٍ تُخَالِفُ الأُخْرَى إِمَّا فِي أَسْمَاء الحُكَّامِ بعدَ مُوسَى وَإِمَّا فِي عَدَدِهِم وَإِمَّا فِي مُدَّةِ اسْتِيلائِهِم،فَأَحْضَرَ أَبُو الفِدَاء إنسانًا عارِفًا باللُّغَةِ العِبْرِيَّةِ وَالعَرَبِيَّة، كَمَا يقُولُ، ليقرَأَ فِي بعضِ الكُتُبِ القَدِيمَةِ المتواترةِ عِنْدَهُمْ وَقَدْ كَانَتْ مَكْتُوبةً بِالعِبْرِيَّةِ،ومع هَذَا حِينَ تَحَدَّثَ عَنْ يُوشَع لَمْ يُشِرْ لِهَذِهِ القِصَّةِ فَلَمْ يُثْبِتْهَا أَوْ يَنْفِيهَا وَلَمْ يَذْكُرْ حَبْسَ الشَّمْسِ لِيُوشَعَ وَلبَنِي إِسْرَائِيل انْظُرْ: أَبُو الفِدَاءِ"**المُخْتَصَر فِي أَخْبَارِ البَشَرِ**" ١/ ٢٠ – ٢١ .

٣ – انْظُرْ قِصَّةَ يوشع فِي رد الشَّمْسِ وَحبسها لَهُ يوم العُنْصُرَةِ فِي: الشريف الغَرْنَاطِي"**رَفْع الحُجُب المَسْتُورَةِ**"ص٢٦ .

٤ – الذَّهَبِيّ"**العِبَر فِي خَبَرِ مَنْ غَبَرَ**" ٦/ ١٠٥ ،وانْظُرْ هَذِهِ الأحداث كَذَلِكَ فِي: المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ١/ ٤٢٨ – ٤٣٠ .

٥ – قال: "قُتِلَتْ كُلُّ المُلُوكِ المُتَحَالِفَةِ فِيهِ وَعَدَدُهُم خَمْسَةٌ وَعِشْرونَ مَلِكًا بقيادَةِ دُونبِتْرَة،وَكَانَ عَدَدُ القَتْلَى خَمْسِينَ ألفا،بَيْنَمَا لَمْ يُقْتَلْ مِنَ المُسْلِمِينَ سِوَى خَمْسَةِ عَشْرَ فَارِسًا" الذَّهَبِيّ"**العِبَر فِي خَبَرِ مَنْ غَبَرَ**" ٦/ ١٠٥ ،وانْظُرْ :المَقَّرِيّ"**نَفْحُ الطِّيبِ**"١/ ٤٢٨– ٤٣٠ .

٦ – انْظُرْ: الذَّهَبِيّ"**العِبَر فِي خَبَرِ مَنْ غَبَرَ**" ٦/ ١٠٥ .

٧ – انْظُرْ : ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٧/ ٢٢٧– ٢٢٨؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَبِ**" ٢/ ١٧٢ .

٨ – هُوَ الشَّاعِرُ: أَبو عُمَرَ أَحمد بن يُوسُف بنُ هارونَ الكِنْدِيّ المَعْرُوفِ بالرَّمَادِي،شاعر قرطبي.يُعرف بأبي سبيح، قَالُوا فُتِحَ الشِّعْر بكندة وَختم بكندة يعنون امرأ القيس وَالمتنبي وَيُوسُف بن هرون وَكَانَا متعاصرين،كَانَ كَثِير الشِّعْر.وشاعت عَنْهُ أشعار فِي دولة الخلافة أدت إِلَى دخوله السجن،وله فِي السجن أشعار.تُوُفِّيَ سنة ٤٠٣هـ يوم العُنْصُرَةِ فقيرا معدما. انْظُرْ: الثَّعَالِبِيّ "**يَتِيمَة الدَّهْرِ**" ٢/ ١١٤– ١١٧؛الحِمْيَرِيّ"**البَدِيع فِي وَصْفِ الرَّبِيعِ**"ص١١؛ الحُمَيْدِيّ"**جَذْوَة المُقْتَبِس**"٢/ ٥٨٦–٥٩٣؛ ابن خَاقَان"**مَطْمَح الأَنْفُسِ**"ص٣١٢–٣٢١؛ الضَبِّيّ"**بُغْيَة المُلْتَمِس**"٢/ ٦٦٤–٦٦٧؛ابن دِحْيَةَ"**المُطْرِب**"ص٣–٤؛ ابن الأَبَّار"**الحُلَّة السِّيَرَاء**"١/ ٢٨٠،٢١١–٢٨١؛"**التَّكْمِلَة**"١/ ٢١؛ ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**"٦/ ٩، ٧/ ٢٢٥–٢٢٩؛ابن سَعِيد"**المُغْرِب**"١/ ٣٩٢–٣٩٤؛"**رَايَات المُبَرِّزِين**"١٣٥؛الذَّهَبِيّ"**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" ١٧/ ١٦٢؛ المَقَّرِيّ"**نَفْحُ الطِّيبِ**"١/ ٢٨٥،٤/ ٦١–٦٥،٣٢٦–٣٢٧ ،٥/ ٣٩٦،١٨٢–١٨٦؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَبِ**"٢/ ١٧٠–١٧٢ .

تُوُفِّيَ **يَوْمَ العُنْصُرَةِ**[١]،ثُمَّ وَضَّحَ أَهَمِّيَّةَ هَذَا اليَوْمِ لِغَيْرِ المُسْلِمِينَ بِقَوْلِهِ "إِنَّ هَذَا اليَوْمَ مَشْهُورٌ بِبِلادِ الأَنْدَلُسِ وَهُوَ مَوْسِمٌ للنصارى كَالميلادِ وَغَيْرِهِ،وَبِهِ حَبَسَ اللهُ الشَّمْسَ عَلَى **يُوشَعَ** بنِ نُونٍ، وَيَحْتَفِلُ أَهْلُ الأَنْدَلُسِ بِهِ فِي اليَوْمِ الرَّابِعِ وَالعشرينَ مِنْ حزيران"[٢]،وَذَكَرَ المَرْجِعَانِ[٣]أَنَّ وِلادَةَ يَحْيَى بنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلامِ كَانَتْ فِي هَذَا اليَوْمِ أَيْضًا[٤] .

وَلَمْ يَرِدْ فِي المَصَادِرِ إِنْ كَانَ أَهْلُ المَشْرِقِ يَحْتَفِلُونَ بِهَذَا اليَوْمِ أَمْ لا،فالمَرْجِعَانِ المَذْكُورَانِ اتَّفَقَا عَلَى أَنَّهُ عِيدٌ لأَهْلِ الأَنْدَلُسِ،وَهَذَا يُرَجِّحُ القَوْلَ عِنْدِي أَنَّهُ كَانَ مَشْهُورًا عِنْدَ الأَنْدَلُسِيِّينَ فَقَطْ،وَقَدْ يعودُ ذلكَ لقُرْبِ بلادِهِم مِنْ بلادِ النَّصَارَى وَتَأَثُّرِهِم باحْتِفَالاتِهِمْ وَأعيادِهِمْ،بِيْنَمَا الاحْتِفَالاتُ المشهورةُ فِي الشَّرْقِ تَكَادُ تَنْحَصِرُ فِي أعيادِ الدولةِ الرسميةِ وَهي أَعيادُ المُسْلِمينَ، وَبعضُ الأَعْيَادِ الكَبِيرَةِ للنصارى وَاليَهُودِ التِي مِنْهَا عيدُ رأسِ السَّنَةِ،أَمَّا **عِيدُ العُنْصُرَةِ** فَلَمْ تشرْ هَذِهِ المراجعُ التِي ذَكَرَتْهُ أَنَّ لأَهْلِ الشرقِ عَلاقَةً بِهِ.وَأَعْتَقِدُ أَنَّ تخصيصَ المَرْجِعَيْنِ للنَّصَارَى دُونَ اليَهُودِ فِي الاحْتِفَالِ بِهِ كَانَ مِنْ بابِ تَغْليبِ الكثرةِ،وَالقصدُ هُوَ أَهْلُ الذِّمَّةِ،**فيُوشَعُ** نَبِيٌّ تُعْنَى بِهِ اليَهُودُ أكثرَ مِنَ النَّصَارَى،وَالاحْتِفَالاتُ بِحَبْسِهِ للشَّمْسِ لَهَا عَلاقَةٌ باليَهُودِ أكثرُ مِنَ النَّصَارَى، وَأتَوَقَّعُ أَنَّ مُشَارَكَةَ النَّصَارَى فِي احْتِفَالاتِهِ[٥]لمُصَادَفَةٍ كَانَتْ لارتباطِهِ بِذِكْرَى وِلادَةِ يَحْيَى بنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلامِ.وَلَمْ تُذْكَرِ اليَهُودُ بِاحْتِفَالاتِهِ لأَنَّ الذِي كَانَ يَظْهَرُ اجتماعيا أعيادُ النَّصَارَى لكثرتِهِم فِي تِلْكَ البلادِ ولوجودِ مَمَالِكَ قَرِيبَةٍ لَهُمْ تَرْعَى تِلْكَ الاحْتِفَالاتِ وَتَحْتَفِلُ بِهَا.

وَلَمْ يَرِدْ ذِكْرٌ **لِيَوْمِ العُنْصُرَةِ** فِي مُعْظَمِ المَرَاجِعِ التِي بَحَثْتُ فِيهَا؛وَكَانَ أَبُو الفِدَاءِ(ت:٧٣٢هـ) مِنَ القِلَّةِ التِي تَحَدَّثَتْ عَنْهُ،فَقَدْ تَحَدَّثَ عَنْ أُمَّةِ اليَهُودِ وَعَدَّدَ أعيادَهم[٦]،فَكَانَ **عِيدُ العُنْصُرَةِ** وَاحدًا مِنْ أَعْيَادِ اليَهُودِ،وَذُكِرَ كذلكَ فِي مَوْسُوعَتَيْ "صُبْحِ الأَعْشَى" للقَلْقَشَنْدِيّ(ت:١٢٢٦هـ) وَ"نِهَايَةُ الأَرَبِ"

---

١ – انْظُرْ : ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٢٢٧/٧ .

٢ – انْظُرْ : ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٢٢٧/٧. وَأَكَّدَ صَاحِبُ "شَذَرَات الذَّهَبِ" كَذَلِكَ عَلَى شُهْرَتِهِ وَأَهَمِّيَّتِهِ فِي بلادِ الأَنْدَلُس فِي ذِكْرَى حَبْسِ اللهِ الشَّمْسَ كَذَلِكَ عَلَى يُوشَعَ لَكِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهم يَحْتَفِلُون بِهِ فِي الرَّابِعِ عَشَر. انْظُرْ : ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَبِ**" ١٧٢/٢ .

٣ – أقصد "**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" وَ"**شَذَرَات الذَّهَبِ**".

٤ – انْظُرْ : ابن خَلِّكَان"**وَفَيَات الأَعْيَانِ**" ٢٢٧/٧– ٢٢٨؛ ابن عماد الحَنْبَلِيّ"**شَذَرَات الذَّهَبِ**" ١٧٢/٢ .

٥ – عيدُ العُنْصُرَةِ مِنْ أعيادِ النَّصَارَى كَذَلِكَ،وَيُسَمَّى عيدُ الخَمِيس،وَيَعْمَلُونَهُ بَعْدَ خَمْسِينَ يَوْمًا مِنْ عِيدِ الفِصْحِ فِي السَّادِسِ وَالعِشْرِينَ مِنْ بشنس،وَيَقُولُونَ إِنَّ رُوحَ القُدْسِ حَلَّتْ فِي التلاميذِ،وَتفَرَّقَتْ عَلَيْهِم ألسنةُ النَّاسِ فتكلموا بجميعِ الألسنةِ،وَذهب كلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى بلادِ لسانِهِ الذِي تَكَلَّمَ بِهِ يَدْعُوهُم إِلَى دِينِ المَسِحِ.وَلَمْ أجِدْ فِي مُخْتَصَرِ أَبِي الفِدَاء ذكرا لَهُ لَكِنَّهُ ذَكَرَ عيدَيْنِ وهمَا عيد السّلاقا وَالفَنْطِي قَسْطِي، يَتَرَجَّحُ لَدَيْ القولُ بِأَنَّهُمَا عيدُ العُنْصُرَةِ عِنْدَ النَّصَارَى؛فَهُمَا يتشابهان كَثِيرًا مَعَ مَا جَاءَ عن عيدِ العنصرَةِ .

انْظُرْ : النُّوَيْرِيّ "**نِهَايَة الأَرَبِ**" ١٩١/١؛ أَبُو الفِدَاءِ"**المُخْتَصَر فِي أَخْبَارِ البَشَر**" ٩١/١؛ القَلْقَشَنْدِيّ"**صُبْح الأَعْشَى**" ٤٣٧/٢ .

٦ – انْظُرْ أعياد اليهود فِي: النُّوَيْرِيّ"**نِهَايَة الأَرَبِ**" ١٩٥/١ – ١٩٧؛ أَبُو الفِدَاءِ"**المُخْتَصَر فِي أَخْبَارِ البَشَرِ**" ٨٨/١– ٨٩؛ القَلْقَشَنْدِيّ "**صُبْح الأَعْشَى**" ٤٦٣/٢ – ٤٦٦ .

لِلنُّوَيْرِيِّ(ت:٧٢١هـ)؛**فَالعُنْصُرَةُ عِيدٌ** مُهِمٌّ عِنْدَ اليَهُودِ،وَهُمْ يُعَظِّمُونَهُ،وَيأكلون فِيهِ القَطَائِفَ[١]، وَيجْعَلُونَهَا بَدَلاً عَنْ المَنِّ الذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عليْهِم فِي هَذَا اليَوْمِ[٢].**وَعِيدُ العُنْصُرَةِ** مَذْكُورٌ بينَ أعيادِ النَّصَارَى، إلا أَنَّ هَذَا العيدَ وَرَدَتْ لَهُ عدةُ تسمياتٍ عِنْدَ اليَهُودِ أَوَّلاً،وَثانيا التبَسَ الأمرُ عَلَى النَّاسِ لكون أعيادُ النَّصَارَى وَاليَهُودِ غريبةً عَلَى المُجْتَمع المُسْلِمِ،فغلبَ ذِكرُ النَّصَارَى أَحْيَانًا عَلَى مَا لَهُ عَلاقَةٌ باليَهُودِ،وَقدْ يتصادف مجيءُ هَذِهِ الأعيادِ ذاتِ التسمياتِ المتشابهةِ بالوقت نفسِه،ممَّا يضَعُ القارئَ فِي حيرةٍ أمامَ التَّسْمِياتِ وَالأُصُولِ لِهَذِهِ الأَعْيَادِ.وَلَيْسَ هَذَا مجالُ بحثي.لَكِنْ تظلُّ إشارةُ كُلٍّ مِنَ الوَفَيَّاتِ وَالشَّذَرَاتِ حَوْلَ اختصاصِ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ بِهَذَا العيدِ،وتأريخُهُمَا بِهِ لوفاةِ الشَّاعِرِ الأَنْدَلُسِي دُونَ توضيحٍ تعطي دِلالَةً لَدَيَّ وَترجيحًا عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَشْهُورًا عِنْدَ الأَنْدَلُسِيِّينَ يَهُودًا وَنَصَارَى، وَالأَهَمُّ أَنَّ قِصَّةَ **يُوشَعَ** وَحَبْسَ الشَّمْسِ لَهُ كَانَتْ منتشرةً وَمَعْروفَةً عِنْدَ الأَنْدَلُسِيِّينَ.

٣- بَلْعَام

وجَاءَ الحَدِيثِ عَنْ "**بَلْعَامَ**"[٣]في التُّرَاثِ العَرَبِيِّ الإِسْلامِيِّ مُشابِهًا لأَمْرِ "**يُوشَع**"،فَلَمْ يُذكرِ اسمُ **بَلْعَامَ** صَرَاحةً فِي القُرْآنِ،لكِنْ وَرَدَ ذكرُهُ خمسَ مراتٍ[٤]في "تَفْسِير ابنِ كَثِير"(ت: ٧٧٤هـ) لِقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى{وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ }[٥]. وَيَتَلَخَّصُ الحَدِيثُ عَنْ **بَلْعَامَ** فِي كتبِ التفسيرِ المُتَأثِّرَةِ بالإِسْرَائِيلِيّاتِ بأَنَّهُ **بَلْعَامُ** بنُ بَاعُورَا رَجُلٌ مِنَ العُلَمَاءِ المُتَقَدِّمِينَ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيل،أَعَانَ الجَبَّارِينَ بالدعاءِ عَلَى مُوسَى بَعْدَ التِّيهِ لأَنَّهُم كَانُوا قبلَ التِّيهِ

---

١ – القَطَائف: طعام يُسَوَّى مِنَ الدقيق المُرَقِّ بالماء، شبهت بخَمْل القطائف التي تُفْتَرش.

ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [قطف] ٢٨٦/٩ .

٢ – قال أَبُو الفِدَاء(ت:٧٣٢هـ) عَنْ عِيدِ العُنْصُرَةِ:إِنَّهُ مِنْ أَعْيَادِ اليَهُودِ،وَيَكُونُ بَعْدَ عِيدِ الفَطِيرِ(الفِصْحِ) بِسَبْعَةِ أسابيعَ أيْ خَمْسِينَ يَوْمًا، وَهُوَ فِي السادس مِنْ شيون(سيوان)مِنْ شُهُورِ اليَهُودِ:[شيون أَوْ سيوان يقابله فِي العَرَبِيَّة شهر حُزيران.وشهور السنة العِبْرِيَّةِ عِنْدَ اليهود :تشري يقابل شهر(١٠) مِنْ شهورنَا الآن وَبِهِ يبدأون سنتهم، وحشوان(١١) وكسلاو(١٢) وطابات(١) وشباط(٢) وآذار(٣) ونيسان(٤) وأيار(٥) وسيوان(٦) وتموز(٧) وآب(٨) وأيلول(٩)]،وَلا يَذْكُرُ أَبُو الفِدَاء يُوشَع فِي مناسبَتِهِ.وَتَخْتَلِفُ مُنَاسَبَتُهُ عَمَّا جَاءَ فِي الوَفَيَّاتِ وَالشَّذَرَاتِ؛فَفِيهِ حَضَرَ مَشايخُ بَنِي إِسْرَائِيل إِلَى طُورِ سَيْنَاء مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ،فَسَمِعُوا كَلامَ اللهِ تَعَالَى مِنَ الوَعْدِ وَالوعيدِ،فاتَّخَذُوهُ عِيداً، وَهَذَا الكلامُ يُشْبِهُ مَا جَاءَ فِي مَوْسُوعَتَيْ "صُبْح الأَعْشَى" وَ"نِهَايَة الأَرَب" حِينَ تَحَدَّثَتَا عَنْ أَعْيادِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى،لَكِنْ تعدَّدَتْ أَسْمَاؤُهُ عندهما؛فَكَانَ يُسمَّى عِيدَ العُنْصُرَةِ أَوْ عِيدَ الخِطَابِ أَوْ عِيدَ الأَسَابِيعِ وَهي الأسابيعُ التي فُرِضَتْ فِيهَا الفَرَائِضُ، وَكَمُلَ فِيهَا الدِّين، وَأَضافَ القَلْقَشَنْدِيّ اسْمًا آخرَ لَهُ وَهُوَ عَشَرْتَا،وَمعناه الاجْتِمَاعُ،وَهُوَ عندهمَا بَعْدَ عِيدِ الفَطِيرِ بِسَبْعَةِ أَسَابِيعَ.

انْظُرْ: أَبُو الفِدَاءِ "**المُخْتَصَر فِي أَخْبَارِ البَشَر**" ٨٨/١؛ القَلْقَشَنْدِيّ "**صُبْح الأَعْشَى**" ٤٣٧/٢؛ النُّوَيْرِيّ "**نِهَايَة الأَرَب**" ١٩٦/١

٣ – هُوَ: بَلْعَام أَوْ بَلْعَم بدون ألف رابعة،وَفِي لسان العرب بَلْعَم لَكِنَّ يشير إِلَى أَنَّ الكلمة ليست عربية،وَقَدْ وَرَدَ الاسم بعدة أشكال ليس هَذَا مجال التدقيق فِيهَا – فَقَالُوا ابن باعورا أَوْ باعوراء أَوْ باعور أَوْ باعر بدون ألف فِي آخره انْظُرْ قصته فِي: ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" ٢٦٤/٢ – ٢٦٧؛ النُّوَيْرِيّ "**نِهَايَة الأَرَب**" ٢٦٧/١٣ – ٢٧١؛ ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [بلعم] ٦٥/١٢ .

٤ – انْظُرْ: ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" ٤٠/١ ، ٢٦٤/٢ – ٢٦٧ .

٥ – **سُورَة الأَعْرَافِ**، آيَة ١٧٥ .

يَخَافُونَ مِنْ مُوسَى[1].وَقَدْ كَانَ فِي مدينة الجَبَّارِينَ يومَ تَوَجَّهَ بنو إِسْرَائِيل لقتالهم بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ إِلَى مُوسَى أَوَّلاً ثُمَّ مَعَ **يُوشَع** فيمَا بَعْدَ،وَكَانَ **بَلْعَامُ** يَعْلَمُ اسمَ اللهِ الأعظمَ وَكَانَ مُجَابَ الدُّعَاءِ،فلا يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا إلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ.لِذَا كَانَ قومُهُ يُقَدِّمُونَهُ فِي الشدائدِ،وَقَدِ اخْتَلَفَتْ الرِّوَايَاتُ عَنْهُ[2]، وَتَقُولُ الرِّوَايَاتُ إِنَّهُ لَمَّا تَوَجَّهَ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الجَبَّارِينَ ببلدهم،أتى **بَلْعَامَ** بنو عَمِّهِ وَقومُهُ، فَقَالُوا:إِنَّ مُوسَى رجلٌ حديدٌ وَمعه جُنُودٌ كَثِيرَةٌ،وَإِنَّه إِنْ يظهرْ علينَا يُهْلِكْنا،فادعُ اللهَ أَنْ يردَّ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ.قَالَ:إِنِّي إِنْ دَعَوْتُ اللهَ أن يَرُدَّ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ذهبتْ دُنْيَايَ وَآخِرَتِي.فَلَمْ يزالوا بِهِ حَتَّى دَعَا عَلَيْهِم،فَكَانَ لا يدعو عَلَى بَنِي إِسْرَائِيل بِشَرٍّ إلا صَرَفَ اللهُ لِسَانَهُ إِلَى قومِهِ،وَلا يدعو لقومه بِخَيْرٍ إلا صَرَفَ لِسَانَهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيل.فَقَالَ لَهُ قومه:أتدري يا **بَلْعَامُ** مَا تصنعُ،إِنَّمَا تدعو لَهُمْ وَتدعو علينا؟!قَالَ:فَهَذَا مَا لا أملك،هَذَا شيءٌ قَدْ غلبَ اللهُ عليه.فانْدَلَعَ لِسَانُهُ فَوَقَعَ عَلَى صَدْرِهِ؛ فَكَانَتْ حالُهُ تُشْبِهُ الكَلْبَ فِي لهثِهِ فِي كِلْتَيْ حَالَتَيْهِ إِنْ زَجَرَ وَإِنْ تَرَكَ[3] .

٤ـ السَّمَوْأَل

السَّمَوْأَلُ مِنْ أَشْهَرِ الأعْلامِ اليَهُودِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ التِي تكَرَّرَ ذِكْرُهَا فِي الأَدَبِ الأَنْدَلُسِيِّ،فَقَدْ أَتَى بِكَثْرَةٍ فِي أَدَبِهِمْ، وَحَمَلَ صُورَةً وَاحِدَةً امتلأتْ بِمَعانِي الوَفَاءِ وَالجِيرَةِ وَعَدَمِ الخِيانَةِ بِجَانِبِ القُوَّةِ لِنُصْرَةِ المُسْتَجِيرِ مَهمَا كَلَّفَ الأمْرُ.وَشَخْصِيَّةُ **السَّمَوْأَلِ** مَأْخُوذَةٌ مِنَ التَّارِيخِ العَرَبِيِّ القَدِيمِ.وَقَدِ اخْتَلَفَتْ تَفَاصِيلُ قِصَّتِهِ مِنْ مَصْدَرٍ لآخَرَ،وَهَذَا لَيْسَ مَوْضُوعَ البَحْثِ،لَكِنْ تُجْمِعُ الروايات عَلَى أَنَّهُ **السَّمَوْأَلُ** بنُ غَرِيض عَادِياء[4]بنُ حَيَّا صَاحِبُ تَيْمَاءَ[5] التِي عُرِفَتْ بتيماءَ اليَهُودِيِّ،قِيلَ إِنَّ أُمَّهُ مِنْ غَسَّانَ[6]،وَقِيلَ إِنَّهُ مِنْ وَلَدِ الكَاهِنِ هَرُونَ بنِ عِمْرَانَ أخي النَّبِيِّ مُوسَى.وَلَهُ حِصْنٌ عَلَى رابِيَةٍ بَيْنَ الحِجَازِ وَالشَّامِ مُشْرِفٌ عَلَى تَيْمَاءَ سُمِّيَ "بِالأَبْلَقِ[7]الفَرْدِ .

١ – نْظُرْ: ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" ٢/ ٤٠ .

٢ – قَالُوا إِنَّ نَبِيَّ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ بعثه إِلَى مَلِكِ مَدْيَنَ يَدْعُوهُ إِلَى اللهِ،فَأَطْعَمَهُ وَأَعْطَاهُ فَتَبِعَ دِينَهُ وَتَرَكَ دِينَ مُوسَى، وَبعضُهُم ذهبَ إِلَى أَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا مَبْعُوثًا مِنَ الله لَكِنَّ ابنَ كَثِير يُخَطِّئُ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ أُوتي النُّبوة فأنسلخ عَنْهَا، وَيَقُولُ إِنَّ هَذَا غريبٌ وَلا يَصِحُّ أبدا.
انْظُرْ: ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" ٢/٢٦٤ – ٢٦٧ .

٣ – انْظُرْ: ابن كَثِير "**تَفْسِيرُهُ**" ٢/٢٦٤ – ٢٦٧ .

٤ – يكتب فِي المراجع عاديا أَوْ عادياء .

٥ – تَيْمَاء: مِنْ أطراف الشام بين الشام ووادي القرى عَلَى طريق حاج الشام ودِمَشْقَ،وبها "الأبلق الفرد" حصن السموأل بن عادياء مشرف عَلَيْهَا فلذلك كَانَ يُقَالُ لَهَا تيماء اليهودي. انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ١/ ٧٥، ٢/ ٦٧؛ القَزْوِينِيّ "**آثَارُ البِلادِ وَأَخْبَارُ العِبَادِ**"ص٧٣؛ النُّوَيْرِيّ "**نِهَايَةُ الأَرَبِ**" ١/ ٣٨٥ .

٦ – غسان: اسم ماء بسد مأرب باليمن،نزل عَلَيْهِ بنو مازن بن الأزد بن الغوث،وإِلَيْهِ تنسب بعض القبائل المشهورة وَمِنْهَا الأنصار وَهُمْ الأوس والخزرج ابنَا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث،وقِيلَ هُوَ اسم دابة وقعت فِي هَذَا الماء فسمي الماء بها انْظُرْ: يَاقُوت الحَمَوِيّ"**مُعْجَم البُلْدَان**" ٤/ ٢٠٣ – ٢٠٤ .

٧ – البَلَقُ: سواد وبياض ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [بلق] ١٠/ ١٥ .

ثَالِثًا :ـ مَلاحِقُ القَصَائِدِ وَالمُقَطَّعَاتِ الشِّعْرِيَّةِ

أ- شِعْرٌ مِنَ العَرَبِ مُوَجَّهٌ إِلَى ابنِ حَسْدَاي .

١- يَحْيَى أَبُو بَكْرٍ الجَزَّارُ يُجَاوِبُ ابنَ حَسْدَاي .

كَانَ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بنُ مُحَمَّدٍ الجَزَّارِ السَّرَقُسْطِي،أديبا فَتَرَكَ الأَدَبَ وَرَجَعَ إِلَى الجَزَّارِين. جاءَ فِي "الذَّخِيرَة" وَ"المُغْرِب" وَ"نَفْح الطِّيبِ" أَنَّ ابن هُود أَمَرَ وَزِيرَهُ ابن حَسْدَاي أَنْ يُوَبِّخَهُ عَلَى ذلك (١) . لكنْ جاءَ فِي " رَوْضَةُ المَحَاسِنِ وَعُمْدَةُ المَحَاسِنِ" أَنَّ أَبَا بَكْرٍ يَحْيَى الجَزَّارَ دخَلَ قصر سَرَقُسْطَة مَعَ الجَزَّارِينَ فِي بَعْضِ أَحْوَالِهِمْ، فَأَبْصَرَهُ الوَزِيرُ الكاتِبُ أَبُو الفَضْلِ بنُ حَسْدَاي الإِسْرَائِيلِيُّ فاعْتَرَضَهُ بقوله(٢): [الوافر]

تَرَكْتَ الشِّعْرَ مِنْ قِلَّةِ الإِصَابَةْ(٣)	وَعُدْتَ إِلَى التَّحَرُّفِ بِالقِصَابَةْ(٤)

فأَجابَهُ أبو بَكْرٍ يَحْيَى الجَزَّارُ (٤٣٨- ٤٧٤هـ) بِهَذِهِ القَصِيدَةِ (٥): [الوافر]

١. تَعِيبُ عَلَيَّ مَأْلُوفَ القِصَابَةْ	وَمَنْ لَمْ يَدْرِ قَدْرَ الشَّيءِ عَابَهْ
٢. وَلَوْ أَحْكَمْتَ مِنْهَا بَعْضَ فَنٍّ(٦)	لَمَا اسْتَبْدَلْتَ مِنْهَا بِالحِجَابَةْ
٣. لَعَمْرُكَ لَوْ نَظَرْتَ إِلَيَّ فِيهَا(٧)	وَحَوْلِي مِنْ بَنِي كَلْبٍ عِصَابَةْ
٤. لَهَالَكَ مَا رَأَيْتَ وَقُلْتَ هَذَا(٨)	هِزَبْرٌ صَيَّرَ الأَوْضَامَ(٩)غَابَهْ
٥. وَلَوْ تَدْرِي بِهَا كَلَفِي وَوَجْدِي	عَلِمْتَ عَلامَ تُحْتَمِلُ الصُّبَابَةْ(١٠)

---

١ – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٢/٩٠٥ ؛ابن سَعِيد "**المُغْرِب**"٢/٤٤٥ .

٢ – الجَزَّار السَّرَقسْطِيّ"**رَوْضَةُ المَحَاسِنِ وَعُمْدَةُ المَحَاسِنِ**"ص١٥٦؛ابن بَسَّام"**الذَّخِيرَة**"ق٣،م٢/٩٠٥؛ابن سَعِيد "**المُغْرِب**"٢/٤٤٥؛ المَقَّرِيّ " **نَفْحُ الطِّيبِ**"٥/٢٩١ .

٣ – قِلَةِ بِغَيْرِ تضعيف ليستقيم الوزن فِي الديوان.و"مِنْ ضَعفِ الإِصَابَةْ"في"**الذَّخِيرَة**"وَ"**المُغْرِب**"،وَ"مِنْ عَدَمِ"في"**زَادُ المُسَافِرِ**"و""**نَفْحُ الطِّيبِ**"

٤ – " إِلَى الدَّنَاءَةِ وَالقِصَابَةْ " في"**الذَّخِيرَة**"وَ"**المُغْرِب**"، و"مِلْتَ" فِي "**زَادُ المُسَافِرِ**" ، و" إِلَى التجارة " فِي "**نَفْحُ الطِّيبِ**" .

٥ – القَصِيدَةُ في:الجَزَّار السَّرَقسْطِيّ" **رَوْضَةُ المَحَاسِنِ وَعُمْدَةُ المَحَاسِنِ**" ص١٥٧– ١٦٣ .

ابن بَسَّام"**الذَّخِيرَة**" ق٣،م٢/٩٠٥–٩٠٦ الأبيات: ١– ٤، ١٠ ، ١٥ ، ١٨ ، ١٩، ٢٦ – ٢٨ ، ٥٤ ، ٥١ ، ٥٩ ، ٦٠ .

صفوان ابن إدريس"**زَادُ المُسَافِرِ**" ص ١٤٠– ١٤١ الأبيات: ١– ٤، ١٠ ، ١٥ ، ١٣ ، ١١ .

ابن سَعِيد "**المُغْرِب**" ٢/٤٤٥ الأبيات: ١– ٤، ١٥ ، ١٩ ، ٢٦ – ٢٨ .

المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**"٥/٢٩١– ٢٩٢ الأبيات: ١ ، ٢ ، ٥ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ١٠ ، ١٥ ، ١٩ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦– ٢٨ .

٦ – " بَعْضَ شيء " فِي "**نَفْحُ الطِّيبِ**" طبعة عبد الحميد ص ٢٨٧ .

٧ – "أمَا وَلو اطَّلَعْتَ عَلَيَّ يَوْمًا"في"**الذَّخِيرَة**"وَ"**المُغْرِب**"،"فإنَّكَ لَوْ نظرْتَ إليَّ فيها" في"**زَادُ المُسَافِرِ**"،"وإنك لَوْ طَلَعْتَ" في"**نَفْحُ الطِّيبِ**" .

٨ – " لَهَالَكَ مَنْظَرِي وَلَقُلْتَ " فِي "**زَادُ المُسَافِرِ**" .

٩ – الأَوْضَامَ : جمعُ الوَضَم، وَهُوَ كلُّ شيء يوضع عَلَيْهِ اللحمُ مِنْ خشب ونحوه يُوقى بِهِ مِنَ الأَرض .

ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [وضم] ١٢/٦٤٠ .

١٠ – "أَحْتَمِلُ الصَّبَابَةَ " فِي "**نَفْحُ الطِّيبِ**" .

الصُّبَابَةْ : مِنَ الصُّبَّةُ وهي القِطْعة مِنَ الإبل والشَّاء. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [صبب] ١/٥١٥ .

٦. لَقَدْ شَهِدَتْ[١] لَنَا كَلْبٌ وَهِرٌّ ... بِأَنَّ المَجْدَ قَدْ حُزْنَا لُبَابَهْ
٧. إِذَا طَلَعَ الوَلِيدُ لَنَا رَضِيعًا ... رَأَيتَ بِوَجْهِهِ سِيمَا النَّجَابَهْ
٨. وَإِنْ بَلَغَ الفِطَامَ فَذَاكَ لَيْثٌ ... هِزَبْرٌ كَاسِرٌ لِلحَرْبِ نَابَهْ
٩. إِذَا مَا نَحْنُ نَازَلْنَا قَبِيلاً ... رَأَيْتَ المَوْتَ قَدْ أَمْضَى حِرَابَهْ
١٠. فَتَكْنَا فِي بَنِي العَنْزِيِّ فَتْكًا ... أَقَرَّ الذُّعْرَ فِيهِمْ وَالمَهَابَةْ
١١. أَبَدْنَا شِيبَهُمْ[٢] وَمَتَى ظَفِرْنَا ... بِغُرٍّ شَبَّ لَمْ نَرْحَمْ شَبَابَهْ
١٢. وَلَوْلا نَحْنُ لَمْ تَجِدِ المَنَايَا الـ ... ـسَبِيلَ[٣] إِلَى بَنِيهَا المُسْتَطَابَةْ
١٣. وَهَلْ جَمَلٌ بَدَا[٤] إِلا حَمَلْنَا ... عَلَيْهِ حَمْلَةً هَتَكَتْ حِجَابَهْ
١٤. صَفَعْنَا بِالشِّفَارِ[٥] قَفَاهُ حَتَّى ... فَرَيْنَاهُ[٦] وَمَزَّقْنَا إِهَابَهْ
١٥. وَلَمْ نُقْلِعْ عَنِ الثَّوْرِيِّ حَتَّى ... مَزَجْنَا بِالدَّمِ القَانِي لُعَابَهْ
١٦. إِذَا مَا لانَ عُودُ النَّاسِ يَوْمًا ... وَخَرَّ فَعُودُنَا فِيهِ صَلابَهْ
١٧. نُرِيقُ دَمًا وَلا حَرَجٌ عَلَيْنَا ... وَمَنْ نَقْتُلْهُ لا نَخْشَى عِقَابَهْ
١٨. وَيَبْرُزُ وَاحِدٌ مِنَّا لأَلْفٍ ... فَيَفْنِيهِمْ وَتِلْكَ مِنَ الغَرَابَةْ[٧]
١٩. وَمَنْ يَغْتَرُّ[٨] مِنْهُمْ بِامْتِنَاعٍ ... فَإِنَّ إِلَى سَوَاطِرِنَا إِيَابَهْ[٩]
٢٠. بِنَاءُ المَجْدِ لا شِيدُ المَبَانِي ... وَجِدُّ[١٠] السَّيْفِ لا جِدُّ الكِتَابَةْ
٢١. وَرِثْنَا المَجْدَ عَنْ قَرْمٍ[١١] فَقَرْمٍ ... فَلَيْسَ لِغَيْرِنَا تُعْزَى نِجَابَهْ
٢٢. وَحُزْنَا فِي النَّقَاوَةِ كُلَّ فَنٍّ ... فَلَيْسَ بِغَيْرِنَا تَصْبُو ذُبَابَهْ[١٢]
٢٣. "أَبَا الفَضْلِ" الوَزِيرِ أَجِبْ ... فَفَضْلُكَ[١٣] ضَامِنٌ عَنْكَ الإِجَابَةْ

---

١ – " وَكَمْ شَهِدَتْ " فِي "**نَفْحُ الطِّيبِ**" .
٢ – " أَبَدْنَا شَيْخَهُم " فِي "**زَادُ المُسَافِرِ**" .
٣ – لَمْ تُنَوَّن لضرورة الوزن .
٤ – " جَمَلٌ يُرَى " فِي "**زَادُ المُسَافِرِ**" .
٥ – الشِّفَارُ : مفردها الشَّفْرَةُ مِنَ الحديد، وهي مَا عُرِّض وحُدِّدَ. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [شفر] ٤٢٠/٤ .
٦ – فَرَى الشيءَ : شقَّه وأَفسده . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [فرا] ١٥٢/١٥ .
٧ – " فَيَغْلِبهم... " في"**الذَّخِيرَة**" ، " فيغْلِبهم وَذَاكَ مِنَ الغَرَابَةْ " فِي "**نَفْحُ الطِّيبِ**" .
٨ – " يغترّ " فِي "**نَفْحُ الطِّيبِ**" .
٩ – " إِلَى صَوَارِمِنَا " في"**الذَّخِيرَة**"وَ"**المُغْرِب**" وَ"**نَفْحُ الطِّيبِ**" .
سواطرنَا : جمع ساطور وهو سيف القصاب ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [سطر] ٣٦٣/٤ .
١٠ – يرى محقق الديوان مُنجد بهجت أَنَّ الصواب أن تكون " حَدُّ السَّيْفِ " .
١١ – القَرْمُ مِنَ الرِّجَالِ: السَّيِّدُ المُعَظَّمُ ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [قرم] ٤٧٣/١٢ .
١٢ – ذُبابةُ كل شيءٍ : بَقيتُه ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [ذبب] ٣٨٢/١ .
١٣ – " وَفَضْلُكَ " فِي "**نَفْحُ الطِّيبِ**" .

٢٤. وَإِصْـــغَاءً إِلَـــى شَـــكْوَى شَـــكُورٍ   أَطَلْـتَ عَلَـى قِصَـابَتِهِ[1] عِتَابَـهْ
٢٥. جَـــلاهُ الـــدَّهْرُ بِالأَرْجَـــاءِ ظَلْمًـــا   وَأَنْشَـــبَ ظَفْـــرَهُ فِيـــهِ وَنَابَـــهْ
٢٦. لَعَمْرُكَ[2] مَـا تَرَكْـتُ الشِّعْرَ حَتَّـى   رَأَيْـــتُ البُخْـــلَ قَدْ أَمْضَـــى[3]
٢٧. وَحَتـى زُرْتُ مُشْـتَاقًا حَمِيمِـي[4]   فَـأَظْهَرَ[5] لِـي الـتَّجَهُّمَ وَالكَآبَـةْ
٢٨. وَظَـنَّ زِيَـارَتِي لِطِـلابِ نَيْـلٍ[6]   فَنَـافَرَنِي وَغَلَّـظَ[7] لِـي حِجَابَـهْ
٢٩. وَذُو الهِمَـمِ العَلِيَّـةِ مَـنْ تَجَـافَى   وَجَنَّـبَ كُـلَّ مَـنْ يَبْغِـي اجْتِنَابَـهْ
٣٠. لَقَدْ حَجَبَ النَّدَى المَـأْلُوفُ وَجْهًـا   وَحَـطَّ اللّـؤْمُ عَـنْ قَصْـدٍ نِقَابَـهْ
٣١. وَصَـارَ الجُـودُ لَفْظًـا دُونَ مَعْنَـى   وَصِـرْنَا بِـالمُنَى نَرْتَـادُ بَابَـهْ
٣٢. إِذَا مَـا قِيـلَ هَـذَا بَحْـرُ جُـودٍ   وَرِدْتُ فَلَـمْ أَجِـدْ إِلا سَـرَابَهْ
٣٣. وَكَـانَ الشِّـعْرُ أَحْسَـنَ مَـا يُحَلَّـى   بِـهِ أَهْـلُ الـدَّعَارَةِ وَالدُّعَابَـةْ
٣٤. فَصَـارَ بَنُـوهُ عِنْـدَ النَّـاسِ أَدْنَـى   وَأَحْقَرَفِي العُيُونِ مِنَ الصُّـؤَابَةْ[8]
٣٥. إِذَا مَـا شِـئْتَ أَنْ تُنْشَـأَ فَـنظَمْ   قَرِيضًـا وَالـتَمِسْ فِيـهِ الإِثَابَـةْ
٣٦. وَلَمَّـا صَـارَ أَهْـلُ الأَرْضِ طَـرًّا   ذُبَابًـا صِـرْتُ مُفْتَرِسًـا ذُبَابَـهْ
٣٧. فَمَـنْ لَـمْ أَسْـتَلِمْهُ بِـالقَوَافِي   وَكَانَ البُخْلُ بِالمَعْرُوضِ دَابَهْ[9]
٣٨. نَصَـبْتُ لِلُؤْمِـهِ شِـرْكَ احْتِيَـالِي   وَصِدْتُ لَهَاهُ[10] مِنْ بَابِ القِصَابَهْ
٣٩. وَلا حَـرَجٌ عَلَـى المُضْـطَرِّ فِـي أَنْ   يُصْرِفَ فِي تَخَلُّصِهِ خِلابَهْ[11]
٤٠. يُـذَلِّلُ لِـي صِـعَابَ القَـوْلِ طَبْـعٌ   جَعَلْـتُ إِلَـى رِياضَـتِهِ انْتِدَابَـهْ
٤١. وَيَهْتَـزُّ القَـرِيضُ إِلَـيَّ عُجْبًـا   مَتَـى أَوْجَفْتُ فِـي أَحَدٍ رِكَابَـهْ[12]
٤٢. وَهَـلْ أَحَـدٌ بِأَمْضَـى فِيـهِ مِنِّـي   وَأَنْفَـذَ سَـهْمًا أَوْ أَقْـوَى أَصَـابَهْ ؟

---

١ – " عَلَى صِنَاعَتِهِ " فِي "**نَفْحُ الطِّيبِ**" .
٢ – " وَحَقِّكَ " في"**الذَّخِيرَةِ**" وَ"**نَفْحُ الطِّيبِ**" ..
٣ – " قَدْ أمضى" في"**الذَّخِيرَةِ**"وَ " قَدْ أَذْكَى " فِي "**المُغْرِب**"، " قَدْ أَوْصَى صِحَابَهْ " فِي "**نَفْحُ الطِّيبِ**" .
٤ – " حَمِيمًا " في"**الذَّخِيرَةِ**"، وَ" حَبِيبًا " في"**المُغْرِب**"، وَ" خَلِيلِي " فِي "**نَفْحُ الطِّيبِ**" .
٥ – " فَأَبْدَى ..." في"**الذَّخِيرَةِ**"وَ"**المُغْرِب**" وَ" فَأَبْدَى لي التَّحَيُّلَ " فِي "**نَفْحُ الطِّيبِ**" .
٦ – " فَظَنَّ " فِي "**المُغْرِب**"، " لِطِلابِ شَيءٍ " في"**الذَّخِيرَةِ**"وَ"**المُغْرِب**" وَ"**نَفْحُ الطِّيبِ**" .
٧ – " وَأَغْلَظَ " فِي "**المُغْرِب**" .
٨ – الصُّؤَابة: بيضَةُ القملة   ابن مَنْظُور"**لِسَانُ العَرَبِ**"[صأب] ٥١٤/١ .
٩ – دابه : دأبه لكن سُهِّلَت الهمزة فِيهَا .
١٠ – اللَّهاةُ مِنْ كلِّ ذي حلق : اللحمة المُشْرِفة عَلَى الحَلق .   ابن مَنْظُور"**لِسَانُ العَرَبِ**"[لَهَا] ٢٦٢/١٥ .
١١ – خِلابَهْ : خَدِيعَةُ بِاللسانِ .   ابن مَنْظُور"**لِسَانُ العَرَبِ**" [خلب] ٣٦٣/١
.
١٢ – فِي البيت اقتباس مِنَ القُرْآنِ الكريم مِنْ قوله تعالى : ﴿ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ ﴾ **سُورَةِ الحَشْرِ**، آيَة ٦ .

٤٣. مَتَى أَمْدَحْ أَشِدُ مَجْدًا أَثِيلا ... يَدُ الأَيَّامِ لا تُمْضِي خَرَابَهْ

٤٤. وَلَو كُنْتُ امْرَأً بِالذَّمِّ يُغْرَى ... هَرَقْتُ عَلَى مَرْفِقِهِ صُنَابَهْ[1]

٤٥. وَلَكِنِّي شَئِمْتُ الذَّمَّ حَتَّى ... نَضَوْتُ[2] تَكَرُّمًا عَنِّي ثِيَابَهْ

٤٦. وَرَبُّ الشِّعرِ مَا لَمْ يَأسَ يَوْمًا ... وَيَجْرَحُ لا تَكُونُ لَهُ مَهَابَهْ

٤٧. وَإِذْ أَيْقَظْتَنِي وَنَدَبْتَ مِنِّي ... إِلَى قَصْدِ الوَرَى صَعْبَ الإِنَابَةْ

٤٨. فَأَنْتَ أَحَقُّ مَسْؤُولٍ بِقَصْدِي ... وَأَفْضَلُ مَنْ قَرَعْتُ عَلَيْهِ بَابَهْ

٤٩. وَقَدْ صَيَّرْتُ مَا أَشْكُو كِتَابًا ... فَصَيِّرْ مَا تَجُودُ بِهِ جَوَابَهْ

٥٠. وَإِلا فُرْصَةٌ مِنْكُمْ عَسَى أَنْ ... يُقَالَ: لَقَدْ مَلا يَحْيَى جِرَابَهْ

٥١. مِنَ الأَوْشَالِ لُجُّ البَحْرِ طَامٍ[3] ... وَفَيْضُ السَّيْلِ[4] مِنْ نُقَطِ السَّحَابَةْ

٥٢. دَعَاكَ دُعَاءَ مُضْطَرٍّ غَرِيقٍ ... وَيَرْجُو أَنَّ دَعْوَتَهُ مُجَابَةْ

٥٣. إِذَا انْتُخِبَ العَظِيمُ لِكَشْفِ جُلَّى ... وَتَبْلِيغِ المُنَى كُنْتَ انْتِخَابَهْ

٥٤. وَمَنْ تَكُ سَهْمَهُ المَاضِي وَيَأْمَلُ ... بِكَ الغَرَضَ الذِي يَهْوَى،أَصَابَهْ

٥٥. قَدْ اظْلَمَ[5] بِالحَوَادِثِ أُفُقُ سَعْدِي ... فَجَلِّ بِشَمْسِ عَوْنِكَ لِي ضَبَابَهْ

٥٦. وَضَاقَ بِمَا طَوَاهُ السَّعْدُ ذَرْعًا ... فَوَسِّعْ بِالذِي أَرْجُو جَنَابَهْ

٥٧. وَصِلْ رَحْمَ التَّأَدُّبِ بِالأَمَانِي ... فَإِنَّ ذِمَامَهُ أَدْنَى قَرَابَةْ

٥٨. تَآلَفْنَا عَلَى نَسَبٍ كَرِيمٍ ... فَبَابُ الشِّعْرِ مِنْ بَابِ الكِتَابَةْ

٥٩. كَتَبْتُ بِهِ عَلِيلَ الجِسْمِ نِضْوًا[6] ... وَذُو الأَسْقَامِ قَدْ يَعْدُو صَوَابَهْ

٦٠. وَمَوْقِفُ حَشْرِ نَقْدِ الشِّعْرِ[7] صَعْبٌ ... فَيَسِّرْ عِنْدَ مَوْقِفِهِ حِسَابَهْ

٦١. وَإِغْضَاءً عَلَيْهِ فَلَيْسَ صَقْرٌ ... يَجُرُّ الصَّيْدَ حَيْثُ يَرَى عِقَابَهْ

---

١ – الصِّنابيُّ مِنَ الإبل: الذي لونه مِنَ الحُمْرة والصُّفْرة، مَعَ كثرة الشَّعَر والوبر. ابن مَنْظُور "لِسَان العَرَب" [صنب] ١/ ٥٣١ .

٢ – نضوتُ ثيابه : خلعتُها وألقيتُها عني. ابن مَنْظُور "لِسَان العَرَب" [نضا] ٣٢٩/١٥ .

٣ – الأَوْشَال : جمع الوَشَل، وَهُوَ الماءُ القليل يَتَحَلَّب مِنْ جبل أَو صخْرة يقطُر مِنْهُ قليلاً قليلاً، لا يَتَّصِلُ قطْره، وقِيلَ: لا يَكُونُ ذلك إلا مِنْ أَعلى الجَبل. ابن مَنْظُور "لِسَان العَرَب" [وشل] ٧٢٥/١١ .

طامٍ : مُرتفِعٍ عالٍ . ابن مَنْظُور "لِسَان العَرَب" [طما] ١٥ /١٥ .

لُجُّ البحرِ : الماءُ الكثير الذي لا يُرَى طرَفاه . ابن مَنْظُور "لِسَان العَرَب" [لجج] ٣٥٥/٢ .

٤ – " وَفَيْضُ البَحْرِ " في "الذَّخِيرَة" .

٥ – " قَدْ اظْلَمَ " الهمزة للوصل لضرورة الوزن .

٦ – النِّضْوُ : المهزول مِنْ جميع الدواب، وقَدْ يستعمل فِي الإنسان. ابن مَنْظُور "لِسَان العَرَب" [نضا] ٣٣٠/١٥ .

٧ – " وَمَوْقِفُ حَسْنٍ " في "الذَّخِيرَة" .

٢ـ الجَزَّارُ السَّرَقسْطِيُّ يستنجز ابنَ حَسْدَاي .

بعد قَصِيدَةِ القِصَابَةِ السَّابقة دَفَعَ الجَزَّارُ إِلَى ابنِ حَسْدَاي يَسْتَنْجِزُهُ(١) : [الطويل]

١. أَبَا الفَضْلِ لا تَرتَبْ بِفَضْلِكَ إِنَّنِي   حَفَزْتُكَ وَالمُضْطَرُّ يُعْذَرُ فِي الحَفْزِ(٢)
٢. إِذَا كَانَ لِلْمَرْءِ التَّقَدُّمُ رُتْبَةً   وَلا بُدَّ مِنْهُ فَالتَأْخيرُ عَنْ عَجْزِ
٣. وَلا بُدَّ مِنْ هَزِّ الكَرِيمِ لأَنَّنِي   رَأَيْتُ الحُسَامَ العَضْبَ(٣)أَمْضَى لَدَى الهَزِّ
٤. وَلَو كَانَ يَسْتَغْنِي الكَرِيمُ بِطَبْعِهِ   عَنِ الهَزِّ لاسْتَغْنَى الجَوادُ عَنِ الهَمْزِ(٤)

٣ـ ابنُ حَسْدَاي إِلَى الجَزَّار السَّرَقسْطِيّ .

بَعْدَ قَصِيدَةِ القِصَابَةِ كَتَبَ أَبُو الفَضْلِ بنُ حَسْدَاي إِلَى الجَزَّارِ قَائِلاً (٥) : [الطويل]

١. لَعَمْرِي لَقَدْ طَبَّقْتَ فِي الشِّعْرِ مُفَصِّلا   أَتَيْتَ بِهِ عَفْوًا وَأَقْلَلْتَ فِي الحَزِّ(٦)
٢. سَأَلْطُفُ(٧)فِي فَرْوٍ مِنَ الحَمْدِ تَكْتَسِي   بِهِ يُقْتَضَى بِالنَّتْفِ طَوْرًا وَبِالجَزِّ(٨)
٣. فَيُؤْخَذُ مِنْ قَوْمٍ بِعَطْفِ تَوَدُّدِ   وَيُؤْخَذُ مِنْ قَومٍ إِنْ اعْتَاضَ بِالزِّرِّ(٩)

٤ـ الجَزَّارُ يُرَاجِعُ ابنَ حَسْدَاي .

كَتَبَ الجَزَّارُ السَّرَقسْطِيُّ إِلَى أَبِي الفَضْلِ بنِ حَسْدَاي يُرَاجِعُهُ قَائِلاً (١٠) : [الطويل]

١. وَإِنِّي لَذُو بَزٍّ مِنَ الحَمْدِ طَرْزُهُ   فَمَالِي أَرَاكَ اليَوْمَ تَزْهَدُ فِي بَزِّي
٢. كأنَّكَ لَمْ تَكْتُبْ إِلَيَّ مُصَرِّحًا   بِلا لُغْزٍ فِيمَا خَطَطْتَ وَلا رَمْزِ
٣. "سَأَلْطَفُ فِي فَرْوٍ مِنَ الحَمْدِ تَكْتَسِي   بِهِ يُقْتَضَى بِالنَّتْفِ طَوْرًا وَبِالجَزِّ"
٤. فَيُؤْخَذُ مِنْ قَوْمٍ بِعَطْفِ تَوَدُّدِ   وَيُؤْخَذُ مِنْ قَوْمٍ إِنْ اعْتَاضَ بِالزَزِّ
٥. وَلَمْ يَبْقَ مَنْ يَعْتَاضُ غَيْرُكَ فَاقْضِ لِي   عَلَيْكَ فَقَدْ أَخْلَقْتَ وَجْهِيَ بِالجَمْزِ

---

١ – الجَزَّار السَّرَقسْطِيّ" **رَوْضَةُ المَحَاسِنِ وَعُمْدَةُ المَحَاسِنِ**" ص ١٦٣ .
٢ – الحَفْزُ: الحَثُّ والاستِعْجَال . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [حفز] ٣٣٧/٥ .
٣ – العَضْب : السيف القاطع . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [عضب] ٦٠٩/١ .
٤ – هَمْز الدابة (الجواد هُنَا): غَمَزَها. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [همز] ٤٢٥/٥ .
٥ – الجَزَّار السَّرَقسْطِيّ" **رَوْضَةُ المَحَاسِنِ وَعُمْدَةُ المَحَاسِنِ**" ص ١٦٣ .
٦ – الحَزُّ : القَطْعِ فِي عِلاجٍ، وقِيلَ: هو فِي اللَّحْمِ مَا كَانَ غَيرَ بائن. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [حزز] ٣٣٤/٥ .
٧ – سَأَلْطُفُ بِهِ : سأكرمه وأبره بهدية . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [لطف] ٣١٦/٩ .
٨ – الجَزُّ : التَّحسين للصوفِ وأمثاله . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [جزز] ٣١٩/٥ .
٩ – الزِّرّ : حُسْن الرِّعَايَة للإِبِل . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [زرر] ٣٢٣/٤ .
١٠ – الجَزَّار السَّرَقسْطِيّ" **رَوْضَةُ المَحَاسِنِ وَعُمْدَةُ المَحَاسِنِ**" ص ١٦٤ .

ب - مِنْ شِعْرِ ابنِ حَسْدَاي .

١ - عَلَى لِسَانِ النَّرْجِسِ .

لأبي الفَضْلِ ابْنُ حَسْدَاي أَبْيَاتٌ عَلَى لِسَانِ النَّرْجِسِ انْدَرَجَتْ فِي رِسَالَةٍ يَقُولُ فِيهَا(١): [الطويل]

١. تَقَضَّـى زَمَانٌ،طَـائِرُ الأُنْـسِ عِنْـدَهُ	مَـذُودٌ وَسِـرْبُ اللَّهْـوِ فِيـهِ مُـرَوَّعُ
٢. وَطَـالَ انْتِظَـارِي دوْلَـةَ الوَصْـلِ بَعْـدَمَا	تَصَـرَّمَ بِـالهُجْرَانِ مَشْـتَى وَمَرْبَـعُ
٣. عَرَضْـتُ لَـهُ حُبِّـي فَـأَعْرَضَ جَانِبًـا	وَلكِنْ رَعَى عَهْدِي الذي لا يُضَيَّعُ
٤. وَأَرْسَـلَنِي كَيْمَـا أدِلَّ بِحُرْمَـةٍ	لَـدَيْكَ بِهَـا حَـقٌ كَـرِيمٌ مُشَـفَّعُ
٥. فأَقْبَلْـتُ أَسْـتَجْدِي رِضَـاكَ وَإِنْ تَعُـدْ	يُسَارِعْ إِلَى وَصْلِي المُحِبونَ أَجْمَعُ
٦. وَهَـا فَـاعْتَبِرْ فِـي مَنْبَتِـي وَتَقَلُّبِـي	فَكُـلٌّ لأَصْـلٍ وَاحِـدٍ يَتَفَـرَّعُ
٧. لأَوْدَى بِجُثْمَـانِي البِلَـى وَأبَـادَهُ	وَأَثْبَـتَ رُوحًـا نَيِّـرًا يَتَطَلَّـعُ
٨. يَـرَى الـوَهْمُ مِنْـهُ جَـوْهَرًا مُتَضَـرِّمًا	يَـرُوقُ وَنَشْـرًا سَـاطِعًا يَتَضَـوَّعُ
٩. كَـذَلِكَ أَجْسَـامٌ تَبِيـدُ وَأَنْفُـسٌ	إلى الشَّرَفِ الأَعْلَى تَعُودُ وَتَرْجِعُ
١٠. وَمَـا العَيْشُ إلا فُرْصَـةٌ يَسْتَدِيمُهَا اللـ	ـبيبُ بِأَثْمَـارِ السُّـرُورِ فَيُمَتَّـعُ
١١. فَبَـادِرْ زَمَـانَ الأُنْـسِ وَاعْمُـرْ جَنابَـهُ	فَزَاهِـرُهُ رَيَّـانُ بِالحُسْـنِ يَنْـزَعُ
١٢. وَلا تَمْطُـلِ اللَّـذَّاتِ عُمْـرَكَ مِثْلَمَـا	يُسَـوِّفُ بِالـدَّيْنِ الغَـرِيمُ وَيُـدْفَعُ

٢- فِي مَدْحِ أَحَدِهِم .

وَقَالَ أبو الفَضْلِ ابْنُ حَسْدَاي فِي أَحَدِهِمْ(٢): [الرمل]

١. أَيُّهَـا المَـاءُ الَّـذِي لَـوْلاهُ مَـا	بَـرِحَ الإسْلامُ يَشْـكُوا الغُصَصَـا
٢. جُمْلَـةٌ مِنِّـي وَلا حَاجَـةَ لِـي	فِـي حَـدِيثِي أَنْ أُطِيـلَ القَصَصَـا
٣. أَبَـدًا تَقْـنُصُ أَطْيَـارَ العُـلا	مُسْـتَفِيدًا فاتَّخِـذْنِي قَنَصَـا
٤. وَانْثُـرِ الحَـبَّ فَـإِنِّي طَـائِرٌ	غَـرِدٌ لا أَتَعَـدَّى القَفَصَـا

١ - ابن بَسَّام "الذَّخِيرَة" ق٣، م٤٨٦/١ .

٢ - ابن بَسَّام "الذَّخِيرَة" ق٣ ، م ١ /٤٨٧-٤٨٨ .

٣- فِي مَدَحِ مَنْ كُنْيَتُهُ أبُو عِيسَى .

وَمَدَحَ مَنْ كُنْيَتُهُ أبو عيسى قالَ (١) : [البسيط]

١. يَــا صَــاحِبَيَّ سَــلا هَــلْ سَــالَ نَعْمَــانُ … بَعْـدِي وَأوْرَقَ فِيـهِ الطَّلْـحُ وَالبَـانُ
٢. قَــالا نَعَــمْ سَــالَ جَرْيًــا فِــي مَدَائِنِــهِ … وَأَمْرَعَــتْ أظْهُــرٌ مِنْــهُ وَبُطْنَــانُ
٣. أنَّــى وَلَــمْ يَسْــرِ طَيْــفٌ لِلسَّــحابِ بِــهِ … وَلا تَنَــدَّتْ بِــدَمْعٍ مِنْــهُ أجْفَــانُ
٤. بَــلْ كَفَــاهُ أبُــو عِيسَــى وَأحْسَــبُهُ … نَـدَاهُ فَهْـوَ رَوِيُّ الشِّـرْبِ سِـيحَانُ
٥. رَأى الغَمَــائِمَ فِــي عُسْــرٍ فَأقْرَضَــهَا … إنَّ الجَـزَاءَ عَلَـى الإحْسَـانِ إحْسَانُ
٦. سَــجِيَّةٌ هُــوَ مِنْهَــا مُوسِــرٌ كَرَمًــا … حَـازَ الكَمَـالَ فَمَـا يَعْـرُوهُ نُقْصَـانُ
٧. حَــيِّ الخِيَــامَ فَلِــي فِــي الحَــيِّ آنِسَــةٌ … وَاقْـرَا السَّـلامَ فَلِـي بِـالجَزْعِ إخْـوَانُ
٨. تَسِــيرُ نَفْسِــي إلَــيْهِمْ وَالحُــدَاةُ بِهَــا … هَـوًى وَشَـوْقٌ وَتَأمِيـلٌ وَإذْعَـانُ
٩. أطْوِي المَرَاحِلَ لا ألْوِي عَلَى وَطَرٍ … يُشْجِي وَلَوْ ذَكَّرَتْ بِالعَهْدِ أوْطَانُ
١٠. قـد أنْكِـرُ [...] مِـنْ نَفْسِـي مَعَالِمَهَـا … وَفِي المَجَاهِلِ لِي أنْسٌ وَعِرْفَانُ
١١. أرْضٌ بِ◌جُلَّـــقَ وَالنَّهْــــرَيْنِ◌ … أرَيْضَـــةٌ كُلُّهَـــا قَصْـــرٌ وَبُسْـــتَانُ
١٢. أمْسَتْ دِيَـارِي خَـلاءً فِـي مَعَاهِـدِهَا … وَحلَّهَـا دَيْسَـمٌ(٢) بَعْـدِي وَسَـرْحَانُ
١٣. إذَا نَبَــا بَلَــدٌ يَوْمًــا بِسَــاكِنِهِ … فَفِـي سِـوَاهُ لَـهُ أهْـلٌ وَجِيـرَانُ
١٤. وَفِـي جَنَـابِ أبِـي عِيسَـى لَنَـا بَـدَلٌ … إذْ قُطِعَتْ مِنْ حِبَالِ الوَصْلِ أقْرَانُ
١٥. حَتَّـــى يُمَهِّـــدُنِي قُطْـــرٌ قَرَارَتُــــهُ … تَيْمَـاءُ وَالهَضْـبَةُ العَلْيَـاءُ عُمْـرَانُ
١٦. هُوَ المُجِيرُ مِنَ الأيَّـامِ◌ إنْ غَـدَرَتْ … وَهِيَ وَبعْضٌ مِنَ الإخْوَانِ خَوَّانُ

٤- فِي الإِخْوَانِيَّاتِ مَعَ أبِي عَامِرِ بنِ الفَرَجِ .

كَتَبَ رَجُلٌ يُدعَى **أبَا عَامِرِ بنَ الفَرَجِ** أبْيَاتًا **إلَى** ابنِ حَسْدَاي يَقُولُ فِيهَا(٣): [المجتث]

١. إنْ كَــانَ عِنْــدَكَ شَــيءٌ … مِــنَ الـــدِّيَاخِ◌يلُونِ◌
٢. فَابْعَــثْ بِــهِ تَتَعَــوَّضْ … مِنْــهُ بِشُــكْرٍ ثَمِــينِ
٣. فَــإنَّ عِنْــدِي خُرَاجًــا … مِــنْ بَابَــةِ التَّلْيِــينِ
٤. وَلا يَكُــنْ مِثْــلَ شِــعْرِي … مِــنَ الطَّــرَازِ الــدُّونِ

---

١ – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٣، م١/٤٨٨– ٤٨٩ .

٢ – الدَّيْسَمُ: وَلَدُ الثعلب مِنَ الكَلْبَة أو وَلَدُ الذئب مِنَ الكلبة. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [دسم] ١٢/ ٢٠١ .

السرحان : الذئب . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [سرح] ٢/ ٤٨١ .

٣ – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٣، م١ /٤٨٦ – ٤٨٧ .

٥. قَـدْ قُلْـتُ بِـالمَزْحِ أَجْـرِي   بِطَبْـــعِ دَهْـــرٍ خَئُـــونِ
٦. فَـــإِنْ تَزَيـــدْتَ زِدْنَـــا   مِـــنْ نَـــوْعِ هَـــذَا الجُنُـــونِ
٧. عَسَـــاهُ يَجْـــنَحُ لِلسِّـــ   ـــلْمِ بَعْـدَ حَـــرْبٍ زَبُـــونِ
٨. فَالشِّـــبْهُ يَـــأْلَفُ شَـــبَهًا   وَالمِثْـــلُ مِثْـــلُ القَـــرِينِ

فَأجابَهُ **أبو الفَضْلِ ابْنُ حَسْدَاي** بِقَوْلِهِ (١):

١. يَـــا آخِـــذًا بِـــاليَمِينِ   فِـــي المَجْـدِ شَـــتَّى الفُنُـــونِ
٢. سَـــلِّمْ لِعِلْمِـــيَ فِـــي الطِّـــ   ـــبِّ وَالقَرَابَـــــاذِينِ
٣. لا يَنْبَغِـــي أَنْ يُـــدَاوَى الـــ   ـــخُرَاجُ(٢) بِـــالتَّلْيِينِ
٤. [حَتَّـــى يُقَـــوَّمَ رَدْعُ الـــ   أَخْـــلاطِ بِالتَّسْـــكِينِ]
٥. وَقَـــدْ بَعَثْـــتُ شَـــرَابًا   يُغْـــزَى إِلَـــى الزَّرَجُـــونِ
٦. يُغْنِـــي إِذا ذُقْتَـــهُ عَـــنْ   شَـــرَابِ الأَفْسِـــنْتِينِ(٣)

٥- فِي طَلَبِ الخَمْرِ مِنَ ابنِ المَرشَانِيّ .

كانَ **أبُو الفَضْلِ ابْنُ حَسْدَاي** يَوْمًا فِي ضِيَافَةِ بَعْضِ إِخْوَانِهِ أيامَ عِيدِ الأَضْحَى بِحِصْنِ رُوطَة(٤) وَارْتَفَعَ الطَّعَامُ وَلَمْ تُحْضَرِ المُدَامُ، فَنَظَمَ أَبْيَاتًا لِرَبِّ المَنْزِلِ ابنِ المَرشَانِي يَقُولُ فِيهَا(٥): [المجتث]

١. العِيـــدُ أَيَّـــامُ أَكْـــلٍ   وَمَشْـــرَبٍ وَبِعَـــالِ
٢. وَقَـــدْ أَكَلْنَـــا فَهَـــاتِ اسْـــ   ـــقِنَا مِـــنَ الجِرْيَـــالِ(٦)
٣. إِذْ لا نِكَـــاحَ لَنَـــا فِـــي   مُحَـــرَّمٍ أَوْ حَـــلالِ
٤. إِلا مَـــا نَرْتَجِـــي مِـــنْ   نِكَـــاحِ طَيْـــفِ الخَيَـــالِ

---

١ – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٣، م١ /٤٨٦ – ٤٨٧ .

٢ – الخُرَاجُ مَا يَخْرُجُ فِي البدن مِنَ القُرُوحِ .   ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [خرج] ٢٥١/٢

٣ – الأَفْسِنْتِين (Absinthe) وَيسمى كَذَلِكَ شيبة العجوز وَالشيخ الرومي،وَقَدْ أطنب ابن البيطار فِي الحَدِيثِ عَنْ الشراب الذي يصنع مِنْهُ انْظُرْ: أَبو المنى بن أَبي النصر"**مِنْهَاجُ الدُّكَّان**"ص٦٣؛ مُوسَى ابن عبيد الله الإِسْرَائِيلي القرطي "**شَرح أَسْمَاء العقار**" ص٤؛ ابن سينا"**القانون فِي الطب**"ص٨٧ – ٢٨٤،٩٠؛ "**مفردات النباتات الطبية وَطرق المعالجة** بِهَا"ص٣٨ – ٤٠،" **تحفة الأحباب**"ص٤ .

٤ – رُوطَة : بضم أوله وسكون ثانيه وطاء مهملة حصن مِنْ أعمال سَرَقُسْطَةَ بالأَنْدَلُسِ، وَيطلق عَلَى غَيْرِ موضع واحد بالأَنْدَلُسِ . انْظُر : يَاقُوت الحَمَوِيّ "**مُعْجَم البُلْدَان**"٣/٩٦؛ الحِمْيَرِيّ "**الرَّوْض المِعْطَار**" ص ٣٤٠

٥ – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٣، م٤٨٩/١ .

٦ – الجِرْيَال وَالجِرْيَالَة: الخَمْر الشديدة الحُمْرة.   ابن مَنْظُور " **لِسَان العَرَب**" [جرل] ١٠٨/١١ .

فلمَّا وَصَلَ أَبُو الفَضْلِ إِلَى مَنْزِلِهِ بَعَثَ إِلَيْهِ **ابنُ المَرشَانِي** بِمَا طَلَبَ وَكَتَبَ مَعَهَا [١]: [المجتث]

١. زُفَّــتْ إِلَيْــكَ عَــرُوسٌ ... بِكْــرٌ مِــنَ الجِرْيَــالِ

٢. قَمِيصُــــــهَا ذَهَبِــــــيٌّ ... كَالشَّمْسِ فِي الآصَالِ

٣. وَحَلْيُهَــــــا فِضِــــــيٌّ ... مُــــنَظَّمٌ كَـــــاللآلِي

٤. فَــدُونَكَ اشْــرَبْ هَنِيئًــا ... لا زِلْــتَ نَــاعِمَ بَــالِ

٥. وَاجْمَعْ مِنَ الطِّيْفِ بَيْنَ الـ ... ـشُّنُوفِ وَالخُلْخَــالِ

٥- فِي وَصْفِ غَيْمٍ وَثَلْجٍ .

ومِنْ شِعْرِ **أَبِي الفَضْلِ بنِ حَسْدَايِ** قَوْلُهُ فِي الغَيْمِ وَالثَّلْجِ [٢]: [الطويل]

١. وَأَطْرَبَنَــا غَــيْمٌ يُمَــازِجُ شَمْسَــهُ ... فَيَسْتُرُ طَوْرًا بِالسَّحَابِ وَيَكْشِفُ

٢. تَـرَى قُزَحًـا فِي الجَوِّ يُفْتَحُ قَوْسُـهُ ... مُكِبًّا عَلَى قُطْنٍ مِنَ الثَّلْجِ يَنْدِفُ

٦- فِي المُعَارَضَاتِ .

وفِي يومٍ كَانَ **أَبُو الفَضْلِ بنُ حَسْدَايِ** عِنْدَ المُقْتَدِرِ بِاللهِ ابن هُودَ صَاحِبِ سَرَقُسْطَةَ مَعَ عِلْيَةٍ مِنْ قَوْمِهِ،وَسَمعَ قَصِيدَةَ الحَكِيمِ المِصريِّ "تَوْرِيدُ خَدِّكَ لِلأَحْدَاقِ لَذَّاتُ" فَعَارَضَهَا بِقَوْلِهِ [٣]: [البسيط]

١. تَوْرِيــدُ خَــدِّكَ لِلأَحْــدَاقِ لَــذَّاتُ ... عَلَيْــهِ مِــنْ عَنْبَــرِ الأَصْــدَاغِ لامَــاتُ

٢. نِيـرَانُ هَجْـرِكَ لِلعُشَّـاقِ نَـارُ لَظَـى ... لَكِـنَّ وَصْـلَكَ إِنْ وَاصَـلْتَ جَنَّـاتُ

٣. كَأَنَّمَـا الـرَّاحُ وَالرَّاحَـاتُ تَحْمِلُهَـا ... بُدُورُ تِمٍّ وأَيْدِي الشَّرْبِ هَالاتُ [٤]

٤. حُشَاشَــةٌ مَــا تَرَكْنَــا المَـاءَ يَقْتُلُهَـا ... إلا لِتَحيَـى بِهَـا مِنَّـا حُشَاشَـاتُ [٥]

٥. قَدْ كَـانَ فِي كَأْسِهَا مِنْ قَبلِهَا ثِقَلٌ ... فَخَــفَّ إِذْ مُلِئَــتْ مِنْهَـا زُجَاجَـاتُ

٦. عَهْـدٌ لِلُبْنَــى تَقَاضَــتْهُ الأَمَانَــاتُ ... بَانَتْ وَمَا قُضِيَتْ مِنْهَا لُبَانَاتُ [٦]

---

١ – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٣، م١/٤٨٩ .

٢ – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٣، م١/٤٩٠؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**"٤/٣٥٩– ٣٦٠ .

٣ – ابن خَاقَان"**قَلائِدُ العِقْيَانِ**"ق٣،ج٢/٥٤٦–٥٤٧؛ ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٣، م١/٤٩٢؛ ابن دِحْيَةَ"**المُطْرِب**"ص١٩٦؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢/١٧٢، ٤/٢٦٢ .قَالَ ابن خاقان إِنَّها مِنْ مَا لا يُرْجَى لَهُ لَحاقٌ،وَلا يَغْشَى تَمَامَهُ مَحاقٌ،وأَنَّهُ أَطْلَعَها نَيِّرَةً،وتَرَكَ الأَلبابَ مِنْهَا مُتَحَيِّرَةً.

٤ – هالات : جمع هالة ، وهي دارة القمر . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [هيل] ١١/٧١٤ .

٥ – الحُشاشات : جمع الحُشَاشَة وهي بقية الروح فِي المريض. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [حشش] ٦/٢٨٤ .

٦ – اللبانات:الحاجات مِنْ غَيْرِ فاقة . ابن مَنْظُور" **لِسَان العَرَبِ**" [لبن] ١٣/٣٧٧ .

٧. يُدْنِي التَّوَهُّمُ لِلمُشْتَاقِ مُنْتَزِحًا[٢] مِنَ الأُمُورِ[١]،وَفِي الأَوْهَامِ
٨. تُقْضَى عِدَاتٌ إِذَا دَبَّ الكَرَى وَإِذَا هَبَّ النَّسِيمُ فَقَدْ تُهْدَى تَحِيَّاتُ
٩. زُورٌ يُعَلِّلُ قَلْبُ المُسْتَهامِ بِهِ دَهْرًا،وَقَدْ بَقِيَتْ فِي النَّفْسِ حَاجَاتُ
١٠. لَعَلَّ عَتْبَ اللَّيَالِي أَنْ يَعُودَ إِلَى عُتْبَى،فَتُبْلَغَ أَوْطَارٌ وَلَذَّاتُ
١١. حَتَّى نَفُوزَ بِمَا جَادَ الخَيَالُ لَنَا فَرُبَّمَا صَدَقَتْ تِلْكَ المَنَامَاتُ

فعَارَضَهُ **أبو طَاهِرِ الأُشْكُرْكِيّ** بِقَوْلِهِ[٣]: [البسيط]

١. وَعْدٌ لِعَلْوَةَ أَنْ تَقْضِي لُبَانَاتُ أَلْوَتْ[٤]بِهَا يَوْمَ وَشْكِ البَيْنِ
٢. لَمْ تُرْضِهَا مِنْكَ أَنْفَاسٌ مُقَطَّعَةٌ حَتَّى تُقَطِّعَ أَطْوَاقٌ وَلِبَّاتُ[٥]
٣. قَالَتْ وَقَدْ أَبْصَرَتْ مِنْ بَيْنِهَا جَزَعِي لا تَيْأَسَنَّ فَإِنَّ الدَّهْرَ حَالاتُ
٤. وَفِي سَبِيلِ الهَوَى وَالشَّوْقِ مَا صَنَعَتْ رَوَائِعُ البَيْنِ لا تَحزُنْكَ رَوْعَاتُ
٥. عَوِّضْ رَجَاءَكَ مِنْ يَأسٍ وَمِنْ تَرَحٍ فَاللَيَالِي وَإِنْ بَاعَدْنَ كَرَّاتُ
٦. بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَهْدٌ سَوْفَ أَحفَظُهُ أحضر وَرُبَّمَا ضُيِّعَتْ يَوْمًا أَمَانَاتُ

٧- فِي عِتَابِ الوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ بنِ سُفْيَانَ .

وَرَاجَعَ **أَبُو الفَضْلِ بنُ حَسْدَايِ** الوَزِيرَ أَبِي مُحَمَّدٍ بنِ سُفْيَانَ[٦] بِقَوْلِهِ[٧]: [الكامل]

١. قَابَلْتُ بِالعُتْبَى عِتَابَكَ[٨]جَاهِدًا لِلعَهْدِ حِفْظُ العَيْنِ لِلأَجْفَانِ[٩]
٢. وَبَسَطْتُ أَوْضَحَ مِنْ زِيَادٍ[١٠]عُذْرَهُ لَوْ لَمْ تَكُنْ أَقْسَى مِنَ النَّعْمَانِ
٣. أَسْقِيكَ عَذْبًا بَارِدًا وَسَقَيْتَنِي إِذْ جَاشَ حَمْيُكَ مِنْ حَمِيمٍ آنِ
٤. أَغَضِبْتَ جَهْلاً أَمْ[١١]نُسِبْتَ إِلَى فَامْرَحْ فَإِنَّكَ مِنْهُ فِي رَيْعَانِ

---

١ – " مِنَ الوِصَالِ" في"**الذَّخِيرَة**".
٢ – " ممتزجًا " في"**الذَّخِيرَة**".
٣ – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٣، م٢/ ٩١٢ .
٤ – ألوت:اشتدتْ خصومتها . . ابن مَنْظُور" **لِسَان العَرَب**" [لوي] ٢٦٦/١٥ .
٥ – أطواق: مفردها الطَّوْقةُ وَهي أَرض سهلة مستديرة فِي غِلَظ . ابن مَنْظُور" **لِسَان العَرَب**" [طوق] ٢٣١/١٠ .
لبات:مفردها اللَّبَبُ وَهُوَ معظم الرمل، فإِذَا نَقصَ قِيلَ كَثِيبٌ . ابن مَنْظُور" **لِسَان العَرَب**" [لبب] ٧٣٣/١ .
٦ – فِي "**الذَّخِيرَة**" مُحَمَّدُ بن سقبال .
٧ – ابن خَاقَان"**قَلائِدُ العِقْيان**"ق٣،ج٥٤٨/٢؛ ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٣، م٤٩٢/١– ٤٩٣ .
٨ – " كِتَابَكَ " فِي "**قَلائِدُ العِقْيانِ**" .
٩ – " حِفْظَ العَيْنِ بِالأَجْفَانِ" فِي "**قَلائِدُ العِقْيانِ**" .
١٠ – **زياد:** هُوَ النابغة الذبياني زياد بن معاوية بن جابر .**والنُّعْمَانُ:** هُوَ النُّعْمَانُ بن أَبي شمر الغساني، واعتذر النابغة للنعمان بقوله :
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب انْظُر : ابن خَلِّكَان "**وَفَيَات الأَعْيَان**" ١٩٣/٥ .
١١ – " أن " فِي "**قَلائِدُ العِقْيانِ**" .

٨ ـ فِي وَصْفِ رِحْلَةٍ فِي زَوْرَقٍ .

رَكِبَ المُسْتَعِينُ بِاللهِ يَوْمًا نَهْرَ سَرَقُسْطَةَ يُرِيدُ طِرَادَ لَذَّتِهِ وَارْتِيَادَ نُزْهَتِهِ وَافْتِقَادَ أَحَدِ حُصُونِهِ المُنْتَظِمَةِ،وَاجْتَمَعَ لَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنِ اخْتَصَّهُ لاسْتِصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ **أَبُو الفَضْلِ ابْنُ حَسْدَايِ** وَالمُسْتَعِينُ قَدْ أَحْضَرَ مِنْ آلاتِ إِينَاسِهِ،وَأَظْهَرَ مِنْ أَنْوَاعِ ذَلِكَ وَأَجْنَاسِهِ مَا رَاقَ مَنْ حَضَرَ وَفَاقَ حُسْنُهُ الرَّوْضُ الأَنْضَرُ، وَالزَّوَارِقُ قَدْ حَفَّتْ بِهِ وَالتَفَّتْ بِجَوَانِبِهِ،وَنَغَمَاتِ الأَوْتَارِ تَحْبِسُ السَّائِرَ عَنْ عَدْوِهِ وَتُخْرِسُ الطَّائِرَ المُفْصِحَ بِشَدْوِهِ،وَالسَّمَكُ تُثِيرُهَا المَكَايِدُ وَتَغُوصُ إِلَيْهَا المَصَايِدُ فَتَبْرُزُ مِنْهَا لِلعَيْنِ قُضْبَانُ دُرٍّ أَوْ سَبَائِكُ لُجَيْنٍ،وَالرَّاحُ لا يُطْمَسُ لَهَا لَمْعٌ وَلا يُبْخَسُ مِنْهَا بَصَرٌ وَلا سَمْعٌ، وَالدَّهْرُ قَدْ غُصَّتْ صُرُوفُهُ وَاقْتَصَّ مِنْ نِكْرِهِ مَعْرُوفُهُ،فَقَالَ الوَزِيرُ **أَبُو الفَضْلِ بنُ حَسْدَايِ** وَالطَّرَبُ اسْتَهْوَاهُ وَبَدِيعُ ذَلِكَ المَرْأَى قَدِ اسْتَرَقَّ هَوَاهُ [1]: [البسيط]

١. للهِ يَـــوْمٌ أَنِيـــقٌ وَاضِـــحُ الغُـــرَرِ	مُفَضَّــضٌ مُـذْهَبُ الآصَــالِ وَالبُكَـرِ
٢. كَأَنَّمَـــا الـــدَّهْرُ لَمَّـــا سَـــاءَ أَعْتَبَنَـــا	فِيــهِ بِعُتْبَــى وَأَبْـدَى صَـفْحَ مُعْتَـذِرِ
٣. نَسِيرُ فِي زَوْرَقٍ حَفَّ السَّفِينُ[2] بِـهِ	مِــنْ جَانِبَيْــهِ لِمَنْظُــومٍ[3] وَمُنْتَثِــرِ
٤. مَــدَّ الشِّــرَاعُ بِــهِ نَشْــرًا عَلَــى مَلِــكٍ	بَــذَّ الأَوَائِــلَ فِــي أَيَّامِــهِ الأُخَــرِ
٥. هُوَ الهُمَامُ الإِمَامُ[4] المُسْتَعِينُ حَوَى	عَلْيَـاءَ مُـؤْتَمِنٍ عَـنْ[5] هَدْيِ مُقْتَدِرِ
٦. تَحْــوِي السَّــفِينَةُ مِنْــهُ آيَــةً عَجَبًــا	بَحْـرٌ تَجَمَّـعَ حَتَّــى صَـارَ فِـي نَهَـرِ
٧. تُثَــارُ مِــنْ قَعْــرِهِ النِّينَــانُ[6] مُصْــعَدَةً	صِـيدًا كَمَـا ظَفَـرَ الغَـوَّاصُ بِالـدُّرَرِ
٨. وَلِلنَّـــدَامَى بِـــهِ عَـــبٌّ وَمُرْتَشَـــفٌ	كَـالرِّيقِ يَعْذُبُ فِي وِرْدٍ وَفِي صَدَرِ
٩. وَالشُّرْبُ فِي وُدِّ مَنْ لِي[7] خُلْقُهُ زَهَرٌ	يَـذْكُو وَغُرَّتُـهُ[8] أَبْهَـى مِـنَ القَمَـرِ

١ – انْظُرْ:ابن خَاقَان"**قَلائِدُ العِقْيَانِ**"ق٣،ج٢/٥٥٠-٥٥١؛ ابن بَسَّام"**الذَّخِيرَة**"ق٣،م١/٤٩٣-٤٩٤؛ المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢/١٧٤، ٤/٢٣٥-٢٣٦ .

٢ – " حَفَّ السُّرُورُ " فِي "**نَفْحُ الطِّيبِ**" .

٣ – " بِمَنْظُومٍ " في"**قَلائِدُ العِقْيَانِ**" وَ"**نَفْحُ الطِّيبِ**" .

٤ – " الإِمَامُ الهُمَامُ " في"**قَلائِدُ العِقْيَانِ**" وَ"**نَفْحُ الطِّيبِ**" .

٥ – " فِي هَدْيِ " فِي "**نَفْحُ الطِّيبِ**" .

٦ – "صادَ مِنْ قَعْرِهِ" فِي "**قَلائِدُ العِقْيَانِ**" و"تُصادُ مِنْ قعرهِ" فِي "**نَفْحُ الطِّيبِ**". جاءت لفظة "نينان" بدل "حيتان" فِي عدد من النسخ، وعلق ابن ظافر عَلَى هَذَا البيت بقوله : قوله "نينان" غَيْرُ معروف فإن نونًا لَمْ يجئ جمعها عَلَى نينان، وَقَدْ كَانَ سيبوية خَطَّأً بشار بن برد فِي قوله فِي وصف سفينة "تلاعب نينان البحور ... " فَغَيَّرَهُ بَشَّارٌ " تيار البحور" و فِي بيت المتنبي :

فَهُنَّ مَعَ السيدان فِي البر عسل   و هن مَعَ الحيتان فِي البحر عوم

٧ – " فِي مَدْحِ مَوْلَى" فِي "**نَفْحُ الطِّيبِ**" .

٨ – " وَبَهْجَتُهُ " فِي "**نَفْحُ الطِّيبِ**" .

ج- قَصِيدَةُ أَبِي إِسْحَاقَ الإلبيرِيِّ فِي اليَهُودِ .

كَانَ بَادِيسُ بنُ حَبُّوسَ صَاحِبُ غَرْنَاطَةَ قدِ اتَّخَذَ ابْنَ نَغْرِيلَّةَ اليَهُودِيِّ وَزِيرًا وَكَاتِبًا، فَانْكَرَ أَبُو إِسْحَاقَ الإلبِيرِيِّ هَذا،وَخَاطَبَ صِنْهاجة بقصيدتِهِ،وَاشْتُهِرَتِ الأَبْيَاتُ وثارت صِنْهَاجَة عَلَى اليَهُودِ، وَقتلوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً،وَفِيهِمُ الوَزِيرُ المَذْكُورُ. قَالَ الإِلْبِيرِيّ فِيهَا[1]: [المتقارب]

١. أَلا قُــلْ لِصِــنْهَاجَةٍ أَجْمَعِــينْ ... بُـدُورِ النَّـدِيِّ[2] وَأُسْـدِ العَـرِينْ

٢. مَقَالَــةَ ذِي مِقَّــةٍ[3] مُشْــفِقٍ ... يَعُـدُّ النَّصِـيحةَ زُلْفَـى وَدِيــنْ

٣. لَـقَدْ زَلَّ سَـيِّدُكُمْ زَلَّــةً ... تَقِـرُّ بِهَــا[4] أَعْـيُنُ الشَّــامِتِينْ

٤. تَخَيَّــرَ كَاتِبَــهُ كَــافِرًا ... وَلَـوْ شَـاءَ كَـانَ مِـنَ المُسْـلِمِينَ[5]

٥. فَعَــزَّ اليَهُــودُ بِــهِ وَانْتَخَـوْا[6] ... وَتَـاهُوا وَكَـانُوا مِـنَ الأَرْذَلِـينَ[7]

٦. وَنَـالُوا مُنَـاهُمْ وَجَـازُوا المَـدَى ... فَحَـانَ الهَـلاكُ[8] وَمَـا يَشْـعُرُونْ

٧. فَكَـمْ مُسْـلِمٍ فَـاضِلٍ قَانِـتٍ[9] ... لأَرْذَلِ قِــرْدٍ مِــنَ المُشْــرِكِينْ

٨. وَمَــا كَــانَ ذَلِـكَ مِـنْ سَـعْيِهِمْ ... وَلكِــنَّ مِنَّــا يَقُــومُ المُعِــينْ

٩. فَهَــلا اقْتَــدَى فِــيهِمُ بِــالأُلَى ... مِــنَ القَــادَةِ الخِيــرَةِ المُتَّقِــينْ

١٠. وَأَنْــزَلَهُمْ حَيْــثُ يَسْــتَاهِلُونْ ... وَرَدَّهُـــمُ أَسْــفَلَ السَّــافِلِينْ

١١. وَطَــافُوا لَــدَيْنَا بِــأَخْرَاجِهِمْ[10] ... عَلَـيْهِمْ صَـغَارٌ وَذُلٌّ وَهُـونْ[11]

---

١ – انْظُرْ: أَبُو إِسْحَاقَ الإلْبِيرِيّ "دِيوَانُهُ"ص٨٩ ؛ابن سَعِيد"المُغْرِب"١٣٣/٢؛ ابن الخَطِيب"أَعْمَال الأَعْلام" ص٢٣١؛ "نَفْح الطِّيب" ٩٣/٦-٩٤ . وَالقَصِيدَةُ في: أَبُو إِسْحَاقَ الإلْبِيرِيّ "دِيوَانُهُ" ص٨٩-٩٢ عَدَا البيت الثاني .

ابن سَعِيد "المُغْرِب" ٢/ ١٣٣ الأبيات :١، ٣ ،٤ ، ٥ .

ابن الخَطِيب "أَعْمَال الأَعْلام" ص٢٣١- ٢٣٣ عَدَا الأبيات:١ ، ٦ ، ١٢ ، ١٤ ،١٧، ١٩ ، ٢٤ .

المَقَّرِيّ "نَفْحُ الطِّيبِ" ٩٣/٦-٩٤ الأبيات الخمسة الأولى فَقَطْ مَعَ أَنَّهُ أتبعها بقوله إنَّها قصيدة طويلة .

٢ – "بُدُورِ الزَّمَانِ" في"أَعْمَال الأَعْلام" وَ"المُغْرِب" وَ"نَفْحُ الطِّيبِ"، وَالنَّدِي: مَجْلِس القوم. ابن مَنْظُور"لِسَان العَرَبِ"[ندى] ٣١٧/١٥ .

٣ – مِقَّةٍ : مَحَبَّةٍ . ابن مَنْظُور"لِسَان العَرَبِ" [ومق] ١٠/ ٣٨٥ .

٤ – " أَقَرَّ بِهَا " فِي "المُغْرِب" وَ"نَفْحُ الطِّيبِ" .

٥ – " كَانَ مِنَ المؤمنين" في"أَعْمَال الأَعْلام" وَ"نَفْحُ الطِّيبِ".

٦ – انْتَخُوا : افْتَخَرُوا وتَعَظَّمُوا . ابن مَنْظُور"لِسَان العَرَبِ" [نخا] ١٥/ ٣١٣ .

٧ – " وانتَمَوا وسادوا وتاهُوا عَلَى المُسْلِمِينَ " فِي "نَفْحُ الطِّيبِ" ، " وانتخوا وَكَانُوا مِنَ العِتْرَةِ الأَرْذَلِينَ " فِي "المُغْرِب" .

٨ – "وقَدْ جازَ ذاكَ" في"أَعْمَال الأَعْلام" .

جاوَزُوا: سارُوا فِيهِ .جاز : بمعنى تَجَوَّزَ الأَمر أي احْتُمِلَ وَأُغْمِضَ فِيهِ. ابن مَنْظُور"لِسَان العَرَبِ"[جوز]٣٢٦/٥- ٣٢٧ .

٩ – "راهِبٍ رَاغِبٍ" في"أَعْمَال الأَعْلام".

١٠ – أَخْرَاجِهم :جمع الخَرْج، وَهُوَ الضريبة أو الجزية. ابن مَنْظُور"لِسَان العَرَبِ" [خرج] ٢٥٢/٢ .

" بأفواهِهِم " فِي "أَعْمَال الأَعْلام" يقصدُ بِهَا الغيبة مأخوذةٌ مِنَ (الفُوهةُ أَوْ الفُوَّهةُ) وهيَ تَقْطِيعُ الناسِ بَعْضُهُم بَعْضًا بِالغَيْبَةِ .

ابن مَنْظُور" لِسَان العَرَبِ" [فوه] ٥٣٠/١٣ .

١١ – يشير الشَّاعِرُ هُنَا إِلَى الآيَةِ الكريمة ﴿ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ التوبة/٢٩ .

١٢. وَقَمُّوا[١] المَزَابِلَ عَنْ خِرْقَةٍ[٢] ... مُلَوَّنَةٍ لِلدِّثَارِ[٣] الدَّفِينْ[٤]
١٣. وَلَمْ يَسْتَخِفُّوا بِأَعْلامِنَا ... وَلَمْ يَسْتَطِيلُوا عَلَى الصَّالِحِينْ
١٤. وَلا جَالَسُوهُمْ وَهُمْ هُجْنَةٌ[٥] ... وَلا وَاكَبُوهُمْ[٦] مَعَ الأَقْرَبِينْ
١٥. أَبَادِيسُ أَنْتَ امْرُؤٌ حَاذِقٌ ... تُصِيبُ بِظَنِّكَ نَفْسَ[٧] اليَقِينْ
١٦. فَكَيْفَ اخْتَفَتْ عَنْكَ أَعْيَانُهُمْ ... وَفِي الأَرْضِ تُضْرَبُ مِنْهَا القُرُونْ[٨]
١٧. وَكَيْفَ تُحِبُّ فِرَاخَ الزِّنَا ... وَهُمْ[٩] بَغَّضُوكَ إِلَى العَالَمِينْ
١٨. وَكَيْفَ يَتِمُّ لَكَ المُرْتَقَى ... إِذَا كُنْتَ تَبْنِي وَهُمْ يَهْدِمُونْ
١٩. وَكَيْفَ اسْتَنَمْتَ إِلَى فَاسِقٍ ... وَقَارَنْتَهُ وَهْوَ بِيسَ[١٠] القَرِينْ
٢٠. وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِي وَحْيِهِ ... يُحَذِّرُ عَنْ[١١] صُحْبَةِ الفَاسِقِينْ
٢١. فَلا تَتَّخِذْ مِنْهُمْ خَادِمًا ... وَذَرْهُمْ إِلَى لَعْنَةِ اللاعِنِينْ
٢٢. فَقَدْ ضَجَّتِ الأَرْضُ مِنْ فِسْقِهِمْ ... وَكَادَتْ تَمِيدُ بِنَا أَجْمَعِينْ
٢٣. تَأَمَّلْ بِعَيْنَيْكَ أَقْطَارَهَا ... تَجِدْهُمْ كِلابًا بِهَا خَاسِئِينْ
٢٤. وَكَيْفَ انْفَرَدْتَ بِتَقْرِيبِهِمْ ... وَهُمْ فِي البِلادِ مِنَ المُبْعَدِينْ
٢٥. عَلَى أَنَّكَ المَلِكُ المُرْتَضَى ... سَلِيلُ المُلُوكِ مِنَ المَاجِدِينْ
٢٦. وَأَنَّ لَكَ السَّبْقَ بَيْنَ الوَرَى ... كَمَا أَنْتَ مِنْ جُلَّةِ السَّابِقِينْ
٢٧. وَإِنِّي احْتَلَلْتُ بِغَرْنَاطَةٍ ... فَكُنْتُ أَرَاهُمْ بِهَا عَابِثِينْ
٢٨. وَقَدْ قَسَّمُوهَا وَأَعْمَالَهَا ... فَمِنْهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ لَعِينْ

---

[١] – وقَمُّوا: قَدْ تكون مِنْ قَمَأَ الرَّجُلُ ذَلَّ وصَغُرَ وصار قَمِيئاً. ورجل قَمِيٌ: ذليل، وقِيلَ: وَمَا قامَأَتْهُم الأَرضُ: وافَقَتْهُم، والأَعرف ترك الهمز. مَا يُقامِينِي الشيءُ أَي مَا يُوافِقُنِي أَوْ يشبهني، وتَقَمَّأْتُ المكَانَ تَقَمُّؤاً أَي وافقني، فأَقَمْتُ فيه. وَقَدْ تكون مِنْ قَمَّ بيته إِذَا كنسه. ومنه القُمَّةُ، بالضم، المَزْبَلة . ابن مَنْظُور " **لِسَان العَرَب**" [قمأ، قمي، قمم] ١/١٣٤، ١٥/٢٠١، ١٢/ ٤٩٤ .

[٢] – الخِرْقَة: القِطعة مِنَ الثوب. ابن مَنْظُور" **لِسَان العَرَب**" [خرق] ١٠/٧٣ .

[٣] – ورجل خاسِرٌ دابِرٌ: الدَّابِرُ هُنَا الهالك، الدَّثَرُ الوَسَخُ. فِي حديث أَبي الدرداء: أَن القلب يَدْثُرُ كَمَا يَدْثُرُ السيف فجلاؤه ذكر الله أَي يَصْدَأُ كَمَا يصدأُ السيف،الدِّثارُ: هُوَ الثوب الذي يَكُونُ فوق الشِّعارِ. ابن مَنْظُور" **لِسَان العَرَب**" [دثر، شعر] ٤/٢٧٦، ٤١٣ .

[٤] – الدَّفِين: الذي يظْهَر بعد الخفاء ويفشو مِنْهُ شَرّ وعَرٌّ، وقِيلَ رجل دَفِين المروءة إِذَا لَمْ يكن لَهُ مروءة.
ابن مَنْظُور" **لِسَان العَرَب**" [دفن] ١٣/١٥٦ .

٥ – هُجْنَة : غِلاظ. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [هجن] ١٣/٤٣٣ .

٦ – واكبوا : مِنْ أَوْكَبَ أَي لَزِمَ المَوْكِبَ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [وكب] ١/٨٠٢ .

٧ – " مَرْمَى اليقين " فِي "**أَعْمَال الأَعْلام**" .

٨ – تُضْرَبُ القُرُونُ :أَي يُضْرِبون عَلَى قَرْنَيْ رؤوسهم . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [قرن]١٣/٣٣٣ .

٩ – " فكيف"، " وَقَدْ بَغَّضُوكَ " فِي "**أَعْمَال الأَعْلام**" .

١٠ – "بِئسَ" : بتحقيق الهمزة فِي "**أَعْمَال الأَعْلام**" .

١١ – " مِنْ " في"**أَعْمَال الأَعْلام**" .

٢٩. وَهُـمْ يَقْبِضُـونَ جِبَايَاتِهَـا[1] ... وَهُـمْ يَخْضِـمُونَ وَهُـمْ يَقْضِـمُونْ[2]
٣٠. وَهُـمْ يَلْبَسُـونَ رَفِيـعَ الكُسَـا ... وَأَنْـتُم لأَوْضَـعِهَا[3]لابِسُـونْ
٣١. وَهُـمْ أُمَنَـاكُم عَلَـى سِـرِّكُمْ ... وَكَيْـفَ يَكُـونُ خَـؤُونٌ أَمِـينْ؟[4]
٣٢. وَيَأْكُـلُ غَيْـرُهُمْ دِرْهَمَـا ... فَيُقْصَـى،وَيُدْنَوْنَ إِذْ يَـأْكُلُونْ
٣٣. وَقَـدْ نَاهَضُـوكُمْ إِلَـى رَبِّكُـمْ ... فَمَـا تَمْنَعُـونَ وَلا تُنْكِـرُونْ[5]
٣٤. وَقَـدْ لابَسُـوكُمْ بِأَسْـحَارِهِمْ[6] ... فَمَـا تَسْـمَعُونَ وَلا تُبْصِـرُونْ
٣٥. وَهُـمْ يَـذْبَحُونَ بِأَسْـوَاقِـهَا[7] ... وَأَنْـتُمْ لأَطْرَافِهَـا[8]آكِلُـونْ
٣٦. وَرَخَّـمَ[9]قِـرْدُهُمْ دَارَهُ ... وَأَجْـرَى إِلَيْهَـا نَمِيـرَ[10]العُيُـونْ
٣٧. فَصَـارَتْ[11]حَوَائِجُنَـا عِنْـدَهُ ... وَنَحْـنُ عَلَـى بَابِـهِ قَـائِمُونْ
٣٨. وَيَضْـحَكُ مِنَّـا وَمِـنْ دِينِنَـا ... فَإِنَّـا إِلَـى رَبِّنَـا رَاجِعُـونْ
٣٩. وَلَـوْ قُلْـتَ فِـي مَالِـهِ إِنَّـهُ ... كَمَالِـكَ كُنْـتَ[12]مِـنَ الصَّـادِقِينْ
٤٠. فَبَـادِرْ إِلَـى ذَبْحِـهِ قُرْبَـةً ... وَضَـحِّ بِـهِ فَهْـوَ كَـبْشٌ سَـمِينْ
٤١. وَلا تَرْفَـعِ الضَّـغْطَ عَـنْ رَهْطِـهِ ... فَقَـدْ كَنَـزُوا كُـلَّ عِلْـقٍ ثَمِـينْ
٤٢. وَفَـرِّقْ عِـدَاهُمْ[13]وَخُـذْ مَـالَهُمْ ... فَأَنْـتَ[14]أَحَـقُّ بِمَـا يَجْمَعُـونْ
٤٣. وَلا تَحْسِـبَنْ قَـتْلَهُمْ غَـدْرَةً ... بَـلِ الغَـدْرُ فِـي تَـرْكِهِمْ يَعْبَثُـونْ

١ – جِبَآيَة الخراج: جمعه وتحصيله. ابن مَنْظُور" **لِسَان العَرَبِ**" [جبي] ١٣١/١٤ .

٢ – " وَهُمْ يَخْضِمُونَ وَهُمْ يَقْصِمُونْ " فِي "**أَعْمَال الأَعْلام**". الخَضْمُ: الأَكل بأَقصى الأَضراس، والقَضْمُ الأكل بأَدْناها، يقصد أَنَّهُم يستولون عَلَى أموال الناس بشتى الطرق والوسائل. ابن مَنْظُور" **لِسَان العَرَبِ**" [خضم] ١٨٣/١٢ .

٣ – " لأَوْضَاعِهَا " في"**أَعْمَال الأَعْلام**".

٤ – " أمينًا خؤون" في"**أَعْمَال الأَعْلام**".

٥ – " فَمَا يُمْنَعُونَ وَمَا يُنْكَرُونْ" في"**أَعْمَال الأَعْلام**" .

٦ – لابَسُوكُم: مِنَ الْتُبِسَ بي أَي خُولِطْتُ فِي عَقْلي،أو مِنْ لابس بمعنى عَرَفَ باطنه . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**"[لبس] ٢٠٤/٦ .
" بإِسْحارِهِم" يكسرِ الهمزةِ فِي "**أَعْمَال الأَعْلام**" وَقَدْ يَكُونُ معناها بعملِهِمْ السِّحْرَ.

٧ – " بِأَسْوَاقِنَا " في"**أَعْمَال الأَعْلام**"، ويقصد أسواق غَرْنَاطَة .

٨ – " لإِطْرِيفِهِمْ " في"**أَعْمَال الأَعْلام**"،والإِطريف قَدْ تكون مِنَ الطَّرِيفةُ:ضَرب مِنَ الكلإِ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [طرف]٩ / ٢٢٠

٩ – رخَّمَ الدار: جعلها مِنَ الرخام، والرُّخامُ: حجر أَبيض سَهْلٍ رِخْوٌ . ابن مَنْظُور" **لِسَان العَرَبِ**" [رخم] ٢٣٤/١٢ .

١٠ – النَّمِيرُ: الماء الزَّاكي، النامي، عذباً كَانَ أَوْ غَيْرَ عذب. ابن مَنْظُور" **لِسَان العَرَبِ**" [نمر] ٢٣٦/٥ .

١١ – "وَصَارَتْ" في"**أَعْمَال الأَعْلام**".

١٢ – " قُلْتُ .... كُنْتُ " فِي "**أَعْمَال الأَعْلام**" .

١٣ – "عُرَاهم" في"**أَعْمَال الأَعْلام**".

١٤ – " فَأَنْتُمْ " فِي "**أَعْمَال الأَعْلام**" .

٤٤. وَقَـدْ[١] نَكَـثُـوا عَهْـدَنَا عِنْـدَهُم — فَكَيْـــفَ تُــلامُ عَلَـــى النَّــاكِثِينْ
٤٥. وَكَيْــفَ تَكُــونُ لَهُــمْ ذِمَّـــةٌ[٢] — وَنَحْــنُ خُمُــولٌ وَهُــمْ ظَــاهِرُونْ
٤٦. وَنَحْـــنُ الأَذِلَّـــةُ مِـــنْ بَيْـــنِهِمْ — كَأَنَّـــا أَسَـــأْنَا وَهُــمْ مُحْسِــنُونْ[٣]
٤٧. فَـــلا تَـــرْضَ فِينَـــا بِأَفْعَـــالِهِمْ — فَأَنْــــتَ رَهِـــينٌ بِمَـــا يَفْعَلُـــونْ
٤٨. وَرَاقِـــبْ إِلَهَـــكَ فِـــي حِزْبِـــهِ — فَحِـــزْبُ الإِلَـــهِ هُـــمُ الغَـــالِبُونْ[٤]

د- مِدْحَةٌ نَبَوِيَّةٌ لابْنِ سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيِّ

جعـــلَ المُهَـــيْمِنُ حُـــبَّ أَحْمَـــدَ شِـــيَمَةً — وأَتَـــى بِـــهِ فِـــي المُرســـلين كريمـــةً
فَغَـــدَا هَـــواهُ عَلَـــى القُلُـــوبِ تَمِيمَـــةً — وَغَـــدَا هُـــدَاهُ لِهَـــدْيِهِمْ تَتْمِيمَـــا
صَـــلُّوا عَلَيْـــهِ وسَـــلِّمُوا تَسْـــلِيمًا

أَبْـــدَى جَبِـــينُ أَبِيـــهِ شَـــاهِدَ نُـــورِهِ — سَـــجَعَتْ بِـــهِ الكُهَّـــانُ قَبْـــلَ ظُهُـــورِهِ
كَـــالطَّيْرِ غَـــرَّدَ مُعَرِّبًـــا بِصَـــفِيرِهِ — عَـــنْ وَجْـــهِ إِصْـــبَاحٍ يُطِـــلُّ نَسِـــيمَا
صَـــلُّوا عَلَيْـــهِ وسَـــلِّمُوا تَسْـــلِيمًا

أُنْـــسُ الرِّسَـــالَةِ بَعْـــدَ شِـــدَّةِ نَفْـــرَةٍ — مَنْجَـــى البَرِيَّـــةِ وَهْـــيَ فِـــي يَـــدِ غَمْـــرَةٍ
مُحْيِـــي النُّبُـــوَّةَ وَالهُـــدَى عَـــنْ فَتْـــرَةٍ — فَكَأَنَّمَـــا كَفِـــلَ الرَّشَـــادَ يَتِيمَـــا
صَـــلُّوا عَلَيْـــهِ وسَـــلِّمُوا تَسْـــلِيمًا

اللهُ أَوْضَـــحَ فَضْـــلَهُ فَتَوَضَّـــحَا — وَاللهُ بَـــيَّنَ حُبَّـــهُ فِـــي "والضُّـــحَى"
وَالجِـــذْعُ حَـــنَّ هَـــوَى لَـــهُ فَتَرَنَّـــحَا — وَالمَـــاءُ فَـــاضَ بِكَفِّـــهِ تَسْـــنِيمَا
صَـــلُّوا عَلَيْـــهِ وسَـــلِّمُوا تَسْـــلِيمًا

رِيَّـــا الرِّوَايَـــةِ عَـــنْ عُـــلاهُ زَكِيَّـــةٌ — نَجْـــوَاهُ رَبَّانِيَّـــةٌ مَلَكِيَّـــةٌ
أَوْصَـــافُهُ عُلْوِيَّـــةٌ فَلَكِيَّـــةٌ — فَإِخَـــالُ شِـــعْرِي عِنْـــدَهَا تَنْجِيمَـــا
صَـــلُّوا عَلَيْـــهِ وسَـــلِّمُوا تَسْـــلِيمًا

---

١ – " فَقَدْ " في "أَعْمَال الأَعْلام".
٢ – " لَنَا هِمَّةٌ " في "أَعْمَال الأَعْلام".
٣ – " وَهُمْ يُحْسِنُونْ " في "أَعْمَال الأَعْلام" .
٤ – " هُمُ المُفْلِحُونْ " في "أَعْمَال الأَعْلام".

احْتَثَّ فِي السَّبْعِ الطِّبَاقِ بُرَاقُهُ	والأرْضُ واجِمَةٌ تَخَافُ فِرَاقَهُ
سُبْحَانَ مَنْ أَدْنَى سُرَاهُ فَسَاقَهُ	شَخْصًا عَلَى مِلْكِ المُلُوكِ كَرِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

فاشْتَمَّ رَيْحَانَ القُلُوبِ الطَّيِّبَا	وَدَنَا فَأَسْمَعَ يَا مُحَمَّدُ مَرْحَبَا
إِنِّي جَعَلْتُكَ جَارَ عَرْشِي الأَقْرَبَا	إِنْ كُنْتَ قَبْلَكَ قَدْ جَعَلْتُ كَلِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

يَا لَيْلَةً يَجْرِي الزَّمَانُ فَتَسْبِقُ	الحُجْبُ فِيهَا وَالأَرَائِجُ تُفْتَقُ
مَا كَانَ مِسْكُ اللَّيْلِ قَبْلَكَ يَعْبِقُ	بُشْرَى مُحَمَّدٍ اسْتَفَادَ نَسِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

حتَى إِذَا اقْتَعَدَ البُرَاقَ لِيَنْزِلا	نَادَتْهُ أَسْرَارُ السَّمواتِ العُلا
يَا راحِلاً وَدَّعْتَهُ لا عَنْ قِلَى	مَا كَانَ عَهْدُكَ بِالغُيُوبِ ذَمِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

صَعَدَ النُّجُودَ وَسَارَ فِي الأَغْوَارِ	سَمَكَ السَّمَا طَوْرًا وَبَطْنَ الغَارِ
مُتَقَسِّمًا فِي طاعَةِ الجَبَّارِ	مَا أَشْرَفَ المَقْسُومَ والتَّقْسِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

الشَّافِعُ المُتَوَسِّلُ المُتَقَبِّلُ	القانِتُ المُدَّثِّرُ المُزَّمِّلُ
وافَى وَظَهْرُ الأَرْضِ دَاجٍ مُمْحِلُ	فَجَلا البَهِيمَ بِهِ وَأَرْوَى الهِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

دفَعَتْ كَرَامَتُهُ الزُّنُوجَ عَنِ الحَرَمْ	وَدَعَاهُ جِبْرِيلُ المُنَزَّهُ فِي الحَرَمْ
وَعَزَتْ لَهُ آيَاتُ نُونٍ وَالقَلَمْ	خُلُقًا بِهِ شَهِدَ الإِلَهُ عَظِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

طَاوٍ يَفِيضُ الزَّادُ فِي أَصْحَابِهِ	غَيْثٌ وَلَكِنْ كَانَ يُسْتَصْحَى بِهِ
طَابَتْ ضَمَائِرُ قَلْبِهِ وَتُرَابِهِ	مِنْهُ بِسِرٍّ لَمْ يَكُنْ مَكْتُومَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

يَا شَوْقِيَ الحَامِي إِلَى ذَاكَ الحِمَى	فَمَتَى أُقَضِّيهُ غَرَامًا مُغْرَمَا
ومتَى أُعَانِقُهُ صَعِيدًا مُكْرَمَا	بِضَمِيرِ كُلِّ مُوَحِّدٍ مَلْثُومَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

رَابِعًا :- مَلاحِقُ القِطَعِ النَّثْرِيَّةِ

أ- رَسَائِلٌ إِلَى اليَهُودِ .

١ - مِنْ أَبِي الرَّبِيعِ القُضَاعِيِّ إِلَى يُوسُفَ الإِسْلامِيِّ مُعَاتِبًا.

جاءَ فِي "الذَّخِيرَة" فَصْلٌ مِنْ رُقْعَةٍ **لأَبِي الرَّبِيعِ سُلَيْمانَ القُضَاعِيِّ** خَاطَبَ بِهَا يُوسُفَ الإِسْلامِيِّ الذي ذَكَرَ رِيَاض قُرَيْحَة أَنَّهُ ابنُ الوَزِيرِ اليَهُودِيِّ أَبِي الفَضْلِ بنِ حَسْدَاي[١] ،وَقَدْ طَلَبَ مِنْهُ آلَة نَجَّارٍ خَدَمَ عِنْدَهُ، فَوَجَّه بِهَا حَاشَا المِنْشَارَ[٢] ،فَقَالَ فِيهَا:

"مَنْ دَخَلَ فِي مِلَّةٍ التَزَمَهَا، وَلَيْسَ مِنْ شَرِيعَةِ هَذَا الدِّينِ مَنْعُ المَاعُونِ. وَمِنْ تَمَامِ الإِسْلامِ حِفْظُ الجِوَارِ وَرِعَايَةُ الذِّمَامِ،وَمِنْ أَحْسَنِ الإِحْسَانِ قَضَاءُ لُبَانَاتِ الإِخْوَانِ،وَمَا تُعَلَّمُ العَوانُ الخِمْرَةُ[٣] ، وَلا نَجِدُ بِكَ مِنْ وَنْيَةٍ[٤] ،فَأَنْتَ المُسْتَوْلِي عَلَى أَمَدِ النِّهَايَاتِ،وَالمُبَرِّزِ فِي غِلابِ المُذْكَيَاتِ[٥] ، وَالحَاوِي قَصَبِ السَّبْقِ إِلَى الغَايَاتِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قَالَ الجَهَابِذَةُ أَوَّلاً:

وَأَيُّ الجِيَادِ لا يُقَالُ لَهُ هَلا[٦]

وَمَا تُعْزَى إِلَى بُخْلٍ وَأَنْتَ أَسْمَحُ مِنْ لافِظَةٍ[٧] ،وَلا تُبَصَّرُ مِنْ جَهْلٍ وَأَنْتَ قُطبُ العُلُومِ الثَّاقِبَةِ، وَقَدْ أَنْكَرْتَ أَشَدَّ الإِنْكَارِ بُخْلَكَ بِالمِنْشَارِ،وَأَعْمَلْتُ الفِكْرَةَ فِي النَّظَرِ إِلَى بُعْدِ مَرَامِيكَ، وَالبَحْثِ عَنْ غُمُوضِ مَعَانِيكَ،فَلاحَتْ لِي دَرِيئَةُ[٨] مَرْمَاكَ،وَأَشْرَفْتُ مُطِلاً عَلَى مَغْزَاكَ،وَحَدَسْتُ بَعْدَ تَسْدِيدِ سِهَامِ التَّوَهُّمِ،وَرَمَيْتُ عَنْ قِسِيِّ التَّفَهُّمِ أَنَّ عِلَّةَ ضَنَانَتِكَ بِهِ مِنْ أَجْلِ مَا مَرَّ بِبَالِكَ ذِكْرُ الشَّجَرَةِ التِي أُشِرَتْ وَفِيهَا يَحْيَى بنُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلامُ،فَتَحَرَّجْتَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ حَرِيمِكَ آلَةٌ كَانَتْ فِيمَا مَضَى

---

١ – انْظُرْ : رِيَاض قُرَيْحَة "**الفكَاهَةُ فِي الأَدَبِ الأَنْدَلُسِيِّ**" ص ١١٤ .

٢ – المِئْشَارُ : هُوَ المِنْشَارُ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [أشر] ٢١/٤ .

٣ – العَوَان:النَّصَفُ فِي سِنِّها مِنْ كل شيء.وفِي المثل: لا تُعَلَّمُ العَوانُ الخِمْرَةَ:أي المُجَرِّبُ عارف بأَمره كَمَا أَن المرأَة التي تزوجت تُحْسِنُ القِناعَ بالخِمار. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [عون] ٢٩٩/١٣ .

٤ – وَنْيَة: ثُوانٍ. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [وني] ٤١٦/١٥ .

٥ – مِنَ المَثَلِ : "جَرْيِ المُذْكَيَاتِ غِلابُ"؛أي أَنَّ المسَانَّ تُؤْخَذُ بِالمُغَالَبَةِ وَالقُوَّةِ،والصِّغَارُ تُدَارَى وَلا تُحْمَلُ عَلَى غِلْظٍ وَمَشَقَّةٍ، والمُذْكَى: المُسِنُّ . انْظُرْ :أبو عبيد البَكْرِيّ "**فَصْلِ المَقَالِ**"١٢٧/١؛ أبو هلال العَسْكَرِي "**جَمْهَرَة الأَمْثَالِ**" ٢٩٩/١ .

٦ – مِنْ رَدِّ ليلى الأخيلية عَلَى النابغة الجعدي :[الكامل]

أَعَيَّرْتَني دَاءً بِأُمِّكَ مِثْلُهُ   وَأَيُّ حِصَانٍ لا يُقَالُ لَهَا هَلا

أبو الفرج الأصبهاني"**الأَغَانِيّ**" ٢١/٥؛ ابن قُتَيْبَةَ الدِّيْنُورِيّ "**أَدَب الكاتِبِ**"٣٢٤/١ .

٧ – مِنَ المَثَلِ: أسمح مِنْ لافظة ، وَاللافِظَة: هي الرَّحى سُمِّيَتْ بذلك لأَنها تَلْفُظُ مَا تَطْحَنُهُ

انْظُرْ : أبو هلال العَسْكَرِي "**جَمْهَرَة الأَمْثَالِ**" ٥٣١/١؛ ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [لفظ] ٤٦١/٧ .

٨ – الدرئية : كل مَا استتر. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [درأ] ٧٤/١ .

سَبَباً إِلَى حَدَثٍ مَشْئُومٍ بِسَفْكِ دَمِ نَبِيٍّ كَرِيمٍ،وَلَوْ لَمَحْتَ وَجْهَ مَطْلَبِي بِنَاظِرِ تَأَمُّلِكَ لَعَلِمْتَ،وَمَا أَظُنُّكَ جَهِلْتَ أَنَّ الخَشَبَةَ التِي أَحْبَبْتَ أَنْ تُؤْشَرَ عِنْدِي لَمْ يَكُنْ فِيهَا حَيَوَانٌ غَيْرُ الأَرْضَةِ التِي أَكَلَتْ مِنْسَأَةَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ.وَهَلا إِذْ أَسَأْتَ بِيَ الظَّنَّ تَيَقَّنْتَ عَلَى مَا تُوجِبُهُ السُّنَّةُ أَنَّ العَارِيَةَ مُؤَدَّاةٌ،وَقَدْ كَانَ لَكَ فِي ارْتِهَانِ خَطٍّ يَدَي لِنَجَّارِكَ مَقْنَع؛ فَقَدْ قَبِلَ كِسْرَى وَهُوَ جَاهِلِيٌّ قَوْسَ حَاجِبِ بِنِ زَرَارَةَ عَلَى نَزَارَتِهَا[1] رَهْنًا عَنْ جَرَائِمِ العَرَبِ أَنْ تَعِيثَ فِي السَّوَادِ وَإِنَّمَا كَانَتْ فَلْقَةَ عُودٍ وَوتَرَ مَصِيرٍ. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الرَّبَّانِيَّ أَجْدَرُ بِالوَفَاءِ وَالائْتِمَارِ مِنَ الجَاهِلِيِّ،وَفِي الاعْتِذَارِ المُتَقَدِّمِ عَنْكَ مَا يَقْضِي بِبَرَاءَتِكَ،هَذَا إِلَى ارْتِئَاءِ المَشْيَخَةِ وَإِيثَارِهِمُ الرَّوِيَّةَ عَلَى البَدِيهَةِ وَحُكْمِهِم أَنَّ الرَّأْيَ الفَطِيرَ وَإِنْ أُصِيبَ بِهِ التَّقْدِيرُ مِنْ سُوءِ التَّدْبِيرِ.وَالأَنَاةُ عِنْدَهُمْ مَحْمُودَةٌ إِلا فِي ثَلاثٍ:العَمَلُ الصَّالِحُ وَنِكَاحُ الكُفْؤِ وَدَفْنُ المَيِّتِ،وَمَا قَدَحَتْ فِي شَرَفِكَ هَذِهِ الوَصْمَةُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهَا بُخْلاً وَطَفَاسَةً[2] إِذْ بَاطِنُهَا عَقْلٌ وَسِيَاسَةٌ، فَإِنِ احْتُجَّ عَلَيْكَ بِقَوْلِهِمْ:إِنَّ أَمْقَتَ اللوْمِ وَأَقْبَحَهُ وَأَجْلَبَهُ لِلشَّيْنِ وَأَفْضَحَهُ بُخْلُ مَنْ بَخِلَ بِالتَّافِهِ اليَسِيرِ وَالنَّزْرِ الحَقِيرِ،وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَيْسَ فِي مُلْكِ يَدَيْهِ وَلا طَمَاعِيَّةَ لَهُ فِي المِنْشَارِ أَنْ يَصِيرَ إِلَيْهِ فَإِنَّ الأَمَلَ لا يَبْعُدُ أَنْ يَصِيرَ إِلَيْهِ بَعْدُ، فَقَدْ تَنْتَقِلُ دُولاتُ التَّأْمِيرِ، فَكَيْفَ بِآلاتِ المَيَاشِيرِ وَالأَيَّامُ دُوَلٌ، وَالدُّنْيَا جَمَّةُ التَّنَقُّلِ،تَجْمَعُ وَتَبُثُّ، وَتُسْمِنُ وَتُغِثُّ،وَرُبَّمَا تَأَلَّفَتِ الأَضْدَادُ وَتَشَتَّتَ الأَنْدَادُ، وَأَفَادَتْ غَيْرَ المَطْلُوبِ،وَحَالَتْ دُونَ المَرْغُوبِ،أَلَمْ تَرَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ كَيْفَ اقْتَبَسَ نَارًا فَأُقْبِسَ أَنْوَارًا،وَوَافِدَ البَرَاجِمِ[3] كَيْفَ شَمَّ القُتَارِ وَأَمَّ قَرَمًا[4] إِلَى النَّارِ.أَلَمْ تُعَايِنِ الكِتَابَةَ التِي أَنْتَ قُطْبُهَا،وَهِيَ أَجَلُّ صِنَاعَةٍ،رُبَّمَا عُدِلَ بِهَا عَنْ نُبَلاءِ المُحْسِنِينَ إِلَى الدُّخَلاءِ الأُمِّيِّينَ الذِينَ لا يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ[5]،وَلا يُدْرِكُونَ بِأَفْهَامِهِمْ إِلا المَرْئِيَّ، فَحَدِيثُهُمُ الطَّعْنُ عَلَى أَهْلِ العِلْمِ وَالتَّنَقُّصُ لِذَوِي الفَهْمِ،وَلأَمْرٍ مَا ذَمَّ الصُّبْحَ المُرِيبُ وَعَابَ المُتَحَمِّلُ غَيْرَ المُعِيبِ.وَقَدْ بَصُرْتَ بِمَا عَلَيْهِ هَذَا الصِّنْفُ الوَاغِلِيُّ[6] مِنَ العَجْزِ وَالتَّشْغِيبِ وَالحِيدَةِ عَنِ القِيَاسِ المُصِيبِ،وَإِنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا بَلاغَةَ الصَّدْرِ الأَوَّلِ مِنَ الجِيلِ الأَفْضَلِ قَالُوا:أَمْرٌ لَيْسَ عَلَيْهِ العَمَلُ،وَإِذَا أَصْغَوْا إِلَى تَحْبِيرِ صَالِحِ الخَلَفِ المُقْتَدِي بِمَحْمُودِ السَّلَفِ قَالُوا: هَذَا التَّعْقِيبُ وَالتَّقْعِيرُ المُعِيبُ فَقُلْ لَهُمْ: فَافْتُقُوا بُحُورَكُمُ الزَّاخِرَةَ بِزَعْمِكُمْ، وَأَدِرُّوا سُحُبَكُمُ الثَّرَّةَ[7] بِدَعْوَاكُمْ، وَاحْشُدُوا مُدُودَ أَذْهَانِكُمْ وَاسْرُدُوا غَرَائِبَ بَيَانِكُمْ

---

١ – هُوَ : حاجب بن زرارة التميمي الذي رهن عِنْدَ كسرى قوسه،لكي يؤذن لَهُ ولقومه في دخول الريف مِنْ بلاده حتى يمتاروا في جدب أصابهم . انْظُرْ : الثَّعالبي"ثِمَار القُلُوبِ" ٦٢٥/١

٢ – طَفَاسَة : قَذَارَة. ابن مَنْظُور"لِسَان العَرَبِ" [طفس] ١٢٤/٦ .

٣ – مِنَ المثل:أبو الفرج الأصبهاني"الأَغَانِيّ"١٩٤/٢٢؛الثَّعالبي"ثِمَار القُلُوبِ"١٠٧/١–١٠٨؛أبو هلال العَسْكَرِي"جَمْهَرَة الأَمْثَالِ" ١٢١/١.

٤ – القَرَم: شدة الشهوة إِلَى النار. ابن مَنْظُور"لِسَان العَرَبِ" [قرم] ٤٧٣/١٢ .

٥ – مُتَأَثِّرٌ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ ﴾ سُورَة البَقَرَة، آيَة ٧٨ .

٦ – الوَغْلُ مِنَ الرجال: النَّذْل الضعيف الساقط المقصِّر فِي الأشياء. ابن مَنْظُور"لِسَان العَرَبِ" [وغل] ٧٣٠/١١ .

٧ – سَحَابة ثَرَّةٌ: كثيرة الماء . ابن مَنْظُور"لِسَان العَرَبِ" [ثرر] ١٠٢/٤ .

وَخَلاكُمْ ذَمٌّ- إِذًا وَاللهِ أَيَّتُهَا العِصَابَةُ تَهُبُّ رِيحُ احْتِفَالِكُمْ رُخَاءً لا تُثِيرُ سَحَابًا،وَلا تَسْفِي هَبَاءً إِلا مَا يَنوءَهُ بَعْدَ الرَّيْثِ وَإِدْمَانِ الإِبْسَاسِ(١)مِنْ قَطَارَةِ المَعَانِي المُبْتَذَلَةِ السُّوقِيَّةِ وَعُصَارَةِ الأَلْفَاظِ الرَّذِلَةِ العَامِّيَّةِ التِي يَعَافُهَا الخَاصِّي لِسَفَالَتِهَا وَيَجْتَنِبُهَا العَامِّيُّ لِخَلاقَتِهَا،ثُمَّ إِذَا رَجَّعَتْكُمُ البَكَاءَةُ(٢)إِلَى الاسْتِعَارَةِ مِنْ كَلامِ البُلَغَاءِ المُتَقَدِّمِينَ وَالأَجِلاءِ المُحْدَثِينَ وَذَهَبْتُمْ إِلَى أَنْ تَهْتَدُوا بِأَنْوَارِهِمْ وَتَقْتَدُوا بِآثَارِهِمُ اعْتَسَفْتُمُ الكَلامَ وَصَحَّفْتُمُوهُ،وَأَحَلْتُمُ النِّظَامَ فَأَكْرَهْتُمُوهُ،وَرَقَعْتُمْ خَيْشَ المُرُوطِ الصُّوفِيَّةِ بِرَقِيقِ البُرُودِ المُوَشَّيَةِ، وَقَرَنْتُمْ دُرَّ غَيْرِكُمْ بِآجِرِكُمْ،فَامْتَازَتْ مَعَ تَعَدِّيكُمُ الآثَارُ بِتَمْوِيهِكُمْ مَحَاسِنَهُمْ مِنْ قَبَائِحِكُمْ،وَإِذَا حَصْحَصَتْ حَقِيقَةُ فَضَائِحِكُمْ لَمْ تَعْتَصِمُوا بِعُلَقٍ سِوَى الاضْطِغَانِ وَالحَنَقِ: [الكامل]

غَضَبِ التُّيُوسِ عَلَى شِفَارِ الجَازِرِ وَالمُغْرَقِينَ عَلَى الأَتِيِّ الزَّاخِرِ

فَقَدِ اجْتَهَدَ لِنَصْرِكَ مَنْ قَامَ بِعُذْرِكَ، وَحَمَلَتْنِي لَكَ العَصَبِيَّةُ،وَاسْتَدْعَتْنِي فِيكَ الحَمِيَّةُ إِلَى مَا تَرَى مِنْ تَوْبِيخِ الكَتَبَةِ الذِينَ لَيْسَ لَهُمْ بَسْطَتُكَ فِي العُلُومِ الدِّيَانِيَّةِ وَلا بَرَاعَتُكَ فِي الفُنُونِ الأَدَبِيَّةِ وَالرِّيَاضِيَّةِ جَلالاً بِكَ أَنْ يَنْتَسِبَ إِلَى حِزْبِكَ مَنْ لا يَعْدِلُ بِكَ،وَكَمَا لا يَضُرُّ بِالجَوَادِ السَّابِقِ أَنْ يَكُونَ فِي آرِيٍّ(٣)مَعَ بِطَاءِ الأَعْيَارِ(٤)كَذَلِكَ لَيْسَ عَلَيْكَ فِي اخْتِلاطِكَ بِهِمْ مِنْ كَآبَةٍ وَلا عَارٌ ثُمَّ نَعُودُ إِلَى تَفْنِيدِ المُعْتَرِضِ عَلَيْكَ بِاسْتِنْثَارِ المِنْشَارِ،وَكَيْفَ يُوسَمُ بِالحَقَارَةِ أَوْ يُرْسَمُ بَالنَّزَارَةِ وَهُوَ مِنَ الحَدِيدِ الذِي فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ،وَهُوَ مِنْ إِرْهَافِهِ وَرِقَّةِ غِرَارِهِ وَاضْطِرَابِ مَتْنِهِ مُنَاسِبٌ لِحُسَامِ الكَمِيِّ(٥) البَطَلِ،وَحَامِلُهُ غَيْرُ أَعْزَلٍ، وَإِنْ شِئْتَ اسْتَمْجَدْتَ مِنْهُ زِنَادًا وشِفَارًا حِدَادًا وَمِنْ بَدَائِعِ أَعَاجِيبِهِ أَنَّ المُدَى مَا لَمْ تَكُنْ مَفْلُولَةً فَهِيَ أَبْرَى،وَالمِنْشَارُ لا يَحْسُنُ قَبْضُهُ حَتَّى يُفَلَّلَ غَرْبُهُ،ومِنْ آلاتِ المِنْشَارِ عَصَاهُ التِي تُثَقِّفُهُ أَنْ يَتَأَدَ وَتُسَدِّدُهُ إِذَا حَادَ، وَإِنْ شِئْتَ صَنَعْتَ مِنْهَا مَخَاصِرَ لأَرْبَابِ المُلْكِ أَوْ صُلْبَانًا وَمُتَّكَآتٍ لِطَوَاغِيتِ الشِّرْكِ مَعَ مَا فِيهَا مِنَ المَآرِبِ الجَسِيمَةِ وَقَدِ اقْتَصَرْتُ عَلَى تَصْنِيفِهَا بِمَا ذَكَرَهُ الجَاحِظُ فِي العَصَا فَكَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُكَ تَلْهَجُ بِكِتَابِ البَيَانِ وَتَدَّعِي حِفْظَهُ،وَمِنْ عَجَائِبِ المِنْشَارِ إِذَا سُمِعَ جَعْجَعَتُهُ رُئِيَ طَحْنُهُ(٦)،وَمِنْ غَرَائِبِهِ شِكَالُهُ،وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّعْرِ وَالصُّوفِ وَالوَبَرِ،وَقَدْ وَصَفَهَا اللهُ تَعَالَى فِي التَّنْزِيلِ فَقَالَ:(وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ)(٧)،فَكَيْفَ لَنَا أَنْ نَسْتَنْزِرَ مَا نُبِّهْنَا لِنَحْمدَهُ وَنَشْكُرَ،فَإِنِ اعْتَرَضَ عَلَيْكَ أَنَّ شِكَالَهُ(٨)

---

١ – الإِبْسَاسُ : النطق بالشفتين دُونَ اللسان . ابن مَنْظُور"**لِسَانُ العَرَبِ**" [بسس] ٦/ ٢٨ .

٢ – البَكَاءَة : قِلَّةُ الكَلامِ . ابن مَنْظُور"**لِسَانُ العَرَبِ**" [بكأ] ١/ ٣٥

٣ – الآرِيّ : مِنَ الأُرْوِيَّةُ و الإِرْوِيَّةُ وَهِيَ الأُنْثَى مِنَ الوُعُولِ. ابن مَنْظُور"**لِسَانُ العَرَبِ**" [أري] ١٤/ ٣٥٠ .

٤ – الأَعْيَار : العُيُوبِ . ابن مَنْظُور"**لِسَانُ العَرَبِ**" [عير] ٤/ ٦٢٥ .

٥ – الكَمِيّ : البَطَل . ابن مَنْظُور"**لِسَانُ العَرَبِ**" [كمي] ١٥/ ٢٣٢ .

٦ – مِنَ المَثَلِ: "أسمع جعجعة وَلا ارى طحنًا "، وَمعناه أسمع جلبة وَلا ارى عملا .

انْظُرْ: أبو هلال العَسْكَري "**جَمْهَرَةُ الأَمْثَالِ**" ١/ ١٥٤؛ أبو عبيد البَكْرِيّ "**فَصْلُ المَقَالِ**"١/ ٤٤٨– ٤٤٩ .

٧ – **سُورَةُ النَّحْلِ**، آيَة ٨٠ .

٨ – الشِّكَال : العِقَالُ أو الحَبْل الذي تشد بِهِ قوائم الدابة. ابن مَنْظُور"**لِسَانُ العَرَبِ**" [شكل] ١١/ ٣٥٨ .

قَدْ يُصْنَعُ مِنْ لِيفٍ وَدَوْمٍ وَشِبْهِهِ فَأَقَلُّ مَا يُوجِبُهُ أَنْ يُعْقَلَ بِهِ بَعِيرٍ،وَقَدْ قَالَ الصِّدِّيقُ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً لَجَاهَدْتُهُمْ عَلَيْهِ،ذُكِرَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ مَعْنَاهُ "ثَمَنَ عِقَالٍ" إِذْ ذَالِكَ حَزْمٌ فِي المِلَّةِ وَابْتِدَاعٌ مُحْدَثٌ فِي زَكَاةِ الأُمَّةِ،وَلَوْلا خَوْفُ الطُّولِ بِإِقَامَةِ مَعَاذِيرِكَ لأَمْعَنَّا فِي التَّوْجِيهِ وَلَكِنَّ الإِشَارَةَ كَافِيَةٌ لِمَنْ عَقِلَ، كَمَا أَنَّ الإِطَالَةَ غَيْرُ مُقْنِعَةٌ لِمَنْ سَاءَ فَهْمُهُ وَجَهِلَ" (١).

٢- رِسَالَةٌ مِنَ الحُصَرِيِّ لابنِ حَسْدَاي يَشْكُو صَهْرَهُ اليَهُودِيَّ

أَرْسَلَ الأَدِيبُ **أبو الحَسَنِ الحُصَرِيُّ** إِلَى أَبِي الفَضْلِ بنُ حَسْدَاي شَاكِيًا صِهْرَهُ ابنَ عَيَّاشٍ اليَهُودِيَّ،فَقَالَ:سَيِّدِي الذِي خُتِمَتْ عَلَيْهِ المِنَحِ،فَخُتِمَتْ بِه المَدحُ.حَفِظَ اللهُ عُلاكَ حِفْظَ سَمَائِهِ. وَأَعَاذَكَ مِنَ العَيْنِ بِأَسْمَائِهِ،بِحُسْنِ أَوصَافِكَ،احكُمْ بِإِنْصَافِكَ،أَتَرْضَى لِصِهْرِكَ المُشْرِفِ،بِأَخْلاقِ البَخِيلِ المُسْرِفِ؟ قَصدتُ بِالرِّهانِ لِلسلَفِ، فَعُدْتُ بِالدِّهانِ وَالصَّلَفِ، وَسأَلْتُ فِي الزَّمانِ، فَأَعْطَيتُ عطاء الزَّمانِ،وَأَنَا شَاعِرُ الزمانِ،فَأَحطَّ،فَمَا رفع أَوْ حطَّ،وَلا بدّ أن أنشدَهُ لأَرْشِدَهُ(٢):[مجزوء الرمل]

١. أَيُّهَا المُشْـرِفُ حَاشَـا	لأُولِـي الـرَّأيِ الخِطَـاءُ
٢. لا تَقُـلْ مَـا بِيَـدِي مَـا	لٌ وَلا عِنْـدِي عَطَـاءُ
٣. بَيْـتُ أَمْوَالِـكَ بَحْـرٌ	مَـا عَلَـى البَحْـرِ غِطَـاءُ
٤. أَحْمَـدُ غَيْـرُ عَلِـيٍّ	حِـينَ يَشْـتَدُّ الوَصَـاءُ
٥. هَلْ هُمَـا فِـي الهَمْسِ وَالإِطْـ	ـبَاقِ إلا هَـا وَطَـاءُ
٦. وَكَـذَاكَ الخَيْـلُ مِنْـ	ـهُنَّ سِـرَاعٌ وَبِطَـاءُ

وَصديقك إن لَمْ يأتِ ، فابسُط عُذرَهُ بِهَذِهِ الأبياتِ(٣): [مجزوء الكامل]

١. عِرْفَـانُ عُرْفِـكَ شَـاقَنِي	فَلَـوْ اسْـتَطَعتُ لَسَـاقَنِي
٢. مَـا بَـالُ صِـهْرِكَ صَـدَّنِي	وَإِلَـى سَـنَاكَ أَتَـاقَنِي
٣. وَأَنَـا الرَّحِيـقُ سُـقِيتَهُ	فَاسْـأَلْهُ كَيْـفَ أَرَاقَنِـي
٤. وَلَقَـدْ حَلَـوتُ وَلَيْتَنِـي	أَمْـرَرْتُ لَمَّـا ذَاقَنِـي
٥. قَـدْ كُنْـتُ رَحْـبَ الصَّـدْرِ حَتَّـ	ـى غَـاظَنِي فَـأَذَاقَنِي
٦. هُـوَ عَقَّنِـي وَبَرَرْتَنِـي	هُـوَ عَـنْ لِقَائِـكَ عَـاقَنِي

١ – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١/ ٤٩٩– ٥٠٥ .

٢ – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٤، م١/ ٢٥٣– ٢٥٤ .

٣ – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٤، م١/٢٥٤ .

٧. إنّــي أخَــفُ عَلــى [الوَزِيــ	ــرِ] وَلَـوْ ثقُلَـتْ لِطَـاقِتِي
٨. نَفْسِــي فِـداؤُكَ يَــا أبَــا الــ	ــفَضْلِ الــذِي رَاقنِــي
٩. أحْبَبْتُــــــهُ وَأحَبَّنِـــــي	فاشْــــتقْتُهُ وَاشْـــتَاقنِي
١٠. مَـــنْ سَـــالَ عَنْــكَ أجَبْتُـــهُ	مَـــا فقْتُــهُ بَـــلْ فــاقِنِي

٣- جواب ابن هُودَ لابن حَسْدَاي عند فراره عَنْهُ

جواب ابن هُودَ إلَى أبي الفَضْلِ عِنْدَ فراره عَنْهُ :

"سَيِّدِي وَأجَلَّ عُدَدِي،وَأسْنَى الذَّخَائِرِ عِنْدِي،وَأزْكَى الفَوَائِدِ بِيَدِي،وَمَنْ أبْقَاهُ اللهُ فِي أتَمِّ نِعْمَةٍ،وَأعَمِّ حُرْمَةٍ؛وَرَدَنِي كِتَابُكَ بِمَا أوْدَعْتَهُ مِنْ صُورَةِ وِجْهَتِكَ وَمَمَرِّكَ،وَصِفَةِ مُسْتَوْطَنِكَ وَمُسْتَقَرِّكَ،وَعَرَفْتُ حَقِيقَةَ مَنْزَعِكَ[١]،فِي تَعَجُّلِكَ وَتَسَرُّعِكَ،وَمَا عَلِمْتُكَ-عَلَى مَعْلُومِ ذَكَائِكَ-يَذْهَبُ عَلَيْكَ السَّدَادُ فِي آرَائِكَ،وَلكِنْ لا تَمْلِكُ عَنَانَكَ فِي اعْتِسَافِ[٢]طُرُقِكَ،وَخَالِقُ خَلْقِكَ خَالِقُ خُلُقِكَ، وَكَانَ الأشْبَهُ بِالجَمِيلِ أنْ تُشْعِرَ بِإزْمَاعِ الرَّحِيلِ،فتُوصَلَ وَتُشَيَّعَ،وَلا تُصَدُّ عَنْ غَرَضِكَ وَلا تُمْنَعُ، مُهِّدَتْ بِكَ الحَالُ هُنَالِكَ فَلَمْ تَبْرَحْ مَوْضِعَكَ،وَلا فَارَقْتَ مَألَفَكَ وَمَجْمَعَكَ،بِمَا يَقْتَضِيهِ انْتِظَامُ الجَانِبَيْنِ، وَالتِفَافُ الآفِقَيْنِ،وَكَيْفَمَا تَصَرَّفْتَ فَأنْتَ الوَلِيُّ الحَمِيمُ،لا يُنْكَرُ وُدُّكَ،وَلا يُخْفَرُ عَهْدُكَ،وَاللهُ يُلَقِّيكَ كُلَّ خَيْرٍ، وَيُجْنِيكَ ثَمَرَ الغِبْطَةِ فِي كُلِّ مَقَامٍ وَسَيْرٍ "[٣] .

---

[١] – مَنْزَعَكَ: رأيك وتدبيرك . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [نزع] ٨/ ٣٥٢ .

[٢] – اعْتَسف الطريقَ: إذَا قَطَعَه دُونَ صوْب تَوَخّاه فأَصابه . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [عسف] ٢٤٥/٩ .

[٣] – ابن بَسَّام"**الذَّخِيرَة**"ق٣،م١ /٤٩٤ .

ب- رَسَائِل ابنِ حَسْدَايٍ التِي كَتَبَهَا عَنْ نَفْسِه .

١ - إِلَى ابْنِ رَزِينٍ: بِشَأْنِ عَبْدٍ أَبَقَ عَنْهُ .

"كُنْتُ أَرْتَاحُ إِذَا وَمَضَ مِنْ أُفُقِهِ البَسَّامِ بَارِقٌ،أَوْ ذَرَّ(١)مِنْ سَمْتِهِ الوَضَّاحِ شَارِقٌ(٢)، فَأَقْتَصِرُ مِنْ تِلْقَائِهِ عَلَى اسْتِنْشَاقِ نَسِيمٍ،وَأَنَّى لِي مِنْ عَرَارِ نَجْدٍ(٣)بِشَمِيمٍ،حَتَّى وَرَدَ مَا أَمْتَعَ بِوَابِلٍ بَعْدَ طَلٍّ،وَسَقَى نَهْلاً(٤)وَوَالَى بِعَلٍّ(٥)،وَاسْتَرْهَبَ بِمُعْجِزَيْ سِحْرٍ حرامٍ وَحِلّ،قَدْ قَصَرَ اللهُ عَلَيْهِ الإِبْدَاعَ: طَوْرًا فِي النَّدَى بِبَرَاعَةِ خَطِيبٍ وَبَلاغَةِ كَاتِبٍ،وَطَوْرًا فِي الوَغَى بِبَدِيهَةِ طَاعِنٍ وَرَوِيَّةِ ضَارِبٍ، وَالرَّبُّ يُدِيمُ إِمْتَاعَ أَشْيَاعِهِ بِبَارِعِ جَلالِهِ،وَيَصُونُ عُيُونَ الحَوَادِثِ عَنْ كَمَالِهِ،بِمَنِّهِ.

وَاسْتَوْضَحْتُ مَا أَوْمَأَ إِلَيْهِ مِنْ نَشْدِ العَبْدِ الآبِقِ(٦)عَلَى النَهْدِ السَّابِقِ(٧)،وَقَدْ أَعْمَلْتُ فِي بَقَائِهِ المَكَايِدَ،وَبَثَثْتُ فِي اقْتِنَاصِهِ الحَبَائِلَ وَالمَرَاصِدَ، فَكَأَنَّ الرِّيَاحَ تَخَطَّفَتْهُ،وَالبِحَارَ غَمَرَتْهُ،وَالبِلادَ أَخْفَتْهُ وَأَضْمَرَتْهُ،وَكَيْفَ يُظْفَرُ بِعَبْدٍ حَوشِ الفُؤَادِ، شَكِسِ القِيَادِ،رَغِبَ عَنْ خُضُوعِ المَمَالِيكِ،وَلَحِقَ بِذُؤْبَانِ الصَّعَالِيكِ،يَعْتَسِفُ شَتَّى المَسَالِكِ، وَيَعْرَوْرِي(٨)ظُهُورَ المَهَالِكِ(٩)،فَاتِحٌ كَاسْمِهِ سَائِحٌ عَلَى أَجْرَدَ سَابِحٍ:"كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهِ ثَوْبَ مَاتِحٍ(١٠)". وَعَسَى أَنْ يَعُودَ هَذَا الذَاهِبُ وَشِيكًا إِلَى مُلْكِهِ، وَيَنْتَظِمَ المُتَبَدِّدُ مِنْ سِلْكِهِ،وَإِنْ نَدَّ(١١)هَذَا الشَّارِدُ،فَمَا يَأْسَى لَهُ الفَاقِدُ،فَلا حَظَّ فِي ارْتِبَاطِ غَادِرٍ،وَلَوْ أَرْبَى فِي البَأْسِ عَلَى أَسَدٍ خَادِرٍ(١٢)،وَمَا أَوْلاهُ –أَيَّدَهُ اللهُ– أَنْ يَرْتَادَ لِصَنِيعِهِ طَرِيقَ المَصْنَعِ(١٣)، ويُودِعَهَا خَيْرَ المُسْتَوْدَعِ،وَأَنْ يَرْتَابَ بِالثِّقَاتِ،وَيُسِيءُ ظَنًّا بِالخَدَمِ تَفَرُّسًا فِي السِّمَاتِ، وَقَدْ عُرِيَ

---

١ – ذَرَّ : نثر أو بَدَّدَ . ابن مَنْظُور "لِسَانِ العَرَبِ" [ذرر] ٣٠٣/٤ .

٢ – الشَّارق: الشَّمس . ابن مَنْظُور "لِسَانِ العَرَبِ" [شرق] ١٧٤/١٠ .

٣ – عَرَارِ نجدٍ : نبت طيب الريح؛ وقِيلَ هُوَ النرجس البَرِّي. ابن مَنْظُور "لِسَانِ العَرَبِ" [عرر] ٥٦٠/٤ .
والكلام مِنْ قول الصمّة بن عبدا القشيري: [الوافر] فِي الحماسة دُونَ قائل
تمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فمَا بَعْد العَشِيّة مِنْ عَرَارِ
انْظُرْ :أبو تمَّام "دِيوان الحَمَاسَةِ" ص٢٣٤ .

٤ – النَّهَل: أَوَّل الشُّرْبِ . ابن مَنْظُور "لِسَانِ العَرَبِ" [نهل] ٦٨٠/١١ .

٥ - العَلّ : الشُّرْب بعد الشرب تِباعاً . ابن مَنْظُور "لِسَانِ العَرَبِ" [علل] ٤٦٧/١١ .

٦ - العَبْد الآبق: العَبْد الهَارِب مِنْ سَيِّدِهِ. ابن مَنْظُور "لِسَانِ العَرَبِ" [أبق] ٣/١٠ .

٧ – نَهَد القومُ لعدوّهم: صَمَدوا لَهُ وَشَرَعُوا فِي قِتَالِهِ. ابن مَنْظُور "لِسَانِ العَرَبِ" [نهد] ٤٣٠/٣ .

٨ – يَعْرَوْرِي فَرَسَهُ : يَرْكَبُهُ عُرْيًا . ابن مَنْظُور "لِسَانِ العَرَبِ" [عرا] ٤٨/١٥ .

٩ – مِنْ قول **تأبط شرا**: يَظَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا جُحَيْشًا وَيَعْرَوْرِي ظُهُورَ المَهَالِكِ . انْظُرْ :أبو تمَّام "دِيوان الحَمَاسَةِ" ص ٢١

١٠ – ماتِح : مُمْتَد . ابن مَنْظُور "لِسَانِ العَرَبِ" [متح] ٥٨٨/٢ .

١١ – نَدَّ: شَرَد وذَهَبَ عَلَى وَجْهه . ابن مَنْظُور "لِسَانِ العَرَبِ" [ندد] ٤٢٠/٣ .

١٢ – أَسَدٌ خادِرٌ :مقيم فِي عَرِينِه داخلٌ فِي الخِدْرِ . ابن مَنْظُور "لِسَانِ العَرَبِ" [خدر] ٢٣١/٤ .

١٣ – المَصْنَع: الرشوة أو الخديعة . ابن مَنْظُور "لِسَانِ العَرَبِ" [صنع] ٢١٢/٨ .

عَنْ الخَيْرِ مَنْ جَمْعَ تِلْكَ الصِّفَاتِ: مِنْ زُرْقَةِ مُقْلَةٍ، وَصُفْرَةِ بَشَرَةٍ،وَحُمْرَةِ شَعْرَةٍ،لا جَرَمَ أَنَّهُ نَزَعَ بِدَنَاءَةِ الأَرُومِ،إِلَى أَشْبَاهِهِ الرُّومِ،فَلْيَبْعُدْ مِثْلُهُ، فَسَيَنَالُهُ مَا هُوَ أَهْلُهُ،وَيُوبِقُهُ غَيُّهُ وَجَهْلُهُ "(1) .

٢ - إِلَى المُسْتَعِينِ: يَعْتَذِرُ مِنْ خُرُوجِهِ عَنْهُ وَيَطْلُبُ الصَّفْحَ.

"الدَّهْرُ–أَيَّدَ اللهُ مَوْلايَ– مُنْتَقِلٌ مُتَقَلِّبٌ،وَالدُّنْيَا دُوَلٌ وَعُقَبٌ،وَمَقَامُ القُطَّانِ(2)فِي الأَوْطَانِ كَمَقَامِ الأَرْوَاحِ فِي الأَبْدَانِ،تَصْحَبُهَا إِلَى آجَالٍ مُوَفَّاةٍ،عِنْدَ آمَادٍ مُسْتَوْفَاةٍ،فَمُدَدُ الأَحْوَالِ مُنَاسِبَةٌ لِلأَعْمَارِ:"وَإِنَّمَا النَّاسُ نُفُوسُ الدِّيَارِ".وَقَدْ عَمَرْتُ ذَلِكَ الأُفُقَ مَا امْتَدَّ المَهَلُ،فَلَمَّا نَبَا،أُجِدَّ الظَّعْنُ وَالتَّحَوُّلُ،وَلَيْسَ لِلْمُلُوكِ عَلَى مَوْلاهُ حَقٌّ يَدَّعِيهِ،وَلا مَطْلَبٌ يَقْتَضِيهِ،وَإِنَّمَا هُوَ إِحْسَانٌ يُوثِقُ وَيُقَيِّدُ،أَوْ تَسْرِيحٌ يُطْلِقُ فَيُشَرِّدُ،قَالَ تَعَالَى:"وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ"(3)،وَقَالَ الحَكِيمُ: "مَنْ لانَ تَأَلَّفَ،وَمَنْ شَدَّ نَفَّرَ"؛ وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، وَلِكُلِّ زَمَانٍ رِجَالٌ،وَفِي كُلِّ مَضِيقٍ مَجَالٌ،وَقَلَّمَا اطَّرَدَتِ الحَظْوَةُ فِي الدُّوَلِ،لِمَنِ اخْتَصَّ بِالأَسْلافِ الأُوَلِ،وَمَنْ خَدَمَ الآبَاءَ لَمْ يَخْدِمِ الأَوْلادَ،فَضْلاً عَنْ مَنْ خَدَمَ الأَجْدَادَ،وَأَنَا أَيَّةً(4)تَصَرَّفْتُ،وَحَيْثُ تَقَلَّبْتُ،العبدُ القِنُّ،فَلْيُحْسِنْ بِيَ الظَّنَّ،فَإِنِّي لا أُلِمُّ بِنَقْضٍ وَلا ثَلْمٍ،وَلا أَهُمُّ بِبُغْضٍ وَلا وَصْمٍ(5). وَمِنْ أَمَلِي أَنْ أَلْقَى مَوْلايَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ،بِوَجْهٍ يُسْفِرُ عَنْ أَسَارِيرِهِ الزُّهْرِ(6)،صَافِيَ الفِرِنْدِ(7)مِنْ صَدَأٍ يَعِيبُ،نَقِيِّ الأَدِيمِ مِنْ خَجَلٍ يَرِيبُ،وَلَهُ عَلَيَّ مِنْ كَرَمِ العَهْدِ كَالِئٌ(8)وَرَقِيبٌ،وَإِنْ أَضْمَرَتْنِي مِنْ جَوَانحِ البِلادِ حُجُبٌ وَغُيوبٌ:

فَلَوْ كُنْتُ بِالعَنْقَاءِ أَرْبَأُ سَوْمَهَا(9) لَخِلْتُكَ إلا أَنْ تَصُدَّ تَرَانِي

وَقَدْ خَاطَبْتُ مَنْ وَثِقْتُ بِوُدِّهِ،وَأَنِسْتُ إِلَى جِدِّهِ،فَإِنْ جَادَ مَوْلايَ بِالصَّفْحِ،وَعَادَ بِالخُلُقِ السَّمْحِ،فَهُوَ الذِي يَضْطَرُّهُ إِلَيْهِ عَالِي مَنْصِبِهِ،وَسَامِي رُتَبِهِ،وَإِنْ صَرَمَ الحَبْلَ،وَجَذَمَ(10)الأَصْلَ،فَهُوَ حُكْمُ

---

1 – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**"ق٣،م١ /٤٥٩ – ٤٦٠ ، وأورد الفقرة الأولى مِنْهَا ابن سَعِيد "**المُغْرِب**"٤٤١/٢ .

2 – القُطَّانِ : المُقيمُون . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [قطن] ٣٤٣/١٣ .

3 - **سُورَة آل عِمْرَانَ**، آيَة ١٥٩ .

٤ – آيَة تَصَرَّفْتُ :يقصدُ آيَة طريقةٍ تَصَرَّفْتُ ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [أوا] ٥٧/١٤ .

5 – الوَصْمُ: العَيْبُ فِي الحَسَب ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [وصم] ٦٣٩/١٢ .

6 - أَسَارِيرِهِ الزُّهْرِ: وَجهِهِ الأبيض الحسن ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [زهر] ٣٣٢/٤ .

7 – الفِرِنْدِ: السَّيفِ. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [فرند] ٣٣٤/٣ .

8 – كَالِئٌ : حافظ. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [كلأ] ١٤٦/١ .

٩ – العَنْقَاءُ: أَكمة فوق جبل مشرف. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [عنق] ١٠/ ٢٧٤ .

أَرْبَأُ : أنظر للقوم لئلا يَدْهَمَهُم عدُوّ، وَلا يَكُونُ إلاَّ عَلَى جبل أَو شَرَف ينظر منه ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [ربأ] ٨٢/١ .

سَوْمَهَا: ملازمتها فلا أبرحُ مِنْهَا . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [سوم] ٣١١/١٢ .

10 – جَذَمَ : أسرع القطع . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [جذم] ٨٧/١٢ .

الزَّمَانِ الفَاسِدِ، وَلا نُعْمَى لِلشَّامِتِ الحَاسِدِ، فلَيْسَ بِالبَاقِي وَلا الخَالِدِ، فَكُلُّ عَرَضٍ ذَاهِبٌ مَعَ جِسْمِهِ الفَانِي، وَ"ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي"[1] وَإِنْ اسْتُحِلَّ حَرَامٌ، مِنْ دَارٍ أَوْرَثَهَا كِرَامٌ، فَالعَفَاءُ عَلَى الجَفْنِ[2] إِذَا سَلِمَ الحُسَامُ،وَقَدْ صَانَهُ وَأَغْمَدَهُ مَنْ زَانَهُ إِذَا تَقَلَّدَهُ،وَإِنْ تَعَدَّى إِلَى تَغْيِيرِ الرُّسُومِ، فَرُبَّمَا لُبِسَ عَلَى الإِقْوَاءِ ثَوْبُ النَّعِيمِ[3]،وَقَدْ قَالَ سُقْرَاطُ:"إِذَا انْكَسَرَ الحُبُّ لَمْ يَنْكَسِرِ المَكَانَ،وَلا يَتَّسِعُ فِي تَغْيِيرِهِ الإِمْكَانُ"، وَلَكَ فِي مَا تَرَاهُ المَثَلُ الأَعْلَى،وَفِي مَا تَتَوَخَّاهُ الشَّرَفُ الأَزْكَى"[4] .

٣ - إِلَى أَحَدِهِمْ...: يُثْنِي عَلَيْهِ رُغْمَ بُعْدِهِ .

"إِذَا انْتَظَمَتِ القُلُوبُ–أَعَزَّكَ اللهُ– بِالوِدَادِ المَكِينِ، وَوَرَدَتْ بِصَفَائِهِ فِي المَشْرَعِ المَعِينِ[5] تَسَاوَى البِعَادُ وَالاقْتِرَابُ،وَلَمْ يُوحِشِ التَّوَقُّفُ وَالإِغْبَابُ[6]،وَلا مَزِيدَ عَلَى مَا تُحَقِّقُهُ مِنْ جُنُوحِي إِلَى فَضْلِكَ، وَتَصْرِيحِي بِأَحْسَنِ الثَّنَاءِ عَلَى جَلالِ مَحَلِّكَ،وَاعْلَمْ أَنَّ عَهْدَكَ النَّاضِرَ لا يُذْوَى،وَبِرَّكَ المُسْتَجَدَّ لا يُبْلَى "[7] .

٤ - إِلَى أَحَدِهِمْ ...: يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِالإِقَامَةِ عِنْدَهُ وَيُمَهِّدَ مَنْزِلاً لَهُ.

"النَّاسُ–أَيَّدَ اللهُ مَوْلايَ– أَطْوَارٌ،وَلِلبَصَائِرِ ظُلَمٌ وَأَنْوَارٌ،وَأَكْثَرُهُم سَاعٍ لأَمْرٍ لا يُدْرِكُهُ[8]، مُرَاعٍ لِرَأْيٍ لا يَمْلِكُهُ،وَالحَقُّ مُشْتَبِهٌ عَلَى مَنْ يَتَعَسَّفُ المَجْهَلَ فِيمَا يَسْلُكُهُ،وَمَنْ أَبْصَرَ رُشْدَهُ،وَاسْتَوْضَحَ قَصْدَهُ،أَمْضَى عَزْمَهُ مُجِدًّا فِي سَعْيِهِ،وَلَمْ يَسْتَشِرْ غَيْرَ نَفْسِهِ فِي رَأْيِهِ[9]،وَقَدْ سَدَّدَ اللهُ تَعَالَى وَأَنْجَحَ المَسْعَى، وَقَذَفَتْنَا غُرْبَةُ النَّوَى،حِينَ هَوَتْ بِي حَيْثُ الإِلْفُ وَالهَوَى،وَلَهُ الطَّوْلُ فِي الإِذْنِ وَالقَبُولِ، وَالتَوْطِئَةِ لِلحُلُولِ،بِتَمْهِيدِ مَنْزِلٍ يُتَبَوَّأُ،وَبِمَدِيدِ ظِلٍّ يُتَفَيَّأُ،لا زَالَ فِنَاؤُهُ لِلقُصَّادِ مَأْلَفًا آهِلا، وَحَرَمًا آمِنًا"[10] .

---

١ – مِنْ قول المُتَنَبِّي: ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُهُ الثاني وَحَاجَتُهُ مَا فَاتَهُ وَفُضولُ العَيْشِ أَشْغَالُ انْظُرْ : المُتَنَبِّي " **شَرْح دِيوَانه**" ٣/٢٨٨

٢ – الجَفْن: غِمْد السَّيفِ ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [جفن] ١٣/٨٩ .

وقوله:"فالعفاء عَلَى الجفن"مِنْ قول المَعَرِّيّ فِي رثاءِ أبيه:[الطويل]

وَإجْلالُ مغناكَ اجْتهادٌ مقصِّرٍ إِذَا النَّصْلُ أَوْدَى فالعَفَاءُ عَلَى الجِفْنِ انْظُر : المَعَرِّيّ " **شُرُوح سَقْط الزَّنْد**" ٢/٩٣٠ .

٣ – مِنْ قول أَبِي نَوَّاس لِمَنْ دِمَنٌ تزدادُ طيبَ نسيم على طولِ مَا أَقوَتْ وَحُسْنَ رُسُومِ

تجافى البلى عنهُنَّ حَتَّى كَأَنَّمَا لَبِسْنَ عَلَى الإِقواءِ ثوبَ نعيمِ انْظُرْ : أبو نَوَّاس "**دِيوَانُهُ** " ص٢١٦ .

٤ – ابن بَسَّام"**الذَّخِيرَة**"ق٣،م١ /٤٦١ – ٤٦٢ .

٥ – مَشْرَعَةُ: مَوْرِدُ الشارِبَةِ التي يَشْرَعُهَا الناس فيشربون مِنْهَا وَيَسْتَقُونَ. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [شرع] ٨/١٧٥ .

مَاءٌ مَعِينٌ: ظاهِر، تراه العَينُ جارياً عَلَى وجه الأَرض. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [عين]١٣/٣٠٤ .

٦ – الإِغْبَابُ: المجيءُ يومًا والترك يومًا. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [غبب] ١/٦٣٦ .

٧ – ابن بَسَّام"**الذَّخِيرَة**"ق٣،م١ /٤٦٦ .

٨ – مِنْ قولِ عَبْدَةَ بنِ الطَّبِيب: والمرءُ ساعٍ لأمرٍ لَيْسَ يُدرِكه والعيْشُ شُحٌّ وإِشْفَاقٌ وَ تأْميلُ انْظُر: الجَاحِظ " **الحَيَوَان**" ١/ ٤١٥ .

٩ – مِنْ قول سعد بن ناشب مِنْ تميم (ت : ١١٠هـ] :و لَمْ يستشِرْ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يرضَ إلا قائمَ السيفِ صَاحِبًا

انْظُرْ :أبو تمَّام "**دِيوان الحَمَاسَة**" ص ١٦ .

١٠ - ابن بَسَّام"**الذَّخِيرَة**"ق٣،م١ /٤٦٤ .

٥ - إِلَى أَحَدِهِمْ...: يخبِرُهُ أَنَّهُ مُزْمِعٌ عَلَى الرَّحِيلِ مِنْ مُرْسِيَةَ إِلَى قَاعِدَةٍ تَمَلَّكَهَا.

"المُقَدِّمَاتُ تُوَطِّئُ فِي الكلامِ لإيضَاحِ النَّتَائِجِ،وَإِمْرَارِ الكَلامِ عَلَى اطِّرَادِ المَنَاهِجِ،وَأَمَّا إِذَا كَانَ المَطْلُوبُ جَلِيًّا مُتَبَيِّنًا،وَالوِدَادُ المُرْتَادُ فِي النُّفُوسِ زَكِيًّا مُتَمَكِّنًا،فَتَكَلُّفُ مَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ عِيٌّ(١) لا سِيَّمَا إِذَا خُوطِبَ ذَكِيٌّ ألمَعِيٌّ،وَمِثْلُكَ الحَمِيمُ الكَرِيمُ الذِي يُتَيَقَّنُ صَفَاؤُهُ،وَيُدَّخَرُ وَفَاؤُهُ؛وَكُنْتُ قَدْ خَاطَبْتُكَ مُشْعِرًا نِيَّتِي فِي التَّحَوُّلِ،وَعَزْمِي فِي التَّجَوُّل، حَتَّى تُلْقَى العَصَا،وَتَسْتَقِرَّ النَّوَى(٢)،حَيْثُ الصَّغْوُ(٣)وَالهَوَى،وَأُومِئُ فِي ذَلِكَ إِلَى البَيْتِ الذِي يُعْرَفُ وَيُرْوَى(٤): [الطويل]

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي لِلمَقَامِ أُطَوِّفُ

وَقَدْ تَفَسَّحَ المَسْلَكُ بِمَا يَسَّرَهُ اللهُ مِنْ تَمَلُّكِ تِلْكَ القَاعِدَةِ،وَأَنَا بِحَوْلَ اللهِ مُزْمِعٌ لِلرَّحِيلِ إِذَا انْفَرَجَتِ السَّبِيلُ،فَطَوْلُكَ(٥)فِي إِعْلامِي بِحَالِ المَسالِكِ مِنْ مُرْسِيَةَ إِلَى المَغَارِبِ المُتَيَاسِرَةِ وَالمُتَيَامِنَةِ، وَكَيْفَ مَكَانَ التَّشْيِيعِ حَتَّى يُوصَلَ إِلَى مَأْمَنٍ بِذِمَامٍ لا يَخْفَى وَعُرْفٍ لا يُنْكَرُ،فَأَمْجِدْنِي مِنْ ذَلِكَ بَيَانًا، كَأَنِّي قَدْ شَاهَدْتُهُ عِيَانًا،فَالحَازِمُ الذِي يُسَدِّدُ إِلَى الغَرَضِ قَبْلَ إِرْسَالِ سَهْمِهِ "(٦) .

٦ - إِلَى أَبِي بكْرٍ بنِ عَمَّارٍ: عِنَايَةً بابنِ الحَدَّادِ .

"المَحَاسِنُ التِي تُؤثَرُ عَنْكَ بِالسَّرْوِ(٧)وَالسَّنَاءِ،وَالمَحَامِدُ التِي تَتَلاقَى عَلَيْكَ بِهَا أَلْسِنَةُ الثَّنَاءِ،تَمِيلُ إِلَيْكَ أَحْنَاءَ(٨)القُلُوبِ،وَتَقِفُ عَلَيْكَ نَخَائِلُ الصُّدُور(٩)، وَقَدْ أَصْبَحْتَ بِفَضْلِ اللهِ حُلْيَةَ

---

١ – عِيٌّ: جَهْلٌ. ابن مَنْظُور"**لِسَانِ العَرَبِ**" [عيا] ١١٣/١٥ .

٢ – النَّوَى: الوجهُ الذي يَنْويهِ المسافرُ مِنْ قُرْبٍ أَو بُعد، وهي مؤنثة لا غَيْرَ. ابن مَنْظُور"**لِسَانِ العَرَبِ**" [نوي] ٣٤٧/١٥ .

٣ – الصَّغْو: الميل . ابن مَنْظُور"**لِسَانِ العَرَبِ**"[صغا] ٤٦١/١٤ .

٤ – البَيْت فِي : ابن قُتَيْبَةَ "**عُيُونُ الأَخْبَارِ**" ١/ ٢٣٤ .

٥ – الطَّوْل: الفَضْل والقُدْرَةُ والغِنَى . ابن مَنْظُور"**لِسَانِ العَرَبِ**" [طول]٤١٤/١١ .

٦ – ابن بَسَّام"**الذَّخِيرَة**"ق٣،م١ /٤٦٦ – ٤٦٧ .

٧ – السَّرْوِ: المُروءَةُ والشَّرَفُ . ابن مَنْظُور"**لِسَانِ العَرَبِ**" [سرا] ٣٧٧/١٤ .

٨ – أَحْنَاء: جَوَانب . ابن مَنْظُور"**لِسَانِ العَرَبِ**" [حنا] ٢٠٦/١٤ .

٩ – نَخَائِل الصُّدُور: أَيّ النِّيّات الخَالِصَة . ابن مَنْظُور"**لِسَانِ العَرَبِ**" [نخل] ٦٥٢/١١ .

الزَّمَانِ،وَمَفْخَرَ الأَوَانِ،وَمَسْمَى عُيُونِ الأَفَاضِلِ وَالأَعْيَانِ، بِمَا نَزَعْتَ بِهِ مِنْ كَرَمِ الخَلائِقِ، وَسُمُوِّ الهِمَمِ السَّوَابِقِ؛وَمَا زِلْتَ –أَدَامَ اللهُ عِزَّكَ– تَجْلُو عَلَى المُتَوَسِّلِينَ إِلَيْكَ صَفَحَاتِ البِشْرِ، وَتُنْزِلُهُمْ فِي ذُرَاكَ عَرَصَاتِ(١)الإِجْمَالِ وَالبِرِّ،فَتَجْنِي ثَمَرَاتِ المَجْدِ،وَتَنْشَقُ نَفَحَاتِ الشُّكْرِ وَالحَمْدِ .

وَمِنْ أُولَئِكَ الأَعْيَانِ الأَكَابِرِ،بَلِ المُبِرِّ(٢)عَلَيهِمْ بِخَصَائِصِ المَآثِرِ،فُلان،فَإِنِّي مَا أُفَاوِضُكَ فِي وَصْفِ مَنَاقِبِهِ،وَأُعْلِمُكَ بِكَرِيمِ ضَرَائِبِهِ،وَاعْتِلائِهِ فِي مَرَاقِي العِلْمِ وَتَسَنُّمِهِ،وَشُفُوفِهِ(٣)بِالبَرَاعَةِ فِي الإِبْدَاعِ وَتَقَدُّمِهِ،مُفَاوَضَةَ مَنْ يَسِمُ لَدَيْكَ غُفْلا،وَيُنَبِّهُ خَامِلا،وَيُذَكِّرُ نَاسِيًا،فَإِنَّكَ أَعْلَى مَلْحَظًا، وَأَزْكَى تَيَقُّظًا، مِنْ أَنْ يَغِيبَ عَلَيْكَ مَكَانُ مِثْلِهِ،وَلا يَتَقَرَّرَ لَدَيْكَ سُمُوُّ مَحَلِّهِ،فِي إِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ،وَحَسْبُكَ بِهِ جُمْلَة تُغْنِي عَنْ التَّفْصِيلِ،مَعْ عَالِي نَظَرِكَ الجَلِيلِ،أَنِّي مَا عَاشَرْتُ أَكْبَرَ مِنْهُ فِي البِرِّ وَالصِّلَةِ،وَلا أَقْوَمَ بِحَقِيقَةِ الوُدِّ وَالخُلَّةِ(٤)،وَلا نَاسَمْتُ أَطْيَبَ مِنْهُ نَفْسًا،وَلا أَمْتَعَ أُنْسًا،نَفَاسَةَ خِيَمٍ(٥)صَادِرَةً عَنْ شَرَفِ أَرُومٍ(٦)،وَأَنْتَ خَلِيقٌ بِالاسْتِكْثَارِ مِنْ جَانِبِهِ،وَالإِجْمَالِ فِي مَعُونَةِ مَطَالِبِهِ"(٧) .

٧ - إِلَى المُقْتَدِرِ: عَلَى لِسَانِ النَّرْجِسِ .

"أَنَا –وَصَلَ اللهُ بَهْجَةَ سُلْطَانِكَ،وَنَضْرَةَ أَوْطَانِكَ– إِذَا لَحَظْتَنِي بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ،قَائِدُ النُّوَّارِ، وَوَافِدُ الأَزْهَارِ،وَأَنَا لَهَا جَالِبٌ وَهِيَ طَارِدَةٌ،وَمُبَشِّرٌ بِوُرُودِهَا وَهِيَ مُؤْيِسَةٌ مُتَبَاعِدَةٌ،فَإِنِّي غَلَبْتُ بِمَا فِي طَبْعِي مِنَ التَيَقُّظِ وَالذَّكَاءِ،خُلْدَ التُّرَابِ وَصَرْدَ(٨)الهواءِ،فَقُمْتُ عَنْ إِسَاءَةِ الفَصْلِ عُذْرًا، وَنَحَلْتُ الشِّتَاءَ عَلَى الرَّبِيعِ فَخْرًا،وَفَضَلْتُ الوَرْدَ سَيِّدَ الأَزْهَارِ طُرًّا،وَتَوَرُّدُهُ شَاهِدُ خَجَلِهِ،تَسْتُرُهُ مِنَ الحَيَاءِ فِي أَكِمَّتِهِ وَكَلَلِهِ(٩)،فَلِي عَلَيْهِ فَضْلُ العُيُونِ عَلَى الخُدُودِ،وَشَرفُ السيِّدِ عَلَى المَسُودِ،فَبَيْنَا أَنَا سَقِيمُ الجُفُونِ مِنْ غَيْرِ سَقَمٍ ،مَائِلُ الجِيدِ مِنْ دُونِ أَلَمٍ،حَتَّى أُتِيحَ لِي ظَرِيفٌ مِنْ خَواصِّكَ يَقْصُدُنِي،وَنَبِيلٌ مِنْ عَبِيدِكَ يَعْتَمِدُنِي،فَأَوْجَسْتُ حَذَرًا وَتَشَوُّفًا،حَتَّى أَنَّسَنِي بِالكَلامِ تَأَلُّفًا،وَقَطَفَنِي بِغَيْرِ إِيْلامٍ تَلَطُّفًا، وَحَاوَرَنِي بِلَفْظٍ يُلَقِّنُهُ النَّوَارُ عِيَانًا،وَإِنْ لَمْ يُحْسِنْ عَنْهُ بَيَانًا:يَا أَيُّهَا الزَّهْرُ الفَارِدُ،وَالنُّوْرُ

---

١ – عَرَصَات: وَسْط . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [عرص] ٧/٥٢ .

٢ – المُبِرّ: الغالب . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [برر] ٤/٥٥ .

٣ – شُفُوفِهِ : رِقَّتِهِ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [شفف] ٩/ ١٨١ .

٤ – الخُلَّة: الصَّدَاقَة المُخْتَصَّة التي لَيْسَ فِيهَا خَلَل . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [خلل] ١١/٢١٦ .

٥ – خِيَم: أصل . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [خيم] ١٢/١٩٤ .

٦ – أَرُوْم: أصل . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [أرم] ١٢/١٥ .

٧ – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١ /٤٦٧ .

٨ – صَرْد: بَرْد. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [صرد] ٣/٢٤٨ .

٩ – أَكِمَّة: رَوَابي؛ الكلَل: هِيَ الصَّوَامِعُ وَالقِبَابُ. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [أكم ؛ كلل] ١٢/٢١؛ ١١/٥٩٥ .

الشَّارِدُ، السَّاحِرُ بِحُدَقِهِ وَأَجْفَانِهِ،النَّاظِرُ بِوَرَقِهِ وَأَغْصَانِهِ،البَاهِرُ بِوَرِقِهِ وَعِقْيَانِهِ[1]،مَا لِي أَرَى قُضُبَكَ غُبْرًا ذَابِلَةً،وَمَنَابِتَكَ شُعْثًا نَاحِلَة،وَعَهْدِي بِكَ تَمُجُّ الأَنْوَاءُ[2]رِيقَتَهَا فِي ثُغُورِكَ فَتُصْبِحَ حَافِلَةً، وَتَرْضَعُ الأَنْدَاءُ أَفْنَانَكَ فَتَغْدُو حَامِلَةً،فَتَنُوءُ بِجِيدِكَ مُنْثَنِيًا،كَأَنَّكَ أَصْبَحْتَ مُنْتَشِيًا،وَقَدْ سَاءَنِي مَا عَايَنْتُ مِنْ ضَنَاكَ وَنُحُولِكَ،فَبَادَرْتُ جَنَاكَ إِشْفَاقًا مِنْ ذُبُولِكَ،لأَنْقُلَكَ مِنْ جَنَابِ النَّبَاتِ الهَشِيمِ،إِلَى جَنَابِ السُّرُورِ المُقِيمِ،وَتَسْعَدَ بِالفَوْزِ العَظِيمِ،بِاسْتِلامِ رَاحَةِ المَلِكِ الكَرِيمِ .

وَفِي فَصْلٍ مِنْهَا...... :

فَلَيْتَ الرِّيَاض تَعْلَمُ بِمَكَانِي فَتَذْبُلَ كَمَدًا،وَتَذْوَى[3]حَسَدًا،وَتَرَانِي وَقَدْ أَنَرْتُ فِي أُفُقِكَ البَهِيجِ، وَزَهَرْتُ فِي رَوْضِكَ الأَرِجِ،فَكَمْ تَمَنَّى الأَزْهَارُ أَنْ تُضَامَ لَدَيْكَ مَطَالِبِي،وَتَتَكَدَّرَ فِي ذُرَاكَ مَشَارِبِي، فَأَزِلْ عَنِّي حَسَدَهُم بِكَبْتِهِم[4]،فَقَدْ شَجَاهُم تَقَدُّمِي قَبْلَ وَقْتِهِم،وَأَكْمِلْ مَسَرَّتِي وَتَمِّمْ أُنْسِي، بِلِقَاءِ ،فَإِنِّي قَسِيمُهَا وَحَمِيمُهَا،وَمِنِّي لَوْنُهَا وَشَمِيمُهَا،وَأَنَا أَشْبَهُ بِهَا إِذَا شَجَّتْ وَأَدَارَتْ عُيُونَ حَبَبٍ، مِنْ حَصْبَاءِ دُرٍّ فِي أَرْضِ ذَهَبٍ[5]،وَطَبْعِي نَظِيرُ طَبْعِهَا،وَمَا تَقَرُّ عَيْنِي إلا بِدَمْعِهَا،فَلا تَحْتَقِرْ أَيُّهَا العَزِيزُ مَنَابَ مِثْلِي وَاعِظًا مُفْصِحًا،وَهُنَا شَفِيعًا مُنْجِحًا،فَإِنَّ الأَزْهَارَ عَلَى العُمُومِ،تَجْلُو قَذَى العُيُونِ وَتَفُضُّ خِتَامَ الهُمُومِ،فَهِيَ كَالثُّغُورِ أَوْضَحَهَا ابْتِسَامٌ،كَاللآلِي زَانَهَا فِي الأَجْيَادِ انْتِظَامٌ. وَمَا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ إلا لأَسِمَ غُفْلَ العِلْمِ،فَالعَصَا قُرِعَتْ لِذِي الحِلْمِ[6]،فَلا تُضِعْ أَيُّهَا المَلِكُ سَبْقَ تَقَدُّمِي،وَحقَّ مَقْدَمِي،فَقَدْ أَشْخَصْتُ طَرْفِي إِلَيْكَ آمِلاً،وَبَسَطْتُ نَحْوَكَ كَفِّي سَائِلاً، وَحَسْبِي أَنْ تُلاقِيَنِي بِبِشْرِكَ،وَتُنَاجِينِي بِفِكْرِكَ،فَتُنَبِّهَ العَزْمَ مِنْ وَسَنِهِ،وَتَنْشُرَ الحَزْمَ مِنْ جَنَنِهِ[7]،فَلَكَ مِنْ بَرَاعَةِ العُلا،وَأَصَالَةِ النُّهَى،ذَكَاءٌ يَرِي لأَوَّلِ اقْتِدَاحٍ زَنْدَهُ، وَمَضَاءٌ يَفْرِي بِأَيْسَرِ هَزٍّ حَدَّهُ، وَلَدَيْكَ مِنْ مَنَاهِلِ الكَرَمِ،وَفَوَاضِلِ النِّعَمِ،مَا يَزْرِي بِالمُزْنِ وَيُوفِي عَلَى الدِّيَمِ: [الكامل]

فَــانْفَحْ لَنَــا مِــنْ طِيــبِ خُلْقِكَ شِيمَةً   إِنْ كَانَــتِ الأَخْــلاقُ مِمَّــا تُوهَــبُ

وَرَوِّ بَرْحَ[8]ظَمَايَ،وَانْقَعْ صَدَايَ،وَلا تَكِلْ إِلَى الأَنْوَاءِ سُقْيَايَ "[9] .

---

[1] – وَعِقْيَانِهِ : ذَهَبِهِ ، ويقصدُ هُنَا أزهارَهُ الصفراء كالذهب. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [عقن] ٢٨٨/١٣ .

[2] – الأَنْوَاءُ: النجوم الدالة عَلَى المطر . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [جدح ؛ ربع] ٢/ ٤٢٢ ؛ ١١٢/٨ .

[3] – تَذْوَى: تهلَكُ. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [ودى] ١٥/ ٣٨٦ .

٤ – مِنْ قول المُتَنَبِّي: أَزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عني بِكَبْتِهِم فَأَنتَ الذي صَيَّرتَهُمْ لي حُسَّدَا .انْظُرْ: المُتَنَبِّي " **شَرْح دِيوَانه** " ١/ ٢٨٩ .

٥ – مِنْ قول أَبِي نُوَّاس:كَانَ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَقَاقِعِها حَصْباءُ دُرٍّ عَلَى أرضٍ مِنَ الذَّهَبِ انْظُرْ: أبو نُوَّاس "**دِيوَانُهُ**" ص ٧٤ .

٦ – مِنْ قول **الحارث بن وعلة** (فارسي جاهلي مِنْ عبس): وَ زَعَمْتُم أَنْ لا حُلُومَ لَنَا إِنَّ العَصَا قُرِعَتْ لِذِي الحِلْمِ [[الكامل]

انْظُرْ:أبو تمَّام "**ديوان الحَمَاسَة**" ص ٣٦ ؛ المَيْدَانِيّ "**مَجْمع الأَمْثَال**" ٦٤٢/١– ٦٤٣ .

[7] – جَنَنِهِ : قلبه أو مخبأهُ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [جنن] ٩٣/١٣ .

[8] – بَرْح : شِدَّة وَعَذَاب. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [برح] ٤١٠/٢ .

[9] – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**"ق٣،م١ / ٤٧٠ – ٤٧٣ .

٨- يَرد عَلَى رسالة [١] لابْنِ الدَّبَّاغِ

" يَا سَيِّدَنَا الذِي أَلْزَمَنَا بِامْتِنَانِهِ الشُّكْرَ،وَكَبِيرَنَا الذِي عَلَّمَنَا بِبَيَانِهِ السِّحْرَ،وَعَمِيدَنَا الذِي عَقَدَنَا بِجُرْمِهِ وَانْحَلَّ،وَرَمَانَا بِدَائِهِ وَانْسَلَّ.أَبْقَاكَ اللهُ لِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ تَمُرُّهَا،وَيَمِينٍ غَمُوسٍ تَبَرُّها، وَرَدَنَا –أَبْقَاكَ اللهُ– كِتَابُكَ الذِي أَنْفَذْتَهُ مِنْ مَعْرِسِكَ[٢] بِوَادِي الزَّيْتُونِ،وَوَقَفْنَا عَلَى مَا لَقِيتَ فِي أَوْصَافِهِ مِنْ حُجَّةِ المَفْتُونِ،وَإِعْجَابِكَ بِالتِفَافِ شَجَرِهِ وَدَوْحَاتِهِ، وَاهتِزازِكَ لِطِيبِ بَوَاكِرِهِ وَرَوْحَاتِهِ، وَمُرُورِكَ بِهِ وَهُوَ حُوٌّ تِلاعِهِ[٣]، مُورَّةٌ[٤]،صِفَاتُهُ[٥] وَأَجْزَاعُهُوَكُلُّ المَشَارِبِ مَا خَلاهُ ذَمِيمُ ، وَمَاؤُهُ الدَّهْرَ خَصِرٌ وَالمِيَاهُ حَمِيمُ،وَتِلْكَ عَادَةُ تَلَوُّنِكَ،وَسَجِيَّةُ تَخَضْرُمِكَ،وَشَاكِلَةُ مِلالِكَ وَسَأَمِكَ، وَأَشْعرُ النَّاسِ عِنْدَكَ مَنْ أَنْتَ فِي شِعْرِهِ،وَأَحَبُّ البِلادِ إِلَيْكَ مَا أَنْتَ فِي عُقْرِهِ،فَأَيْنَ مِنْكَ بَسَاتِينُ جُلَّقَ وَجِنَانُهُ،وَرِيَاضُهُ المُونِقَةُ وَخُلْجَانُهُ، وَقِبَابُهُ البِيضُ فِي حَدَائِقِهِ الخُضْرِ،وَجَوُّهُ العَطِرُ فِي جَنَابِهِ النَّضِرِ، وَمَا تَضَمَّنَهُ حِيطَانُهُ، وَتَمُجُّهُ نِجَادُهُ وَغِيطَانُهُ مِنْ أُمَّهَاتِ الرَّاحِ التِي هَجَرْتَهَا بِزَعْمِكَ، وَمَوَادِّ الشَّمُولِ التِي طَلَّقْتَهَا بِرَغْمِكَ. وَهَيْهَاتَ! فَوَاللهِ مَا فَارَقَتْكَ تِلْكَ الأَجَارِعُ وَالمَحَانِي،وَلا شَاقَتْكَ تِلْكَ المَنَازِلُ وَالمَغَانِي،إلا تَذَكُّرًا لِمَا لَدَيْنَا مِنْ طِيبِ المَعَاهِدِ،وَحَنِينًا إِلَى مَا عِنْدَنَا مِنْ جَمِيلِ المَشَاهِدِ، وَأَيْنَ مِنَ المُشْتَاقِ عَنقاءُ مَغْرِبِ.

وَأَمَّا مَا وَصَفْتَهُ مِنْ صِحَّةِ اسْتِمْرَائِكَ،وَنُفُوذِ غِذَائِكَ،وَإِفَاقَتِكَ مِنْ جُنُونِ العُقَارِ، وَاسْتِرَاحَتِكَ مِنْ سُقْمِ الخُمَارِ،وَخُلُوصِ تِلْكَ الهَوَاجِسِ [مِنَ اخْتِلاطِ الرَّاسِ،فَاعْلَمْ أَنَّ الغَيَّ مَا أَنْتَ فِيهِ مُنْذُ اليَوْمِ، وَالوَسْوَاسَ مَا سَمِعْتُ بِهِ أَسْمَاعُ القَوْمِ،وَقَدْ أَدَّانَا صَادِقُ القِيَاسِ،إِلَى عِلْمِ سَبَبِ ذَلِكَ الوَسْوَاسِ، فَإِنَّكَ تَعَرَّضْتَ لِلسَّمُومِ غَيْرَ مُلَثَّمٍ،وَبَرَزْتَ إِلَى الهَجِيرِ غَيْرَ مُعَمَّمٍ،فَأَنْتَ عَمَلَّسُ أَسْفَارٍ،وَخِرِّيتُ مَهَامِهٍ وَقِفَارٍ، فَتَخَلَّلَ الحَامُ اللُّجَجَ،وَتَقَطَّعَ البَلْغَمُ اللَّزِجُ،وَتَصَاعَدَتْ أَبْخِرَةُ البَدَنِ إِلَى أَعْلاهُ، فَقَذَفَ بِذَلِكَ المِحَالِ الذِي أَمْلاهُ .

وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّكَ نَفَضْتَ مَكَامِنَ الثَّغْرِ الأَعْلَى،وَسَرَيْتَ إِلَى بِلادِ العَدُوِّ فِي مَنْ سَرَى،وَشَهِدْتَ الخَيْلَ يَوْمَ طِرَادِهَا، وَبَاشَرْتَ الحَرْبَ غَدَاةَ جِلادِهَا، مُخْتَالاً بَيْنَ الصَّفَّيْنِ عَلَى شَقْرَاءَ تَرْتَدِي مِنْكَ بِنَسِيجِ وَحْدِهِ،وَتَجِيءُ بِكَ مُعْتَجِرًا فِي بُرْدِهِ،فَقَدْ كُتِبَ عَلَيْكَ حُكْمُ القَتْلِ وَالقِتَالِ،وَعَلَيْنَا تَوْسِيعُ الجُيُوبِ وَجَرُّ الأَذْيَالِ،فَهَذَا هُوَ الرَّأْيُ الذِي سَوَّلَ لَكَ أَنْ تَدَّعِي التَّوْبَةَ وَلا تَسْتَدْعِيَ الكَاسَ،وَتَسْتَدْعِيَ النَّوْبَةَ

---

١ – انْظُرْ الرسالة في : ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٣، م ١ /٢٥١ .:

٢ – مَعْرَس : مِنَ العِرِّيس وهو الشجر الملتف. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [عرس] ١٣٦/٦ .

٣ – حُوٌّ : موصوفٌ بالحُوَّةُ سواد إِلَى الخُضْرةِ . ابن مَنْظُور" **لِسَان العَرَبِ**" [حوا] ٢٠٧/١٤ .

التلاع: جمع للتَّلْعَةُ وَهي أَرض مُرتفعة غَلِيظة يَتَرَدَّدُ فِيهَا السيْلُ ثم يَنْدَفع مِنْهَا إِلَى تَلْعَةٍ أسفل.

ابن مَنْظُور" **لِسَان العَرَبِ**" [تلع] ٣٦/٨ .

٤ – مورّة: تتقَدْ أَوْ تشع . ابن مَنْظُور" **لِسَان العَرَبِ**" [وَري] ٣٨٩/١٥.

٥ – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٣، م ١ /٢٨٤ .

وَتَستَعْدِيَ النَّاسَ،وَتُرِي أَنَّكَ تتنسَّكُ؟وَتتقرَّأُ،وَتَنْخَلِعُ مِنَ المُجُونِ وَتَتَبَرَّأُ،فَالسَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّاسِكُ المُتَصَوِّفُ،وَالمُتَبَتِّلُ المُتَقَشِّفُ،الذِي أَقْصَرَ لَمَّا أَبْصَرَ،وَفَضَّلَ نُورَ الحَقِيقَةِ عَلَى نَوْرِ الحَدِيقَةِ، فَقَطَعَ العَلائِقَ،وَهَجَرَ الخَلائِقَ؛فَأَنْتَ مِمَّنْ تَقُولُ، مَا لا تُدْرِكُهُ الأَلْبَابُ وَالعُقُولُ: أُخِذَ مِنِّي أَنَا،فَبَقِيتُ بِلا أَنَا، فَبِوَجْهِكَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ،وَبِبَرَكَةِ دُعَائِكَ تُسْتَشْفَى الآلامُ،فَإِنَّكَ الرَّجُلُ الزَّاهِدُ،وَالمُرَابِطُ المُجَاهِدُ، وَمَا تُخْفَى عَلَيْكَ لَطَائِفُ الزُّهْدِ وَرقائقُهُ،وَوُجُوهُ النُّسْكِ وَطَرَائِقُهُ.وَلَكِنْ هَاتِ حدِّثْنَا حِينَ لَمْ تَرْضَ بِالرَّاحِ إِلْفًا،وَطَلَّقْتَهَا أَلْفًا،مَا سَبَبُكَ فِي سَبِّكَ لَهَا،وَهِيَ صَافِيَةٌ طَاهِرَةٌ،وَغَضُّكَ مِنْهَا وَهِيَ طَيِّبَةٌ عَاطِرَةٌ،وَكُلُوحُكَ فِي وَجْهِهَا وَهِيَ طَلِقَةٌ نَاضِرَةٌ؟! وَمَا لَكَ جَوَابٌ غَيْرُ قَوْلِ **أَبِي نَوَّاسٍ**: [الخفيف]

لا تُسَمِّ المُدَامَ إِنْ لُمْتَ فِيهَا فَتَشِينَ اسْمَهَا المَلِيحَ بِفِيكَا

وَأَمَّا إِشَارَتُكَ فِي أَنْ نَشْرَبَهَا عَلَى وُدِّكَ،وَنَتَذَكَّرَ عَلَيْهَا طِيبَ عَهْدِكَ،فَلا،وَلا كَرَامَةَ وَلا نُعْمَى عَيْنٍ، فَهِيَ أَجَلُّ وَأَكْرَمُ مِنْ أَنْ نَبْذُلَهَا فِي وُدِّ مَنْ جَفَاهَا وَقَلاهَا،وَنُدِيرَهَا عَلَى حَمْدِ مَنْ ذَمَّهَا وَهَجَاهَا،وَأَمَّا قَوْلُكَ: "لا يَسْرِي فِيكَ غَامِضُ سَرِّنَا،وَلا يحُلُّ عُقَدَكَ لَطِيفُ سِحْرِنَا"فَإِنَّكَ تُرَقِّقُ عَنْ صَبُوحٍ، وَتَشِيعُ السُّرَى وَأَنْتَ مُصْبِحٌ،وَتسِرُّ الحَسْوَ وَأَنْتَ مُرْتَغٍ،وَتَرَى الزُّهْدَ وَأَنْتَ طَالِبٌ مُبْتَغٍ،فَاعْلَمْ أَنَّا سَنَجْمَعُ شَرَّنَا المُبِينَ،وَنَتَظَاهَرُ عَلَيْكَ أَجْمَعِينَ،وَنَجْلِبُ مِنَ الجِنِّ كَتَائِبَ وَجَرَائِدَ،وَنَصْرِفُ مِنَ المُكْرِ خُدَعًا وَمَكَايِدَ،فِي بَقَائِكَ عَلَى نُسْكِكَ مُسْتَمِرًّا،وَدَوَامِكَ عَلَى تَوْبَتِكَ مُصِرًّا، فَعَسى أَنْ تَنْعَمَ بَالاً وَتَقَرَّ عَيْنًا بِنُضُوجِ كَبِدِكَ،وَالتِيَاعِ حَشَاكَ،وَتُشَاهِدَ مَشَارِعَ الرَّاحِ وَلا تَرِدُ، وَتُبَاشِرَ مَنَاهِلَ المُدَامِ وَتُنْشِدُ: [الطويل]

أَرَى بَعْدَ وَرْدِ المَاءِ لِلْقَلْبِ لَوْعَةً إِلَيكِ عَلَى أَنِّي مِنَ المَاءِ نَاقِعُ

وَإِنَّا لَنُوقِنُ أَنَّ هَذَا الأَمَلَ بَعِيدٌ لا تَبْلُغُهُ،وَنَعِيمٌ لَذِيذٌ لَوْ نُسَوِّغُهُ،فَمَا تَزَالُ يَحُلُّ أَيمانَكَ مِنْ نَفْسِكَ حَنْثٌ،لا يُقَاوِمُهُ سِحْرٌ وَلا نَفْثٌ،وَنَعَمْ،سَنَأْدُبُكَ إِلَى مَآدِبِ أُنْسِنَا،وَنَنْدُبُكَ إِلَى مَحَاضِرِ لَهْوِنَا، فَمَا تَتِمُّ إِلا بِكَ،وَلا تَلَذُّ إِلا بِاقْتِرَابِكَ،وَأَيُّ شَيْءٍ أَلَذُّ وَأَمْتَعُ مِنْ أَنْ تَتَعَاطَى عَنْكَ وَأَنْتَ فِي مَجْرَاهَا، وَنُحَلِّقُ بِهَا عَلَيْكَ وَأَنْتَ لا تَرَاهَا،وَلا تُعَلِّلُ مِنْهَا بِنَسِيمٍ،وَلا تَنْفَحُ لَكَ مِنْ رَيَّاهَا بِشَمِيمٍ،حَتَّى إِذَا دَبَّتْ فِينَا حُمَيَّا الخَمْرِ،وَقَهَرَتْنَا سَوْرَةُ السُّكْرِ،تَمَايَلْنَا عَلَيْكَ مُعَرْبِدِينَ،وَتَمَسَحْنَا بِأَثْوَابِكَ رَاكِعِينَ وَسَاجِدِينَ

كَمَا شَبْرَقَ الوِلْدَانُ ثَوْبَ المُقَدَّسِ

وَأَمَّا صِفَةُ حَالَتِنَا التِي سَأَلْتَ عَلَيْهَا،فَسَنَزِيدُكَ جُنُونًا بِالحَدِيثِ عَنْهَا: اعْلَمْ أَنَّنَا قَيْدُ الْتِهَاءٍ وَارْتِيَاحٍ، وَرَهْنُ اغْتِبَاقٍ وَاصْطِبَاحٍ،تَصْرَعُنَا القَهْوَةُ،فَنَتَدَاوَى مِنْهَا بِهَا، وَنَتَدَرَّعُ النَّشْوَةَ،فَلا نَعْرَى مِنْ إِهَابِهَا،فَنَخْرُجُ مِنْ سَكْرَةٍ إِلَى سَكْرَةٍ،وَنَعْبُرُ مِنْ غَمْرَةٍ فِي غَمْرَةٍ : [الطويل]

سُدَى عِنْدَهُ لا يُعْرِفُ اليَوْمَ بِاسْمِهِ وَنَعْمَلُ فِيهِ اللَّهْوَ مَرْأًى وَمَسْمَعَا

وَكَتَبْنَا إِلَيْكَ –أَصْلَحَكَ اللهُ– بِأَنَامِلَ يَمْتَطِيهَا القَلَمُ فَتُرْعَشُ، وَتَحْتَوِيهَا الكَاسُ فَتَسْتَقِلُّ وَتَنْتَعِشُ؛ أَطْلَعْنَا عَلَيْكَ مِنْ حَالِنَا غَائِظًا فَتَلَقَّهُ بِالكَظْمِ،وَأَوْصَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ خَفْضِ عَيْشِنَا مُنْكَرًا فَادْفَعْهُ بِالصَّبْرِ وَالحِلْمِ، وَسَتَرِدُ فَتَعْلَمُ،وَتَلْقَى خِلافَ مَا تَظُنُّ وَتَتَوَهَّمُ،وَاللهُ يُمَتِعُنَا بِمَقْدَمِكَ، وَيُؤْنِسُنَا بِلِقَائِكَ، وَيَنْفَعُنَا بِصَلاحِكَ وَبَرَكَةِ دُعَائِكَ .

ج- رَسَائِلِ ابنِ حَسْدَاي التِي كَتَبَهَا عَنْ غَيْرِهِ .

١ - كَتَبهَا عَنْ المُؤْتَمِنِ إِلَى ابنِ طَاهِرٍ: يَطْلُبُ مِنْهُ مُقَابَلَتَهُ.

"مَحَلُّكَ –أَعَزَّكَ اللهُ– فِي طَيِّ الجَوَانِحِ دَانٍ وَإِنْ شَطَّ المَزَارُ،وَعِيَانُكَ فِي أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ بَادٍ وَإِنْ نَزَحَتِ الدِّيَارُ،فَالنَّفْسُ مِنْكَ بِتَمْثِيلِ الخَاطِرِ بِأَوْفَرِ الحَظِّ،وَالعَيْنُ نَازِعَةٌ إِلَى أَنْ تُمَتَّعَ مِنْ لِقَائِكَ بِظَفْرِ اللَّحْظِ ،فَلا عَائِدَةَ أَسْبَغُ بَرْدًا،وَلا مَوْهِبَةَ أَسْوَغُ وِرْدًا،مِنْ تَفَضُّلِكَ بِالخُفُوفِ وَاصِلاً مُسْعِدًا،إِلَى مَأْنَسٍ يَتِمُّ بِمُشَاهَدَتِكَ التِئَامُهُ،وَشَمْلٍ يَتَّصِلُ بِمُحَاضَرَتِكَ انْتِظَامُهُ،وَلَكَ فَضْلُ الإِجْمَالِ،فِي الإِمْتَاعِ مِنْ ذَلِكَ بِأَعْظَمِ الآمَالِ، وَالإِعْدَاءِ عَلَى الأَيَّامِ بِقَضَاءِ دَيْنٍ مَمْطُولٍ،وَإِنْجَازِ مَوْعُودٍ لَمْ أَحْلَ مِنْهُ بِغَيْرِ تَسْوِيفٍ وَتَعْلِيلٍ،وَأَنَا عَلَى شَرَفِ سُؤْدَدِكَ حَاكِمٌ،وَعَلَى مَشْرَعِ سَنَائِكَ حَائِمٌ،وَأَنْتَ–وَصَلَ اللهُ سَعْدَكَ– بِسَمَاحِ شِيَمِكَ، وَسَجَاحَةِ خَلائِقِكَ وَهِمَمِكَ،تَنْشِي لِلمُؤَانَسَةِ وَعْدًا،وَتُورِي بِالمُكَارَمَةِ زِنْدًا،وَتَقْتَضِي بِالمُشَارَكَةِ شُكْرًا حَافِلاً وَحَمْدًا "(١) .

٢ - كَتَبهَا عَنْ المُؤْتَمِنِ إِلَى أَحَدِهِمْ...: رَدًّا عَلَى كِتَابٍ وَرَدَهُ مِنْهُ .

"وَرَدنِي كِتَابُكَ،أَحْسَنَ مَا أَمْلاهُ خَاطِرٌ،وَاجْتَلاهُ نَاظِرٌ،مِنْ أَلْفَاظٍ وَمَعَانٍ،اطَّرَدَتْ فِي سِلْكِ إِبْدَاعٍ وَبَيَانٍ،فَحَيَّتْ بِالرَّوْضَةِ الأُنُفِ(٢)،وَعَادَتْ بِعِذَابِ النُّطَفِ(٣)،وَهُوَ المَقَالُ الصَّادِرُ عَنْ كَرَمِ الطَّبْعِ، الدَّالُّ عَلَى شَرَفِ الأَصْلِ وَالفَرْعِ،الذِي تَفْتَرُّ عَنْ وَاضِحِ الوُدِّ مَبَاسِمُهُ،وَتَنْشَقُّ عَنْ نَاضِرِ العَهْدِ كِمَائِمُهُ،تنْهَلُّ بِوَاكِفِ البِرِّ غَمَائِمُهُ،وَقَدْ وَعَيْتُ مِنْهُ مَا تَوَفَّرَ بِهِ الحَظُّ،وَتَسَوَّغَهُ السَّمْعُ وَاللَحْظُ، وَإِنْ كَانَتْ لَكَ مِزْيَّةُ السَّبْقِ بِفَضْلِ البَيَانِ الذِي يَبُذُّ الجَاهِدِينَ عَفْوُهُ،وَيفُوتُ المُجْتَهِدِينَ شَأْوُهُ،فَالتَّكَافُؤُ وَاقِعٌ بِالتَّسَاوِي،وَالتَّوَازِي نَازِلٌ بِمَحْضِ التَّجَازِي اكْتِفَاءً بِمَا تَضْمِرُهُ القُلُوبُ،وَتَسْتَشِفُّهُ الغُيُوبُ، وَهُوَ اليَقِينُ الذِي تَجِدُ النُّفُوسُ بَرْدَهُ،وَتقِفُ المَعَارِفُ عِندَهُ "(٤) .

٣ - كَتَبهَا عَنْ المُؤْتَمِنِ إِلَى أَحَدِهِمْ...: يُخْبِرُهُ عَنْ وَفَائِهِ لَهُ رُغْمَ بُعدِهِ عَنْهُ .

"أَنَا عَلَى رَسْمِي فِي الحَظِّ المَوْفُورِ مِنْكَ مُنَافِسٌ،وَإِلَى عَهْدِكَ الكَرِيمِ النَّضِيرِ آنِسٌ،وَلِمَا انْتَظَمَ بَيْنَنَا مِنْ مَوَاثِيقِ الوَفَاءِ كَالِئٌ(٥)حَارِسٌ،وَإِنْ سُدَّتْ دُونَ اللِّقَاءِ المَطَالِعُ،فَمَا صُدَّتْ عَنِ

---

١ – ابن بَسَّام "الذَّخِيرَة" ق٣،م١ /٤٦٤ – ٤٦٥ .

٢ - الرَّوْضَةُ الأُنُفُ: هي التي لَمْ يَرْعَهَا أَحَدٌ . ابن مَنْظُور "لِسَان العَرَبِ" [أنف] ٩/ ١٤ .

٣ – النُّطَف: اللؤلؤ الصافِي اللون، وقِيلَ؛ الصغار مِنْهَا . ابن مَنْظُور "لِسَان العَرَبِ" [نطف] ٩/ ٣٣٥ .

٤ – ابن بَسَّام "الذَّخِيرَة" ق٣،م١ /٤٦٥ – ٤٦٦ .

٥ – كَالِئٌ : حَافِظٌ. ابن مَنْظُور "لِسَان العَرَبِ" [كلأ] ١/ ١٤٦ .

الصَّفَاءِ المَشَارِعُ،وَإِنِّي لأَدَّخِرُكَ لِلْجُلَّى،وَأُجِيلُ فِي الاعْتِدَادِ بِسَنَائِكَ القِدْحَ المُعَلَّى،وَاللهُ يُدِيمُ لِلعَصْرِ التَّحَلِّي بِمَحَاسِنِكَ،وَيُوضِحُ سَرْوَه[1] بِسِمَاتِ فَضَائِلِكَ "[2] .

٤ ـ كَتَبهَا عَنِ المُقْتَدِرِ إِلَى أَخِيهِ صَاحبِ لارْدَةَ: يَشْكُرُهُ عَلَى هَدِيَّةِ آسٍ وخَمْرٍ .

"وَصَلَتِ الهَدِيَّةُ التِي أَصْدَرَتْهَا سَاحَةُ الفَضْلِ،وَتضَمَّنَتْهَا رَاحَةُ النُّبْلِ،وَزَفَّهَا المَجْدُ زَفَافَ الهَدْيِ تَرْفُلُ فِي الحِلِيِّ وَالحُلَلِ،وَتَقَدَّمَ سَفِيرُ الآسِ[3]،فَأَذَاعَ مَا حَمَلَ مِنْ طِيبِ الأَنْفَاسِ،وَتَلَقَّيْتُهُ بِمَا يُتَلَقَّى مِثْلُهُ مِنْ كِرَامِ الزُّوَّارِ،إِذْ كَانَ بِحُكْمِ الإِجْمَاعِ سَيِّدَ الزَّهْرِ وَالنَّوَارِ،بِدَوَامِ عُهْدَتِهِ،وَبَقَاءِ جِدَّتِهِ وَتَمَادِي نَضْرَتِهِ،وَتَنَاوَلْتُ الظَّرْفَ الظَّرِيفَ الوَاصِلَ مَعَهُ، فَفَضَضْتُ خِتَامَهُ وَتَرَشَّفْتُ مُسْتَوْدَعَهُ، وَتَسَوَّغتُ مِنْهُ شُمُولا[4] مُعَتَّقَةً،لَذَّةً عَبِقَةً،قَدْ تَنَاهَتْ رِقَّةً وَصَفَاءً،وَلَمْ تُبقِ الأَيَّامُ مِنْهَا إِلا هَبَاءً وَلألاءً، فَهِيَ تَمْنَعُ الكَفَّ،مَا تُبِيحُ الطَّرْفَ،وَأَدَرْتُهَا بِالقَدَحِ الذِي أَجَلْتَ بِهِ مُعَلَّى القِدَاحِ،قَائِمًا عَلَى قَدَمِ الإِعْظَامِ،أَهُزُّ عَطْفَ الارْتِيَاحِ،وَتخَيَّلْتُ أَنِّي فِي ذَلِكَ المَأْلَفِ العَزِيزِ حَاصِلٌ،وَفِي ذَلِكَ المَأْنَسِ الجَلِيلِ مَاثِلٌ،فَنَحْنُ مُتَلاقِيَانِ بِعِيَانِ الإِمْحَاضِ[5] وَالإِخْلاصِ،وَإِنْ تَنَاءَيْنَا بِالذَّوَاتِ وَالأَشْخَاصِ؛ وَوَصَلَ مُبْكِرُ البَهَارِ[6] الجنِيِّ،مُمْتِعًا بِمَنْظَرِهِ البَهِيِّ،وَعَرْفِهِ[7] الذَّكِيِّ،قَدْ شَخَصَتْ أَحْدَاقُهُ،وَرَاقَتْ أَوْرَاقُهُ،يَمُدُّ بَنَانَ لَهَبٍ،وَيَرْنُوا بِحُدَقِ حُمْرٍ تَلْتَهِبُ،كَأَنَّهُ إِكْلِيلُ تِبْرٍ،مُرَصَّعٌ بِيَوَاقِيتَ صُفْرٍ، وَهُوَ شَبِيهُ الرَّاحِ لَوْنًا وَمَشَمًّا،قَدْ تَكَافَأَ بَيْنَهُمَا الانْتِسَابُ،يَحْكِيهِ مِنْهَا الجَامِدُ وَيَحْكِيهَا مِنْهُ المُذَابُ،وَأَسْفَرَ غَضُّ الإِسْفَرْجِ عَمَّا خَصَّ بِهِ ذَلِكَ الأُفُقِ مِنَ التُّرَابِ الدَّمِثِ وَالهَوَاءِ السَجْسَجِ[8]،فَسَقَاهُ اللهُ صَوْبَ السَّحَابِ، وَلا زَالَ مُخْضَرَّ الرُّبَى،خَضِلَ الجَنَابِ، وَاقْتَضَى حُكْمُ الأَدَبِ المُتَعَارَفِ فِي السَّلامِ وَالمُبَادَاةِ، رَدَّ التَّحِيَّةِ عَلَى سَبِيلِ المُنَاوَلَةِ وَالمُعَاطَاةِ،لا عَلَى سَبِيلِ المُعَارَضَةِ وَالمُبَارَاةِ،وَقَدْ أَنْفَذْتُ رَيْحَانًا مَشْمُومًا وَرَحِيقًا مَخْتُومًا،وَلَكَ الفَضْلُ فِي تَسَوُّغِ مَا سَقَيْتَ،وَتَنَشُّقِ مَا أَهْدَيْتَ "[9] .

---

[1] – السَّرْو: المُروءَةُ والشَّرَفُ. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [سرا] ٣٧٧/١٤ .

[2] – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١ /٤٦٦ .

[3] – الآسُ: ضَرْبٌ مِنَ الرَّيَاحِينِ. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [أوس] ١٩/٦ .

[4] – الشَّمُول: الخَمْر. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [شمل] ٣٦٩/١١ .

[5] – الإِمْحَاض: إخلاص النُّصْح . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [محض] ٢٢٨/٧ .

[6] – البَهار : نَبْتٌ طَيِّبُ الرائِحَةِ . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [بهر] ٨٤/٤ . وجاء فِي "نَفْحِ الطِّيبِ" أَنَّ النَّرْجِسَ وَيُسَمَّى العَبْهَرُ هُوَ البَهَارُ عِنْدَ الأَنْدَلُسِيِّينَ. المَقَّرِيّ "**نَفْحُ الطِّيبِ**" ٢٦١/٤ .

[7] – عَرْفه: رائِحَته. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [عرف] ٢٤٠/٩ .

[8] – الهَوَاءُ السَّجْسَجُ: الهَوَاءُ المُعْتَدِلُ بين الحر والبرد. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَبِ**" [سجج] ٢٩٥/٢ .

[9] – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١ /٤٦٨ – ٤٧٠ .

٥ ـ كَتَبهَا عَنِ المُقْتَدِرِ إِلَى أخيه المُظَفَّر لوفاةِ ابنِهِ، وَيَسْتَعْطِفُهُ فِي شَخْصٍ.

قرن بالرقعةِ ظَرْفَ بلُّورٍ [أَحْمَر] مَمْلُوءًا خَمْرًا مَعَ بَاقةِ آسٍ، يُسَلِّيهِ عَنْ ابنٍ تُوُفِّيَ لهُ،وَاشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِ:

"لَمَّا كَانَتْ نَفَائِسُ المَوَاهِبِ،وَخُطَيْرَاتُ الرَّغَائِبِ،مُرْتَادَةً لأَجْلِ النَّفْسِ،الَّتِي بِهَا مَادَّةُ الحَيَاةِ وَالحِسِّ، وَهِيَ نُورُ البَدَنِ المُبْصِرُ،وَسَائِسُهُ المُدَبِّرُ،وَجَبَ بِحُكْمِ العَقْلِ الذِي أَفَاضَ عَلَيْهَا سَنَاهُ، وَأَفْضَى إِلَيْهَا بِهُدَاهُ،أَنْ تَكُونَ العِنَايَةُ بِدَوَامِ صِحَّتِهَا،مُوَازِيَةً لِتَقَدُّمِهَا بِالفَضِيلَةِ عَلَى البَدَنِ وَمَزِيَّتِهَا،إِذْ كَانَ لَهَا البَقَاءُ وَلَهُ الفَنَاءُ،وَلَهَا الفَوْزُ فِي المَعَادِ،وَلَهُ الانْتِقَاضُ إِلَى الأَضْدَادِ؛ وَخَاصَّةُ النَّفْسِ التِي تَنْفَرِدُ بِهَا وَلا تُشَارِكُ فِيهَا مَعْنَى السُّرُورِ وَالجَذَلِ،وَغَايَةُ الرَّجَاءِ وَالأَمَلِ،وَبِهِ المَتَاعُ فِي الدُّنْيَا، وَالنَّعِيمُ فِي الأُخْرَى،وَنَقِيضُهُ الحُزْنُ،وَهُوَ أَلَمٌ مِنْ آلامِهَا يَطْمِسُ نُورَهَا،وَيُكَدِّرُ صَفَاءَهَا،وَيُنَغِّصُ نِعْمَتَهَا وَهَنَاءَهَا،فَإِذَا انْجَذَبَتْ مُجِيبَةً لِدَوَاعِي الهَمِّ مُنْقَادَةً فِي زِمَامِهِ،وَلَمْ تُدَافِعْهُ عِنْدَ اعْتِرَاضِهِ وَإِلمَامِهِ، اشْتَمَلَتْ عَلَى المَضَضِ وَالنَّكَدِ،وَحَصَلَتْ فِي غَمْرَةِ الرُّكُودِ وَالتَّبَلُّدِ،وَبِحُكْمِ ذَلِكَ يَحِقُّ عَلَى الحَازِمِ اللَّبِيبِ أَنْ لا يَثْنِي عَنِ الأَخْذِ مِنْ أَقْسَامِ المَسَرَّةِ بِأَوْفَى النَّصِيبِ،فَيَسْتَمْتِعُ بِالمَوَاهِبِ أَيَّامَ مُصَاحَبَتِهَا، وَلا يَجْزَعُ عِنْدَ ارْتِحَالِهَا وَمُفَارَقَتِهَا،وَيَسْتَشْعِرُ أَنَّهَا مُعَارَةٌ لِتُؤَدِّي،مُودَعَةٌ لِتَقْضِي،فَلا يَأْسَفُ عِنْدَ اقْتِضَائِهَا وَارْتِجَاعِهَا ،وَلا يَأْسَى عِنْدَ بَيْنِهَا وَوَدَاعِهَا،وَيُجَاهِدُ الهَمَّ إِذَا اعْتَلَجَ فِي صَدْرِهِ، بِمَضَاءِ عَزْمِهِ وَقُوَّةِ صَبْرِهِ .

وَقَدْ أَسْمَى اللهُ مِنْ مَرَاقِي شُفُوفِكَ[١] وَتَقَدُّمِكَ،وَأَوْضَحَ مِنْ مَعَالِي سَجَايَاكَ وَشِيَمِكَ، بِحَيْثُ يُقْتَدَى بِأَثَرِكَ،وَيُهْتَدَى بِعَمَلِكَ،وَحَسْبِي أَنْ أُومِئَ بِمَا عَرَضْتُهُ مُذَكِّرًا،فَتَلْحَظُهُ بِنَظَرِكَ الجَلِيِّ مُعْتَبِرًا،وَتُعْرِضُ عَنْ نَوَازِعِ الخُطُوبِ مُقْصِرًا،وَتَسْتَأْنِفُ مُقْتَبَلَ الزَّمَانِ الأَغَرِّ الجَدِيدِ،وَالدَّهْرِ المَيْمُونِ السَّعِيدِ،فَتُشْرِعُ لِمُطَالَعَةِ الأُنْسِ بَابًا،وَتُمَهِّدُ لِمُوَاصَلَتِهِ جَنَابًا،وَقَدْ تَعَرَّضَ لِي إِلْفٌ أَصِلُهُ وَأُدْنِيهِ، فَأَنَا الآنَ أَهْجُرُهُ وَأُقْصِيهِ،فَلَقِيَ مِنِّي انْزِوَاءً عَنْهُ وَانْقِبَاضًا،وَشَكَا مِنِّي جَفَاءً وَإِعْرَاضًا، فَتَصَدَّى ضَارِعًا مُلْحِفًا،فِي أَنْ أُرْسِلَهُ نَحْوَكَ مُسْتَعْطِفًا،فَأَسْعَفْتُهُ وَأَوْدَعْتُهُ مَا تَحَمَّلَهُ وَأَزْعَجْتُهُ،وَهُوَ –آنَسَ اللهُ مَشَاهِدَكَ،وَأَنْضَرَ مَعَاهِدَكَ– زَائِرٌ مُلْطِفٌ يَتَّقِدُ طَبْعُهُ ذَكَاءً،وَمُؤْنِسٌ يُسْتَشَفُّ ظَرْفُهُ صَفَاءً، عَطِرُ المُذَاكَرَةِ عَبِقُ المُفَاكِهَةِ،يَفُضُّ خِتَامَ الهُمُومِ بِنَفْحِ[٢] المُنَاسَمَةِ وَطِيبِ المُفَاوَضَةِ،وَقَدْ زَارَ مُتَوَصِّلاً بِرِسَالَتِي،مُتَوَسِّلاً بِشَفَاعَتِي،وَصَارَ عَنْ يَدِي،وَانْتَقَلَ عَنْ رَاحَتِي،وَهُوَ المَجْفُوُّ المَهْجُورُ حَتَّى تَأْذَنَ بِتَقْرِيبِهِ وَإِيثَارِهِ،وَالعَامِلُ المَصْرُوفُ حَتَّى تَمُنَّ بِتَوْلِيَتِهِ وَإِقْرَارِهِ "[٣] .

---

[١] – شُفُوف : جمع الشَّفُّ، وهو الرِّبْحُ والزيادة . ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [شفف] ٩/ ١٨١ .

[٢] - بِنَفْحٍ : بِطِيبٍ. ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [نفح] ٦٢٢/٢ .

[٣] – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١ /٤٧٣ – ٤٧٤ .

٦ - كَتَبهَا عَلَى لِسانِ المُنَجِّمِ بَلارْدَةَ إِلَى الطَّبِيبِ البُرْذُقُونِ: يواسيه فِي مَرَضِهِ .

كَتَبَ ابْن حَسْدَاي عَلَى لِسَانِ المُنَجِّمِ بَلارْدَة،المُلقَّبِ بِالعَافِيَةِ،وَقَدْ أُصِيبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ ،إِلَى الطَّبِيبِ بِهَا المُلَقَّبِ بِالبُرْذُقُونِ، وَقَدْ أصِيبَتْ إِحْدَى خُصْيَيْهِ:

"أَنَا أَدْعُو لَكَ –يَا سَيِّدِي وَمَوْلايَ،وَمَنْ أَنَا عَبْدُهُ عَلَى العُمُومِ– بِمَعْهُودِ الدُّعَاءِ بِدَوَامِ النِّعْمَةِ، وَأُقَابِلُهُ بَعْدُ بِمَا يَخُصُّهُ،حَسْبَ مَا عَلَيَّ يَنُصُّهُ: [الطويل]

فَوُقِّيتَ بُقْرَاطَ الطَّيُورِ تَطَبُّبًا إِذَا عَالَجَ البِرْسَامَ[1] أَوْ أَبْرَأَ البَرَصْ

مِنَ المَنْسَرِ الأشْغَى وَمِنْ حَزَّةٍ[2] وَمِنْ بُنْدُقٍ[3] الرَّامِي وَمِنْ قَصَّةِ المِقَصْ

فَهَذِي دَوَاهِي الطَّيْرِ وُقِّيتَ شَرَّهَا إِذَا الدَّهْرُ مِنْ أَحْدَاثِهِ جَرَّعَ الغُصَص

وَقَدْ جَرَّعَتْنِي أَحْدَاثُ الدَّهْرِ غُصَصًا،وَعُدْتُ مَثْلُومًا مُنْتَقصًا،مُشَوَّهًا بَعْدَ اقْتِبَالِ الجَمَالِ،وَمُؤنَسُ اليَمِينِ مُوحِشَ الشِّمَالِ،كَأَنِّي شِقٌّ[4] فِي قَفْر،أَوْ حُوتُ مُوسَى فِي بَحْرٍ،وَقَدْ صُنْتُهَا بِرُقْعَةِ خِمَارٍ أَسْوَدَ، وَأَدَّعِي أَنِّي أَشْكُو الرَّمَدَ،وَرُبَّمَا سَقَطَ فَأُتْبِعُهُ بِاليَدِ،وَأُنْشِدُ قَبْلَ أَنْ أُنْشَدُ[5]: [الكامل]

سَقَطَ النَّصِيفُ[6] وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِاليَدِ

وَمَالِي سُلُوٌّ عِنْدَمَا دَهَتْنِي الأَيَّامُ بِالنَّقْصِ فِي أَكْرَمِ أَعْضَائِي وَأَشْرَفِ جَوَارِحِي إِلا بِمَا أَنَّسَنِي بِهِ بَعْضُ إِخْوَانِنَا قَائِلا: هَاكَ حَدِيثًا يُسَلِّيكَ وَيُعَزِّيكَ،بِمَزِيدِ حَظٍّ وَصَلَ إِلَى الحَكِيمِ أَخِيكَ،فَقُلْتُ:هَاتِ حَدِّثْنِي بِالحَقِّ عَنْ البُرْذُقُونِ،فَلَسْتُ مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِالأَغْرقُونِ،فَقَالَ:إِنِّي اخْتَلَسْتُ مِنْهُ فِي الحَمَّامِ نَظْرَةً فَرَأَيْتُ إِحْدَى خُصْيَيْهِ فِي قَدْرِ الدَّلاعَةِ[7] العَظِيمَةِ،وَالأُخْرَى عَلَى هَيْئَةِ القَدِيمَةِ،فَقُلْتُ لَهُ: أَرَاكَ أَبْرَزْتَ قَثَاءَةً[8] فِي عَبَاءَةٍ،وَقَدْ رَكِبَتْ بَاذِنْجَانَةً وَأُرْدِفَتْ دُبَّاءَةً[9] .فَأَطْرَبَنِي طِيبُ نَادِرَتِهِ، وَأَمْتَعَنِي خَبَرُ إِفَادَتِهِ،وَعُدْتُ إِلَى اللازِمِ مِنْ مُخَاطَبَتِكَ بِالتَّهْنِئَةِ وَالإِينَاسِ،وَمَا عَلَيْنَا مِنْ كَلامِ النَّاسِ، وَمَا تَخَطَّتْنِي نِعْمَةٌ وَفِدَتْ عَلَيْكَ،وَلا آلمَنِي نَقْصٌ مَعَ مَزِيدٍ وَصَلَ إِلَيْكَ،وَالعَاقِلُ لا يَتَنَكَّدُ بِمَا تَرَاهُ

---

[1] – البِرْسَام: عِلَّةٌ فِي الصدر ، يُشبِهُ الجُدَّري. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [برسم، موم] ٤٦/١٢، ٥٦٦ .

[2] – المَنْسِر : النَّسْر. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [نسر] ٢٠٥/٥ .

الأشْغَى: مِنَ الشَّغْوَاء وهو العُقاب. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [شغا] ٤٣٦/١٤ .

الحَزَّة : القطع فِي علاج. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [حزز] ٣٣٤/٥ .

[3] – بُنْدُق: الذي يُرْمَى بِهِ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [بندق] ٢٩/١٠ .

[4] – الشَّقُّ: الصَّدْع البائن . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [شقق] ١٨١/١٠ .

٥ – " **ديوان النَّابِغَة الذبْيَانِيّ**" ص ١٤٧ .

[6] – النَّصِيفُ: الخِمَارُ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [نصف] ٣٣٢/٩ .

[7] – الدَّلاعَة: قَدْ تكون مِنَ اندلع اللسان أي خرج مِنَ الفم واسترخى وسقط عَلَى العَنْفقة كلسان الكلب.

ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [دلع] ٩٠/٨ .

وقِيلَ دس لَهُ السم فِي دلاعة قطعها بسكين نصفها مسموم والثاني غَيْرُ مسموم وقِيلَ فِي بطيخة. انْظُر :ابن الأبَّار"**الحُلَّة السِّيَراء**"٩٩/١ .

[8] – قَثَاءَةٌ : الواحدة مِنَ الخيار . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [قثأ] ١/ ١٢٨ .

٩ – دُبَّاءَةٌ : الواحِدة مِنَ الدُّبَّاءُ وهُوَ القَرْعُ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [دبى] ١٤/ ٢٤٩ .

العَوَامُّ قَبِيحًا مُسْتَحِيلاً،إِذَا كَانَ فِي حُكْمِ الخَوَاصّ حَسَنًا جَمِيلا،وَفِي عِظَمِ إِحْدَى خُصْيَتَيْكَ- أَنْمَاهُمَا اللهُ- فَضَائِلُ يَعْرِفُهَا العُلَمَاءُ،وَلا يَجْهَلُهَا الحُكَمَاءُ،فَقَدْ قَالَ الفَيْلَسُوفُ:إِنَّ البَيْضَتَيْنِ كَالمِعْلاقَتَيْنِ(١) تُعَدِّلانِ الجِسْمَ،وَتَسُوسَانِ البَدَنَ،وَهُمَا كَالمَادَّةِ(٢)لِلقُوَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ،وَالمَعُونَةِ لِلحَرَارَةِ الغَرِيزِيَّةِ، وَيُشَبَّهَانِ بِالأَثْقَالِ تُعَلَّقُ مِنَ السِّقَاءِ فَتَرِمُّ رَخِيَّهُ،وَتَضُمُّ قَصِيَّهُ،وَإِذَا عَظُمَتِ الوَاحِدَةُ،بَانَتِ الخَصْلَةُ الزَّائِدَةُ، فَإِنَّ البَنَّاءَ إِنَّمَا يَزِنُّ بِرَصَاصِهِ(٣)،وَالمُهَنْدِسُ يَرْصُدُ بِشَاقُولٍ(٤)،وَرُبَّمَا هَجَسَ فِي نَفْسِكَ، أَنَّكَ تَصِيرُ إِلَى الفَرْكِ مِنْ عِرْسِك(٥)،فَتُنْشِدُكَ،وَإِنَّمَا تَقْصِدُكَ(٦): [الرجز]

قَدْ حَلَفَتْ بِاللهِ لا أُحِبُّهْ ... أَنْ طَالَ خُصْيَاهُ وَقَصُرَ زُبُّهْ

وَهَذَا النَّشِيدُ،فِي مِثْلِكَ بَعِيدٌ،فَإِنَّ مَتَاعَكَ يَطُولُ لِلصُّغْرَى،وَتَطُولُهُ الكُبْرَى،فَيَتَبَيَّنُ اعْتِدَالُهُ،وَيَبْدُو كَمَالُهُ،وَقَدْ سَلِمَتَا مِنَ التَّشْبِيهِ بِفَرُّوجَيْنِ أَوْ أُتْرُجَّتَيْنِ(٧)،وَلا يَسُوغُ فِيهِمَا وَلا يَجُوزُ،أَنْ يَكُونَا كَثُنْتَيْ حَنْظَلٍ فِي ظَرْفِ عَجُوزٍ(٨)؛أَسْتَغْفِرُ اللهَ،وَكَيْفَ تَفْرُكُكَ غَانِيَةٌ،أَوْ تَعْتَصِمُ مِنْكَ مُخَدَّرَةٌ(٩)، وَمَا عَلَى ظَهْرِهَا خَوْدٌ(١٠)إِلا وَهِيَ إِذَا عَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا(١١)أُعِيذَتْ بِاسْمِكَ،وَلا فَتَاةٌ عَرُوبٌ(١٢) وَهِيَ تَسْتَغْشِي مِنْ غَيْرِ نَعْسَةٍ رَجَاءَ فِي لِقَاءِ خَيَالِكَ(١٣)،وَلا مَحْجُوبَةٌ مَصُونَةٌ إِلا وَهِي تُرَقِّعُ الكُوَى بِالمَحَاجِرِ(١٤)،لِمَمَرِّكَ،وَهَلْ فِي تَمَامِكَ رَيْبٌ فَيُعَالَجَ بِحُجَّةٍ،أَوْ فِي فَضْلِكَ رَدٌّ فَيُثْبَتَ بِبَيِّنَةٍ،

---

١ – المِعْلاقَتَانِ: الخشبتان اللتان تنصبان عَلَى رأْس البئر ويُلاقى بين طرفيهمَا العاليين بحبل، ثم يُوتَدانِ عَلَى الأَرض بحبل آخر يُمدّ طرفاه للأَرض، ويُمَدَّان فِي وَتِدَينِ أُثْبِتا فِي الأَرض، وتُعَلَّق القامةُ،وهي البَكَرة فِي أَعلى الخشبتين ويُسْتَقى عَلَيْهَا بدلوين يَنْزِع بهمَا ساقيان. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [علق] ١٠ / ٢٦٦ .

٢ – المادَّةُ: الزِّيَادَة المُتَّصِلة . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [مدد] ٣/٣٩٦ .

٣ – الرَّصَّاصةُ: الحجارة . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [رصص] ٧ / ٤١ .

٤ – الشَّاقُولُ: خَشَبة قَدْرُ ذراعين فِي رأْسها زُجٌّ، يجعل أَحَدهم فِيهَا رأس الحَبْلِ ثم يَرُزُّها فِي الأَرض ويَتَضَبَّطها حتى يَمُدُّوا الحَبْلَ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [شقل] ١١/٣٥٦ .

٥ – الفَرْكِ مِنَ العِرْسِ: أن تُبْغِضَ المرأةُ زَوْجَها . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [فرك] ١٠ / ٤٧٤ .

٦ – ذكر ابن منظور البيتَ وَلَمْ ينسبه لأحد . انْظُر : ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [خصا] ١٤/٢٣٠ .

٧ – أُتْرُجَّتَيْنِ: اثنتين مِنْ شجر الأُتْرُجّ وَهُوَ العُرْفُ أي النَّخْل إِذَا بَلَغَ الإِطْعَام "**لِسَان العَرَب**" [ترج،عرف]٢/٢١٨، ٩/ ٢٤٢ .

٨ – ثِنْتَا حَنْظَلٍ أَراد "حَنْظَلَتان" . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [خصا] ١٤/٢٣٠ . وَفِي الكلام إشارة إِلَى قول الرَّاجِزَة:

كَانَ خِصْيَيْهِ مِنَ التَّدَلْدُلِ ... ظَرْفُ جِرَابٍ فِي ثِنْتَا حَنْظَلِ ... انْظُرْ :أبو تمَّام "**دِيوان الحَمَاسَةِ**" ص ٣٨٧ .

٩ – مُخَدَّرَةٌ: امرأةٌ ، مأخوذ مِنَ الخِدْرُ وَهُوَ سِتْرٌ يُمَدُّ للجارية فِي ناحية البيت. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [خدر] ٤/٢٣٠ .

١٠ – خَوْدُ: فَتَاةٌ حَسَنَةُ الخَلْقِ شَابَّةٌ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [خود] ٣/١٦٥ .

١١ – مِرْط: بفتح الميم أَو كسرها، كِساء مِنْ خَزٍّ أَو صُوف أَو كتَّان. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [مرط] ٧/٤٠١ .

١٢ – العَرُوبُ: المَرْأَةُ المُتَحَبِّبَةُ إِلَى زَوجها، المُظْهِرةُ لَهُ ذلك. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [عرب] ١/٥٩١ .

١٣ – مِنْ قول المَجْنُونِ:وَإِنِّي لاسْتَغْشِي وَمَا بِي نَعْسَةٌ ... لَعَلَّ خَيَالا مِنْكِ يَلْقَى خَيَالِيَا ... انْظُرْ :"**ديوان مَجْنُونِ لَيْلَى**"ص ٢٩٩ .

١٤ – الكُوَى: جمع للكَوَّةُ وهِيَ الخَرْق فِي الحائط والثقب فِي البيت ونحوه مِنْ بيت لعُمَر بنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

وَكُنَّ إِذَا أَبصَرْنَنِي أَوْ سَمِعْنَنِي ... سَعَيْنَ فَرَقَّعْنَ الكُوَى بِالمَحَاجِرِ

انْظُر : "**ديوان عُمَر بنِ أَبِي رَبِيعَةَ**" ص ١٥٨؛ ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [رقع، كوى] ٨/١٥،١٣١/٢٣٦ ..

وَقَدِ اسْتَوَيْتَ الآنَ بِأَثْقَالِكَ،وَاعْتَدَلْتَ بِأَرْطَالِكَ[1]،وَلَوِدِدْتُ أَنَّ الأَيَّامَ أَعْطَتْنِي مَا مَنَحَتْكَ زِيَادَةً عَلَى مَا نَقَصَتْنِي فَكَانَتْ تُكْمِلُ صِنَاعَتِي،وَتُنْفِقُ بِضَاعَتِي،وَلاسْتَغْنَيْتُ عَنْ اسْطِرْلابِ كُرِّيٍّ[2]، وَكُرَةٍ ذَاتِ كُرْسِيٍّ،إِذْ كُنْتُ أَعُوذُ مِنَ الأُدْرَةِ[3]إِلى أَصَحِّ كُرَةٍ قَدْ مَاسَّهَا جُرْمٌ أُسْطُوانِيٌّ، وَمَخْرُوطٌ عَصْبَانِيٌّ،يَكُونُ تَارَةً عُضَادَةً[4]اسْطِرْلابٍ،وَتَارَةً مِقْيَاسَ بَابٍ.وَمَا أَنَا وَتَمَنِّي مَا لا أُدْرِكُ، وَحَسَدُ مَا لا أَبْلُغُ!الآنَ عُدْتَ فَائِقًا فِي الجِمَاعِ،وَلَيْسَ العِيَانُ كَالسَّمَاعِ،فَالخِصْيَةُ إِذَا عَظُمَ جِرْمُهَا وكَبُرَ حَجْمُهَا،تَضَاعَفَتْ فِي التَّوْلِيدِ قُوَّتُهَا،وَتَزَايَدَتْ مَادَّتُهَا، وَلَكَ المَزِيَّةُ، فَإِنَّكَ إِنْسَانٌ حَجَلِيٌّ[5]،أَوْ حَجَلِيٌّ إِنْسِيٌّ، فَقَدْ ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الحَيَوَانِ أَنَّ إِنَاثَ القَبْجِ تَسْتَقْبِلُ الذُّكُورَةَ،فَتَتَنَسَّمُ الرِّيحَ تَهُبُّ مِنْ تِلْقَائِهَا فَتَحْبَلُ،وَتَصِيحُ لِلصَّوْتِ يَصِلُ مِنْ تِلْقَائِهَا فَتَحْمِلُ،فَاسْحَبْ أَذْيَالَكَ فَاخِرًا،فَقَدْ تَقَدَّمْتَ أَوَّلاً وَآخِرًا،فَلَكَ مِنْ جِهَةِ الإِنْسَانِيَّةِ سَبْقُكَ فِي الفَضَائِلُ،وَحَلاوَةُ الشَّمَائِلِ،وَحَرَارَةُ النَّادِرَةِ، وَطِيبِ الفُكَاهَةِ مَعَ شُفُوفِكَ[6]فِي الصِّنَاعَةِ،فِعلاجُكَ فِي الإِصَابَةِ وَاللُّطْفِ،كَأَنَّهُ وَحْيٌ أَوْ أَخْذٌ بِالكَفِّ، إِذْ كُنْتَ تَهْزِلُ بِجَالِينُوسَ،تَلْهُو بِلِحْيَةِ اسْقْلِيبْيُوسَ،فَإِنَّكَ مِنْ فِرْقَةِ أَصْحَابِ الحِيَلِ،وَهَذَا رَأْيٌ أَتَاكَ مِنْ جِهَةِ مِزَاجِ الحَجَلِ،فَنَصَرْتَ تَاسْلاسَ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ،وَغَنِيتَ بِجِنْسِ الاسْتِرْسَالِ وَالاخْتِبَاسِ،عَنْ هَذَيَانِ أَصْحَابِ القِيَاسِ؛وَأَمَّا فَضْلُكَ مِنْ جِهَةِ القَبْجِ فَهُنَاكَ المَلاحَةُ وَالحَلاوَةُ،وَالرَّشَاقَةُ وَالطَّلاوَةُ، فَلَكَ جَمَالُ الشُّقَّةِ،مَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ النَّصَفَةِ[7]،فَقَدْ قَبُحَ كُلُّ لَمَى بِالسُّمْرَةِ،وَحَسُنَ لَمَاكَ بِفَضْلِ الحُمْرَةِ،فَالحُسْنُ أَحْمَرُ[8]،وَهَذَا حَقٌّ لا يُنْكَرُ،وَلَكَ مِنْ جِهَةِ المَشْيِ مَاجَهِدَتِ الطَّيْرُ فِي امْتِثَالِهِ،كَلَفًا بِجَمَالِهِ،وَرُبَّمَا تَشَبَّهَتْ بِمَشْيِ الحَجَلِ، فَيَنَلْنَ الحُسْنَ بِالحِيَلِ :[الطويل]

وَكَـمْ مِـنْ غُـرَابٍ رَامَ مِشْـيَةَ قَبْجَـةٍ   فَأُنْسِيَ مَمْشَـاهُ وَلَـمْ يَمْشِ كَالحَجَلْ

وَمَا تَفْعَلُ بِرِقَّةِ سَاقِكَ مَعَ عُمُومِ مَحَاسِنِكَ وَبَرَاعَةِ حُلاكَ،فَلا تَحْفِلْ بِقَوْلِ الرَّاجِزِ الجِلْفِ[9]،فَكَلامُهُ يَخْرُجُ إِلَى الخَلْفِ: [الرجز]

---

[1] – الرَّطْل: المسترخي مِنَ الرجال، الرِّخْو اللَّيِّن. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [رطل] ٢٨٦/١١ .

[2] – الاسْطِرْلاب كُرِّيّ: مِنَ آلات الرصد. ابن خَلِّكَان "**وَفَيَات الأَعْيَان**" ٧٠/٦ .

[3] – الأُدْرَةُ: نفخةٌ فِي الخُصْيةِ. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [أدر] ١٥/٤ .

[4] – عُضَادَة: ناحية أو جانب . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [عضد] ٢٩٣/٣ .

[5] – إِنْسَانٌ حَجَلي: بِهِ مِنْ صِفاتِ الحَجَل وهوَ القَبْجُ أيْ الكَرَوانُ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [قبج، حجل] ٣٥١/٢، ١٤٣/١١ .
ويقصدُ بالكلام : "وَالحمر وَالقبج رُبَّمَا ألقحا الإناث إذَا كانَا عَلَى علاوة الريح". انظُر : الجَاحِظ " **الحَيَوَان**" ٦٧١/٢ .

[6] – شُفُوفِكَ : رِقَّتِكَ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [شفف] ٩/ ١٨١ .

[7] – النَّصَفَةُ والإِنْصَاف: إعطاء الحق. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [نصف] ٩/ ٣٣٢ .

[8] – الحُسْنُ أَحْمَرُ: مثلٌ أُخِذَ معناه مِنْ قولهم، موت أحمر أي شديد. ومَعناهُ :مِنْ طلب الجمال احتمل المشقة.
انظُر : المَيْدَانِيّ "**مَجْمع الأَمْثَال**"٢٧٦/١– ٢٧٧ .

[9] – الجِلْف: الأعرابي الجافي فِي خَلْقِه وخُلُقِه. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [جلف] ٣١/٩ .

وَهَــلْ عَلِمْــتِ يَــا قَــفَـيِّ[1] وَمَرْسِنَ[2] العِجْلِ وَسَاقَ الحَجَلَةْ

وَهَذَا الغَزَالُ،وَهُوَ النِّهَايَةُ فِي الجَمَالِ،لَهُ دِقَّةُ الشَّوَى[3] وَنُشُوزُ[4] القَرْنِ وَصَدْعُ الظِّلْفِ[5]؛ وَالطَّاوُوسُ -وَهُوَ الغَايَةُ فِي الحُسْنِ- لَهُ قُبْحُ الرِّجْلَيْنِ وَعُرْيُ السَّاقَيْنِ،وَإِنَّمَا يُوصَفُ الشَيءُ بِالأَغْلَبِ عَلَيْهِ،فَيُذْكَرُ بِهِ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ،فَقَدْ بَرِعْتَ وَبَهَرْتَ وَقَهَرْتَ،فَأَنْتَ كَالشَّمْسِ لا يَتَعَلَّقُ بِهَا دَنَسٌ وَلا ثَلْبٌ، وَمَا يَضُرُّ القَمَرَ أَنْ يَنْبَحَهُ كَلْبٌ "[6] .

٧ - كَتَبهَا عَلَى لِسانِ البِرْذَوْنِ يرُدُّ عَلَى رِسَالَةِ بَلارْدَةَ السَّابِقَةِ .

"يَا سَيِّدِي الذِي أَعْتَرِفُ بِخَصَائِصِهِ التِي انْفَرَدَ بِجَمَالِهَا،وَأُقِرُّ لَهُ بِمَحَاسِنِهِ التِي اسْتَبَدَّتْ بِكَمَالِهَا،وَإِنْ كَانَتْ قَدْ دَبَّتْ عَقَارِبُ حِسَادَتِهِ،وَمَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْسَلِخَ عَنْ ذَمِيمِ عَادَتِهِ،وَوَجَدْتُهُ قَدْ نَعَى بَصَرَهُ،وَشَكَا عَوَرَه،وَأَثْنَى عَلَى شَرْجِي،وَلَمْ يَحْفِلْ بِعَرَجِي: [مجزوء الرمل]

إِنَّ فِــي الجِسْــمِ دَمَامِيــلَ وَقُرْحَــاتٍ مُلِحَّــةْ

لَيْتَهَــا فِــي عَــيْنِ مَــنْ يَــزْعَمُهَــا مَــالاً وَصِــحَّةْ

وَقَبَّحَ اللهُ النَّهَمَ فَعَنْهُ تَكُونُ العِلَلُ المُتَوَلِّدَةُ،وَكُلُّ دَاءٍ أَصْلُهُ البَرَدَةُ،وَمَع مَا رُكِّبَ فِي مِنَ الشَّرَهِ إِلَى المَأْكَلِ،فَإِنِّي مُتَطَفِّلٌ عَلَى استِجَازَةِ أَكْلِ الحَجَلِ،فَأَذْهَبَ اللهُ نَفْسِي،يَوْمَ أَرُومُ أَكْلَ أَبْنَاءِ جِنْسِي، إِذَنْ أَكُونُ كَالزَّنْجِ الأَنْجَاسِ،الذِينَ يَسْتَجِيزُونَ أَكْلَ لُحُومِ النَّاسِ،بَلْ إِنِّي أَطْلُبُهَا مِنْ مَظَانِّهَا، وَأَرْتَادُهَا، وَأَنْصُبُ لَهَا الحَبَائِلَ وَأَصْطَادُهَا،ثُمَّ أُرْسِلُهَا أَسْرَابًا وَأَفْوَاجًا،وَأُسَرِّحُهَا فُرَادَى وَأَزْوَاجًا، وَأُنْشِدُ مُتَمَثِّلا[7]: [الطويل]

أَيَــا شِـبْهَ لَيْلَــى لا تُرَاعِـي فَـإِنَّنِي لَكِ اليَوْمَ مِنْ وَحْشِيَّةٍ لَصَدِيقُ

وَإِنْ تَكُنْ – جُعِلْتُ فِدَاكَ – قَدْ أَصَابَكَ عَوَرٌ،وَنَالَكَ مِنْهُ ضَعْفٌ وَخَوَرٌ،وَهُوَ نَقْصٌ فِي الظَّاهِرِ وَمَزِيدٌ فِي البَاطِنِ،فَقَدْ حُبِيتَ بِاجْتِمَاعِ نُورِ البَصَرِ وَكَانَ مُتَفَرِّقًا،وَاتِّحَادِهِ وَكَانَ مُبَدَّدًا،فَقَدْ كَانَ النُّورُ مُرْسَلاً إِلَى الحَدَقَتَيْنِ فِي العَصَبَتَيْنِ الجَوْفَاوَيْنِ،فَلَمَّا انْسَدَّ ثُقْبُ الوَاحِدَةِ عَادَ إِلَى الأُخْرَى مَوْفُورًا، وَشَفَعَ بِنُورِهَا نُورًا،كَالحَالِ فِي القَمَرِ يَطْلُعُ فِي لَيَالِيهِ البِيضِ سَاطِعَ السَّنَاءِ بَاهِرَ الوَمِيضِ،يَجْلُو

---

١ – قُفَيٌّ: قَفاء، التُّتْفُلَةُ: الأنثى مِنْ وَلَدِ الثعلب. ابن مَنْظُور "**لِسَانِ العَرَبِ**" [قفاء، تفل] ١٩٤/١٥، ٧٨/١١ .

٢ – مَرْسِنَ : موضعُ الرَّسَنِ مِنْ أَنف الفرس أو غَيْرِه. ابن مَنْظُور "**لِسَانِ العَرَبِ**" [رسن] ١٨٠/١٣ .

٣ – الشَّوَى (للحَيَوان): الأَطراف أو القوائم. ابن مَنْظُور "**لِسَانِ العَرَبِ**" [شوا] ٤٤٧/١٤ .

٤ – نُشُوز : جمعٌ لِلنَّشْزِ وَهُوَ الغَلِيظُ الشَّدِيدُ . ابن مَنْظُور "**لِسَانِ العَرَبِ**" [نشز] ٤١٨/٥ .

٥ – صَدْعُ الظِّلْفِ أوالظِّلْف: شَقٌّ فِي ظفْرِ كل مَا اجترّ كالبقرة والظبْي وَمَا أَشبهها. ابن مَنْظُور "**لِسَانِ العَرَبِ**" [صدع] ٨/ ١٩ .

٦ – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**"ق٣،م١ /٤٧٤ – ٤٨٠ .

٧ – البَيْتُ لِلمَجْنُونِ :"**ديوان مَجْنُونِ لَيْلَى**" ص ٢٠٦ .

الدَّيَاجِي،فَيَهْدِيَ السَّارِي،فَإِذَا غَرِقَتْ أعقابُهُ،وَتَكَامَلَ غِيَابُهُ،فَقَدَتْهُ النُّجُومُ،فَاعْتَرَاهَا الوُجُومُ،وَلَفَّهَا اللَّيْلُ فِي مُلاءَةِ دَيَاجِيهِ،وَأَرْدَفَ أَعْجَازَهُ وَنَأَى بِهَوَادِيهِ،فَلَوْ جُمِعَتِ الكَوَاكِبُ مُنْتَظِمَةً فِي القَدْرِ، لَكَانَتْ أَضْعَافَ البَدْرِ،وَهِيَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الانْتِشَارِ،لا تَهْدِي السَّارِي قَصْدَ الآثَارِ،فَبَصَرُكَ الآنَ بِحَمْدِ اللهِ أَجْمَعُ نُورًا،وَأَضْوَأُ شُعَاعًا،وَأَنْفَذُ نَظَرًا وَأَبْعَدُ اطِّلاعًا،وَلِذَلِكَ قَالَ القَائِلُ(١): [الكامل]

شَمْسُ الضُّحَى يُعْشِي العُيُونَ ضِيَاؤُهَا ... إِلا إِذَا نُظِــرَتْ بِعَــيْنٍ وَاحِــدَةْ

فَلِـذَاكَ تَـاهَ العُـورُ وَاحْتَقَـرُوا الـوَرَى ... فَـاعْرِفْ فَضِـيلَتَهُمْ وَخُـذْهَا فَائِـدَةْ

نُقْصَـــانُ جَارِحَـــةٍ أَعَانَـــتْ أُخْتَهَـــا ... فَكَأَنَّمَـــا قَوِيَـــتْ بِعَـــيْنٍ زَائِـــدَةْ

وَالعُقَابُ الكَاسِرُ،وَالنَّسْرُ الطَّائِرُ،وَابنُ المَاءِ المُحَلِّقُ،بِالإِضَافَةِ إِلَيْكَ خَفَافِيشُ،وَبِالمُقَايَسَةِ بِكَ أَخْلادٌ(٢)، وَقَدْ أَزْرَيْتَ بِزَرْقَاءِ اليَمَامَةِ، وَمَا يَبْعُدُ أَنْ تَحْسِبَ فِي لَحْظَةٍ أَلْفَ حَمَامَةٍ، وَتَرَى حَضَنًا(٣) مِنْ أَقْصَى تُهَامَة،فَحَدِّثْنَا عَنْ هَقعَةِ الجَوْزَاءِ(٤) أَوْ نَثْرَةِ السَّرَطَانِ(٥):هَلْ هِيَ كَوَاكِبُ صِغَارٌ مُنْتَظِمَةٌ،أَوْ لَطْخَةٌ(٦) سَحَابِيَّةٌ مُظْلِمَةٌ؟ فَإِنَّ بَصَرَكَ يُدْرِكُ حَقِيقَةَ ذَلِكَ وَلا يَكِلُّ عَنْ نَيْلِ مَدَاهُ، وَبُلُوغِ أَقْصَاهُ؛وَأَمَّا رُؤْيَتُكَ الثُّرَيَّا(٧) سَبْعَةَ أَنْجُمٍ فَهُوَ مَا لا يَفْخَرُ بِهِ مِثْلُكَ،وَإِنَّمَا يُقَاسُ بِهِ الحَدِيدُ البَصَرِ،وَأَنْتَ فِي ذَلِكَ أَقْوَى البَشَرِ. وَحَدِّثْنَا عَنْ كَلَفِ القَمَرِ(٨) مَا هُوَ؟وَاشْرَحْ لَنَا الحَالَ فِي قَطْرِ السَّحَابِ كَيْفَ هُوَ؟ فَإِنَّكَ تُبْصِرُهُ مُجْتَمِعًا قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ بَدَدًا،وَتَلْحَظُهُ ذَائِبًا قَبْلَ أَنْ يَجْمَدَ بَرْدًا،وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا تَرَاهُ عَيَانًا،فَأَمْجِدْنَا فِيهِ بَيَانًا،وَلَوْلا أَنَّكَ عِنْدَ الفُقَهَاءِ غَيْرُ مَقْبُولٍ لِمَا تَدَّعِيهِ مِنْ عِلْمِ التَّأْثِيرِ،إِذْ يَرْمُونَ أَهْلَهُ بِالتَّعْثِيرِ،لَبَشَّرْتَ بِهلالِ العِيدِ بَعْدَ الاجْتِمَاعِ بِسَاعَتَيْنِ،وَبُعْدِهِ عَنِ الشَّمْسِ بِدَرَجَتَيْنِ،وَقَدْ كُنْتَ بِالأَمْسِ،عِنْدَ رَفْعِ الإِسْطِرْلابِ إِلَى الشَّمْسِ تُغْمِضُ إِحْدَى عَيْنَيْكَ لِتَعْتَدِلَ لَكَ رُؤْيَةُ الشُّعَاعِ،وَمَوْضِعُ العِضَادَةِ(٩) فِي أَخْذِ الارْتِفَاعِ،وَقَدْ كُفِيتَ ذَلِكَ بِالعَوَرِ،مَعَ زِيَادَةِ النَّظَرِ؛ وَلأمْرٍ مَا تَلَطَّفَ أَهْلُ الثَّغْرِ فِي عَوَرِكَ،فَلَيْسَ عِنْدَكَ شَيءٌ مِنْ خَبَرِكَ،إِذْ صِرْتَ لَهُمْ رَابِئَةً(١٠)

---

١ – يَاقُوت الحَمَوِيّ "مُعْجَم الأُدَبَاءِ" ١٩/ ٢٢٣ .

٢ – أخلاد: جمع لِلخُلْد، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الجُرْذان عُمْي لَمْ يخلق لَهَا عيون . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [خلد] ١٦٥/٣ .

٣ – حَضَنٌ: اسمُ جبل فِي أَعالي نجد.. انْظُر: ابن خَلِّكَان"**وَفَيَّات الأَعْيَانِ**" ٢٤٨/٥؛ ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [حضن] ١٢٤/١٣

٤ – الهَقْعةُ: ثلاثةُ كواكِبَ نَيِّرةٌ قريب بعضها مِنْ بعض فوق مَنْكِبِ الجَوْزاءِ. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [هقع] ٣٧٣/٨ .

٥ – النَّثْرةُ: كوكبان بينهمَا مقدار شبر، وفيهمَا لَطْخ بياض كأَنه قِطْعة سحاب مِنْ بُرْجِ السرَطانِ. أوهي ثلاثة كواكبَ خَفِيَّة متقاربة، أو أربعة . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [نثر] ١٩٢/٥ .

٦ – اللَّطخ: كل شيءٍ لُطِّخ بغَيْرِ لونه، وَفِي السماء لَطْخٌ مِنْ سحاب أَي قليل. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [لطخ] ٥١/٣ .

٧ – الثُّرَيَّا: مِنَ الكواكب، سميت بذلك لكثرة كواكبها مَعَ صغر مَرْآتها. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [ثرا] ١١٢/١٤ .

٨ – كَلَفِ القَمَرِ: تغيُّرُهُ ، وَالمَقْصُودُ هَنَا مَنَازِلُهُ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [كلف] ٣٠٧/٩ .

٩ – العِضَادَة: الجانب. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [عضد] ٢٩٤/٣ .

١٠ – الرَّابِئَةُ: الطَّلِيعةُ،وأَنَّثوه لأَنهُ يُقَالُ لَهُ العين إِذ بِعَيْنِه ينْظُرُ والعين مؤنثة، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ عَيْن لأَنه يَرْعَى أُمُورهم ويَحْرُسُهم . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَبِ**" [ربأ] ٨٢/١ .

تُنْذِرُهُمْ بِالخَيْلِ عَلَى بُعْدِ مَرَاحِلَ وَمَسَافَةِ أَيَّامٍ،فَأَنْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَكْرَمِ البَرِيَّةِ،وَأَجْدَى مِنْ مَنَارِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ،لَكِنَّهُمْ لَمْ يَشْعُرُوا أَنَّكَ الدَّجَّالُ المُنْتَظَرُ،وَقَدْ خَرَجْتَ عَلَيْهِمْ بِخُرُوجِ عَيْنَيْكَ،وَبَرَزْتَ إِلَيْهِمْ بِبُرُوزِهَا عَنْكَ.فَإِنِ اعْتَرَضَ مُعْتَرِضٌ وَقَالَ:إِنَّ الدَّجَّالَ يَقْدُمُهُ خُرُوجُ الدَّابَّةِ،فَإِنْ يَكُنْ هَذَا هُوَ الدَّجَّالُ فَأَيْنَ الدَّابَّةُ؟ فَالجَوَابُ: أَنَّكَ كُنْتَ الدَّابَّةَ ثُمَّ صِرْتَ بِالعَوَرِ دَجَّالا. وَقَدْ جَالَ الصِّدْقُ فِي ذَلِكَ مَجَالا؛ وَأَنْتَ قِيطُوسَ دَابَّةُ البَحْرِ تَعُومُ فِي حُبُكِ المَاءِ،وَتَسْبَحُ مِثَالَهَا فِي فَلَكِ السَّمَاءِ،فَإِنَّ صُورَةَ قِيطُوسَ الَّتِي أَثْبَتَهَا جَالِينُوسُ جَمَاعَةُ كَوَاكِبَ تُعْرَفُ بِدَابَّةِ البَحْرِ،وَبَطْنُهَا غَائِصٌ فِي كَوَاكِبِ النَّهْرِ،فَذَنَبُهَا مِمَّا يَلِي الدَّلْوَ حَيْثُ يَنْصَبُّ مَاؤُهُ فِي فَمِ الحُوتِ الجَنُوبِيَّةِ،وَبِأَعْلَى عُرْفِهَا المَعْرُوجِ،كَوَاكِبُ الحُوتِ مِنْ فَلَكِ البُرُوجِ،فَهِيَ مَغْمُورَةٌ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِالمِيَاهِ،مَأْنُوسَةٌ بِالأَقَارِبِ وَالأَشْبَاهِ،وَقَدْ فَازَتْ بِالطَّبْعِ المُعْتَدِلِ،بِمَا حَازَتْ مِنْ مُجَاوَرَةِ بُرْجِ الحَمَلِ،فَهَذَا المَجْدُ البَاذِخُ،وَالأَصْلُ الرَّاسِخُ،وَالفَرْعُ الشَّامِخُ؛ فَأَنْتَ حَقًّا الدَّجَّالُ الأَعْوَرُ،وَالقَائِمُ المُنْتَظَرُ،الذِي نَبَّأَنَا بِهِ الأَثَرُ،نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعِزَّنَا بِأَعْلامِكَ،وَيَنْصُرُنَا فِي أَيَّامِكَ،وَنَبْتَهِلُ إِلَيْهِ فِي أَنْ يَكْفِيَنَا أَشْرَاطَكَ،وَيَزْوِيَ عَنَّا تَعَدِّيكَ وَإِفْرَاطَكَ،حَتَّى إِذَا ظَلَمْتَ وَجُرْتَ،وَغَيَّرْتَ وَبَدَّلْتَ،قَذَفَ بِكَ فِي قَرَارِ اليَمِّ العَظِيمِ،وَالتَقَمَكَ الحُوتُ وَأَنتَ مُلِيمٌ،إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ "[1] .

٨ ـ كَتَبَهَا ابنُ حَسْدَاي عَنِ المُقْتَدِرِ إِلَى أَحَدِهِمْ...: عِنَايَةً بِالحُصَرِيِّ

"مَا أَثَّلَ اللهُ مِنْ مَجْدِكَ وَعَلائِكَ،وَأَكْمَلَ مِنْ سَرْوِكَ وَسَنَائِكَ،وَأَصْدَرَ عَنْكَ مِنْ مَحَاسِنِ الشِّيَمِ،وَقَصَرَ عَلَيْكَ مِنْ مَعَالِي الهِمَمِ،يَقُودُ إِلَيْكَ الأَهْوَاءَ تَنْتَحِيكَ[2] بِصَفْوِ وِدَادِهَا،وَتَعْتَفِيكَ بِصِدْقِ ارْتِيَادِهَا،وَمَا زَالَ ذَرَاكَ الرَّفِيعُ سَابِغًا عَلَى ذَوِي الأَخْطَارِ ظِلُّهُ،غَامِرًا لِذَوِي الآدَابِ إِفْضَالُهُ بَاهِرًا فَضْلُهُ،وَأَحَقُّهُمْ بِأَجْزَلِ البِرِّ الأَوْفَى،مِنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ عَلَى بُعْدِ المَدَى،مُهِّلا بِمَحَامِدِهِ وَمَدَائِحِهِ،مُسْتَشْعِرًا لِمَيَامِنِ قَصْدِهِ وَمَنَاجِحِهِ،وَهُوَ الشَّيْخُ الفَاضِلُ الكَامِلُ أَبُو الحَسَنِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ[3]،أَلَمَّ بِجِهَتِي فَوَفَدَ عَلَيَّ مِنْهُ الوَافِدُ الأَثِيرُ وَالزَّائِرُ الكَرِيمُ،وَأَنِّسَ بِذَكَاءِ مُنَاسَمَتِهِ[4]،وَأَمْتَعَ بِجَمَالِ مُحَاضَرَتِهِ،وَهُوَ البَارِعُ المُتَقَدِّمُ فِي إِحْسَانِهِ،وَتَصَرُّفِهِ فِي الإِبْدَاعِ وَافْتِنَانِهِ،وَرُبَّمَا تَقَوَّلَ كَاشِحٌ،وَنَمَّقَ كَادِحٌ،وَزَوَّرَ حَاسِدٌ،وَأَوْهَمَ خِبٌّ[5] مُعَانِدٌ،لأَجْلِ اسْتِقْرَارِهِ فِي ذَلِكَ الجَانِبِ،وَاشْتِمَالِهِ بِظِلِّ المُجَانِبِ،إِنَّهُ انْحَرَفَ بِصَفْوِ وِدَادٍ،أَوْ حَرَّفَ بِقَوْلٍ وَاعْتِقَادٍ،وَاللهُ تَعَالَى قَدْ شَرَّفَ رُتْبَتَكَ وَنَزَّهَ مَنْصِبَكَ عَنِ الإِصْغَاءِ إِلَى

---

١ – ابن بَسَّام "**الذَّخِيرَة**" ق٣،م١ /٤٧٤ – ٤٨٣ .

٢ – تَنْتَحِيكَ: تَعتَمِدُ عليك ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [نحا] ١٥/٣١٠ .

٣ – سَبَقَتْ تَرْجَمَتُهُ ..

٤ – مُنَاسَمَة: رائحتُهُ الطيبة ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [نسم] ١٢/٥٧٦ .

٥ – خِبٌّ: خَدَّاع خَبيثٌ مُنْكَرٌ ابن مَنْظُور "**لِسَان العَرَب**" [خبب] ١/٣٤١ .

تَنْمِيقِ الوُشَاةِ،وَالإجَارَةِ لِكَيْدِ العُدَاةِ،وَالارْتِيَابَ بِعُهْدَةِ المُخْلِصِينَ الثُّقَاتِ،وَعَصَمَ النَّبِيلَ النَّبِيهَ مِثْلَهُ،مِمَّنْ زَكَّى اللهُ دِينَهُ وَعَقْلَهُ،مِنَ العُدُولِ عَمَّا دَانَ بِهِ،وَاعْتَلَقَ[1] بِسَبَبِهِ،مِنَ الاعْتِزَاءِ[2] إِلَى وَلائِكَ،وَالتَّشَيُّعِ فِي عَلْيَائِكَ،وَالتَّشَرُّعِ بِمَدْحِكَ وَثَنَائِكَ "[3] .

د- رِسَالَةُ ابنِ حَزْمٍ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ نَغْرِيلَّةَ اليَهُودِيِّ [4]

"قَالَ أبو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنُ حَزْمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا،وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا،وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

١-اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ تَشَاغُلَ أَهْلِ المَمَالِكِ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِنَا بِدُنْيَاهُمْ عَنْ إِقَامَةِ دِينِهِم،وَبِعَمَارَةِ قُصُورٍ يَتْرُكُونَهَا عَمَّا قَرِيبٍ عَنْ عَمَارَةِ شَرِيعَتِهِم اللازِمَةِ لَهُمْ فِي مَعَادِهِمْ وَدَارِ قَرَارِهِمْ،وَبِجَمْعِ أَمْوَالٍ رُبَّمَا كَانَتْ سَبَبًا إِلَى انْقِرَاضِ أَعْمَارِهِمْ وَعَوْنًا لأَعْدَائِهِمْ عَلَيْهِمْ،وَعَنْ حِيَاطَةِ[5] مِلَّتِهِمْ التِي بِهَا عَزُّوا فِي عَاجِلَتِهِمْ وَبِهَا يَرْجُونَ الفَوْزَ فِي آجِلَتِهِم حَتَّى اسْتَشْرَفَ لِذَلِكَ أَهْلُ القِلَّةِ وَالذِّمَّةِ،وَانْطَلَقَتْ أَلسِنَةُ أَهْلِ الكُفْرِ وَالشِّرْكِ بِمَا لَوْ حَقَّقَ النَّظَرَ أَرْبَابُ الدُّنْيَا لاهْتَمُّوا بِذَلِكَ ضِعْفَ هَمِّنَا،لأَنَّهُمْ مُشَارِكُونَ لَنَا فِيمَا يَلْزَمُ الجَمِيعَ مِنَ الامْتِعَاضِ لِلدِّيَانَةِ الزَّهْرَاءِ وَالحَمِيَّةِ لِلمِلَّةِ الغَرَّاءِ،ثُمَّ هُمْ مُتَرَدُّونَ بِمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ إِهْمَالُ هَذَا الحَالِ مِنْ فَسَادِ سِيَاسَتِهِم وَالقَدْحِ فِي رِيَاسَتِهِم،فَلِلأَسْبَابِ أَسْبَابٌ،وَلِلمَدَاخِلِ إِلَى البَلاءِ أَبْوَابٌ،وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ،وَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بنُ العَبَّاسِ: [المجتث]

لا تَحْقِرَنَّ سُبَيْبًا ... كَمْ جَرَّ أَمْرًا سُبَيْبُ

وَقَالَ أَبُو نَصْرٍ ابنُ نُبَاتَةَ: [المتقارب]

فَلا تَحْقِرَنَّ عَدُوًّا رَمَاكَ ... وَإِنْ كَانَ فِي سَاعِدَيهِ قِصَرُ

فَإِنَّ السُّيوفَ تَجِذُّ الرِّقَابَ ... وَتَعْجِزُ عَمَّا تنالُ الإِبَرُ

لا سِيَّمَا إِنْ كَانَ العَدُوُّ مِنْ عِصَابَةٍ لا تُحْسِنُ إلا الخُبْثَ مَعَ مَهَانَةِ الظَّاهِرِ فَيَأْنَسُ المُغْتَرُّ إِلَى الضَّعْفِ المَادِيِّ،وَتَحْتَ ذَلِكَ الخَتْلِ وَالخَتْرِ[6] وَالكَيْدِ وَالمَكْرِ،كَاليَهُودِ الذِينَ لا يُحْسِنُونَ شَيْئًا مِنَ

---

١ – اعْتَلَقَ: أَبْعَدَ. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [علق] ٢٦٩/١٠ .

٢ – الاعْتِزَاء: الانتماء. ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [عزا] ٥٢/١٥ .

٣ – ابن بَسَّام"**الذَّخِيرَة**"ق٣،م١ /٤٨٥ .

٤ – انْظُرِ الرِّسَالَةَ : "**رَسَائِلُ ابنِ حَزْمٍ**" ؛ "رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ النَّغْرِيلَّةِ اليَهُودِيِّ" ٣ / ٤٢-٧٠.

٥ - حِيَاطَة: حفظ وتَعَهُّد . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [حوط] ٢٧٩/٧ .

٦ – الخَتْرُ: أَسوأُ الغَدْرِ وَأَقْبَحُهُ . ابن مَنْظُور"**لِسَان العَرَب**" [ختر] ٢٢٩/٤ .

الحِيَلِ وَلا آتَاهُمُ اللهُ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ القُوَّةِ وَإِنَّمَا شَأْنُهُمْ الغِشُّ وَالتَّخَابُثُ وَالسَّرِقَةُ،عَلَى التَّطَاوُلِ وَالخُضُوعِ،مَعَ شِدَّةِ العَدَاوَةِ للهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ .

٢- وَبَعْدُ .. فَإِنَّ بَعْضَ مَنْ تَقَلَّى قَلْبُهُ لِلعَدَاوَةِ لِلإِسْلامِ وَأَهْلِهِ،وذُوِّبَتْ كَبِدُهُ بِبُغْضِهِ الرَّسُولَ ﷺ مِنْ مُتَدَهِّرَةِ[1] الزَّنَادِقَةِ المُتَسَتِّرِينَ بِأَذَلِّ المِلَلِ وَأَرْذَلِ النِّحَلِ مِنَ اليَهُودِ التِي اسْتَمَرَّتْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى المُرْتَسِمِينَ بِهَا،وَاسْتَقَرَّ غَضَبُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى المُنْتَمِينَ إِلَيْهَا،أَطْلَقَ الأَشَرُ[2] لِسَانَهُ،وَأَرْخَى البَطَرُ عِنَانَهُ[3]،واسْتَشْمَخَتْ لِكَثْرَةِ الأَمْوَالِ لَدَيْهِ نَفْسُهُ المَهِينَةُ،وَأَطْغَى تَوَافُرُ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ عِنْدَهُ هِمَّتَهُ الحَقِيرَةَ،فَأَلَّفَ كِتَابًا قَصَدَ فِيهِ،بِزَعْمِهِ،إِلَى إِبَانَةِ تَنَاقُضِ كَلامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي القُرْآنِ اغْتِرَارًا بِاللهِ تَعَالَى أَوَّلاً،ثُمَّ بِمَلِكٍ ضعيفة ثَانِيًا،وَاسْتِخْفَافًا بِأَهْلِ الدِّينِ بَدْءًا،ثُمَّ بِأَهْلِ الرِّيَاسَةِ فِي مَجَانَةٍ[4] عَوْدًا؛ فَلَمَّا اتَّصَلَ بِي أَمْرُ هَذَا اللَّعِينِ لَمْ أَزَلْ بَاحِثًا عَنْ ذَلِكَ الكِتَابِ الخَسِيسِ لأَقُومَ فِيهِ بِمَا أَقْدَرَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ مِنْ نَصْرِ دِينِهِ بِلِسَانِي وَفَهْمِي وَالذَبِّ عَنْ مِلَّتِهِ بِبَيَانِي وَعِلْمِي،إِذْ قَدْ عَدِمَهَا .وَالمَشْكَى إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَوُجُودُ الأَعْوَانِ وَالأَنْصَارِ عَلَى تَوْفِيَةِ هَذَا الخَسِيسِ الزِّنْدِيقِ المُسْتَبْطِنِ مَذْهَبَ الدَّهْرِيَّةِ فِي بَاطِنِهِ المُتَكَفِّنِ بِتَابُوتِ اليَهُودِيَّةِ فِي ظَاهِرِهِ حَقَّهُ الوَاجِبَ عَلَيْهِ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ وَاسْتِيفَاءِ مَالِهُ وَسَبْيِ نِسَائِهِ وَوَلَدِهِ،لِتَقَدُّمِهِ طَوْرِهِ وَخَلْعِهِ الصَّغَارَ عَنْ عُنُقِهِ،وَبَرَاءَتِهِ مِنَ الذِّمَّةِ الحَاقِنَةِ دَمَهُ،المَانِعَةِ مِنْ مَالِهِ وَأَهْلِهِ،وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ.

فَأَظْفَرَنِي القَدَرُ بِنُسْخَةٍ رَدَّ فِيهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ،فَانْتَسَخْتُ الفُصُولَ التِي ذَكَرَهَا ذَلِكَ الرَّادُّ عَنْ هَذَا الرَذِلِ الجَاهِلِ،وَبَادَرْتُ إِلَى بُطْلانِ ظُنُونِهِ الفَاسِدَةِ بِحَوْلِ اللهِ تَعَالَى وَقُوَّتِهِ،وَلَعَمْرِي إِنَّ اعْتِرَاضَهُ الذِي اعْتَرَضَ بِهِ لَيَدُلُّ عَلَى ضِيقِ بَاعِهِ فِي العِلْمِ،وَقِلَّةِ اتِّسَاعِهِ فِي الفَهْمِ عَلَى مَا عَهِدْنَاهُ عَلَيْهِ قَدِيمًا،فَإِنَّنَا نَدْرِيهِ عَارِيًا إِلا مِنَ المِخْرَقَةِ،سَلِيمًا إِلا مِنَ الكَذِبِ،صِفْرًا إِلا مِنَ البُهْتِ؛ وهَذِهِ عُقُوبَةُ اللهِ تَعَالَى المُعَجَّلَةُ لِمَنْ سَلَكَ مَسْلَكَ هَذَا الزِنْدِيقِ اللَّعِينِ مُقَدَّمَةً،أَمَّا مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُ وَلأَمْثَالِهِ مِنَ الخُلُودِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَهُوَ المُقِرُّ لِعُيونِ أَوْلِيَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ وَفِي ضُرَبَائِهِ،وَبِاللهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ ......"[5]

٣- **الفصل الأول :** فَكَانَ أَوَّلَ مَا اعْتَرَضَ بِهِ هَذَا الزِّنْدِيقِ المُسْتَتِرِ بِاليَهُودِيَّةِ عَلَى القُرْآنِ بِزَعْمِهِ أَنْ ذَكَرَ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدَ اللهِ ،وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ)[6] قَالَ

---

[1] – مُتَدَهِّرَة: مُلْحِدُونَ ،مأخوذ مِنْ قولهم رجل دَهْرِيٌّ أي مُلْحِدٌ لا يؤمن بالآخرة، وَيَقُولُ ببقاء الدهر .
ابن مَنْظُور "**لِسَانُ العَرَبِ**" [دهر] ٤/ ٢٩٣ .

[2] – الأشَرُ : أَشَدُّ البَطَرِ . ابن مَنْظُور "**لِسَانُ العَرَبِ**" [أشر] ٤/ ٢٠ .

[3] – عِنَانُهُ : باطِلَهُ وظُلْمَهُ . ابن مَنْظُور "**لِسَانُ العَرَبِ**" [عنن] ١٣/ ٢٩٠ .

[4] – المَجَانَة: أَن لا يُبالِيَ مَا صَنَعَ وَمَا قِيلَ له. ابن مَنْظُور "**لِسَانُ العَرَبِ**"[مجن] ١٣/ ٤٠٠ .

[5] – "**رَسَائِلُ ابنِ حَزْمٍ** " ٣ /٤١– ٤٢ ؛ "رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابنِ النَّغْرِيلَّة اليَهُودِيِّ " .

[6] – **سُورَةُ النِّسَاءِ**، آيَةُ ٧٨ .

هَذَا المَائِقُ الجَاهِلُ: فَأَنْكَرَ فِي هَذِهِ الآيَةِ تَقْسِيمَ القَائِلِينَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ عِنْدَ اللهِ وَمَا أَصَابَهُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ عِنْدَ مُحَمَّدٍ،وَأَخْبَرَ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدَ اللهِ؛ قَالَ: ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ هَذِهِ الآيَةِ(مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ،وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ)[1] قَالَ هَذَا الزِّنْدِيقُ الجَاهِلُ: فَعَادَ مُصَوِّبًا لِقَوْلِهِمْ وَمُضَادًا لِمَا قَدَّمَ فِي أَوَّلِ الآيَةِ.

٤ـ قَالَ أبو محمد بن حزم: لَوْ كَانَ لِهَذَا الجاهل الوقاح أقلُّ بَسْطَةٍ أَوْ أَدْنَى حَظٍّ مِنَ التَّمْيِيزِ لَمْ يَعْتَرِضْ بِهَذَا الاعْتِرَاضِ السَّاقِطِ الضَّعِيفِ،وَالآية المذكورة مكتفية بظاهرهَا عن تكلف تأويل، مستغنية ببادي ألفاظهَا عن تطلُّبِ وجهٍ لتأليفها،ولكنَّ جهله أعمى بصيرته وطمس إدراكه. وبيان ذلك أَنَّ الكفار كَانُوا يَقُولُونَ:إِنَّ الحسنات الواصلة إليهم هي مِنْ عِنْدَ الله عزَّ وجَلَّ وإِنَّ السيئات المصيبة لهم فِي دنياهم هي مِنْ عِنْدَ محمد ﷺ،فأكذبهم الله تعالى فِي ذلك،وبيَّنَ وجه ورودِ حسنات الدنيا وسيئاتهَا عَلَى كلِّ مَنْ فِيهَا بأَنَّ الحسنات السارة هي مِنْ عِنْدَ الله تَعَالَى بفضله عَلَى الناس،وأَنَّ كل سيئة يصيب الله تَعَالَى بِهَا إنسانًا فِي دنياه فَمِنْ قبل نفس المصاب بِهَا بِمَا يجني عَلَى نفسه مِنْ تقصيره فيمَا يلزمه مِنْ أداء حق الله تَعَالَى الذي لا يقوم بِهِ أحد. وكل ذلك مِنْ عِنْدَ الله تَعَالَى جملة،فأحد الوجهين،وهو: الحسنات فضل مِنَ الله تَعَالَى مجرد لَمْ يستحقَّهُ أحدٌ عَلَى الله تَعَالَى إلا حتى يفضِّلُ بِهِ عزَّ وجَلَّ مَنْ أحسن إِلَيْهِ مِنْ عباده،والوجه الثاني وهو السيئات تأديب مِنَ الله تَعَالَى أوجبه عَلَى المصاب بِهَا تقصيره عَمَّا يَلْزَمُهُ مِنْ وَاجِبَاتِ رَبِّهِ تَعَالَى.

٥ـ وَلا يستوحشنَّ مستوحِشٌ فيَقُولُ: كَيْفَ يَكُونُ النبي ﷺ المخاطَب بهَذَا الخطاب مُقَصِّرًا فِي أداء واجب ربه تَعَالَى؟ فليعلم أَنَّ التقصير ليس يَكُونُ معصيةً فِي كل وقت،وإِنَّمَا يَكُونُ النبي عَلَيْهِ السلام منَزَّهًا عن تعمد المَعْصِيَةِ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا. وَأَمَّا تَأْدِيَةُ شُكْرِ اللهِ تَعَالَى وَجَمِيعِ حقوقه عَلَى عباده فهَذَا مَا لا يستوفيه مَلَكٌ وَلا نبيٌّ فكَيْفَ مَنْ دُونَهُمَا ،كَمَا أخبر رَسُولُ اللهِ ﷺ : " إِنَّ أحدكم لا يدخل الجنة بعمله " فقِيلَ له: وَلا أنت يا رَسُولَ اللهِ ؟ فقال: " وَلا أنَا إلا أن يتغمدني الله برحمته "،أو كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السلام.

٦ـ فإِنَّما أنكر الله تَعَالَى عَلَى الكفار فِي الآية المتلوَّة آنفًا للنبيِّ عَلَيْهِ السلام: إِنَّ مَا أصابهم مِنْ سيئة فهي منك يا محمد،وأخبر عز وجل أنهَا مِنْ عِنْدَ أنفسهم،وأَنَّ كل ذلك مِنْ عِنْدَ الله تَعَالَى؛ فلَمْ يفرق المجنون بين مَا أوجبه الله تَعَالَى مِنْ أَنَّ كلَّ مَنْ أصابه سيئة فمِنْ نفسه،وبين مَا ذكر الله تَعَالَى مِنْ قول الكفار لمحمد ﷺ: إِنَّ مَا أصابهم مِنْ سيئة فمنك يا محمد،فأي ظلم يَكُونُ أعظم مِنْ ظلم مَنْ جهل أن يُفَرِّقَ بين معنيي هذين اللفظين ؟

٧ـ وإِنَّمَا كَانَ الكفار يتطيرون بمحمد ﷺ عندمَا يَرِدُ عليهم مِنْ نكبة تعرض لهم بكفرهم وخلافهم لَهُ عَلَيْهِ السلام،كَمَا تطَيَّرَ إخوانهم قبلهم بمُوسَى ﷺ إذ قَالَ تَعَالَى حاكيًا عَنْهُمْ قولهم: (فَإِذَا جَاءَتْهُمُ

[1] – سُورَةِ النِّسَاءِ، آيَة ٧٩ .

الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ)[١]. وَمَا أرى هَذَا الزنديق الأنوك إذ اعْتَرَضَ بهذا الاعتراض كَانَ إلا سكران سكر الخمر،وسُكْرَ عَجْبِ الصَّغِيرِ إِذَا كبر،والخسيس إِذَا أشر،والذليل الجائع إِذَا عَزَّ وشبع،والسفليّ إِذَا أمر وشط،والكلب إذ دُلل ونشط،فإن لِهَذِهِ المعاني مسالك خفية فِي إفساد الأخلاق التِي تقرب مِنَ الاعتدال،وكَيْفَ بخلق سوء متكرر فِي الخساسة والهجنة والرذالة والنذالة واللعنة والمهانة ؟ ولله در القائل: [الطويل]

إِذَا أَنْـتَ أَكرمْـتَ الكـرِيمَ مَلَكْتَـهُ وَإِنْ أَنْـتَ أكرمْـتَ اللئـيمَ تَمَـرَّدَا

ووضـعُ النَّـدَى فِـي موضِـعِ السـيفِ مُضِرٌّ كوضع السيفِ فِي موضع الندى

وهَذَا الذي قلنَا هو المفهوم مِنْ نصِّ الآيَةِ دُونَ تَزَيُّدٍ وَلا انتقاصٍ وَلا تبديلِ لفظٍ. والحمد لله رب العالمين كَثِيرًا.

٨- ولكن لَوْ تذكر هَذَا المائق الجاهل مَا يقرأونه فِي كفرهم المبدَّل وإفكهم المُحَرَّف بأخرق تحريف وأنتنِ معانٍ – حَاشَا مَا خذلهم الله تَعَالَى فِي تركه عَلَى وجهه لِيبديَ فضائحهم،فأبقوه تخبيثًا مِنَ الله تَعَالَى لهم لِيَكُونَ حجةً عليهم،مِنْ ذكر عيسى ومحمد صلى الله عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ – فِي كتابه الذي يسمونه: " التَّوْرَاة " إذ يَقُولُونَ فِيهِ فِي السفر الرابع عن مُوسَى ﷺ إِنَّهُ قَالَ مخاطبًا لله عز وجل: " يا رب كَمَا حلفتَ قائلا: الربُّ وديع ذو حن عظيم يعفو عن الذنب والسيئة وليس ينسى شَيْئًا مِنَ المآثم،الذي يعاقبُ المذنب الوالد الوَلَدُ فِي الدرجة الثانية والرابعة ". ويقرأون فِيهِ أَيْضًا فِي أول السفر الأول: " إن قاين ابن آدم عاقبه الله فِي السابع مِنْ وَلَدِهِ " ثم يقرأون فِي الكتاب المذكور نفسه فِي السفر الخامس منه: " إن الله تبارك وتَعَالَى قَالَ لموسى: لا تقتل الآباء لأجل الأبناء ،ولا الأبناء لأجل الآباء،ألا كلُّ واحدٍ يُقْتَلُ بذنبه " – فلَوْ تفكر هَذَا الجاهل المائق وعظيم التناقض لشغله عظيم مصابه عن أن يظن بقول الله تَعَالَى الذي هو الحق الواضح الواحد غَيْرِ المختلف: (قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدَ الله فما لِهَؤُلاءِ القومِ لا يكادُونَ يفقهُونَ حديثًا،مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ،وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ)[٢] وَهَذَا قَدْ بيَّنَاهُ كَمَا مَرَّ آنفًا أنه لا مجال للتناقض فِيهِ أصلا،وإِنَّمَا التناقض المحض مَا نسبوا إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السلام مِنْ أَنَّهُ قَدَّرَ بربه أَنَّهُ يغفر الذنب لفاعله،ويعاقبُ بذلك الذنب مَنْ كَانَ مِنْ وَلَدِهِ المذنب فِي الدرجة الرابعة،ثم يَقُولُ فِي مَكَانٍ آخَرَ: أن لا تقتل الأبناء لأجل الآباء وَلا الآباء لأجل الأبناء،هَذَا مَعَ إقرارهم بِأَنَّهُ ليس فِي التَّوْرَاة ذِكْرُ عذابٍ وَلا جَزاءٍ بعد الموتِ أصلا،وإِنَّمَا فِيهَا الجزاءُ بالثوابِ والعقابُ فِي الدنيا فَقَطْ،فهَذَا هو التناقض المجرد الذي لا خفاء به،وبالله تَعَالَى التوفيق.

---

[١] – سُورَةِ الأَعْرَافِ، آيَة ١٣١ .

[٢] – سُورَةِ النِّسَاءِ، آيَة ٧٨- ٧٩ .

٩- **الفصل الثاني:** وَكَانَ مِمَّا اعْتَرَضَ بِهِ أَيْضًا أن ذكر قولَ الله تَعَالَى (أَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا . وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا . وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا . وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا)[١] قال: فذكر فِي هَذِهِ الآية أَنَّ دَحْوَ الأرضِ وإخراجَ الماءِ والمرعى مِنْهَا كَانَ بعد رَفْعِ سَمْكِ السماءِ وبعد بنائِهَا وتسويتِهَا وإحكام ليلهَا ونهارها،ثم قالَ فِي آية أُخْرَى(هُوَالَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[٢] قال: فذكر فِي هَذِهِ الآية ضدَّ مَا فِي الأولى،وذلك أَنَّ هَذِهِ التسوية للسماء كَانَتْ بعد خلق مَا فِي الأرض.

١٠- قالَ أبو محمد: والقول فِي هَذَا كالقول فِي التِي قبلهَا وَلا فرق وهو: أَنَّ بظاهر هاتين الآيتين يُكْتَفَى عن تطلب تأويل أو تكلف مخرج،وهو: أَنَّهُ تَعَالَى ذكر فِي الآية التِي تلونا أَوَّلاً أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بنى السماءَ ورفعَ سَمْكَهَا وأحكم الدور الذي بِهِ يظهر الليلِ والنهار،وأَنَّهُ بعد ذلك أخرج ماء الأرض ومرعاهَا وأرسى الجبال فِيهَا. وذكر تَعَالَى فِي الآية الأُخْرَى أَنَّ تسويته تَعَالَى السمواتِ سبعًا وتفريقه بين تِلْكَ الطرائق السبع التِي هي مدار الكَوَاكِبِ المتحيرة والقمر والشمس كَانَ بعد خلقه كلَّ مَا فِي الأرضِ. فلَمْ يفرق هَذَا الجاهل المائق بين قوله تَعَالَى: إنه سوى السماء ورفع سمكها،وبين قوله تَعَالَى: إِنَّهُ سَوَّاهُنَّ سبع سماوات،فهل بعد هَذَا العمى عمى،وبعد هَذَا الجهل جهل ؟

١١- وإِنَّمَا أخبر تَعَالَى أَنَّ تسوية السماء جملة واختراعهَا كَانَ قبل دَحْوِ الأرضِ،وأَنَّ دحوه الأرض كَانَ قبل أن تقسم السماء عَلَى طرائق الكَوَاكِبِ السبع،فلاح أَنَّ الآيتين متفقتَان يُصَدِّقُ بعضهما بعضا،ولكن ليذكرْ هَذَا الجاهلُ عَلَى مَا يفتتحون بِهِ كذبهم المفترى وبهتانهم المختلق الذي يسمونه " التَّوْرَاة " إذ يفترون أَنَّ الله تَعَالَى خلق إنسانًا مثله ،ولَمْ يكن انفرد عَنْهُ تَعَالَى إلا بشيئين: علم الشر وَالخير،ودوام الخلود والحياة،وأَنَّ آدم صلوات الله عَلَيْهِ أكل مِنَ الشجرة التِي فِيهَا علم الخير والشر،فلَمَّا خالفه عظم ذلك عليه؛ قال: هَذَا آدم أكل مِنَ الشجرة التِي بِهَا يَكُونُ علم الخير والشر فساوانَا فِي ذلك،فإن أكل مِنْ شجرة الحياة حصل عَلَى الخلد فكَانَ مثلنَا لا فضل لنَا عليه،فجعل يخرجه مِنَ الجنة وَفِي يده سيفٌ يذودُ بِهِ عن شجرة الحياة. حتَّى لقَدْ انسخف جماعة مِنْ نوكاهم إِلَى أن قَالُوا: إِنَّ الخالق لآدم كَانَ إنسانًا مِنْ نوع الإنس الذي نحنُ منه،حصل عَلَى أكل شجرة الحياة فزاد بهاؤه وحصل لَهُ الخلد،فلَوْ أَنَّ هَذَا الخسيس الجاهل تبرأ إِلَى الله تَعَالَى مِنَ المظاهرة لهَذَا الوضع وَهَذَا الاعتقاد الساقط لكَانَ أحظى لَهُ ،ولكن يأبى الله تَعَالَى إلا

---

[١] – سُورَةِ النَّازِعَاتِ، آية ٢٧-٣٢ .

[٢] – سُورَةِ البَقَرَةِ، آية ٢٩ .

أن يجعل لَهُ الخزي والمهانة ،ويؤجل لَهُ الخلودَ بين أطباق النيران المعدة لَهُ ولأمثاله ولأشباهه والحمد لله رب العالمين،وصلى الله عَلَى نبي الرحمة محمد ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

١٢ – الفصل الثالث: وَكَانَ مِمَّا اعْتَرَضَ بِهِ أَيْضًا أن ذكر قولَهُ عَزَّ وَجَلَّ (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ)[١] قال: فذكر فِي هَذِهِ الآية خلْقَ الأرضِ فِي يومين وقدَّرَ فِيهَا أقواتهَا فِي أربعة أيام،فهَذِهِ ستة أيام،ثم ذكر قوله تَعَالَى (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ) إِلَى منتهى قوله تَعَالَى (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) ثم ذكر قوله تَعَالَى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ)[٢]

١٣ – قَالَ أبو محمد: والقول فِي هَذِهِ الآيات كالقول فِي التِي مضى فِيهَا الكلام وَلا فرق،وهي أنهَا تكتفي بظاهرهَا عن تكلف تأويل لها،وأَنَّهُ لا يَظُنُّ فِي شيء مِنْ هَذَا كله اختلافًا إلا عديمُ العقل سليبُ التمييز مطموسُ عينِ القلبِ ظليمُ الجهلِ،لأَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا ذكر خَلْقَ الجميع مِنَ السموات والأرض وَمَا بَيْنَهُمَا فِي ستة أيام،فسَّرَ لنَا تَعَالَى تِلْكَ الأيام الستة،فمِنْهَا يومان حلق فِيهِمَا الأرض وَمِنْهَا أربعة أيام قَدَّرَ فِي الأرض أقواتها،وأَنَّهُ تَعَالَى قضى السموات سبعة فِي يومين،وَقَدْ صحَّ بمَا تَلَوْنَا قبلُ أَنَّ تسويته تَعَالَى السمواتِ سبعًا همَا اليومان الآخران مِنَ الأربعة الأيام التِي قَدَّرَ فِيهَا أقوات الأرض لأن التَقْدِيرَ هو غَيْرُ الخلق،لأن الخلق هو الاختراع والإبداع وإخراج الشيء مِنْ ليس إِلَى أيس بمعنى مِنْ لا شيء إِلَى أن يَكُونَ شَيْئًا موجودًا. وأَمَّا التَقْدِير فهو الترتيب وإحكام الأشياء الموجودات بعد إيجادها،وهَذِهِ معان لا يعلمهَا إلا مَنْ أعزَّ الله تَعَالَى نفسه مِنْ ذوي الهمم الرفيعة ،المترفعة عن مهانة الإساءة ودناءة المعايش،القاصدة إِلَى طلب المعاني الفاضلة والحقائق المؤدية إِلَى مَعْرِفَةِ الله تَعَالَى،وَمَعْرِفَةِ رسوله ﷺ،والدخول فِي ظل الإسْلامِ والملة الحنيفية المصحبة مِنَ الله تَعَالَى السعدَ فِي الدنيا والنصرةَ والعزةَ،المتكفل لَهَا فِي الآخرة بالفوز والجنة والقبول والرضوان والريحان،والحمد لله رب العالمين الذي جعلنَا مِنْ أهلها،وإياه تَعَالَى نسأل أن يميتنَا عَلَيْهَا حتى نلقاه وهو راض عنا،آمين .وأَمَّا مَنْ لَمْ يقطع دهره إلا بالسرقة وَلا أفنى عمره إلا بالخيانة و الغِشُّ فبعيدٌ عن إدراك هَذِهِ المعاني وفهمها.

١٤- وليت شعري أين كَانَ هَذَا الخسيس المائق إذ اعْتَرَضَ هَذَا الاعتراض عَلَى هَذِهِ الأنوار الساطعة والحقائق الظاهرة عن التفكير فِيمَا يقرأونه فِي هذيانهم المخترع وزرهم المفتعل الذي يسمونه " التَّوْرَاة " إذ يَقُولُونَ إِنَّ الله تَعَالَى خلق الخلْقَ فِي ستة أيام،واستراح فِي اليوم السابع ؟ وهل تكون الراحة إلا لتعب ونصب قَدْ خارت قواه وضعفت طبيعته ؟ فمثل هَذَا وشبهه مِنْ دينه

---

[١] – سُورَة فُصِّلَتْ، آيَة ١٠ –١٢ .

[٢] – سُورَة ق، آيَة ٣٨ .

الخسيس الذي يستسرُّ بِهِ لَوْ تهمّم بالفكرة فِيهِ ثُمَّ بادر إِلَى التوبة مِنْهُ والدخول فِي دين الله تَعَالَى الذي لا دين لَهُ سواه،الذي بِهِ بَدَا الملك عَلَى لسان محمد ﷺ،والحمد لله رب العالمين.

١٥- الفصل الرابع: ثم ذكر الخسيس جاهل قول الله تَعَالَى(هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ)[١] ثم قَالَ فِي آية أُخْرَى: (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا)[٢] قال: وَهَذَا تناقض عظيم.

١٦. قَالَ أبو محمد: قَدْ قَالَ بعض العُلَمَاءِ المتقدمين: إِنَّ المنع مِنَ النطق المذكور فِي الآية إِنَّمَا هو فِي بعض مواقف يوم القيامة،وأَنَّ الجدال المذكور فِي الآية الأُخْرَى هو موقف آخر مِمَّا يتلو ذلك اليوم نفسه،وَهَذَا قول صحيح يبينه قول الله تَعَالَى قبل الآية المذكورة،إذ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ (انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ . انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ . لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ. إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ . كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ . هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ)[٣] فِيهِ بعذر. هكذا نص الآيات متتابعات،لا فصل بينها. فصحَّ أَنَّ اليوم الذي لا ينطقون فِيهِ بعذر إِنَّمَا هو يوم إدخالهم النار،وهو أول اليوم التالي ليوم القيامة الذي هو يوم الحساب،وهو أَيْضًا يوم جدالِ كُلِّ نفسٍ عن نفسها؛ وَهَذَا بيانٌ لا إشكال فِيهِ أصلا.

١٧. وهَا هُنَا وجهٌ آخر هو اتباع ظاهر الآيتين دُونَ تكلُّفِ تأويلٍ إلا أن يأتي بالتأويل نصٌّ آخر أو إجماعٌ مِنْ جميع الأمة كلِّهَا مَا بين الأشبونة والقندهار والشحر وأرمينية والمولتان. فنقول وبالله نستعين: إِنَّ هاتين الآيتين بَيِّنَتَانِ لا اختلافَ بَيْنَهُمَا أصلا،وإِنَّ النطق المنفيَّ عَنْهُمْ فِي الآية الأولى والمعذرة التِي لَمْ يؤذنْ لهم فِيهَا إِنَّمَا ذلك فيمَا عصوا فِيهِ خالقهم تَعَالَى،كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي آيةٍ أُخْرَى:(الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[٤] فلا عذرَ لكافر وَلا لعاصٍ أصلاً وَلا كلام لهم. وأَمَّا الجدال الذي ذكر الله تَعَالَى حِينَئذ لكل نفسٍ عن نفسهَا فإِنَّمَا هو فِي طلب الناس مظالمهم بعضهم مِنْ بعض،فإِنَّ الله تَعَالَى لا يُضَيِّعُ شَيْئًا مِنْ ذَلِك،عَلَى مَا صحَّ عن النبي ﷺ مِنْ أَنَّ يوم القيامة يُقِصُّ الشاةَ الجَمَّاء مِنَ الشاة القَرْناء. وبيانُ هَذَا الذي قلنَا أَنَّ المعذرة إِنَّمَا هي إِلَى الله تَعَالَى،وَلا عذر يوم القيامة لمَنْ كفر بالله تَعَالَى أو بنبيٍّ .

١٨. قَالَ أبو محمد: ليس فِي حماقاتهم المبدّلة التِي يسمونهَا " التَّوْرَاة " ذكر أجر وَلا ثواب لمحسنٍ بعد الموت وَلا عقابٍ لمسيءٍ فِي الدنيا أصلاً وَلا فِي الكُتُبِ التِي ينسبونهَا إِلَى أنبيائهم مِنْ هَذَا قليلٌ وَلا كثير. فلَوْ نظر هَذَا المجنون فيمَا ينسبونه إِلَى سليمان عَلَيْهِ السلام فِي تصويبه داءَ امرأة دعت له،فقالَتْ: وَلا زالت أرواحُ أعدائك يدورُ بِهَا الفلك؛ وَهَذَا إبطال الثواب والعقاب

١ - سُورَة المُرْسَلات، آيَة ٣٥ .

٢ - سُورَة النَّحْل، آيَة ١١١ .

٣ - سُورَة المُرْسَلات، آيَة ٢٩-٣٦ .

٤ - سُورَة يس، آيَة ٦٥ .

إلا عَلَى معنى التناسخ وَمَضَا لِمَا ذكروه عن غَيْرِهِ مِنَ الأنبياء إِنَّ هنالك نارًا ونعيمًا؛ ومثل مَا ينسبونه إِلَيْهِ أَيْضًا عَلَيْهِ السلام أنه قَالَ مرة: " إِنَّ العَالم لا أول لَهُ " وأنَّه قَالَ مرة أُخْرَى: " أنَا كنتُ مَعَ الله تَعَالَى حِينَ خلق الأرضَ والسماء ". فلَوْ أَنَّ هَذَا الجاهل الشقيَّ اشتغل بمثل هَذَا وشبيهه مِنْ كذبهم وافترائهم لكَانَ أولى بِهِ مِنْ تَكَلُّفِ مَا لا يحسن وَلا يدري،مِمَّا قَدْ فضحه الله فِيهِ عاجلا،ويخزيه آجلاً ،والحمد لله رب العالمين.

١٩ـ الفصل الخامس :ثم ذكر هَذَا الزنديق الجاهل قولَ الله سبحانه وتَعَالَى: (فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ)[١] قَالَ : ثُمَّ قَالَ فِي آية أُخْرَى(فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ)[٢] قال: وَهَذَا تناقض.

٢٠ـ قَالَ أبو محمد: لَوْ فهم هَذَا المائق الجاهل أدنى فهم لَمْ يجعل هَذَا تعارضا،أَمَّا قوله تَعَالَى: (فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ)[٣] مَا بعد هَذِهِ الآية متصلاً بِهَا قوله تَعَالَى (فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ. فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ. يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ . فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)[٤] فصحَّ بهَذَا النص أَنَّ هَذَا إِنَّمَا هو فِي حِينَ إيرادهم جهنم التِي هي إن شاء الله دارُ هَذَا الخسيس ذي الظهارة اليهودية والبطانة الدهرية وَلا ريب فِي أَنَّهُ إذا أُخذ بناصيته وقدميه ليهوي بِهَا فِي النار،نار جهنم،فإِنَّهُ لا يُسأَلُ عن ذنبه يومئذ. وأَمَّا قوله تَعَالَى:(فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ)[٥]،فإِنَّمَا ذلك فِي أول وقوفهم يومَ البعث وحِينَ المسألة والحساب. فارتفع التناقضُ الذي لا مَدْخَلَ لَهُ فِي شيء مِنَ القُرْآنِ وَلا فِي كلام النبيِّ ﷺ.

٢١ـ ولكنَّ هَذَا الوقح المجنون لَوْ تدبَّرَ مَا فِي كذبهم المفترى الذي يسمونه " التَّوْرَاة " فِي السفر الثاني مِنْهُ أَنَّ الله تَعَالَى قَالَ لمُوسَى بن عمران: إني أرى هَذِهِ الأمة قاسية الرقاب دعني لأعقب غضبي عليهم لأهلكهم وأقدمك عَلَى أمةٍ عظيمة. ثُمَّ ذكروا أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السلام دَعَا ربه تَعَالَى وَقَالَ فِي دعائه: تذكَّرْ إِبْرَاهِيمَ وإسرائيلَ وإسحاقَ عبيدك الذين حلفت لهم بذلك وقلت لهم سأكثر ذريتكم حتى تكونوا كنجوم السماء وأورثهم جميع الأرض التِي وعدتهم بِهَا ويملكونهَا أبدا،فحنَّ السيد وَلَمْ يتمَّ مَا أراد إنزاله بأمته مِنَ المكروه.

٢٢ـ قَالَ أبو محمد: هَذَا نصُّ هَذَا الفصل عندهم ،وهَذِهِ صفة لا يوصف بِهَا إلا إنسانٌ ضعيفُ النفس ،وفيه البداء،وأَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يتمَّ مَا أراد أن يفعل،تَعَالَى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

---

[١] – سُورَةِ الرَّحْمَنِ، آيَة ٣٩ .

[٢] – سُورَةِ الأَعْرَافِ، آيَة ٦ .

[٣] – سُورَةِ الرَّحْمَنِ، آيَة ٣٩ .

[٤] – سُورَةِ الرَّحْمَنِ، آيَة ٤٠–٤٥ .

[٥] – سُورَةِ الأَعْرَافِ، آيَة ٦ .

٢٣- وَفِي السِّفرِ المذكورِ إِثْرَ هَذَا أَنَّ الله تَعَالَى قَالَ لمُوسَى عَلَيْهِ السلام: " مَنْ أذنب عندي سامحوه مِنْ مصحفي،فاذهب أنتَ وهَذِهِ الأمة التِي عهدت إليكَ فِيهَا،وسيتقدمك ملك ". ثم بعد شيء يسير ذكر أَنَّ الله تَعَالَى قَالَ لموسى: " اذهب واصعد مِنْ هَذَا الموضع أنت وأمتك التِي خرجت مِنْ أرض مصر إِلَى الأرض التِي وعدتُ بِهَا مُقْسِمًا لإِبْرَاهِيم وإسحاق ويعقوب لأورثهَا نسلهم وأبعث بين يديك ملكًا لإخراج الكنعانيين والأموريين والبرزيين والحيثيين واليبوسيين ،وتدخل فِي ارض تفيض لَبَنًا وعَسَلا،لستُ أنزل معكم لأنكم أمّة قاسية الرقاب لئلا تهلك بالطريق ". فلمّا سمع العامة هَذَا الوعيد الشديد عجَّت تبكي وَلَمْ تأخذ زينتها. فَقَالَ لمُوسَى بن عمران: قل لبني إسرائيل أنتم أمة قَدْ قست رقابكم،سأنزل عليكم مرة أهلككم فضعوا زينتكم لأعلم مَا أفعله بكم. ثم ذكروا جواب مُوسَى عَلَيْهِ السلام لله تَعَالَى عَلَى هَذَا الكلام فقال: وَكَانَ يكلم السيد مُوسَى عَلَيْهِ السلام فمًا لفم،كمَا يكلّمُ المرءُ صديقه،فَقَالَ مُوسَى بن عمران للسيد: أتأمرني أن أقود هَذِهِ الأمة وَلا تأمرني مَا أنت باعثه معي. فَقَالَ لَهُ السيد: سيقدمك وجهي وأروح عندك. فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السلام: إنْ لَمْ تتقدمنَا أنت فلا ترحلنَا مِنْ هَذَا الموضع،وكَيْفَ أَعْرِفُ أنَا وهَذِهِ الأمة أنك عنَا راضٍ إذا لَمْ تنطلق معنَا ونتشرف بذلك عَلَى جميع مَنْ سكن الأرض مِنَ الأجناس ؟ فَقَالَ له: سأفعل مَا قلتَ لأني عنك راضٍ.

٢٤- قَالَ أبو محمد: ففي هَذَا الفصل مِنَ السخف غَيْرِ قليل،وبيان لا يحتمل تأويلًا،لأن فِيهِ البداء،وأَنَّهُ تَعَالَى عمّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كبيرًا،وَقَالَ إِنَّهُ لا يمضي معهم لكن يبعث معهم ملكًا يبصِّرهم بأمر الله تَعَالَى،فلَمْ يزل بِهِ مُوسَى حتى رجع عن مَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ وقال: سأمضي معكم ،ولَمْ يقنع مُوسَى بمسير الملك معهم إلا بمسير الباري عَزَّ وَجَلَّ معهم ،وفي تحقيق النقلة عَلَى الباري فِي الأماكن،وليست هَذِهِ صفة الله تَعَالَى وإِنَّمَا هي مِنْ صفات المخلوقين؛ وَفِيهِ التكليم فَمًا لفَم وتحقيق التجسيم والتناقض عَلَى الباري تَعَالَى فِي كلامه وفعله،دُونَ تأويل. وَلا مخرج لهم مِنْ هذا.

٢٥- فلَوْ فكر هَذَا الوقاح الزنديق فِي مثل هَذَا وشبهه لزجره عن التعرض لِمَا لا سبيل لَهُ إِلَيْهِ وحسبنَا الله تَعَالَى ونعم الوكيل. ولَوْ أَنَّ هَذَا الزنديق المائق كَانَ لَهُ أقلَّ تحصيل،لَمَا أقدم عَلَى المظاهرة بهَذَا الدين الخسيس طرفة عين،ولكنه لَمْ يقره الشيطان مِنْ كل مَا استبان لَهُ مِنْ هَذَا البهتان إلا انسلاخه مِنْ جميع الأديان،وبالله تَعَالَى نعوذ مِنَ الخذلان.

٢٦ – **الفصل السادس:** ثم ذكر هَذَا الزنديق الجاهل قول الله تَعَالَى مخاطبا لنبيه عَلَيْهِ السلام (فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ)[١] قَالَ هَذَا المجنون: فهَذَا محمد كَانَ فِي شك مِمَّا ادَّعاهُ.

[١] – سُورَة يُونُس، آيَة ٩٤ .

٢٧ـ قَالَ أبو محمد: كَانَ يلزم هَذَا الخسيس أن لا يتكلم فِي لغة لا يحسنهَا ،ولكن أبى الله تَعَالَى إلا أن يكشف سوءته ويبدي عورته. وليعلم أَنَّ فِي هَذِهِ الآية ليست التِي بمعنى الشرط،لأن مِنَ المحال العظيم الذي لا يتمثل فِي فهم مَنْ لَهُ مسكة أن يَكُونَ إنسان يدعو إِلَى دين يقاتل عَلَيْهِ وينازع فِيهِ أهل الأرض ويدين بِهِ أهل البلاد العظيمة ثم يَقُولُ لهم: إني فِي شك مِمَّا أقاتلكم عَلَيْهِ أيهَا الخالفون ولستُ عَلَى يقين مِمَّا أدعوكم إِلَيْهِ وأحققه لكم أيهَا التابعون،إِلَى مثل هَذَا السخف الذي لا يتصور إلا فِي مثل دماغ هَذَا المجنون الجاهل،وإِنَّمَا معنى " إِنْ "هَا هُنَا الجحد فهي هُنَا بمعنى " مَا " وَهَذَا المَعْنَى هو أحد موضوعاتهَا فِي اللُّغَةِ العَرَبِية،كَمَا قَالَ تَعَالَى آمرًا نبيه ﷺ أَنْ يَقُولَ: (إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[1] بمعنى مَا أنَا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون،كَمَا ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ عن الأنبياء أَنَّهُم قَالُوا: (إِن نَحْنُ إِلا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ)[2] وَكَمَا قَالَ تَعَالَى مُخبرًا عن النسوة إذ رأين يوسف عَلَيْهِ السلام،فقُلْنَ (إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ)[3] بمعنى: مَا هَذَا إلا ملك كريم،وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: (لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ)[4] أي مَا كُنَّا فاعلين. فعلى هَذَا المَعْنَى خاطب نبيه عَلَيْهِ السلام. فإن كنت فِي شكٍّ مِمَّا أنزلنَا إليك،ثُمَّ قَالَ تَعَالَى فاسأل الذين يقرأون الكتاب قبلك،لقَدْ جاءك الحق مِنْ ربِّكَ بمعنى وَلا أعداؤك الذين يقاتلونك مِنَ الذين أوتوا الكتاب مِنْ قبلك مَا هم أَيْضًا فِي شك مِمَّا أنزلنَا إليك بَلْ هم موقنون بصحة قولك وأنك نبيٌّ حَقٌّ،رَسُولَ اللهِ ﷺ،لا شكَّ عندهم فِي أَنَّ الذي جاءك الحقّ. ومثلُ هَذَا أَيْضًا قوله تَعَالَى (وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)[5] تهوينًا له،وكَذَلِكَ قوله تَعَالَى (قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ)[6] بمعنى مَا كَانَ للرحمن وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الجَاحِدِينَ لا يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ. فوضح جهلُ هَذَا المعترض وضعف تمييزه،والحمد لله رب العالمين.

٢٨ـ وَلَوْ أَنَّ هَذَا الجاهل الأنوك تدبَّر مَا فِي باطلهم المُبتَدَع وهُجْرِهم الموضوع الذي يسمونه " توراة " إذ يَقُولُ: إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السلام راجع ربه إذ أراد إرساله وقال: مَنْ أنَا حتى أمضي إِلَى فرعون،أرسل مَنْ تريد ترسل. وأغضب ربه تَعَالَى بذلك،وأَنَّ يعقوبَ عَلَيْهِ السلام صارع ربَّهُ ليلة بتمامهَا وهو لا يَعْرِفُ مَنْ هو،فلَمَّا انسلخ الصباحُ عَرَفَ أَنَّهُ الله – تَعَالَى الله عن هَذَا الحمق

[1] – سُورَة الأَعْرَافِ، آيَة ١٨٨ .
[2] – سُورَة إِبْرَاهِيمَ، آيَة ١١ .
[3] – سُورَة يُوسُفَ، آيَة ٣١ .
[4] – سُورَة الأَنْبِيَاءِ، آيَة ١٧ .
[5] – سُورَة إِبْرَاهِيمَ، آيَة ٤٦ .
[6] – سُورَة الزُّخْرُفِ، آيَة ٨١ .

مِنَ الكفر عُلُوًا كَبِيرًا – قَالُوا: فلمَّا عَرَفَه أمسكه فقَالَ لَهُ ربه: أطلقني ،فقَالَ لَهُ يعقوب: لا أطلقك حتى تبارِكَ عليّ،فقَالَ لَهُ ربُّهُ: كَيْفَ لا أبارِكُ عليكَ وأنتَ كنتَ قويًّا

٢٩. عَلَى الله،فكَيْفَ عَلَى الناس إثْمَّ مسَّ مأبضه،فعرج يعقوب مِنْ وقته فكَذَلِكَ لا يأكل بنو إسْرَائِيلِ مِنْ عروق الفخد لأَنَّ الله تَعَالَى مَسَّهُ،وَلا يجروُ مِنْهُمْ أحد فيَقُولُ: إنَّ المصارعَ ليعقوب كَانَ ملكا،فإِنَّ لفظ اسم المصارع لَهُ فِي توراتهم " إلوهيم " وَهَذَا هو اسم الله تَعَالَى وحدَهُ بالعبرانية – فلَوْ أَنَّ هَذَا الجاهل تفكر فِي مثل هَذَا وشبهه لعلم أَنَّ الحقَّ بأيدي غَيْرِهِم وأَنَّهم فِي باطل وغرور،وعلى ضلالٍ وزور،والحمد لله ربِّ العالمين وحسبنَا الله تَعَالَى.

٢٩- الفصل السابع: ثُمَّ ذكر هَذَا المائق الجاهل قوله تَعَالَى فِي وصف العسل: إنَّ فِيهِ شفاء للناس،فقال: وكَيْفَ هَذَا هو يؤذي المحمومين وأصحاب الصفراء المحترقة ؟

٣٠. قَالَ أبو محمد: لَوْ كَانَ مَعَ هَذَا الجاهل الأنوك أقلُّ مَعْرِفَةٍ بطبائع الإنسان أو فهم مخارج اللُّغَةِ العَرَبِية لَمْ يأتِ بهَذَا البرسام،أَمَّا اللُّغَةُ فإِنَّ الله تَعَالَى لَمْ يقُل: العسلُ شفاءٌ لكُلِّ عِلَّة،وإِنَّمَا قَالَ تَعَالَى: فِيهِ شفاء للناس؛ وَهَذَا لا ينكره إلا رقيعٌ سليبُ العقلِ والحياء أو موسوس،لأَنَّ منافع العسل وشفاءه فِي إسخانِ المبرودين وتقطيع البلغم وتقوية الأعضاء حتى صار لا يطبخ أكثر الأشربة إلا بِهِ وَلا يعجن جميع اللعوقات إلا به،وَمَا وصف جالينوس وبقراط،وَهُمَا عميدًا أهل الطب،طَبْخَ شيءٍ مِنَ الأشربة إلا بِهِ جملةً،وَمَا ذكرا قط أَنَّ يطبخ شرابٌ بسكر.

٣١. وكَيْفَ ينكر هَذَا الأنوك أن يَكُونَ العسل شفاء مَحْضًا ،وهي أغلب أموره،فكَيْفَ أن يَكُونَ بِهِ شفاء ،وهم يصفون عن نبيٍّ مِنْ أنبيائهم أَنَّهُ شفى أكلَةً فِي عضو إنسانٍ بتين مدقوق وجعله عَلَيْهِ ؟ فَإِذَا كَانَ فِي التين شفاء مِنْ بعض العلل فكَيْفَ ينكر هَذَا الخسيس أن يَكُونَ فِي العسل أشفيه كثيرة ؟ وَقَدْ وجدنَا فِي اختلاطهم الذي يسمونه "توراة " عن الله تَعَالَى فِي عدة مواضع أَنَّهُ إِذَا بلغ الغاية فِي مدح أرض القُدْسِ التِي وعدهم بِهَا قال: إلا أَنَّهَا أرض تنبع عسَلاً ولَبَنًا،ووعدهم فِيهَا بأكل عسل الصخور،أفترى إذ ليس فِي العسل شفاء أصلا،إِنَّمَا وعدهم تَعَالَى بمَا فِيهِ الداء والبلاء لا بمَا فِيهِ الشفاء،هَذَا مَعَ إنكار العيان،وجحد الضرورات فِي منافع العسل.

٣٢ – الفصل الثامن: ثُمَّ ذكر هَذَا الزنديق الجاهل قول الله تَعَالَى (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء مُّبَارَكًا)[١] وقال: كَيْفَ يَكُونُ مباركًا وهو يهدم البناء،ويهلك كَثِيرًا مِنَ الحيوان ؟

٣٣. قَالَ أبو محمد: مَنْ لَمْ يكن مقدار فهمه وعقله إلا هَذَا المقدار،لَقَدْ عجل الله لَهُ العقوبة فِي الدنيا والحمد لله رب العالمين. وليت شعري أَمَا دَرَى هَذَا الجاهل أَنَّهُ لولا شُرْبُ الماءِ لَمْ يكن فِي الأرض حيوانٌ أصلاً لا إنسان وَلا مَا سواه ،وأَنَّ عناصر جميع المياه الظاهرة عَلَى وجه الأرض والمختزنة فِي أعماقِهَا إِنَّمَا هي مِنْ مواد القَطْرِ النازل مِنَ السماء ؟ أَمَا رأى هَذَا

[١] – سُورَة ق، آيَة ٩ .

الأنوك أَنَّ الأمطار إِذَا كثُرت غزرت العيون وفهقت الأنهار وطفحت البرك وامتلأت الآبار وسالت السيول وتفجرت فِي الأرض ينابيع ؟ حتى إِذَا قلّت الأمطار وضعفت العيون ونقصت الأنهار وجفت البرك والآبار وانقطعت السيول وغارت الينابيع،خشنت الصدور وفسد الهواء ؟ أَمَا رأى أَنَّهُ لا نماء لشيء مِنَ النبات كله،منزرعة وصحراوية،وجميع الشجر بساتينهَا وشَعْرَائِها إلا بالماء النازل مِنَ السماء ؟ أَمَا قرأ فِي هذيانهم الذي يسمونه "توراة" امتنان الله تَعَالَى فِي صفة الأرض المُقَدَّسَة بأَنَّهَا لا تُسْقَى مِنَ النيل،كَمَا تسقى أرضُ مصر لكن مِنْ ماء السماء ؟ أتراه إِنَّمَا مَنَّ عليهم بضد البركة لا بالبركة؟ إِنَّ هَذَا لعجب. أَمَا علم أَنَّ الأمطار ترطّبُ الأجسام وَتَذْهبُ بقحلهَا ،وأَنَّ بالماء الذي عنصُرُهُ ماءُ السماء تُزَالُ الأوضار وتطيبُ الروائح ولولاه مَا عمر العالم ! فحسبكم أيهَا الناس بمقدار هَذَا الخسيس وجهله وهو عميد اليهود وعالمهم وكبيرهم،وَهَذَا مبلغه مِنَ الجهل وَالسخف،ونستعيذ بالله مِنَ الجهل والضلالة،والحمد لله ربِّ العالمين.

٣٤. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: هَا هُنَا انتهى كلُّ مَا ظنَّ المائقُ أَنَّهُ اعْتَرَضَ به،قَدْ بانَ فِيهِ كُلِّهِ زورُهُ وجهلُهُ واغترارِهِ،وَلا حولَ وَلا قُوَّةَ إلا بالله العليِّ العَظيمِ. ثُمَّ نحنُ إن شاء الله تَعَالَى ذاكرون بحول الله تَعَالَى وقوته قَلِيلاً مِنْ كثير مِنْ قبائحهم يديرونهَا وينسبونهَا إِلَى الباري تَعَالَى فِي كتُبِهِم التِي طالمَا وقفنَا عَلَيْهَا،وتضاعف بذلك شُكرُنَا لله تَعَالَى عَلَى عظيم مَا منحنَا مِنْ نعمة الإِسْلامِ والملة التِي أينعت بِهَا محمدًا ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا وعلى آله الطيبين والحمد لله عَلَى مَا أولانَا مِنْ فضل الإِسْلامِ وشرف الإيمان.

٣٥. اعلموا أيهَا الناس: علَّمَنَا الله وإيّاكُم مَا يقرِّبُنَا مِنْهُ ويزلف حظوَتِنَا لديه أَنَّ اليهودَ أبهتُ الأمم وأشدُّهُم استسهالاً للكذب،فمَا لقيتُ مِنْهُمْ أحدًا قط مجانبًا للكذب القبيح عَلَى كثرة مَنْ لقينَا مِنْهُمْ،إلا رجلاً واحدًا فِي طول أعمارنَا ،فطال تعجبي مِنْ ذلك إِلَى أنْ ظفرتُ بسرِّهِم مِنْ ذلك فِي هَذَا الباب. وهو أَنَّهُم يعتقدُونَ بسخفهم وضعف عقولهم أَنَّ الملائكة الذين يُحصون أعمالَ العباد لا يفقهون العَرَبِية وَلا يُحسِنون مِنَ اللغاتِ شَيْئًا إلا العبرانية،فلا يكتب عليهم كل مَا كذبوا فِيهِ بغَيْرِ العبرانية،فحسبُكُم بهَذَا المقدار مِنَ الجهل العظيم والحمق التام !

٣٦. فَمِنْ طوامِّهِم أَنَّ علماءهم يَقُولُونَ: إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا ستر عن يعقوب أمر يوسُف وكونَهُ فِي مِصْرَ ثلاثَةَ عشر عامًا كاملا،لأَنَّ أولادَ يعقوب لعنوا كلَّ مَنْ ينقلُ إِلَى أبيهم أَنَّ يوسفَ حيٌّ. قَالُوا: فدخل اللهُ تحت هَذِهِ اللعنة إِذَا أطلع يعقوب عَلَى حياة يوسف،تَعَالَى الله عن إفك هَؤُلاءِ المجانين وكفرهم،واغوثاه مِنْ عظيم هَذَا الحمق ! أ فيَكُونُ فِي البقر والحمير أو الكلاب أضلُّ مِنْ قومٍ هَذَا مقدار عقولهم،أن يُجيزوا أن تكون لعنة مخلوقٍ تلحق الخالق ؟ اللهم فإنَا نحمدك عَلَى توفيقك إيانَا للإِسْلامِ وهدايتك إليه،ونسألك الثباتَ عَلَيْهِ إِلَى أن نلقاكَ مُسْلِمِينَ،برحمتك آمين. ثُمَّ العجب فِي أنهم قَالُوا فِي إِخوة يوسف إنهم كَانُوا المخبرين ليعقوب بحياة يوسف،فَهَكَذَا فِي نصّ الكتاب المُسمَّى عندهم "التَّوْرَاة"،فمَا نرى اللعنة إلا قد لحقتهم.

٣٧. ثُمَّ نجدهم لا يستحيون مِنْ أن ينسبوا إِلَى الأنبياء عليهم السلام أَنَّهُم زنوا،وأَنَّهُم مِنْ نسل الزنا،فإن السفر الأول مِنْ كتابهم ذلك المُسمَّى "توراة": أَنَّ يهوذا زنى بامرأة وَلَدِهِ ورشاهَا عَلَى ذلك جديا مِنَ الغنم،ورهنهَا بالوفاء بذلك عصاه وزناره وخاتمه،وَقَدْ وقفتُ بعضهم عَلَى هَذَا فَقَالَ لِي: كَانَ ذلك مباحًا عندهم،فقلتُ له: إِنَّكَ تقول الباطل،إِذ إِنَّ فِي توراتهم أَنَّ يهوذا الذي جامعهَا أمر بِهَا أن تحرق إذ ظهر حملُهَا. فإِنْ كَانَ ذلك،فَلِمَ أمرَ بحرقِهَا ؟ ثُمَّ لا يستحيون أَنْ يَقُولُوا: إِنَّ مِنْ ذلك الزِّنَا حملت بفارض ابن يَهُوذا الذي مِنْ نسلِهِ كَانَ داوود وسُليمان عليهمَا السلام،وكثير مِنَ الأنبياء كعاموص وشعيا وغَيْرِهِم.

٣٨. ومِنْ عجائِبِهِم أَنَّهُم يَقُولُونَ: إِنَّ كلَّ نكاح كَانَ عَلَى غَيْرِ التَّوْرَاة فهو زنَا وَالمُتَوَلِّدُ مِنْهُ وَلَدُ زنَا ،حتى إِنَّهُم يبيحون لمَنْ تَهَوَّدَ مِنْ سائر الأديان أن يتزوج أخته مِنْ أبيه. ثُمَّ لا يستحون أَنْ يَقُولُوا إِنَّ مُوسَى وهرون أخاه تولَّدَا مِنْ نكاح عمران بن قاهت بن لاوي عمته أخت أبيه يوخابد بنت لاوي. وأَنَّ سارة أم إسحاق كَانَتْ أختَ إِبْرَاهيم ابنه والده تارح،وأَنَّ سُليمان بن داود كَانَ ابنَ امرأة زنى بِهَا داود ،وَوَلَدَتْ مِنْهُ ابنًا مِنَ الزنَا وتزوجهَا أوزني المحمحتى لَمْ يطلقها،وَيَقُولُونَ: إِنَّ الجمع بين الأختين زنا،وأَنَّ وطء الإماء بملك اليمين زنا،وَالمُتَوَلِّدُ مِنْ هَذِهِ النكاحات زنَا ،وهم يقرُّون أَنَّ جميع وَلَدِ يعقوب عَلَيْهِ السلام كَانُوا مِنْ أختين نكحهمَا معا. وهمَا ليَّا وراحيل ابنتا لابان،فولدت لَهُ ليَّا ستة ذكور ،وَوَلَدَتْ لَهُ راحيلُ يوسُف وبنيامين،وأَنَّ الأربعة الباقين مِنْ وَلَدِ يعقوب وُلِدُوا لَهُ مِنْ زلفاء وبلها،أَمَتَي راحيل وليَّا،وطئهمَا بملك اليمين لا بزواج أصلا،لأَنَّ فِي توراتهم أَنَّ لابان أخذ عَلَيْهِ العهد عِنْدَ كوم الشهادة أن لا يتزوج عَلَى ابنته،فكلهم مِنْ أبناء هَذِهِ الولادات .وهاتان مقدمتان تنتج أَنَّ جميع بني إسرائيل وجميع اليهود أولاد زنا. فإِنْ قَالُوا: كَانَ ذلك حلالاً قبل أن يحرم،اقرُّوا بالنسخ،وإن قَالُوا: إِنَّ ذلك خاصٌّ لبني إسرائيل مذ أنزلت التَّوْرَاة. لزمهم ترك قولهم: إِنَّ كلَّ مولود فِي الأمم بخلاف حكم التَّوْرَاة فهو وَلَدُ زنا،وعلى كل حال يلزمهم أَنَّ أولاد سليمان عَلَيْهِ السلام كَانُوا أولاد زنَا بحْتٍ،لأَنَّهُم مقرون أَنَّ أَنَّهُم كَانُوا مِنْ أبناء العمونيات والموآبيات وسائر الأجناس،ورؤوس الجواليت إِلَى اليوم مِنْ أبناء مَنْ ذكرنا،تَعَالَى الله تَعَالَى وتنزه أنبياؤه عليهم السلام عن هَذِهِ المخازي؛ وإسحاق أبوهم،وهارون ومُوسَى وداود وسليمان ويوسف عَلَى قول هَؤُلاءِ الكفرة لعنهم الله،وَلَدُوا لغَيْرِ رشدة،لعن الله قائل هَذَا معتقدًا لَهُ ومصدقًا.

٣٩. ومِنْ عجائبهم أَنَّهُم يقرُّونَ فِي كتابهم المُسَمَّى بالتَّوْرَاة أَنَّ السحرة فعلوا بالرقي المصريّ مثلمَا فعل مُوسَى بن عمران ﷺ مِنْ قلب العَصَا حَيَّة،ومِنْ قلب ماء النيل ،ومِنَ استجلاب الضفادع،حَاشَا البعوض فلَمْ يَقْدِرُوا عليه.

٤٠. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: لَوْ صَحَّ هذا،وأعوذ بالله،لَمَا كَانَ بين مُوسَى عَلَيْهِ السلام والسحرة فرق إلا قوة العلم والتمهُّر فِي الصناعة فَقَطْ،ونحن نبرا إِلَى الله تَعَالَى مِنْ أَنْ يَكُونَ آدميّ يَقْدِرُ بصناعته

عَلَى خرق عادة،أو قلب عين،وننكر أَنَّ الله تَعَالَى يولي ذلك أحدًا غَيْرَ الأنبياء صلى الله عليهم وسلم تَسْلِيمًا كَثِيرًا،الذين جعل الله تَعَالَى ظهور المعجزات عليهم شاهدًا لصدقهم.

٤١. ومِنْ عَجَائِبِهِم قولُهُم فِي نقل أحبارهم الذي هو عندهم بمنزلة مَا قَالَ الأنبياء: إِنَّ فرعون كَانَ بَنَى فِي المَفازِ صَنَمًا يُقَالُ لَهُ باعل صفون،وجعله طلسَمًا باستجلاب بعض قوى الأجرام العلوية،ليحير بِهِ كلُّ هاربٍ مِنْ أرض مصر. وأَنَّ ذلك الطلسم حَيَّرَ مُوسَى وهارون وجميع بين إسرائيل حتى تاهوا أربعين سنة فِي فحص التيه إِلَى أن ماتوا ملوكهم فِي المفاز،أولهم عن آخرهم،حَاشَا يوشع بن نون الافراهيمي،وكالب بن يوفنا البهوذاني. فتبًّا وسحقًا لكل عقل يزعم صاحبه أَنَّ صناعة آدمية وحيلة سحرية غلبت قوة الله تَعَالَى،وأعجزت رَسُولَ اللهِ ﷺ حتى مات تائهًا فِي المفاز حائرًا فِي القفار.

٤٢. ومِنْ تكذيبهم قولهم فِي الكتاب الذي يسمونه "التَّوْرَاة": أَنَّ الله تَعَالَى قَالَ لهم: سترثون الأرض المُقَدَّسَةَ وتسكنونها فِي الأبد،ونحنُ نقول: معاذ الله أن يَقُولَ الله تَعَالَى الكذب ،وَقَدْ ظهر كذبُ هَذَا الوعد،فمَا سكنوه فِي الأبد وَمَا عمروه إلا مُدَّة يسيرة مِنْ آباد الأبد،ثُمَّ أخلوه وأخرجوا عَنْهُ ووَرَّثَهُ اللهُ أمة محمد ﷺ.

٤٣. ومِنْ عجائبهم قولهم فيه: إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لموسى: إِذَا أراد بنو إسرائيل الخروج عن مصر أن يأخذ أهلُ كلِّ بيت مِنْ بين إسرائيل خُروقًا أو جديًا ويذبحونهَا مَعَ الليل ويأخذون مِنْ دمائهَا ويمسّون بِهَا أبوابهم وعتب بيوتهم،ثُمَّ قال: قلتُ سأمسح بأرض مصر هَذِهِ الليلة ،وأهلك كل بكر وُلِدَ بأرض مصر مِنْ أبكار الآدميين وبكور نتاج المواشي،وأحكم فِي مصر أنَا السيد وعند ذلك يَكُونُ الدماء. الدم لكم فِي البيوت التِي تكونون فِيهَا،فَإِذَا نظرت إِلَى ذلك تجاوزكم لا يصل إليكم ضرّ. ثُمَّ قَالَ بعد أسطار حاكيا عن مُوسَى أَنَّهُ قَالَ لبني إسرائيل : اذهبوا وليذبح أهل كل بيت منكم الضأن،وعيِّدُوا واصبغوا فِي دمائهَا رانا،ورشوا بِهِ أبوابكم وأعتابكم وَلا يخرج أحدٌ عن باب بيته إِلَى الصبح. فإِنَّ السيد سيمسخ ويهلك المصريين،فَإِذَا نظر إِلَى الدم عَلَى العتب وَفِي الأبواب لَمْ يجاوز الباب،وَلا يأذن للقاتل بالدخول إِلَى بيوتكم وَقتلكم.

٤٤. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: فيَكُونُ أسخف مِنْ عقول مَنْ ينسبون إِلَى الله تَعَالَى مثل هَذَا الكلام الفاسد ؟ أو ترى الله عزَّ وجلَّ لا يَعْرِفُ أبوابهم حتى يجعل عَلَيْهَا علامات ؟! إِنَّ هَذَا لعجب. لَوْ عقل هَذَا المجنون لشغله هَذَا السخام الذي فِي دينه الذي يباهي به،عن التعرض للحقائق يروم إبطالها،فكَانَ كَمَا قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (١).

٤٥. ومِنْ عجائبهم أَنَّهُم يلتزمون أكلَ الفطير فِي مرور الوقت المذكور فِي كل عام وَلا يلتزمون أكل الخروف،عَلَى مَا ذكرنا،وهم يقرون فِي كتابهم أَنَّهُم مأمورون بذلك كله،فإن قَالُوا: إِنَّمَا أمرنا

---

١ - سُورَة الصف، آية ٨ .

بذلك مَا دمنَا فِي أرض القُدْسِ،قيلَ لهم: اتركوا أَيْضًا استعمال أكل الفطير حتى تكونوا فِي أرض القُدْسِ فلا فرق فِي كتابكم بين الأمر بالفطير والخروف.

٤٦. ومِنْ عجائبهم فِي الكتاب المسمّى عندهم "التَّوْرَاة" أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السلام مجّد الله تَعَالَى يوم أغرق فرعون فَقَالَ فِي تمجيده: ذلك قولي ومديحي للسيد الذي صار لي مسلما،هَذَا إلهي أمجده وإله آبائي أعظمه،السيدُ قاتَلَ كالرجل القادر،أفيسوغ لذي عقل أن ينسب إِلَى نبي الله تَعَالَى أَنَّهُ شبه قوة ربه عَزَّ وَجَلَّ بقوة الرجل القادر ؟ وهل فِي الافتراء أعظم مِنْ هَذَا لَوْ عقلوا ؟

٤٧. ومِنْ عجائبهم قولهم فِي السفر الثاني مِنْ كتابهم : ثم صعد مُوسَى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون رجلاً وَمَنْ المشايخ،ونظروا إِلَى إله إسرائيل وتحت رجله كلبه زمرد فيروزي. وَفِي بعض الفصول أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السلام قال،أو يعقوب: رأيت الله مواجهةً وسلمتُ نفسي،مَعَ قولهم إِنَّ الله تَعَالَى قَالَ لمُوسَى عَلَيْهِ السلام: مَنْ رأى وجهي مِنَ الآدميين مات،ولست تَقْدِرُ تراني،لكن سترى مؤخري. فهل فِي التناقض أعظم مِنْ هذا: مرةً يَقُولُ مَنْ رأى وجهي مات،ومرة يَقُولُ رأيته مواجهةً وسلمتُ نفسي، وكل مَا ذكرنَا ففي كتابهم الذي يسمونه "توراة" لا فِي نقل ضعيف وَلا غَيْرِهِ.

٤٨. ومِنْ عجائبهم قولهم فِي السفر الثاني إِنَّ هارون أخا مُوسَى بإقرارهم قال: لبني إسرائيل فِي مغيب موسى: اقلعوا أقراط الذهب عن آذان نسائكم ومواليكم وأولادكم وبناتكم،ايتوني بها،ففعلت العامة مَا أمر بِهِ وأتوا بالأقراط إِلَى هارون،فَلَمَّا أُقْبضهَا أفرغهَا وجعل لهم مِنْهَا عجلا،فَلَمَّا بصر بِهِ هارون بنى مذبحًا بين يديه وصرخ مسمعا: غدا عيد السيد،ثُمَّ ذكر بعد فصول بِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السلام وجد بني إسرائيل عراةً بين يدي العجل يتغنون ويرقصون،وَكَانَ عرَّاهم هارون بجهالة قلبه.

٤٩. هَذِهِ نصوص كتابهم،أفيسوغ فِي عقل مَنْ لَهُ أدنى مسكة أن يَكُونَ نبيّ يعمل عجلاً للعبادة مِنْ دون الله تَعَالَى ويأمر قومه يعبدوا له،ويرقص هو وهم تعظيمًا للعجل عَلَى أنه إلاههم الذي مِنْ مصر ؟ وَإِذَا جاز أن يَكُونَ عجلاً وثنًا ويعبدوه،جاز لنبيّ آخر أن يزني،فكَيْفَ يصدق فِي شيء مِنْ كلامه ،ومَا الذي جعل سائر كلامه أولى بالقبول مِنْ كلامه وأمره فِي العجل ؟ وَمَا الذي جعل سائر عمله أصح مِنْ زناه وفتحه بيوت الأوثان وتقريب القرابين لَهَا ؟ ولعل سائر مَا أمر بِهِ وَمَا عمل مفتعل كل ذلك مِنْ جنس عمل العجل والزنا. والذي لا شَكَّ فِيهِ عندي أَنَّ مَنْ بدَّلَ توراتهم وأدخل فِيهَا مثل هذا،إِنَّمَا قصد إِلَى إبطال النبوة جملة،وبالله تَعَالَى التوفيق.

٥٠. ومِنْ عجائبهم قولهم فِي السفر الرابع: إِنَّ بني إسرائيل إذ طلبوا أكل اللحم وضجوا مِنْ أكل المنِّ،أَنَّ الله تَعَالَى قَالَ لموسى: تقدسوا غدًا تأكلون اللحمان،فأنَا أسمعكم قائلين مَنْ ذَا الذي يعطينا،قَدْ كنَا بخير. يعطيكم السيد اللحمان فتأكلون.

٥١. ليسَ يومًا واحدًا وَلا اثنين وَلا خمسة وَلا عشرة إلا حتى تكمل أيام الشهر،حتى يخرج عَلَى مناخركم وتصيبكم التخم. فَقَالَ لَهُ موسى: هَؤُلاءِ هم ستمِائَةِ ألف رجل وأنت تقول: أنَا أعطيكم اللحوم طعمًا شهرا،أترى تكثر ذبائح الغنم والبقر فيقتاتون بها،أو تجمع حيتانِ البحر معًا لتشبعهم ؟ فَقَالَ السيد: مَا ذَا يهم السيد ؟ أترى السيد عاجزًا ؟ فالآن ترى إن تمَّ قوله. ثُمَّ ذكروا أَنَّ الله تَعَالَى أنزل السماني حول العسكر فأكلوا حتى تخموا ومات كثير مِنْهُمْ بالتخمة،فسمي ذلك الموضع قبور الشهوات .

٥٢. وبعد هَذَا الفصل أَيْضًا فِي السفر الرابع مَا ذكره مِنْ قول الله تَعَالَى لمُوسَى عَلَيْهِ السلام إذ ضجَّ بنو إسرائيل مِنْ دخول الأرض المُقَدَّسَةِ،قَالُوا: فَقَالَ السيد لمُوسَى ابن عمران : "حتى متى تتناولني هَذِهِ الأمة التِي لا يؤمنون بي عَلَى مَا آتيتهم مِنَ العجائب التِي فعلت أمامهم،سأضربهم بالوباء حتى أمسخهم،وأجعلك مقدَّمًا عَلَى أمةٍ عظيمة أشدَّ قوة مِنْ هَذِهِ"،وأَنَّ مُوسَى لَمْ يزلْ يرغبُ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ حتى قال: قَدْ غفرتُ لك كَمَا سألتني،ففي هَذَا الفصل مِنْ إطلاق الكذب فِي الحلف عَلَى الله الله عَزَّ وَجَلَّ مَا لا يجوز أن ينسب مثله إِلَيْهِ تَعَالَى.

٥٣. وَقَدْ ذكرنَا فِي كتابه الموسوم "الفِصَل فِي المِلَلِ وَالأَهْوَاءِ وَالنِّحَلِ" الفصل الذي فِي توراتهم فِي ذكر أنسابهم،وبيَّنَا عظيم الكذب فيه: وهو أَنَّهُم ذكروا أَنَّ سبعة نفر مِنْ بين إسرائيل مِنْ وَلَدِ قاهت بن لاوي نسلوا ثمانية آلاف قبل موتهم فِي التيه ،وأولئك السبعة أحياء قائمون ،وهم حِينَئذ أكثر مَا كَانُوا،وَقَدْ قَالَ بعضهم: إِنَّ هَذَا مِنَ المعجزات،فأجبناه بِأَنَّ المعجزات إِنَّمَا تكون للأنبياء عليهم السلام،وأَمَّا لكُفَّارٍ عاصين فلا. هَذَا سوى مَا فِي توراتهم مِنْ شرائعهم التِي يلتزمونهَا الآن كالقرابين،وكمَنْ مسَّ نجسًا فإِنَّهُ ينجس إِلَى الليل،ومَنْ حضر عَلَى مقبرة ينجس إِلَى الليل حتى يغتسل كله بالماء. وأَمَّا الصلوات التِي يصلونهَا الآن فمِنْ وضع أحبارهم،فيكفيهم أَنَّهُم عَلَى غَيْرِ شريعة مُوسَى عَلَيْهِ السلام وَلا عَلَى شريعة نبيّ مِنَ الأنبياء.

٥٤. ومِنْ طرائقهم قولهم فِي كتاب لهم: يُعرَفُ (بشعر توما) أَنَّ تكسير مَا بين جبهة خالقهم إِلَى أنفه كَذَا وكَذَا ذراعًا .وقَالُوا فِي كتاب لهم مِنَ "التَّلْمُود" – وهو فقههم – يسمى "سادر ناشيم" ومعناه حيض النساء: أَنَّ فِي رأس خالقهم تاجًا مِنْ كَذَا وكَذَا قنطارًا مِنَ الذهب،وإِنَّ صديقون المَلَك هو يُجْلسُ التاجَ عَلَى رأس خالقهم،وإِنَّ فِي إصبع خالقهم خاتمًا تضيء مِنْ فصّه الشمس والكَوَاكِبِ.

٥٥.ومِنْ طوامّهم قولهم عن رجل مِنْ أحبارهم الذين يريدون،إِنَّ مَنْ شَتَمَ أَحَدًا مِنْهُمْ يُقْتَل،ومَنْ شَتَمَ أحد الأنبياء لا يُقْتَل،فذُكِرَ عن لعينٍ مِنْهُمْ يدعونه إسماعيل أَنَّهُ قَالَ لهم ،وكلامه عندهم والوحي سيّان،فقال: كنتُ أمشي ذات يوم فِي خراب بيت المَقْدِسِ،فوجدتُ الله تَعَالَى فِي تِلْكَ الخرب يبكي ويئن كَمَا تئنُّ الحمامة ،وهو يَقُولُ: ويلي هدمتُ بيتي،ويلي عَلَى مَا فرقت مِنْ بنيّ

وبناتي،قامتي منكسة حتى أبني بيتي وأردَّ بناتي وبنيَّ،قَالَ هَذَا الكلب لعنه الله: ثم قبض اللهُ عَلَى ثيابي وَقَالَ لي: لا أتركك حتى تبارك عليَّ فباركتُ عَلَيْهِ وتركني.

٥٦ .قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: أَشْهدُ اللهَ تَعَالَى خالقي وباعثي بعد الموت والملائكة والأنبياء والمرسلين والناسَ أجمعين والجنَّ والشياطين أنِّي كافرٌ بربٍّ يَكُونُ بين الخرب ويطلبُ البركة مِنْ كلب مِنْ كلاب اليهود. فلعن الله تَعَالَى عقولاً جاز فِيهَا مثل هذا.

٥٧. ومِنْ عجائبهم قولهم فِي السفر الخامس مِنْ توراتهم أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السلام قَالَ لهم: إِنَّ الله تبارك وتَعَالَى يَقُولُ لكم: إني لَمْ أدخلكم البلاد لصلاحكم وَلا لقوام قلوبكم،ولكن لكفر مَنْ كَانَ فِيهَا. ثُمَّ يَقُولُونَ فِي عيدهم الذي يَكُونُ فِي عشر تخلو مِنْ أكتوبر،وهو تشرين الأول،ساخطين عَلَى الله تَعَالَى غِضَابًا عَلَيْهِ تَعَالَى إِذْ قَصَّرَ بهم وَلَمْ يؤدهم حقهم الذي يجب لهم عَلَيْهِ – فيَقُولُون لعنهم الله: إِنَّ الميططرون– ومعناه الرب الصَّغِيرُ،تحقيرًا لربهم تَعَالَى وتهاونًا بِهِ – يقوم هَذَا اليوم قائمًا وينتف شعره ويَقُولُ: ويلي إذ أخربتُ بيتي وأيتمْتُ بنيَّ،قامتي منكسة لا أرفعهَا حتى أبني بيتي. فهم كَمَا ترى يلعنون ربهم ويصغرونه وَيَقُولُونَ ذلك بأعلى أصواتهم فِي أكبر أعيادهم وأعظم مجامعهم. فكَيْفَ يجتمع هَذَا الحمق العظيم الذي يحبونه لأنفسهم،لعنهم الله،ويرونه واجبا عَلَى خالقهم،مَعَ مَا ذكرنَا آنفًا مِنْ قوله فِي توراتهم: "لَمْ أدخلكم البلاد لصلاحكم وَلا لقوام قلوبكم" ؟ فهل التناقض والفساد والتبديل الظاهر إلا هَذَا كله لَوْ عقلوا ؟

٥٨. وَفِي السفر الخامس أَيْضًا أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السلام قَالَ لهم: إِنَّ السيد إلاهكم الذي هو نارٌ آكلة. وَفِي موضع آخر مِنْ كتبهم أَنَّ الله تَعَالَى هو الحمّى المحرقة،وَفِي الذي يسمونه "الزبور": احذر ربك الذي قوته كقوة الجريش. فهَذَا وشبهه هو الحمق والتناقض وتوليد زنديق سخَّر مِنْهُمْ وأفسد دينهم. وهم يحققون عَلَى سليمان عَلَيْهِ السلام أَنَّهُ بنى بيوتَ الأوثانِ لنسائه وقرَّبَ لَهَا القرابين،وهو عندهم نبيّ. وَقَدْ مضى الكلام فِي بطلان كل كلام وعمل يظهر مِمَّنْ هَذِهِ صفته،وأَنَّهُ ليس مأمونًا وَلا صادقًا،لعنهم الله فإنهم كذبوا عَلَى أنبياء الله وافتروا.

٥٩. ويقرأون فِي السفر الرابع مِنْ توراتهم أَنَّ الله تَعَالَى أمرهم أن يضربوا القرن ضربًا خفيفًا،حتى إِذَا لقوا العدوَّ فليضربُوا القرن بشدة ليسمعه فيبصرهم،وَفِي هَذَا مِنَ السخف والكفر غَيْرُ قليل،ولكن حق لمَنْ غضب الله عَلَيْهِ وتبرّأ مِنْهُ وألحقه لعنته وألحفه سخطه أن يَكُونَ مقدار علمهم وعقولهم التصديق لكل مَا أوردنا،والحمد لله رب العالمين عَلَى مننه علينَا بالإسْلامِ، ومحمد ﷺ.

٦٠. وهم معترفون بأَنَّ التَّوْرَاة طول أيامهم فِي دولتهم لَمْ تكن عِنْدَ أحد إلا عِنْدَ الكاهن وحده،وبقوا عَلَى ذلك نحو ألف ومائتي عام،وَمَا كَانَ هَكَذَا لا يتداوله إلا واحدٌ فواحد فيمضون عَلَيْهِ التبديل والتغيير والتحريف والزيادة والنقص،لاسيمَا وأكثر ملوكهم وجميع عامتهم فِي أكثر الأزمان كَانُوا يعبدُونَ الأوثان ويبرءون مِنْ دينهم ويقتلون الأنبياء،فقَدْ وجب باليقين هلاك التَّوْرَاة

الصحيحة وتبديلهَا مَعَ هَذِهِ الأحوال بلا شك. وهم مقرون بأن يهوآحاز بن يوسيا الملك الداوودي المالك لجميع بني إسرائيل بعد انقطاع ملوك سائر الأسباط،بَشَرَ مِنَ التَّوْرَاة أسماءَ الله تَعَالَى وألحق فِيهَا أسماء الأوثان. وهم مقرون أَيْضًا أَنَّ أخاه الوالي بعده وهو الباقيم بن يوشيا أحرق التَّوْرَاة بالجملة وقطع أثرها،وهو فِي حال ملكه قبل غلبة بختنصر عليهم. وهم مقرّون بِأَنَّ عزرا الذي كتبهَا لهم مِنْ حفظة بعد انقطاع أثرها. إِنَّمَا كَانَ ورّاقًا وَلَمْ يكن نبيًّا،إلا أَنَّ طائفة مِنْهُمْ قَالَتْ فِيهِ إِنَّهُ ابن الله،قَدْ بادت هَذِهِ الطائفة وانقطعت. فأيُّ داخلة أعظمُ مِنْ هَذِهِ الدواخل التِي دخلت عَلَى توراتهم ؟ وأَمَّا القُرْآنُ،فإِنَّهُ لا يختلف مليٌّ وَلا ذِمّيٌّ أَنَّهُ لَمْ يزل مِنْ حِينَ نزوله إِلَى يومنَا هَذَا مثبوتًا عِنْدَ الأحمر والأسود لَمْ ينفرد بِهِ أحدٌ دُونَ أحد. بَلْ أُبيحَ نسخُهُ لكلِّ مَنْ مضى وجاءَ،فنقله نقل كوافّ لايحصرهَا عدد،كنقل أَنَّ فِي الدنيا بلدًا يُقَالُ لَهُ الهِنْدُ،وسائرُ مَا لا يجوز للشك فِيهِ مساغ وَلا مدخل،والحمد لله كَثِيرًا،وصلى الله عَلَى سيدنَا محمد وسلم تسليما.

٦١. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: إِنَّ أملي لقويٌّ وإِنَّ رجائي مستحكم فِي أن يَكُونَ الله تَعَالَى يسلطُ عَلَى مَنْ قرَّبَ اليهود وأدناهم وجعلهم بطانة وخاصة،مَا سَلَّطَ عَلَى اليهود،وهو يسمعُ كلام الله تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [١] وقوله تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ) [٢]،وقوله تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ) [٣]، وقوله تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [٤]،وقوله تَعَالَى (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ) [٥]،وقوله تَعَالَى(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ) [٦].

فمَنْ سمع هَذَا كله،ثُمَّ أدناهم وخالطهم بنفسه مِنْ ملوك الإِسْلامِ فإِنَّهُ إن شاء الله تَعَالَى قمينٌ أن يُحيقَ الله عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مَا أحاق بهم مِنَ الذلة والمسكنة والهوان والصغار والخزي فِي الدنيا سوى العذاب المؤلم فِي الآخرة.

٦٢. وإِنَّ مَنْ فعل ذلك لحريٌّ أن يشاركهم فيمَا أوعد الله تَعَالَى فِي توراتهم فِي السفر الخامس إذ يَقُولُ لهم تَعَالَى: ستأتيكم وسيأتي عليكم هَذِهِ اللعنة التِي أصف لكم فتكونون ملعونين فِي مدائنكم

---

[١] - سُورَة المَائِدَةِ، آيَة ٥١ .

[٢] - سُورَة آل عِمْرَانَ، آيَة ١١٨ .

[٣] - سُورَة المُمْتَحَنَةِ، آيَة ١

[٤] - سُورَة المَائِدَةِ، آيَة ٥٧ .

[٥] - سُورَة البَقَرَةِ، آيَة ٦١ .

[٦] - سُورَة المَائِدَةِ، آيَة ٨٢ .

وفدادينكم وتلعن أجدادكم وبقاياكم ويَكُونُ نسلكم ملعونًا. وتكون اللعنة عَلَى الداخل منكم والخارج،فيبعث اللهُ عليكم الجوعَ والحاجةَ والنَّصَبَ فِي كُلِّ مَا عملتهُ أيديكم حتى يهلككم ويقلّ عددكم لتخليكم منه. ثم يلقي الوباء عَلَى بقيَّتكم ليقطَعَ آثاركم مِنَ الأرض التِي أورثكموهَا ويبعثُ الربُّ عليكم الجدبَ ويهلككم بالسَّمومِ والثلوجِ،ويحيلَ آثارَكم ويطلبكم حتى يندرَكم ويجعل سماءَهُ فوقكم نُحاسًا وأرْضَكُم التِي تسكنوهَا حَدِيدًا،فتمطر عليكم الغبار مِنَ السماء،وينزل عليكم الدماء حتى تهلكوا عن آخركم ويُظفرَ الربُّ بكم أعْداءَكُم فتدخُلون إليهم عَلَى طريق واحدة وتنهزمون عَلَى سبعة،ويفرقكم فِي آخر أجناس الأمم ،فتكون جيفكم طعم السباع وطيور السماء وَلا يَكُونُ لهم عنكم دافع،ويبتليَكم الربُّ بمَا ابتلى بِهِ المصريون فِي أدبارهم مِنَ الحكة والأكال الذي لا دواء له،ويبتليَكم الربُّ بالبَلِيَّةِ والغَمِّ حتى تماسكوا بالحيطان القليلة كَتماسُكِ العميان،وَلا تقوموا عَلَى إقامة سبلكم فتكونوا فِي هضيمةٍ طولَ دهرٍ وَفِي سخرةٍ لا يَكُونُ لكم منفذ. ويتزوجُ أحدُكم امرأةً فتخالفه إِلَى غَيْرِهِ،ويبني أحدُكم بيتًا ويسكنُهُ غَيْرُهُ؛ ويغْتَرِسُ كرمًا ويقطفه غَيْرُهُ،ويذبحُ بين قدمي أحدكم ثورة وَلا يطعم مِنْهُ ،وينزعُ مِنْ أحدكم حماره معاينةً وَلا يردُّ إليه،وتعطى مواشيكم الأباعدَ ،ولا تجدُونَ ناصرًا عَلَى ردِّهَا وَتَغْلِبُ عَلَى أولادِكُم وبناتِكُم ،ولا يَكُونُ فيكم قوة للدفعِ عَنْهُمْ، وتأكلُ حُبُوبَكُم أجْناسٌ تجهلونهَا وفواكهَ أرضكم،وتكونون مَعَ ذلك فِي هضيمة أبدًا وَفِي جزعٍ مِنْهُمْ،فيبتليَكُم الربُّ بأجناسِ الأمراضِ وأضرِّهَا التِي لا دواءَ لا مِنْ أقدامِكُم إِلَى رؤوسِكُم،ويذهب بالملك الذي تقدمونه عَلَى أنفسكم إِلَى قومٍ لَمْ تَعْرِفُوهُمْ وَلا آباؤكم،لتجدوا عندهم أصنامهم المصنوعة مِنَ الخشب والرخام،وتكونون مَثَلاً لِمَنْ سمع بكم مِنْ جميع الأجناس التِي أندركم فِيهَا،فتزرعون كَثِيرًا وترفعون قليلا،لأنَّ الجرادَ يأتي عليه،وتعمرون كرومكم وتحفرونهَا وَلا تقطفون مِنْهَا شَيْئًا،لأنَّ الدود يأتي عَلَيْهَا،ويكثر زيتونكم وَلا تدَّهنون لأنهَا لا تعقد. وَيُولَدُ لَكُمْ الأَوْلادُ وَالبَنَاتُ وَلا تنتفعون بهم لأنهم يساقون فِي السبي ،ويأتي عَلَى جميع فواكه بلدكم القحوط والجدب فلا تنتفعون بِهَا ،وَمَنْ كَانَ بين ظهرانيكم مِنْ أهل القرى يلعنونكم وَلا يشفقون عليكم،فتتواضعون ويَكُونُ الأرذال يشتمونكم وتكونون لهم ساقة فيأتي عليكم جميع هَذِهِ اللعنات وتتبعكم حتى تَخْزَوْا،إذ لَمْ تسمَعُوا للربِّ إلاهكم،وَلَمْ تحفظوا رسالاته التِي عوهدت إليكم،وتكون فيكم العجائب والمسوخ فِي ذريتكم فِي الأبد،إذ لَمْ تقفوا عِنْدَ أمر الرب إلاهكم بطيب أنفسكم،فتخدمون أعداءكم الذين يبعث الرب عليكم فِي الجوع والعطش والعري والحاجة،وتحملون عَلَى رقابكم أغلالَ الحديد وتجرُّونها،ويأتي الربُّ عليكم بجيش مِنْ مكان بعيد فِي سرعة العقبان مِنَ الذين لا يكرمون شيخًا وَلا يرحمون صَغِيرًا،فيأكلون نتاجكم وَمَا أنبتتْ أرضكم،وَلا يدعون لكم سمنًا وَلا خمرًا وَلا زبيبًا وَلا ثورًا وَلا شاةً حتى يأتوا عليكم ويخرجوكم مِنْ جميع مدائنكم التِي يرثكم الرب إلاهكم وتضيق عليكم حتى تأكلوا وسخ أجوافكم ولحوم أولادكم وبناتكم الذين يُولَدُونَ لَكُمْ فِي زمان حصاركم،فَمَنْ كَانَ منكم مترفًا أو متملكًا يمنع أخاه

وامرأته لحوم بنيه شحًّا عَلَيْهَا إذ لا يجد مَا يقتاتُ بِهِ سواهُ مِنْ شدَّةِ الحصار مِنْ أعدائكم لكم. وَمَنْ كَانَتْ فيكم رَخْصَةَ الْبَنَان التِي لا تقوى عَلَى المشْي مِنْ رخوصتهَا تَحْسِدُ زَوْجَهَا عَلَى أكل لحوم أولادها،والسّلى الذي يخرج مِنْ فرجها،إذ لا تجد مَطْعَمًا سِوَاهُ.

٦٣. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: هَذِهِ بشارة مِنَ الله تَعَالَى لهم ومنحته التِي خصّهُم بِهَا بِإِقْرَارِهِم ألسنتهم،وَفِي كتابهم الذي يقرأونه،فليتق الله تَعَالَى امرؤ آتاهُ اللهُ تَعَالَى نعمة مِنْ نعمه،ومنحه عِزَّةً،وليَجْتَنِبْ هَؤُلاءِ الأنجاسِ الأنتانِ الأقْذارِ الذينَ أحاقَ اللهُ تَعَالَى بهم مِنَ الغضب واللعنةِ والذلّةِ والقلّةِ والمهانة والسّخط والخساسة والوسخ مَا لَمْ يحُقْ بِأُمَّةٍ مِنَ الأمم قط. وليعلم أَنَّ هَذِهِ الكُسَى التِي كساهم الله تَعَالَى إياهَا أعدى مِنَ الجَرَبِ،وأسرعُ تعَلُّقًا مِنَ الجذام،وبالله تَعَالَى نعوذ مِنَ الخذلان ،ومِنْ معارضة الله تَعَالَى فِي حكمه بإرادة إعزاز مَنْ أذَلَّهُ الله تَعَالَى،ورفعَةِ مَنْ حَطَّهُ الله،وإكرامِ مَنْ أهانَهُ الله،وحسبنَا الله ونعم الوكيل

٦٤. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: قَدْ أوردنَا فِي هَذَا الكتاب مِنْ شُنَعِهِم أشياءَ تقشَعِرُّ مِنْهَا الجلودُ،ولولا أَنَّ الله تَعَالَى نصَّ علينَا مِنْ كفرهم مَا نَصَّ كقوله تَعَالَى عَنْهُمْ: إنَّهُم قَالُوا: عزير ابن الله،ويد الله مغلولة،وأَنَّ الله فقيرٌ ونحنُ أغنياء،لَمَا استجزنَا ذكر مَا يَقُولُونَ لشنعته وفظاعته. ولكننَا اقتدينَا بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ فِي بيان كفرهم،والتحذير مِنْهُمْ،والحمد لله رب العالمين.

الفَهَارِس

أَوّلاً :- فِهْرِس الآياتِ
ثانيًا :- فِهْرِس الأَعْلامِ
ثَالِثًا :- فِهْرِس الشُّعُوبِ وَالقَبَائِلِ وَالجَمَاعَاتِ وَالمِهَنِ
رَابِعًا :- فِهْرِس البِقَاعِ وَالبُلْدَانِ وَالأَمَاكِنِ
خَامِسًا :- فِهْرِس القَوَافِي
سَادِسًا :- فِهْرِس المُوَشَّحَات وَالأَزْجَال
سَابِعًا :- فِهْرِس الكُتُبِ

فِهْرِس الآياتِ

الآيَةُ الوَارِدَةُ فِي البَحثِ	السُّورَة		الصفحة
(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ)	سُورَة البَقَرَةِ، آيَة ٦١	ص	١١٠
(وَالذِينَ هَادُوا)	سُورَة البَقَرَةِ، آيَة ٦٢	ص	١
(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً)	سُورَة البَقَرَةِ، آيَة ٦٥	ص	١٤٨
(وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا .....)	سُورَة البَقَرَةِ، آيَة ٧٢- ٧٣	ص	١٥٢، ٢٧٧
(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا)	سُورَة البَقَرَةِ، ٢٤٧	ص	٢٧٦
(فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ)	سُورَة البَقَرَةِ، آيَة ٢٤٩	ص	٧١
(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ .....)	سُورَة البَقَرَةِ، آيَة ٢٧٥	ص	٢٣٩
(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ)	سُورَة آل عِمْرَانَ، آيَة ٨٥	ص	٣٧
(وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)	سُورَة آل عِمْرَانَ، آيَة ١٥٩	ص	٢٤٣
(وإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدَ الله .....)	سُورَة النِّسَاءِ، آيَة ٧٨	ص	٢٤٠
(مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ)	سُورَة النِّسَاءِ، آيَة ٧٩	ص	٢٤٠
(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ .....)	سُورَة النِّسَاءِ، آيَة ١٥٧	ص	٢٧٧
(وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً)	سُورَة النِّسَاءِ، آيَة ١٦٤	ص	٢١٢
(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ .....)	سُورَة المَائِدَةِ، آيَة ٢٠	ص	٢٧٦
(فَإِن جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ)	سُورَة المَائِدَةِ، آيَة ٤٢	ص	٩٤
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى .....)	سُورَة المَائِدَةِ، آيَة ٥١	ص	٢٦
(اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)	سُورَة الأَنْعَام، آيَة ١٢٤	ص	٢٢٧
(فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا)	سُورَة الأَعْرَافِ، آيَة ٤٣	ص	١١٧
(عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ)	سُورَة الأَعْرَافِ، آيَة ١٤٨	ص	١٤٢

فِهْرس الآياتِ

الآيَةُ الوَارِدَةُ فِي البَحثِ	السُّورَة	الصفحة
(وَاخْتَار مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا)	سُورَة الأَعْرَافِ، آيَة ١٥٥	ص ١١٧
(إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ)	سُورَة الأَعْرَافِ، آيَة ١٥٦	ص ١
(وَسْئَلْهُمْ عَنْ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ .....)	سُورَة الأَعْرَافِ، آيَة ١٦٣	ص ٧١
(إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ)	سُورَة الأَعْرَافِ، آيَة ١٦٣	ص ٧٢
(إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)	سُورَة الأَعْرَافِ، آيَة ١٨٨	ص ٢٩٥
(حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)	سُورَة التَّوْبَةِ، آيَة ٢٩	ص ٤٧، ٧٧
(عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ)	سُورَة الفَتْحِ، آيَة ٦	ص ١٤٢
(يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا)	سُورَة هُودٍ، آيَة ٤٢	ص ٧١
(سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء)	سُورَة هُودٍ، آيَة ٤٣	ص ٧١
(إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ)	سُورَة يُوسُف، آيَة ٣١	ص ٢٩٦
(إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ)	سُورَة إِبْرَاهِيمَ، آيَة ١١	ص ٢٩٦
(وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)	سُورَة إِبْرَاهِيمَ، آيَة ٤٦	ص ٢٩٦
:(وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا)	سُورَة النَّحْلِ، آيَة ٨٠	ص ٢٤٠
(سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ)	سُورَة الإِسْرَاءِ، آيَة ١	ص ٢١٢
(وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً)	سُورَة الإِسْرَاءِ، آيَة ٥٥	ص ١٩٥
(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ)	سُورَة الكَهْفِ، آيَة ٦٠	ص ١٨٣
(وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ)	سُورَة مَرْيَمَ، آيَة ٥٢	ص ١٨٣
(إِن كُنَّا فَاعِلِينَ)	سُورَة الأَنْبِياءِ، آيَة ١٧	ص ٢٩٦
(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزبور مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ)	سُورَة الأَنْبِياءِ، آيَة ١٠٥	ص ١٩٥
(فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى)	سُورَة القَصَصِ، آيَة ٣٨	ص ٧١
(وَٱلْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَافِظَاتِ)	سُورَة الأَحْزَابِ، آيَة ٣٥	ص ١٤٠

فِهْرس الآياتِ

الآيَةُ الوَارِدَةُ فِي البَحثِ	السُّورَة	الصفحة
(وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ .....)	سُورَة الأحْزَابِ، آيَة ١٠	ص ٢٤٠
(فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ)	سُورَة الصَّافَّاتِ، آيَة ١٤١	ص ٢٤٠
(قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ)	سُورَة الزُّخْرُفِ، آيَة ٨١	ص ٢٩٦
(عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ)	سُورَة الفَتْحِ، آيَة ٦	ص ١٤٢
(فَتَعَاطَى فَعَقَرَ)	سُورَة القَمَرِ، آيَة ٢٩	ص ٧١
(يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ)	سُورَة الرَّحْمَنِ، آيَة ٤٤	ص ٢١٩
(هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)	سُورَة الرَّحْمَنِ، آيَة ٦٠	ص ٢١٩
(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ)	سُورَة الحَشْرِ، آيَة ١٦	ص ٢٦٦
(ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً)	سُورَة المُلْكِ، آيَة ٣	ص ٢١٢
(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)	سُورَة القَلَمِ، آيَة ٤	ص ٢١٢
(أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً)	سُورَة نُوحٍ، آيَة ١٥	ص ٢١٢
(لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ)	سُورَة المُدَّثِرِ، آيَة ٢٨	ص ١٤٢
(أَأَنْتُم أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا)	سُورَة النَّازِعَاتِ، آيَة ٢٧ ـ ٢٨	ص ٢١٢
وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ.عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ)	سُورَة المُطَفِّفِينَ، آيَة ٢٧ ـ ٢٨	ص ٢١٢
(فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا)	سُورَة الشَّمْسِ، آيَة ١٤	ص ٧١
(مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ)	سُورَة الضُّحَى، آيَة ٣ ـ ٥	ص ٢١٢
(لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ. إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ)	سُورَة قُرَيْشٍ، آيَة ١ـ٢	ص ٢٤٠
(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) ، (وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ)	سُورَة الفَلَقِ، آية١ ، ٤	ص ٢٤٠
(وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ)	سُورَة الفَلَقِ، آيَة ٤	ص ٢٤٠

فِهْرِس الأَعْلامِ

أ

آدمُ عليْهِ السَّلامُ، ٢، ٧١، ٢٧٤
آدمُ مِيتْز، ٨٠
ابنُ الأبَّارِ القُضَاعِيُّ، ٢٥، ٤٧، ٥١، ٧١، ١٤٠، ١٥٢، ١٩٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢٢٢، ٢٦٣،
أبْرَاهَامُ سِنيوُر اليَهُودِيُّ، ٨١
أبْرَاهَامُ بنُ صَمُويل بنُ ليفي ابنُ حَسْدَايَ اليَهُودِيُّ، ٩٩، ١٠٢
أبْرَاهامُ بنُ عِزْرَا اليَهُودِيُّ، ٩٦، ١٠١، ١٠٤-١٠٧
إبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلامُ، ٢، ٤، ١٩٤، ٢٦٧، ٢٩٩
إبْرَاهِيمُ ابنُ إدْرِيسَ، انظر: المُوَبّل
أَبُو إبْرَاهِيم الإسْرَائيليّ أو اليَهُودِيّ، انْظُرْ: إسْمَاعيلُ ابنُ نَغْرِيلَّة
إبْرَاهِيمُ بوتشيش، ٨، ٢١، ٢٣، ٨٢، ٨٤
إبْرَاهِيمُ ابنُ تِيْفَلُويت، ٢٣٢
إبْرَاهِيمُ بنُ حَيَّا اليَهُودِيُّ، ١٠٧
إبْرَاهِيمُ بنُ دَاوُود الطُّلَيْطِلِيّ اليَهُودِيُّ، ١٠٦
إبْرَاهِيمُ بنُ زَرُّور أو زَرْزَر أو زَرْزار اليَهُودِيُّ، ٣٣، ١٠٣، ١٠٤
إبْراهيم ابنُ سَهْلٍ الأندلسي، انْظُرْ: ابن سهل
إبْرَاهِيمُ الطُّرْطُوشِيّ ،انظر: الطُّرْطُوشِيّ، إبْرَاهِيمُ (الرَّحَّالَة اليَهُودِيُّ)
إبْرَاهِيمُ الغَافِقِيُّ، انظُر:الغَافِقِيُّ، إبْرَاهِيمُ الغَافِقِيُّ أَبُو إسْحَاقَ
بْرَاهِيمُ بنُ أبي الفتح الأصلع، ٢٧٤
إبْرَاهِيمُ بنُ الفَخَّار اليَهُودِيُّ، ٣٢، ١١٨، ٢٢٧
ابنُ إبْرَاهِيمِ المَلِيكْشِيّ، ١٦١
إبْرَاهِيمُ المُوصِلِيُّ، ١٥٦
أَبو إبْرَاهِيمِ، ابنُ نَغْرِيلَّة، انْظُرْ: إسْمَاعيلُ ابنُ نَغْرِيلَّة
إبْرَاهِيمُ بنُ هَمْشَك، انظر: بنُ هَمْشَك، إبْرَاهِيمُ
إبْرَاهِيمُ بنُ يَعْقُوبَ اليَهُودِيُّ(السَّفير)، ٣١
أَبْرَهَة، ٧٢، ٢١٣
أَبقْرَاط، ٢١٦، ٢٥٠، ٢٥١
إبْلِيس، ١٥٦، ٢٦٦
أَبْنَاءُ نَغْرِيلَّة، ٢٧، ٢٧٨
أَبِيهُو، ٢٩٥
إحْسَانُ عَبَّاس، ١٢٣-١٢٥، ١٣٠، ١٣١، ١٧٢، ١٧٤، ٢٠٢، ٢٠٣-٢٠٧، ٢٩١-٢٩٣
أَحْمَدُ الحِمْيَرِيُّ الوَزَغِيُّ، ٢٠٧
أَحْمَدُ بنُ سُفْيَانَ ابن عِقَال، ١٩٣
أَحْمَدُ بنُ عَبَّاسٍ (الأديب)، ٢٦١، ٢٧٥
أَحْمَدُ الكَسَّادُ، انظر: الكَسَّادُ، أَحْمَدُ
أَحْمَدُ مَكِّيّ، ١٧٢
ابنُ الأحْمَرِ(السُّلْطَانُ المخلوع)، ٥٤، ١٩٠، ١٩٢
الأَحْنَف، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٧٤
الأَخْفَشُ بنُ مَيْمُونَ(ابنُ الفَرَّاءِ) ، ١١٤، ١٢٠، ١٢٢، ١٤٥، ١٤٦
ابنُ الأُخْوَةِ، ٥٦، ٥٨
ابنُ إدْرِيسَ المُوَبّلِ، انْظُرْ: المُوَبّلِ
إدْرِيسُ بنُ اليَمَّانِ، ٢٢٢
الإِدْرِيسِيُّ، ٤١
ابنُ أَدْهَمَ البلخِي، إبْرَاهِيم، ١٨٨
أُرْدُونَ ابنُ رُدْمِيرَ، ٣٠، ٣٢، ٣٤
أَرِسْطُو، ٩٩
أَرِسْطُوطَالِيسَ، ١٠٦، ٢١٧
أَرْمَانيُوسُ، (الملك)، ٩٩
أَريك الثَّانِي(المَلك)، ١٣
ابنُ الأَزْرَقِ، أَبُو عَبْدِ الله مُحَمَّد (القاضي)، ٦٥
ابنُ أَزْرَق، مُوسَى بنُ أَزْرَق، ١٨٠، ١٨٢
إسْحَاقُ عَلَيْهِ السَّلامُ، ٢٩٩
إسْحَاقُ أبرابانيل اليَهُودِيُّ، ٨١
إسْحَاقُ إسْرَائِيل اليَهُودِيُّ، ٩٩
ابن إسحاق الإسرائيلي (تلميذ ابن شهيد)، ٩٧، ١١٩
أَبو إسْحَاقَ الإِلْبِيرِيُّ، ٣٨، ٤٧، ٤٨، ١٣٩، ١٤٨، ١٥٠، ١٦٧-١٧٢، ١٧٩، ٢٨٨، ٢٩٢
إسْحَاقُ بِنْيَامِينَ اليَهُودِيُّ، ١٠٢
إسْحَاقُ بنُ جِيكاتِيلا اليَهُودِيُّ، ١٠٠
إسْحَاقُ بنُ رُوبِينَ البَرْجَلُونِيُّ اليَهُودِيُّ، ٩٩
إسْحَاقُ بنُ شَبْرُوط اليَهُودِيُّ، ٩٠
إسْحَاقُ بنُ شَمْعُونَ اليَهُودِيُّ، انْظُرْ: بَسَّام بنُ شَمْعُونَ
إسْحَاقُ بنُ غياث اليَهُودِيُّ، ١٠٣
إسْحَاقُ الفَاسِيّ اليَهُودِيُّ، ٩٠، ٩٦
إسْحَاقُ بنُ قِسْطَار اليَهُودِيُّ، ١٠٤
إسْحَاقُ بنُ مَرْشَاءول اليَهُودِي، ٩٨
إسْحَاقُ بنُ يَشُوسَ الطُّلَيْطِلِيُّ اليَهُودِيُّ، ١٠١
الأَسْدُ أَوْ الأَزْد بنُ الغوث، ١٩٢
إسْرَائِيلُ (النَّبِيّ يَعْقُوبُ عَلَيْه السَّلامُ) ، ١، ٢٩٩
إسْرَائِيل شَاحَاك، ١٤، ٢٤، ٢٥، ٢٩، ٣٤، ٥٧، ٧٥، ٧٦، ٨٧
اسْقلِيبْيُوس، ٢٥٠
الإسْكَنْدَرُ المَقْدُونِيُّ، ٢٧٣
إسْمَاعِيلُ بنُ القَرَّادِ اليَهُودِيُّ، ٢٩٠
إسْمَاعِيل بنُ نَصْر، ٥٦
إسْمَاعِيلُ بنُ نَغْرَالَّة (النَّغْرالِّيّ) انْظُرْ: ابنُ نَغْرِيلَّة، إسْمَاعيلُ
إسْمَاعِيلُ بنُ يُونُسَ (الطَّبِيبُ اليَهُودِيُّ)، ٢٩٠
إشْبَانُ بنُ طيطش، ١١، ٧٩
الأَشْكُورِكِيُّ، ٢٢٢
إشْمُوالُ، انْظُرْ: ابنُ نَغْرِيلَّة، إسْمَاعيلُ
ابنُ أَبِي أُصَيْبِعة، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٨
الأَعْشَى، ١٩١، ١٩٢
الأَعْوَر الدَّجَّال، ١٤٠، ١٤١، ٢٤٣، ٢٤٤
ابنُ الأفطس، عمر بنُ مُحَمَّد (المُتَوَكّل)، ٤٣، ٦٨
إقْبَال الدَّوْلَةِ مُجَاهِد، ٣١، ١٠٤، ٢٢٢
الإلْبِيرِيُّ، أَبو إسْحَاقَ ، انظُرْ:أبو إسْحَاقَ الإلْبِيرِيُّ
الإلْبِيرِيُّ، خَلَفُ بنُ فَرَج ، ١٤٢
أَلْفُونْسُ، ٢٢، ٢٣، ٣١-٣٣، ٥٢، ٥٨، ٦٧، ٨٠، ٨٢، ١٠٣، ٢٢٧، ٢٧٠، ٢٧١
أَلْفُونْسُ السَّابِعُ، ٢٢، ٢٤
أَلْفُونْسُ السَّادِسُ، ٢٣
أَلْفُونْسُ العَاشِرُ، ٣١، ٣٢، ٨١، ٩٨، ٢٢٧
إليَاسُ بنُ صَنُّود، ٢٢٨
إليَاسُ بنُ المُدَوّرِ الرُّنْدِيُّ، ١٠٤، ٢٢٨
الأَلْيَدِيّ، أبو عَبْدِ الله ، ٩٤، ٦٤
امْرِؤ القَيْسِ، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٥
الأَمير عَبْدُ الله ، انْظُرْ: عَبْدُ الله بنُ بُلُقّينَ(حَفيدُ بَادِيسَ)
أَمِيرُ مَنُورقة، انْظُرْ: سَعِيدِ بنُ الحَكَم، أَبُو عُثْمَانَ
إميلُو غَرْسِيه غُومِثْ، ٤٧، ١٥٩، ١٧٠، ١٧١
أُمَيَّه بنُ شُهَيْد، انظر: ابنُ شُهَيْد، أُمَيَّة
أنخل جونثالث بالنثيا، ١٠٦، ١٧١
أندريه ميكيل، ٢٦، ٣٩، ٨٠
ابنُ أنوخ (حَنُّوخ = هنوخ) ، انظر: مُوسَى بنُ أنوخ
أُوتُو الأَوَّل، ٣١
الإيَادِيّ، علي بنُ مُحَمَّد، ٢٤٤
إيزابيلا، ٨١
أَيُّوبُ بنُ سُلَيْمَانَ المَرْوَانِيُّ، ٢٣١-٢٣٣، ٢٣٧

ب

البَابَا بُولُس الرَّابِعُ ،٤٤
البَابَا يُوحَنَّا الثَّانِي عَشَر، ٣٢
ابنُ بَاجَة، ٧٣، ٩٧، ١٧٤، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٨، ٢٣١-٢٣٣
بَادِيسُ بنُ حَبُّوسَ (المُظَفَّر)، ١٥، ١٩-٢١، ٢٨، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٧، ٤٨، ١٢٤، ١٢٩، ١٣١-١٣٣، ١٣٧، ١٤١-١٤٤، ١٤٨، ١٥٣، ١٥٥-١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨٠-٢٨٤، ٢٨٦-٢٨٨
البَادِيسَيّ، انْظُرْ: بَادِيس بنُ حَبُّوس
ابنُ بَارُون اليَهُودِيُّ، ١٠١
بَاقيلِ، ١١٨
بِنْيَامِينُ التُّطَيْلِيُّ اليَهُودِيُّ، ٧٨
أَبُو بَحْرِ التَّجِيبِيُّ، ١٩٠، ١٩٢
بُخْتُنَصَّرُ، ٢

بِدْرُو[بَطْرَه]، ٢٤ ،٣٣ ، ٨١، ٢٧٠
البُرْذُقون، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٤٩-٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٩
بَرْصِيصُ، العَابِدُ اليَهُودِيُّ، ٢٦٦
بَرْغَوَاطَة، ٦٠
أَلْبَرْهَانِش، ٢٧١
ابنُ بَسَّامٍ الشَّنْتَرِينِيّ، ٥-٨، ٣١،١٧، ٣٨، ٧٠، ٨٥، ١٠٨، ١١٩، ١٢٣، ١٢٥- ١٢٩، ١٤٠-١٤٨،١٤٢، ١٥١، ١٥٦، ١٧٧، ١٩٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧ ،٢٢٢، ٢٢٥، ٢٤١، ٢٥٢، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٧٤، ٢٧٩-٢٨١، ٢٨٦- ٢٨٨
بَسَّام بنُ شَمْعُون اليَهُودِيُّ، ٧٣،١٠٨، ١٦٠، ٢٢٨، ٢٣١-٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٩
ابنُ بَسَّامٍ العَبَرْثَانِيّ، ١٤١
بِسْطَام، ٢٣٥
البِسْطَامِيّ،أبو زَيْدٍ (طَيْفُور)،١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ٢٣٥
البَسُوسُ، ٢٧٤
ابنُ بِشْرى الأغْرْنَاطِيّ، ١٧٤
بُقْرَاط، ٢١٦، ٢٤٩، ٢٩٧
ابنُ بَقِّي، ١١٨، ١٧٣، ١٧٥
أَبُو بَكْرٍ (مُعَاصِرٌ لابن قزمان)، ١٠٥
أَبُو بَكْرٍ الزُّبَيْدِيُّ، ١٧٨
أَبُو بَكْرٍ ابنُ زُهْرٍ، انظر: ابنُ زُهْرٍ، أَبُو بَكْرٍ
أبو بَكْرٍ الطُّرْطُوشِيُّ اليَهُودِيُّ (الرَّحَّالَة)، ٣٢، ٤٦، ٧٣
أَبُو بَكْرٍ بنُ القَبْطُرْنَة، ٤٣، ٢٧٦
أَبُو بَكْرٍ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ، ١٥٧، ١٦٦، ١٦٧
أَبُو بكْرٍ بنُ عَمَّارٍ، انظر: بنُ عَمَّارٍ،أَبُو بكْرٍ
البَكْرِيّ، أَبُو عُبَيْد، ١٥٦
بَلارْدَة، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٨- ٢٥١، ٢٥٥
بَلْعَامُ، ١٧٥، ١٨٤- ١٨٨
ابنُ بُلُقِّين، انْظُرْ: الأمير عَبْدُ الله
بُلُقِّينُ (والد الأمير عَبْدِ الله) ، ١٩، ٣٦، ١٥٧، ٢٨٦
البَلَوِيُّ، خَالِدٌ بنُ أَبُو خَالِدٍ البُرْسَانِيُّ،١٩٧، ٢٠١، ٢٠٢
بِنَاحيَا الرَّاتْسبُونِيُّ، ١٠٧
بِنْيَامِينُ التُّطَيْلِيُّ اليَهُودِيُّ (الرَّحَّالَة) ،٧٨، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨
أَبُو البَيَانِ بنُ المُدَوّرِ اليَهُودِيُّ، ٢٢٨
بَيْدَبَا الفَيْلَسُوف، ١٠١

ت

تَأَبَّطَ شَرًّا، ٢٤٢، ٢٤٤
تَاسْلاسَ، ٢٥٠، ٢٦٠
ابنُ تَاشَفِين، عَلِيٌّ ،١٠٤، ١٨٢، ٢٣٢
ابنُ تَاشَفِين، يُوسُف، ١٩، ٢٢، ٢٣، ٣٥، ٤٣، ٦٧، ٩٠، ١٤٠
تَقِيُّ الدِّينِ التَّنُوخِيُّ، ٥١
ابنُ تَلِّيس، ١٤٧
أبو تَمَّام، ١٨٠، ٢٢٤
تَمِيم بنُ المُعِزِّ، ١٧٦، ١٨٠
تُودرُوس أَبُو العَافِيَة اليَهُودِيُّ، ١٠٣
تَوْفِيق ابنُ عَامِرٍ، ٨٠
تُومَا، ٢٩٢

ج

الجَاحِظ، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٧
جَالِينُوس، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٩٧
جِبْرِيلُ عَلَيْه السَّلامُ ، ٢١٣
ابنُ جُبَيْرٍ، ٥٥
ابنُ الجَدِّ، أبو الحُسَيْنْ ١٤٠، ١٤١، ١٥٢، ١٥٣، ٢٦٢
ابنُ الجَدِّ، يَحْيَى أبو عَمْرُو ٢٠٤
الجَزَّارُ السَّرَقسْطِيُّ، ٢٢٢-٢٢٤
ابنُ جُزَيْ الكَلْبِيّ، ١٣٥
الجَزِيرِيّ (الثَّائِرِ)، ١٦٢
جَسَّاس بنُ مُرَّة، ١٣٥، ٢٧٤
أَبُو جَعْفَرٍ بنُ عَبَّاسٍ، انظر: أَحْمَدُ بنُ عَبَّاسٍ (الأديب)
جَعْفَر بنُ عَلِيٍّ، ٥٩، ١٢٧، ١٩٢
جمال الدِّينِ الكَرَكِي، ١٤٣
ابنُ جمْهُورَ، ٦٨
ابنُ جَنَاح اليَهُودِيُّ، انظر: مَرْوَانُ بنُ جَنَاح
ابنُ الجنَّانِ، ٢٠٧
الجُنيدِ، ٥١، ١٨٧
جِهادُ الزَّغْلُول، ٨٥
ابنُ جَهْوَر، ٢٢، ٧١، ٢٣٩
جُوسْتَاف لُوبُون، ٢٨
ابنُ الجَيَّابِ، أبو الحسن، ١٣٦، ١٣٧، ١٩٤

ح

حَاتِم الطائِيّ، ٢٧٤
ابنُ الحَاج (الثائر، قاضِي الجَمَاعَةِ بقُرْطُبَة)، ٧٤
الحِبْر،٣، ١٥٤، ١٥٥
حَبُّوسُ (والد بَادِيسَ)، ١٥ ، ١٤٣، ٢٦٧، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣
الحَجَّاجُ ، ٢٩٠
أبو الحَجَّاجُ (السُّلْطَانُ)، ٢١
ابنُ الحَدَّادِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ،٦٤، ١١٤، ١٣٩، ١٧٧، ٢٤١
الحَرِيرِيّ، ١٠٢
الحَرِيزِيّ، انظر: زَكرِيَّا الحَرِيزِيّ
ابنُ حَزْمٍ ، بو مُحَمَّد (الفقيه)،٢٧ ، ٣١، ٥٧، ٧٢، ٧٣، ٨٣، ٩١، ١٠٦، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٦، ٢٣١، ٢٣٧-٢٤٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٩- ٢٧١، ٢٧٧-٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٨-٢٩٩
ابنُ حَزْمُون، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٧، ١٧٣
حَسْدَاي ابنُ شَبْروط اليَهُودِيُّ، ٦، ٢٧، ٣٠-٣٢، ٤٠، ٨٤، ٩٠، ٩٥، ٩٧-١٠٠، ١٠٣، ١٥٨، ٢١٥، ٢١٦، ٢٨٤
ابنُ حَسْدَايَ اليَهُودِيُّ، أَبُو جَعْفَرٍ ،انْظُرْ:يُوسُفُ بنُ أَحْمَد بنُ حَسْدَايَ
أَبُو الحَسَنِ بنُ الجَيَّابِ، انْظُرْ: ابن الجَيَّابِ
أَبُو الحَسَنِ ابنُ سَابِق، ١٨٩
الحسن بنُ هانئ، انظر: أَبُو نُوَاس
أَبُو الحَسَنِ هَلِيفِي اليَهُودِيُّ، ١٠٥
أَبُو الحُسَيْنِ ابنُ الفَخَّار اليَهُودِيُّ، انظر: ابنُ الفَخَّار، الحُسَيْن
أَبُو الحُسَيْنِ يُوسُفُ ابنُ الجَدِّ، ١٤٠، ١٤١، ١٥٣
الحُصَرِيُّ، أبو الحَسَنِ،١٦٤، ٢٢٥، ٢٤١
أبو حَفْص الزَّكْرَمِيُّ، انظر: الزَّكْرَمِيُّ،أبو حَفْص
ابنُ أَبُو حَفْصٍ، انظر: الفَتْح، أبو فَارِسٍ بنُ أَبُو حَفْصٍ
أَبُو حَفْص بنُ بُرْدٍ، ١٧٧
الحَفْصِيُّ (سُلْطَانُ فاس)، ١٩٠
أَلْفُونْسُ (الحفيد) انظر: حَفِيد أَلْفُونْسُ
حَفِيد أَلْفُونْسُ، ٢٧٠
حَفِيدُ بَادِيسَ انْظُرْ: عَبْدُ الله بنُ بُلُقِّين
الحَكَمُ الأَوَّل بنُ هشام(الرَّبَضِيُّ = المُرْتَضَى)، ١٤، ٢١، ٧٣، ٧٤، ٨٥، ٢١٥
الحَكَم الثَّانِي ابنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنُ مُحَمَّد المَرْوَانِيّ(المُسْتَنْصِرُ)، ٨٤ ، ٩٠، ٩٧، ٩٨، ١٠٣، ١٠٨، ١٧٨،
الحَكِيمُ المِصْرِيِّ، ٢٢٢
الحَلاجُ، ١٨٦-١٨٨
ابنُ حَمْدُون، ١٩٢
الحَمَوِيُّ، ٢، ٦٦، ١٤١، ١٤٥
أَحْمَدُ الحِمْيَرِيُّ الوَزَغِيُّ، انظر: أَحْمَدُ الحِمْيَرِيُّ الوَزَغِيُّ
حنان (القاضِي) ١٠٦
حَيّ بنُ مَقِيصٍ، ١٠١
حَيّ بنُ يَقْظَانَ، ١٠١
ابنُ حَيَّان (المُؤَرِّخ)، ١٥، ٨٢، ٢٨٣، ٢٨٩، ٢٩١

خ

خَال ابنُ الفَخَّار اليَهُودِيُّ، انظر: ابنُ الفَخَّار،خالُ الحُسَيْنِ
خَال ابن نَغْرِيلَّة، انظر: ابن نَغْرِيلَّة، (خال الوزير)
خَالِد (عَامِلٌ عِند السُّلْطَانِ الحَجَّاجِ)، ٢١
خَالِدٌ البَلَوِيُّ، انظر: البَلَوِيُّ، خَالِدٌ بنُ أَبُو خَالِدِ البُرْسَانِيُّ، ٢٠١
خَايِيمي الأَوَّلِ، ٨١
ابنُ خُرْدَاذبَة،٧٨، ٧٩
ابنُ خَرُوفِ القُرْطُبِيّ، ٧٠
خُزَيْمة (ذو الشَّهَادَتينِ)، ٢٧٢، ٢٧٣
أَبُو الخَطَّابِ بنُ دَحْيَة، ٢٧٤
ابنُ الخَطِيبِ، لسانُ الدِّينِ،١٦، ١٧، ٣٣، ٥٦، ٦٧، ١٣٥، ١٣٦، ١٥٤، ١٥٥، ١٧٠، ١٨٤-١٨٦، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٩

ابنُ الخلال، ١٤١
ابنُ خَلْدُون، ٤، ٧، ٨، ٣٣، ٣٧، ٣٨، ٤٨، ١٧٣، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٩٢
خَلَفُ بنُ فَرَجٍ ، انظر: الإِلْبِيرِيُّ، خَلَفُ بنُ فَرَجٍ
ابنُ خَمِيسٍ المَالقِيُّ، ٦، ١٦٢
خَمِيسي حَمِيدِي، ١٢
خنافُ اليَهُوديُّ، ٢٦٤
خوان فيرْنِيه، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢١٩
ابنُ خِيَرَة القُرطُبِيُّ، انْظُرْ: المُنْفَتِل

د

دارَا بنُ دارَا (ملك الفرس)، ٢٧٣
داوُد عَلَيْهِ السَّلامُ، ٤، ١٩٥
دَاوُدُ بنُ هَاجَر اليَهُوديُّ الغَرْناطيُّ، ١٠١
الدَّبَّاجُ، ١٩٨
ابنُ الدَّبَّاغِ، ١٥٨، ٢١٨، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٥٣، ٢٧٧
الدَّجَّالُ (الأَعْوَرُ)، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٥
ابنُ دِحْيَة، ٢٢، ٢٣، ٤١، ٤٣، ٦٠، ٦٩، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٧، ١٦٤، ١٧٣، ١٧٧، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٣، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٧٤
ابنُ درَّاجٍ القسطلّيّ، ٧٢
الدَّلالُ، ٨٤
دُوزي، ٤٦، ٥٤، ٩٢، ١٨٥، ٢٤٣، ٢٦٦
دُونَ بطْرَه، ٣٣، ٢٧٠
دُوناش بنُ لِبْرَاط، ٩٥، ١٠٠
دِيسْقُورِيدِس، ٩٩، ٢١٥
ابْنُ أَبِي دِينَار القَيْرَوَانِيّ ، انظر: مُحَمَّد الرّعِينِيّ

ذ

أبو ذُؤَيبٍ الهُذَلِيُّ، ٢٢٤
الذِّمِّيُّ، ٦١، ٦٦، ٢٨٠
ذَّيّ (المُطْرِبُ الإسْرَائيليُّ)، ٨٥، ١٠٧، ١٥٦، ١٦٠

ر

ابنُ رَاحِيل، ١١٧، ١٧٣
الرَّاعي، ٣٧، ٣٨، ٩٧، ١٦٩، ١٩٦-٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٤
ابنُ رافع رأسهُ، ١١٧، ١٧٣
رَاكِيل (مراب يهودي)، ٨٧، ٨٨
الرَّاهِبُ نِقُولا، ٩٩
الرَبَّانِيّ، ٣، ١٥٦
الرَّبَضِيُّ = المُرْتضَى، انظر: الحَكَمُ الأَوَّل بنُ هشام المَروَانِيّ
أبو الرَّبيعِ بنُ سَالِمٍ، ١٩٠
أَبُو الرَّبيعِ سُلَيْمانُ القُضَاعِيّ، ٨٤، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٠
أَبُو الرَّبيعِ بنُ المَاطُونِيُّ، ٢٠، ١٥٨
أَبُو الرَّبيعِ النَّصْرَانِيُّ، ٢٨
أَبُو الرَّبيعِ اليَهُودِيّ، ٢١
ابنُ رُدْمِير، ٣٠، ٣٢، ٣٤
ابنُ رَزِينٍ، ١٥٠، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٥٥
ابنُ رَزِين، عَبْدُ المَلِكِ، ١٩٠
الرَّسُول ﷺ، ٣٠، ٤٩، ٥٣، ٥٧، ١٤١، ١٤٤، ١٤٨، ١٩٣، ١٩٩، ٢١٠، ٢١٤، ٢٣٨، ٢٦٥، ٢٧٢، ٢٩٣
ابنُ رُشْدٍ، ٢٢، ١٠٥، ١٣٧، ١٧٥، ١٨٧، ١٨٨
ابنُ رُشَيدٍ الفهْرِيّ، ٢٠١
الرُّصَافِيُّ، ١٨٠-١٨٣، ٢٠١
رِضْوَانُ (خازن الجنة)، ٢٢٧
رَفِيعُ الدَّوْلَةِ ، انظر: ابنُ صُمَادِح، رَفِيعُ الدَّوْلَةِ
رَمْلَة، ١١٣
ابنُ الرُّمَيْمِيّ، مُحَمَّد، ١٨٣، ٢٠٥
روبرت هيلنبراند، ٣١، ٤٤، ٤٥، ٦٣، ٧٩، ٨٤، ٩٠
ابن الرُّومِيّ، ٢٩٣
رِيَاض قُرَيْحَة، ٨٤، ٢١٦، ٢٣٧
ريبيرا، ٩٨، ١٠٦
رِيمُونْد شَايِنْدلِين، ٨، ١٦، ٢٤، ٢٧، ٩٧، ٢١٦، ٢٢٩

ز

الزَّجَّالِي، ٤٣، ١٥٨، ٢٦٣
ابنُ زَرْزَار، انْظُرْ: إبْرَاهِيمُ بنُ زَرُّور أو زَرْزَر أو زَرْزَار
زَرْقاء اليَمَامَةِ، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٩
زِرْيَاب، ٨٥، ١٠٧
ابنُ الزَّقَّاق، ٦٩
الزَّكْرَمِيُّ،أبو حَفْص ، ٨٧، ١٤٥
أَبُو زَكرِيَّا التُّجِيبِيُّ (الكفيف)، ٥٢
زَكرِيَّا الحَرِيزِيّ، ١٠٣
أَبُو زَكرِيَّا الحَفْصِيُّ،يَحْيَى بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ (سُلْطَان إفْرِيقْيَة) ٢٥، ٢٠٣، ٢٠٤
زَكرِيَّا بنُ يَهُودا بنُ بِلْعَامِ، ١٠٣
ابنُ زَمْرَك، ١٦، ١٥٠، ٢٠٨
ابنُ زُهْر، أَبُو بَكْرٍ ١٧٣، ١٨٤
زُهَيْر الفَتَى، ٢٦١
أبو زَيْدٍ البِسْطامِيُّ، ١٨٥
ابنُ زَيْدُون، ٢٢، ٧١، ٧٢، ١٠٩، ١١٠، ١٦٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٩٢، ١٩٣، ٢٣٩، ٢٤٩، ٢٧٢ـ ٢٧٥

س

السَّامِرِيُّ، ١٧٥-١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ٢٠٦، ٢٦٢
السَّامِرِيَّةُ، ١٧٧
سَامْسُو، ١٠٤، ٢٢٨
سَحْبَانُ وَائِلْ، ١٢٢
سَحْنُون، ٦٥، ٦٦، ١٤٥
ابنُ السَّرَّاج، أَبُو عَبْدِ الله، ٧٠
سِراج الدولَةِ ، انظر: ابن المُعْتَمد، سِراج الدولَةِ
سَعْد الدِّينِ بنُ عَرَبِيّ، ١١١
سَعْد شَلْبِيّ، ١٤٨
سعد بنُ معاذ، ١٩٤
سَعْد بنُ أبي وَقَّاص، ١٤٤
سَعْدُونُ السرنبَاقِيّ، ٨٢
سَعْدِيَّا الفَيُّومِيّ اليَهُودِيُّ، ٩٨
سَعْدِيَا بنُ دَنَّان اليَهُودِيُّ، ١٠٣
سَعِيد بنُ الحَكمِ، أبو عثمان، ٦٩، ٢٠٤
سَعِيد بنُ سُلَيْمَانْ بنُ جُودِي اليَهُوديُّ، ١٧
ابنُ سَعِيد(صاحب المُغْرب)، ١٧، ٧٠، ٧٣، ٨٥، ٩٤، ١١٨، ١٢٠، ١٢٣، ١٣٨، ١٤٨، ١٦٠، ١٧٧، ١٩٧ـ ٢٠٠، ٢٠٣، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٨١، ٢٨٨
ابنُ سُفْيان، أَبُو مُحَمَّد، ٢٢١
سُقْرَاطُ، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٦
السلطان المَخْلُوعِ، انظر: مُحَمَّد بن أبي عَبْد الرَّحْمَنِ
سَلْمَانُ الخَطَّابُ، ١٧٠
سَلُوش ١٢، ٢٣
سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلامُ، ٤، ٨٩، ٢٣٧، ٢٩١، ٢٩٨
سُلَيْمَانُ بنُ أَبْرَاهَام بنُ أَرْنُوط، ٩٥
سُلَيْمَان بنُ أَسْوَد، ٩٤
سُلَيْمَانُ بنُ جبِيرُول، ١٠٠-١٠٥، ٢٨٥
سُلَيْمَانُ بنُ زَقْبِيل، ١٠٢
سُلَيْمَانُ ابنُ المُعَلِّم، ١٠٤
ابنُ سُمْعَة الغَرْنَاطِيّ، ٢٠٠
السَّمَوْأَلُ، ١٩٢، ٢٧٣،
السَّمَوْأَلُ بنُ يَهُوذَا المَغْرِبِيُّ، ١٧٥، ١٨٩-١٩١، ١٩٣، ٢٧٤، ٢٧٥
السُّمَيْسِرُ، انْظُرْ: خلف بنُ فرج الألبيري
إبْرَاهِيمُ بنُ سَهْلٍ،أبُو إسْحَاق، انظر: ابنُ سَهْلٍ الإسْرَائِيلِيُّ
ابنُ سَهْلٍ الإسْرَائِيلِيُّ، ٣٨، ٦١، ٧٤، ٨٠، ٨٤، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٧، ١١٣، ١١٧، ١٣٤، ١٦٩، ١٧٩، ١٩٦-٢١٤، ٢٢٦، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٤
سُولومُون ابنُ زَادُوك اليَهُودِيُّ، ٨١
السَّيِّد عَبْدُ العَزِيز سَالِم، ١٩، ٣٠، ٣١ ، ٧٧، ٨٨
سِيزْيُوت (الملك)، ١٣
سَيْف الدَّوْلَةِ، انْظُرْ: بُلُقِّينُ بنُ بَادِيس

سَيْفُ الدَّوْلَةِ الحَمَدانيّ، ١٢٠، ١٢٦
ابنُ سِينا، ١٠٥، ١٣٧، ١٨٧

ش

ابنُ شاطِر، ١٨٨
الشّافعيُّ، ١٣٧
ابنُ شَاليب (شالب) اليَهُوديُّ (السفير)، ٢٣، ٣٣ ، ٣٥
شانْجة، ٢٦، ٣٠، ٣١، ٧٢
شاويل اليَهُوديُّ(وَزيرُ عَبْدِ الحَقِّ المُرَيْنِيّ)، ٢٨
ابنُ شَبْرُوط، إسْحَاقُ انظر: حَسْدَاي ابنُ شَبْرُوط اليَهُوديُّ،
الشَّبْلِيُّ، ٥١
شتيرْن، ١٧٤
الشَّرّان، أَبُو عَبْدِ الله، ١٨٣
الشَّرِيشِيّ، عيسَى بنُ عَبْدِ الله، ١٤٤، ١٩٤
شكسبير، ٤٥، ٨٧
الشَّلَوْبين، أَبُو عَلِيٍّ، ١٩٦، ١٩٨
ابنُ شَمْعُون القُرْطُبِيُّ اليَهُودِيُّ، ٧٣، ٢٣١، ٢٣٧
شَمْعُون بنُ يَعْقُوب عَلَيْهِ السَّلامُ، ٦٠
شِهَابِ الدِّينِ بنُ الخَلُوفِ، ١١٢
ابنُ شُهَيْد، أُمَيَّة، ٨٦
الشَّهِيدُ أَبُو حَفْص الهَوْزَنِيُّ، ١٤٠
ابنُ شُهَيْدٍ، أَبُو عَامِر، ٤١-٤٣، ٦٤، ٦٥، ٩٧، ١١٨، ١٥٠، ١٥٨، ١٩٥، ٢٣٩، ٢٦٣
شَوْقِي ضيف، ٢٣٢
شَيْخ اليَهُودِ، ١٤٦
شَيْلُوك (المُرابي) اليَهُودِيُّ، ٨٧، ٨٨

ص

ابنُ الصَّابُونِيّ، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠
ابنُ صَاحِب الصَّلاة، ١٨
صَاعِدٌ، ٢١٧، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨١
صَالِح البَرْغَوَاطِيّ، ٦٠
ابنُ صِدِّيق، ١٠٦
الصِّدِّيق، أَبو بكر رضي الله عنه، ٢٤٠
الصِّقِلِّيّ، أَبُو عَبْدِ الله، ٦٢
صَلاحُ الدِّين (الأيوبي)، ٢٢٨
صَلاح جَرَّار، ١٨١
ابنُ صُمَادِح، رَفِيعُ الدَّوْلَةِ ١٢٠
الصُّمَادِحيُّ، انْظُرْ: المعتصم بنُ صمادح
الصُّمَّة ابنُ عَبْدِ الله القُشَيْرِيّ، ٢٤٤
صَمُوئِيل بنُ يُوسُفَ ابنُ نَغْرِيلَّة، انْظُرْ: إسْمَاعيلُ ابنُ نَغْرِيلَّة
صَمُوئِيل هَلِيفِي، ٨١
صَهْيُون، ٤٥
الضَّبِّيُّ، ٨٢، ٢٢٤

ط

طَارِق بنُ زياد، ١٥، ٨٩
طَالُوت (الفقيه)، ٧١، ٧٤، ٩٢، ٢٧٦
ابنُ طاهِر، أبو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّد، ٢١٧ ، ٢٤١
أبو طاهِر (مُعاصر لابن سهل)، ٢٠٦
أَبُو طاهِر الأَشْكُرْكِيُّ، ٢٢١
الطَّاهِر مَكِّيّ، ٨، ١٧٠- ١٧٢
الطَّرْطُوشِيّ، إبْرَاهِيمُ بنُ يَعْقُوب (الرَّحَّالَة اليَهُودِيُّ)، ٣٢، ١٠٧
ابنُ طُفَيْل، ١٨٧، ١٨٨
طُوطَة (الملكة)، ٣٠، ٣١
طَيْفُور البِسْطَامِيّ، انظر: البِسْطَامِيّ،أبو زَيْدِ (طَيْفُور)
ابنُ ظِبْيَان، ٢٨٨

ع

عَابَار (من أجداد اليَهُود)، ٣
عَابِد النَّاسوت، ١٥٤-١٥٦
عَابِر بنُ شَالَخ، ٢

عَادِل بشْتاوِيّ، ٧٦، ٨١
ابنُ عَاصِم الغَرْناطِيّ، ٢٦٣
ابنُ أَبِي عَامِر، ١٧٨
أَبُو عَامِرِ بنُ الفَرَج، ١٦٤، ٢٢١
أَبُو عَامِرِ بنُ المُظَفَّر، ٦٥
أَبُو عَامِرِ ابنُ شُهَيْدٍ، انظر: ابنُ شُهَيْدٍ،أبُو عَامِرٍ
عَامِر بنُ الفَرَج، ٢٢١
عَامِل العُشُور، انْظُرْ: العَشّار
أَبُو العَبَّاسِ الأَنْدَلُسِيّ، ٩٢
أَبو العَبَّاسِ الجَرَاوِيّ، ١٤٦، ١٤٧
أَبُو العَبَّاسِ (كَاتِبُ حَبُّوس)، ٢٦٧، ٢٨٣
أبو العَبَّاسِ المُرَيْنِيُّ (السُّلْطَانُ)، ١٥٠
أَبُو العَبَّاسِ النِّيَاشْتِيُّ، ٢٠٥
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن الحَكَم (الأمير)، ٨٦
ابنُ عَبْدِ الغَفُور، ٢٦٣
عَبْدُ الغَفُور،أَبُو مُحَمَّد، ٢٦٢
أَبُو عَبْدِ الله ابنُ الحَدَّاد، انظر: ابنُ الحَدَّاد،أَبُو عَبْدِ الله،
أَبُو عَبْدِ الله بنُ السَّرَّاج، انظر: ابنُ السَّرَّاج، أَبُو عَبْدِ الله
أَبُو عَبْدِ الله الشَّرَّان، انْظُرْ: الشَّرَّان، أَبُو عَبْدِ الله
أَبُو عَبْدِ الله الصِّقِلِّيّ، انْظُرْ: الصِّقِلِّيّ،أَبُو عَبْدِ الله
أبو عَبْدِ الله الأَلْبِيرِيّ، انْظُرْ: الأَلْبِيرِيّ، أبو عَبْدِ الله
عَبْدُ الله ابنُ أُمَيَّة، ٢٩
أَبو عَبْدِ الله الأَنْدَلُسِيّ(متصوف)، ٥١
عَبْدُ الله بنُ بُلُقِّين (حَفِيدُ بَادِيس)، انظر: الأمير عبد الله
أَبُو عَبْدِ الله مُحَمَّد بنُ شَرَف، ٢٧٤
عَبْدُ الحَقِّ الإِسْلامِيُّ، ٩٢
عَبْدُ الحَقِّ المُرَيْنِيّ، ٢٨
عَبْدُ الحَمِيد الهَرَّامَة، ١٧٤
ابنُ عَبْدِ رَبِّه، ٩٣، ١٣٦
عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّاخِلُ، ١٣
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ المَنْصُور(السُّلْطَانُ)، ٥٨
عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِر(الخليفة)، ٣٠، ٤٠، ٥٥، ٩٩، ١٠٠، ١٠٣، ٢١٥
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ هِشَام، انظر: المُسْتَظْهِرُ
عَبْدُ العَزِيزِ الأَهْوَانِيُّ، ١٥٣، ١٧٢
عَبْدُ العَزِيزِ شَهْبِر، ٣٨
عَبْدُ العَزِيزِ بنُ مُوسَى بنُ نُصَيْر، ٢٦٩
عَبْدُ الكَرِيمِ القَيْسِيُّ، ٥٨، ١٦٦
عَبْدُ المُؤْمِن، ٦٨، ١٨٢، ١٩٧
عَبْدُ المُطَّلِب مَظْهَر، ٣٢، ٥٥، ٥٦، ٧٩، ٩٢
عَبْدُ المَلِكِ بنُ رَزِين، انظر: ابنُ رَزِين، عَبْدُ المَلِكِ
عَبْدُ الوَهَّابِ المَسِّيرِيُّ، ١١، ١٣، ١٧، ٢١، ٥٧، ٧٥، ٧٦، ٧٩، ٨١، ٨٦
ابنُ عَبْدُوس، ١٩٣، ٢٧٣، ٢٧٤
عُبَيْدُ الله الشِّيعِيُّ(المَهْدِيّ)، ٥٩، ٢٧٥
عُبَيْد الله بنُ يَحْيَى، ٧٣
أَبُو عُبَيْد البكري، انظر: البَكْرِيّ، أَبُو عُبَيْد
ابنُ عُتْبَة الإِشْبِيلِيُّ، ١٤٩
ابنُ عِذَارِي المَرَّاكُشِيُّ، ٨، ١١، ١٣، ١٥، ١٧-٢١، ٢٧، ٣٠- ٣٢، ٣٤-٣٦، ٣٨، ٤٨، ٤٩، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦٦، ٧٩، ٨٣، ٨٦، ٨٩، ٩٧، ١٣٨، ١٤٤، ١٤٩، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٨، ١٨٧، ١٩٠، ٢٠٣، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧
عِرْفان فَتَّاح، ٢
ابنُ العَرِيفِ، أَبُو القَاسِمِ (وَزِير بَادِيس)، ٢٨٣
العِزّ بنُ عَبْدِ السَّلامِ، ٢٠٠
ابنُ عِزْرا اليَهُودِيُّ(المُنجم)، ١٣٦
عِزْرَا بنُ يَعْقُوب اليَهُودِيُّ، ١٠١
عَزِيز بنُ خَطَّاب، ٥٣
العَشَّار، ٨٦، ١٤٥، ٢٧٢، ٢٧٣
عِصْمَت دَنْدَش، ١، ٣٩، ٥٥، ٧٤
ابنُ العَطَّار (العشار)، ٩٣، ٢٧٢، ٢٧٣
ابنُ عَلاء، ٨٤
علم الدِّين ابنُ الكُوَيْز، انْظُرْ: ابنُ الكُوَيْز، علم الدِّينِ
عَلْوَة، ٢٢٢
عَلَوِيٌّ، ٥٩، ٦٠
أَبُو عَلِيّ الشَّلَوْبين، انظر: الشَّلَوْبين، أَبُو عَلِيٍّ

عَلِيٌّ بنُ يُوسُفَ ،انظر: ابنُ تاشَفِينْ
أَبُو العَلِيِّ الحَسَنِ بنُ خَلاص، ٢٠٤
عَلِيٌّ ابنُ خَلاص (المُسْتَنْصر)،١٩٧، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٥
عَلِيٌّ بنُ أبي طَالِب، ٥٩
عَلِيٌّ بنُ العَبَّاسِ، انْظُرْ: ابن الرُّوميّ
عَلِيٌّ عَبْدُ العَظِيمِ، ٢٧٢
عَلِيٌّ ابنُ القَرَوِيِّ، ٢٨٦، ٢٨٧
ابنُ عمَّار، أَبُو بكْرٍ، ٢٢، ٣١، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٧، ١٤١، ١٤٧، ١٥٢، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٧، ٢١٧، ٢٢٥، ٢٤١
عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، ٤٥
عمر بنُ أبي رَبِيعَة، ٢٤٥
عمر ابنُ الفَارِض، ١٨٦، ١٨٨
عُمَر المالقى (الفقيه)، ٢٦٦
أبو عُمَرَ يَنَالَه اللَّمْتُونِيُّ،٢١، ١٤٤
عِمْرَانُ بنُ إسْحَاق، ١٠٤
أَبُو عِمْرَانَ مُوسَى، ١٨٠، ١٨١
عَمْرو، ٢٧٢
عَمْرُو بنُ كُلْثُومٍ، ٢٢٤
أبو عَمْرُو يَحْيَى بنُ الجَدِّ، انظر: بنُ الجَدِّ، يَحْيَى بو عَمْرُو
ابنُ العَمِيدِ، ٢٦٠
ابنُ عَمِيرَة، أبوعمران، ٢٠٤
أبو عَنَان (السُّلْطَانُ)، ١٠٤، ٢٣٣
العَنْقَاء، ٢٥٤
ابنُ عيَّاشٍ اليَهُودِيُّ، (صهر ابنِ حسداي)، ١٦٤، ٢٢٥
أَبُو عِيسَى، ٢٢٥، ٢٢٦
عِيسَى (فتى أَحْمَدُ الحِمْيَرِيُّ الوَزَغِيُّ)، ٢٠٨
عيسَى بنُ عَبْدِ اللهِ الشَّرِيشِيّ، انظر: الشَّرِيشِيّ، عيسَى
عيسَى ابنُ لُبُّون، انظر: ابن لُبُّون، عيسَى

غ

الغَافِقِيُّ، إبْرَاهِيمُ الغَافِقِيُّ أَبُو إسْحَاق ،١٩٨
ابنُ غَرْسِية، ١٤٨
الغزالي، ٩٩
الغَنِيُّ بِاللهِ (السُّلْطَانُ)، ١٦، ٢١، ٢٧٦
الغَيْشُوم، عَبْدُ اللهِ بنُ حجاج، ١٠٤ ، ١١٥، ١١٦
غَيْطَشَة (المَلِك)، ١٣

ف

الفارَابِيُّ، ١٠٥، ١٨٧
فايز القَيسيّ، ٢٥٧
فايزة حجازي، ٣، ١٨٩
الفَتْح، أبو فَارسٍ بنُ فَارسٍ بنُ أَبُو حَفْصٍ، ٢٠٤
ابنُ الفَخَّار، أَبُو الحُسَيْن، ٦، ١٥٨
ابنُ الفَخَّارِ،١٥٩، ٢٢١
ابنُ الفَرَّاءِ، انْظُرْ: الأَخْفَشُ بنُ مَيْمُون
فرديناند، ٨١
فِرْعَوْنُ، ٢، ٧٠، ١٠٤، ١٨٠، ٢٠٥
فِرنانْدو الثَّالِث، ٨١
الفسْتَاس، ٢١٦
أَبُو الفَضْلِ ابنُ حَسْدَاي اليَهُودِيُّ،٥، ٦، ٢٧، ٣١، ٨٤، ٩٣، ١٠٧، ١٢٥، ١٣٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٢-١٦٦، ١٩٦، ٢١٥، ٢١٧-٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٦-٢٣٨، ٢٤١-٢٤٤، ٢٤٦-٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤- ٢٦٠، ٢٧٧، ٢٩٩
أَبُو الفَضْلِ بنُ الدَّبَّاغ، انظر: ابنُ الدَّبَّاغِ
فَوْزِي عِيسَى، ٥٥، ١٦٧
فِيدَاس (مراب يهودي في ملحمة السيد)، ٨٧

ق

قارُونِ، ١٨٩
أَبُو القَاسِمِ ابن الخَيَّاطِ، ٥٢
أَبُو القَاسِمِ ابنُ العَرِيفِ (وَزِيرُ بَادِيسَ)، ٢٨٢
أَبُو القَاسِمِ بنُ يامِينَ، ٦٩
قاضِي الجَمَاعَةِ بِغَرْنَاطَة، انْظُرْ: ابن الأزرق
قاضِي الجَمَاعَةِ بقُرْطُبَة، ٣٥، ٦١، ٧٤، ٩٣، ١٨٧
ابنُ قِبْتَال(الحكيم)، ٥٦
القِدِّيس أدالبرت، ٨٠
ابنُ القَرَّادِ، ٢٩٠
القُرْطُبِيُّ، تلميذ ابن شهيد، ٢، ٤، ٢٢، ٧٠، ٩٣، ١١٨، ٢٢٨
ابنُ القَرَوِيِّ، انظر: عَلِيٌّ ابنُ القَرَوِيِّ
ابنُ القَرَوِيِّ الأَسْلَمِيُّ اليَهُودِيُّ، ١٥٣
ابنُ قُزْمَان، ٥٥، ١٠٤، ١١٠، ١١١، ١٥٣، ١٧٢
قس بنُ سَاعِدَة، ٢٣٥، ٢٣٩
قُسْطَنْطِين، ٣٠، ٣١
قُسْطَنْطِين السَّابِع، ٢١٦
قَسْمُونَةُ بِنْتُ إسْمَاعِيل، ٢٢٨، ٢٢٩
القَسِّيس، ١٥٥
القُضَاعِيُّ، ٢٣٧
القَفْطِيُّ، ١٨٩
ابنُ قمْنَال اليَهُودِيُّ، ١٥٣
القُومِس، ٨٢
القَوْمَس ابن أَنْتُنْيان النَّصْرَانِيّ، ٢٩، ٣٠
القَوْمَسُ رَبِيعُ بنُ تُودِيلفو، ٨٥
قُومِس النصارى، ٤٠
القَيْرَوانِيّ (المُؤَرِّخ)، ٨
قيس بنُ المُلَوَّح (المَجْنُونِ)، ١١٢، ١١٣، ٢٢٥، ٢٤٤-٢٤٦
قَيْطُوس، ٢٤٩، ٢٥٠

ك

ابنُ كَثِيرٍ، ٤٦، ٧١
الكَرْمَانِيّ، أبو الحَكَمِ عَمْرُو بنُ أَحْمَدَ، ٢١٧
الكَسَّادُ، أَحْمَدُ ١١٦
كعب، ٢٣٥، ٢٣٩
كُلَيْب بنُ رَبيعة، ٢٧٣، ٢٧٤
الكَلِيم، انْظُرْ: مُوسَى عَليه السَّلامُ
كليم الله ، ٧٠، ١٣٠، ٢١٢
الكِنْدِي، ١٩١
كُورِينْطِي، ١٠٤، ١١٠
الكوهن جناح، ٩٦
ابنُ الكُوَيْز، علم الدِّينِ، ١٤٣

ل

ل، د، أَبْيو (يَهُودِيّ مَغْرِبِيّ)، ١١
لارُوس، ٨٠
ابنُ لُبَابَة، مُحَمَّد بنُ عُمَرَ (الفقيه)، ٥٦، ٩١
ابنُ اللَبَّانَةِ، ١٩٠
ابنُ لِبْرَاط، دُونَاش ، انْظُرْ: دُونَاش بنُ لِبْرَاط
ابنُ لُبُّون، ١١٢
ابن لُبُّون، عيسَى، ١٨٩
لُذَرِيق، ١٣
لِسَانُ الدِّينِ بنُ الخَطِيبِ، ٦٧، ١٣٦، ١٥٠، ١٥٢، ١٦١، ١٨٦، ١٨٨، ٢٧٠، ٢٧٦
لُقْمَان، ٢٣٥، ٢٣٩
ابنُ أَبي لُولا اليَهُودِيُّ (عَامِلٌ لبَادِيسَ في أَلِيسَانَةُ) ، ٢٢
لُولْيَام ف. أَلْبْرَايت، ٢
لِيئَة، زوجة يعقوب، ٤
لِيفِي بنُ التَّبَّانِ اليَهُودِيّ، ١٠١
لِيقَة = لِيئَة
لَيْلَى، ١١٠، ١٩٣، ٢٤٦
ليون الإفْرِيقِيُّ، ٢٣٣

م

المُؤَبّل، إبْرَاهِيمُ ابنُ إدْرِيسَ ١٤٩
المُؤْتَمِن بنُ هود، ٣١، ١٣٠، ١٥٧، ١٦٦، ٢١٦، ٢١٨، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٥١، ٢٥٢
المؤيد، انْظُرْ: هشام (الخليفة)
مَائِير أَبُو العَافِيَة اليَهُودِيُّ، ٢٢٩

أُمُّ مَاكْسَن، ٢٠
مَاكْسَن، ١٩، ٢٠، ٢٦٧، ٢٨٢، ٢٨٧
مَالِك (الإمام)، ٦٦، ١٣٧، ١٤٥
مَالِكٌ (حارس النار)، ٢٢٧
مَالِكِ بنُ المُرَحَّلِ، ٢٠١
ابنُ مَالِكٍ، صاحب الألفية، ١٠١
المَأْمُونُ ابنُ ذِي النُّونِ، ٨٥، ١٠٧، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٨٣
المَأْمُونِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّد الأَمِرِيِّ، ٢١٦
المُتَنَبِّي، ٤٧، ٥٥، ٧٢، ١٢٠، ١٢٦، ١٧٠، ١٧١، ١٧٩، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٤٦
المُتَوَكِّل : انْظُرْ: ابنُ الأفطس، عمر بنُ مُحَمَّد
المَجْنُونُ، انْظُرْ: قَيْس بنُ المُلَوَّح
مُحَمَّد (فتى ابنِ سهل)، ٢٠٢
مُحَمَّد، أمير جِلِّيقِيَّة، ٩٤
مُحَمَّد، أمير ماردة، ٩٤
مُحَمَّد، تاجر يهودي، ٩٤
مُحَمَّد بنُ حُسَيْنٍ، ٣٠
مُحَمَّد الرّعِينِيّ ابْنُ أَبِي دِينَار القَيْرَوَانِيّ، ٨
مُحَمَّد الرَّيْسُونِيّ، ٢٢٨
مُحَمَّد السَّعِيد، ٤٧
مُحَمَّد، سلطان المغرب، ٢٧٠
مُحَمَّد بنُ شَرِيفَة، ٢٦٥، ٢٦٦
مُحَمَّد بن أبِي عَبْد الرَّحْمَنِ (السلطان المَخْلُوع)، ٣٣
مُحَمَّد بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن الحكم (من أمراء بَنِي أُمَيَّة)، ٢٩
الشَّقُوَرِيّ، مُحَمَّد بنُ عَلِيّ، ٢٩٩
مُحَمَّد بنُ عَلِيّ، انظر: الشَّقُوَرِيّ
مُحَمَّد(فتى)، ٢٠٨
مُحَمَّد، فتى ابن نغريلة، ٣٨
مُحَمَّد القَرْمُوطِيّ المُرْسِيّ، ٩٨
مُحَمَّد ﷺ، ٢٠٢،١٩٩،١٣٤،١٣٢، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٣، ٢٤٠، ٢٩٢
مُحَمَّد بنُ هَانِئٍ، انظر: ابنُ هَانِئٍ، مُحَمَّد
المَرَّاكُشِيُّ، انْظُرْ: ابنُ عذاري المَرَّاكُشِيُّ
ابنُ مَرْج الكحْلِ، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣
مَرْحَبَا اليَهُودِيُّ، ١٩٤
ابنُ المُرَحَّلِ، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢
ابنُ مَرْدَنِيش، ١٨
ابنُ مَرْزُوقٍ، ١٨٤، ٢٠١، ٢٠٣
ابنُ المَرْشَانِيّ، ٢٢١
مَرْوَانُ بنُ جَنَاح اليَهُودِيُّ، ٩٥، ٩٨-١٠٠
مَرْيَم (جارية يهودية) ، ١١١
المُسْتَظْهِرُ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ هِشَام، ٢٨٩
المُسْتَعِينُ بنُ هود، ١٥٧،٣١،٢١٨، ٢٢٠، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥٦
المُسْتَعِينِ، انظر: ابن هود
المُسْتَنْصِرُ، انظر: الحَكَم الثَّانِي ابنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ المَرْوَانِيّ
المُسْتَنْصِرُ، انْظُرْ: المُسْتَنْصِرُ علي بنُ خلاص
المُسْتَنْصِرُ، الخليفة، ٢٢٧
مَسْعُود كوَاتِي، ٨
المَسِيح الدَّجَّال، ١٤١
المَسِيحُ عليه السلام، ١٠٦، ٧٦، ١٤٨، ١٥٤، ١٥٥، ٢٣٤، ٢٧٧، ٢٨٩
ابنُ مِشْعَل اليَهُودِيُّ (سَفِيرُ المُعْتَمَدِ)، ٢٤، ٣٢
مشْلم بنُ يَعْقُوب اليَهُودِيُّ، ٩٩
مُصْطَفَى الغَدِيرِيّ، ١٧٤
أَبُو المُطَرِّفِ ابنُ الدَّبَّاغ، انْظُرْ: أَبُو الفَضْلِ بنُ الدَّبَّاغِ
ابنُ مَطْرُوح السَّرَقسْطِيُّ، ٨٦، ٢٢٣
المُظَفَّرُ، انْظُرْ: بَادِيسَ بنُ حَبُّوسَ
المُظَفَّرُ بنُ هود، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٦٠
مُعَاذٍ، ١٠٤
ابنُ المُعْتَزِّ، ٥٠، ٥١، ١١٢، ١٦١
المُعْتَصِمُ ابنُ صُمَادح، ٣٦-٣٩، ١١٣، ١٣٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٩، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٨٧، ٢٨٨
المُعْتَضِد، ٢٢، ٢٣، ١٣٠، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٧، ١٦٥
ابن المُعْتَمد، سِراج الدولةِ، ٢٢
المُعْتَمِدُ بنُ عَبَّاد، ٢٢-٢٤، ٣٢، ٥٢، ٥٨، ٦٧، ٦٨، ١٤٣، ١٦٦، ١٦٧، ١٩٠، ٢١٨، ٢٢٩، ٢٧١، ٢٧٥
المَعَرِّيّ، ١٨٠، ٢٢٦، ٢٤٦
ابنُ المُعِزِّ، انظر: تَمِيم بنُ المُعِزِّ
المُعِزُّ بنُ بُلُقِّين (حفيدُ بَادِيس)، ٣٦، ١٣٢
المُعِزُّ لدينِ اللهِ الفَاطِمِيُّ، ١٢٦، ١٩٥
معمر، ٢٦٦
مُغِيث، ١٦
أَبُو المُغِيرَةِ ابنُ حَزْم، ٣٢، ٢٦١، ٢٦٢
المَغِيلِيّ، ٧٧
المُقْتَدِرُ بنُ هود، ٣١، ١٣٦، ٢١٨، ٢٤١، ٢٥١-٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٠
مِقْدَادُ رَحِيم، ٢٠٦
المَقَّرِيُّ(الجَدُّ)، ١٨٦، ١٨٨
المَقَّرِيُّ، ٧، ١١، ١٣، ١٤، ١٦، ٢٢-٢٥، ٢٩، ٣١، ٣٣، ٣٥، ٤١-٤٤، ٤٧، ٥٢-٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٣-٦٥، ٦٨-٧٢، ٧٤، ٨١، ٨٢، ٨٥، ٩٢، ٩٨، ١٠٤، ١١٠-١١٣، ١١٥-١١٧، ١٢٠، ١٢١، ١٢٦، ١٣٢-١٣٧، ١٣٩، ١٤٣، ١٧١، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٧
المَقْرِيزِيُّ، ١٤١، ١٤٣
المَالِكِيُّ (المُؤَرِّخ)، ٨
المَلِكُ، ٦، ١٣، ٢١، ٢٩، ٥٣، ٦٩، ٨٠، ١٤٤، ١٥٢، ١٩٠، ١٩٤، ٢٣١، ٢٨٢، ٢٨٨
المَلِكُ جيمس الأَوَّلُ، ٢٤
المَلِكُ رِيكَارْدُ، ١٣
المَلِكُ سِيزْيُوت، ١٣، ٢٩
مَلِك غَرْنَاطَة، ٢٨١
المَلِكُ القِشْتَالِي، ٨٠
المَلِيكْشِيّ ،انْظُرْ: ابنُ إِبْرَاهِيمَ المَلِيكْشِيّ
مَمْلُوك يهودي، ٨٠
ابنُ سُرُّوق (سوروق= سوروك)اليَهُودِيُّ انظر: مِنَاحِمْ بنُ سُرُّوق
مِنَاحِمْ بنُ سُرُّوق (سوروق= سوروك)اليَهُودِيُّ، ٩٥، ١٠٠، ٢١٦
مناحم بنُ الفَوَّالِ اليَهُودِيُّ، ١٠٤
المَنْصُور، السُّلْطَانُ، ١٣، ٣١، ٤٧، ٤٨، ٥٥، ٥٦، ٦٥، ٦٨، ٨٢، ١٤٦، ١٤٩، ١٧٦، ١٧٨
المَنْصُورُ بنُ أَبُو عَامِرٍ، ٢٢، ٤٩، ١٤٩، ١٥٠، ١٨٧، ٢٢٢
المَنْصُورُ، يَعْقُوبُ أَبُو يُوسُفَ (السُّلْطَانُ)، ٥٤
المُنْفَتِلُ،ابنُ خِيَرَة القُرْطُبِيُّ، ٧، ٨، ١١٣، ١١٤، ١٢١، ١٢٢-١٢٩، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٠، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٨-٢٤٠
المَهْدِيّ، انظر: عُبَيْدُ اللهِ الشِّيعِيُّ
المُهَلْهِلِ أَخُو كُلَيْبٍ، ٢٧٤
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ،٢، ٣، ٧٠، ٧١، ٨٩، ١٠٦، ١٠٩، ١١٠، ١١٥، ١١٦، ١٢٦-١٢٩، ١٧٦، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٥، ٢٤٠، ٢٤٩، ٢٩٥، ٢٩٩
مُوسَى بنُ أَزْرَق، انظر: أزرق ، موسى
مُوسَى بنُ أنوخ (حَنُّوخ = هنوخ) اليَهُودِيُّ، ٢٩، ٩٥
مُوسَى بنُ جِيكَانِيلا اليَهُودِيُّ، ١٠٠، ١٠١
موسى الزَّوِيلِيُّ اليَهُودِيُّ، ١١٦
مُوسَى بنُ عَبْدِ الصَّمَدِ اليَهُودِيُّ (مليح إشبيلية)،١٠٥، ١١٦، ١١٧
مُوسَى بنُ عِزْرَا اليَهُودِيُّ، ٢٧، ١٠٥
مُوسَى بنُ عمْرَانَ، انْظُرْ: مُوسَى عَليه السَّلامُ
موسى بنُ أبي عمْرَانَ، ١٨٢
موسى (فتى ابن سهيل)، ٢٠٢، ٢٠٧، ١١٧، ٢٠٥
مُوسَى بنُ مَفْرُوح اليَهُودِيُّ، ٢١
موسى بنُ مَيْمُونَ اليَهُودِيُّ، ٢، ٩٣، ٩٦، ٩٩، ١٠٤، ١٠٥، ١٤٦
مُوسَى بنُ نُصَيرٍ، ١٥، ٢٧٠
مُونْتغِمْرِي وَات، ٤، ١٦، ٩٢، ٩٦
ابنُ مَيْمُون اليَهُودِيُّ (عاملُ بَادِيسَ في أليسانة)، ٢ ، ٢١، ٢٢، ٨٦، ١٤٥
مَيْمُون، ١٠٤

ن

النَّابِغَةِ الذّبْيَانِيّ، ٢٤٧
نَاذَابُ، ٢٩٥
نَافِع عَبْدُ اللهِ، ١٧٢
ابنُ نُبَاتَة، أَبُو نصْرٍ، ٢٩٣
النّبَاهِي، ١٧٤

النَّبِيُّ ﷺ، ١، ٢، ٢٦، ٤٢، ٦١، ٧١، ٩٢، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٨، ١٥١، ١٩١، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٠٨-٢١٠، ٢١٢-٢١٤، ٢٣٧، ٢٧٣، ٢٧٦
النَّبِيُّ يَعْقُوبُ،عليه السلام، ١
النَّدِيمُ، (صاحب الفهرست)، ٩٨
نَزْهُون اليَهُودِيَّةُ ، ١٥٢
نَسِيم الإِسْرائِيلِيّ، ٥، ٢٢٩
أَبُو النَّصْرِ مَنْصُور(المُغَنّي)، ٨٥، ١٠٧
أَبُو نصْرٍ ابنُ نُبَاتة، انظر: ابنُ نُبَاتة، أَبُو نصْرٍ
النُّعْمَانُ ، ٤٠
أَبُو النَّعِيمِ الجَنَوِيّ، ٩٢
ابنُ نَعْزَلَّة أو نَغْدِلَّة أو نَغْرَالَّة أو نَغْرَالَّة أو النَّغْرالّيّ أو النَّقْرَالِ، انْظُرْ: ابنُ نَغْرِيلَّة (الوَزِير)
ابنا نَغْرِيلَّة، ١٣٧
ابنُ نَغْرِيلَّة، (خال الوزير) ١٥٨
ابنُ نَغْرِيلَّة (الوَزِير)، ٧، ١٤، ١٧، ١٩، ٢٨، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٨، ٩٧، ١٠٠، ١٠٣، ١١٣-١١٥، ١١٩-١٢٣، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٤-١٤٧، ١٥٣، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٨، ١٧٠-١٧٢، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٧-٢٣٩، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٨، ٢٧٩-٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٢-٢٩٤، ٢٩٧، ٢٩٩
ابنُ نَغْرِيلَّة، إِسْمَاعِيلُ، ١٩، ٣٠، ٣٦، ٣٨، ١٠١، ١١٩، ١٢٣، ١٢٥،١٣١،١٧٤، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٧٩-٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٨
النَّمْرُودُ، ٢
أَبُو نُوَاس، ١١٠، ١١٧،١١٢،١٢٦، ١٢٧، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٤٦
نُوح عَلَيْهِ السَّلامُ ، ٧١
نُوَيْرَة، ٦٤، ١٧٧

هـ

هَارُون اليَهُودِيُّ(وَزِيرُ عَبْدِ الحَقِّ المُرَيْنِيُّ)، ٢٨
هَارُون (صراف يهودي بفاس)، ٣٤
هَارُون الرَّشِيد، ١٢٦، ١٥٦
هَارُون بن عمران (أخو النَّبِيّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ)، ١٨٠، ٢٠٥، ٢٩٥
هاشم بنُ عَبْدِ العَزِيزِ، ٢٩
ابنُ هَانِئ الأَنْدَلُسِيُّ، ١٢٦، ١٧٦، ١٨٠، ١٩٢، ١٩٥
هِشَام بن الحَكَمِ (الخليفة)، ١٧٨
هِشَامُ الأَوَّلُ (بنُ الحَكَمِ)، ١٤
هِشَام المُؤَيَّد،الخليفة، ٥٨، ١٤٩، ١٩٠
هَمَّام، ٢٣٥، ٢٣٩
ابنُ هَمْشَك، إِبْرَاهِيم، ١٨، ٥٥
هَنَاءُ أَبُو الرّب، ١٣٩
هِنْداوِيّ،١، ٣٩، ٩٨-١٠٧، ١١٩، ١٢٢، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٤٩، ١٥٠، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٧، ٢١٦
ابنُ هنوخ (حَنُّوخ) اليَهُودِيُّ، انظر: مُوسَى بنُ أنوخ
هَنِيغِد(הנגד = الأَمِير)، انْظُرْ: اسماعيل ابن نغريلة
هُوتُو الأَوَّل، الإمبراطور، ٣٢
ابنُ هُودٍ، ٦، ١٨، ٥٣، ٥٤، ٦٤، ١٣٦، ١٤٩، ١٨٣، ٢٠٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٦٠
ابن هود، المُسْتَعِين، ٢١٨
هُولاكُو، ٥١
هِيلِينا، ٣١، ٢١٦

و

الوَطَّاسِيُّ (السُّلْطَانُ)، ١٩١
أَبُو الوَلِيدِ البَاجِيّ، ٢٩٠
أَبُو الوَلِيدِ ابنُ زَيْدُون، ٢٢، ١٦٥ انْظُرْ: ابنُ زَيْدُون
أَبُو الوَلِيد الوَقَشِيّ(القاضي) منشد السيد، ٨٧
الوَنْشَرِيسي، ٤٤-٤٦، ٤٩، ٥٠، ٥٣، ٥٤، ٥٦-٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٥، ٦٦، ٧٣، ٧٥، ٨٠، ٨٣، ٨٤، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٤، ١٠٤، ١٤١

ي

ابنُ اليَاسَمِين، ١٤٦
يَعْقُوب (السُّلْطَانُ)، ٢٦
يَعْقُوب المَنْصُور،انظر: المَنْصُورُ، يَعْقُوبُ أَبُو يُوسُفَ (السُّلْطَانُ)
ابنُ اليَمَّانِ، انظر: إِدْرِيسُ بنُ اليَمَّانِ
ابنُ يَنَالَه، ٢١، ٥٧
أبو يُوسُفُ ،انظر: المَنْصُورُ، يَعْقُوبُ (السُّلْطان)
يُوسُفُ بنُ أَحْمَدَ بنُ حَسْدَايَ اليَهُودِيُّ،أَبُو جَعْفَرٍ ، ٢١٦
يُوسُفُ ابنُ تَاشَفِين، انظر: ابنُ تَاشَفِين، يُوسُفُ
يُوسُفُ، أَبو يَعْقُوب (التاجر)، ٨٤
مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَنِ بن الحكم(أَمِيرأموري)،٢٩

فِهْرِس الشُّعُوبِ وَالقَبَائِلِ وَالجَمَاعَاتِ وَالمِهَنِ

أ

أَئِمَّةُ الصُّوفِيَّةِ، ١٨٧
أَبْنَاءُ الفُقَرَاءِ، ٩٧
أَبْنَاءُ المُسْتَوْطِنِين، ٧٩
أَبْنَاءُ المُسْلِمِين، ١٩٨
أَبْنَاءُ النَّصَارَى، ٨٠
أَبْنَاءُ اليَهُودِ، ٩٤، ١٨٩، ١٩٩، ٢١٣
أَتْبَاعُ التَّجْسِيمِ، ٢٦
الأَجَانِبُ، ٧٩
الأَجْنَاسِ، ٨٩
أَحْبَارِ اليَهُودِ، ٥٢، ٩٣
الأُدَبَاءُ، ٤١، ٤٤، ٧١، ٨٤، ٨٧، ١٢٦، ١٧٣، ١٩٧، ٢٠١، ٢٨٣، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٩
أَذِلاءِ بنو النَّضِير، ٢٧٣
الأَرْذَلونَ، ١٤٨، ١٦٧
أَرِقَّاء نصَارَى، ٧٥
أَرِقَّاء اليَهُودِ، ٧٥
أَسَاتِذَة العَرَبِ، ١١٧
الأَسْبَاطُ، ١، ٤
الإِسْبَان، ١
أَسْرَى الحَرْبِ، ٨٠
الإِسْلاميّون، ١٨
الإِشْكِنَاز (اليَهُود الأورُوبِيّون)، ٤٥
أَصْحَابُ التَّثْلِيث، ١٦١
أَصْحَابُ التَّجْسِيم، ١٦١
أَصْحَابُ الحَانَاتِ، ١١٦
الأَطِبَّاء، ٨٥، ١٣٥، ٢٥٠
أَطِبَّاء اليَهُودِ، ١٠٣، ١٠٤
الأَطْفَالُ، ٤٥، ٨٠ ، ٩٤
الأعاجِمِ، ٦٨
أعلامُ اليَهُودِ، ١٧٥، ١٩٦
الأغيار، ٧٦، ٨٨
الإِفْرَنْج، ١٩٦
الأَقَلِّيَّات، ٨٩، ٢٠٤
الأُمَرَاءُ، ١٤، ٢٥، ٢٦، ٣٢، ٤٢، ٨١، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٩٢، ٢٥٧، ٢٦٩، ٢٨٧
أُمَرَاء بني هُود، ٢١٨
الأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ بنُ بُلُقِّين، ١٩- ٢٢، ٢٨، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٣، ١٢٨، ١٣١، ١٥٣، ١٥٧، ٢٧١، ١٧٢، ٢٧٥، ٢٦٧، ٢٨٠، ٢٨١
الأَنْبِيَاءُ، ١٣، ١٤، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٧، ١٢٧، ١٩٥، ٢٧٤، ٢٩٦، ٢٩٨
الأَنْدَلُسِيُّون، ٤، ١٩، ٢٩، ٥٧، ٦٢، ٧٦، ٨٠-٨٢، ١١١، ١١٣، ١١٩، ١٢١، ١٢٦، ١٤٠، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٤، ١٦٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٦، ٢٠٨، ٢٥٣، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٦٥
الأَنْذَال، ١٤١
أَهْلُ إِشْبِيلِيَة، ٢٢٩
أَهْلُ إِفْرِيقْيَة، ٢٠٢
أَهْلُ أَلِيسَانَة، ٢١، ٨٦
أَهْلُ الأَنْدَلُسِ، ٢٤، ٢٥، ٤١، ٥٣، ٥٥، ٩٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٦، ١٨٨، ١٩٧، ٢٠٢، ٢١٥، ٢٨١، ٢٨٩
أَهْلِ البِدَعِ، ٥٦
أَهْلَ بَلَنْسِيَة، ١٦٦
أَهْلُ التثليث، ٢٧٧
أَهْلُ خَيْبَرَ، ٢٦٦
أَهْلُ دانِيَة، ٨٧، ١٤٥
أَهْلُ الدَّوْلَةِ، ٢٠
أَهْلُ الذِّمَّة، ١، ٤، ٨، ٢٢، ٢٧، ٣٢، ٤٦، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٦١، ٦٨، ٧٤، ٨٠، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٩٠-٩٢، ١٠٧، ١٢٢، ١٥٠، ٢٦١، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٩٢
أَهْلُ السَّبْتِ، ٧٠، ٧١
أَهْلِ صِنْهَاجَة، ١٧٠
أَهْلُ الظَّاهِرِ، ٢٨٩
أَهْلُ العِجْلِ، ١٨٠
أَهْلِ غَرْنَاطَة، ١٤٧، ٢٨٨
أَهْلُ فَاسَ، ٦٠
أَهْلِ قُرْطُبَة، ٥١، ١١٨، ٢١٧، ٢٦١
أَهْلُ القِلَّةِ وَالذِّمَّة، ٢٨، ٢٩٣
أَهْلُ الكِتَابِ، ١
أَهْلُ الكُفْرِ وَالشِّرْكِ، ٢٨، ٢٩٣
أَهْلُ المَمَالِكِ، ٢٧، ٢٩٢
الأَوْسُ، ١٤٤، ١٩٤
أَوْلاد اليَهُودِ، ٩١
أَوْلاد يَعْقُوب عليه السلام، ٢٩٧
أُولُو الأَبْلَقِ الفَرْدِ، ٢٧٤
إِرَمِ، ١٩١

ب

البَاحِثون، ٦٣، ١٧١، ١٧٣
البَاعَة المُتَجَوِّلونَ، ٨٤
بَاعَةُ الخَمْرِ، ١١٦
البَرَابِرَة (البربر)، ٨، ١٣، ١٤، ٣٩، ٦٠، ٩٠، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٧، ١٤٥-١٤٧، ١٥٠، ١٦٩، ١٧٠
البرامِكة، ٢٦٨
البربر، انظر: البرابرة
بَرْبَرِ صِنْهَاجَة، ١٧٠
بَلّي (اسم قبيلة)، ١٧٥
البَنّاؤون، ٢١
بَنَات المسلمين، ٨٢
بَنَات اليَهُودِ، ٦٠، ١٠٩، ١١٠
بِنْتا شُعَيْبٍ، ٢٠٥
بَنُو الأَحْمَرِ، ١٨٦
بَنُو إِسْحَاقَ، ١٧٣
بَنُو إِسْرَائِيل، ٢، ٣، ٤، ٢٢، ٥٩، ٦٥، ٧١، ٧٩، ٨٩، ١٤٢، ١٥٢، ٢٣٧، ٢٦٥، ٢٧٦
بَنُو أُمَيَّة، ١٢، ١٩، ٢٩، ٧١، ٧٤، ٨٥، ١٤٩، ٢٣٣
بَنُو الشَّحْمَاتِ، ١٤٧
بَنُو النَّضِير، ١٠٩، ٢٧٣
بَنُو قُرَيْظَة، ١٤٤
بَنُو لَيْلَى= بَنُو لِيئَة أو ليقة (اليهود)، ١١٠
بَنُو مِدْيَان، ٧٩
بَنُو مَرْدَخَايَ، ٢٦١
بَنُو مُرَيْن، ٢٨، ١٩١
بَنُو هُود، ٣١، ٨٢، ٢٠٥، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٢
بَنُو يَعْرُبٍ، ١٠٢

ت

تاجِرٌ يَهُودِيٌّ، ٧٧، ٨٠ ، ٨٢، ٩٤، ٢٦٣
التُّجَّارُ، ٨٠-٧٨، ٨٢
تُجَّارُ الرَّقِيقِ، ٧٩
تُجَّارُ المُسْلِمِين، ٧٧
التُّجَّارُ النَّصَارَى، ٨٠
تُجَّارُ اليَهُودِ، ٧٨، ٧٩، ٨١- ٨٣

ث

الثَّائِرون، ٢٩٢

ج

جَارِيَة، ٨١، ٨٢

الجَالِيَة اليَهُودِيَّة بِقُرْطُبَة، ٨٩
الجَبَابِرِ، ١٨٢
جَدِيس ، ٢٧٤
الجَزَّارون، ٢٢٢، ٢٢٤
الجُغْرَافيون، ٤٠
الجَمَاعَات اليَهُودِيَّة، ١٠٦، ٢٨٥
الجَمَاعَة Aljama، 40
الجَمَاعَة العَمْيَاء ، ١٠١
جَمَاعَة اليَهُودِ، ١٤٩، ٢٠٨
الجَمَاهِيرِ، ٧٦، ٨٦
الجِنّ، ١٦٣
الجُنُود ، ١٧٠
جنود طالوت، ٧١
الجواري، ٧٨-٨١، ٨٢، ١١٠، ١٨٨
جواري اليَهُودِ، ١١٠
الجَيْش ، ٨٠
جَيْش المَلِك القشتالي، ٨٠
جُيُوش قشْتالة ، ٨١

ح

حَاخَامَاتُ البَلاطِ، ٩٧
الحَاشِيَة، ٨٠
حَاكِمُ المُسْلِمين، ٩٤
الحَرَس، ٨٠
الحَرِيم، ١٣٢
حَرِيم بَادِيس، ١٣١
الحُكَّام، ٢٧، ٣٤، ٤٠، ٥٦، ٧٧، ١٤٤، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ٢٥٤
حُكَّامِ المُسْلِمِين، ٩٣
الحُكَمَاء، ٩٣، ١٠٥، ١٨٩، ٢٤٩، ٢٥٠

خ

الخَدَم، ٧٨، ١٢١، ٢٤٢
خَدَم العَسْكَرِ، ٦٧
الخُلَفَاء، ١٢٢
الخَيَابِرَة، ٢٦٦
الخَيْبَرِيّ، ٢٦٦

د

الدَّارِسون، ١٧٣، ١٩٩

ذ

الذِّمِّيّون، ٢٦، ٥٦، ٩٠-٩٢

ر

الرَّاهِبات، ١١٢
رَبَّانِيّ، ٣، ١٥٥
الرَّبَّانِيُّون، ٣، ١٥٦
الرِّجَال، ١٤٠، ٢٨٣
رِجَالُ الدِّين، ٢١٠
رِجَالاتُ الأَنْدَلُس، ١١٩، ١٣٠
رِجَالاتُ البَلاطِ اليَهُودُ، ٩٧
الرُّسُل، ٢٠٩
الرُّسُلُ (رسل الملوك والأمراء)، ٦٧
الرَّقِيقُ، ٣٩، ٧٩- ٨١، ٩٢، ١١٦
الرُّهْبَان، ١١٢
رُوَّاد الفَلْسَفَةِ اليَهُودِ، ١٠٤
الرُّوم، ٢، ٨، ١١، ٥٨، ٨٢، ١٦٦، ١٩٨، ٢٤٢

ز

زَاعِمُو التَّثْلِيث، ٢٦
زَنَاتَة، ٦٠
الزُّنُوج، ٢١٣

س

سادة يَهُودِ الأَنْدَلُس، ١٢٠
سَامِرِيَّةٌ، ١٧٦، ١٧٧
سَامِرِيون، ١٧٨
سَجِينَة يَهُودِيَّة، ٨٢
السَّحَرَة، ٧٠
السُّخَفَاء، ١٣٤
سَفَلَةُ اليَهُود، ١٣٤
سُكَّان البِلادِ، ٩٢
سُكَّان خَيْبَرْ، ٢٦٦
السَّلاطين، ٢٠، ٢٨، ٥٥، ٩١، ١٢٠، ٢٦٠
السُّلالة المُرَيْنِيَّة، ١٩١
السِّيَاسِيون، ١٩٥

ش

شَاعِرَات عَصْرِ الطَّوَائِفِ، ٢٢٨
شَعْبُ إِسْرَائِيل. انْظُرْ: إِسْرَائيل
الشَّعْب اليَهُودِيّ، ١٠٦
الشُّعَرَاء، ٧، ١٢، ٢٣، ٣٢، ٤٤، ٥١، ٥٥، ٧٢، ٨٥، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٩، ١١١، ١١٥، ١١٩، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٤-١٤٦، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٢-١٦٥، ١٧١، ١٧٧-١٨٠، ١٨٩-١٩١، ١٩٣، ١٩٥-١٩٧، ٢٠٧- ٢١٠، ٢١٤، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٨٥
شُعَرَاء الأَنْدَلُس، ١٠٩، ١٥٩، ١٧١، ١٨٩، ٢٩٩
شُعَرَاء العَالَمِ، ١٠٢
الشُّعراء المَشَارِقَة، ٢٤٥
شُعَرَاء اليَهُودِ، ١٠٣، ١١٨، ١٦٠، ١٩٦، ٢٢٦
الشَّوَّاؤون، ٨٥
الشَّيَاطِين، ١٢٨، ٢٧٤
الشُّيُوخ، ٣٣، ١٩٨، ٢٧٠
شُيُوخ مُسْلِمون، ٩٦

ص

صَاحِب تُونُس، ٢٠٤
صَاحِب الشُّرْطَةِ، ٨٢
صَاحِب المَدِينَةِ، ٩١
الصَّحَابَة، ١٩٣
الصَّقَالِبَةُ، ٣٠، ٣٩، ٧٦، ٨٠، ١٧٨
الصَّلِيبِيون، ٥٥
صِنْهَاجَةُ ، ٣٩، ١٣٩، ١٦٧، ١٧٠، ٢٧٩
الصِّنْهَاجِيّون، ١١٨، ١٧٠
الصُّوفِيون، ١٦١، ١٨٥
الصَيَادِلَة، ٨٥

ط

طَائِفَة السَّامِرِيون، ١٧٥
الطَّائِفَةُ اليَهُودِيَّةُ، ٤٠، ٥٧، ٨٩ ، ٩١، ٩٧، ١٩٨
الطالبيون (المنسوبون إلى علي بنُ أبي طالب)، ٥٩
الطَّبَّاخُون، ٨٥
طَلَبَة اليَهُودِ، ٩٧
الطَّوَائِف، ١، ٧، ١٢، ١٤، ١٩، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٣٩، ٧٠، ٨١، ٨٩، ١١٩، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٤١، ١٤٢، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٧، ١٩٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٥٧، ٢٦٥
الطَّوَائِف اليَهُودِيَّة، ٨٧
الطَّوَام، ٢٣٨، ٢٧٧، ٢٩٥

ع

العَارِفون، ٥١

عَاد (قوم ثمود)، ٢٧٤
العَامَّةُ، ٧، ١٥، ١٩، ٣٥، ٥٩، ٦٢، ٨٥، ٨٩، ٩١، ٩٢، ١١٠، ١١٩، ١٧٠-١٧٢، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٨١، ٢٨٧
عَامَّةُ النَّاسِ، ١٥٢
عُبَّاد الإِنْجِيلِ، ١٥٥
العِبْرَانِيُّون، ٢، ٣، ١٠، ١٩٤
العِبْرِيُّون، ٢
العبيد، ٧٦، ٧٩-٨١، ٢٧١
عَبِيد مُسْلِمون، ٧٩
عَبِيد نصَارَى، ٧٩
العُجْمُ، ١، ٣٩، ٦٨، ١٤٠، ١٤٨، ١٩٠، ٢٤٩
العَرَب، ١-٥، ٧، ٨، ١٢، ١٣، ١٦، ١٧، ٢٠، ٢١، ٢٦-٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٦، ٤٩-٥٤، ٦٤، ٦٦-٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٨٠، ٨٤، ٨٦، ٨٩، ٩٧، ٩٩، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٩، ١١٠، ١١٢-١١٧، ١١٥-١٢٥، ١٢٣-١٣١، ١٣٤-١٤٢، ١٤٤-١٥٥، ١٥٣-١٦٨، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧-١٧٩، ١٨٤-١٨٦، ١٨٩، ١٩١، ١٩٥، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٨-٢١١، ٢١٤، ٢٢١-٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٣-٢٣٩، ٢٤١-٢٤٩، ٢٥١-٢٦٠، ٢٦٢-٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٧
عَرَب البِطاح، ٢٦٤
العُلَمَاءُ، ١٤، ٣٨، ٥٤، ٥٨، ٧٣، ٩٣، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٨٩، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٧١، ٢٩٠
عُلَمَاء بني إسرائيل، ٢٨١
عُلَمَاء الصُّوفِيَّةِ، ١٨٨
عُلَمَاء الفَلَكِ، ١٣٤
عُلَمَاء المُوسِيقَى، ٧٣، ١٠٧، ٢٢٨
عُلَمَاء اليَهُودِ، ٣، ٩٥، ١٨٨
العُلُوجِ، ١٤١
العُمَّالِ، ٨٧

غ

الغَزَلِيون، ١١٢
الغلمان، ٧٨، ١١٥، ١١٧، ١٧٣

ف

الفَاتِحونَ، ١٥، ١٦، ٣٩
فَتَيَات اليَهُودِ، ١١١
الفُرْس، ٢، ٢٧٣
فِرْقَة السَّامِرةِ، ١٧٦
الفُقَرَاء، ٣٨، ٩٧
الفُقَهَاءُ، ٢١، ٢٣، ٥٨، ٦١، ٦٢، ٧١، ٧٣، ٨٣، ٩١، ١٤١
فُقَهَاءُ قُرْطُبَة، ٨٠، ٩٣
فَلاحُونَ، ٣٤، ٧٥، ٧٦
الفِينِيقِيُّونَ، ١١

ق

القَادَة، ٢٠، ٤٧، ٤٨، ١١٩، ١٢٢
القَرَامِطَة، ٥٩، ٦٠
القَلاوُون، ٨٥
القُوط، ١٢، ١٣، ١٥، ٣٩، ٩٢
قَبَائِل الشَّمَالِ، ٧٩
قَبَائِل صِنْهَاجَة، ١٦٧
قَبِيلَة بَكْرٍ، ٢٧٤
قَبِيلَة تَغْلِب، ٢٧٤
قَتَلَة الأَنْبِيَاءِ، ٨٦ ، ٨٧
قُضَاة اليَهُودِ، ٩٣
قُطَّاع الطَّرِيقِ، ٧٨
قَوْم جَالُوتَ، ٢٦٢
قَوْم مُوسَى، ١٠٩، ١١٠، ١٢٧
قَيْس، ١٤٤

ك

الكُتَّاب، ٥٨، ١٩٣، ٢٠١، ٢١٥، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٧٦
الكُتَّاب العَرَب، ٢٤٢
الكُهَّانُ، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٣
كحَال (جماعة اليهود)، ٤٠

م

المُؤرِّخون، ٨، ١٤٣، ١٧١، ١٧٢
المُتَآمِرُونَ، ١٩
المُحْتَسِب، ٨٤
المُرَابِطُون، ١٤، ٢٤، ٣٢، ٤٠، ١٥٣، ١٨٢
المُرَابون الحَقِيقِيون، ٨٨
المُرَابون المُحْتَرِفون، ٨٨
المَرْأَةُ اليَهُودِيَّة، ٦٠، ١٠٩
المَرْأَةُ النَّصْرَانِيَّةُ، ٥٨، ٦٠
المُرَابِي اليَهُودِيُّ، ٨٨
المُرْتَزِقَة، ٢، ١٤
المُرْسَلِونَ، ١٢٧، ٢٠٩
مَسَاكِينِ المُسْلِمِينَ، ٩١
المُسَالِمَةُ، ٣٩، ٩١
مُسْلِمو الأَنْدلُسِ، ١٥٣
المُسْتَشَارُونَ، ٤٠
المُسْتَشْرِقون، ٢٦٥
المُسْتَضْعَفون، ٢٦٤
المُسْتَعْرِبونَ، ١، ٣٩
المُسْلِمَاتُ، ٥٨
المُسْلِمونَ، ١، ٧، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦، ١٩-٢٤، ٢٦، ٣٢-٣٧، ٣٩-٤٣، ٤٥-٥١، ٥٣-٥٨، ٦٠-٦٧، ٦٩، ٧٢-٧٧، ٧٥، ٧٨، ٨٠-٨٢، ٨٦، ٨٨-٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٧، ٩٨، ١١١، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٨-١٤١، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨-١٥١، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٢، ١٨١، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٤، ١٩٦-١٩٨، ٢٠٠-٢٠٢، ٢١٤، ٢٣٤، ٢٥٢، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٩-٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٨، ٢٨٦، ٢٩٢، ٢٩٤
المَسِيحِيَّات، ١٧٧
المَسِيحيون، ٨٠، ١٤٩
المَشَارِقة، ٥٠، ٥٢، ٦٤، ١١٢، ١٤١، ١٨٠، ١٨٩، ٢٤٥، ٢٦٥
مَشَاهِير اليَهُودِ، ١٧٥
المُشْرِكون، ١٤٨
مَشْيَخَةُ اليَهُودِ، ٢٦٨
المُشَعْوِذُونَ، ١٧٤
المَصَامِدَة، ٤٧
المُعَاهِدون، ٩٠
المُعَرِّفون، ٩٢
المُعَلِّمون، ٢٥٠، ٢٨٦
المَغَارِبَة، ٤٦ ،٥٥، ٢٠٢
المُفَسِّرُونَ، ٧١
المُلُوك، ٦، ١٤، ٢١، ٢٥، ٢٨، ٣١، ٤٥، ٤٦، ٥٠، ٥٤، ٧٦، ٨٨، ٩٧، ١١٩، ١٢٥، ١٣٠، ١٣٨، ١٤١-١٤٥، ١٥٢، ١٥٩، ١٨٨، ١٩٠، ٢٢٢، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٧٤ ، ٢٩٠، ٢٩٣
مُلُوكِ بني إسْرَائِيلَ، ٢٣٧
مُلُوكُ الأَنْدلُسِ، ٩٧، ١٠٤، ٢٥١
مُلُوكُ الطَّوَائِفِ، ٨١، ١٤١، ١٥٢، ٢٥٧
مُلُوكُ العَرَبِ، ٩٧، ٢٢٧
مُلُوكُ العُرْبِ وَالعَجَمِ، ١٩٠
مُلُوكُ غَرْنَاطَة، ١٣٢
مُلُوكُ قَشْتَالَة، ٨١
المُمَوِّلون اليَهُودِ، ٨١
المَنْفِيون، ١٠٣
المُوَحِّدُونَ، ١٤، ١٨، ٢٤، ٢٩، ٤٧، ٤٩، ٥٥، ٨٢، ٢٠٤
المُوَظَّفون، ١٤٤
المُوَلَّدُون، ١، ٣٩

ن

النُّبَلاء، ١٤، ١٨، ٢٢، ٢٣، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٥١، ٦٥، ٧٣-٧٥، ٨٦-٨٨، ٩٢، ٩٧، ٩٨، ١٠٥، ١٢٦، ١٤١، ١٤٤، ١٥٦، ١٦٤، ١٧٣، ١٨١، ١٨٥-١٨٨، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٧، ٢٧٢، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٣
نُدماء السَّلاطِين، ١٢٠
النِّسَاء، ٣٦، ٦٠-٦٢، ١١٢، ١٣١، ١٣٢، ١٤٠، ٢١٢، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٦٨، ٢٧٧
نِسَاءُ الأَنْدلُسِ، ٦١
نِسَاءُ مِدْيَان، ٧٩
نِسَاءُ المسلمين، ٨٢
نِسَاءُ اليَهُودِ، ٥٨، ٦٠، ٦١، ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١٧٦
نَسَب اليَهُودِ، ١٤٦
نَسْل اليَهُودِ، ١٤٦
نِسْوَة اليَهُودِ، ١١١
نُشَطَاء اليَهُودِ، ١٣٨
النَّصَارَى، ١، ٨، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ٢٢-٢٦، ٢٩، ٣١-٣٤، ٣٩، ٤٠، ٤٥، ٤٦، ٥١، ٥٢، ٥٥، ٥٦، ٦٣-٦٥، ٧٣، ٧٤، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٩٨، ١٠٦، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٦-١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٤-١٥٧، ١٦١، ١٧٢، ١٧٣، ١٨٣، ١٩٤، ١٩٦، ٢١٠، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٦
نصَارَى الإِسْبَان، ١
نصَارَى الكَرَكِ، ١٤٣
النَّصْرَانِيَّات، ٥٢
النُّقَّاد اليَهُودَ، ٢١٤
النُّورْمَان، ٨٢

هـ

هِلال، ١٤٤

و

الوَاعِظُون، ٤٠
الوُزَرَاء ، ٦، ٤٤، ٥٨، ٨٥، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٥، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٧، ٢٢٢، ٢٥٢، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٨٦، ٢٩٣
وُزَرَاء الحَكَمِ، ٧٤
الوُزَرَاء اليَهُود، ١٤١، ١٥٧
الوَصَائِفُ، ٨٢
الوَطَّاسِيون، ٢٨

ي

اليَهُود، ١-٥، ٧-٣٠، ٣٢-٥٠، ٥٣-١٠٧، ١٠٩-١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٩-١٣١، ١٣٤-١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦-١٥٤، ١٥٦-١٦٢، ١٦٤-١٦٩، ١٧٢-١٧٦، ١٨١، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٣-٢١١، ٢١٠، ٢٠٨، ١٩٩، ١٩٦، ٢١٣-٢١٦، ٢٢١، ٢٢٤-٢٢٦، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٧-٢٤١، ٢٦١-٢٧٣، ٢٧٥-٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٥-٢٨٨، ٢٩٠-٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٧-٢٩٩
يَهُودُ الأَنْدلُسِ، ١٢، ٢٨، ١٣٢، ١٣٩
اليَهُود البَارِزون، ١٠٦
يهُود بَغْدَادَ، ٩٨
اليَهُود الرَّبَّانِيُّون، ٢٣
اليَهُودِيات، ٥٩، ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١٣١

فِهْرِس البِقَاعِ وَالبُلْدَانِ وَالأَمَاكِنِ

أ

آسْيَا (آسْيَة) ،١٠،١٦

الآفاق ،٩٧، ٩٨، ١١٥، ١٣٤، ١٨٩

آيت عتاب ،٢١

الأَبْلَقُ (الأَبْلَقُ الفَرْد) ،١٩١-١٩٣، ٢٧٣-٢٧٥

أَبْوَاب دُورِهِمْ ،١٥٠

أَبْوَاب كَنَائِسِهِمْ ،١٥٤

الأَحْبَاس ،٧٤

أَحْياء اليَهُود ،٤٣

الأحياءُ اليَهُودِيَّةُ فِي إسْبَانيَا ،٤٥

الأدْيِرَة ، ١١٣، ١٥٤

أَدْيِرَة النَّصَارَى ،١٥٤

أَذْرَبِيجَان ،١٨٩

أراغون ،٣١، ٣٤، ٨٢

الأراك أو الأراكة أو الأرك ،٣١ ، ٨٠ ، ٨٢، ٢٢٥

الأُرْدُن ،٢،٣

الأَرْض ،١٠ ، ٤٤، ٧٥، ١١٥، ١٢٤، ١٣٢، ٢٠٥، ٢١٠، ٢٢٧، ٢٨٣، ٢٩٩

أَرْض العَرَب ،٥١

أَريحَا ،١٩٤

الأَريطي ،٦٤

إسْبَانيَا،٨ ، ١٠، ١١، ١٣، ١٥، ٢٥، ٢٨، ٢٩، ٣٩، ٤٥، ٧٥، ٨٠ - ٨٢، ٨٩ ، ٩٤ -٩٦، ١٠٧،١٠٣

إسْبَانيَا المُسْلِمَة ،١٤

أستجة ،٢٠٨

إِسْرَائِيل ،١٩٤

الإِسْكَنْدرِيَّة ،١٠ ، ٧٨، ٨٩، ١٩٧

الأَسكوريَال ،٤٧

الأَسْوَاق ،٥٧، ٥٨، ٧٠ ، ٨٠ ، ١١١، ١٤٥

أَسْوَاقُ المُدُنِ الأَنْدَلُسِيَّةِ الكُبْرَى ،٨٣

إشْبانية ،١١

إِشْبِيلية،٦ ، ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ١٨، ٢١ -٢٤، ٢٦، ٣١، ٣٣-٣٥، ٤١، ٥٣، ٥٥، ٦٨، ٧٠ ، ٧٨، ٩٠ ، ٩١، ٩٨، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١١٢، ١١٦ ١١٧، ١١٨، ١٣١، ١٤٠ ، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٦، ١٧٣، ١٧٨، ١٩٦-١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٢٩، ٢٧٥، ٢٩٠ ،

أَطَرَابُلُس وَطَرَابُلُس ،١١٧

أَغَرْنَاطَة ،انْظُرْ: غَرْنَاطَة

أَغْمَات ،٤٤،٤١،٢٣

إفْرَاغة ،٢٣٣

إفْرِيقْيَة،٨ ، ١١، ١٢، ١٦، ١٩، ٢٥، ٣٧، ٥٩، ٦٩، ٨١، ٨٧، ٩٣، ١١٧، ١٢٧، ١٤٥، ١٤٧، ١٩٢ ٢٠٢، ٢٧٠ ، ٢٧٤، ٢٨٢، ٢٨٨،

أَقْصَى تُهامة ،٢٤٨

أَقْطَارُ الأَنْدَلُس ،١٤٩

أقطار المَغْرِبِ الأَقصى ،١٨٢

أَلِيسَانَة أو اللُّسانة ،٢١، ٢٢، ٤١، ٨٦، ٨٨، ٩٠ ، ٩٥، ٩٦، ١٨٨

أليسانة (السُّورِ المُتَّصِلِ بِالحَمْرَاءِ) ،٢١

أَلِيسَانَة اليَهُود ،٢٦٦

أَليسانة مَدِينَةُ اليَهُود ،٢١

أمَاكِنُ الدَّرْس ،١١٣

أَمَاكِنُ العِبَادَة ،٢٥

أَمَاكِنُ العِبَادَةِ الخَاصَّة باليَهُود ،١١٣

الأَمَاكِنِ العَامَّة ،٨٤

أَنْحَاء إسْبَانيَا ،١٣

الأَنْدَلُس،٢، ٤، ٥، ٧، ١٠-٢١، ٢٣-٣٦، ٣٩-٤٢، ٤٤-٤٨، ٥٣-٥٨، ٦٠-٦٣، ٦٥، ٦٧ -٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٤-٩١، ٩٣-٩٥، ٩٧-٩٩، ١٠١، ١٠٣-١٠٧، ١١٠، ١١١، ١١٣، ١١٢، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٨-١٤٠، ١٤٣-١٤٦، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٧-١٦٣، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧-١٨٩، ١٩١، ١٩٣، ١٩٦-١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٣، ٢١٥-٢١٧، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٢-٢٧٦، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٩-٣٠٣

إنجلترا ،٨٧

أُورْشَلِيم الجَدِيدَة ،٢٧

أَوْرُوبَّا، ١٠، ١١، ٣٠، ٣١، ٣٩، ٤٥، ٦١، ٧٦، ٧٩، ٨٠، ٨٦، ٩٩، ١٠٧، ١٠٨

أَوْرُوبَّا الغَرْبِيَّة ، ١٠

إيبيريا ، ١٠، ١٦، ٩١

إيطاليا ، ٩٦، ١٠٧

إيلان ، ٤٤

إيلْيَاء ، ١١، ٧٩

ب

البِئْر (بئر) ،٦١، ١٧٩، ٢٤٨

بَاب الرَّبَض فِي غَرْنَاطَة ،١٨

باب القَنْطَرَةَ فِي قُرْطُبَة ، ١٢

بَاب المَدِينَةِ فِي غَرْنَاطَة ، ١٧٠

بَاب اليَهُودِ ،٤٤

باب اليَهُودِ فِي قُرْطُبَة (بَاب الهُدَى)، ١٢ ، ١٧، ٤١-٤٣، ١٥٨

بابُ اليَهُودِ بنَقيس ،٤١

بابل ، ١٠، ١١، ٨٩، ٩٤، ٩٨، ١١٥

باجة ،٦٨

البَادِيَة ،٧٧

بَادِيَة لَبلة ، ٢٩٠

باريس ، ٩٦، ١٢٩

بُجَّايَة ، ٦٩، ٧٣، ٨١

البَحْر، ٢، ٧، ١٠، ١١، ٣٠، ٣٤، ٤١،٦٨، ٩٤، ١١٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٤٩، ٢٥٠

البَحْر الأَبْيَض، ١٠، ٤١

بَحْر إيجه، ١٠٧

بَحْر الزَّقاق، ٣٣

بَحْر القلزم، ١٧٧

البَحْر المَالِح،٢٠١

البَحْر المُحِيط، ٦٨

بُخَارَى، ١٠٦

بَدْر ،٢٦، ١٤٤

بَرَاغ ،٨٠

بَرْبَاط ،٦٠

بَرْبُشْتر ،٣١، ٨٢

بُرِبِيطَرْ (مِنْ أعمال بَلَنْسِيَة) ،١٨٩

البُرْتُغَال ،٦٨

بُرْسَان ،٢٠١

بَرْشَلُونة ،٢٤، ٤١، ٩٥، ١٠٤

برغش،٤١

بُرْقة ،١٠، ١٢٧

البُسْتَان ،١٨٠، ١٨٢، ٢١٨

بُسْتَان المُسْتَنْصِر ،٢٢٧

بِسْطَام ،١٨٤، ١٨٥، ٢٣٥

بسطة ،١٦٢

البشكنس ،٣٠، ١٤٨

بَطَلْيُوس ،٤٣، ٦٧، ٦٨

بَغْدَاد ،٥٠، ٥١، ٨٥، ٩٨، ١٠٦، ١٠٨، ١٨٧، ٢١٥، ٢٩٣

البِلاد ،١٦، ٢٨٨، ٢٩٣

بِلاد الأَنْدَلُس ،٥٤، ٦٥، ١٤٤

بِلاد أَوْرُوبَّا ،٤٥

بِلاد الخَزَر ،١٧٨

بِلاد الشَّام ،١٨٩

بِلاد العَرَب ،١٨٤

البِلاد المُتَخَلِّفَة ،١٠

البِلاد المُتَقَدِّمَة ،١٠

بِلاد المُسْلِمِين بِالمَغْرِب ،٤٧

بِلاد المَغْرب ،١٣٨
البِلاد المَنْكُوبَة ،٢٦
بِلاد النَّصَارَى ،٨٤
بَلاط ألفُونْسُ العَاشِر ،١٠٣
بَلاط سَيْفِ الدَّوْلَة ،١٢١
بَلاط غَرْنَاطَة ،١٧١
بَلْخ ،١٨٨
بلخى ،١٠٦
البلد النفيس ،انْظُرْ: نفيس
بلدان الأَنْدلُس ،٣١
بُلْدانِ أَوْرُوبَّا ،٤٥
بَلَنْسِية،٢٤، ٢٥، ٣١، ٣٤، ٦٩، ٨٧، ١٠٦، ١٤٥، ١٦٦، ١٨٠، ١٨١، ١٨٩، ٢١٧
بنبلونة، ٣٠
البُنْدُقِيَّة، ٤٤، ٨١، ٨٧
بُولَنْدَا، ٢٩
ألبونت، ١٥٧
بيانة، ٤١، ١٨٨
بَيْتُ المَال،٢٤، ٥٧، ٢٨٧
بَيْتُ المَقْدس،٥٢، ٨٩
إلبيرَة، ٧، ١٥، ١٧، ١٨، ٤٠، ٤٧، ٧٣، ١١٤، ١٢٧، ١٤٢، ١٦٧، ٢٨٨
بيزَنْطَة، ٣١، ٢١٦
البِيَع، ٢٥، ٦٤، ١١٣، ١٥٤
البِيَع المُسْتَعْرَبِيَّة ،١٥٩
بَيْعَة، ٤٧
بينُون، ٢٧٤
بُيُوت، ٢٤
بُيُوتُ الأَمْوَال ،٢٦٩
بُيُوتُ الخَمَّارِين ،١٥٦
بُيُوتُ اليَهُود ،١٥٩

ت

تاهَرْت ،٦٦
التَّجَمُّعاتُ اليَهُودِيَّة ،٢٢، ٤١
تدمر الشام ،٥٣
تدْمِير ، ١١، ١٨، ٢٤، ٥٣، ٩١، ٢١٣
تُرْكِيَّا ، ١٠٦، ١٠٧
تُطَيْلَة ،٣١
تِلِمْسان ، ٦٦، ٧٧، ١٢١، ١٣٩، ١٨٤، ١٨٦، ٢٠١
تهامة ، ٢٤٨
توات ، ٤٤، ٧٧
تُونُس ، ٨، ٦٩، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤
تَيْماء ، ١٩١، ١٩٢، ٢٢٦، ٢٧٥
تيهرت ، ٦٦

ج

جَامِع القَرَوِيِّين ، ٦١
جَامِعَة سورا ، ٩٨
جَامِعَة هَارْفارد الأَمْرِيكِيَّة ، ٢
الْجِبَال ، ٢٩٦
جَبَلُ ، ٧١، ١٧٨
جَبَلُ سَيْنَاء ، ١٩٤
جَبَلُ طَارِق ، ١٨٢
جَبَلُ العروس ، ١٢
جَبَلُ قاعُون ، ١٤٥
الجُرْف ، ٢٦٦
الجَزَائِر ، ١٠٧
الجِزْع ، ٢٢٥، ٢٢٦
الجَزِيرَة ، ١٨٩
الجَزِيرَة الخضراء ، ١١، ١٤٩
جَزِيرَة السَّامِرِي ، ١٧٧
جَزِيرَة شُقر ، ١٨٠
جَزِيرَة يَابِسَة ، ٢٢٢
الجِسْر في بَغْدَاد ،١٨٧
جُلَّق ، ٢٢٦
جِلِّيقِيَّة ، ٣٠، ٩٤
الجَنَّة ، ٦٢، ١٢٨، ٢٠٠، ٢١٣، ٢١٤، ٢٢٧
الجَنُوب الغَرْبِيّ مِن الأَنْدَلُس ، ٢٩٠
جَهَنَّم ، ٢٢٧
الجَوْزَاءُ ٢٥١، ٢٧٥
جَيَّان ،١٨، ٢١، ٨٤
الجِيتُو ، ٤٤، ٤٥، ٦١، ٣٠٠

ح

الحَانات ،١٥٤
الحَانات ، ٧٠، ١١٧، ١٥٤، ١٥٦
حَانُوت للعِطَارَة ،٢٨٢
الحِجَاز ، ٦٦، ١٨٤
الحَجَر الأَسْوَد ،١٢٨، ٢١٣
حِصْن فِي رُنْدَة ،١٨
حِصْن الحَمْراء ، ٢٦٨، ٢٨٧
حِصْن رُوطَة ، ١٥٩، ٢٢١
حِصْن العقاب ، انْظُرْ: العقاب
حِصْن القبداق ، ١١٤
الحُصُون ، ٢٣
حُصُون الأَنْدلُس ، ١٦٣
حَضَن ، ٢٤٨
حلب ، ٧٠، ١٠٢، ٢٢٦
حُلَيْحِل ،٢٢٥
الحَمَّام ، ٣٨، ٥٠، ٥٨، ١٦٩
الحَمَّامَات ،٥٨، ٧٤، ٨٥
الحَمْرَاء ،٢١
حمص ،٦٥،١٢
حَيُّ اليَهُود ، ٤٠، ٤٤، ٥٩، ٦١، ٧٨
حَيُّ اليَهُودِ فِي قُرْطُبَة ، ٣٥، ٥٩
الحَيْر ،٤٣
حَيْرُ الزَّجَّالِي ،٤٣، ١٥٨

خ

خُرَاسَان ،٢٦٠
خَزَائِن الحَكمِ المُسْتَنْصِر ،٩٨
الخَنْدق ،١٤٤
خَيْبَر ،١٢،١٩٤،٢٦٦،٢٧٣

د

دَارُ ابْن نَغْرِيلَّة ،١٧٠، ٢٨٧
دَارُ الإِسْلام ،٩٠
دَارُ بَلِّي ،١٧٥
دَارُ يَتِيم ،٦١
دامغان ،١٨٤
دانِيَة ، ٢٨، ٣١، ٨٧، ١٤٥، ١٧٧، ١٩٠، ٢٢٢
دُكان صديق ابْن حَزْم ،٢٩٠
دِمَشْق ، ١٣، ٩٦، ١٠٦، ١١٢، ١٤٠، ١٤٣
دُور اليَهُود ،٦١، ٢٨٨
دُومة الجندل ، ١٩٢
الدُّويحات ، ٦٤
الديار المصرية ، ١٧٦
الدَّيْر ، ١٥٥
دَيْر رِيفَة (في صعيدِ مِصْرَ) ، ١٧٧
دَيْر عَبْدُون ، ١١٣
دَيْر المَطِيرَة ، ١١٣
دَيْر المَسِيحِيِّين ، ١٧٧

ر

الرباط ، ٢٦٦
الرُّبْض ، ١٤، ١٨، ٤١، ٨٥

الرُّبْض فِي قُرْطُبَة ، ٨٥، ٨٦
رُبُض الزَّجَالي فِ قُرْطُبَة ، ١٥٨
رُبُض شقندة، ٧٤
رُبُض اليَهُود، ٤٤
رُصَافَة، ١٨١
رقوطة، ٩٨
رُمَيْمَة،٢٠٥
رُنْدَة ، ١٨، ٣٣، ٢٢٨
رُوطَة ، ٤٠، ١٥٩، ٢٢١
رُوطَة اليَهُود ،٤٠، ٢٦٦
رُومَا (رومة) ، ٣٢، ٨٩
رِيَاض ، ١٨٠
رَيَّة ، ١١

ز

الزَّاب ، ١٢٧، ١٩٢، ١٩٣
زَاوِيَة ، ٢٦٦
زَكْرَم ، ١٤٥
الزَّلاقة ، ٢٢، ٢٣، ٦٧
الزهراء ، ٣٠، ٢٩٣
زَوِيلَة ، ١١٧

س

سَاحَة قُرْطُبَة ، ٢٨٤
سَاحِل البَحْر الأَبْيَض المُتَوَسِّط ، ٣٠، ٩٤، ١١٧
سبتة ، ١٦٤، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٣-٢٠٥
السِّجْن ، ٢٧٢
سُرَّ مَنْ رَأى ، ١١٣
سَرَقُسْطَة، ١٨، ٣١، ٤٠، ٦٤، ٧٣، ٨٢، ٩٩، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٧، ١١٨، ١٣١، ١٤٣، ١٨٣، ١٨٩، ٢١٥-٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٣٢
سلْجِين ، ٢٧٤
سلمية ، ٥٩
السَّمَاء ، ٢١٢
سَمَاوَات ، ٢١٢
سمرقند ، ٥١، ٢٠١
سَنْجِل ، ١٤٧، ٢٨٩
السُّودان ،٦٦
سُورْيَة (سوريا)،١٠، ١٢، ٨٠، ٩٦، ١٠٨، ١٠٧
سَيْنَاء ،١٠، ١٩٤

ش

ألش (مِنْ أعمال تدمير) ،١١
شَاطِبَة ،١٥٧
شاطىء البحر ،١١
الشَّام ، ٣، ١٩، ٥٠، ٦٥، ١٤٠، ١٨٨، ١٨٩
شِبْلَة ،٥١
شِبْه جَزِيرَة أيْبِيرْيَا ، ١٠، ٩١
الشَّرْق ، ١٠، ١١، ٤٤، ٧٠، ٧٣، ٩٥، ١٠٢، ١٠٨، ١١٢، ١٦٧
الشَّرْق الأَدْنَى ، ١٠
شرق الأنْدلُس ، ٢١، ٥٣، ، ٨٢، ١٥٠، ٢٣٢
الشَّرْق الأَوْسَط ، ١٠
الشرْق العَرَبِي ، ١٠٧
شَرْقِي قُرْطُبَة ، ١٨
شَقُورَة ، ١٦٣، ٢٢٥
شِلْب ، ١٣١
الشمال الغربي للأندلس ، ٣٠
شَمَال إسْبَانيَا ، ٢٩، ١٠٧
شَمَال إفْرِيقِيَة ، ١٣، ١١٧
شَمَال جزيرة العَرَب ، ٢
شمال الأَنْدَلُس ، ٢٤، ٧٩، ٩٤
شَنْتَرِين ، ٦٨
شَنْتَمَرِيَّة ، ١٨٩، ١٩٠
الشَّنُوعَةُ (الشَّنُوع) ، ٦١، ٩٠، ٢٦٥

ص

صَحَارِي ، ٢٢٥
الصَّحْرَاء ، ٢
الصَّحْرَاء الكبرى ، ٧٧
صدار ، ٢٢٥
صِفِّين ، ٢٧٢
صَقيلية (صِقِلِّيَة) ، ٦٢، ١٠٧
صُلَيْصِل ، ٢٢٥
صَنْعَاء ، ٧٢، ٢٧٤
صِنْهاجَة ، ١٩، ٣٧-٣٩، ٤٧، ١٦٧، ١٧٠، ٢٨٤، ٢٨٨
الصَّوامِع ، ٦٤
الصِّين ، ٧٦

ض

ضِيَاع النُّبَلاءِ وَالإِقْطَاعِيِّين ، ٨٦

ط

الطَّائِف ، ٢٢٥
طبرية ، ٩٣
طَرَابُلُس ، ١١٧، ١٩٣
طَرَابُلُس إِفْرِيقِيَة ، ١١٧
طَرَابُلُس الغَرب ، ١١٧
طَرطُوشَة ، ٢٤، ٤١
طُرُق التِّجَارَة ، ١٠
الطُّرُقات ، ٥٨، ٨٤
الطُّرُقات الضَّيِّقَة ، ٨٤
طَرَكُونَة ، ٤١
طُلَيْطِلَة، ١١-١٥، ١٨، ٢١، ٢٣، ٣١، ٥٢، ٨١، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩٥، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٧، ١١٨، ١٦٤، ٢٢٧، ٢٢٩
طَنْجَة ، ٢١
الطُّور ، ٢٠٥، ١٨٢، ١٨٣

ع

عبرتا ، ١٤١
العُدْوَة ، ٣٣
العِرَاق ، ١٢، ٩٥، ١٠٧، ١٠٨، ١٤٠، ١٨٤، ١٨٨
العُقَاب ، ٤٧، ١٦٧، ٢٥٩
العَقِيق ، ١٨٤
عُنْبُوبُ المَاء ، ٣٨

غ

الغَرْب ، ١٠، ٧٠
غرب الأنْدلُس ، ٢٣، ٦٩
غُرَف الحَرِيم ، ١٣٣
غَرْنَاطَة، ١٤-١٦، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٧، ٢٨، ٣٣، ٣٥-٤٠، ٥٥، ٦٣، ٦٥، ٨١، ٩٠، ٩٤، ٩٥، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٣-١٠٥، ١١٤، ١٢٠، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٧- ١٧٢، ١٨٦، ١٩٦، ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٨، ٢٨٠-٢٨٢، ٢٨٨، ٣٠٣
غَرْنَاطَة اليهود ،٢٦٦
غُمْدان ، ٢٧٤

ف

فارِس ، ٨٠، ١٨٤
فاس، ٧، ١٦، ٣٤، ٤٩، ٦٠، ٧٣، ٧٧، ٩٠، ٩٥، ١٤٦، ١٥٠، ١٨٦، ١٩٠، ٢٠٥

الفُرَات ، ٢
فرَنْسَا ، ٩٦، ٩٩، ١٠٧
فِلَسْطِين ، ٢، ١٠، ٩٣، ٩٨، ١٠٧، ١٠٨

ق

قارَّات ثلاث ، ٢٨٥
قاصِيَة المَشْرِق ، ٣٠
القاهرة ، ٩٣، ١٤٥، ١٦٩، ١٨٦، ١٩٦، ٢٠١، ٢١٦، ٢٢٨، ٢٧٤
القاهرة المعزية ، ١٧٦
قبْر ابْن نَغْرِيلَّة ، ٢٨٨
قبْر يَهُودِي ، ٢٦٥
قُبْرُص ، ١٠، ١٠٧
القُدْس ، ١١، ١٩٤، ٢٢٧
قرْطَاجَنَّة ، ١١
قُرْطُبَة، ١١، ١٢، ١٤، ١٥-١٨، ٢٢، ٢٤، ٣١، ٣٤، ٣٥، ٤٤-٤٧، ٥١، ٥٩، ٦١، ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٨٠، ٨٤-٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٣-٩٦، ٩٩، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١١٤، ١١٩، ١٤٩، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٧، ١٩٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٥، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٦١-٢٦٣، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٩
قرَمُونَة ، ١٣١
قُرَى الكُفَّار ، ٥١
قزوين ، ١٠٦
قسْطَلَّة ، ٧٢
القُسْطَنْطِينِيَّة ، ٨٢
قشْتَالَة ، ٢٢، ٣١، ٣٣، ٨١، ١٠٤، ١٥٧، ٢٧٠
القصَبَة في إشبيلية ، ١٥
القصَبَة في غرناطة ، ١٥، ٢٨٧
القصْر، ٧، ٣٧، ٤١، ٤٣، ٥٥، ٦٤، ٦٨، ٦٩، ٨٥، ٨٦، ١١٨، ١٣٣، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٥٧، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٢
قصْر أَبِي القَاسِمِ ابنِ العَرِيف ، ٢٨٢
قصْر أَلْفُونْس ، ٢٣
قصْر بَادِيس ، ٣٦، ١٣٢، ١٤٤، ١٥٥، ١٥٦، ٢٨٣، ٢٨٧
قصر دَارِ السُّرُور ، ١٣٦
قصْر سَرَقُسْطَة ، ٢٢٢
قصْر السَّمَوْأل ، انْظُرْ: الأبلق ، ١٩١
القصر العظيم ، ٨٥
قصْر المَأْمُون ، ١٠٨، ١٥٦، ١٥٩
القصْرُ المُبَارَك ، ٢٧٥
القصْرُ المُكَرَّم ، ٢٧٥
القُصُور ، ٢٧، ١٤٤، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٨، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٩٢
قُصُور الأُمَرَاء ، ١٥٧
قُصُور الأمراءِ النَّصَارَى ، ١٥٧
قُصُور الحُكَّامِ وَالأمراء ، ١٥٧
قُصُور عِلْيَةِ القَوْم ، ١٥٦
قُصُور الوُزَرَاءِ اليَهُود ،١٥٧
قطَلُونْيَة ، ٢٤
القِلاع ، ٢٣
قلْعَة بني حماد ،٦٦
قلْعَة بَنِي سَعِيد ،١١٤
قلْعَة حماد ،١٩٢
قلْعَة رباح ، ٨٢
قلْعَة كُتَاقة ، ١٩٢
قلْعَة كياتة ، ١٩٢
القَلِّيس ، انْظُرْ: كنيسة القَلِّيس
قومس ، ١٨٤
القَيْرَوَان ، ٦٢، ٦٥، ١٢٧، ٢٧٤

ك

الكرَك ، ١٤٣
الكعْبَة ، ٧٢، ١٢٨، ٢٠٥، ٢١٣، ٢٦١
الكنائس ، ١٥٧
كَنَائِس أهل الذمة ، ٧٧
كنْعَان ، ١٠
كَنِيسَة ، ٤٧، ١٥٤
كنيسَة القَلِّيس ، ٧٢
الكواكب ، ٢٥١، ٢٥٩
كُورَة تدْمير ، ١٨
كُورَة طُلَيْطِلَة ، ١٨
الكوفة ، ٥٩

ل

لاردَة ، ٤١، ٨٢، ٢٤١، ٢٣٣
لَبْلَة ، ٢٩٠
لَشْبُونَة ، ٨١
لندن ، ٩٦
لُورَقة (لُرْقةُ)، ٩١
لُوسَانْيَا ، ٩٨، ١٠٣
لُوشَة ، ٣٧
لونل (جنوب فرَنْسَا) ، ٩٩
ليون ، ٢٢، ٣٠، ٣١

م

مَاءِ النَّهْر ، ٧١
مَارد ،١٩٢
مَارِدَة ، ١٥، ٦٨، ٩٤، ٢٨٢
مَالَقَة(مالقا)، ٦، ١١، ١٥، ١٨، ٧٠، ٩٩، ١٨٠، ١٨١، ٢٠١، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٨٢
المباني الذنونية ، ٨٥
مَتَاجِر أَهْلِ الذِّمَّة ، ٨٣
مُتَنَزَّه حَوْر مُؤَمَّل ، ١١١
المُتَنَزَّهَات العَامَّة ، ١١٢
مَجْرَى المَاء ، ٣٨
المَجَالِس البلدية ، ١٥٧
مَجَالِس الخَمْر ، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٧
مَجَالِس الشَّرَاب ، ١٧٢، ٢٣٤
مَجَالِس الشَّرَابِ وَالطَّعَام ، ١٧٢
مَجَالِس عِلْيَةِ القَوْم ، ١٥٧
مَجَالِس اللَهْو ، ١٧٢
مَجَالِس المُقْتَدِرِ ابن هُود ،١٣٦
مَجْلِسُ خمر ، ١٥٧، ١٦٠، ٢٧١
مَجْلِسُ الذَّهب ، ١٣٦
مَجْلِسُ النَّاعُورَة ، ٨٥
مَجْمَعُ أَهْلِ الفِسْقِ وَالفساد ،١٥٦
مجمعُ القساوسة ، ١٥٧
مَخَازِن التَّصْرِيفِ التِّجَارِيَّة ، ٧٨
مَدَائِن المُسْلِمِين ، ٩٠
المَدَارِس ، ٩٥، ٩٧
مَدَارِسُ النَّحْو ، ٩٩
مَدْرَسَةُ قُرْطُبَة ، ٨٩
مدريد ،٤٧
المُدُن(الأَنْدَلُسِيَّة)، ١٠-١٢، ١٥، ١٦-١٨، ٢٢، ٤٠، ٨٣-٨٥، ١٤٥، ٢٧٥، ٣٠٠
مُدُن اليَهُود ،٤١، ٤٣
المَدِينَة، ١١، ١٨، ٢٥، ٣٤، ٣٧، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٩١، ١٠٦، ١٣٣، ١٨٤، ٢١٤، ٢٦٦، ٢٧٢
مَدِينَة الأملاك ، انْظُرْ: طُلَيْطِلَة
المَدِينَةُ الحَدِيثَة ، ١١
مَدِينَةُ دقْيَانُوس ، ١١
مَدِينَة المَائِدَة ، ٨٩
المَدِينَة المُنَوَّرَة ، ١٨٤
مَدِينَةُ اليَهُودِ (أليسانة) ، ٤١
مذْنِبِرْج ، ٣٢
المرَاغَة ، ١٨٩
مَرَاكِزُ بعضِ المُدُن ، ٨٣
مَرَّاكُش، ٧، ٢٣، ٩٠، ١٤٦، ١٦٢، ١٧٣، ١٨٧
مُرْسِيَة ، ٥٣، ٩٨، ١١٢، ١٣١، ١٤٠، ١٦٧، ١٨٣، ٢١٧، ٢٤١، ٢٥٦، ٢٦٢

مَرْكِز الحَيّ اليَهُودِي ، ٤٥
المَرِيَّة، ٣٨، ٦٣، ٦٤، ٧٣، ٧٨، ٨٤، ١١٣، ١١٤، ١٢١، ١٤٣، ١٧٧، ١٨٣، ٢٠٥، ٢٢١، ٢٧١، ٢٨٧، ٢٩٠
المَسَاجِد ،٢٤- ٢٦، ٤٧، ٦١، ٧٤
المَسْجِد ،١٥٣، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٢
المَسْجِدُ الجَامِع ، ٤١
مَسْجِد في قُرْطُبَة ، ٩١
مَسْلك تُجَّار اليَهُود ،٧٨
المَسِّيلة ، ١٩٢
مشتيلة ، ٣٠
المَشْرِق، ١٣، ٣٠، ٤٥، ٤٦، ٥١، ٦٠، ٦٥، ٧٠، ٨٤، ٩٨، ١٢٧، ١٤٠، ١٤٣، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١٥، ٢١٧
المَشْرِق العَرَبِي ، ٤٥، ٤٦، ١٨٠
مِصْر، ٢، ١٠، ٥٠، ٧٤، ٧٨، ٨٩، ٩٣، ٩٨، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٩، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٦، ١٩٧، ٢١٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٨، ٢٩٧
المُصَلَّى ، ١١٤، ١٥٤، ٢٧٠
المَطِيرَة ، ١١٣
مَعَابِد ،٢٤، ١١٣، ١٩٤، ٢٦٥
مَعْبَدُ اليَهُود ،٢٦٥
المَعَرَّة (مَعَرَّة النُّعْمَان) ، ٢٢٦
المَعْقل ، ٢٠٤
المَغْرب، ٤، ٧، ٨، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦، ٢٠، ٢٥، ٢٦، ٣١، ٣٣، ٤١، ٤٤، ٤٧، ٥٥، ٥٩، ٦١، ٦٥-٦٨، ٧٠، ٧٧، ٧٨، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩٣، ٩٥، ٩٨، ١٣٨، ١٤٦، ١٣٩، ١٤٩، ١٥٠، ١٧٦، ١٨٤، ١٨٩، ١٨٧، ١٩٩، ٢٠١، ٢٣٣، ٢٧٠
المَغْرب الأَقْصَى ، ١٢، ٢٠١
المَغْرب ، العَرَبِي ، ٧، ١٢، ١٣، ٢١، ٣٤، ٥٦، ٧٦، ١٣٩
المَقْبَرَة ، ٦٢
مَقْبرة اليَهُود ،٤٤
المُقطَّم ، ١٨٦
مَكَّة ، ٧٢، ١٤٠، ١٨٨، ٢٢٥
مِكْنَاسَة ، ٩٠
المَمَالك ، ١٤، ٢٧، ٢٩٢
المَمَالِك الإِسْبَانِيَّة النَّصْرَانِيَّة ، ٢٥
مَمَالِك أَوْرُوبَّا ، ١٠٨
مَمَالِك الطَّوَائِف ، ١٤
مسالك النَّصَارَى ، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٣١
مَمْلَكة بَادِيس ، ١٣٧
مَنار الإِسْكَنْدَرِيَّة ، ٢٤٩
المَناطِق ، ١٠، ٤٠
المِنْبَر ، ٢١١
مُنْبليبه ، ٩٦
مَنْزِل ، ٢٣٣، ٢٥٤، ٢٦٠
مَنْزِل بَادِيس ، ٢٨٧
مَنْزِل ابن المَرْشَانِي ، ٢٢١
مَنْزِل ابْن نغْرِيلَّة ، ٢٠
مَنْزِل اليَهُودِي ، ١٥٧
مَنْعِج ، ١١٩
المَنْفَى ، ٨٨
مَنورقة ، ٢٠٤
المَهْدِيَّة ، ٥٩، ١١٧
مَيُورْقة ، ٢٤، ٦٩، ١٩٠، ٢٢٢

ن

نَجْد ،٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٨
نُعْمان ، ٢٢٥، ٢٢٦
نقارَة ، ٣٠
نفيس ، ٤١، ٨٢
نَهَاوَنْد ،١٨٨
نهر آنة ، ٦٨
نَهْرَ الأُرْدُن ، ٣
النهر الأعظم ، ٥٣
نهر تاجه ، ١١، ٦٨
نهر حَدَّارَه ، ١٥
نَهْر الزَّيتُون ، ٢٣٣
نَهْر سَرَقُسْطَة ، ٢٢٠
نهر سَنْجِل ، ١٥، ٢٨٨
نهر الفرات ، ٩٨
نَهْر وَسْط بَلَد ،٦١
النَّهْرَيْن ، ٢٢٦
نيسابور ، ١٨٤
نيُويُورك ، ٤

هـ

الهَضبَة ، ١٥٥
هَمَذان ، ١٠٦، ١٨٨، ٢٧٤
الهند ،١٨٧
الهَيْكل ، ١٠

و

الوادي ، ٢٦٦
وادي آش، ١٥، ٦٤، ١١٨، ٢٦٧
وَادِي الزَّيتُون ، ٢٣٣
الوَادِي الكبير ، ١٢
وَزغة ، ٢٠٧
وَقْش، ٨٧

ي

اليَم ، ١٨٠
اليَمَامَة ، ٢٧٤
اليمن ، ٤، ١٢، ٦٦، ٧٢، ١٠٧، ٢٧٤
اليونان ، ٩٦

فِهْرِس القَوَافِي

قَافِيَةُ الألِفِ المقْصُورَة

السَّبْتِي	الوافر	أَبُو إِسْحَاقَ الإلْبِيرِيُّ	١٧٩
تُرَى	الطويل	ابنُ إبْرَاهِيمَ المَلِيكْشِيّ	١٦١

قَافِيَةُ الهَمْزَة

الخِطَاءُ	مجزوء الرمل	أَبُو الحَسَنِ الحُصَرِيُّ	١٦٤
بِالانْزِوَاءِ	الخفيف	أَبُو إِسْحَاقَ الإلْبِيرِيُّ	١٧٩

قَافِيَةُ الباء

النَّجَابَهْ	الوافر	أَبُو الفَضْلِ ابنُ حَسْدَاي	٢٢٤
بِالقِصَابَهْ	الوافر	أَبُو الفَضْلِ ابنُ حَسْدَاي	٢٢٣
عَابَهْ	الوافر	الجَزَّارُ السَّرَقسْطِيُّ	٢٢٣
مَرْحَبَا	السريع	أَبُو الحَسَنِ بنُ الجَيَّابِ	١٩٤
مُذْنِبا	الكامل	ابن سَهْلٍ الإسْرَائِيلِيُّ	٢٠٥
الثَّاقِبُ	السريع	ابنُ عَبْد رَبِّهِ	١٣٦
أَشْهَبُ	الكامل	المُؤَبّلُ	١٤٩
سُبَيْبُ	المجتث	عَلِيٌّ بنُ العَبَّاس	٢٨٣
وَاحَرَبِي	الرمل	_	١٣٦
طَرَبِ	البسيط	أَبُو القَاسِمِ بنِ يامين	٦٩
للعُرْبِ	البسيط	ابن جمْهُورَ	٦٨
الصَبِّ	السريع	ابنُ نَغْرِيلَّة	١١٩

قَافِيَةُ التاء

عِلاتُ	البسيط	أَبُو طَاهِرِ الأُشْكُرْكِيُّ	٢٢٢
لامَاتُ	البسيط	أَبُو الفَضْلِ ابنُ حَسْدَاي	٢٢٢
لُبَانَاتُ	البسيط	أَبُو الفَضْلِ ابنُ حَسْدَاي	٢٢١
أَحْبَبْتُ	الطويل	ابن الزَّقَّاقِ	٦٩
رَاحَتُهُ	البسيط	يُوسُفُ بنُ حَسْدَاي	١٥٨
بِيعَاتِ	السريع	أَبو عَبْدِ الله بنُ الحَدَّاد	٦٤
سَبْتِ	الطويل	_	٧٢
رَوْضَةِ	الطويل	شِهَاب الدِّينِ بن الخَلُوفِ	١١٣
بِتِيهَرْتِ	السريع	سَحْنُونُ	٦٦
بِهُوَّةِ	الطويل	المَقَّرِيُّ الجَدُّ	١٨٦

قَافِيَةُ الجيم

الهَوْدَجَا	المتقارب	يهودي تلميذ ابن شُهَيدٍ	١١٩
بِالسُّرُوجِ	الوافر	ابن بَسَّامٍ العَبَرْتَائِيّ	١٤١
بِالسُّرُوجِ	الوافر	أَبُو الحُسَيْنِ ابنُ الجَدِّ	١٤١

قَافِيَةُ الحاء

التَّصِيحَا	الخفيف	ابنُ نَغْرِيلَّة (ابن القتيل)	٢٨٩,١٤٧
الرَّاحِ	الكامل	إِدْرِيسَ بنِ اليَمَّانِ	٢٢٢

قَافِيَةُ الدال

الجَسَدْ	الخفيف	ابنُ قُزْمَانَ	١٠٥
البَعِيدْ	مجزوء الكامل	أَبُو الوَلِيدِ ابنُ زَيْدُونَ	١٦٥
وَاحِدَا	الكامل	إِلْيَاسُ بنُ المُدَوِّرِ الرُّنْدِيُّ	٢٢٨
يَدَا	الطويل	قَسْمُونَةُ بِنْتُ إِسْمَاعِيلَ	٢٢٩
الأَعْيَادُ	الكامل	أبو عَامِرِ بنُ شُهَيْد	٦٤
مُبَدَّدُ	الطويل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	١١٤
مُبَدَّدُ	الطويل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	١٩٩
أُسْدُ	الطويل	أَبُو الوَلِيدِ ابنُ زَيْدُونَ	١٩٢
الأُسْدُ	الطويل	ابنُ هانِئٍ الأَنْدَلُسِيُّ	١٩٢
يَتَفَقَّدُ	الطويل	إِبْرَاهِيمُ بنُ الفَخَّارِ اليَهُودِيُّ	٢٢٧
شُهُودُ	الطويل	أَبُو حَفْصٍ الهَوْزَنِيُّ	١٤٠
اليَهُودُ	الخفيف	_	٢٧٧
عِيدُ	الكامل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	٢٠٥
أَهْتَدِي	الطويل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	٢٠٨
أَهْتَدِي	الطويل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	٢٠٢
أَحَدِ	البسيط	ابن دَرَّاجٍ القسطَلِيّ	٧٢
الأَحَدِ	البسيط	_	٧٢
الرَّعْدِ	الطويل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	٢٠٧
مُوقِدِ	الطويل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	٢٠٥
لُدِّ	الطويل	ابنُ عمَّار الأَنْدَلُسِيّ	١٣١
الصَّمَدِ	الرمل	أَحْمَدُ الكَسَّادُ	١١٧
العَهْدِ	الطويل	أَبُو بَحْرٍ التُّجِيبِيّ	١٩٠
دَاوُدِ	البسيط	ابنُ هانِئٍ الأَنْدَلُسِيُّ	١٩٥
الوُجُودِ	الخفيف	أَبُو الحَسَنِ بنُ الجَيَّابِ	١٩٤
بِالجُدُودِ	الوافر	ابنُ تلّيس	١٤٧
القُرُودِ	مخلع البسيط	ابنُ عُتْبَة الإِشْبِيلِيُّ	١٤٩

عِيدِ	الوافر	المُتَوَكِّلِ	٦٨
عِيدِ	الرجز	ابنُ نَغْرِيلَّة	٤٩
بِاليَدِ	الكامل	النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيّ	٢٤٧

قَافِيَةُ الراء

زَخَرْ	البسيط	ابنُ خِيرَة المُنْفَتِلُ	١٢٤
قِصَرْ	المتقارب	أَبُو نَصْرٍ ابنُ نُبَاتَة	٢٩٣
الحَوَرْ	الكامل	قَسْمُونَةُ بِنْتُ إِسْمَاعِيل	٢٢٩
الإِشَارَا	الرجز	ابنُ نَغْرِيلَّة	٤٨
النَّصَارَى	المتقارب	لِسَانُ الدِّين بنُ الخَطِيبِ	١٦١
قِطَارَا	المتقارب	الفسْنَاسِ	٢١٦
بَرْبَرًا	الكامل	ابنُ عمَّار الأَنْدَلُسيّ	١٣٧
السِّحْرَا	الطويل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	٢٠٥
بِالحَرَا	مجزوء الخفيف	السُّمَيْسِرُ	١٤٣
البَدْرَا	الطويل	ابنُ خِيرَة المُنْفَتِلُ	١٢٥
مُقَدَّرًا	الكامل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	٢٠٧
بَرًّا	الطويل	ابنُ خِيرَة المُنْفَتِلُ	١٢٦
سِرًّا	الطويل	ابنُ خِيرَة المُنْفَتِلُ	١٢٩
العُشْرَا	الطويل	ابنُ خِيرَة المُنْفَتِلُ	١٢٧
الخَصْرَا	الطويل	ابنُ خِيرَة المُنْفَتِلُ	١١٥
الصَّدْرَا	الطويل	ابنُ خِيرَة المُنْفَتِلُ	١١٤
البَقَرَةْ	الوافر	ابنُ عمَّار الأَنْدَلُسيّ	١٥٢
نُكْرًا	الطويل	ابنُ مَرْجِ الكُحْلِ	١٨٣
الدَّهْرَا	الطويل	ابنُ خِيرَة المُنْفَتِلُ	١٢٧
زُنَّارُ	الرجز	ابنُ المُعْتَزِّ	٥١
أَسْتُرُ	الطويل	إِبْرَاهِيمُ بنُ الفَخَّارِ اليَهُودِيُّ	١١٨
تَذَرُ	البسيط	أَبُو الحُسَيْنِ يُوسُفُ ابنُ الجَدِّ	١٤١
زُنَّارُ	البسيط	تَقِيُّ الدِّينِ التَّنُوخِيُّ	٥١
جَائِرِ	السريع	سَعِيد الشَّنْتَرِينيّ	١٧٩
البَاتِرِ	الكامل	ابنُ هانِئ الأَنْدَلُسِيُّ	١٧٦
بِالسِّحْرِ	السريع	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	٢٠٦
الحَشْرِ	الطويل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	١٩٩
نَصْرِ	الطويل	أَبُو الحَسَنِ بنِ الجَيَّابِ	١٣٧
الكُفْرِ	الطويل	ابنِ القَرَّاءِ الأَخْفَش	١٢١
البُكْرِ	البسيط	أَبُو الفَضْلِ ابنُ حَسْدَاي	٢٢٠

الزَّهْرِ	الكامل	ابنُ عمَّار الأَنْدَلُسيّ	١٦٣
غَريرِ	مخلع البسيط	_	١١٠
الجَمَاهِيرِ	البسيط	ابنُ غَالب الرُّصَافيُّ	١٨٢

قَافِيَةُ الزاي

مَغْزَا	الوافر	أَبُو الفَضْلِ ابنُ حَسْدَاي	٢٢٠
بَزِّي	الطويل	الجَزَّارُ السَّرَقسْطِيُّ	٢٢٣
الحَزِّ	الطويل	أَبُو الفَضْلِ ابنُ حَسْدَاي	٢٢٣
الحَفْزِ	الطويل	الجَزَّارُ السَّرَقسْطِيُّ	٢٢٣

قَافِيَةُ السِّين

نَاسَا	مجزوء الرمل	أَبُو بَكْرٍ الزُّبَيْدِيُّ	١٧٨
أَكْؤُسَا	الطويل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	٢٠٥
جَرَسًا	البسيط	ابنُ الأَبَّارِ القُضَاعِيّ	٢٥
أَلْعَسَا	الطويل	أبو زَكَرِيَّا يَحْيَى التَّجِيبِيِّ	٥٢
النُّفُوسَا	الخفيف	أَبُو الوَلِيدِ ابنُ زَيْدُونَ	١١٠
تَسْدِيسَا	الطويل	أبو زَكَرِيَّا يَحْيَى التَّجِيبِيِّ	١٥٥
وَخاسُوا	مجزوء الرمل	أَبُو الوَلِيدِ ابنُ زَيْدُونَ	١٧٧
عُرْسُ	المديد	إِبْرَاهِيمُ بنُ الفَخَّارِاليَهُودِيُّ	٢٢٧
كِنَاسِهْ	الخفيف	سَعْد الدِّينِ بن عَرَبِيّ	١١٢
النَّاسِ	الطويل	ابن جُزَيْ الكَلبِيّ	١٣٥
مَيَّاسِ	الطويل	ابنُ المُعْتَزِّ	٥١
بِالبِيسِ	الطويل	لِسَانُ الدينِ ابنُ الخَطِيبِ	١٥٤

قَافِيَةُ الصَّاد

القَصَصَا	الرمل	أَبُو الفَضْلِ ابنُ حَسْدَاي	٢٢٠

قَافِيَةُ الضَّاد

البَعْضَا	الطويل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	٢٠٧
القضَا	الطويل	أَبُو عَبْدِ اللهِ بنُ الحَدَّادِ	١٣٩

قَافِيَةُ العين

الطِّبَاعْ	السريع	أَيُّوبُ بنُ سُلَيْمَانَ المَرْوَانِيِّ	٢٣١
ذائِعَا	الطويل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	١٩٩
يُوشَعَا	الكامل	أَبُو عبدِ اللهِ الشَّرَّان	٨٣٧
نَافِعَا	الطويل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	٢٠٦
المَرْبَعُ	الكامل	ابنُ مَرْجِ الكُحْلِ	١٨١
فَيُمْتَعُ	الطويل	أَبُو الفَضْلِ ابنُ حَسْدَاي	٢٢٠
يُوشَعُ	الطويل	أَبُو عبدِ اللهِ الشَّرَّان	١٨٤

يَتَدَفَّعُ	الكامل	ابنُ غَالب الرُّصَافيُّ	١٨١

قَافِيَةُ الفَاء

تُكْسَفَا	المتقارب	أبو عَامِرِ بنُ شُهَيْد	٤٢
يُكْسَفَا	المتقارب	أبو عَامِرِ بنُ شُهَيْد	٤١
يَكْشِفُ	الطويل	أَبُو الفَضْلِ ابنُ حَسْدَاي	٢١٩
أُطَوِّفُ	الطويل	_	٢٤٧
الصُّرُوفِ	الوافر	ابنُ عمَّار الأَنْدَلُسيّ	١٣٣

قَافِيَةُ القاف

نَطَقْ	الكامل	إسْحَاقُ بنُ شَمْعُون	١٦٠
لصَدِيقُ	الطويل	قيس بن الملوح	٢٤٦
عَقُوقِ	الطويل	أَبُو بَحْرٍ التَّجِيبِيّ	١٩٢

قَافِيَةُ الكَاف

أراكَ	المجتث	نَسِيم الإسْرائِيلِيّ	٢٢٩
الضَّحِكا	البسيط	أَبو عَبْدِ اللهِ الصِّقِلِّيّ	٦٢

قَافِيَةُ اللام

الأَوَائِلْ	مجزوء الكامل	ابنُ خِيرَة المُنْفَتِلُ	١٢٢، ٢٣٦
كَالحَجَلْ	الطويل	_	٢٤٦
فَوَاضِلْ	مجزوء الكامل	ابنُ خِيرَة المُنْفَتِلُ	١٢٥
الحَجَلَةْ	الرجز	_	٢٤٦
عَلِيلا	الكامل	أبو بَكْرٍ بنُ القَبْطُرْنَة	٤٣
التَّأْوِيلا	الكامل	أَبُو الحُسَيْنِ ابنَ الجَدِّ	١٥٣
الرَّسُولُ	الوافر	عيسَى الشَّرِيشِيّ	١٤٤
يَزُولُ	الوافر	عيسَى الشَّرِيشِيّ	١٩٤
وَبِعَالِ	المجتث	أَبُو الفَضْلِ ابنُ حَسْدَاي	١٥٩
الجُعَلِ	البسيط	أَبُو العَبَّاسِ الجَرَاوِيّ	١٤٦
للجُمَلِ	البسيط	ابنُ اليَاسَمِين	١٤٦
الحَمَلِ	البسيط	ابنِ الفَرَّاءِ الأَخْفَشِ	١٢٢

قَافِيَةُ الميم

ضَغْنِهِمْ	الطويل	_	١٣٩
يُسَلِّمَا	الطويل	ابنُ سَعِيدٍ	٢٠٠
كرِيمَةٌ	الكامل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	٢٠٩
الهِيَّمَا	الكامل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	٢١٠
أَحْدَثتُمُ	مجزوء الكامل	السُّمَيْسِرُ	١٤٢

المُدَامِ	الوافر	إسْحَاقُ بنُ شَمْعُونَ	١٦١
حُسامِي	مجزوء الرمل	أَحْمَدُ بنُ سُفْيَانَ ابن عِقَال	١٩٣
بِسْطَامِ	الطويل	لِسَانُ الدينِ ابنُ الخَطِيبِ	١٨٤
الذِّمَمِ	البسيط	أَبُو عَبْدِ اللهِ العُقَيْلِيّ	١٩٠
الرُّومِ	الطويل	عَبْدُ الكَرِيمِ القَيْسِيُّ	٥٨
مَوْسُومِ	الطويل	عَبْدُ الكَرِيمِ القَيْسِيّ	١٦٦
حَلِيمِ	الوافر	ابن خَرُوفٍ القُرْطُبِيّ	٧٠

قَافِيَةُ النُّون

مَوْزُونْ	مجزوء الرمل	ابنُ نَغْرِيلَّة	١٤٧
خَاسِئِينْ	المتقارب	أَبُو إِسْحَاق الإلبِيرِيُّ	١٦٧
العَرِينْ	المتقارب	أَبُو إِسْحَاق الإلبِيرِيُّ	١٣٩
أَجْمَعِينْ	المتقارب	أَبُو إِسْحَاق الإلبِيرِيُّ	١٥٠
المُتَّقِينْ	المتقارب	أَبُو إِسْحَاق الإلبِيرِيُّ	٤٧
الأَرْذَلِينْ	المتقارب	أَبُو إِسْحَاق الإلبِيرِيُّ	١٤٨
رَيْحَانَا	البسيط	أَبُو عَبْدِ اللهِ بنُ السَّرَّاج	٧٠
فينَا	الكامل	أَبو حَفْصٍ الزَّكْرَمِيُّ	٨٧، ١٤٥
البَانُ	البسيط	أَبُو الفَضْلِ ابنُ حَسْدَاي	٢٢٥
إِحْسانُ	البسيط	أَبُو الفَضْلِ ابنُ حَسْدَاي	٢١٩
تَدْنُو	الطويل	أَبو عَبْدِ الله بنِ الحَدَّاد	١٧٧
هَارُونُ	الرجز	ابنُ هانِئ الأَنْدَلُسِيُّ	١٨٠
تَرَانِي	الطويل	أَبُو الفَضْلِ ابنُ حَسْدَاي	٢٥٤
لِلأَجْفَانِ	الكامل	أَبُو الفَضْلِ ابنُ حَسْدَاي	٢١٩
أَتَاقنِي	مجزوء الكامل	أَبُو الحَسَنِ الحُصَرِيُّ	١٦٤
لُبُونِ	البسيط	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	١٨٩
الدَّيَاخِيلُونِ	المجتث	أَبُو عَامِرِ بنِ الفَرَجِ	١٦٤
الفُنُونِ	المجتث	أَبُو الفَضْلِ ابنُ حَسْدَاي	١٦٥
السَّلاطِينِ	البسيط	عبدُ المَلِكِ بنُ رَزِين	١٩٠
الطِّينِ	السريع	ابنُ حَجَّاج الغَافِقِيُّ الغَيْشُوم	١٠٤

قَافِيَةُ الهَاء

لإِسْفارِهَا	المتقارب	تَمِيمِ بن المُعِزّ	١٧٦
جُرْمَهَا	الكامل	إسْمَاعيل والد قَسْمُونَة	٢٢٩
جِرمَهَا	الكامل	قَسْمُونَةُ بِنْتُ إِسْمَاعِيل	٢٢٩
يُحاشيهَا	الطويل	لِسَانُ الدينِ ابنُ الخَطِيبِ	١٣٥
أَهْوَاهُ	الرجز	ابنُ القَرَّاءِ الأَخْفَشُ بنُ مَيْمُون	١١٤

مِثْلُهُ	السريع	ابنُ طَاهِرٍ	٢١٧
سَنَاهُ	الخفيف	أَحْمَدُ الكَسَّادُ	١١٧
ظُهُورِهِ	الكامل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	٢٠٩
عُشَّاقِهِ	الكامل	ابنُ حَجَّاج الغَافِقِيُّ الغَيْشُوم	١١٦
نَظْمِهِ	السريع	ابنُ حَجَّاج الغَافِقِيُّ الغَيْشُوم	١١٧

قَافِيَةُ اليَاء

جَدِّي	البسيط	أَبُو العَبَّاسِ الجَرَاوِيّ	١٤٦

فِهْرِس المُوَشَّحَات وَالأزْجَال [١]

فَإنَّ مَكْتُوب هُ فِي التَّوْرَاة اطْلُبْ تَجِدْ		ابنُ قُزْمَانَ	ص	172
مَاءُ المَدَامِعِ صَابْ	عَلَيْكَ أَوْلَى أَنْ يَجُودْ	ابنُ حَزْمُونَ	ص	138
فَكُلُّ خلقٍ أَصَابْ	إلا النَّصَارَى وَاليَهُود	ابنُ حَزْمُونَ	ص	173
حَكَى يُوسُفَ	وَظَلَّ فِي البَحْرِ	ابن سَهْلٍ الإسْرَائِيلِيُّ	ص	179
ظَبْيٌ مِنْ بَنِي إسْحَاقِ	يُرَاعِ بِسِحْرِ	_	ص	173
لَيْلُ الهَوَى يَقْظَانْ	وَالحُبُّ تِرْبُ السَّهَرِ	ابن سَهْلٍ الإسْرَائِيلِيُّ	ص	208
هُوَ أَبَا الطَّاهِرِ	قَدْ صَحَّ نَصًّا وَقِيَاسْ	ابن سَهْلٍ الإسْرَائِيلِيُّ	ص	206
مَنْ لِصَبٍّ غَدَا مَشُوقْ	ظَلَّ فِي دَمْعِهِ غَرِيقْ حِينَ أَمُّوا حِمَى العَقِيقْ	ابنُ زُهْر	ص	184
يَا أَشْبَهُ القَوْمِ	بِالفَتَى ابنِ رَاحِيلِ	ابنُ رَافِع رَأْسُهُ	ص	118
ساحِرِ الطَّرْفِ	رَخِيمٍ فِي صِفَاتِ ابنِ رَاحِيلِ	ابنُ بَقِّي	ص	118
شَهْرُ الصِّيَامِ زَالْ	وَجَا شَوَّالْ يَا لَسْ نَسال	ابنُ قُزْمَانَ	ص	153
أَوْقَدَ فِي قَلْبِي النَّارْ	جُلُوس لِلظِّلْ	ابنُ قُزْمَان	ص	111

١ – رُتِّبَتْ ألفبائيًا حسب قافية المطلع .

فِهْرِس الكُتُبِ

.1	آراء أهل المَدِينَةِ الفاضلة	أبُو نصر الفارابي	١٠٦
.2	الاسْتِغْنَاء	إسْمَاعِيلُ ابنُ نَغْرِيلّة	١٠١
.3	الاسْتِقْصَاء "ספר הימודות"	إسْحَاق إسْرَائيل ، تَرْجَمهُ: إسْحَاقُ البَرْجَلُونِيُّ	٤، ٩٩
.4	اشتقاق الأسماء	أبُو عُبَيْد البَكْرِيّ	١٥٦
.5	أبكارُ الأفْكَارِ	ابنُ شرف الجُذاميّ	٢٧٤
.6	أَحْكام أَهْلِ الذِّمَّة	أَبُو بَكْرٍ الحَلوَانِيّ	٥٠
.7	أرجوزة فِي الطب	ابنُ سِينَا	١٠٦
.8	أزْهَار الرِّيَاضِ	المقري	١٨٥
.9	الأصُول "ספר השרשים"	مَرْوَانَ بنِ جَنَاح تَرْجَمهُ: إسْحَاقُ بنُ رُوبِينَ البَرْجَلُونِيّ	٩٩
.10	أَعْلام الأعْلام	ابن الخطيب	٣٨، ٢٧٨
.11	أعْلامِنْ الكَلام	ابنُ شرف الجُذاميّ	٢٧٤
.12	أَعْمَال الأعْلام	ابنُ الخَطيبِ	١٧١، ٢٨١
.13	الأمْثَال الصَّغِيرَة	إسْمَاعِيلُ ابنُ نَغْرِيلّة	٢٨٥
.14	الأمْثَالُ"משל"	يُنْسبُ إلى سُلَيْمَان عَلَيْه السَّلامُ	٢٩١
.15	أمْثَال عِبْرِيَّة "משלי ערב"	إسْحَاقُ بِنْيَامِينَ	١٠٣
.16	الأمالي	القالي ، وشرحه :أبُو عُبَيْد البَكْرِيّ	١٥٦
.17	الأمِير وَالدَّرْوِيش	أبْرَاهَام بن صَمُويل بنِ حَسْدَاي	١٠٢
.18	الإحاطَة	ابنُ الخَطيبِ	٣٨، ٥٢، ٢٣٣، ٢٧٨، ٢٩٩
.19	إصْلاحُ الأخْلاقِ	سُلَيْمَانُ بن يَهُوذا ابنُ جِبِيرُول	٩٩
.20	إصْلاح النَّفْس	سُلَيْمَانُ بنُ جِبِيرُول،تَرْجَمهُ: يَهُوذا بنُ تبّون	١٠٥
.21	إعْتَاب الكُتّابِ	ابن الأبَّار	٢٥
.22	الإنْجِيلِ		١٥٤، ١٥٥، ٢٦١
.23	الإنصاف	ابنُ سِينَا	١٠٦
.24	إيضاح المسالك إلى ألفية ابن مالك	ابنُ مَرْزُوقٍ الخَطِيب	٢٠١
.25	الإيمان	أبقْرَاط	٢١٦
.26	بِدَايَةُ المُجْتَهِدِ	أبو الوليد ابنُ رُشْدٍ	١٨٧
.27	البَدِيعُ	ابنُ المُعْتَزِّ	٥٠
.28	بُغْيَة الوُعاة	جلال الدين السيوطي	٢٢١

29.	بغية الملتمس	الضبي	٤٧
30.	البَهْجَة وَالسُّرُور" ששון"	يُوسُف زبارا	١٠٢
31.	البَيَانُ المُغْرِب	ابنُ عِذارِي	٢٠٣ ، ٢٧٨، ٢٨١
32.	تَاجُ المَفْرِقِ فِي تَحْلِيَةِ عُلَماءِ المَشْرِقِ	خَالِدٌ البَلَوِيُّ	٢٠١، ٢٠٢
33.	تاجِر البُنْدُقِيَّةِ	شكسبير	٨٧
34.	تَاريخ ابنِ خَلْدُونَ	ابن خَلْدُونَ	٢٠٣، ٢٣٣، ٢٧٨ ، ٢٨١
35.	تَاريخ الطَّبَرِيِّ	الطَبَرِيّ	٢
36.	تَاريخ يوسيفوس	يُوسُفَ بنِ هَارُونَ الهَارُونِيّ	٢٩٢
37.	تَافِةٌ مِنْ جَمْ ونُقْطَةٌ مِنْ يَم	أبو الحَسَنِ ابن الجَيَّابِ	١٣٦
38.	التِّبْيَان	الأمير عبد الله بن بلقين	١٩ ، ١٣٢، ١٥٧، ١٦٠، ١٧٢ ، ٢٦٧ ، ٢٧٥
39.	تُحْفَة القَادِمِ	ابن الأبَّار	٢٥، ٢٠٣، ٢٠٨
40.	تحكموني	الحَرِيزِيّ	١٠٢
41.	ترتيب المدارك	القاضي عياض	٤٧
42.	تَسْرِيح النِّصَالِ إِلَى مَقاتِلِ الفِصَالِ	عُمَرُ المالقي	٢٦٦
43.	التَّصَارِيفِ	إِسْحَاقُ بنُ يَشُوسَ الطَّلَيْطِلِيُّ	١٠١
44.	التُّفَّاحَة "ספר התפוח"	أَرِسْطُو ، تَرْجَمَهُ: أَبْرَاهَامُ ابنُ حَسْدَاي	٩٩
45.	التَّكْمِلَةُ لِكِتَابِ الصِّلَةِ	ابن الأبَّار	٤، ٢٥، ٥١، ٦٩، ١٤٠
46.	التَّلْمُود		٣، ٤٥، ٩٠، ٩٥، ٩٦، ٩٩، ١٠٥، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٩١
47.	التَّوَابع وَالزَّوَابع	ابنُ شُهَيْدٍ	٤١
48.	الجَفْر	الكِنْدِيّ بن إِسْحَاق	٧
49.	الجِمارَا		٣
50.	الجُمَل فِي النَّحْوِ	الزَّجَّاج، شرحه :أبُو إسحاق السبتي	١٩٨
51.	جَمْهَرَة أَنْسَابِ العَرَبِ	ابن حَزْم	٢٩٠
52.	الجَوَامِع "קוהל"	يُنْسبُ إِلَى سُلَيْمَان عَلَيْه السَّلامُ	٢٩١
53.	جَيْشِ التَّوْشِيح	ابن الخطيب	١٧٤
54.	الحَدِيقَة فِي مَعْنَى المَجَازِ وَالحَقِيقَة	مُوسَى بن عزرا	٢٧
55.	الحُرُوف	يَهُودَا بنُ بِلْعَامَ	١٠١
56.	الحلَّةُ السِّيراءِ فِي أشعار الأمَرَاءِ	ابن الأبَّار	٤، ٢٥، ٦٣، ١٢١، ٢٤٤،
57.	الحُلل المُوَشَّيَة	مَجْهُول	٦٧

58.	حَيّ بنَ مَقِيصٍ	أبْرَاهامُ بنُ عِزْرَا	١٠١
59.	حي بن يقظان	أبُو بكر ابن طفيل	١٨٧
60.	الحَيَوَانِ	الجاحظ	٢٤٧
61.	دَلالَةُ الحَائِرِينَ	مُوسَى بنُ مَيْمُونَ	٩٣ ، ١٠٦
62.	دِيوَانِ ابنِ قُزْمَانَ	ابن قُزْمَانَ	٥٥
63.	دِيوَان الأعْمَى التُّطَيْلِيّ	الأَعْمَى التُّطَيْلِيّ	١٧٤
64.	دِيوَانِ الجَزَّار السَّرَقَسْطِيّ	الجَزَّار السَّرَقَسْطِيّ	١٧٤
65.	الذَّخِيرَةُ	الشنتريني	٤، ٨، ٦٣، ٧٠، ١٠٨، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٧٦، ٢١٨، ٢٢٥، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٧٨، ٢٨١
66.	الرِّحْلاتِ "המסעות"	بِنْيَامِينُ التُّطَيْلِيُّ	١٠٧
67.	رِحْلات يَهُوذا الحَرِيزِيّ	يَهُوذا الحَرِيزِيُّ	١٠٨
68.	رِحْلَة ابنِ بَطُّوطَة	ابنُ بَطُّوطَة	١٨٥
69.	رحلة الطرطوشي	إِبْرَاهِيمُ بنُ يَعْقُوبَ الطَّرْطُوشِيُّ	١٠٨
70.	رَدٌّ عَلَى الرَّدِّ	إسْحَاق ابنُ جِيكَاتِيلا ويَهُودَا حَيُّوجْ	١٠٠
71.	الرَّدّ عَلى مَنِ اعْتَرَضَ عَلى الفِصَلِ	ابْن حَزْمٍ	٢٩٠
72.	رَسَائِل فِي اللُّغَةِ	ابن جَنَاح	٩٩
73.	رِسَالَة فِي الرَّدِّ عَلى ابنِ نَغْرِيلَّة اليَهُودِيّ	ابْن حَزْمٍ	٢٩٠
74.	رسالة فِي النفس	أبُو بكر ابن طفيل	١٨٧
75.	الرِّسَالَة البَكْرِيَّة	ابنُ زَيْدُونَ	٢٤٩، ٢٧٢
76.	الرِّسَالَةُ الهَزْلِيَّةُ	ابنُ زَيْدُونَ	١٩٣، ٢٤٩ ، ٢٧٣
77.	الرَّوْض العَاطِر الأَنْفَاسَ	أبو عَبْدِ اللهِ العُقَيْلِيّ	١٩٠
78.	الرَّوْضُ المِعْطَارُ	الحِمْيَرِيّ	٤، ٣٥، ٦٤، ٦٧، ١٤٥، ٢٣٣
79.	الزَّبُور		١٩٥
80.	الزَّهْرُ وَالرِّيَاضُ	ابنُ المُعْتَزِّ	٥٠
81.	سَادِر (مِنْ كُتُبِ التَّلْمُوذِ)		٢٩٢
82.	السَّجِيجُ فِي عُلُومِ الأَوَائِلِ	إِسْمَاعِيلُ ابنُ نَغْرِيلَّة	٢٨٤
83.	سِفْر الجَامِعَةِ الصَّغِيرِ	إِسْمَاعِيلُ ابنُ نَغْرِيلَّة	٢٨٥
84.	سقْطُ الزَّنْد	أبُو العَلاءِ المَعَرِّيّ	٢٢٦
85.	السُّلُوك "מוזן צדק ميزان العمل"	الغزالي، تَرْجَمهُ: إِسْحَاقُ البَرْجَلُونِيُّ	٩٩
86.	السُّلُوكُ فِي وَعْظِ المُلُوكِ	أبُو بكر ابن اللَّبَّانَةِ	١٩٠

فِهْرس الكُتُبِ

87.	السُّلَيْمِيَّات وَالعَزْفيات	يَحْيَى التَّجِيبِيّ	٥٢
88.	السَّماءِ وَالعَالَمِ	أرسطو	٢١٧
89.	السَّيْف المَمْدُودِ فِي الرَّدِّ عَلَى أَحْبَارِ اليَهُودِ	عَبْدُ الحَقِّ الإِسْلامِيُّ	٩٣
90.	شَذَرَات الذَّهَب	الحَنْبَلِيّ	١٤٣، ١٨١، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٣
91.	شَرْحُ أَرْجُوزَةِ ابنِ سِينَا	أبو الوليد ابنُ رُشْدٍ	١٨٧
92.	شَرْح الفُصُولِ	أبُو جَعْفَرٍ يُوسُفُ بنُ أحْمَدَ	٢١٦
93.	شَرْح القَوَانِين التَّلْمُودِيَّة	أبْرَاهامُ بنُ عِزْرَا	٩٦
94.	شَرْحُ للتَّلْمُودِ	إِسْحَاقُ القَاسِيُّ	٩٦
95.	شِعْرُ الأَشْعَارِ "שיר השירים"	يُنْسبُ إِلَى سُلَيْمَان عَلَيْه السَّلامُ	٢٩١
96.	الشفا فِي التعريف بحقوق المصطفى	ابنُ مَرْزُوقٍ الخَطِيب	٢٠١
97.	الشفاء	ابنُ سِينَا	١٠٦
98.	شِفَاءُ الأَمْرَاضِ فِي أَخْذِ الأَعْرَاضِ	السُّمَيْسِرُ	١٤٢، ١٤٣
99.	صفوة الأدب وديوان العَرَبِ فِي مختار الشعر	أبُو العباس الجراوي	١٤٦
100.	ضوء السَّقْطِ	أبُو العَلاءِ المَعَرِّيّ	٢٢٦
101.	طَبَقَات الأمم	صاعِدٍ	٢٧٨، ٢٨١
102.	طبقات النحويين واللغويين	أبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ الزُّبَيْدِيُّ	١٧٨
103.	طَوْق الحَمَامَةِ	ابْن حَزْمٍ	٧٣، ٢٩٠
104.	عِبَر الفَلاسِفَةِ "מוסרי הפילוסופים"	تَرْجَمها يَهُوذا الحَريزيّ	١٠٢
105.	عُدَّةُ الجَلِيس	ابن بِشْرى الأَغَرْنَاطِيّ	١٧٤
106.	العِقْد الفَرِيد	ابن عبد ربه	٦٤
107.	عقيدة النفس	يَحْيَى بنُ يُوسُفَ بن بَقُّودَة	١٠٦
108.	العَالَم الصَّغِير	يُوسُفُ بنُ صِدِّيقٍ	١٠٦
109.	العَالَم الصَّغِير "העולם הצעיר"	ابنُ صِدِّيقٍ	١٠٧
110.	عُيُونُ الأَنْبَاءِ	ابن أَبِي أُصَيْبِعَة	٢٤٩
111.	ألف ليلة وليلة		١٠٢
112.	الفِصَل فِي المِلَلِ وَالأَهْوَاءِ وَالنِّحَلِ	ابْن حَزْمٍ	٧٣، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٦٥
113.	فصيح ثعلب (الموطأة)	مَالِكٌ ابنُ المُرَحِّلِ	٢٠١
114.	الفهرست	ابنُ النَّدِيمِ	٩٨
115.	فَوَات الوَفَيَاتِ	الكُتُبِيّ	٢٠٣

.116	قامُوسٌ شَامِلٌ لألفاظِ التَّوْرَاةِ	إِسْمَاعِيلُ ابنُ نَغْرِيلَّة	٢٨٤
.117	القانون	ابنُ سِينَا	١٠٦
.118	قِصَّة الحَضَارَة	وِل دِيوْرَانت	٦٧
.119	قلائِد العِقْيَانِ	ابن خاقان	٢٦٢
.120	قمْعُ اليَهُودِ عَنْ تَعَدِّي الحُدُودِ	مُحَمَّد بن عَلِيٍّ الشَّقْوَرِيّ	٢٩٩
.121	الكَامِل	ابن الأثير	١٩٨
.122	كِتَاب الفَرَائِضِ	ابنُ مَيْمُونَ	٩٦
.123	الكِتَاب الخزَرِيّ	يَهُودا هَلِيفِي	٩٩
.124	كِتَاب فِي الحَرَكَاتِ	دَاوُدُ بنُ هَاجَر	١٠١
.125	كزاري	يَهُودا هَلِيفِي	١٠١
.126	الكشَّافُ فِي التَّفْسِيرِ	الزَّمَخْشَرِيّ	٢٠٠
.127	كَشْفِ الظّنُونِ	القُسْطَنْطِينِيّ	٢٠٢
.128	كَلِيلَة وَدِمْنَة "أَسَاطِيرَ بَيْدَبَا الهِنْدِيِّ"	ابن المقفع ، تَرْجَمَهُ: عِزْرَا بنُ يَعْقُوب	١٠١، ١٠٢
.129	كنز المُقل	منجم بن الفوال	١٠٤
.130	الكِيَانِ	أَرِسْطُوطَالِيسَ	٢١٧
.131	اللامية	مَالِكٌ ابنُ المُرَحِّلِ	٢٠١
.132	لُزُومُ مَا لا يَلْزَم	أَبُو العَلاءِ المَعَرِّيّ	٢٢٦
.133	لسان العَرَبِ	ابن منظور	١٣٥، ١٨٤
.134	المُؤْنِس فِي أَخْبَار إِفْرِيقِيَّة وَتُونُسَ	ابْنُ أَبِي دِينَار القَيْرَوَانِيّ	٨
.135	مَا تَشَابَه لَفْظُهُ وَاخْتَلَفَ مَعْنَاهُ	يَهُودا بنُ بِلْعَام	١٠١
.136	المُحَاوَرَة وَالمُذَاكَرَة	مُوسَى بن عزرا	٢٧
.137	المُحَلَّى	ابْن حَزْمٍ	٢٩٠
.138	مُخْتَار اللُّؤْلُؤ"מבחר הפנינים"	سُلَيْمَانُ ابنُ جبِيرُول، ترجمه: يَهُودَا بنِ تِبُّونَ	٩٩، ١٠٢
.139	مُخْتصَر كتاب العين	أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ الزُّبَيْدِيُّ	١٧٨
.140	مُخْتصَرٌ لِلنَّحْوِ العِبْرِيِّ	ابنُ جِبِيرُول	١٠١
.141	مُخْتَصَرُ المُسْتَصْفَى	أبو الوليد ابنُ رُشْدٍ	١٨٧
.142	المُدَوَّنَة فِي مَذْهَبِ الإِمَامِ مَالِك	سَحْنُون	٦٥
.143	المُذكَّر وَالمُؤَنَّث	يَهُودا حَيُّوج	١٠١
.144	المُرْشِد لِقِرَاءَةِ الكِتَابِ المُقَدَّسِ	يَهُودَا بنُ بِلْعَامَ	١٠١
.145	المَزَامِيرَ الصَّغِيرَةِ	إِسْمَاعِيلُ ابنُ نَغْرِيلّة	٢٨٥

.146	المَسْلَك السَّهْل	الإفراني	٢٠٣
.147	المُسْهِب	الحجاري	٧٣، ١١٤، ١١٩، ١٤٢، ٢٢٩، ٢٣٢
.148	المَشْنَا		٣، ٩٦
.149	مِصْبَاح الأَرْوَاحِ فِي أُصُولِ الفَلاحِ	المَغِيلِيّ	٧٧
.150	مُصَوَّرُ الحَشَائِشِ	دِيسْقُورِيدِس	٩٩
.151	المُطْرِب مِنْ أَشْعَارِ أَهْلِ المَغْرِب	ابنُ دَحْيَة	٢٧٤
.152	مَطْمَح الأنفس ومسرح التأنس	ابن خاقان	١٧٦
.153	المُعْجِبُ	عبد الواحد المراكُشيّ	٤ ، ١٨، ٦٣، ٦٧ ، ١٧٦
.154	مُعْجَم الأُدَباءِ	يَاقُوت الحَمَوِيّ	٣٦ ، ٩٩
.155	مُعْجَم دُوزِي	دوزي	١٨٥
.156	مُعْجَم السِّلَفِيّ	السِّلَفِيّ	١٤٣
.157	مُعْجَم الصَّدَفِيّ	الصَّدَفِيّ	٢٥
.158	مُعْجَم الكُرَّاسَة "מחברת"	مِنَاحِيم بنُ سُورُوق	١٠٠
.159	مُعْجَم مَا اسْتَعْجَمَ	أَبُو عُبَيْد البَكْرِيّ	١٥٦
.160	المِعْيار المُعْرِب	الوَنْشَرِيسِيّ	٦٢ ، ٦٣، ٧٧
.161	المُغْرِبُ	ابن سعيد	٤، ٥، ٥٢، ٦٣، ٨٤، ١١٩، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٨، ١٦٧، ٢٣٢، ٢٤١، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٨
.162	المِفْتَاحُ	لِيفِي بن التَّبَّانِ	١٠١
.163	المُفَصَّلُ فِي النَّحْوِ	الزَّمَخْشَرِيّ	٢٠٠
.164	مَقَامَاتٍ بالعِبْرِيَّةِ	يَهُوذَا الحَرِيزِيّ	١٠٢
.165	مَقَامَة	سُلَيْمَانُ بنُ زَقْبيل	١٠٢
.166	مَقَامَةٌ بالعَرَبِيَّة	يَهُوذَا الحَرِيزِيّ	١٠٢
.167	المُقَدِّمَات	أَبُو الوليد ابنُ رُشْدٍ	١٨٧
.168	المُقَدِّمَة	ابن خَلْدُونَ	٤ ، ٧
.169	مِلْءِ العَيْبَةِ	ابن رُشَيدٍ الفِهْرِيّ	٢٠١، ٢٠٣
.170	ملحَمة السِّيدِ		٨٧
.171	المُمْتِع السَّهْل	الرَّاعِي	٢٧٨
.172	المُوَازَنَة	دَاوُدُ بنُ هَاجَر	١٠١
.173	نَاشِيمْ	مِنْ كُتُبِ التَّلْمُوذِ	٢٩٢
.174	النبات	أَبُو عُبَيْد البَكْرِيّ	١٥٦

.175	النِّبْرَاسُ فِي تَارِيخِ خُلَفَاءِ بَنِي العَبَّاسِ	أَبُو الخَطَّابِ بنُ دَحْيَة	٢٧٤
.176	النُّجُوم الزَّاهِرَة	ابن تَغْرِي بَرْدِي	١٨٥
.177	نَفْحُ الطِّيبِ	المَقَّرِيّ	٤، ٥، ٤٢، ٤٧، ٦٣، ٦٥، ٧٠، ٨٥، ١٣٤، ١٥٨، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢٣٢، ٢٥٣، ٢٤٤، ٢٧٦، ٢٧٨
.178	نِهَايَة الأَرَبِ	النُّوَيْرِيّ	٦٣
.179	النوادر	القالي	١٩٨
.180	الهِدَايَة إِلَى واجِباتِ القُلُوبِ	يَحْيَى بنُ يُوسُفَ بنُ بَقُّودَة	١٠٦
.181	واجبات القلوب "חובות הלבבות"	يَحْيَى بنُ يُوسُفَ بن بَقُّودَة ، ترجمه يَهُودَا بنُ تِبُّونَ	١٠٦
.182	الواضح	أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ الزُّبَيْدِيُّ	١٧٨
.183	الوَصَايَا" ספר המדות"	ابن مَيْمُونَ ، تَرْجَمَهُ: إِسْحَاقُ البَرْجَلُونِيُّ	٩٩
.184	يَدْ حَزَاقَة أَيِ اليَدُ القَوِيَّةُ	مُوسَى بنُ مَيْمُونَ	٩٦
.185	يَنْبُوع الحَيَاةِ	سُلَيْمَانُ بنُ جِبِيرُول	٩٩، ١٠٥

المَصَادِر وَالمَرَاجِع

- القُرْآنُ الكَرِيم
- التَّوْرَاة

١. آبادي، مُحَمَّد "**عَونِ المَعْبُود؛ شَرْح سُنَنِ أَبِي دَاوُد**" دَار الكُتُبِ العِلْمِيَّة، ط٢، بَيْرُوت، ١٩٩٤م [١- ١٠] .
٢. ابن الأَبَّار، مُحَمَّد القضاعي (ت:٦٥٨هـ) "**إعْتَاب الكُتَّاب**" تَحْقِيق:صالح الأشتر، مَجْمَع اللُّغَةِ العَرَبِيّة، ط١، دِمَشْق، ١٩٦١م .
٣. – "**تُحْفَةُ القَادِم**" تَعلِيّق: إحْسَان عَبَّاس، دار الغرب الإسْلامِي، ط١، بَيْرُوت، ١٩٨٦م .
٤. - "**التَّكْمِلَة لِكتَّاب الصِّلَة**" تَحْقِيق: عَبْد السلام الهراش، دَار المَعْرِفَة، الدَّار البيضاء، د.ت [١- ٤] .
٥. - "**الحُلَّة السِّيَرَاء**" تَحْقِيق: حسين مُؤنس، دَار المَعَارِفِ، ط٢، القَاهِرَة، ١٩٨٥م [١- ٢] .
٦. - "**المُقْتَضَب مِنْ كِتَاب تُحْفَة القَادِم**"دَار الكِتَابِ المِصْرِي وَدَار الكِتَابِ اللُّبْنَانِيّ، ط٣،القَاهِرَة وبَيْرُوت،١٩٨٩م.
٧. الأَبْشِيهِيّ، مُحَمَّد بن أَحْمَد(ت: ٨٥٠هـ)"**المُسْتَطْرَف فِي كُلِّ فَنٍّ مُسْتَظْرَف**"دَار مَكْتَبَة الحَيَاة،بَيْرُوت،١٩٩٣م[١-٢] فِي مجلد واحد.
٨. ابن الأَثِير، عَلِيّ بن أبي الكرم الشيباني(ت: ٦٣٠هـ) "**الكَامِلُ فِي التَّارِيخ**" تَحْقِيق: عَبْد الله القاضي، ط٢، دَار الكُتُبِ العِلْمِيَّة، بَيْرُوت، ١٩٩٤م [١- ١١] .
٩. جَودي، فَارُوق مُحَمَّد "**الصَّهْيُونِيَّة وَاللغَة**" دار الثَّقَافَةِ، القَاهِرَة، ١٩٧٧م .
١٠. ابن الأَحْمَر، إسْمَاعِيل (ت:٨٠٧هـ) "**رَوْضَةُ النِّسْرِين**" مَطْبُوعَات القَصْرِ المَلَكِيّ،الرِّبَاط ، ١٩٨٠م
١١. - "**نَثِيرُ فَرَائِد الجُمَانِ فِي نَظْمِ فُحَولَ الزَّمَان**"تَحْقِيق: مُحَمَّد رضوان الداية، دَار الثَّقَافَة، د.م، ١٩٦٧م .
١٢. ابن الأَخْوَةِ، مُحَمَّد بن مُحَمَّد القرشي(ت:٧٢٩هـ) "**مَعَالَم القُرْبَةِ فِي أَحْكَامِ الحِسْبَةِ**" تَحْقِيق: روين ليوي، ، مَطْبَعَة دَار الفنون، كيمبردج،١٩٣٧م .
١٣. ابن إدريس، أَبُو بَحْر صفوان التجيبي (ت:٥٩٨هـ) "**زَادُ المُسَافِرِ وَغُرَّةُ محيا الأَدَبِ الْسَافِر**" .
١٤. الإِدْرِيسِيّ، مُحَمَّد بن عَبْد الله(ت: ٥٦٠هـ)"**نُزْهَةُ المُشْتَاقِ فِي اخْتِرَاقِ الآفَاق**" ط١، عَالَم الكُتُبِ، بَيْرُوت، ١٩٨٩م [١- ٢] .
١٥. أرنولْد، سير توماس وآخرون"**تُرَاث الإِسْلَامِ**" تَرْجَمَة :جِرْجيس فتح الله ،مطبعة لَجْنَةِ التَّأْلِيفِ وَالتَّرْجَمَة والنَّشْرِ، د.م، ١٩٣٦م [١- ٢] .
١٦. الأَصْبَهَانِيّ، أَبُو نعيم أَحْمَد بن عَبْد الله (ت: ٤٣٠هـ)"**حُلْيَةُ الأَوْلِيَاءِ وَطَبَقَاتُ الأَطِبَّاءِ**" تَحْقِيق: مُصْطَفَى عَبْد القادر القط، ط١، دَار الكُتُبِ العِلْمِيَّة، بَيْرُوت، ١٩٦٧م [١- ١٢] .
١٧. الأَصْفَهَانِيّ، أَبُو الفَرَجِ (ت:٣٥٦هـ) "**الأَغَانِيّ**" تَحْقِيق: عَلِيّ مهنا وَسمير جابر، ط٢، دَار الفِكْرِ، بَيْرُوت، د.ت [١- ٢٤] .
١٨. ابن أَبِي أُصَيْبِعَة، أَحْمَد بن القاسم السعدي(ت:٦٦٨هـ) "**عُيُونُ الأَنْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الأَطِبَّاءِ**" تَحْقِيق: مُحَمَّد باسل عيون السود، دَار الكُتُبِ العِلْمِيَّة، بَيْرُوت، د.ت .
١٩. الأعشى، مَيْمُونِ بن قَيْسٍ"**دِيوَانُهُ**" شرح: مُحَمَّد مُحَمَّد حسين، دَار النَهْضَة العَرَبِيّة، بَيْرُوت، ١٩٧٢م.
٢٠. الإفراني، مُحَمَّد "**المَسْلَكُ السَّهْل فِي شَرْح تَوْشِيح ابنِ سَهْل**" تَحْقِيق: مُحَمَّد العمري، وزارة الأوقاف، المَغْرِب،١٩٩٧م.
٢١. الألباني، مُحَمَّد ناصر الدين "**سِلْسِلَة الأَحَادِيث الضَّعِيفَة وَالمَوْضُوعَة**" ط١، مَكْتَبَة المَعَارِفِ، الرِّيَاض، د.ت [١- ٥].
٢٢. - "**صحيح سُنَنِ أَبِي دَاود بِاخْتِصَارِ السَّنَد**" ط١، مكتب التربية العَرَبِيّ لدول الخليج، ١٩٨٩م [١- ٢] .
٢٣. الإلْبِيرِيّ، أَبُو إسْحَاق (ت:٤٥٩هـ) "**دِيوَانُهُ**" تَحْقِيق: مُحَمَّد رضوان الداية، ط١، دَار الفِكْرِ، دِمَشْق،١٩٩١م .
٢٤. امْرِؤ القَيْسِ "**دِيوَانُهُ**" دَار بَيْرُوت ودَار صادر، بَيْرُوت، ١٩٥٨م .
٢٥. الأمير عَبْد الله بن بلقين (ت:٤٨٣هـ)"**التِّبْيَان**" تَحْقِيق: إليفِي برُوفِنْسَال، دَار المَعَارِفِ، مِصْر، ١٩٥٥م.
٢٦. ابن بَاجَة وَآخرُون "**رَسَائِل فَلْسَفِيَّة**" تَحْقِيق: عَبْد الرَّحْمَن بَدَوِيّ ،الجَامِعَة اللِيبِيَّة، بني غازي، سنة ١٩٧٣ م .
٢٧. الأَهْوَانِيّ، عَبْد العَزِيز "**الزَّجَل فِي الأَنْدَلُس**" معهد الدِّرَاسَاتِ العَرَبِيّة العَالَمِيَّةِ ، د. م، ١٩٥٧م .
٢٨. الباخرزي، عَلِيّ بن الحسن(ت:٤٦٧هـ)"**دُمْيَة القَصْرِ وَعُصْرَة أهل العصر**" تَحْقِيق: مُحَمَّد التونجي، ط١، دَار الجيل، بَيْرُوت، ١٩٩٣م [١- ٣] .
٢٩. بالنثيا، أنْخِل جُنْثَالِث "**تَارِيخُ الفِكْرِ الأَنْدَلُسِيّ**" تَرْجَمَة: حسين مؤنس، ط١، مَكْتَبَة مَكْتَبَة الثَّقَافَة الدِّينِيَّة، القَاهِرَة، ١٩٥٥م .
٣٠. البُخاري، مُحَمَّد بن إسْمَاعِيل(ت:٢٥٦هـ) "**صَحِيحُهُ**" تَحْقِيق: مُصْطَفَى ديب البغا، ط٣، دَار ابن كَثِير وَاليَمَامَة، بَيْرُوت، ١٩٨٧م [١- ٦] .
٣١. برُوفِنْسَال، إليفِي "**حَضَارَةُ العَرَبِ فِي الأَنْدَلُس**" تَرْجَمَة : ذوقان قرقوط، دَار مَكْتَبَة الحَيَاة، بَيْرُوت، د.ت .
٣٢. البُسْتَانِيّ، بُطْرُس "**مُحِيطُ المُحِيط؛** قَامُوس مُطَوَّل للغَةِ العَرَبِيّة " مَكْتَبَة لُبْنَان، بَيْرُوت، ١٩٨٣م .
٣٣. بشتاوي، عادل سعيد "**الأَنْدَلُسِيُّونَ المَوَارْكَةُ**" ط٢ ، دَار أسامة، دِمَشْق، ١٩٨٥م .
٣٤. ابن بشرى الأَغْرْنَاطِيّ، عَلِيّ "**عُدَّةُ الجَلِيس وَمُؤَانَسَةُ الوَزِيرِ وَالرَّئِيسِ**" تَحْقِيق: أَلَنْ جُونْز،مَرْكِز الحَاسِبَاتِ فِي جَامِعَة أكْسفُورد، ١٩٩٢م.
٣٥. ابن بَشْكوَال، خلف بن عَبْد المَلك(ت:٥٧٨هـ) "**الصِّلَة**" تَحْقِيق: إبْرَاهِيم الأبياري، ط١، دَار الكِتَابِ، مِصْر وَلُبْنَان، ١٩٨٩م [١- ٣] .
٣٦. ابْن بَطُّوطَة، مُحَمَّد بن عَبْد الله اللواتي (ت:٧٥٧هـ) "**رِحْلَتُهُ** " دَار التُّرَاثِ، مِصْر وَلُبْنَان، ١٩٦٨م .
٣٧. البَكْرِيّ، أَبُو عُبَيْد (ت:٤٨٧هـ) "**جُغْرَافِيَّةُ الأَنْدَلُسِ وَأَوْرُوبَّا مِنْ كِتَاب المَسَالِك وَالمَمَالِك**" تَحْقِيق:عَبْد الرَّحْمَنِ الحجي، ط١ ،دَار الإرشاد، بَيْرُوت، ١٩٦٨م .
٣٨. - "**فَصْلِ المَقَالَ فِي شَرْحِ كِتَابِ الأَمْثَالِ**" تَحْقِيق:إحْسَان عَبَّاس وعَبْدالمجيد عابدين، ط٣، مُؤَسَّسَة الرِّسَالَةِ، بَيْرُوت، ١٩٨٣م .
٣٩. - "**مُعْجَم مَا اسْتَعْجَم مِنْ أَسْمَاءِ البُلْدَانِ وَالمَوَاقِعِ**" تَحْقِيق: مُصْطَفَى السقا، عَالَم الكُتُبِ، بَيْرُوت، د.ت .

٤٠. البَلَوِيّ، أبو البَقَاءِ خَالِد بن عيسى(ت:بعد٧٦٧هـ) **"تَاجُ المَفْرِقِ فِي تَحْلِيَةِ عُلَمَاءِ المَشْرِقِ"** تَحْقِيق: الحسن السائح، مطبعة محمد الخامس الثقافية الجامعية، فاس، ١٩٧٠م [١- ٢] فِي مجلد واحد ..

٤١. بوتشيش، إبْرَاهِيم **"مَبَاحِثُ فِي التَّارِيخِ الاجْتِمَاعِيِّ لِلمَغْرِبِ وَالأَنْدَلُسِ خِلَالَ عَصْرِ المُرَابِطِينَ"** ط١، دَار الطَّلِيعَةِ، بَيْرُوت، ١٩٩٨م .

٤٢. بيرسْ، هنْرِي **"الشِّعْرُ الأَنْدَلُسِيّ فِي عَصْرِ الطَّوَائِفِ**؛مُلامِحُه العَامَّةُ وَمَوْضوعَاتُهُ الرَّئِيسيَّةُ وَقِيمَتُهُ التَّوْثِيقِيَّةُ" تَرْجَمَة : الطَّاهِر أَحْمَد مَكِّيّ، ط١، دَار المَعَارِف، مِصْر، ١٩٨٨م .

٤٣. التِّرمِذِيّ، مُحَمَّد بن عِيسى السلمي (ت:٢٧٩هـ) **"الجَامِعُ الصَّحِيح؛ سُنَنُ التِّرْمِذِيّ"** تَحْقِيق: أَحْمَد مُحَمَّد شاكر وآخرون، دَار إِحْيَاء التُّرَاثِ العَرَبِيّ، مِصْر، د.ت [١- ٥] .

٤٤. التُّونجِي، مُحَمَّد **"المُعْجَم المُفَصَّل فِي الأَدَبِ"** ط١، دَار الكُتُبِ العِلْمِيَّة، مِصْر، ١٩٩٣م [١- ٢].

٤٥. ابن تَغْرِي بَرْدِي، جمال الدين (ت:٨٧٤هـ) **"النُّجُوم الزَّاهِرَة فِي مُلُوكِ مِصْر وَالقَاهِرَة"** تَعْلِيق : مُحَمَّد حسين شمس الدين، ط١، دَار الكُتُب العِلْمِيَّة، بَيْرُوت،١٩٩٢م [١- ١٦].

٤٦. أَبُو تمام، حبيب بن أوس(ت:٢٣١هـ) **"دِيوَانُهُ"** تَعْلِيق : يونس المُوصِلِيّ، دَار صعب بَيْرُوت، د.ت .

٤٧. - **"دِيوان الحَمَاسَة"** برواية الجواليقي،شرح: أَحْمَد حسن بسج، ط١، بَيْرُوت دَار الكُتُبِ العِلْمِيَّة،١٩٩٨م.

٤٨. التنبكي، أَحْمَد بابا(ت:١٠٣٦هـ) **"نَيْلُ الابْتِهَاج بِتَطْرِيزِ الدِّيبَاج"** تَحْقِيق: عَلِيّ عمر، ط١، مَكْتَبَة الثَّقَافَة الدِّينِيَّة، القَاهِرَة، ٢٠٠٤م [١- ٢] .

٤٩. التَّنُوخِيّ، المُحْسِن عَلِيّ (ت:٣٨٤هـ)**"الفَرَجُ بَعْدَ الشدة"** تَحْقِيق: مُحَمَّد حسن عَبْد الله، دَار قباء، القَاهِرَة، ٢٠٠٠م .

٥٠. الثَّعالبي، أَبُو مَنْصُور عَبْد الملك(ت:٤٢٩هـ)**"ثمار القُلُوبِ فِي المُضَافِ وَالمَنْسُوب"** تَحْقِيق: مُحَمَّد أَبُو الفضل إِبْرَاهِيم، ط١، دَار المَعَارِفِ، القَاهِرَة، ١٩٦٥م .

٥١. - **"يَتِيمَة الدَّهْر فِي محاسن أهل العصر"** تَحْقِيق: مفيد مُحَمَّد قمحية، ط١، دَار الكُتُبِ العِلْمِيَّة، بَيْرُوت، ١٩٨٣م [١- ٤] .

٥٢. الجَاحِظ **"الحَيَوَان"** تَحْقِيق: فوزي عطوي، ط٣، دَار صعب، بَيْرُوت، ١٩٨٢م [١-٧ فِي جزئين].

٥٣. جبر، وديع **"مُعْجَم النَّبَاتَات الطِّبِّيَّة"** ط٢، دَار الجيل، بَيْرُوت، ١٩٩٨م .

٥٤. ابن جُبَيْر، مُحَمَّد بن خير(ت:٦١٤هـ) **"رِحْلَتُهُ"** تَقْدِيم: مُحَمَّد مُصْطَفَى زيادة، دَار الكِتَاب اللُّبْنَانِيّ، بَيْرُوت والقَاهِرَة، د.ت .

٥٥. الجُرجَاني، عَلِيّ بن مُحَمَّد (ت:٨١٦هـ) **"التَّعْرِيفات"** تَحْقِيق: إِبْرَاهِيم الإبياري، ط١، دَار الكِتَاب العَرَبِيّ، بَيْرُوت، ١٩٨٤م.

٥٦. جَرَّار، صلاح **"مَرْجُ الكُحْلِ الأَنْدَلُسِيّ؛** سِيرَتُهُ وَشِعْرُهُ" ط١، دَار البَشير، عَمَّان، ١٩٩٣م .

٥٧. الجَزَّار السَّرَقسْطِيّ، أَبو بَكْر يَحْيَى بنُ مُحَمَّد (ت: ٤٧٤هـ)**"رَوْضَةُ المَحَاسِنِ وَعُمْدَةُ المَحَاسِنِ"** تَحْقِيق: منجد مُصْطَفَى بَهْجَت،مَطْبَعَة المَجْمَع العِلْمِي العِرَاقِي، العِرَاق، ١٩٨٨م .

٥٨. الجُمَحِيّ، ابن سَلام(ت:٢٣١هـ) **"طَبَقَات الشُّعَرَاء الجَاهِلِيِّينَ وَالإِسْلامِيِّينَ"** تَحْقِيق: مَحْمُود مُحَمَّد شاكر، دَار المدني، جدة، د.ت [١- ٢]

٥٩. الجَوْهَرِيّ، أَبُو نَصْر إِسْمَاعِيل(ت:٣٩٣هـ) **"الصِّحَاح**؛ تَاج اللُّغَةِ وَصِحَاح العَرَبِيَّة" تَحْقِيق: أميل بديع يعقوب، ط١، دَار الكُتُبِ العِلْمِيَّة، بَيْرُوت، ١٩٩٩م [١- ٧] .

٦٠. ابن الحداد الأَنْدَلُسِي (ت:٤٨٠هـ) **"دِيوَانُهُ"** تَحْقِيق: يُوسُف عَلِيّ طويل، ط١، دَار الكُتُب العِلْمِيَّة، بَيْرُوت، ١٩٩٠م.

٦١. ابن حَزْم ،أَبُو مُحَمَّد عَلِيّ بن أَحْمَد (ت:٤٥٦هـ) **"جَمْهَرَة أَنْسَاب العَرَب"** ط١، دَار الكُتُب العِلْمِيَّة، بَيْرُوت، ١٩٨٣م.

٦٢. - **"رَسَائِلُهُ"** تَحْقِيق : إِحْسَان عَبَّاس، ط٢، المُؤَسَّسَة العَرَبِيَّة للدِّرَاسَات والنَّشْر، بَيْرُوت، ١٩٨٧م [١- ٤] .

٦٣. - **"طَوْق الحَمَامَة فِي الأُلْفَة وَالأُلاف"** تَحْقِيق: حسن كامل الصيرفي، مَطْبَعَةُ الاسْتِقَامَة، القَاهِرَة، ١٩٦٤م .

٦٤. - **"الفَصْل فِي المِلَلِ وَالأَهْوَاءِ وَالنِّحَل"** ط١، المَطْبَعَة الأَدَبِيَّة، مِصْر، ١٨٩٩م [١- ٢] .

٦٥. ابن حَمَّاد، مُحَمَّد **"أَخْبَارُ مُلُوكِ بَنِي عُبَيْدٍ وَسِيرَتُهُمْ"** تَحْقِيق:التهامي نقرة وعَبْد الحليم عويس، دَار الصحوة، القَاهِرَة، ١٩٨٠م.

٦٦. الحَمَوِيّ، ابن حِجَّة عَلِيّ بن عَبْد الله(ت:٨٣٧هـ)**"خِزَانَة الأَدَب وغَايَة الأرب"** تَحْقِيق: عصام شعيتو، ط١، دَار ومَكْتَبَة الهلال، بَيْرُوت،١٩٨٧م [١ – ٢] .

٦٧. الحَمَوِيّ، يَاقُوت(ت:٦٢١هـ)**"مُعْجَمُ الأُدَبَاء"** ط٣، دَار الفِكْر، بَيْرُوت، ١٩٨٠م [١- ٢٠] فِي عشرة مجلدات .

٦٨. - **"مُعْجَم البُلْدَان"** دَار الفِكْر، بَيْرُوت، د.ت [١- ٥] .

٦٩. الحُمَيدِي، مُحَمَّد بن فَتُّوح(ت:٤٨٨هـ) **"جَذْوَةُ المُقْتَبِس** فِي **ذِكْرِ وُلاةِ الأَنْدَلُسِ"** تَحْقِيق: مُحَمَّد بن تاويت الطنجي، مَكْتَبَة الخَانجِي، القَاهِرَة، ١٩٥١م .

٧٠. الحِمْيَرِيّ، مُحَمَّد عَبْد المنعم **"الرَّوْض المِعْطَار فِي خَبَرِ الأَقْطَار"** تَحْقِيق: إِحْسَان عَبَّاس ،ط٢، مُؤسسَة نَاصِر لِلثَّقَافَة، بَيْرُوت، ١٩٨٠م .

٧١. الحَنْبَلِيّ، ابن عماد (ت:١٠٨٩هـ) **"شَذَرَات الذَّهَب فِي أَخْبَارِ مَنْ ذَهَبْ"** دَار الكُتُب العِلْمِيَّة، بَيْرُوت، د. ت [١- ٤] .

٧٢. ابن حَيَّان القُرْطُبِيّ (ت:٤٦٩هـ) **"المُقْتَبَس"** تَحْقِيق: مَحْمُود عَلِيّ مكي، دَار الكِتَابِ العَرَبِيّ، بَيْرُوت، ١٩٧٣م .

٧٣. ابن خاقان، الفتح بن مُحَمَّد القَيْسِي(ت:٥٢٩هـ) **"قَلائِد العِقْيَان وَمَحَاسِنِ الأَعْيَان"** تَحْقِيق: حسين خريوش، مَكْتَبَة المنار، ط١، الأُرْدُنّ: الزرقاء، ١٩٨٩م [١-٢] .

٧٤. - **"مَطْمَح الأَنْفُس وَمَسْرَح التَّأَنُّس فِي مُلَح أَهْلِ الأَنْدَلُس"** تَحْقِيق:مُحَمَّد عَلِيّ شوابكة، مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة، د.م، د.ت .

٧٥. ابن خرْدَاذْبَه، أَبُو القاسم عبيد الله (ت:٣٠٠هـ) **"المَسَالِكُ وَالمَمَالِكُ"** مَكْتَبَة الثَّقَافَة الدِّينِيَّة، القَاهِرَة، د.ت .

٧٦. ابن الخَطيب، لسان الدين السلماني (ت:٧٧٦هـ) **"الإِحَاطَةُ فِي أَخْبَارِ غَرْنَاطَة"** تَحْقِيق: مُحَمَّد عَبْد الله عنان، مَكْتَبَة الخانجي، ط٢، القَاهِرَة، ١٩٧٣م [١- ٤] .

٧٧. - **"أَعْمَال الأَعْلَام فِي مَنْ بُويعَ قَبْلَ الاحْتِلام"** تَحْقِيق: إِ.ليفي بِرُوفِنْسَال، دَار المكشوف، د. م ، د.ت.

٧٨. - **"الكَتِيبَة الكَامِنَة فِي** مَنْ لَقِينَاهُ بِالأَنْدَلُسِ مِنْ شُعَرَاءِ المِائَةِ الثَّامِنَة" تَحْقِيق:إِحْسَان عَبَّاس، دَار الثَّقَافَة، ط١، بَيْرُوت، ١٩٦٣م.

٧٩. - **"اللَّمْحَةُ البَدْرِيَّةُ فِي الدَّوْلَةِ النَّصْرِيَّةِ"** تَحْقِيق: محب الدين الخطيب، دَار الآفاق الجديدة،ط٢، بَيْرُوت، ١٩٧٨م.

٨٠. - **"نُفَاضَةُ الجِرَاب فِي عُلالَة الاغْتِرَاب"** تَحْقِيق: أحمد مُخْتَار العَبَّادِي، ١٩٨٥م .

٨١. - **"دِيوَانُهُ"** تَحْقِيق: مُحَمَّد مفتاح ، دَار الثَّقَافَة، ط١، الدَّار البَيْضَاء، ١٩٨٩م [١- ٢] .

٨٢. ابن خَلْدُونَ، عَبْد الرَّحْمَنِ بن مُحَمَّد(ت:٨٠٥هـ) "**تاريخُهُ**" دَار القلم، ط٥، بَيْرُوت، ١٩٨٤م [١- ٧] .
٨٣. ابن خَلِّكان، أَحْمَد بن مُحَمَّد(ت:٦٨١هـ) "**وَفَيَات الأَعْيَانِ وأَنْبَاء أبْنَاء الزمان**" تَحْقِيق: إِحْسَان عَبَّاس، دَار الثَّقَافَة، لُبْنَان، د.ت [١- ٨] .
٨٤. ابن الخلوُف، شِهَاب الدِّين (ت:٨٩٩هـ) "**ديوَانُهُ**" تَحْقِيق: هشام بو قمرة، الدَّار العَرَبِيَّة للكِتَاب، تُونُس، ١٩٨٨م .
٨٥. ابن خَمِيس المالقي، مُحَمَّد (ت:٦٣٩هـ) "**أَدَبَاء مَالَقَة**" تَحْقِيق: صلاح جرار، دَار البَشير، عَمَّان، ١٩٩٩م .
٨٦. ابن الخُوجَة، مُحَمَّد الحَبيب "**يهودُ المَغْرِب العَرَبِيّ**" مَعْهَد البُحُوثِ وَالدِّرَاسَاتِ العَرَبِيَّة، جَامِعَة الدُّوَلِ العَرَبِيَّة، ١٩٧٣م .

٨٧. ابن دِحْيَة، عمر بن حسن(ت:٦٣٣هـ)"**المُطْرِب مِنْ أَشْعَارِ أَهْلِ المَغْرِب**" تَحْقِيق:إِبْرَاهِيم الأبياري وَآخَرُونَ، المَطْبَعَة الأميرية، القَاهِرَة، ١٩٩٣م .
٨٨. دَنْدَش، عِصْمَت "**الأَنْدَلُسُ فِي نِهَايَةِ المُرَابِطِينَ ومُسْتَهلّ المُوَحِّدِينَ**" دَار الغرب الإِسْلامِي، ط١، بَيْرُوت، ١٩٨٨م.
٨٩. دهيمش، أَحْمَد صالح وآخرون"**مُفْرَدَات النَّبَاتَات الطِّبِّيَّة وَطُرُق المُعَالَجَةِ بِهَا**" دَار بترا، دِمَشْق،١٩٩٧م.
٩٠. دوزي، رينهارت "**تَاريخ مُسْلِمِي أَسْبَانيا**" تَرْجَمَة: حسن حبشي، دَار المَعَارِف، ١٩٦٣م ، القَاهِرَة، ج١ (الحُرُوب الأهْلِيَّة) .
٩١. - "**تَكْمِلَة المَعَاجِمِ العَرَبِيَّة**" تَرْجَمَة: مُحَمَّد سليم النعيمي، ، د.ن، ط١، د.م، ١٩٧٦م [١- ٩] .
٩٢. دِيوْرَانت، وِل "**قِصَّة الحَضَارَة**" تَرْجَمَة: زكي نجيب مَحْمُود ، دَار الجيل، بَيْرُوت، د.ت [١- ٢٨] .
٩٣. الذِّبْيَانِيّ، النَّابِغَة "**شَرْح دِيوَانُهُ**" منشورات دَار مَكْتَبَة الحَيَاة، بَيْرُوت، ١٩٨٩م .
٩٤. الذَّهَبِيّ، مُحَمَّد بن أَحْمَد(ت:٧٤٨هـ)"**العِبَر فِي خَبَرِ مَنْ غَبَر**" تَحْقِيق: صَلاح الدِّينِ المُنْجِد، مَطْبَعَة حُكُومَةِ الكُوَيْت، ط٢، الكُوَيْت، ١٩٨٤م .
٩٥.
٩٦. - "**سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ**" تَحْقِيق: شعيب الأرناؤوط ومُحَمَّد نعيم العرقسوسي، مُؤَسَّسَة الرِّسَالَةِ، ط١١، بَيْرُوت،١٩٩٦م[١- ٢٨].
٩٧. الرَّازِيّ، مُحَمَّد بن أبي بكر(ت:٧٢١هـ)"**مُخْتَار الصِّحَاحُ**"تَحْقِيق:مَحْمُود خاطر ،مَكْتَبَة لُبْنَان نَاشِرُونَ، بَيْرُوت، ١٩٩٥م [١-٧] .
٩٨. ابن أَبِي رَبِيعَة، عُمَر "**دِيوَانُهُ**" الشَرِكَة اللُّبْنَانِيَّة لِلكِتَاب، بَيْرُوت، ١٩٦٨م .
٩٩. رحيم، مِقْدَاد "**اتِّجَاهَات نَقْد الشِّعْر فِي الأَنْدَلُس فِي عَصْرِ بَنِي الأَحْمَر**" المُجَمَّع الثَّقَافِيّ، أَبُو ظبي، ٢٠٠٠م .
١٠٠. ابن رضوان المالقي، أبو القاسم (ت:٧٨٣هـ) "**الشُّهُبُ اللامِعَةُ فِي السِّيَاسَةِ النَّافِعَة**" تَحْقِيق: عَلَى سامي النشار، دَار الثَّقَافَةِ، ط١، الدار البيضاء، ١٩٨٤م .
١٠١. ريبيرا، خوليان "**التَّرْبِيَةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ؛ أُصولُهَا المَشْرِقِيَّةُ وَتَأْثِيرَاتُهَا الغَرْبِيَّة**" تَرْجَمَة:الطَّاهِر أَحْمَد مَكِّيّ، دَار المَعَارِف، القَاهِرَة، ١٩٤٠م .
١٠٢. الرَّيْسُونِيّ، مُحَمَّد المُنْتَصِر "**الشِّعْر النِّسَوِيّ فِي الأَنْدَلُس**" دَار مَكْتَبَة الحَيَاة، بَيْرُوت، ١٩٧٨م .
١٠٣. رَيَّه، عَطَا عَلِيّ "**اليَهُود فِي بِلاد المَغْرِب الأَقْصَى فِي عَهْدِ المَرِّينِيِّينَ وَالوَطَّاسِيِّينَ**" دَار الكلمة، ط١، دِمَشْق، ١٩٩٩م.
١٠٤. ابن الزُّبَيْر، أَبُو جَعْفَر أَحْمَد الغَرْنَاطِي(ت:٧٢٨هـ)"**صِلَةُ الصِّلَة**؛ ذَيْلُ الصِّلَةِ البَشْكُوَالِيَّةِ فِي تَرَاجِمِ أَعْلامِ الأَنْدَلُسِ" مَكْتَبَة خَيَّاط، بَيْرُوت، ١٩٣٧م .
١٠٥. الزَّجَّالِي، عُبَيْد اللهِ القُرْطُبِيّ(ت:٦٩٤هـ) "**أَمْثَالُ العَوَام فِي الأَنْدَلُس**" تَحْقِيق: مُحَمَّد بن شريفة، د.ن ، د.م، د.ت [١- ٢] .
١٠٦. الزِّرِكْلِيّ "**الأَعْلام**؛قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء مِنَ العَرَبِ وَالمُسْتَعْرِبِينَ وَالمُسْتَشْرِقِينَ" دَار العِلْمِ لِلمَلايين، ط٥ ، بَيْرُوت، ١٩٨٠م [١ – ٨] .
١٠٧. الزَّرْعِيّ، مُحَمَّد بن أبي بكر (ت:٧٥١هـ) "**أَحْكَام أَهْلِ الذِّمَّة**" تَحْقِيق: يُوسُف أَحْمَد البكري وَشاكر توفيق العاروري، رمادى لِلنَّشْر ودَار ابن حزم، ط١، الدَّمَّام وبَيْرُوت، ١٩٩٧م [١- ٣] .
١٠٨. الزَّغْلُول، جِهَاد غَالِب مُصْطَفَى"**الحِرَف وَالصِّنَاعَات فِي الأَنْدَلُسِ مُنذُ الفَتْحِ حَتَّى سُقُوط غَرْنَاطَة،٩٢- ٨٩٧هـ**" مركز الأفق، ط١، الأُرْدُنّ ، ٢٠٠١م .
١٠٩. الزَّوْزَنِيّ، الحُسَين بن أحمد "**شَرح المُعَلَّقَات السَّبْع**" مَكْتَبَة المَعَارِف، ط٣، بَيْرُوت، ١٩٧٩م .
١١٠. ابْن زَيْدُونَ "**دِيوَانُهُ وَرَسَائِلُهُ**" تَحْقِيق:عَلِيّ عَبْد العظيم، نَهْضَة مِصْر لِلطِّبَاعَةِ والنَّشْر، القَاهِرَة ،١٩٥٧م .
١١١. سَالِم، السَّيِّد عَبْد العَزِيز "**تاريخ المُسْلِمِينَ وَآثَارهُمْ فِي الأَنْدَلُس**" دار المَعَارِف، لُبْنَان، ١٩٦٢م .
١١٢. - "**قُرْطُبَةُ حَاضِرَةُ الخِلافَةِ فِي الأَنْدَلُس**؛ دِرَاسَةٌ تاريخيَّةٌ عُمْرانِيَّةٌ أَثَرِيَّةٌ فِي العَصْرِ الإِسْلامِي" دَار النَهْضَة، بَيْرُوت، ١٩٧١م [١- ٢] .
١١٣. سَامْسُو، خُولْيُو "**العُلُومُ الدَّقِيقَةُ فِي الأَنْدَلُس**" تَرْجَمَة :عُمَر الشَّيْخ، بَحْثٌ في: "الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ" تَحْرِير:سَلْمَى الجَيُّوسِيّ، مركز دِرَاسَات الوِحْدَة العَرَبِيَّة، ط١، د.م ، ١٩٩٨م [١-٢] .
١١٤. السَّخَّاوِيّ، مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَنِ(ت:٩٠٢هـ)"**الضَّوْء اللامِع لأَهْلِ القَرْن التَّاسِع**" دَار مَكْتَبَة الحَيَاة، بَيْرُوت، د.ت [١- ١٢] .
١١٥. السَّعِيد، مُحَمَّد مجيد "**الشِّعْر فِي عَهْدِ المُرَابِطِينَ وَالمُوَحِّدِينَ بِالأَنْدَلُس**" دَار الرَّشِيدِ، العِرَاق، ١٩٨٠م .
١١٦. السِّلَفِي، أَحْمَد بن مُحَمَّد (ت:٥٧٦هـ) "**أَخْبَارٌ وَتَرَاجِمُ أَنْدَلُسِيَّةٌ مُسْتَخْرَجَةٌ مِنْ مُعْجَمِ السَّفْر لِلسِّلَفِيّ**" ت: إِحْسَان عَبَّاس دَار الثَّقَافَة، ، ط١، بَيْرُوت، ١٩٦٣م .

١١٧. ابن سَعِيد، عَلِيّ بن موسى(ت:٦٨٥هـ) "**اخْتِصَار القَدْحِ المُعَلَّى فِي التَّارِيخ المُحَلَّى**" تَحْقِيق:إِبْرَاهِيم الأبياري،المطابع الأميرية، د.م، ١٩٥٩م .
١١٨. - "**الغُصُون اليَانِعَة فِي محاسن شعراء المائة السابعة**"تَحْقِيق:إِبْرَاهِيم الأبياري،دَار المَعَارِف، ط٤، مِصْرَ، ١٩٤٥م [١- ٣].
١١٩. - "**المُغْرِب فِي حلى المغرب**" تَحْقِيق: شوقي ضيف ، دَار المَعَارِف، ط٤، القَاهِرَة، ١٩٩٣م [١- ٢] .
١٢٠. - "**رَايَات المُبَرِّزِين وغايات المميزين**" تَحْقِيق: مُحَمَّد رضوان الداية، دَار طلاس، ط١، دِمَشْق، ١٩٨٧م.
١٢١. ابن أبي سُلْمَى، زُهَيْر "**دِيوَانُهُ**" تَحْقِيق:الأعلم الشنتمري، المَطْبَعَة الحميدية المِصْرِيَّة، ط١، د.م، ١٩٠٥م .
١٢٢. السُّلَمِيّ، مُحَمَّد بن الحسين(ت:٤١٢هـ) "**طَبَقَات الصُّوفِيَّة**" تَحْقِيق: عَبْد القادر عطا، دَار الكُتُب العِلْمِيَّة، ط١، بَيْرُوت، ١٩٩٨م [١- ١١] .
١٢٣. ابن سَهْل (ت:٦٤٩هـ) "**دِيوَانُهُ**" تَحْقِيق: مُحَمَّد قوبعة ، المَطْبَعَة الرسمية للجمهورية التُونُسِيَّة، تُونُس، ١٩٨٥م .

١٢٤. ابن سَهْل، عيسى أَبُو الأَصْبَغ(ت:٤٨٦هـ)"**وَثَائِقُ فِي أَحْكَامِ قَضَاءِ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ**؛ مُسْتَخْرَجَةٌ مِنْ مَخْطُوطِ الأَحْكَامِ الكُبْرَى" تَحْقِيق:مُحَمَّد عَبْد الوهاب خلاف، المركز العَرَبِيّ الدولي، القَاهِرَة، ١٩٨٥م .
١٢٥. سُوسَة، أحمد "**العرب وَاليَهُودُ فِي التَّارِيخ**؛ حقائق تاريخية تظهرها المُكتشفات الآثارية" د.ن ، ط٥ ، د.م، د.ت .
١٢٦. ابن سينا "**القَانُون فِي الطِّبِّ**" شرح : جبران جبور ، مُؤَسَّسَة المَعَارِف، بَيْرُوت، ١٩٨٢م .
١٢٧. السّيُوطِي، جَلال الدين (ت:٩١١هـ) "**بُغْيَة الوُعاة فِي طَبَقَاتِ اللُّغَوِيِّينَ وَالنُّحَاةِ**" تَحْقِيق: مُحَمَّد أَبُو الفضل إِبْرَاهِيم، دَار الفِكْر، ط٢، د.م ، ١٩٧٩م [١-٢] .
١٢٨. - "**حُسْنُ المُحَاضَرَة**" دَار الكُتُب العِلْمِيَّة ، ط١، بَيْرُوت، ١٩٩٧م .
١٢٩. - "**نُزْهَةُ الجُلَسَاءِ فِي أَشْعَارِ النِّسَاءِ**" تَحْقِيق:صلاح الدين المنجد، دَار الكِتَابِ الجديد، ط٢، بَيْرُوت،١٩٧٨م .
١٣٠. شَاحَاك، إِسْرَائِيل "**الدِّيَانَةُ اليَهُودِيَّةُ وَتَارِيخُ اليَهُود؛ وَطْأَةُ ٣٠٠٠ عَامٍ**" تَرْجَمَة: رضى سلمان،شَرِكَةُ المَطْبُوعَاتِ للتوزيع والنَّشْر، ط٤، بَيْرُوت، ١٩٩٧م
١٣١. - "**الدِّيَانَة اليَهُودِيّة وَمَوْقِفُهَا مِنْ غَيْرِ اليَهُود**" تَرْجَمَة: حسن خضر، سينَا لِلنَّشْر، ط١، القَاهِرَة، ١٩٩٤م.
١٣٢. الشامي، رشاد عَبْد الله "**الشَّخْصِيَّةُ اليَهُودِيَّةُ الإِسْرَائِيلِيَّةُ وَالرُّوحُ العُدْوَانِيَّةُ**" المَجْلِس الوَطَنِيّ لِلثَّقَافَة، الكُوَيْت، ١٩٨٦م.
١٣٣. شَايندلين، رِيمُونْد "**اليَهُود فِي إِسْبَانِيَا المُسْلِمَة**" تَرْجَمَة: مَرْيَم عَبْدِ البَاقِي، بَحْثٌ فِي:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ" تَحْرِير: سَلْمَى الجَيُّوسِيّ، مركز دِرَاسَاتِ الوَحْدَةِ العَرَبِيَّة، ط١، د.م ، ١٩٩٨م [١-٢] .
١٣٤. ابن شَرِيفَة، مُحَمَّد "**أَدِيبُ الأَنْدَلُسِ أَبُو بَحْرٍ التُّجِيبِيّ؛ عُمْرٌ قَصِيرٌ وعَطَاءٌ غَزِيرٌ ٥٦١- ٥٩٨هـ**" مَطْبَعَة النَّجَاحِ الجَدِيدَة، ط١، الدَّار البَيْضَاء، ١٩٩٩م .
١٣٥. شَلَبِيّ، سَعْد إِسْمَاعِيل"**البِيئَةُ الأَنْدَلُسِيَّةُ وأَثَرُهَا فِي الشِّعْرِ**؛عصر ملوكِ الطَّوَائِفِ" نَهْضَة مِصْر لِلطِّبَاعَةِ والنَّشْرِ، القَاهِرَة، د.ت.
١٣٦. الشنتريني، عَلِيّ ابن بَسَّام(ت:٥٤٢هـ)"**الذَّخِيرَةُ فِي مَحَاسِنِ أَهْلِ الجَزِيرَة**" تَحْقِيق: إِحْسَان عَبَّاس، دَار الثَّقَافَة، بَيْرُوت، ١٩٩٧م [١-٨] .
١٣٧. الشَّوكانِيّ، مُحَمَّد بن عَلِيّ(ت:١٢٥٠هـ) "**البدرُ الطَّالِعُ بِمَحَاسِنِ مَنْ بَعْدَ القَرْنِ السَّابِع**" دَار الكِتَابِ الإِسْلامِي، القَاهِرَة، د.ت [١-٢] .
١٣٨. - "**نَيْلُ الأَوْطَارِ مِنْ أَحَادِيثِ سَيِّدِ الأَخْيَارِ؛ شَرْحُ مُنْتَقَى الأَخْبَار**" دَار الجيل، بَيْرُوت، ١٩٧٣م [١- ٩] .
١٣٩. الشِّيرَازِي، إِبْرَاهِيم بن عَلِيّ "**المُهَذَّب فِي فِقْهِ الإِمَامِ الشَّافِعِيّ**" دَار الفِكْر، بَيْرُوت، د.ت [١- ٢] .
١٤٠. الشهرزوري "**تَارِيخُ الحُكَمَاءِ**؛ نُزْهَةُ الأَرْوَاحِ وَرَوْضَةُ الأَفْرَاحِ" تَحْقِيق: عَبْد الكريم أَبُو شويرية، جمعية الدعوة الإِسْلامِيَّة العَالَمية، ط١، د.م، ١٩٧٨م .
١٤١. الشَّهْرَسْتَانِيّ، مُحَمَّد عَبد الكريم (٥٤٨هـ "**المِلَل وَالنِّحَل**" تَحْقِيق: مُحَمَّد سيد كيلاني، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٦١م .
١٤٢. ابن أَبي شيبة، عَبْد الله بن مُحَمَّد(ت:٢٣٥هـ)"**المُصَنَّف فِي الأَحَادِيثِ وَالآثَار**" تَحْقِيق:كمال يُوسُف الحوت، مَكْتَبَة الرشيد، ط١، الرِّيَاض، ١٩٨٨م [١- ٧] .
١٤٣. ابن صاحِب الصَّلاة، عَبْد المَلِك(ت:٥٩٤هـ) "**تَارِيخُ المَنِّ بِالإِمَامَةِ عَلَى** المُسْتَضْعَفِينَ بِأَنْ جَعَلَهُمُ الله أَئِمَّةً وَجَعَلَهُمُ الوَارِثِينَ" تَحْقِيق: عَبْد الهادي التازي، دَار الغَرْب، ط١، بَيْرُوت، ١٩٦٤م .
١٤٤. ابن صَاعِد، صاعد بن أَحْمَد(ت:٤٦٢هـ) "**طَبَقَات الأُمَم**" تَحْقِيق: حسين مؤنس، دَار المَعَارِف، القَاهِرَة، ١٩٩٣م .
١٤٥. الصَّفَدِيّ، خليل بن أيبك "**الوافي بالوَفَيَات**" تَحْقِيق:أَحْمَد الأرناؤوط، دَار إِحْيَاء التُّرَاثِ العَرَبِيّ، ط٢، بَيْرُوت، ٢٠٠٠م [-٢٩].
١٤٦. صلاح، خالص "**مُحَمَّد بنُ عَمَّارٍ الأَنْدَلُسِيّ**؛ دِرَاسَةٌ أَدَبِيَّةٌ تَأْرِيخِيَّةٌ" مَطْبَعَة الهدى، ط١، بَغْدَاد، ١٩٥٧م .
١٤٧. الضَبِّيّ، أَحْمَد ابن عميرة (ت:٥٩٩هـ) "**بُغْيَة المُلْتَمِس فِي تَارِيخِ رِجَالِ أَهْلِ الأَنْدَلُس**" دَار الكِتَابِ المِصْرِي ودَار الكِتَاب اللُّبْنَانِيّ، ط١، القَاهِرَة وبَيْرُوت،١٩٨٩م .
١٤٨. الضَّبي، المُفَضَّل بن مُحَمَّد بن يعلى "**المُفَضَّلِيَّات**" تَحْقِيق: أَحْمَد شاكر،وعَبْد السلام هارون، د.ن، بَيْرُوت، د.ت .
١٤٩. الطَبَرِيّ، مُحَمَّد بن جرير(ت:٣١٠هـ) "**جَامِعَ البيان عن تأويل آي القُرْآن**" دَار الفِكْر، بَيْرُوت، ١٩٨٤م [١- ٣٠] .
١٥٠. - "**تَارِيخُهُ**" دَار الكُتُب العِلْمِيَّة، بَيْرُوت ، د.ت [١- ٥].
١٥١. الطُرْطُوشِيّ، أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن الوليد(ت:٥٢٠هـ) "**الحَوَادِث وَالبِدَع**" تَحْقِيق: عبد المَجيد تُرْكي، دار الغَرْب الإِسْلامِي، ط١، بَيْرُوت، ١٩٩٠م .
١٥٢. – "**سِرَاج المُلُوك**" تَحْقِيق: مُحَمَّد فتحي أبو بكر، الدار المِصْرِيَّة اللُّبْنَانِيَّة، ط١، القَاهِرَة، ١٩٩٤م [١- ٢].
١٥٣. طُعَيمة، صابر "**التَارِيخُ اليَهُودِيُّ العَامّ**" دار الجيل، ط٢، بَيْرُوت ، ١٩٨٣م .
١٥٤. ظاظا، حسن "**الفِكْرُ الدِّينِيُّ اليَهُودِيُّ**؛ أَطْوَارُهُ وَمَذَاهِبُهُ" دَار القلم، ط٢، دِمَشْق، ١٩٨٧م .
١٥٥. ابن عامر، توفيق "**الحَضَارَةُ الإِسْلامِيَّةُ وَتِجَارَةُ الرَّقِيقِ خِلالَ القَرْنَيْنِ، لِلْهِجْرَةِ**" كلية العلوم الإنسانية بِجَامِعَة تُونُسْ، تُونُس، ١٩٩٦م .
١٥٦. العَبَّاسِيّ، عَبْد الرحيم(ت:٩٦٣هـ) "**مَعَاهِدُ التَّنْصِيص**" تَحْقِيق:مُحَمَّد محي الدين،عالَم الكُتُب، بَيْرُوت،١٩٤٧م [١- ٢] في مجلد.
١٥٧. عبد الحليم، رجب مُحَمَّد "**العَلاقات بين الأَنْدَلُس الإِسْلامِيَّةِ وَإِسْبَانِيَا النَّصْرَانِيَّةِ**؛ فِي عصرِ بَنِي أُمَيَّةَ ومُلُوكِ الطَّوائف" دَار الكُتُبِ الإِسلامية، القَاهِرَة، ١٩٨٥م .
١٥٨. ابن عَبْد رِبّه، أَحْمَد بن مُحَمَّد(ت:٣٢٨هـ) "**العِقْد الفَرِيد**" تَحْقِيق: مفيد مُحَمَّد قمحية، ط١، دَار الكُتُبِ العِلْمِيَّة، بَيْرُوت، ١٩٨٣م [١-٨] .
١٥٩. – "**شِعْر ابن عَبْد رَبِّه الأَنْدَلُسِيّ؛أحمد بن مُحَمَّد**"جمع وتحقيق:مُحَمَّد أديب جَمْرَان، مَكْتَبَةُ العبيكان، ط١، الرِّيَاض، ٢٠٠٠م.
١٦٠. عَبد الفَتَّاح، نَازِك إِبْرَاهِيم "**عَرُوضُ الشِّعْرِ العِبْرِيّ**؛ فِي العصرين الوسيط والحَدِيث" مكتبة الشباب، القَاهِرَة، د.ت .
١٦١. عَبْد الله، عَبْد العَزِيز "**الطِبّ وَالأَطِبَّاء فِي المَغْرِب**" المطبعة الاقتصادية، الرِّبَاط، ١٩٦٠م .
١٦٢. عَبْد الله، نافع "**الهِجَاءُ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ الأَنْدَلُسِيّ**" مَنْشُورات مَرْكِزِ الوَثَائِق، ط١، بيرزيت، ١٩٨٤م .
١٦٣. عَبْد المجيد، مُحَمَّد بحر "**اليَهُودُ فِي الأَنْدَلُس**" المَكْتَبَة الثقافية، مِصْرَ ، ١٩٧٠م .
١٦٤. ابنُ عَبْد المَلِكِ المَرَّاكُشِي، مُحَمَّد (ت: ٧٠٣هـ) "**الذَّيْل وَالتَّكْمِلَة**" تَحْقِيق:إِحْسَان عَبَّاس، دَارِ الثَّقَافَة، بَيْرُوت، ١٩٦٤م [١- ٦].
١٦٥. عَبْد الوَاحِدِ المَرَّاكُشِي (ت:٦٢١هـ) "**المُعْجِب فِي تَلْخِيصِ أَخْبَارِ المَغْرِبِ مِنَ ابتداء فتح الأَنْدَلُسِ إِلَى عَصْرِ المُوَحِّدِين**" تَحْقِيق: مُحَمَّد سعيد العريان، مَطْبَعَة الاستقامة، ط١، القَاهِرَة، ١٩٤٨م.

١٦٦. - "وَثَائِقُ المُرَابِطِينَ وَالمُوَحِّدِينَ" تَحْقِيق: حسين مؤنس، مَكْتَبَة الثَّقَافَة الدِّينِيَّة، ط١، بورسعيد،١٩٩٧م.
١٦٧. ابن عِذَاري المَرَّاكُشِي "البَيَانُ المُغْرِبُ فِي أَخْبَارِ الأَنْدَلُس وَالمَغْرِب" تَحْقِيق: إ.لِيفِي برُوفِنْسَال،دَار الثَّقَافَة،بَيْرُوت، د.ت،[١-٣] .
١٦٨. - "البَيَان المُغْرِب فِي أَخْبَارِ الأَنْدَلُسِ وَالمَغْرِب" - قسم المُوَحِّدِينَ- ،تَحْقِيق: مُحَمَّد إبْرَاهِيم الكِتَّانِي وآخرون، دار الغربِ وَدَار الثَّقَافَة، ط١، بَيْرُوت وَالمغْرِب، ١٩٨٥م .
١٦٩. ابن عبيد الله، أَبُو عمران مُوسَى الإِسْرَائِيلي القُرْطُبِيّ "شَرح أَسْمَاء العقار" تَحْقِيق: ماكس مايرهوف،مَكْتَبَة المُثَنَّى، بَغْدَاد، د.ت.
١٧٠. ابن العديم، عمر بن أَبِي جَرَادَة(ت:٦٦٠هـ) "بُغْيَة الطَّلَب فِي تَارِيخ حَلَب" تَحْقِيق:سهيل زكار، د.ن، دِمَشْق، ١٩٨٨م [١-١١].
١٧١. عُرَابي، رجَا "سِفْر التَّارِيخ اليَهُودِيّ" ط١، الأوائل، سورية ، ٢٠٠٤م .
١٧٢. العَسْقَلانِيّ، أحمَد ابن حجر(ت:٨٥٢هـ) "فَتح البَارِي؛ شَرْح صَحِيح البُخَارِي" تَحْقِيق: مُحَمَّد فؤاد عَبْد البَاقي ومحب الدين الخطيب، دَار المَعْرِفَة ، بَيْرُوت، ١٩٥٩م [١-١٣] .
١٧٣. العَسْكَري، أبو هلال "جَمْهَرَة الأَمْثَال" دَار الفِكْر، بَيْرُوت ، ١٩٨٧م [١-٢] .
١٧٤. العَقِيقِيّ، نَجيب "المُسْتَشْرِقونَ" دَار المَعَارِف، ط٣، مِصْرَ، ١٩٦٤م [١-٣] .
١٧٥. عكاوي، إنعام "المُعْجَمُ المُفَصَّلُ فِي عُلُومِ البَلاغَة" دَار الكُتُب العِلْمِيَّة، ط١، بَيْرُوت ، ١٩٩٢م .
١٧٦. العكش، إبْرَاهِيم عَلِيّ "التَّرْبِيَة وَالتَّعْلِيم فِي الأَنْدَلُس" دار عَمَّار ودار الفَيْحَاء، ط١، الأُرْدُنّ: عَمَّان، ١٩٨٦م .
١٧٧. عَلَيَّان زياد حماد "الخِطَاب اليَهُودِيّ بَيْنَ المَاضِي وَالحَاضِر" دار الشهاب، ط١، دِمَشْق، ٢٠٠٠م .
١٧٨. العِمَاد الأَصْفَهَانِي، مُحَمَّد بن حَامِد (ت:٥٩٧هـ) "خَرِيدَةُ القَصْرِ وَجَرِيدَةُ العَصْر" تَحْقِيق:عمر الدسوقي وعَلِيّ عبد العظيم، دَار نَهْضَة مِصْر للطِّبَاعَة والنَّشْر، مِصْر، ١٩٦٤م، القسمُ الرابع [١-٢] . العماد
١٧٩. العُمَرِيّ، ابن فَضْل الله(ت:٧٤٩هـ) "مَسَالِكُ الأَبْصَارِ فِي مَمَالِكِ الأَمْصَار" تَحْقِيق: أَحْمَد زكي باشا، دَار الكُتُب المِصْرِيَّة، القَاهِرَة، ١٩٢٤م [١-٢] .
١٨٠. عَنَانِي، مُحَمَّد زكرِيًّا "المُوَشَّحَات الأَنْدَلُسِيَّة" المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكُوَيْت، ١٩٨٠م .
١٨١. عيسى، فوزي سعد "الشِّعْرُ الأَنْدَلُسِيّ فِي عَصْرِ المُوَحِّدِينَ" الهَيْئَة المِصْرِيَّة العَامَّة لِلكِتَاب، ط١، الإِسْكَنْدَرِيَّة، ١٩٧٩م .
١٨٢. - "الهِجَاءُ فِي الأَدَبِ الأَنْدَلُسِيّ" دَار المَعَارِف ، مِصْرَ، د.ت .
١٨٣. عَيَّاض، القاضي(ت: ٥٤٤هـ) "تَرْتِيبُ المَدَارِك وَتَقْرِيبُ المَسَالِك" وزارة الأوقاف، تُونُس، د.ت [١-٤] .
١٨٤. غَازِي، سيد مُصْطَفَى "دِيوان المُوَشَّحَات الأَنْدَلُسِيَّة" مَنْشَأَة المَعَارِف، الإِسْكَنْدَرِيَّة، ١٩٧٩م [١-٢] .
١٨٥. الغَرْنَاطِيّ، الشَّرِيف مُحَمَّد بن أَحْمَد الحسني(ت:٧٦٠هـ) "رَفْع الحُجُبِ المَسْتُورَة فِي مَحَاسِنِ المَقْصُورَة" مَطْبَعَة السَّعَادَة، مِصْرَ، ١٩٢٥م [١-٢] .
١٨٦. غُومِث، إِمِيلُو غَرْسِيه "الشِّعْر الأَنْدَلُسِي؛ بَحْثٌ فِي تَطَوُّرِهِ وَخَصَائِصِه" تَرْجَمَة: حسين مؤنس،مَكْتَبَة النَهْضَة المِصْرِيَّة، القَاهِرَة، ١٩٥٦م .
١٨٧. - "شِعْرُ ابنِ الزَّقَّاق" المَعْهَد الإِسْبَانِي العَرَبِيّ للثَّقَافَة، مَدْرِيد، ١٩٧٨م .
١٨٨. - "مَعَ شُعَرَاءِ الأَنْدَلُسِ المُتَنَبِّي؛ سِيَرٌ ودِرَاسَات" دَار المَعَارِف، ط٤، القَاهِرَة، ١٩٨٥م .
١٨٩. ابن فارس، أَحْمَد (ت:٣٩٥هـ) "مُعْجَم مَقَايِيس اللُّغَة" تَحْقِيق: شهاب الدين أَبُو عمرو، دَار الفِكْر، ط١، بَيْرُوت، ١٩٩٤م.
١٩٠. الفاروقي، إسْمَاعِيل رَاجِي "المِلَلُ المُعَاصِرَةُ فِي الدِّينِ اليَهُودِيّ" مَعْهَد البُحُوثِ وَالدِّرَاسَاتِ العَرَبِيَّة، جَامِعَة الدُّوَلِ العَرَبِيَّة، ١٩٦٨م .
١٩١. فَتَّاح، عرفان عبد الحميد "اليَهُودِيَّة؛ عَرْض تَارِيخِيّ" دار عَمَّار، ط١، الأُرْدُنّ: عَمَّان، ١٩٩٧م .
١٩٢. أَبُو الفِدَاءِ (ت:٧٣٢هـ) "المُخْتَصَر فِي أَخْبَارِ البَشَر" تَحْقِيق: مُحَمَّد زينهم مُحَمَّد عزب، دَار المَعَارِف، ط١، القَاهِرَة، د.ت.
١٩٣. ابن فَرْحُون، إبْرَاهِيم بن عَلِيّ(ت:٧٩٩هـ) "الدِّيبَاج المُذْهَب فِي مَعْرِفَة أَعْيَانِ عُلَمَاءِ المَذْهَب" تَحْقِيق: مُحَمَّد الأَحْمَدي أَبُو النور، دَار التُّرَاث، القَاهِرَة، د.ت [١-٢] .
١٩٤. الفَرَّاء، مُحَمَّد بن الحسين(ت: ٤٥٨هـ) "الأَحْكَام السُّلْطَانِيَّة" مَطْبَعَة مُصْطَفَى البابي الحلبي، ط١، القَاهِرَة، ١٩٣٨م .
١٩٥. ابن الفرضي (ت:٤٠٣هـ) "تَارِيخ العُلَمَاءِ وَالرُّوَاة لِلعِلْمِ بِالأَنْدَلُس" تَحْقِيق: عزت العطار الحسيني، مَكْتَبَة الخَانجِي، ط٢، القَاهِرَة، ١٩٨٨م [١-٢].
١٩٦. ابن فُرْكُون، أَبُو الحسين "مُظْهِر النُّور" إعداد: مُحَمَّد بن شريفة، مَطْبَعَة النَّجَاح الجَدِيدَة، الدَّار البَيْضَاء، ١٩٩١م.
١٩٧. فيرْنيه(فِيرنِيت)، خوَان "العُلُومُ الفِيزْيَاوِيَّةُ وَالطَّبِيعِيَّةُ وَالتِّقَنِيَّةُ فِي الأَنْدَلُس" تَرْجَمَة: أَكْرَم ذِي النُّون، بَحْثٌ في: "الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُس" تَحْرِير:سَلْمَى الجَيُّوسِيّ،مركز دِرَاسَات الوِحْدَة العَرَبِيَّة،ط١، د.م،١٩٩٨م [١-٢].
١٩٨. - "فَضْلُ الأَنْدَلُس عَلَى ثَقَافَة الغَرْب" تَرْجَمَة: نهاد رضا، دَار إِشْبِيلِيَّة لِلدِّرَاسَاتِ وَالنَّشْر، ط١، دِمَشْق، ١٩٩٧م .
١٩٩. الفَيْرُوز آبَادِيّ، مُحَمَّد بن يعقوب "القَامُوس المُحِيط" مَطْبَعَة مُصْطَفَى البَابِي الحَلَبِيّ، القَاهِرَة، ١٩٥٢م [١-٢] .
٢٠٠. القالي، أَبُو عَلِيّ إِسْمَاعِيل بن القاسم(ت:٣٥٦هـ) "الأَمَالِي فِي لُغَة العَرَب" دَار الكُتُب العَرَبِيَّة،بَيْرُوت،١٩٧٨م [١-٣]في مجلدين.
٢٠١. ابن قُتَيْبَة الدِّيْنُورِيّ، عَبْد الله بن مسلم(ت:٢٧٦هـ) "عُيُونُ الأَخْبَار" المُؤَسَّسَة المِصْرِيَّة العَامَّة للتَّأْلِيفِ وَالتَّرْجَمَة، مِصْرَ، د.ت [١-٤] .
٢٠٢. – "أَدَب الكَاتِب" تَحْقِيق: مُحَمَّد مُحْي الدِّين عَبد الحَمِيد، مَكْتَبَة السَّعَادَة، ط٤، مِصْرَ، ١٩٦٣م .
٢٠٣. القُرَشِيّ ، أَبُو زيد مُحَمَّد "جَمْهَرَة أَشْعَار العَرَب" شرح: عَلِيّ فاعور، دَار الكُتُب العِلْمِيَّة، ط٢، بَيْرُوت، ١٩٩٢م .
٢٠٤. القُرْطُبِيّ، مُحَمَّد بن أَحْمَد (ت:٦٧١هـ) "الجَامِع لأَحْكَام القُرْآن" تَحْقِيق: أَحْمَد عَبْد العَلِيم البردوني، دَار الشعب، ط٢، القَاهِرَة، ١٩٥٢م [١-٢٠].
٢٠٥. ابن قُزْمَان، أَبُو بكر "دِيوَانُهُ؛ نَصًّا وَلُغَةً وَعَرُوضًا" تَحْقِيق: ف. كورينطي، المعهد الإسباني العَرَبِيّ للثقافة، مَدْرِيد، ١٩٨٠م.
٢٠٦. القَزْوِينِيّ، الخَطِيب(ت:٧٣٩هـ) "الإِيضَاح فِي عُلُومِ البَلاغَة" تَعْلِيق : مُحَمَّد عَبْد المنعم خفاجي، دَار الكِتَاب اللُّبْنَانِيّ، ط٤، بَيْرُوت، ١٩٧٥م .
٢٠٧. قُرَيْحَة، رِيَاض "الفُكَاهَةُ فِي الأَدَبِ الأَنْدَلُسِيّ" المَكْتَبَة العَصْرِيَّة، ط١، بَيْرُوت، ١٩٩٨م .
٢٠٨. ابن القَطَّان "نَظْم الجُمَان" تَحْقِيق: مَحْمُود عَلِيّ مَكِّي، كلية الآداب بجامعة مُحَمَّد الخامس، الرِّبَاط، د.ت .
٢٠٩. ابن دَرَّاج القَسطَلِّيّ(ت:٤٢١هـ) "دِيوَانُهُ" تَحْقِيق: مَحْمُود عَلِيّ مَكِّي، المكتب الإِسْلامِي، ط١، دِمَشْق،١٩٦١م .
٢١٠. القُسْطَنْطِينِيّ، مُصْطَفَى بن عَبْدالله(ت:١٠٦٧هـ) "كَشْف الظُّنُون عَنْ أَسَامِي الكُتُبِ وَالفُنُون" دَار الكُتُب العِلْمِيَّة، بَيْرُوت، ١٩٩٢م [١-٦] .

٢١١. القُضاعِيّ، مُحَمَّد بن سلامة(ت:٤٥٤هـ) "**الإنْبَاء بِأَنْبَاءِ الأَنْبِيَاءِ وَتَوَارِيخِ الخُلَفَاءِ وَوِلايَاتِ الأمراءِ**" المَكْتَبَة العَصْرِيَّة، ط١، بَيْرُوت، ١٩٩٨م .
٢١٢. القِفْطِيّ، عَلِيّ بن الأشرف يُوسُف(ت:٦٤٦) "**إِخْبَار العُلَمَاءِ بِأَخْبَارِ الحُكَمَاءِ**" مَطْبَعَة السَّعَادَة، ط١، مِصْرَ، ١٩٠٨م .
٢١٣. القَلْقَشَنْدِيْ، أَحْمَد بن عَلِيّ الفزاري(ت:٨٢١هـ)"**صُبح الأَعْشَى فِي صِنَاعَةِ الإِنْشَا**" تَحْقِيق: عَبْد القادر زكار، وزارة الثَّقافَة، دِمَشْق، ١٩٨١م [١- ١٤] .
٢١٤. قوجمان، ي. "**قاموسُهُ**" د.ن، د.م ، ١٩٧٠م .
٢١٥. ابن القوطية (ت:٣٦٧هـ)"**تَارِيخُ افْتِتَاح الأَنْدَلُسِ**"تَحْقِيق:إبْرَاهِيم الأبياري،دَار الكِتَابِ المِصْري وَاللُّبْنَانِيّ، ط٢، مِصْر وَبَيْرُوت، ١٩٨٩م .
٢١٦. القيرواني، الرقيق"**تَارِيخُ إِفْرِيقِيَةَ وَالمَغْرِبِ**" تَحْقِيق:مُحَمَّد زينهم عزب، دَار الفرجاني لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، ط١، القَاهِرَة، ١٩٩٤م .
٢١٧. القَيْسِي، عَبْد الكريم الأَنْدَلُسِيّ (ت:٣٠٩هـ) "**دِيوَانُهُ**" تَحْقِيق: جمعة شيخة، قرطاج بيت الحكمة، تُونُس، ١٩٨٨م .
٢١٨. كارنييف، د. ل "**اليهود واليهوديّةُ فِي نَظَرِ شُعُوبِ العَالَمِ**"تَرْجَمَة:مُحَمَّد عَلِيّ حوات، دَار الآفاق العَرَبِيّة، ط١، مِصْرَ،١٠٠١٢م .
٢١٩. الكُتُبِيّ، مُحَمَّد بن شاكر(ت:٧٦٤هـ) "**فَوَات الوَفَيَات**" تَحْقِيق: عَلَى مُحَمَّد يعوض الله وعادل عبد الموجود، دَار الكُتُبِ العِلْمِيَّة، ط١، بَيْرُوت، ٢٠٠٠م [١- ٢] .
٢٢٠. ابن كثير، إِسْمَاعِيل بن عمر(ت:٧٧٤هـ)"**البداية والنِّهَايَة**" مَكْتَبَة المَعَارِفِ، ط٢، بَيْرُوت، ١٩٧٧م [١-١٤] فِي ٧ مجلدات .
٢٢١. - "**تَفْسِيرُ القُرْآنِ العظيم** " دَار الفِكْرِ، بَيْرُوت، ١٩٨٠م [١- ٤] .
٢٢٢. كحَّالَة، عمر رضا "**مُعْجَم المُؤَلِّفِينَ؛** تَرَاجِم مُصَنِّفِي الكُتُبِ العَرَبِيَّة" دَار إِحْيَاء التُّرَاثِ العَرَبِيّ، بَيْرُوت، د.ت [١- ١٥] .
٢٢٣. كمَال، رِبْحِي "**دُرُوسُ اللُّغَة العِبْرِيَّةِ**" دَار العِلْمِ لِلمَلايين، بَيْرُوت، ١٩٦٣م .
٢٢٤. كُولان، ج. س. "**الأَنْدَلُسُ**" تَرْجَمَة : إِبْرَاهِيم خورشيد ، دَار الكِتَابِ اللُّبْنَانِيّ، ط١، بَيْرُوت، ١٩٨٠م .
٢٢٥. كُونْستبِل، أولِيفْيا ريمِي "**التُّجّارُ المُسْلِمُونَ فِي تِجَارَةِ الأَنْدَلُسِ الدَّوْلِيَّة**" تَرْجَمَة: عَبْد الوَاحِدِ لُؤْلُؤَة، بَحْثٌ فِي:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُس" تَحْرِير: سَلْمَى الجَيُّوسِيّ،مركز دِرَاسَاتِ الوَحْدَةِ العَرَبِيّة، ط١، د.م، ١٩٩٨م [١-٢] .
٢٢٦. - "**التِّجَارَة وَالتُّجَّار فِي الأَنْدَلُسِ**" تَرْجَمَة: فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، ط١، الرِّيَاض، ٢٠٠٢م .
٢٢٧. لوبون، جوستاف "**حضارة العَرَبِ**" تَحْقِيق: عادل زعيتر، دَار إحياء الكُتُبِ العَرَبِيّة، ط٣، القَاهِرَة، ١٩٥٦م .
٢٢٨. المالقي، مُحَمَّد ابن خَمِيس(ت:٦٣٩هـ) "**أُدَبَاء مَالَقَةَ**" تَحْقِيق: صلاح جرار، دَار البشير، عَمَّان، ١٩٩٩م .
٢٢٩. المُبَارَكْفُورِي،مُحَمَّد عَبْد الرَّحْمَنِ(ت:١٣٥٣هـ)"**تُحْفَة الأَحْوَذِيّ بشرح جَامِعَ الترمذي**"دَار الكُتُبِ العِلْمِيَّة،بَيْرُوت،د.ت[١-١٠] .
٢٣٠. متز، آدم "**الحَضَارَة الإِسْلامِيَّة فِي القرن الرابع**" تَرْجَمَة: مُحَمَّد عَبْد الهادي أبُو ريدة، دَار الكِتَابِ اللُّبْنَانِيّ، ط٤، بَيْرُوت، ١٩٦٧م [١- ٢] .
٢٣١. المُتَنَبِّي "**شَرْح دِيوَانه**" شرح : عَبْد الرَّحْمَنِ البرقوقي، دَار الكِتَابِ العَرَبِيّ، بَيْرُوت، ١٩٨٠م [١- ٤] .
٢٣٢. مَجْمُوعَة بَاحِثِين "**تُحْفَة الأَحْبَاب فِي مَاهِيَّةِ النَّبَاتِ وَالأَعْشَاب؛** كَشْفُ رُمُوزِ المَادَّةِ الطِّبِّيَّةِ بِالأَلْفَاظِ المَغْرِبِيَّةِ مَعَ تَرْجَمَة بِالفَرَنْسَاوِيَّةِ وَحَلِّ مُشْكِلاتِهِ" مَكْتَبَة بول قطنير، باريس، ١٩٣٤م .
٢٣٣. مَجْهول "**أَخْبَارٌ مَجْمُوعَةٌ فِي فَتْحِ الأَنْدَلُس**" ت:إِبْرَاهِيم الأبياري،دَار الكِتَابِ المِصْري وَاللُّبْنَانِيّ، ط٢،القَاهِرَة وبَيْرُوت، ١٩٨٩م.
٢٣٤. مَجْهُول مِنْ أَهْلِ القَرْنِ الثَّامِنِ الهِجْرِيّ "**الحُلَلُ المُوَشّيَة فِي ذِكْرِ الأَخْبَارِ المَرَّكُشِيَّةِ**" تَحْقِيق: سهيل زكار وَعَبْد القَادِر زَمامَة، دَار الرَّشَادِ الحَدِيثَة، ط١، الدَّار البَيْضَاء، ١٩٧٩م .
٢٣٥. مَجْهُول "**لُبَاب الأَلْبَابِ مِنْ نَظْمِ الشُّعَرَاءِ ونَثْرِ الكِتَّاب**" تحقيق: حَسَن فليفل ، تحت الطبع .
٢٣٦. مَجْهُول مَغْرِبيّ فِي القَرْنِ الحادي عشر الهجري "**مِنْهَاج الصَّوَابِ فِي قُبْحِ اسْتِكْتَاب أَهْلِ الكِتَاب**" تَحْقِيق: داود عَلِيّ الفاضل، دار الغَرْبِ الإِسْلامِيّ، ط١، بَيْرُوت، ١٩٨٢م .
٢٣٧. مَجْهُول "**ملحَمَةُ السِّيد؛**أَوَّل مَلْحَمَةٍ أَنْدَلُسِيَّة كُتِبَتْ بِاللُّغَةِ القَشْتَالِيَّةِ" تَرْجَمَة:الطَّاهِر أَحْمَد مَكِّيّ،دَار المَعَارِفِ، ط١ ،مِصْرَ، ١٩٧٠م.
٢٣٨. ابن مخلوف، مُحَمَّد "**شجرة النور الزكية فِي طبقات المالكية**" دَار الكِتَابِ العَرَبِيّ، بَيْرُوت، ١٩٣٠م .
٢٣٩. ابن المُرَحَّلِ " **الجَوَّالات مِنْ شعره**" تَحْقِيق: مُحَمَّد مسعود جبران، دَار المدَار الإِسْلامِي، ط١، ليبيا، ٢٠٠٤م .
٢٤٠. المَرْعَشْلِي، أحمد وآخرون "**المَوْسُوعَة الفِلَسْطِينِيَّة**"- القسمُ العام- ط١، هَيْئَة المَوْسُوعَة الفِلَسْطِينِيَّة،دِمَشق، ١٩٨٤م [١- ٤] .
٢٤١. المَسِّيرِيّ، عَبْد الوَهَّاب "**الصَّهْيُونِيَّة الحَاضِرُ وَالمُسْتَقْبَلُ**" مَكْتَبَة مَدْبُولي الصَّغِير، مِصْرَ، د.ت [١- ٣] .
٢٤٢. - "**مَوْسُوعَة اليَهُود واليَهُودِيَّة والصَّهْيُونِيَّة**" دَار الشُّرُوق، ط١، القَاهِرَة، ١٩٩٩م .
٢٤٣. ابن المُعْتَزِّ، عَبْد الله بن الخَلِيفَةِ المُعْتَزِّ(ت:٢٩٦هـ)"**دِيوَانُهُ**"تعْلِيق وشرح:ميشيل نعمَّان،الشَرِكةُ اللُّبْنَانِيّة لِلكُتُبِ،بَيْرُوت،١٩٦٩م.
٢٤٤. مُصْطَفَى، شَاكِر "**مَوْسُوعَة العَالَمِ الإِسْلامِيِّ وَرِجَالِهَا**" دَار العِلْمِ لِلمَلايينِ، ط١، بَيْرُوت ، ١٩٩٣م [١- ٤] .
٢٤٥. المَعَرِّيّ، أَبُو العلاء "**شُرُوح ديوان سَقْطِ الزَّنْدِ**" الدَّار القومية لِلطِّبَاعَةِ والنَّشْرِ، القَاهِرَة، د.ت [١- ٥] .
٢٤٦. ابن المُعِزِّ لِدِينِ الله، تميم الفَاطِمِيّ "**دِيوَانُهُ**" تَحْقِيق: مُحَمَّد حسن الأعظمي، دَار الثَّقَافَة ، بَيْرُوت، د.ت .
٢٤٧. المَقْدِسِيّ، مُحَمَّد بن أَحْمَد(ت:٣٩٠هـ) "**أَحْسَن التَّقَاسِيمِ فِي مَعْرِفَةِ الأَقَالِيم**" تَحْقِيق: غازي طليمات، وزارة الثَّقَافَة والإرشاد القومي، د. م ، ١٩٨٠م.
٢٤٨. المَقْرِيزِيّ، تقي الدين(ت: ٨٤٥هـ) "**اتعَاظ الحُنَفَا بِأَخْبَارِ الأَئِمَّةِ الفَاطِمِيّينَ الخُلَفَا**" تَحْقِيق: مُحَمَّد عَبْد القادر أَحْمَد عطا، دَار الكُتُبِ العِلْمِيَّة، ط١، بَيْرُوت، ٢٠٠١م [١- ٢] .
٢٤٩. - "**السُّلُوك لمعرفة دول الملوك**" تَحْقِيق: مُحَمَّد عَبْد القادر عطا، دَار الكُتُبِ العِلْمِيَّة، ط١، بَيْرُوت، ١٩٩٧م [١- ٨] .
٢٥٠. - "**المَوَاعِظ وَالاعْتِبَار فِي ذكر الخطط والآثار**"مُؤَسَّسَة الفرقان للتراث الإِسْلامِي، لندن،٢٠٠٢م [١- ٤] .
٢٥١. المَقَّرِيّ، أَحْمَد بن مُحَمَّد(ت:١٠٤١هـ) "**أَزْهَارُ الرِّيَاضِ فِي أَخْبَارِ القَاضِي عَيَّاض**" تَحْقِيق:سعيد أحمد أعْرَاب وَعبد السَّلام الهرَّاس، اللجنة المُشْتَرَكَة لِنَشْرِ التُّرَاثِ، الرِّبَاط، ١٩٧٨م [١-٥] .
٢٥٢. - "**نَفْحُ الطِّيبِ فِي غُصْنِ الأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ**" تَحْقِيق: مريم ويُوسُف طَويل، دَار الكُتُبِ العِلْمِيَّة، ط١، بَيْرُوت، ١٩٩٥م[١-١٠] .
٢٥٣. مَكِّيّ، الطَّاهر أَحْمَد "**دِرَاسَاتٌ أَنْدَلُسِيَّةٌ؛ فِي الأَدَب وَالتَّارِيخ وَالفَلْسَفَةِ**" دَار المَعَارِفِ، ط٣، القَاهِرَة، ١٩٨٧م .
٢٥٤. ابن المُلَوَّح، قَيْس "**دِيوَان مَجْنُون لَيْلَى**" تَحْقِيق: عَبْد الستار أَحْمَد فراج، مَكْتَبَة مِصْر، القَاهِرَة، د.ت .

٢٥٥. المِنَّاوِيّ، مُحَمَّد عَبْد الرؤوف(ت:١٠٣١هـ) "**التَّعَاريف**" تَحْقِيق:مُحَمَّد رضوان الداية، دَار الفِكْرِ المُعَاصِرِ، ط١، بَيْرُوت ودِمَشْق، ١٩٨٩م .
٢٥٦. ابن مَنْظُور، جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم (ت:٧١١هـ) "**لِسَان العَرَب**" دَار صادر، ط١، بَيْرُوت، د.ت [١- ١٥] .
٢٥٧. المِنَّاوِيّ، مُحَمَّد عَبْد الرؤوف "**التَّعَاريف عَلَى مهمات التعاريف**" تَحْقِيق: مُحَمَّد رضوان الداية، دَار الفِكْرِ المُعَاصِرِ، ط١، بَيْرُوت، ١٩٨٩م .
٢٥٨. منشاوي، محروس "**أَبو نُوَّاس الأَنْدَلُس؛ ابن سَهْل الإسرائيلي**" دَار الفِكْرِ العَرَبِيِّ، ط١، القَاهِرَة، ١٩٨٦م .
٢٥٩. مُونْرُو، جيمس ت. "**الزَّجَلُ وَالمَوَشَّحُ: الشِّعْر الأَنْدَلُسِيّ وَالتُّرَاثُ الرُّومَانسِيّ**" تَرْجَمَة: عَبْد الوَاحِدِ لُؤْلُؤَة، بَحْثٌ في:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإسلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ"تَحْرِير:سَلْمَى الجَيُّوسِيّ،مركز دِرَاسَاتِ الوِحْدَةِ العَرَبِيَّة، ط١، د.م ،١٩٩٨م [١-٢].
٢٦٠. المَيْداني، أَحْمَد بن مُحَمَّد النيسابُوري(ت: ٥١٨هـ) "**مَجْمَع الأَمْثَال**" دَار مَكْتَبَة الحَيَاة، بَيْرُوت، ١٩٦٢ [١- ٢] .
٢٦١. ميكيل، أندريه "**الإِسْلامُ وَحَضَارَتُهُ**" تَرْجَمَة: زينب عَبْد العَزِيز، المَكْتَبَة العَصْرِيَّة، بَيْرُوت، د.ت.
٢٦٢. ابن مَيْمُون، مُوسَى (ت:٦٠٣هـ) "**دلالة الحَائِرِينَ**" تَرْجَمَة: حسين أتاي، مكتبة الثقافة الدينية، د.م ، د.ت [١-٣] .
٢٦٣. الناصِرِيّ، أَحْمَد بن خالد (ت:١٣١٥هـ)"**الاستِقْصا لأَخْبَارِ دُوَلِ المَغْرِبِ الأَقْصَى**" تَحْقِيق: جَعْفَر الناصري وَمُحَمَّد الناصري، دَار الكِتَابِ، الدَّار البَيْضَاء، ١٩٩٧م [١ـ ٩] .
٢٦٤. النَّدِيم، مُحَمَّد بن إِسْحَاق (ت:٣٨٥هـ) "**الفِهْرِسْت**" دَار المَعْرِفَة، بَيْرُوت، ١٩٨٧م .
٢٦٥. ابن أَبِي النصر، أبو المُنَى كوهين العطار "**مِنْهَاج الدُّكَّان وَدُسْتُور الأَعْيَان**" تحقيق: مُحَمَّد رضوان مهنا، مَكْتَبَة جَزِيرَةِ الوَرْدِ، ط١، المَنْصُورَة، ٢٠٠٤م .
٢٦٦. النَّبَاهِيّ، أَبُو الحَسَن "**تَارِيخ قُضَاة الأَنْدَلُس**؛ المَرْقَبَةُ العَلْيَا فِيمَنْ يَسْتَحِقُّ القَضَاءَ وَالفُتْيَا" تَحْقِيق: إ.لِيفِي بِرُوفِنْسَال، دَار الكَاتِب المِصْرِي، ط١، القَاهِرَة، ١٩٤٨م .
٢٦٧. النُّوَيْرِيّ، شِهَابِ الدِّينِ أَحْمَد بن عَبْد الوهاب(ت:٧٣٣هـ) "**نِهَايَة الأَرَب فِي فُنُونِ الأَدَب**" مَطْبَعَة دَار الكُتُبِ المِصْرِيَّة، القَاهِرَة، ١٩٣٨ [١-٣١] .
٢٦٨. النَّيْسَابُورِيّ، مُحَمَّد بن عَبْد الله(ت:٤٠٥هـ) "**المُسْتَدْرَك عَلَى الصَّحِيحَيْنِ**" تَحْقِيق: مُصْطَفَى عَبْد القادر عطا، دَار الكُتُبِ العِلْمِيَّة، ط١، بَيْرُوت، ١٩٩٠م [١- ٤] .
٢٦٩. النيسابُوري، مُسْلِم أَبُو الحسين القشيري(ت:٢٦١هـ) "**صحيحُه**" تَحْقِيق: دَار إِحْيَاء التُّرَاثِ العَرَبِيّ، بَيْرُوت، د.ت [١- ٥] .
٢٧٠. أَبُو نُوَّاس "**دِيوَانُهُ**" المَكْتَبَة الأهلية، ط٣، بَيْرُوت، د.ت .
٢٧١. ابن هَانِئ الأَنْدَلُسِيّ "**دِيوَانُهُ**" دَار صادر، بَيْرُوت، د.ت .
٢٧٢. الهَرَّامَة، عبد الحميد عبد الله "**القَصِيدَةُ الأَنْدَلُسِيَّة خلال القرن الثامن الهجري**؛ الظواهر والقضايا والأبنية" دار الكاتب، ط٢، طَرَابُلُس، ١٩٩٩م [١-٢] .
٢٧٣. هِنْدَاوِيّ، إِبْرَاهِيم موسى "**الأَثَر العَرَبِيّ فِي الفِكْرِ اليَهُودِيّ**" مَكْتَبَة الأنجلو مصْرية، القَاهِرَة، ١٩٦٣م .
٢٧٤. هُونكَة، زيغريد "**شَمْسُ العَرَب تَسْطَعُ عَلَى الغَرْب**؛ أَثَرُ الحَضَارَةِ العَرَبِيَّةِ فِي أُورُوبة" تَرْجَمَة: فَارُوق بيضُون، وكمال دسوقي، دار الآفَاقِ الجَدِيدَة، ط٨ ،بَيْرُوت، ١٩٩٨م.
٢٧٥. هيلِنْبرَاند، روبَرْت "**زِينَةُ الدُّنْيَا:قُرْطُبَة القَرُوسْطِيَّة**" تَرْجَمَة: عَبْد الوَاحِدِ لُؤْلُؤَة، بَحْثٌ في:"الحَضَارَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُس" تَحْرِير: سَلْمَى الجَيُّوسِيّ، مركز دِرَاسَاتِ الوِحْدَةِ العَرَبِيّة، ط١، د.م ، ١٩٩٨م [١-٢] .
٢٧٦. وات، مونتغمري "**أَثَر الحَضَارَةِ العَرَبِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ عَلَى أَوْرُوبَّا**" تَرْجَمَة: جابر أَبِي جابر، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دِمَشْق،١٩٨١م .
٢٧٧. - "**فِي تارِيخ إِسْبَانيَا الإِسْلامِيَّة**" تَرْجَمَة: مُحَمَّد رضا المِصْرِي، شَرِكَةُ المَطْبُوعَاتِ، ط١، بَيْرُوت،١٩٩٤م.
٢٧٨. ابن الوَرْدِ، عُرْوَةَ وَالسَّمَوْأَل "**ديوانَاهما**" بَيْرُوت دَار صادر ، ١٩٦٤م .
٢٧٩. الوَزَّان، الحَسَن بن مُحَمَّد معروف بِجان ليون (ت:٩٥٧هـ) "**وَصْفُ إِفْرِيقيا**" تَرْجَمَة: عَبْد الرَّحْمَنِ حَمِيدَة، جَامِعَة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإِسْلامِيَّة، السَّعُودِيَّة، ١٩٧٨م.
٢٨٠. وِلْفِنسُون، إِسْرَائِيل "**مُوسَى بن مَيْمُون؛ حَيَاتُهُ وَمُصَنَّفَاتُهُ**" لَجْنَة التَّأْلِيفِ وَالتَرْجَمَة وَالنَّشْرِ، ط١، مِصْرَ، ١٩٣٦م .
٢٨١. الوَنْشَرِيسي(ت: ٩١٤هـ) "**المِعْيَار المُعْرِب**" دَار الغَرْب الإِسْلامِيّ، بَيْرُوت، ١٩٨١م [١-١٣] .
٢٨٢. يَعْقُوب، إميل بديع "**المُعْجَم المُفَصَّل فِي عِلْمِ العَرُوض**" دَار الكُتُبِ العِلْمِيَّة، ط١، بَيْرُوت، ١٩٩١م .
٢٨٣. أَبُو يُوسُف، يعقوب بن إِبْرَاهِيم "**الخَرَاج**" المَطْبَعَة السلفية، ط٢، القَاهِرَة، ١٩٣٣م .

● الرَّسَائِل الجَامِعِيَّة :

٢٨٤. أَبُو إِصبع، نجمة خليل "**الحَيَاة الفِكْرِيَّةُ فِي عَصْرِ الخلافة الأُمَوِيَّة فِي الأَنْدَلُس**" رِسالَةُ مَاجِستِيرِ، جَامِعَة عدن، اليمن، ١٩٩٩م .
٢٨٥. البدوي، آمنة "**شِعْر النَّازِحِينَ مِنَ الأَنْدَلُسِ إِلَى مِصْرَ وَالشام فِي القَرْنِ السَّابِعِ الهِجْرِيّ بَيْنَ التَّأَثُرِ وَالتَّأْثِيرِ**" رِسالَةُ دُكْتُورَاة، الجَامِعَة الأُرْدُنِيَّة، الأُرْدُنّ:عَمَّان، ١٩٩٦م .
٢٨٦. الحبازي، مشهور عَبْد الرَّحْمَنِ "**دِيوَانُ أَبِي الحَسَنِ بْنِ الجَيَّاب**؛ دراسة وتحقيق" رِسالَةُ مَاجِستِير، الجَامِعَة الأُرْدُنِيَّة، الأُرْدُنّ: عَمَّان، ١٩٨٣م.
٢٨٧. حجازي، فايزة "**أهل الذِّمَّة فِي بلاد الشام فِي العصر العباسي**" رِسالَةُ مَاجِستِير، جَامِعَة اليرموك، الأُرْدُنّ: إربد ،١٩٩٢م.
٢٨٨. الحَطَّاب، سَلْمان "**الشِّعْر السياسي فِي الأَنْدَلُسِ فِي عهد الطَّوَائِف**" رِسالَةُ دُكْتُورَاة، جَامِعَة حلب، سوريا، ١٩٨٨م
٢٨٩. حميدي، خميسي " **الحَرَكَةُ الأَدَبِيَّةُ فِي إِشْبِيلِيَةَ لِزَمَنِ بَنِي عَبَّاد ٤١٤-٤٨٤هـ**"رِسالَةُ مَاجِستِير،جَامِعَة دِمَشْق، دِمَشْق، ١٩٨٤م.
٢٩٠. أبو الرُّب، هَنَاءُ "**النَّقْد السِّيَاسِيّ وَالاجْتِمَاعِيّ عِنْدَ شُعَرَاءِ الذَّخِيرَة**" رِسالَةُ مَاجِستِير،جَامِعَة اليَرْمُوك، الأُرْدُنّ: إربد، ١٩٩٩م .
٢٩١. سَمُّور، قُتَيْبَة عَلِيّ"**العلاقات الحَرْبِيَّة بينَ المُوَحِّدِينَ وَالمَمَالِكِ الإِسْبَانِيَّة فِي شَمَالِ الأَنْدَلُس، مِنْ ٥٤٠- ٦٢٠هـ**" رِسالَةُ مَاجِستِير، الجَامِعَة الأُرْدُنِيَّة، الأُرْدُنّ:عَمَّان، ١٩٩٦م .
٢٩٢. كواتي، مسعود"**اليَهُود فِي المَغْرِب الإِسْلامِي**؛مِنَ الفَتْحِ إِلَى سُقُوطِ دَوْلَةِ المُوَحِّدِينَ" رِسالَةُ مَاجِستِير، جَامِعَة الجَزَائِرِ، الجَزَائِر، ١٩٩١م
٢٩٣. مَظْهَر، عَبْد المطلب "**أَهْلُ الذِّمَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ خِلالَ الحُكْمِ الأمَوِيّ**" رِسالَةُ مَاجِستِير،جَامِعَة اليَرْمُوك، الأُرْدُنّ: إربد، ١٩٩٩م.

• الدَّوْرِيَّات :

٢٩٤. أَحْمَد، حِلمي حمدان "**بِصَدَدِ رِسَالَةِ المَغِيلِيِّ فِي اليهود المَنْشُورَةِ تَحْتَ عُنْوَانِ مِصْبَاحِ الأَرْوَاحِ فِي أُصُولِ الفَلاحِ**"، مَجَلّة كُلِّيَّةِ الآدَاب بِجَامِعَةِ سيدي مُحَمَّد بن عَبْد الله، فاس،ع ٦، ١٩٨٣م، ص ١٠٢ ـ ١٠٦ .

٢٩٥. الرَّاعِي(ت:٨٥٣هـ)"**المُمْتِع السَّهْل فِي تَرْجَمَة وَشِعْرِ ابنِ سَهْل**"، حَوْلِيَّات الجَامِعَة التُونُسِيَّة،ع٢٩، ١٩٨٠م،ص٤١- ٥٣ .

٢٩٦. السَّامِرَّائِيّ، إِبْرَاهِيم وَبِشر أَحْمَد "**شِعْر عُرْوَة بن حِزَام**"، مَجَلّة كُلِّيَّةِ الآدَاب بِجَامِعَةِ بَغْدَاد،١٩٦١م، ع٤، ص١٢.

٢٩٧. سمعان، خليل"**يَهُودُ البِلادِ الإسْلامِية للدكتور برنرد لويس**"مَجَلّة مَجْمَع اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، م٦٢،ج١ ،دِمَشْق١٩٨٧م،ص١٤٨- ١٥٨.

٢٩٨. شَحْلان، أَحمد "**مِنَ الأَدَبِ العَرَبِيّ- العِبْرِيّ؛ أَبُو هَارُونَ مُوسى بن يَعْقُوب بن عِزرَة وكِتَابِهِ: المُحَاضَرَة وَالمُذَاكَرَة**"، مَجَلّة كُلِّيَّةِ الآدَاب وَالعُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ بِالرِّبَاط، ع١٠، ١٩٨٤م ، ٦٥- ٧٥ .

٢٩٩. - "**مُوسَى بنُ مَيْمُونَ وَكِتَابه دَلالة الحَائِرِينَ**"، مَجَلّة كُلِّيَّةِ الآدَاب وَالعُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ بِالرِّبَاط، ع٥ و٦، ١٩٧٩م، ص١- ٢٣ .

٣٠٠. ابن شَرِيفَة، مُحَمَّد "**حَوْلَ التَّسَامُح الدِّينِيِّ وابنِ مَيْمُونَ وَالمُوَحِّدِينَ**" مَجَلّة دِرَاسَات أَنْدَلُسِيَّة، تُونُس،ع١٤، ١٩٩٥م، ص١١- ٢٨

٣٠١. شَهْبَر، عَبْد العَزِيزِ "**التَّعَايُشُ بينَ الأَدْيانِ فِي الأَنْدَلُس مِنْ خلالِ نُصُوصٍ شِعْرِيَّةٍ أَنْدَلُسِيَّةٍ**" مَجَلّة دِرَاسَات أَنْدَلُسِيَّة، تُونُس،ع ١٤، ١٩٩٥م، ص ٢٩ ـ ٤٦

٣٠٢. العَبَّادِيّ، أَحْمَد مختار "**تَارِيخُ الأَنْدَلُسِ لابنِ الكَرْدَبُوسِ وَوَصفُهُ لابنِ الشَّبَاط؛** نَصَّانِ جَدِيدانِ" صحيفة معهد الدِّرَاسَاتِ الإِسْلامِيَّة فِي مَدْرِيد: م١٣، ١٩٦٦، ص٣٩-٨٩ .

٣٠٣. عَبْد العَزِيزِ، هشام فوزي "**يهود الأَنْدَلُس فِي ظل الحكم الإسْلامي**" مَجَلّة دِرَاسَات أَنْدَلُسِيَّة،تُونُس،ع١٥، ١٩٩٦م، ص٩٥-١٠٤.

٣٠٤. عَلِيّ، جَوَاد "**مَا عَرَفَهُ ابنُ النَّدِيمِ عَنْ اليهودِيَّة وَالنَّصْرَانِيَّة؛** القِسْم الثَّانِي" مَجَلّة المَجْمَع العِلْمِيّ العِرَاقِيّ، م ١٠، ١٩٦٣م، ص١٥٦ ـ ١٨٣.

٣٠٥. الغَدِيرِيّ، مُصْطَفَى "**المُوَشَّحات الأَنْدَلُسية بَيْنَ الإِبداع وَالإتباع**" مَجَلّة دِرَاسَات أَنْدَلُسِيَّة،ع ١٣، ١٩٩٥م، ص ٣٧-٥٤ .

٣٠٦. مُصْطَفَى، عدنان "**نَظَرِيَّةُ رِيبيرا حَوْلَ عُرُوبَةِ الأَنْدَلُسِ**"، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجْتِمَاعِيَّة بِجَامِعَةِ قطر،ع ١٢ ، ١٩٨٩م، ص٢٥.

٣٠٧. مَجْهُول "**الرَّحَّالة الأَنْدَلُسِيّ الطُّرْطُوشِيّ**"، مَجَلّة كُلِّيَّةِ الآدَاب بِجَامِعَةِ بَغْدَاد ، ع٢٠ ، ١٩٧٦م ، ص١٧١- ١٨٤ .

• المَرَاجع الأجنبِيَّة :

308. Dozy, Reinhart "**Spanish Islam**" london: chatto windus , 1913 .
309. Franklin, Louis "**The Jews ;their history**" , ed 4, Schocken Books, New York, 1970.
310. Margolis, Maxi & Marx, Alexander. "**A History of the Jewish people**", ed 5, The Jewish Society of America, America, 1962.
311. Roth, Cecill & Others."**The New Standard Jewish Encyclopedia**", ed 4, massada Publishing Company Ltd., Jerusalem, 1970.
312. Watt, W. Montcomery "**A History of Islamic Spain**", ed 5, Edinburgh University Press, Edinburgh, 1996 .

• مواقع عَلَى شَبَكَةِ الانترنت :

313. http:www.**aleman**.comIslamlibviewchp.asp?BID=&CID= موقع **الإيمان** :
314. http:www.arabic. **islamicweb**. Com الذَّهَبِيّ،أَبُو عَبْد الله "**الرد عَلَى النَّصَارَى فِي ادعاء نبوة المَسِيح وَألوهيته**"
315. http:www.**arabicbible**. Org "Is Jesus God" موقع **الإنجيل**: إِبْرَاهِيم، قاسم "**هل المَسِيح هُوَ الله**"
316. http:www.**baytallah**. comfood . htm موقع **بيت الله** :
317. http:www.**holol**.netfilesdisturbancesindex.htm موقع **حلول**:
318. http:www.**ishim.net**ankaadan surgicalDrugsZahrawi.htm كعدان،عَبْد النَّاصر "**الأدوية التِي استعملهَا الزهراوي فِي الجراحة**"،
319. http:www.**jas**.org.joarabiccons.html موقع **الجمعية العِلْمِيَّة الفلكية** فِي الأُرْدُنّ :
320. http:www.**kalwid**.pi.comchaptersptch.htm
321. http:www.**khayma**. com موقع **الخيمة** : العولقي،حامد "**الثالوث**"
322. http:www.**palestinianforum**.netforumshowthread.php?t=&page=.
323. http:www.**spainbarcelona**.comgeneralhistoryfreconquest.htm

Abstract

This thesis deals with the Jews and their influence on Arabic literature in Andalusia. It is made in three chapters.**In the first chapter**, the focus is on Jews and their history in addition to their social, economic, religious and cultural life.

The second chapter explores the influence of the Jews on Arabic poetry in Andalusia, and it shows them in different Arabic poetical themes in Andalusia: in Ghazal (love poetry) in laudatory, in satire, in wine poetry, in Muwashshahat and Alzajal. This chapter also contains other poetical topics as al-Ikhwaniyyat (fraternal). In this chapter, the study also draws attention to poetry about strives and massacres. It presents the most famous literary Jewish figures of Andalusian poetry and the sources of Jewish stories in it. It ends with biographies of the most distinguished Jewish poets in Andalusia such as Ibn Suhail Al-Israeli, Abu Al-Fadel Bin Hisdai and others.

Chapter three is concerned with the influence of Jews on the Arabic prose literature in Andalusia. Readers can also find a collection of prose literature in which the Jews appeared such as letters, proverbs, Maqamat (rhymes) and diaries. Then, the study illustrates what affected the image of Jews in Andalusian prose literature. In this chapter, there are biographies of Jewish figures who displayed Jews in Andalusian prose literature. These are the sons of Naghrila in Granada and Abu Mohammed Bin Hazm in addition to the Jewish writer Bin Hisdai.

Four appendices follow the research and many indexes end it.

Hebron University
Faculty Of Graduate Studies
Arabic Language Department

THE JEWS
AND THEIR INFLUENCE ON ARABIC LITERATURE IN ANDALUSIA

Prepared by:
Nafitha Naser Sharabati

Supervised by : **Dr. Hassan Flaifel**
Associate Professor of Andalusian Literature

This thesis is submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of master of Arts in Arabic Language & Literature, Collage of Graduate Studies & Academic Research, Hebron University.

٢٠٠٧